القسم الاول

من

كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب

[illegible]

الشيخ ابي العباس احمد بن محمد المقري

رحمه الله

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم

يقول العبد الفقير، الذليل المضطر الحقير، من هو من صالح العمل عرى، احمد ابن محمد الشهير بالمقّرى، المغربى المالكى الأشعرى، اصلح الله حالَه، وجعل فى مرضاته حلّه وترحالَه، ومحا بغيث الطاعة والرضوان امحالَه، وانجح ببلوغ آماله انتحاله وانتحالَه، احمدُ مَنْ عرّف من حُلَى الامصار وعُلَى الاعيان، على تداوُل الاعصار وتطاوُل الاحيان، ما فيه ذكرَى لأُولِي الابصار وارْشاد الى معرفة الديّان، واعتبار بأخبار راعَ وضعُها او راقَ، وشرّف مَنْ صرف المطامحَ والمطامع، الى تفصيل ما اشاد لسانُ الدين من كَلِم جوامع، وتحصيل الذى اجاد من حِكَم بوالغَ سُحُبُ بلاغتها هوامع، واقتناء ذخائر المهتدين التى تشنّفتْ بدُرَرِها اللوامع، الآذانُ والمسامع، من كلّ منحطّ عن رتبة البراعة او راقٍ، حتى توّج الخطيبُ المجيد رؤسَ المنابر بعرائد الكلام، وحلّى الكاتبُ الاديب المجيد صدورَ المزابر من فوائد الاعلام، وكحل الحكيمُ الطبيب الاريب المُفيد من اثمد المحابر بمراود الاقلام، عيونَ اوراق، واشهد ان لا اله الا الله وحدَه الذى ابتدأ الخلقَ من غير مثال وبرأ، وقسم العباد، الى حاضر وباد، وظاهر وخامل، وقاصر وكامل، تُشير اليه بالانامل، ابدى العِبَرا، وأبْدَى فى اختلاف ذواتهم وأعراضهم، وتباين ادواتهم وأغراضهم، وتغايُر السنتهم، وامكنتهم وازمنتهم، والوانهم، واكوانهم، ومناصبهم، ومناسبهم، عِبَرا، وجعل الدنيا لمن أُنبح صِغرًا او كِبرا، او لبس منهم مُسُوحا او حِبَرا، او اخلد الى الارض او صعد منبرا، جِسْرًا الى الآخرة ومعْبَرا، وحكم وهو الفاعلُ المختارُ على الجميع بالموت فكان لمبتدَاهم خَبَرا، فيما له من داء أعْيَا كلَّ مُعالِجٍ او راقٍ، فسبحانه من اله انفرد بوجوبِ القِدَم والبقا، واختصّ بفضله من شاء فارتقى، وعمّ تعّ ذوى السعدة والشقا، بالحدوث والفنا، واذاق من فراق الدنيا كلَّ من فيها بلا ثُنيَا، فمن وفّق فنفى عن جفنه وَسَنا، او خذل فجرّ فى ميدان الاغترار رَسَنا، وزيّن له عباذًا بالله سوءُ عمله فرآه حَسَنا، طعم شعُوبَ المرّ التجنَى، فلم يُغْنِ منه عن ذوى الغِنى والغنى، واهل السّنى

a) La. O. الاعمال. b) Voyez le *Korān*, sour. 35, vs. 9.

والسَّناء. من استظهروا به من ارباب الصوارم والقَنا، واصحاب النظم والنثر. والجِدال والفخر. والمدح والثنا»، فاولئك القوا السلاحَ مُذْعِنين. مستبصرين مُوقِنين. اذ جاء الحقُّ وزهق الباطلُ وولّى الامترا، وهؤلاء تركوا الاصطلاح مُعْلِنين. عالمين انهم لم يكونوا فى التمويه مُحْسنين. وكيف لا وقد اضمحلّ الغرورُ والاجترا، وذهب والله الزُورُ والافترا، وبُدِّل مَذْق الاذيا» بصدق الاطراق »، واشكره جلّ وعلا على ان علّم بالعلم، ما لم نعلم، ونبّه بآثاره. الدالّة على اقتداره. الى سلوك الطريق الاقْوَم، الواضح المُعْلَم، وارشد مَنْ اشرق فكرُه واضا. الى التفويض لاحكام القضا. ومَنْ ذا يردّ ما أَمْضَى. او ينقص ما أَبْرَم، والتسليم على كل حال أَسْلَمْ، وامر جلّ اسمُه بالتدبُّر فى انباء من مضى. والنظرِ فى عواقب احوال الذين زال امرُهم وانقضى. من صنوف الأُمَم ويُنْجِى من نجا قلبُه بالاعراض عن ذلك وأَثْلَم» وشتّانَ ما بين اللاهى والمتذكّر، والساهى والمتفكّر» والناجى والهالك المتحيّر، والداجى الحالك والمُشْرِق النيّر» وما يستوى الظلُّ والحَرور، والحَزنُ والسرور، والظلماتُ والنور» ذو البهجة والاشراق.،

واصلّى ازكى الصلاة والسلام. هديّةً لحضرة سيّد الانام. ولبنة[a] التمام. مَنْ زُوِيتْ له من الارض المَغاربُ والمشارق، وتمّ به ختامُ انبياء الله ورُسُله العظام. وازاح نورُه الضلالَ والظلام. حتى اضاءتْ بوسمه المساجدُ وازدانتْ باسمه المَهارق، والقى الموفَّق الموافق لدعوته بيد الاستسلام. وذلك شأنُ ذوى العقول الراجحة والاحلام. غيرَ خائف من عتب ولا مترقّب لملام. فآمن من البوارقِ والطوارق، وتمّتْ كلمةُ الاسلام. الذى اتّضح برهانُه لذى بصر وبصيرة لا يحتاج الى زيادة اعلام. وعلتْ سيوفُ توحيد الملك العلّام. من المعاند المُفارِق المَفارق» وخصّنا بحبّه الناجع الرِّفاق.، النبىّ الأُمّىّ الامين. الداعى جميعَ العالمين. الى سلوك منهاج. ما له من هاج. ذى اضواء شوارق، سيّد الرُسْل الغُرّ الميامين. ملجأ الامّة جعلنا الله ممّن نجا باللجأ اليه آمين. الذى أُنزل عليه القرآن. هُدًى للناس وبيّنات من الهُدَى والفرقان[b]. وانشقّ له الزبرقان. ونبع الماء من بين اصابعه زيادةً فى الايقان. وسلّمتْ عليه الاحجار. وانقادتْ لامره الاشجار. متفيّئةً ظلالَه الشريفة وخطّتْ فى الارض اسطرًا مُبْدَعةَ الاتقان. الى غير ذلك من معجزاته الخوارق، فهو صاحب الدعوة الجامعة. والبراهين اللامعة. والادلّة التى سقت الشجرة

---

a) Ce mot me paraît altéré; la voyelle se trouve dans le man. S. Le man. O. porte ولنبة, La. ولدنة sans points diacritiques. b) Voyez le *Korân*, s. 2, vs. 181.

الطيّبة فروعُها النائعة . الصيّبة الهامية الهامعة . الصادقة البوارق ، فأشرف النجباء والفوز والفلاح وارقتْ بالهدى احسنَ ابراق ، أسْنى رسولٍ بُعث الى الارض واعظمهم جلالة ، واكثرهم تابعًا فى الطول منها والعرض ولَمْ لا وقد ظهر به الحقُّ لمن أمّه مسترشدًا وجلا له ، وأسْمى من جاء بتبيين السنّة والفرض واعمّهم دلالةً ، مُنقذ البرايا فى الدنيا ويوم العَرْض الآخذُ بحُجزهم عن النار والضلالة ، الداعى الى تقديم الخير وحسن القرض العريضُ على هداية الخلق . المبلغ لهم احكامَ الحقّ . من غير ضجر ولا ملالة ، ذو الفضل العظيم الذى لم يختلف فيه من اهل العقول اثنان . والماجد الصميم الثابت الاصول الباسق الافنان . المنتقى من مَحْتد مَعَدّ بن عَدْنان . المنتخب من خير عنصر واطهر سُلالة ، شفيعنا وملاذنا ، وعِصْمتنا ومعاذنا ، وثمالُنا ، الذى نجحتْ به آمالُنا ، وزكتْ اقوالُنا واعمالُنا ، ووسيلتنا الكُبْرى ، وعُمْدتنا العظمى فى الأُولى والأُخْرى ، وكنزنا الذى اعددناه لازاحة الغموم[a] ذُخْرا ، وغيثنا ، وغوثنا ، وسيّدنا ونبيّنا ومولانا محمد الطيّب المنابت والأعْراق ، صلّى الله وسلّم عليه . ووجّه وفود التعظيم اليه . من مفرد فى جماله صار لجميع الانبياء تماما ، وفذّ فى كماله تقدّم فى حضرة التقديس . التى أُسّستْ على التشريف اعظمَ تاسيس . بالمُرْسَلين اماما ، وتفرّد تحلّى بجميل[b] الاوصاف . كالوفاء والعفاف . والصدق والانْصاف . فزكا فى اعماله . وبلّغ الراجىَ منتهى آماله . ولم يُخلِف وعدًا ولم يُخْفِر ذماما ، وسيّد كُسىَ حُلَلَ العصمة . من كل مُخالفة وذنب ووصمة . فلم يصرف لغير طاعة مولاه . الذى أَوْلاه من التفضيل ما اولاه . اعتناءً واهتماما ، وعلى آله وعترته ، الفائزين بأثْرته ، انصار الدين . والمهاجرين المهتدين . واشياعه وذرّيّته الطالعين نجومًا فى سماء شهرته ، وأَتْباعهم القائمين بحقوق نصرته ، ارباب العقل الرصين ، الفاتحين بسيوف دعوته ابوابَ المعقل الحصين ، حتى بلغتْ احكامُ ملّته . واعلامُ بعثته . مَنْ بالاندلس والصين ، فضلا عن الشام والعراق ، ورضى الله عن علماء امّته المصنّفين فى جميع الفنون ، وعنما سنّته الموفين للطلاب بالآراب والمحقّقين لهم الظنونَ ، وحماة شرعته المتبحّرين بحدوث مَنْ مرّتْ عليه الايام والشهور . وكرّتْ عليه الآناء والدهور . والاعوامُ والسنونَ ، المتدبّرين فى عواقب من كان بهذه البسيطة من السكّان . المتذكّرين على قدر الامكان . بمن طحنته رَحَى

---

a) La. O. الهموم. b) S. La. O. بجميع.

المَلُون» من املاك العصور الخالية، ومُلّاك القصور العالية، وذوى الاحوال التى هى بسلوك الاختلاف حالية» من بصير وأعْمَى، وتقير وذى نُعْمَى» ومختال ترَدّى بكبريائه، ومحتال على ما بايدى الناس بسُمعته وربائه» وعامل احسَنَ العمل، وغافل افتتن بالامل» وكارع فى حياض الشريعة، ورانع برياض الآداب المريعة، وذى ورع سدّ عمّا رابه الذريعة، واخى طمع فى ان يُدْرِك آرابه من الدنيا الوشيكة الزوال السريعة» ومقتبس من نبراس الرواية، وملتبس بادناس الغواية» وشاعر هامَ فى كل وادٍ، وقال ما لم يفعل فكان للغاوين من الرُّوّاد» وجاهل عمّر الخراب، وخُدع بالسراب، عن اعذب الشراب، ومحقّق علم انه اذا جاء القدَرُ، عمِىَ البصرُ، فما من احذر من غُراب، وموقن ان كل ما غير الله فان وكلّ الذى فوق التراب تراب» ومن متخلّف متجرّد تصوّف، ومتعلّق متفرّد تشوّق الى ما فيه رِضى الربّ وتشوّف، وناهٍ ذكّر بايام الله ووعظ وخوّف، ولا اغترّ بالباطل، فهو بالحقّ مُماطل، وطالما اخّره وسوّف، وابعَدَ الانتجاع، ثم اوى من باطله الى بيت قعيدته لَكاعِ، نعَسَ أمّارةً بعد ما تَنوّق[a]» ومن مادح نعَم الآلاء نعَم الآل، وكادح نمس لالاء العزّ بطلمة ذلّ السُّؤال، فجعل القصائد، مصائد، والرسائل، وسائل، والمقطّعات، مرقّعات، فآل امرُه الى ما آل» ومن مُخْبر بما سمع ورأى، حين اغترب عن مكانه ونأى، او اقام فى اوطانه فبلغ ما قدر ورأى» ومن مجازف لا يفرق بين الغثّ والسمين والامرار والاحلاء، وعارف ثقة امين، نظم دُرّ الصدق الثمين، فى أسلاك الكتابة والاملا» وعاشق خنساء فكره ذاتُ الصدار من الشجون والشعار، تبكى على صَخْر قلب المحبوب، وتذكره كلّما طلعتْ شمس او كان للصبا هبوب، فتأتى بما يُغْنى وسود الجوى المشبوب، من بحار الأشعار، وليلى شوقه العفيفة عن العار، ترفل فى ثوب من التصبّر مُعار، وقيسُ توقه من ثوب التسلّو عار» قد تولّه واشتاق خصوصًا عند انتشاق[b] البشام والعرار، وقلق لما ارق فلم يقرّ به قرار، فاعتراه، ما براه، وأَلِفَ البكاء بحكم الاضطرار، وليس ثيابَ النحول والاصفرار، وأُسر لما هزمتْ جيوش صبره وازمعت الفرار» فتحيّر بما شجاه، وسأل النجاة، من اسر الفراق.

---

a) Allusion au vers du poète satirique *al-Ḥoṭaiyah* الحُطَيْئة :

انوّق ما انوّق ثم آوِى   الى بيت قعيدته لَكاع

Voyez l'*Alfiyyah* d'Ibn Malik, edit. Dieterici, p. ٣٨٠.   b) O. استنشاق.

سبحانَ مَنْ قسم الحظو   ظَ فلا عتابَ ولا ملامَهْ   .اعشى واعمى[a] ثم ذو
بصر وزرقاء اليمامَهْ   ومسدّد او جائر   او حائر يشكو ظُلامَهْ
لولا استقامةُ من هدا   ه لَمَا تبيَّنت العلامَهْ   ومُجاور المغرّر بالمُخيب
ـف له البشارةُ بالسلامَهْ   واخو الحجَى فى سائر   الانفاس مرتقب حِمامَهْ
وكما مضى مَنْ قبله   يمضى ولم يَقْضِ التزامَهْ   والجاهل المغترّ من
لم يجعل التقوى اغتنامَهْ   فلْيرفضِ العصيانَ من   يخشى من الله انتقامَهْ
وَلْيعتبرْ بسواه من   لصلاحه صرف اهتمامَهْ   فالعيش فى الدنيا الدنـ
ـيّة غير مرجوّ الادامَهْ   مَنْ ارضعتْه ثديّها   فى سرعة تُبْدِى فِطامَهْ
من عزّ جانبُه بها   تنوى على الفور اهتضامَهْ   واذا تطلّبتَ فنَلْتَ من
منعتْه او منحتْ مرامَهْ   ومَنَ الذى وهبتْه وصلا ثم لم تحسن انصرامه
ومن الذى مدّتْ له   حبلا فلم يَخَفِ انفصامَهْ   كم واحد غرّتْه اذ
سرّته مخفيةَ الندامَهْ   قعدتْ به من حيث لم   يعلم فلم يملك قيامه
اين الذين قلوبهم   كانت بها ذات استهامَهْ   اين الذين تعمّدوا
ذلّ السيادة والزعامَهْ   اين الملوك ذوو الريا   سة والسياسة والصرامَهْ
وبنو أُميّة حين جمّع عصرُهم لهم قيامَهْ   وتمكّنوا ممّن تحا
ول نقضَ ما شاءوا انبرامَهْ   وتعشّقوا لما بدا   نيم محبّة الارض شمّه
حتى تقلّص ظلُّهم   واراهم الدهرُ اخترامَهْ   اين الخلائف من بنى
العبّاس[b] والبرّ القسامَهْ   اين الرشيد واهله   وبنوه اصحاب الشهامه
ووزيره يحيى وجعفرٌ ابنه الراوى احتشامَهْ   والفضل مُهدى من نعو
ذ نمن يلوم على الندى مَهْ   ام اين عنترة الشجا   ع وذو البجدى[c] كعب بن مامهْ
والزاعمون باجيليهم   ان القبور صَدًى وهامَهْ   والمدّعون من المجو
ن اذا شكا الفكرُ اغتمامَهْ   اين الغريض ومعبد   او اشعبٌ[d] وابو دلامه
اين الأُلى هاموا بسعدى او بُثينة او أُمامهْ   ويلوا لفرقة جوانحم
والليل قد ارخى ظلامَهْ   وتتبّعوا آثارَ من   عشقوا بنجد او تهامه
وتعلّلوا والشوق يغلب بالاراكة والبشامَهْ   أضناهم النوى فيما نقا

———

a) La. O. اعمى واعشى.   b) C'est ainsi qu'on lit dans La. Les autres man. portent ...بنى عباس
c) La. O. البجدى.   d) Voyez le *Kitabo'l-aghani*, edit. Kosegarten, p. 13, 14 et 19 de la preface.

سى لاعنجا اغرى غرامه　وغوى هوى غيلان مذ　ابدى بميته فيامه
ايس الاكاسر والغيا　صرة المجلون الغمامه　ابن الذى الهرمان من
بنيته الحكى اعتزامه　ام ابن غمدان وسيف　والوفود به امامه
اين الخورنق والسدير　ومن شغى بهما اوامه　ومدابن الاسكندر الـ
ـلاتى لها اعلى دعامه　اين الحصون ومن يصو　ن بها من الاعدا حمامه
ابن المراكب والموا　كب والعصائب والعمامه　ابن العساكر والدسـ
ـكر والندامى فى المدامه　وسقاتها المتلاعبو　ن بلب من اعنوى جمامه
من كل اهيف بزدرى　بالغصن ان يهتز قوامه　فى غرة الاقمـا
يمحو عن النادى ظلامه　فالشمس فى ازراره　والبدر فى يده قلامه
يصمى الغلوب اذا رمى　عن قوس حاجبه سهامه　ويروق حسنا ان رنا
ويفوق ارآما برامه　أتى لها ثغر حلا　ذوقا لمن رام التثامه
أتى لها وجه يشب　بقلب مبصره ضرامه　استغفر اللّه لـلغـ
ـو لا يرى الشرع اعتيامه　بل ابن ارباب العلو　م أولو التصدر والامامه
وذووه الوزارة والحجا　بة والكتابة والعلامه　كأئمة سكنوا بـانـ
ـدلس فلم يشكوا سامه　هى جنة الدنيا التى　قد انكرت دار المقامه
لا سيما غرناطة　الغرّاء رائقة الوسامه　وهى التى نعيت دمشـ
ـق وحسبها هذا فخامه　نزول اهليها بها　اذ اظهر الكفر انهزامه
واتت جيوش الشام من　باب نفى الفتح انبهامه　فسلوا بها عن جلق
اذ اشبهتها فى الفخامه　وبدا لهم وجه المنى　واراهم الثغر ابتسامه
وتبوأوها حضرة　تبرى من المضنى سقامه　بروائها وبمائها
وقوائها النافى الوخامه　ورياضها المهتزة　الاعطاف من شدو الحمامه
وبمرجها النضر الذى　قد زين اللّه ارتسامه　وقصورها الزهر التى
يأبى بها الحسن انقسامه　يا ليت شعرى اين من　امضى بها الملك احتكامه
وأتيح فى حمرائها　عزا به زان اتسامه　اين الوزير ابن الخطيـ
ـب بها فما أحلى كلامه　فلكم ابان العدل فى　ارجائها وبها اقامه

---

a) Al-Makkarî a peche ici contre la mesure, car la derniere syllabe dans اللّه est brève, landis que la mesure demande une syllabe longue. b) G. La. وذوى , S. O. وذو.

ولكم اجارِ عدّى وكم   اجرى فدى وّالى انسجامَهْ   راعتْ صروفُ الدهر دو
لتَه وما راعتْ ذمامَهْ   حتى ثوى اثرَ النوى   فى حفرة نثرتْ نظامَهْ
مَنْ زارها فى ارض فا   س اذهبتْ شجوًا منامَهْ   اذ نبّهتْه لكل شمـ
ـل شتّت الموتُ التهامَهْ   هذا لسانُ الدين اسـ   ـكتَه واسكنه رِجامَه
ومحا عبارته فمن   حيّاه لم يردْ سلامَهْ   فكأنّه ما امسك
القلم المُطلع ولا حسامَهْ   وكانه لم يَعْلُ متـ   ـنَ مَنهّم بارى انعامَهْ
وكانه لم يرقَ غا   ربَ الاعتزاز ولا سنامَهْ   وكانه لم يجتْ وجـ
ـها حاز من بِشْرٍ تمامَهْ   وكانه ما جال فى   امر ولا نهى وسمَهْ
وكانه ما نال من   ملكٍ حِبَاه ولا احترامَهْ   وكانه لم يُلْقِ فى
يده لتدبيرٍ زمامَهْ   مذ فارَق الدنيا وقوّض عن منازلها خيمَهْ
امسى بقبرٍ مفردًا   والتُرب قد جمعتْ عظامَهْ   من بعد تثنية الوزا
رة جدّه صوبُ الغمامَهْ   لم يبقَ الّا ذكره   كالزهر مفتّرٍ الكمامَهْ
والعمر مثل الضيف او   كالطيف ليس له اقامَهْ   والموت حتمٌ ثم بعـ
ـد الموت اهوال القيامَهْ   والناس مجزيّون عن   اعمال ميل واستقامَه
فذوو السعادة يضحكو   ن وغيرهم يبكى ندامَهْ   والله يفعل فيهم
ما شاء ذلّا او كرامَهْ   وبشفع المختار فيهم حين يبعثه مقامَهْ
وعليه خير صلاته   مع صحبه تتلو سلامَهْ   والتابعين ومن بدا
بِرُّ الرشاد له فشامَهْ   ما فاز بالرضوان عبـ   ـد كانت الحُسْنى ختامَهْ

والله سبحانه المسئول فى الفوز والنجاة كرمًا منه وحلما، فبيده الخير لا اله الا هو العلىّ الكبير، العليم الخبير، الذى احاط بكل شىء علما« فلا يعزب عنه مثقالُ ذرّة» من مخلوقاته على الشمول والاستغراق .. امّا بعد حمد الله مالك الملك، والصلاة على رسوله المنّجى من الهُلْك، والرضى عن آله وصحبه الذين تجلّت بانوارهم الظُلم الحُلْك، وعن العلماء الاعلام، الخائضين بحر الكلام، المستوين من البلاغة على الفُلْك« فيقول العبد الحقير، المذنب الذى هو الى رحمة ربّه الغنى فقير، المعترف المتبرّى من الحول والقوّة، المتمسّك باذيال الخدمة للسنّة والنبوّة، وذلك بفضل الله امان

a) Cette phrase est empruntée au *Koran*, sour. 10, vs. 62. Les man. La. et O. ajoutent ولا فى السمـ فى الارض après ذرة.   b) G. رحمة الله نعيم, S. رحمة الغنى فقير

وبراءة، الضعيف الفانى، الخطّاء الجانى، مَنْ هو من لباس التقوى عرى، احمد بن محمد بن احمد[a] الشهير بالمَقّرى، المغربى المالكى[b] الاشعرى، التِلِمْسانى المولد والمنشا والقرا[c]، نزيلُ فاس البارعة، ثم مصر القاهرة، اصلح الله احوالَه الباطنة والظاهرة، وجعلهُ من ذوى الاوصاف الزاكية، والخِلال الطاهرة، وسدّد [d] فى كل قصد أنحاءَه وآراءَه، ووفّقه بمنّه وكرمه للاعمال الصالحة، والطاعات الناجحة الراجحة، والمتاجر المغبوطة الرابحة، والمساعى العذبة بالخير الرائحة، ووقاه ما بين يديه ووراءه، وكفاه مكرَ الكائد وافتراءه، وجدال الحاسد المستسد ومِراءه، وجعل فيما يُرضيه سومَه وشراءه. آمين انه لمّا قضى الملك الذى ليس لعبيده فى احكامه تعقُّب او رَدُّ، ولا محيد عمّا شاءه سواء كره ذلك المرء او وَدّ، برحلتى عن بلادى، ونقلتى عن محلّ طرافى وتلادى، بقطر المغرب الاقصى، الذى تمّت محاسنُه لولا ان سَماسرة الفتن سامتْ بضائع امنه نَقْصا، ونما به بحرُ الاهوال فاستعملتْ شُعَراء العَيْث فى كاملِ رونقه من الزِحاف اضمارا وقطعا ووقصا،

فنشر كأنّ نسيمه   نفحاتُ كافور ومسك
وكأنّ زهر رياضه   دُرٌّ هوى من نظم سلك

وذلك اواخر رمضان من عام ٢١ بعد الالف، تاركًا المنصب والاهل والوطن والالف،

بلد طاب لى به الانس حينا   وصفا العودُ فيه والابداء
فسقتْ عهدَه العِهادُ ورقّتْ   منه تلك النواسمُ الأنداء

وما عسى ان اذكر فى اقليم، تعيَّن لحضرته فضل التسليم،

اصواته تسبق المنى وحواره   بشذاه الوسنانُ فى الاسحار
والطبع معتدل فقلْ ما شئته   فى الظلّ والازهار والانهار

محلّ فتح الكمائم، ومسقط الراس وقطع التمائم،

به كان الشباب اللّدْنُ غضّا   ودهرى كلّه زمن الربيع
ففرّق بيننا زمن خؤون   له شغفٌ بتفريق الجميع

لم آنَسْ تلك النواسم، التى ايامُها للعمر مواسم، وثغورها بالسرور بواسم، فصرتُ أشير

---

a) Les mots بن احمد manquent dans La. et O.   b) S. La. O. المالكى المغربى.   c) La. O. الزكية.   d) Les man. S. et La. ajoutent فى.

اليها وقد زمّت للرحيل القُلُص الرواسم،

ولنا بهاتيك الديار مواسم   كانت تُقام لنيبها الاسواق
فأبانَنا عنها الزمانُ بسرعة   وغدتْ تُعلّلنا بها الاشواقُ

وانشد قول غيْلان

أمنزلتَيْ ميّ ، سلام عليكما   هل الازمن اللاتى مضين رواجعُ

واتمثّل فى تلك الحدائق التى حمائمُها سواجع ، بقول مَنْ جفونُه من الهوى غير هواجع،

تشدو بعيدان الرياض حمائم   شدوَ القيان عزفن بالاعواد
مال النسيمُ بقُضبها فتمايلتْ   مهتزّة الاعطاف والاجياد
فغدتْ تودّع تلك توديعَ التى   قد آذنتْ منه بوشك بعاد
واستعبرت لفراقها عينُ الندى   فابتلّ مئزرُ عطفها المَيّاد

واحدّق النظر الى روض، لانسان العين من فراقه فى نهر الدموع سبحٌ وخوض،

روض به اشياء ليــــست فى سواه توَلَّف
فمن الهزار ترنّم   ومن العندليب تعطّف
ومن النسيم تلطّف   ومن الغدير تعطّف

واتغنّى بالمستريب، وانحنى اذذاك قريب، وحديث العهد ليس بمنكر ولا غريب،

أهذا وانّما تمضى للبين ساعة   فكيف اذا مرّتْ عليه شهورُ

والآذن لائحة، والشمل غادية بذكرى رائحة،

ارى آثارهم فاذوب شوقا   واسكب من تذكّرهم دموعى
واسأل مَنْ قضى بفراق حبّى   يمُنّ علىّ منهم بالرجوعِ

والنفس متعلّلة ببعض الانس، والمشاهد الحميدة لم تنسَ،

تلك العهود بشدّها مختومة   عندى لما هى عهدها لم تحلل

غير ان الرحيل، عن الربع غير المحيل، فعلّ به بين الشغف والشوق حمل،

وقفنا بربع الحبّ والحبّ راحلٌ   نحاول رجعه لنا ونحاولُ
وانقتْ دموعُ العين فيه مسيلا   لها عن عبرات الغرام دلائلُ

a) Les man. portent جنى V. Mehren, *Die Rhetorik der Araber*, p. 126. b) La. O. تبعدى c) La. O. يوجد. d) Ces deux vers se trouvent, avec des variantes, dans plusieurs endroits des *Mille et une Nuits*. Voyez l'edit. de Macnaghten, tom. I, p. 112, 117, tom. IV, p. 103, 305.

وبالسفح منها كم سقيتُ لبانها   فميّلته والسفح للبيان ماثلُ
اذا نسمة الاحباب منها تنسّمتْ   تطيب بها اسحارُنا والاصائلُ
تُثير شجوني ساجعاتٌ غصونها   فمنها على الحالَيْن هاجتْ بلابلُ
مرابع أُلّافي مراتع نشأتي   مطالع اقماري بها والمنازلُ

فحيّاها الله من منازل ذات اقمار سائرة فيها، ومنازهَ لا يحصي الواصف محاسنها وامداحَ اهلها ولا يستوفيها.

حلّوا عقودَ اصطباري عند ما رحلوا   وفي الحشائش حلّوا مثل اقمار[a]
انّ المنازل قد كانت منازهَ اذ   باتوا[b] بها وهي اوطاني واوطاري

ورعى الله مَنْ بان، وشاق حتى الرندَ والبانَ.

بانوا لعينيَّ اقمارا تقلّبهم   لُدْنُ الغصون فلمّا آنسوا بانوا
عهودهم لستُ انساها وكيف وقد   رثى لبَيْنِيَ عنها الرندُ والبانُ

وفي مثل هذا الموطن تذوب القلوبُ الرقاق، كما قال حائز قصب السبق بالاستحقاق، الاديب الاندلسي الشهير بابن الزقاق[c]:

وقفتُ على الربوع ولي حنينٌ   لساكنهنّ ليس الى الربوع
ولو انّي حننتُ الى مغاني   احبّاي حننتُ على ضلوعي

وكما قال بعض من له في هذه الفجاج مَسير:

دخولك من باب الهوى انْ اردتّه   يسيرٌ ولكنّ الخروج[d] عسيرُ

وابن مَنْ له صفة لا يطمع الدهرُ القويّ في نَحْتها، وجنّة دنيويّة لا تجري انهار العراق من تَحْتها.

فسقى ربيعَ النبت من ذات الحمى   نَحيِي[e] تدور على الرُبى كاساته
سفح سفحتُ عليه دمعي في ثرى   كالمسك ضاع من الفَتاة فُتاته

ولم أَزَلْ بعد انفصالي عن الغرب بقصد الشرق، واتّصافي اثرَ ذلك الجمع بالفرق:

احنّ اذا خلوتُ الى زمان   تقضّى لي بأفنية الربوع
واذكر طيبَ ايام تولّت   لنا فتفيض من اسف دموعي

---

a) La. O. اقمار. b) La. O. كـنوا. c) S. بابن الرفاق. d) La. O. الفراق. e) Telle est la leçon du man. S.; G. porte محى, P. مُتحبّ, La. بتحيا, O. محجرا.

واتوق وقد اتّسع من البعد الخَرْق، وخصوصًا اذا شدا صادحٌ او اومض برق" الى ديار، لا يعدوها اختيار"

وأَرْبُعِ احباب اذا ما ذكرتُها ... بكيتُ وقد يُبْكيك ما انت ذاكرُ
بطاح وادواح يروقك حسنُها ... بكل خليج نمنمتْه الازاهرُ
فما هو الّا فضّة في زبرجد ... تساقط فيه اللؤلؤ المتناثرُ
بحيث الصبا والترب والماء والهوا ... عبير وكافور وراح وعنبرُ
وما جنّة الدنيا سوى ما وصفتُه ... وما ضمّ منه الحسن نجدٌ وحاجرُ
بلادى التى اعلى بها واحبّتى ... وقلبى وروحى ª والمُنَى والسخوائرُ
تُذَكّرنى انجادُها ووهادُها ... عهودًا مضتْ لى وهى خُضْرٌ نواضرُ
اذا العيش صاف والزمان مساعد ... فلا العيش مملول ولا الدهر جائرُ
بحيث لياليناً كغضّة شبابنا ... وايامُنا سلك ونحن جواهرُ
ليالى كانتْ للشبيبة دولة ... بها مالكُ اللذّات ناهٍ وآمرُ
سلام على تلك العهود فانّها ... موارد افراح تلتْها مصادرُ

واتذكّر تلك الايام، التى مرّتْ كالاحلام، فاتمثّل بقول بعض الاكابر الاعلام"

يا ديارَ السرور لا زال يبكى ... فيكِ ان يضحك الرياضُ غمامٌ
ربّ عيش صحبتُه فيك غضّ ... وعيونُ الفراق عنّا نيامُ
فى ليال كانّهنّ امانٌ ... فى زمان كانّه احلامُ
وكانّ الاوقات فيه كئوس ... دائرات وأُنْسهنّ مُدامُ
زمن مُسْعِد وإِلْف وَصُول ... ومُنًى تستلذُّها الاوهامُ

وبقول الحائك الامىّ، عند ما يكثر شجوى وغمّى"

لم أَنْسَ ايامًا مضتْ ولياليًا ... سلفتْ وعيشا بالحريم تصرّما
اذ نحن لا نخشى الرقيب ولم نَخَفْ ... صرفَ الزمان ولا نُطيع اللُّوّما
والعيش غضّ والحواسد نُوّم ... عنّا وعينُ البين قد كحلتْ عمى
فى روضة ابدتْ ثغورُ زهورها ... لمّا بكى فيها الغمامُ تبسّما

---

a) La. O. وروحى وقلبى. b) C'est ainsi qu'on lit dans le man. La.; G. et P. portent نبعث, S. et O. نبعض. c) La. O. الغمام.

مدّ الربيعُ على الخمائل نَوْرَه　　　فيها فاصبح كالخيام مخيّما
تبدو الاقاحي مثل ثغر اشنب　　　اضحى المحبُّ به كئيبا مُغْرَما
وعيون نرجسها كأعيُن غادة　　　ترنو فترمي باللواحظ أسْهُما
وكذلك المنثورُ منثور بها　　　لمّا رأى وردَ الغصون منعَّما
والطير تصدح في فروع غصونها　　　سحرًا فتوقظ بالتغريد النُّوَّما

وبيد، الى بلاد محيّاها جميل»

كساها الحَيا بُرْدَ الشباب فانّها　　　بلاد بها عقَّ الشبابُ تمائمي
ذكرتُ بها عهد الصبى فكأنّه　　　قدحنَ بنار الشوق بين الحيازم
ليالي لا أَلوي على رُشد ناصح　　　عناني ولا أَثْنيه عن غيّ لائم
انال سُهادي من عيون نواعس　　　واجني مُرادي من غصون نواعم
ونيل لنا بنسْدّ بين معاطف　　　من النهر تنساب انسيابَ الاراقم
تمرُّ الينا ثم عنّا كأنّها　　　حواسد تمشي بيننا بالنمائم
وبِتْنا ولا واش نخاف كأنّما　　　حللنا مكانَ السرِّ من صدر كاتم

واغدو الى قصور ذات بهجة، وصروح توضح معالمها لرائد نَهْجَه»

ورياض تختال منها غصون　　　في برود من زهرها وعقود
فكأنّ الادواح فيها غوانٍ　　　تتبارَى زهوًا بحسن القدود
وكأنّ الاطيار فيها قيانٌ　　　تتغنّى في كل عُود بِعُود
وكأنّ الانهار في حومة الرو　　　ض سيوف تُسَلّ تحت بنود

واصبو الى بطاح وادواح، تُروّح النفوسَ والارواح»

سقيت لها من بطاح خُزّ　　　ودوح زهر بها مُظَلّ
اذ لا ترى غير وجه شمس　　　اطلّ فيه عذارُ ظلِّ

وانهر جارية، وازهار نواسمها سارية» وأَربع وملاعب، تُزيح عن مُبْصِرها المتاعب»

تلك المنازل والملا　　　عب لا اراها اللهُ مَمْحَلا
اوطنتُها زمنَ الصبا　　　وجعلتُ فيها لي محلّا
حيث التفتُّ رأيت ما　　　ءً سائحا ورأيت ظلّا
والنهر يفصل بين زهـ　　　ـر الروض في الشطّين فصلا
كبساط وشي جرّدتْ　　　ايدي القيون عليه نصلا

والى منازل، يستقرّ حسنُها الرائق الجادّ والهازل» ويشفى منظرُها عليلا، ويكفى مخبرُها للمستفهم دليلا»

وجنان الفتُها حين غنّتْ   حولها الوُرْقُ بكرةً واصيلا
نهرها مسرعًا جرى وتمشّتْ   فى رُباها الصبا قليلا قليلا

واتمثّل ان تذكرتُ حال وداعى، بقول الشاعر الاديب الوَدَاعى»

الغرب خير وعند ساكنه   امانةٌ اوجبتْ تقدُّمَهُ
فالشرق من نيِّرَيْهِ عندهم   يُودِع دينارهُ ودرهَمَهُ

ويقول غيره، اشارةً لفضل الغرب وخيره»

أشتاق للغرب واصبو الى   معاهد فيه وعصر الصبّا
يا صاحبَىْ نجواىَ والليل قد   ارخى جلابيب الدُّجى واختبى
لا تعجبا من ناظر ساهر   بات يُراعى انجم غيّبا
القلب فى آثارها سائر   لمّا رآها تقصد المغربا

واعيم كلّما حللتُ من غبر ارضى بمكان، وقد صيّر السائق جدّ السير معمولا ثمّ الله لما جعله خبرا لكانَ، بقول قاضى القضاة العالم الكبير الشمس ابن خلدون»

اىُّ ليل على المحبّ اطالَهْ   سائق الظعن يوم زمّ جمالهْ
يزجر العِيس شاديًا يقطع المَهْـمَهَ عسفا سهوله ورماله
ايّها السائقُ المجدّ ترفّقْ   بالمطايا فقد سئمن الرحاله
وأنِخْها هُنَيْهَةً وأرِحْها   اذ براها السُرى وفرط الكلاله
لا تُطِلْ سيرها العنيف فقد بـ   ـرّح بالصبّ فى سُراها الاطاله
وأرِثْ للمنازح الذى إنْ رأى ربـ   ـعا ثوى فيه ندب اطلاله
يسأل الربعَ عن ظباء المصلّى   ما على الربع لو اجاب سؤاله
ومُحالٌ من المُحيل جواب   غير ان الوقوف فيه علاله
هذه سنّة المحبّين يبكو   ن على كل منزل لا محاله
١ يا ديارَ الاحباب لا زالت الاعيُنُ فى ترب ساحتيك مُذاله
وتمشّى النسيم وهو عليل   فى مغانيك ساحبا اذياله

---

(1) تنبيه.

اين عيش مضى لنا فيك ما اســـرع عنّا ذهابه وزواله
حيث وجه الزمان a طلق نضير والتدانى غصونه ميّالة
ولنا فيك طيب اوقات انس نيّتنا فى المنام نلعى مثاله

وانشد قوله الذى سحر الالباب، منديا من له من الاحباب»

احبابنا لو لقيتم فى اقامتكم من الصبابة ما لاقيت فى الظعن
لاصبح البحر من انفاسكم يبسا والبر من ادمعى ينشق بالسفن

وقوله وما تغيّرت عن ذاك الوداد ولا حالت بى الحال فى عهدى وميثاقى
درسى غرامى بكم دعوى اكرّره وقد تفقّهت فى وجدى واشواقى

وقول الماجد بن شمس الخلافة، معلما انه لا يريد بدل معهده وخلافه»

يا زمان الشبيبة عليك سلام وعلىّ السلوّ عنك حرام
اىّ عيش قطعته فيك لو دا م وهل يرتجى لظلّ دوام
كنت حلما والعيش فيك خيال وسريعا ما تنقضى الاحلام
ليت نفسى على ليال تقضّت سلبتنى بردها الايام
فتمتّنى الايام عنها وشديد على الوليد الفطام
لا تلمنى على البكاء عليه من بكى شجوه فليس يلام

وقول ابى شاعر الخطيب الموصلى

حىّ نجدا عنّى ومن حلّ نجدا اربعا هجن لى غراما ووجدا
واقر عنّى السلام آرام ذاك الشعب والاجرع الخصيب المفدّا b
وابك عنّى حتى ترنّح بالوجد اراكا به وبانا ورندا
فلكم وقفة ظللت c على الضا ل بدمع اذاع سرّى وابدى
وعلى البان كم من البين اذريـ ـت لآلى للدمع مثنى ووحدا
آه وا لهفتى على طيب عيش كنت قطّعته وصالا وودّا
حيث عود الشباب غضّ نضير ويد المكرمات بالجود تندى
والخليل الودود ينعم اسعا فا وصرف الزمان يزداد بعدا
والليالى مساعدات على الوصـ ـل وعين الرقيب اذذاك رمدا

---

a) La. O. الشباب. b) G. S. et P. portent الفردا. c) G. O. P. ظللت, La. اظلت.

كم بهـا من لبانة لى واوطـا ... ر تقضّتْ وجازت الحدّ جدّا[1]
فاستعاد الزمانُ ما كان اعطى ... خلسةً لى ببخله واستردّا

وقول بعضهم

سلام على تلك المعاهد انّها ... شريعةُ وِرْدى او مهبُّ شمالى
ليالىَ لم نحذر حزونَ قطيعة ... ولم نَمْشِ الّا فى سهول وصال
فقد صرتُ أرْضى من نواحى جنابها ... بخُلّبِ برق او بطيف خيال

وقول الجُرْجانى

للمحبّين من حذار الفراق ... عبراتٌ تجول بين المآقى
فاذا ما استقلّت العيسُ للبيـ ... ـن وسارتْ حُداتُها بالرفاق
استهلّتْ على الخدود انحدارا ... كانحدار الجُمان فى الاتّساق
كم محبّ يرى التجلّد دينا ... فهو يخفى من الهوى ما يُلاقى
ازدهاه النوى فأعرب بالوجـ ... ـد لسانٌ عن دمعه المُهْراق
وانحدار الدموع فى موقف البيـ ... ـن على الخدّ آيةُ العشّاق
فَهَبِنِ الحبَّ لستُ اوّلَ صبّ ... فضحتْه الدموعُ يومَ الفراق

وقول الخطيب الحصْكفى الشافعى

ساروا واكبادنا جَرْحَى واعيُنُنا ... قَرْحَى وانفسنا شَرْقَى من العلق
تشكو بواطنُنا من بعدهم حرقا ... لكن ظواهرنا تشكو من الغرق
كانّهم فوق اكوار المطىّ وقد ... سارتْ مقطّرةً فى حلك الغسق
دراريُّ الزُهْر فى الابراج زاهرة ... تسير فى الفلك الجارى على نسق
يا مُوحشى الدار مذ بانوا كما انستْ ... بقربهم لا خلت من صيّب غدق
إن غِبْتُمُ ثم تغيبوا عن ضمائرنا ... وان حضرتم حماكم على الحدق

وما احسن قولَ بعضهم فى هذا المعنى، الذى تقدّم ذكره وبه المَعْنا..

سلام على اهل الوداد وعهدهم ... اذ الانس روض والسرور فنون
رحلنا فشرّقنا وراحوا فغرّبوا ... ففاضت لروعات الفراق عيون

ثم انشدتُ ولليالى النوى عاتمة، قول الاندلسى ابن خاتمة..

---

[1] Les manuscrits portent حدا.

ايّامنا بالحمى ما كان احلاك   كم بتُّ ارعاه اجْلالًا وارعاك
لا تُنكري وقفتي ذُلًّا بمغناك   يا دارُ لولا احبّائي ولولاك
لمّا وقفتُ وقوفَ الهائم الباكي
فهل لهم عطفة من بعد ذلّهم   تالله ما تسمح الدنيا بمثلهم
آهًا لقلبي على تبديد شملهم   ما كان احلاك يا ايامَ وصلهم
ويا لياليّ الرضى ما كان أضواك
يا بدرَ تمٍّ تنأت عنه أربُعنا   ولم تزلْ تحتويه الدهرَ اضلُعنا
ما للنوى بضروب البين يوجعُنا   اذا تذكّرتُ دهرا كان يجمعُنا
تفطّرتْ كبدي شوقا لمرآك
احبابَ انفسنا كم ذا النوى وكم   ويا معاهد نجوانا بذي سَلَمِ
تالله ما شُبْتُ دمعا للاسى بدمِ   ولا لثمتُ تراب الارض من كرمِ
الّا مُراعاةَ خلٍّ ظلّ يرعاك
خلِّ التعلّلَ يُدني منهم وعسى   فيعمر القربُ ما بالبين قد درسا
كم ذا انادي بربع بالنوى طمسا   يا قلبُ صبرًا فانّ الصبر عاد اسى
ويا منازل سَلْمى اين سلماك

وقول بعض من اشتدّ به الهيام، فخاطب جيرته مادحا ليالي القرب وذامًّا تقلّب الايام.

ايامُ انسيَ قد كانتْ بقربكم   بيضًا فحين نأيتم اصبحتْ سُودَا
ذممتُ عيشي مذ فارقتُ ارضكم   من بعد ما كان مغبوطًا ومحسودَا

وقول صاحب مصارع العشّاق، وقد شاقه في الهوى ما شاق [a].

بانوا فدمع مقلتي   وجدًا عليهم تستهلّ   وحَدَا بهم حادي الفرا
ق عن المنازل فاستقلّوا   قُلْ للذين ترحّلوا   عن ناظري والقلب حلّوا
ما ضرّهم لو انهلوا   من ماء وصلهم وعلّوا

وقوله حين زحزحته يد الفراق، عن اوطان العراق.

قد قلتُ والعبرات تسـ   ـفحنا على الخدّ المَقِي   حين انحدرتُ الى الجزيـ
ـرة وانقطعتُ عن العراق   وتخبّطتْ ايدي الرفا   ق مهامه البيد الرقاق

a) Ces vers se trouvent aussi chez *Ibn-Khallikān*; voyez l'edit. de Wüstenfeld, n°. 134.

يا بوس مَنْ سلّ الزمـا   نُ عليه سيفـا للفراق

وقوله ايضا   يا منزل الحيّ بذات النَقا   سقاك دمع مذ نـأوا مـا رَقـا

هـل سلوةٌ هيهـات لا سلوة   قد بلغ السيلُ الزبَى[a] وارتقى

وانت يـا يومَ النوى عاجلا   اقـالة منـك الله يـومَ اللقـا

وقولى موطّيًا للثالث، وقد تغيّر لى فيمن تغيّر حادث،،

لم أَنْسَ معهدنا والشملُ مجتمع   والعيش غضٌّ وروض الانس معشَرْ

فهـا انـا بعد بُعْد عنه فى قلق   وقـد نَـبَـتْ بـى ارجـا[b] واقـطـارْ

تمضى الليالى واشواقى مجدّدة   وما انقضتْ لى من الاحباب اوطارْ

وكلّما مررتُ بمراى بروق، لمعتْ لى من ناحية المغنى بالمنى بروق، فتذكّرت قول بعض من له على غير من يهوى شروق،،

ما نظرتْ عينى سواك منظرا   مستحسَنا الّا عرضتَ دونَهْ

ومـا تمنّيـتُ لقـا غـائب   الّا سألتُ الله ان تكونَهْ

وربمـا رُمْتُ انتحاءى مذهبَ السلوّ وانتحالى، خلالَ احوال افنتنى وارتحالى، فلم ينتقل عن تلك الصفات حالى، وأنّى وجيدى بقلائد الثبات حالى،،

والشوق اعظم ان يُحيط بوصفه   قلمٌ وان ينوى عليه كتابُ

والله ما انا مُنْصف إنْ كان لى   عيش يطيب وجيرتى غيابُ

وكيف ولآماقى صبٌّ، ولأشواقى[c] زيادة اذا سرى النسيم او هبّ،،

شربتُ حميًّا البين صرْفا وطالما   جلوتُ محيّا الوصل وهو وسيمْ

فميعـادُ دمعى ان تنوح حمـامةٌ   وميقاتُ شوقى أن يهبّ نسيمْ

فـان لاح سنـا بـرق شاقنى، او ترنّم شادٍ حدا بى الى الهُيام وساقنى، او رنـا ظبى فلاة راعنى وراقنى،،

وانّى ليُصْبينى سنـا كـل بـارق   وكـل حمـام فى الاراك ينوحْ

وأرتاع من ظبى الفلاة اذا رنـا   وارتـاح للتـذكـار وهو سَنوحْ

ولم يك ذاك الامر من حيث ذاتُه   ولكن لمعنًى فى الحبيب يلوحْ

ولا استطيع الاعْرابَ عن امرى العجيب، مما بى من النوى المذهل والجوى المدهش

---

a) Les manuscrits portent الربى. b) S. La. O. ازال, P. ادال. c) La. O. ولاشواقى.

والوجيب»

ولا تسألوا عمّا أُجِنُّ فليس لى   لسان يؤدّى ما الغرام يقولُ
يضارحنى البرقُ الاحاديثَ كلّما   اضاء كانّ البرق منه رسولُ
وما بالُ خفّاقِ النسيم يُميلنى   هل الريح راحٌ والشمال شمولُ

ان دموع شؤونى عند الذكرى لا ترقا، وجفونى ليس لها عن الارق مَرقى، وشجونى تنمو ان صدحتْ بفَننها وَرْقا»

ربّ ورق فى الدياجى تُنادى   الفها فى غصونها الميّادهْ
فتُثير الهوى بلحن عجيب   • يشهد السمعُ انّها عوّادهْ
كلّما رجّعتْ توجّعتُ حزنا   فكلانا فى وجدنا نتبادهْ

فيا لها من ذات نوق، مُثيرة لكامن شوق، جاذبة له من يمين وشمال وفوق»

ذكّرتنى الورقاء ايامَ انس   سالفات فبتُّ أذرى ه الدموعا
ووصلتْ النشيدَ شوقا لحبّى   وغراما وقد هجرتُ الهجوعا
كيف يخلو قلبى من الذكر يوما   وعلى حبّهم حنيتُ الضلوعا
كلّما اولعَ العذولُ بعَتْبى   فى هواهم يزداد قلبى وَلوعا

وربّما اتخيّل قولَ من قال انها بالحزن بائحة، وعلى فقد الالف نائحة، فانشد قول خليل، وهو بالحبّ مدنف عليل.»

وربَّ حمامة فى الدوح باتتْ   تُجيد النوح فنّا بعد فنّ
اقسمها الهوى مَهْمى اجتمعنا   فمنها النوح والعبرات منّى

ولا غروَ ان ظهر سرٌّ بائح، فبك مثلى من الشجو نائح»

فرجعتُ بعد فراق ايام الهوى   أصِفُ الصبابة للمحبّ المُولَعِ
دامى الجفون اذا الحمامة غرّدتْ   من فوق خُوط البانة المترعرعِ
اسقى الديار وقد تباعد اهلُها   عنها عزالىّ الدموع الهُمَّعِ
ونواعب الاطلال ليس يُجيبنى   ما بينهنّ سوى الصدى بتوجّعِ
د وهواتف فوق الغصون يجيبنى   منهنّ تغريد الحمام السُّجّعِ
ناحتْ على عَذب الفروع والفُها   منيا بمرأى فوقها وبمسمعِ

---

a) G. S. اجرى.

ما فارقتْ الصفا كما فارقته   كلّا ولا أُجرتْ سواكبَ ادمعِ

على اوان، عيونُ سعوده روانٍ، وزمان، معمور بامانى وامان، وآمال دوان، وتهانىّ ما بين بكر وعوان،، وفى عذر مَنْ طال ليله فاضطرب فيه لَولوعه، وسكن جواه بجوانحه وضلوعه،،

ان طال ليلى بعدهم فلطوله   عذرٌ وذاك لما أُقاسى منهمْ
لم تَسْرِ فيه نجومه لكنها   وقفتْ لتسمع ما أُحدّث عنهمْ

فأرقى، الزائد فى حرقى،، اظهر المكنونَ وابان، ووجدى بمن نأى وبان، لم يُجد غير تعلّل برند وبان،،

تنبّهى يا عذبات الرند   كم ذا الكرى هبّ نسيمُ نجد
فلستِ مثلى فى جوى او ارق   وحرقة من فرقة او صدّ
عوقبتُ ممّا حلّ بى من جيرةٍ   فى الغرب لم يرعوا لفرط وجدى
أُعلّل القلبَ ببان عنهم   وعل ينوب غُصُنٌ عن قدّ
بانوا فلا مغنى السرور بعدهم   مغنى ولا عيد الرضى بعيد
آهًا من البُعد ومن لم يَدرِهِ   لم يُشاهِده تدّعى للبعد

وفى شغل من ابكته الربوعُ والطلولِ، ذهبتْ برغةٌ من زمانه بين الترحّل والحلول، فركب من الاخطار الصعبَ والذلول، وحافظ على العهود ولم يسلك سبيلَ الغدر الممْلول،،

سقاها التحيّا من أربعٍ وطلولِ   حكتْ دنفى من بعدهم ونحولى
ضمنتُ لها اجفانَ عين قريحةٍ   من الدمع مدرارِ الشئون همولِ

ومن الغريب، الذى ينكره غيرُ الاريب،، ان الحادى انْ سرّ القلب بكشف رَيْن، فقد تسبّب فى اجتماع امرين، متنافيين متنافرين،،

ترنّم حاد بالعريب فشاقنى   الى ذكر من بانت ضلوعى تضمّهُ
فسرّ وساء النفسَ شجوا قربها   كلفتُ به من حيث صرتُ اذمّهُ

وارتجلتُ حين مللتُ من طول السُّرى، مضمّنا ذكرَ ما اروم له تيسّرا، وقد اكثر الرفاق، عند رؤية ما لم يبلغوه من الآفاق، تلفّتا وتحسّرا،،

---

1) G. S. P. اوراق.

قلتُ لمّا نال النوى عن بلادى ولاهل الهوى ⁽ᵃ⁾ جوًى وعويلُ
هل ارى للفراق آخرَ عهد انّ عمر الفراق عمرٌ طويلُ

ثم قلتُ مضمّنا

لائمى فى ذكر احباب نأوا لا تَلُمْ مَنْ اضعف الشوقُ قُواهْ
انّ يوما جامعا شملى بهم ذاك عيدى ليس لى عيدٌ سواهْ

ثم قلتُ مضمّنا ايضا

لك الله من صبّ اضرَّ به النوى وليس له غير اللقاء طبيبُ
وانّ صباحا نلتقى بمسائه صباح الى قلبى المشوق حبيبُ

ثم عُدتُ الى التصبُّر، بعد امعان النظر والتدبُّر،،

وانّى لأَدْرِى انّ فى الصبر راحةً ولكنّ انْفاقى على الصبر من عمرى
فلا تُطْفِ نار الشوق بالشوق طالبا سلوّا فانّ الجمر يُسْعَر بالجمرِ

ثم سلكتُ نهجَ التفويض والتسليم، منشدا قول ابن قُطْرال المغربى فى مقام النصح والتعليم، ووجّهتُ القصد الى سكّان الضمير بذلك التكليم،،

انّ ايام الرضى معدودة والرضى اجملُ شىء بالعَبِيدْ
لا تظنّوا نِيَ عنكم ⁽ᵇ⁾ سلوة ما على شوقى اليكم من مَزِيدْ
راجعوا انفسكم تستيقنوا انّكم فى الوقت اقصَى ما أُرِيدْ
انّ يوما اجمع الله بكم فيه شملى ذاك عندى يومُ عيدْ

وقول بعض من ندم على البعد عن المعاهد، وامّل العودَ والعودُ احمدُ الى المشاهد،، وغفر للدهر ذَنْبَه إنْ عاد، وتلهّف ان لم يعاملْه بغير الابْعاد،،

لئن عاد جمعُ الشمل فى ذلك الحمَى غفرتُ لدهرى كلَّ ذنب تقدَّمَا
وإنْ لم يَعُدْ منّيتُ نفسى بعوده وما ذا عسى تُجْدِى الامانى وقَلَّمَا
يُحقّ لقلبى ان يذوب صبابةً وللعين ان تُجْرِى مدامعَها دمَا
على زمن ماض بهم قد قطعتُه لبستُ به ثوب المسرّات ⁽ᶜ⁾ مُعْلَمَا

وقول آخر يخاطب احبابه، ويذكر فواصل بحر النوى الطويل واسبابه،،

أُعيذكم من لوعتى وشجونِى ونارِ جوى تُذْكَى بماء شؤونِى

---

a) La. O. النوى. b) La. O. عنكم لى. c) S. La. المسرة.

وبرح اسى لم يُبْقِ فىّ بقيّةً سوى حركات تارةً وسكون
ارى القلب أضْحَى بعد طارقة الاسى أسيرَ صبابات رهينَ شجون
وكيف سبيل القرب منكم ودونكم رمالُ زرُودٍ والاجارعُ دونى
سَلُوا مضجعى هل قرّ من بعد بُعْدكم وهل عرفتْ طعم الرُقاد جفونى
سهرنا بنَعْمان ونِمْتم ببابل فيا لعيون ما وفتْ لعيونى

وفى بعض الاحيان، اتسلّى بقول بعض الاندلسيّين الاعيان،،

لا تكثرتْ بفراق اوطان الصبّى فعسى تنال بغيرهنّ سعودًا
فالدرُّ يُنظم عند فقد بحاره بجميل اجياد الحسان عقودًا

وقول غيره

فعسى الليالى ان تمنَّ بنظمنا عقدًا كما كُنّا عليه واكملا
فلربّما نُثر الجمانُ تعمّدا ليُعاد احسنَ فى النظام واجملا

وارغب لمن اذلّ ذيول الغربة ان يُقلّصها، واطلب ممّن اجال النفوس فى سبيل الكربة ان يخلّصها..

فنلتقى وعوادى الدهر غافلةٌ عمّا نروم وعقدُ البين محلولُ
والدار آنسة والشمل مجتمع . والطير صادحة والروض مطلولُ

واضرع اليه سبحانه فى تيسير العود الى اوطانى، ومعهدى الذى منابا العزّ اوطانى.. وأنّ يُلحقنى بذلك الافق الذى خيرُه موفور، وحقّ من فيه معروف لا منكر ولا مكفور..

اذا ظفرتُ من الدنيا بقربهم فكل ذنب جَنَه الدهرُ مغفورُ

وكانّى بعاتبٍ يقول ما هذا التطويل، فاقول له جوابى قول ابن ابى الاصبع الذى عليه التعويل،،

اكثرتَ عذلى كانّى كنتُ اولّ من بكى على مسكن او حنّ لسكن
لا تلْحَ انّ من الايمان عند ذوى الايمان منّا حنين النفس للوطن

على انّنى اقول اللهمّ يَسّرْ لى ما فيه الخيرةُ لى بالمشارق او بالمغرب، وجُد لى من فضلك حيث حللتُ بجميع ما فيه رضاك من المآرب، بجاهِ نبيّنا وشفيعنا المبعوث رحمةً للاحمر والاسود والاعاجم والاعارب، عليه افضل صلاة وازكى سلام. وعلى آله واصحابه الاعلام. والتابعين لهم باحسان ما ذرّ شارقٌ وتعاقب ناشئ وغارب.. ثم جدّ بنا السيرُ فى البرّ اياما، ونأينا عن الاوطان التى اذبنا فى الحديث حُبّا لها وهُياما.

وكنّا عن تفاصيل وصلها نياما، الى ان ركبنا البحر، وحللنا منه بين السَّحْر والنحر. وشاهدنا من اهواله، وتنافي احواله، ما لا يعبَّر عنه، ولا يُبلغ له كُنْه،

البحر صعبُ المرام جدًّا   لا جُعلتْ حاجتى اليه

أليس ماء ونحن طين   فما عسى صبرُنا عليه[a]

ثم استقبلتْنا امواجُه بوجوه بواسر، وطارتْ الينا من شراعه عقبانٌ كواسر، قد ازعجتْه اكفُّ الريح من وكرها، كما نبّهت اللُّجَجَ من سكرها، فلم تُبْقِ شيئا من قوّتها ومكرها، فسمعنا للحبال صفيرا، وللرياح دويّا عظيما وزفيرا، وتيقّنّا انّا لا نجد من ذلك الّا فضلَ الله مُجيرا وخفيرا. واذا مسّكم الضُرّ فى البحر ضلّ مَنْ تدْعون الّا ايّاه[b]، وايسْنا من الحياة، لصوت تلك العواصف والمياه، فلا حيّا الله ذلك الهولَ المزعجَ ولا بيّاه، والموج يصفق لسماع اصوات الرياح فيضرب بل ويضطرب، فكانّه من كاس الجنون يشرب او شرب، فيتبعّد ويقترب، وفرقة تلتئم وتصطفق، وتختلف ولا تكاد تتّفق. فتخال الجوّ ياخذ بنواصيها، وتجذبها ايديه من قواصيها، حتى كاد سطح الارض يُدهش من خلالها، وعنان السحاب يُختطف فى استقلالها، وقد اشرفت النفوسُ على التلف من خوفها واعتلالها، وآذنت الاحوالُ بعد انتظامها باختلالها، وساءت الظنون، وتراءتْ فى صورها المنون. والشراع، فى قراع، مع جُيوش الامواج، التى أمدّتْ منها الافواجُ بالافواج، ونحن قعود، كدود على عُود، ما بين فُرادَى وازواج، وقد نَبَتْ بنا من القلق امكنتُنا، وخرستْ من الفَرَق السنتُنا، وتوهّمنا انه ليس فى الوجود، اغوار ولا نجود. الا السماء والماء وذلك السفين، ومَنْ فى قبر جوفه دفين، مع ترقّب هجوم العدوّ، فى الرواح والغدوّ. لاجتيازه على عدّة من بلاد الحرب، دمّر الله من فيها واذهب بفتحها عن المسلمين الكرب. لا سيّما مالطة الملعونة، التى يتحقّق من خلّص من معرّتها انه أمِدّ بتاييد الهىّ ومعونة، فقد اعترضتْ[c] فى لهوات البحر الشامى شجى، وقلّ مَنْ ركبه فافلتَ من كيدها ونجا، فزادنا ذلك الحذرُ الذى لم يُبْقِ ولم يَذَرْ، على ما وصفناه من هول البحر قلقا، واجرينا اذذاك فى ميدان الافكار بايدٍ الى التهلكة تلقا، وتشتّت افكارنا فَرْقا، وذُبْنا اسى وندما وفَرَقا. اذ البحر وحده لا كمىّ يقارعه، ولا قوىّ يصارعه. ولا شكل يضارعه. ولا يومن على حال،

a) Voyez *The Travels of Ibn Jubair*, édit. Wright, p. ٣١٩.   b) Voyez le *Korân*, sour. 17, vs. 69.   c) Le man. G. porte وقد تعرضت.

ولا يفرق بين عاطل ولا حالى، ولا بين اعزل وشاكى، ومتباك ووباكى،

ثلاثة ليس لها امان   البحر والسلطان والزمان

فكيف وقد انضمّ اليه خوف العدوّ الغادر الخائن، والكافر المحائن، الى ان قضى الله بالنجاة وكلّما اراد فهو الكائن، وان نهى عنه واخذنا المائن.. فرايناَ البرّ وكانّا قد لم نره، وشفيت به اعيننا من المره،، وحصل بعد الشدّه الفرج، وسمعت من السلامه انيب الارج،، فيا لها من نعمة كشفت عن وجهها النقاب، بقلّ شكرا لها صوم الاحقاب، وعتق الرقاب،، جعلنا الله بآياته معتبرين، وعلى طاعته مصطبرين.. ولم ندخل في البرّ من معاناة خطوب، ومداراة وجوه للمتاعب ذات تجهّم وقطوب.. فكم خضنا مهامه فيحا، ومستحسن بالتخلّى منها اثيرا وصعيحا،، وقلبنا الفجاج، وقوانا من الشوق خطوط ذات استقامة واعوجاج، وقلوب الرفقة من الفرقة فى اضطراب وارتجاج، وربما عمى على المجتهد الادلّة التى يحصل بها على المذهب الاحتجاج.. فنرى الاعين نعم فى زفرة الاشواق، والاجسام قد زرّت عليها من التعب الاطواق.. هذا والعمل نتدحرج البدر مرتب، وقد شدّت رحالٌ واقتاب، وزمّت ركاب.. ورفعت احداج، وقربت من الدعة بمدية النصب أوداج، وتساوى فى السير نهار مشرق وليل معتم او داج.. وادم التاويب والاسآد، وحمل الغربة قد اثقل وآد،، ثم وصلنا بعد خوض بحر، تدهش فيها الفكر ويحار،، وجوب فيافى مجاهل، يضلّ فيها القطا عن المناهل.. الى مصر المحروسة فشفينا برويتها من الاوجاع، وشاهدنا كثيرا من محاسنها التى تعجز عن وصف الغوانى والاسجاع،، وتمثّلنا فى بدائعها التى لا نستوفيها، بقول ابن نطيف فيها،،

شاطئ مصر جنّة   ما مثلها من بلد   لا سيما مذ زخرفت
بنيلها المطّرد   وللرياح فوقه   سوابغ من زرد
مسرودة ما مسّها   داودها بمبرد   سائلة وهو بها
يرعد عارى الجسد   والفلك كالافلاك بين   حادر ومصعد

وبقول آخر   انظر الى النيل الذى   سيرت به آيات ربى
فكانّه فى سيحه   دمعى وفى الخفقان قلبى

وبقول ابى المكارم بن الخطير المعروف بابن مماتى فى جزيرتها

a) Les man. portent ومتبكى.   b) S. La. O. غياثى.   c) Voyez *Ibn-Batoutah*, edit. Defrémery et Sanguinetti, tom. I, p. 69.   d) Les man. portent فى.

جزيرةَ مصر لا عَدَتْكِ مسرّةٌ   ولا زالت اللذّاتُ فيكِ اتّصالَها
فكم فيكِ من شمس على غصن قامة   يُميت وبحيى [a] هجرُها ووصالَها
مغانيكِ فوق النيل اضحتْ هوادجًا   ومختلفاتُ الموج فيك حِبالَها [b]
ومن اعجب الاشياء انك جنّة   ترقّ [c] على اهل الضلال ظلالَها

ولعلّه اراد باهل الضلال اليهودَ والنصارى المستولين انذاك على الدولة وتذكّرتُ فى مصر قول القاضى الفاضل [d]

بالله قُلْ للنيل عنّى انّنى   لم أَشْفِ من ماء الفرات غليلَا
وسَلِ الفؤاد فانّه لى شاهدٌ   ان كان طرفى بالبكاء بخيلَا
يا قلبِ كم خلّفت ثَمَّ بُثَيْنة   واعِيذُ صبرَك ان يكون جَميلَا .

وقول احمد بن فضل الله [e] العمرى

لمصر فضلٌ باهر   بعيشها الرغد النضِرْ
فى سفحِ روض يلتقى   ماء الحياة والخَضِرْ

وقول آخر   كانّ النيل ذو فهم ولُبّ   لِما يبدو لعين الناس منهْ
فيأتى حين [f] حاجتهم اليه   ويمضى حين يستغنون عنهْ

وقول آخر   ولله مجرى النيل منه اذا الصَبا   ارتْنا به من مرتعاه [g] عسكرا مَجَرّا
بشطٍّ يهزّ السمهريّةَ ذُبّلا   وموجٍ يهزّ البيض هندية بترا
اذا مدَّ حاكى الوردَ لونًا وان صَفا   حكى ماءه لونا ولم يحكه مُرّا

وقول آخر   واها لهذا النيل اىُّ عجيبة   بِكْرٍ بمثل حديثها لا يُسْمَعُ
يَلقى الثرى فى العام وهو مسلِّم   حتى اذا ما مال عاد يودِّعُ
مستقبل مثل الهلال فدهرَه   ابدًا يزيد كما يزيد ويرجعُ

وقول ابن النقيب   الصبُّ من بعدهم مفرد   ودمعه النيل وتعليقُهُ
وخدّه لمّا بكاهم دمًا   مقياسه والدمع تخليقُهُ

وقول الصفدى

سقيا لمصرِ وما حَوَتْ   من أُنسها وأُناسِها   ومحاسن فى مَغْنِها

---

a) G. P. تميت وتحيى. b) G. خيالها, S. جبالها. c) La. O. تمد. d) Voyez *Ibn-Khallikān*, edit. Wustenfeld, n°. 384. e) Le mot الله manque dans La. et O. f) La. O. عند g) C'est ainsi qu'on lit dans La. Les autres man. portent برها.

تبدو وفى مقياسها ومسرّة كاساتها تُجلى على أكياسها
وسطور قُرْط خطّها البارى على قرطاسها ه وذُمى كنائسها ولا
تُنْسى ضياء كناسها ولطافة بجلالة تبدو على جُلّاسها
ونواسم كلّ النقى للنفس فى انفاسها ومراكب لعبت بها
الامواجُ فى وسواسها

ويقول ابن جابر الاندلسى

ما زلتُ أُسند من محاسن ارضها خبرا صحيحا ليس بمقطوع
كم مُرْسَل من نيلها ومسلسل ومدبّج من قضبها المرفوع

وقول ابرهيم بن عبدون

والنيل بين الجانبين كانّما صدئتْ بصفحته صفيحة صيقل
يبتيك من كُدْر الزواخر مدّه بممسّك من مائه ومصندل
فكانّ ضوء البدر فى تمويجه برقٌ تموّج فى سحب مُسبل
وكانّ نور السُّرْج من جنباته زُهْرُ الكواكب تحت نيل أَمْلَ
مثل الرياض مفتّقا انوارُه تبدو لعين مشبّه وممثّل

وقول ابن الصاحب فرح الانامُ بنيلهم اذ صار احمر كالشقيق
وتبرّكوا بشروقه فكانّه وادى العقيق

وقوله ه احمرّ للنيل خدٌّ حتى غدا كالشقيق
وقد ترنّمتُ فيه اذ صار وادى العقيق

ثمّ شمّرتُ عن ساعد العزم بعد الاقامة بمصر مدّةً قليلةً، الى المُهِمّ الاعظم والمقصد الاكبر الذى هو سرّ المطالب الجليلة، وهو روية الحرمَيْن الشريفين، والعلمَيْن المنيفين. زادهما الله تعظيمًا، وبلّغ النفوس ببركة من شرّفها به مآرب لم تزل تنويها. فسرتُ فى البحر الى الحجاز، راجيًا من الله سبحانه فى الاجر الانجاز. الى ان بلغتُ جُدّة، بعد مكابدة b خطوب اتّخذتُ لها من الصبر عُدّة. فحين حصل القرب والتحلت العين بانمد تلك الترب، ترنّمتُ بقول من قال، محرّضا على الوخد والارقال

a) La. O. وقول اخر. b) La. et O. ajoutent ici و اهوال.

بدا لك الحقُّ فاقطَعْ ظهرَ بيداء | واهجُرْ مقالةَ احبابٍ واعداء
واقصدْ على عزمةٍ ارضَ الحجاز تَجِدْ | بُعْدًا عن السخط فى نزل الاوداء
وقُلْ اذا نلتَ من امّ القُرَى اربا | وهو الوصول بِاسْرار وإبْداء
يا مكّة الله قد مكّنتِ لى حرما | مؤمّنا لستُ اشكو فيه من داء
فمذ رأى النازحُ المسكين مسكنَه | فى قطرك الرحب لم يُنْكَبْ بأرْداء
شوقُ الفؤاد الى مغناك متّصل | شوقَ الرياض الى ظلّ وأنْداء

ثم انشدتُّ عند ما بدتْ اعلامُ البيت الحرام، قولَ بعض من غلب عليه الشوقُ والغرام، وقد بلغ من امانيّه المُوجِبة بشائرَه وتهانئه المرامَ.

وافى الحجيجُ الى البيت العتيق وقد | سجا الدُّجَى فرأَوا نورا به بزغا
ضجّوا عجيجا وقالوا الله اكبرُ ما | للجوّ مؤتلقا[a] بالنور قد صُبِغا
قال الدليلُ ألا فأتوا بشارتكم | فمَنْ نوى كعبةَ الرحمن قد بلغا
نادَوْا على العيس بالاشواق وانتحبوا | وحنَّ كلّ فؤاد نحوها وصَغا
وكلّ مَنْ ثَمّ فعلا نال مقصده | فى مكّة وَآمّحَى[b] ما قد جنى وبَغا

ولما وقع بصرى على البيت الشريف كدتُ اغيب عن الوجود، واستشعرتُ قولَ العارف بالله الشبلّى لما وفد الى حضرة المعبود.

قلتُ للقلب اذ تراءى لعينى | رسمُ دار لهم فهاج اشتياقى
هذه دارهم وانت محبٌّ | ما احتباسُ الدموع فى الآماق
وادّغانى للصبّ فيها معان | فهى تدعَى مصارعَ العشّاق
حُلّ عقدَ الدموع واحلُلْ رباها | واهجُر الصبرَ وارْعَ حقَّ الفراق

ثم اكملتُ العُمْرة، ودعوتُ الله ان اكون ممّن عمّر بضاعة ربّه عُمْره، وذلك اوائل القعدة من عام ١٢١١ من الهجرة السنيّة، واقمتُ هنالك منتظرًا وقتَ[c] الحجّ الشريف، ومتفيّئا ذلك الظلَّ الوريف، ومقتطفًا ثمار القرب الجنيّة، الى ان حان الاوان، فاحرمتُ بالحجّ من غير توان، وحين احللتُ ممّا به احرمتُ، نويتُ الاقامة هنالك وابرمتُ، فحال من دون ذلك حائل، وكنتُ حريّا بان انشد قول القائل،

هدى ابانح مكّة حولى وما | جمعتْ مشاعرُها من الحرمات

---

a) S. تلقاءنا. b) S. وانمحى, La. O. P. ومحى. c) La. اوقات, O. ايام.

ادعو بها لبيك تلبية امرئ   يرجو الخلاص بها من الازمات
نلت المنى بمنى لو انى لم اخف   بالخيف من ذنب احال سماتى
وعرفت فى عرفات انى ناشق   للعفو عرفا عاطر النسمات

وانا اتمثل فى المطاف، اذ حفت بى الاكناف، الدانية القطاف.. بقول من ربعه بمعوى مشيد، البغدادى الشهير بابن رشيد،،

على ربعهم لله بيت مبارك   اليه قلوب الناس تهوى وتهواه
يطوف به الجانى فيغفر ذنبه   ويسقط عنه جرمه وخطاه
وكم لذة او فرحة لطوافه   فلله ما احلى الطواف واهناه

ثم قصدنا بعد قضاء تلك الاوطار، طيبة الشريفة التى لها الفضل على الاقطار، واستشعرت قول من انشد وطير عزمه عن اوكاره قد طار،،

حمدت مرادى اذ بلغت مرادى   بام القرى مستمسكا بعمادى
ومذ رويت من ماء زمزم غلتى   فلست بمحتاج لماء ثماد

فلله سبحانه الحمد على نعمه التى جلت، ومننه التى نزلت بنا النفوس مواطن التشريف وحلت..

من يشهد الرحمن خير عبادة   يتحلل بمكة كى ينال المقصدا
واذا قضى من حجه الغرض الذى   يسعى يروم طيبة دار الهدى

وكان حظى فى هذه الحال، تذكر قول بعض الوشاحين[b] من الاندلسيين الذى كان ليم ارتحال، الى المعاهد الطاهرة، والمشاهد الزاهرة، انى نسد له الرحال..

يا من لعبدانه[c] افتقار   انى ايد له جسم
فتلك مدن لخير مدن   حل بها سيد الامم

لم يهف قلبى لحب ليلى   ولا سعد ولا الرباب
لافى شجون ولا ويلا   من هم فى ذلك الجناب
بل مال منى الفواد ميلا   لمن له الحب لا يعاب

قلبى والله مستطار   مذ حل فى بيته الحرام

---

a) La. O. الزلات.   b) C'est ainsi qu'on lit dans le man. O.; G. et P. portent الوشاحيين (sic), S. الواشحيين, La. الوشاحيين.   c) La. O. لعبد له.

ذى الحِجْر والركن خيرِ رُكْنٍ   وزمزم الخير والمقامْ
ذابتْ قلوبُ المحلّى عشقًا   ورَكْبها واستوى المُرادْ
انى حبيب القلوب حقًّا   الحىّ والمَيْت والجمادْ
الى الذى ليس فيه يَشْقى   من حبّه داخل الفؤادْ
شكوا وقد طالت السفارُ   هُمْ ومطاياهم السقامْ
فهى قِسىٌّ من التنقّى   والقوم من فوقها سهامْ
ولستُ من سكرتى مُفيقًا   حتى ارى حجرةَ الرسولْ
فان يُسهّلْ لى الطريقًا   فذاك اقصى مُنًى وسُولْ
حتى ترى عينىَ العقيقًا   ويفرح القلبُ بالوصولْ
كم قلتُ والصبر مستعارُ   للركب ان غادروا المنامْ
ونسمةُ الشوق حرّكتْنى   وزادنى الوجدُ والغرامْ
قوموا فقد طال ذا الجلوسُ   وبادروا زورةَ الحبيبْ
تاقتْ الى طيبة النفوسْ   لا عيشَ من دونها يطيبْ
لا حبّذا دونها العروسْ   والماء والشادن الربيبْ
وحبّذا الرمل والقفارُ   والعُرْب فى تلكم الخيامْ
وامّ غَيْلانَ ظلّلتْنى   والايك والاثل والثُمامْ
يا طيبة حُزْتِ كلّ طيبِ   بسيّد فيك ذى حلولْ
نداء مستضعف a غريبِ   فى غير امداحه يقولْ
وهو من السامع المجيب   لمدحه يسأل القبولْ
انت الغنّى لى فلا افتقارُ   وانت عزّى فلا أُضامْ
مستمسك منك حسنُ ظنّى   بعروة ما لها انفصامْ
بسيّد العالمين اجمعْ   باحمد المجتبى الرسولْ

---

a) S. مستعطف.

سقيا لتلك معاهدًا شاهدتُها   وشهدتُها بالخطو واللحظات
لا زلتُ زوّارًا لقبر نبيّنا   ومدينة زهراء بالبركات
صلّى الاله على النبيّ المصطفى   هادى البريّة كاشف الكربات
وعلى ضجيعَيْه السلام مردّد   ما لاح نورُ الحق فى الظلمات

وقول كمال الدين ناظر قُوص

أَنِخْ هبه والحمدُ لله يَثْرِبُ   فبُشْراك قد نلتَ الذى كنت تطلبُ
فعَفِّرْ بهذا الترب وجهَك انه   احقّ به من كل طيب واطيبُ
وقبِّلْ ربوعا حولها قد تشرّفتْ   بمن جاورتْ والشيء بالشيء يُحبَبُ
وسكّنْ فؤادا لم تزل باشتياقه   اليها على جمر الغضا تتقلّبُ a
وكفْكِفْ دموعا طالما قد سفحتَها   وبرِّدْ جوى نيرانُه تتلهّبُ

وقول الرُّعينى الغرناطى

هذه روضة الرسول فدَعْنى   ابذل الدمع فى الصعيد السعيد
لا تَلُمنى على انسكاب دموعى   انما ضِنَّتُها لهذا الصعيد

ثم سلّمتُ على سيّد الانام عليه من الله ازكى الصلاة وافضل السلام. ذُبتُ حيا وخجلا b، لما انا عليه من ارتكاب ما يقتضى وَجَلا، غير انّى توسّلتُ بجاهه صلّعم فى ان اكون ممّن وضح له وجهُ الصفح وجَلا.

اليك افرُّ من زَلَلى   فرارَ الخائف الوَجِلِ c
وكان مزار قبرك بل   مدينته منتهى املى
فوفّى الله ما طمحتْ   له نفسى بلا خلل
فخذ بيدَىّ غريق فى   بحار القول والعمل
وهَبْ لى منك عارفة   تعرِّف ما تنكَّر لى
فتهدينى الى رشدى   وتمنعنى من الزلل
وتحملنى على سَنَن   يؤمّننى من الوَجَل
فانت دليل من عميت   عليه مسالك السُّبُل
وانّك شافع بَرٌّ   ومَوْئلنا من الوَهَل
وانّك خيرُ مبتعث   وانّك خاتم الرُّسُل
فيا ازكى الورى شرفا   وشافيهم من العِلَل
ويا انْدى الانام يدًا   واكرم ناصر وولى
نداءَ مقصّر وجل   بثوب الفقر مشتمل
على جدواك معتمد

a) La. O. يزل et يتقلب. b) G. S. P. وحجلا. c) G. et P. portent الخجل, variante qui se trouve aussi sur la marge du man. S.

فأنقذني من الوحل دا وألحقني بجنّات   لدى درجاتها الأُوَلِ
بصدّيق وفاروق وعثمان الرضى وعلي   فأنت ملاذ معتصم
وأنت عماد متّكل عليك صلاة ربّك جلّ   في الغدوات والأُصُلِ

وقد شممنا من أريج تلك الأرجاء الذكيّة، واستنشقنا بشرح تلك الأنحاء الزكيّة، عبير من الشوق ما كان بطون، ولم يختصر ببعض سكن ولا وطن، وبنا سعادة من قدوم بتلك البقاع الشريفة وطن..

مرّ النسيم بربعه فتلذّذا   حتى كأنّ النشر منه قد غذا
فسألته وصحبي لا أشكو أذى   قل للصبا ما ذا حملت من الشذى
أمسكت طيب أم غلالة عبير

يا أيّها الحادي الذي من وسمه   قصد الحبيب وان يُلمّ برسمه
قل لي متى ألقاه قرّبه بسمه   بيني الذي لم تدرِ زهرة جسمه
لكنّه عن الجسم نحيل

لي شوق قد تجاوز حدّه   أوفى على الصبر المشيد فهدّه
يا لهف الصبر لا تعدّه   ثوبي لمشتاق يعفّر خدّه
في روضة الهادي اليه يشير

فعساه يبذل في التوسّل وسعه   ويميل نحو حبيب نيّبه سمعه
ويريق شوق حتى المحلّى دمعه   ويرى معالم من يحبّ وربعه
ومحمّد للعالمين بشير

صلّى عليه الله خير صلاته   وحبا معاليه جزيل a صلاته
ما حنّ ذو الأشواق في حالاته   وأتى مغانيه على علّاته
فأتيح حسن الختم وهو قريب

ووقفنا بباب طلب الآمال خاشعين، وتوسّلنا الى الله بذلك المقام العليّ خاضعين، وغبطنا قوما سكنوا هنالك فكانوا لخدودهم متى شاءوا على تلك الأعتاب واضعين..

أكرم بعبد نحو طيبة مسندي b   متوسّل مستشفع مسترشد
يطوي الفلاة لها بعزم أيّد   وافى الى قبر النبيّ محمّد

a) G. S. جليل. b) P. مسندی (sic), S. O. سيدى, La. ينتدى. Je crois qu'on doit lire ينتهي ou peut-être يستدي.

ولربعه الأسنى يروح ويغتدى

ازجاه صادق حبه المتمكن — وحداه سائق عزمه المتعين
فحكى لدى شجو حمام الأغصن — هزجا يردد فيه صوت ملحن
ويمد للاطراب صوت المنشد

ويقول جئت بعزمة نزاعة — ونهضت والدنيا تمر كساعة
لمحق احمد قائلا باذاعة — هذا النبي المرتجى لشفاعة
يوم القيامة بين ذاك المشهد

هذا الرؤوف بجاره ونزيله — هذا سراج الله في تنزيله
هذا الذي لا ريب في تفضيله — هذا حبيب الله وابن خليله
هذا ابن باني البيت اول مسجد

هذا الذي اصطفت النبوة خيمه — هذا الذي اعتام الندى تقديمه
هذا الذي نسقى غدا تسنيمه — هذا الذي جبريل كان خديمه
(1) في حضرة التشريف ازكى مقعد

هذا الذي شهد الوجود بختمه — بمزية التفضيل من مختتمه
وابانه من وحيه في نصه — هذا الذي ارتفع البراق بشخصه
في ليلة الاسراء اشرف مهتدى

هذا الذي غدت الطلول حديقة — بجواره وبدت تروق انيقة
هذا المكمل خلقة وخليقة — هذا الذي سمع الندا حقيقة
ودنا ولم يك قبل ذاك بمبعد

فبنا كم رسل به تتوسل — وعلى حماه لدى المعاد تعول
يا ارحم الرحماء انت المؤئل — يا خاتم الأرسال انت الاول
فترق في اعلى المكارم واصعد.

الله رفع في سراه مناره — وابان في السبع العلى انواره
فغدت ملائكة السما آثاره — واراه جنته عناك ونار
فمؤيد ومخلد لمخلد

---

1) G. S. P. التحمام.

كم ذاد من جُلَّى وجلّى ظلمةً   وامتنّ بالرُّحْمَى ومتَّن حرمةً
لمّا دجا افقُ الضلالة دهمةً   بعث الاله به ليرحم امّةً
لولاه كانت بالضلالة ترتدى

حاز الشفوف فكل خلق دونَهُ   فالغيث يسأل ان يسيل يمينَهُ
والشمس تستهدى الشروق جبينَهُ   والله فضّله واظهر دينَهُ
ووفى لنا فيه بصدق الموعد

نُثْلِقى يغادى ذكره ويراوحُ   وبه ينافح a مسكةً وينافحُ
تُعْيِى اللسانَ محامدٌ وممادحُ   طُوبَى لمن قد عاش وهو يكافحُ
عنه يناضل باللسان وباليد

هو صفوة العرب الاُلى احسابُهُمْ   اسيافُهم قُرِنتْ بها اسبابُهُمْ
فهم لُباب المجد وهو لبابُهُمْ   من آل بيت لم تزل انسابُهُمْ
تُنْبِى لهم عن طيب عنصر مولد

شرفُ النبوّة قد رسا فى اهلها   وسما عَلَى الزُّهْر العُلَى بمحلّها
سبق السوابقَ للفخار برُسْلِها   نطق الكتابُ كما علمتَ بفضلها
وقضى به نصُّ الحديث المُسْنَد

فوق السماء توثّقتْ وتوطّدتْ   وتفرّدتْ بالمصطفى وتوحّدتْ
فهى الخلاصة صُفّيتْ فتجرّدتْ   من معدن فيه الرسالة قد بَدَتْ
من عصر آدمنا لعصر محمد

ساموا فلم يُبْقوا لمجدٍ مصعدًا   صالوا ففى أيمانهم حتفُ العدَى
سالوا فهم لُعفاتهم غيث النّدَى b   اهل السقاية والرفادة والجدَى c
والكعبة البيت الحرام المقصد

المُنْعِمون وقد طوى الهَبا الطَّوَى   الناهضون اذا الصريخ لهم نَوَى d
العاطفون اذا الطريق بهم ثَوَى   اهل السدانة والحجابة واللِّوَا
اهل المقام وزمزم والمسجد

المُصْلِحون اذا الجموع تخادعَتْ   المُنْجِحون اذا المساعى دافعَتْ

a) S. porte يناقح, O. ينفخ. Je propose de lire يناقح ou يفاوح.   b) G. S. الجدى.
c) G. S. والندى.   d) La. O. ثوى.

الدافعون اذا الاعادى قارضت   المؤثرون اذا السنون تتابعت

زند العجيج بنيل لـ تفقد

لا يقرب الخطب الملمّ منيعهم   لا يطرق الكرب المخيف [illegible]

والله شرّف بالنبىّ جميعهم   من نال رتبته [illegible]

نال الشفوف وحاز معنى السودد

حلّوا من الخلود الاسنى بمنعة   فى خير معتصم باسمى [illegible]

فهم بمكّة [illegible] فى خجعة   الله [illegible]

[illegible] محفوفة بالاسعد

[illegible] انبعث [illegible] اجمل المشرى   من بعد [illegible]

[illegible]   [illegible]

عذرا [illegible] بعذارى الخرّد

[illegible]   ما [illegible] فى [illegible]

[illegible] بعزم [illegible]   نشأت بنىّ [illegible]

زهراء من [illegible] ومسجد

[illegible] فى [illegible]   [illegible] المجد [illegible]

[illegible] ولا [illegible] عن [illegible]   [illegible] اذا [illegible]

[illegible] الغصون [illegible]

قد اعملت فى المدح [illegible]   [illegible]

وعسى اذا عذبت[a] [illegible] عذيب   [illegible] الاحسان [illegible]

والحسن [illegible] لم تفسد

مدحى [illegible] عقيدتى   [illegible]

[illegible] مقيدتى   [illegible] مدحت [illegible]

فقد مدحت قصيدتى بمحمد

يا خير خلق الله [illegible]   [illegible]

والله يعلم فى [illegible] سرائرى   وهو الذى ارجو [illegible]

a) La. O. [illegible].   b) C'est ainsi qu'on lit dans S. Les autres man. portent [illegible].
c) [illegible]. Je crois qu'on doit lire [illegible].

متوسّلا بجنابك المتأكّد

لولا حقوق عيّنتْ بمغاربِ   لمكثتُ عندك كى تُتاح مآربى
ويكون فى الزرقاء عذب مشاربى   حتى احلّى من ثراك ترائبى
وانال دفنا فى بقيع الغرقدِ

وعليك من ربّ حبيبك صلاتُه   وسلامه وحباته وصِلاتُه
ما امّ بابك من هدتْه فلاتُه   نعلاه حتى زحزحت عِلّاتُه
فتبعه حسن الختم دون تردُّد

ثمّ ودّعتُه صلّعم وانقلب من شراشه سقيم، ووقعت من البعد عن تلك المعاهد فى المقعد المقيم، وانا ارجو ان يكون شكلا منتقى غير عقيم، وانْ أُحشر فى زمرة مَنْ سلك الصراط المستقيم..

يا شفيع الخلق انت رجائى   كيف يخشى الرجاء عندك خيبهْ
واذا كنتَ حاضرا بفؤادى   غيبةُ الجسم عنك ليست بغيبهْ
ليس بالعيش فى البلاد انتفاعٌ   انّما العيشُ ما يكون بطيبهْ

ثمّ عدتُ الى مصر، وقد زال عنّى ببركته صلّعم الاضرّ، وذلك فى محرّم سنة ١٠٢٩
ثمّ قصدت زيارة بيت المقدس فى شهر ربيع من هذا العام، وقد شملتنى بفضل الله جوائز الانعام.. وتذكّرت عند مشاهدة تلك المسالك الصعبة، قول حافظ المحدّث ابن حَجَر العسقلانى رحمه وهو ممّا زادنى فى هذه الزيارة رغبة..

الى البيت المقدّس جئتُ ارجو   جنانَ الخلد نُزلا من كريم
قطعنا فى مسافته عقابا   وما بعد العقاب سوى النعيم

فلما دخلتُ المسجد الاقصى، وابصرت بدائعه التى لا تستقصى، بهرنى جماله الذى تجلّى الله به عليه، وسألتُ عن محلّ المعراج الشريف فارشدتُّ اليه، وشاهدت محلّا أمّ فيه صلّعم الرسلَ الكرام الهُداة، وكان حقّى ان انشد هنالك ما قاله بعض الموفّقين وهو ممّا ينبغى ان يترنّم به الحُداة..

ان كنتَ تسأل اين قد   رُ محمد بين الانامْ
فأصِخْ الى آياته   تَنْقَرْ بريّك فى الأوامْ
أكْرِمْ بعبدٍ سلّمتْ   تقديمه الرسلُ الكرامْ
فى حضرة للقُدْسa وا   فاها بعزم واحترامْ
صفّوا وصلّوا خلفه

a) S. التقديس.

انّ الجماعة بالامامْ لـلـمُشهب نـور بيّـن والفضل للقمر التمـامْ
سلْك النبوّة بـاهـر وبـاحـمـد خُتم النظـامْ هـذا الكـتـاب دلالـة
تبقى الى يوم القيامْ شهدتْ له من بعد معجـــز آلسُنُ اللّدّ الخصامْ
١٠ خير الورى واجلّ آ يـاتٌ لـه خيـر الـكـلامْ فعليه مـن ربّ الورى
ازكى صلاة مع سلامْ

وربّما يقول من يقف على سرد هذه الامداح النبويّة، الى متى وهذا الميدان نكلّ فيه فرسانُ البديهة والرويّة،، فانشده فى الجواب، قول من امّ نهج الصواب،،

لأُديمنّ مـديح المصطفى فعْلَ من فى الله قوّى سمْعَهْ
فعسى أَنْعَمُ فى الدنيا به وعسى يحشرنى الله معَهْ

واذا كان القريض فى بعض الاحيان كذبا صراحا، والموفّق مَنْ تركه والحالة هذه رغبةً عنه وله اطّراحا،، فخيره ما كان حقّا وهو مدح الله ورسوله، وبذلك نحصل ناعبد منتهى سُؤْلهِ،، .

ليس كل القريض يقبله السمــــعُ وتُصْغى لـذكـره الافـهـامْ
ان بعض القريض مـا كـان هزلاء ليس شيـا وبعضـه احـكـامْ
واجلّ الكلام مـا كـان فى مد ح شفيع الـورى عليه الـسلامْ
طيّب العَرْف دائم الذكر لا تا تى الـليـالـى علـيـه والايـامْ
٠ مثل زهر قـد شُقّ عنه كمـام او كمسك قد فُضّ عنه ختـامْ
ليس تُحْصَى صفـاتُ احمد بالعـــدّ كما لـم تُحِطْ به الاوهامْ
ولو انّ البحـار حِبْر ومـا فى الارض من كل نـابـت اقـلامْ
ثطويـل الـمـديـح فـيـه قصير وحـسـام مـاض لديه كهـامْ
ولسـان البليغ لـعـىّ يُنْمَى وكـذا صيّب الفصيح جهـامْ
١٠ كيف يُحْصَى مديح مولى عليه الـلـه اثنى وذكره مستـدامْ
ولـه الـمـعـجـزات والآى تبـدو لا يـغـطّـى وجوههنّ لثـامْ
فمن المعجزات ان سار لـيـلا وجـمـيـع الانـام فـيـه نـيـامْ
راكبا للبُراق حتى اتى القد س وفيه رُسْل الالـه الـكـرامْ

O. هزا, G. P. هزاء. Ce vers manque dans S.

فاستووا خلفه صفوفا وقالوا   صلّ يا احمدٌ فانت الامامُ
فعليه من ربّه صلوات   زاكيات مع صحبه وسلامُ

ثم رجعتُ الى القاهرة، وكرّرتُ منها الذهاب الى البقاع الطاهرة، فدخلتُ لهذا التاريخ الذى هو عام ١٠٣٧ مكةَ خمسَ مرّات، وحصلتْ لى بالمجاورة فيها المسرّات، وامليتُ فيها على قصد التبرّك دروسا عديدة، والله يجعل ايام العمر بالعود اليها مديدة، ووفدتُ على طيبة المعظّمة ميمّما مناهجها السديدة، سبعَ مرار، واطفاتُ بالعود اليها ما بالاكباد من الحرار، واستضاتُ بتلك الانوار، والّفتُ بحضرته صلّعم بعضَ ما منّ الله به علىّ فى ذلك الجوار، وامليتُ الحديث النبوىّ بمرآى منه عليه الصلاة والسلام ومسمع، ونلتُ بذلك وغيره ولله المنّة ما لم يكن لى فيه مطمح ولا مطمع، ثم أُبْتُ [a] الى مصر مفوّضا لله فى جميع الامور، ملازما خدمةَ العلم الشريف بالأزهر المعمور، وكان عودى من الحجّة الخامسة بصفر سنة ١٠٣٧ للهجرة فتحرّكتْ همّتى فى اوائل رجب هذه السنة للعود للبيت المقدّس، وتجديد العهد بالمحلّ الذى هو على التقوى مؤسّس، فوصلتُ اواسط رجب، واقمتُ فيه نحو ٢٥ يوما بدا لى فيها بفضل [b] الله وجهُ الرشد وما احتجب، والقيتُ عدّة دروس بالاقصى والصخرة المنيفة، وزرتُ مقام الخليل ومن معه من الانبياء ذوى المقامات الشريفة، وكنتُ حقيقا بأن انشد قول ابن مطروح، فى ذلك المقام الذى فضله معروف وامره مشروح،

خليلَ الله قد جيناك نرجو   شفاعتك التى ليستْ تُرَدُّ
أَنِلْنا دعوةً واشفَعْ تشفَّعْ   الى من لا يخيب لديه قصدُ
وقُلْ يا ربِّ اضياف وَفْدٌ   لهم بمحمد صلةٌ وعهدُ
اتوا يستغفرونك من ذنوب   عظام لا تُعَدّ ولا تُحَدُّ
اذا وُزِنَتْ بيَذْبُلَ او شَمَامٍ   رجحْن ودونها رَضْوَى وأُحْدُ
ولكن لا يضيق العفوُ عنهم   وكيف يضيق وهو لهم مُعَدُّ
وقد سألوا رضاك على لسانى   الهى ما اخيب وما أُرَدُّ
فيا مولاهم عطفًا عليهم   فهم جمع اتوك وانت فردُ

ثم استوعبتُ اكثر تلك المزارات المباركة كمزار موسى الكليم، على نبيّنا وعليه

a) G. S. اتيت. b) La. O. بحمد.

وعلى سائر المرسلين، والانبياء اجمعين، افضل الصلاة والتسليم، ثم حدث لى منتصف شعبان، عزمٌ على الرحلة الى المدينة التى ظهر فضلها وبان، دمشق الشام، ذات الحسن والبهاء والحلية والاحتشام، والانهار المتنوعة، والازهار المتضوعة، حيث المشاهد المكرّمة، والمعاهد المحترمة، والغوطة الغنّاء والحديقة، والمكارم التى تبارى فيها الغمر شانيه وصديقه، والاظلال[a] الوريفة والافنان الوريقة، والزهر الذى تخاله مبتسما والندى ريقه[b]، والقضبان الملد، التى تشوّق رائيها لجنة الخلد،

بحيث الروض وتبسم الثنايا انيق الحسن معسول الاديم

وهى المدينة المستولية على الطباع، المعمورة البقاع بالفضل والرباع،

تزيد على مرّ الزمان طلاوة دمشق التى راقت بحلو المشارب

لها فى اقاليم البلاد مشارق منزهة اقمارها عن مغارب

ودخلت اواخر شعبان المذكور، وحمدت الرحلة اليها جعلها الله من السعى المشكور،

وجدت بها ما يملأ العين قرّة ويسلى عن الاوطان كل غريب

وشاهدت بعض مغانيها الحسنة، ومبانيها المستحسنة،

تزيد بها نفس المغرم تلاعة قد ضربت لنا حتى اعتقد بنا صبرا

ورأينا من محاسنها ما لا يستوفيه من تأنق فى الخطاب، وان اطنب فى الوصف والاسهاب، وان ملأ من البلاغة الوطاب، كما قلت،

محاسن الشام أجلى من ان تسامَ بحدّ لولا حمى الشرع قلنا

ولم تقف عند حدّ كأنها معجزات مقرونة بالتحدّى

فالجامع الجامع للبدائع يبهر الفكر، والغوطة المنوطة بالحسن تسحر الالباب لا سيما اذا حيّاها النسيم وابتكر،

احبّ الحمى من اجل من سكن الحمى حديث حديث فى الهوى وقديم

فلله مرآها الجميل الجليل، وبيوتها التى لم تخرج عن عروض الخليل، ومخبرها الذى هو على فضلها وفضل اهلها ادلّ الدليل، ومنظرها الذى ينقلب البصر عن بهجته وهو كليل،

والروض قد راق العيون بحلّة قد حاكها بسحابه آذار

وعلى غصون الدوح خضرُ غلائل والزهر فى اكمامه أزرار

---

a) La. O. والظلال. b) Ces deux mots manquent dans La. O. et P.

فكم لها من حسن ظاهر وكامن، كما قلت موطّئًا للبيت الثامن،

أمّا دمشق فحضرةٌ [a] لعبتْ بألباب الخلائقْ · هى بهجة الدنيا التى منها بديع الحسن فائقْ · لله منها الصالحيّةُ فاخرتْ بذوى الحقائقْ · والغوطة الغنّاء حيّيتْ بالورود وبالشقائقْ · والنير صاف والنسيم اللدْن للاشواق سائقْ · والطير بالعيدان أبْدتْ فى الغنا احلى الطرائقْ · ولآلئ الازهار حلّتْ جيدَ غصنٍ فهو رائقْ · ومراود الامطار قد كحلتْ بها حَدَقُ الحدائقْ · لا زال مغناها مصونًا آمنا كلَّ البوائقْ

وكما قلتُ مرتجلا ايضا مضمّنا الرابعَ والخامس

دمشق راقتْ رُواءً · وبهجةً وغضارَهْ · فيها نسيم عليل · صحّ فوافتْ بشارَهْ · وغوطةٌ كعروس · تُرْقى باعجب شارَهْ · يا حسنها من رياض · مثل النُضار نضارَهْ · كالزهر زَهْرًا وعنها · عَرْفُ العبير عبارَهْ · والجامع الفرد منها · اعلى الالهُ منارَهْ · وحاصل القول فيها · لمن اراد اختصارَهْ · تذكيرُها من رآها · دامتْ تفوق سواها · عَدْنًا وحسبى اشارَهْ · انالةً وانارَهْ

وكما ارتجلتُ فيها ايضا

قال لى ما تقول فى الشام حبْر · كلّما لاح بارقُ الحسن شامَهْ
قلتُ ما ذا اقول فى وصف قطْرٍ · هو فى وجنة المحاسن شامَهْ

وقلتُ ايضا

قال لى صف دمشق مولى رئيس · جمّل الله خلقَه واحتشامَهْ
قلتُ كلّ اللسانُ فى وصف قطْرٍ · هو فى وجنة البسيطة شامَهْ

وقلتُ

واذا وصفتَ محاسن الدنيا فلا · تَبْدَأْ بغير دمشق فيها أوّلا
بلدٌ اذا ارسلتَ طرفك نحوه · لم تلقَ الّا جنّةً او جَدْوَلا
ذا وصفُ بعض صفاته [b] وهى التى · تُعْيِى البليغَ وان اجاد وطوّلا

والغاية فى هذا الباب، من الوصف لبعض محاسنها الفاتنة الالباب،، قول ابى الوحش سبع [c] بن خلف الاسدى، يَصِف ارضها المُشْرِقة · ورياضها المورقة · ونسيمها العليل ·

a) La. O. جنة. b) O. حُقّتْ. c) Les man. portent سبعى. Al-Makkarī s'est trompé ici sur le nom du poète, car d'après la *Kharīdah* (man. de Paris, n°. 1414), ces vers sont de فتيان بن على. Ibn-Batoutah (éd. Defrémery et Sanguinetti, tom. I, p. 193) les attribue aussi a سبع بن خلف.

وزهرها البليل، النديّ

سقى دمشق الشام غيث ممرع * من مستهل ديمة دهاقها
مدينة ليس يضاهى حسنها * في سائر الدنيا ولا آفاقها
تودّ زوراء العراق انها * تعزى اليها لا الى عراقها
فارضها مثل السماء بهجة * وزهرها كالزهر في اشراقها
نسيم ريّا روضها متى سرى * فكّ اخا الهموم من وثاقها
قد ربع الربيع في ربوعها * وسبقت الدنيا الى اسواقها
لا تسأم العيون والانوف من * رؤيتها يوما ولا استنشاقها

وقول شمس الدين الاسدي الحلبي

اذا ذكرت بقاع الارض يوما * فقل سقيا لجلّق ثم رعيا
وقل في وصفها لا في سواها * بها ما شئت من دين ودنيا

ولكن لسان الدين ذا الوزارتين ابن الخطيب، عناها بقوله المصيب،

بلد تحفّ به الرياض كأنه * وجه جميل والرياض عذاره
وكأنما واديه معصم غادة * ومن الجسور المحكمات سواره

وكنت قبل رحلتي اليها، ووفادتي عليها، كثيرا ما اسمع عن اهلها زاد الله في ارتقائهم، ما يشوّقني الى رؤيتهم ولقائهم، وينشقني على البعد اريج الادب الغضّ من تلقائهم، حتى لقيت بمكّة المعظّمة، احد كبرائها الذين فرائدهم بلبّة الدهر منتظمة، عين الاعيان، وصدر ارباب التفسير بها والبيان، صاحب القلم الذي سبق الكلى والمفاصل، والفتاوي التي حكمها بين الحقّ والباطل فاصل، والتآليف التي وصفها بالاجادة من باب تحصيل الحاصل، وارث العلم عن غير كلالة، ذو الحسب الذي سرى بدره في سماء الجلالة، صاحب المعارف التي زانت خلاله، وساحب اذيال العوارف التي ابانت على فضله دلالة، مفتي السلطنة، على مذهب الامام النعمن، مولانا الشيخ عبد الرحمن ابن شيخ الاسلام عماد الدين، لا زال سالكا سبيل المهتدين، فكم

a) Ce dernier mot manque dans La. et O. b) Le man. de la *Kharīdah* porte سقى دمشق الله غيثا محسنا. c) Ce vers manque dans la *Kharīdah*. d) Le man. de la *Kharīdah* porte منها ولا تعزى الى عراقها. e) G. S. P. تنشقني. f) G. S. والوفادة. g) On lit sur la marge du man. S. سنة الآن من اولاده كذوا مفتيين في دمشق الشام.

جمّل الله به عصرا واوانا، لقصيّة هذا القيلس عنوانا،، فلما حللتُ بدارهم، ورايتُ ما انهلنى من سبقهم للفضل وبِدارهم،، صدّق الخُبْرُ الخَبَرَ، وتمثّلتُ فيهم بقول بعض من غبر،

المَنّ بنا اوصافُهم فامتلا الفضا عبيرا واضحى نورُه متالّقا
وقد كان هذا من سماع حديثهم بلاغًا فصحّ النقلُ اذ حصل اللقا

وقابلونى اسماهم الله بالاحتفال والاحتفا، وعرّفنى بديعُ برّهم فنّ الاكتفا،،

غمرتْنى المكارمُ الغُرّ منهم وتوالتْ علىّ منها فنونْ
شرطُ احسانهم تحقّق عندى ليت شعرى الجزاء كيف يكونْ

وقابلونى بالقبول مُغْضين عن جهلى،

وما زال بى احسانُهم وجميلُهم وبرُّهم حتى حسبتُهم اهلى

بل الأَوْلى ان اتمثّل فيهم بما هو ابلغ من هذا المقولُ فى آل المهلّب، وهو قول بعض من نزل بقوم برقُ قصدهم غير خُلّب، فى زمن به تقلّب،،

ولمّا نزلنا فى ظلال بيوتهم امنّا ونلنا الخصبَ فى زمن مَحْلِ
ولو لم يزدْ احسانُهمْ وجميلُهم على البرّ من اهلى حسبتُهم اهلى

لا سيّما المولى الذى امداحُه تُحلّى اجيادَ الطروس العاطلة، وسماحُه يخجله انواء الغيوث الهاطلة،، صدر الاكابر الاعاظم، الحائز قصبَ السبق فى ميدان الاجادة بشهادة كل ناثر وناظم،، الصديق الذى بودّه أُغتبطْ، والصَدوق الذى باسباب عهده أُرتبطْ،، الاوحد الذىّ ضربت البراعةُ رواقَها بناديه، والماجد الذى لم يزل بديعُ البلاغة من كُتُب يناديه،، السرىّ الحائز من الخلال ما ابان تفضيلَه، اللوذعىّ الذى لم تزل اوصافُه تحكم له بالسودد وتقضى له،، والحقّ ابلج لا يحتاج الى زيادة براهين، الاجلّ المولى احمد افَنْدى بن شاهين،، لا زالت العزّةُ مقيمةً بواديه، ولا برحتْ حضرتُه جامعةً لبواطن الفخر وبواديه، والسعدُ يراوح مقامَه ويغاديه، والمجد يترنّم بذكره حاديه،، فكم له اسماه الله ولغيره من اعيان دمشق لدىّ من أَياد، يعجز عن الابانة عنها لو اراد وصفَها قُسّ اياد،، ولو تعرّضتُ لاسمائهم وحُلاهم، ادام الله تمّ سعودهم وعُلاهم،، لَضاق عن ذلك هذا النطاقْ، وكان من شبه التكليف بما لا يُطاق،، فليت شعرى باىّ اسلوب، أُوَدّى بعض حقّهم المطلوب،، ام باىّ لسان، أُثنى على مزاياهم

a) S. وسماحته تخجل. b) La. الذى حاز. c) La. O. سوددهم.

المحسلين»، وما عسى ان اقول فى قوم سبقوا الفضائل ولاء، وتعاطوا اكواب المحامد ملاء، وسحبوا من الماجد مطارف وملاء، وحازوا المكارم، وملأوا المواردَ والمصارم، سوددًا وعلاء»

فما رياض زهر الربيع اذا بدت فى وشيها البديع
ضاحكةً من شنب الاقاحِ عند سفور طلعة الصباح
غنّى بها مطوّق الحمامِ وصافحتْها راحةُ الغمام
وبكرتْها نسمةٌ من الصَبَا فاصبحتْ كانّها عهد الصبا
نضارةً ورونقا وبهجةْ تُغْذَى بكل ناظر ومهجة
اطيَبُ من ثنائهم عبيرًا بين الورى ونشْرُه به خبيرًا
دامتْ معاليهم على طول الزمَنْ يُرْوَى حديثُ الفضل عنها عن حسن
وثابتٍ وقُرّة وسعند واسعفوا بنيل كل وعد

فهم الذين نوّهوا بقدرى الخامل، ونثّوا مع نقصى ان بحر معرفتى وافر كمل، حسبما اقتضاه طبعُهم العالى،

فلو شريتُ بعمرى ساعةً ذهبتْ من عيشتى معهم ما كان يغبنى

فمتعيّنٌ حقّهم لا يُتْرَكْ، وحبُّهم لا يخالطه بغيره ولا يُشْرَكْ، وان اطلتُ الوصف فغايته فى ذلك لا تُدْرَكْ،

يزداد فى مسمعى ترداد ذكرهم طيبًا ويحسن فى عينى مكرّرُهْ

واذا كان المديح الصادق لا يزيدهم رفعةَ قدر، فهم كما قال الاعرابىّ الذى سُئل نقده فى مدح البدر»، والبليغ وذو الحَصَر فى ذلك سيّان، والحقُّ ابلج، والباطل لجلجٌ، وليس المخبَر كالعيان،

هبِ الروضَ لا يُثْنى على الغيث نشرُه أتحسبه تَخْفَى مآثرُه الحُسْنى

وقد تذكّرتُ بلادى الشهيدة بذلك المرأى الشامىّ الذى يبهر رائيه، فما شئت من انهار ذات انسجام، أنزع بيا من جريال الانس جام، وازهار متوّجة للدوام، مروّحة

---

a) La. porte المحسن. b) La. O. غسل. c) On lit sur la marge du man. O. يشير الى قوله

ما ذا اقول وقولى فيك ذو حَصَرٍ وقد كفيتنى التفصيل والجُمَلا
ان قلتُ لا زلتَ مرفوعا فانت كذا او قلتُ زانك ربّى فهو قد فعلا

للنفوس بعاطر الارواح، وحدائق تُغْشى a انوارُها الاحداق، وعيانها للخَبَر عنها مِصْداق وايّ مصداق،

فهى التى ضحك البهارُ صباحَها   وبكتْ عشيّتها عيونُ النرجسِ
واخضرّ جانبُ نهرها فكانّه   سيف يُسَلُّ وغمدُه من سندسِ

وجِنان، افنانُها فى الحسن ذوات افتنان،

صافحتْها الرياحُ فاعتنق السّرْ   وُ ومالتْ طِوالُه للقصارِ
لاثدٌ بعضُه ببعض كقوم   فى عتاب مكرّر واعتذارِ

وبطاح راق سناها، وكمل حسنُها وتناهى، كما قلتُ مضمّنًا فى ذلك المَنْحَى لقول بعض من قال فى البلاغة منّا ومنحا،

دمشقُ لا يُقاس بها سواها   ويمتنع القياسُ مع النصوصِ
حُلاها راقت الابصارَ حسنا   على حكم العموم او الخصوصِ
بساط زمرّد نُثرتْ عليه   من الياقوت الوانُ الفصوصِ

ولله درُّ القائل، فى وصف تلك الفضائل b،

ان تكنْ جنّةُ الخلود بارض   فدمشق ولا تكون c سواهَا
او تكنْ فى السماء فهى عليها   قد امدّتْ هواءها وهواهَا
بلد طيّب وربٌّ غفور   فاغتنمْها عشيّةً او ضُحاهَا

وعند رؤيتى لتلك الاقطار، الجليلة الاوصاف العظيمة الاخطار، تفاءلتُ بالعود الى اوطان لى بها اوطار، اذ التشابُهُ بينهما قريب فى الانهار والازهار ذات العَرْف المعطار، وزادتْ هذه بالتقديس الذى همعتْ عليها منه الامطار، وتمثّلتُ بقول الاصفهانى وان غيّرتُ منه يسيرًا لما اسفرتْ وجوهُ التهانى،

لمّا وردتُ الصالحيّةَ حيث مجتمَع الرفاقِ   وشممتُ من ارض الشآ
م نسيمَ انفاس العراقِ   ايقنتُ لى ولمن احـبُّ بجمع شمل واتّفاقِ
وضحكتُ من فرح اللقا   كما بكيتُ من الفراقِ   لم يبقَ لى الّا تجـ
ـشّم ازمن السفر البواقِى   حتى يطول حديثُنا   بصفاتِ ما كُنّا نُلاقى

وكنتُ قبل حلولى بالبقاع الشاميّة مُولَعا بالوطن لا سواه، فصار القلب بعد ذلك

a) C'est ainsi qu'on lit dans P. Les autres man. portent تغشى. b) Voyez *Ibn-Batoutah*, édit. Defrémery et Sanguinetti, tom. I, p. 190. c) Les man. portent يكون.

مقسّما بهواه»» .

ولى بالحمى اهل وبالشعب[1] جيرة وفى حاجر خِلٌّ وفى المنحنى صَحْبُ
تقسّم ذا القلبُ المتيّم بينهم سألتكم بالله هل يُقْسَم القلبُ

فيا لك من صَبٍّ مُولَعٍ بالأمصار، منقاد لشوقه فى زمام»، يتخيّل له انه سمع صوت قيان بقول الأوّل

الى الله اشكو بالمدينة حاجةً وبالشام اخرى كيف يلتقيان

وقد تعدّدت جموعه، ووشت بما اكنّت ضلوعه دموعه»، فانشد وقد تحيّر، من بذل فيه من عظم ما به وغيّر»

كتمتُ شان الهوى يومَ النوى فوشى بسرّه من جفونى اىّ نمّام
كانت ليالىَّ بيضًا فى دُنوّهم فلا تسلْ بعدهم عن حال ايّامى
حسبتُ وجدًا[2] بهم والناس يحسب بى سقما فيأيّهم حالى عند لوّامى
وليس اصلُ ضَنَى جسمى النحيل سوى فرط اشتياقى لاهل الغرب والشام

وحصل التحيّر، حيث لم يُمكن الجمعُ ولا الخلوُّ عند التخيّر»، كما قال ابن دُقيق العيد، فى مثل هذا الغرض البعيد»

اذا كنتُ فى نجد وطيب نعيمه تذكّرتُ اهلى بالـلوى فمُحَسَّرِ
وان كنتُ فيهم زدتُ شوقًا ولوعة الى ساكنى نجد وعيلَ تصبّرى
فقد طال ما بين الفريقين موقفى فمن لى بنجد بين اهلى ومَعشرى

وبالجملة فالاعتراف بالحقّ فريضة، ومحاسن الشام واهله طويلة عريضة، وبانه بمفاخر وتفضيلات اريضة، وهو مقرّ الاولياء والانبياء. ولا يجهل فضلَه الّا الاغمارُ الاغبياء الذين علومهم مريضة.

أنّى يرى الشمسَ خُفّاش يلاحظها والشمس تبهر ابصارَ الخفافيش

ولله درّ من قال فى مثل هذا من الارضيين،

وقَبْلى قلتُ انّ الصبح ليلٌ أيَعْمَى الناظرون عن الضياء

وقال آخر فيمَنْ عن الحقّ ينفر،

اذا لم يكن للمرء عينٌ بصيرة فلا غروَ ان يرتاب والصبح مُسفرُ

---

1) Lr. O. وبالشعب. 2) Lr. وجدا.

وحسبُ الفاضل اللبيب، ان يروى قول البدر بن حبيب،،

عَرِّجْ اذا ما شِمْتَ برق الشَّآمْ　　وحَيِّ اهلَ الحىّ وأَقْرِ السلامْ
وانزلْ باقليم جبيل الحِبَى　　بارك فيه الله ربُّ الانامْ
العزُّ والنصر لديه وما　　لعروة الاسلام عنه انفصامْ
من اولياء الله كم قد حوى　　ركنًا بمرآه يطيب المقامْ
وهو مقرُّ الانبياء الأُلَى　　والاصفياء الاتقياء الكرامْ
كم من شهيد فى حماه وكم.　　من عالم فرد وكم من امامْ

ولذلك اعتنت الجهابذةُ بتخليد اخباره فى الدواوين، وابتنت الاساتذةُ بيوتَ افتخاره المُنيفة الاواوين، وتناقلت انباءه البديعة السنُ الراوين، وهامتْ باماكنه المريعة. هُداة الشريعة. فضلًا عن الشعراء الغاوين، ومع ذلك فهم فى التعبير عن عجائبه غير متساوين، أَوَلَا يُرَى انهم ياتون من مقولهم. على قدر رايهم وعقولهم. ولم يبلغ جمع منهم ما كانوا له ناوين،،

على قدرك الصهباء تُولِيك نشوةً　　بها سِيءَ اعداءٌ وسُرَّ صِحابُ
ولو انها تُعْطِيك منها بقدرها　　لضاقتْ بك الاكوانُ وهى رِحابُ

وكنّا فى خِلال الاقامة بدمشق المحوطة، واثناء التأمُّل فى محاسن الجامع والمنازل والقصور والغوطة، كثيرًا ما ننظم فى سلك المذاكرة دُرَرَ الاخبار الملقوطة، ونتفيَّأ من ظلال التبيان. مع اولئك الاعيان. فى مجالس مغبوطة، نتجاذب فيها اهدابَ الآداب. ونشرب من سلسال الاسترسال ونتهادى لُبابَ الالباب. ونمدُّ بساطَ الانبساط ونسدل أَطْنابَ الاطناب. ونفضى اوطارَ الاقطار ونستدعى اعلامَ الاعلام. فينجرُّ بنا الكلامُ. والحديثُ شجون. وبالتفنّن يبلغ المستفيدون ما يرجون. الى ذكر البلاد الاندلسيّة. ووَصْف رياضها السندسيّة. التى هى بالحسن منوطة، وقضاياها الموجَّهة التى لا يستوفيها المنتقِد مع انها ضروريّة ومُمْكنة ومشروطة، والفِطَرُ السليمة. والافهام المستقيمة. بتسليم براعتها قاضيةٌ لا سيّما ان كانت بالانصاف مربوطة،، فصرتُ أُورِدُ من بدائع بُلغائها ما يجرى على لسانى، من الفيض الرَّحمانى. واسرد من كلام وزيرها لسان الدين بن الخطيب السَّلْمانى. صبَّ الله عليه شآبيبَ رُحْماه وبلَّغه من رضوانه الامانى،،

a) Telle est la leçon des man. O. et P. (le *tachdīd* est ajouté dans ce dernier). G. porte فيجرّنا ou فيجرّ بنا. Peut-être doit-on lire فتحربنا. La. فتخبر بنا (*sic*), S. فينجر بنا.

ما تثيره المناسبة وتقتضيه، وتميل اليه الطباع السليمة وترتضيه، من النظم المجزل، في الجدّ والهزل، والانشاء الذي يُدهش به ذاكرُه الالبابَ ان شاء، ويصرفه في فنون البلاغة حالَي الولاية والعزل، اذ هو اعني لسان الدين فارسُ النظم والنثر في ذلك العصر، والمنفرد بالسبق في تلك الميادين بأداة الحصر، وكيف لا ونظمه لم تستولِ على مثله ايدي الهصر، ونثره يُزري صورتَه بالخريدة ودُمْيَة القصر، فلما تكرّر ذلك غيرَ مرّة على اسماعهم، لهجوا به دون غيره حتى صار كأنه كلمة اجماعهم، وعلق بقلوبهم، واضحى منتهى مطلوبهم، ومنيةَ آمالهم واطماعهم، وصاروا يقتفون بيد الرغبة فنونَه، ويعترفون ببراعته ويستحسنونه، ويستنشقون من ازهار كلّ ذات، فطلب المولى احمد الشاهيني اعزّه الله، وهو الماجد المذكور، ذو السعي المشكور، ان اتصدّى للتعريف بلسان الدين في مصنَّف يُعْرِب عن بعض احواله وانبائه، وبدائعه وصنائعه ووقائعه مع ملوك عصره وعلمائه وادبائه، ومفاخره التي قلّدها جيد الزمن ولبّته، ومآثره التي أرّج بها مَسْرَى الشمال وهبّته، وبعض ما له من النثار والنظام، والموشّحات الكبار العظام، الرائقة للابصار، الفائقة على كلام كثير من اهل الامصار، السائرة مسيرَ القمر والشمس، المعقودة عليها الخناصرُ بل الخمس، كي ما يكون ذلك لهذه الاغراض مُشبِعا، ويخلعَ على مطالعه بهذه البلاد المشرقيّة من اغراضه البديعة ومنازعه وَشيعا، فأجبتُه اسمى الله قدره الكبير، وادام عَرْف فضائله المُزري بالعنبر والعبير، بأنّ هذا الغرض غير سَهْل، ولستُ على الله له بأهل، من جهات عديدة، أوّلها قصوري عن تحمّل تلك الاعباء الشديدة، اذ لا يوفي بهذا الغرض الا المتحلّي بحُلى المعارف السديدة، وثانيها عدمُ تيسّر الكُتُب المستعان بها على هذا المرام التي خلّفتُها بالمغرب، واكثرها في المشرق كعنقاء مُغرِب، وثالثها شغل الخاطر بشجون الغربة الجنبية لفقد غائبَ الكربة، وتقسّم البال، بين شغل عديد وبلبال، وأنّى بتنبيق سلوكَ هذا التصنيف، من اكتحلت جفونه بتسهيد، ونبت جنوبه عن المهاد، وسدّد نحوه الاسفُ سهمه، وشغل باله ووهمه، وبتّ في قلبه تبريحه، ومن لم يجد منه الا ان يلطف الله تسريحه، فما شمّ بريقة امل الا في المنام، ولا وجد منهل صفاء الا وكدّره مكرُ غدر، وقد تمّ التجفّ، ونوح بلا شكّ التخف، واستوخمت

[1] Je dois avouer que je n'ai pas saisi le sens de ces derniers mots. [6] La. O. تحرير.
تحت تناجاصرة

الموارد والمصادر، والقلب مكلوم، واللبّ a) غير ملوم، اذا كان على تلفيق ما يليق غير قادر، ولا مونس الا شاكى دهر بلسان صريح، او باكى قاصية ظهر بجفن قريح، او مُناضل فى معترك العجز طريح، او فاضل دُفن من الخمول فى ضريح، اذ رمته سهامُ الاوهام الصوائب، وعضّت منه ابهامَ الايهام b) بنابها النوى والنوائبُ، فقلوبه من تقلّبات احواله ذوائب، وكم شابت من امثاله بصروف الدهر واهواله ذوائب،

على انّها الايام قد صرن c) كلّها   عجائبَ حتى ليس فيها عجائبُ

d) * وادمغ احجارها، تسلط فُجّارها، فكم من عدوّ منهم فى ثياب صديق، وحسود لنظره الى نِعَم الله على عباده تحديق، لا تخدعه المُداراة، ولا تردعه المُماراة، يتتبّع e) العثرات، ويقنع بألم البثرات، ويتبسّم، وقلبه من الغِلّ يتقسّم، ويتودّد، ومكايده تتجدّد فتتعدّد،

لا تَرُمْ من مُماذق الودّ خيرا   فبعيد من السَراب الشرابُ

رونق كالحباب يعلو على الما   ء ولكن تحت الحَباب الحُبابُ

عظمت فى النِفاق ألسنة القو   م وفى الالسن العِذاب العَذابُ

والصديق الصدوق فى هذا الزمن قليل، وقد ألّف بعض العلماء شفاء الغليل، فى ذمّ الصاحب والخليل، وهو غير محمول على الاطلاق، وان قال بعض من رهنه من ابناء عصره ذو اغلاق،

ابناء دهرك فالْقَهم   مثل العدا بسلاحكا

لا تغترِرْ بتبسُّم   فالسيف يقتل ضاحكا

وداء الحسد أعيا الاوّل والآخر، وقد عظم الامرُ فى هذا الاوان وكثر المُزرى والساخر، مع ان اسواق الدفاتر كاسدة، وأمزجة المحابر فاسدة،

والدهر دهر الجاهليـــ   ـــن وامرُ اهل العلم فاترْ

لا سُوقَ اكسَدُ فيه من   سوق المحابر والدفاترْ

فالمنسوب للعلم فى ذا الزمن زَمِن، وهو بان ينشد قول الاول قَمِن،

لأىّ وميض بارقة اشيمُ   ومرعى الفضل عندهم هشيمُ

وليت شعرى على مَ يُحْسَد مَنْ ابدل الاغترابُ شارتَه، واضعف الاضطرابُ اشارتَه،

---

a) La. O. وذو اللب. b) G. O. P. الابهام, S. الاتهام. c) La. et O. portent اضحين au lieu de قد صرن d) Ces mots sont certainement altérés; La. et O. portent وادمع, S. وادفع. J'ai ajouté au mot فجارها les voyelles qui se trouvent dans le man. O. e) La. ويتبع.

واهلّ بالدموع انواءه، وقلّل امواءه، وكثّر عِلَله وادواءه، وغيّر عند التأمّل رُواءه، وثنى عن المامول عِنانه، وارهف بالشوق سِنانه، حتى قدح الذكرُ جنانه، وملأ الفكرُ جاشه وجنانه، فهو في ميدان النزوح مستبق، ومن راحة التعب مصطبح ومغتبق،

له أنّة المشتاق فى كل ساعة   تمرّ وما للشاكلات من الحَزَن
ومن مرسَلات الدمع واقعة الاسى   ومن عاديات البين فارعة السنّ

تُثير الذكرى منه كوامنَ الشجون، وتُدير عليه جسلمَ الهُيام ولو كان بين الصفا والحجون،

وتحت ضلوع المستهام كآبة   يخاف على الاحشاء منها انفطرا
ولو انّ احشاء تبوح بما حَوَتْ   لتمتلئنّ الارضُ كُتْبا وأسْطُرا

وشتّانَ ما بين الاقتراب والاغتراب، والسكون فى الوكون، والنبوّ عنها والاضطراب، فذلك يَتسْبُلْ غالبا فيه الاغراضُ والمآرب، وهذا تتعفّر فيه[a] المقاصدُ وتتكدّر المشارب،

وما انا عن تحصيل دنيا بعاجز   ولكن ارى تحصيلها بالدنيّة
وان ضاوعتني رقّة الحال مرّة   أبتْ فعلها اخلاقُ نفس ابيّة

كما قلتُ، عند ما صرتُ الى الاغتراب وأُلْتُ،

تركتُ رسومَ عزّى فى بلادى   وصرتُ بمصر منسىّ الرسوم
ورُضْتُ النفسَ بالتجريد زهدا   وقلتُ لها عن العَلْياء صُومى
مخافةَ ان أُرَى بالحرص منّى   يكون زمانه احد الخصوم

كما قال بعض الاكابر، من اهل الزمان الغابر،

لا عارَ ان عطلتْ يداىَ من الغِنَا   كم سابق فى الخيل غير محجّل
صان اللئيمُ وصُنْتُ وجهى مالَه   دونى فلم يبذلْ ولم اتبذّل
ابكى نهم ضافنى متأوّبا   انّ الدموع قِرَى الهموم النُزّل
لا تُنكِروا شيبا الـمّ بمفرقى   عَجِلا كانّ سناه سلّة مُنْصُل
فلقد دُفعتُ الى الهموم تنوبنى   منها ثلاثُ شدائد جُمّعن لى
اسفٌ على ماضى الزمان وحيرةٌ   فى الحال منه ووحشةُ المستقبل
ما ان وصلتُ الى زمان آخر   الّا بكيتُ على الزمان الاوّل
لله عيش بالحمى لم أنسه   ايامَ أُعْصِى فى الصبابة عُذّلى

---

a) C'est ainsi que j'ai cru devoir lire. G. et P. portent تتعفر كذلك, S. تتعفر كذلك, La. تتعرم فيه, O. تنغتفر فيه.

ويرحم الله ابن قلاقس الاسكندرى، اذ قال فى معنى التمنّى المَصْدَرى،

لعلّ زمانى بالغُذَيْب يعودُ فيقرب قربٌ او يصدّ صدودُ
وأبْصر كثبانا وهنّ روادف عليهنّ اغصان وهنّ قدودُ
واقطف وردَ الخدّ وهو مضرّج واجنى اقاحَ الثغر وهو بَرُودُ
وأُدْنى ذراعى للعناق ذريعةً فتنهى عن الاقراط فيه نهودُ
5 ويسرى الىّ البدرُ وهو ممنّع ويغدو الىّ الظبىُ وهو شَرُودُ
ونكرع فى شكوى الفراق كانّنا فوارِطُ هيمٌ راقهنّ ورودُ
واكبر مقدارَ الهوى عن كبيرة واحمى عفافى دونه واذودُ

وفرق ما بين الجوهر والعَرَض، والصحّة البيّنة والمَرَض، والدرّ والحَصَى، والحسام والعَصَى، والرجوعُ الى التفويض للاقدار، فى امور هذه الدار، الكثيرة الاكدار، هو المطلوب، والمرجوّ من الله سبحانه جبرُ القلوب،

يا ربِّ نَفّسْ همومى واكشِفْ كروبى جميعًا
فقد رجوتُ كريما وقد دعوتُ سميعًا

ولم يجعل لى المذكورُ حفظه الله فسحةً ولا مندوحة، بعد هذه الاعذار المحمودة فى الصدق الممدوحة، ولسانُ حالى وقالى، يُثْبِتان عجزى عن اداء هذا الحقّ بشهادة من هو وادٌّ وقالٍ، اذ من كان بصفة، غير متمكّنة ممّا تكون به منتصفة، واتّسم بنعوت مختلفة، وارتسم فى غير ذوى الاحوال المؤتلفة، كيف يُحير فى التصنيف جوابا، او ينتحى من التاليف صوابا، ومَنْ جفنُه هام هامل، وقصورُه عامٌّ شامل، كيف يقبض بالانامل، على ماء البحر الوافر الكامل، ومَنْ لبس من العىّ مُلاة، لا يعبّر عمّن طبّق مفاصلَ الكلام وكُلاه، وقصّرت ألْسُنُ البلغاء عن عُلاه، وزانتْ صدورَ الدواوين حُلاه، وجمع خِلالا حسانا، وكان للدين لسانا، وزاحمتْ مفاخرُه بالمناكب الكواكب، وازدانتْ بمرآه النوادى والمواكب، ونفحات الازهار من آدابه، ونسمات الاسحار عطر اذياله واهدابه، والشَجَره من كتابته، والسحر من كنايته، ورَوْح النسيم من تعريضه، والنثرة من نثره والشِعْرَى من شعره وقريضه، وحُلَلُ المجد لباسُه، وانوار العلم اقتباسُه،

a) G. P. والشاحر, S. La. والسحر.

له ذهن يغوص ببحر علم ª   فيأتى منه بالدرّ النظيم
معانيه الرياض لاجل هذا   سَرَتْ الفاظه مثل النسيم

ومُباهيه النجوم، ومُضاهيه الغيث السّجُوم، الى آباء يحسدهم البدرُ والشمس، وإباء لو كان للمشرقىّ ما تحيّفه لمّسْ، وشرف لا مدّعى ومنتحل، وهمّة لو نالها البدرُ لاستجدى ᵇ له وَحَل، وبراعة أرهفتْ سنانُ قلمه، وبراعة سارتْ امراؤها تحت عَلمه، فكم فتح بفكره اقفالَها، ووسم بذهنه الثاقب اغفالَها، وسبك معانيها فى قلب قلبه ابريزا، ورقم بيانُ لسانه، برودَ احسانه، بلفظه البديع تطريزا، فرفع فى ميدان الاجادة لواءَه، واتيح من انيار البراعة العذبة اِرْوَاءَه، ونال سبقا وتبريزا،

وما زمنُ الشباب وانت تجرى   مع الاحباب فى لهو ولعب
ووصل من حبيب بعد هاجر   بأحْلى من كلام ابن الخطيب

فقصائده ارخصتْ جواهرَ البحور، المنظومةَ قلائدَ اللبّات والنحور، من حسان العقائل الحُور،

معانٍ والفاظ تنظّمُ منهما   عقودُ لآلى فى نحور الشمائل
وزهرُ كلام كالحدائق نسجُه   غنينا به عن حسن زهر الخمائل

وكلماته غدتْ للابداع اقليدا، وجمعتْ طريفا من البلاغة وتليدا،

كَسَوْنَ عَبيدًا ثيابَ العَبيد   واضحى لَبيدٌ بهنّ بَليدا

ومقطّعاته الذُّ فى الاسماع، من مطرب السّماع، وأبْهَى فى الاحداق والنواظر، من الحدائق ذوات الاغصان المُلْد النواضر، يعترف بفضلها من انتحل الانصاف دينا، وانتخل الاوصاف فاختار العدلَ منها خَدينا،

رقيقات المقاطع مُحْكَمات   لو انّ الشعرَ يُلْبَس لارْتُدينا

ورسائله كنُقَد العروس اللائحة فى البياض، او كوشى الربيع او قُطَع الرياض، ربت اغصانُها الحانية وتبرّجتْ، وتضوّعتْ افنانُها العالية وتأرّجتْ، وقد البسها القَطْرُ زهرا، وفجر خلالَها نهرا، فأخذتْ زخرفَها وازّيّنتْ ᶜ، ولاحتْ محاسنُها غير محتجبة وتبيّنتْ، فبهرتْ من لها قابل، استغفر الله لا بَلْ،

هى الحديقة الّا انّ صيّبها   صوبُ النُهَى وجناها زهرُ الحِلم

وقوافيه، ربطتْ بها قوادمُ الاتقان وخوافيه، فسالَ مُجاريها بستدفَر الخَصَر، وسلم

a) La. بكل بحر, O. بكل علم. b) G. P. O. لاستحدى. c) Ces mots sont empruntés au *Koran*, sour. 10, vs. 25.

مُباريها يستشعر القصر،،

خطُّها روضة والفاظُها الاز   هار يضحكن والمعانى ثمارْ

تُبْدى لمُبْصِرِها وتُرى، ومنه قال ابو عُبادةَ البُحْتُرى،،

وكلام كأنّه الزهر الصنا   فى له رونقُ الربيع الجديد

مُشرِقٌ في جوانب السمع ما يُخْـلِقه عودُه على المستعيد

ومعانٍ لو فصّلتْها القوافى   هجَّنتْ شعرَ جَرْوَلٍ ولَبيدِ a)

حُزْنَ مستعمَلَ الكلام اختيارا   وتجنّبْنَ ظلمةَ التعقيد

بل هى اجلُّ ممّا وُصف عند التحقيق، وامْعانِ النظر الصحيح والتدقيق،،

اين زهر الرياض وهو اذا ما   b) نال عهدًا بالغيث عاد هشيمًا

من قواف كانّها الانجم الزُّهْـ   ـر سناها زان الظلامَ البهيما

وناهيك بمن انلعتْه العلومُ على جلائلها ودقائقها، وأرتْه الفهومُ ما شاء من يانعات حدائقها، وحَبَتْه c) الحِكَمُ الرياضيّة بازهارها وشقائقها،، وارضعتْه الوزارةُ من ثُديّها، وحلّتْ به الامارةُ صدرَ نَدِيّها، وجعلتْه المرجوعَ اليه فى تمييز جيّد الامور ورَدِيّها، فغرس فى ارض الرياسة من نخل السياسة احسنَ وَدِيّها،، واعلى علم العدل واغمد سيف الانتقام، ودفع تنّينَ الفتنة الذى فغر فاه للالتقام،، والعهد اذذاك قريب، فى وطن الاندلس الغريب، باختلال الحال، وتوالى الامْحال،، والتجرّى على قتل الملوك، والتحرّى لقطع الطُرُق ومَنْع السلوك،، حيث اهواء المارقين ذات اشتراق، وضلوعُ الصادقين فى قلق واحتراق،، وايدى الاحَن باطشة، وسيوف المحَن الى الدماء عاطشة،، وعرشُ الحماية مثلول، وصارمُ الكفاية مفلول، ونطاقُ الرعاية محلول، ودَمُ الوقاية مطلول، وجَيْبُ النصيحة مملول،، والتنّور السلطانى بنار اختلاف الكلمة ملتهب، والعدوُّ ينتهز الفرصة ويسلب الانفسَ والاموال وينتهب،، وليس له فى غير قطع شأْفة المسلمين ابتغا، وان عقد المهادنة فى بعض الاحيان فهو يُسِرّ حَسْوًا فى ارتغا،، وكلابُ الباطل فى دماء اهل الحق والغة، ولله سبحانه وتعالى فى خلقه ارادةٌ نافذة وحكمةٌ بالغة،، فرقّع لسانُ الدين ثوبَ الاندلس ورفاه، وارغم رحّه الكفرَ الذى فغر فاه،، وشمّر عن

a) J'ai corrigé cet hémistiche d'après le man. 1483 de la bibl. impér. de Paris. Les man. La. et O. d'al-Makkarī portent قول au lieu de شعر. Dans G. et S. le texte est altéré de cette manière: هجّنت (S. هيّجت) ما لجرول من نشيد. b) S. قد زان ليلا بهيما c) G. P. وحيّته.

ساعدَ اجتهاده، وحضّ باللسان، وباليد على دفاعه وجهاده، حتى لاحتْ للنصر بوارق، وامنتْ بالحزم الطوارقُ والطوارق، ثم ضرب الدهرُ ضَرَبانَه، واحرق الحاسدَ بنار احقاده وانصر بانَه، واظهرَ ما في قلبه على لسان الدين وأَبانَه، ونقض تدبيرَه، وقلقل ثبيره، ورَضْواه وأَبانَه، وتقرّب الوُشاة، وهم ممّن كان يخدمه ويغشاه، الى سلطانه، الذي كان عزّة اوطانه، الذى كان يامنه ولا يخشاه، حتى فسد عليه ضميرُه، وتكدّر من بسمع يخلّ نميرُه، فاحسّ بظاهر التغيُّر، وصار في الباطن من اهل التحيُّر، واجال قداحَ ارائه، والتفتَ الى جهة العدوة[a] من ورائه، ففرَّ مشمّرا عن ذيله، في لُمّة من خيله، الى اسد العَرِين، سلطان بنى مَرِين، وكان اذذاك بتِلِمْسان، وهو من اهل العلم والعدل والاحسان، فاهتزّ لمقدمه، ولقيه بخاصّته وخدمه، واكرم مثواه، وجعله صاحبَ نجواه، ثم ادرك السلطانَ الحِمام، وكسف بدرُه وقتَ التمام، فرجع لسان الدين الى فاس، واستنشق بها اطيب الانفاس، وكثرتْ بعد ذلك الاهوال، وتغيّرت بسببه بين رؤساء العدوة والاندلس الاحوال، فما نجا من مكرِ العِدَى ولا سَلِم، وآل امرُه من الاغتيالِ، وما نفع الاحتيالُ، الى ما عُلِم، على يدى بعض اعدائه، الذين كانوا يتربّصون الدوائرَ لأرْدائه، فاصبح كأمْس الذاهب، وصارتْ امواله وضياعه عُرْضةً للناهب، وغصّ بذلك من كان من اودّائه، واخذ الله ثارَه، من بعض من حرّك عليه المكرَ واثارَه، وتسبّب في هلاكه، حتى انتثرتْ جواهرُ اسلاكه، ومات بدائه، فالعيون الى هذا الوقت على لسان الدين باكية، ونفوسُ الاكابر وغيرهم ممّا فُعِل به شاكية، والالسنةُ والاقلام، لمقاماته في الاسلام، حاكية، فمن كان بهذه السمات منبّا موصوفا، لا يقدر مثلى على تحبير التعبير عنه ويُخْشَى ان تكون قدرته تخرق نقصتْ قُلتُما او صُوفا، ثمّ انّى لما تكرّر علىَّ في هذا الغرض الالحاح، ولم تُقبَلْ اعذارى التى زندُها شحاح، عزمتُ على الاجابة لما للمذكور علىَّ من الحقوق، وكيف أُقابل برّ حفظه الله بالعقوق، وهو الذى يروى من احاديث الفضل الحسان والصحاح، فوعدتُه بالشروع في المطلب عند الوصول الى القاهرة المُعِزّيّة، وازمعتُ السير عن دمشق المعروفة المزيّة، والبَسني السفرُ منها من الخِلَع زِيّه، ورحلتُ عن تلك الارجاء المتألّقة، والقلوب بها وبمن فيها متعلّقة،

a) Les man. portent العدو.

حللنا ديارا للغرام سَرَتْ بها ... الينا صبا نجد بطيب نسيمِ
وبان رَدَى الاشجان لمّا تجاذبتْ ... اكفُّ المُنَى فيها رداء نعيمِ
فما أَنْشَبَتْنا العيسُ أَنْ قذفتْ بنا ... الى فرقة والعهدُ غيرُ قديمِ
فان تكُ ودَّعْنا الديارَ واهلَها ... فما عهدُ نجد عندنا بذميمِ

فخرج معنا اسماء الله مع جملة من الاعيان الى دارَيّا ، المصاقبةِ لداريّن فى ريّاها وحبّذا ريّا ،، فالفيناها

ريّا من الانداء طيّبةً لها القدرُ الجليلْ ... تُهدى لنا ارجاؤها
ارجًا من الزهر البليلْ ... وبها الغصون تمايلتْ ... مَيْلَ الخليل على الخليلْ

ووصلنا عند الظهيرة، وسرحنا العيونَ فى بدائعها الشهيرة ،،

منزل كالربيع حلّتْ عليه ... حالياتُ السحاب عقدَ النطاقِ
يُمْتِع العينَ من طرائف حُسْن ... تتجافى بها عن الاطْراقِ

وقلت بنا، لما نزلنا بجنابها ،،

وبِتْنا والسرورُ لنا نديم ... وماء عيونه الصافى مُدامُ
يسامره النسيمُ اذا تغنّتْ ... حمائمُه ويسقيه الغمامُ

فيا لك من ليلة أَرْبَتْ فى طيب النفح، على ليلة الشريف الرضى بالسفح ،،

ونحن فى روضة مفوّفة ... قد وُشيتْ بالغمائم الوُكُفِ
نُغْفى على زهرها فيُوقظنا ... وهنًا هديرُ الحمائم الهُتُفِ
ودوحها من نداه فى وُشُحٍ ... ومن لآلى الازهار فى شُنُفِ
والغصن من فوقه حمامته ... كأنّها همزةٌ على أَلِفِ

وما اقرب قول الوزير ابن عمّار، من وصف ذلك المضمار، الجامع للاقمار ،،

يا ليلة بِتْنا بها ... فى ظلّ اكناف النعيمِ
من فوق اكمام الريا ... ض وتحت اذيال النسيمِ

وناهيك بمحلّ قرب من دمشق الغرّا ، فخلعتْ عليه حُلَلَ الحُبور والسرّا ،، وامدّته بضيائها ، واودعتْه برقَ حياها وماء حياتها ،، فصار ناضرَ الدوحات، عاطرَ الغدوات والروحات ،، مونقَ الانفاس والنفحات، مُشْرِقَ الاسرّة والصفحات ،، هذا والقلوب من

---

a) La. O. محاسنها. b) La. O. خلع.

الفراق فى قلق، ولسان الحال ينشد

وبى علاقةٌ وجد ليس يعلمها   الّا الذى خلق الانسانَ من عَلَق ‌a

ويحثّ على انتهاز فرصة اللقاء اذ هى غنيمة، ويذكّر بقول من قال واكفُ الدهر مُوقِظةٌ ومُنيمة»

تَمتّعْ بالرُقاد على شمال   فسوف يطول نومُك باليمينِ

ومَتِّعْ من يُحِبُّك باجتماع   فانت من الفراق على يقينِ

ثم حضر بعد تلك الليلة موقفُ الوداع، والكلُّ ما بين واجم وباكٍ وداعٍ، فتمثّلتُ بقول من قلبه لفراق الاحباب فى انصداع»

لمّا استقلّوا وساروا فاستكثروا دَمْعَ عينى   وَدّعتُهم ودموعى على الخدود غِزارُ

وقول آخر   عُلُوُّ قدرى فى الهوى انحطّنا   يا وحشةً من جيرة قد نأوا

لمّا رأتْ منزلهم شطّنا   حَكَتْ دموعى البحرَ من بعدهم

وحُقّ لى ان اتمثّل فى ذلك بقول العزازى b

لا تَسَلْنى عمّا جناه الفراقُ   حمّلتنى يداه ما لا يُطاقُ

اين صبرى أَمْ كيف أملكُ دمعى   والمطايا بالظاعنين تُساقُ

قِفْ معى نَنْدُبِ الطلولَ فهاذى   سُنّةٌ قبلُ سَنّها العُشّاقُ

وأَعِدْ لى ذكرَ الغُوَيرِ فكم ما   لَ بعطفى نسيمُه الخفّاقُ

فى سبيل الغرام ما فعلتْ بالـ   ـعاشقين القدودُ والاحداقُ

يومَ ولّتْ طلائعُ الصبر منّا   ثم شنّتْ غاراتِها الاشواقُ

ويقول غيره   كُنّا جميعا والدارُ تجمعنا   مثلَ حروف التجميع ملتئمه

واليومَ صار الوداعُ يجعلنا   مثلَ حروف الوداع مفترقه

وقول آخر   عيّرونى انّى سفحتُ c دموعى   حين همّ الحبيبُ بالتوديعِ

لم يذوقوا طعمَ الفراق ولا ما   احرقتْ لوعةُ الاسى من ضلوعى

كيف لا اسفح d الدموعَ على ربـ   ـع حوى خيرَ ساكنٍ وجموعِ

قبلَ انّى كنتُ حالىَ أتخفّى   زفراتِ المتيّم المستدوعِ

انّما يعرف الغرامُ بمن لا   ح عليه الغرامُ بين الربوعِ

وقول من قال

---

a) Voyez le *Korân*, sour. 96, vs. 2.   b) C'est ainsi qu'on lit dans le man. O.; S. et P. portent الغرازى, La. الفرازى, G. الغزارى.   c) La. O. سفكت   d) La. O. اسفك.

اقول له عند توديعه وكلٌّ بعبرته مُبْلِسُ
لئنْ قعدتْ عنك اجسادُنا لقد سافرتْ معك الانفسُ

وقول الصابى

ولمّا حضرتُ لتوديعه وطرفُ النوى نحوه أشْوَسُ
عكستُ له بيتَ شعرٍ مضى يليق به الحالُ ان يُعْكَسُ
لئنْ سافرتْ عنك اجسادُنا فقد قعدتْ معك الانفسُ

وقول المهذّب بن اسعد الموصلى

دَعْنى وما شاء التفرّقُ والأسى واقصدْ بلومك من يطيعك او يَعِى
لا قلبَ لى فأَعِى الملامَ فإنّنى اودعتُه بالامس عند مودّعى
هل يعلم المتحمّلون لنجعة انّ المنازلَ أَخْصَبَتْ من ادمعى
كم غادروا حَرِنًا وكم لوداعهم بين الجوانح من غرام مُودَعِ
ه والسقمَ آيةُ ما أُجِنُّ من الجوى والدمع بيّنة على ما أَدّعِى

وقول الكمال التنوخى

كم ليلة قد بِتُّها ارعى السُهَى جَزَعًا لفرقتهم بمقلة أَرْمَدِ
قضّيتُها ما بين نوم نافر وزفير مهجور وقلب المُكْمَدِ
لم أَنْسَ ايامَ السرور وطيبَها بين الغدير وبين برقة ثَمْهَدِ
والروض قد ابدى بدائعَ نَوْره من أزرقٍ ومفضّض ومورَّدِ
د والماء يبدو كالصوارم ساريًا فيُعيده مرُّ الصبا كالمِبْرَدِ
والطير بين مسجّع ومرجّع ومغرّد ومعدّد ومردّدِ

وقول القاضى بهاء الدين السنْجارى a

• أَحْبابَنا ما لى على بعدِ b المدى جَلَدٌ ومَنْ بعد النوى يتجلّدُ
لله اوقاتُ الوصال ومنظر نَضِرٌ وغصنُ الوصل غضٌّ املَدُ
أنّى يُطيق اخو الهوى كتمانَه والخدُّ بالدمع المصون مخدَّدُ
ما بعد مفترَق الركاب تصبّرٌ عمّن أُحبّ فهل خليل يُسْعِدُ
يا سعدُ ساعدْ بانبكاه اخا هوى يومَ الوداع بكى عليه الحُسّدُ

---

a) La. O. السخاوى. b) O. لى وقد بَعْد.

وقول ابن الاثير   لهم أنس ليلة ودّعوا   صبًّا وساروا بالحمول
والدمع من فرط الاسى   يجرى فيعثر بالذيول ᵃ

وقول الأرّجانى   ولمّا وقفنا للوداع عشيّة   وطرفى وقلبى هامعٌ وخفوقُ
بكيتُ فاضحكتُ الوُشاةَ شماتةً   كانّى سحاب والوشاة بروقُ

وقول بعضهم   لمّا حَدَا الحادى بترحالهم   هيّج اشواقى واشجانى
وراح يثنى القلبَ عن غيرهم   فهو لهم حادٍ ولى ثانى

وقول الصَفَدى   لمّا اعتنقْنا لوداع النوى   وكِدتُ من حَرّ الجوى احرقُ
رايتُ قلبى سار قُدّامَهم   وادمعى تجرى ولا تلحقُ

وقوله   تذكّرتُ عيشا مرّ حُلْوًا بكم فهل   لايّامنا تلك الذواهب واهبُ
وما انصرفتْ آمالُ نفسى لغيركم   ولا انا عن هُذى الرغائب غائبُ
سأصْبر كُرْهًا فى الهوى غيرَ طائع   لعلّ زمانى بالحبائب آئبُ

وقول ابن نُبَاتة ᵇ   فى كنف الله وفى حفظه   مَسْراك والعودُ بعزم صريحٍ ᶜ
لو جاز ان تَسْلُكَ اجفانَنا   كُنّا فرشنا كلّ جفن قريحْ
لكنّها بالبُعْد معتلّة   وانت لا تسلك الّا الصحيحْ

وقول الحافظ ابى الحسن على بن الفضل ᵈ

عجبتُ لنفسى بعدهم ما بقاؤها   ولم أُحْظَ من لقياهم بمُرادِى
لعمرُك ما فارقتُهم منذ ودّعوا   ولكنّما فارقتُ طيب رُقادى
وقد منعوا منّى زيارةَ طيفهم   وكيف يزور الطيفُ حِلْفَ سُهاد
وأعْجَبُ ما فى الامر شوقى اليهم   وهم فى سوادَىْ ناظرى وفؤادى

وقوله   رعى الله ايامَ المُقام بروضة   تروح علينا بالسرور ونغتدى
كانّ الشقيق الغضّ بين بطاحها   نجومُ عقيق فى سماء زبرجد

وقول القاضى الرشيد الأُسْوانى

---

a) La. et O. ajoutent ici: وقول ابن نباتة السعدى

ولمّا وقفنا للوداع عشيّة   ولم يبقَ الّا شامتٌ وغيُورْ
وقفنا فمن باكٍ يُكفكف دمعَه   وملتزمٍ قلبًا يكاد يطيرْ

b) La. et O. ajoutent المصرى.   c) La. O. نجيح.   d) S. P. المفضل.

رحلوا فلا خَلَتِ المنازلُ منهمُ   ونأَوا فلا سَلَتِ الجوانحُ عنهمُ
وسَرَوا وقد كتموا الغداةَ مسيرَهم   وضياءُ نور الشمس ما لا يُكْتَمُ
وتبدّلوا ارضَ العقيق عن الحمى   روّتْ جفوني اىّ ارض يمّموا
نزلوا العُذَيْبَ وانّما هو مهجتى   رحلوا وفى قلب المتيّم خيّموا
٥ ما ضرّهم لو ودّعوا من اودعوا   نارَ الغرام وسلّموا من اسلموا
هم فى الحشى ان اعرقوا او ايمنوا   او اشأموا او انجدوا او أَتْهَموا a

وقول الشاعر ابى طاهر الاصفهانى المعروف بالوثّابى b

اشاعوا فقالوا وقفةٌ ووداعُ   وزُمّتْ مطايا للرحيل سِراعُ
فقلتُ وداعٌ لا أُطيق عيانَه   كفانى من البين المُشتّ سماعُ
ولم يملك الكتمانَ قلبٌ ملكتَه   وعند النوى سِرُّ الكَتُوم مُذاعُ

وقول ابى المجد قاضى ماردين

رعى الله ربعا انتم فيه اهله   وجاد عليه هاطل وهَتُونُ
ولا زال مخضرّ الجوانب مُتْرَعَ   الحياض وفيه للنعيم فنونُ
لئنْ قدّر الله اللقاء واينعتْ   غصونُ التدانى فالبعادُ يهونُ
وان حكمتْ ايدى الزمان c بعُسْرة   فكم قُضيتْ للمُعْسِرين ديونُ

وقول آخر   غِبْتم فما لى فى التصبّر مطمع   عَظُمَ الجوى واشتدّت الاشواقُ
لا الدار بعدكم كما كانتْ ولا   ذاك البهاء بها ولا الاشْراقُ
اشتقكم وكذا المحبُّ اذا نأى   عنه احبّةٌ قلبه يشتاقُ

وقول ابى الحسن الهمدانى

ويومَ تولّت الاظعانُ عنّا   وقبوضُ حاضرٌ وازنّ d بادى
مددتُ الى الوداع يدًا واخرى   جسستُ e بها الحياةَ على فؤادى

وقول ابن الصائغ

---

a) Telle est la leçon des man. La. et O; G. et S. portent:

هم فى الحشى ان انجدوا او اعرقوا   او ايمنوا او اتهموا او اشاموا

b) La. O. بالوثانى. c) La. O. الفراق. d) Le man. O. porte أُرِنّ avec toutes les voyelles. Peut-être doit-on lire وازقّ. e) O. جسست, G. حبست. Ces deux vers manquent dans S.

قد اودعوا القلبَ لمّا ودّعوا حرقًا · فظلّ فى الليل مثلَ النجم حيرانا
راودتُه يستعير الصبرَ بعدهم · فقال انّى استعرتُ اليومَ نيرانا

وقول الصدر بن الادمى مكتفيًا

يومَ توديعى لأحبابى غدًا · ذكرُ مَيّ شاغلى عن كلّ شىْ
فرنَتْ نحوى وقالتْ يا ترى · انت حيّ فى هوانا قلتُ مَىْ

وقول غيره

ولى فؤاد مذ نأى شخصُهم · ظلّ كئيبا مدنفا موجعا
ومقلة مَهْمَا تذكّرتُهم · تذرف دمعا اربعًا اربعا
وليس لى من حيلة كلّما · لجّتْ بى الاشواقُ الّا الدعا
اسأل من الّف ما بيننا · وقدّر الفرقة ان يجمعا

وقول الرّعَيْنى الغرناطى

محاسن ربعٍ قد محاهنّ ما جرى · من الدمع لمّا قيل قد رحل الركب
تنفّس حالى مذ شجانى فراقهم · فمن اضلعى نارٌ ومن ادمعى سكب

وقول الزمخشرى ٫ · ثم يُبكينى الّا حديثُ فراقهم · لمّا أُسَرّ به الىّ مودّعى
هو ذلك الدرُّ الذى اودعتمُ · فى مسمعى اجريتُه من مدمعى

وقول الزغارى · قد بعثُهم قلبى يومَ بينهم · بنظرة التوديع وهو يحترقْ
ولم أجِدْ من بعدها لردّه · وجهًا وكان الردُّ لولم نفترقْ

وقول بعض الاندلسيّين

ساروا فودّعتهم طرفى واودعتهم · قلبى فما بعدوا عنّى ولا قربوا
هم الشموس ففى عينى اذا طلعوا · فى القادمين وفى قلبى اذا غربوا

وقلتُ انا متمّنا بديهةً · لا كان يوم فراق · ساق الشجونَ الينا
وكم اذلّ نفوسا · يا من يعزّ علينا

وقلتُ ايضا متمّنا

سلا احبّته مَن لم يذُبْ ٫ كمدًا · يومَ الوداع وان اجرى الدموعَ دما
يا من يعزّ علينا ان نفارقهم · من بعدكم شُدّ ركنُ الصبر وانهدما
وانْ نأى الجسمُ كرْهًا عن منازلكم · فالقلب ثاوٍ بها لم يصحب العدما

a) Voyez Ibn-Khallikān, édit. Wüstenfeld, n°. 721, et les *Mille et une Nuits*, édit. Macnaghten, tom IV, p. 59. b) La. O. يكن الوجد قبل. c) La. O. بذق.

وما نَسينا عهودا للهوى كرمتْ   نَعَمْ قرعنا عليها سِنّنا ندما
وأظْلَمَتْ بالنوى ارجاء مقْصدنا   وصار وجدانُ إنْفٍ غيركم عدما

وقلتُ ايضا مضمّنا

لم أنْسَ بالشام أُنْسًا شِمْتُ بارقه   جادتْ معاهدَه انواء نَيْسانِ
نهفى لعيش قضينا فى مشاهدها   ما بين حُسْنٍ من الدنيا واحْسانِ

وقلتُ كذلك   يا جيرةً بانوا وابقوا حسرةً   تجرى دموعى بعدهم وَفْقَ القضا
كم قلتُ اذ ودّعتهم والانسُ لا   يُنْسَى وعهدُ ودادهم لن يُرْفَضا
يا موقفَ التوديع انّ مدامعى   فُضّتْ وفاضتْ فى ثرى ذاك الفضا

وكم تفاءلتُ بقول الاوّل، مع علمى بان على الله المعوّل،

اذا رايتَ الوداعَ فاصبرْ   ولا يُهِمَّنّك البعادُ
وانتظرِ العودَ عن قريب   لانّ قَلْبَ الوداع عادُو

وضاقتْ بى الرحاب، حين مفارقة اعيان الصحاب، وكاثرتْ دموعى من بينهم السحابَ، وزند التذكّر يقدح الاسفَ فيبيح الانتحاب، وقد تمثّلنا اذذاك والجوانح من الجوى فى انتهاب، وذخائرُ الصبرِ ذات انتهاب، بقول بعض من مزّق البُعْدُ منه الاهابَ،

ولمّا نزلنا منزلا طلّه الندى   انيقا وبستانا من النَّور حاليا
اجدّ لنا طيبُ المكان وحسنُه   مُنًى فتمنّينا فكانوا الامانيا
وقد نُقِّلتُ فى شرق البلاد وغربها   وسيّرتُ خيلى بينها وركابيا
فلم أرَ منها مثلَ بغداد منزلا   ولم ار فيها مثل دجلةَ واديا
ولا مثل اهليها ارقّ شمائلا   واعذبَ الفاظا وأحلَى معانيا

وبقول من تاسّف على مغانى التدانى، وهو ابو الحجّاج الاندلسى الدانى،

أَبَى اللهُ الّا ان افارقَ منزلا   يطالعنى وجهُ المُنَى فيه سافرا
كانّ على الايام حين غشيتُه   يمينا فلم احلُلْه الّا مسافرا

وتخيّلنا انّ اقامتنا بدمشق وقاها الله كلّ صَرْف، ما كانت الا خطرةَ طيفٍ مُلِمٍّ او لمحة

a) La. O. معاهدها. b) Voyez les *Mille et une Nuits*, édit. Macnaghten, tom. IV, p. 60. c) La. O. عند. d) La. et O. ajoutent ici الاحباب و. e) Ce vers ne se trouve que dans le man. O.

وقفنا ساعةً ثم ارتحلنا　　وما يُغْنِى المشوقَ وقوفُ ساعةْ
كانّ الشمل لم يكُ ذا اجتماعٍ　　اذا ما شتَّتَ البينُ اجتماعَهْ

وطالما علّلتُ النفسَ بالعود اليها ثم الى بقاعى، منشدًا قولَ الاديب الشهير بابن القيسرانى،

متى هلينتْ عيناىَ اعلامَ حاجرٍ　　جعلتُ مواطئ العيس فوقَ محاجرى
وان لاحَ من ارض العواصم بارقٌ　　رجعتُ باحشاءٍ صوادٍ صوادرِ
سقى ظلّه هاليكَ المواطئَ والرُبَى　　مواطرَ اجفانٍ هوامٍ هوامرِ
وحيّى الحيا من ساكن الحىّ اوجهًا　　سفرنَ بانوارٍ زواهٍ زواهرِ
بحيث زمانُ الوصل غضٌّ وروضه　　اريضٌ بازهارٍ بواهٍ بواهرِ
وحيث جفونُ الحاسدين غضيضة　　رمقنَ بآماقٍ سواهٍ سواهرِ

ثم حاولتُ خاطرى الكليل، فيما يشفى بعض الغليل، فقال على تَرنيق التحسين وقد غلب عليه الشوق والتخمين،

بابى من اودعوا مذ ودّعوا　　قلبىَ الشوقَ وللعيس ذميلْ
جيرةٌ غُرٌّ كرامٌ خيرةٌ　　كلُّ شىءٍ منهم يبدو جميلْ
وعلى الجملة ما لى غيرهم　　لو ارادوا ان يميلوا او يميلْ

ثم قلتُ وقد سدّد التناهى الىّ نبلَه، موطّئًا للبيت الثالث كما فى الابيات قبلَه،

يا دمشقًا حيّاكِ غيثٌ غزيرٌ　　ووقاكِ الالهُ ممّا يضيرُ
حسنُكِ الفرد والبدائع جمعٌ　　متناهٍ فيه فعزّ النظيرُ
اين ايامُنا بظلّكِ والشمل جميع والعيش غضٌّ نضيرُ

ثم اكثرتُ الالتفاتَ عن اليمين وعن الشمال، وقد شبّهتُ البيداء والشوق ببذل الخيل والاشتمال، وتنسّمتُ من نواحى تلك الارجاء اريجَ الشمال، وضمّنتُ فى المعنى قول بعض من تعنّى[b] الحبُّ عقلَه وامال،

تنسّمتُ ارواحا سَرَتْ من ديارِ مَنْ　　بهم كان جمعُ الشمل تحتَ حنيمِ
وجاوبتُ من يلحى على ذاكَ جاهلًا　　بقول لبيبٍ بالعواقب عالمِ
وما أَنْشَقُ الارواحَ الا لانّها　　تمرُّ على تلك الرُبَى والمعالمِ

وما احسن قولَ آخر

a) Voyez Ibn-Khallikān, edit. Wustenfeld, n°. 459.　b) La. تثنى.

سَرَتْ من نواحى الشام لى نسمةُ الصبا   وقد اصبحتْ حَسْرَى من السير ظالعَهْ a
ومن عَرَقٍ مبلولةَ الجيب بالندى   ومن تَعَبٍ انفاسُها متتابعَهْ
وقلتُ انا   حمدتُ وحقِّ الله للشام رحلةً   اتاحتْ لعينَىَّ اجتلاء محيّاهُ
وبعد التناءى صرتُ أَرْتاح للصبا   لانّ الصبا تسرى بعاطرِ ريّاهُ
فلله عهد قد اتاح بجِلّق   سرورًا فحيّاها الالهُ وحيّاهُ

واستحضرتُ عند جدّ السير، قولَ صفوان بن ادريس المُرْسىّ ذكره الله بالخير،

اين ايامُنا اللواتى تقضّتْ   اذ زجرنا للوصل ايمنَ طيرِ

ثم قولَ غيره ممّن حنّ وأَنّ، وقلق قلبُه وما اطمأَنّ،

احنّ الى مشاعد أُنْس الْفى   وعهدى من زيارته قريبُ
وكنتُ اظنّ قربَ العهد يُطْفى   لهيبَ الشوق فازداد اللهيبُ

وربّما تجلّدتُ مغالطًا، متعلّلا بقول من كان لالْفه مخالطًا،

حضرتَ فكنتَ فى بصرى مقيما   وغِبْتَ فكنتَ فى وسط الفؤادِ
وما شطّتْ بنا دارٌ ولكن   نُقِلْتَ من السواد الى السوادِ

وقول غيره   وكُنْ كما شيتَ من قربٍ ومن بُعُدٍ   فالقلب يرعاك انْ لم يَرْعَك البصرُ
وبقول الوداعى   يا عاذلى فى وحدتى بعدهم   وانّ ربعى ما به من جليسْ
وكيف يشكو وحدةً من له   دمعٌ حميمٌ وانينٌ انيسْ

ثم ردّدتُ هذه الطريقة، بقول بعض من لم يَبْلغه السُلوُّ رِيقَه،

لا رعى الله عزمةً ضمنتْ لى   سلوةَ القلب والتصبُّرَ عنهمْ
ما وَفَتْ غيرَ ساعة ثم عادتْ   مثلَ قلبى تقول لا بُدَّ منهمْ

وبقول ابن آجرّوم، فى مثل هذا الغرض المروم،

يا غائبا كان أُنْسى رهنَ طلعته   كيف اصطبارى وقد كابدتُ بينَهما
دعواىَ أنّك فى قلبى يعارضها   شوقى اليك فكيف الجمعُ بينَهما

ثم جدّ بى السيرُ الى مصر واستمرّ، فتذكّرتُ قول الصفدى، وقد اشتدّ بالرمل الحَرّ،

اقول وحرُّ الرمل قد زاد وقدُه   وما لى الى شَمّ النسيم سبيلُ
اظنّ نسيمَ الجوّ قد مات وانقضى   فعهدى به فى الشام وهو عليلُ

a) G. S. P. ظالعة , La. خالصة.

وقول ابن الخيّاط . قصدتُ مصرا من ربى جِلّق بهمّة تجرى بتجريبى
فلم أرَ الطترةَ حتى جَرَتْ دموعُ عينى بالمزبزيب

وحين وصلت مصر لم أنسَ عهدَ الشام المرعىّ، وانشدتُ قول الشهاب الحنبلى الزرعى..
أحبّتنا والله مذ غبتُ عنكم سهادى سميرى والمدامع مدرارُ
ووالله ما اخترتُ الفراقَ وانّه برَغْمى ولى فى ذلك الامرِ أعذارُ
اذا هلّ برقُ الشام نرقى تتابعتْ سحائبُ جفنى والفؤادُ به نـارُ .
ألا ليت شعرى هل يعودنّ شملُنا جميعا وتحوينا ربوعٌ وادوارُ

وقول ابن عُنَيْن a) دمشق بنا شوقٌ اليك مبرّح وان لجّ واش او الحّ عذولُ
بلاد بها الحصباء دُرّ وتُربها عبير وانفاس الرياح شَمولُ
تسلسل فيها ماؤها وهو مُطْلَق وصحّ نسيمُ الروض وهو عليلُ

وقول آخر نفسى الفداءُ لأُنْس كنتُ اعهده وطيبِ عيش تقضّى لله كرمُ
وجيرةٍ كان لى الفٌ بوصلهم والانس افضلُ ما يوصل بعضهم
بالشام خلّفتهم ثم انصرفتُ الى سواهم فاعترانى بعدهم ندمٌ b)
كانوا نعيمَ فؤادى والحياةَ له والآنَ كلُّ وجود بعدهم عدمُ

فانْ انشد لسانُ الحال، فيما اقتضاه معنى البُعْد عنها والارتحال،،
يا غائب قد كنتُ أحْسبُ قلبَه بسوى دمشق واهلها لا يعلقُ
انْ كان صدّك نيلُ مصر عنهم لا غروَ فهو لنا العدوّ الازرقُ

اتيتُ فى جوابه، بقول بعض من برّح الجوى به،،
لله دهرٌ جمعنا شملَ لذّته بالشام اعذبُ من امن على فرَقِ
مرّتْ لياليه والايامُ فى خُلَس كانّما سلبتْه كفُّ مسترِقِ
ما كان احسَنَها لولا تنقّلها من النعيم الى ذات من الحُرَقِ
رقّ العذولُ لحالى بعدها ورثى لى فى الجوى والنوى والسّحو والارَقِ

وبالجملة فتلك الايام من مواسم العمر محسوبة، والسعود الى طوالعها منسوبة..
وكانتْ فى دمشق لنا ليالٍ سرقناهنّ من ريب الزمانِ
جعلناهنّ تاريخَ الليـالى وعنوانَ المسرّة والامانى

a) On trouve les mêmes vers chez Ibn-Batoutah, édit. Defrémery et Sanguinetti, tom. I, p. 191. b) La. O. ثم.

وهى مغانى التهانىّ التى ما نَسِيناها. واماني زمانى التى نعمتُ بطُورِ سِيناها. عليها وعلى وطنى مقصورة، والقلبُ فى المعنى مُقيم بهما وان كانَ فى غيرهما بالصورة، والاشواقُ اليهما قضاياها موجَّهةٌ وانْ كانت غير محصورة،،

ولله عهدٌ قد تقضّى فان يَعُدْ — فانّى على الايام اعفو واصفحُ
بقلبىَ من ذكراه ما ليس ينقضى — ومن بُرحاه الشوق ما ليس يَبْرَحُ
اذا مسحتُ كفّى الدموعَ تستّرا — بَدَتْ زفرةٌ بين الجوانح تُقْدَحُ
فان جمعتْ شملى الليالى بعدهم — تجمَّع غَيْلانٌ ومَىٌّ وصَيْدَحُ
على انّها الايامُ جدّ مُزاحُها — ورُبَّ مُجِدّ فى الاذى وهو يمزحُ

وكثيرًا ما يلهج اللسانُ بقول من قال

وما تفضُل الاوقاتُ أُخْرَى لِذاتِها — ولكنّ اوقات الحسان حسانُ

ويردّد، قول من شوقُه متجدّد،،

سقى معهد الاحباب نافعُ صيّب — من المزن عن مغناه ليس يَرِيمُ
وان لم اكنْ من ساكنيه فانّه — يحلُّ به خِلٌّ علىّ كريمُ

وننشد من يلوم، قول من فى حشاه وَلَهٌ وفى قلبه كلوم،،

قد اصبح آخِرُ الهوى اوّلَهُ — فالعاذلُ فى هواك ما لى ولَهُ
بالله عليك خلّ ما اوّلَه — وارحمْ دَنِفًا لدى حشاه وَلَهُ [a]

وقد امتدّ بنا الكلامُ، وربّما يجعله اللاحى ذريعةً لزيادة الملام،، فلْنَرْجِعْ الى ما كُنّا بصدده، من اجابة المولى الشاهينى امدّه الله بمَدَده،، فنقول، مستمدًّا من واهب العقول،، انّى شرعتُ بعد الاستقرار بمصر فى المطلوب، وكتبتُ منه نبذةً يستحسنها من المحبّين الاسماعُ والقلوب، وسلكتُ فى ترتيبه احسنَ اسلوب، وعرضتُ فى سُوقه كلَّ نفيس غريب من الغرب الى الشرق مجلوب،، تستحسن الابصارُ ما عليه احتوى، وتعرف الاقدار انه غير مجتوى، ثم وقف بى مركبُ العزم عن التمام واستوى،، فأخّرتُه تاخيرَ الغريم، لدَيْن الكريم،، وصدّتنى أعراض، عن تكميل ما يشتمل عليه من أغراض،، واضربتُ برهةً عمّا لابدّ منه من منحى، لاختلاف احوالِ الدهر نفعًا ودفعا ومنعا ومنحا،، ومرقتْ عن هدف الاصابة نبال، وشرقتْ فى سَدَف ليالى الكتابة امورٌ لم تكنْ تخطر

a) Ces vers appartiennent au mètre دو بيت.

ببلد»، فجاءتنى من المولى المذكور آنفا، رسالةٌ دلّتْ على انه لم يكن عن انتجاز الوعد متجانفا، نعُدتُ لقضاء الوطر مستقبلا وللجملة مستانفا»، وجَدّا بى خنانه الجسيم للاثمام وساقنى، وراقنى كتابُه الكريم لتلك الايام وشاقنى»، وذكرنى تلك الليالى التى لم أنسها، وحرّكنى لهاتيك المعاهد التى لم أزل اذكر أنسها»،

الألف لا يعبر عن الفه   الّا كما يطرف بالعين
وقد صبرنا عنهم مدّةً   ما هكذا شان المحبّين

فيا له من كتاب أعربَ عن ودّ صميم، وذكّر بعهد غير ذميم؟ وودّ تنيب العرف والنسيم، يخجل ابن المعتز لبلاغته وابن المعزّ تميم»

ولم ترَ عينىَ من قبله   كتابا حوى بعضَ ما قد حَوى
كانّ المباسم مبسماته   ولاماته الصُّدْغ لمّا التوى
واعيُنه بعيون الحسان   تُغازلنا عند ذكر الهوى
كتاب ذكرنا بألفاظه   عهودا زكت بالحمى واللّوى

فداته الروض المشرّد الانيار، والديج المدبّج الازهار»

ومنامده روضا يدبّج وشيُه   اذا جاد من تلك الايادى غمائم
به أنفاتٌ كالغصون وقد علا   عليها من الهمز المُنزل حمائم

وقد سُفيتْ بانهار البراعة السلسالة، حدائق حلّت بها غانيةٌ تلك الرسالة.. نسقى صَبّها بالزيارة، وتُشرّف بدُنوّها دياره»

زارت الصبّ فى ليال من البُعْد فلمّا دَنَتْ رأى الصبح يلْمح
فلّدتْ بالعقيان جيدَ بيانٍ   ليس فيه للفتح من بعدُ مَنْلَمح

فشفت النفسَ من آلامها، وأحْيَتْ ميتَ الهوى مذ حيّتْ بعذب كلامها»

كلام كالجواهر حين يبدو   وكالندّ المعنبَر اذ يفوح
له فى ثغر الالفاظ جسم   ولكنّ المعانى فيه روح

فصيّرتْ ذلك الكتاب سميرا، ووردتُ من السرور مَشْرعا نميرا، وتمثّلتُ بقول بعض من اخلص فى الودّ ضميرا»

يا مفردا اهدى الىّ كتابه.   جُمَلا يحار الذهنُ فى اثنائها

a) Ce mot est altéré. S. porte ومسامه, P. ومياته, O. واميامه, La. ومنا به.   b) La. O. البلاغة.

كالدرّ أشرق فى سموط عقوده   والزهرِ والانوار غبّ سمائها
فافادنى جذلًا وبالى كاسدٌ   واجار نفسى من جوى هرجائها
وحسبتُ ايامَ الشباب* رجعن لى   فلبستُ حلْى جمالها وبهائها
لا يعدم الاخوانُ منك محاسنًا   كلُّ المفاخرة قطرةٌ من مائها

فأكرِمْ به من كتاب جاء من السرى العلىّ، والماجد الأخ الولىّ»

فضضتُ ختامه فتبيّنتْ لى   معانيه عن الخبر الجلىّ
وكان الدّ فى عينى وأندى   على كبدى من الزهر الجنىّ
وضُمّن صدرُه ما لم تضمّنْ   صدورُ الغانيات من الحُلىّ

وأعْرَبَ عن اعتماد متمادٍ، ووداد مزداد»، واناب حين اطال، وادّى دَيْنَ الفصاحة دون مطال»، واشتمل من فصول العبارة على احسن من الحَدَق المِراض، واتى من اصول البراعة ببراهين ابن شاهين التى لا خُلْفَ فيها ولا اعتراض[a]»، وروينا من غيث انامله الهتون، ورويْنا عنه مسندَ احمد حسنَ الاسانيد والمتون»، وحثّنا على العود والرجوع، وكان أجْدَى من الماء الزلال لذى ظماء والمشتهى من الطعام لذى سغب وجُوع»

وأشهَى فى القلوب من الامانى   وأحْلَى فى العيون من الهجوعِ

وجلا بنوره ظلام استيحاشى، وحشر الىّ اشتاتَ المسرّات دون ان يُحاشى»، ووجدنى فى مُكابدة شغوب، وأشغال أشربت القلبَ الكسلَ واللغوبَ»، وحيّرت الخواطر، وصيّرت سُحُب الاقلام غير مواطر»، فزحزح عنّى الغمومَ وسلّانى، واولانى شكرًا لله صنيعُه من المسرّات ما اولانى»

حديثه او حديث عنه يُطْرِبُنى   هذا اذا غاب او هذا اذا حضرا
كلاهما حسَنٌ عندى اسَرُّ به   لكنّ احلاهما ما وافق النظرا[d]

وضمنتُ فيه لمّا ورد مع جملة كُتُب من تلك الناحية، وانوار اهلها ذوى الفضائل الشهيرة، اظهر من شمس الظهيرة، فى السماء الصاحية»

a) La. O. الوصال. *b*) La. O. المحاسن. *c*) G. S. P. اقتراض. *d*) Les man. La. et O. ajoutent ici: وقال آخر

لستُ مستانسًا بشىء اذا غبـتَ سوى ذكرك الذى لا يغيبُ
انت دون الجلّاس وان كنـتَ بعيدًا فالانس منك قريبُ

Il manque un mot après الجلاس dans les deux man.

قلتُ لمّا أتتْ من الهلم كُتْبٌ   من أَجِلّاء نورُهم متألّق
مرحبًا مرحبًا وأهلًا وسهلًا   بعيون رأتْ محاسنَ جِلّق

وقلتُ ايضا   قلتُ لما وافتْ من الشام كتب   والليالي تُتيح قربها وبُعْدا
مرحبا مرحبا واهلا وسهلا   بعيونٍ رأت محاسن سُعْدى

وكان من فصول الكتاب الوارد، من المولى الشاهيني الذى اقتنص بفضله كلّ شارد.. ما نصّه ومما استخلص قلبي من يدي ترحي، وجدّد سروري ونبّه فرحي.. حديث الكتاب وما حديث الكتاب، حديثٌ نسخ بحلاوته مرارة العتاب، وانساني حرارة المُصاب، في الانسال والاعقاب.. وقضى به من حقّ لسان الدين، دَينه الذي تبرع به غريمٌ مليٌّ من البلاغة وهو غير مَدين.. حتى انّي يا سيّدي بهذه البُشرى، احرزتُ سوارَيْ كِسْرى.. وكانّ في مسمعي كلّ حرف اليها منسوب، قميصُ يوسف في اجفان يعقوب.. وحتى كدتُ اهجر اهلي وبيتي، وأسرج لاستقبال هذه البشرى أُمنيتي وكُمَيْتي.. وحتى انّني حاربتُ نومي وقومي، وعزمتُ على ان ارحل ناقتي في ليلتي ويومي.. وانّ ذلك التغليس والتبكير، في جنبِ ما بُشِّرْتُ به لحقير، وان موقعها لدى هذا العبد الحقير لخطير.. وقد كنتُ سألتُ شيخي حين ورد دمشق الشام، واسمعَ منها الغرارَ والبشام.. وشرّفني، فعرّفني، وساعدني، فعاهدني، على ان يُجْري ما دار بيننا لدى المجاورة من المسامرة والمحاورة.. في ديباجة ذلك الكتاب، الذي فتن العقولَ خبرُه وسحر الالباب.. وما قصدتُ الا ان يجري اسمي على قلمه، ويرقم رسمي في مَطاوي تحريره ورقمه.. ويكون ذكرى مخلّدا بذكره، كما انّ سِرّي مرتبط في المحبّة بسرّه.. فرايتُ شيخي لم يتعدّ في انشاء هذه البشرى، لما يُفهمني بتذكري، لانتظار النتائج في الاخرى.. ولم يُساعدني على ذلك الملتمس، وحبس عنانَ القلم فاحتبس.. فانكسرت سَوْرةُ سروري بفتوري، وتبيّن لنفسي عن بلوغ ذلك الامل تخلّفي وقصوري.. انتهى، ثم قال بعد كلام لم يذكره لعدم تعلقه بهذا الغرض ما صورته وحسبتُ ان سيّدي وحاشاه، نسي من ليس ينساه.. وظننتُ به الظنون، لامور تكون او لا تكون.. وهل يُنذر شيخي ان يبدي الدنيا في صنف، ثم الاخرى على ذلك النسق.. ولا شكّ انّ خدمه هو الروضة الغنّاء لا بل جنّة المأوى، فطوبى لنفسي انْ جنيتُ ثمرته طوبى.. ونعم شيخي انّي بذلك لجدير، وانّي لمن اُملك به الخورنق والسدير.. انتهى ما يتعلّق بمطلوب من ذلك الرقيم، الذي شغل بمنعه

غير عقيم، سلك اللبيب ويمن وجّهه الصراطَ المستقيم،، واتى فى المكتوب بانواع من البلاغة، ممّا تركتُ ذكرَه هنا لعدم تعلّقه بهذا الامر الخاصّ الذى بيسّر لكاره الادب مساغه،، وختمه بقصيدة a من نظمه يستنجز فيها ذلك الوعد، واشهد انه قد حاز فيها قصب السبق والمجد،، وما قلتُ الّا بالذى علمتْ سَعْدُ وهذه صورتُها

يا سيّدا أفْديه بالاكثرِ … مِنْ اصغر العالَم والاكبرِ
ويا وحيدا قلْ قولى له … عُطارِدٌ انت مع المُشْتَرِى
ويا مجيدا ليس عندى له … الّا مقال المادح المُكْثِرِ
اقسمتُ بالبيت العتيق الذى … حجّتْ اليه الناسُ والمَشْعَرِ
ما للعُلَى والعلم الّا ابو … العبّاس شيخى احمد المَقَّرِى
ذاك الذى آنسنى منه بالـــــعلم الذى للغير لم يوثِرِ
وخصّنى منه باشياء لم … يَفُزْ بها غيرى ولم يعثرِ
فرحت عبدا ذا وفاء له … معترفا بالرقّ لا امترى
فيا ابا العبّاس يا من غدا … اعظمَ فى نفسى من معشرى
ومن اذا ما غاب عن ناظرى … كان سميرَ القلب للمحضرِ
هات اغذنى سيّدى عن علِى … المولى لسان الدين ذاك السَرِى
ذاك الوحيد الفذّ فى عصره … بل اوحد الأدْهُرِ والأعْصُرِ
ذاك الذى اخبرنى سيّدى … عنه مزايا بعدُ لم تُحْصَرِ
ذاك الذى العيُّوق لا يعتلى … اسى معاليه ولا يجترى
ما قد وعدتَ العبدَ فى جمعه … من خبر عن فضله مُسْفِرِ
بخطّك الوشّاح وهو الذى … مَخْبَرُه يَرْبِى على المنظرِ
والشىء لا يُرْجَى اذا ما غدا … منظرُه يربى على المخبرِ
نقش على طرس بياض كما … لاحتْ عيونُ النَرْشَا الاحورِ
وأسْطُر قد سُلسلتْ مثل ما … لاح عذارُ الشادن المُقْمِرِ
ونزهة الانفس معنى غدا … ما بينها ينساب كالكَوْثَرِ
عذب رقيق مثل ظبى غدا … يلوح طاوِى الكشح او جوذرِ

a) La. et O. ajoutent نفيسة

آثار اقلامك وهي التي ... أغْنَتْ عن الابيض والاسمرِ
يراعك الجامع راوٍ غدا ... يروى اللّغى عن لفظك الجوهرى
ينثر مسكا تارةً ناظما ... وينظم الجوهرَ بالعنبرِ
هذا ابن شاهين الفتى احمد ... عن ذكرك المأنوس لم يَفْتُرِ
فاجعَلْ له ذكرا كريماً به ... يزدان مغبوطا الى المحشرِ
واذكُرْ بُوَيْتاتى وكلّ الذى ... كتبتُه نحوك فى دفترى
انت جديرٌ بمديحى فكُنْ ... ذاكرَ عبدٍ مالوفا اجدرِ
وهاكَها سيّارةً أعْبَقَتْ ... على جواد كان
بنَرْفِ كريم سابق صافن ... مطلقهم ذى ادب اوفرِ
ورثته منه ولكنّما ... مِن شاعرٍ وافى الى أشعرِ
ما للفتى الطافى شوق آمرئٍ ... يصطاد نسر الجوّ بالمنسرِ
واسلمْ لعبد لا يرى سيّدا ... سوى الذى فى ثوبك الانورِ
فى كرم العنصر فردا غدا ... طبعك فاشكُرْ كرمَ العنصرِ
ما جنّ مشتاق اخو صبوة ... الى خليل فى الهوى مُفْكِرِ

انتهت، فلمّا وصلنى هذا الخطاب، الذى ملأ من الفصاحة الوِطاب، *وحلا فى عينى وقلبى وطاب a)، تحرّكتْ دواعى الوجد، لذلك المجد، الذى وَلِعتْ به ونُوعَ ابن الدُمَيْنة بصبا نَجْد، وأثار من الهُيام والأُوار، ما يزيد على ما حصل للفرزدق لمّا فارق النوار، وتضاعف الشوقُ الى تلك الانجاد والاغوار، منشدًا قولِ الاول لعلّ أبى المغوار، وتذكرتُ والذكرى شجونٌ واطوار، تلك الاضواء والانوار، المُشْرِقة بقُطْرٍ أزْهَرَ بالمحاسن وجرى نهْرهُ غيرِ آسِن. فلم يُذَمّ فيه الجوار،

وانّ اصطبارى عن معاهد جلّق ... غريب فما أَجْفَى العراق وأجّفانى
سقى الله ارضا لو ظفرتُ بتُرْبِها b) ... كحلتُ به c) من شدّة الشوق أجْفانى

وحصل التصميم، على التكميل للتأليف والتتميم، رَعْيًا لهذا الولىّ الحميم، افاض الله عليه غيثَ البرّ العميم، وابقى ظلّ عزّه ممدودا، وخلّى سودده مودودا، وانله من الخيرات ما ليس محصورا ولا معدودا، وجمعنى وايّاه، واطلع لى بِشْرَ محيّاه،

a) Ces mots manquent dans G. S. et P. b) G. S. بقربها. c) G. S. بها.

وانشقنى عَرْف اجتماعه وريّاه، وكيف لا استديم أمَدَ بقياه، وأعتقد البشائر فى لُقياه، واسقى غروس الودّ بسُقياه، وهو الصدر الّذى اصفى لى الوداد، والركن الذى لى بنبوته اعتماد واعتداد،

فعليه من مُصفِى هواه تحيّةٌ ... كالمسك لمّا فُضّ عنه ختامُ

تترى (a) بساحته السنيّة ما دعتْ ... فوق الغصون هديلهنّ حمامُ

ودامت فضائله ظاهرةً كالشمس، محروسةً بالسبع المثانى معوّذةً بالخمس،

ولا انفكّ ما يرجوه اقربَ من غدٍ ... ولا زال ما يخشاه ابعدَ من أمسِ

وبقى من العناية فى حرم امين آمين، ولما حصل لى كمال الاغتباط، بما دلّ على صحّة حال الارتباط، نشرت بساط الانبساط، وحدثت لى قوّة النشاط، وانقشعت عنّى سحائب الكسل وانجابت، وناديت فكرتى فلبّت مع ضعفها واجابت، فاقتدحت من العزيمة زندا كان شحاحا، وجمعت من مقيّداتى حسانا وصحاحا، وكتبت كُتبت شذره، وملأت بما تيسّر هامشه وسطره، ورقمت من انباء لسان الدين ابن الخطيب حُللًا لا تُخلِق جدّتها الأعصُر، وسلكت من التعريف به رحبة مهامهَ تكلّ فيها واسعات الخطى وتقصر، فحدث لى بعد ذلك عزمٌ على زيادة ذكر الاندلس جملةً ومن كان يعضد بها الاسلامَ وينصر، وبعض مفاخرها الباسقة، ومآثر اهلها المتناسقة، لانّ كلّ ذلك لا يستوفيه القلمُ ولا يحصر، وجئت من النظم والنثر بنبذة توضح للمنتسب سُبُلَه، وتُنبِئ علمه ونُبْلَه، وتُزيح محاسنه من راح المذاكرة وانا (b) ه، حتى يرى انبار (c) هذا المصنّف وادناءه، وكنت فى المغرب وظلال الشباب ضافية، وسماء الافكار من قزع الاكدار صافية، معتنيًا بالفحص عن انباء الاندلس، واخبار اهلها التى تنشرح لها الصدور والانفس، وما لهم من السبق فى ميدان العلوم، والتقدّم فى جهاد العدوّ الظلوم، ومحاسن بلادهم، ومواطن جدالهم وجِلادهم، حتى اقتنيت منها ذخائر يرغب فيها الافاضل الاخائر، وانتقيت جواهر، فرائدها للعقول بواهر، واقتطفت ازاهر،

a) Ce mot me paraît altéré. Le man. P. porte تنزى , S. سرى sans points diacritiques.
b) G. porte وإناؤه ; O. sur la marge وانائه. c) P. انيار. On doit lire peut-être ابناس. Le man. La. porte واذباؤه (sic) التصيف هذا انبا التاليف هذا انبا يرى ; O. يرى انباء هذا التصنيف وادبائه (sic) ☆

انجُمها فى افق المُحاضرة زواهر، وحصّلت فوائدَ بواطن وظواهر، طالما كانت اعينُ الالبّاء لنيلها سواهر، وجمعتُ من ذلك كَلِمًا عالية لو خاطب بها الداعى صُمَّ الجلامد لانبجس حجرُها، وحِكَمًا غالية لو عامَلَ بها الايامَ ربح مَتْجَرُها، واسجاعا تهتزّ لها الاعطاف، ومواعظ يعمل بمقتضاها من حقّتْ به الالطاف، وقوافى موفورة القوادم والخوافى، يُثنى عليها مَنْ سلم من الغباوة والصَمَم، ويعترف ببراعتها من لا يعتريه اللَمَم، وطالما اعرض الجاهل الغُمْرُ بوجهه عن مثلها واشاح، وأنصتَ لها الحبرُ انصات السوار لجرس الحُلّى ونغم الوشاح، وفَرِحَ إنْ ظفر بشىء منها فرحَ الصائد بالغنيص، والسارى العارى ذى البطن الخميص، بالزاد والقميص، وتركتُ الجميع بالمغرب، ولم أستصحبْ معى منه ما يُبين عن المقصود ويُعْرِب، الّا نَزْرًا يسيرا عَلِق بحفظى، وحلّيتُ بجواهره جيدَ لفظى، وبعضَ اوراق سَعِدَ فى جواب السؤال بها حظّى، ولو حضرنى الآنَ ما خلّفتُه، ممّا جمعتُ فى ذلك الغرض وألّفتُه، لَقرّتْ به عيونٌ وسُرّت ألباب، اذ هو والله الغايةُ فى هذا الباب، ولكنّ المرء ابنُ وقته وساعته، وكل ينفق على قدرِ وُسْعه واستطاعته، وعذرُ مثلى باد، للمُنصفين من العباد، ان قصّرتُ فيما تبصّرتُ، او تخلّفتُ فى الذى تكلّفتُ، او اضعتُ تحريرَ ما وضعتُ، وانتقمتُ ثدى التقصير ورضعتُ، او اطعتُ داعىَ التوانى فتأخّرتُ عمّن سبق وانقطعتُ، انْ أُريدُ الّا الاصلاحَ ما استطعتُ a، ومن كانت بضاعتُه مُزجاة، فهو عن الانصاف بِمَنْجاة، اذ اتى بالمقدور، وتبرّأ من المدعوى فى الورود والصدور، وعين الرضى عن كل عيب كليلة، والسلامة من الملامة متعذّرة او قليلة، وقد قال امامُنا مالك صاحب المذهب الجليلة، كلّ كلام يوخذ منه ويُرَدّ الّا كلام صاحب هذا القبر صلّعم ازكى صلاه وسلام. وشفى بجاهه من الآلام. قلوبَنا العليلة، وجعلنا ممّن كان اتّبع سُنّته رائدَه ودليله، آمين، والحمد لله الذى يسّر لى هذا القدر، مع ضيق الصدر، وقلّة بضاعتى، وكثرة اضاعتى، فانّ حمده جلّ جلالُه تتضوّع به المذاهبُ طيبا، وتقتضى ببركته المآربُ فيرقَى صاحبُها على منبر القبول خطيبا، وتعذب به المشاربُ، فتُنبت فى أرض القرطاس. من زاكى الغراس. ما يروق منظرا نضيرا ويُورِق غصنا رطيبا، وقد اتيتُ من المقال، بما يُقِرّ ان شاء الله عينَ وامق ويرغم انفَ قال، وان كنتُ

a) Voyez le *Korân*, sour. 11, vs. 90.

ممّن هو فى ثوب العىّ رافل، وعن نسبته للقصور غيرُ غافل،، وممّن جعلَ النفسَ هدفا، وصيّر مكانَ الدرّ صدفا،، اذ لسانُ الدين بن الخطيب امام هذه الفنون، المحقّق لذوى الآمال الظنونَ، المستخرج من بحر البلاغة دُرّها المكنون،، وله اليدُ الطُولَى فى العلوم على اختلاف اجناسها، والالفاظُ الرائقة التى تُزيح وحشةَ الانفس بإيناسها،،

ناهيك من فرد اغرّ ممدّحٍ	الذرى الكلام ممجّد a)
بهر الانامَ رياسةً وسياسةً	وجلالةً فى المنتمى والمقعد
واتى بكل بديعة فى نوعها	لم تُخترع وغريبة لم تُعهد
ما شئت من شعر ارقّ من الصبا	وكتابة ازهى من الزهر النَدى
5 وبديع فرنلاس توشّح متنُه	بمُنَمْنَم من رقمه ومنجّد
بهج كانَ الحسن حلّ اديمه	فكساه رَيْعانُ الشباب الأَغْيَد
وكانّما سلّ العذارُ عليه او	خطّته ايدى الغانيات باثمد
يختال بين موصّل ومفصّل	ومطرّز ومنـ م و ضد
كالبُرْد فى توشيعه والسلك فى	ترصيعه والوشى نُمّق باليد
قد قيّد الابصار والافكار من	الفاظه بمثقّف ومقيّد
ما فيه مَغْرِزُ اصبع الّا وفيه نتيجة لمفرّع ومولّد
ولكل جزء ح ة او مُلحة	او بدعة لمرسّل ومقصّد b)
أَوَليس مثلىْ قاصرا عن وصفه	والحقّ نور واضح للمهتدى

وكما قلتَ وقد عجزتَ عن اداء الواجب وحاولتُ المسنون، وفضلُ الله على من يشاء من عباده ليس بممنوع ولا ممنون،،

ليت شعرى اىّ العبارات توفى	واجبَ ابن الخطيب ممّا أَرومُ
وانا عاجز عن البعض منها	لقصورى وما العَيِىُّ ملومُ
وهو يُدْعَى لسانَ الدين وناهيك افتخارا به تتمّ الرسومُ
فبأىّ التحلّى أُحلّى على من	نال فضلا رَوْته عُرْبٌ وروم
5 وعلى الغرض ما الذى أَنتحى منه لدى الوصف ان يُخَصّ العمومُ
أَبحفظ قد ارتوى من مَعين	لصواب عليه كلٌّ يحوم

a) G. P. La. O. محسد.   b) La. O. والمقصد.

أمّ لفهم يستخرج الدرَّ غوصا — من بحار يخشى بها من يعومُ
ام لفكر مؤلّف في فنونٍ — عدّة ما به تُداوَى الكلومُ
ام لنظم كسلكه جوهر السلك علا قدرُه على من يسومُ
تتباهى به الصدورُ حُليًّا — وتروق العيونَ نجوم
ام لنثر وافى بسحر بيان — فهو كالروح والمعاني جسومُ
وأبلغه للبديع سماءٌ — تتلألأ في جانبيها العلومُ
فاستزادت منه النفوسُ رشادا — واستزانت منه النُهى والحلومُ
ام لخطّ منمنم فاق حسنا — مثل وشي تلوح الرقوم
او كزهر في بهجة ورُواء — واريج به تُزاح الغموم
والغصون الاقلام والطرس روض — ناضر والمداد غيث سَجُومُ
تلك ستّ[a] اعجزنَ وصفي فانّى — بسواها ممّا بحلّ اقومُ

ولم يكن جمعي عَلِمَ الله هذا التاليفَ لرِفْد استهديه، او غرض نائلٍ استجديه، بل لحقّ ودّ أؤدّيه، ودَيْن وعدٍ اقدّمه وأُبديه، ووقوفٍ عند حدّ لا يجوز تعدّيه، وتلبيةِ داعٍ احبّيه وافدّيه »

انّ من يرجو نوالا وندى — من بني الدنيا لَذو حظّ غبينْ
فلقد كان على غير الهُدَى — من يسوّيهم بربّ العالمينْ
ويرجّى منهم الرزقَ وهل — خالقُ الكلّ فقير او ضنينْ
أتخلّى قصدَ ربٍّ مالك — ونرى للخلق جهلا قاصدينْ
ما لنا من مُخْلِص نأتي به — غير جاه المصطفى الهادي الامينْ
سيّد الخلق العماد المرتجى — للمُلِمّات شفيع المُذْنبينْ
فعليه صلوات تنتحي — حضرةً حلّ بها في كلّ حينْ
والرضى من بعدُ عن اربعة — هم بحقّ امراء الـ
فيمينا أنّ من يهواهم — ليكونن من اصحاب اليمينْ
وسط جنّات تحيّيه بها — آنساتٌ قاصرات الطرف عِينْ
بقوارير لجيّن شُربه — واباريق وكاس من معينْ

a) S. La. O. اجيبه.

والذى شرّفهم يمنعنا   حُبّهم والكونَ معهم اجمعينْ

فدونك ايّها الناظر فى هذا الكتاب، المتجافى عن مذهب النقد والعتاب، كلمات سوانح، اختُلستْ مع اشتغال الجوانح، وتصادّ الامور المُوانع والموانح، والفاظًا بوارح، اقتُنصتْ بين اشغال الجوارح، وطُرَفًا أَسْمتُ الطَّرْفَ فى مرعاها وكانت هُمّلا غير سوارح، وتُحَفًا يحصل بها لناظره الامْتاع، ولا يَعْدّها من سَقَط المتاع المبتاع، ويلهج بها المرتاح ويتأنّس a المستوحشُ المرتاع، وبعد ان خمنتُ اتمامَ هذا التصنيف، وامعنتُ النظر فيما يحصل به التقريطُ لمسامعه والتشنيف، قسمتُه قسمَيْن، وكلّ منهما مستقلّ بالمطلوب فيصحّ أن يسمّيا باسمَيْن،

القسم الاوّل

فيما يتعلّق بالاندلس من الاخبار المُتْرَعة الاكواب، والانباء المنتحية صوبَ الصواب، الرافلة من الافادة فى سوابغ الاثواب، وفيه بحسب القصد والاقتصار، وتَحَرّى التوسّط فى بعض المواضع دون الاختصار، ثمانية b ابواب،

الباب الاول فى وصف جزيرة الاندلس وحسن هوائها، واعتدال مزاجها ووفور خيرها وكمالها واستوائها، واشتمالها على كثير من c المحاسن واحتوائها، وكرم نباتها الذى سقتْه سماء البركات من جنباتها، بنافع انوائها، وذكر بعض مآثرها المجلوّة الصور، وتعداد كثير ممّا لها من البلدان والكور، المستمدّة من اضوائها،

الباب الثانى فى القاء بلد الاندلس للمسلمين بالقياد، وفتحها على يدى موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد، وصيرورتها ميدانا لسبق الجياد، ومحطّ رحل الارتياء والارتياد، وما يتبع ذلك من خبر حصل بازديانه ازدياد، ونبا وصل اليه اعتيامٌ وتقرّر بمثله اعتياد،

الباب الثالث فى سرد بعض ما كان للدين بالاندلس من العزّ السامى العماد، والقهر للعدوّ فى الرواح والغدوّ والتحرّك والهُدُو d البالغ غاية الآماد، واعمال اهلها للجهاد بالجدّ والاجتهاد فى الجبال والوِهاد، الاسنّة e المُشْرَعة والسيوف المستلّة من الاغماد،

---

a) La. O. ويستانس.   b) S. La. O. من الابواب.   c) La. et O. ajoutent المنافع و.
d) G. الهدو, S. La. O. P. للهدو.   e) C'est ainsi qu'on lit dans S. Les autres man. portent بالاسنة.

الباب الرابع في ذكر قرطبة التي كانت الخلافة بمصرها للأعداء قاهرة، وجامعها الأموي ذي البدائع الباهية الباهرة، والإلماع بحضرتي الملك الزهراء الناصرية والعامرية الزاهرة، ووصف جملة من متنزهات تلك الاقطار ومصانعها ذات المحاسن الباطنة والظاهرة، وما يجر اليه شجون الحديث من امور تقضي بحسن ايرادها القرائح الوقادة والافكار الماهرة *

الباب الخامس في التعريف ببعض من رحل من الاندلسيين الى بلاد المشرق الزاكية العرار والبشام، ومدح جماعة من اولئك الاعلام، ذوي الالباب الراجحة والاحلام، لشامة وجنة الارض دمشق الشام، وما اقتضته المناسبة من كلام اعيانها وارباب بيانها، ذوي السودد والاحتشام، ومخاطباتهم للمؤلف الفقير حين حلّها عام ١٠٣٧ وشاهد برق فضلها المبين وشامَ *

الباب السادس في ذكر بعض الوافدين على الاندلس من اهل المشرق، المهتدين في قصدهم اليها بنور الهداية المضيء المشرق، والاكابر الذين حلّوا منها بحلولهم فيها الجيد والمفرق، وافتخروا برؤية قطرها المونق على المشئم والمعرق *

الباب السابع في نبذة مما منّ الله به على اهل الاندلس من توقد الاذهان، وبذلهم في اكتساب المعارف والمعالي ما عزّ او هانَ، وحوزهم في ميدان البراعة من قصب البراعة، خصل الرهان، وجملة من أجوبتهم الدالة على لوذعيتهم، واوصافهم المؤذنة بألمعيتهم، وغير ذلك من احوالهم، التي لها على فضلهم، اوضح برهان *

الباب الثامن في ذكر تغلّب العدو الكافر على الجزيرة بعد صرفه وجوه الكيد اليها، وتضريبه بين ملوكها ورؤسائها[a] بمكره، واستعماله في امرها حيل فكره، حتى استولى دمره الله عليها، ومحا منها التوحيد واسمه، وكتب على مشاهدها ومعاهدها وسمه، وقرّر مذهب التثليث، والرأي الخبيث، لديها، واستغاثة من بها بنظم والنثر، اهل ذلك العصر، من سائر الاقطار، حين تعذّرت بحصارها، مع قلّة حماتها وأنصارها، المآرب[b] والاوطار، وجد بها الاعداء من خلفها ومن بين يديها، اعاد الله اليها كلمة الاسلام، واقام فيها شريعة سيد الانام، عليه افضل الصلاة والسلام، ورفع يد الكفر عنها وعمّا حواليها، آمين *

a) Lm. O. وكبرائها. b) Lm. O. الاراب.

ولم أُخَلِّ بابا فى هذا القسم من كلام لسان الدين بن الخطيب وان قَلَّ، مع ان القسم الثانى بذلك كما ستقف عليه قد استقلَّ، وهذا آخر ما تعلّق بالقسم الأوّل، وعلى الله سبحانه المتّكل والمعوّل ٭

القسم الثانى

فى التعريف بلسان الدين بن الخطيب، وذكر انبائه التى يروق سماعها ويتأرّج نفحها ويطيب، وما يناسبها من احوال العلماء الافراد، والاعلام الذين اقتضى ذكرهم شجون الكلام والاستطراد، وفيه ايضا من الابواب ثمانية، موصلة الى جنّات ادب قطوفها دانية، وكلّ غصن منها رطيب ٭

الباب الاول فى اوّليّة لسان الدين وذكر اسلافه، الذين ورث عنهم المجدَ وارتضع دَرَّ أخْلافه، وما يناسب ذلك ممّا لا يذهب المصنّف الى خلافه ٭

الباب الثانى فى نشأته وترقّيه ووزارته وسعادته، ومساعدة الدهر له ثم قلْبه له ظهرَ المِجَنّ على عادته، فى مصافاته ومنافاته، وارتباكه فى شباكه، وما لقى من احَن الحاسد، ذى المذهب الفاسد، ومحَن الكائد المستأسد، وآفاته، وذكر قصوره وأمواله، وغير ذلك من احواله، فى تقلّباته عند ما قابله الزمانُ باهواله، فى بدئه واعادته الى وفاته ٭

الباب الثالث فى ذكر مشايخه الجلّة، هُداة الناس ونجوم الملّة، وما يتّصل بذلك من الاخبار الشافية للعِلّة، والمواعظ المُنْجِية من الاهواء المُضِلّة، والمُناسبات الواضحة البراهين والأدلّة ٭

الباب الرابع فى مُخاطَبات الملوك والاكابر الموجّهة الى حضرته العليّة، وثناء غير واحد من اهل عصره عليه، وصَرْف القاصدين وجوهَ التاميل اليه، واجتلائهم انوارَ رياسته الجليّة ٭

الباب الخامس فى ايراد جملة من نثره الذى عبق اريجُ البلاغة من نفحاته، ونظمه الذى تألّق نورُ البراعة من لمحاته وصفحاته، وما يتّصل به من بعض ازجاله وموشّحاته، ومُناسَبات رائقة من فنون الادب ومصطلحاته ٭

الباب السادس فى مصنّفاته فى الفنون، ومؤلّفاته المحقّقة للواقف عليها الآمالَ والظنونَ، وما كمّل منها، او اخترمتْه دون اتْمامه المَنُون ٭

الباب السابع فى ذكر بعض تلامذته الآخذين عنه المستدلّين به على المنهاج، المتلقّين انواعَ العلوم منه والمقتبسين انوارَ الفهوم من سراجه الوهّاج،

الباب الثامن فى ذكر اولاده الرافلين فى حُلَل الجلالة، المرقّين[a] اوصافه وخلاله، الوارثين العلمَ والحلم والرياسة والمجد[b] من غير كلالة، ووصيّته لهم الجامعة لآداب الدين والدنيا، المشتملة على النصائح الكافية، والحِكَم الشافية، من كل مرض بلا ثُنْيا، المُنقذة من انواع الضلالة، وما يتبع ذلك من المُناسَبات اللغويّة، والامداح النبويّة، التى لها على حسن الختام اظهَرُ دلالة،

وقد كنتُ اوّلا سمّيتُه بعَرْف الطِيب، فى التعريف بالوزير ابن الخطيب، ثم وسمته[c] حين الحقتُ اخبارَ الاندلس به بنفح الطيب، من غصن الاندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، وله بالشام تعلُّق من وجوه عديدة، هادية متمّمه الى الطُرُق السديدة، اوّلها انّ الداعى لتاليفه اهلُ الشام ابقى الله مآثرهم وجعلها على مرّ الزمان مديدة، والثانى انّ الفاتحين للاندلس هم اهلُ الشام ذوو الشوكة الحديدة، وثالثها انّ غالب اهل الاندلس من عرب الشام الذين اتّخذوا بالاندلس وطنا مستانفا وحضرة جديدة، ورابعها انّ غَرْناطة نزل بها اهلُ دمشق وسمّوها باسمها لشبهها بها فى القصر والنهر، والدوح والزهر، والغوطة الفيحاء وهذه مُناسبة قويّة العُرى شديدة، هذا وانّى اسأل من وقف عليه، ان ينظر بعين الاغضاء اليه، لما اطّلع ممّن كان السببَ فى تصنيفه، والداعِىَ الى تاليفه وترصيفه، استنادًا لرضى الثقة، واعتمادًا على الودّ والمقة، ان يصفح عمّا فيه من قصور ويسمح، ويلاحظه بعين الرضى الكليلة ويلمَح، اذ ركبتُ شكلَ منطقه والاشجانُ غالبة، وقضيّة الغربة موجبة للكربة، ولبعض الآمال سالبة، وهو وان لم يُوفِ بكلّ الغرض، فلا يخلو من فائدة قد يُستدَلّ على الجوهر بالعَرَض، فان ادّيتُ المفترَض وذاك المرامُ الذى ارتضيه، ويوجب الودّ ويقتضيه، والّا فحسبى ان بذلتُ به جهدى، وانفقتُ من وُجْدى، على قدرِ ما عندى، وقد توهّمتُ انّى لم اسبق الى مثله فى بابه، اذ لم أُلْفِ له على نظير اتّصل باسبابه، ورجوتُ ان يكون هديّة مستملَحة مستعذَبة، وتحفة مقبولة مستغرَبة،

---

a) G. المرتقين, La. O. المترقين. b) La. et O. ajoutent و النجدة. c) La. O. وسمته.

همّتی تقصر عن همّتی   وهمّتی اكثرُ من مالی
وخالصُ الودّ ومحضُ الاخا   اكثرُ ما يُهْدِيه أمْثالی

واوردتُ فيه من نظم وانْشا، ما يكفی المقتصرَ عليه ان شا، ومن اخبار ملوك ورؤسا، وطبقاتٍ من أحْسَنَ او أسا، ما فيه اعتبار للمتأمّل، وادّكار للراحل المتحمّل، وزينة للذاكر المتجمّل، وتنكيتٌ على اهل البطر، وتبكيتٌ لمن خرج من دنياه ولم يقضِ من الطاعة الوطر،

اری اولادَ آدم ابطرتْهم   حظوظُهم من الدنيا الدنيّةْ
فلِمْ بطِروا واوّلُهم مَنِیٌّ   اذا نُسبوا وآخرُهم منيّةْ

وفيه ايقاظ لمثلی من سِنَةِ الغفلة، وحثٌّ على عدم الاغترار بالمُهْلة، وتنبيه للابس بُرْد الشباب القشيب، انه لا بُدّ من حادث الموت قبلَ او بعد المشيب،

لله دَرُّ الشيب من واعظ   وناصحٍ منهاجُه واضحُ
كلُّ امْرِئٍ يُعْجِبه شانُه   وحادثُ الدهر له فاضحُ

فكم باكٍ على عصر الشباب، وشاكٍ لفراق عهد الصبا والاحباب، أنْساه طارقُ الزمان سُلَيْمَى والرَّباب،

مضى عصرُ الشباب كلمحِ برقٍ   وعصرُ الشيب بالاكدار شِيبَا
وما اعددتُ قبل الموت زادا   ليوم يجعل الولدانَ شِيبَا

وما احسن قولَ بعض الاعلام

مضى ما مضى من حُلْوِ عيش ومُرّه   كأن لم يكنْ الّا كأضْغاث أحْلامِ

وقول من ارشد سفيهًا

انّما هذه الحياة متاعٌ   فالجَهُول الجهول من يصطفيها
ما مضى فاتَ والمؤمّل غيبٌ   ولك الساعةُ التی انت فيها

وفی معناه لغيره

دنياك شيئانِ فانظُرْ   ما ذانك الشيئانِ
ما فاتَ منها فحُلْم   وما بقی فأمانی

وما احكم قولَ ابن حِطّان، مع وقوعه من البدعة فی اشطان a)،

ياسف المرء على ما فاته   من لبانات اذا لم يَقْضِها
وتراه ضاحكا مستبشرا   بالتی امضی كأن لم يُمْضِها
انّها عندی كأحْلام الكَرَى   لَقريبٌ بعضُها من بعضِها

a) Voyez Ibn-Khallikān, édit. Wüstenfeld, n°. 179.

ولغيره والله لو كانت الدنيا باجمعها تبقى علينا ويأتى رزقها رَغَدا
ما كان من حق حُرٍّ ان يذلّ لها فكيف وهى متاع يضمحلّ غدا

ولآخر لا حظّ فى الدنيا لمستبصر يلمحها بالفكرة الباصرةْ
ان كدّرتْ مشربه مَلّها وان صفتْ كدّرت الآخرةْ

ويُعجبنى قول الوزير ابن المغربى
انّى ابثّك من حديثى والحديث له شجونْ فارقت موضع مرقدى
ليلا ففارقنى السكونْ قُلْ لى فاوّل ليلة للقبر كيف ترى اكونْ

وقول ماميه تأمّلْ فى الوجود بعين فكر ترَ الدنيا الدنيّة كالخيال
ومن فيها جميعا سوف يفنى ويبقى وجهُ ربّك ذى الجلال

وقول بعض العارفين استعدّى يا نفس للموت واَسْعَىْ لنجاة فالحازم المستعدْ
قد تبيّنتِ انّه ليس للحىّ خلودٌ وما من الموت بُدّْ
انّما انتِ مستعيرةٌ ما سو ف تردّين والعوارى تردُّ
انتِ تسهين والحوادث لا تسـهو وتلهين والمنايا تجدُّ
اىُّ ملك فى الارض او اىُّ حظّ لامرئٍ حظّه من الارض لحدْ
لا ترجّى البقاء فى معدن المو ت ودارٍ حتوفها لك وِرْدْ
كيف يرجو اَمْرُؤٌ لذاذة ايّا م عليه الانفاس فيها تُعَدّْ .

واسأل من بلّغ السائلين ما يرجون، ان يصفح عن زلّاتى ويسامحنى فيما اوردتُه فى هذا الكتاب من الهزل والمجون، الذى جرّت المناسبةُ اليه والحديثُ شجون، وما اقصد منه الّا ترويح قلوب الذين يسوقون عيش الأسمار ويُزْجُون، وفيما اوردتُ من المواعظ والنصائح، وحكايات الاولياء الذين تطيب زهر مناقبهم فائح، والتوسّل بمحاسن الامداح النبويّة ان يستر بفضله سبحانه القبائح، ويرينا وجهَ القبول بلا كلح، ويمنحنا الزلفى وحسن الختم.. ومن يتوسّل بنبيّ محمد شفيع البرايا السيّد السند الأسنى
لداك جدير ان يُغفَر ذنبه ويُمْنَحَ نيلَ القصد والختمَ بالحُسنى

وهذا اوانُ الشروع، فى الاصول من هذا الكتاب والفروع، وعلى الله اعتمد، ومن معونته استمدّ.

---

1) S. et P. portent مميّة, Lu. et O. ماميه.

القسم الاوّل

فيما يتعلّق بالاندلس من الاخبار المُتْرَعة الاكواب، والانباء المنتحية صوبَ الصواب، الرافلة من الافادة فى سوابغ الاثواب، وفيه بحسب القصد والاقتصار، وتحرّى التوسّط فى بعض المواضع دون الاختصار، ثمانية ابواب ٭،

الباب الاوّل

فى وصف جزيرة الاندلس وحسن هوائها، واعتدال مزاجها ووفور خيراتها واستوائها، واشتمالها على كثير من المحاسن واحتوائها، وكرم بقعتها التى سقتْها سماء البركات بنافع انوائها، وذكر بعض مآثرها ه المجلوّة الصور، وتعداد كثير ممّا لها من البلدان والكور، المستمدّة من اضوائها ٭

فاقول محاسن الاندلس لا تُستوفى بعبارة، ومُجارى فضلها لا يشقّ غباره، وأنّى تُجارَى وهى الحائزة قصبَ السبق، فى اقطار الغرب والشرق، قال ابن سعيد انما سُمّيت باندلس ٥ بن طوبال بن يافث بن نوح لانه نزلها كما ان اخاه سبت بن يافث نزل العدوةَ المقابلة لها واليه تُنْسَب سَبْتة قال واهل الاندلس يحافظون على قوام اللسان العربى لانهم امّا عرب او متعرّبون انتهى، وقال ابن غالب انه اندلس بن يافث والله اعلم، وقال الوزير لسان الدين بن الخطيب رحمه تع فى بعض كلام له اجرى فيه ذكر البلاد الاندلسيّة اعادها الله للاسلام، ببركة المصطفى عليه من الله افضل الصلاة وازكى السلام، ما نصّه خصّ الله بلاد الاندلس من الربيع وغدق السقى ولذاذة الاقوات وفراهة الحيوان ودرور الفواكه وكثرة المياه وتبحّر العمران وجودة اللباس وشرف الآنية وكثرة السلاح وصحّة الهواء وابيضاض الوان الانسان ونُبْل الاذهان وقبول الصنائع وشهامة الطباع ونفوذ الإدراك وإحكام التمدّن

a) La. O. منافعها. b) S. La. O. بالاندلس.

والاعتبار، بما حَرِمَه الكثيرُ من الاقطار، مثّا سواء انتهى، قال ابو عامر السّلمي في كتابه المسمّى بدُرَر القلائد، وغُرَر الفوائد،، الاندلس من الاقليم الشامي وهو خير الاقاليم واعدلها هواء وترابا واعذبها ماء واطيبها هواء وحيوانا ونباتا وهو اوسط الاقاليم وخير الامور اوسطُها انتهى، قال ابو عُبَيْد البكرى الاندلس شامية في طيبها وهوائها يمانية في اعتدالها واستوائها هندية في عطرها وذكائها أهوازيّة في عظم جباتها صينيّة في جواهر معادنها عَدَنيّة في منافع سواحلها فيها آثار عظيمة لليونانيين اهل الحكمة وحاملى الفلسفة وكان من ملوكهم الذين اثّروا الآثار بالاندلس هِرقلس وله الاثر في الصنم بجزيرة قادس وصنم جلّيقية والاثر في مدينة طَرَّكُونة الذى لا نظيرَ له، قال المسعودى بلاد الاندلس تكون مسيرةُ عشرها ومدنها نحو شهرين ولهم من المدن الموصوفة نحوٌ من ٤٠ مدينة انتهى باختصار، ونحوه لابن اليَسَع اذ قال طولها من اربونة ١ الى أشبونة وهو مسيرُ ٦٠ يوما للفارس المُجِدّ وانتقد بامرين احدهما انه بعضهم ان اربونة داخلة في جزيرة الاندلس والصحيح انها خارجة عنها والثاني ان قوله ٦٠ يوما للفارس المجدّ اغياء وافراط وقد قال جماعة انها شهر ونصف، قال ابن سعيد وهذا يقرب اذا لم يكن للفارس المجدّ والصحيح ما نصّ عليه الشريف من انها مسيرة شهر وكذا قال الحجارى وقد سالتُ المسافرين المحقّقين عن ذلك فعملوا حسابا بالمراحل المجيّدة أفضى الى نحو شهر بنيّف قليل قال الحجارى في موضع من كتابه ان طول الاندلس من الحاجز الى الاشبونة الف ميل ونيف انتهى، وبالجملة فالمراد التقريب من غير مُشاححة كما قاله ابن سعيد واطال في ذلك ثم قال بعد كلام ومسافة الحاجز الذى بين بحر الزقاق والبحر المحيط ٤٠ ميلا وهذا عرض الاندلس عند راسها من جهة الشرق وبقلّته سُمّيت جزيرةً والّا فليست بجزيرة على الحقيقة لاتصال هذا القدر بالارض الكبيرة وعرض جزيرة الاندلس في موسّطها عند طُلَيْطُلة ١٧ يوما واتفقوا على ان جزيرة الاندلس مثلّثة الشكل واختلفوا في الركن الذى في الشرق والجنوب في حيّز اربونة فمن قال انه في اربونة وان هذه المدينة تقابلها مدينة بُرْذيل التى في الركن الشرقى الشمالى احمد بن محمد الرازى وابن حيّان وفي كلام غيرهما انه في جهة اربونة وحقّق الامرَ الشريفُ وهو اعرفُ بتلك

---

1) Les man. portent ici, comme presque toujours, اربونة.

الجهة لتردّده فى الاسفار برًّا وبحرًا اليها وتفرّغه لهذا الفنّ، قال ابن سعيد وسالتُ جماعة من علماء هذا الشان فاخبرونى ان الصحيح ما ذهب اليه الشريف وان اربونة وبرشلونة غير داخلتين فى ارض الاندلس وان الركن المُوفى على بحر الزقاق بالمشرق بين برشلونة وطرّكونة فى موضع يعرف بوادى زنلقلطو[a] وهناك الحاجز الذى يفصل بين الاندلس والارض الكبيرة ذات الالسن الكثيرة وفى هذا المكان جبل البُرْت الفاصل فى الحاجز المذكور وفيه الابواب التى فتحها ملك اليونانيين بالحديد والنار والخلّ ولم يكن للاندلس من الارض الكبيرة قبل ذلك طريق فى البرّ وذكر الشريف ان هذه الابواب يقع فى مقابلتها فى بحر الزقاق البحرُ الذى بين جزيرتَىْ مَيُورقة ومَنُورقة وقد اخبر بذلك جمهورُ المسافرين لتلك الناحية ومسافةُ هذا الجبل الحاجز بين الركن الجنوبى الى الركن الشمالى ۴۰ ميلا قال وشمال الركن المذكور عند مدينة برذيل وهى من مدن الافرنجة مُطلّة على البحر المحيط فى شمالىّ الاندلس قال وينقطع البرّ بعد تميّز هذا الركن الى الشمال فى بلاد الافرنجة ولهم به جزائر كثيرة وذكر ان الركن الثانى عند شَنْت ياقوه[b] من ساحل الجلالقة فى شمال الاندلس الغربى حيث تبتدئ جزيرةُ برطانية الكبيرة فيتصوّر هنالك بحر داخل بين ارضين من الناس مَنْ يجعله بحرا منفردا خارجا من البحر المحيط لطوله الى الركن المتقدّم الذكر عند مدينة برذيل وذكر الشريف ان عند شنت ياقوه فى هذا الركن المذكور على جبل بمجمع البحرين صنما مثلًا مشبهًا بصنم قادس والركن الثالث بمقربة من جبل الاغر[c] حيث صنم قادس والجبل المذكور يدخل من غربه مع جنوبه بحرُ الزقاق من البحر المحيط مارًّا مع ساحل الاندلس الجنوبى الى جبل البرت المذكور انتهى والكلام فى مثل هذا طويل الذيل، قال الشيخ احمد بن محمد بن موسى الرازى بلد الاندلس هو آخر الاقليم الرابع الى المغرب وهو عند الحكماء بلد كريم البقعة طيّب التربة خصب الجناب، منبجس بالانهار[d] الغزار والعيون العذاب،

a) S. زنلقطلو, La. O. زنلقطوا. Je crois qu'on doit lire ربلقاطو (*Rubricatus*, *Llobregat*).
b) P. شانت, La. O. يانت, G. بابت, S. بلمادة (*sic*). c) C'est ainsi qu'on doit lire (*Trafalgar* = طرف الاغر); comparez Ibn-Haukal, man. de Leyde, p. 63: المكان المعروف باشبرتال وهو جبل عال — ويحاذيه من عدوة الاندلس الجبل الاغر. G. La. O. الاغن, S. P. الاعن.
d) S. et La. portent الانهار.

قليل الهوامّ ذوات السموم، معتدل الهواء والجوّ والنسيم، ربيعه وخريفه، ومشتاه ومصيفه،
على قدر من الاعتدال، وبحظّ من الحال، لا يتولّد في احدها فصل، يتولّد منه في
ما يتلوه انتقاص تتّصل فواكهه اكثر الازمنة وتدوم متلاحقة غير مفقودة امّا الساحل
منه ونواحيه فتبادر بباكوره وامّا الثغر وجهاته والجبال المخصوصة ببرد الهواء فتتأخّر
بالكثير من ثمره فمادّة الخيرات بالبلد متمادية في كل الاحيان وفواكهه على الجملة
غيرُ معدومة في كل اوان وله خواصّ في كرم النبات يُوافق في بعضها ارض الهند
المخصوصة بجواهر الانبات منها ان المحلب وهو المقدّم في الافاويه والمفضّل في انواع
الافشان لا ينبت بشيء من الارض الا بالهند والاندلس وللاندلس المدن الحصينة
والمعاقل المنيعة والقلاع الحربية والمصانع الجليلة ولها البرُّ والبحر والسهل والوعر وشكلها
مثلّث وهي معتمدة على ثلاثة اركان الاول هو الموضع الذي فيه صنم قادس المشهور
بالاندلس ومنه مخرج البحر المتوسّط الشامي الآخذ بقبليّ الاندلس والركن الثاني
هو بشرقيّ الاندلس بين مدينة نربونة ومدينة برذيل ممّا بايدي الفرنجة اليوم بازاء
جزيرتيْ ميورقة ومنورقة بمجاورة من البحرين البحرِ المحيط والبحرِ المتوسّط وبينهما
البرُّ الذي يعرف بالابواب وهو المدخل الى بلد الاندلس من الارض الكبيرة على بلد
افرنجة ومسافته بين البحرين مسيرةُ يومين ومدينة نربونة تقابل البحرَ المحيط
والركن الثالث منها هو ما بين الجوف والغرب من حيّز جلّيقية حيث الجبل المُوفي
على البحر وفيه الصنم العالي المشبه بصنم قادس وهو الطالع على بلد برطانية وبلد
الاندلس اندلسانِ في اختلاف هبوب رياحها ومواقع امطارها وجَرَيان انهارها اندلس
غربيّ واندلس شرقيّ فالغربي منها ما جرتْ اوديتُه الى البحر المحيط الغربي وبمطره
بالرياح الغربية ومبتدأ هذا الحوز من ناحية المشرق مع المفازة الخارجة مع الجوف
الى بلد شنتمرية منحرفًا الى أغرينة المجاورة لطليطلة مائلًا الى الغرب ومجاورًا للبحر
المتوسّط الموازي لقرطاجنة الحلفاء التي من بلد لُورقة والحوز الشرقيّ المعروف
بالاندلس الاقصى ومجرى اوديته الى الشرق وامطاره بالرياح الشرقيّة وهو من حدّ جبل
البشكنس هابطًا مع وادي أبْرُه الى بلد شنتمرية * ومن جوف هذا البحر وغربه المحيط

a) Telle est la leçon du man. P. Les autres man. portent فصل. b) Les man. portent فمباذر. c) G. P. La. O. فيتاخر. d) Les man. portent بربونة. e) Même remarque. f) Les man. portent بريح. g) Les man. portent وتمطر. h) G. P. اغرينة. i) G. P. O. الحلف

وفى القبلة منه البحر الغربى a الذى منه يجرى البحرُ المتوسط الخارج الى بلد الشام وهو البحر المسمّى ببحر تيران وجعله الذى يشقّ دائرةَ الارض ويسمّى البحر الكبير انتهى، قال ابو بكر عُبد الله بن عبد الحكم المعروف بابن النّظّام بلد الاندلس عند علماء اهله اندلسانِ فالاندلس الشرقى منه ما صبّتْ اوديتُه الى البحر الرومى المتوسّط المتصاعد من اسفل ارض الاندلس الى المشرق وذلك ما بين جزيرة تُدْمِير الى سرقسطة والاندلس الغربى ما صبّتْ اوديتُه الى البحرِ الكبير المعروف بالمحيط اسفلَ ذلك الحدّ الى ساحل المغرب فالشرقىّ منهما يُمْطَر بالريح الشرقيّة ويَصْلُح عليها والغربى يمطر بالريح الغربيّة وبها صلاحُه وجباله هابطة الى الغرب جبلًا بعد جبل وانما قسمتْه الاوائلُ جزئَيْن لاختلافهما فى حال امطارهما وذلك انه مهما استحكمت الريحُ الغربيّة كثر مطرُ الاندلس الغربى وقحط الاندلس الشرقى ومتى استحكمت الريحُ الشرقيّة مُطِرَ الاندلس الشرقى وقحط الغربى واوديةُ هذا القسم تجرى من الشرق الى الغرب بين هذه الجبال وجبال الاندلس الشرقى b تمتدّ الى الشرق جبلًا بعد جبل تنقطع من الجوف الى القبلة والاوديةُ التى تخرج من تلك الجبال يقطع بعضُها الى القبلة وبعضها الى الشرق وتنصبُّ كلها الى البحر المتوسّط للاندلس القاطع الى الشام وهو البحر الرومى وما كان من بلاد جوفىّ الاندلس من بلاد جلّيقية وما يليها فانّ اوديته تنصبّ الى البحرِ الكبير المحيط بناحية الجوف وصفة الاندلس شكل مركّن على مثال الشكل المثلّث ركنُها الواحد فيما بين الجنوب والمغرب حيث اجتماع البحرين عند صنم قادس وركنُها الثانى فى بلد جلّيقية حيث الصنم المشبه بصنمَ قادس مقابلَ جزيرة برطانية وركنُها الثلث بين مدينة نربونة c ومدينة برذيل من بلد الفرنجة بحيث يقرب البحرُ المحيط من البحر الشامى المتوسّط فيكاد ان يجتمعا فى ذلك الموضع فيصير بلد الاندلس جزيرةً بينهما فى الحقيقة لولا انه يبقى بينهما برزخٌ بريّة صحراء وعمارة مسافةَ مسيرة يوم للراكب منه المدخلُ الى الارض الكبيرة التى يقال لها الابواب ومن قِبَله يتّصل بلدُ الاندلس بتلك البلاد المعروفة بالارض الكبيرة ذات الالسنة d المختلفة قال واوّل مَنْ سكن الاندلس على قديم الايام فيما نقلتْه الاخباريّون من بعد عهد الطوفان على ما يذكره علماء عجمها قومٌ يُعْرَفون

a) Ce passage est evidemment altéré. b) Les man. portent الغربى. c) Les man. portent بربونة. d) S. La. الالسن.

بالاندلش معجمة الشين بهم "مُلْتَقِ" المكانُ فعُرّب فيما بعدُ بالسين غير المعجمة كانوا الذين عمروها وتناسلوا فيها وتداولوا ملكها دهرا على دين التمجّس والاهمال والافساد في الارض ثم اخذهم الله بذنوبهم فحبس المطر عنهم ووالى القحط عليهم واعطش بلادهم حتى نضبت مياهُها وغارت عيونُها ويبست انهارُها وبادت اشجارُها فهلك اكثرهم وفرّ مَنْ قدر على الفرار منهم فاقْفرت الاندلسُ منهم وبقيت خاليةً فيما يزعمون مائةَ سنة وذلك من حدّ بلد الفرنجة الى حدّ بحر الغرب الاخضر وكان عدّة ما عمرتْها هذه الامّة البائدة مائة عام وبضع عشرة سنة ثم ابتعث الله بعمارتها الأفارقة فدخل اليها بعد اقفارها تلك المدّةَ الطويلة قومٌ منهم اجلاهم ملكُ افريقية تخففا منهم لامحال توالى على اهل مملكته وتردّد عليهم حتى كاد يُفْنيهم فحمل منهم خلقا في السفن مع قائد من قِبَله يدعى ابطريقس فأرْسَوْا بريف الاندلس الغربى واحتلّوا بجزيرة قادس فاصابوا الاندلس قد مُطِرت وأخْصَبت فجرت انهارُها وانفجرت عيونُها وحييت اشجارُها فنزلوا الاندلس مغتبطين وسكنوها معتمرين وتوالدوا فيها فكثروا واستوسعوا في عمارة الارض ما بين الساحل الذى ارسوا فيه بغربيّها الى بلد الافرنجة من شرقيّها ونصبوا من انفسهم ملوكا عليهم ضبطوا امرهم وتوالوا على اقامة دولتهم وهم مع ذلك على ديانة مَنْ قبلهم من الجاهلية وكانت دارُ مملكتهم طالقة الخراب اليومَ من ارض اشبيلية اخترعها ملوكُهم وسكنوها فتنسّق ملكُهم بالاندلس ١٥٧ عاما الى ان اهلكهم الله تع ونسخهم بعجم رُومة بعد ان ملك من هؤلاء الافارقة في مدّتهم تلك ١١ ملكا ثم صار ملكُ الاندلس بعدهم الى عجم رومة وملكهم اشبان بن طيطش وباسمه سُمّيت الاندلس اسبانية وذكر بعضهم ان اسمه اصبهان فأُحيلَ بلسان العجم وقيل بل كان مولده باصبهان فغلب اسمُها عليه وهو الذى بنى اشبيلية وكان اشبانية اسما خاصا لبلد اشبيلية الذى كان يسكنه اشبان هذا ثم غلب الاسمُ بعده على الاندلس كله فالعجم الى الآن يسمّونه اشبانية لآثار اشبان هذا فيه وكان احد الملوك الذين ملكوا اقطار الدنيا فيما زعموا وكان غزا الافارقة عند ما سلّطه الله عليهم في جموعه ففضّ عساكرهم واثخن فيهم ونزل عليهم بقادس فتاتلهم وقد تحصّنوا فيها منه فابتنى عليهم مدينة اشبيلية اليومَ واتّصل حصرُه ومقامه فيه حتى فتحها الله عليهم وغلبهم[1] واستوت له مملكة

---

[1] G. وعليه, P. وعلبهم.

الاندلس بأسْرها ودان له مَنْ فيها فهدم مدينة طالقة ونقل رخامها وآلاتها الى مدينة اشبيلية فاستتمّ بناءها واتّخذها دار مملكته واستغلظ سلطانه فى الارض وكثرت جموعه فعلا وعظم عتوّه ثم غزا ايليا من اشبيلية بعد سنتين من ملكه خرج اليها فى السُفُن فغنمها وهدمها وقتل فيها من اليهود مائة الف واسترقّ مائة الف وانتقل رخام ايليا وآلاتها الى الاندلس وقهر الاعداء واشتدّ سلطانه انتهى، وذكر بعض المؤرّخين ان الغرائب التى أُصيبت فى مغانم الاندلس ايامَ فتحها كمائدة سليمن عمّ التى الفاها طارقُ بن زياد بكنيسة طليطلة وقليلة a الدرّ التى الفاها موسى بن نصير بكنيسة ماردة وغيرها من طرائف الذخائر انما كانت ممّا صار لصاحب الاندلس من غنيمة بيت المقدس اذ حضر فتحها مع بُخْت نصّر وكان اسم ذلك الملك بريان وفى سهمه وقع ذلك ومثله ممّا كانت الجنّ تاتى به نبىَّ الله سليمن على نبيّنا وعليه وعلى جميع الانبياء الصلاة والسلام انتهى، وقال غير واحد من المؤرّخين كان اهل الغرب الاقصى يضرّون باهل الاندلس لاتّصال الارض ويلْقون منهم الجهدَ الجهيد فى كل وقت الى ان اجتاز بهم الاسكندرُ فشكوا حالَهم اليه فاحضر المهندسين وحضر الى الزقاق فامر المهندسين بوزن سطح الماء من المحيط والبحر الشامى فوجدوا المحيط يعلو البحرَ الشامى بشىء يسير فامر برفع البلاد التى على ساحل البحر الشامى ونقلها من الحضيض الى الاعلى ثم امر بحفرِ ما بين طَنْجة وبلاد الاندلس من الارض فحُفرت حتى ظهرت الجبالُ السفليّة وبنى عليها رصيفا بالحجر والجيّار بناء مُحْكَما وجعل طولَه ١٢ ميلا وهى المسافة التى كانت بين البحرين وبنى رصيفا آخر يقابله مِن ناحية طنجة وجعل بين الرصيفين سعةَ ٦ اميال فلما كمل الرصيفان حفر من جهة البحر الاعظم وانطلق فَمَ الماء بين الرصيفين فدخل فى البحر الشامى ثم فاض ماؤه فاغرق مُدُنا كثيرة واهلك أُمَما عظيمة كانت على الشطّيْن وطغا الماء على الرصيفين ١١ قامةً فامّا الرصيف الذى يلى بلادَ الاندلس فانه يظهر فى بعض الاوقات اذا نقص الماء ظهورا بيّنا مستقيما على خطّ واحد واهل الجزيرتين يسمّونه القنطرة وامّا الرصيف من جهة العدوة فان الماء حمله فى صدره واحتفر ما خلفه من الارض ١٢ ميلا وعلى طرفه من جهة المغرب قصْرُ الجواز وسَبْتة وطَنْجة وعلى طرفه من الناحية الاخرى جبلُ طارق

a) J'ignore ce que signifie ici le mot قليلة. L. porte قليدة.

ابن زياد وجزيرة طريف وغيرهما والجزيرة الخضراء وبين سبتة والجزيرة الخضراء عرض البحر انتهى ملخصا وقد تكرّر بعضه مع ما جلبناه والعذر بيّن لارتباط الكلام بعضه ببعض، وقال ابن سعيد ذكر الشريف ان لا حظّ لارض الاندلس فى الاقليم الثالث قال ويمرّ بجزيرة الاندلس من الاقاليم الرابعُ على ساحلها الجنوبى وما قارَبَه من قرطبة واشبيلية ومُرْسية وبَلَنْسية ثم يمرّ على جزيرة صقلّية وعلى ما فى سمْتها من الجزائر والشمس مدبّرة له والاقليم الخامس يمرّ على طليطلة وسَرَقُسْطة وما فى سمتهما الى بلاد أرْغون التى فى جنوبها برشلونة ثم يمرّ على رومية وبلادها ويشقّ بحر البنادقة ثم يمرّ على القسطنطينية ومدبّرته الزُهَرة والسادس يمرّ على ساحل الاندلس الشمالىّ الذى على البحر المحيط وما قارَبَه وبعض البلاد الداخلة فى قشتالة وبُرْتُقال وما فى سمتها وعلى بلاد بُرْجان والصقالبة والرُوس ومدبّره عطارد ويمرّ الاقليم السابع فى البحر المحيط الذى فى شمال الاندلس الى جزيرة انقلطرة وغيرها من الجزائر وما فى سمتها من بلاد الصقالبة وبرجان قال البَيْهَقى وفيه تقع جزيرة تُولى وجزيرتا الرجال والنساء وبعض بلاد الروس الداخلة فى الشمال والبُلْغار ومدبّره القمر انتهى، وقال بعض العلماء ان النصارى حُرِموا جنّة الآخرة فاعطاهم الله جنّة الدنيا بستانا متّصلا من البحر المحيط بالاندلس الى خليج القسطنطينية وعندهم عمومُ شاه بلّوط والبندق والجوز والفستق وغير ذلك ممّا يكون اكثرَ وامكنَ فى الاقاليم الباردة والتمر عندهم معدوم وكذا الموز وقصب السكّر وربّما يكون شىء من ذلك فى الساحل لان هواء البحر يَدْفَى انتهى،

قال ابن حيّان فى المقتبس ذكر رُواةُ العجم ان الخضِر عم وقف باشبان المذكور وهو يحرث الارض بفدّان له ايامَ حراثته فقال له يا اشبان، انك لذو شان، وسوف يُحْظيك زمان، ويُعْليك سلطان، فاذا انت غلبتَ على ايليا فارفق بذرّيّة الانبياء فقال له اشبان أساخرٌ بى رحمك الله أنّى يكون هذا منّى وانا ضعيف ممتهن حقير فقير ليس مثلى ينال السلطان فقال له قد قدّر ذلك فيك من قدّر فى عصاك اليابسة ما تراه فنظر اشبان الى عصاه فاذا بها قد اورقت فريع لما رأى من الآية وذهب الخضرُ عنه وقد وقع الكلامُ بخلده ووقرت فى نفسه الثقةُ بكونه فترك الامتهان من وقته وداخَلَ الناسَ وصحب اهلَ الباسِ منهم وسما به جدّه فارتقى

a) Les man. portent انقلطرة. b) Les man. portent بفدن. c) Le mot بى ne se trouve que dans le man. La. d) S. ajoute صحيحة.

فى طلب السلطان حتى ادرك منه عظيما وكان منه ما كان ثم اتى عليه ما اتى على القرون قبله وكان ملكه كلّه ٢٠ سنة وتمادى ملكُ الاشبانيّين بعده الى ان ملك منهم الاندلسَ ٥٥ ملكا ثم دخل على هؤلاء الاشبانيين a من عاجم رومة امّةٌ يُدْعَون البشتولقات وملكهم طلويش b بن بيطه وذلك زمنَ بعث المسيح بن مريم عمّ اتوا الاندلسَ من قِبَل رومة وكانوا يملكون افرنجة معها ويبعثون عُمّالَهم عليها فاتّخذوا دارَ مملكتهم بالاندلس مدينة مارِدة واستولوا على مملكة الاندلس واتّصل ملكُهم لها مدّةً الى ان ملك منهم ٢٧ ملكا ثم دخل على هؤلاء البشتولقات امّةُ القوط مع ملك لهم فغلبوا على الاندلس واقتطعوها من يومئذ عن صاحب رومة وتفرّدوا بسلطانهم واتّخذوا مدينة طليطلة دارَ مملكتهم واقرّوا بها سرير ملكهم فبقى باشبيلية عَلَمُ الاشبانيّين ورياسة اوّليّتهم وقد كان عيسى المسيح عمّ بعث الحواريّين فى الارض يدعون الخلق الى ديانته فاختلف الناسُ عليهم وقتلوا بعضهم واستجاب لهم كثير منهم كان من اسرعهم اجابةً لمن جاءه من هؤلاء الحواريّين خشندش ملك القوط فتنصّر ودعا قومه الى النصرانية وكان من صميم اعاظمهم وخيرِ مَنْ تنصّر من ملوكهم اجمعوا على انه لم يكن فيهم اعدل منه حكما ولا ارشد رأيًا ولا احسن سيرةً ولا اجود تدبيرا . فكان الذى اصّل النصرانيةَ فى مملكته ومضى اهلُها على سنّته الى اليوم وحكموا بها والانجيلاتُ فى المصاحف الاربعة التى يختلفون فيها من انتساخه وجمعه وتثقيفه فتناسقتْ ملوك القوط بالاندلس بعده الى ان غلبتْهم العربُ عليها واظهر الله دينَ الاسلام على جميع الاديان فوقع فى تواريخ العجم القديمة ان عدّة ملوك هؤلاء القوط بالاندلس من عهد اتاناوينوس الذى ملك فى السنة الخامسة من مملكة فلبش القيصرى لمضىّ اربعمائة وسبع من تاريخ الصفر المشهور عند العجم الى عهد لُذْريق آخرهم الذى ملك فى السنة التاسعة والاربعين وسبعمائة من تاريخ الصفر وهو الذى دخلت عليه العربُ فازالت دولةَ القوط ٣٦ ملكا وأنّ مدّة ايام ملكهم بالاندلس ٣٤٢ سنةً انتهى، وقال جماعة ان القوط غير البشتولقات وان البشتولقات من عاجم رومة وانهم جعلوا دارَ ملكهم ماردةَ * واتّصل ملكهم c الى ان ملك منهم ٢٧ ملكا ثم دخل عليهم القوطُ واتّخذوا طليطلة دارَ مملكة ثم ذكر تنصُّر ملكهم خشندش مثل ما تقدّم

a) Au lieu de ce mot, qui manque dans La. et O., les trois autres man. portent الاشبان.
b) S. La. طلويش, O. طوبش. c) Ces mots ne se trouvent que dans le man. P.

ثم ذكر ان عدد ملوك القوط ٣٩ ملكا وذكر الرازى ان القوط من ولد ياجوج بن يافث بن نوح وقبل غير ذلك انتهى، وقال الرازى فى موضع آخر نحو ما تقدّم وزيادة ونصّه ان الاندلس فى آخر الاقليم الرابع من الاقاليم السبعة التى هى رُبْع معمور الدنيا فهى موسطة من البلدان كريمة البقعة بطبع الخلقة طيّبة التربة مُخْصِبة القاعة منبجسة العيون الثرار منفجرة بالانهار[a] الغزار قليلة الهوامّ ذوات السموم معتدلة الهواء اكثر الازمان لا يزيد قيظها[b] زيادةً مُنْكَرة تضرّ بالابدان وكذا سائرُ فصولها فى اعمّ سنيها تالى[c] على قدر من الاعتدال وتوسُّط من الحال وفواكهها تتّصل طولَ الزمان فلا تكاد تُعْدَم لان الساحل ونواحيه تبادر بباكورها[d] كما ان الثغر وجهاته والجبال التى يخصّها بردُ الهواء وكثافةُ الجوّ تستاخر بما فيها من ذلك حتى يكاد طرفا فاكهتها يلتقيان فمادّة الخيرات فيها متّصلة كلَّ اوان ومن بحرها بجهة الغرب يخرج العنبر الجيّد المقدَّم على اجناسه فى الطيب والصبر على النار وبها شجر المحلب المعدود فى الافاويه المقدّم فى انواع الاشنان كثيرٌ واسع وقد زعموا انه لا يكون الا بالهند وبها فقط ولها خواصّ نباتيّة يكثر تعدادُها انتهى، وقد ذكر غيره تفصيلَ بعض ذلك فقال يوجد فى ناحية دِلاية من اقليم البشرة عودُ الالنجوج لا يفوقه[e] العودُ الهندى ذكاء وعطرَ رائحة وقد سِيقَ منه الى خَيْران الصقلبى صاحب المريّة اصل كان منبتُه بين احجار هنالك وباكْشُونُبة جبل كثيرًا ما يتضوّع ريحُه ريحَ العود الذكىّ اذا ارسلت فيه النار وببحر شَذُونة يوجد العنبر الطيّب الغربى وفى جبل مُنْت لَيُون المحلب ويوجد بالاندلس القُسْط الطيّب والسنبل الطيّب والجنطيانة تُحمل من الاندلس الى جميع الآفاق وهو عقّار رفيع والمرّ الطيّب بقلعة ايّوب واطيب كَهْرَبا الارض بشذونة درهمٌ منه يعدل دراهمَ من المجلوبة واطيب القرمز قرمزُ الاندلس واكثر ما يكون بنواحى اشبيلية ونبلة وشذونة وبَلَنْسية ومن الاندلس يحمل الى الآفاق وبناحية نُورقة من عمل تُدْمير يكون حجر اللازورد الجيّد وقد يوجد فى غيرها وعلى مقربة من حصن نورقة[f] من عمل قرطبة معدن البلّور وقد يوجد بجبل شحيران[g] وهو شرقىّ بيرة[h] وحجر البيجادى[i] يوجد بناحية مدينة الاشبونة فى جبل هنالك يتلألأ فيه ليلًا كالسُرُج

a) La. O. الانيار. b) O. قيضها, La. قيضنيا, G. S. P. قيضب. c) La. O. باتى. d) Les man. portent ببادر بباكوره. e) Les man. portent يعوقه. f) O. حضرة نورقة, La. حضرة. g) S. سحيران. h) La. O. ببره, S. عره. i) Les man. portent النجادى; voyez le Dictionnaire persan de M. Vullers, aux mots بيجد et بيجاده.

والياقوت الاحمر يوجد بناحية حصن مَنْت مَيور من كورة مالقة الّا انه دقيق جدًّا لا يصلح للاستعمال لصغره ويوجد حجر يُشْبِه الياقوتَ الاحمر بناحية بَجّانة فى خندق يعرف بقرية ناشرة اشكالًا مختلفة كانه مصبوغ حسن اللون صَبُور على النار وحجر المغناطيس الجاذب للحديد يوجد فى كورة تدمير وحجر الشاذنة بجبال قرطبة كثير ويستعمل فى ذلك[a] التذاهيب وحجر اليهودى فى ناحية حصن البُونْت وهو انفعُ شيء[b] للحصاة وحجر المرقشيثاة الذهبيّة فى جبال أُبَّذة لا نظير لها فى الدنيا ومن الاندلس تُحمل الى جميع الآفاق لفضلها والمغنيسيا[c] بالاندلس كثير وكذلك حجر الطلق ويوجد حجر اللولو بمدينة برشلونة الّا انه جامد اللون ويوجد المرجان بساحل بيرة منْ عمل المريّة * اقلّ ماء لُقط منه فى اقلّ من شهر نحو ٨٠ رُبعا ومعدن الذهب بنهر لاردة يُجمع منه كثير ويُجمع ايضا فى ساحل الاشبونة ومعادن الفضّة فى الاندلس كثيرة فى كورة تدمير وجبال حمّة بجّانة وباقليم كرتش من عمل قرطبة معدن فضّة جليل وباكشونبة معدن القصدير لا نظيرَ له يُشْبِه الفضّةَ وله معادن بناحية افرنجة ولَيُون ومعدن الزيبق فى جبل البرانس ومن هنالك يُتجهَّز به الى الآفاق ومعادن الكبريت الاحمر والاصفر بالاندلس كثيرة ومعدن التوتيا الطيّبة بساحل البيرة بقرية تسمّى بَطَرْنة وهى ازكى توتيا واقواها فى صبغ النحاس وبجبال قرطبة توتيا وليست كالبطرنيّة ومعدن الكحل المشبه بالاصفهانى بناحية مدينة طُرْطُوشة يُحمل منها الى جميع البلاد ومعادن الشبوب والحديد والنحاس بالاندلس اكثر من أن تُحْصَى وما ذكرتُ هنا وان تكرّر بعضُه مع ما سبق او ياتى فهو لجمع النظائر وما لم نذكره اكثر والله اعلم، ومن خواصّ طليطلة ان حنطتها لا تتغيّر ولا تتسوّس على طول السنين يتوارثها الخلفُ عن السلف وزعفران طليطلة هو الذى يعمّ البلادَ ويتجهّز به الرفاق[d] الى الآفاق وكذلك الصبغ السمائى انتهى، وقال المسعودى فى مروج الذهب بعد كلام ما نصّه والعنبر كثير ببحر الاندلس يجهّز الى مصر وغيرها ويُحمل الى قرطبة من ساحل لها يقال له شَنْتَرِين وشذونة تبلغ الاوقيةُ منه[e] بالاندلس ثلاثة مثاقيل ذهبا والاوقية بالبغدادى وتُباع بمصر اوقيتُه بعشرة دنانير[f] وهو عنبر جيّد ويُمْكِن

a) Ce mot me paraît altéré. b) G. P. La. المرقيشيا ، S. المرقيشا. c) S. والمغنيسا. d) Ces deux mots manquent dans La. et O, et le premier manque aussi dans S. e) G. S. P. O. منها. f) La. O. بعشرين دينارا.

ان يكون هذا العنبر الواقع الى بحر الروم ضربته الامواجُ من بحر الاندلس الى هذا البحر لاتّصال الماء وبالاندلس معدن عظيم للفضّة ومعدن للزيبق ليس بالجيّد يجهز الى سائر الاسلام والكفر وكذلك يُحمل من بلاد الاندلس الزعفران وعروق الزنجبيل واصول الطيب خمسةُ اصناف المسك والكافور والعود والعنبر والزعفران وكلها تُحمل من ارض الهند وما اتّصل بها الا الزعفران والعنبر انتهى وهو وان تكرّر مع ما ذكرته عن غيره فلا يخلو من فائدة والله تعَ اعلم، وذكر البعض ان فى بعض بلاد الاندلس جميع المعادن الكائنيات[a] عن النيّرات السبعة وهى الرصاص من زُحَل والقزدير[b] الابيض من المشترى والحديد من قسم المرّيخ والذهب من قسم الشمس والنحاس من الزهرة والزيبق من عطارد والفضّة من القمر، وذكر الكاتب ابرهيم بن القاسم القَرَوى المعروف بالرقيق بلد الاندلس فقال اهله اصحاب جهاد متّصل يحاربون من اهل الشرك المتصلين بهم امّة يُدْعَون الجلالقة يُتاخِمون حوزهم ما بين غرب الى شرق قوم لهم شدّة ولهم جمال وحسنُ وجوه فاكثر رقيقهم الموصوفين بالجمال والفراهة منهم ليس بينهم وبينهم دربٌ فالحرب متّصلة بينهم ما لم تقع هدنةٌ ويحاربون بالافق الشرقىّ امّة يقال لهم الفرنجة هم اشدُّ عليهم من جميع مَنْ يحاربونه من عدوّهم اذ كانوا خلقا عظيما فى بلاد كثيرة واسعة جليلة متّصلة العمارة آهلة تُدْعَى الارض الكبيرة هم اكثر عددا من الجليقيّين واشدُّ باسا واحدُّ شوكةً واعظم أمدادا وهذه الامّة يحاربون امّة الصقلبة المتّصلين بارضهم لمخالفتهم اياهم فى الديانة فيَسْبُونهم ويبيعون رقيقهم بارض الاندلس فلهم هنالك كثرة وتخصيهم للفرنجة يهودُ ذمّتهم الذين بارضهم وفى ثغر المسلمين المتّصل بهم فيُحمل خصيانهم من هنالك الى سائر البلاد وقد تعلّم الخصاء قوم من المسلمين هنالك فصاروا يخصون ويستحلّون المثلة، قال ابن سعيد ومخرج بحر الروم المتصاعد الى الشام هو بساحل الاندلس الغربى بمكان يقال له الخضرا[c] ما بين طنجة من ارض المغرب وبين الاندلس فيكون مقدارُ عرضه هناك زعموا ١٨ ميلا وهذا عرضه جزيرة طريف الى قصر مَصْمُودة بالغرب من سبتة وهناك كانت القنطرة التى يزعم الناس ان الاسكندر بناها ليعبر عليها من برّ الاندلس الى برّ العدوة ويعرف هذا الموضع بالزقاق وهو صعب المجاز لانه مجمع البحرين لا تزال الامواجُ تتناوَل فيه

---

a) G. P. O. الكائنات. b) La. O. والقصدير. c) On doit peut-être ajouter les mots ما بين.

والماء يدور وطول هذا الزقاق الذى عرضه ١٨ ميلا مضاعَفُ ذلك الى مينًا سبتة ومن هنالك ياخذ البحرُ فى الاتّساع الى ثمانمائة ميل وازيدَ ومنتهاه مدينة صُور من الشام وفيه عدد عظيم من الجزائر قال بعضهم انّها ٢٨ جزيرة منها صقلّية وجزيرة مالطة وغيرهما انتهى وبعضه بالمعنى، وقال غيره عند وصف بحر الزقاق قربَ سبتة ما صورته ثم يتّسع كلّما امتدّ حتى يصير الى ما لا ذرعَ له ولا نهايةَ، وقال بعضهم وكان مبلغ خراج الاندلس الذى كان يؤدّى الى ملوك بنى اميّة قديمًا ثلاثمائة الف دينار *a* اندلسيّة كلَّ سنة قوانينَ وعلى كل مدينة من مداينهم مالٌ معلوم فكانوا يُعْطُون جندَهم ورجالَهم الثُلُثَ من ذلك مائةَ الف دينار وينفقون فى امورهم ونوائبهم ومُؤَن اهليهم مائةَ الف دينار ويدّخرون لحادث ايامهم مائة الف دينار انتهى، وذكر غيره ان الجباية كانت بالاندلس ايامَ عبد الرحمن الاوسط الف الف دينار فى السنة وكانت قبلُ لا تزيد على ستمائة الف حكاه ابن سعيد وقال ان الاندلس مسيرة شهر مدن وعمائر، وقال قاضى القُضاة ابن خلدون الحَضْرَمى فى تاريخه الكبير ما صورتُه كان هذا القطر الاندلسى من العدوة الشماليّة من عدوتى البحر الرومى وبالجانب الغربى منها يسمّى عند العجم اندلوش وتسكنه أُمَمٌ من افرنجة المغرب اشدُّهم واكثرهم الجلالقة وكان القوط قد تملّكوه وغلبوا على اهله لمِئِين من السنين قبل الاسلام بعد حروب كانت لهم مع اللطينيّين حاصروا فيها رومة ثم عقدوا معهم السلم على أن ينصرف القوط الى الاندلس فساروا *b* اليها وملكوها ولما اخذ الروم واللطينيّون بملّة النصرانية حملوا مَنْ وراءهم بالمغرب من امم الفرنجة والقوط عليها فدانوا بها وكان ملوك القوط ينزلون طليطلة وكانت دار ملكهم وربّما تنقّلوا ما بينها وبين قرطبة واشبيلية وماردة واقاموا كذلك نحوًا من ٤٠٠ سنة الى ان جاء الله بالاسلام والفتح وكان ملكهم لذلك العهد يسمّى لذريق وهو سمَةٌ لملوكهم كما ان *c* جرجير *d* سمةٌ ملوك صقلّية انتهى، ومن اشهر بلاد الاندلس غَرْناطة وقيل ان الصواب أَغْرناطة بالهمز ومعناه بلغتهم الرمّانة وكفاها شرفًا ولادةُ لسان الدين بها وقال الشَقُنْدى امّا غرناطة فانها دمشق بلاد الاندلس، ومسرح الابصار ومطمح الانفس،، ولم تَخْلُ من اشراف

a) Les man. ajoutent ici le mot دراهم. *b*) C'est ainsi qu'on lit dans les man. L. et P. d'Ibn-Khaldoun; les man. d'al-Makkarī portent فصاروا. *c*) C'est ainsi qu'on lit dans les deux man. d'Ibn-Khaldoun; ceux d'al-Makkarī portent كما هو. *d*) رجير *Ruggiero?*

اماثل، وعلماء اكابر وشعراء افاضل» انتهى، ولولم يكن لها الا ما خصّها الله به من المرج الطويل العريض ونهر شنّيل لكفاها، وفى بعض كلام لسان الدين ما صورته وما لمصر تفتخر بنيلها، والفٌ منه فى شنّيلها»، يعنى ان الشين عند اهل المغرب عددها الف فقولنا شنيل اذا اعتبرنا عددَ شينه كان الف نيل انتهى، وفيها قيل

غرناطةٌ ما لها نظير ما مصر ما الشام ما العراقْ
ما هى إلّا العروس تُجْلَى وتلك بالجملة الصداقْ

وتسمّى كورة البيرة التى منها غرناطة دمشق لانّ جند دمشق نزلوها عند الفتح وقيل انما سُمّيت بذلك لشبهها بدمشق فى غزارة الانهار وكثرة الاشجار حدّاه صاحب مناهج الفكر قال ولما استولى الفرنج على مُعْظَم بلاد الاندلس انتقل اهلُها اليها فصارت المصر المقصود، والمعقل الذى تنضوى اليه العساكر والجنود»، ويشقُّها نهر عليه قناطر بُحجار عليها وفى قبليّها جبل شُلّير وهو جبل لا يفارقه الثلجُ صيفا ولا شتاء وفيه سائرُ النبت الهندى لكن ليس فيه خصائصه انتهى، ومن اعمال غرناطة قطر لُوشة وبها معدن للفضّة جيّد ومنها اعنى لوشة اصل لسان الدين بن الخطيب وهذا القطر ضخم بنصاف اليه من الحصون والقرى كثير وقاعدته لوشة بينها وبين غرناطة مرحلة وهى ذات انهار واشجار وهى على نهر غرناطة الشهير بشنّيل، ومن اعمال غرناطة الكبار عمل باغة والعامّة يقولون بَيْغة واذا نسبوا اليه قالوا بيغىّ وقاعدته باغة طيّبة الزرع كثيرة الثمار غزيرة المياه ويجود فيها الزعفران، ومن اعمال غرناطة وادى آش وبقال وادى الأشات وهى مدينة جليلة قد احدقت بها البساتينُ والانهار وقد خصّ الله اهلها بالادب وحبّ الشعر وفيها يقول ابو الحسن ᵇ بن نزار ᶜ

وادى الاشات يهيج وَجْدى كلّما أُذكِرْتُ ما فضّتْ ᵈ بك النعماء
لله ظلّك والهجير مسلّط قد بردت نفحاته ᵉ الانداء
والشمس ترغب ان تفوز بلحظة منه فتطرف ᶠ نرقبها الافياء
والنهر يبسم بالحباب كانّه سلخ نضته حيّة رقشاء
ᵃ فلذاك تحذره الغصونُ فميّلُها ابدا على جنباته ايماء

ومن اعمال وادى آش حصن جِلْيانة وهو كبير يضاهى المدن وبه التفّاح الجليانى الذى

a) Telle est la leçon du man. S.; les autres man. portent .من جملة b) G. ابو الحسين. c) S. .بن تراب d) La. O. .افضت e) S. La. .نفحاتها f) Les man. portent تنشرف

خصّ الله به ذلك الموضع يجمع عظمَ الحَجْم وكرم الجوهر وحلاوة الطعم وذكاء الرائحة والنقاء وبين الحصن المذكور ووادى آش ١٢ ميلا، ومن غرائب الاندلس ان به شجرتَيْن من شجر القسطل عظيمتين جدًّا احداهما بسند وادى آش والاخرى ببشرة غرناطة فى جوف كل واحدة منهما حائك ينسج الثياب وهذا امر مشهور قاله ابو عبد الله بن جُزَىّ وغيره، وكانت البيرة هى المدينة قبل غرناطة فلما بنى الصنهاجى مدينة غرناطة وقصبتها واسوارها انتقل النأس اليها ثم زاد فى عمارتها ابنه باديس بعده، وذكر غير واحد ان فى كورة سرقسطة الملح الاندرانى الابيض الصافى الاملس الخالص وليس فى الاندلس موضع فيه مثل هذا الملح قال وسرقسطة بناها قيصر ملك رومة الذى تؤرَّخ من مدّته مدّةُ الصفر قبل مولد المسيح على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام وتفسير اسمها قصر السيّد لانه اختار ذلك المكانَ بالاندلس وقيل ان موسى بن نصير شرب من ماء نهر جلّق بسرقسطة فاستعذبه وحكم انه لم يشرب بالاندلس اعذبَ منه وسأل عن اسمه فقيل جلّق ونظر الى ما عليه من البساتين فشبّهها بغوطة جلّق الشام وقيل انها من بناء الاسكندر والله اعلم، وبمدينة بَرْجَة وهى من اعمال المريّة معدن الرصاص وهى على واد مبهج يعرف بوادى عَذْراء وهو محدق بالاشجار وتسمّى برجة بهجة لبهجة منظرها وفيها يقول ابو الفضل بن شرف القيروانى

رياض تعشّقها سندس   توشّتْ معاطفُها بالزَهَرْ
مدامعُها فوق خدّىْ رُبًا   لها نظرة فتنتْ مَنْ نَظَرْ
وكل مكان بها جنّة   وكل طريق اليها سَقَرْ

وفيها ايضا قوله   حُطَّ الرحالَ ببَرْجَةْ   وارْتَدْ لنفسك بهجَةْ
فى قلعة كسلاح   ودوحة مثل لُجَّةْ
فحصنُها لك امنٌ   وحسنُها[a] لك فرجَةْ
كل البلاد سواها   كعُمْرة وهى حجَّةْ

وبمالَقة التين الذى يُضرب المثلُ بحسنه ويُجلب حتى للهند والصين وقيل انه ليس فى الدنيا مثله وفيه يقول ابو الحجاج يوسف بن الشيخ البَلَوى المالقى حسبما انشده غير واحد منهم ابن سعيد

---

a) La. O. وروضها.

مـالقةُ حييتِ يا تينَهـا ‏   الفُلْكُ من أَجْلك ياتينها

نهى طبيبى عنك[a] فى عِلّتى ‏   ما لطبيبى عن حياتى نَهى

وذيّل عليه الامام الخطيب ابو محمد[b] عبد الوهّاب المنشى بقوله

وحِمْصُ لا تَنْسَ لهـا تينَهَـا ‏   واذكُرْ مع التين زيـاتينهـا

وفى بعض النُسَخ ‏   ولا تنس تين اشبيلية[c] ‏   واذكُرْ مع الزيت[d] زياتينهَا

وهو نحو الاول لان حمص هى اشبيلية لنزول اهل حمص من المشرق بها حسبما سنذكره ونسب ابنُ جُزَىّ فى ترتيبه لرحلة ابن بَطُوطة البيتين الاولين للخطيب ابى محمد عبد الوهّاب المالقى[e] والتذييلَ لقاضى الجماعة ابى عبد الله بن عبد الملك والله اعلم، قال ابن بطوطة وبمالقة يُصنع الفخّار المذهّب العجيب ويُجلب منه الى اقصى[f] البلاد ومسجدها كبير الساحة شهير البركة وصحنه لا نظيرَ له فى الحسن وفيه اشجار النارنج البديعة[g] انتهى، وقال قبله ان مالقة احدى قواعد الاندلس وبلادها الحسان جامعة بين مرافق البرّ والبحر كثيرة الخيرات والفواكه ورايتُ[h] العنبَ يُباع فى اسواقها بحساب ٨ ارطال بدرهم صغير ورمّانها المرسىّ الياقوتى لا نظيرَ له فى الدنيا وامّا التين واللوز فيُجلبان منها ومن احوازها الى بلاد المشرق والمغرب انتهى، وبكورة اشبونة المتّصلة بشَنْتَرين معدن التبر وفيها عسل يُجعل فى كيس كتّان فلا يكون له رطوبة كانه سكّر ويوجد فى ريفها العنبر الذى لا يُشْبِهه الا الشِحْرِىّ، ومن اشهر مدن الاندلس مدينة قرطبة اعادها الله للاسلام وبها الجامع المشهور والقنطرة المعروفة بالجسر وقد ذكر ابن حيّان انه بُنى على امر عمر بن عبد العزيز رحمه ونصّه وقام فيها بامره على النهر الاعظم بدار مملكتها قرطبة الجسرُ الاكبر الذى لا يُعرف فى الدنيا مثله انتهى، وفيها يقول بعض علماء الاندلس

باربع فاقت الامصارَ قرطبةٌ ‏   منهنّ قنطرةُ الوادى وجامعُها

هاتان ثنتان والزهراء ثالثة ‏   والعلم اعظم شىء وهو رابعُها

---

a) C'est ainsi qu'on lit dans les man. de Paris d'Ibn-Batoutah. Les man. d'al-Makkari portent عنه. b) Le mot محمد manque dans La. et O. c) Cet hémistiche se lit ainsi dans tous les man.; L. اشبلية. d) L. O. التين. e) Dans les man. d'Ibn-Batoutah on trouve ابو عبد الوهّاب بن على المالقى. f) Les man. d'Ibn-Bat. portent اقصى. g) C'est ainsi qu'on lit dans les man. La. et O. Les autres man. d'al-Makkari, de même que ceux d'Ibn-Bat., portent العجيبة. h) La copulative manque dans les man. d'al-Makkari.

قال الحجارى فى المُسْهِب كانت قرطبة فى الدولة المروانية قبّة الاسلام، ومجتمع اعلام الانام،، بها استقرّ سريرُ الخلافة المروانيّة، وفيها تمخّضت خلاصةُ القبائل المعدّيّة واليمانية،، واليها كانت الرحلةُ فى الرواية اذ كانت مركز الكرما، ومعدن العلما،، وهى من الاندلس بمنزلة الراس من الجسد، *والزور من الاسد a،، ونهرها من احسن الانهار، مكتنف بديباج المروج ومطرّز بالازهار،، تصدح فى جنباته الاطيار، وتنعر النواعير ويبسم النّوار،، وقُرْطاها الزاهرة والزهرا، حاضرتا الملك وأُفقا النعماء والسرّا،، وان كان قد أُخْنِى عليها الزمانُ، وغيّر بهجةَ اوجهها الحسان، فتلك عادتُه وسَلِ الخورنق والسّدير وغمدان، وقد اعذر بانذاره اذ لم يزل ينادى بصروفه لا امانَ لا امان،، وقد قال الشاعر   وما زِلْتُ اسمع ان الملو   ك تبنى على قدر أَخْطارها

انتهى، وقال السلطان يعقوب المنصور بن السلطان يوسف بن السلطان عبد المومن ابن على لاحد رؤساء اجنادها ما تقول فى قرطبة فخاطبه على ما يقتضيه كلامُ عامّة الاندلس بقوله جوفُها شَمّام، وغربيُّها قُمام، وقبلتُها مُدام، والجنّة هى والسلام،، يعنى بالشمام جبال الورد ويعنى بالقمام ما يوكل اشارةً الى مَحْرث الكَنْبانيّة ويعنى بالمدام النهر، ولما قال والده السلطان يوسف بن عبد المومن لابى عمران موسى بن سعيد العنسى ما عندك فى قرطبة قال له ما كان لى ان اتكلّم حتى اسمع مذهبَ امير المومنين فيها فقال السلطان انّ ملوك بنى اميّة حين اتّخذوها حضرةَ مملكتهم لَعلى بصيرة الديار المنفسحة الكثيرة والشوارع المتّسعة والمبانى الضخمة المشيّدة والنهر الجارى والهواء المعتدل والخارج الناضر والمحرث العظيم والشعرى b الكافية والتوسّط بين شرق الاندلس وغربها قال فقلتُ ما ابقى لى اميرُ المومنين ما اقول، قال ابن سعيد ولاهلها رياسة ووقار لا تزال سِمَةُ العلم والملك متوارثةً فيهم الا ان عامّتها اكثرُ الناس فضولًا واشدُّهم تشغيبا ويُضرب بهم المثلُ ما بين اهل الاندلس فى القيام على الملوك والتشنيع على الوُلاة وقلّة الرضى بامورهم حتى ان السيّد ابا يحيى اخا السلطان يعقوب المنصور قيل له لما انفصل عن ولايتها كيف وجدتَّ اهل قرطبة فقال مثل الجمل ان خفّفْتَ عنه الحملَ صاح وان اثقلتَه به صاح ما ندرى اين رضاهم

a) Ces mots manquent ici dans tous les man.; mais ils se trouvent au commencement du quatrième livre, où ce même passage est encore une fois cité. b) Au lieu de الشعراء. La même forme se retrouve plus loin.

القصده ولا اين سخطُهم فنتجنّبه ومـا سلّط الله عليهم حجّاجَ الفتنة حتى كان عامّتُها شرًّا من عامّة العراق وان العزل عنها لما قاسيتُ من اهلها عندى ولايةٌ وانّى ان كُلّفتُ العودَ اليها تقاتلٌ لا يُلْدَغ المومن من جُحْر مرّتين انتهى، وقال ابو الفضل التيفاشى جرتْ مناظرةٌ بين يدى ملك المغرب المنصور يعقوب بن القفيه ابى الوليد ابن رُشْد والرئيس ابى بكر بن زُهْر فقال ابن رشد لابن زهر فى تفضيل قرطبة ما ادرى ما تقول غير انه اذا مات عالمٌ باشبيلية فأُريد بيعُ كُتُبه حُملتْ الى قرطبة حتى تُباع فيها وان مـات مُطْرِب بقرطبة فاريد بيع آلاته حملت الى اشبيلية قال وقرطبة اكثر بلاد الله كُتُبًا انتهى، وحكى الامام ابن بشكوال عن الشيخ ابى بكر بن سعدد انه دخل مدينةَ طليطلة مع اخيه على الشيخ الاستاذ ابى بكر المخزومى قال فسألنا من اين فقُلْنا من قرطبة فقال متى عهدُكما بها فقلنا الآنَ وصلنا منها فقال اقْرُبا انّى اشمّ نسيمَ قرطبة فقربنا منه فشمّ راسى وقبّله وقال لى اكتبْ

أقرطبـة الـغـرّاء هـل لـىَ اوبـةٌ اليك وهـل يدنو لـنـا ذلك العهدُ
سقى الجانبَ الغربيّ منك غمامةٌ وقعقع فى ساحات دوحاتك[b] الرعدُ
لـيـالـيـك اسحـارٌ وارضـك روضةٌ وتـربُـك فى استنشـاقهـا عنبر وَرْدُ

وكتب الرئيس الكاتب ابو بكر بن القُبْطُرْنة للعالم ابى الحسين بن سراج بقوله

يـا سيّدى وابـى هوى وجـلالةً ورسـولَ ودّى إنْ طلبتَ رسـولًا
عَرِّجْ بقرطـبـة اذا بُـلِّـغْـتَـهـا بـابـى الحسين وناده تَمْويلًا
واذا سعـدتَ بنظرة مـن وجهه فـاقْـرِه الـسـلامَ لكفّه تقبيـلًا
واذكُرْ له شوقى وشكرى مُجْمَلًا ولو استطعتُ شرحتُه تفصيـلًا
بنحيبة تُبْدَى اليه كـانّـمـا جرّتْ على زهر الرياض ذبولًا

وفى باب اليهود بقرطبة يقول ابو عامر بن شُهَيْد

لقد اطلعوا عند باب اليهو د بدرًا أَبَى الحسنُ ان يكسفا
تـراه اليهودُ على بـابـهـا اميـرًا فتحسبه يوسـفـا

واستقبحوا قولهم بـاب اليهود فقالوا بـاب الهُدَى، وسنذكر قرطبة والزهراء والزاهرة ومساجدها فى الباب المنفرد به ان شاء الله تعالى وكذلك العدوة، ومن اعظم مدن

---

a) S. P. فنتجنبه. b) La. O. دوحتك, S. درجاتك. c) C'est ainsi qu'on lit dans les man. du *Kalayid*; ceux d'al-Makkarî portent احد.

الاندلس اشبيلية قال الشَّقُنْدى من محاسنها اعتدال الهواء وحسن المبانى ونهرها الاعظم الذى يصعد المدُّ فيه ٧٢ ميلا ثم يحسر وفيه يقول ابن سفر

شقَّ النسيمُ عليه جيبَ قميصه *a* فانساب من شطَّيْه يطلب ثارَهُ
فتضاحكتْ ورْقُ الحمام بدوحها هُزْءا فضمَّ من الحياء ازارَهُ *b*

وقيل لاحد مَنْ راى مصر والشام أيّهما رايتَ احسنَ أَهاذانِ ام اشبيلية فقال بعد تفضيل اشبيلية شَرَفُها غابة بلا اسد ونهرُها نيل بلا تمساح انتهى، ويقال ان الذى بنى اشبيلية اسمُه يوليش *c* ولنه اول مَنْ سمّى قيصر وانه لما دخل الاندلس أُعجب بساحاتها وطيب ارضها وجبلها المعروف بالشرف فردم على النهر الاعظم مكانا واقام فيه المدينة واحدق عليها باسوار من صخر صلد وبنى فى وسط المدينة قصبتين بديعتى الشان تعرفان بالاخوَيْن وجعلها امَّ قواعد الاندلس واشتقَّ لها اسما من رومية ومن اسمه فسمّاها رومية يوليش انتهى، وقد تقدّم شىء من هذا، وكان الاوّلون من ملوك الاعاجم يتداولون بسكناهم اربعةً من بلاد الاندلس اشبيلية وقرطبة وقَرْمونة وطليطلة ويقسمون ازمانهم على الكينونة بها، واما شرف اشبيلية فهو شريف البقعة كريم التربة دائم الخضرة فرسخ فى فرسخ طولا وعرضا لا تكاد تشمّس فيه بقعةٌ لالتفاف زيتونه، واعلَمْ ان اشبيلية لها كور جليلة ومدن كثيرة وحصون شريفة وهى من الكور المجنَّدة نزلها جندُ حمص ولواؤهم فى المَيْمَنة بعد لواء جند دمشق وانتهتْ جبايةُ *d* اشبيلية ايامَ الحكم بن هشام الى *e* ٣٥ الف دينار ومائة دينار وفى اقليم طالقة من اقاليم اشبيلية وُجدتْ صورةُ جارية من مرمر معها صبىٌّ وكان حيّة تريده لم يُسْمَعْ فى الاخبار ولا رُءِىَ فى الآثار صورة ابدع منها جُعلتْ فى بعض الحمامات وتعشّقها جماعةٌ من العوامّ، وفى كورة ماردة حصن شنت أَقْرُج *f* فى غاية الارتفاع لا يعلوه طائر البتّة لا نسر ولا غيره، ومن عجائب الاندلس البلاط الاوسط من مسجد جامع اقليش فان طول كل جائزة منه مائة شبر واحد عشر شبرا وهى مربّعة منحوتة مستوية الاطراف، وقال بعض من وصف اشبيلية انها مدينة عامرة على ضفّة النهر الكبير المعروف بنهر قرطبة وعليه جسر مربوط بالسُّفن وبها اسواق قائمة وتجارات رابحة واهلها ذو اموال عظيمة واكثر

a) G. P. La. قميصها ; mais dans le VII^e livre G. et P. portent aussi قميصه. *b*) G. P. S. ازاره ; mais dans le VII^e livre G. et P. portent aussi ازاره. *c*) G. P. La. O. تولبيس , S. بوليبس. *d*) G. porte اقاليم au lieu de جباية. *e*) J'ai ajouté ce mot, qui manque dans les man. *f*) G. La. O. افرج. C'est sans doute *Santa Cruz*, au nord-est de Mérida.

مدلجرهم الزيت وهو يشتمل على كثير من اقليم الشرف واقليم الشرف على تلّ عالٍ من تراب احمر مسافته ٤٠ ميلا فى مثلها يمشى بها السائرُ فى ظلّ الزيتون والتين ولها فيما ذكر بعض الناس قرى كثيرة وكل قرية عامرة بالاسواق والديار الحسنة والحمامات وغيرها من المرافق، وقال صاحب مناهج الفكر عند ذكر اشبيلية وهذه المدينة من احسن مدن الدنيا وباهلها يُضرب المثلُ فى الخلاعة وانتهاز فرصة الزمان الساعةَ بعد الساعة وبُعينهم على ذلك واديها الفَرِج وناديها البَهِج وهذا الوادى ياتيها من قرطبة وبالجزيرة[a] فى كل يوم ولها جبل الشرف وهو تراب احمر طوله من الشمال الى الجنوب ٤٠ ميلا وعرضه من المشرق الى المغرب ١٢ ميلا يشتمل على ٢٢٠ قرية قد التحفت باشجار الزيتون واشتملت انتهى، ولكورة باجة من الكور الغربيّة التى دخلت من اعمال اشبيلية ايامَ بنى عَبّاد خاصّيةٌ فى دباغة الاديم وصناعة الكتّان وبها معدن فضّة وبها وُلد المعتمد بن عبّاد وهى متّصلة بكورة ماردة، ولجبل طارق حُوْزُ قصب السبق بنسبته الى طارق مولى موسى بن نصير ان كان اول ما حلّ به مع المسلمين من بلاد الاندلس عند الفتح ولذا يشتهر[b] بجبل الفتح وهو مقابل الجزيرة الخضراء وقد تجوّز[c] البحر هنالك مستديرا[d] حتى صار مكانُ هذا الجبل كالناظر للجزيرة الخضراء وفيه يقول مطرّف شاعر غرناطة

وأقْوَد قد ألْقَى على البحر مَتْنَه ... فاصبح عن قُودِ الجبال بمَعْزِلِ
بعرّض نحو الأُفْق وجهًا كأنّما ... تُراقب عيناه كواكبَ مَنْزِلِ

واذا اقبل عليه المسافرون من جهة سبتة فى البحر بان كانه سَرْج قال ابو الحسن على بن موسى بن سعيد اقبلتُ عليه مرّةً مع والدى فنظرنا اليه على تلك الصفة فقال والدى أَجِزْ ... انظُرْ الى جبل الفتح راكبا متنَ لُجّ
فقلتُ ... وقد تفتّح كالاسنان[e] فى شكل سرج

وامّا جزيرة طَرِيف فليست بجزيرة وانما سُمّيت بذلك الجزيرةُ التى امامها فى البحر مثل الجزيرة الخضراء وطريفُ المنسوب[f] اليه بربرىّ من موالى موسى بن نصير ويقال

a) G. P. S. وبالجزيرة. b) C'est ainsi qu'on lit dans S. Les autres man. portent يشهر. c) S. تنجوز, La. تجوز. — Doit-on lire تجوّف, comme on trouve dans L.? d) S. مستديرا. e) Ce mot est altéré; peut-être doit-on lire كالدّنتان. Les vers appartiennent au mètre المجتث. f) Les man portent المنسوبة.

ان موسى بعثه قبل طارق فى ٤٠٠ رجل فنزل بهذه الجزيرة فى رمضان سنة ٩١ وبعده دخل طارق فالله اعلم، ومن اعظم كور الاندلس كورة طليطلة وهى من موسطة الاندلس وكانت دارَ مملكة بنى ذى النُون من ملوك الطوائف وكان ابتداء ملكهم صدرَ المائة الخامسة وسمّاها قيصر بلسانه بزليطه وتاويلُ ذلك انت فارح a فعرّبَتْها العربُ وقالت طليطلة وكانوا يسمّونها وجهاتها فى دولة بنى اميّة بالثغر الأدْنى ويسمّون سرقسطة وجهاتها بالثغر الاعلى وتسمّى طليطلة مدينةَ الاملاك لانها فيما يقال ملَكها ٧٢ ملكاb ودخلها سليمن ابن داءود عليهما السلام وعيسى بن مريم وذو القرنين وفيها وجد طارق مائدة سليمن وكانت من ذخائر اشبان ملك الروم الذى بنى اشبيلية اخذها من بيت المقدس كما مرّ وقُوّمت هذه المائدة عند الوليد بن عبد الملك بمائة الف دينار وقيل انها كانت من زمرّد اخضر ويقال انها الآنَ برومة فالله اعلم بذلك ووجد طارق بطليطلة ذخائر عظيمة منها ١٧٠ تاجا من الدرّ والياقوت والاحجار النفيسة وايوان ممتلئٌ من اوانى الذهب والفضّة وهو كبير حتى قيل ان الخيل تلعب فيه فرسانُها برماحهم لوسعه وقد قيل ان اوانى المائدة من الذهب وصحافها من اليشم والجزع وذكروا فيها غير هذا ممّا لا يكاد يصدّقه الناظرُ فيه فالله اعلم وبطليطلة بساتين محدقة، وانهار مخترقة،، ورياض وجنّات وفواكه حسان، مختلفة الطعوم والالوان،، ولها من جميع جهاتها اقاليم رفيعة، ورساتيق مربعة، وضياع بديعة، وقلاع منيعة،، وبالجملة فمحاسنها كثيرة ولعلّنا نُلمّ ببعض منتزهاتها فيما ياتى من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وطليطلة قاعدة ملك القوطيّين وهى مُطلّة على نهر تاجُه وعليه كانت القنطرة التى يعجز الواصفون عن وصفها وكانت على قوس واحد تكتنفه فرختانc من كل جانب وطول القنطرة ٣٠٠ باع وعرضها ٨٠ باعا وخُرّبت ايامَ الامير محمد لما عصى عليه اهلُها فغزاهم واحتال فى هدمها وفى ذلك يقول الحكيمd عبّاس بن فِرْناس

أَضْحَتْ طليطلة معطّلةً … من اهلها فى قبضة الصقرِ
تُركتْ بلا اهلٍ تؤهّلها … مهجورةَ الاكناف كالقبرِ
ما كان يُبْقِى اللهُ قنطرةً … نُصبتْ لحمل كتائب الكفرِ

وسياتى بعض اخبار طليطلة، ومن مشهور مدن الاندلس المريّة وهى على ساحل البحر

a) G. P. فازح ou فارخ, O. فارج. b) G. S. P. لسانا. c) P. فرضتان. d) La. O. الامير.

وبها القلعة المنيعة المعروفة بقلعة خيران بناها عبد الرحمن الناصر وعظمت فى دولة المنصور بن ابى عامر وولّى عليها مولاه خيران فنُسبت القلعةُ اليه وبها من صنعة الديباج ما تفوق به سائر البلاد وفيها دار الصناعة وتشتمل كورتُها على معدن الحديد والرخام ومن ابوابها باب العقاب عليه صورة عقاب من حجر قديم عجيب المنظر، وقال بعضهم كان بالمريّة لنسج طرز الحرير ۸۰۰ نول وللحُلَل النفيسة والديباج الفاخر الف نول وللسقلاطون كذلك وللثياب الجرجانيّة كذلك وللاصفهانى مثل ذلك وللعتّابى والمعاجر المدهشة والستور المكلّلة ويُصْنَع بها من صنوف آلات الحديد والنحاس والزجاج ما لا يوصف وفاكهة المريّة يقصر عنها الوصفُ حسنا وساحلها افضل السواحل وبها قصور الملوك القديمة الغريبة العجيبة وقد ألّف فيها ابو جعفر بن خاتمة تاريخا حافلا سمّاه بمزيّة المريّة، على غيرها من البلاد الاندلسيّة»، فى مجلّد ضخم تركته من جملة كُتُبى بالمغرب والله المسئول فى جمع الشمل فله الامر من قبلُ ومن بعدُ، ووادى المريّة طوله ۴۰ ميلا فى مثلها كلُّها بساتين بهجة وجنّات نضرة وانهار مطّردة وطيور مغرّدة، قال بعضهم ولم يكن فى بلاد الاندلس اكثر مالا من اهل المريّة ولا اعظم متاجر وذخائر وكان بها من الحمامات والفنادق نحو الالف وهى بين الجبلين بينهما خندق معمور وعلى الجبل الواحد قصبتُها المشهورة بالحصانة a وعلى الآخر ربضها والسور محيط بالمدينة والربض وغربيّها ربض لها آخر يسمّى ربض الحوض ذو فنادق وحمامات وخنادق وصناعات b وقد استدار بها من كل جهة حصون مرتفعة واحجار اوليّة وكانما غُرْبِلَتْ ارضها من التراب ولها مدن وضياع عامرة متّصلة الانهار انتهى، وقال ابن اليَسَع عند ذكره مدينة شَنْتَرة ان من خواصّها ان القمح والشعير يُزرعان فيها ويُحصَدان عند مضىّ ۴۰ يوما من زراعتهما c وان التفّاح فيها دور كل واحدة ۴ اشبار والنفّ d قال لى ابو عبد الله الباكورى وكان ثقةً ابصرتُ عند المعتمد ابن عبّاد رجلا من اهل شنترة اهدى اليه اربعا من التفّاح ما يُقِلّ الحاملُ على راسه غيرها دورُ كل واحدة ٥ اشبار وذكر الرجل ان المعتاد عندهم اقلُّ من هذا فاذا ارادوا ان يجىء بهذا العِظَم قطعوا اصلها وابقوا منه عشرًا او اقلّ وجعلوا تحتها دعامات من الخشب انتهى، وبحصن شنش على مرحلة من المريّة التوت الكثير وفيه

a) G. S. P. بالحصانة. b) G. S. P. وصناعات. c) Les man. portent زراعته. d) L.a. et B. ajoutent وهذا العدد.

الحرير والقرمز a ويعرف واديها بوادى طَبَرْنَش، وبغربىّ مالقة عمل سُهَيْل وهو عمل عظيم كثير الضياع وفيه جبل سهيل لا يُرَى نجم سهيل بالاندلس الا منه، ومن كور الاندلس الشرقيّة تُدْمِير وتسمّى مصر لكثرة شبهها بها لان لها ارضا يسيح عليها نهر فى وقت مخصوص من السنة ثم ينصب عنها فتُزْرَع كما تزرع ارض مصر وصارت القصبة بعد تدمير مُرْسية وتسمّى البستانَ لكثرة جنّاتها المحيطة بها ولها نهر يصبّ فى قبليّها، واعلم ان جزيرة الاندلس اعادها الله مشتملة على موسطة وشرق وغرب فالموسطة فيها من القواعد الممصّرة التى كل مدينة منها مملكة مستقلّة لها اعمال ضخام واقطار متّسعة قرطبة وطليطلة وجَيّان وغرناطة والمريّة ومالقة فمن اعمال قرطبة اسْتِجة وبُلْكُونة وقَبْرة ورُنْدة وغافق والمدوَّر واسْحليّة وبَيّانة والبُسانة والقُصَير وغيرها b ومن اعمال طليطلة وادى الحجارة وقلعة رَباح وطَلَمَنْكة وغيرها ومن اعمال جيّان أُبّذة وبَيّاسة وقسطلّة وغيرها ومن اعمال غرناطة وادى آش والمنكّب ولُوشة وغيرها ومن اعمال المريّة أَنْدَرش وغيرها ومن اعمال مالقة بَلّش والحامّة وغيرهما c وببلش من الفواكه ما بمالقة وبالحامّة العينُ الحارّة على ضفّة واديها واما شرق الاندلس ففيه من القواعد مُرْسية وبَلَنْسية ودانية والسَهْلة والثغر الاعلى فمن اعمال مرسية أُورِيُولة وأَلَقْنْت ولُورقة وغير ذلك ومن اعمال بلنسية شاطبة ويُضرب بحسنها المثلُ ويُعمل بها الوَرَقُ الذى لا نظيرَ له وجزيرة شُقْر وغير ذلك واما دانية فهى شهيرة ولها اعمال واما السهلة فانها متوسّطة بين بلنسية وسَرَقُسْطة ولذا عدّها بعضهم من كورة الثغر الاعلى ولها مدن وحصون ومن اعمال الثغر الاعلى سرقسطة وهى امّ ذلك الثغر وكورة لاردة وقلعة رباح d وتسمّى بالبيضاء وكورة تُطيلة ومدينتها طَرَسُونة وكورة وَشْقة ومدينتها تمريط وكورة مدينة سالم وكورة قلعة ايّوب ومدينتها مُلْيانة وكورة بربطلانية e وكورة باروشة واما غرب الاندلس ففيه اشْبيلية ومارِدة وأُشْبونة وشِلْب فمن اعمال اشبيلية شَرِيش والخضراء ولَبْلة وغيرها ومن اعمال ماردة بَطَلْيوس ويابُرة وغيرهما f ومن اعمال اشبونة شَنْتَرِين وغيرها ومن اعمال شلب شنت مريّة وغيرها واما الجُزُر البحريّة بالاندلس فمنها جزيرة قادس وهى من اعمال اشبيلية وقال ابن سعيد انها من كورة شريش ولا منافاة لان شريشا من عمل اشبيلية كما مرّ قال وبيد صنم قادس مفتاح ولما ثار بقادس ابنُ اخت القائد ابى عبد الله

a) G. S. et P. portent الحرير القرير. b) Les man. portent وغيرها. c) G. P. S. وبالجمة, O. وبالجملة. d) G. S. رياح. e) Les man. portent برطانية. f) Les man. portent وغيرها.

ابن ميمون وهو على بن عيسى قائد البحر بها ظنّ ان تحت الصنم مالا فهدمه فلم يجد شيـًا انتهى، وهى اعنى جزيرة قادس فى البحر المحيط وفى المحيط الجزائر الخالدات السبع وهى غربىّ مدينة سَلَا تلوح للناظر فى اليوم الصاحى الخالى الجوّ من الأَبْخِرة الغليظة وفيها ٧ اصنام على امثال a الآدميّين تُشير أَلَّا عبورَ ولا مسلكَ وراءها وفيه بجهة الشمال جزائر السعادات وفيها من المدن والقرى ما لا يُحْصَى ومنها يخرج قوم يقال لهم المجوس على دين النصارى اولها جزيرة برطانية وهى بوسط البحر المحيط باقصى شمال الاندلس ولا جبال فيها ولا عيون وانما يشربون من ماء المطر ويزرعون عليه، وقال ابن سعيد وفيه جزيرة شَلْطِيش b وهى آهلة وفيها مدينة وبحرها كثير السمك ومنها يُحْمَل مملَّحا الى اشبيلية وهى من كورة لبلة مضافة الى عمل أُونْبة انتهى، وقال بعضهم لما اجرى ذكر قَرْطاجَنّة من بلاد الاندلس ان الزرع فى بعض اغوارها يكتفى بمطرة واحدة وبها اقواس من الحجارة المُقَرْبَصة وفيها من التصاوير والتماثيل واشكال الناس وصور الحيوانات ما يحيّر البصر والبصيرة ومن اعجب بنائها الدواميس وهى ٢٤ على صفّ واحد من حجارة مقربصة طولُ كل داموس ١٣٠ خطوة فى عرض ٦٠ خطوة وارتفاع كل واحد اطول من مائتى ذراع بين كل داموس وداموس انقاب مُحْكمة تتّصل فيها المياهُ من بعضها الى بعض فى العلوّ الشاهق بهندسة عجيبة واحْكام بديع انتهى، قلت اظنُّ هذا غلط فان قرطاجنة التى بهذه الصفة قرطاجنة افريقية لا قرطاجنة الاندلس والله اعلم، وقال صاحب مناهج الفكر عند ما ذكر قرطاجنة وهى على البحر الرومى مدينة قديمة بقيت منها آثار لها فحصٌ طولُه ٦ ايام وعرضه يومان معمور بالقرى انتهى، وذكر قبل ذلك فى لورقة ان بناحيتها يوجد حجر اللازورد وفى البحر الشامى الخارج من المحيط جزيرتا c ميُورقة ومَنُورقة وبينهما ٥٠ ميلا وجزيرة ميورقة مسافة يوم فيها مدينة حسنة وتدخلها ساقية جارية على الدوام وفيها يقول ابن اللبّانة

بلدٌ اعارته الحمامةُ طوقَها ... وكساه حُلّةَ ريشه الطاووسُ
فكأنّما d الانهـر فيه مُدامةٌ ... وكأنّ ساحاتِ الديار كؤوسُ

وقال يخاطب ملكَها ذلك الوقت

وعمرتَ بالاحسان ارض ميورقة ... وبنيتَ ما لم تَبْنه الاسكندرُ

a) L. a. O. مثال. b) Les man. portent سليطيش. c) Les man. portent جزيرتى. d) L. a. O.

وجزيرةٌ يابسة واستقصاء ما يتعلّق بهذا الفصل يطول ولو تُتُبِّعَ لكان تاليفا مستقلّا،
وما احسن قولَ ابن خَفاجة

انّ للجنّة بالاندلس   مجتلَى حسن وريّا نَفَس
فسَنَا صحوتها[a] من شَنَب   ودجا ليلتها من لَعَس
فاذا ما هبّت الريحُ صَبًا   صِحْتُ وا شَوْقى الى الاندلس[b]

وقال بعضهم فى طليطلة

زادتْ طليْطلة على ما حدّثوا   بلد عليه نضرة ونعيمُ
الله زيّنه فوشّح خَضْرَه[c]   نهرَ المجرّة والغصون نجومُ

ولا حَرَجَ ان اوردنا هنا ما خاطب به اديب الاندلس ابو بَحْر صفوان بن ادريس الاميرَ عبد الرحمن بن السلطان يوسف بن عبد المومن بن على فانه مناسبٌ ونصّه مولاىَ امتع الله ببقائك الزمانَ وابناءه، كما ضمّ على حبّك احناءهم واحناءه،، ووصل لك ما شيتَ من المنّ والامان، كما نظم قلائدَ فخرك على لبّة الدهر نظمَ الجمان،، فانّك الملك الهُمام، والقمر التمام،، ايامُك غُرَرٌ وحجول، وفرند بهائها فى صفحات الدهر يجول،، البستَ الرعيّةَ بُرودَ التامين، فتنافستْ فيك من نفيس ثمين، وتلقّتْ دعواتِ خلدك لها باليمين،، فكم للناس، من امن بك وايناس،، وللايام، من لوعة فيك وهُيام،، وللاقطار، من لبانات لديك واوطار،، وللبلاد، من قراع[d] على تملّكك لها وجلاد،، يتمنّون شخصك الكريم على الله ويقترحون، ويغتبقون فى رياض ذكرك العاطر بمُدام حبّك ويصطبحون، كلُّ حِزْب بما لديهم فَرِحُون[e]،، محبّةٌ من الله أَلْقاها لك حتى على الجماد، ونصرًا موزّرا تنطق به السنةُ السيوف على افواه الاغماد،، من أَسَرَّ سريرة البسه الله رداءها، ومَنْ طوى حُسْنَ نيّة ختم الله له بالجميل اعادتَها وابداءها،، ومَنْ قدّم صالحا فلا بُدّ ان يُوازِيَه، ومَنْ يفعل الخير لا يعدم جوازِيَه،، ولما تخاصمتْ فيك من الاندلس الامصار، وطال بها الوقوف على حبّك والاقتصار،، كلّها يفْصِح قولا، ويقول انا احقُّ وأَوْلى،، ويُصبح الى اجابة دعوته ويُصْغى، ويتلو اذا بُشّر بك ذلك ما كُنّا نَبْغى،، تنمّرتْ حمصُ غيظا، وكادت تفيظ فيظا،، وقالت ما لهم يزيدون وينقصون،

a) Cette leçon se trouve dans le *Dīwān* d'Ibn-Khafādjah. Les man. d'al-Makkarī portent ici صبحتها et plus bas صبحتها. b) Le man. du *Dīwān* porte اندلس. c) G. P. حضره, S. O. حصره. d) G. P. et S. ajoutent لها. e) Voyez le *Korān*, sour. 23, vs. 55.

يطمعون ويخرصون، إنْ يتّبعون الّا الظنّ وإنْ هُمْ الّا يَخْرُصونa.. لى السهم الأَسَدّ، والساعد الأَشَدّ، والنهر الذى يتعاقب عليه الجَزْرُ والمَدّ.. الله مصر الاندلس والنيل نهرى، وسماء التأنّس والنجوم زهرى.. إنْ تجاريتم فى ذلك الشرف، فحسبى ان افيض فى ذكر الشرف.. وان تباجحتم بأشرف اللبوس، فأىّ ازار اشتملتموه كشَنْتَبوس.. لى ما شئتهُ من ابنية رحاب، وروض يستغنى بنضرته عن السحاب.. قد ملأتْ زهرانى وهادًا ونجادًا، وتوشّح سيفُ نهرى بحدائقى نجادا.. فانا اولاكم بسيّدنا الهُمام واحقّ، الآنَ حَصْحَصَ الحقُّb.. فنظرتْها قرطبة شزْرًا، وقالت لقد حثرت نثْرًا، وبذرت c فى البحر الاصمّ بَزْرًا.. كلام العِدَى ضربٌ من الهذيان، وأنّى للايضاح والبيان.. متى استحال المستقبَحُ مستحسَنا، ومَن اودع اجفانَ المهجور وسنًا، أفمن زُيّن له سُوء عمله فرآه حَسَنًاd.. يا عجبا للمراكز تتقدّم على الاسنّة، وللاكفال تُفضَّل على الاعنّة.. ان اتخيّتم سبقا، فما عند الله خيرٌ وأَبْقَىe.. لى البيت المطهّر الشريف، والاسم الذى ضرب عليه رواقه التعريف.. فى بقيعى محلّ الرجال الافاضل، فليرغمْ انفُ المناضل.. وفى جمعى مشاهد ليلة القدر، فحسبى من نباهة القدر.. فما لاحد ان يستاثرَ علىّ بهذا السيّد الاعلى، ولا ارتضى له ان يوطئ غير ترابى نعلا.. فأقرّوا لى بالأبوّة، وانقادوا الىّ f على حكم البنوّة، ولا تكونوا كالتى نقضتْ غزلها بعد قوّة.. وكفّوا عن تبارِيكم، ذلكم خيرٌ لكم عند بارئكمg.. فقالت اغرناطة لى المعقل الذى يمتنع ساكنه من النجوم، ولا تجرى الا تحته جيادُ الغيم السجوم.. فلا يلحقنى من معاند تُنْزرٌ ولا حَيفٌ، ولا يهتدى الىّ خيالُ طارق ولا طَيْفٌ.. فتستسلموا قولا وفعلا، فقد أفْلَحَ اليومَ من استَعْلَىh.. لى بُسُطٌ تفلّدت من جداولها أسلاكًا، واطلعت كواكبُ زهرها فعادت أفلاكًا.. ومياهٌ تسيل على اعطافى كمدامع العُشّاق، وبردُ نسيم بردَ نفسُ المستهتر بالانتشاقi.. فحسبى لا يُنْتَجع فيه ولا يحتمل، تدعونى محلَّ ذات ذيل تختتل.. فمن اوْلَى بهذا السيّد الاعدل، وما له بى من عِوَض ولا بَدَل.. ولِمَ لا يعتنف على عِدَا مجده ويمنى، وان انشد يوما فبأى يعنى..

بلاد بها عقّ الشبابُ تمائمى واوّل ارض مسّ جلدى ترابُها

---

a) Voyez le *Koran*, s. 6, vs. 116. b) Voyez le *Koran*, s. 12, vs. 51. c) G. وبددت, P. La. وبدت. d) Voyez le *Koran*, s. 35, vs. 9. e) Voyez le *Koran*, s. 28, vs. 60. f) Ce mot ne se trouve que dans le man. La. g) Voyez le *Koran*, s. 2, vs. 51. h) Voyez le *Koran*, s. 20, vs. 67. i) La. O. بالاستنشاق.

فما لكم تَعْتَزُون لفخرى وتنتمون، وتتأخّرون فى ميدانى وتتقدّمون، تَبَرّءوا التى ممّا تزعمون، ذلكم خيرٌ لكم إنْ كنتم تعلمون[a]، فقالت مالقة أتتركونى بينكم هَمَلا، ولم تُعْطُونى فى سيّدنا أملا، ولِمَ ولى البحر العجّاج، والسُبُل الفجاج، والجنّات الاثيرة، والفاكهة الكثيرة، لدىّ من البهجة ما تستغنى بها الحمامُ عن الهديل، ولا تجنح الانفسُ الرِقاقُ الحواشى الى تعويض عنه ولا تبديل، فما لى لا اعطى فى ناديكم كلاما، ولا انشر فى جيش فخاركم اعلاما، فكانّ الامصار نظرتْها ازدرا، فلم تَرَ لحديثها فى ميدان الذكر إجْرا، لانها موطن لا يُخْلَى منه بِطائل، ونطق البلاد تاوّلتْ فيها قولَ القائل،

اذا نطق السفيهُ فلا تُجِبْه * فخيرٌ[b] من اجابته السكوتُ

فقالت مرسية أَمامى تتعاطَوْن الفخر، وبحضرة الدرّ تنفقون الصخر، ان عُدّت المفاخرُ، فلى منها الاول والآخر، اين اوشالكم من بحرى، وخَرَزُكم من لولو نحرى، وجعاجعُكم من نفثات سِحْرى، فلى الروض النضير، والمرأى الذى ما له نظير، وزنقاتى التى صار مثْلُها فى الآفاق، وتبرقع وجهُ جمالها بغرّة الاصْفاق، فمن دوحات، كم فيها من بُكَر وروحات، ومن ارجاء، اليها تمدّ ايدى الرجاء، فابناءى فيها[c] فى الجنّة الدنيويّة مودعون، يتنعّمون بما ياخذون ويَدّعون، ولهم فيها ما تشتهى انفسُهم ولهم فيها ما يدّعون، فانقادوا لامرى، وحاذِروا اصطلاء جمرى، وخَلّوْا بينى وبين سيّدنا ابى زيد، والّا ضربْتكم ضربَ زيد، فانا اولاكم بهذا الملك المستانِر بالتعظيم، وما يُلقّاها الّا ذو حظّ عظيم[d]، فقالت بلنسية فيمَ الجدالُ والقراع، وعلى مَ الاستهام والافتراع، والى مَ التعريض والتصريح، وتحت الرغوة اللبن الصريح، انا احوزه من دونكم، فأَخْمِدوا نارَىْ تحرُّككم وهدونكم، فلى المحاسن الشامخة الاعلام، والجنّاتُ التى تُلْقِى اليها الآفاقُ يد الاستسلام، وبُرصافتى وجسرى أُعارض مدينةَ السلام، فأَجْمِعوا على الانقياد لى والسلام، والّا فعضّوا بنانا واقْرعوا سِنّا، فانا حيث لا تدركون وأنّا، ومولانا لا يُهْلِكنا بما فعل السفهاء منّا، فعند ذلك ارتمتْ جمرةُ تُدْمِير بالشَرَار، واستدّت[e] اسهمها لنحور الشِرار، فقالت عِشْ رجبا، ترى عجبا، أَبعد العصيان والعقوق، تتهيّابين لرُتَب ذوى الحقوق، هذه سماء الفخر فمن ضمّك ان تعرجى، ليس بعُشّك فادْرجى،

a) Voyez le *Korān*, s. 9, vs. 41. b) La. O. فاحسن ما يجاوبه. c) Les man. portent فيه. d) Voyez le *Korān*, s. 41, vs. 35. e) Les man. portent واشتدت.

لك الوصب والخبل، الآن وقد عصيت من قبل، ايّتها الصانعة الفاعلة، مَنْ اتاك ان تضربى وما انت تاعلة، ما الذى يُنجديك الروض والزهر، ام ما يفيدك الجدول والنهر، وهل يصلح العطّارُ ما افسد الدهر، هل انت الّا محطّ رحل النفاق، ومنزل ما لسوق الخصب فيه من نفاق، فَرَاك لا يكتحل الطرف فيه بهجوع، وقِراك لا يسمن ولا يُغْنى من جُوع، فالى مَ تبرز الاماء فى منصّة العقائل، ولكن انْكرى قول القائل،

بلنسية بينى عن القلب سلوةً · فانّك روض لا احنُّ لزهرك

وكيف يحبُّ امرء دارًا تقسّمتْ · على صارمَى جوع وفتنة مُشْرِك

بَيْدَ انّى اسأل الله ان يُوفّق من توفيقك ما خمد، ويُسيل من تسديدك ما جمد، ولا يُخيل عليك فى اتجهة الامد، وايّاه نسأل سبحانه ان يردّ سيّدنا ومولانا الى افضل عوائده، ويجعل مصائب اعدائه من فوائده، ويمكّن حسامه من رقاب المشغّبين، ويبقيه وجيهًا فى الدنيا والآخرة ومن المقرّبين، ويَصلَ له تاييدًا وتابيدا، ويمهّد له الانام حتى تكون الأحْرار لعبيده عبيدا، ويمدّ على الدنيا بساط سعده، ويَهبَه ملك لا ينبغى لاحد من بعده،

آمين آمين لا أرْضى بواحدة · حتى أُضيف اليها الف آمينا

ثم السلام الذى يتأنّق عبقا ونشرا، ويتالّق رونقا وبشرا، على حضرتهم العليّة، ومطالع انوارهم الجليّة، ورحمة الله تعٓ وبركاته انتهى، ولمّا اتمّ الرّحالة ابن بطوطة فى رحلته بدخوله لبلاد الاندلس اعادها الله قال فوصلتُ الى بلاد الاندلس حرسها الله تعٓ حيث الاجر موفور للساكن، والثواب مذخور للمقيم والظاعن، الى ان قال عند ذكره غرناطة ما نصّه قاعدة بلاد الاندلس وعروس مدنها وخارجُها لا نظير له فى الدنيا وهو مسيرة ٤٠ ميلا يخترقه نهر شنّيل المشهور وسواه من الانهار الكثيرة والبساتين والجنّات والرياضات والقصور والكروم محدقة بها من كل جهة ومن عجيب مواضعها عين الدمع وهو جبل فيه الرياضات والبساتين لا مثل له بسواها انتهى، وقال الشقندى غرناطة دمشق بلاد الاندلس، ومسرح الابصار ومطمح الانفس، ولم تخْلُ من اشراف اماثل، وعلماء اكابر وشعراء افاضل .. ولو لم يكن بها الا ما خصّها الله به من كونها قد نبغ فيها النساء الشواعر كنزهون القلعيّة والركونيّة وغيرهما وناهيك بهما فى الظرف والادب انتهى، ولبعضهم يتشوّق الى غرناطة فيما ذكر بعض المؤرّخين والصواب ان الابيات قيلت فى قرطبة كما مرّ

أَغرناطة الغرّاء هل لِىَ اوبةٌ الابيات [a]

وقال ابن مالك الرُعَيْنى

رعى الله بالحمراء عيشا قطعتَه　　　ذهبتَ به للانس والليل قد ذَهَبْ

ترى الارض منها فضّة واذا اكتستْ　　　بشمس الضحى عادتْ سبيكتُها ذَهَبْ

وهو القائل　　لا تظنّوا [b] انّ شوقى خمدَا　　　بعدكم او انّ دمعى جمدَا

كيف أَسْلُو عن اناس مثلهم　　　قلّ ان تبصر عينى احدَا

وغرناطة من احسن بلاد الاندلس وتسمّى بدمشق الاندلس لانها اشبه شىء بها ويشقّها نهر حدره ويُطِلّ عليها الجبل المسمّى بشُلَيْر الذى لا يزال الثلجُ عنه شتاء وصيفا ويجمد عليه حتى يصير كالحجر الصلد وفى اعلاه الازاهر الكثيرة واجناسُ الافاويه الرفيعة ونزل بها اهل دمشق لما جاءوا الى الاندلس لاجل الشبه المذكور وقرى غرناطة فيما ذكر بعض المتأخّرين ٢٧٠ قرية، وقال ابن جُزَىّ مرتّبُ رحلة ابن بطوطة بعد ذكره كلامه ما نصّه لولا خشيتُ [c] ان أُنْسَبَ الى العصبيّة لأَطَلْتُ [d] القولَ فى وصف غرناطة فقد وجدتُّ مكانه ولكن ما اشتهر كاشتهارها لا معنى لاطالة القول فيه [e]

ولله درُّ شيخنا ابى بكر بن [f] محمد بن شبرين [g] السبتى نزيل غرناطةَ حيث يقول

رعى الله من غرناطة متبوّءا　　　يَسُرّ حزينا او يجير طريدَا

تبرّأَ [h] منها صاحبى عند ما راى　　　مسارحها بالثلج عُدْنَ جليدَا

هى الثغر صان الله من أُهِلَتْ به　　　وما خيرُ ثغر لا يكون بَرُودَا

انتهى، وقال ابن سعيد عند ما اجرى ذكر قرية نارِجة وهى قرية كبيرة تُضاهى المدنَ قد احدقت بها البساتين، ولها نهر يفتن الناظرين،، وهى من اعمال مالقة انه اجتاز مرّةً عليها مع والده ابى عمران موسى وكان ذلك زمان صباغة الحرير عندهم وقد ضربوا فى بطن الوادى بين مقطّعاته خيمًا وبعضهم يشرب وبعضهم يغنّى ويطرب وسألوا بِمَ يُعْرَف ذلك الموضع فقالوا الطِراز فقال والدى اسمٌ طابَقَ مسمّاه، ولفظ وافَقَ معناه،، وقد وجدتُّ مكانَ القول ذا سعة فان وجدتَّ لسانا قائلا فقُلْ ثم قال أَجِزْ

---

a) Mêmes vers que plus haut, p. ٩٨. Variantes: vs. 2. غمائم , ساحات روضتك ; vs. 3. وارضك. b) La. O. تقولوا. c) C'est ainsi qu'on lit dans les man. d'Ibn-Batoutah (I-B.); ceux d'al-Makkarī portent خشية. جنة d) I-B. لاطنبت. e) I-B. للاطالة فيه. f) Le mot بن manque dans le man. 910 d'Ibn-Batoutah. g) O. سبرين. Le man. 910 d'Ibn-Batoutah porte بشبير بن.
h) Les man. d'al-Makkarī portent تبرم.

بتارجلاء حيث النوّار المنمّم ‏ فقلتُ ‏ أقِمْ فوق النهر ثغره يتبسّم

فقال ‏ وسمعك نحو الهاتفات فانّها ‏ فقلت ‏ لما ابصرتْ من بهجة تترنّم

فقال ‏ ايها جنّة الفردوس لستُ بآدم ‏ فقلت ‏ فلا يك حظّى من جناك التندّمُ

فقال ‏ يحقّ علينا ان نزورك مثل ما ‏ فقلت ‏ يزور خيال من سُلَيْمَى مسلّمُ

فقال ‏ فلو القى أعطى الخيارَ لما عدتْ ‏ فقلت ‏ محلّك فى عينى بمرآك تنعمْ

فقال ‏ بحيث الصبا والنَدّ من نفثاتها ‏ فقلت ‏ وقتْ لسّعَ روض فيه للنهر أرقمْ

فقال ‏ فوا اسفى ان لم تكن لىَ عودةٌ ‏ فقلت ‏ فكن مالكًا انّى عليك منعّمْ

فقال ‏ فأحسبُ هذا آخر العهد بيننا ‏ فقلت ‏ وقد يلحظ الرحمنُ شوقى فيرحمْ

فقال ‏ سلام سلام لا يزال مردّدا ‏ فقلت ‏ عليك ولا زالتْ بك السُحْبُ تسجم

انتهى ٠ وقال ابن سعيد ان كورة بلنسية من شرق الاندلس تُنْبِت الزعفران وتُعرف بمدينة التراب وبها كمّثرى يسمّى الازرة^c فى قدر حبّة العنب قد جمع مع حلاوة المنعم^d ذكاء الرائحة اذا دخل دارا عُرِف بريحه ويقال ان ضوء بلنسية يزيد على ضوء سائر بلاد الاندلس وبها منازه ومسارح ومن ابدعها واشهرها الرُصافة^e ومنية ابن ابى عامر وقال الشريف ابو جعفر بن مسْعدة الغرناطى من ابيات فيها

هى الفردوس فى الدنيا جمالا ‏ لسكنها مكارهُها البعوضْ

وقال بعضهم فيها

ضاقتْ بلنسية بى ‏ وزاد^f عنّى غموضى

رقْصُ البراغيث فيها ‏ على غناء البعوضِ

وحسب لابن الزقّاق^g البلنسى

بلنسية اذا فكّرتُ فيها ‏ وفى آياتها اسنى البلاد

واعظم شاهدى منها عليها ‏ وانّ جمالها للعين بادى

كساها ربّها ديباج حسن ‏ له علمانِ من بحرٍ ووادى

---

a) C'est ainsi qu'il faut lire avec L., G. S. La. O. بندرنجه. b) C'est ainsi qu'on lit dans le man. O. Les autres man. portent والنخل من تغدنب. c) G. O. الازره, La. الاترد ou الانره. C'est S. qui porte الازرة, mais peut-être doit-on lire الازرل, car M. Calderon, à Madrid, que nous avons consulté sur ce mot, croit que c'est *acerola*. C'est un fruit, dit-il, qui ressemble à une poire, et l'arbre qui le porte ressemble aussi beaucoup au poirier. d) G. S. المدنعم. e) On trouve cette leçon dans le man. A. du *Kalâyid*. Les man. d'al-Makkari portent وحارها. f) Cette leçon se trouve dans le vii^e livre; ici G. S. La. O. portent وزاد, L. يزال. g) G. P. S. ـه.

وقال ابن سعيد ايضا انشدنى والدى قال انشدنى مروان بن عبد الله بن عبد العزيز ملك بلنسية لنفسه بمرّاكش قوله

كانّ بلنسية كاعبٌ   وملبسُها سندس اخضرُ
اذا جيتَها سترتْ نفسها   بأكْمامها فهى لا تظهرُ

واما قول ابى عبد الله بن عياش   بلنسية بينى   البيتين وقد سبقا فقال ابن سعيد ان ذلك حيث صارت ثغرا يُصابحها العدوّ ويُماسيها انتهى، وقال ابو الحسن ابن حريق يجاوب ابن عياش

بلنسية قرارةُ كل حسن   حديثٌ صحّ فى شرق وغربِ
فانْ قالوا محلُّ غلاء سعْرٍ   ومسقطُ ديمتَىْ طعن وضربِ
فقُلْ هى جنّة حُفّتْ رُباها   بمكروهَيْن من جُوع وحربِ

وقال الرُصافى فى رصافتها

ولا كالرصافة من منزل   سقتْه السحائبُ صوبَ الوَلِى
احنُّ اليها ومَنْ لى بها   واين الثريّ من المَوْصِلِ

قال ابن سعيد وبرصافة بلنسية مناظر وبساتين ومياه ولا نعلم فى الاندلس ما يسمّى بهذا الاسم الا هذه ورصافة قرطبة انتهى، ومن اعمال بلنسية قرية المَنْصَف التى منها الفقيه الزاهد ابو عبد الله المنصفى a وقبره كان بسبتة يُزار رحمه تعّ ومن نظمه

قالت لِىَ النفسُ اتاكَ الرَدَى   وانت فى بحر الخطايا مُقيمْ
فما ادّخرتَ الزاد قلتُ اقصرى   هل يُحْمَل الزاد لدار الكريمْ

ومن عمل بلنسية قرية بَطَرْنة التى كانت فيها الوقيعة المشهورة للنصارى على المسلمين وفيها يقول ابو اسحق بن معلى b الطَرَسُونى

لبسوا الحديدَ الى الوغى ولبستم   حُلَلَ الحرير عليكم ألْوانَا
ما كان أقْبَحَهم وأَحْسَنَكم بها   لولم يكن ببطرنةٍ ما كانَا

ومن عمل بلنسية متّيطة c التى نُسب اليها جماعةٌ من العلماء والادباء، ومن عمل بلنسية مدينة أُنْدة التى فى جبلها معدن الحديد واما رُنْدة بالراء فهى فى متوسّط الاندلس ولها حصن يعرف بأُنْدة ايضا، وفى اشبيلية اعادها الله من المتفرّجات

a) G. P. et S. ajoutent القائل.   b) Les man. G. et P. portent يعلى, mais la leçon معلى se trouve aussi chez Ibn-Bassām (man. de Gotha, fol. 229 r.).   c) Le *tachdīd* se trouve dans L.

والمنتزهات كثير ومن ذلك مدينة طرياتة فانها من مدن اشبيلية ومنتزهاتها وكذلك قبتل فقد ذكر ابن سعيد جزيرة قبطيل فى المتفرّجات، وقال ابو عمران موسى بن سعيد فى جوابه لابى يحيى صاحب سبتة لما استوزره مستنصرُ بنى عبدُ المومن وكتب الى المذكور يُرْغبه فى النقلة عن الاندلس الى مرّاكش ما نصّه واما ما ذكر سيّدى من التخيير بين ترك الاندلس وبين الوصول الى حضرة مرّاكش فكفى الفهم العالى من الاشارة قول القائل

والعزّ محمود وملتمَس والذّل ما نيلَ ء فى الوطن

فاذا نلتُ بك السماء فى تلك الحضرة فعلى مَنْ أَسُود فيها ومن ذا أُصاقى بها

لا رفعتْ بى همّة ان لم اكن فيك قد امّلتُ فوق الامل

وبعد هذا فكيف افارق الاندلس وقد علم سيّدى انها جنّة الدنيا بما حباها الله به من اعتدال الهواء وعذوبة المياه وكثافة الافياء وان الانسان لا يبرح فيها بين قرّة عين وقرار نفس هى الارض لا وِرْدٌ لديها مكدّر ولا ظلّ مقصور ولا روض مُجْدِبُ الّا ف صعيل، وبساط مدبّج وماء سائح وطائر مترنّم بليل»، وكيف يعدل الاديبُ عن ارض على هذه الصفة فيا سموءل الوفا، ويا حاتم السماح ويا جذيمة الصفا،، كمن لمن املك النعمة بتركه فى موطنه، غير مكدّر لخاطره بالتحرّك من معدنه،، ملتفتًا الى قول القائل

وسوّلتْ لِىَ نفسى ان افارقها والماء فى المزن أَصْفى منه فى الغُدُر.

دون اغماره اقتسام مومّله من ارتياد المراد، وبلّغه دون ان يشقّ قنبا ولا ان يُنضى عيش عند المُراد»، انشد ناجح المرغوب، بالغ المطلوب،

وبئس الذى يتّبع الويلَ رائدًا كمَنْ جاءه فى داره رائدُ الويل

ورب عدل اذا سمع هذا التبسّط على الامانى ما له تشتّط، وعدل عن سبيل[a] الذدب ونبسّط .. ولا جواب عندى الا قول القائل

فهذه خطّة ما رِبْتُ ارقبها فاليوم ابسط آمالى واحتكمُ

وما لى لا انشد ما قاله المتنبىّ فى سيف الدولة

ومن كنت بحرًا له يا علـــــىّ لم يقبل الدرّ الا كبارا

[a] Lu. O. مكان.

انتهى المقصود منه، وقال الحجارى ان مدينة شريش بنت اشبيلية وواديها ابن واديها وما أَشْبَهَ سعدًا بسعيد وهى مدينة جليلة ضخمة الاسواق لاهلها هِمَمٌ وظرف فى اللباس واظْهار الرفاهية وتخلُّق بالآداب ولا تكاد ترى فيها الا عاشقا ومعشوقا ولها من الفواكه ما يعمّ ويفْضل ومما اختُصَّت به احسانُ الصنعة فى المجبَّنات وطيبُ جبنها يُعين على ذلك ويقول اهل الاندلس مَنْ دخل شريش ولا ياكل بها المجبّنات فهو محروم انتهى a، وفى شلْب يقول الفاضل الكاتب ابو عمرة b بن مالك بن سيدمير

أَشجاك النسيمُ حين يهبُّ　　ام سَنَى البرق اذ يخبّ ويَخْبو
ام هَتُوف على الاراكة تشدو　　ام هَتُون من الغمامة سَكْبُ
كلُّ هاذاك للصبابة داعٍ　　ائُّ صبٍّ دموعُه لا تُصَبُّ
انا لولا النسيم والبرق والوُرْ　　قُ وصوبُ الغمام ما كنتُ أَصْبو
ذكّرتْنى شلبًا وهيهات منّى　　بعد ما استحكم التباعُدُ شلبُ

وتسمّى اعمال شلب كورة اكْشُونُبة c وهى متّصلة بكورة اشبونة وهى اعنى اكشونبة d قاعدة جليلة لها مدن ومعاقل ودارُ ملكها قاعدةُ شلب وبينها وبين قرطبة ٧ ايام ولما صارت لبنى عبد المومن ملوك مرّاكش اضافوها الى كورة اشبيلية وتفتخر شلبُ بكون ذى الوزارتين ابن عَمّار منها سامحه الله ومنها القائد ابو مروان عبد الملك ابن بَدْران وربّما قيل ابن بدرون الاديب المشهور شارح قصيدة ابن عبدون التى اولها

الدهر يَفْجَع بعد العين بالأَثَرِ　　فما البكاء على الأَشْباح والصُوَرِ

وهذا الشرح شهير بهذه البلاد المشرقيّة ومن نظم ابن بدرون المذكور قوله

العشق لذّته التعنيق والقُبَلُ　　كما منغّصه التثريب والعَذَلُ
يا ليت شعرِىَ هل يُقْضَى وصالكم　　لولا المُنَى لم يكن ذا العمر يتّصلُ

ومنها نحوىُّ زمانه وعلّامته ابو محمد عبد الله بن السيد البطليوسى فانّ شلبا بيضتُه، ومنها كانت حركتُه ونهضتُه،، كما فى الذخيرة وهو القائل

اذا سألونِىَ عن حالتى　　وحاولتُ عذرا فلم يُمْكِنِ
اقول بخَيْر ولـ　　كلام يدور على الالسُنِ

a) La. et O. ajoutent ici: والمجبنات نوع من القطائف يضاف لها الجبن فى عجينها وتُقْلَى بالزيت الطيّب، b) G. et P. portent ابو عمرو. c) Les man. portent اشكونية. d) Même remarque.

وربك يعلم ما في الصدور   ويعلم خائنة الاعين

وقال الوزير ابو عمرو(a) بن القلاس(b) يمدح بطليوس

بطليوس لا انساك ما اتصل البعد   فلله غور في جنابك او نجد
ولله ربوات تحفك بينها(c)   تفجر واديها كما شقق البرد

وبنو القلاس(d) من اعيان بطليوس وابو عمرو المذكور اشهرهم وهو من رجال الذخيرة والمسهب رحمه، وفي شاطبة يقول بعضهم

نعم ملقى الرحل شاطبة   لفتى ضاقت به الحيل
بلدة اوطانها سحر   وصبا في ذيله بلل
ونسيم عرفه ارج   ورياض غصنها ثمل
ووجوه كلها غرر   وكلام كله مثل

وفي برجة يقول بعضهم

اذا جئت برجة مستوفزا   فخذ في المقام وخل السفر
فكم معدن بها جنة   وكل طريق اليه سقر

وقد تقدم هذان البيتان، واعلم انه لو لم يكن للاندلس من الفضل سوى كونها ملاعب الجياد للجهاد لكان كافيا ورحم الله لسان الدين بن الخطيب حيث كتب على لسان سلطانه الى بعض العلماء العاملين ما فيه اشارة لبعض ذلك ما نصه من امير المسلمين فلان الى الشيخ كذا ابن الشيخ كذا وصل الله له سعادة تجذبه، وعناية الهية تقربه، وقبولا منه يدعوه الى خير ما عند الله ويندبه،، سلام كريم عليكم ورحمة الله وبركاته اما بعد حمد الله المرشد المثيب، السميع المجيب، معود اللطف الخفي والصنع العجيب، المتكفل بانجاز وعد النصر العزيز والفتح القريب، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ذي القدر الرفيع، والعز المنيع، والجناب الرحيب، الذي به نرجو ظهور عبدة الله على عبدة الصليب، ونستظهر منه على العدو بالحبيب، ونعده عدتنا ليوم العصيب، والرضى عن آله وصحبه الذين فازوا من مشاهدته بوفي النصيب، ورموا الى هدف مرضاته بالسهم المصيب،، فانا كتبناه اليكم كتب الله لكم عملا صالحا يختم الجهاد صحائف بره، وتتمحص لان تكون كلمة الله هي العلى

a) S. La. عمر.   b) O. العلامس.   c) L. بينه.   d) O. الغلامس.

جوامع امره، وجعلكم ممن تهنّى فى الارض التى فتح فيها ابواب الجنّة حصّةَ عمره،، من حمراء غرناطة حرسها الله تعَ ولطفُ الله هامى السحاب، وصنعُه رائق الجناب، والله يصل لنا ولكم ما عوّده من صلة لطفه عند انبتات الاسباب،، والى هذا ايّها الولىّ الذى هو بركةُ المغرب المُشار اليه بالبنان، وواحدُه فى رفعة الشان، الموثر بما عند الله على الزخرف الفتّان، المتقلّل من المتاع الفانِ، المستشرف الى مقام العرفان، من درج الاسلام والايمان والاحسان،، فانّنا لِما نوثره من برّكم الذى نعدّه من الامر الاكيد، ونُضْمِره من ودّكم الذى محلّه محلُّ الكنز العتيد، ونلتمسه من دعائكم التماسَ العُدّة والعديد،، لا نزال نسأل عن احوالكم التى ترقّتْ فى اطوار السعادة، ووصلتْ جنابَ الحقّ بهجر العادة، وألْقتْ الى يد التسليم لله والتوكّل عليه بالمقادة،، فنُسَرّ بما هيّأ الله لكم من القبول، وبلّغكم من المامول، والهَمَكم من الكَلَف بالقرب اليه والوصول، والفوز بما لديه والحصول،، وعند ما ردّ الله علينا ملكَنا الردَّ الجميل، وانالنا فضله الجزيل، وكان لعثارنا المُقيل،، خاطبناكم بذلك لمكانكم من ودادنا، ومحلّكم من حسن اعتقادنا، ووجّهنا الى وجهة دعائكم وجهَ اعتدادنا،، والله ينفعنا بجميل الظنّ فى دينكم المتين، وفضلكم المبين، ويجمع الشملَ بكم فى الجهاد عن الدين،، وتعرّفنا الآن ممن له بانبائكم اعتنا، وعلى جلالكم حمد وثنا، ولجناب ودّكم اعتزاء وانتما،، بتجاوُل عزمكم بين حجّ مبرور ترغبون من اجره فى ازدياد، وتجدّدون العهد منه بالِيف اعتياد،، وبين رباط فى سبيل الله وجهاد، وتوثير مهاد، بين رُبَى اثيرة عند الله ووهاد،، يُحْشَر يومَ القيٰمة شهداؤها مع الذين انعم الله عليهم من النبيّين والصديقين، فَرِحين بما اتاهم الله من فضله والله اصدق الصادقين،، حيث لا غارة لغير عدوّ الاسلام تتّقى، ألّا لابتغاء ما لدى الله ترتقى،، حيث رحمة الله قد فُتحتْ ابوابُها، وحُورُ الجنان قد زُيّنتْ اترابُها،، دار العرب الذين قرعوا باب الفتح، وفازوا بجزيل المنح،، وخلّدوا الآثار، وارغموا الكُفّار، واقالوا العثار، واخذوا الثار، وامنوا من لفح جهنّم بما علا على وجوههم من ذلك الغبار،، فكتبنا اليكم هذا نقوّى بصيرتكم على جهة الجهاد من العزمَيْن، ونُهيب بكم الى احدى الحسنَيَيْن، والصبح غير خافٍ على ذى عينَيْن، والفصل ظاهر لاحدى المنزلتَيْن،، فانّكم اذا حججتم اعدتّم فرضا ادّيتموه، وفضلا ارتديتموه،، فائدتُه عليكم مقصورة، وقضيّته فيكم محصورة،، واذا اقمتم الجهادَ جلبتم الى حسناتكم عملا غريبا، واستانفتم سعيا من الله قريبا،،

وتعدّت المنفعة الى الوف من النفوس، المستشعرة لباس البوس، ولو كان التجهاد بحيث يُخفى عليكم فضله لأطلبنا، واعنّة الاستدلال ارسلنا، هذا لو قدمتم على هذا الوطن وفضلكم فضل من الاشتهار، ومَنْ به لا يوجب لكم ترفيعَ المقدار، فكيف وفضلكم اشهر من محيّا النهار، ولقاؤكم اشهى الآمال وآثر الاوطار، فان قوى عزمُكم والله يقوّيه، ويُعيننا من بِرّكم على ما تَنْويه، فالبلاد بلادكم، وما فيها طريفكم وتلادكم، وكهولها اخوانكم وأحداثها اولادكم، ونرجو ان تجدوا لذكركم الله في رُباها حلاوةً زائدة، ولا تعدموا من روح الله فيها فائدة، وتتكيّف نفسكم فيها تحبُّبت نعاصر عنها خلوات السلوك، الى ملك الملوك، حتى تغتبطوا بفضل الله الذي نُونسكم، وتروا اثر رحمته فيكم، وتخلعوا فخرة هذا الانقطاع الى الله في قبيلتكم وسمته، وتختموا العمر المتقلّب بتجهيد الذي نُعليكم، ومن الله يُدْنيكم، فنبيّكم العربيّ صلوات الله وسلامه عليه نبيّ الملاحم، ومُعمل الصوارم، وبجهاد العدوّ ختم عملُ جهاده والاعمال بالخواتم. هذا على بعد بلادكم من داره، وانتم احق الناس بمنفعة جهاده، والاستباق الى آمده. هذا ما عندنا حسناتكم عليه، ونديناكم اليه، وانتم في اسار هذا الجوار، ومُفارقة ما عندنا بقدومكم على بلادنا من الاستبشار، بحسب ما تخلف عنكم مَنْ بيده مقدةُ الاختيار، وتصريفُ الليل والنهار، وتقليب القلوب واجابةُ الاقدار، واذا تعارضت الحظوظ فما عند الله خيرٌ للأبرار، والدار الآخرة دار القرار، وخير الاعمال عملٌ اوصل الى الجنّة وباعد من النار، وتعلموا ان نفوس اهل الكشف والاطلاع، بهذه الارجاء والاصقاع، قد اتّفقت اخبارُها، واتّحدت اسرارُها، على البشارة بفتح قريب اوانه، واظلّ زمانه، فنرجو من الله ان تكونوا ممن يحضر مدّعاه، ويكرم فيه مسعاه، ويسلف فيه العملَ الذي يشكره الله ويرعاه، والسلام الكريم يخصّكم ورحمة الله وبركاته انتهى، ولمّا دخل الاندلس امير المسلمين علي بن امير المسلمين يوسف ابن تاشفين اللَمْتوني ملك المغرب والاندلس وامعن النظر فيها وتأمّل وصفها وجانبيا قال انها تُشبه عقابا مخالبُه طليطلة وصدرُه قلعة رباح ورأسه جيّان ومنقارُه غرناطة وجناحه الايمن باسط الى المغرب وجناحه الايسر باسط الى المشرق في خبر طويل لم يحضرني الآن اذ تركته مع كتبي بالمغرب جمعني الله بها على احسن الاحوال، ومع كون

---

a) La O. [illegible]. b) La O. فضل. c) Voyez le *Korân*, sour. 3, vs. 197.

اهل الاندلس سُبّاق حلبة الجهاد، مُهْطعين الى داعيه من الجبال والوهاد، فكان لهم فى التّرف والنعيم والمجون ومداراة الشعراء خوفَ الهجاء محلٌّ وثير المهاد، وسياتى فى الباب السابع من هذا القسم من ذلك وغيره ما يشفى ويكفى ولكن سنح لى ان اذكر هنا حكايةَ ابى بكر المخزومى الهجّاء المشهور الذى قال فيه لسان الدين بن الخطيب فى الاحاطة[a] انه كان اعمى شديد القِحَة والشرّة[b] معروفا بالهجاء مسلّطا على الأعْراض سريع الجواب ذكىّ الذهن فَطنا للمعاريض سابقا فى ميدان الهجاء فاذا مدح ضعف شعرُه انتهى، والحكاية هى ما حكاه ابو الحسن بن سعيد فى الطالع السعيد اذ قال حكايةً عن ابيه فيما اظنّ قدم المذكورُ يعنى المخزومى على غرناطة ايامَ ولاية ابى بكر بن سعيد ونزل قريبا منّى وكنتُ اسمع به انه نار صاعقة[c] يرسلها الله على من يشاء من عباده ثم رايتُ ان ابدأه بالتانيس والاحسان فاستدعيتُه بهذه الابيات

يا ثانيا للمَعَرّى   فى حسن نظم ونثرِ   وفرطِ ظرف ونُبْل
وغَوْص فهم وفكرِ   صِلْ ثم واصِلْ حفيًّا   بكلّ شكر وبرّ[d]
وليس الا حديث   كما وَهَى عقدَ درّ   وشادن[e]
على رباب وزمر   وما يسامح فيه   الغفورُ من كاس خمرِ
وبيننا عهدُ حلف   ليِاسِر[e] حلف كفرِ   فقُمْ نُجدِّدْه[f] عهدا
بطيب شكر ويسر[g]   والكاسُ مثل رضاعٍ   ومن كمثلك يدرى[h]

ووجّه له الوزير ابن سعيد عبدا صغيرا قاده فلما استقرّ به المجلسُ وافعمتْه روائح النّدّ والعود والازهار، وهزّت عطفَه نغماتُ[i] الاوتار، قال

دارُ السعيدىّ ذى ام دارُ رضوانِ   ما تشتهى النفسُ فيها حاضرٌ دانى
سقتْ اباريقَها للندّ سُحْبُ ندى   تُحدّى برعد لاوتار والحانِ
والبرق من كل دَنّ ساكبٌ مطرا   يحيا به مَيْتُ افكار واشجانِ
هذا النعيم الذى كنّا نحدّثه   ولا سـ   الّا بآذانِ

a) Man. de M. de Gayangos (Ga.), fol. 104 r. b) Ga. سديد القحة (كذا) والشره. Les man. d'al-Makkarī portent شديد الشر. c) C'est ainsi qu'on lit dans S. Les autres man. portent به بنار صاعقة. d) S. P. La. O. ببر وشكر. e) Voyez sur ابو عمار ياسر al-Nawawī, éd. Wüstenfeld, p. ۴۸۹ et ۹۴۰; Ga. porte وبيننا عقد حلف لبان شرك وكفر. f) Les man. d'al-Makkarī portent نعم فجدده. g) Ga. وسكر. h) J'ai écrit ce vers, que je ne comprends pas, comme je l'ai trouvé dans les man. i) Ce mot manque dans les man. d'al-Makkarī.

فقال ابو بكر بن سعيد * والى الآن لا سبيل له الّا بإذان. فقال حتى يبعث الله ولدَ زنى كلّما انشدتُ هذه الابيات قال انّ قائلها اعمى فقال امّا انا فما انطق بحرف * فى ذلك. فقال مَنْ سمعت نحبا وكانت نزهون بنت القلاعى حاضرةً فقالت وبذات يا استاذ * قديم النعمة بمجمر ندّ وغناء وشراب. فتعاجب من تنبّه وتَشبّهه بنعيم الجنّة وتقول ما كان يُعلم الّا بالسماع ولا يُبلغ اليه بالعيان لكن من ناجى من حصن المدوّر وينشأ بين تيوس وبعر من اين له معرفةٌ بمجالس النعيم فلما استوفتْ كلامها تنحنح الاعمى فقلت له ذبيحة. فقال مَنْ هذه الفاعلة فقلت عجوز مقم امّك تعالى كذبتِ ما هذا صوتُ عجوز انما هذه نغمةُ قحبة محترقة تشمّ روائح قَبها على فرسخ فقال له ابو بكر يا استاذ هذه نزهون بنت القلاعىّ الشاعرة الاديبة فقال سمعتُ بها لا اسمعها الله الا خيرا ولا اراها الا ايرا فقالت يا شيخَ سَوْء قد تنقصت فى كلامك واىّ خير للمرأة مثل ما ذكرتَ ففكر ساعةً ثم قال

على وجه نزهون من الحسن مسحةٌ ‏ ‏ وان كان قد امسى من الضوء عاريا
قواصد نزهون توارك غيرها ‏ ‏ ومن قصد البحرَ استقلّ السواقيا

فعملت فكرها * ثم قالت

قُلْ للوضيع مقالا ‏ ‏ يتْلَى الى حين يُحْشَرْ
من المدوّر انشِئـ ‏ ‏ ـتَ والخرا منه اعطَرْ
حيث البداوة امستْ ‏ ‏ فى مشيها تتبختر
لذاك امسيتَ صبّا ‏ ‏ بكل شىء مدوَّرْ
خُلقتَ اعمى ولكن ‏ ‏ تهيم فى كل اعوَرْ
جازيتْ شعرا بشعرٍ ‏ ‏ فقلْ لعمرى مَن اشعر
ان كنتُ فى الخلق انثى ‏ ‏ فانّ شعرى مذكّرْ

فقال لها اسمعى ‏ ‏ ألا قُلْ لنزهونة ما لها ‏ ‏ تجرّ من التيه اذيالَها
ولو ابصرتْ فيشةً شمّرتْ ‏ ‏ كما عوّدتنى سربالها

فحلف ابو بكر بن سعيد ألّا يزيد احدهما على الآخر فى هجوه كلمة فقال المخزومى اكون هجّاء الاندلس واكفّ عنها دون شىء فقال انا اشترى منك عرضها بما تطلب

a) Ga. لا سبيل له الآن الا بإذان. b) Ces deux mots manquent dans les man. d'al-Makkari. c) Les man. d'al-Makkari, excepté L., portent وبذات. d) Ga. قديم النعمة بند وغناء. e) Les man. portent ذبيحة. f) Les man. d'al-Makkari portent عملة. وتشمت بها. g) Les mots قد et فى كلامك manquent dans les man. d'al-Makkari. h) Ga. نسمة. i) Ga. ... k) La. O. بود. l) La. الحسن. l) Ga. وقلت قد. m) Ga. اتحكى من سحر.

فقال بالعبد الذى ارسلتَه فقلانى الى منزلك فانّه ليّن اليد(a) رقيق الملمس(b) فقال ابو بكر * لولا كونه صغيرا(c) كنتُ أبلّغك به مُرادَك وأَقَبُه لك * ففهم قصده وقال(d) اصبر عليه حتى يكبر ولو كان كبيرا ما آثرتنى به على نفسك فضحك ابو بكر وقال * إنْ لم تَهْجُ نظما هجوتَ نثرا(e) فقال أيّها الوزير لا تبديل لخلق الله وانفصل المخزومى بالعبد بعد ما اصلح الوزير بينه وبين نزهون انتهى، وفى كتاب الدرّ المنضّد، فى وفيات اعيان امّة محمد، تاليف الامير صارم الدين ابرهيم بن دقماق قال ابو القاسم ابن خلف كان يعنى المخزومى المذكور حيّا بعد الاربعين وخمسمائة انتهى، ونقلتُ من كتاب قطب السرور لابن الرقيق المغربى ما ملخّصه وممن ادركتُه وعاشرتُه عبد الوهّاب بن حسين بن جعفر الحاجب وذكرتُه هنا لانه ملحق بالامراء المتقدّمين غير خارج منهم ولا مقصّرٍ عنهم بل كان واحدَ عصره فى الغناء الرائق والادب الرائع والشعر الرقيق، واللفظ الانيق، ورقّة الطبع واصابة النادر والتشبيه المُصيب والبديهة التى لا يُلْحَقُ فيها مع شرف النفس وعلوّ الهمّة وكان قد قطع عمره، وافنى دهره، فى اللهو واللعب، والفكاهة والطرب، وكان اعلمَ الناس بضرب العود واختلاف طرائقه وصنعة اللحون وكثيرًا ما يقول المعانى اللطيفة فى الابيات الحسنة ويصوغ عليها الالحانَ المطربة، البديعة المعجبة، اختراعا منه وحذقا وكانت له فى ذلك قريحة وطبع وكان اذا لم يَزُرْه احد من اخوانه احضر مائدتَه وشرابه عشرةً من اهل بيته منهم ولده وعبد الله ابن اخيه وبعض غلمانه وكلّهم يغنّى فيُجيد فلا يزالون يغنّون بين يديه حتى يطرب فيدعو بالعود ويغنّى لنفسه ولهم وكان بشارة الزامرُ الذى يزمر عليه من حُذّاق زَمَرَة المشرق وكان بعيد الهمّة سمحًا بما يَجِدُ تغلّ عليه ضياعُه كلّ عام اموالا جليلة فلا تحول السنةُ حتى يَنْفِدَ(f) جميعَ ذلك ويستسلف غيره فكان لا يطرأ من المشرق مغنّ الا سأل من يقصد بهذا الشان فيُدَلّ عليه فمن وصله منهم استقبله بصنوف البرّ والاكرام وكساه وخلطه بنفسه ولم يَدَعْه الى احد من الناس فلا يزال معه فى صبوح وغبوق وهو مجدّد له كلّ يوم كرامةً حتى ياخذ جميعَ ما معه من صوت مطرب او حكاية نادرة وجلس يوما وقد زاره رجلان من اخوانه وحضر قرباؤه فطعموا وشربوا واخذوا فى الغناء فارتجّ المجلسُ اذ دخل عليه بعض غلمانه

a) Ga. القد. b) Les man. d'al-Makkarī portent المشى. c) Ga. لولا انه صغير. d) Ga. ففطن لقصده فقال. e) Ga. قد هجوت نثرا وان لم تهج نظما. f) O. ينفق.

فقال بالباب رجلٌ غريب عليه آثار السفر نكر انه ضيف فامر بادخاله فاذا رجل اسمر سناطٌ رثُّ الهيئة فسلّم عليه قال اين بلدُ الرجل قال البصرة فرحّب به وامره بالجلوس فجلس مع الغلمان فى صُفّة وأُتى بطعام فاكل وسُقى اقداحا ودار الغناء فى المجلس حتى انتهى الى آخرهم فلما سكتوا اندفع يغنّى بصوت ندىّ وطبع حسن

ألا يا دارُ ما الهجرُ ... لسُكّانيكِ a من شانى
سُقيتِ الغيثَ من دار ... وان هيّجتِ اشجانى
ولو شيتِ لَمَا استسقيْـــــتِ غيثا غير اجفانى
بنفسى حلَّ اهلوكِ ... وان بانوا بسلوانى
وما الدهر بمامون ... على تشتيتِ خُلّانى

فطرب عبد الوهّاب وصاح وتبيّن الحذق فى اشارته والطيبَ فى نبعه وقال يا غلام خُذْ بيده الى الحمّام وعجّلْ علىّ به فأُدْخل الحمّام ونُظّف ثم دعا عبد الوهّاب بخلعة من ثيابه فأُلقيت عليه ورفعه فاجلسه عن يساره واقبل عليه وبسطه فغنّى له

قُومِى امْزجى التبر باللُّجَيْنِ ... واحتملى الرطلَ باليديْنِ
واغتنمى غفلةَ الليالى ... فربّما ايقظتْ لحَيْن
فقد لعمرى اقرَّ منّا ... هلالُ شوّالَ كلَّ عَيْن
ذات الخلاخيل ابصرتْه ... كنصف خلخالها اللُّجَيْنى

فطرب وشرب واستزاده فغنّاه

مَنْ لى على رغم الحَسُود بقهوة ... بكرٍ ربيبة حانة عذراء
موج من الذهب المُذاب تضمّه ... كاس كقشر الدرّة البيضاء
والنجم فى افق السماء كأنّه ... عين تُخالس غفلةَ الرقباء

فشرب عبد الوهّاب ثم قال زِدْنى فغنّاه

وانت الذى اشرقتَ عينى بمائها ... وعلّمتَها بالهجر ان تهجر الغُمْضا
واغريتَها بالدمع حتى جفونها ... لَينكرِ من فقد الكرى بعضُها بعْضا

ثمّ بوم من احسن الايام وانبيبا ووصله واحسن اليه ولم يزل عنده مقرّبا مكرّما وكان خليعا ماجنا مشتهرا بالنبيذ فخلّاه وما احبّ ثم وصف له الاندلس ونبيها وكثرة

a) Les man. portent لسدانك.

خمورها فمضى اليها ومات بها وعلى نحو هذه الحال كان يفعل بكل طارئ يطرأ عليه من المشرق ولو ذكرتُهم لطال الكتاب انتهى، وغرضى من ايراد هذه الحكاية هنا كونه وصف للمشرقىّ الاندلس وطيبها وذلك امر لا يُشَكّ فيه ولا يرتاب، والله المسؤل فى حسن المتاب»، ورايتُ فى بعض كتب تاريخ الاندلس فى ترجمة السلطان باديس الصنهاجىّ صاحب غرناطة ما نصّه وهو الذى اكمل ترتيب قصبة مالقة وكان أفرس الناس وأنبلهم ذا مروّة ونجدة وقصره بغرناطة ليس ببلاد الاسلام والكفر مثله فيما قيل انتهى، وهذا القصر هو الذى عناه لسان الدين بن الخطيب فى قصيدته السينيّة المذكورة فى الباب الخامس من القسم الثانى من هذا الكتاب فلتراجعْ ثمّة، وذكر غير واحد من المحدّثين والمؤرّخين ان مدينة سرقسطة لا يدخلها الثعبانُ من قِبَل نفسه واذا ادخله احد لم يتحرّك ونظيرُ هذا المعنى فى بعض الحيوانات بالنسبة الى بعض البلاد كثير وذلك برَصَد او طلسم وقد استطرد علماء اصول الدين ذلك عند ما تكلّموا على السِحْر حسبما قُرّر فى محلّه والله اعلم هكذا رايتُ فى كلام بعض علماء المشرق والذى رايتُه لبعض مؤرّخى المغرب فى سرقسطة انها لا تدخلها عقرب ولا حيّة الا ماتت من ساعتها ويُوتَى بالحيّات والعقارب اليها حيّةً فبنفس ما تدخل الى جوف البلد تموت قال ولا يتسوّس فيها شىء من الطعام ولا يعفن ويوجد فيها القمح من مائة سنة والعنب المعلّق من ٩ اعوام والتين والخوخ وحبّ الملوك والتفّاح والاجّاص اليابسة من ٤ اعوام والفول والحمّص من ٢٠ سنة ولا يسوس فيها خشب ولا ثوب صوفًا كان او حريرا او كتّانا وليس فى بلاد الاندلس اكثر فاكهةً منها ولا اطيب طعما ولا اكبر جرما والبساتين محدقة بها من كل ناحية ٨ اميال ولها اعمال كثيرة مدنٌ وحصون وقرى مسافةَ ٤٠ ميلا وهى تضاهى مدنَ العراق فى كثرة الاشجار والانهار وبالجملة فامرُها عظيم وقد اسلفنا ذكرها، واعلم ان بارض الاندلس من الخصب والنصرة وعجائب الصنائع وغرائب الدنيا ما لا يوجد مجموعه غالبًا فى غيرها فمن ذلك ما ذكره الحجارى فى المسهب ان السمّور الذى يُعمل من وبره الفراء الرفيعة يوجد فى البحر المحيط بالاندلس من جهة جزيرة برطانية ويُجلب الى سرقسطة ويُصنع بها ولمّا ذكر ابن غالب وبر السمور الذى يُصنع بقرطبة قال هذا السمور المذكور هنا لم اتحقّق ما هو ولا ما عنى به إنْ كان هو نباتا عندهم او وبر الدابّة المعروفة فان كانت الدابّة المعروفة فهى دابّة تكون فى البحر وتخرج الى البرّ وعندها قوّة ميز وقال حامد بن

سَنْجُون الطبيب صاحب كتاب الادوية المفردة هو حيوان يكون في بحر الروم ولا يحتاج منه الا خُصَاه فيخرج الحيوان من البحر في البرّ فيوجد وتقطع خصاه ويُنْطَلق فربّما عرض للقنّاصين مرّة ثانية فاذا احسّ بهم وخشى ألّا يفوتهم استلقى على ظهره وفرج بين فخذيْه ليرى موضع خصيتيْه خاليًا فاذا رآه القنّاصون كذلك تركوه قال ابن غالب ويسمى هذا الحيوان ايضا الجُنْدبادَسْتَر والدواء الذى يُصنع من خصيتيْه من الادوية الرفيعة ومنافعُه كثيرة وخاصّيتُه فى العِلَل الباردة وهو حارٌ يابس فى الدرجة الرابعة والقنليه [a] حيوان ادقّ من الارنب واطيب فى الطعم واحسن وبرا وكثيرًا ما يلبس فراءها ويستعملها اهل الاندلس من المسلمين والنصارى ولا توجد فى برّ البربر الّا ما جُلب منها الى سبتة فنشأ فى جوانبها قال ابن سعيد وقد جُلبتْ فى هذه المدّة الى تونس حضرة افريقية ويكون بالاندلس من الغزال والايّل وحمر الوحش وبقره وغير ذلك ممّا يوجد فى غيرها كثير وامّا الاسد فلا يوجد فيها البتّة ولا الفيل والزرافة وغير ذلك ممّا يكون فى اقاليم الحرارة ولها سَبُع يعرف باللُّب [b] اكبر بقليل من الذيب فى نهاية من القِحَة وقد يفترس الرجل اذا كان جائعا وبغال الاندلس فارهة وخيلها ضخمة الاجسام حصون للقتال لحملها الدروع وثقال السلاح والعَدْوُ فى خيل البرّ الجنوبى ولها من الطيور الجوارح وغيرها ما يكثر ذكره ويطول وكذا حيوان البحر ودوابّ بحرها المحيط فى نهاية من الطول والعرض قال ابن سعيد عاينتُ من ذلك العجبَ والمسافرون فى البحر يخافون منها لئلّا تقلب المراكبَ فيقطعون الكلام وينفخ بدمائه من فيها يقوم فى الجوّ ذا ارتفاع مفرط، وقال ابن سعيد قال المسعودى فى مروج الذهب فى الاندلس من انواع الافاويه ٢٥ صنفا منها السنبل والقرنفل والصندل والقرفة وقصب الذريرة وغير ذلك وذكر ابن غالب ان المسعودى قال اصول الطيب ٥ اصناف المسك والكافور والعود والعنبر والزعفران وكلها من ارض الهند الا الزعفران والعنبر فانهما موجودان فى ارض الاندلس ويوجد العنبر فى ارض الشِحْر قال ابن سعيد وقد تكلّموا فى اصل العنبر فذكر بعضهم انه عيون تنبع فى قعر البحر يصير منها ما تبلعه الدوابُّ وتقذفه قال الحجارى ومنهم من قال انه نبات فى قعر البحر وقد تقدّم قول الرازى ان المحلب وهو المقدّم فى الادوية والمفضّل فى انواع الطيب لا

a) Le lapin, en italien *coniglio*. Voyez *Gesenii Thesaur. ling. Hebr.*, p. 1467 *b*. b) Le loup, en espagnol *lobo*.

يوجد فى شىء من الارض الا بالهند والاندلس، قال ابن سعيد وفى الاندلس مواضع ذكروا ان النار اذا أُطلقتْ فيها فاحتْ بروائح العود وما اشبَهَه وفى جبل شُلَيْر اقاوية هنديّة قال وامّا الثمار واصناف الفواكه فالاندلس اسعدُ بلاد الله بكثرتها ويوجد فى سواحلها قصب السكّر والموز المعدومان فى الاقاليم البـاردة ولا يعدم منها الا التمر ولها من انواع الفواكه ما يعدم فى غيرها او يَقلّ كالتين القوطى والتين الشعرى باشبيلية قال ابن سعيد وهذان صنفان لم ترَ عينى ولم أذُقْ لهما منذ خرجتُ من الاندلس ما يَفْضُلهما وكذلك التين المالقى والزبيب المنكّبى والزبيب العسلى والرمّان السَفَرى a والخوخ والجوز واللوز وغير ذلك مما يطول ذكره، وقد ذكر ابن سعيد ايضا ان الارض الشماليّة المغربيّة فيها المعادن السبعة وانها فى الاندلس التى هى بعضُ تلك الارض واعظمُ معدن للذهب بالاندلس فى جهة شنت ياقُوه قاعدة الجلالقة على البحر المحيط وفى جهة قرطبة الفضّة والزيبق والنحـاس فى شمال الاندلس كثير والصفر الذى يكاد يُشْبِه الذهبَ وغير ذلك من المعادن المتفرّقة فى اماكنها والعين التى يخرج منها الزاج فى لَبْلة b مشهورة وهو كثير مفضّل فى البلاد منسوب وبجبل طليطلة جبل الطفل الذى يجهّز الى البلاد ويفضّل على كل طفل بالمشرق والمغرب وبالاندلس عدّةُ مقاطع للرخام، وذكر الرازى ان بجبل قرطبة مقاطع للرخـام الابيض النـاصع والخمرى وفى ناشرة c مقطع عجيب للعُمُد وبباغة من مملكة غرناطة مقاطع للرخام كثيرة غريبة موشّاة فى حمرة وصفرة وغير ذلك من المقاطع التى بالاندلس من الرخام الحالك والمجزّع، وحَصَى المريّة يُحمل الى البلاد فانه كالدرّ فى رونقه وله الوان عجيبة ومن عادتهم ان يَضَعوه فى كيزان الماء، وفى الاندلس من الامنان التى تنزل من السماء القرمز الذى ينزل على شجر البلّوط فيجمعه الناسُ من الشعرى ويصبغون به فيخرج منه اللونُ الاحمر الذى لا تفوقه حمرة، قال ابن سعيد والى مصنوعات الاندلس ينتهى التفضيل وللمتعصّبين لها فى ذلك كلام كثير فقد اختُصّت المريّة ومالقة ومرسية بالوشى d المذهّب الذى يتعجّب من حسن صنعته اهلُ المشرق اذا راوا منه شيأ وفى تنتالة e من عمل مرسية تعمل البُسُط التى يُغالَى فى ثمنها بالمشرق ويُصنع فى غرناطة وبَسْطة من ثياب اللباس المحرّرة الصنفُ الذى يعرف بالملبّد المختّم

a) En espagnol *zafari*. b) Les man. portent ليلة. c) S. فاشرة, G. P. قاشرة. d) La. O. بالموشى. e) S. تبيالة ou بنبيالة.

ذو الالوان العجيبة ويصنع فى قرطبة من الاسرّة المرصّعة والحُصُر الفتّانة الصنعة وآلات الصفر والحديد من السكاكين والامقاص المذهّبة وغير ذلك من آلات العروس والجُندى ما يبهر العقل ومنها تجهّز هذه الاصناف الى بلاد افريقية وغيرها ويُصنع بها وبالمريّة وبمالقة الزجاجُ الغريب العجيب وفخّار مزجّج مذهّب ويصنع بالاندلس نوع من المفصّص المعروف فى المشرق بالفسيفسا ونوع يُبْسَط به قاعاتُ ديارهم يعرف بالزليجى¹ يُشْبه المفصّص وهو ذو الوان عجيبة يقيمونه مقامَ الرخام الملوَّن الذى يصرفه اهل المشرق فى زخرفة بيوتهم كَالشاذروان وما يجرى مجراه، وامّا آلات الحرب من الاتراس والرماح والسروج والالجُم والدروع والمغافر فاكثر هِمَم اهل الاندلس فيما حكى ابن سعيد كانت مصروفة الى هذا الشان وتُصنع منها فى بلاد الكفر ما يبهر العقول قال والسمور البرذليّت مشهورة بالجودة وبرذيل آخر بلاد الاندلس من جهة الشمال والمشرق والعولة الذى باشبيلية اليه النهايةُ وفى اشبيلية من دقائق الصنائع ما يطول ذكره، وقد افرد ابن غالب فى فرجة² الانفس، للآثار الاوّليّة التى بالاندلس،، من كتابه مكانا تعرّض منها ما كان من جلبهم الماء من البحر الملح الى الارحىّ التى بطركونة على وزن لطيف وتدبير مُحْكَم حتى تطحنَ به وذلك من اعاجب ما صُنع ومن ذلك ما صنعه الاول ايضا من جلب الماء فى البحر المحيط الى جزيرة قادس من العين التى فى اقليم الاصنام جلبوه فى جوف البحر فى الصخر المجوَّف ذكرًا فى انثى وشقُّوا به الجبال فاذا وصلوا به الى المواضع المنخفضة بنوا له قناطر على حنايا فاذا جاوزها واتّصل بالارض المعتدلة رجعوا الى البنيان المذكور فاذا صادف سبخةً بُنى له رصيف وأُجْرِىَ عليه هكذا الى ان انتهى به الى البحر ثم دُخل به فى البحر واخرج فى جزيرة قادس والبنيان الذى دخل عليه الماء فى البحر ظاهر بيّن قال ابن سعيد الى وقتنا هذا ومنه الرصيف المشهور بالاندلس، قال فى بعض اخبار رومية انه لما ولى يوليش المعروف بجاسر³ وابتدأ بتذريع الارض وتكسيرها كان ابتداؤه بذلك من مدينة رومية الى المشرق منه والى المغرب والى الشمال والى الجنوب ثم بدأ بفرش المبلّطة واقبل بها على وسط دائرة الارض الى ان بلغ بها ارض الاندلس وركزها شرقىّ قرطبة

1) En espagnol *azulejo*. La. porte الزلنجى. G. et S. الزلنجى, mais la veritable leçon ne saurait être douteuse, et elle se trouve dans P. 2) G. P. فرحة. 3) Cette leçon se trouve dans le man. O. Les autres man. portent بجاسر

ببابها المتطامن المعروف بباب عبد الجبّار ثم ابتداها من باب القنطرة قبلىّ قرطبة الى شَقُنْدة الى إسْتجة الى قَرْمونة الى البحر واقام على كل ميل سارية قد نقش عليها اسمه من مدينة رومية وذُكر انه اراد تسقيفها فى بعض الاماكن راحةً للخاطرين من وهج الصيف وهول الشتاء ثم توقّع ان يكون ذلك فسادا فى الارض وتغييرا للطُرق عند انتشار اللصوص واهل الشرّ فيها فى المواضع المنقطعة النائية عن العمران فتركها على ما هى عليه وذكر فى هذه الآثار صنم قادس الذى ليس له نظير الا الصنم الذى بطرف جلّيقية وذكر قنطرة طليطلة وقنطرة السيف وقنطرة ماردة وملعب مُرْبيطَر، قال ابن سعيد وفى الاندلس عجائب منها الشجرة التى لولا كثرة ذكر العامّة لها بالاندلس ما ذكرتُها فان خبرها عندهم شائع متواتر وقد رايتُ من يشهد بخبرتها ورويتها وهم جمٌّ غفير وهى شجرة زيتون تصنع الورقَ والنَّوْر والثمر من يوم واحد معلوم عندهم من ايام السنة الشمسيّة، ومن العجائب الساريةُ التى بغرب الاندلس ما يزعم الجمهور ان اهل ذلك المكان اذا احبّوا المطر اقاموها فيمطر الله جهتهم، ومنها صنم قادس طولَ ما كان قائما كان يمنع الريح ان تهبّ فى البحر المحيط فلا تستطيع المراكبُ الكبار على الجرى فيه فلما هُدم فى اول دولة بنى عبد المومن صارت السفنُ تجرى فيه، وبكورة قَبْرة مغارة ذكرها الرازى وحكى انه يقال انها باب من ابواب الريح لا يُدْرَك لها قعرٌ، وذكر الرازى ان فى جهة قلعة ورد جبلا فيه شقٌّ فى صخرة داخلَ كهف فيه فاسُ حديد متعلّق من الشقّ الذى فى الصخرة تراه العيونُ وتلمسه اليدُ ومن رام اخراجَه لم يُطِقْ ذلك واذا دفعتْه a اليدُ ارتفع وغاب فى شقّ الصخرة ثم يعود الى حالته، وامّا ما اورده ابن بشكوال من الاحاديث والآثار فى شان فضل الاندلس والمغرب فقد ذكرها ابن سعيد فى كتابه المغرب ولم اذكرْها انا والله اعلم بحقيقة امرها وكذلك ما ذكر ابن بشكوال من ان فتح القسطنطينية يكون من الاندلس قال وذكره سَيْف عن عثمن بن عفّان رضّه والله اعلم بصحّة ذلك ولعلّ المراد بالقسطنطينية رومية وربّما اعلم قال سيف وذلك ان عثمن ندب جيشا من القيروان الى الاندلس وكتب لهم امّا بعد فان فتح القسطنطينية انما يكون من قِبَل الاندلس فانكم ان فتحتموها كنتم الشركاء فى الاجر والسلام انتهى

a) S. La. O. رفعته.

قلت عُهدةُ هذه الامور على ناقلها وانا بريء من عهدتها ولنْ ذكرها ابن بشكوال وصاحب المغرب وغير واحد فانها عندى لا اصلَ لها وانّ وقت بعث عثمن الى الاندلس مع ان فتحها بالاتفاق انما كان زمانَ الوليد وانما ذكرتُ هذا للتنبيه عليه لا غيرُ والله اعلم، قال ابن سعيد وميزان وصف الاندلس انها جزيرة قد احدقت بها البحارُ فاكثرت فيها الخصب والعمارة من كل جهة فمتى سافرتَ من مدينة لا تكاد تنقطع من العمارة ما بين قرى ومياه ومزارع والصحارى فيها معدومة وممّا اختُصّت به ان قراها فى نهاية من الجمال لتصنّع اهلها فى اوضاعها وتبييضها لئلّا تنبو العيونُ عنها فهى كما قال الوزير ابن الحمارة

لاحتْ قُراها بين خضرة ايكها   كالدرّ بين زبرجد مكنونِ

ولقد تعجّبتُ لما دخلتُ الديار المصريّة من اوضاع قراها التى تكدر العين بسوادها وبضيق الصدر بضيق اوضاعها وفى الاندلس جهات تقرب فيها المدينة العظيمة المعتبرة من مثلها والمثال فى ذلك انك اذا توجّهتَ من اشبيلية فعلى مسيرة يوم وبعض آخر مدينة شريش وهى فى نهاية من الحضارة ﻫ والنضارة ثم تليها الجزيرة الخضراء كذلك ثم مالقة وهذا كثير فى الاندلس ولهذا كثرت مدنُها واكثرها مسوّر من اجل الاستعداد للعدوّ فحصل لها بذلك التشييد والتزيين ومن ﻫ حصونها ما بقى فى محاصرة ﻫ العدوّ ما ينيف على ٢٠ سنة لامتناع معاقلها ودُرْبة اهلها على الحرب واعتيادهم لمحاربة ﻫ العدوّ بالطعن والضرب وكثرة ما تُخْزَن ﻫ الغَلّةُ فى مطاميرها فمنها ما يبقى صبره عليها نحوا ﻫ من مائة سنة قال ابن سعيد ولذلك اداموها الله من وقت الفتح الى الآن وان كان العدوّ قد نقصها من اطرافها وشاركَ فى اوساطها ففى البقيّة متعة عظيمة فارس بقى فيها مثلُ اشبيلية وغرناطة ومالقة والمريّة وما ينضاف الى هذه الحواضر العظيمة المعتبرة الرجاء فيها قوىّ بحول الله وقوّته انتهى، قلت قد خاب ذلك الرجا، وصارت تلك الارجاء للكفر مُقْرَجا، ونسأل الله الذى جعل لكلّ همّ فرجا، ولضيق مخرجا، ان يعيد اليها كلمة الاسلام حتى يستنشق اهله منه فيها ارجا، آمين، ومن غرائب الاندلس انهما ﻫ اللتان بطليطلة صنعهما عبد الرحمن لما سمع

a) Les man. portent الخضارة.   b) Les man. portent وفى.   c) G. P. La. O. محاربة
d) G. P. La. O. لمجاورة.   e) O. تنخزن, G. تنحزن, La. تنخزن.   f) La. O. اكثر.
g) Voyez sur le mot بيلة mon glossaire sur Ibn-Djobair, p. 18.

يخبر الطلسم الذى بمدينة اربين *a* من ارض الهند وقد ذكره المسعودى وانه يدور باصبعه من طلوع الفجر الى غروب الشمس فصنع هو هاتين البيلتين خارجَ طليطلة فى بيت مجوَّف فى جوف النهر الاعظم فى الموضع المعروف بباب الدبّاغين ومن عاجبهما انهما تمتلئان وتنحسران *b* مع زيادة القمر ونقصانه وذلك ان اولَ الهلال يخرج فيهما يسيرُ ماء فاذا اصبح كان فيهما *c* سُبْعهما من الماء فاذا كان آخر النهار كمل فيهما نصفُ سبع ولا يزال كذلك بين اليوم والليلة نصف سبع حتى يكمل من الشهر ٧ ايام وسبعةُ ليالٍ فيكون فيهما نصفهما ولا تزال كذلك الزيادة نصف سبع فى اليوم والليلة حتى يكمل امتلاؤهما بكمال القمر فاذا كان فى ليلة خمس عشرة *d* واخذ القمرُ فى النقصان نقصتا بنقصان القمر كل يوم وليلة نصف سبع حتى يتمّ القمرُ ٢١ يوما فينقص منهما نصفهما ولا يزال كذلك ينقص فى كل يوم وليلة نصف سبع فاذا كان ٢٩ من الشهر لا يبقى فيهما شىء من الماء واذا تكلّف احد حين تنقصان *e* ان يملأهما وجلب لهما الماء ابتلعتا ذلك من حينهما حتى لا يبقى فيهما الا ما كان فيهما فى تلك الساعة وكذا لو تكلّف عند امتلائهما افراغَهما ولم يُبْقِ فيهما *f* شيئًا ثم رفع يده عنهما خرج فيهما من الماء ما يملأهما فى الحين وهما اعجب من طلسم الهند لان ذلك فى نقطة الاعتدال حيث لا يزيد الليل على النهار واما هاتان فليستا *g* فى مكان الاعتدال ولم تزالا فى بيت واحد حتى ملك النصارى دمّرهم الله طليطلةَ فاراد أَلْفُنْش ان يعلم حركاتهما فامر ان تقلع الواحدةُ منهما لينظر من اين ياتى اليهما *h* الماء وكيف الحركة فيهما *i* فقلعت فبطلت حركتُهما *j* وذلك سنة ٥٢٨ وقيل ان سبب فسادهما حُنَيْن اليهودى الذى جلب حمام الاندلس كلها الى طليطلة فى يوم واحد وذلك سنة ٥٢٧ وهو الذى اعلم الفنش ان ولده سيدخل قرطبة ويملكها فاراد ان يكشف حركة البيلتين فقال له ايها الملك انا اقلعهما واردّهما احسنَ ممّا كانتا وذلك انّى اجعلهما تمتلئان بالنهار وتنحسران فى الليل فلما قلعتا *k* لم يقدر على ردّهما *l* وقيل انه قلع واحدةً ليسرق منها الصنعة فبطلت ولم تزل الاخرى تعطى حركتها والله اعلم

a) Lisez أُرِّين. *b*) Les man. portent يمتليان وينحسران. *c*) Faut-il ajouter ربع. *d*) Les man. portent خمسة عشر. *e*) Les man. portent ينقصان. *f*) Les man. portent منهما. *g*) Les man. portent هذان فليسا. *h*) S. La. O. اليهما. *i*) S. La. O. فيهما. *j*) La. O. حركتهما. *k*) Les man. portent قلعت. *l*) G. P. S. La. ردها.

بحقيقة الحال، وقال بعضهم فى اشبيلية انها قاعدة بلاد الاندلس وحاضرتها ومدينة الادب واللهو والطرب وهى على ضفة النهر الكبير عظيمة الشان طيّبة المكان لها البرّ المديد والبحر الساكن والوادى العظيم وهى قريبة من البحر المحيط الى ان قال ولولم يكن لها من الشرف الا موضع الشَّرَف المقابل لها المُطِلّ عليها المشهور بالزيتون الكثير الممتدّ [a]اربعين ميلا فى فراسخ لكفاها، وبها منارة فى جامعها بناها يعقوب المنصور ليس فى بلاد الاسلام اعظم بناء منها وعسل الشرف يبقى حينا ولا يترمّل ولا يتبدّل وكذلك الزيت والتين، وقال ابن مفلح ان اشبيلية عروس بلاد الاندلس لان تاجها الشرف وفى عنقها سمط النهر الاعظم وليس فى الارض اتمّ حسنا من هذا النهر يضاهى دجلة والفرات والنيل تسير القوارب فيه للنزهة والصيد تحت ظلال الثمار وتغريد الاطيار ٢٤ ميلا ويتعاطى الناسُ السُّرُج من جانبَيْه ١٠ فراسخ فى عمائر متّصلة ومنازه مرتفعة وابراج مشيّدة وفيه من انواع السمك ما لا يحصى وبالجملة فهى قد حوت البرّ والبحر والزرع والضرع وكثرة الثمار من كل جنس وقصب السكّر ويجمع فيها [b]القرمز الذى هو اجلّ من الذى بالهند وزيتونها يختزن تحت الارض اكثر من ٣٠ سنة ثم يُعتصر فيخرج منه اكثر مما يخرج منه وهو طرىّ انتهى ملخّصا، ولمّا ذكر ابن اليسع الاندلس قال لا يتزوّد فيها احد ماء حيث سلك لكثرة انهارها وعيونها وربّما لقى المسافر فيها فى اليوم الواحد ٤ مداين ومن المعاقل والقرى ما لا يحصى وهى بطاح خُضْر وقصور بيض انتهى، قال ابن سعيد وانا اقول كلاما فيه كفاية منذ خرجتُ من جزيرة الاندلس وتنقّلتُ فى برّ العدوة ورايتُ مدنها العظيمة كمرّاكش وفاس وسلا وسبتة ثم تنقّلتُ فى افريقية وما جاورها من المغرب الاوسط فرايتُ بجاية وتونس ثم دخلتُ الديار المصريّة فرايتُ الاسكندرية والقاهرة والفسطاط ثم دخلتُ الشام فرايتُ دمشق وحلبا وما بينهما لم ار ما ... [illegible] الاندلس فى مبانيها ... [illegible] الا مدينة فاس بالمغرب الاقصى ومدينة دمشق بالشام وفى حماة مسحة اندلسيّة ... [illegible] فى حسن المبانى والتشييد والتصنيع الا ما شُيّد بمرّاكش فى دولة بنى عبد المؤمن وبعض اماكن فى تونس وان كان الغالب على تونس ... [illegible] بالحجارة كالاسكندرية ... [illegible] الاسكندرية افسح شوارع وابنية ... [illegible] وابدع ومبنى ... [illegible] داخله فيما يستحسن

a) J'ai ajouté ce mot, qui manque dans tous les man. b) Les man. portent منها.

لانها من حجارة صلبة وفى وضعها وترتيبها اتقانٌ انتهى، واحسن ما جاء من النظم [a] فى الاندلس قول ابن سفر المَرينى والاحسان له عادةٌ

[b] فى ارض اندلس تلتذُّ نعماء   ولا يفارق فيها القلبَ سَرّاء

وليس فى غيرها بالعيش منتفعَ   ولا تقوم بحقّ الانس صهباء

واين يُعْدَل عن ارض تحضّ بها   على المُدامة امواهٌ وافياء

وكيف لا تُبْهِج الابصارَ رويتُها   وكلُّ روض بها فى الوشى صنعاء

انهارها فضّة والمسك تربتُها   والخزّ روضتها والدرّ حصباء

وللهواء بها لطف يرقّ به   من لا يرقّ وتبدو منه اهواء

ليس النسيم الذى يهفو بها سحرًا   ولا انتشارُ لآلى الطلّ انداء

وانّما ارج الندّ استثارة بها   فى ماء ورد فطابت منه ارجاء

واين يبلغ منها ما أُصنّفه   وكيف يحوى الذى حازتْه احْصاء

قد مُيّزتْ من جهات الارض حين بدتْ   فريدةً وتولّى مَيْزَها السّماء

دارتْ عليها نطاقًا أبْحُرٌ خفقتْ   وجدًا بها اذ تبدّتْ وهى حسناء

لذاك يبسم فيها الزهْرُ من طرب   والطير تشدو وللاغصان اصْغاء

فيها خلعتُ عِذارى ما بها عِوَضٌ   فهى الرياض وكل الارض صحراء

ولله درّ ابن خفاجة حيث يقول

• انّ للجنّة بالاندلس الابيات،

وقد تقدّمت هذه الابيات قال ابن سعيد قال ابن خفاجة هذا وهو بالمغرب الاقصى فى برّ العدوة ومنزله فى شرق الاندلس بجزيرة شُقَر، وقال ابن سعيد فى المُغْرِب ما نصّه قواعد من كتاب الشُهْب الثاقبة، فى الانْصاف بين المشارقة والمغاربة،، اول ما نقدّم الكلام على قاعدة السلطنة فنقول انها مع ما بايدى عُبّاد الصليب منها اعظمُ سلطنة كثرت ممالكُها وتشعّبتْ فى وجوه الاستظهار للسلطان اعانتُها ونَدَعُ كلامنا فى هذا الشان وننقل ما قاله ابن حَوْقل النَصيبى [c] فى كتابه لما دخلها فى مدّة خلافة بنى مروان بها فى المائة الرابعة وذلك انه لما وصفها قال واما جزيرة الاندلس فجزيرة كبيرة طولها دون الشهر فى عرض نيف وعشرين مرحلة تغلب عليها المياهُ الجارية

a) S. La. O. استثار. b) Mêmes vers que plus haut, p. ١٠٥. Variantes: vs. 1. مجتلى مراى, vs. 2. ودجا ظلمتها. c) Man. d'Oxford, Hunt. 538, p. 85 (H.); man. de Leyde, p. 38 (Leyd.).

والشجر والثمر والرخص والحملا الى ¹ الاحوال من الرقيق الفاخر والخصب الظاهر الى اسباب التملك الفاشية * فيها ولما هى به من اسباب رغد ᵃ العيش وسعته وكثرته يملك ذلك منهم مهينهم ᵇ وارباب صنائعهم ᶜ لقلة مونتهم وصلاح معاشهم وبلادهم ثم اخذ فى عظم سلطانها ووصف وفور جباياته وعظم مرافقه وقال فى اثناء ذلك ومما يدل بالقليل منه على كثيره ان سكة دار ضربه على الدراهم والدنانير دخلها ᵈ فى كل سنة مائتا الف دينار * وصرف الدينار ١٧ درهما ᵉ هذا الى صدقات البلد وجباياته وخراجاته وأعشاره وضماناته ᶠ والاموال المرسومة على المراكب الواردة والصادرة * وغير ذلك ᵍ وذكر ابن بشكوال ان جباية الاندلس بلغت فى مدة عبد الرحمن الناصر خمسة آلاف الف دينار واربعمائة الف وثمانين الفا ثم من السوق والمستخلص سبعمائة الف وخمسة وستون الف دينار ثم قال ابن حوقل ومن اعجب ما فى هذه الجزيرة بقاؤها على من هى فى يده مع صغر احلام اهلها وضعة نفوسهم ونقص عقولهم وبعدهم من الباس والشجاعة والفروسية والبسالة ولقاء الرجال ومراس الانجاد والابطال * مع علم امير المومنين بمحلّها ʰ فى نفسها ومقدار جباياتها ومواقع نعمها ولذاتها قال على بن سعيد مكمل هذا الكتاب ثم أر بُدًّا من اثبات هذا الفصل وان كان على اهل بلدى فيه من الظلم والتعصب ما لا يخفى ولسان الحال فى الرد أنطق من لسان البلاغة وليت شعرى اذ سلب اهل هذه الجزيرة العقول والآراء والهمم والشجاعة فمن الذين دبّروها بآرائهم وعقولهم مع مراصدة اعدائها المجاورين لها من خمسمائة سنة ونيف ومن الذين حموها بسيوفهم من الامم المتصلة بهم فى داخلها وخارجها نحو ٣ اشهر على كلمة واحدة فى نصرة الصليب وانى لأعجب منه اذ كان فى زمان قد دفعت فيه عُبّاد الصليب الى الشام والجزيرة وعثوا كل العيث فى بلاد الاسلام حيث الجمهور والقبة العظمى حتى انهم دخلوا مدينة حلب * وما ادراك ¹ وفعلوا فيها ما فعلوا وبلاد الاسلام متصلة بها من كل جهة الى غير ذلك مما هو مسطور فى التواريخ ومن اعظم ذلك واشده انهم كانوا

---

a) H. et Leyd. فى الذى هم ولما هم به من رغد.   b) H. et Leyd. مهينهم.   c) H. et Leyd. تحون صنائعهم   d) H. et Leyd. ضريبتها.   e) Au lieu de ces mots on lit dans H. et Leyd. عن صرف سبعة عشر بدينار. ثلثة الاف الف درهم واربع مائة الف درهم.   f) H. et Leyd. ajoutent ومراصده.   g) Au lieu de ces mots on lit dans H. et Leyd. والجوالى والرسوم وعلى بيوع الاسواق.   h) H. et Leyd. (H. بمحلها) بمحلب الاسلام عليهم ولم مواليها.

¹) Ces deux mots me semblent alterés.

يتغلّبون على الحصن من حصون الاسلام التى يتمكّنون بها من بسائط بلادهم فيَسْبون وياسرون فلا تجتمع هِمَمُ الملوك المجاورة على حَسْم الداء فى ذلك وقد يستعين به بعضُهم على بعض فيتمكّن من ذلك الداء الذى لا يطبّ وقد كانت جزيرة الاندلس فى ذلك الزمان بالضدّ من البلاد التى ترك وراء ظهره وذلك موجود فى تاريخ ابن حيّان وغيره وانما كانت الفتنةُ بعد ذلك الأَعْلامُ بيّنة والطريق واضح فلنرجِعْ الى ما نحن بسبيله، كانت سلطنةُ الاندلس فى صدرِ الفتح على ما تقدّم من اختلاف الوُلاة عليها من سلاطين افريقية واختلافُ الوُلاة داعٍ الى الاضطراب وعدم تأثّل الاحوال وترتيب a الضخامة فى الدولة ولما صارت الاندلس لبنى اميّة وتوارثوا ممالكها وانقاد اليهم كلُّ ابىّ فيها واطاعهم كلُّ عصىّ عظمت الدولةُ بالاندلس وكبرت الهممُ وترتّبت الاحوالُ وترتبت القواعد وكانوا صدرًا من دولتهم يخطبون لانفسهم بأَبْناء الخلائف ثم خطبوا لانفسهم بالخلافة وملكوا من برّ العدوة ما ضخمت به دولتُهم وكانت قواعدُهم اظْهار الهيبة وتمكُّن الناموس من قلوب العالَم ومراعاة احوال الشرع فى كل الامور وتعظيم العلماء والعمل باقوالهم واحْضارهم فى مجالسهم واستشارتهم ولهم حكايات فى تاريخ ابن حيّان منها ما هو مذكور من توجّه الحكم على خليفتهم او على ابنه او احد حاشيته المختصّين وانهم كانوا فى نهاية من الانقياد للحقّ لهم او عليهم وبذلك انضبط لهم امرُ الجزيرة ولما خرقوا هذا الناموس كان اول ما تهتّك امرهم ثم اضمحلّ وكانت القابُ الأُوَل منهم الامراء ابناء الخلائف ثم الخلفاء امراء المومنين الى أن وقعت الفتنةُ بحسد بعضهم لبعض وابتغاء الخلافة من غير وجهها الذى رُتّبت عليه فاستبدّتْ ملوكُ الممالك الاندلسية ببلادها وسُمّوا بملوك الطوائف واستبدّوا وكان فيهم مَنْ خطب للخلفاء المروانيين وان لم تبقَ لهم خلافة ومنهم من خطب للخلفاء العبّاسيين المجتمع على امامتهم وصار ملوك الطوائف يتباهَوْن فى احوال الملك حتى فى الالقاب فآل امرُهم الى أن تلقّبوا بنعوت الخلفاء وترفّعوا الى طبقات السلطنة العظمى. وذلك بما فى جزيرتهم من اسباب الترفة والضخامة التى تتوزّع على ملوك شتى فتكفيهم وتنهض بهم للمباهاة ولأجل توثّبهم على النعوت العبّاسية قال ابن رشيق القيروانى

مما يزهّدنى فى ارض اندلس تلقيبُ معتضد فيها ومعتمدِ

a) G. P. S. وتربية.

القابُ مملكة فى غير موضعها كالهرّ يحكى انتفاخا صولةَ الاسد

وكان عبّاد بن محمد بن عبّاد قد تلقّب بالمعتضد واقتفى سيرةَ المعتضد العباسى امير المومنين وتلقّب ابنه محمد بن عبّاد بالمعتمد وكانت لبنى عبّاد مملكةُ اشبيلية ثم انضاف اليها غيرها وكان خلفاء بنى اميّة يظهرون للناس فى الاحيان على ابّهة الخلافة وقانون لهم فى ذلك معروف الى ان كانت الفتنةُ فازدرت العيونُ ذلك الناموسَ واستخفّت به وقد كان بنو حَمّود من وَلَد ادريس العَلَوىّ الذين توثّبوا على الخلافة فى اثناء الدولة المروانية بالاندلس يتعاظمون وياخذون انفسهم بما ياخذها خلفاء بنى العبّاس وكانوا اذا حضرهم منشدٌ لمدح او من يحتاج الى الكلام بين ايديهم تكلّم من وراء حجاب والحاجب واقف عند الستر يجاوب بما يقول له الخليفة ولما حضر ابن مقانا الاشبونى أمام حاجب ادريس بن يحيى الحمّودى الذى خُطب له بالخلافة فى مالقة فانشده قصيدته المشهورة النونيّة التى منها قوله

ن الشمس لمـا اشرقتْ فانثنتْ عنها عيونُ الناظرينْ
وجه ادريس بن يحيى بن علـــــى بن حمّود امير المومنينْ

وبلغ فيها الى قوله

انظرونا نقتبسْ من نوركم انّه من نور ربّ العالمينْ

رفع الخليفةُ الستر بنفسه وقال انظرْ كيف شئتَ وانبسط مع الشاعر واحسن اليه ولما جاء ملوك الطوائف صاروا يتبسّطون للخاصّة وكثير من العامّة ويُظْهِرون[a] مداراة[b] الجند وعوامّ البلاد وكان اكثرهم يحضر العلماء والادباء ويحبُّ ان يشهر عنه ذلك عند نظرته[c] فى الرياسة ومذ وقعت الفتنةُ بالاندلس اعتاد اهلُ الممالك المتفرّقة الاستبداد عن امم الجماعة وصار لكل جهة مملكة مستقلّة يتوارث اعيانُها الرياسةَ كما يتوارث ملوك الملك ومرنوا على ذلك فصعب ضبطُهم الى نظام واحد وتمكّن العدوُّ منهم بالتفرّق وعداوة بعضهم لبعض بقبائح المنافسة والطمع الى ان انقادوا الى عبد المومن وبنيه وتلك القواعد فى رقبته حكمه والثوّار فى المعاقل تنورك[d] وترتوم الكرّة الى ان ثار ابن هُود وتلقّب بالمتوكل ووجد قلوبا منحرفة عن دولة بنى عبد المومن ممهّدةً للاستبداد فملكها بأيسر محاولة مع الجهل المفرط وضعف الراى وكان مع العامّة دنه صاحب

a) Ce mot manque dans G. et P. b) G. P. S. تمداراة. c) La. O. وكان فى,
d) Cette leçon se trouve dans L.; La. دمور (تنور), G. P. O. تتترو, S. قترو.

شَعْوَنَة يمشى فى الاسواق ويضحكها فى وجوههم ويبادرهم بالسؤال وجاء للناس منه ما لم يعتادوه من سلطان فاعجب ذلك سفهاء الناس وعامّتهم العمياء وكان كما قيل ·

امورٌ يضحك السفهاء منها ويبكى a من عواقبها الحليمْ b

فآل ذلك الى تَلَف القواعد العظيمة وتملّك الامصار الجليلة وخروجها من يد الاسلام والضابطُ فيما يقال فى شان اهل الاندلس فى السلطان انهم اذا وجدوا فارسا يبرع الفرسانَ او جوادا يبرع الاجوادَ تهافتوا فى نصرته ونصبوه ملكا من غير تدبير فى عاقبة آل الامرُ الى ما يؤول اليه وبعد ان يكون الملك فى مملكة قد تُوُورِثَتْ وتُدُووِلَتْ ويكون فى تلك المملكة قائدٌ من قُوّادها قد شهرت عنه وقائعُ فى العدوّ وظهر منه كرمُ نفس للاجناد ومراعاةٌ قدّموه ملكا فى حصن من الحصون ورفعوا عيالهم واولادهم ان كان لهم ذلك بكرسىّ الملك ولم يزالوا فى جهاد وتلاف انفس حتى يظفر صاحبُهم بطلْبته واهلُ المشرق أَصْوَبُ رايا منهم فى مراعاة نظام الملك والمحافظة على نصابه لئلّا يدخُل الخَلَلُ الذى يقضى باختلال القواعد وفساد الترتيب c وحلّ الاوضاع ونحن نمثّل فى ذلك بما شاهدناه لما كانت هذه الفتنةُ الاخيرة بالاندلس تمخّضتْ عن رجل من حصن يقال له أَرْجُونة ويعرف الرجل بابن الاحمر كان يُكْثِر مغاورةَ العدوّ من حصنه وظهرتْ له مخايلُ وشواهد على الشجاعة الى ان سار اسمه فى الاندلس وآل ذلك الى ان قدّمه اهلُ حصنه على انفسهم ثم نهض فملك قرطبة العظمى وملك اشبيلية وقتل ملكها الباجىّ وملك جيّان احصنَ بلد بالاندلس واجلّه قدرًا فى الامتناع وملكَ غرناطة ومالقة وسمّوه باميرِ المسلمين فهو الآن المُشار اليه بالاندلس والمعتمَد عليه، واما قاعدة الوزارة بالاندلس فانها كانت فى مدّة بنى اميّة مشتركة فى جماعة يعيّنهم صاحبُ الدولة للاعانة والمشاورة ويخصّهم بالمجالسة ويختار منهم شخصا لمكان النائب المعروف بالوزير فيسمّيه بالحاجب وكانت هذه المراتب لضبطها عندهم كالمتوارثة فى البيوت المعلومة لذلك الى ان كانت ملوكُ الطوائف فكان الملك منهم لعظَم اسم الحاجب فى الدولة المروانية وأنّه كان نائبا عن خليفتهم يسمّى بالحاجب ويرى ان هذه السِمَةَ اعظمُ ما تُنُوفِس فيه وظُفر به وهى موجودة فى امداح شعرائهم وتواريخهم وصار اسمُ الوزارة عامًّا لكل من يجالس الملوكَ ويُختصّ بهم وصار الوزير

a) La. O. ويخشى. b) La. O. اللبيب. c) Les man. portent التربية.

الذى ينوب عن الملك يُعرف بذى الوزارتين واكثرُ ما يكون فاضلا فى علم الادب وقد لا يكون كذلك بل عالما بامور الملك خاصّةً، وامّا الكتابة فهى على ضربَين اعلاهما كاتب الرسائل وله حظٌّ فى القلوب والعيون عند اهل الاندلس واشرفُ اسمائه الكاتب وبهذه السمة يخصّصه من يعظّمه فى رسالة واهل الاندلس كثيرو الانتقاد على صاحب هذه السمة لا يكادون يغفلون عن عثراته لحظةً فان كان ناقصا عن درجات الكمال لم ينفعه جاهُه ولا مكانُه من سلطانه من تسلُّط الالسن فى المحافل والطعن عليه وعلى صاحبه والكاتبُ الآخر كاتب الزمام هكذا يعرفون كاتبَ الجهبذة ولا تكون بالاندلس وبرّ العدوة لا نصرانيّا ولا يهوديّا البتّةَ اذ هذا الشغل نبيهٌ يحتاج الى صاحبه عظماء الناس ووجوههم وصاحبُ الاشغال الخراجيّة فى الاندلس اعظم من الوزير واكثر أتباعا واصحابا وأجْدَى منفعةً فاليه تميل الاعناق ونحوه تمدّ الاكفّ والاعمال مصونةٌ بالشهود والنُظّار ومع هذا ان تأثّلت حالته واغترّ بكثرة الابناء والاكتساب نُكِب وصُودِرَ وهذا راجع الى تقلُّب الاحوال وكيفيّة السلطان، وامّا خطّة القضاء بالاندلس فهى اعظم الخطط عند الخاصّة والعامّة لتعلّقها بامور الدين وكون السلطان لو توجّه عليه حكمٌ حضر بين يدى القاضى هذا وصفها فى زمان بنى اميّة ومن سلك مسلكهم ولا سبيل ان يتسمّى بهذه السمة الا من هو والٍ للحكم الشرعىّ فى مدينة جليلة وان كانت صغيرةً فلا يُطلق على حاكمها الا مسدّد خاصّةً وقاضى القضاة يقال له قاضى القضاة وقاضى الجماعة، وامّا خطّة الشُرْطة بالاندلس فانها مضبوطة الى الآن معروفة بهذه السمة ويعرف صاحبُها فى السُن العامّة بصاحب المدينة وصاحب الليل واذا كان عظيم القدر عند السلطان كان له القتلُ لمن يَجبُ عليه دون استيذان للسلطان وذلك قليل ولا يكون الا فى حضرة السلطان الاعظم وهو الذى يحدّ على الزنى وشرب الخمر وكثير من الامور الشرعيّة راجع اليه قد صارت تلك عادة تقرّر عليها رضى القاضى وكان خطّة القاضى اوقر وأنقى عندهم من ذلك، وامّا خطّة الاحتساب فانها عندهم موضوعة فى اهل العلم والفطن وكان صاحبها قاضيا [a] والعادة فيه ان يمشى بنفسه راكبا على الاسواق واعوانُه معه وميزانه [b] الذى يَزِنُ به الخبز فى يد احد الاعوان لان الخبز عندهم معلوم الاوزان للرُبع من الدرهم رغيف على

a) Les man. portent قاض. b) G. P. S. ميزان

وزن معلوم وكذلك للثمن وفى ذلك من المصلحة ان يرسل المبتاعُ الصبىّ الصغير او الجارية الرعناء فيستويان فيما ياتيانه به من السوق مع الحاذق فى معرفة الاوزان وكذلك اللحم يكون عليه ورقةٌ بسعره ولا يتجسر الجزّارُ ان يبيع بدون ما حدّ له المحتسبُ فى الورقة ولا تكاد تخفى خيانتُه فان المحتسب يدسّ a عليه صبيًّا او جارية يبتاع احدُهما منه ثم يختبر المحتسبُ فان وجدٍ نقصا قاس على ذلك حالَه مع الناس فلا تسألْ عمّا يلقى وان كثر ذلك منه ولم يَتُبْ بعد الضرب والتجريس فى الاسواق نُفى من البلد ولهم فى اوضاع الاحتساب قوانين يتدارسونها كما تتدارس احكامُ الفقه لانها عندهم تدخل فى جميع المبتاعات وتتفرّع الى ما يطول ذكره، وامّا خطّة الطواف بالليل وما يقابل من المغرب اصحابَ أرْباع فى المشرق فانهم يعرفون فى الاندلس بالدرابين لان بلاد الاندلس لها دُروب باغلاق تُغْلَق بعد العتمة ولكل زقاق بائتٌ فيه له سراجٌ معلّقٌ وكلب يسهر وسلاح مُعَدّة وذلك لشطارة عامّتها وكثرة شرّهم واغيائهم فى امور التلصّص الى ان يظهروا على المبانى المشيّدة ويفتحوا الاغلاق الصعبة ويقتلوا صاحب الدار خوفَ ان يقرّ عليهم او يطالبهم بعد ذلك ولا تكاد فى الاندلس تخلو من سماعِ دارُ فلان دُخلت البارحةَ وفلانٌ ذبحه اللصوصُ على فراشه وهذا يرجع التكثيرُ منه والتقليل الى شدّة الوالى ولينه ومع افْراطه فى الشدّة وكون سيفه يقطر دمًا فان ذلك لا يُعدم وقد آل الحالُ عندهم الى ان قتلوا على عنقودٍ سرقه شخصٌ من كرم وما اشبه ذلك فلم ينته اللصوصُ، وامّا قواعد اهل الاندلس فى ديانتهم فانها تختلف بحسب الاوقات والنظر الى السلاطين ولكن الاغلب عندهم اقامةُ الحدود وانكار التهاوُن بتعطيلها وقيام العامّة فى ذلك وانكاره ان تهاون فيه اصحابُ السلطانِ وقد يَلِجُّ السلطانُ فى شىء من ذلك ولا ينكره فيدخلون عليه قصرَه المشيّد ولا يَعْبَأون بخيله ورَجْله حتى يخرجوه من بلدهم وهذا كثير فى اخبارهم واما الرجم بالحجر للقُضاة والوُلاة للاعمال اذا لم يعدلوا فكلَّ يوم وطريقةُ الفقر على مذهب اهل الشرق فى الدَّروزة التى تكسل عن الكدّ b وتُحْوِج الوجوهَ للطلب فى الاسواق فمستقبَحةٌ عندهم الى نهاية واذا راوا شخصا صحيحا قادرا على الخدمة يطلب سبّوه واهانوه فضلًا عن ان يتصدّقوا عليه فلا تَجدُ بالاندلس سائلا الا ان

a) Les man. portent يفرس. b) G. La. الكدر.

يكون صاحبَ عذر، وامّا حال اهل الاندلس فى فنون العلم فتحقيق الانصاف فى شانهم فى هذا الباب انّهم احرَصُ الناس على التميّز فالجاهل الذى لم يوفّقه الله للعلم يجتهد ان يتميّز بصنعة ويَربأ بنفسه ان يُرى فارغا عالة على الناس لان هذا عندهم فى نهاية القبح والعالم عندهم معظَّم من الخاصّة والعامّة يُشار اليه ويُحال عليه ويَنبُه قدرُه وذكرُه عند الناس ويُكرَم فى جوار او ابتياع حاجة وما اشبه ذلك ومع هذا فليس لاهل الاندلس مدارسُ تُعينهم على طلب العلم بل يقرءون جميعَ العلوم فى المساجد بأُجرة فهم يقرءون لان يعلّموا لا لان ياخذوا جاريا فالعالم منهم بارع لانه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله على ان يترك الشغل الذى يستفيد منه ويُنفِق من عنده حتى يعلم وكل العلوم لها عندهم حظّ واعتناء الا الفلسفة والتنجيم فان لهما حظّا عظيما عند خواصّهم ولا يتظاهر بهما خوفَ العامّة فانه كلّما قيل فلانٌ يقرأ الفلسفة او يشتغل بالتنجيم اطلقت عليه العامّة اسمَ زنديق وقيّدت عليه انفاسه فان زلّ فى شبهة رجموه بالحجارة او حرقوه قبل ان يَصِل امرُه للسلطان او يقتله السلطان تقرّبا لقلوب العامّة وكثيرًا ما يامر ملوكهم باحراق كُتُب هذا الشان اذا وُجِدت وبذلك تقرّب المنصور بن ابى عامر لقلوبهم اوّل نهوضه وان كان غير خالٍ من الاشتغال بذلك فى الباطن على ما ذكره الحجارى والله اعلم وقراءةُ القرآن بالسبع وروايةُ الحديث عندهم رفيعة وللفقه رونق ووجاهة ولا مذهب لهم الا مذهب مالك وخواصّهم يحفظون من سائر المذاهب ما يباحثون به بمحاضر ملوكهم ذوى الهِمَم فى العلوم وسمةُ الفقيه عندهم جليلة حتى ان الملثّمين كانوا يسمّون الامير العظيم منهم الذى يريدون تنويهه بالفقيه وهى الآن بالمغرب بمنزلة القاضى بالمشرق وقد يقولون للكاتب والنحوىّ فقيه لانها عندهم ارفَعُ السمات وعلمُ الاصول عندهم متوسّط الحال والنحوُ عندهم فى نهاية من علوّ الطبقة حتى انهم فى هذا العصر فيه كاصحاب عصر الخليل وسيبويه لا يزداد مع هرم الزمان الا جدّة وهم كثيرو البحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه وكلّ عالم فى اىّ علم لا يكون متمكّنا من علم النحو بحيث لا تخفى عليه الدقائق فليس عندهم بمستحقّ للتمييز ولا سالم من الازدراء مع ان كلام اهل الاندلس الشائع فى الخواصّ والعوامّ كثيرُ الانحراف عمّا

---

a) S. ويتنبه , G. وينبه.

تقتضيه اوضاعُ العربيّة حتى لو ان شخصا من العرب سمع كلامَ الشَلَوْبِينىّ ابى على المُشار اليه بعلم النحو فى عصرنا الذى غرّبت تصانيفه وشرّقت وهو يُقْرِئ درسَه لَضحك بمِلْء فيه من شدّة التحريف الذى فى لسانه والخاصّ منهم اذا تكلّم بالاعْراب واخذ يجرى على قانون النحو استثقلوه واستبردوه ولكن ذلك مُراعًى عندهم فى القرآت والمخاطَبات فى الرسائل وعلمُ الادب المنثور من حفظ التاريخ والنظم والنثر ومستظرفات الحكايات انبَلُ علم عندهم وبه يُتقرّب من مجالس ملوكهم واعلامهم ومن لا يكون فيه ادب من علمائهم فهو غُفْلٌ مستثقَل والشعر عندهم له حظّ عظيم وللشعراء من ملوكهم وجاهةٌ ولهم عليهم وظائفُ والمُجيدون منهم ينشدون فى مجالس عظماء ملوكهم المختلفة ويُوقَّع لهم بالصِلات على اقدارهم الا ان يختلّ الوقتُ ويغلب الجهلُ فى حينٍ مّا ولكن هذا الغالبُ واذا كان الشخص بالاندلس نحويًّا او شاعرا فانه يعظم فى نفسه لا محالة ويسخف a ويُظْهِر العُجْبَ عادةً قد جُبلوا عليها، واما زىّ اهل الاندلس فالغالب عليهم تركُ العمائم لا سيّما فى شرق الاندلس فان اهل غربها لا تكاد ترى فيها قاضيا ولا فقيها مُشارا اليه الا وهو بعمامة وقد تسامحوا بشرقها فى ذلك ولقد رايتُ عزيز بن خطّاب اكبرَ عالم بمُرْسية حضرة السلطان فى ذلك الاوان واليه الاشارةُ وقد خُطب له بالملك فى تلك الجهة وهو حاسرُ الراس وشيبُه قد غلب على سواد شعره واما الاجناد وسائر الناس فقليل منهم مَنْ تراه بعمّة فى شرق منها او فى غرب وابن هُود الذى هو ملك الاندلس فى عصرنا رايتُه فى جميع احواله ببلاد الاندلس وهو دون عمامة وكذلك ابن الاحمر الذى مُعْظَم الاندلس الآن فى يده وكثيرًا ما يتزيّا سلاطينُهم واجنادهم بزىّ النصارى المجاورين لهم فسلاحهم كسلاحهم وأَقْبِيَتُهم من الاشكرلاط وغيره كاقبيتهم وكذلك اعلامهم وسروجهم ومحاربتهم بالتراس والرماح الطويلة للطعن ولا يعرفون الدبابيس ولا قسىّ العرب بل يعدّون قسىّ الافرنج للمحاصَرات فى البلاد او تكون للرجّالة عند المصافقة b للحرب وقليلًا ما تصبر الخيلُ عليهم او تُمْهِلهم لان يُوتِروها ولا تَجِد فى خواصّ الاندلس واكثر عوامّهم من يمشى دون طيلسان الا انه يَضَعُه على راسه منهم الا الاشياخ المعظَّمون وغفائرُ الصوف كثيرًا ما يلبسونها حُمْرًا وخُضْرًا والصُفْرُ مخصوصة باليهود ولا سبيل الى يهودىّ ان

a) S. O. ويستخف. b) Cette leçon se trouve dans le man. P. Les autres portent المصافقة.

يتعمّم البتّة والذوابة لا يُرخيها الا العالم ولا يصرفونها بين الاكتاف وانما يسدلونها من تحت الاذن اليُسْرى وهذه الاوضاع التى بالمشرق فى العمائم لا يعرفها اهل الاندلس وان راوا فى راس مشرقىّ داخلٍ الى بلادهم شكلا منها اظهروا التعجّب والاستطراف ولا يأخذون انفسهم بتعليمها لانهم لم يعتادوا ولا يستحسنوا غير اوضاعهم وكذلك فى تفصيل الثياب واهل الاندلس اشدّ خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وغير ذلك ممّا يتعلّق به وفيهم من لا يكون عنده الا ما يقوته يومَه فيطويه صائما ويبتاع صابونا يغسل به ثيابه ولا يظهر فيها ساعةً على حالة تنبو العينُ عنها وهم اهل احتياط وتدبير فى المعاش وحفظ لما فى ايديهم خوف ذُلّ السؤال فلذلك قد يُنْسَبون للبخل ولهم مروّات على عادة بلادهم لو فطن لها حاتمٌ نفضّل دقائقها على عظائمه ولقد اجتزتُ مع والدى على قرية من قراها وقد نال منّا البردُ والمطر اشدّ النيل فأوينا اليها وكنّا على حال ترقُّب من السلطان وخلوّ من الرفاهية فنزلنا فى بيت شيخٍ من اهلها من غير معرفة متقدّمة فقال لنا ان كان عندكم ما اشترى لكم فحمًا تسخنون به فانّى امضى فى حوائجكمْ واجعل عيالى يقومون بشانكم فعطيناه ما اشترى به فحما فاضرم نارا فجاء ابن له صغير ليصطلى فضربه فقال له والدى لِمَ ضربتَه فقال يتعلّم اغتنامَ مال الناس والضجر للبرد من الصغر ثم لما جاء النومُ قال لابنه أعْطِ هذا الشابَّ كساءك الغليظة يزيدها على ثيابه فدفع كساءه الىّ ولما قُمْنا عند الصباح وجدتُ الصبىّ منتبهًا ويده فى الكساء فقلتُ ذلك لوالدى فقال هذه مروّات اهل الاندلس وهذا احتياطهم اعطاك الكساء وفضّلك على نفسه ثم افكر فى انك غريب لا يعرف هل انت ثقة او لصّ فلم يَطِبْ له منام حتى اخذ بيده خوفا من انفصالك بها وهو ذمّم وعلى هذا الشىء الحقير قِسِ الشىء الجليل انتهى كلام ابن سعيد فى المغرب باختصار يسير ولله درّه فانه ابدع فى هذا الكتاب ما شاء وقسمه الى اقسام منها كتاب وشى الطرس فى حُلى جزيرة الاندلس وهو ينقسم الى ٣ كُتُب الكتابُ الاول كتاب العرس فى حلى غرب الاندلس الكتاب الثانى كتاب الشفاه اللُعْس فى حلى موسطة الاندلس الكتاب الثالث كتاب الانس فى حلى شرق الاندلس الكتاب الرابع كتاب تحفة المُرْتَب

a) G. دخل. b) Telle est la leçon de tous les man. c) La. et O. ajoutent حلى.

فى ذكر ما حماه من الاندلس عُبّاد الصليب،، والقسم الثانى كتاب الالحان المسلّية، فى حلى جزيرة صقلّية،، وهو ايضا ذو انواع والقسم الثالث كتاب الغاية الاخيرة، فى حلى الارض الكبيرة،، وهو ايضا ذو اقسام وصوّر رحمه اجزاء الاندلس فى كتاب وشى الطرس وقال ايضا ان كلًّا من شرق الاندلس وغربها ووسطها يقرب فى قدر المساحة بعضه من بعض وليس فيها جزء يجاوز طوله ١٠ ايام ليصدّق التثليث فى القسمة وهذا دون ما بقى بايدى النصارى وقدم رحمه كتابَ العرس، فى حلى غرب الاندلس،، لكون قرطبة قطبِ الخلافة المروانية واشبيليةَ التى ما فى الاندلس اجملُ منها فيه وقسمه الى ٧ كُتُب كلٌّ كتاب منها يحتوى على مملكة منحازة عن الاخرى الكتاب الاول كتاب الحُلّة المذهّبة، فى حلى مملكة قرطبة،، الكتاب الثانى كتاب الذهبيّة الاصيليّة، فى حلى المملكة الاشبيليّة،، الكتاب الثالث كتاب خُدَع الممالقة، فى حلى مملكة مالقة،، الكتاب الرابع كتاب الفردوس، فى حلى مملكة بَطَلْيَوْس،، الكتاب الخامس كتاب الخلْب، فى حلى مملكة شلْب،، الكتاب السادس كتاب الديباجة، فى حلى مملكة باجة،، الكتاب السابع كتاب الرياض المصونة، فى حلى مملكة أُشْبُونة،، وقد ذكر رحمه فى كل قسم ما يليق به وصوّر اجزاءه على ما ينبغى فالله يجازيه خيرا والكلام فى الاندلس طويل عريض، وقال بعض المؤرّخين طول الاندلس ٣٠ يوما وعرضها ٩ ايام ويشقّها ٤٠ نهرا كبارا وبها من العيون والحمامات والمعادن ما لا يُحْصَى وبها ٨٠ مدينة من القواعد الكبار وازيد من ٣٠٠ من المتوسّطة وبها من الحصون والقرى والبروج ما لا يحصى كثرةً حتى قيل ان عدد القرى التى على نهر اشبيلية اثنا عشر الف قرية وليس فى معمور الارض صُقْعٌ يجد المسافرُ فيه ٣ مدن واربعا من يومه الا بالاندلس ومن بركتها ان المسافر لا يسير فيها فرسخَيْن دون ماء اصلًا وحيثما سار من الاقطار يجد الحوانيت فى الفلوات والشعارى[a] والاودية ورءوس الجبال لبيع الخبز والفواكه والجبن واللحم والحوت وغير ذلك من ضروب الاطعمة، وذكر صاحب الجغرافيا ان جزيرة الاندلس مسيرة ٤٠ يوما طولا فى ١٨ يوما عرضا وهو مخالف لما سبق، وقال ابن سِيدة اخذت الاندلسُ فى عرض الاقليمَيْن الخامس والسادس من البحر الشامى فى الجنوب الى البحر المحيط فى الشمال وبها من الجبال ٨٧ جبلا انتهى، ولبعضهم

a) La. O. والصحارى.

لله اندلس وما جمعت بها   من كلّ ما ضمّت لها الاهواء
فكانّما تلك الظهور كواكب   وكانّما تلك البقاع سماء
وبكلّ قطر جَدْوَل فى جنّة   ولعتْ به الافياء والانداء

وقال غيره   فى ارض اندلس تلتذّ نعماءُ الابيات

وقال آخر   حبّذا اندلس من بلد   لم تزل تُنْتِجُ لى كلَّ سرورْ
طائر شادٍ وظلّ وارف   ومياه سائحات وقصورْ

وقال آخر

يا حسنَ اندلس وما   تْ لنا   فيها من الاوطار والاوطانِ
تلك الجزيرة لستُ انسى حسنَها   بتعاقُب الاحيان والازمانِ
نسج الربيعُ نباتَها من سندس   موشيّة ببدائع الالوانِ
وغدا النسيمُ بها عليلا هائما   بربوعها وتلاطمَ البحرانِ
... حسنَها والطلُّ ينثر فوقها   دُرَرًا خلالَ الورد والريحانِ
وسواعد الانهار قد مدّتْ الى   ندمائها بشقائق النعمانِ
وتجاوبتْ فيها شوادى طيرها   والتفّت الاغصانُ بالاغصانِ
ما زُرْتُها الا وحيّتنى بها   حَدَقُ البهار وانملُ السوسانِ
من بعدها ما اعجبتْنى بلدةٌ   مع ما حللتَ به من البلدانِ

وحكى بعضهم ان بالجامع من مدينة اقليش بلاطا فيه جوائز منشورة مربّعة مستوية الاطراف طول الجائزة منها مائة شبر واحد عشر شبرا وفى الاندلس جبلٌ مَنْ شرب من مائه كثر عليه الاحتلامُ من غير ارادة ولا تفكّر وفيها غير ذلك ممّا يطول ذكره والله اعلم، ولنمسك العنانَ فى هذا الباب فان بحر الاندلس طويل مديد، وربّما تكرّر الكلام لارتباط بعضه ببعض او لنقل صاحبه المرويّ عنه او لاختلاف مّا او غير ذلك من غرض سديد.

a) La. O. لنا.   b) On trouve ici dans G. P. et S. les six premiers et les deux derniers vers du poeme d'Ibn-Safar, que l'on a deja rencontre plus haut, p. ١٣٠. Variantes: vs. 2. بحقف انمـ ; vs. 3. تحت ارض , والانداء انيء ; vs. 4. وبكل ارض ; vs. 13. غير عوض. Après le second vers, on lit dans les trois man. celui-ci:

واين يعدل عن ارض تحثّ بها   على الشهادة ازواج وابناء

qui n'est qu'une autre redaction du 3ème.

الباب الثاني

فى القاء بلد الاندلس للمسلمين بالقياد، وفتحها على يد موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد، وصيرورتها ميدانا لسبق الجياد، ومحطّ رحل الارتياء والارتياد، وما يتبع ذلك من خبر حصل بازديانه ازدياد، ونبا وصل اليه اعتيام وتقرّر بمثله اعتياد،

اعلم انه لما قضى الله سبحانه بتحقيق قول رسوله صلّعم زُويت لى مشارقُ الارض ومغاربها وسيبلغ ملك أمّتى ما زُوى لى منها وقع الخلافُ بين لذريق ملك القوط وبين ملك سبتة التى a على مجاز الزقاق فكان ما يُذكر من فتح الاندلس على يد طارق وطريف ومولاهما الامير موسى بن نصير رحم الله الجميع، وذكر الحجارى وابن حيّان وغيرهما ان اول من دخل جزيرة الاندلس من المسلمين برسم الجهاد طريف البربرىّ مولى موسى بن نصير الذى يُنسب اليه جزيرة طريف التى على المَجاز غزاها بمعونة صاحب سبتة يليان b النصرانى لحقده على لذريق صاحب الاندلس وكان فى مائة فارس واربعمائة راجل جاز البحر فى ٤ مراكب فى شهر رمضان سنة ٩١ وانصرف بغنيمة جليلة فعقد موسى بن نصير صاحب المغرب لمولاه طارق بن زياد على الاندلس ووجّهه مع يليان صاحب سبتة انتهى وسياتى فى امر طريف وغيره ما يخالف هذا السياق وهى اقوال، وقال ابن حيّان ان اول اسباب فتح الاندلس كان ان ولّى الوليدُ ابن عبد الملك موسى بن نصير مولى عمّه عبد العزيز على افريقية وما خلفها سنة ٨٨ فخرج فى نفر قليل من المطّوّعة فلما ورد مصر اخرج معه من جندها بعثا وفعل ذلك فى افريقية وجعل على مقدّمته مولاه طارقا فلم يزل يقاتل البربر ويفتح مداينهم حتى بلغ مدينة طَنْجة وهى قصبة بلادهم وامّ مداينهم فحصرها حتى فتحها واسلم اهلُها ولم تكن فُتحت قبله وقيل بل فتحت ثم استُغلقت، وذكر ابن حيان ايضا استصعابَ سبتة على موسى بتدبير صاحبها الداهية الشجاع يليان النصرانى وانه فى اثناء ذلك وقع بينه وبين لذريق صاحب الاندلس ثم سرد ما ياتى ذكره، وقال لسان الدين

a) Les man. portent الذى. b) G. S. L. جلبيان.

ابن الخطيب رحمه وحديث الفتح وما منّ الله على الاسلام من المنح، واخبار ما
افاء الله من الخير على موسى بن نصير، وكتب من جهاد لطارق بن زياد،
مملول قصاص واوراق، وحديث افول واشراق، وارصاد وابراق، ومعظم امتشاش وآلة
معلقة فى دكان قشاش، انتهى، وقال فى المغرب طارق بن زياد من افريقية وقال
ابن بشكوال انه طارق بن عمرو فتح جزيرة الاندلس ودوّخها واليه يُنسب جبل طارق
الذى يعرفه العامّة بجبل الفتح فى قبلة الجزيرة الخضراء ورحل مع سيّده بعد فتح
الاندلس الى الشام وانقطع خبره انتهى، وقال ايضا ان طارقا كان حسن الكلام ينظم
ما يجوز كتبه واما المعارف السلطانيّة فيكفيه ولايةُ سلطنة الاندلس وما فتح فيها من
البلاد الى ان وصل سيّده موسى بن نصير، ومن تاريخ ابن بشكوال احتلّ طارق بالجبل
المنسوب اليه يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة ٩٢ فى ١٢ الفا غير ١٢ رجلا
من البربر ولم يكن معهم a من العرب الّا شىء يسير وانه لما ركب البحر راى وهو
نائم النبىّ صلعم وحوله المهاجرون والانصار قد تقلّدوا السيوف وتنكّبوا القسىّ فيقول
له رسول الله صلعم يا طارق تقدّمْ لشانك ونظر اليه والى اصحابه قد دخلوا الاندلس
قدّامه فهبّ من نومه مستبشرا وبشّر اصحابه وثابتْ نفسه ببشراه ولم يشكّ فى الظفر
فخرج من الجبل واقتحم بسيط البلد شنّا للغارة واصاب عجوزا من اهل الجزيرة
فقالت له فى بعض قولها انه كان لها زوج عالم بالحدثان فكان يحدّثهم عن امير
يدخل الى بلدهم هذا فيغلب عليه ويصف من نعته انه ضخم الهامة فانت كذلك
ومنه b ان فى كتفه الايسر شامة عليها شعر فان كانت فيك فانت هو فكشف ثوبه فاذا
بالشامة فى كتفه على ما ذكرتْ فاستبشر بذلك ومن معه، ومن تاريخ ابن حيان
ثم حرض يليان النصرانى صاحبُ سبتة للامر الذى وقع بينه وبين صاحب الاندلس
موسى بن نصير على غزو الاندلس جهّز نحوها مولاه طارقا المذكور فى ١٠ آلاف من
المسلمين جُلّهم البربر فى ٣ سفن وحطّه بجبل طارق المنسوب اليه يوم السبت فى
شعبان سنة ٩٢ ثم ردّ المراكب تعود حتى توافى جميع اصحابه عنده بالجبل فدلّ
ووقع على لذريق صاحب الاندلس الخبرُ وان يليان السبب فيه وكان يومئذ غازيا
فى جهة البشكنس فبادر فى جموعه وهم نحو مائة الف ذوى عدد وعُدّة وكتب

a) O. معه, G. S. L. فيهم. b) Les man. portent ومنه

طارق الى موسى بانه قد زحف اليه لذريق بما لا طاقة له به وكان عمل من السفن عدّة فجهّز له فيها ٥ آلاف من المسلمين فكمّلوا بمن تقدّم ١٢ الفا ومعهم يليان صاحب سبتة فى حشده يدلّهم على العورات ويتجسّس لهم الاخبار واقبل نحوهم لذريق ومعه خيار العجم واملاكها وفرسانها وقلوبهم عليه فتلاقوا فيما بينهم وقالوا ان هذا الخبيث غلب على سلطاننا وليس من بيت الملك وانما كان من أتْباعنا فلَسْنا نعدم من سيرته خبالا واضطرابا وهؤلاء القوم الذين طرقوا لا حاجة لهم فى ايطان بلدنا وانما مُرادهم ان يملؤوا ايديهم من الغنائم ويخرجوا عنّا فهلمّ فلننهزمْ بابن الخبيثة اذا نحن لقينا القوم فلعلّهم يكفوننا امره فاذا هم انصرفوا عنّا اقعدنا فى ملكنا من يستحقّه فاجمعوا على ذلك انتهى، وقال ابن خلدون بعد ذكره ان القوطيّين كان لهم ملك الاندلس وان ملكهم لعهد الفتح يسمّى لذريق ما نصّه وكانت لهم خطوة وراء البحر فى هذه العدوة الجنوبيّة خطّوها من فرضة المجاز بطنجة ومن زقاق البحر الى بلاد البربر واستعبدوهم وكان ملك البرابرة بذلك القطر * الذى هو[a] اليوم جبال غُمارة يسمى يليان فكان يدين بطاعتهم وبملّتهم وموسى بن نصير امير المغرب[b] اذذاك عامل على افريقية من قِبَل الوليد بن عبد الملك ومنزله بالقيروان وكان قد اغزى لذلك العهد عساكرَ المسلمين بلادَ المغرب الاقصى ودوّخ اقطاره واثخن فى جبال[c] طنجة هذه حتى وصل[d] خليج الزقاق واستنزل يليان لطاعة الاسلام وخلّف مولاه طارق بن زياد الليثى واليا بطنجة وكان يليان ينقم على لذريق ملك القوط لعهده بالاندلس فعلةً فعلها كما[e] زعموا بابنته الناشئة فى داره على عادتهم فى بنات بطارقتهم فغضب لذلك واجاز الى لذريق واخذ ابنته منه ثم لحق بطارق فكشف للعرب عورة القوط ودلّهم على غرّة[f] فيهم امكنتْ طارقا فيها الفرصةُ فانتهزها لوقته واجاز البحر سنة ٩٢ من الهجرة باذن اميره موسى بن نصير فى نحو ٣٠٠ من العرب واحتشد معهم من البربر زهاء ١٠ آلاف فصيّرهم عسكرين احدُهما على نفسه ونزل به جبل الفتح فسمّى جبل طارق به والآخَرُ على طريف بن مالك النَخَعى ونزل بمكان مدينة طريف فسمّى

a) Les man. L. et P. d'Ibn-Khaldoun portent التى هى. b) C'est ainsi qu'on lit dans les man. d'Ibn-Kh.; S. الغرب, G. L. La. O. العرب. c) La. O. بلاد. d) S. ajoute الى. e) Le mot كما manque dans les man. d'al-Makk. et dans le man. L. d'Ibn-Kh. Dans l'autre man. d'Ibn-Kh. les mots كما زعموا se trouvent placés après فى داره. f) Les man. d'al-Makkarī portent عورة.

به وادار وا الاسوار على انفسهم [illegible] وبلغ الخبرُ الى لذريق فنهض اليهم يجرّ امم الاعاجم واهل ملّة النصرانيّة فى زهاء ٤٠ الفا وزحفوا اليه فالتقوا بفحص شريش فهزمه الله ونفّلهم اموال اهل الكفر ورقابهم وكتب طارق الى موسى بن نصير بالفتح وبالغنائم فحرّكته الغيرةُ وكتب الى طارق يتوعّده ان توغّل بغير اذنه ويامره ان لا يتجاوز مكانه حتى يلحقه[a] به واستخلف على القيروان ولده عبد الله وخرج ومعه حبيب ابن ابى عبيدة[b] الفهرى ونهض من القيروان سنة ٩٣ من الهجرة فى عسكر ضخم من وجوه العرب والموالى[c] وعرفاء البربر ووافى خليج الزقاق ما بين طنجة والجزيرة الخضراء فاجاز الى الاندلس وتلقّاه طارق فانقاد واتّبع واتمّ موسى الفتح وتوغّل فى الاندلس الى برشلونة فى جهة المشرق واربونة فى الجوف وصنم قادس فى المغرب ودوّخ اقطارها وجمع غنائمها واجمع ان ياتى المشرق من ناحية القسطنطينية ويتجاوز الى الشام دروبه ودروب الاندلس ويخوض اليه ما بينهما من امم الاعاجم النصرانيّة مجاهدا فيهم مستلحما لهم الى ان يلحق بدار الخلافة ونمى الخبرُ الى الوليد فاشتدّ قلقه بمكان المسلمين من دار الحرب وراى ان ما همّ به موسى غَرَر بالمسلمين فبعث اليه بالتوبيخ والانصراف واسرّ الى سفيره ان يرجع بالمسلمين *[d] ان لم يرجع وكتب له بذلك عهده ففتّ ذلك فى عزم موسى وقفل عن الاندلس بعد ان انزل الرابطة والحامية[e] بثغورها واستعمل ابنه عبد العزيز لسدّها وجهاد عدوّها وانزله بقرطبة فاتّخذها دار امارة واحتلّ موسى بالقيروان سنة ١٠ وارتحل الى المشرق سنة ٦ بعدها بما كان معه من الغنائم والذخائر والاموال على العجل والظهر يقال ان من جملتها ٣٠ الف راس من السبى وولّى على افريقية ابنه عبد الله وقدم على سليمان بن عبد الملك فسخطه ونكبه وثارت عساكر الاندلس بابنه عبد العزيز باغراء سليمان فقتلوه لسنتين من ولايته وكان خيرا فاضلا وافتتح فى ولايته مدائن كثيرة وولّى من بعده ايوب ابن حبيب اللخمى وهو ابن اخت موسى بن نصير فولّى[f] عليها ٦ اشهر

a) G. S. L. بلنحعى. b) Ce nom est altere dans tous les man. d'al-Makk. que j'ai pu consulter. G. حبيب بن سعبد, L. بن سعبد, La. O. بن مبدد (sic), S. بن بيدة, P. بن بعدة. c) L. La. O. الموالى, G. لموالى. Le mot manque dans S. d) Au lieu de ces mots, le man. L. d'Ibn-Kh. porte ان يرجع هو. e) Al-M. وازل. f) La. O. سونى.

وُلاة العرب على الاندلس تارةً من قِبَل الخليفة وتارةً a من قبل عامله على القيروان وأثخنوا فى امم الكفر وافتتحوا برشلونة من جهة الشرق وحصون قشتالة وبه من جهة الجوف وانقرضت امم القوط وأَرزة b الجلالقة ومن بقى من امم العجم الى جبال قشتالة واربونة وافواه الدروب فتحصّنوا بها واجازت عساكر المسلمين ما وراء برشلونة من دروب الجزيرة حتى احتلّوا البسائط وراءها وتوغّلوا فى بلاد الافرنجة وعصف ريح الاسلام بامم الكفر من كل جهة وربّما كان بين جنود الاندلس من العرب اختلاف وتنازُع اوجد للعدوّ بعضَ الكرّة فرجع الافرنج ما كانوا غلبوهم عليه من بلاد برشلونة لعهد ٨٠ سنة من لدن فتحها واستمرّ الامر على ذلك وكان محمد بن يزيد عامل افريقية لسليمن بن عبد الملك لما بلغه مهلك عبد العزيز بن موسى بن نصير بعث الى الاندلس الحُرّ بن عبد الرحمن بن عثمن الثقفى فقدم الاندلس وعزل ايوب ابن حبيب وولى سنتين وثمانية اشهر ثم بعث عمر بن عبد العزيز على الاندلس السَمْح بن مالك الخولانى على راس المائة من الهجرة وامره ان يخمّس ارض الاندلس فخمّسها وبنى قنطرة قرطبة واستُشهد غازيا بارض الفرنجة سنة ١٠٢ فقدّم اهلُ الاندلس عليهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى الى ان قدم عَنْبَسة بن سُحَيْم الكلبى من قِبَل يزيد بن ابى مسلم عامل افريقية فقدمها c فى صفر سنة ١٠٣ فاستقام امر الاندلس وغزا الفرنجة وتوغّل فى بلادهم واستشهد سنة ١٠٧ لاربع سنين واربعة اشهر ثم تتابعت وُلاة الاندلس من قِبَل امراء افريقية فكان اولهم يحيى بن سلمة الكلبى انفذه بِشْر بن صفوان الكلبى والى افريقية لما استدعى منه اهل الاندلس واليا بعد مقتل عنبسة فقدمها آخرَ سنة ٧ واقام فى ولايتها سنتين ونصفا ولم يغزُ * ثم قدم d اليها عثمن بن ابى نِسْعة الخثعمى e واليا من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السُلَمى صاحب افريقية وعزله لخمسة اشهر بحُذَيْفة بن الاحوص f القيسى فوافاها سنة ١٠ وعُزِل قريبًا يقالُ لسنة من ولايته واختُلف هل تقدّمه عثمن او هو تقدّم عثمن ثم ولى بعده الهيثم بن عُبيد الكلابى من قبل عبيدة بن عبد الرحمن ايضا قدم فى المحرّم سنة ١١ وغزا ارض منوسة g ففتحها وتوفى سنة ١١٣ لسنتين من ولايته وقدم بعده محمد بن عبد الله

a) Ibn-Kh. فتارة. b) La. واوى , O. واورر (*sic*). c) Ibn-Kh. فقدمها. d) G. S. L. O. وقد قدم , La. وقدم. e) Al-M. اللخمى. f) Ibn-Kh. L. P., al-M. S. O. الاخوص.
g) Voyez le *Bayāno 'l-moghrib*, t. II, p. ٢٧. Les man. d'Ibn-Kh. et d'al-M. portent قوشة.

الاشجعى فولى شهرين ثم قدم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى من قبل عبيد الله بن الحَبْحاب صاحب افريقية فدخلها سنة ١١٣ وغزا الافرنجة وكانت له فيهم وقائع وأُصيب عسكره فى رمضان سنة ١١٤ فى موضع يعرف ببلاط الشهداء وبه عُرفت الغزوة وكانت ولايته سنة وثمانية اشهر ثم ولى عبد الملك بن قَطَن الفهرى وقدم فى رمضان سنة ١١٤ فولى سنتين وقال الواقدى ٤ سنين وكان ظَلوما جائرا فى حكومته وغزا ارض البشكنس سنة ١١٥ فاوقع بهم وغنم ثم عُزل فى رمضان سنة ١١٦ وولى عُقْبة ابن الحجّاج السَلولى من قبل عبيد الله بن الحبحاب * فقدم سنة ١١٧ * واقام ٥ سنين محمودَ السيرة مجاهدا مظفّرا حتى بلغ سكنى المسلمين اربونة وصار رباطهم على نهر رودنه * ثم وثب عليه عبد الملك بن قطن الفهرى فى ٥ سنة ١٢١ فخلعه وقتله وقيل اخرجه من الاندلس وولى مكانه الى ان دخل بَلْج بن بِشْر باهل الشام سنة ١٢٣ فغلب عليه وولى الاندلس سنة او نحوها وقال الرازى ثار اهل الاندلس باميرهم عقبة فى صفر سنة ١٢٣ فى خلافة هشام بن عبد الملك وولّوا عليهم عبد الملك بن قطن ولايته الثانية فكانت ولاية عقبة ٦ اعوام واربعة اشهر وتوفّى بقَرْقشونة فى صفر سنة ١٢٣ واستقام الامر لعبد الملك ثم دخل بلج بن بشر القُشَيْرى بجند الشام ناجيا من وقعة كُلْثوم بن عياض مع البربر بملوية * فثار على عبد الملك وقتله وهو ابن ٩٠ سنة واستوسق * له الامرُ بعد مقتل عبد الملك وانحاز الفهريّون الى جانب فمتنعوا عليه وكاشفوه واجتمع اليهم f من انكر فعلته بابن قطن وقام بامرهم قطن واميّة ابنا عبد الملك بن قطن والتقوا فكانت الدائرة على الفهريّين وهلك بلج من الجراح التى نالته فى حربهم وذلك سنة ١٢٤ لسنة او نحوها من امارته ثم ولى ثعلبة بن سلامة الجذامى g غلب على امارة الاندلس بعد مهلك بلج وانحاز عنه الفهريّون فلم يطيعوه وولى سنتين الى ان مالت به العصبيّة فى يمانيته * ففسد امره وهاجت الفتنة وقدم ابو الخطّار حُسام بن ضرار الكلبى من قبل حنظلة بن صفوان عامل افريقية ركب اليها البحر من تونس سنة ١٢٥ فدان له

a) Ces mots manquent dans les man. d'al-M., qui portent aussi فتقدم au lieu de واقام.
b) Ibn-Kh., al-M. ذونة. c Ce mot ne se trouve pas dans les man. d'al-M. d) Ibn-Kh. P. بملوية, L. بمحوية ; al-M. L. بلوية. e) La. O. واستوثق. f) Ibn-Kh. P., al-M. S. La. O. عليه. g) Lisez العاملى. h) Al-M. فيها. i) Ibn-Kh. P. فى اليمنية.

اهل الاندلس واقبل اليه ثعلبة وابن ابى نسعة وابنا عبد الملك فلقيهم واحسن اليهم واستقام امره وكان شجاعا كريما ذا راى وحزم وكثر اهلُ الشام عنده ولم تحملْهم قرطبة ففرّقهم فى البلاد وانزل اهل دمشق إلْبيرة لشبهها بها وسمّاها دمشق وانزل اهل حمص اشبيلية وسماها حمص واهل قِنّسْرِين جيّان وسماها قنسرين واهل الاردنّ رَيّة وهى [a] مالقة وسماها الاردنّ واهل فِلَسْطين شَذُونة وهى شَرِيش وسماها فلسطين واهل مصر تُدْمِير وسماها مصر وقفل ثعلبة الى المشرق ولحق بمروان بن محمد وحضر حروبه وكان ابو الخطّار اعرابيّا عصبيّا افرط عند ولايته فى التعصّب لقومه من اليمانية وتحامل على المضريّة واسخط قيسا وامر فى بعض الايام بالصُمَيْل بن حاتم كبير القيسيّة وكان من طوالع [b] بلج وهو الصميل بن حاتم بن شَمِر بن ذى الجَوْشَن وراس على المضريّة فاقيم من مجلسه وتقنّع [c] فقال له بعض الحجّاب [d] وهو خارج من القصر أَقِمْ عمامتك يا ابا الجوشن فقال له ان كان لى قوم فسيُقيمونها فسار الصميل بن حاتم * زعيمهم يومئذ [e] وألّب عليه قومه واستعان [f] بالمنحرفين عنه من اليمانية فخلع ابا الخطّار سنة ١٢٨ لاربع سنين وتسعة اشهر من ولايته وقدم مكانَه ثوابة بن سلامة الجُذامى وهاجت الحرب المشهورة وخاطبوا بذلك عبد الرحمن بن حبيب صاحب افريقية فكتب الى ثوابة بعهده على الاندلس منسلخَ رجب سنة ١٢٩ فضبط الاندلس وقام بامره الصُمَيْل واجتمع عليه الفريقان وهلك لسنة [g] من ولايته ووقع الخلاف بافريقية والتاث امرُ بنى اميّة بالمشرق وشُغلوا عن قاصية الثغور [h] بكثرة الخوارج وعظم امر المسودّة فبقى اهل الاندلس فَوْضَى ونصبوا للاحكام خاصّةً عبد الرحمن بن كثير ثم اتّفق جند الاندلس على اقتسام الامارة بين المضريّة واليمانية وإدالتها بين الجندين سنة لكل دولة وقدّم المضريّة على انفسهم يوسف بن عبد الرحمن الفهرى سنة ١٢٩ واستتمّ سنة ولايته بقرطبة دار الامارة ثم وافتْه اليمانيةُ لميعاد ادالتهم واثقين بمكان عهدهم وتراضيهم واتّفاقهم فبيّتهم يوسف بمكان نزولهم فى [i] شَقُنْدة من [j] قرى قرطبة بممالأة من الصميل بن حاتم والقيسيّة وسائر المضريّة فاستلحموهم وثار ابو الخطّار فقاتله

a) Le mot هى manque dans les man. d'al-M. b) La. طلائع. c) Ibn-Kh., al-M. G. وتعنت. d) La. O. الخدام. e) La. O. اميرهم يومئذ وزعيمهم. f) La. O. واستغاث. g) Ibn-Kh. لسنتين. h) Ibn-Kh. P. المغرب. i) Les man. portent من. j) Ibn-Kh. L., al-M. G. S. L. P. La. فى.

الصميل وهزمه وقتله سنة [illegible] يوسف بما وراء البحر من عدوة الاندلس وغلب اليمنية على امرهم فاستكانوا للغلبة وتربّصوا الدوائر الى ان جاء عبد الرحمن الداخل وكان يوسف ولّى الصميل سرقسطة فلما ظهر امر المسودّة بالمشرق ثار الحُباب الزُهْري بالاندلس داعيا لهم وحاصر الصميل بسرقسطة واستمدّ يوسف فلم يُمدّه رجاء هلاكه لما كان يغصّ به وامدّته القيسيّة فافرج عنه الحُباب وفارق الصميل سرقسطة فملكها الحباب وولّى يوسف الصميل على طليطلة الى ان كان من عبد الرحمن الداخل ما كان انتهى كلام ولىّ الدين بن خلدون ببعض اختصار، وقال بعض المؤرّخين ان عبد الله بن مروان اخا عبد الملك كان واليا على مصر فكتب اليه ابن اخيه الوليد الخليفة يامره بارسال موسى بن نصير الى افريقية وذلك سنة ٨٩ للهجرة فامتثل امره في ذلك، وقال الحُميدي في جذوة المقتبس ان موسى بن نصير ولّى افريقية والمغرب سنة ٧٩ فقدمها ومعه جماعة من الاجناد فبلغه ان بأطراف البلاد من خرج عن الطاعة فوجّه ولده عبد الله فاتاه بمائة الف راس من السبى ثم وجّه ولده مروان الى جهة اخرى فاتاه بمائة الف راس وقال الليث بن سعد بلغ الخُمس ٦٠ الف راس وقال الصدفى لم نسمع في الاسلام بمثل سبايا موسى بن نصير ووجد اكثر مدن افريقية خالية لاختلاف ايدى البربر عليها وكانت البلاد في قحط شديد فامر الناس بالصوم والصلاة واصلاح ذات البين وخرج بهم الى الصحراء ومعه سائر الحيوانات وفرّق بينها وبين اولادها فوقع البكاء والصراخ والضجيج وادام على ذلك الى منتصف النهار ثم صلى وخطب الناس ولم يذكر الوليد بن عبد الملك فقيل له ألا تدعو لامير المؤمنين فقال هذا مقام لا يُدْعَى فيه لغير الله تعّ فسُقوا حتى رووا ثم خرج موسى غازيا وتتبّع البربر وقتل فيهم قتلا ذريعا وسبى سبيا عظيما وسار حتى انتهى الى السُوس الادنى لا يدافعه احد فلما راى بقية البربر ما نزل بهم استامنوا وبذلوا له الطاعة فقبل منهم وولّى عليهم واليا واستعمل على طنجة واعمالها مولاه طارق بن زياد البربرى ويقال انه من الصدف وترك عنده ١٧ الف من البربر بالاسلحة والعُدّة الكاملة وكانوا قد اسلموا وحسن اسلامهم وترك موسى عندهم خمسة عشر من

a) Ibn-Kh., al-M. L. O. تغلبة. b) Al-M. يونس. c) Voyez Ibn-Khallikan, ed. Wustenfeld, n°. 758. d) Ibn-Khall. ٨٠. e) J'ai corrige la date d'apres le man. d'Oxford d'al-Homaidi. Ibn-Khall. et al-M. ٧٧.

العرب ليعلّموا البربر القرآن وفرائض الاسلام ورجع الى افريقية ولم يبق بالبلاد من ينازعه من البربر ولا من الروم ولما استقرّت له القواعد كتب الى طارق وهو بطنجة يامره بغزو بلاد الاندلس فغزاها فى ١٢ الفا من البربر خلا ١٢ رجلا وصعد على الجبل المنسوب اليه يوم الاثنين خامس رجب سنة ٩٢ وذُكر عن طارق انه كان نائما فى المركب وقتَ التعدية فراى النبىَّ صلّعم وامره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد هكذا ذكر ابن بشكوال وقيل ان موسى ندم على تأخُّره وعلم ان طارقا ان فتح شيئًا نُسب الفتح اليه دونه فاخذ فى جمع العساكر وولّى على القيروان ابنه عبد الله وتبع طارقا فلم يدركه الا بعد الفتح ، وقال بعض العلماء ان موسى بن نصير كان عاقلا شجاعا كريما تقيًّا لله تعَ ولم يُهزم له قط جيش وكان والده نصير على حرس[a] معاوية ومنزلته لديه مكينة ولما خرج معوية لصِفّين لم يخرج معه فقال له ما منعك من الخروج معى ولى عندك يدٌ لم تكافينى عليها فقال لم يُمْكنّى ان اشكرك بكفرِ من هو أوْلى بشكرى منك فقال من هو فقال الله عز وجل فاطرق مليًّا ثم قال استغفر الله ورضى عنه ، رجع الى حديث طارق قال بعض المؤرّخين كان لذريق ملك الاندلس استخلف عليها شخصا يقال له تُدْمير واليه تُنسب تدمير بالاندلس فلما نزل طارق من الجبل كتب تدمير الى لذريق انه قد نزل بارضنا قوم لا ندرى أَمِن السماء هم ام من الارض فلما بلغ لذريق ذلك وكان قصد بعض الجهات البعيدة لغزو له فى بعض اعدائه فرجع عن مقصده فى ٧٠ الف فارس ومعه العَجَل تحمل الاموال والمتاع وهو على سريره بين دابّتين وعليه مظلّة مكلّلة بالدرّ والياقوت والزبرجد فلما بلغ طارقا دنوُّه قام فى اصحابه فحمد الله واثنى عليه بما هو اهلُه ثم حثّ المسلمين على الجهاد ورغّبهم ثم قال ايّها الناس اين المفرّ البحرُ من ورائكم والعدوّ امامكم وليس لكم والله الا الصدق والصبر واعلموا انكم فى هذه الجزيرة أَضْيَعُ من الايتام فى مادبة[b] اللئام وقد استقبلكم عدوّكم بجيشه واسلحته واقواتُه موفورة وانتم لا وَزَرَ لكم الا سيوفكم ولا اقوات الا ما تستخلصونه من ايدى عدوّكم وان امتدّت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم امرا ذهب ريحُكم وتعوّضت القلوبُ من رعبها منكم الجرأةَ عليكم فادْفعوا عن انفسكم خذلانَ هذه العاقبة من امركم بمناجزة هذا الطاغية فقد

---

a) C'est ainsi qu'on lit chez Ibn-Khall.; les man. d'al-M. portent جيوش. b) O. مائدة, La. بادية.

القت به اليكم مدينته الحصينة وان انتهاز الفرصة فيه لممكن ان سمحتم بانفسكم للموت. واني لم احذركم امرا انا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس ابدأ منها بنفسي. واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالأرفه الالذ طويلا. فلا ترغبوا بانفسكم عن نفسي فما حظكم فيه باوفر من حظي. وقد بلغكم ما انشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان. وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك امير المومنين من الابطال عربانا ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهارا واختانا ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان. ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دون المومنين سواكم والله تع وليّ انجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين واعلموا انّي اول مجيب الى ما دعوتكم اليه وانّي عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله ان شاء الله تع فاحملوا معي فان هلكتُ بعده فقد كفيتكم امره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون اموركم اليه وان هلكتُ قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بانفسكم عليه واكتفوا الهمّ من فتح هذه الجزيرة بقتله فانهم بعده يتخاذلون. فلما فرغ من تحريض اصحابه على الصبر في قتال لذريق واصحابه وما وعدهم من الخير الجزيل انبسطت نفوسهم وتحققت آمالهم وهبّت رياح النصر عليهم وقالوا له قد قطعنا الآمال ممّا يخالف ما عزمتَ عليه فاحضرْ اليه فانّا معك وبين يديك. وركب واصحابه فباتوا ليلتهم في حرس الى الصباح. فلما اصبح الفريقان تكتّبوا وعبّوا جيوشهم وحمل لذريق وهو على سريره وقد حُمل على راسه رواق ديباج يظلّله وهو مقبل في غابة من البنود والاعلام وبين يديه المقاتلة والسلاح واقبل طارق واصحابه عليهم الزرد ومن فوق رؤوسهم العمائم البيض وبايديهم القسيّ العربية وقد تقلّدوا السيوف واعتقلوا الرماح فلما نظر اليهم لذريق حلف وقال ان هذه الصور هي التي رأيناها ببيت الحكمة ببلدنا فداخله منهم الرعب فلما راى طارق لذريق

---

a) Les man. d'al-M. portent لانفسكم بالموت. b) Ibn-Khall. ابدا فيها بنفسي, al-M. ابدا بنفسي. c) G. L. La. O. بوثي. d) G. S. L. P. اليهم. e) G. S. L. O. الصبح. f) La copulative manque dans les man. d'al-M.

قال هذا طاغية القوم فحمل وحمل اصحابه معه فتفرّقت المقاتلة من بين يدى لذريق فخلص اليه طارق فضربه بالسيف على راسه فقتله على سريره فلما راى اصحابه * مصرع ملكهم *a* اقتحم الجيشان*b* وكان النصر للمسلمين ولم تقفْ هزيمة العدوّ على موضع بل كانوا يسلمون بلدا بلدا ومعقلا معقلا ولما سمع موسى بن نصير بما حصل من النصرة لطارق عبر الى*c* الجزيرة بمن معه ولحق بمولاه طارق فقال له يا طارق انه لن يجازيك الوليد بن عبد الملك على بلائك باكثر من ان يبيحك*d* الاندلس فاستبحْه هنيئًا مريئًا فقال له طارق ايّها الامير والله لا ارجع عن قصدى هذا ما لم انته الى البحر المحيط اخوض فيه بفرسى يعنى البحر الشمالىّ الذى تحت بنات نعش ولم يزل طارق يفتح وموسى معه الى ان بلغ الى جلّيقية وهى على*e* ساحل البحر المحيط انتهى، وقال الحافظ الحميدى فى كتاب جذوة المقتبس ان موسى ابن نصير نقم على مولاه طارق اذ غزا بغير اذنه*f* وهمّ بقتله ثم ورد عليه كتاب الوليد باطلاقه فاطلقه وخرج معه الى الشام انتهى، وقول لذريق ان هذه الصور هى التى رآها فى بيت الحكمة الخ اشار به الى بيت حكمة اليونان وكان من خبره فيما حكى بعض علماء التاريخ ان اليونان وهم الطائفة المشهورة بالحكم كانوا يسكنون بلاد المشرق قبل عهد الاسكندر فلما ظهرت الفُرْسُ واستولت على البلاد وزاحمت اليونانَ على ما كان بايديهم من الممالك انتقل اليونان الى جزيرة الاندلس لكونها طرفا فى آخر العمارة ولم يكن لها ذكر اذذاك ولا ملكها احد من الملوك المعتبَرة ولم تك عامرة وكان اول من عمر فيها واختطّها اندلس بن يافث بن نوح عمّ فسمّيت باسمه ولما عمرت الارض بعد الطوفان كان الصورة المعمورة منها عندهم على شكل طائر راسه المشرق والجنوب والشمال رجلاه وما بينهما بطنه والمغرب ذنبه وكانوا يزدرون المغرب لنسبته الى اخسّ اجزاء الطير وكانت اليونان لا ترى فناء الامم بالحروب لما فيه من الاضرار*g* والاشتغال عن العلوم التى كان امرها عندهم اهمّ الامور فلذلك انحازوا من بين يدى الفُرْس الى الاندلس فلما صاروا اليها اقبلوا على عمارتها فشقّوا الانهار وبنوا

a) Cette leçon se trouve chez Ibn-Khall.; G. S. L. La. مصرع اصحابهم, O. مصرعه. *b*) O. الجمعان. *c*) Ce mot manque dans les man. d'al-M. *d*) C'est ainsi qu'on lit chez Ibn-Khall.; les man. d'al-M. portent يمنحك. *e*) Ce mot manque dans les man. d'al-M. *f*) Ibn-Khall. ajoute وسجنه. *g*) La. O. الاضطرار.

المعاقل وغرسوا الجنّات a والكروم وشيّدوا الامصار وملؤها حرثا ونسلا وبنيانا فعظمت وطابت حتى قال قائلهم لما راى بهجتها ان الطائر الذى صُوّرت العمارة على شكله وكان المغرب ذنبه كان طاوُوسا معظمُ جماله فى ذنبه وحكى ان الرشيد هرون رحمه لما حضر بين يديه بعض اهل المغرب قال الرشيد يقال ان الدنيا بمثابة طائر ذنبه المغرب فقال الرجل صدقوا يا امير المومنين وانه طاوُوس فضحك الامام الرشيد وتعجّب من سرعة جواب الرجل وانتصاره لقطره رجع قال فاغتبط اليونان بالاندلس اتمّ اغتباط واتّخذوا دار الحكمة والملك بها طليطلة لانها اوسط البلاد وكان اهمّ الامور عندهم تحصينها عمّن يتّصل به خبرها من الامم فنظروا فاذا هو انه لا يحسدهم على رغد العيش الا ارباب الشظف والشقاء والتعب وهم يومئذ طائفتان العرب والبربر b يخشونهم على جزيرتهم العامرة فعزموا ان يتّخذوا لهذين الجنسين من الناس طلسما ترصدوا لذلك ارصادا ولما كان البربر بالقرب منهم وليس بينهم c سوى تعدية البحر ونَدَّ عليهم منهم شوائب منحرفة الطباع خارجة عن الاوضاع ازدادوا منهم نفورا وكثره تحذُّرهم من نسب او مجاورة حتى ثبت ذلك فى طباعهم d وصار بغضهم مركّبا فى غرائزهم فلما علم البربر عداوة اهل الاندلس وبغضهم لهم ابغضوهم وحسدوهم فلم تجد اندلسيّا الا مبغضا بربريّا وبالعكس الا ان البربر أَحْوَجُ الى اهل الاندلس لوجود بعض الاشياء عندهم وفقدها ببلد البربر وكان بنواحى غرب الاندلس ملك يونانى بجزيرة يقال لها قادس وكانت له ابنة فى غاية الجمال فتسامع بها ملوك الاندلس وكانت الاندلس كثيرة الملوك لكل بلدة او بلدتين ملك فخطبوها وخشى ابوها ان زوجها من واحد اسْخاطَ الباقين فتحيّر واحضر ابنته وكانت الحكمة مركّبة فى طباع القوم ذكورهم واناثهم ولذا قيل ان الحكمة نزلت من السماء على ثلثة اعضاء من اهل الارض ادمغة اليونان وايدى اهل الصين والسنة العرب فقال لها يا بُنيّة انّى اصبحتُ على حيرة فى امرك ممّن يخطبك من الملوك وما ارضيتُ واحدا الا اسخطتُ الباقين فقلت لم اجْعل الامر اليّ تخلُّصْ فقال وما تقترحين فقالت ان يكون ملكا حكيما فقال نعم ما اخترته لنفسك فكتب فى أَجْوِبَة الملوك الخُطّاب انها اختارت من الازواج الملك الحكيم فلما وقعوا على الجواب سكت من لم يكن حكيما وكان فى الملوك الخاطبين حكيمان

a) L. a. O. الجنان. b) J'ai ajouté ce mot d'après le texte publié d'Ibn-Khall. c) G. L. L. a. O. —. d) L. a. O. طباعهم.

فكتب كل واحد منهما انا الملك الحكيم فلما وقف على كتابيهما قال لها يا بنيّة بقى الامر على اشكاله وهذان ملكان حكيمان ايّهما ارضيتُ اسخطتُ الآخر فقالت سأقترح على كلّ واحد منهما امرا ياتى به فايّهما سبق الى الفراغ ممّا التمستُ كنتُ زوجته قال وما الذى تقترحين عليهما قالت انّا ساكنون بهذه الجزيرة ومحتاجون الى رحىa تدور بها وانّى مقترحة على احدهما ادارتها بالماء العذب الجارى اليها من ذلك البرّ ومقترحة على الآخر ان يتّخذ لى طلسما يحصّن به جزيرة الاندلس من البربر فاستظرف ابوها ذلك وكتب الى الملكين بما قالت ابنته فاجاباه الى ذلك وتقاسماه على ما اختارا وشرع كل واحد منهما ما أُسند اليه من ذلك فاما صاحب الرحى فانه عمد الى اشكال اتّخذها من الحجارة نضّد بعضها الى بعض فى البحر المالح الذى بين جزيرة الاندلس والبرّ الكبير فى الموضع المعروف بزقاق سبتة وسدّ الفُرج التى بين الحجارة بما اقتضته حكمته واوصل تلك الحجارة من البرّ الى الجزيرة وآثاره باقية الى اليوم فى الزقاق الذى بين سبتة والجزيرة الخضراء واكثر اهل الاندلس يزعمون ان هذا اثر قنطرة كان الاسكندر قد عملها ليعبر عليها الناس من سبتة الى الجزيرة والله اعلم اىّ القولين اصحّ غير ان الشائع الى الآن عند الناس هو الثانى فلما تمّ تنضيد الحجارة للملك الحكيم جلب الماء العذب من جبل عالٍ فى البرّ الكبير وسلّطه من ساقية مُحْكَمة وبنى بجزيرة الاندلس رحى على هذه الساقية واما صاحب الطلسم فانه ابطأ عمله بسبب انتظار الرصد الموافق لعمله غير انه عمل امره واحكمه وابتنى بنيانا مربّعا من حجر ابيض على ساحل البحر فى رمل عالج حفر اساسه الى ان جعله تحت الارض بمقدار ارتفاعه فوق الارض ليثبت فلما انتهى البناء المربّع الى حيث اختار صوّر من النحاس الاحمر والحديد المصفّى المخلوطَين باحكم الخلط صورةَ رجل بربرى وله لحية وفى راسه ذؤابة من شعر جعد قائمة فى راسه لجعودتها وهو متأبّط بصورة كساء قد جمع طرفَيْه على يده اليُسْرَى بالطف تصوير واحكمه وفى رجله نعل وهو قائم من راس البناء على مستهدفb بمقدار رجليه فقط وهو شاهق فى الهواء طوله نيف عن ٦٠ او ٧٠ ذراعا وهو محدودc الاعلى الى ان ينتهى الى ما سعته قدر الذراع وقد مدّ يده اليُمْنَى بمفتاح قفل قابضاd عليه مشيرا

a) G. S. L. O. ارحى. b) La. المستهدف, G. S. L. P. مستقذف, Ibn-Khall. مستدق.
c) L. La. محدودب. d) Les man. portent قابض.

الى البحر كانه يقول لا عدوَّ يتمكّن من تأثير هذا الطلسم فى البحر الذى تجاهه
انه لم يُرَ قط ساكنا ولا ·مركبًا تجرى فيه قط سفينةُ بربر حتى ه سقط المفتاح من
يده وكان الملكان الابنان عملا الرحى والطلسم يتسابقان الى فراغ العمل اذ ·بالسبق
يستحقّ زواج المرأة وكان صاحب الرحى فرغ اولا لكنّه اخفى امره من صاحب
الطلسم ·*حتى لا يعلمه فيبطّل الطلسم لتحظى المرأةُ بالرحى والطلسم فلما علم باليوم
الذى يفرغ صاحب الطلسم في آخره اجرى الماء فى الجزيرة من اوله وادار الرحى
واشتهر ذلك فاتّصل الخبر بصاحب الطلسم وهو فى اعلى القبّة بصقل وجهه وكان
الطلسم مذهّبا فلما تحقّق انه مسبوق ضعفت نفسُه فسقط من اعلى البناء ميّتا
وحصل صاحب الرحى على المرأة والرحى والطلسم وكان من تقدّم من ملوك اليونان
يخشى على الاندلس من البربر للسبب الذى قدّمنا ذكره فاتّفقوا وجعلوا الطلسمات
فى اوقات اختاروا ارصادها واودعوا تلك الطلسمات تابوتا من الرخام وتركوه فى بيت
بطليطلة وركّبوا على ذلك *البيت بابا واقفلوه وتقدّموا الى كل من ملك منهم بعد
صاحبه ان يُلْقِيَ على ذلك ه الباب قفلا تاكيدا لحفظ ذلك البيت فاستمرّ امرهم
على ذلك ولما حان وقت انقراض دولة من كان بالاندلس ودخول العرب والبربر اليها
وذلك بعد مضىّ ٢٦ ملكا من ملوكهم من تاريخ عمل الطلسمات بطليطلة وكان
لذريق المذكور آنفًا هو تمام السابع والعشرين من ملوكهم فلما اقتعد اريكة الملك
قال لوزرائه وخواصّ دولته واهل الراى منهم قد وقع فى نفسى من امر هذا البيت
الذى عليه ٢٦ قفلا شىء واريد ان افتحه لانظر ما فيه لانه لم يُعمل عبثا فقالوا ايّها
الملك صدقتَ انه لم يُصْنَعه عبثا ولم يقفل سُدًى والراى والمصلحة ان تلقى انت
ايضا عليه قفلا اسوةً بمن تقدّمك من الملوك وكان آباؤك واجدادك لم يُهْملوا هذا
فلا تهملْه وسِرْ سيرهم فقال لهم ان نفسى تنازعنى الى فتحه ولا بدّ لى منه فقالوا
له ان كنتَ تظنّ ان فيه مالا فقدِّرْه ونحن نجمع لك من اموالنا نظيره ولا تُحْدِثْ
علينا بفتحه حادثا لا نعرف عاقبته فاصرّ على ذلك وكان رجلا مهيبا فلم يقدروا
على مراجعته وامر بفتح الاقفال وكان على كل قفل مفتاحه معلّقا فلما فتح الباب

a) C'est ce qu'on lit chez Ibn-Khall.; les man. d'al-M. portent لا. b) La. لئلا يترك عمله.
c) Ces mots, que j'ai ajoutés d'après Ibn-Khall., manquent dans tous les man. d'al-M. d) S.

لم ير فى البيت شيئًا الا مائدة عظيمة من ذهب وفضّة مكلّلة بالجواهر وعليها مكتوب هذه مائدة سليمن بن داءود عليهما السلام ورأى فى البيت ذلك التابوت وعليه قفل ومفتاحه معلّق ففتحه فلم يجد فيه سوى رَقّ وفى جوانب a التابوت صور فرسان مصوّرة باصباغ مُحْكَمة التصوير على اشكال العرب وعليهم الفراء وهم معمّمون على ذوائب جعد ومن تحتهم الخيل العربيّة وهم متقلّدون السيوف المحلّاة معتقلون الرماح فامر بنشر ذلك الرقّ فاذا فيه متى فُتح هذا البيت وهذا التابوت المقفلان بالحكمة دخل القومُ الذين صورهم فى التابوت الى جزيرة الاندلس وذهب ملكُ من فيها من ايديهم ودرست حكمتُهم فلما سمع لذريق ما فى الرقّ ندم على ما فعل وتحقّق انقراض دولتهم فلم يلبثْ الا قليلا حتى سمع ان جيشا وصل من المشرق جهّزه ملكُ العرب ليفتتح بلاد الاندلس انتهى فهذا هو بيت الحكمة الذى اشار اليه لذريق والله اعلم بحقيقة الامر فى ذلك كله على ان فى هذا السياق مُخالفة لما سنذكره عن بعض ثقات مؤرّخى الاندلس وغيرهم فى شان المائدة وغيرها وما ذكره فى هذه القصّة من جلب الماء من برّ العدوة الخ فيه بُعْدٌ b عندى لان بلاد الاندلس اكثر بلاد الله مياها وانهارا فأنّى تحتاج الى جلب الماء من العدوة الاخرى الا ان يقال ان المرأة ارادت تعجيز الرجل بذلك او اختبارَ حكمته حتى يفعل هذا الامر الغريب وعلمُ الله من وراء ذلك كله وفوق كل *ذى علم c عليم، ومنتهى العلم الى الله الحكيم»، وقال ابن حيّان فى المقتبس ذكروا ان لذريق لم يكن من ابناء الملوك ولا بصحيح النسب فى القوط وانه انما نال الملك من طريق الغصب والتسوّر عند ما مات اغْطشة الملك الذى كان قبله وكان اثيرا لديه مكينا فاستصغر اولاده لمكانه واستمالهُ طائفة من الرجال مالوا معه فانتزع الملك من اولاد اغطشة واستبقاهم فكانوا هم الذين دبّروا عليه فيما ذُكر عند ما لقى رجال العرب المقتحمين عليه بالاندلس من تلقاء بحر الزقاق وعليهم طارق بن زياد مولى موسى بن نصير طماعةً منهم فى ان يُودِىَ ويخلص اليهم ملكُ ابيهم فالتقوا بموضع يُدعى وادى لكة من ارض الجزيرة الخضراء من ساحل الاندلس القبلىّ مكان عبورهم وذلك لسبع خلون من ربيع الاول سنة ٩٢ من الهجرة فانهزم القوط اعظمَ هزيمة وقُتل ملكهم لذريق وغلبت العرب على الاندلس فصارت

a) La. O. جانب. b) S. ajoute اليها. c) G. S. مِنْ ذوى العلم.

اقصى فتوحهم من ارض المغرب ومصداق موعد نبيّهم صلّعم الكفيل بفتح ما بين المشرق والمغرب عليهم بوحى الله تعالى اليه أنجزه لهم بفتح الاندلس ولله القوّة قال وقام بامر العرب بالاندلس منذ فُتحت الامراء المُرْسَلون منهم عليها من قِبَل ائمّة المسلمين بالمشرق طوالَ دولة بنى اميّة رضهم الى ان طرأ اليها فلّهم عند غلبة بنى العباس عليهم وذلك عبد الرحمن بن معوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان فملكها واعاد اليها الدولة الامويّة التى اورثها عقبه حقبةً فكانت عدّة هؤلاء الامراء من لدن اولهم طارق بن زياد الى آخرهم يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ٢٠ عاملا وعدّة سنيهم بالشمسىّ ٤٥ سنة وبالقمرىّ ٤٧ سنة غير اشهر انتهى، وقال فى موضع آخر نقلاً عن الرازى وافتتحت الاندلس فى ايام الوليد بن عبد الملك فكان فتحها من اعظم الفتوح الذاهبة بالصيت فى ظهور الملّة الحنيفيّة وكان عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه a متهمّما بها معتنيا بشانها وقد خزلها b عن نظر والى افريقية وجرّد اليها عاملا من قِبَله اختاره لها دلالةً على معنيته بها ووقعت المقاسم فيها عن امره وبفصل رايه انتهى، وفى الكتاب الخزائنى وغيره سياقةُ فتح الاندلس على اتمّ الوجوه فلنذكر c ملخّصه قالوا استعمل امير المومنين الوليد بن عبد الملك رحه موسى بن نصير مولى عمّه عبد العزيز بن مروان ويقال بل هو بكرىّ وذلك ان اباه نصير اصله من علوج اصابهم خالد بن الوليد رضه فى عين التمر فادّعوا انهم رُقّ وانهم من بكر بن وائل فصار نصير وصيفا لعبد العزيز بن مروان فاعتقه * فمن هذا يُختلف فيه وقيل انه لخمىّ وعقد له على افريقية وما خلفها فى سنة ٨٨ فخرج الى ذلك الوجه فى نفر قليل من المطّوعة فلما ورد مصر اخرج معه من جندها بعثا واتى افريقية عمله فاخرج من اهلها معه ذوى القوّة والجلد وصيّر على مقدّمته طارق بن زياد فلم يزل يقاتل البربر ويفضّ جموعهم ويفتتح بلادهم ومداينهم حتى بلغ طنجة وهى قصبة ملك البربر وامّ مداينهم فحصرها حتى افتتحها وقيل انها لم تكن افتتحت قبله وقيل افتتحت ثم ارتُجعت فاسلم اهلها وخطّها قيروانا للمسلمين ثم ساروا الى مداين على شطّ البحر فيها عُمّال لصاحب الاندلس قد غلبوا عليها وعلى ما حولها وراس تلك المداين سبتة وعليها علج يسمّى يليان قاتله موسى فالفاه فى نجدة وقوّة وعدّة فلم يُطقه فرجع

a) La. ajoute شيما b) La. O. حولها. c) La. O. فلذا.

الى مدينة طنجة فقام بمن معه واخذ فى الغارات على ما حولهم والتضييق عليهم والسفن تختلف اليهم بالميرة والامداد من الاندلس من قبل ملكها غيطشة فهم يذبّون عن حريمهم ذبّا شديدا ويحمون بلادهم حمايةً تامّة الى ان هلك غيطشة ملك الاندلس وترك اولادا لم يَرْضَهم اهلُها للملك فاضطرب حبل اهل الاندلس ثم تراضوا بعلج من كبارهم يقال له لذريق مجرّب شجاع بطل ليس من بيت اهل الملك الا انه من قُوّادهم وفرسانهم فولّوه امرهم وكانت طليطلة *a دار الملك بالاندلس حينئذ وكان بها بيت مغلق متحامى الفتح على الايام عليه عدّة من الاقفال يلزمه قوم من ثقات القوط قد وُكّلوا به لئلّا يفتح وقد عهد الاولُ فى ذلك الى الآخر فكلّما قعد منهم ملك اتاه اولئك الموكّلون بالبيت فاخذوا منه قفلا وصيّروه على ذلك الباب من غير ان يزيلوا قفلَ من تقدّمه فلما قعد لذريق هذا وكان متهمّما يَقظا ذا فكر اتاه الحُرّاس يسألونه ان يقفل على الباب فقال لهم لا افعل او أَعْلَمَ ما فيه ولا بدّ لى من فتحه فقالوا له ايّها الملك انه لم يفعل هذا احد من قبلك وتناهوا عن فتحه فلم يلتفتْ اليهم ومشى الى البيت فاعظمت ذلك العجم وضرع اليه اكابرهم فى الكفّ فلم يفعل وظنّ انه بيت مال ففضّ الاقفال عنه ودخل فاصابه فارغا لا شىء فيه الا تابوتا عليه قفل فامر بفتحه يحسب ان مضمونه يُقْنعه نفاسةً فالفاه ايضا فارغا ليس فيه الا شقّة مُدْرَجة قد صُوّرت فيها صور العرب عليهم العمائم وتحتهم الخيول العراب متقلّدى السيوف متنكّبى القسىّ رافعى الرايات على الرماح وفى اعلاها اسطر مكتوبة بالعجميّة فقُرِئَت فاذا فيها اذا كُسرت الاقفال عن هذا البيت وفتح هذا التابوت فظهر ما فيه من هذه الصور فانّ هذه الامّة المصوّرة فى هذه الشقّة تدخل الاندلس فتغلب عليها وتملكها فوجم لذريق وندم على ما فعل وعظم غمّه وغمّ العجم بذلك وامر بردّ الاقفال واقرار الحرّاس على حالهم واخذ فى تدبير ملكه وذهل عمّا أُنذر به وقد كان من سير اكابر العجم بالاندلس وقوّادهم ان يبعثوا اولادهم الذين يريدون منفعتهم والتنويه بهم الى بلاط *b الملك الاكبر بطليطلة ليصيروا فى خدمته ويتأدّبوا بادبه وينالوا من كرامته حتى اذا بلغوا انكح بعضَهم بعضا استيلافا لآبائهم وحمل صدقاتهم وتولّى تجهيز اناثهم الى ازواجهنّ فاتّفق ان فعل ذلك يليان عامل لذريق على سبتة وكانت يومئذ فى يد

a) La. O. دار ملك الاندلس. b) Les man. portent بلاد.

صاحب الاندلس واهلها على النصرانية ركب الطريقة بابنة له بارعة الجمال تكرم عليه
فلما صارت عند لذريق وقعت عينه عليها فاعجبته *واحبها حبا شديدا ولم يملك
نفسه حتى استكرهها وافتضها* فاحتالت حتى اعلمت اباها بذلك سرا بمكاتبة خفية
فاحفظه شانها جدا واشتدت حميته وقال ودين المسيح لأزيلن سلطانه ولاحفرن تحت
قدميه فكان امتعاضه من فاحشة ابنته السبب فى فتح الاندلس بالذى سبق من قدر
الله تع ثم ان يليان ركب بحر الزقاق من سبتة فى اصعب الاوقات فى ينير قلب
الشتاء فصار بالاندلس واقبل الى طليطلة نحو الملك لذريق فانكر عليه مجيئه فى
مثل ذلك الوقت وسأله عما لديه ولم جاء فى مثل وقته فذكر خيرا واعتل بذكر
زوجته وشدة شوقها الى روية بنتها التى عنده وتمنيها لقاءها قبل الموت والحاحها
عليه فى احضارها وانه احب اسعافها ورجا بلوغها امنيتها منه وسأل الملك اخراجها
اليه وتعجيل اطلاقه للمبادرة بها ففعل واجاز الجارية وتوثق منها فى الكتمان عليه
وانفصل على ابيها فانقلب عنه وذكروا انه لما ودعه قال له لذريق اذا قدمت علينا
فاستفره لنا من الشذانقات التى لم تزل تطرفنا بها فانها آثر جوارحنا لدينا فقال له
ايها الملك وحق المسيح لئن بقيت لأدخلن عليك شذانقات ما دخل عليك مثلها
قط عرض له بالذى اضمره من السعى فى ادخال رجال العرب عليه وهو لا يفطن فلم
يتنهنه يليان عند ما استقر بسبتة عمله ان تهيأ للمسير نحو موسى بن نصير الامير
فمضى نحوه بافريقية وكلمه فى غزو الاندلس ووصف له حسنها وفضلها وما جمعت
من اشتات المنافع وانواع المرافق وطيب المزارع وكثرة الثمار وثرارة المياه وعذوبتها
وهون عليه مع ذلك حال رجالها ووصفهم بضعف البأس وقلة الغنا فشوق موسى الى
ما هناك واخذ بالحزم فيما دعاه اليه يليان فعاقده على الانحراف الى المسلمين
واستظهر عليه بأن سامه مكاشفة اهل ملته من الاندلس المشركين والاستخراج اليهم
بالدخول اليها وشن الغارة فيها ففعل يليان ذلك وجمع جمعا من اهل عمله فدخل
بهم فى مركبين وحل بساحل الجزيرة الخضراء فاغار وقتل وسبى وغنم واقام بها اياما

a) Ces mots manquent dans G. S. et L. b) L. La. وافتضها. c) S. موالدها d) La. et O. ajoutent و ملكه e) *Enero*, Janvier. P. نير, G. L. سير, O. صنير, La. ضبير; dans S. ce mot manque. f) La. et O. ajoutent وما جاء فيه. g). Telle est la leçon du man. La., O. شتات, G. S. L. P. اسباب. h) La. وغزارة.

ثم رجع بمن معه سالمين وشاع الخبر عند المسلمين فآنسوا بيليان واطمأنّوا اليه وكان ذلك عقبَ سنة ٩٠ فكتب موسى بن نصير الى امير المومنين الوليد بن عبد الملك يخبره بالذى دعاه اليه يليان من امر الاندلس ويستاذنه فى اقتحامها فكتب اليه الوليد أن خُضْها بالسرايا حتى ترى وتختبر شانها ولا تغرّر بالمسلمين فى بحر شديد الاهوال فراجعه بانه ليس ببحر زخّار وانما هو خليج منه يبين للناظر ما خلفه فكتب اليه وان كان فلا بدّ من(a) اختباره بالسرايا قبل اقتحامه فبعث موسى عند ذلك رجلا من مواليه من البرابرة اسمه طريف يكنى ابا زُرْعة فى ٤٠٠ رجل معهم مائة فرس(b) سار بهم فى ٤ مراكب فنزل بجزيرة تقابل جزيرة الاندلس المعروفة بالخضراء التى هى اليومَ معبر سفائنهم ودار صناعتهم ويقال لها اليومَ جزيرة طريف لنزوله فيها فاقام بها اياما حتى تتامّ(c) اليه اصحابه ثم مضى حتى اغار على الجزيرة فاصاب سبيا لم يَرَ موسى ولا اصحابه مثله حسنا ومالا جسيما وامتعةً وذلك فى شهر رمضان سنة ٩١ فلما راى الناس ذلك تسرّعوا الى الدخول وقيل دخل طريف فى الف رجل فاصاب غنائم وسبيا ودخل بعده ابو زُرْعة شيخ من البرابرة وليس بطريف. فى الف رجل منهم ايضا فاصابوا اهل الجزيرة قد تفرّقوا عنها فضرّموا عامّتها بالنار وحرقوا كنيسة بها كانت عندهم معظّمة واصابوا سبيا يسيرا وقتلوا وانصرفوا سالمين وقال الرازى هو ابو زرعة طريف ابن مالك المَعافرى الاسمُ بلَيْقُ الكنية قالوا ثم عاود يليان القدوم على موسى بن نصير محرّكا فى الاقتحام على اهل الاندلس وخبّره بما كان منه ومن طريف وابى زرعة وما نالوه من اهلها وباشروه من طيبها فحمد الله على ذلك واستجدّ عزما فى اقتحام(d) المسلمين فيها فدعا مولى له كان على مقدّمته يسمّى طارق بن زياد بن عبد الله فارسيّا همذانيا(e) وقيل انه ليس بمولى لموسى(f) وانما هو رجل من صَدِف وقيل مولى لهم وقد كان بعض عقبه بالاندلس ينكرون ولاء موسى انكارا شديدا وقيل انه بربرى من نفزة(g) فعقد له موسى وبعثه فى ٧ آلاف من المسلمين جُلّهم البربر والموالى وليس فيهم عرب الا قليل ووجّه معه يليان فهيّأ له يليان المراكب فركب فى ٤ سفن لا صناعة له غيرها وحطّ بجبل طارق المنسوب اليه يوم سبت فى شعبان سنة

---

a) L. La. فلا بدّ عن , G. S. فلا تدعنّ. b) La. O. فارس. c) S. تنامى , La. O. التأم. d) La. O. اقتحام. e) Les man. portent همذانيا. f) La. O. لنصير. g) Les man. portent نفرة.

١٢ فى شهر اغشت ثم صرف المراكب التى من خلفه من اصحابه فركب من بقى
من النـاس ولم تزل السفن تختلف اليهم حتى توافى جميعهم عنده بالجبل وقيل
حلّ طـارق بجبله يوم الاثنين لخمس خلون من رجب من السنة فى ١٢ الفـا غير
١٦ رجلا من البرابر ولم يكن فيهم من العرب الا يسيرª اجـازهم يليـان الى ساحل
الاندلس فى مراكب التجـار من حيث لم يُعلم بهم اولًا اولًا وركب اميرهم طـارق
آخرهم قيل واصاب طارق عجوزا من اهل الجزيرة فقالت له فى بعض قولها انه كان
لها زوج عالم بالحدثان فكان يحدّثهم عن امير يدخل الى بلدهم ويغلب عليه ويصف
من نعته انه ضخم الهامة فانت كذلك ومنهᵇ ان فى كتفه الايسر شـامة عليها شعر
فان كانت بك هذه العلامة فانت هو فكشف طارق ثوبه فـاذا بالشامة فى كتفه
على ما ذكرتْه العجوز فاستبشر بذلك هو ومن معه وذُكر عن طارق انه كان نائما
فى المركب فراى فى منامه النبىّ صلّعم والخلفاء الاربعة اصحابه عليهم السلام يمشون
على المـاء حتى مرّوا به فبشّره النبىّ صلّعم بـالفتح وامره بـالرفق بـالمسلمين والوفاء
بالعهد وقيل انه لما ركب البحر غلبتْه عينُه فكأن يرى النبىّ صلّعم وحوله المهاجرون
والانصار قد تقلّدوا السيوف وتنكّبوا القسىّ فيقول له رسول الله صلّعم يا طـارق تقدّمْ
لشـانك ونظر اليه والى اصحـابه قد دخلوا الاندلس قدّامه فهبّ من نومه مستبشرا
وبشّر اصحـابه وثـابت اليه نفسه ببشراه فقويتْ نفسه ولم يشكّ فى الظفر فخرج من
البلد واقتحم بسيط البلاد شانًّا للغـارة فالوا ووقع الىᶜ لذريق الملك خبرُ اقتحام
العرب ساحل الاندلس وتَوالى غاراتهم على بلد الجزيرة وان يليان السبب فيها وكان
يومئذ غائبا بارض بَنْبلُونة فى غزاة له الى البشكنش لامر كان استصعب عليه بناحيتهم
فعظم عليه وفهم الامر الذى منه اتى واقبل مبـادرا الفتق فى جموعه حتى احتلّ
بمدينة قرطبة من الموسطة ونزل القصر المدعوّ بهـا ببلاط لذريق المنسوب اليه وليس
لانه بنـاه واخترعه وهو من بناه من تقدّمه من الملوك اتّخذوه لمنزلهم فى قرطبة اذا
اتوها الا ان العرب لمـا غلبوا لذريق وهذا القصر من مواطنه نسبوه اليه اذ لم يعرفوا
من بنـاه ويزعم العجم ان الذى بناه ملك منهم كان سـاكنا بحصن المدوّر اسفلَ
قرطبة وخرج يوما يتصيّد حتى انتهى الى مكان قرطبة وهى يومئذ خراب وكان فى

a) La. O. قليلا. b) Les man. portent ومنها. c) G. S. L. P. على.

موضع قصرها غيضة عُلّيق ملتفّة أَشِبَة فارسل الملك بازيا له يكرم عليه على حَجَلة عنّتْ له من ناحية الكدية المنسوبة بعدُ الى ابى عبدة[a] فتخبّبتْ[b] فى ذلك العلّيق ولجّ البازى فى الانقصاص عليها فركض الملك خلفه حتى وقف على مكانه بالحَرَجة فامر بقطعها لاستنقاذ بازيه ضنًّا منه به فقُطعت وبدا له تحتها اساس قصر عظيم راقه رصّه وقد كان ذا همّة فامر بالكشف عنه وتفصّى حدوده طولا وعرضا وتتبّع اسّه واصله فوجده مبنيّا من وجه الماء بضمّ الحجارة فوق زرجون وُضِع بينها وبين الماء باحكم صناعة فقال هذا اثر ملك كريم وانا اولى من جدّده فامر باعادته الى هيأته واتّخاذه منزلا من منازل راحاته فكان اذا طاف بعمله او مضى فى متصبّده[c] نزل فيه وصار السبب فى بناء قرطبة الى جنبه ونزوله[d] الناس فيها[e] وتوارث الملوك قصرها من بعده ونزله لذريق فى زحفه الى العرب اياما والحشود من اعماله تتوافى اليه ثم مضى نحو كورة شَذُونة يبغى لقاءهم فى حشوده الكثيرة وقيل ان آخر ملوك الاندلس الذين تلتّهم العربُ غِيطشة وانه هلك عن اولاد ثلثة صغار لم يصلحوا للملك فضبطت امّهم عليهم ملك والدهم بطليطلة وانحرف لذريق قائد الخيل لوالدهم فيمن تبعه عنهم فصار بقرطبة فلما اقتحم طارق الاندلس نفر اليه لذريق واستنفر اجناد اهل الاندلس وكتب الى اولاد غيطشة وقد ترعرعوا وركبوا الخيل واتّخذوا الرجال يدعوهم الى الاجتماع معه على حرب العرب ويحذّرهم من القعود عنه ويحضّهم على ان يكونوا على عدوّهم يدًا واحدة فلم يجدوا بدًّا وحشدوا وقدموا عليه بقرطبة فنزلوا اكناف قرية شقندة بعدوة نهرها قبالة القصر ولم يطمئنّوا الى الدخول على لذريق اخذًا بالحزم الى ان استتبّ جهاز لذريق وخرج فانضمّوا اليه ومضوا معه وهم مرصدون لمكروهه والاصحّ والله اعلم ما سبق ان ملك القوط اجتمع للذريق واختُلف فى اسمه فقيل رذريق بالراء اولّه وقيل باللام لذريق وهو الاشهر[f] قالوا وعسكر لذريق فى نحو مائة الف ذوى عدد وعُدّة فكتب طارق الى موسى يستمدّه ويعرّفه انه فتح الجزيرة الخضراء فرضةَ الاندلس وملك المجازَ اليها واستولى على اعمالها الى البحيرة وان لذريق زحف اليه بما لا قِبَلَ له به الا ان يشاء الله وكان موسى منذ وجّه طارقا لوجهه قد اخذ فى عمل

a) S. La. ابى عبيدة. b) Ce mot est peut-être altéré; La. فتحببت. c) O. فى مقصده, La. الى مقصده. d) La. O. ونزل. e) La. افنيتها. f) Entre الاشهر et قالوا on trouve dans tous les man. les mots وقيل ان اصله من اصبهان ويسمى الاشبان والله اعلم (!).

السفن حتى صار عنده منها عدّة كثيرة فحمل الى طارق فيها ٥ آلاف من المسلمين مددا كمّلت به عدّةُ من معه ١٢ الفا اقوياء على المغانم حِراصا على اللقاء ومعهم يليان المستأمن اليهم فى رجاله واهل عمله يدلّهم على العورات ويتجسّس لهم الاخبار واقبل نحوهم لذريق فى جموع العجم وملوكها وفرسانها فتلاقوا فيما بينهم وقال بعضهم لبعض ان هذا ابن الخبيثة قد غلب على سلطاننا وليس من اهله وانما كان من أتباعنا فلسْنا نعدم من سيرته خبالا فى امرنا وهؤلاء القوم الطارقون لا حاجةَ لهم فى استيطان بلدنا وانما مرادهم ان يملأوا ايديهم من الغنائم ثم يخرجون عنّا فهلمّ فلننهزمْ بابن الخبيثة اذا نحن لقينا القوم لعلّهم يكفوننا اياه فاذا انصرفوا عنّا اقعدنا فى ملكنا من يستحقّه فاجمعوا على ذلك والقضاء يُبْرِم ما ارتأَوْه وكان لذريق ولّى ميمنتَه احدَ ابنَي غيطشة وميسرتَه الآخر فكانا راسَيِ الذين اداروا عليه الهزيمة وادّاهما الى ذلك طمعُ رجوع ملك والدهما اليهما وقيل لما تقابل[a] الجيشان اجمع[b] اولاد غيطشة على الغدر بلذريق وارسلوا الى طارق يعلمونه ان لذريق كان تابعا وخادما لابيهم فغلبهم على سلطانه بعد مهلكه وانهم غير تاركين حقّهم لديه ويسألونه الامان على ان يميلوا اليه عند اللقاء فيمن يتبعهم وان يسلّم اليهم اذا ظفر[c] ضياعَ والدهم بالاندلس كلّها وكانت ٣ آلاف ضيعة نفائس مختارة وهى التى سمّيت * بعد ذلك[d] صفايا الملوك فاجابهم الى ذلك وعاقدهم عليه فالتقى الفريقان من الغد فانحاز الاولاد الى طارق فكان ذلك اقوى اسباب الفتح وكان الالتقاء على وادى لكة من كورة شذونة فهزم الله الطاغية لذريق وجموعه ونصر المسلمين نصرا لا كفاء له ورمى لذريق نفسه فى وادى لكة وقد اثقلته السلاح[e] فلم يُعلم له خبر ولم يوجد وقيل نزل طارق بالمسلمين قريبا من عسكر لذريق منسلخَ شهر رمضان سنة ٩٢ فوجّه لذريق علجا من اصحابه وقد عرف نجدته ووثق بباسه ليُشْرِفَ على عسكر طارق فيحزر[f] عددهم ويعاين هيآتهم ومراكبهم فاقبل ذلك العلج حتى طلع على العسكر ثم شدّ فى وجوه من استشرفه من المسلمين فوثبوا اليه فولّى منصرفا راكضا وفاتهم بسبق فرسه فقال العلج للذريق أتتْك الصور التى كشف لك عنها التابوت فخُذْ على نفسك فقد جاءك منهم من لا يريد الا الموت او اصابةَ ما تحت قدمَيْك قد حرقوا مراكبهم إيآسا لانفسهم من

a) G. S. L. تقاتل. b) La. اقبل. c) Dans La. les mots اذا ظفر sont placés après ضياع والدهم. d) La. بذلك. e) La. الجراح. f) Les man. portent فيحرز.

التعلّق بها وصفّوا فى السهل موطّنين انفسهم على الثبات اذ ليس لهم فى ارضنا مكانٌ مهرب فرعب وتضاعف جزعه والتقى العسكران بالبحيرة واقتتلوا قتالا شديدا الى ان انهزمت ميمنة لذريق وميسرته انهزم بهما ابناء[a] غيطشة وثبت القلب بعدهما قليلا وفيه لذريق فغدر اهله بشىء من قتال ثم انهزموا ولذريق امامهم فاستمرّت هزيمتهم واذرع المسلمون القتل فيهم وخفى اثرُ لذريق فلا يُدْرَى امره الا ان المسلمين وجدوا فرسه الاشهب الذى فُقد وهو راكبه وعليه سرج له من ذهب مكلّل بالياقوت والزبرجد ووجدوا احد خُفَّيْه وكان من ذهب مكلّل بالدرّ والياقوت وقد ساخ الفرس فى طين وحمأة وغرق العلج فثبت احد خفَّيْه فى الطين فأُخذ وخفى الآخر وغاب شخص العلج ولم يوجد حيّا ولا ميّتا والله اعلم بشانه وقال الرازى كانت الملاقاة يوم الاحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان فاتّصلت الحرب بينهم الى يوم الاحد لخمس خلون من شوّال بعده تتمّةَ ٨ ايام ثم هزم الله المشركين فقُتل منهم خلق عظيم اقامت عظامُهم بعد ذلك بدهر طويل ملبسةً لتلك الارض قالوا وحاز المسلمون من عسكرهم ما يجلّ قدرُه فكانوا يعرفون كبار العجم وملوكهم بخواتم الذهب يجدونها فى اصابعهم ويعرفون من دونهم بخواتم الفضّة ويميّزون عبيدهم بخواتم النحاس فجمع طارق الفىء وخمّسه ثم اقتسمه اهله على ٩ آلاف من المسلمين سوى العبيد والاتباع وتسامع الناس من اهل برّ العدوة بالفتح على طارق بالاندلس وسعة المغانم[b] فيها فاقبلوا نحوه من كل وجه وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر فلحقوا[c] بطارق وارتفع اهل الاندلس عند ذلك الى الحصون والقلاع وتهاربوا من السهل ولحقوا بالجبال ثم اقبل طارق حتى نزل باهل مدينة شذونة فامتنعوا عليه فشدّ الحصر عليهم حتى نهكهم واضرّهم فتهيّأ له فتحها عنوةً فحاز منها غنائم ثم مضى الى مَوْرُور[d] ثم عطف الى قَرْمونة فمرّ بعينه المنسوبة اليه ثم مال على اشبيلية فصالحه اهلها على الجزية ثم نازل اهل اسْتِجة وهم فى قوّة ومعهم فلّ عسكر لذريق فقاتلوا قتالا شديدا حتى كثر القتل والجِراح بالمسلمين ثم ان الله اظهر المسلمين عليهم فانكسروا ولم يلقَ المسلمون فيما بعدُ حربا مثلها واقاموا على الامتناع الى ان ظفر طارق بالعلج صاحبها وكان مغترّا سىّء التدبير فخرج الى النهر لبعض حاجاته وحدَه فصادف طارقا هناك قد اتى

a) La. اولاد. b) La. الغنائم. c) La. لحق. d) G. L. مدرور, S. مذرور, La. مدور.

لمثل ذلك وطارق لا يعرفه عليه طارق فى الماء فاخذه وجاء به الى العسكر فلما كاشفه اعترف له بانه امير المدينة فصالحه طارق على ما احبّ وضرب عليه الجزية وخلّى سبيله ووفى بما عاقدَ عليه وقذف الله الرعب فى قلوب الكَفَرة لما راوا طارقا يوغل فى البلاد وكانوا يحسبونه راغبا فى المغنم عاملا على القفول فسُقط فى ايديهم وتطايروا عن السهول الى المعاقل وصاعد ذوو القوّة منهم الى دار مملكتهم طليطلة قيل وكان من إرْهاب طارق لنصارى الاندلس وحيلة ان تقدّم الى اصحابه فى تفصيل لحوم القتلى بحضرة أسْراهم وطبخها فى القدور يُرونهم انهم كانوا ياكلونها فجعل من انطلق من الاسرى يحدّثون مَنْ وراءهم بذلك فتمتلئ منه قلوبهم رعبا ويجفلون فرارا قالوا وقال يليان لطارق قد فضضتَ جيوش القوم ورعبوا فاصمُدْ لبيضتهم وهؤلاء ادلّاء من اصحابى مَهَرة ففرّقْ جيوشك معهم فى جهات البلاد واعمِدْ انت الى طليطلة حيث مُعْظَمهم فاشغلِ القوم عن النظر فى امرهم والاجتماع a الى اولى رايهم ففرّق طارق جيوشه من استجة فبعث مُغيثا الرومى مولى الوليد بن عبد الملك الى قرطبة وكانت من اعظم مداينهم فى ٧٠٠ فارس لان المسلمين ركبوا جميعا خيل العجم ولم يبقَ فيهم راجل وفضلتْ عنهم الخيلُ وبعث جيشا آخر الى مالقة وآخر الى غرناطة مدينة البيرة وسار هو فى معظم الناس الى كورة جيّان يريد طليطلة وقد قيل ان الذى سار لقرطبة طارق بنفسه لا مغيث قالوا فكمنوا بعدوة نهر شقندة فى غيضة b أرْز شامخة وارسلت الادلّاء فامسكوا راعى غنم فسُئل عن قرطبة فقال رحل عنها عظماء اهلها الى طليطلة وبقى فيها اميرها فى ٤٠٠ فارس c من حُماتهم مع ضعفاء اهلها وسُئل عن سورها فاخبر انه حصين عالٍ فوق ارضها الا انه فيه ثغرة ووصفها d فلما اجنّهم الليل اقبلوا نحو المدينة ووطّأ الله لهم اسباب الفتح بان ارسل السماء برذاذ اخفى دقدقة حوافر الخيل واقبل المسلمون رويدًا حتى عبروا نهر قرطبة ليلا وقد اغفل حرسُ المدينة احتراس السور فلم يظهروا عليه ضيقًا بالذى نالهم من المطر والبرد فترجّل القوم حتى عبروا النهر وليس بين النهر والسور الا مقدار ٣٠ ذراعا وراموا التعلّق بالسور فلم يجدوا متعلّقا ورجعوا الى الراعى فى دلالتهم على الثغرة التى ذكرها فاراهم اياها فاذا بها غير متسهّلة التسنّم الا انه كانت فى اسفلها شجرة تين

a) S. الاجماع. b) La. تحت شجر. c) Ce mot manque dans G. S. et L. d) La. ajoute لهم.

مكّنت افنانُها من التعلّق بها فصعد رجل من اشدّاء المسلمين فى اعلاها ونزع مغيث عمامته فناوله طرفها واعان بعض الناس بعضا حتى كثروا على السور وركب مغيث ووقف من خارج وامر اصحابه المرتقين للسور بالهجوم على الحرس ففعلوا وقتلوا نفرا منهم وكسروا اقفال الباب وفتحوه فدخل مغيث ومن معه وملكوا المدينة عنوةً فصمد الى البلاط منزل الملك ومعه ادلّاؤه وقد بلغ الملك دخولُهم المدينة فبادر بالفرار عن البلاط فى اصحابه وهم زهاء ٤٠٠ وخرج الى كنيسة بغربىّ المدينة وتحصّن بها وكان الماء ياتيها تحت الارض من عين فى سفح جبل ودافعوا عن انفسهم وملك مغيث المدينة وما حولها وقال من ذهب الى ان طارقا لم يحضر فتح قرطبة وان فاتحها مغيث انه كتب الى طارق بالفتح واقام على محاصرة العلج بالكنيسة ٣ اشهر حتى ضاق من ذلك وطال عليه فتقدّم الى اسود من عبيده اسمُه رباح وكان ذا باس ونجدة بالكمون فى جنان الى جانب الكنيسة ملتفّة الاشجار لعلّه ان يظفر له بعلج يَقِفُ به على خبر القوم ففعل ودعاه ضعفُ عقله الى ان صعد فى بعض تلك الاشجار وذلك فى ايام الثمر ليجتنى ما ياكله فبصر به اهل الكنيسة وشدّوا عليه فاخذوه وملكوه وهم فى ذلك هائبون له منكرون لخِلْقه اذ لم يكونوا عاينوا اسود قبله فاجتمعوا عليه وكثر لغطهم وتعجّبهم من خلقه وحسبوا انه مصبوغ[a] او مطلىّ ببعض الاشياء التى تسوّد فجرّدوه وسط جماعتهم وادنوه الى القناة التى منها كان ياتيهم الماء واخذوا فى غسله وتدليكه بالحبال الخُرْش حتى أدْمَوْه واعنتوه فاستغاثهم واشار الى ان الذى به خلقة من بارئهم عزّ وجهه ففهموا اشارته[b] وكفّوا عن غسله واشتدّ فزعُهم منه ومكث فى اسارهم ٧ ايام لا يتركون التجمّع عليه والنظر اليه الى ان يسّر الله له الخلاص ليلا ففرّ واتى الامير مغيثا فخبّره[c] بشانه وعرّفه بالذى اطّلع عليه من موضع الماء الذى ينتابونه ومن اىّ ناحية ياتيهم فامر اهل المعرفة بطلبِ تلك القناة فى الجهة التى اشار اليها الاسود حتى اصابوها فقطعوها عن جريتها الى الكنيسة وسدّوا منافذها فايقنوا بالهلاك حينئذ فدعاهم مغيث الى الاسلام او الجزية فأبوا عليه فاوقد النيران عليهم حتى احرقهم فسمّيت كنيسة الحَرْقَى والنصارى يعظّمها لصبر من كان فيها على دينهم مع شدّة البلاء غير ان العلج اميرهم رغب بنفسه عن بليّتهم عند

a) G. S. L. مصنوع. b) Au lieu de ce mot G. S. et L. portent عنه. c) S. فاخبره.

ايقـان الهلاك ففرّ عنهم وحدَه وقد استغفلهم ورام اللحـاق a بطليطلة فمضى خبره الى مُغيث فبادر الركض خلفه وحدَه فلحقه بقرب قرية تطليرة b هاربا وحدَه وتحته فرس لصفر ذريع الخطو وحرّك مغيث خلفه فالتفت العلج ودهش لما راى مغيثا قد رهقه وزاد فى حثّ فرسه فقصر به فسقط عن الفرس واندقّت عنقه فقعد على ترسه مستاسرا قد هاضتْه السقطةُ فقبض عليه مغيث وسلبه سلاحَه وحبسه عنده ليقدم به على امير المومنين الوليد فلم يُوسَرْ من ملوك الاندلس غيره لان بعضهم استامن وبعضهم هرب الى جلّيقية وفى رواية ان مغيثا استنزل اهل الكنيسة بعد اسر ملكهم فضرب اعناقهم جميعا فمن اجل ذلك عرفت بكنيسة الأَسْرَى وان مغيثا جمع يهودَ قرطبة فضمّهم الى مدينتها استنامةً اليهم دون النصارى للعداوة بينهم وانه اختار القصر لنفسه والمدينة لاصحابه واما من وجّه الى مالقة ففتحوها ولجأ علوجها الى جبال هنالك ممتنعة ثم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجّه الى البيرة فحاصروا مدينتها غرناطة فافتتحوها عنوةً وضمّوا اليهود الى قصبة غرناطة وصار ذلك لهم سنّة متّبعة فى كل بلد يفتحونه ان يضمّوا يهوده الى القصبة مع قطعة من المسلمين لحفظها ويمضى معظمُ الناس لغيرها واذا لم يجدوا يهودا وفّروا عدد المسلمين المخلّفين لحفظِ مـا فُتح ثم صنعوا عند فتح كورة ريّة التى منهـا مـالقة مثل ذلك ومضى الجيش الى تُدْمير وتدمير اسم العلج صاحبها سمّيت به واسم قصبتها أُريولة ولها شان فى المنعة وكان ملكها علجا داهية وقـاتلهم مصحيا c ثم استمرّت عليه الهزيمةُ فى فحصها فبلغ السيف فى اهلها مبلغا عظيمـا افنى اكثرهم ولجأ العلج الى اريولة فى يسير من اصحـابه لا يُغْنون شيئًا فامر النساء بنشر الشعور وحمل القصب والظهور على السور فى زىّ القتـال متشبّهـات بالرجـال وتصدّر قدّامهنّ فى بقيّة اصحابه يغالط المسلمين فى قوّته على الدفاع عن نفسه فكره المسلمون مِراسَه لكثرة من عاينوه على السور وعرّضوا عليه الصلح فاظهر الميل اليه وتنكّر زيّه فنزل اليهم بامان على انه رسول فصالحهم على اهل بلده ثم على نفسه وتوثّق منهم فلما تمّ له من ذلك ما اراد عرّفهم بنفسه واعتذر اليهم بالابقاء على قومه واخذهم بالوفاء بعهده وادخلهم المدينة فلم يجدوا فيها الا العيال والذرّيّة فندموا d على الذى اعطوه من الامان واسترجحوه فيمـا احتال به ومضوا e على الوفاء

a) La. اللحوق. b) P طلبيرة c) Ce mot me paraît altéré ; il faut peut-être lire مصّحّما. d) La. فأبقوه. e) G. S. L. ومضت.

له وكان الوفاء عادتهم فسلمت كورة تدمير من معرّة المسلمين بتدبير تدمير وصارت كلها صلحا ليس فيها عنوة وكتبوا الى اميرهم طارق بالفتح وخلّفوا بقصبة البلد رجالا منهم ومضى المعظم الى اميرهم لفتح طليطلة قال ابن حيان وانتهى طارق الى طليطلة دار مملكة القوط فالفاها خاليةً قد فرّ اهلها عنها ولجئوا الى مدينة لها a خلف الجبل فضمّ اليهود الى طليطلة وخلّف بها رجالا من اصحابه ومضى b خلف من فرّ من اهل طليطلة فسلك الى وادى الحجارة ثم استقبل الجبلَ فقطعه من فجٍّ سُمّى به فبلغ مدينة المائدة خلف الجبل وهى المنسوبة لسليمن بن داءود عليهما السلام وهى خضراء من زبرجدة حافاتها منها وارجلها وكان لها ٣٦٥ رجلا فاحرزها عنده ثم مضى الى المدينة التى تحصّنوا بها خلف الجبل فاصاب بها حليًا ومالا ورجع ولم يتجاوزْها الى طليطلة سنة ٩٣ وقيل انه لم يرجع بل افتتح ارض جليقية واخترقها c حتى انتهى الى مدينة أَسْتُرْقة فدوّخ الجهة وانصرف الى طليطلة والله اعلم وقيل ان طارقا دخل الاندلس بغير امر مولاه موسى بن نصير والله تع اعلم قال بعضهم وكانت اقامته فى الفتوح وتدويخ البلاد الى ان وصل سيّدُه موسى بن نصير سنةً وكان ما سيذكر وانشد فى المُسْهِب وابن اليسع فى المُغْرِب لطارق من قصيدة قالها فى الفتح

ركبنا سفينًا بالمجاز مقيّرًا عسى ان يكون الله منّا قد اشترى
نفوسا واموالا واهلا بجنّة اذا ما اشتهينا الشىء فيها تيسّرا
ولَسْنا نُبالى كيف سالتْ نفوسُنا اذا نحن ادركْنا الذى كان اجدرا

قال ابن سعيد وهذه الابيات مما d يُكتب e لمراعاة قائله ومكانته f لا لعلوّ طبقته انتهى،
واما اولاد غيطشة فانهم لما صاروا الى طارق بالامان وكانوا سببَ الفتح حسبما تقدّم قالوا لطارق انت امير نفسك ام فوقك امير فقال بل على راسى امير وفوق ذلك الامير امير عظيمٌ فاستاذنوه باللحاق بموسى بن نصير بافريقية ليؤكّد سببهم به وسألوه الكتاب اليه بشانهم معه وما اعطاهم من عهده ففعل وساروا نحو موسى فتلقّوه فى انحداره الى الاندلس بالعرب g من بلاد البربر وعرّفوه بشانهم ووقف على ما خاطبه به طارق فى ذمّتهم وسابقتهم فانفذهم الى امير المومنين الوليد بالشام بدمشق وكتب اليه بما عرّفه به طارق من جميل اثرهم فلما وصلوا الى الوليد اكرمهم وانفذ لهم عهدَ

a) G. S. L. بها. b) G. S. et L. ajoutent الى. c) La. وخرقها. d) La. انما. e) G. L. La. تكتب. f) S. وكاتبه, G. L. وكاينة. g) La. بالمعرب, P. بالعرب, S. من العرب.

طارق فى ضياع والدهم وعقد لكل واحد منهم سجلًا وجعل لهم ان لا يقوموا للداخل عليهم فقدموا الاندلس وحازوا ضياع والدهم جُمَعَ *a* واقتسموها على موافقة منهم فصار منها الكبيرهم أَلْمُنْد الف ضيعة فى غرب الاندلس سكن من اجلها اشبيلية مقتربًا منها وصار لأَرْطَباش الف ضيعة وهو تِلْوُه فى السنّ وضياعه فى موسطة الاندلس فسكن من اجلها قرطبة وصار لثالثهم رُمُلُه *b* الف ضيعة فى شرقى الاندلس وجهة الثغر فسكن من اجلها مدينة طليطلة فكانوا على هذه الحال صدرَ الدولة العربيّة الى ان هلك المند كبيرهم وخلّف *c* ابنته سارة المعروفة بالقوطيّة وابنين صغيرين فبسط يده ارطباش على ضياعهم وضمّها الى ضياعه وذلك فى خلافة امير المومنين هشام بن عبد الملك فانشأت سارة بنت المند مركبا باشبيلية حصينا كامل العدّة وركبت فيه مع اخوَيْها الصغيرين تريد الشام حتى نزلت بعَسْقَلان من ساحلها ثم قصدت باب الخليفة هشام بداره بدمشق فانهتْ خبرها وتشكّتْ ظلامتها من عمّها * واستعْدت عليه *d* واحتجّت بالعهد المنعقد لابيها واخوَيْه *e* على الخليفة الوليد بن عبد الملك فاوصلها هشام الى نفسه واعجبه صروها *f* وحزمها وكتب الى حنظلة بن صفوان عامله بافريقية بانْصافها من عمّها ارطباش وامضائها واخوَيْها *g* على سنّة الميراث فيما كان فى يد والدهم *h* ممّا قاسم فيه اخوَيْه فانفذ لها الكتاب بذلك الى عامله بالاندلس ابى الخطّار ابن عمّه فتمّ لها ذلك وانكحها الخليفة هشام من عيسى بن مُزاحِم فابتنى بها بالشام ثم قدم بها الى الاندلس وقام لها فى دفاع عمّها ارطباش عن ضياعها فنال بها نعمة عظيمة وولد له منها ولداه ابرهيم واسحق فادركا الشرف المؤثّل والرياسة باشبيلية وشهرا ونسلَهما بالنسبة الى امّهما سارة القوطيّة وكانت ايامَ وفادتها على الخليفة هشام رأت عنده حفيده عبد الرحمن بن معوية الداخل بعدُ الى الاندلس وعرفها فتوسّلت بذلك اليه لما ملك الاندلس ووفدت اليه فاعترف بذمامها واكرمها واذن لها فى الدخول الى قصره متى جاءت الى قرطبة فيجدّد تكرمتها ولا يحاجب عياله منها وتوفّى زوجها عيسى فى السنة التى ملك فيها عبد الرحمن الاندلس فزوّجها عبدُ الرحمن

---

a) Les man. portent اجمع. *b*) Ou رُمُلُّه, comme on lit dans le man. de Paris nº. 706. Les man. d'al-m. portent وُقَلَة. *c*) G. P. S. L. وتخلف. *d*) La. وتعدّيه عليها. *e*) Les man. portent واخوته. *f*) S. ضروها, La. ضروهما, P. حرمها. Ce mot est sans doute altéré. *g*) Les man. portent واخوتها. *h*) Les man. portent واندهما.

من عُمَيْر بن سعيد وكان لها ولابيها المنذر وعمّها ارطباش فى صدر الدولة العربيّة بالاندلس اخبار ملوكيّة فمنها ما حكاه الفقيه محمد بن عمر بن لُبابة المالكى انّه قصد ارطباش يوما الى منزله عشرةٌ من رؤساء رجال الشاميّين فيهم الصُمَيْل وابن الطُفَيْل وابو عبدة[a] وغيرهم فاجلسهم على الكراسى وبالغ فى تكريمهم ودخل على اثرهم ميمونٌ العابد جدُّ بنى حزم وكان فى عداد الشاميّين الا انه كان شديد الانقباض عنهم لزهده وورعه فلما بصر به ارطباش قام اليه دونهم اعْظاما ورقّاه الى كرسيّه الذى كان يجلس عليه وكان مُلْبَسا صفائحَ الذهب وجذبه ليجلسه مكانَه فامتنع عليه ميمون وقعد على الارض فقعد ارطباش معه عليها واقبل عليه قبلهم فقال له يا سيدى ما الذى جاء بك الى مثلى فقال له ما تسمعه انّا قدمنا الى هذا البلد غُزاةً نحسب مُقامنا فيه لا يطول فلم نستعدّ للمقام ولا كثّرنا من العدّة ثم حدثت[b] بعدنا على موالينا وفى اجنادنا ما قد ايسنا معه من الرجوع الى اوطاننا وقد وسّع الله عليك فأُحبّ ان تدفع الىّ ضياعا من ضياعك اعتمرها بيدىّ واؤدّى اليك الحقّ عنها وآخذ الفضل لى طيبا اتعيّش منه فقال لا أَرْضَى لك بالمساهمة بل أَهَبُ لك هبةً مسوّغة ثم دعا بوكيل له فقال له سلّمْ اليه المَحْشَر الذى لنا على وادى شُوش بما لنا فيه من العبيد والدوابّ والبقر وغير ذلك وادفعْ اليه الضيعة التى بجيّان فتسلّم ميمون الضيعتين وورثهما ولده واليهم نُسبت قلعة حزم فشكره ميمون واثنى عليه وقام عنه وقد انف الصميل من قيامه اليه فاقبل على ارطباش وقال له كنتُ اظنّك ارجح وزنًا ادخل عليك وانا سيّد العرب بالاندلس فى اصحابى هؤلاء وهم سادة الموالى فلا تريدنا من الكرامة على الاقعاد على اعوادك هذه ويدخل هذا الصعلوك فتصير من اكرامه الى حيث صرتَ فقال له يا ابا جَوْشَن ان اهل دينك يخبروننا ان ادبهم لم يُرْهِفْك ولو كان لم تنكر علىّ ما فعلتُه انكم اكرمكم الله انما تُكْرَمون لدنياكم وسلطانكم وهذا انما اكرمتُه لله تع فقد روينا عن المسيح عم انه قال مَنْ اكرمه الله من عباده بالطاعة له وجبتْ كرامتُه على خلقه فكانّما أُلْقِمَه حجرا وكان الصميل امّيّا فلذلك عرّض به فقال له القوم دَعْنا من هذا[c] وانظرْ فيما قصدنا له فحاجتُنا حاجة الرجل الذى قصدك فاكرمتَه فانظرْ فى شاننا فقال له انتم ملوك الناس وليس يُرْضيكم الا

a) S. وابو عبيدة. *b*) Les man. portent حدثت. *c*) La. ajoute كله.

الكثير وها انا اهب لكم مائتي ضيعة تقتسمونها عشرا عشرا وكتب لهم بها وامر وكلاءه بتسليمها اليهم فكان للقوم بروتها من اطيب املاكهم انتهى. قال ابن حيّان وغيره ولما بلغ موسى بن نصير ما صنعه طارق بن زياد وما أُتيح له من الفتوح حسده وتهيّأ للمسير الى الاندلس فعسكر واقبل نحوها ومعه جماعة الناس واعلامهم وقيل انهم كانوا ١٨ الفا وقيل اكثر فكان دخوله الى الاندلس فى شهر رمضان سنة ٩٣ وتنكّب الجبلَ الذى حلّه طارق ودخل على الموضع المنسوب اليه المعروف الآن بجبل موسى فلما احتلّ الجزيرة الخضراء قال ما كنتُ لأَسْلُكَ انا a طريقَ طارق ولا اقفو اثره فقال له العلوج الادلّاء اصحاب يليان نحن نسلك بك طريقا هو اشرف من طريقه ونَدُلُّك على مداين هى اعظم خطرًا b واوسع غنما من مداينه لم تفتح بَعْدُ يفتحها الله عليك ان شاء الله تعـ فملئ سرورا وكان شغوف طارق قد غمّه فساروا به فى جانب ساحل شذونة فافتتحها عنوةً والقوا بايديهم اليه ثم سار الى مدينة قَرمونة وليس بالاندلس احصن منها ولا ابعد على من يرومها بحصار او قتال فدخلها بحيلة توجّهت باصحاب يليان دخلوا اليهم كانّهم فلال وطرقهم موسى بخيله ليلا ففتحوا لهم الباب واوقعوا بالاحراس فمُلكت المدينة ومضى موسى الى اشبيلية جارتِها فحاصرها وهى اعظم مداين الاندلس شانا واعجبها بنيانا واكثرها آثارا وكانت دار المُلك c قبل القوطيين فلما غلب القوطيون على ملك الاندلس حوّلوا السلطان الى طليطلة وبقى رؤساء الدين فيها اعنى اشبيلية فامتنعت اشهرًا على موسى ثم فتحها الله عليه فهرب العلوج عنها الى مدينة باجة فضمّ موسى يهودها الى القصبة وخلّف بها رجالا ومضى من اشبيلية الى لَقْنَت d الى مدينة ماردة وكانت ايضا دار مملكة لبعض ملوك الاندلس فى سالف الدهر وهى ذات عزّ ومنعة وفيها آثار وقصور ومصانع وكنائس جليلة القدر فائقة الوصف فحاصرها ايضا وكانت فى اهلها منعة شديدة وباس عظيم فنالوا من المسلمين دفعات وآذوهم وعمل موسى دبّابة دبّ المسلمون تحتها الى برج من ابراج سورها جعلوا ينقبونه فلما قلعوا الصاخر افضوا الى العمل المدعوّ بلسان العجم الاشة ماشة e فنبه

a) Ce mot manque dans G. S. et L. b) G. S. L. P. خطيا ; La. هى اوسع خطرا واعظم خطيا الخ. c) S. المملكة. d) *Fuente de Cantos.* P. لقنت, G. S. L. La. القنت.
e) *Argamasa*, ciment. Pedro de Alcalá (*Vocabulario Español Arabigo*) traduit *argamasa* et *masacote* par *laxamāx*.

عنه معاولهم وعدّتهم وثار بهم العدوّ على غفلة فاستُشهد بايديهم قوم من المسلمين تحت تلك الدبّابة فسُمّي ذلك الموضع برج الشهداء ثم دعا القوم الى السلم فترسّل اليه فى تقريره قوم من اماثلهم اعطاهم ªالامان واحتال فى توهيمهم فى نفسه فدخلوا عليه اوّل يوم فاذا هو ابيض الراس واللحية كما نصل خضابه فلم يتّفق لهم معه امر وعاودوه قبل الفطر بيوم فاذا به قد قنّأ لحيته بالحنّاء فجاءت كضرام عرفج فعجبوا من ذلك وعاودوه يوم الفطر فاذا هو قد سوّد لحيته فازداد تعجّبهم منه وكانوا لا يعرفون الخضاب ولا استعماله فقالوا لقومهم انّا نقاتل انبياء يتخلّقون كيف شاءوا ويتصوّرون فى كلّ صورة احبّوا كان ملكهم شيخا فقد صار شابًّا والراى ان نقاربه ونعطيه ما يسأله فما لنا به طاقة فاذعنوا عند ذلك واكملوا صلحهم مع موسى على ان اموال القَتْلَى يومَ الكمين واموال الهاربين الى جلّيقية واموال الكنائس وحُليّها للمسلمين ثم فتحوا له المدينة يوم ªالفطر سنة ٩٤ فملكها ثم ان عجم اشبيلية انتقضوا على المسلمين واجتمعوا من مدينتَىْ باجة ولَبْلة اليهم فاوقعوا بالمسلمين وقتلوا منهم نحو ٨٠ رجلا واتى فلّهم الامير موسى وهو بماردة فلما ان فتحها وجّه ابنه عبد العزيز بن موسى فى جيش اليهم ففتح اشبيلية وقتل اهلها ونهض الى لبلة ففتحها واستقامت الامور فيماª هنالك وعلا الاسلام واقام عبد العزيز بن موسى باشبيلية وتوجّه الامير موسى من ماردة فى عقب شوّال من العام المؤرّخ يريد طليطلة وبلغ طارقا خبرُه فاستقبله فى وجوه الناس فلقيه فى موضع من كورة طَلَبيرة وقيل ان موسى تقدّم من ماردة فدخل جلّيقية من فجّ نُسب اليه فخرقها حتى وافى طارق بن زياد صاحب مقدّمته بمدينة أَسْتُرْقَة فغضّ منه علانيةً واظهر ما بنفسه عليه من حقد والله اعلم وقيل لما وقعت عينُه عليه نزل اليه اعْظاما له فقنّعه موسى بالسوط ووبّخه على استبداده عليه ومخالفته لرايه وساروا الى طليطلة فطالبه موسى باداء ما عنده من مال الفىء وذخائر الملوك واستعجله بالمائدة فاتاه بها وقد خلع من ارجلها رجلا وخبأه عنده فسأله موسى عنه فقال لا علم لى به وكذا اصبتُها فامر موسى فجُعل لها رجلٌ من ذهب جاء بعيدَ الشبه من ارجلها فظهر عليه التعمّل ولم يقدر على احسن منه فاخلّ بها، وقال ابن الفَرَضى موسى بن نصير صاحب فتح الاندلس لخميّ يكنى ابا عبد الرحمن يروى عن

a) La. اى. b) Les man. portent فيها. c) S. La. رجلا.

تميم الدارىّ وروى عنه يزيد بن مسروق اليَحْصَبى، وقيل غزا موسى بن نصير فى المحرّم سنة ٩٣ فاتى طنجة ثم عبر الى الاندلس فافتتحها لا يأتى على مدينة الا فتحها ونزل اهلها على حكمه ثم سار الى قرطبة ثم قفل عن الاندلس سنة ٩٤ فاتى افريقية وسار عنها سنة ٩٥ الى الشام يؤمّ الوليد بن عبد الملك يجرّ الدنيا بما احتمله من غنائم الاندلس من الاموال والامتعة يحملها على العَجَل والظهر ومعه ٣٠ الف راس من السبى فلم يلبث ان هلك الوليد وولى سليمن فنكب موسى نكبا ادّاه الى المَتْرَبة فهلك فى نكبته تلك بوادى القُرَى سنة ٩٧، قال ابن حيان وهذه المائدة المنوّه باسمها المنسوبة الى سليمن النبىّ عمّ لم تكن له فيما يزعم رُواة العجم وانما اصلها ان العجم فى ايام ملكهم كان اهل الحسبة منهم اذا مات احدهم اوصى بمال للكنائس فاذا اجتمع عندهم ذلك المال صاغوا منه الآلات الضخمة من الموائد والكراسى واشباهها من الذهب والفضّة تحمل الشمامسةُ والقسوس فوقها مصاحف الاناجيل اذا أُبرزت فى ايام المناسك ويصفّونها على المذابح فى الاعياد للمباهاة بزينتها فكانت تلك المائدة بطليطلة مما صيغ فى هذه السبيل وتأنّقت الاملاك فى تفخيمها بزيد الآخر منهم فيها على الاول حتى برزت على جميع ما اتُّخذ من تلك الآلات وطار الذكر مطارَه عنها وكانت مصوغة من خالص الذهب مرصّعة بفاخر الدرّ والياقوت والزمرّد لم ترَ الاعين مثلها وبولغ فى تفخيمها من اجل دار المملكة وانه لا ينبغى ان تكون بموضع آلةُ جمالٍ او متاعُ مباهاة الا دون ما يكون فيها وكانت توضع على مذبح كنيسة طليطلة فاصابها المسلمون هنالك وطار النبأُ الفخم عنها وقد كان طارق ظنّ بموسى اميره مثل الذى فعله من غيرته على ما تهيّأ له ومطالبته له بتسليم ما فى يده اليه فاستظهر بانتزاع رجل من ارجل هذه المائدة خبّأه عنده فكان من فلجه به على موسى عدوّه عند الخليفة اذ تنازعا عنده بعد الاثر فى جهادهما ما هو مشهور، وقال بعض المؤرّخين ان المائدة كانت مصنوعة من الذهب والفضّة وكان عليها طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق زمرّد وكلها مكلّلة بالجواهر انتهى، ومما ذكره ابن حيان من ان الذى نكب موسى بن نصير هو سليمن بن عبد الملك صواب واما ما حكاه ابن خلّكان من ان المنكّب له الوليد فليس بصحيح والله اعلم، رجع الى كلام ابن حيان قالوا ثم ان موسى اصطلح مع طارق واظهر الرضى عنه واقرّه على مقدّمته على رسمه وامره بالتقدّم امامه فى اصحابه وسار موسى خلفه فى جيوشه فارتقى الى الثغر الاعلى

وافتتح سرقسطة واعمالها واوغل فى البلاد وطارق امامه لا يمرّان بموضع الا وفُتح عليهما وغنّمهما الله ما فيه وقد القى الله الرعب فى قلوب الكَفَرة فلم يعارضْهما احد الا بطلب الصلح a وموسى يجىء على اثر طارق فى ذلك كله ويكمل ابتداءه ويوثق للناس ما عاهدوه عليه فلما صفا القطر كله واطمأنّت b نفوس من اقام على سلمه ووطّأ لاقدام المسلمين فى الحلول به اقام لتمييز ذلك وقتا وامضى المسلمين الى افرنجة ففتحوا وغنموا وسلموا وعلوا واوغلوا حتى انتهوا الى وادى رودنه c فكان اقصى اثر العرب ومنتهى موطئهم من ارض العاجم وقد دوّخت بعوث طارق وسراياه بلد افرنجة فملكت مدينتى برشلونة واربونة وصخرة أَبِنْيُون d وحصن لوذون على وادى رودنه e فبعدوا عن الساحل الذى منه دخلوا جدًّا وذُكر ان مسافة ما بين قرطبة واربونة من بلاد افرنجة ٣٠٠ فرسخ وخمسة وثلثون فرسخا وقيل ٣٠٠ فرسخ وخمسون فرسخا ولما اوغل المسلمون الى اربونة ارتاع لهم قارلُه ملك الافرنجة بالارض الكبيرة وانزعج لانبساطهم فحشد لهم وخرج عليهم فى جمع عظيم فلما انتهى الى حصن لوذون وعلمت العرب بكثرة جموعه زالت عن وجهه واقبل حتى انتهى الى صخرة ابنيون f فلم يجدْ بها احدا وقد عسكر المسلمون قدّامه فيما بين الاجبل المجاورة لمدينة اربونة وهم بحال غرّة لا عيون لهم ولا طلائع فما شعروا حتى احاط بهم عدوّ الله قارلُه فاقتطعهم عن اللجا الى مدينة اربونة وواضعهم الحرب فقاتلوا قتالا شديدا استُشهد فيه جماعة منهم وحمل جمهورهم على صفوفه حتى اخترقوها ودخلوا المدينة ولاذوا بحصانتها فنازلهم بها اياما اصيب له فيها رجال وتعذّر عليه المُقام وخامره ذعرٌ وخوفٌ مدد للمسلمين فزال عنهم راحلا الى بلده وقد نصب فى وجوه المسلمين حصونا على وادى رودنه شكّها بالرجال فصيّرها ثغرا بين بلده والمسلمين وذلك بالارض الكبيرة خلف الاندلس؛ وقال الحجارى فى المسهب ان موسى بن نصير نصره الله نصرا ما عليه مزيد واجفلت ملوك النصارى بين يديه حتى خرج على باب الاندلس الذى فى الجبل الحاجز بينها وبين الارض الكبيرة فاجتمعت الافرنج الى ملكها الاعظم قارلُه وهذه سمةٌ لملوكهم g فقالت له ما هذا

a) G. S. L. صلح. b) Telle est la leçon du man. P.; les autres portent وطامن. c) G. P. L. مرذونة, S. رزونة, La. رونة. d) G. L. انيبيون, S. انيبون, P. انيون, La. اينيونه. e) Les man. portent ردونة. f) G. L. اننبون, S. اينيونه, P. انيون, La. ابنون. g) G. L. La. لملكهم.

النخرى الباقى فى الاعقاب [illegible] تسمع بالعرب وتخافهم من جهة مطلع الشمس حتى اتوا من مغربها واستولوا على بلاد الاندلس *وعظيم ماء[a] فيها من العدّة والعدد بجمعهم القليـل وقلّة عدّتهم وبكونهم لا دروع لهم فـقـال لهم مـا معنـاه الرأْىُ عنـدى ان لا تعترضوهم في خرجتهم هذه فانهم كالسيل يحمل من يصـادره وهم فى اقْبـال امرهم ولهم نيّات تُغْنِى عن كثرة العدد وقلوب تغنى عن حصانة الدروع ولكن أَمْهِلوهم حتى تمتلئَ ايديهم من الغنـائم ويتّخذوا المساكن ويتنافَسوا فى الرياسة ويستعين بعضهم *على بعض[b] فحينئذ تتمكّنون[c] منهم بايسر امر قال فكان واللهِ كذلك بالفتنة التى ثارت بين الشاميّين والبلديّين والبربر والعرب والمضريّة واليمـانية وصار بعض المسلمين يستعين على بعض بمن يجاورهم من الاعداء انتهى، وقيل ان موسى بن نصير اخرج ابنه عبد الاعلى الى تدمير ففتحها والى غرناطة ومالقة وكورة ريّة ففتح اكثرها وقيل انه لما حاصر مالقة وكان ملكها ضعيف الراى قليل التحفّظ كان يخرج الى جنّة له بجانب المدينة طلبـا للراحة من غُمّة الحصار من غير نصب عين وتقديم طليعة وعرف عبد الاعلى بامره فاكمن له فى جنبـات الجنّة التى كان ينتابها قوما من وجوه فرسانه ذوى راى وحزم ارصدوا له ليلا فظفروا به وملكوه فاخذ المسلمون المدينة عنوةً وملأوا ايديهم غنيمةً وقيل كانت نفسُ موسى بن نصير فى ذلك كله تنزع الى دخول دار الكفر جليقية فبينما هو يعمل فى ذلك ويعدّ له اذ اتاه مُغِيث الرومى رسول الوليد بن عبد الملك ومولاه يـامره بالخروج عن الاندلس والاضْراب عن الوغول فيهـا وباخذه[d] بالقفول اليه فساءه ذلك وقطع به عن ارادته اذ لم يكن فى الاندلس بلد لم تدخلْه العرب الى وقته ذلك غير جليقية فكان شديد الحرص على افتحامها فلاطَفَ موسى مغيثا رسول الخليفة وسأله انْظاره الى ان ينفذ عزمه فى الدخول اليها والمسير معه فى البلاد اياما ويكون شريكه فى الاجر والغنيمة ففعل ومشى معه حتى بلغ المفازة فافتتح حصن بازو[e] وحصن لُك فـاقلم هنالك وبثّ السرايـا حتى بلغوا صخرة بلاى على البحر الاخضر فلم تبقَ كنيسة الا هُدمت ولا ناقوس الا كُسر ونـاعت الاعـاجم فلاذوا بالسلم وبذل[f] الجزية وسكنت العربُ المفاوز وكان العرب والبربر كلّما مرّ قوم منهم بموضع استحسنوه حطّوا به ونزلوه فاطنين فـاتّسع نطـاقُ الاسلام بـارض

a) La. (*sic*) واعظم من. b) Les man. portent ببعض. c) P. فتتمكن. d) G. P. L. La. وباخذ. e) *Visen*, au sud-est d'Oporto. G. L. S. P. بارو. f) La. وبذلوا.

الاندلس وخذل الشرك وبينما موسى كذلك فى اشتداد الظهور وقوّة الامل اذ قدم عليه رسول آخر من الخليفة يكنى ابا نصر اردف به الوليد مغيثا لما استبطأ موسى فى القفول وكتب اليه يوبّخه ويامره بالخروج والزم رسوله ازعاجه فانقلع[a] حينئذ من مدينة لك بجليقية وخرج على الفجّ المعروف بفجّ موسى[b] ووافاه طارق فى الطريق منصرفا من الثغر الاعلى فاقفله مع نفسه ومضيا جميعا ومعهما من الناس من اختار القفول واقام من آثر السكنى فى مواضعهم التى كانوا قد اختطّوها واستوطنوها وقفل معهم الرسولان مغيث وابو نصر حتى احتلّوا باشبيلية فاستخلف موسى ابنه عبد العزيز على امارة الاندلس واقرّه بمدينة اشبيلية لاتّصالها بالبحر نظرًا لقربه من مكان المجاز وركب موسى البحر الى المشرق بذى حجّة سنة ٩٥ وطارق معه وكان مُقام طارق بالاندلس قبل دخول موسى سنةً وبعد دخوله سنتين واربعة اشهر وحمل موسى الغنائم والسبى وهو ٣٠ الف راس والمائدة منوّها بها ومعها من الذخائر والجواهر ونفيس الامتعة ما لا يقدر قدره وهو مع ذلك متلهّف على الجهاد الذى فاته أسيفٌ[c] على ما لحقه من الازعاج وكان يؤمّل ان يخترق ما بقى عليه من بلد[d] افرنجة ويقتحم الارض الكبيرة حتى يتّصل بالناس الى الشام مؤمّلا ان يُتّخذ مخترقه بتلك الارض طريقا مَهْيَعا يسلكه اهل الاندلس فى مسيرهم ومجيئهم من المشرق واليه على البرّ لا يركبون بحرا وقيل انه اوغل فى ارض الفرنجة حتى انتهى الى مفازة كبيرة وارض سهلة ذات آثار فاصاب فيها صنما عظيما قائما كالسارية مكتوبا فيه بالنقر كتابة عربيّة قُرِئت فاذا هى يا بنى اسمعيل انتهيتم فارجعوا فهاله ذلك وقال ما كُتب هذا[e] الا لمعنى كبير فشاوَر اصحابه فى الاعراض عنه وجوازه الى ما وراءه فاختلفوا عليه فاخذ براى جمهورهم وانصرف بالناس وقد اشرفوا على قطع البلاد وتقصّى الغاية، وحكى[f] الرازى ان موسى خرج من افريقية الى الاندلس فى رجب سنة ٩٣ واستخلف على افريقية اسنّ ولده عبد الله بن موسى وكان موسى فى ١٠ آلاف قال وكان عبد الملك بن مروان هو الذى اغزى موسى المغربَ فى خلافته ففُتح له فى اهله البرابرة فتوح كبار حتى لقد بعث الى عبد الملك فى الخُمس بعشرين الف سبيّة ثم اردفها بعشرين الفا اخرى كلّ ذلك من البربر فعجب[g] عبد الملك يومئذ من كثرة ذلك،

a) G. L. فانخلع, La. فانقطع. b) Ce mot manque dans G. S. et L. c) La. اسف.
d) La. بلاد. e) G. ذلك. f) S. وقال. g) S. فتعجب.

وزعم ابن حبيب انه دخل الاندلس رجل واحد من اصاغر الصحابة وهو المُنَيْذِر قال
ودخلها من التابعين ٣ موسى الامير وعلى بن رباح اللخمىّ وحَيْوة بن رجاء التميمى a
وقيل ان ثالثهم انما هو حَنَش بن عبد الله الصنعانى صَنْعاء الشام وانهم قفلوا عنها
بقفول موسى واهل سرقسطة يزعمون ان حنشا مات عندهم ولم يقفل للمشرق وقبره
لديهم مشهور يتبرّكون به ولا يختلفون فيه والله اعلم وقيل ان التابعين ٤ بابى
عبد الرحمن الحُبُلى b الانصارى واسمه عبد الله بن يزيد والله اعلم وخصّهم بعضهم
بحيّان بن ابى جبلة مولى بنى عبد الدار وكان فى ديوان مصر فبعث به عمر بن
عبد العزيز الى افريقية فى جماعة من الفقهاء ليفقّهوا اهلها وكان روى عن عمرو بن
العاصى وابن عباس وابنْ عمر وحدّث عنه عبد الرحمن بن زياد بن انعم وغيره وغزا
مع موسى حين افتتح الاندلس وانتهى معه الى حصن من حصون العدوّ يقال له
قَرْقَشونة وقيل بل قفل الى افريقية فتوفّى بها بعد العشرين ومائة، وقال بعضهم ان
بين قرقشونة هذه وبين برشلونة مسافة ٢٥ يوما وفيها الكنيسة المعظّمة عند العرنج
المسمّاة شنت مريّة، وحكى c ابن حيان ان فيها ٧ سوارى من فضّة خالصة لم يَرَ
الراؤون مثلها لا يحيط الانسان بذراعَيْه على واحدة منها مع طول مفرط، وحَنَس
الصنعانى المذكور تابعىّ جليل كان مع على رضه بالكوفة وقدم مصر بعد قتله فعدّ
عداده فى المصريّين وكان فيمن قام مع ابن الزبير على عبد الملك بن مروان فعفا
عنه وكفى الاندلسَ شرفًا دخولُه لها، وعلى بن رباح بصرىّ تابعىّ يكنى ابا عبد الله
وهو لخمىّ وُلد عامَ اليَرْمُوك سنة ١٥ قال ابن معين اهل مصر يقولونه بفتح العين
واهل العراق يقولونه بضمّها وروى الليث عن ابنه موسى بن على وكانت لعلى بن
* رباح عند d عبد العزيز بن مروان مكانةٌ وهو الذى زفّ ابنته امّ البنين لزوجها الوليد
ثم عتب e عليه عبد العزيز فاغزاه افريقية، واما المُنَيْذِر الصحابى فلم ينسبه ابن حبيب
وذكره ابن عبد البرّ فى الصحابة وقال انه المنيذر الافريقى وروى عنه ابو عبد الرحمن
الحُبُلى f قال حدّثنى المنيذر الافريقى وكان سكن افريقية وكان صاحب رسولِ الله
صلّعم انه سمعه صلّعم يقول مَنْ قال رضيتُ بالله ربًّا وبالاسلام دينا وبمحمّد نبيًّا قد

a) La. التيمى. b) L. P. الحبلى, La. الجبلى. c) S. وقال, La. وقد حكى. d) Ces mots manquent dans G. S. L. et P. e) G. L. عبث. f) G. L. P. الحبلى, La. الحبلى, S. الحلى (sic).

الزعيم له فلأخذنّ بيده فلأدخلنّه الجنّة ورواه عنه ابن عبد البرّ بسنده اليه وسياتى ان شاء الله تع فى حقّ المنيذر مزيده a. ولمّا قفل موسى بن نصير الى المشرق واصحابه سأل مغيثا ان يسلّم اليه العلج صاحبَ قرطبة الذى كان فى اساره فامتنع عليه وقال لا يؤدّيه للخليفة سواى وكان يدلّ بولائه من الوليد وهجم عليه موسى فانتزعه منه فقيل له ان سرتَ به حيًّا معك ادّعاه مغيث والعلج لا ينكر قوله ولكن اضربْ عنقه ففعل فاضطغنها عليه مغيث وصار ألبًّا مع طارق الساعى عليه واستخلف موسى على طنجة وما يليها من المغرب ابنه الآخر عبد الملك وقد كان كما مرّ استخلف بافريقية اكبر اولاده عبد الله فصار جميع المغرب والاندلس بيد اولاده وابنه عبد الله الذى خلّفه بافريقية هو الفاتح لجزيرة ميورقة وسار موسى فورد الشام واختلف الناس هل كان وروده قبل موت الوليد او بعده فمن يقول بالثانى قال قدم على سليمن حين استُخلف وكان منحرفا عنه فسبق اليه طارق ومغيث بالشكيّة منه ورمياه بالخيانة b واخبراه بما صَنع بهما من خبر المائدة والعلج صاحبِ قرطبة وقالا له انه قد غلّ جوهرا عظيم القدر اصابه لم تَحْوِ الملوكُ من بعد فتح فارس مثله فلما وافى سليمنَ وجده ضغِينا عليه فاغلظ له واستقبله بالتانيب والتوبيخ فاعتذر ببعض العذر وسأله عن المائدة فاحضرها فقال له زعم طارق انه الذى اصابها دونك قال لا وما رآها قط الا عندى فقال طارق فليسألْه امير المومنين عن الرجل التى تنقصها فسأله فقال هكذا اصبتُها وعوّضتُها رجلا صُغْتُها c لها فحوّل طارق يده الى قبائه فاخرجَ الرجل فعلم سليمن صدقه وكذب موسى فحقّق جميع ما رُمِىَ به عنده وعزله عن جميع اعماله واقصاه وحبسه وامر بتقصّى حسابه فاغرمه غرما عظيما كشفه فيه حتى اضطرّه الى ان سأل العرب معونته فيقال ان لَخْمًا حملتْ عنه فى أَعْطِيَتها ٩٠ الفا ذهبا وقيل حمّله سليمن غرم مائتى الف فادّى مائة الف وعجز فاستجار بيزيد بن المهلّب اثير سليمن فاستوهبه من سليمن فوهبه اياه الا انه عزل ابنه عبد الله عن افريقية. وقال الرازى ان الذى ازعج موسى عن الاندلس ابو نصر رسول الوليد فقبض على عنانه وثناه قافلا وقفل معه من احبّ المشرق وكان اكثر الناس قطنوا ببلاد الاندلس لطيبها فاقاموا فيها وذهب جماعة من اهل التاريخ الى ان موسى انما قدم على الوليد

a) La. ajoute بيان. b) G. S. L. بالجناية. c) S. صنعتها.

وان سليمن ولىّ العهد لمه سليمان القريب موسى بن نصير من دمشق وكان الوليد مريضا كتب اى سليمن الى موسى يامره بالتربّص رجاء ان يموت الوليد قبل قدوم موسى فيقدم موسى على سليمن فى اول خلافته بتلك الغنائم الكثيرة التى ما رُئى ولا سمع مثلها فيعظم بذلك مقامُ سليمن عند الناس فأَبى موسى من ذلك ومنعه دينُه منه واغذّ السيرَ حتى قدم والوليد حىٌّ فسلّم له الاخماس والمغانم والتُحَف والذخائر فلم يمكث الوليد الا يسيرا بعد قدوم موسى وتوفّى واستُخلف سليمن فحقد عليه واهانه وامر باقامته فى الشمس حتى كاد يهلك واغرمه اموالا عظيمة ودسّ الى اهل الاندلس بقتل ابنه الذى استخلفه على الاندلس وهو عبد العزيز بن موسى وكان تولّى الاندلس بعد قفول ابيه عنها باستخلافه اياه كما سبق فضبط سلطانها وضمّ نشرها وسدّ ثغورها وافتتح فى ولايته مداين كثيرة ممّا كان[a] بقى على ابيه موسى منها وكان من خير الوُلاة الا ان مدّته لم تَطُلْ لوثوب الجند به وقتلهم اياه عقبَ سنة ٩٧ فى خلافة سليمن الْمُوقِع بابيه موسى لاشياء نقموها عليه منها زعموا تزوّجه لزوجة لذريق المكنّاة امّ عاصم وكانت قد صالحت عن[b] نفسها واموالها وقتَ الفتح وباءت بالجزية واقامت على دينها فى ظلّ نعمتها الى ان نكحها الامير عبد العزيز فحظيت عنده ويقال انه سكن بها فى كنيسة باشبيلية وانها قالت له لِمَ لا يسجد لك اهل مملكتك كما كان يسجد للذريق زوجها الاول اهل مملكته فقال ان[c] هذا حرام فى ديننا فلم تقنع منه بذلك وفهم لكثرة شغفه بها ان عدم ذلك ممّا يزرى بقدره عندها فاتّخذ بابا صغيرا قبالةَ مجلسه يدخل عليه الناس منه فينحنون وافهمها ان ذلك الفعل منهم تحيّة له فرضيت بذلك فنمى الخبرُ الى الجند مع ما انضمّ الى ذلك من دسيسة سليمن لهم فى قتله فقتلوه سامحه الله تع، وذكر بعض المؤرّخين انهم وجدوا فى الحجر بعد ما تقدّم من الكتابة التى هى ارْجعوا يا بنى اسمعيل الخ ما معناه وان سألتم[d] لِمَ ترجعون فاعلموا انكم ترجعون ليضرب بعضُكم رقاب بعض انتهى، قال ابن حيان وليحيى بن حكم الشاعر المعروف بالغزّال فى فتح الاندلس ارجوزة حسنة مطوّلة * فنظم فيها ذكر[e] السبب فى غزوها [f] وتفصيل الوقائع بين المسلمين واهلها وعداد الامراء عليها واسماءهم فاجاد وتقصّى وهى بايدى الناس موجودة انتهى،

---

a) La. ajoute بعد.   b) La. على.   c) La. porte انها au lieu de ان.   d) La. شككتم.
e) La. ذكر سبب.   f) La. ajoute نثم.

وقد عرفتَ بما سبق تفصيلَ ما اجمله ابن خلدون والرواياتُ فى فتح الاندلس مختلفة وقد ذكرنا نحن بحسب ما اقتضاه الوقت ما فيه كفاية وأَشَرْنا الى بعض الاختلاف فى ذلك ولو بسطنا العبارة فى الفتح لكانَ وحدَه فى مجلّد او اكثر وعُلم ممّا أَلْمَعْنا به من كلام ابن خلدون السابق ذكرُ الوُلاة للاندلس من لدن الفتح وهم من قِبَل بنى مروان بالمشرق المنفردين بامامة المسلمين اجمعين قبل تفرّقهم الى ان انقرضت a دولتهم العظيمة التى هى الف شهر فاقتطع الاندلسَ عن بنى العباس الدائلين على بنى مروان الناسخينَ لهم فَلُّ المروانيّين عبد الرحمن بن معٰوية بن هشام بنْ عُبد الملك بن مروان واقتعدها دارَ مملكة مستقلّة لنفسه ولاعقابه وجمع بها شمل بنى اميّة ومواليهم واورثها بنيه حقبةً من الدهر بعد ان قاسَى فى ذلك خطوبا واجتمع عليه ثم على ذريّته من بعده اهلُ الاندلس اجمعون رضًا بهم دون بنى العباس بعد ان حاوَلَ بنو العباس ملكها بان ولّوا بعض روّساء العرب وامروهم بالقيام على عبد الرحمن والدعاء للعباسيّين القاطعين جرثومة دولة بنى مروان فلم يتيسّر ذلك وظفر عبد الرحمن بمن نصب له الحرب فى ذلك وقتل منهم آلافا وذلك فى مدّة المنصور كما سياتى ان شاء الله تعَ عند ذكر عبد الرحمن الداخل فى موضع آخر وسنذكر قريبا وُلاة الاندلس من حين الفتح الى امارة الداخل وان سبق فى كلام ابن خلدون،

وقال بعضهم كان ولادة موسى بن نصير فى خلافة عمر بن الخطاب رضه سنة ١٩ من الهجرة النبويّة على صاحبها افضل الصلاة واجلّ السلام وعلى آله وصحبه اجمعين انتهى، وقال الحجارى فى المسهب يحكى أن موسى بن نصير القى بنفسه على يزيد ابن المهلّب بمكانه من امير المومنين سليمن بن عبد الملك وطلب منه ان يكلّمه فى أن يخفّف عنه فقال له يزيد اريد ان اسألك b فأَصْغِ الىّ فال سَلْ عمّا بدا لك فقال له لم ازل اسمع عنك انك من اعقل الناس واعرفهم بمكايد الحروب ومداراة الدنيا فقُلْ لى كيف حصلتَ فى يد هذا الرجل بعد ما ملكتَ الاندلس والقيتَ بينك وبين هؤلاء القوم البحر الزخّار وتيقّنتَ بُعْدَ المرام واستصعابه واستخلصتَ بلادا انت افترعتها واستملكتَ رجالا لا يعرفون غير خيرك وشرّك وحصل فى يدك من الذخائر والاموال والمعاقل والرجال ما لو اظهرتَ به الامتناع به ما القيتَ عنقك فى يد من لا يرحمك

a) La. انقضت. b) La. اكلمك.

ثم انك علمت ان سليمن وليّ العهد وانه المولىa بعد اخيه وقد اشرف اخوه على الهلاك لا محالة وبعدو تنكبتهb الخلافة والقيت بيدك الى التهلكة واحللتَ مالكك ومملوكك قال يعني سليمن وطارقا وما رضى هذا الرجل عنك الا بعيد ولكن لا آلو جهدًا فقال موسى يا ابن الكرام ليس هذا وقت تعديد أمّا سمعتَ اذا جاء الحين غُطّى العين. فقال ما قصدتُ بما قلتُ لك تعديدا ولا تبكيتا وانما قصدتُ تلقيح العقل وتنبيه الراى وانc ارى ما عندك فقال موسى اما رايتَd الهدهد يرى الماء تحت الارض عن بُعْد ويقع فى الفخ وهو بمرأى عينه ثم كلّم فيه سليمنَ فكان من جوابه انه قد اشتمل راسهe بما تمكّن له من الظهور وانقياد الجمهور والتحكّم فى الاموال والأبْشار على ما لا يمحوه الا السيف ولكن قد وهبتُ لك دمه وانا بعد ذلك غير رافع عنه العذاب حتى يردّ ما غلّ من مال الله قال وآلت حاله الى ان كان يتلاف به ليسأل من احياء العرب ما يفتكّ به نفسه وفى تلك الحال مات وهو من افقر الناس واذلّهم بوادى القرى سائلا من كان نازلا به وقال احد غلمانه ممّن وفى له فى حال الفقر والخمول لقد *رايتُنا نطوفf مع الامير موسى بن نصير على احياء العرب فواحد يحبينا g وآخر يحتجب عنّا ولربّما دفع الينا على جهة الرحمة الدرهم والدرهمين فيفرح بذلك الامير ليدفعهh الى الموكّلين به فيخفّفونi عنه من العذاب ولقد رايتُنا ايامَ الفتوح العظام بالاندلس ناخذ السلوك من قصور النصارى فنفصل منها ما يكون فيها من الذهب والفضّة وغير ذلك ونرمى به ولا ناخذ الا الدرّ الفاخر فسبحان الذى بيده العزّ والذلّ والغنى والفقر قال وكان له مولى قد وفى له وصبر عليه الى ان ضاقk ذرعُه بامتداد الحال فعزم على ان يُسْلِمه وهو بوادى القرى فى اسوء حال وشعر بذلك موسى فتخضع للمولى المذكور وقال له يا فلان أتسلمنى فى هذه الحالة فقال المولى من شدّة ما كان فيه من الضجر قد اسلمك خالقُكj ومالكك الذى هو ارحم الراحمين فدمعت عيناه وجعل يرفعهما الى السماء خاضعا مُبَيْنما بشفتَيْه فما سفرت تلك الليلة الا عن قبض روحه رحمة الله عليه فقد كان له من الاثر ما يوجب ان يُترحّم عليه وان فعَل سليمن به وبولده وكونه ذبح راس ابنه عبد العزيز الذى تركه

a) G. S. الموالى. b) G. S. L. P. تنكبنا. c) G. L. وانا. d) La. ترى. e) La. رايه. f) S. رايت ان انتوف. g) S. تحجبنا, La. يحجبنا. h) G. L. ليدفع. i) G. L. P. فيتخفون. j) La. ajoute وارزقك. k) La. وصار.

نائبا عنه بالاندلس وقد جيء به من اقصى المغرب بين يديه من وصفائه التى تُعَدّ عليه طولَ الدهر لا جَرَمَ ان الله لم يمتّعْه بعده بملكه وشبابه، *وذكر ابن حيان[a] ان موسى كان عربيّا فصيحا وقد سبق من مراجعته يزيد بن المهلّب ما يدلّ على بلاغته ويكفى منها ما ذكره ابن حيان انه كتب الى الوليد بن عبد الملك فيما هاله من فتوح الاندلس وغنائمها انها ليست الفتوح ولكنّها الحشر، وقال الحجارى ان منازعة جرتْ بينه وبين عبد الله بن يزيد بن أُسيد بمحضر عبد الملك بن مروان الجأتْه الى ان قال شعرا منه

جاربتَ[b] غيرَ سَئُومٍ[c] فى مطاولةٍ   لو نازع الحفلَ[d] لم يُنْزَعْ الى حَصَرِ

وتقدّم ما ذكره غير واحد كابن حيان ان موسى مولى عبد العزيز بن مروان وكذا[e] ذكر الحجارى انه تجهّز مع امّ البنين بنت عبد العزيز حين ابتنى بها الوليد بن عبد الملك فكانت تنمى[f] مكانته عند الوليد الى ان بلغ ما بلغ واشهرُ من كان فى صحبة موسى بن نصير من مواليه طارق المشهور بالفتوح العظيمة وطريف وقد جرى ذكرهما فى كتابنا هذا بما اقتضاه الاختصار، وقال ابن سعيد بعد ذكره الخلاف فى موسى هل هو لخميّ صريح او بالولاء او بربريّ او مولى لعبد العزيز بن مروان ما صورتُه وكان فى عقبه نباهة فى السلطنة ولى ابنُه عبد العزيز سلطنة الاندلس وعبد الملك سلطنة المغرب الاقصى وعبدِ الله سلطنة افريقية، *وذكر الحجارى[g] ان اصله من وادى القرى بالحجاز وانه خدم بنى مروان بدمشق وتنبّه شانه فصرفوه فى ممالكهم الى ان وُلّى افريقية وما وراءها من المغرب فى زمن الوليد بن عبد الملك فدوّخ اقاصى المغرب ودخل الاندلس من جبل موسى المنسوب اليه المجاور لسبتة ودوّخ بلاد الاندلس ثم اوفده الوليد الى الشام فوافق مرضَه ثم موته وخلافة اخيه سليمن فعذّبه واستصفى امواله وآل امرُه الى ان وجّهه الى قومه بوادى القرى لعلّهم يعطفون عليه ويؤدّون عنه فمات بها، وقد نصّ ابن بشكوال على انه مات بوادى القرى، امّا معارفه السلطانيّة فيكفيه[h] ولايةُ ما خلف مصر الى البحر المحيط بين

a) Il y a ici dans G. S. et P. une lacune que j'ai suppléée d'après La.; L. porte seulement وقال. b) S. جارنت, La. جارته. c) G. P. L. شئوم, La. رسوم. d) G. P. L. الحفل, S. الجعل. e) G. L. ولذا. f) S. تمنى, G. L. تتمنى. g) J'ai suppléé ces mots d'après La. Dans G. S. et P. ils sont restés en blanc; L. porte seulement وقال. h) S. فكفته.

برّى البربر والاندلس واما [illegible] فقد جاءت عنه بلاغة فى النثر والنظم تُدْخِله مع نزارتها فى اصحاب درّ الكلام^a وذكر ابن بشكوال انه من التابعين الذين رووا الحديث وان روايته عن تميم الدارى وذكرُه فى كتب الائمّة من المصنّفين أئمّةً واوجب^b من ان يختصّ بذكره واحد منهم وهو غرّة التواريخ الاندلسيّة وذكره الى الآن جديد فى السُن الخاصّة والعامّة من اهلها، ومن مسهب الحجارى كان قد جمع رحمه من خلال الخير ما اعانه به الله سبحانه على ما بنى له من المجد المشيّد، والذكر الشهير المخلّد، الذى لا يُبْليه الليل والنهار، ولا يعفّى جديده بلَى الاعصار، الا انه كان يغلب عليه ما لا يكاد رئيس يَسْلَم منه وهو الحقد والحسد والمنافسة لا يخلو من ذلك وانشد بعض الرؤساء وليس رئيس القوم مَنْ يحمل الحقدا فقلبه^c الى بئس^d وقال مَنْ يترك الحقدا ثم قال ان السيّد اذا ترك اضمار الخير والشرّ والمجازاة عليهما اجتُرِئَ عليه ونُسب للضعف والغفلة وهل رايتَ صفقة اخسر من غفلة رئيس احقده غيرُه فنسى ذلك او تناساه وعدوّه لا يغفل عنه وحاسده لا ينفعه عنده الا الراحة منه وهو فى وادٍ اخره عنه ولله درّ القائل

ووضع الندى فى موضع السيف بالعُلى^d مُضِرٌّ كوضع السيف فى موضع الندى

ولكن الأَصْوَب ان يكون الراى ميزانا لا يزن الوافى لناقص ولا يزن الناقص لوافٍ ويدبّر امره على ما يقتضيه الزمان ويقدّر فيه حسن العاقبة، ونصّ ابن بشكوال على ان موسى بن نصير مات بوادى القرى سنة ٩٧ واغزى الاندلس سنة ٩١ ودخلها سنة ٩٣ وقفل عنها الى الوليد ابن عبد الملك بالغنائم سنة ٩٤ وذكر ان ولايته على الاندلس بالمباشرة مذ دخلها الى حين خروجه منها سنة واحدة ومكث فيها مولاه طارق سنة * انتهى وقد تقدّم شىء من ذلك^e، وذكر ابن بشكوال ايضا ان ابن حبيب قال عن ربيعة غلّ الناس كلّهم يوم فتح الاندلس الا اربعة نفر^f فقط كانوا من التابعين حَنَش الصنعانى وابو عبد الرحمن الحُبُلى^g وابن شماسة وعياض بن عقبة انتهى، قال ابن سعيد وممّن دخل الاندلس من غير هؤلاء الاربعة من التابعين على بن رباح اللخمى وموسى بن نصير فاتح الاندلس وحيان بن ابى جبلة القرشى مولاهم وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقى صاحب

a) واعظم . b) G. La. الرئيس. c) Ce mot me paraît altéré. d) L. بالعدى , La. العدى. e) Ces mots manquent dans G. et L. f) La. انفس. g) G. L. P. الحبلى , La. الجيلى ☆

الاندلس المذكور فى سلاطينها ومحمد بن اوس بن ثابت الانصارى وزيد بن قاصد[a] السَّكْسَكى والمُغيرة بن ابى بُرْدة الكنانى وعبد الله بن المغيرة الكنانى وحَيْوة بن رجاء التميمى[b] وعبد الجبّار بن ابى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ومنصور بن خزامة[c] وعلى بن عثمن بن خطّاب، وذكر ابن حبيب ان عِدّة من دخل الاندلس من التابعين سوى من لا يُعرف نحو ٢٠ رجلا، وفى كتاب ابن بشكوال انه دخل الاندلس من التابعين ٢٨ رجلا وهم اسّسوا قبلة المسجد الجامع بقرطبة، وسمى الحجارى فى المسهب هؤلاء المتقدّمين، وذكر ابن سعيد انه لم يتحقّق المواضع التى تختصّ بهؤلاء التابعين من بلاد الاندلس مع جزمه بانهم[d] دخلوا الاندلس وكانوا بها وسياتى ذكر التابعين الداخلين الاندلس بما هو اشمل من هذا وقد تقدّم غلولُ ما[e] عدا التابعين من الغنائم، وقال الليث بن سعد بعد ذكره ان طارقا *اصاب بالاندلس مغانم كثيرة من الذهب والفضّة[f] ان كانت الطنفسة لتوجد منسوجة بقضبان الذهب وتنظم السلسلة من الذهب باللؤلؤ والياقوت والزبرجد وكان البربر ربّما وجدوها فلا يستطيعون حملها حتى ياتوا بالفاس فيضربون به وسطها فياخذ احدهم نصفها والآخر النصف الآخر لنفسه ويسير معهم جماعة والناس مشتغلون بغير ذلك، وعن يحيى بن سعيد لما افتتحت الاندلس اصاب الناس فيها غنائم[g] فغلّوا منها غلولا كثيرا حملوه فى المراكب وركبوا البحر فسمعوا مناديا يقول اللهمّ غرّق بهم وتقلّدوا المصاحف فما نشبوا ان اصابتْهم ريح عاصف وضربت المراكب بعضُها بعضا حتى تكسّرت وغُرق بهم واهل مصر ينكرون ذلك ويقولون ان اهل الاندلس ليس هم الذين غرقوا وانما هم اهل سَرْدانية والله اعلم بحقيقة الحال، ورايتُ فى بعض كتب التواريخ انه وُجد فى طليطلة حين فتحت من الذخائر والاموال ما لا[h] يحصى فمن ذلك ١٧٠ تاجا من الذهب الاحمر مرصّعة بالدرّ واصناف الحجارة الثمينة ووجد فيها الف سيف ملوكىّ ووجد فيها من الدرّ واليواقيت اكيال ومن اوانى الذهب والفضّة ما لا يحيط به وصفٌ ومائدة سليمن وكانت فيما يُذكر زمرّدة خضراء وزعم بعض العجم انها لم تكن لسليمن وانما اصلها ان العجم ايامَ ملكهم كان اهل الحسبة فى

a) 'Abd-al-wāhid (éd. Dozy, p. ١٠) le nomme يزيد بن فاصط. b) La. النيمى. c) G. S. P. حرامة. d) G. L. La. انهم. e) G. S. L. P. من. f) La. اصاب من المغانم بالاندلس من الذهب والفضة كثيرا. g) S. مغانم. h) La. ajoute يخفى ولا.

دينهم اذا مات احد منهم [illegible] للكنائس فاذا اجتمع عندهم مال له قدرٌ صاغوا
منه الآلة من الموائد [illegible] والكراسى من الذهب والفضّة تحمل الشمامسةُ والقسوس
فوقها الاناجيل ايام المناسك ويصفّونها فى الاعياد للمباهاة فكانت تلك المائدة
بطليطلة ممّا صُنِع فى هذا السبيل وبالغت الملوك فى تحسينها يزيد الآخر منهم
فيها على الاول حتى برزت على جميع ما اتُّخذ من تلك الآلات وطار الذكر بها كل
مطار وكانت مصوغة من الذهب الخالص مرصّعة بفاخر الدرّ والياقوت والزبرجد وقيل
انها من زبرجدة خضراء حافاتها وارجلها منها وكان لها ٣٦٥ رجلا وكانت توضع
فى كنيسة طليطلة فاصابها طارق انتهى، وقد ذكرنا فيما مرّ عن ابن حيان ما فيه
نظيرُ هذا وذكرنا فيما مضى من امر المائدة وغيرها ما فيه بعض تخالُف وما ذلك
الا لانّا ننقل كلام المؤرّخين وان خالف بعضُهم بعضا ومرادنا تكثير الفائدة وبالجملة
فالمائدة جليلة المقدار وان حصل الخلافُ فى * صفتها وجنسها وعدد ارجلها وهى
من اجلّ ما غُنم بالاندلس على كثرة ما حصل فيها من الغنائم المتنوّعة الاجناس التى
ذكرها الى الآن شائع بين الناس، واعلم انه لما استقرّ قَدَمُ اهل الاسلام بالاندلس
وتمّ فتحها صرف اهل الشام وغيرهم من العرب هِمَمَهم الى الحلول بها فنزل بها من
جراثيم العرب وساداتهم جماعة اورثوها اعقابَهم الى ان كان من امرهم ما كان، فاما
العدنانيّون فمنهم خِنْدِف ومنهم قُريش واما بنو هاشم من قريش فقال ابن غالب فى
فرحة الانفس بالاندلس منهم جماعة كلُّهم من ولد ادريس بن عبد الله بن الحسن
ابنْ الحسن بن على بن ابى طالب ومن هؤلاء بنو حَمّود ملوك الاندلس بعد انتثار
سلك بنى اميّة واما بنو اميّة فمنهم خلفاء الاندلس قال ابن سعيد ويعرفون هنالك
الى الآن بالقرشيّين وانما عَمّوا نسبتهم الى اميّة فى الآخر لما انحرف الناس عنهم
وذكروا افعالهم فى الحسين رضه واما بنو زُهْرة فهم باشبيلية اعيان متميّزون واما
المخزوميّون فمنهم ابو بكر المخزومى الاعمى الشاعر المشهور من اهل حصن المدوّر
ومنهم الوزير الفاضل فى النظم والنثر ابو بكر بن زيدون ووالده الذى هو اعظم منه
ابو الوليد بن زيدون وزير معتضد بنى عبّاد قال ابن غالب وفى الاندلس من ينسب
الى جُمَح والى بنى عبد الدار وكثير من قريش المعروفون بالفِهْرِيّين من بنى مُحارب

a) La. وتنف. b) La. وكنت. c) La. اننا. d) La. جنسها ووصفها. e) L. S. P. فرحة. f) Les man. portent انتشار. g) L. فمنهم , La. فسلفيم.

ابن a فهر وهم من قريش الظواهر ومنهم عبد الملك بن قَطَن سلطان الاندلس ومن ولده بنو القاسم الامراء الفضلاء وبنو الجدّ الاعيان العلماء ومن بنى الحارث بن فهر يوسف ابن عبد الرحمن الفهرى سلطان الاندلس الذى غلبه عليها عبد الرحمن الاموى الداخل وجدّ يوسف عقبة بن نافع الفهرى صاحب الفتوح بافريقية قال ابن حزم ولهم بالاندلس عدد وثروة واما المنتسبون الى عموم كنانة فكثير وجُلّهم فى طليطلة واعمالها ولهم ينتسب الوَقّشيّون الكنانيّون الاعيان الفضلاء الذين منهم القاضى ابو الوليد والوزير ابو جعفر ومنهم ابو الحسين بن جُبَيْر العالم صاحب الرحلة وقد ذكرناه فى محلّه واما هُذَيْل بن مُدْرِكة بن الياس بن مضر فذكر ابن غالب ان منزلهم بجهة أُريولة من كورة تدمير واما تميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر فذكر ابن غالب ايضا انهم خلق كثير بالاندلس ومنهم ابو الطاهر صاحب المقامات اللزوميّة واما ضَبّة بن ادّ بن طابخة فذكر انهم قليلون بالاندلس فهؤلاء خندف من العدنانيّة، واما قيْس عيلان b بن مضر من العدنانيّة ففى الاندلس كثير منهم ينتسبون الى العموم ومنهم من ينتسب الى سُلَيْم بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قيس كعبد الملك ابن حبيب السُلَمى الفقيه صاحب الامام مالك رضه وكالقاضى ابى حفص بن عمر قاضى قرطبة ومن قيس من ينتسب الى هَوازِن بن منصور بن عكرمة قال ابن غالب وهم باشبيلية خلق كثير ومنهم من ينتسب الى بكر بن هوازن قال ابن غالب لهم منزل بجوفىّ بلنسية على ٣ اميال منها وباشبيلية وغيرها منهم c كثير ومنهم بنو حَزْم وهم بيت غير البيت الذى منه ابو محمد بن حزم الحافظ الظاهرىّ وهو فارسىّ الاصل ومنهم من ينتسب الى سعد بن بكر بن هوازن وذكر ابن غالب ان منهم بغرناطة كثيرا كبنى جُودى وقد راس بعض بنى جودى ومنهم من ينتسب الى سَلُول امراة نُسب اليها بنوها وابوهم مُرّة بن صَعْصَعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ومنهم من ينتسب الى كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معوية بن بكر بن هوازن ومنهم من ينتسب الى نُمَيْر بن عامر بن صعصعة قال ابن غالب ومنهم بغرناطة كثير ومنهم من ينتسب الى قُشَيْر بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ومنهم بَلْج بن بِشْر صاحب الاندلس وآله وبنو رَشيق ومنهم من ينتسب الى فَزارة بن ذُبْيان بن بَغِيض

a) Les man. portent من. b) Les man. ajoutent بن الياس. c) La. ajoute خلق.

ابن رَيْث بن غَطَفان بن سعد بن قيس عيلان ومنهم من ينتسب الى أَشْجَع بن ريث ابن غطفان ومن هولاء يوسف بن عبد الله الاشجعى سلطان الاندلس وفى ثَقِيف اختلاف فمنهم من يقول انها قيسيّة وان ثقيفا هو قَسِيّ[a] بن منبّه بن بكر بن هوازن ومنهم بالاندلس جماعة واليهم ينتسب الحُرّ بن عبد الرحمن الثَقَفى صاحب الاندلس وقيل انها من بقايا ثَمُود انتهى قيس عيلان وجميع مضر، واما ربيعة بن نِزار فمنهم من ينتسب الى أَسَد بن ربيعة بن نزار قال فى فِرجة[b] الانفس ان اقليم هوّلاء مشهور باسمهم بجوفى مدينة وادى آش انتهى والاشهر بالنسبة الى اسد ابدًا بنو اسد بن خُزَيْمة بن مدركة بن الياس بن مضر ومنهم من ينتسب الى مُحارِب بن عمرو بن وَديعة بن لُكَيْز[c] بن أَفْصَى * بن عبد القيس بن افصى[d] بن دُعْمىّ بن جَدِيلة بن اسد ابن ربيعة قال ابن غالب ومنهم بنو عَطيّة اعيان غرناطة ومنهم من ينتسب الى النَمِر ابن قاسط بن هِنْب بن افصى بن دعمى بن جديلة بن اسد كبنى عبد البرّ الذين منهم الحافظ ابو عمر بن عبد البرّ ومنهم من ينتسب الى تَغْلِب بن وائل بن قاسط ابن هنب كبنى حَمْدِيس[e] اعيان قرطبة ومنهم من ينتسب الى بكر بن وائل كالبكريّين اصحاب أُونبة وشَلْطِيش الذين منهم ابو عبيد البكرى صاحب التصانيف انتهت ربيعة، واما اياد بن نزار وقد يقال انه ابن معدّ والصحيح الاول فينتسب اليهم بنو زُهْر المشهورون باشبيلية وغيرهم انتهت العدنانيّة وهم الصريح من ولد اسمعيل عم واختُلف فى القحطانيّة هل هم من ولد اسمعيل او من ولد هُود على ما هو معروف وظاهر صنيع البُخارى الاول والاكثر على خلافه والقحطانية هم المعروفون باليمانية وكثيرًا ما يقع بينهم وبين المضريّة وسائر العدنانية الحروب بالاندلس كما كان يقع بالمشرق وهم الاكثر بالاندلس والملك فيهم ارسخ الا ما كان من خلفاء بنى اميّة فان القرشيّة قدّمتْهم على الفرقتين واسم الخلافة لهم بالمشرق وكان عرب الاندلس يتميّزون بالقبائل والعمائر والبطون والافخاذ الى ان قطع ذلك المنصورُ بن ابى عامر الداهية الذى ملك سلطنة الاندلس وقصد بذلك تشتيتهم وقطع التحامهم وتعصّبهم فى الاعتزاء[f] وقدّم القُوّاد على الاجناد فيكون فى جند القائد الواحد فِرَقٌ من كل قبيل فذهبت مادّة الفتن والاعتزاء[g] بالاندلس الا ما جاءت على غير هذه الجهة، قال ابن حزم

---

a) G. S. دمسى, L. La. قيس. b) G. L. La. فرحة. c) Les man. portent بكير. d) Ces mots manquent dans les man. e) G. S. P. La. حمدبن. f) S. La. الاغترا. g) S. الاغترا.

جماع انساب اليمن من جذمَيْن كَهْلان وحِمْيَر ابنى *سبأ بن[a] يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان بن عابر بن شالح بن ارفخشذ بن سام بن نوح وقيل قحطان بن الهَمَيْسَع ابن *تيِهَن بن نَبْت[b] بن اسمعيل وقيل قحطان بن هود بن عبد الله بن رباح بن حارف[c] بن عاد بن عوص[d] بن ارم بن سام والخلف فى ذلك مشهور فمنهم كهلان ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنهم الأَزْد بن الغَوْث بن نبت بن مالك ابن زيد بن كهلان واليهم ينسب محمد بن هانئ الشاعر المشهور الأَلْبيرى وهو من بنى المهلّب ومن الازد من ينتسب الى غَسّان وهم بنو مازن بن الازد وغسّان ماءٌ شربوا منه وذكر ابن غالب ان منهم بنى القليعى من اعيان غرناطة وكثير منهم بصالحة قرية على طريق مالقة ومن الازد من ينتسب الى الانصار على العموم وهم الجمُّ الغفير بالاندلس قال ابن سعيد والعجب انك تعدم هذا النسبَ بالمدينة وتجد منه بالاندلس فى اكثر بلدانها ما يشذّ[e] عن العدد كثرةً ولقد اخبرنى من سأل عن هذا النسب بالمدينة فلم يجدْ منه الا شيخا من الخَزْرَج وعجوزا من الأَوْس قال ابن غالب وكان جزء الانصار بناحية طليطلة وهم اكثر القبائل بالاندلس فى شرقها وغربها انتهى ومن الخزرج بالاندلس ابو بكر عُبادة بن عبد الله بن ماء السماء من ولد سعد بن عبادة صاحب رسول الله صلّعم وهو المشهور بالموشّحات والى قيس بن سعد بن عبادة ينتسب بنو الاحمر سلاطين غرناطة الذين كان لسان الدين بن الخطيب احد وزرائهم وعليهم انقرض ملك الاندلس من المسلمين واستولى العدوّ على الجزيرة جميعًا كما يُذكر ومن اهل الاندلس من ينتسب الى الاوس اخى الخزرج ومنهم من ينتسب الى غافق بن عَكّ بن عُدْثان بن عزّان بن الازد وقد يقال عكّ ابن عدنان بالنون فيكون اخا معدّ بن عدنان وليس بصحيح قال ابن غالب من غافق ابو عبد الله بن ابى الخصال الكاتب واكثر جهات شَقُورة ينتسبون الى غافق ومن كهلان من ينتسب الى هَمْدان وهو *أَوْسَلة بن ربيعة بن الخيار[f] بن مالك بن زيد بن كهلان ومنزل همدان مشهور على ستة اميال من غرناطة ومنهم اصحاب غرناطة بنو أَضْحَى ومن كهلان من ينتسب الى مَذْحج ومذحِج اسم اكمة حمراء باليمن

a) Ces mots manquent dans les man. b) La. بهتان بن ثابت. c) L. خارف, S. حارق, La. حارو. d) Les man. portent عموص. e) P. يشتذ, S. يسد (sic). f) Les man. portent اوسلة بن مالك بن زيد بن اوسلة بن الخيار الخ.

وقيل اسم امّ مالك وطىّ [illegible] بن زيدة بن كهلان قال ابن غالب بنو سِراج الاعيان من اهل قرطبة ينتسبون الى مذحج ومنزل طىّ بقبلىّ مُرْسية ومنهم من ينتسب الى مُراد بن مالك بن ادد وحصن مراد بين اشبيلية وقرطبة مشهور قال ابن غالب واعرف [illegible] منهم خلقا كثيرا ومنهم من ينتسب الى عَنْس بن مالك بن ادد ومنهم بنو سعيد مصنّفو كتاب المُغْرِب وقلعة بنى سعيد مشهورة فى مملكة غرناطة ومن مذحج من ينتسب الى زُبَيْد قال ابن غالب وهو منبّه بن سعد العَشيرة بن مالك ابن ادد ومن كهلان من ينتسب الى مُرّة بن ادد بن زيد بن كهلان قال ابن غالب منهم بنو المنتصِر العلماء من اهل غرناطة ومنهم من ينتسب الى عاملة وهى امراة من قُضاعة ولدت للحارث بن عَدِىّ بن الحارث بن مرّة بن ادد فنُسب ولدها منه اليها قال ابن غالب منهم بنو سِماك القُضاة من اهل غرناطة وقوم زعموا ان عاملة هو ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقيل هم من قُضاعة ومن كهلان خَوْلان بن عمرو * بن مالك بن الحارث بن مرّة وقلعة خولان مسهورة بين الجزيرة الخضراء واشبيلية ومنهم بنو عبد السلام اعيان غرناطة ومنهم من ينتسب الى المَعَافِر بن يَعْفُر ابن مالك بن الحارث بن مرّة منهم المنصور بن ابى عامر صاحب الاندلس ومنهم من ينتسب الى لَخْم بن عَدِىّ بن الحارث بن مرّة منهم بنو عبّاد اصحاب اشبيلية وغيرها وهم من ولد النعمن بن المنذر صاحب الحيرة ومنهم بنو الباجى اعيان اشبيلية وبنو وافد الاعيان ومنهم من ينتسب الى جُذام مثل ثُوابة بن سَلامة صاحب الاندلس وبنى هُود ملوك شرق الاندلس ومنهم المتوكّل بن هود الذى صحّت له سلطنة الاندلس بعد الموحدين ومنهم بنو مَرْدَنيش اصحاب شرق الاندلس قال ابن غالب وكان لجذام جزء من قلعة رباح واسم جذام عمرو واسم لخم مالك وهما ابنا عدىّ ومن كهلان من ينتسب الى كِنْدة وهو ثور بن عُفَيْر بن عدىّ * بن الحارث بن مرّة ابن ادد ومنهم يوسف بن هُرون الرّمادى الشاعر ومنهم من ينتسب الى تُجيب وهى امراة أشْرَس * بن شبيب بن السَّكُون بن اشرس بن كندة ومن كهلان من ينتسب الى خَثْعَم بن أنْمار بن أراش بن عمرو بن الغَوْث بن نبت بن مالك بن زيد بن

---

a) Les man. portent بن. b) On doit ajouter بن يشجب بن عريب بن زيد c) Même remarque. d) S. فينسب. e) Ces mots manquent dans les man. f) G. L. واقد, S. ... وا (sic). g) Les man. portent عمر. h) Ces mots manquent dans les man. i) Même remarque.

كهلان منهم عثمن بن ابى نِسْعة سلطان الاندلس وقد قيل انمار بن نزار بن معدّ بن عدنان انتهت كهلان، واما حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمنهم من ينتسب الى ذى رُعَيْن قال ابن غالب وذو رعين هو ولد عمرو بن حمير فى بعض الاقوال وقيل هو من وُلْد سهل بن عمرو بن قيس بن معوية بن جُشَم بن عبد شمس ابن وائل بن الغوث *بن جيدان[a] بن قطن بن *عوف بن[b] عريب بن زهير بن ايمن ابن الهَمَيْسَع بن حمير قال ومنهم ابو عبد الله بن الخيّاط الاعمى الشاعر قال الحازمى فى كتاب النسب واسم ذى رعين يَرِيم[c] بن زيد بن سهل ووصل النسب ومنهم من ينتسب الى ذى أَصْبَح قال ابن حزم هو ذو اصبح بن مالك بن زيد من ولد سبأ الاصغر بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس ووصل النسب وذكر الحازمى ان ذا اصبح من كهلان واخبر ان منهم مالك بن أَنَس الامام والمشهور انهم من حمير والاصبحيّون من اعيان قرطبة ومنهم من ينتسب الى يَحْصُب قال ابن حزم انه اخو ذى اصبح وهم كثير بقلعة بنى سعيد وقد تعرف من اجلهم فى التواريخ الاندلسيّة بقلعة يحصب ومنهم من ينتسب الى هوازن بن عوف بن عبد شمس بن وائل بن الغوث قال ابن غالب ومنزلهم بشرف اشبيلية والهَوْزَنيّون من اعيان اشبيلية ومنهم من ينتسب الى قُضاعة بن مالك بن حمير وقد قيل انه قضاعة بن معدّ بن عدنان وليس بمرضىّ ومن قضاعة من ينتسب الى مَهْرة كالوزير ابى بكر بن عمّار الذى وثب على ملك مرسية وهو مهرة بن حَيْدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ومنهم من ينتسب الى خُشَيْن ابن نَمِر بن وَبَرة بن تَغْلِب بن حُلْوان بن عِمْران بن الحاف بن قضاعة ومنهم من ينتسب الى تَنُوخ قال ابن غالب وهو ابن مالك بن فهم بن نمر بن وبرة بن تغلب قال الحازمى تنوخ هو مالك بن فهم بن تَيْم الله بن اسد بن وبرة ومنهم من ينتسب الى بَلِىّ بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ومنهم البَلَويّون باشبيلية ومنهم من ينتسب الى جُهَيْنة بن سُود بن أَسْلُم[d] بن الحاف بن قضاعة قال ابن غالب وبقرطبة منهم جماعة ومنهم من ينتسب الى كَلْب بن وبرة بن تغلب بن حُلْوان كبنى ابى عبدة الذين منهم بنو جَهْوَر ملوك قرطبة ووزراؤها ومنهم من ينتسب الى مُجْذُرة بن سعد

a) Ces mots manquent dans les man. b) Même remarque. c) Les man. portent عريم. d) Les man. ajoutent ابن عمرو.

قُدَيْم بن زيد *بن ليث [illegible] بن اسلم بن الحاف بن قضاعة ومنهم اعيان الجزيرة الخضراء [illegible] اهل الاندلس من ينتسب الى حَضْرَمَوْت منهم الحضرميون بمرسية وغرناطة واشبيلية وبطليوس وقرطبة قال ابن غالب وهم كثير بالاندلس وفيه خلاف قيل ان حضرموت هو ابن قحطان وقيل هو حضرموت *بن عمرو[b] بن قيس بن معوية ابن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جَيْدان بالجيم بن قطن *بن عوف[c] بن العريب *بن الغرز[d] بن نبت بن ايمن بن الهميسع بن حمير كذا نسق النسب الحازمى ومن اهل الاندلس من ينتسب الى سَلْمان ومنهم الوزير لسان الدين ابن الخطيب حسبما ذُكر فى محلّه، وقد رايتُ ان اسرد هنا اسماء ملوك الاندلس من لدن الفتح الى آخر ملك بنى اميّة وانْ تقدّم ويأتى ذكر جملة منهم بما هو اتمّ ممّا هنا فنقول طارق بن زياد مولى موسى بن نصير ثم الامير موسى بن نصير وكلاهما لم يتّخذ سريرا للسلطنة ثم عبد العزيز بن موسى بن نصير وسريره اشبيلية ثم ايّوب بن حبيب اللخمى وسريره قرطبة وكل من ياتى بعده فسريره قرطبة او الزهراء والزاهرة بجانبَيْها الى ان انقضت دولة بنى مروان على ما ينبّه عليه ثم الحُرّ بن عبد الرحمن الثقفى ثم السَّمْح بن مالك الخولانى ثم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى ثم عَنْبَسة بن سُحَيْم الكلبى ثم عزرة[f] بن عبد الله الفهرى ثم يحيى بن سلمة الكلبى ثم عثمن بن ابى نِسْعة الخثعمى ثم حُذَيْفة بن الاحوص[g] القيسى ثم الهَيْثَم بن عُبيد الكلابى ثم محمد بن عبد الله الأَشْجَعى ثم عبد الملك بن قطن الفهرى ثم بَلْج بن بِشْر بن عِياض القُشَيْرى ثم ثعلبة بن سَلامة العاملى ثم ابو الخطّار ابن ضِرار الكلبى ثم ثُوابة بن سَلامة الجُذامى ثم يوسف بن عبد الرحمن الفهرى وههنا انتهى الوُلاة الذين ملكوا الاندلس من غير موارثة افرادًا عددهم ٢٠ فيما ذكر[e] ابن سعيد ولم يتعدّوا فى السمة لفظ الامير قال ابن حيان مدّتهم منذ تاريخ الفتح فى لذريق سلطان الاندلس النصرانى وهو يوم الاحد لخمس خلون من شوّال سنة ٩٢ الى يوم الهزيمة على يوسف بن عبد الرحمن الفهرى وتغلّب عبد الرحمن بن معوية

a) Ces mots manquent dans les man, qui ajoutent de nouveau les mots بن عمرو après اسلم.
b) Ces mots manquent dans les man. c) Même remarque. d) La. بن العرز. D'après les *Genealogische Tabellen* de M. Wüstenfeld, on doit lire بن زهير, et biffer les mots بن نبت.
e) La. اذكر. f) La. semble porter عذره. g) S. La. الاخوص.

المروانى على سرير الملك قرطبة وهو يوم الاضحى لعشر خلون من ذى الحجّة سنة ١٣٨ ستّ واربعون سنة وخمسة ايام انتهى، ثم كانت دولة بنى اميّة أولهم عبد الرحمن بن معوية بن هشام بن عبد الملك ثم ابنه هشام الرضى ثم ابنه الحكم ابن هشام ثم ابنه عبد الرحمن الاوسط ثم ابنه محمد بن عبد الرحمن ثم ابنه المنذر ابن محمد ثم اخوه عبد الله بن محمد ثم ابن ابنه عبد الرحمن الناصر بن محمد ابن عبد الله ثم ابنه الحكم المستنصر وكرسيّهما الزهراء ثم هشام بن الحكم وفى ايامه بنى حاجبه المنصور بن ابى عامر الزاهرة ثم المهدىّ محمد بن هشام بن عبد الجبّار بن الناصر وهو اول خلفاء الفتنة وهُدمت فى ايامه الزهراء والزاهرة وعاد السرير الى قرطبة ثم المستعين سليمن بن الحكم بن سليمن بن الناصر، ثم تخلّلت دولة بنى حَمُّود العَلَويّين واولهم الناصر على بن حمود العلوى الحسنى الادريسى ثم اخوه المامون القاسم بن حمود ثم المعتلى[a] يحيى بن الناصر على بن حمود، ثم كانت دولة بنى اميّة الثانية واولها المستظهر عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبّار بن الناصر تم المستكفى محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله[b] بن الناصر ثم المعتدّ[c] هشام بن محمد بن عبد الملك بن الناصر وهو آخر خلفاء الجماعة بالاندلس وحين خُلع اسقط ملوكُ الاندلس الدعوةَ للخلافة المروانية واستبدّت ملوك الطوائف كابن جَهْوَر فى قرطبة وابن عبّاد باشبيلية وغيرهما ولم يَعُدْ نظام الاندلس الى شخص واحد الى ان ملكها يوسف بن تاشفين الملثّم من برّ العدوة وفتك فى ملوك الطوائف وبعد ذلك ما خلصتْ له ولا لولده على بن يوسف لان بنى هود نازعوه فى شرقها بالثغر الى ان جاءت دولة عبد المومن وبنيه فما صفتْ لعبد المومن لمحمد[d] بن مَرْدَنِيش الذى كان ينازعه فى شرق الاندلس تم صفتْ ليوسف بن عبد المومن بموت ابن مردنيش ثم لمن بعده من بنيه وحضرتهم مَرّاكُش وكانت وُلاتهم تتردّد على الاندلس وممالكها ولم يولُّوا على جميعها شخصا واحدا لعظم ممالكها الى ان انقرضت منها دولتهم بالمتوكّل محمد بن هود من بنى هود ملوك سرقسطة وجهاتها فملك معظمَ الاندلس بحيث يُطلق عليه اسم السلطان ولم ينازعْه فيها الا زيان بن مردنيش فى بلنسية من شرق الاندلس وابن هلالة فى طَبِيرة من غرب الاندلس ثم

a) L. المقتدر. b) S. La. عبد الله. c) La. المعتمد. d) La. بمحمد

كثرت عليه الخوارجُ قريبًا [illegible] فقتله وزيره ابن الرميمى بالمريّة. زاد الامرُ الى ان مُلك بنو الاحمر وكان [illegible]غرب الاندلس فى المائة السابعة يخطبون لصاحب افريقية السلطان ابى زكريا يحيى بن ابى محمد عبد الواحد بن ابى حفص ثم تقلّصت تلك الظلال، ودخل الجزيرة الانحلال، الى ان استولى عليها حزبُ الضلال،، والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين، وقد ذكرتُ فى هذا الكتاب جملة من اخبار ملوك الاندلس ممّا يصلح للمذاكرة وربّما سرّحتُ طرف القلم فى بعضهم وبنو جهور المُشار اليهم قريبا كانوا وزراء الامويّين ثم انه لما انتثر سلكُ الخلافة استبدّ بقرطبة الوزير ابو الحزم بن جهور من غير ان يتعدّى اسمَ الوزارة قال فى المطمح الوزير الاجلّ *ابو الحزم[a] جهور بن محمد بن جهور *وبنو جهور[b] اهل بيت وزارة، اشتهروا كاشتهار ابن هُبَيْرة فى فَزَارة،، وابو الحزم هذا[c] امجدُهم فى المكرمات، وانجدُهم فى المُلِمّات،، ركب متون الفنون[d] فراضَها، *ووقع فى بحوره[e] المِحَن[f] فخاضَها،، *منبسط غير منكمش[g]، لا طائش اللسان ولا رَعِش،، وقد كان وُزّر فى الدولة العامريّة فشرفتْ بجلاله، واعترفتْ باستقلاله،، فلما انقرضتْ، وعاقت الفِتَنُ واعترضتْ، *تحيّز من[h] التدبير مدّتَها، وخلّى *لأخْلافه تدبير الرياسة[i] وشدّتَها،، وجعل يُقْبِل مع اولئك الوزراء ويُدْبِر، ويُهْمِل[j] الامر معهم ويدبّر،، غير مُظْهِرٍ للانفراد[k]، ولا متصرّف[l] فى ميدان ذلك الطراد،، الى ان بلغت الفتنةُ مداها، وسوّغتْ[m] ما شاءتْ رداها،، وذهب مَنْ كان يجدّ فى الرياسة ويخبّ، ويسعى فى الفتنة ويدبّ،، ولما ارتفع[n] الوبال، وادبر ذلك الاقْبال،، راسَلَ[o] اهلَ التقوى مستمدًّا بهم، ومعتمدًا على بعضهم،،

a) Ces mots manquent dans les man. d'al-Makkarî. b) Même remarque. c) J'ai ajouté ce mot d'après le man. L. du *Matmah*. d) *Al-Matmah* P., al-Makk. S. P. اَلْعتون; *al-Matmah* L. الْغنو (*sic*). e) *Al-Mat.* L. بحور (ajoutez فى) وتفحم. f) La. الْعتن. g) *Al-Mat.* L. وبسط فيه صدى غير منكمش، وتصدى اليها الخ (?). h) *Al-Mat.* L. تخلى عن, P. تخير من; al-Makk. تحيز عن. i) Les man. d'al-Makk. portent لْلخلافة اعباء الخلافة. J'ai adopté la leçon du man. L. du *Matmah*; le man. P. offre aussi la variante الخلافة au lieu de الرياسة. j) Les man. d'al-Makk. portent وبنهل; *al-Mat.* P. وينهمل. k) Les man. d'al-Makk. et P. du *Mat.* الى انعراد. l) *Al-Mat.* P. معصر. m) *Al-Mat.* L. وصورت; S. بسومت من. n) *Al-Mat.* L. ajoute ذلك. o) C'est ainsi qu'on lit dans le man. P. du *Matmah*; L. وارسل. Al-Makk. G. L. راسا, P. را, S. La. راى.

تخييلا[a] منه وتمويها، وتداهيا[b] على اهل الخلافة وذويها،، وعرّض عليهم تقديمَ المعتدّ[c] هشام، واومض منه لاهل قرطبة برق خلّابة[d] يُشام،، *ثقةً بسرعة[e] التياثها، وتعجيل انتكاثها،، فانابوا الى دعائه[f] واجابوا الى استرعائه[g]،، وتوجّهوا مع ذلك الامام، والمّوا بقرطبة احسنَ اِلْمام[h]،، فدخلوها بعد فِتَن كثيرة، واضطرابات مستثيرة،، والبلد مُقْفِر، والجَلَد مُسْفِر،، فلم يبقَ غير يسير حتى جُبِذ[i] واضطرب امرُه فخُلِع، واختُطف من الملك وانتُزع،، وانقضت[j] الدولة الاموّية، وارتفعت الدولة العلويّة،، واستولى على قرطبة عند ذلك ابو الحزم، ودبّرها بالجدّ[k] والعزم،، وضبطها ضبطًا آمن خائفَها، ورفع طارقَ تلك الفتنة وطائفَها،، وخلا له الجوّ فطار، واقتضى[l] اللباناتِ والاوطار،، فعادتْ له قرطبةُ الى اكمل حالتها[m]، وانجلى به نورُ جلالتها[n]،، ولم تزل به مُشْرِقة، وغصون الآمال[o] فيها مُورِقة،، الى ان توفّى سنة ٤٣٥ فانتقل الامرُ الى ابنه ابى الوليد، واشتمل منه على طارف وتليد،، وكان لابى الحزم ادب ووقار وحلم سارتْ[p] بها[q] الامثال، وعُدم فيها[r] المثال،، وقد اثبتُّ من شعره ما هو لائق، وفى سماء الحسن[s] رائق،،

*وذلك قوله[t] فى تفضيل الورد

الورد احسنُ ما رأتْ عينى وأذْ … كى[u] ما سقى ماء السحاب الجائدُ
خضعتْ نواويرُ الرياض لحسنه … فتذلّلتْ تنقاد وهى شواردُ
واذا تبدّى الوردُ[v] فى اغصانه … يزهو فذا مَيْت وهذا حاسدُ[w]
واذا اتى وَفْدَ الربيع مبشرا … بطلوع صفحته فنِعْمَ الوافدُ
ليس المبشّر كالمبشّر به … خبرٌ عليه من النبوّة شاهدُ
واذا تعرّى الوردُ من اوراقه … بقيتْ عوارفُه فهنّ خوالدُ

a) Telle est la leçon du man. L. du *Matmaḥ*; P., al-Makk. S. تخيـيلا; al-Makk. G. L. La. تحيلا. b) *Al-Mat.* L. ترامياً. c) *Al-Mat.* P., al-Makk. La. المعتمد. d) Al-Makk. خلب. e) Cette leçon ne se trouve que dans le man. L. du *Matmaḥ*; les autres man. portent بعد سرعة. f) Les man. d'al-Makk. portent الاجابة. g) *Al-Mat.* P., al-Makk. La. استرعابه; *al-Mat.* L. استدعائه. Les man. d'al-Makk. ajoutent الوزارة والحجابة. h) *Al-Mat.* L. سوء الموج (اسوء النمام ?). i) S. حيذ, La. حيد. j) *Al-Mat.* L. وانقطعت. k) *Al-Mat.* L. ajoute والحزم. l) La. وقضى. m) *Al-Mat.* L. P., al-Makk. La. حالاتها. n) *Al-Mat.* P. استجلالاتها, L. اسدحالاتها (?). o) *Al-Mat.* P., al-Makk. G. S. L. الامل. p) *Al-Mat.* L. مشا. q) *Al-Mat.* P., al-Makk. L. به. r) *Al-Mat.* P. فيه. s) *Al-Mat.* L. الاحسان. t) *Al-Mat.* L. فمن ذلك. u) *Al-Mat.* P., al-Makk. S. La. وازكى. v) Les man. d'al-Makk. portent الغصن. w) Ce vers ne se trouve pas dans le man. L. du *Matmaḥ*.

انتهى المقصود منه وكذا [illegible] بهذه الابيات فى تفضيل الورد قولُ ابن الرومى فى تفضيل النرجس عليه من قصيدة

للنرجس الفضلُ المبين وان أَبَى *** آبٍ وحاد عن الحقيقة* حائدُ

وهى مشهورة وردَّ على ابن الرومى بعضهم بقوله

يا من يشبّه نرجسا بنواظر *** دُعْجٍ تنبّهْ انّ فهمك فاسدُ

وهى ايضا مشهورة، رجعَ الى ما كُنّا فيه وكانت* لاهل الاندلس بين زمان الفتح وما بعده وقائعُ فى الكُفّار شَفَت الصدورَ من امراضها، ووفّت النفوس باغراضها، واستولت على ما كان لملّة الكفر من جواهرها واعراضها،، ثم وقع الاختلاف، بعد ذلك الايتلاف،، فعصفت ريحُ العدوّ والحروب سِجال، وأَعْيَا العلاجُ حكماء الرجال،، فصار اهل الاندلس يتذكّرون *موسى بن* نصير وطارق، ومَنْ بعدهما من ملوك الاندلس الذين راعت العدوَّ الكافر منهم بوارق،، وما احسن ما اعرب الامام الكاتب القاضى ابو المطرّف بن عَميرة عمّا يشمل هذا المعنى وغيره فى كتاب بعث به الى الشيخ ابى جعفر بن امية حين حلّ الرزء ببلنسية وهو

الا ايّها القلب المصرّح بالوَجْدِ *** أَما لك من بادى الصبابة من بُدّ
وهل من سلوّ يُرتجى لمتيَّم *** له لوعةُ الصادى وروعةُ ذى الصدّ
يحنّ الى نجد وهيهات حرّمت *** صروفُ الليالى ان يعود الى نجد
فيا جبل الريّان لا رِيّ بعد ما *** عَدَتْ غِيَرُ الايام عن ذلك الوِرْد
ويا اهل ودّى والحوادثُ تقتضى *** خُلُوِّى عن اهلٍ يُضاف الى الودّ
أَلا منعةٌ يوما بعارية المُنَى *** فانّا نراها كلّ حين الى الردّ
أمن بعد رزءٍ فى بلنسية ثوى *** بأَحْنائنا كالنار مضرمةَ الوقد
يرجّى اناس جُنّةً من مصائب *** تطاعن* فيهم بالمثقّفة المُلْد
أَلا ليت شعرى هل لها من مطالع *** معادٌ الى ما كان فيها من السعد
وهل اذنب الابناء ذنبَ ابيهم *** فصاروا الى الاخراج من جنّة الخلد

مرحبًا بالسحاءة، وما اعارتْ اشفى من الاصاءة،، وردتْ تسحر النُهَى، وتسحب *ذيلا على السُهَى،، وتهزّ من المسرّة اعطافا، وتَرِدُ من نجوم المجرّة نطافا،، عامتْ من

a) La. الظريفة. b) L. et La. ajoutent الخ. c) S. La. وكان. d) S. ابن بنعمر.
e) La. تنثار. f) L. وتجرّ.

الظلمة فى موجها، ثم غلبت الشُهْبَ على اوجها،، فقَلْب العقرب يَجِب، وسُهَيْل بدارة
يحتاجب،، والطَّرْف غضيض، وجناح الطائر مهيض،، وصاحب الأَخْبِيَة بقرض، والذابح
عن ذبيحته بْعْرِض،، ورامح السماكَيْن تخونه السلاح، وواقع النسرَيْن يودّ ان يخفيه
الصباح،، بلاغة تفتن كلَّ لبيب، وتُرْعِى روض كل اديب، وتغض a على رغم العدوّ
من حبيب،، انّ من البيان لَسِحْرا، ويايّها الجواد وجدناك بحرا،، أَدريتَ اىّ برىّ
بريتَ، وباىّ قُمر اهتديتَ ليلةَ سريتَ،، افتتحتَ بابياتك الحسان، ونظمتَها نظمَ
الجمان،، فعوّذتّ ستّتها بالسبع، وعرفتُ منها براعة b ذلك الطبع،، ثم نثرتَ على
القرطاس من c شذور المنثور، بل من جواهر النحور،، ما استوقف النُظّار، وبَهْرَجَ اللُّجَيْن
والنُضار،، ورايتك استمددتّ ولك الباع الامدّ، واعرتَ محاسنك والعارية تُرَدّ،، *وحبيتَ
بالراية c تروق اربعتُها، وتحرس بها قعقعة الاشعار وجعاجعتها،، فأدّتْ من حسنها ما
يَسُرّ، واجتمع لمن روى القطعتَيْن ما نُظم فيهما وهو الدرّ،، واجريتَ خبر الحادثة التى
محقتْ بدرَ التمام، وذهبتْ بنضارة الايام، فيا من حضر بومَ البطشة، وعزى بانسه d
بعد تلك الوحشة،، أَخفا انه دُكّت الارض، ونُزف المعين والبَرْض،، وصُوّح روض المُنَى،
وصرّح الخطيب e وما كنى،، أَبِنْ لى كيف فُقدتْ رجاحةُ f الاحلام g، وعُقدتْ مناحةُ
الاسلام، وجاء اليوم العَسِر، وأُوقدت نارُ الحزن فلا تزال تستعر h،، حُلْم ما نرى بل ما
راى ذا حالم، طوفان يقال عنده لا عاصمَ، من يُنْصِفنا من الزمان الظالم، الله بما
يلقى الفؤاد عالم،، بالله اىّ نحو ننحو i، ومسطور * نُثْبِت ونمحو j،، وقد حُذف
الاصلىّ والزائد، وذهب الصلةُ والعائد،، وباب التعجّب طال، وحال البائس لا تخشى
الانتقال،، وذهبت علامةُ الرفع، وفُقدت سلامةُ الجمع،، والمعتلّ أَعْدَى الصحيح،
والمثلّث اردى الفصيح،، وامتنعت العجمةُ من الصرف، وامنت زيادتُها من الحذف،،
ومالت قواعد الملّة، وصِرْنا الى جمع القلّة،، وللشرك صيال وتخمّط، ولقرنه فى شركه
تخبّط،، وقد عاد الدينُ الى غربته، وشَرِقَ الاسلامُ بكربته،، كأن لم يسمع بنصر ابن

a) Ce mot est sans doute altéré. *b*) J'ai cru devoir ajouter ce mot, qui manque dans tous les man. *c*) P. وجيبت بالاية, S. وجبت باراته, La. وجيبت بالادلال ما. On doit peut-être lire وجيتَ بالرائيّة. *d*) P. بانسته, G. S. L. شى انسه. *e*) G. P. L. La. الخطب. *f*) La. رجاجة, G. L. اجاحة. *g*) La. الكلام. *h*) G. L. تسعر. *i*) G. P. L. La. تنحو. *j*) G. P. L. La. تثبت وتمحو.

نصير، وطروق طارق بكل خيل ونهشات حَنَش وكيف أَعْيت الرُّقى، واذالت [a] بليل السليم يومَ الملتقى،، ولم يُخْبَر [b] عن المروانيّة وصوائفها، وفَتَى مَعافِر وتعفيره للاوثان وطوائفها،، لله ذلك السلف، لقد طال الاسى عليهم والاسف،، وبقى التَحَكّم العدل، والربُّ الذى قوله الفصل وبيده الفصل،، رّبنا امرتَ فعصينا، ونهيتَ فما انتهينا، وما كان ذلك جزاء احسانك الينا، انت العليم بما اعلنّا وما اخفينا، والمُحِيط بما لم نات وما اتينا، لو انّنا فيك * احببْنا وفلينا [c]، لم تُرِنا من الفرقة ما راينا، ولم تسلّطْ عدوّك وعدوّنا علينا، لكن انت ارحَمُ من ان تواخذنا بما جنبنا، واكرم من ان لا تَهَبَ حقوقك لدينا [d]،، واشرتَ ايّها الاخ الكريم الى استراحة اليَّ، وتنسُّم [e] بما لدىّ،، لتبرُّد كما زعمتَ حرِّ نفس، وتقدح زناد قبس،، وهيهات صلد الزندُ، وذوى العرارُ والرند،، واقشع الشوبوب، وركد ما كان بُظَنّ به الهبوب،، فالقلم دثين لا يُحْشَر، وميّت لا يُنْشَر،، والطَبع قد نقص القهْقَرى، وقلَّ منزله ان يُدعى له النَقَرى،، فما هو لا يملك مبيتا، ولا يجد لعلمه [f] تثبيتا،، وانت ابقاك الله عز وجل بمقتَبَل [g] الآداب، طائر ميعة [h] الشباب،، وابن سنُّ السموّ من سنّ الانحطاط، ووقتُ الكسل من وقت النشاط،، وقد راجعتُك لا داخلا فى حلبتك، بل قاصيا حقَّ رغبتك،، والله تع يجعلك بوسيلة العلم مترقّبا، وبجُنّة الطاعة متوقّيا، ولهناء [i] الانس مستقبلا ومتلقّيا،، بمنّه وكرمه والسلام انتهى، وكتبَ رحّه الى سلطان افريقية الوارث ملك بنى عبد المومن بتلك النواحى، المستولى على البلدان والضواحى،، وقد كان لاهل الاندلس امل فى اخذه بثارهم، وضمّ انتشارهم،، ما صورتُه

شاقه غبُّ الخيال الواردِ ... بارقٌ هاج غرام الهاجدِ
* صدّقا وعدَ [j] التلاقى ثم ما ... طرقا الا بخُلْف الواعدِ
وكِلا الزورَيْن من طيف ومن ... وافد تحت الدياجى واردِ
لم يكن بعد السرى [k] مستمتَع ... فيه للراءى ولا للراقدِ
وشديد بثُّ قلب هائم ... يشتكيه عند ربع هامدِ
بالامير المرتضى عزِّ الهدى ... وثنى عطف المليء الواجدِ

a) S. ووالت. b) G. P. L. La. تخبر. c) S. اجبنا ولبّبنا. d) La. الينا. e) S. La. نسنبم. f) G. P. L. La. لقلمه. g) G. بمقبّل, L. بمقيل. h) Les man. portent هيعة. i) S. وبهنا. j) G. S. L. صدق وعد, La. صدق الوعد, P. صدق عند. k) G. P. L. السرى.

وبه أُصحب ما كان يُرى … حاملا انف الابىّ الشارد
انما a الفخر لمولانا ابى … زكرياء بن عبد الواحد
ملك لولا حلاه العزّ b لم … يَجْرِ بالحمد لسانُ الحامد
ولَو انّ العذب أَبْدَى رغبةً … عنه لم يَشْفِ غليل الوارد
فضله مثل سنى الشمس وهل … لسنى الشمس يُرى من جاحد
قهر البغىَ بحدّ صادع … ما تعدّاه وجدّ صاعد
انما آلُ بنى c حفص هُدًى … للورى من غائب او شاهد
قعدوا فوق النجوم الزُهْر عن … هِمَمٍ نبّهْنَ عزم القاعد
وعن الاسلام ذادوا عند ما … فَلّ طولَ العهد غَرْبُ الذائد
اىّ فخر عُمَرِىّ المنتمَى … ورثوه ماجدًا عن ماجد
ما الفتوح الغُرّ الا لهم … بين ماضٍ بادئٍ او عائد
فى محيًّا لاحق من سابق … وعلى المولود سيمَى الوالد
وليحيى راجحُ الحلم الذى … ترك الطود بعطفَىْ d مائد
عقد احـ ابهم سمّ به … مثل ما تمّ حساب العاقد
ايّها الجامع ما قد احرزوا … جمعَ مَنْ همّتُه فى الزائد
هذه الامّة قد اوسعتَها … نظرا يكلأُ ليل الراقد
لم تزل منك بخير طارف … ريشُه تالٍ فُدامَى تالد
ولهم منك ليوم حاضر … وغدًا راىُ البصير الناقد
ارشد الله لأُولى نظرٍ … بالورى راىَ الامام الراشد
وتولّاه بتوفيق الأُلى … سعدوا من عاقد او عاهد
وله فى الله اوفى كافل … بالذى يبغى واكفى عاضد

نصر الله تعَ مولانا وايّده، وشدّ ملكه وشيّده،، وابقى للفصل ايامَه، وللفصل احكامَه، واظفره e باعناق الاشقياء حسامَه، ووفّر من اتساق النعَم والآلاء حظوظه واقسامَه،، والحمد لله f على ان جعل به حرمَ الامّة آمنا، ووهجَ الفتنة ساكنا، وابوابَ الصلة والمعروف لا تعرف الا واصلا وآذنا g،، وتلافى فلّ الاسلام منه بفئّاته التى منها ينتظرون الكرّ وبها

a) G. P. S. L. ايها. b) G. P. L. الفر, S. العر. c) G. P. L. ابى. d) S. بعطف.
e) La. واشفى. f) P. S. et La. ajoutent ثم الحمد لله. g) G. P. S. L. او اذنا.

توعدون الفتح الاعزّ والنصر الاغرّ، فهم بين جدة قبضوها، وعدة رهنوها، وارتقاب لفتح اكبرُ همّهم منه دركُ الثار، وانتصاف لاهل الجنّة من اهل النار، فاما الاوطان فعن أسْلَتْهم عنها جهةٌ تُنْبت العزّ فيما تنبته، وتنفى من الضيم ما تلك تثبته، وما ذكرِ الساخط، على المحلّ الساقط، منازل عادتْ على مبانيها اطلالا، * ومعانيها محالا a، وللعبد حال يستقبل بها من النظرِ الكريم ادامه الله تعَ ما اعيُنُ الآصال اليه صُورٌ، ورجاء الجميع عليه مقصور، انتهى، والغاية فى هذا الباب ما كتب به رحمه من جملة كتاب، لبعض ذوى الالباب، ونصّ محلّ الحاجة منه فخصّ الجهة البعيدة الصيتِ والاسم، الشهيرة العمل والعلم، درّة تاجنا، وضوء سِراجنا، ونكتة احتجاجنا، ابقاها الله تعَ فى اعيُنِنا منارا، ولاندلسنا فخارا، على انه وان بقيت المفاخر، فعن أوْدَى المُفاخر، وان اضاء الطالع، فقد دَجَت المطالع، وغلب عليها عُداةٌ زووا عنها وجوهَنا، وأرَوْا فيها مكروهَنا، حتى انّى اتيتُ بشعر فيه استسقاء للديار، على عادة الاشعار، فقلتُ

زِدْنا على النائين عن اوطانهم وان اشتركنا فى الصبابة والجَوَى
أنّا وجدناهم قد استسقوا لها من بعد ان شطّتْ بهم عنها النَوى
ويصدّنا عن ذاك فى اوطاننا مع حبّها الشِرْكُ الذى فيها ثَوى
حسناء طاعتُها استقامتْ بعدنا لعدوّنا أفيستقيم لها الهَوى

انتهى، قلتَ وما رايتُ ولا سمعتُ مثل هذه الابيات فى معناها، العالية فى مبناها، فان فيها الاشارة الى استيلاء النصارى دمّرهم الله على تلك الديار، وثبوت قدمهم فيها على طِبْق ما حصل لهم فيه اختيار، مع امتزاج حبّه لها الذى لا يُشكّ فيه ولا يرتاب، واشتمالها على المحاسن التى هى بغيةُ الرائد ونجعةُ المنتاب، ولكل اجل كتاب، واذا نفذه b سهمُ المقدور فلا عتاب، ومما يستولى على الخواطر، ويروى رياض الافكار بسحب بلاغته المواطر، قوله رحمه يخاطب ابا الحسن c الرُعَيْنى سنة ٧٣٤

يا صاحبى والدهرُ لولا كرّة منه على حفظ الذمام ذميمُ
أمُنازعى انت الحديثَ فانه ما فيه لا لغوٌ ولا تأثيمُ
ومروّض مرعى مُناىَ فنَبْتُه من طول إخْلاف الغيوم هشيمُ

a) La. ومغانيها امحالا. b) G. P. La. انفذ. c) La. ابا الحزم.

ضَلَّ اعتبارى بالزمان وانما — داء الزمان كما علمتَ قديمُ
مجفوُّ حظّ لا ينادى ثم لا — ينفكّ عنه الحذفُ والترخيمُ
وأَرى امالتَه تدوم وقصرَه — فعلى مَ يُلْغَى المدُّ والتفخيمُ
وعلى مَ ادعو والجواب كانّما — فيه بنصّ قد اتى التحريمُ
لم أَلْقَ الا مقعدا غير الاسى — فلدىَّ منه مُقْعِد ومُقيمُ
وشرابىَ الهمُّ المعتّق خالصا — فمتى يساعدنى عليه نديمُ
غاراتُ ايام علىَّ جوارح — فعديُّها فى طبعه التحكيمُ
ولواعج يحتاج صالى حَرّها — امرًا به قد خُصّ ابرهيمُ
ولقد اقول لصاحب هو بالذى — ادركتُ من علم الزمان عليمُ
لا تَيْأَسَنْ[a] من الاله وان قَسَتْ — يوما قلوبُ الخلق فهو رحيمُ

ويهزنى ويستفزنى ما كتبه رحمه تع من رسالة كتبتُه الى سيّدى وهو السيّد حقيقةً، واخى وقد كتب الدهرُ بذلك وثيقةً،، ابقى الله تعّ جلاله محروسا، وربع وفائه لا يخشى دروسا،، من رباط الفتح وانا بحقّه عليم، وعلى عهده مقيم، وشانى توقير له وتعظيم، وحبّ فيه خالص كريم[b]،، ووصلنى خطابه الخطيرة المبرور فكنتُ به كالصائم راى الهلال، * والحائم عايَنَ[c] الماء الزُلال،، عِلْقٌ ليس يوازيه عِلْقٌ، وسحر لكنّه حلال نِلْقٌ،، ونشم لذكر الشاعىّ شاوٍ، وصنعة لم يَرَها ولم يَرْوِها راءٍ ولا راوٍ،، رمتْ ابنَ الروميّ بالخمول، وبشرت اسم بَشّار من الفحول،، وحكمت بابن النَمَرى فى دَمرة الهوان مُدْرَج، والسَرِىّ عن سراوة الاحسان مُخْرَج،، فاما النثر فصهيل لا يجاوبه الرُغاء، وطراز لا يُحْسنه البُلغاء،، ونقد تزيّف معه النقود، ومدى تنقطع دونه الضُمّر القُود،، غادرَ الصابى وصَباه غير ذات هبوب، والصاحب وهو من العجز مع شرّ مصحوب،، والميكالى وميكاله مرفوض، والحريرى وحريره فى سوق الكساد معروض،، فاما بحر رئيس أرّجان، فقد استخرج منه اللولوَّ والمرجان،، وابقاه فى ضحضاح، بل تركه يمشى بادرج[d] ضاحٍ،، فمن ذا يجارى فارسَ الصفّين، وامام الصنفين،، ابلغ من خطّ بقلم، واشهرَ من نار على علم،، وما ذا يقال فى انامل تطرّز بها الصُحُف، وخمائل تفخر بها الروضة الأُنُف،، واسم فى شرق البلاد وغربها ظاهر، ووسم بالكتابة والنجابة لم يكن لبنى وَهْب وآل

a) L. La. تاس, S. دماس (*sic*). On trouve dans tous les man. le mot روح placé avant الاله.
b) La. الكريم. c) La. والهائم راى. d) Ce mot est certainement altéré; il faut peut-être lire باجرع.

طاهر، فالزمان يانثر ما ينثر، ويُعْظِم ما ينظم، ولو ان الازمنة قبله عمرت المحاضر[a] بكل ناجم، ونشرت المقابر عن الصَّنَوْبَرى وكُشاجِم، وجاءت بالكُتّاب من كل جيل، والشعراء رعيلًا بعد رعيل، لطال هذا العصر بواحده آلافها، وانسى بخلفه اسلافها، انتهى، وكتب رحمه الى صاحبَيْن له فى معنى ما أَلْمَعْنا به آنفًا ما صورتُه

تحيّة منكما اتتْنى — طابتْ كما طاب مُرْسِلاهَا
ويا لها انكرتْ عهودا — قلبِىَ واللهِ ما سَلاهَا[b]
حللْتما فى البلاد ارضا — ريحُ صباها عنى سلاهَا
لم يَصْبُ قلبى الى رباها[c] — يوما ولم يسل فى سلاهَا

كتابى ايها الأَخَوان اللذان بودّهما اقول، وعن عهدهما لا احول، انزلكما الله نعم خير منزل، وجعلكما من النوائب والشوائب بمعزل، من رباط الفتح ولبّى[d] قدهما ملكتما رِقّه، وقلبى تعلّما وتعليما عرفتما صدقه، كيف حالُكما من سفر طويتما خبره، حين تجشّمتما غَرَرَه، وكيف سَخَتْ نفوسكما بامّ الحصون، وذات الظلال والعيون، تربة الآبا، ومنزل الجُمَحيّين النُجبا، حتى صرمتما حبلها، وهجرتما حَزْنها وسهلها، وخُضتُما غُبْرَة الفجاج، وخُضْرَ الامواج، ما ذاك الا لتغلّب الحادث النُكْر، وتالّب المعشر الغُدُر[e]، ومن اجل الداهية النكّاد، والحادثة الشنيعة على البلاد، ازعجتْكم حين ازعجتْنا، واخرجتْكم كما اخرجتْنا، ولوّحتْ بنا طوائحُها، واجتاحتْ ثمر شجرنا جوائحُها، فشكرًا لله على قضائه، وتضرّعا فيما نرفعه من دعائه، وهنيئا لنا ولكم معشرَ الشرداء، المنطوين من الشَجَن على شرّ داء[g]، ذلك الحلول الذى انبه[f] اوتما، وفى ظلّه ثويتما، وعن رايه ترويان، وبسعيه تسعيان، فوجهه المبارك لا يعدم رائده نُجْحًا، ولا *يعدو لصبحه[h] اذا دجا ليلُ الهمّ صبحا، انتهى، وكان ابو المطرّف بن عَميرة المذكور كما قال فيه بعض علماء المغرب قدوة البلغا، وعمدة العلما، وصدر الجلّة الفضلا، وهو احمد بن عبد الله بن عميرة المخزومى ونكتة البلاغة التى احرزها واودعها، وشمسها التى اخفتْ ثواقبَ كواكبها حين ابدعها.

a) S. المحاضر, G. L. المخاص. b) La. سواها Je dois avouer que je ne comprends pas ces deux derniers vers. c) G. P. L. S. وقلبى. d) G. L. La. غير. e) G. P. L. انعذر, S. انعدر. f) La. ابها. g) G. P. L. انداء, S. انشر انداء. h) Ces deux mots me paraissent altérés: La. بغدوا, S. بعد.

مُبْدِع البدائع التى لم يَحظَ بها قبله انسان، ولا ينطق عن تلاوتها لسان، ان كان ينطق عن قريحة صحيحة، وروية بدر العلم فصيحة، ذلَّلتْ له صعبَ الكلام، وصدَّقتْ روياه حين وضع سيّدُ المرسلين صلّعم وهو الذى أُوتِىَ a جوامعَ الكَلِم b فى يديه الاقلامَ، واصل سلفه من جزيرة شُقْر ووُلِد بمدينة بلنسية وروى عن ابى الخطّاب بن واجب وابى الربيع بن سالم وابن نوح والشَلَوْبِينى وابن عات وابن حوط الله وغيرهم من الحُفّاظ واجازه من اهل المشرق جماعةٌ وكان شديد العناية بشان الرواية فاكثر من سماع الحديث واخذه عن مشايخ اهله ثم تفنّن فى العلوم ونظر فى المعقولات واصول الفقه ومال الى الادب فبرع براعةً عُدَّ فيها من مُجيدى النظم فاما الكتابة فهو فارسها الذى لا يُجارَى، وصاحب عينها الذى لا يُبارَى، وله وعظ على طريقة ابن الجَوْزى ورسائل خاطب بها الملوك وغيرهم من الموحّدين والحَفْصيّين وله تاليف فى كائنة ميورقة وتغلّب الروم عليها * نحا فى c الخبر عنها مَنْحَى الامام الاصبهانى فى الفتح القُدْسى وله كتاب تعقّب فيه على الفخر الرازى فى كتاب المعالم وله كتاب ردّ به على كمال الدين الانصارى فى كتابه المسمّى بالتبيان، فى علم البيان، المطّلع على أعجاز القرآن، وسمّاه بالتنبيهات، على ما فى التبيان d من التمويهات، وله اختصار نبيل e من تاريخ ابن صاحب الصلاة وغير ذلك ورد رحمه حضرة الامامة مراكش صحبةَ f امير المومنين الرشيد حين قفوله من مدينة سلا واستكتبه مدّةً يسيرة ثم صرفه عن الكتابة وقلّده قضاء هيلانة ثم نقله الى قضاء سلا ثم نقله السعيد الى قضاء مكناسة الزيتون ثم قصد سبتة وأُخذ ماله فى قافلة فى فتنة بنى مرين ثم توجّه الى بلاد افريقية ووصف حاله فى رسالة خاطب بها ابن السلطان ابى زكرياء الحفصى وهو ابو زكرياء بن السلطان ابى زكرياء وكان صاحب بجاية لابيه ولم يزل رحمه مذ فارَق الاندلس متطلّعا لسكنى افريقية معمورَ القلب بسكناها ولما قدم تونس مال الى صحبة الصالحين والزُهّاد واهل الخير برهةً من الزمان ثم استُقضى بالأُربس g من افريقية ثم بقابس مدّةً طويلة ثم استدعاه امير المومنين المستنصر بالله الحفصى واحضره مجالسَ انسه وداخَلَه مداخلةً شديدة حتى يغلب h على اكثر امره ومولده بجزائر شقر فى شهر رمضان المعظّم سنة ٥٨٠ وتوفّى ليلة الجمعة الموفّية عشرين من

a) La. اولى. — b) G. P. S. الكلام. c) G. S. La. بخافى. d) G. S. L. البيان. e) La. نبيه. f) La. على. g) S. بالاربس, G. P. L. بالاندلس. h) S. La. تغلب.

ذى الحجة سنة ٦٥٨ الحقه الله رضوانه، وجدّد عليه غفرانه، وقال ابن الابّار فى تحفة القادم فى حقّ ابى المطرّف المذكور فائدةُ هذه المائة، والواحد يَفى بالفئة، الذى اعترف بانّحاده الجميعُ، واتّصف بالابداع فما ذا يتّصف به البديع، ومعاذ الله ان احاسبه[a] بالتقديم، لما له من حقّ التعليم، كيف وسَبْقه الاشهر، ونُطْقه الياقوت والجوهر، تحلّتْ به الصحائف والمهارق، وما تخلّتْ عنه المغارب والمشارق، فحسبى ان اجهد فى اوصافه، ثم اشهد بعدم انْصافه، هذا على تناوُل الخصوص والعموم لذكره، وتناوُب المنثور والمنظوم على شكره، ثمّ اورد له جملة منها قوله

وأَجَلْتُ فكرى فى وشاحك فانثنى شوقا اليك يجول فى جوّال

انصفتَ غصن البان اذ لم تَدْعُه لتتناوُده[b] مع عطفك المَبْسل

ورحمتَ درّ العقد حين وضعتَه متواريًا عن ثغرك المتلالى

كيف اللقاء وفعل وعدك سيئه ابدًا تخلّصه للاَسْتقبال

وكُماةُ قومك نارُهم ووقيدُها للطارقين اسنّة وعوالى

وله ممّا يكتب على قوس قوله[c]

ما اسّاد معتقل الفتى الّا لان يحكى تأثُّرَ قامتى العوجاء

تحنو الضلوع على القلوب واننى ضلعٌ نوى فيها باعضل داء

وله وقد اهدى وردا

خُذْها اليك ابا عبد الاله فقد جاءتك مثل خدود زانها الخفَر

اتتْك تحكى سجايا منك قدْ عذبتْ لكن تغيّر هذا دونه الغِيَر

ان شِمْتَ منها بروق الغيث لامعةً فسوف يأتيك من ماء لها مَطَر

قال وكتب الىّ مع تحفة اهداها مكافيًا عن مثلها

يا واحد الادب الذى قد زانه بمناقب جعلته فارسَ مِقْنَبِهْ

بالفضل فى الهِبَة ابتدأتَ فان تُعِزْ شرفَ القبول لما وهبتُ ختمتَ به

قال وله ارتجالا بقصر الامارة من بلنسية وانا حاضر فى صبيحة بعض الجمع وقد

a) G. P. L. احاسبه. b) G. P. La. لتناود, L. لتناود. c) Je dois laisser au lecteur le soin de corriger ces vers. Voici toutes les variantes des man.: vs. 1. L. ما ساد, S. اتساد (*sic*), P. انسد (*sic*), La. اناد ; La. انغتى, S. انغسى, vs. 2. P. S. La. تحنو القلوب على الضلوع ; La. فعضل.

حُجِمَ صاحب لنا من اهل النظم والنثر واحسن الى الحَجّام المخصوص

ارى من جاء بالمُوسَى مواسًى[a] وراحةُ ذى القريض تعود صِفْرَا
فهذا مُحْقِق ان قصّ شَعْرا وهذا منحجِ ان قصّ شِعْرا

* وله ايضاه هو ما علمتَ من الامير فما الذى تزداد منه وفيه لا ترتابُ
لا تتّقى الاجنادُ فى ايامه فقرًا ولا يرجو الغنى الكُتّابُ

وله بعد انفصاله من بلنسية عن وحشة فى ذى القعدة سنة ٦٢٨

اسيرُ بارجاء الرجاء وانما حديثُ طريقى طارقُ الحدثانِ
واحصره[c] نفسى ان تقدّمتُ خيفةً لغض عنان او لعضّ زمانِ
أَيَتْرك حظّى للحضيض وقد سرى لامْكانه فوق الذُرَى جبلانِ
واخبط فى ليل الحوادث بعد ما اضاء لعينى منهما القمرانِ
٥ فيحيى لآمالى حياة مُعادة وانّ عزيزا عزّة لمكانى
وقالوا اقترِحْ انّ الامانى منهما وان كُنّ فوق النجم تحت ضمانِ
فقلتُ اذا ناجاهما بقضيّتى ضميرى لم احفل بشرح لسانى

وله ايضا سلب الكرى من مقلتىّ فلم يجى منه على ناى خيالٌ يطرقُ
اهفو ارتياحًا للنسيم اذا سرى انّ الغريق بما يرى يتعلّقُ

انتهى ما لُخّص من تحفة القادم فى ذكر ابن عميرة ابى المطرّف، ومما كتب به ابو المطرّف رحمه وفى اثنائه اشارة الى الكُفّار الغالبين على بلاد الاندلس ما نصّه

ألّا انّ شخصَيْنا على القطع واحدُ وجاحدُ هذا للضرورة جاحدُ
فان لم تصدّق ما نطقتُ بصدقه فانك لى لاحٍ وللودّ لاحدُ

ومعاذ الله عز وجل ان تلحانى، او تمنع انفك[d] ريحَ ريحانى،، وكيف تصدّ عنّى بوجهك، او تشحذ لى غربَ نجهك،، وانا على غيبك امين[e]، ولشمالك يمين،، ولكم دعوتَ بى فاجبتُ، واستغنيتَ عنّى فحجبتَ،، واردتَّ الاستبداد فما استطعتَ، ونعتَّ الوداد فما احسنتَ النعتَ،، وانما تُحمد فراهة الأَعْوَجىّ ان جرى، وتُذكر فضيلة ابن السرىّ اذا سرا،، فاما الاقتصار على عظم بادّ، والانتظار لعين عدمت السواد،، فخطأٌ من القائل، وخطلٌ عند العاقل،، ولله درّ اخيك من مغمّض طرف التطرّف،

a) L. مواسٍ. b) L. فاجبته. c) La. واحصرت. d) S. ajoute شم, La. من. e) La. بامين.

تبارى ادبُ الصحبة[a] على [illegible] الاجوف،، كرع فى اعزّ موردٍ وتواضع عن شرف مولد،، وسما بنفسه عن ان يستخفّه نسب يرفعه، وحسبٌ مما منّا احد يدفعه،، وكذلك الكرام يرون عليهم حقّا، ويتوقّوْن من لم يكن من الكبر موقّى،، ولعهدى به وظلّ الثروة يطرد، وشيطان الشبيبة مارد،، وبشرُه فى المُلِمّات برقٌ، وقدمُه الى الحاجات تخفّ،، يصون عِرْضَه بماله، ويخفى صَدَقَةَ يمينه عن شماله،، ويقسم جسمه فى جسوم، ويقوم بالحقوق غير مَلُول ولا ملوم،، تلك المكارم لا قعبان[b]، وما تستوى البدنةُ المهيصة مع غيرها فى القربان،، وعرضتُ بذكر العصر الخالى، والعصرِ العالى،، وظلّ من فَنَن وريق، وعيش مع اكرم فريق،، وما تذكر من زمن تولّى، وعهد على ان لا يعود تألّى،، فارَقْناه احسنَ ما كان، وودّعنا به الاطيبَيْن الزمان والمكان،، فعفت الرسوم، وأَفِلَتْ تلك النجوم، ورمتْنا عن قوسها الروم،، ثم خلفتْنا فى المغانى، وقسمتْنا بين الاسير والعانى،، فأَوْدَى القُلُّ والكُثْر، واشتفى[c] من الاسلام الكُفْر،، فكم كاسِ انس أَرَقْناه، ومنزل فرقةَ الابد فارَقْناه،، وذكرتَ اجتيازك بين العلمَيْن، وقطعك متن اليمّ فى يومين،، وانك انتقلتَ من ذوات الالواح، الى عذبات الادواح،، ومن متهافت الشراع، الى منابت اليراع،، ومن سكنى بيت السُكّان، الى منزل فيه[d] الفَلّاح والمَلّاح يشتركان،، حيث اجتمع الضبّ والنون، واينع التين والزيتون،، وظلّلت الساحات، وذُلّلت الثمار المباحات،، فلا تشرقْنا يا أُصَيْل، ولامّ تلك الارض الوبل،، انتهى ووصل هذا الكلام بالابيات التى تقدّمت قريبا وهى قوله زدنا على النائين عن[e] اوطانهم الخ، وكتب رحّه عن اهل شاطبة ايامَ كان قاضيا بها مهنّيًا اميرَ المسلمين ابن هود المستولى على الاندلس آخرَ دولة الموحّدين بوصول الكتاب العباسى الكريم اليه من بغداد بولاية الاندلس اذ كان ابن هود حين ثار على الموحّدين يدعو الى الخليفة العباسى الذى كان اكثر الملوك فى ذلك الزمان يدينون بطاعته بما نصُّه بعد الصدر امّا بعدُ فكتب العبيد كتب الله تع للمقام العلىّ المجاهدىّ المتوكّلىّ سعادةً لا تبلغ امدًا الّا تخطّتْه، وبدًا علوُّها ابتنْه ايدى الاقدار وخطّتْه،، من شاطبة وبركات الامر المجاهدىّ المتوكّلىّ، والعهد الواثقىّ المعتصمىّ، تنسكب كالمطر، وتنسحب على

---

a) S. ادبا لصحبة , G. L. ادبا لصحته. b) Ce قعبان, qui est sans doute altéré, se trouve dans G. P. L.; La. فعبان , S. تغبان. c) La. واستشفى. d) G. S. L. به. e) Les man. portent فى.

البشر، وتقضى بعادة النصر والظفر، وسعادة الورد والصدر، والحمد لله وعند العبيد من اداء فروض الخِدَم، والقيام بحقوق النِعَم، ما عقدتْ عليه ضمائرُهم، وسَمَتْ اليه نواظرُهم، واشترك فيه باديهم وحاضرهم، فجنابُ املهم فسيح، وتَجْرُ خدمتهم ربيح، وحديث طاعتهم حسن صحيح، وبسَنَى النظر العلىّ اهتداؤهم، وفى الباب الكريم رجاؤهم، وبصدق العبوديّة اعتزازهم واليها اعتزاؤهم، والله تعـ يُنْهِضهم بوظائف المثابة العليّة، ويحملهم على المناهج السويّة، ووصل الكتاب الكريم متحلّيا برُواء الحق، ناطقا بلسان الصدق، واصفا من التشريف والفخار المنيف ما صدر عن امام الخلق، فلا بيان اعجب من ذلك البيان، ولا يوم كذلك اليوم تبدّى نظرُه للعيان، او تأدّى خبرُه فى اخبار الزمان، نُثرتْ فيه الخِلَعُ العباسيّة فى اعلى الصُوَر، وبرز منها للعيون ما يعثر البليغُ عند وصفه فى ذيل الحَصَر، ويهدى سواده سواد القلب والبَصَر، فيا لمشهدها ما اعجب ما كان، ومرآها الذى راع الكفر وراق الايمان، وأشْبَهَ يومه بالاندلس يومَ خرجت الراياتُ السُود من خراسان، وكفى بهذا فخارا لا يحتاج ثابتُه مُثْبِتا، ان باشرت بردا باشَرَ البدن الذى طاب حيًّا وميّتا، فهو علوٌ فى الاسناد ولا نظير له فى العوالى، وفخار ضلّت عن مثله العصورُ الخوالى، وجلّت بهجتُه ان تُخْلِق جدّتَها الايامُ والليالى، ودلَّ الكتاب العزيز على التسمية المشتقّة من الجهاد، والسِمَة من سيف امير المومنين بما لا يدخل فى جنس ذوات الاغماد، وخير الاوصاف ما صدّقه الموصوف، وللكريم النسب نسبة يَبْأَه[a] بها الدينُ وتُزْهَى السيوف،

فان نحن سمّيناك خِلْنا سيوفَنا   من التيه فى اغمادها تتبسّمُ

وممّا افاده الكتاب المبهج بطيب انبائه، نصُّ علامة سيّدنا صلوات الله عليه وعلى آبائه، فانها تضمّنت صفة لله عز وجل من صفات الكمال، ودلّت على مذهب اهل السنّة فى خلق الله عز وجل الاعمال، واشعرتْنا معشرَ العبيد بعناية سبقتْ بالمقام المجاهدىّ المتوكّلىّ احسن الله تعـ اليه، حين تولّى خلافة امير المومنين صلوات الله عليه، فانه لما شايَعَه بعزيمة مساعدة، ونيّة فى مشرع الصفاء والاخْلاص واردة، أُلْهِمَ زيادة فى العلامة، شاركت الامامة فى صفة واحدة فهذه كرامة[b] فى العلامة، هى علامة الكرامة، وهِبَة من مواهب الكشف يَجِدها من امتثل قوله فاستقِمْ كما أُمِرْتَ

a) G. يبأاء, L. يبأه, S. La. يباهى. b) S. La. صنعة.

فكان من اهل الاستقامة»، وتضمّن الكتاب الكريم بيعةَ اهل جيّان وما معها، وان هذه البشائر وما تبعها»، لَفروعٌ عن هذا الاصل الصحيح، وأَقْيِسَةٌ عن هذا النصّ الصريح»، بادلّة الخلاف قد استقلّتْ، وشبهة الخلاف قد بطلتْ واضمحلّتْ»، والحمد لله على ان منح جزيل النعما، وشرح باليقين صدورَ الاوليا»، وشرّف هذه الامّة بامامة تنجل الائمّة الخلفا، وابن عمّ سيّد الرسل وخاتم الانبيا»، والعبيد يهنّئون بهذه النِعَم، التى لا يستقلّ بذكرها قلم، ولا يُقطع عَلَم من وصفها الّا بدا عَلَم»، وبهم من الاشواق الى مشاهدة المعالم السنيّة، ولثم اليمين الطاهرة العليّة»، ما اكّده دنوُّ الدار، وجدّده ما تجدّد للمقام العلىّ المتوكّلىّ من نِعَم الله تعَ الجليلة المقدار، والشاهدة له باسْعاد الايام واسْعاف الاقدار»، فلو امكنهم الاقْدام لأَقْدموا، ولو وجدوا رخصة فى المسير لعزموا، وهم يستلمون البساط الاشرفىّ توهُّما ومن املهم انهم فى الحقيقة قد استلموا». انتهى وبه تعلّم ان الدولة العباسيّة خُطب لها ببلاد الاندلس اعادها الله للاسلام، ولا يخفاك ان ما جلبناه من ذلك وغيره مناسبٌ للمقام، فلا انتقاد ولا ملام»، وقد رايتُ ان اذكر هنا مخاطبة صدرتْ من الغنىّ بالله صاحب الاندلس الى السلطان المنصور احمد بن السلطان الناصر محمد بن قلاوون من انشاء الوزير الكبير لسان الدين بن الخطيب رحمه لما اشتملت عليه من احوال الاندلس ونصُّها الابواب التى تفتح لنصرها ابواب السما، وتستدرّ من آفقها سحاب النعما، وتجلّى بانوار سعدها دياجى الظلما، وتعرّف نكرة البلاد والعباد بالانتساب الى محبّتها والانتما، على اختلاف العروض وتبايُن الحدود وتعدُّد الاسما، وتجتزأُ من صِلات صَلاتها، عند الموانع من كمال حالات سعدنه، بلايما، وتحمل لها النحيّة ذواتُ الدُسْر والالواح، طاعنة نحر الصباح، على نند انه»، ابواب السلطان الكبير، الجليل الشهير»، الطاهر، الظاهر»، الاوحد الاسعد، الاصعد الامجد»، الاعلى العادل، العالم الفاضل الكامل»، سلطان الاسلام والمسلمين، عمد الدنيا والدين، رافع ظلال العدل على العالمين»، جمال الاسلام، علم الاعلام، فخر الليالى والايام»، ملك البرّين والبحرين، امام الحرمين»، مؤمّل الامصار والاقطار، عاصب تاج الفخار، هازم الفرنج والترك والتتار»، الملك المنصور ابن الامير الرفيع الجادة، الكريم الولاده»، الطاهر، الظاهر»، الكبير، الشهير»، المعظّم الممجّد الاسمى،

a) Voyez le *Koran*, sour. II, vs. 114. b) G. L. بامة. c) La. مومن. d) La. الملك.

الموقّر الاعلى،، فاخر الجلّة، سيف الملّة،، تاج الامارة عزّ الاسلام، مستظلّ الانام،، قمر الميدان، اسد الحرب العوان،، المقدّس المطهّر الامير احمد ابن والد السلاطين، ومالك المسلمين، وسيف خلافة الله على *العالمين، وولىّ المومنين،، سلطان الجهاد والحجّ، ومقيم رسم العجّ والثجّ،، محيى معالم الدين، قامع المعتدين، قاهر الخوارج والمتمرّدين،، ناصر السنّة محيى الملّة ملك البرّين والبحرين، سلطان الحرمين،، الملك العادل، العالم العامل،، المنصور المؤيّد المُعان المرقّع المعظّم المبجّل المؤمّل، المجاهد المرابط الغازى الممجّد المكمّل،، المطهّر الكبير الشهير المقدّس الملك الناصر ابى عبد الله محمد بن قلاوون الصالحىّ جعل الله فسطاط دعوته معمودا بعمود الصلح a، وحركاتِ عزمه مبنيّةً على الفتح، ومُجْمَلَ سعادته غنيًّا عن الشرح، وجيادَ اوصافه متباريةً فى ميدان المدح، وزنادَ آرائه b واريةً على القدح،، من مُوجِب حقّه وجوبَ الشعائر الخمس، المرحّب لاجل افقه الشرقى c بوفادة الشمس، المجدّد فى اليوم حكمَ ما تقرّر بين السلف رحمهم بالامس،، امير المسلمين بالاندلس عبد الله الغنىّ بالله الغالب به محمد بن يوسف بن اسمعيل بن فرج بن نصر سلامٌ كريم كما زحفتْ راياتُ d الصبح تقدمها طلائعُ مبشّرات الرياح، يفاوح ارجُه زهرَه e الادواح، ويحاسن طُرَرَ الوجوه المِلاحf،، يخصّ ابوّتكم التى رتّب العزّ فصولَها، وعضدتْ نصوصُ النصر نصولَها،، ورحمة الله وبركاته امّا بعد حمد الله الذى جعله فاتحةَ القرآن، وخاتمةَ دعاء اهل الجنان، وشكره على ما أَوْلَى من مواهب الاحسان، حمدا وشكرا يستخدمان من الانسان، ملكتَىِ القلب واللسان، والصلاة على سيّدنا ومولانا محمد رسوله زهرة كمامة الاكوان، وسيّد ولد آدم على اختلاف اللغات والالوان، * الذى اذلّ بعزّة الله انوفَ الطغيان g، وغطّى بدينه الحقّ على الاديان، وزويت له الارض فراى ملك امّته يبلغ ما زُوِى له فكان الخبر وَفْقَ العيان، والرضى عمّن له من الاصحاب والاحباب والاعمام والاخوال والاخوان، صلاةً يجدّدها الجديدانِ، ويملّيها الملوانِ، وتتزاحم على تربته المقدّسة مع الاحيان، ما سجعتْ طيورُ h البراعة من اعواد اليراعة على الافنان، والتفتتْ عيونُ المعانى ما بين اجفان البيان، والدعاء لابوابكم الشريفة جعل الله

a) G. S. L. P. الصبح. b) G. L. La. رابه. c) Les man. portent الشرقية. d) S. La. راية, P. رائدة. e) Les man. portent زهير. f) La. الصباح. g) S. الذى بعزة الله ارغم, La. الذى اذل بعزة الله نفوس اهل الطغيان, انوف الطغيان. h) La. ajoute و البلاغة.

مسند تقيم بها وظيفتى الحجابة والاستيذان، وضرب بدعوتها التى هى لذة الاقامة والآذان على الآذان، واستخدم a بروج الفلك الدوّار فى امرها العزيز الانصار والاعوان، حتى يعلم ما فى المدافعة عن حماها مخالبَ السِرْحان وفى الاشادة b بعدلها كفّتى الميزان، ويهدى لها من الزُهَرة كُرَة الميدان، ومن الهلال عوضَ الصولجان، وابقى فى عواملها ضميرَ الامرِ والشان، الى يومٍ تعنو وجوهُ الملوك الى الملك الدّيّان،، فانّا كتبناه الى تلك الابواب كتب الله لعتبتها النصرةَ الداخلة، كما اخجل بمكارمها السحبَ الباخلة،، وجعل مفارقَ مناصلها المختضبةِ من نجيع عِداها غير الناصلة، وقرن بكل سبب من اضدادها فاصلة،، من دار ملك الاسلام بالاندلس حمراء غرناطة وصل الله سبحانه عادة انذفاع عن ارجائها، وشدّ بايدى اليقين عُرَى املها فى الله ورجائها،، حيث المُصاف المعقود، وثمن النفوس المنقود، ونار الحرب ذات الوقود،، حيث الافق قد تردّى بالقتام وتعمّم، والسيف قد تجرّد وتيمّم، وغبار الجهاد يقول انا الامان من دخان جهنّم،، حيث الاسلام من عدوّه كالشامة من جلد البعير، والثمرة من أوسُق البعير،، حيث المصارع تتزاحَم الحُورُ على شهدائها، والأبْطال يعلو بالتكبير مستمع c ندائها، حيث الوجوه الضاحكة المستبشرة قد زيّنتْها الكلومُ بدمائها،، وان هذا القطر الذى مُهِّدتْ لسياستنا d اكوارُ مطاياه، وجُعلتْ بيدنا والمنّةُ لله غياثُ e عطاياه،، قطر مستقلّ بنفسه، مُرْبٍ يومُه فى البرّ على امسه،، زكىّ المنابت عذب المشارب، متمم المآمل مكمّل المآرب،، فاره الحيوان، معتدل السَحَن والالوان،، وسيطة فى الاقاليم السبعة، شاهدة لله باحكام الصنعة،، اما خيله ففارهة، والى الركض شارهة، واما سيوفه فلمواطن الغمود كارهة،، واما اسله فمتداركة الخطف، واما عوامله فبيّنة الحذف، واما نباله فمحذورة القذف،، الا ان الاسلام به فى سَفَط مع الحيّات، وذريعة للمنيّات الوحيّات.. وهدف f للنبال، واكلة g للشبال h.. تتناوبهم الغارات المتعاقبة، وتتخطّفهم الحدودُ المصقبة، وتجوس خلالهم العيونُ المراقبة، وتربّب من اشكال مختتنهم الا ان يتفضّل الله بالعاقبة،، فليس الا الصبر، والضرب والنبر، والهمز والنبر i، والمقابلة والجبر.. وقد حال البحر بينهم وبين اخوان ملّتهم، وأُساة علّتهم.. يعومون بهذا الغرض، عن

a) La. استخرج. b) S. الاشارة. c) G. P. L. La. مسمع. d) L. بسياستنا. e) G. L. P. غيث. f) Les man. portent وعدنا. g) G. S. P. L. للسبل. h) La. ajoute بحسن. i) G. L. La. P. والنبز.

اهل الارض، ويقرضونه ملك يوم العرض، احسنَ القرض،، فلو لا بُعْدُ المدى، وغُول الردى، ولغط العدى، وما عَدا عمّا بدا،، لسمعتم تكبير الحملات، وزئير تلك الفلات،، ودويّ الحوافر، وصليل السيوف من فوق المغافر،، وصراخ الثكالى، وارتفاع الادعية الى الله تعالى،، ولو ارتفع نبذه[a] المكان، وهو للاولياء مثلكم من حيّزة الامْكان، لمقلتم مُقَلَ الاسنّة الزُرْق، حالّةً منْ[b] اطراف قُضُب الرماح محالّ الوَرْق، وابصرتم[c] القناء الخطّار قد عاد[d] اخلّةً، والسيوف قد صارت فوق بدور الخُدود اهلّةً، وعقود الشهادة. عند قاضي السعادة. مستقلّة،، وكان كما تحصره علومُكم الشريفة حدقَ سُور الفتح، وآخر دلاء تلك المنح،، عُرِض على الفاروق فاحتاط، وأُغرى به مَنْ بعده فاشتاط،، وسُرّحت خيل ابن ابى سَرْح، فى خبر يدعو الى شرح،، حتى اذا ولدْ مروان تقلّدوا كرتها التى هوتْ، وخصموا ما انصاحتْ وَرَثَةُ الحقّ وشوتْ. ويدُهم على الامر احتوتْ، وفازت منه بما نوتْ،، نفل ولائدَه الوليد، وجُلب له الطريفُ والتليد،، وطرقت خيلُ طارق، وضاقت عن اخباره المهارق،، وجلّت الفائدة، وظهر على الذخيرة التى منها المائدة،، ثم استرسل المَهَبّ، ونصر الربّ، ويكثر الطير حيث يُنثر الحَبّ،، وصرفت اشرافُ الشام اعنّتَها الى التماس خيره، وطارت باجنحة العزائم تيمُّنا بطيره، وقصدتْه الطلائع صحبةَ بلج بن بشر وغيره،، فُفتحت الاقفال، ونُفلت الانفال، ونجحَ الفال، ووُسمت الاغفال،، وافتُتحت البلاد الشهيرة، وانتُقيت[e] العذارى الخِيرة، واقتُنيت الذخيرة،، وتجاوز الاسلام الدروبَ وتخطّى، وخضد الارطى، واركب وامطى، واستوثق واستوطى، وتشاءب[f] وتمطّى،، حتى تعدّدت مراحل البريد، وسخنت عين الشيطان المَريد،، واستوسق[g] للاسلام ملك ضخم السرادق، مرهوب البوارق،، رفيع العَمَد، بعيد الأَمَد،، تشهد بذلك الآثار والاخبار، والوقائع الكبار، والاوراق والاسطار، وهل يخفى النهار،، ولكل هبوب ركود، والدهر حَسُود، لمن يسود،، فراجعت الفرنج كرّتَها، واستدركت معرّتَها، فدوّحت جوارحُها وحلّقتْ، وومضت بوارقُها وتألّقتْ، وتشبّثت وتعلّقتْ، وارسلت الاعنّة واطلقت، وراجعت العقائل التى طُلّقت،، حتى لم يبق من الكتاب الا الحاشية، ولا من الليل الا الناشئة، وسقطت الغاشية، واخلدت الفئة المتلاشية،

a) Ce mot me paraît altéré. La. نبذ, L. بند. b) P. La. خير. c) G. S. P. المقنا. d) La. قد عاد خله, L. قد عادى خله. e) G. L. La. وانتقبت. f) S. La. وتشاوب. g) S. La. واستوثق.

وتقلّصت الظلال الغاشية، الا ان الله تدارك بقوم رَجّح من سلفنا التجوا فى مستنقع الموت، اقدامهم، واخلصوا لله باسهم واقدامهم، ووصلوا سيوفهم الباترة[b] بخطاهم، واعطاهم منشور العزّ من اعطافهم، حتى تعيّن الدين وتحيّز، واشتهر بالمدافعة وتميّز، وعادت الحروب[a] سجالا، وعلم الروم ان لله رجالا، وقد اوفد جدّنا رضه على ابواب سلفكم من فلتته فى العدوّ كلّ مبشّرة، ووجوديّة منتشرة، ضحكت لها ثغور الثغور، وسرّت بها فى الاعطاف حميّا السرور، وكانت المراجعة عنها شفاء للصدور، وتمائم فى الذور[c]، وخفرا فى وجوه البدور، فان ذمام الإسلام موصول، وفروعه تجمعها فى الله اصول، وما اقرب الحزن ممّن داره ضول، والملّة والمنّة لله واحدة، والنفوس لا منكرة للحقّ ولا جاحدة، والاقدار معروفة، والآمال الى ما يوصل الى الله مصروفة، فاذا لم يمكن الاستدعاء امكن الدعاء، والخواطر فعّالة، والكل على الله عالة، والدين غريب والغريب يحنّ الى اهله، والمرء كثير باخيه على بعد محلّه، انتهى المقصود من المخاطبة ممّا يتعلّق بهذا الباب، والله سبحانه وتعالى الموقّق للصواب، واليه المرجع والمآب،

a) La. الحرب. b) La. البارقة. c) La. من دور النحور (sic).

الباب الثالث

. فى سرد بعض ما كان للدين بالاندلس من العزّ السامى العماد، والقهر للعدوّ فى المرواح والغدوّ والتحرّك والهدوّ البالغ غاية الآماد، واعمال اهلها للجهاد بالجدّ والاجتهاد فى الجبال والوهاد الاسنّة a المُشْرَعة والسيوف المستلّة من الاغماد،

فاقول قد قدّمنا فى الباب قبل هذا ما كان من نصر المسلمين وفتحهم الاندلس وما حصل لهم من السلطان بها الى مجىء الداخل فتقرّرت القواعد السلطانيّة، وعلت الكلمة الايمانيّة، كما نسرده هنا ان شاء الله تعـ وذكر غير واحد منهم ابن حزم ان دولة بنى اميّة بالاندلس كانت انبل دُوَل الاسلام وانكاها فى العدوّ وقد بلغت من العزّ والنصر ما لا مزيد عليه كما سترى بعضه واصل هذه الدولة كما قال ابن خلدون وغير واحد ان بنى اميّة لما نزل بهم بالمشرق ما نزل وغلبهم بنو العباس على الخلافة وازالوهم عن كرسيّها وقتل عبدُ الله بن على مروانَ بن محمد بن مروان ابن الحكم آخر خلفائهم سنة ١٣٢ وتتبّع بنى مروان بالقتل فطلبوا بطن الارض من بعد ظهرها وكان ممّن أفْلَتَ منهم عبد الرحمن بن معوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وكان قومه يتحيّنون له ملكا بالمغرب ويرون فيه علامات لذلك يأثرونها عن مسلمة بن عبد الملك وكان هو قد سمعها منه مشافهةً فكان يحدّث نفسه بذلك فتخلص الى المغرب ونزل على اخواله نفزة من برابرة طرابُلُس وشعر به عبدُ الرحمن ابن حبيب وكان قد قتل ابنى الوليد b بن عبد الملك لما دخلا افريقية فلحق بمُغيلة وقيل بمكناسة وقيل بقوم من زناتة فاحسنوا قبوله واطمأنّ فيهم ثم لحق بمليلة وبعث بدرا مولاه الى من بالاندلس من موالى المروانيّين واشياعهم فاجتمع بهم وبثّوا له فى الاندلس دعوة ونشروا له ذكرا ووافق قدومُه ما كان من الاحن بين اليمنيّة والمضريّة فاصفقت اليمنيّة على امره لكون الامر كان ليوسف بن عبد الرحمن الفهرى وصاحبه الصُمَيْل ورجع بدر مولاه اليه بالخبر فاجاز البحر سنة ١٣٨ فى خلافة ابى

a) La. O. بالاسنة.   b) Les man. d'al-Makkarī ajoutent بن يزيد.

جعفر المنصور ونزل بساحل المنكّب واتاه قوم من اهل اشبيلية فبايعوه ثم انتقل الى كورة ريّة فبايعه عاملها[a] عيسى بن مساور ثم الى شذونة فبايعه عتّاب بن علقمة اللخمى ثم الى مَوْرُوْر فبايعه ابن الصبّاح ونهض الى قرطبة واجتمعت اليه اليمنيّة ونمى خبره الى والى الاندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهرى وكان غازيا بجلّيقية فانفضّ[b] عسكره ورجع الى قرطبة واشار عليه وزيره الصميل بن حاتم بالتلطّف له والمكر به[c] لكونه صغير السنّ حديث عهد بنعمة فلم يتمّ * ما اراده[d] وارتحل عبد الرحمن من المنكّب فاحتلّ بمالقة فبايعه جندها ثم بِرُنْدة *فبايعه جندها[e] ثم بشريش كذلك ثم باشبيلية فتوافتْ اليه جنودُ الامصار وتسايلت المصريّة اليه حتى اذا لم يبقَ مع يوسف ابن عبد الرحمن غير الفهريّة والقيسيّة لمكان الصميل منه زحف[f] حينئذ عبدُ الرحمن الداخل وناجزهم الحربَ بظاهر قرطبة فانكشف يوسف ونجا[g] الى غرناطة فتحصّن بها واتّبعه الامير عبد الرحمن فنازله ثم رغب اليه يوسف فى الصلح فعقد له على ان يسكن قرطبة واقفله معه ثم نقض يوسف عهده وخرج سنة ١٤١ ولحق بطليطلة واجتمع اليه زهاء ٢٠ الفا من البربر[h] وقدّم الامير عبد الرحمن للقائه عبدَ الملك بن عمر المروانى وكان وفد عليه من المشرق وكان ابوه عمر بن مروان بن الحكم فى كفالة اخيه عبد العزيز بن مروان بمصر فلما دخلت المسوّدة ارض مصر خرج عبد الملك يومّ الاندلس فى عشرة * رجال من قومه[i] مشهورين بالباس والنجدة حتى نزل على عبد الرحمن سنة ١٤٠ فعقد له على اشبيلية ولابنه عمر بن عبد الملك على مورور وسار يوسف اليهما وخرجا اليه ولقياه وتناجز الفريقان فكانت الدبرة[j] على يوسف وابعد المفرّ واغتاله بعض اصحابه بناحية طليطلة واحتزّ راسه وتقدّم به الى الامير عبد الرحمن فاستقام امره واستقرّ بقرطبة وثبت قدمه فى الملك وبنى المسجد الجامع والقصر بقرطبة وانفق فيه ٨٠ الف دينار ومات قبل تمامه وبنى مساجد ووفد عليه جماعة من اهل بيته من المشرق وكان يدعو للمنصور ثم قطع دعوته ومهّد الدولة بالاندلس واثّل بها الملك العظيم لبنى مروان والسلطان العزيز وجدّد ما طمس لهم بالمشرق من معالم

a) Les man. d'al-M. portent عامله. b) Ibn-Khaldoun P., al-Makk. La. فانقص, O. فانفض ; Ibn-Kh. L. فانهص. c) Ibn-Kh. L., al-Makk. S. La. O. والمكرمة. d) Ibn-Kh. L. P. له مراده, al-Makk. G. P. ما اراداه. e) Ces mots ne se trouvent que dans le man. P. d'Ibn-Kh. f) Les man. d'Ibn-Kh. ajoutent اليه. g) G. S. L. ولجا. h) Ibn-Kh. L. الاف من بنيه, P. رجال من بيته. i) Ibn-Kh. P. سنة ١٤٩. j) L. La. الدائرة, G. O. الدبيرة.

الخلافة وآثارها واستلحم الثُوّار علية على كثرتهم فى النواحى وقطع دعوة آل العبـاس من منابر الاندلس وسدّ المذاهب منهم دونها وهلك سنة ١٧٢ وكان يعرف بعبد الرحمن الداخل لانه اولُ داخـل من ملوك بنى مروان الى الاندلس وكان ابو جعفر المنصور يسمّيه صقر قُرَيْش*a* لما راى انه فعل بالاندلس*b* وما ركب اليهـا من الاخطـار وانه صمد*c* اليها من أنْأَى ديار المشرق. من غير عصابة ولا انصار فغلب اهلَها على امرهم. وتنـاول الملك من ايديهم بقوّة شكيمة ومضاء عزم حتى انقـاد له الامر وجرى على اختيـاره واورثه عقبه وكان يسمّى بـالامير وعليه جرى بنوه من بعده فلم يُدْعَ احد منهم بامير المومنين تأدُّبًا*d* مع الخلافة بمقرّ الاسلام ومنتدى العرب حتى كان من عقبه عبد الرحمن النـاصر وهو ثامن بنى اميّة بالاندلس فتسمّى بامير المومنين على ما سنذكره لما راى من ضعف خلفاء بنى العباس بعد الثلثمائة وغلبة الاعاجم عليهم وكونهم لم يتركوا لهم غير الاسم وتوارث التلقيب بـامير المومنين بنو عبـد الرحمن الناصر واحدا بعد واحده وكان لبنى عبد الرحمن الداخل بالعدوة الاندلسيّة ملك ضخم ودولة متّسعة اتّصلت الى ما بعد المائة الرابعة وعند ما شُغل المسلمون بعبد الرحمن وتمهيد امره قوى امرُ الجـلالقة واستفحل سلطـانهم وعمد فرويلة بن ادفونش ملكهم الى ثغور البلاد فاخرج المسلمين منهـا وملكها من ايديهم فملك مدينة لُك وبُرْتُقال وسَمُّورة وشَلَمَنْقة*f* وقَشْتالة وشَقُوبية وصارت للجلالقة حتى افتتحها المنصور بن ابى عامر آخرَ الدولة ثم استعادها بعده فيما استعادوا من بلاد الاندلس واستولوا على جميعهـا حسبما يُذكر ولله سبحـانه الامر انتهى، وخاطب عبد الرحمن قـارله ملك الافرنج وكان من طُغاة الافرنج بعد ان تمرّس به مدّةً فاصابه صُلْبَ المكسر تامّ الرجوليّة فمـال معه الى المداراة ودعـاه الى المصاهرة والسلم فاجـابه للسلم ولم تتمّ المصـاهرة، ....*g* القَى الداخل الاندلس ثغرا قاصيا غُفْلا، من حلية الملك عاطلا،، فارهف اهلها بالطاعة السلطانية، وحنّكهم بالسيرة الملوكيّة،، واخذهم بالآداب فاكسبهم عمّا قليل المروءة واقامهم على الطريقة وبدأ فدوّن الدواوين، ورفع الاواوين،، وفرض الاعطية،

---

a) Ibn-Kh. صقر بنى امية. *b*) La. et O. ajoutent ما فعل. *c*) La. O. نهد. *d*) Ibn-Kh. ادبا. *e*) Il y a ici dans les man. G. S. et P. d'al-Makk. un blanc qui n'existe pas dans ceux d'Ibn-Kh. Al-Makk. L. قال ابن سعيد, La. O. قال ابن حيان. *f*) Ce mot manque dans les man. d'al-M. *g*) On trouve cette lacune dans tous les man., à l'exception de La. et O. qui portent: قال ابن حيان.

وعقد الالوية، وجنّد الاجناد، ورفع العماد، واوثق الاوتاد، فاقام للملك آلته، واخذ للسلطان عُدّته، فاعترف له بذلك اكابرُ الملوك وحذروا جانبه وتحاموْا حوزته، ولم يلبث ان دانت له بلاد الاندلس *واستقرّ له الامر[a] فيها فلذلك ما ظلّ عدوّه ابو جعفر المنصور بصدق حسّه وبُعْد غوره وسعة احاطته يسترجح عبدَ الرحمن كثيرا ويعدله بنفسه ويكثر ذكره ويقول لا تعجبوا لامتداد امرنا مع طول مراسه وقوّة اسبابه فالشان فى امر فتى قريش الاحوذىّ الفذّ فى جميع شؤونه وعدمه لاهله ونشبه وتسلّيه عن جميع ذلك ببعد مرقى همّته ومضاء عزيمته حتى قذف نفسَه فى لُجَج المهالك لابتناء مجده فاقتحم جزيرةً شاسعةَ المحلّ نائيةَ الطمع عصبيّة[b] الجند ضرب بين جندها بخصوصية وقمع بعضهم ببعض بقوّة حيلته واستمال قلوبَ رعيّتها بقصد سياسته حتى انقاد له عَصيّهم، وذلّ له أَبيّهم، فاستوى فيها على اريكته ملكا على قتلته[c] فخرا لاعدائه حاميا لذماره مانعا لحوزته خالطا الرغبةَ اليه بالرهبة منه انّ ذلك لهو الفتى كل الفتى لا يكذب مادحُه، وجعل ابن حيان من النوادر العجيبة موافقةَ عبد الرحمن هذا لابى جعفر المنصور فى الرجوليّة والاستيلاء والصرامة والاجتراء على الكبائر والقساوة وان أُمّ كل واحد منهما بربريّة، وكان الداخل يقعد للعامّة ويسمع منهم وينظر بنفسه فيما بينهم ويتوصّل اليه من اراده من الناس فيصل الضعيف منهم الى رفع ظلامته اليه دون مشقّة وكان من عادته ان ياكل معه من اصحابه من ادرك وقتَ طعامه ومن وافق ذلك من طُلّاب الحوائج اليه اكل معه، وفى كتاب ابن خلدون انه كان اصهب خفيف العارضَين بوجهه خالٌ طويلَ القامة نحيف الجسم له ضفيرتان اعور اخشم والاخشم الذى لا يشمّ وكان يلقّب بصقر قُريش لكونه تغرّب وقطع البرّ والبحر واقام مُلكا قد أُدْبِرَ وحدَه، ولمّا ذكر الحجارى انه اعور قال ما انشد فيه الا قول آمْرِئِ القيس

لكن عُوَيْرٌ وفى بذمّته   لا عَوَرٌ شانَه ولا قِصَرُ

وقال ابن خلدون وفى سنة ٤٦ سار العلاء بن مغيث اليحْصُبى من افريقية الى الاندلس ونزل بباجة الاندلس داعيا لابى جعفر المنصور واجتمع اليه خلق[d] فسار عبد الرحمن

a) G. L. واستقل له بالامر. La. O. P. واستقل له الامر, S. واستقر الامر له. Il faut lire واستقل بالامر, ou bien واستقر له الامر, comme dans le texte. b) La. O. عصبيّة. c) La. D. هجبلته d) S. et La. ajoutent كثير.

اليه ولقيه بنواحى اشبيلية فقاتله ايامًا ثم انهزم العلاء وقُتل فى ٧ آلاف من اصحابه وبعث عبد الرحمن برؤوس كثير منهم الى القيروان ومكّة فأُلقيت فى اسواقهماء سرًّا ومعها اللواء الأسود وكتاب المنصور للعلاء فارتاع المنصور لذلك وقال ما هذا الا شيطان والحمد لله الذى جعل بيننا وبينه البحر او كلاما هذا معناه وقد مرّ ذلك، وكثرت ثورة رؤساء العرب بالاندلس على عبد الرحمن الداخل ونافسوه ملكه ولقى منهم خطوبا عظيمة وكانت العاقبة له واستراب فى آخر امره بالعرب لكثرة مَنْ قامَ عليه منهم فرجع الى اصطناع القبائل من سواهم واتّخاذ الموالى ثم غزا بلاد الافرنج والبشكنش ومَنْ وراءهم ورجع بالظفر وكان فى نيّته ان يجدّد دولة بنى مروان بالمشرق فمات دون ذلك الامل وكانت مدّة ملكه ٣٣ سنة واربعة اشهر اذ دخل الاندلس سنة ١٣٨ ومات سنة ١٧٢ وقيل ١٧١ فى خلافة الرشيد وأمّه ام ولد بربرية اسمها راح ومولده سنة ١١٣ بدير حنّا من ارض دمشق وقيل بالعلياء من تَدْمُرb ومات ابوه فى ايام ابيه هشام سنة ١٨ عن ٢١ سنة وكفله واخوته جدّهم هشام ووهب لعبد الرحمن هذا جميعَ الاخماس التى اجتمعت للخلفاء بالاندلس واقطعه اياها ووجّه لحيازتها من الشام سعيدَ بن ابى ليلى وقيل انه لما قصد المغرب من فلسطين خرج معه اربعةc بدرٌ مولى ابيه وابو شجاع وزياد وعمرو وقيل ان بدرا لحقه ولم يخرج معه فالله اعلم وخلّف من الولد ٢٠ منهم ١١ رجلاd وتسع اناث، وحكى غير واحد انه لما هرب من الشام الى افريقية قاصدًا الاندلس نزل بمُغيلة فصار بها عند شيخ من رؤساء البربر يدعى وانسوس ويكنى ابا قُرّة فاستتر عنده وقتا ولحق به بدر مولى ابيه بجوهر وذهب انفذتهماe اختُه اليه فلما دخل الاندلس واستتبّ امره به سار اليه ابو قرّة وانسوس البربرى فاحسن اليه وحظى عنده واكرم زوجته تكفات البربرية التى خبأتْه تحت ثيابها عند ما فتّشت رسلُ ابن حبيب بيتّها عنه فقال لها عبد الرحمن مداعبا حين استظلّتْ بظلّه فى الاندلس لقد عذّبْتنى بريح ابطَيْكِ يا تكفات على ما كان بى من الخوف وسعطتّنى بانتن من ريح الجيفةf فكان جوابها مسرعةً بل ذلك كان والله يا سيّدى منك خرج ولم تشعرْ به من فرط فزعك فاستظرف جوابها واغضى عن مواجهتها بمثل ذلك وهذا من آفات المزاح، ومن محاسنه انه ادار السور بقرطبة رحمه الله تعالى، وتولى الملك بعده

---

a) Les man. d'al-M. portent اسواقها. b) Les man. portent تدمير. c) Ce mot manque La. et O. d) La. O. ولدا. e) S. La. O. انفذته. f) S. La. O. الجيف.

ابنه هشام بعهد منه اليه ثم ولد اشبها حللا وافضى اليه الملك وهو بماردة وال عليها وكان ابوه يؤثره على سليمان اخيه وكان الداخل كثيرا ما يسأل عن ابنيه سليمن وهشام فيذكر له ان هشاما اذا حضر مجلسا امتلأ ادبا وتاريخا وذكرا لامور الحرب ومواقف الابطال وما أَشْبَهَ ذلك واذا حضر سليمن مجلسا امتلأ سخفا وهذيانا فيكبر هشام في عينه مقدارَ ما يصغر سليمن وقال يوما لهشام لمن هذا الشعر

وتعرف فيه من ابيه شمائلا ومن خاله ومن يزيد ومن حُجُرْ

سماحةَ ذا وبرَّ ذا ووفاء ذا ونائلَ ذا اذا صحا واذا سَكِرْ

فقال له يا سيّدى لامرئ القيس ملكِ كِنْدةَ وكانّه قاله فى الامير اعزّه الله فضمّه اليه استحسانا بما سمع منه وامر له باحسان كثير وزاد فى عينه ثم قال لسليمان على انفراد لمن هذا الشعر وانشده البيتين فقال لعلّهما لاحد اجلاف العرب أَما لى شغلٌ غيرُ حفظ اقوال بعض العرب فاطرق عبد الرحمن وعلم قدرَ ما بين الاثنين من المزيّة، ولما ولى هشام اشخص المنجّم المعروف بالضَّبّى من وطنه الجزيرة الخضراء الى قرطبة وكان فى علم النجوم والمعرفة بالحركات العلويّة بطليموسَ زمانه حذقا واصابةً فلما اتاه خلا به وقال له يا ضبّى لستُ اشكّ انه قد عناك من امرنا اذ بلغك ما لم يدّع تجديد النظر فيه فأَنْشُدُك اللهَ الّا ما نبّأتنا بما ظهر لك فيه فلجلج وقال آعْفنى أيّها الامير فانّى الممتُ به ولم احقّق النظر فيه لجلالته فى نفسى فقال له قد اجْلَلْتُك لذلك فتفرَّغْ للنظر فيما بقى عليك منه ثم احضره بعد ايام فقال ان الذى سالتُك عنه جذمنى مع انى واللهِ ما أَثِقُ بحقيقته اذ كان من غيب الله الذى استاثر به ولكنّى احبُّ ان اسمع ما عندك فيه فالنفس طُلَعَةٌ والزمه الصلةَ او العقوبة فقال اعلمْ ايّها الامير سوف يستقرّ ملكُك سعيدا جدُّك قاهرا لمن ناواك الا ان مدّتك فيه فيما دلّ عليه النظرُ تكون ٨ اعوام او نحوها فاطرق ساعةً ثم رفع راسه وقال يا ضبّىُّ ما أَخْوَفَنى ان يكون النذير كلّمنى بلسانك واللهِ لو ان هذه المدّة كانت فى سجدة لله تعٰ لقلتُ ساعةٌ له ووصله وخلع عليه وزهد فى الدنيا * والتزم افعال البرّ، ومن حكاياته فى الجود انه كان قاعدا لراحته فى علّيّة على النهر فى حياة والده

a) L. ملل; le *Bayān al-M.* (t. II, p. ٦٢) جمال. b) G. La. O. هشاما. c) G. L. S. P. بعض, La. اقوال, بغضا. d) L. S. عاداك; les copistes de G. et de P. ont laissé un blanc ici. e) La. O. ولزم افعال الخير والبر.

فنظر الى رجل من قدماء صنائعه من اهل جيّان قد اقبل يُوضِع السير فى الهاجرة فانكر ذلك وقدّر شرًّا وقع به من قِبَل اخيه سليمان وكان واليا على جيّان فامر بادْخاله عليه فقال له * ما الذى جاء بك a يا كنانىّ فلأَمْرٍ ما * اسرعتَ السير b وما أُحسبك الا مُزْعَجا لشىء c دهمك فقال نعم يا سيدى قتل رجل من قومى رجلا خطاء فحُملت الدِيَةُ على العاقلة فأُخذ بها بنوه كنانة عامّةً * وحِيفَ d علىّ من بينهم خاصّةً وقصدنى اخوك بالاعتداء ان عرف مكانى منك فمدّ هشام يده الى جارية كانت وراء ستر وقطع قلادة عقد نفيس كان فى نحرها وقال له دونك هذا العقدَ يا كنانىّ وشراوهٌ علىّ ٣ آلاف دينار فلا تُخْدَعَنّ عنه وبِعْه فأدِّ عن نفسك وعن قومك ولا تمكّن الرجل من اهتضامك فقال يا سيّدى لم آتِك مستجديا ولا لضيق المال عمّا حُمّلته ولكنّى لما اعتُمدتُّ نظلم صراح احببتُ ان يظهر علىّ عزُّ نصرك واثر ذبّك e وامتعاضك فاتمجّد بذلك عند من يحسدنى على الانتماء اليك فقال هشام فما وجهُ ذلك قال ان تكتب الى اخيك فى الامْساك عنّى والقيام بذمّتك لى فقال أَمْسِكِ العقد وركب من حينه الى والده الداخلُ واستاذن عليه فى وقت انكره فانزعج وقال ما اتى بابنى الوليد فى هذا الوقت الا امر مقلق ايذنوا له فلما دخل عليه سلّم ومثل قائما بين يديه فقال له اجلسْ يا هشام فقال اصلح الله الامير سيّدى وكيف جلوسى بهمّ وذلّ مزعج وحُقّ لمن قام مقامى ألّا يجلس الا مطمئنّا ولن يقعدَنى الا طيبُ نفسى باسعاف الامير بحاجتى f والا رجعتُ على عقبى فقال له حاش لك من انقلابك خائبا فاقعُدْ مجابا مشفّعا فجلس فقال له ابوه فما الحدث المقلق فاعلمه فامر بحمل الدية عنه وعن عشيرته من بيت المال فسُرّ هشام واطنب فى الشكر وكتب الامير الى ولده سليمن فى ترك التعرُّض لهذا الكنانى بما لم يَدُرْ فى خلده ولما دخل الكنانى لوداع هشام قال يا سيّدى قد تجاوزتُ بك حدَّ الامنيّة وبلغتُ غاية النصر وقد أَغْنَى الله عن العقد المبذول بين يدى العناية الكريمة فتعيده الى صاحبته فأَبَى من ذلك وقال

a) Il y a ici une lacune dans G. et P.; le copiste du man. L. a cru pouvoir la remplir en ajoutant le mot هشام. Cette lacune n'est indiquée ni dans La. ni dans O. b) Ces mots sont restés en blanc dans G. et P.; L. La. et O. portent seulement جيت. c) Les man. portent من. d) Il y a ici une lacune dans G. et P.; S. porte ثم حمل بها, L. واخذت, La. فجعلتها, O. فجعلها. J'ai adopté la leçon qui se trouve dans le *Bayān al-M.*, t. II, p. ٩٩. e) G. S. P. O. دبك, La. ديك, L. ادبك. f) G. L. O. لحاجتى.

التلبّث الى رجوعه اليها ثم قام هشام يذهب بسيرته مذهب عمر بن عبد العزيز وكان يبعث بقوم من ثقاته الى الكور فيسألون الناس عن سِيَر عُمّاله ويخبرونه بحقائقها فاذا انتهى[a] اليه عن احدهم حيفٌ اوقع به واسقطه وانصف منه ولم يستعمله بعدُ، ولمّا وصفه زياد بن عبد الرحمن لمالك بن أنس قال [b]*يجب علينا الشكرُ حيث ان الله تعَ زيّن موسمنا بمثل هذا، وفى ايامه فُتحت اربونة الشهيرة واشترط على المعاهدين من اهل جلّيقية من صعاب شروطه انتقالَ عدد من أحْمال التراب من سور اربونة المفتتحة يحملونها الى باب قصره بقرطبة وبنى منه المسجد الذى قدّامَ باب الجنان وفضلت منه فضلةٌ بقيت مكوّمة وقاسَى مع المخالفين له من اهل بيته وغيرهم حروبا ثم كانت الدائرة له وقصد الى بلاد الحربِ غازيا وقصد ألَبة والقِلاع فلقى العدوّ وظفر بهم وفتح الله عليه سنة ٧٥ وبعث العساكر الى جليقية مع يوسف بن بخت[c] فلقى ملكها برمند وهزمه واثخن فى العدوّ وفى سنة ٧٦ بعث وزيره عبد الملك بن عبد الواحد ابن مغيث لغزاة العدوّ فبلغ البة والقلاع فاثخن فى نواحيها ثم بعثه فى العساكر سنة ٧٧ الى اربونة وجرندة فاثخن فيهما[d] ووطئ ارض بربطانية[e] وتوغّل عبد الملك فى بلاد الكُفّار وهزمهم ثم بعث العساكر مع عبد الكريم بن عبد الواحد الى البة والقلاع سنة ٧٨ ومع اخيه عبد الملك بن عبد الواحد الى بلاد جليقية فانتهى الى أستُرْقة فجمع له ملك الجلالقة واستمدّ بملك البشكنش ثم خام عن اللقاء ورجع ادراجَه واتّبعه عبد الملك وتوغّل فى بلادهم وكان هشام قد بعث الجيوش من ناحية اخرى فالتقوا بعبد الملك واثخنوا فى البلاد واعترضتْهم[f] عساكر الفرنج فنالوا منهم بعض الشىء ثم خرجوا سالمين ظافرين، ومن محاسنه انه جدّد القنطرة التى يُضرب بها المثل بقرطبة كما سبق وكان بناها السَّمْح الخولانى عامل عمر بن عبد العزيز رضه فاحكم هشام بناءها الى الغاية وقال يوما لاحد وزرائه ما يقول اهل قرطبة قال يقولون ما بناها الامير الا ليمضى عليها الى صيده وقنصه فآلى هشام على نفسه ألّا يسلك عليها فلم يمرّ عليها بعدُ ووفى بما حلف عليه ثم توفّى سنة ١٨٠ لسبع سنين وتسعة اشهر من

a) S. انهى. b) Il y a ici dans G. et P. une lacune, que j'ai remplie d'après S. Elle n'est pas indiquée dans L. La. et O., qui portent فقال له ان الله. c) Voyez le *Bayân al-M.*, t. II, p. ٦٥. Al-Makk. G. L. S. P. نجبد, La. O. نجيه. d) Les man. portent فيها. e) Les man. portent سرطانية. f) S. L. La. O. واعترضهم.

امارته وقيل لثمان وكان من اهل الخير والصلاح كثير الغزو والجهاد، ومن محاسنه ايضا اكمال بناء الجامع بقرطبة وكان ابوه شرع فيه، ومن محاسنه انه اخرج المصدّق لاخذ الزكاة على الكتاب والسنّة رحّه وعمره ٤٠ سنة واربعة اشهر ووُلد فى شوّال سنة ١٣٩ a،

وولى بعده ابنه الحكم بعهد منه اليه فاستكثر من المماليك وارتبط الخيل واستفحل ملكه وباشَر الامور بنفسه وفى خلال فتنة كانت بينه وبين عمّيه اغتنم العدوّ الكافر الفرصةَ فى بلاد المسلمين وقصدوا b بلاد برشلونة فملكوها سنة ٨٥ وتأخّرت عساكر المسلمين الى ما دونها وبعث الحكمُ العساكر مع الحاجب عبد الكريم بن مغيث الى بلاد الجلالقة فاثخنوا فيها وخالفهم العدوّ الى المضايق فرجع على التعبيّة وظفر بهم وخرج الى بلاد الاسلام ظافرا، وكانت له الوقعة الشهيرة مع اهل الربض من قرطبة لانه فى صدر ولايته كان قد انهمك فى لذّاته فاجتمع اهل العلم والورع بقرطبة مثل يحيى بن يحيى الليثى صاحب مالك وأحد c رُواة الموطّأ عنه وطالوت الفقيه وغيرهما فثاروا به وخلعوه وبايعوا بعض قرابته وكانوا بالربض الغربى من قرطبة وكان *محلّة متّصلة d بقصره فقاتَلَهم الحكم فغلبهم وافترقوا وهدم دُورَهم ومساجدهم ولحقوا بفاس من ارض العدوة وبالاسكندريّة من ارض المشرق ونزل بها جمع منهم ثم ثاروا بها فزحف اليهم عبد الله بن طاهر صاحب مصر للمامون بن الرشيد وغلبهم واجازهم الى جزيرة أقْرِيطِش فلم يزالوا بها الى ان ملكها الافرنج من ايديهم بعد مدّة، وكانت فى ايام الحكم حروب وفِتَن مع الثُّوار المخالفين له من اهل طليطلة وغيرهم وفى سنة ٩٢ جمع لذريق بن قارله e ملك الافرنج جموعه وسار الى حصار طرطوشة f فبعث الحكم ابنه عبد الرحمن فى العساكر فهزمه وفتح الله على المسلمين وعاد ظافرا، ولما كثر عيث الفرنج فى الثغور بسبب اشتغال الحكم بالخارجيين عليه سار بنفسه الى الافرنج سنة ١٩٤ g فافتتح الثغور والحصون وخرّب النواحى واثخن فى القتل والسبى والنهب وعاد الى قرطبة ظافرا، وفى سنة ٢٠٠ بعث العساكر مع ابن مغيث الى بلاد الافرنج فخرب وهدم عدّة حصون واقبل اليه h ملك الجلالقة فى جموع عظيمة وتنازلوا على نهر واقتتلوا

---

a) Les man. portent ١٣٧. b) Les man. portent وفصد. c) S. وآخذ, G. L. واخذ. d) Les man. d'al-Makk. portent محله متصلا. J'ai suivi ceux d'Ibn-Khaldoun, notre auteur ayant emprunté à cet historien une grande partie des détails qu'il donne ici. e) Voyez le *Bayān al-Moghrib*, t. II, p. ٧٤, note c. f) Ibn-Khaldoun L. P. طرسوسة, al-Makk. طرسونة; voyez le *Bayān al-M.* (*loc. cit.*). g) Les man. d'al-M. portent ١٩٩. h) G. L. البيط, S. المسط (*sic*)!

عليه اياما ونال المسلمون منهم اعظمَ النيل واقاموا كذلك ١٣ a ليلة ثم كثرت الامطار ومدَّ النهر وقفل المسلمون ظافرين ظاهرين، وهو اول من جنَّد الاجناد واتّخذ العُدّة وكان افحل بنى اميّة بالاندلس واشدّهم اقْداما ونجدةً وكان يشبَّه بابى جعفر المنصور من خلفاء بنى العباس فى شدّة المُلْك وتوطيد الدولة وقمع الاعداء، وكان يوثر الفقيه زياد بن عبد الرحمن وحضر يوما عنده غضب فيه على خادم له لايصاله اليه كتابا كره وصولَه فامر بقطع يده فقال له زياد اصلح الله الامير فان مالك بن انس حدّثنى فى خبر رفعَه ان مَنْ كظم غيظا يقدر على انْفاذه ملأه الله امنا وايمانا يومَ القيٰمة فسكّن غضبه وقال اللهَ انّ مالكا حدّثك بهذا فقال زياد اللهَ ان مالكا حدّثنى بهذا فامر ان يُمْسَك عن الخادم ويُعْفى عنه، وكانت المجاعة الشديدة سنة ١٩٧ b فاكثر فيها مواساة اهل الحاجات وفى ذلك يقول عباس بن ناصح الجزيرى فيه

نكد الزمانُ فآمنتْ ايامُه   من أن يكون بعصره عُسْرُ
طلع الزمانُ بازمة جَلَّتْ جلا   تلك الكريهةَ جودُه الغَمْرُ

وكان نقش خاتمه بالله يثق الحكم وبه يعتصم وذكور ولده ٢٠ واناثهم ٢٠ وامّه جارية اسمها زخرف وكان اسمر طويلا اشمّ نحيفا ومدّة ملكه ٢٦ سنة سامحه الله، وقال غير واحد انه اول من جعل للملك بالاندلس أبّهةً واستعدّ بالمماليك حتى بلغوا ٥ آلاف منهم ٣ آلاف فارس والفا راجل، ثم توفّى الحكم بن هشام آخر سنة ٢٠٦ لسبع وعشرين سنة من ولايته ومولده سنة ١٥٤، وقال ابن خلدون وغير واحد انه اول من جنّد بالاندلس الاجناد المرتزقة c وجمع الاسلحة والعُدَد واستكثر من الخدم والحواشى والحشم وارتبط الخيول على بابه واتّخذ المماليك وكان يسمّيهم الخُرْس لعُجْمتهم وحكى فى عدّتهم ما تقدّم ثم قال وكانت له عيون يطالعونه باحوال الناس وكان يباشر الامور بنفسه ويقرّب الفقهاء والعلماء والصالحين وهو الذى وطّأ الملك لعقبه بالاندلس انتهى، وكان له فيما حكى غير واحد الفا فرس مرتبطة على شاطئ النهر بقبلىّ قصره تجمعها d داران وهو القائل لما قتل اهل الربض وهدم ديارهم وحرثها e

رأبْتُ صدوعَ الارض بالسيف راقعا   وقدْمًا لأمْتُ الشَّعْبَ مذ كنتُ يافعا

a) La. O. احدى عشرة. b) D'apres le *Bayān al-M.* (t. II, p. ٧٥), dans l'annee 199.
c) Ibn-Kh. P. et les man. d'al-M. والمرتزقة ; Ibn-Kh. L. المترتبة. d) Les man. portent تجمعها.
e) La. وحرقها.

فسائلْ ثغورى هل بها اليومَ ثغرةٌ   أُبادرها مستنضِىَ السيف دارِعَا
تنبّيك انّى لم اكن فى قراعهم   بوانٍ وقِدْمًا كنتُ بالسيف قارعَا
وهل زدتُّ أن وفّيْتُهم صاعَ قرضهم   فوافوا منايا قُدّرتْ ومصارِعَا
فهٰذى بلادى انّنى قد تركتُها   مهادًا ولم اترك عليها منازِعَا

وقال ابن حزم فى حقّه انه كان من المجاهرين بالمعاصى السافكين للدماء ولذلك قام عليه الفقهاء والصلحاء وقال غيره a انه تنصّل اخيرا وتاب سامحه الله تع ، ومن نظمه قوله متغزّلا   قُضُبٌ من البان ماستْ فوق كثبانِ   ولّيْنَ عنّى وقد ازمعْنَ هجرانى
ومنها   مَنْ لى بمقتصبات b الروح من بدنى   يغصبْنَنى فى الهوى عزّى وسلطانى
وقيل انه كان يمسك اولاد الناس فيخصيهم ونُقلت عنه امور ولعلّه تاب كما قدّمنا والله اعلم بحقيقة امره ، ومن بديع اخبار الحكم ان العباس الشاعر توجّه الى الثغر فلما نزل بوادى الحجارة فسمع امرأة تقول وا غوثاه بك يا حكم لقد اهملتنا حتى كَلِبَ العدوُّ علينا فأَيَّمَنا وأَيْتَمَنا فسألها عن شانها فقالت كنتُ مقبلةً من البادية فى رفقة فخرجت علينا خيل عدوّ فقتلت واسرت فصنع قصيدته التى اولها

تململتُ فى وادى الحجارة مُسْهَرًا c   أُراعى نجوما لا d يُرِدْنَ تغيُّرَا
اليك ابا العاصى نصيتُ مطيّتى   تسير بهمٍّ ساريا ومهجّرا
تَداركْ نساء العالمين بنصرة   فانّك أَحْرَى ان تُغيث وتنصرا

فلما دخل عليه انشده القصيدة ووصف له خوف الثغر واستصراخ المرأة باسمه فانف ونادى فى الحين بالجهاد والاستعداد فخرج بعد ثلاث الى وادى الحجارة ومعه الشاعر وسأل عن الخيل التى اغارت من اىّ ارض العدوّ كانت فأُعلم بذلك فغزا تلك الناحية واثخن فيها وفتح الحصون وخرب الديار وقتل عددا كثيرا وجاء الى وادى الحجارة فامر باحضار المرأة وجميع مَنْ أُسر له احدٌ فى تلك البلاد فأُحضرت فامر بضرب رقاب الاسرى بحضرتها وقال للعباس سَلْها هل اغاثها الحكم فقالت المرأة وكانت نبيلة والله لقد شفى الصدور وانكى العدوّ واغاث الملهوف فاغاثه الله واعزّ نصره فارتاح لقولها وبدا السرور فى وجهه وقال

الم تَرَ يا عباس انّى اجبتُها   على البعد أَقْتادُ الخميسَ المظفَّرا

a) S. La. O. غير واحد.   b) S. بمغتصبات.   c) L. مسهدًا, G. S. P. مسمدا, La. O. مسئدا.   d) Ce mot manque dans G. P. et S.; La. O. لا.

فادركتُ اوطارا منه غلّة ، ونفّستُ مكروبا، واغنيتُ معسرا

فقال عباس نعم جوابك جزاك الله عن المسلمين خيرا وقبّل يده، ومنّه مما عيب به a انه قتل الفقيه ابا زكرياء يحيى بن مطر الغسّانى وكان قدوة فى الدين والورع سمع من سفين ومالك بن انس وروى عنه مالك وقال حدّثنا يحيى بن مطر عن سفين الثورى فى الطلح المنضود b هو الموز وكان c قتل المذكور مع جماعة من العلماء وغيرهم،

وقام بامره من بعده ابنه عبد الرحمن بعهد منه اليه ثم لاخيه المُغيرة بعده فغزا عبد الرحمن لاول ولايته الى جليقية وابعد واطال المغيب واثخن فى أُمم النصرانية هنالك ورجع، وقدم عليه سنة ٢٠٦ زِرْياب المغنّى من العراق وهو مولى المهدى ومتعلّم ابراهيم الموصلى واسمه على ابن نافع فركب بنفسه لتلقّيه على ما حكاه ابن خلدون وبالغ فى اكرامه واقام عنده بخير حال واورث صناعة الغناء بالاندلس وخلّف اولادا فخلفه كبيرهم عبد الرحمن فى صناعته وحظوته، وفى سنة ٨ اغزى حاجبَه عبد الكريم بن عبد الواحد الى أَلَبة والقلاع فخرّب كثيرا من البلاد وانتسفها وفتح كثيرا من حصونهم وصالح بعضها على الجزية واطلاق أَسْرَى المسلمين وانصرف ظافرا، وفى سنة ١٤ بعث قريبَه عبيد الله بن البلنسى فى العساكر لغزو البة والقلاع فسار ولقى العدوّ فهزمهم واكثر القتل والسبى، ثم خرج لذريق ملك الجلالقة واغار على مدينة سالم بالثغر فسار اليه فرتون بن موسى وقاتله فهزمه واكثر القتل فى العدوّ والاسر ثم سار الى الحصن الذى بناه اهل البة بالثغر نكايةً للمسلمين فافتتحه وهدمه ثم سار عبد الرحمن فى الجيوش الى بلاد جليقية فدوّخها وافتتح عدّة حصون منها وجال فى ارضهم ورجع بعد طول المقام بالسبى والغنائم، وفى سنة ٢٦ بعث عبد الرحمن العساكر الى ارض الفرنجة وانتهوا الى ارض بربطانية d وكان على مقدّمة المسلمين موسى بن موسى عامل تُطيلة ولقيهم العدوّ فصبروا حتى هزم الله عدوّهم وكان لموسى فى هذه الغزاة مقام محمود، وفى سنة ٢٩ بعث ابنه محمد بالعساكر وتقدّم الى بَنْبَلُونة فاوقع بالمشركين عندها وقتل غَرْسية صاحبها وهو من اكبر ملوك النصارى، وفى ايامه تُنبر المجوس ودخلوا اشبيلية فرسل اليهم عبد الرحمن العساكر مع القُوّاد من قرطبة فنزل المجوس من مراكبهم وقاتلهم المسلمون فهزموهم بعد مقام صعب ثم جاءت العساكر

---

a) L. O. عليه. b) Voyez le *Koran*, sour. 56, vs. 28. c) G. S. L. وكثر. d) Les man. portent برطانية.

مددًا من قرطبة فقاتلهم المجوس فهزمهم المسلمون وغنموا بعض مراكبهم واحرقوها ورحل المجوس الى شذونة فاقاموا عليها يومين وغنموا بعض الشىء ووصلت مراكب عبد الرحمن الى اشبيلية فاقلع المجوس الى لَبْلة واغاروا وسبوا ثم الى باجة ثم الى اشبونة ثم انقطع خبرهم حين اقلعوا من اشبونة وسكنت البلاد وذلك سنة ٣٠ وتقدّم عبد الرحمن باصلاح ما خربوه من البلاد واكثف حاميتها، وفى سنة ٣١ بعث العساكر الى جليقية فدوّخوها وحاصروا مدينة لِيُون ورموها بالمجانيق وهرب اهلها عنها وتركوها فغنم المسلمون ما فيها واحرقوها وارادوا هدم سورها فلم يقدروا عليه لان عرضه كان ١٧ ذراعا فثلموا فيه ثلمة ورجعوا ثم اغزى عبد الرحمن حاجبَه عبد الكريم فى العساكر الى بلاد برشلونة فعاث فى نواحيها واجاز الدروب التى تسمّى البُرْت الى بلاد الفرنجة فدوّخها قتلا واسرا وسبيا وحاصر مدينتها العظمى جرندة وعاث فى نواحيها وقفل، وقد كان ملك القسطنطينية من ورائهم توفلس a بعث الى الامير عبد الرحمن سنة ٢٥ بهديّة يطلب مواصلته ويُرغبه فى ملك سلفه بالمشرق من اجل ما ضيّق به المامون والمعتصم حتى انه ذكرهما فى كتابه له وعبر عنهما يابنَىْ مراجل ومارده فكافاه الامير عبد الرحمن عن الهديّة وبعث اليه يحيى الغزّال من كبار اهل الدولة وكان مشهورا فى الشعر والحكمة فاحكم بينهما الوصلة وارتفع لعبد الرحمن ذكر عند مُناغيه من بنى العباس، ويعرف الامير عبد الرحمن بالاوسط لان الاول عبد الرحمن الداخل والثالث عبد الرحمن الناصر، ثم توفّى عبد الرحمن الاوسط سنة ٢٣٨ بربيع الآخر لاحدى وثلاثين سنة من امارته ومولده بطليطلة فى شعبان سنة ١٧٦ وكان عالما بعلوم الشريعة والفَلْسفة وكانت ايامه ايام هدوء وسكون وكثرت الاموال عنده واتّخذ القصور والمنتزهات وجلب اليها الماء b من الجبال وجعل الفصلةَ مصنعا اتّخذه الناس شريعةً واقام الجسور وبنيت فى ايامه الجوامع بكور الاندلس وزاد فى جامع قرطبة روافين ومات قبل أن يستتمّه فاتمّه ابنه محمد بعده وبنى بالاندلس جوامع كثيرة ورتّب رسوم المملكة واحتجب عن العامّة، وعدد ولده ١٥٠ من الذكور وخمسون من الاناث ونقش c خاتمه عبد الرحمن بقضاه الله راضٍ وفى ذلك قيل

خاتم للملك اضحى حكمُه فى الناس ماضِى عابد الرحمن فيه بقضاء الله راضِى

a) Al-Makk. G. P. S. L. O. نوفلس , La. قوفلس. b) La. O. المياه. c) La. O. وفص.

وهو اول من احدث هذا [المكس] وبقى وراثة لمن بعده من ولده، قال ابن سعيد وفى ايامه انتهى مال الجباية الى الف الف دينار فى السنة وكان قبل لا يزيد على ٦٠٠ الف وقد ذكرنا فى غير هذا الموضع ما يخالف هذا فليراجعْ والله سبحانه وتع اعلم، ومن توقيعاته من لم يعرف وجهَ طلبه، فالحرمان أَوْلَى به،، ومن شعر عبد الرحمن المذكور قوله

ولقد تعارض اوجهٌ لاوامرٍ   فيقودها التوفيقُ نحو صوابهَا
والشيخ ان يَحْوِ النُهَى بتَجاربٍ   فشبابُ راى القوم عند شبابهَا

وفى زيادته فى جامع قرطبة يقول ابن المثنّى

بنيتَ للـه خير بيت   يخرس عن وصفه الانامْ
حُجّ اليه بكلّ اوبٍ   كانّه المسجد الحرامْ
كانّ محرابه اذا ما   حُفّ به الركنُ والمقامْ

وقال آخرُ

بنى مسجدا للـه لم يك مثله   ولا مثله لله فى الارض مسجدُ
سوى ما ابتنى الرحمن والمسجد الذى   بناه نبيُّ المسلمين محمّدُ
له عُمُدٌ خُمْرٌ وخُضْرٌ كأنّما   تلوح بوافيت بها وزبرجدُ
ألا يا اميرَ الله لا زلتَ سالما   ولا زلتَ فى كل الامور تسدَّدُ
فيا ليتَنا نفديك من كل حادث   وانّك للدنيا وللدين تُخَلَّدُ

وكان كثير الميل للنساء وولع بجاريته طَرُوب وكلف بها كلفا شديدا وهى التى بنى عليها البابَ ببِدَر المال حين تجنَّتْ عليه واعطاها حليا قيمتُه مائة الف دينار فقيل له ان مثل هذا لا ينبغى ان يخرج من خزانة الملك فقال انّ لابسه انفَسُ منه خطرا، وارفع قدرا، واكرم جوهرا، واشرف عنصرا،، وفيها يقول

اذا ما بدتْ لىَ شمس النها   ر طالعةً ذكّرتْنى طروبَا
انا ابن الهشامَيْن[a] من غالب   أَشُبُّ حروبا وأُطْفى حروبَا

وخرج غازيا الى جليقية فطالت غيبتُه فكتب اليها

عدانىَ عنك مزارُ العِدَى[b]   وقَوْدى اليهم لُهاماً مُهيبَا[c]
فكم قد تخطّيْتُ[d] من سبسب   ولاقيتُ بعد دروب دروبَا

---

a) G. S. L. P. الشاميين , O. السامين , La. الهياميين. b) La. O. المزار , G. S. P. مزار. c) Cette leçon se trouve dans le *Bayan al-M.*, t. II, p. ١١. Les man. d'al-Makk. portent سهاما. d) La. تعديت.

أُلاقى بوجهى سمومَ الهجير · اذا كاد منه الحصى ان يذوبا
* تداركَ بى اللهa دينَ الهدى · فاحييتُه وأَمَتُّb الصليبا
c وسرتُ الى الشرك فى جحفل · ملأتُ الحزون به والسهوبا

وساق بعض المؤرّخين قصة طروب هذه بقوله ان السلطان المذكور اغضبها فهجرتْه وصدّتْ عنه وابتْ ان تاتيه ولزمت مقصورتها فاشتدّ قلقُه لهجرها وضاق ذرعه من شوقها وجهد ان يترضّاها بكل وجه فاعياه ذلك فارسل من خاصّة خصيانه من يُكْرِهها على الوصول اليه فاغلقت باب مجلسها فى وجوههم وآلتْ لا تخرج اليهم طائعةً ولو انتهى الامر الى القتل فانصرفوا اليه واعلموه بقولها واستاذنوه فى كسر الباب عليها فنهاهم وامرهم بسدّ الباب عليها من خارجه ببِدَر الدراهم ففعلوا وبنوا عليها بالبدر واقبل حتى وقف بالباب وكلّمها مسترضيا راغبا فى المراجعة على ان لها جميع ما سدّ به الباب فاجابت وفتحت الباب فانهالت البدرُ فى بيتها فاكبّتْ على رجله تقبّلها وحازت المال وكانت تُبْرِم الامور مع نصر الخصىّ فلا يردّ شيئا ممّا تبرمه واحبّ اخرى اسمُها مدثّرة فاعتقها وتزوّجها واخرى كذلك اسمها الشفاء وامّا جاريته قلم فكانت اديبة حسنة الخطّ راويةً للشعر حافظة للاخبار عالمة بضروب الادب وكان مُولَعا بالسماع موثرا له على جميع لذّاته وله اخبار كثيرة رحه تع، ولما مات ولى مكانه ابنه محمد فبعث لاول ولايته الجيوشc مع موسى بن موسى صاحب تُطيلةd فعاث فى نواحى أَلَبة والقلاع وفتح بعض حصونها ورجع وبعث عساكر اخرى الى نواحى برشلونة وما وراءها فعاثوا فيها وفتحوا حصونا من برشلونة ورجعوا، ولما استمدّ اهل طليطلة المخالفون من اهل بلاد الامير محمد عليه بملكَى جليقية والبشكنش لقيهم الامير محمد على وادى سَليطةe وقد اكمن لهم فاوقع بهم وبلغت عدّة القتلى من اهل طليطلة والمشركين ٢٠ الفا، وفى سنة ٤٥ ظهرت مراكب المجوس وعاثوا فى الاندلس فلقيهم مراكب الامير محمد فقاتلوهم وغنموا منهم مركبَيْن واستُشهد جماعة من المسلمين، وفى سنة ٤٧ اغزى محمد الى نواحى بَنْبَلونة وصاحبها حينئذ غرسية بن

a) S. تداركت فى الله. b) L. وانفت, G. P. وانف, La. O. رغم انف; *al-Bayān al-M.*, (*loc. cit.*) واصطليت. c) J'ai ajouté ce mot d'après les deux man. d'Ibn-Khaldoun. d) Ibn-Kh. L. P., al-M. G. تطلية, P. متطيلة, S. بطلية, L. La. O. طليطلة. e) Dans les deux man. d'Ibn-Kh. et dans le *Bayān al-M.*, t. II, p. ٩٧, ce nom est écrit وادى سليط.

ونقه[a] وكان يظاهر لذريق [illegible] فعاث فى نواحى بنبلونة ورجع وقد دوّخها وفتح كثيرا من حصونها واسر فرتون ابن صاحبها غرسية فبقى أسيرا بقرطبة ٢٠ سنة، ثم بعث سنة ٥١ ابنه[b] المنذر فى العساكر الى نواحى البة والقلاع فعاثوا فيها وجمع لذريق للقائهم فلقيهم وانهزم واثخن المسلمون فى المشركين بالقتل والاسر فكان فتحا لا كفاء له، ثم غزا الامير محمد بنفسه سنة ٥١ بلاد الجلالقة فاثخن وخرّب، وفى سنة ٦٣ اغزى الامير محمد ابنه المنذر الى دار الحرب وفى السنة التى بعدها الى بلاد بنبلونة فدوّخها ورجع وفى سنة ٦٨ اغزاه ايضا الى دار الحرب فعاث فى نواحيها وفتح حصونا، وفى أيام الإمير محمد خربت ماردة وهدمت ولم يبقَ لها اثر وذكر بعضهم انه راى بالمشرق هذه الابيات قبل أن تخرب ماردة باعوام ولم يعلم قائلها وذلك سنة ٢٥٤

ويلٌ لماردةَ التى مردتْ وتكبّرت عن عدوة الدهرِ

كانت تُرَى لهم بها زَهَرٌ فخلتْ من الزهرات كالقفرِ

فالويل ثم الويح حين غزا بجميعهم مَنْ صاحب الامرِ

ثم توفّى الامير محمد فى شهر صفر سنة ٢٧٣ لخمس وثلثين سنة من امارته ومولده سنة ٢٠٧[c]، وولى بعده ابنه المنذر ولم تطلْ مدّته واقام فى الملك سنتين الا نصف شهر وتوفّى منتصَفَ صفر سنة ٢٧٥ وفيه قيل

بالمنذر بن محمد صلحتْ بلادُ الاندلسْ

ثم ولى اخوه عبد الله بن محمد، قال ابن خلدون كان خراج الاندلس قبله ٣٠٠ الف دينار مائةُ الف للجيوش ومائة الف للنفقة فى النوائب وما يعرض ومائة الف ذخيرة ووفرٌ فانفق الوفر حين اضطربت عليه نواحى الاندلس بالثّوار والمتغلّبين فى تلك السنين وقلّ الخراج انتهى، ومن نظم الامير عبد الله قوله

يا مهجةَ المشتاق ما اوجَعَكْ ويا اسيرَ الحبّ ما اخشعَكْ

ويا رسولَ العين من لحظها بالردّ والتبليغ ما اسرَعَكْ

تذهب بالسرّ فتاتى به فى مجلس يخفى على من معَكْ

كم حاجة انجزتَ ابرازها تبارك الرحمن ما انوَعَكْ

وهذه الابيات عنوان فضله، وبراعة استنلال نُبْله، وكان الوزراء يطالعون باراثهم الخليفة

---

a) *Iñigo.* C'est ainsi qu'on lit dans le man. P. d'Ibn-Kh.; L. ونقة; al-Makk. ينقة. b) Les man. portent اردن. c) Les man. portent اخه.

فى بطاقة فطالَعَه وزيره النصر بن سلمة برأيه فى امر فى ورقة فلما وقف عليها لم يُعْجِبْه ذلك الراى فكتب

انت يا نصر آبِدَةْ a لستَ b تُرْجَى لفائدَةْ انّما انت عدّة لكنيف ومائدَةْ

وتوفّى الامير عبد الله سنة ٣٠٠ c ومدّة ملكه نحوْ من ٢٥ سنة d، وولى حافده عبد الرحمن الناصر ابن ابنه محمد قتيلِ اخيه المطرّف وكانت ولايته من الغريب لانه كان شابًّا واعمامه واعمام ابيه حاضرون فتصدّى اليها واحتازها دونهم ووجد الاندلس مضطربة بالمخالفين، مضطرمة بنيران المتغلبين، فاطفأ تلك النيران، واستنزل اهل العصيان، واستقامت له الاندلس فى سائر جهاتها بعد نيّف وعشرين سنة من ايامه ودامت ايامه نحو ٥٠ سنة استفحل فيها ملكُ بنى اميّة بتلك الناحية، وهو اول من تسمّى منهم بالاندلس باميرِ المومنين عند ما التاث امر الخلافة بالمشرق واستبدّ موالى التُرْك على بنى العبّاس وبلغه ان المقتدر قتله مونس المظفّر مولاه سنة ٣١٧ e فتلقّب بالقاب الخلفاء وكان كثير الجهاد بنفسه والغزو الى دار الحرب الى ان هُزم عامَ الخندق سنة ٣٢٣ d ومحّص الله فيها المسلمين فقعد عن الغزو بنفسه وصار يردّد الصوائف فى كل سنة فاوطأ عساكر المسلمين من بلاد الافرنج ما لم يطئوه قبلُ فى ايام سلفه ومدّتْ اليه امَمُ النصرانيّة من وراء الدروب يدَ الاذعان واوفدوا عليه رُسُلَهم وهداياهم من رومة والقسطنطينية فى سبيل المهادنة والسلم والاعتمال فيما يعنّ من مرضاته ووصل الى سدّته ملوكُ الجلالقة من اهل جزيرة الاندلس المتاخمين لبلاد المسلمين بجهات قَشْتالة وبنبلونة وما الیهاء من الثغور الجوفيّة فقبّلوا يده والتمسوا رضاه واحتقبوا جوائزه وامتطوا مراكبه ثم سما الى ملك العدوة فتناول f سبتة * ققل الفرصة g من ايدى اهلها سنة ٣١٩ h واطاعه بنو ادريس امراء العدوة وملوك زناتة والبربر واجاز اليه الكثير منهم كما يعلم من اخباره وبدأ امره اولَ ولايته بتخفيف المغارم عن الرعايا انتهى كلام ابن خلدون، وفيه يقول ابن عبد ربّه صاحب العقد يومَ تولّى الملك

بدا الهلال جديدا والملك غضٌّ جديدُ يا نعمة الله زيدى

a) La. O. دائما. b) Les man. portent ليس. c) Lisez ٣٣٠. d) Lisez ٢٧٠. e) S. يليها.
f) G. L. P. فيتناول. g) C'est ainsi qu'on lit dans P. et O.; G. L. قفل الفرصة, S. قبل الفرصة, La. فغل الفرصة; Ibn-Khaldoun L. فقل الفرسة. Ces mots manquent dans P. d'Ibn-Khald.
h) Les man. portent سبع au lieu de تسع; j'ai corrigé cette faute d'après le *Bayān al-M.*, t. II, p. ٢٢٠.

ان كان فيك مويهة، لئن كان للصوم فطرٌ   فاليومَ للدهر عيدُ

واراد باول الابيات انه ولى مستهَلّ ربيع الاول كما عُلم، ومما اشار اليه ابن خلدون فى غزوة الخندق فصّله المسعودى فقال بعد ان اجرى ذكر مخالفة اميّة بن اسحق على الناصر ودخوله ارض النصارى ودلالته اياهم على عورات المسلمين ما ملخّصه وغزا عبد الرحمن صاحب الاندلس سَمُّورة[a] دار مملكة الجلالقة وكان عبد الرحمن فى مائة الف او يزيدون وكانت الوقعة بينه وبين ردمير ملك الجلالقة فى شوال سنة ٣٢٧ بعد الكسوف الذى كان فى هذا الشهر بثلاثة ايام فكانت[b] للمسلمين عليهم ثم ثابوا[c] بعد ان حُوصروا وأُلجِئوا الى المدينة فقتلوا من المسلمين بعد عبورهم الخندق ٥٠ الفا وقيل ان الذى منع ردميرَ من طلب مَنْ نجا من المسلمين اميّةُ بن اسحق وخوّفه الكمينَ ورغّبه فيما كان فى عسكر المسلمين من الاموال والعُدّة والخزائن ولولا ذلك لأُتِىَ على جميع المسلمين ثم ان اميّة استامن بعد ذلك الى عبد الرحمن وتخلّص من ردمير وقبله عبد الرحمن احسنَ قبول وقد كان عبد الرحمن بعد هذه الوقعة جهّز عساكره مع عدّة من قُوّاده الى الجلالقة فكانت لهم بهم حروبٌ هلك فيها من الجلالقة ضِعْفُ ما قُتل من المسلمين فى الوقعة الاولى وكانت[d] للمسلمين عليهم الى هذه الغاية وردمير ملك الجلالقة الى هذا الوقت وهو سنة ٣٣٦ انتهى، وقال فى موضع آخر ما ملخّصه ان عبد الرحمن غزا فى ازيد من مائة الف من الناس فنزل على دار مملكة الجلالقة وهى مدينة سمورة وعليها ٧ اسوار من اعاجب البنيان قد احكمتْه الملوك السالفة وبين الاسوار فُصْلان وخنادق ومياه واسعة وافتتح منها سورَيْن ثم ان اهلها ثابوا[e] على المسلمين *فقتلوا منهم ممن ادركه القتلُ وممن[f] غرق ٤٠ الفا وقيل ٥٠ الفا وكانت للجلالقة والبشكنش على المسلمين انتهى كلام المسعودى، رجع الى اخبار الناصر فنقول ان الناصر رحمه الله كان له نظم ومما نسب اليه بعضهم قوله

لا يضرُّ الصغيرَ حدثانُ سنٍّ   انّما الشان فى سعود الصغيرِ[g]

كم مقيمٍ[h] فازتْ يداه بغنمٍ   لم تَنَلْه بالركض كفُّ مُغيرِ

هكذا الفيتُ[h] البيتين منسوبين اليه بخطّ بعض الاكابر ثم كتب بأثره ما نصّه الصحيح

---

a) Les man. portent مسمورة. b) S. ajoute الغلبة. c) S. ثاروا, La. O. بانوا. d) S. ajoute الغلبة. e) S. ثاروا. f) S. وممن الخ (sic) ادركوه عشرون فقُتل منهم ممن. g) La. O. صغير. h) La. O. رايت.

انهما لغيره والله اعلم انتهى، وكان الناصر قد استحجب موسى بن محمد بن جُدَيْر واستوزر عبد الملك بن جَهْوَر واحمد بن عبد الملك بن شُهَيْد واهدى له ابن شهيد هديّته المشهورة المتعدّدة الاصناف وقد ذكرها ابن حيان وابن خلدون وغيرهما قال ابن خلدون وهى ممّا يدلّ على ضخامة الدولة الامويّة واتّساع احوالها وكان ذلك سنة ٣٢٧ لثمان خلون من شهر جمادى الأولى وهى هديّة عظيمة الشان واشتهر ذكرها الى الآن واتّفق على انه لم يُهادِ احد من ملوك الاندلس بمثلها وقد اعجبت الناصر واهلَ مملكته جميعا واقرّوا ان نفسا لم تسمح باخراج مثلها ضريبةً عن يدها وكتب معها رسالة حسنة بالاعتراف للناصر بالنعمة والشكر عليها واستحسنها الناس وكتبوها وزاد الناصر وزيره هذا حظوةً واختصاصا واسمى منزلته على سائر الوزراء جميعا واضعف له رزق الوزارة وبلّغه ٨٠ الف دينار اندلسيّة وبلغ معروفه الى الف دينار وثنّى له العظمةَ لتثنيته له الرزقَ فسمّاه ذا الوزارتين لذلك وكان اول من سُمّى بذلك بالاندلس امتثالا لاسم صاعد بن مخلد وزير بنى العباس ببغداد وامر بتصدير فراشه فى البيت وتقديم اسمه فى دفتر الارتزاق اول التسمية فعظم مقداره فى الدولة جدّا، وتفسير هديته المذكورة على ما ثبت فى كتاب ابن خلدون على ما يفسّر ٥٠٠ الف مثقال من الذهب العين واربعمائة رطل من التبر ومصارفة ٤٥ الف دينار من سبائك الفضّة فى مائتى بدرة واقتصر ابن الفرضى على ٥٠٠ الف دينار فقط واثنا عشر رطلا من العود الهندى الذى يُختم عليه كالشمع ومائة وثمانون رطلا من العود[a] المتخير ومائة رطل من العود الشبه[b] المنتقى هكذا ذكر ابن خلدون وقال ابن الفرضى مستندًا الى الكتاب الذى وجّهه ابن شهيد مع الهديّة ان العود الغالى من ذلك ٤٠٠ رطل منها فى قطعة واحدة ١٨٠ رطلا وقال ابن خلدون ومائة اوقية من المسك الذكىّ المفضّل فى جنسه انتهى وقال ابن الفرضى نقلًا عن الكتاب المصحوب مع الهديّة ان المسك ٢٠٠ اوقية واثنتا عشرة اوقية ومن العنبر الاشهب الباقى على خلقته بغير صناعة ٥٠٠ اوقية منها قطعة عجيبة ململمة الشكل وزن مائة اوقية هكذا فى تاريخ ابن خلدون وفى ابن الفرضى ان الكل مائة اوقية وان هذه القطعة ٤٠ اوقية ومن الكافور المرتفع

a) Les man. d'Ibn-Khaldoun ajoutent الصنفى. b) Ibn-Kh. L. الشبة. Ce mot est probablement altéré.

النقيّ الذكيّ ٣٠٠ اوقية قال ابن خلدون ومن اللباس ٣٠ شقّة من الحرير المختّم المرقوم بالذهب للباس الخلفاء المختلفة الالوان والصنائع وعشرة أقْرِبَة من غالى [a] جلود الفنك الخراسانية وخالفه ابن الفرضى اذ قال ومن انواع الثياب ٣٠ شقّة وخنج [b] خاصية للباسه بيضا وملوّنة وخمس ظهائر شعيبيّة خاصية له وعشرة فراء من غالى الفنك منها سبعة بيض خراسانيّة وثلثة ملوّنة وستة مطارف عراقيّة خاصية له وثمان واربعون ملحفة زهريّة لكسوته ومائة ملحفة زهريّة لرقاده ولم يذكر ابن خلدون ذلك وابن الفرضى اعرَفُ لا سيّما وقد استند الى كتاب المهدى وصاحب البيت أَدْرَى قال ابن خلدون وعشرة قناطير شدّ فيها مائة جلد سمور وقاله ابن الفرضى ايضا فزاد ابن خلدون وستة من السرادقات العراقية وثمانية واربعون من الملاحف البغدادية لزينة الخيل من الحرير والذهب ثمّ قالا معا واربعة آلاف رطل من الحرير المغزول والف رطل من لون الحرير المنتقى للاستغزال وزاد ابن خلدون وثلثون شقّة من الفريون [c] لسروج الهبات [d] وزاد ابن الفرضى فى الحرير المذكور قيل انه قبضه منه صاحبُ الطراز ولم يات به مع الهديّة وانما دفعه لصاحب الطراز واثبته فى الدفتر قالا وثلثون بساطا من الصوف مختلفة الصناعات طولُ كل بساط منها ٢٠ ذراعا وقال ابن خلدون [e] منتقاة مختلفة الالوان قالا ومائة قطعة مصلّيات من وجوه الفرش المختلفة زاد ابن الفرضى الصناعات من جنس البُسُط قالا وخمسة عشر نخاخًا [f] من عمل الخزّ المقطوع شطرها قال ابن الفرضى وسائرها من جنس البُسُط الوجوه قال ابن خلدون ومن السلاح والعُدّة ٨٠٠ من التجافيف للزينة ايامَ البروز والمواكب وقال ابن الفرضى مائة تجفاف بابدع الصناعات واغربها واكملها قالا والف ترس سلطانيّة ومائة الف سهم زاد ابن خلدون من النبال البارعة الصنعة قال ابن خلدون ومن الظهر ١٥ فرسا من الخيل العراب المتخيّرة لركاب السلطان فائقة النعوت وقال ابن الفرضى ومن الخيل مائة فرس منها من الخيل العراب المتخيّرة لركابه ١٥ فرسا وخمس من عُرْض هذه الخيل مُسْرَجة مُلْجَمة لمراكب

---

a) Les man. portent عنى. b) J'ignore la signification de ce mot, qui est peut-être altéré. c) Ibn-Kh. P., al-Makk. S. الغربين; al-Makk. La. الفرسون. Je propose de lire البزيون. d) S. البنت, La. البيئات, O. المبيت. Le mot est peut-être altéré. e) Les man. d'Ibn-Kh. ajoutent un mot qui, dans L., est ecrit عشرنبذت, et dans P. عسرميات. f) Les man. d'al-Makkari portent نوخا.

الخلافة مجالسُ سروجها خزٌّ عراقىّ وثمانون فرسا مما يصلح للوصفاء والحشم وقال ابن خلدون مائة فرس من الخيل التى تصلح للركوب فى التصرُّف والغزوات وقال ابن الفرضى وخمسة أبْغُل عالية الركاب وقال ابن خلدون وعشرون من بغال الركاب مسرجة ملجمة بمراكب خلافيّة مجالسُ سروجها خزٌّ جعفرىّ عراقىّ قالا ومن الرقيق ٤٠ وصيفا وعشرون جارية من متخيَّر الرقيق بكسوتهم وجميع آلاتهم وقال ابن خلدون فى الجوارى متخيَّرات بكسوتهنّ وزينتهنّ وقال ابن خلدون ومن سائر الاصناف قرية تغلّ آلافا من امداء الزرع ومن الصخر للبنيان ما انفق عليه فى عام واحد ٨٠ الف دينار وعشرون الف عود من الخشب من اجمل الخشب * واصلبه وأَقْوَمه a قيمتُها b ٥٠ الف دينار انتهى، وقال ابن الفرضى نقلًا عن كتاب ابن شهيد المصحوب مع الهديّة عند ما ذكر الرقيق ما صورتُه كان قد امرنى ايّده الله بابتياعهم من مال الاخماس قبلُ فابتعتُهم من نعمته عندى وصيّرتُهم من بعثى ومع ذلك ١٠ قناطير سكّر طبرزد لا سحاقَ فيه وفى آخر الكتاب ولما علمتُ تطلُّعَ مولاى ايّده الله الى قرية كذا بالقَنْبانية المنقطعة الغرس فى شرقها وترداده ايّده الله لذكرها لم اهنأْ بعيش حتى اعملتُ الحيلة فى ابتياعها باحوازها واكتتبتُ وكيلَه ابن بقيّة الوثيقةَ فيها باسمه وضمّها الى ضياعه وكذلك صنعتُ فى قرية شيرة من نظر جيّان عند ما اتّصل بى من وصفه لها وتطلُّعه اليها فما زلتُ اتصدّى لمسرّته بها حتى ابتعتُها الآن باحوازها وجميع منازلها وربوعها c واحتاز ذلك كلّه الوكيلُ ابن بقيّة وصار فى يده له ابقاه الله وارجو انه سيرفع فيها فى هذه السنة آلاف امداد من الاطعمة ان شاء الله تعـ ولما علمتُ نافذَ عزمه ابقاه الله فى البنيان وكلفَه به وفكرتُ فى عدد الاماكن التى تطلّع نفسه الكريمة الى تخليد آثاره فى بنيانها مدّ الله فى عمره واوفى بها على اقصى امله علمتُ ان اسّه وقوامه الصخر والاستكثار منه فاثارت لى همّتى ونصيحتى حكمةَ حيلة احكمها سعدُك وجدُّك اللذان يبعثان ما لا يتوهّم علمُه حيلة اقيم لك بها فى عام واحد عددَ ما كان يقوم على يدى عبدك ابن عاصم فى ٢٠ عاما وينتهى تحصيل النفقة فيه الى نحو الثمانين الفا اعجل شانه فى عام سوى التوفير العظيم الذى يبديه العيانُ قبلا ان شاء الله وكذلك ما ثاب الىّ فى امر الخشب لهذه المُنْيَة

a) La. O. واصلبها واقومها. b) Les man. d'Ibn-Kh. portent قيمته. c) G. S. L. وزروعها.

المكرّمة قال ابن خليل حبيبه الجبهه الدؤوب[a] انتهى فى تحصيل عدد ما تحتاج اليه ٣٠٠ الف عود ونيّفه علىٰ ٢٠ الف عود على انه لا يدخل منه فى السنة الا نحو الالفىْ عود فتمّ لىّ *سعدك رايا[b] اقيم له بتمامه جميعَ هذا الخشب العامّ على كماله بورود الجلبية لوقتها وقيمته على الرخص ما بين الخمسين الفا الى الستين الفا انتهى، ومن غريب ما يحكى عن امير المومنين الناصر المذكور انه اراد الفصد فقعد بالبهو فى المجلس الكبير المشرف باعلى مدينته بالزهراء واستدعى الطبيب لذلك واخذ الطبيب الآلة وحبس يد الناصر فبينما هو كذلك ان اطلّ زرزور فصعد على اناء ذهب بالمجلس وانشد

ايُّها الفاصد رفقًا   بامير المومنينا   انما تفصد عرقا   فيه محيا العالمينا

وجعل يكرّر ذلك المرّة بعد المرّة فاستظرف امير المومنين الناصر ذلك غايةَ الاستظراف وسُرَّ به غايةَ السرور وسأل عمّن اهتدى الى ذلك وعلّم الزرزور فذُكر له ان السيّدة الكبرى مرجانة امّ ولده ولىّ عهده الحَكم المستنصر بالله صنعت ذلك واعدّتْه لذلك الامر فوهب لها ما ينيف على ٣٠ الف دينار، وذكر ابن بَسّام[c] ان ابا عامر بن شهيد احمد بن عبد الملك الوزير أُهدى له غلام من النصارى لم تقع العيونُ على شبهه فلمحه الناصر فقال لابن شهيد أنّى لك هذا فقال هو من عند الله فقال له الناصر تُتْحفوننا بالنجوم وتستاثرون بالقمر فاستعذر واحتفل فى هديّة بعثها[d] مع الغلام وقال يا بُنىّ كُنْ مع جملة ما بُعثتَ به ولولا الضرورة ما سمحتْ بك نفسى وكتب معه *هذين البيتين[e]

أَمولاىَ هذا البدر سار لأُفقكم   ولَلْأُفْقُ أَوْلَى بالبدور من الارضِ
فأَرْضِيكم[f] بالنفس وهى نفيسة   ولم أَرَ قبلى من بمهجته يُرْضِى

فحسن ذلك عند الناصر واتحفه بمال جزيل وتمكّنت عنده مكانتُه ثم انه بعد ذلك اهديت اليه جارية من اجمل نساء الدنيا فتخاف ان يَنْتهى[g] ذلك الى الناصر فيطلبها فتكون كقصّة الغلام فاحتفل فى هديّة اعظم من الاولى وبعثها معها وكتب له هذه الابيات

امولاى هذى الشمس والبدر اوّلا   تقدّم كيما يلتقى القمرانِ

a) G. L. S. الدواب, P. الداوب. b) G. L. P. رابا, سعده, S. رابه سعدا. c) Cette anecdote se trouve dans l'ouvrage intitule مطالع البدور فى منازل السرور et dans les *Mille et une Nuits*, ed. Macnaghten, t. III, p. 414. d) La. ارسلها. e) Les man. portent هذه الابيات. f) On trouve cette leçon dans les *Mille et une Nuits*; les man. d'al-Makk. et le man. d'Oxford du مطالع البدور portent ارضيكم. g) S. La. O. ينتهى.

قِرانٌ لَعمرى بالسعادة ناطقٌ[a]   فدُمْ منهما فى كَوْثَرٍ وجنانٍ
فما لهما واللهِ فى الحسن ثالثٌ   وما لك فى ملك البريّة ثانى

فتضاعفتْ مكانتُه عنده ثم ان احد الوُشاة رفع للملك انه بقى فى نفسه من الغلام حزازة[b] وانه لا يزال يذكره حين تحرّكه الشمول، ويقرع السنّ على تعذُّر الوصول، فقال للواشى بذلك لا تحرّكْ لسانك والّا طاره[c] راسُك واعمل الناصر حيلة فى ان كتب على لسان الغلام رقعةً منها يا مولاى تعلم انك كنتَ لى على انفراد ولم ازل معك فى نعيم وانى وان كنتُ عند الخليفة مشاركاه[d] فى المنزلة محاذرٌ ما يبدو منه من سطوة الملك فتحيّلْ فى استدعاءى منه وبعثها مع غلام صغير السنّ واوصاه ان يقول من عند فلان وان الملك لم يكلّمْه قط ان سأله عن ذلك فلما وقف ابو عامر على الرسالة واستخبر الخادم فعلم فى سؤاله ما كان فى نفسه من الغلام، وما تكلّم به فى مجالس المُدام، كتب على ظهر الرقعة ولم يزدْ حرفا

أَمِن بعد احكام التَجارِب تبتغى   لدىَّ سقوطَ العَيْرِ[e] فى غابة الاسَدْ
وما انا ممّن يغلب الحبُّ قلبَه   ولا جاهلٌ ما يدّعيه أُولُو الحسَدْ
فان كنتَ روحى قد وهبتُك طائعًا   وكيف يُرَدّ الروح ان فارَق الجسَدْ

فلما وقف الناصر على الجواب تعجّب من فطنته ولم يَعُدْ الى استماع واشٍ به ودخل عليه بعد ذلك فقال له كيف خُلّصتَ من الشَرَك، فقال لان عقلى بالهوى غير مشترك،، فانعم عليه وزادت محبّتُه عنده انتهى وممن ذكر هذه الحكاية صاحب مطالع البدور، فى منازل السرور،، واخبار الناصر طويلة جدًّا وقد مُنِح الظفر على الثُوّار واستنزلهم من معاقلهم حتى صفا له الوقت وكانت له فى جهاد العدوّ اليَدُ البيضاء فمن غزواته انه غزا سنة ٣٠٨ الى جلّيقية وملكها اردون بن ادفونش واستنجد بالبشكنش والافرنجة وظاهر شنجه بن غرسية صاحب بَنْبَلونة امير البشكنش فهزمهم ووطئ بلادهم ودوّخ ارضهم وفتح معاقلهم وخرّب حصونهم، ثم غزا بنبلونة سنة ١٢ ودخل دار الحرب ودوّخ البسائط وفتح المعاقل وخرب الحصون وافسد العمائر وجال فيها وتوغّل فى قاصيتها

a) Dans G. et P. il y a une lacune après le mot بالسعادة ; L. دائما , S. يبين , La. O. قد اتى. Le ناطق du texte se tronve dans les *Mille et une Nuits* et dans le مطالع البدور. b) O. حزازة , G. L. La. حرارة. c) S. طيرتُ. d) Les man. portent مشارك. e) La leçon العير se trouve dans le man. S. et dans le مطالع البدور ; les autres man. portent الطير.

والعدوّ يحاذيه فى الجبل [illegible] ولم يظفر منه بشىء، ثم بعد مدّة ظفر ببعض الثوّار عليه وكان استمدّ بالنصارى فقتل الناصر من كان مع الثائر من النصارى اهلَ ألْبَة وفتح ٣٠ من حصونهم وبلغه انتقاض طوطة ملكة البشكنش فغزاها فى بنبلونة ودوّخ ارضها واستباحها ورجع الى قرطبة، ثم غزا غزوة الخندق سنة ٢٧ الى جليقية فانهزم وأُصيب فيها المسلمون وقعد بعدها عن الغزو بنفسه وصار يردّد البعوث والصوائف الى الجهاد وبعث جيوشه الى المغرب فملك سبتة وفاسا وغيرهما من بلاد المغرب وطار صيتُه وانتشر ذكره كما سبق، ولما هلك غرسية بن شانجه ملك البشكنش قام بامرهم بعده امّه طوطة وكفلت ولده ثم انتقضت على الناصر سنة ٢٥ فغزا الناصر بلادها وخرّب نواحى بنبلونة وردّد عليها كما مرّ الغزوات وكان قبل ذلك سنة ٢٢ غزا الى وخشمة ثم رحل الى بنبلونة فجاءته طوطة بطاعتها وعقد لابنها غرسية على بنبلونة ثم عدل الى ألْبَة وبسائطها فدوّخها وخرب حصونها ثم اقتحم جليقية وملكها يومئذ ردمير بن اردون فخام عن لقائه ودخل وخشمة فنازله الناصر فيها وهدم برْغُش وكثيرا من معاقلهم وهزمهم مرارًا ورجع ثم كانت بعدها غزوة الخندق السابقة، وهابته أمَمُ النصرانية ووفدت عليه سنة ٣٦ رُسُلُ صاحب قسطنطينية وهديّته وهو يومئذ قسطنطين واحتفل الناصر لقدومهم فى يوم مشهود قال ابن خلدون ركبت فى ذلك اليوم العساكر بالسلاح فى اكمل شكّة وزُيّن القصر الخلافى بانواع الزينة واصناف الستور وجُمّل السرير الخلافى بمقاعد الابناء والاخوة والاعمام والقرابة ورُتّب الوزراء والخدَمة فى مواقفهم ودخل الرسل فهالهم ما رأوه وقربوا حتى ادّوا رسالتهم وامر يومئذ الاعلام ان يخطبوا فى ذلك الحفل ويعظّموا من امر الاسلام والخلافة ويشكروا نعمة الله على ظهور دينه واعزازه وذلّة عدوّه فاستعدّوا لذلك ثم بهرهم هول المجلس فوجموا وشرعوا فى القول فارتجّ عليهم وكان فيهم ابو على القالىّ وافد العراق كان فى جملة الحكم ولىّ العهد وندبه لذلك استيثارا بفخره فلما وجموا كلهم قام منذر بن سعيد البلّوطى من غير استعداد ولا رويّة مما تقدم له احد فى ذلك بشىء فخطب واسحنفر وجلّى فى ذلك القصد وانشد شعرا طويلا ارتجله فى ذلك الغرض ففاز بفخر ذلك المجلس وعجب الناس من شانه اكثرَ من كل ما وقع وأُعجب به الناصر وولّاه القضاء بعدها

a) Osma. O. اوخشتمة, La. خشنبة. b) O. خشتمة, La. خشنمة. c) La. O. المحفل.

واصبح من رجالات العالم *a* واخباره مشهورة وخطبته ذلك اليومَ منقولة فى كتب ابن حيان وغيره، ثم انصرف هؤلاء الرسل وبعث الناصر معهم هشام بن هذيل *b* بهديّة حافلة ليؤكّد المودّة ويحسن الاجابة ورجع بعد سنتين وقد احكم من ذلك ما شاء وجاءت معه رسلُ قسطنطين ثم جاء رسول من ملك الصقالبة وهو يومئذ هُوتُو *c* ورسول آخر من ملك الألمان ورسول آخر من ملك الافرنجة وراء البُرْت وهو يومئذ أُوقُه *d* ورسول آخر من ملك الافرنجة بقاصية المشرق وهو يومئذ كلده واحتفل السلطان لقدومهم وبعث مع رسول الصقالبة ربيعًا الاسقف الى ملكهم هوتو *e* ورجع بعد سنتين، وفى سنة ٣٤٤ جاء رسول اردون يطلب السلم فعقد له ثم بعث فى سنة ٣٤٥ يطلب ادخال فردلند قومس قشتيلية فى عهده فاذن له فى ذلك وأُدخل فى عهده وكان غرسية بن شانجه قد استولى على جليقية بعد ابيه شانجه بن فرويلة ثم انتقض عليه اهلُ جليقية وتولّى كبرهم قومس قشتيلة فردلند المذكور ومال الى اردون بن ردمير وكان غرسية بن شانجه حافدًا لطوطة ملكة البُشكنش فامتعضت لحافدها غرسية ووفدت على الناصر سنة ٣٤٧ ملقيةً بنفسها فى عقد السلم لها ولولدها شانجه بن ردمير الملك واعانة حافدها غرسية بن شانجه على ملكه ونصره من عدوّه وجاء الملكان معها فاحتفل الناصر لقدومهم وعقد الصلح لشانجه وامّه وبعث العساكر مع غرسية ملك جليقية فردّ عليه ملكه وخلع الجلالقة طاعةَ اردون اليه وبعث الى الناصر يشكره على فعلته وكتب الى الامم فى النواحى بذلك وبما ارتكبه فردلند قومس قشتيلية فى نكثه ووثوبه وبعيّره بذلك عند الامم ولم يزل الناصر على موالاته واعانته الى ان هلك ولما وصل رسول كلده ملك *f* الافرنجة بالمشرق كما تقدّم وصل معه رسول ملك برشلونة وطرّكونة راغبا فى الصلح فاجابه الناصر ووصل بعده رسول صاحب رُومة يخطب المودّة فأُجيب انتهى كلام ابن خلدون ببعض اختصار، ولنفصّلْ بعض ما اجمله فنقول ذكر ابن حيان وغير واحد ان ملك الناصر بالاندلس كان فى غاية الضخامة ورفعة الشان وهادته الرومْ وازدلفت اليه تطلب مُهادنته ومُتاحفته بعظيم الذخائر ولم تبقَ امّة سمعتْ به من ملوك الروم والافرنجة والمجوس وسائر الامم الا وفدت عليه خاضعةً راغبةً وانصرفت

---

a) G. L. S. العالم. *b*) Ibn-Khaldoun le nomme هشام بن كليب الجاثليق. *c*) Ibn-Kh. L. هوفو; al-Makk. G. L. S. P. دوقو, La. ذواقوا, O. ذوفوا. *d*) Les man. portent أوقه. *e*) Ibn-Kh. L. هونو, al-Makk. S. عوقو. *f*) Les man. portent ملكة.

منه راهبة ومن جملتهم صاحب القسطنطينية العظمى فانه هاداه ورغب موادعته وكان وصول ارساله فى صفر سنة ٣٣٨ وتقدّم فى كلام ابن خلدون انها ٣٦ فالله اعلم ايّهما اصحّ وتأهّب الناصر لورودهم a وامر ان يُتلقّوا اعظمَ تلقٍّ وافخمَه واحسن قبولٍ واكرمَه واخرج الى لقائهم ببَجّانة يحيى بن محمد بن الليث وغيره لخدمة اسباب الطريق فلما صاروا باقرب المحلّات من قرطبة خرج الى لقائهم القُوّاد فى العدد والعدّة والتعبية فلقوهم قائدًا بعد قائد وكمل اختصاصهم بعد ذلك بان اخرج اليهم الفَتَيَيْن الكبيرين الخصيّيْن ياسرًا وتماما ابْلاغًا فى الاحتفاء بهم فلقياهم بعد القُوّاد فاستبان لهم بخروج الفتيين اليهم بسطُ الناصر واكرامه لان الفتْيان حينئذ عظماء الدولة لانهم اصحاب الخلوة مع الناصر وحرمه وبيدهم القصر السلطانى وأُنزلوا بمُنْية ولىّ العهد الحكم المنسوبة الى نصر بعدوة قرطبة فى الربض ومُنعوا من لقاء الخاصّة والعامّة جملةً ومن ملابسة الناس طرًّا ورُتّب لحجابتهم رجال تخيّروا من الموالى ووجوه الحشم فصُيّروا على باب قصر هذه المنية ١٦ رجلا لاربع دُوَل لكل دولة ٤ منهم ورحل الناصر لدين الله من قصر الزهراء الى قصر قرطبة لدخول وفود الروم عليه فقعد لهم يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول من السنة المذكورة فى بهو المجلس الزاهر قعودًا حسنا نبيلا وقعد عن يمينه من بنيه ولىّ العهد الحكم ثم عبيد c الله ثم عبد العزيز ابو d الاصبغ ثم مروان وقعد عن يساره المنذر ثم عبد الجبّار ثم سليمن وتخلّف عبد الملك لانه كان عليلا لم يُطِق الحضورَ وحضر الوزراء على مراتبهم يمينا وشمالا ووقف الحُجّاب من اهل الخدمة من ابناء الوزراء والموالى والوكلاء وغيرهم وقد بُسِط صحنُ الدار اجمع بعتاق البُسُط وكرائم الدرانك وظُلّلت ابواب الدار وحنياتها بظُلَل الديباج ورفيع الستور فوصل رسل ملك الروم حائرين ممّا راوه من بهجة الملك وفخامة e السلطان ودفعوا f كتاب ملكهم صاحب قسطنطينية العظمى قسطنطين بن ليون وهو فى رقّ مصبوغ لونا سماويًا مكتوبا بالذهب بالخطّ الاغريقى g وداخلَ الكتاب مُدْرَجة مصبوغة ايضا مكتوبة بفضّة بخطّ اغريقى h ايضا فيها وصف هديّته التى ارسل بها وعددها وعلى الكتاب طابعُ ذهب وزنه ٤ مثاقيل على الوجه

a) La. O. لوصولهم. b) Les man. portent تبوله. c) La. O. عبد. d) Les man. portent ثم au lieu de ابو. e) La. O. وصخامة. f) La. O. موتصوا. g) Les man. portent الاغرنقى. h) Même remarque.

الواحد منه صورة المسيح وعلى الآخر صورة قسطنطين الملك وصورة ولده وكان الكتاب بداخل دُرْج فضّة منقوش عليه غطاء ذهب فيه صورة قسطنطين الملك معمولة من الزجاج الملوّن البديع وكان الدرج داخلَ جعبة مُلْبَسة بالديباج وكان فى ترجمة عنوان الكتاب فى سطر منه قسطنطين ورومانس a المومنان بالمسيح الملكان العظيمان ملكا الروم وفى سطر آخر العظيم الاستحقاق المفخر الشريف النسب عبد الرحمن الخليفة الحاكم على العرب بالاندلس اطال الله بقاءه، ولما احتفل الناصر لدين الله هذا الاحتفال احبّ ان يقوم الخطباء والشعراء بين يديه لتذكر جلالة مقعده وعظيم سلطانه وتَصِفَ ما تهيّأ من توطيد الخلافة فى دولته وتقدّم الى الامير الحكم ابنه ولىّ عهده باعداد من يقوم بذلك من الخطباء ويقدّمه امام نشيد الشعراء فامر الحكم صنيعَه الفقيه محمد بن عبد البرّ الكسنيانى b بالتأهّب لذلك واعداد خطبة بليغة يقوم بها بين يدى الخليفة وكان يدّعى من القدرة على تاليف الكلام ما ليس فى وسع غيره وحضر المجلس السلطانى فلما قام يحاول التكلّم بما راوه بهره هولُ المقام وابّهة الخلافة فلم يهتدِ الى لفظة بل غُشِىَ عليه وسقط الى الارض فقيل لابى علىٍ البغدادى اسمعيل بن القاسم القالىّ صاحب الامالى والنوادر وهو ضيف الخليفة الوافد عليه من العراق وامير الكلام وبحر اللغة قُمْ فارْقَعْ هذا الوهى فقام فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله وصلّى على نبيّه محمد صلعم هكذا ذكر ابن حيان وغيره وكلام ابن خلدون السابق يقتضى ان القالىّ هو الماموربالكلام اولا والمُعَدّ لذلك ونحوه فى المطمح ،والخطب سهل ثم انقطع القول بالقالىّ فوقف ساكتا مفكّرا فى كلام يدخل به الى ذكر ما أُريد منه، وقالَ فى المطمح ان ابا على القالى انقطع، وبهت فما c وصل الّا قطع،، ووقف ساكتا مفكّرا، وتشوّف لا ناسيا ولا متذكّرا،، فلما راى ذلك منذر بن سعيد وكان ممن حضر فى زمرة الفقهاء قام من ذاته، بدرجة من مرقاته،، فوصل افتتاح ابى على *لأول خطبته d بكلام عجيب، ونادى من الاحسان فى ذلك المقام كلّ مجيب،، فقال e يسحّه سحّا كانّما كان يحفظه قبل ذلك بمدّة وبدأ من المكان الذى انتهى اليه ابو على البغدادى فقال امّا بعد *حمد الله والثناء عليه

a) Les man. portent ورومانيين. b) Peut-être الكشكينانى ou الكشكيانى ; voyez le *Lobb-al-lobāb*. c) Les man. d'al-M. portent وما. d) Les man. du *Matmah* omettent ces mots et ajoutent البغدادى. e) Ce mot manque dans les man. d'al-Makkarī.

والتعداد لآلائه، والشكر لنعمائه، والصلاة على محمد صفيه وخاتم انبيائه a، فان لكل
حادثة مقاما ولكل مقام مقالا، وليس بعد الحقّ الا الضلال، وانى قد قُمْتُ فى مقام
كريم، بين يدى ملك عظيم، فأَصْغُوا الىّ معشرَ الملأ باسماعكم، *والقنوا عنّى b
بافئدتكم، ان من الحقّ ان يقال للمُحِقّ صدقتَ، وللمُبْطِل كذبتَ، وان الجليل
تعالى فى سمائه، *وتقدّس بصفاته واسمائه c، امر كليمه موسى صلى الله تع وعلى نبيّنا
وعليه وعلى جميع انبيائه، ان يذكّر قومَه بايام d الله عز وجل عندهم * وفيه وفى
رسول الله محمد صلّعم اسوة حسنة e * وانّى اذكّركم بايام الله عندكم f، وتَلافيه
لكم بخلافة امير المومنين التى * لمّتْ شَعَثكم g، وآمنت سِرْبكم، ورفعت خوفكم h،
* بعد ان كنتم i قليلا فكثّركم، ومستضعفين فقوّاكم، ومستذلّين فنصركم، ولّاه الله
رعايتكم، واسند اليه امامتكم j، ايامَ ضربت الفتنة سرادقها على الآفاق، واحاطت
بكم شُعَلُ النفاق، حتى صِرْتم فى مثل حدقة البعير، من ضيق الحال ونكد العيش
والتغيير، فاستبدلتم بخلافته من الشدّة بالرجاء، وانتقلتم بيُمْن سياسته الى
كنف العافية بعد استيطان البلاء، أَنْشُدُكم k الله يا معشرَ الملأ الم تكن الدماء
مسفوكة فحقنها، والسُبُلُ مخوفة فآمنها، والاموالُ منتهبة فاحرزها وحصّنها، الم تكن
البلاد خرابا فعمّرها، وثغورُ l المسلمين مهتضمة فحماها ونصرها، فاذكروا آلاء الله عليكم
بخلافته، وتلافِيَه جمع كلمتكم بعد افتراقها بامامته، حتى اذهب الله عنكم غيظكم،
وشفى صدوركم، وصرتم يدًا على عدوّكم m، بعد ان كان باسكم بينكم، فناشدتُكم
الله الم تكن خلافته قفل الفتنة بعد انطلاقها من عقالها، الم يتلافَ صلاح الامور بنفسه
بعد اضطراب احوالها، ولم يَكِلْ ذلك الى القوّاد والاجناد، حتى باشرَكم n بالمهجة
والاولاد، واعتزل النسوان، وهجر الاوطان، ورفض الدعة وهى محبوبة، وترك الركون

a) On ne trouve pas ces mots dans les man. du *Mat*. b) C'est ainsi qu'on lit dans le man. L. du *Mat*.; P. وامنوا على ; al-Makk. G. P. واعنوا , S. L. وافتوا , La. O. واتقنوا. c) *Al-Mat*. P. وتصدق بصفاته , L. وتفرد ببقائه. d) *Al-Mat*. L. P. بنعم. Voyez le *Korân*, sour. 14, vs. 5. e) Ces mots manquent dans les man. du *Mat*. f) *Al-Mat*. L. P. وانا اذكركم نعم (L. نعمة) الله تع عليكم. g) Ces mots ne se trouvent pas dans les man. du *Mat*.; la copulative و ne s'y trouve pas non plus. h) Al-Makk. L. فرقكم , G. S. فوتكم , La. O. فوتكم. i) *Al-Mat*. وكنتم. j) Les man. d'Al-Makk. ajoutent تمهيد. k) *Al-Mat*. فناشدتكم. l) *Al-Mat*. L. وحصون. m) Tout ce qui suit ici, jusqu'aux mots وهى مطلوبة, manque dans les deux man. du *Mat*. n) La. O. بالقوة والمهجة.

الى الراحة وهى مطلوبة، بطويّة صحيحة[a] *وعزيمة صريحة[b]، وبصيرة *نافذة ثاقبة[c]، وريح هابّة غالبة، ونصرة من الله واقعة واجبة، وسلطان[d] قاهر، وجدّ ظاهر[e]، وسيف منصور، تحت عدل مشهور، متحمّلا للنَّصَب، مستقلّا لما ناله فى جانب الله من التعب، حتى لانت الاحوال بعد شدّتها، وانكسرت شوكةُ الفتنة عند حدّتها، ولم يبقَ لها غاربٌ الا جُبّه، ولا نجم لاهلها قرنٌ الا جُذّ[f]، فاصبحتم بنعمة الله اخوانا، وبلّم امير المومنين لشَعْثكم على اعدائه اعوانا، *حتى تواترت لديكم الفتوحات، وفتح الله عليكم بخلافته ابواب البركات[g]، وصارت وفودُ الروم وافدةً عليه[h] وعليكم، وآمالُ الاقصين والادنين مستخدَمة[i] اليه واليكم، ياتون من كل فجّ عميق، وبلد سحيق، لاخذ حبل *منه ومنكم[j] جملةً وتفصيلا، ليقضى الله امرا كان مفعولا، ولن يُخلِفَ الله وعده، ولهذا الامر ما بعده، وتلك اسباب ظاهرة بادية[k] تدلّ على امور باطنة خافية، دليلها قائم، *وجفنها غير نائم[l]، وَعَدَ الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيَسْتَخْلِفَنَّهم فى الارض كما استخلَف الذين من قبلهم الآيةَ[m] وليس فى تصديق ما وعد الله ارتياب، ولكل نبأٍ مستقرٌّ ولكل اجل كتاب، فاحمدوا الله ايّها الناس على آلائه، واسألوه المزيدَ من نعمائه، فقد اصبحتم بيُمْن[n] خلافة امير المومنين ايّده الله بالعصمة والسَّداد، وألْهَمَه بخالص[o] التوفيق الى سبيل الرشاد[p]، احسَنَ الناسِ حالا وانعَمَهم بالا، واعزَّهم قرارا، وامنَعَهم دارا، واكثَفَهم جمعا، واجمَلَهم صُنْعا، لا تهاجون ولا تذادون، وانتم بحمد الله على اعدائكم ظاهرون، فاستعينوا على صلاح احوالكم بالمناصحة لامامكم، والتزام الطاعة لخليفتكم، وابن عمّ نبيّكم، صلعم فان

a) *Al-Mat.* خالصة. b) Ces mots ne se trouvent pas dans les man. du *Mat.* c) *Al-Mat.* L. نابتة نافذة, P. نابتة وافرة; al-Makk. La. ثابتة ثاقبة نافذة, O. نابتة نافذة ثاقبة. d) Ce qui suit ici, jusqu'aux mots على اعدائنا اعوانا, manque dans les man. du *Mat.* e) La. O. ظافر. f) G. L. S. جدّه, La. جرّه. g) *Al-Mat.* L. P. فقد فتح الله تع عليكم ابواب البركات وتواترت (L. + به) عليكم اسباب الفتوحات. h) Les mots عليه و manquent dans le *Mat.* i) Le mot مستخدمة ne se trouve pas dans les deux man. du *Mat.*, et les mots اليه و manquent dans P. j) J'ai suivi ici le man. L. du *Mat.*; P. et les man. d'al-Makk. portent بينه وبينكم. On ne trouve pas les mots جملة وتفصيلا dans le *Mat.* k) Ce mot manque dans les man. du *Mat.*, de même que le mot خافية dans la phrase suivante. l) *Al-Mat.* وعينها عانم. m) *Al-Korān*, sour. 24, vs. 54. n) *Al-Mat.* L. من, P. al-Makk. La. O. ببن. o) *Al-Mat.* L. بحاضر. p) Ce qui suit ici, jusqu'au mot ظاهرون, ne se trouve pas dans les man. du *Mat.*

مَنْ نزع يدًا a من الطاعة يسعى في تفريق الجماعة، ومرق من الدين، فقد خسِرَ الدنيا والآخرةَ ذلك هو الخسران المُبين b، وقد علمتم ان التعلّق بعصمتها، والتمسّك بعُرْوتها، حفظ الاموال وحقن الدماء، وصلاح الخاصّة والدهْماء، وان بقوام الطاعة تُقام الحدود، وتُوفى العهود، وبها وصلت الارحام، ووضحت الاحكام، وبها سدّ الله الخَلَل، وآمن السُبُل، ووطّأ الاكناف، ورفع الاختلاف، وبها طاب لكم القرار، واطمأنّت بكم الدار، فاعتصموا بما امركم الله بالاعتصام به فانه تبارك وتعالى يقول أَطيعوا الله واطيعوا الرسول وأُولِى الامر منكم الآيةَ c وقد علمتم ما احاط بكم d فى جزيرتكم هذه من ضروب المشركين، وصنوف الملحدين، الساعين فى شقّ عصاكم، وتفريق ملاكم e، * الآخذين فى مخاذلة دينكم f، وهتك حرمتكم g، وتوهين دعوة نبيّكم، صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع النبيّين والمُرْسَلين، اقول قولى هذا واختم بالحمد لله ربّ العالمين، واستغفر الله الغفور الرحيم فهو خير الغافرين، وساق ابن سعيد فى المُغرب هذه الحكاية فقال ما صورتُه منذر بن سعيد البلّوطى قاضى الجماعة بقرطبة خطيب مِصْقَع وله كُتُب مؤلّفة فى القرآن والسنّة والورع، والردّ على اهل الاهواء والبِدَع، شاعر بليغ وُلد سنة ٣٦١ h واول سببه فى التعلّق بعبد الرحمن الناصر لما احتفل لدخول رسول ملك الروم صاحب قسطنطينية بقصر قرطبة الاحتفالَ الذى اشتهر ذكرُه احبّ ان تقوم الخطباء والشعراء بين يديه تذكر جلالة مقعده وتصف i ما تهيّأ له من توطيد الخلافة ورَمْى ملوك الامم بسهام باسه ونجدته وتقدّم الى الامير الحكم ابنه وولىّ عهده باعداد من يقوم لذلك من الخطباء ويقدّمه امام انشاد الشعراء فتقدّم j الحكم الى ابى على البغدادى ضيف الخليفة وامير الكلام وبحر اللغة ان يقوم فقام فحمد الله واثنى عليه وصلّى على نبيّه محمد صلّعم ثم انقطع، وبهت فما وصل الا k قطع.. ووقف ساكتا مفكّرا فلما رأى ذلك منذر بن سعيد قام قائما بدرجة من مرقاة ابى على ووصل افتتاحه بكلام عجيب بهر العقولَ جزالةً، وملأ الاسماعَ جلالةً، ثم ذكر الخطبة

a) *Al-Mat.* P. بيده. b) *Al-Korān*, sour. 22, vs. 11. Tout ce qui suit ici, jusqu'aux mots منكم الآية, manque dans les man. du *Mat.* c) *Al-Korān*, sour. 4, vs. 62. d) *Al-Mat.* L., al-Makk. La. به. e) *Al-Mat.* ملتكم. f) Cette phrase ne se trouve pas dans les man. du *Mat.* g) Al-Makk. La. O. حريمكم. Cette phrase manque également dans le man. L. du *Mat.* h) Lisez ٢٧٣. i) Les man. portent ويصف. j) Les man. portent تقدم. k) Les man. portent ولا.

كما سبق وقال بعد ايرادها ما صورتُه فصلّب العلج وغُلب على قلبه وقال هذا كبير القوم او كبش القوم وخرج الناس يتحدّثون عن حسن مقامه وثبات جَنانه، وبلاغة لسانه»، وكان الناصر اشدّهم تعجّبا منه واقبل على ابنه الحكم ولم يكن يثبت معرفته فسأله عنه فقال له هذا منذر بن سعيد البلّوطي فقال والله لقد احسن ما شاء ولئن اخّرني الله بعدُ لارفعنّ من ذكره فضَعْ يدك يا حكم عليه واستخلصْه وذكّرْني بشانه فما للصنيعة مذهبٌ عنه ثم ولّاه الصلاةَ والخطابةَ في المسجد الجامع بالزهراء ثم توفّي محمد بن عيسى القاضي فولّاه قضاء الجماعة بقرطبة واقرّه على الصلاة بالزهراء، ومن شعره في هذه الواقعة قوله a

مقال كحدّ السيف وسط b المحافلِ فرقتُ به ما بين حقّ وباطلِ
بقلب ذكيّ ترتمي جنباتُه c كبارق رعد عند رقش الانامل
فما دحضتْ رجلي ولا زلّ مِقْوَلي ولا طاش d عقلي يومَ تلك الزلازلِ e
وقد حدقتْ نحوي f عيونٌ اخالُها كمثل سهام أُثْبِتَتْ في المقاتلِ
لخير امام كان او هو كائنٌ لمقتبل g او في العصور الاوائلِ
ترى الناس افواجًا يؤمّون بابه h وكلّهم ما بين راضٍ i وآملِ
وفودُ ملوك الروم وسط فنائه مخافةَ باس او رجاءَ لنائلِ
فعِشْ سالما اقصى حياةِ معمَّرٍ j فانت غياث كلّ حافٍ وناعلِ
ستملكها ما بين شرق ومغرب الى درب قسطنطين او ارض بابلِ

انتهى كلام ابن سعيد وهو يؤيّد كلام ابن خلدون ان المامور بالخطبة هو القاليّ، وذكر ان الناصر قال لابنه الحكم بعد ان سأله عنه لقد احسن ما شاء فلئن كان حبّر خطبته هذه واعدّها مخافةَ ان يدور ما دار فيتلافى الوهى فانه لبدع k من قدرته واحتياطه ولئن كان اتى بها على البديهة لوقته فانه لأعجبُ واغربُ، قال ابن سعيد ولما فرغ منذر من خطبته انشد

---

a) La pièce suivante se trouve aussi dans le *Matmah*. b) La. O. بين. c) La. O. جمرانه. d) *Al-Mat.* P. طار. e) *Al-Mat.* L. P. البلابل. f) J'ai substitué نحوي, que l'on trouve dans le *Mat.*, à حولي, comme portent les man. d'al-Makk. g) Lisez لمستقبل (?). h) *Al-Mat.* L. P. داره. i) La. O. راج. j) C'est ainsi qu'on lit dans le *Mat.* Les man. d'al-Makk. portent مؤمل. k) Ce mot me paraît altéré. La. لبليغ.

هذا المقال a الذى ما ... قَنَد   لكنّ قائله b اررى به البلدُ

لو كنتُ فيهم غريبا كنتُ مطّرفا   لكنّنى منهم فاغتالنى النكدُ

ويروى بدلَ هذا المنظر c   ولا دهانى لهم بغىٌ ولا حسدُ

لولا الخلافة ابقى الله حرمتَها   ما كنتُ ابقى بارض ما بها احدُ

انتهى قلتُ كلامه عرّض بابى على القالىّ وتقديمهم اياه فى هذا المقام والله اعلم،

ومن نظم منذر بن سعيد قوله

الموت حوضٌ وكلّنا نَرِدُ   لم يَنْجُ ممّا يخافه احدُ

فلا تكن مُغْرَما برزق غدِ   فلستَ تدرى بما يجىٓء غدُ

وخُذْ من الدهر ما اتاك به   ويسلم الروح منك والجسدُ

والخير والشرّ لا تَدَعْه فما   فى الناس الّا التشنيع والحسدُ

وله وقد آذاه شخص فخاطبه بالكنية فقيل له أَيوذيك وانت تخاطبه بالكنية فقال

لا تعجبوا من انّنى كنّيْتُه   من بعد ما قد سبّنا وأذانا

فالله قد كنّى ابا لَهَبٍ وما   كنّاه الّا خزيةً وهوانا

وقال فى المطمح منذر بن سعيد البلّوطى آيةُ حركة * فى سكون d، وبركة لم تكن معدّة ولا تكون،، وآيةٌ سفاهة فى تحلّم، وجهامة ورع فى طىّ تبسّم،، اذا جدّ، تجرّده e،، واذا هزل، نزل،، وفى كلتا الحالتين لم ينزل للورع عن f مرقب، ولا اكتسب اثما ولا احتقب،، ولى قضاء الجماعة بقرطبة ايامَ عبد الرحمن وناهيك من عدل اظهر، ومن فضل اشهر،، ومن جور قبض، ومن حقّ رفع ومن باطل خفض،، وكان مهيبا صليبا صارما غير جبان ولا عاجز ولا مراقب لاحد من خلق الله فى استخراج حقّ ورفع ظلم واستمرّ فى القضاء الى ان مات الناصر لدين الله ثم ولى ابنه الحكم فاقرّه وفى خلافته توفّى بعد ان استعفى مرارًا فما أُعْفِىَ لم * تُحفظ عليه g مدّةَ ولايته قضيّةُ جور ولا عدتْ عليه فى حكومته زلّةٌ وكان غزير العلم كثير الادب متكلّما بالحقّ، متّسماً بالصدق،، له كُتُب مؤلّفة فى السنّة والورع، والردّ على اهل الاهواء والبِدَع،،

a) C'est ainsi qu'on lit dans al-Homaidi; les man. d'al-Makk. portent المعام. b) Al-Hom. صدحه. c) Al-Hom. بيتجنبا. d) Les man. d'al-Makk. portent وسكون. e) Telle est la leçon du man. P. du *Mat.*; le man. L. porte افحل (= فحل?). Al-Makk. وجد. f) Al-Makk. من. g) Al-Makk. دتحفظ عنه. h) *Al-Mat.* P., al-Makk. متبينا.

وكان خطيبا بليغا وشاعرا محسنا وُلد *سنة ٢٧٣[a] عند ولاية المنذر بن محمد وتوفّى[b] سنة ٣٥٥ ومن شعره فى الزهد قوله

كم تَصابَى وقد علاك المشيبُ   وتَعامَى عمدًا وانت اللبيبُ[c]
كيف تلهو وقد اتاك نذير   *ان سياتى الحِمامُ[d] منك قريبُ
يا سفيهًا[e] قد حان منه رحيلٌ   بعد ذاك الرحيل يومٌ عصيبُ
ان للموت سكرةً فارتقِبْها   لا *يداويك ان اتتْك[f] طبيبُ
كم تَوانَى[g] حتى تصير رهينا   ثم تاتيك دعوةٌ فتجيبُ
بامور المعاد انت عليم   فاعملَنْ جاهدًا *لها يا اريبُ[h]
وتذكّرْ يوماً تُحاسَب فيه   ان مَنْ يدّكرْ فسوف ينيبُ
ليس من ساعة من الدهر الّا   للمنايا عليك فيها رقيبُ[i]

ولعلّنا نذكر شيًا من احوال منذر فى غير هذا الموضع، رَجَع لاخبار الناصر لدين الله، حكى انه لما اعذر لاولاد ابنه ابى مروان عبيد الله اتّخذ لذلك صنيعا عظيما بقصر الزهراء لم يتخلّف احد عنه من اهل مملكته وامر ان يُنْذَر لشهوده الفقهاء المشاورون ومن يليهم من العلماء والعدول ووجوه الناس فتخلّف من بينهم المشاور ابو ابرهيم وافتُقد مكانه لارتفاع منزلته فساء فى ذلك الخليفةَ الناصر اذ ابو ابرهيم من اكابر علماء المالكيّة الذين عليهم المدار ووجد الناصر بسبب ذلك على ابى ابرهيم وامر ابنه ولىّ العهد الحكم بالكتاب اليه والتفنيد له فكتب اليه الحكم رقعةً نسختُها، بسم الله الرحمن الرحيم حفظك الله وتولّاك، وسدّدك ورعاك،، لما امتحن امير المومنين مولاى وسيّدى ابقاه الله الاولياء الذين يستعدّ بهم وجدك متقدّما فى الولاية متأخّرا عن الصِلَة على انه قد انذرك ابقاه الله خصوصًا للمشاركة فى السرور الذى كان عنده لا اعدَمَه الله تَوالِىَ المسرّة ثم أُنذرتَ من قبلُ اِبْلاغًا فى التكرمة فكان منك

a) Ces mots manquent dans les man. d'al-Makk. b) Les man. du *Mat.* ajoutent يوم الخميس وشهاب الحمام. c) *Al-Mat.* L. لبيب. d) *Al-Mat.* L. لليلتين بقيتا من ذى القعدة. e) *Al-Mat.* L. مقيما. f) Telle est la leçon des deux man. du *Mat.*; al-Makk. G. P. تداوى ان اتتك, S. L. تداوى وان اتاك, La. O. تداوى اذا اتتك. g) *Al-Mat.* L. تلوى, P. تتنوّى. h) Les man. d'al-Makk. portent له يا ربيب. i) Le man. L. du *Mat.* ajoute ce vers:

كلَّ يوم ترميك (برميك l.) منها بسهم   ان تخطّا يوما فسدفا (فسوف ما) يُصيبُ ☆

على ذلك كله من التخلّف ما a يعاقب عليك فيه المعذرة واستبلغ امير المومنين فى انكاره ومُعاتبتك عليه فلْقيتُ عليك عنك الحُجّة فعرّفنى اكرمك الله ما العذر الذى اوجب توقّفك عن اجابة دعوته ومشاهدة السرور الذى سُرّ به ورغب المشاركة فيه لنعرّفه ابقاه الله بذلك فتسكن نفسه العزيزة اليه ان شاء الله تعّ فاجابه ابو ابرهيم سلام على الامير سيّدى ورحمة الله قراتُ ابقى الله الامير سيّدى هذا الكتاب وفهمتُه ولم يكن توقّفى لنفسى انما كان لامير المومنين سيّدنا ابقاه الله ولسلطانه لعلمى بمذهبه وسكونى الى تقواه واقتفائه b لاثر سلفه الطيّب رضوان الله عليهم فانهم يستبقون من هذه الطبقة بقيّة لا يمتهنونها بما يشينها ولا بما يغضّ منها ويطرّق الى تنقّصها d يستعدّون * بها لدينهم c ويتزيّنون بهاه عند رعاياهم ومن يَفِدُ عليهم من قُصّادهم فلهذا تخلّفتُ ولعلمى بمذهبه توقّفتُ ان شاء الله فلما اقرأ الحكم اباه الناصر لدين الله جوابَ ابى ابرهيم اسحق اعجبه واستحسن اعتذاره وزال ما بنفسه عليه وكان الفقيه ابو ابرهيم المذكور معظّما عند الناصر وابنه الحكم وحُقّ لهما ان يعظّماه وقد حكى الفقيه ابو القاسم بن مفرج قال كنتُ أَخْتلف الى الفقيه ابى ابرهيم رحّه فيمن يختلف اليه للتفقّه والرواية فانى لعنده فى بعض الايام فى مجلسه بالمسجد المنسوب لابى عثمن الذى كان يصلّى به قربَ داره بجوفىّ قصر قرطبة ومجلسه حافل بجماعة الطَلَبة وذلك بين الصلاتين اذ دخل عليه خصىّ e من اصحاب الرسائل جاء من عند الخليفة الحكم فوقف وسلّم وقال له يا فقيه أَجِبْ امير المومنين ابقاه الله فان الامر خرج فيك وها هو قاعد ينتظرك وقد أُمرتُ باعجالك فالله الله فقال له سمعا وطاعة لامير المومنين ولا عجلة فارجعْ اليه وقّقه الله وعرّفه عنّى انك وجدتّنى فى بيت من بيوت الله تعّ معى طُلّاب العلم أُسمعهم حديث ابن عمّه رسول الله صلّعم فهم يقيّدونه عنّى وليس يمكننى e ترك ما انا فيه حتى يتمّ المجلس المعهود لهم فى رضى الله وطاعته فذلك اوكد من مسيرى اليه الساعة فاذا انقضى امرُ من اجتمع الىّ من هؤلاء المحتسبين فى ذات الله الساعين لمرضاته مشيتُ اليه ان شاء الله ثم اقبل على شانه ومضى الخصىّ يُهَيْنِم متضاجرًا من توقّفه فلم يكن الا ريثما ادّى جوابه وانصرف سريعا ساكن النفْس فقال له يا فقيه انهيتُ قولك على نصّه الى

a) G. L. S. واقتفاره. b) La. O. تنقيصها. c) G. L. P. بما لدينهم. d) G. L. بما.
e) La. يسعنى.

امير المومنين ابقاه الله فاصغى اليه وهو يقول لك جزاك الله خيرا عن الدين وعن امير المومنين وجماعة المسلمين وامتعهم بك واذا انت اوعبتَ فامْضِ اليه راشدًا ان شاء الله فقد أُمرتُ ان ابقى معك حتى ينقضى شغلك وتمضى معى فقال له حسن جميل ولكنّى اضعف عن المشى الى باب السدّة ويصعب علىّ ركوب دابّة لشيخوختى وضعف اعضاءى وباب الصناعة الذى يقرب الىّ من ابواب القصر المكرم احوَطُ وارفَقُ بى فان راى امير المومنين ايّده الله ان يامر بفتحه لادخل عليه منه هوّن علىّ المشى وودع جسمى واحبُّ ان تعود فتُنْهِى اليه ذلك عنّى حتى تعرف رايه فيه وكذلك تعود الىّ فانّى اراك فتى سديدا فكُنْ على الخير مُعِينا ومضى عنه الفتى ثم رجع بعد حين وقال يا فقيه قد اجابك امير المومنين الى ما سألتَ وامر بفتح باب الصناعة وانتظارك من قِبَله ومنه خرجتُ اليك وأُمرتُ بملازمتك مذكّرا بالنهوض عند فراغك وقال افعلْ راشدا وجلس الخصىُّ جانبًا حتى اكمل ابو ابرهيم مجلسه كافسح ما جرتْ به عادتُه غير منزعج ولا قلق فلما انفصلنا عنه قام الى داره فاصلح من شانه ثم مشى الى الخليفة الحكم فوصل اليه من ذلك الباب وقضى حاجته من لقائه ثم صرفه على ذلك الباب فأُعيد اغلاقه على اثر خروجه قال ابن مفرج ولقد تعمّدْنا فى تلك العشيّة اثرَ قيامنا عن الشيخ ابى ابرهيم المرورَ بهذا الباب المعهود اغلاقُه بدُبُر[a] القصر لنرى[b] تجشّم الخليفة له فوجدناه كما وصف الخصىُّ مفتوحا قد حفّه الخدم والاعوان منزعجين ما بين كنّاس وفرّاش متأهّبين لانتظار ابى ابرهيم فاشتدّ عجبُنا لذلك وطال تحدّثنا عنه انتهى فهكذا تكون العلماء مع الملوك والملوك معهم قدّس الله تلك الارواح، ثم توفّى الناصر لدين الله ثانى او ثالث شهر رمضان من عام ٣٥٠ اعظم ما كان سلطانه واعزّ ما كان الاسلام بملكه، قال ابن خلدون[c] خلّف الناصر فى بيوت الاموال ٥ آلاف الف الف ثلاث مرّات وقال غير واحد انه كان يقسم الجباية اثلاثًا ثُلْث للجند وثلث للبناء وثلث مدّخر وكانت جباية الاندلس يومئذ من الكور والقرى ٥ آلاف الف واربعمائة الف وثمانين الف دينار ومن السوق والمستخلَص ٧٠٠ الف وخمسة وستين الف دينار واما اخماس الغنائم فلا يحصيها ديوان، وحكى انه وُجد بخطّ الناصر رحمه ايام السرور التى صَفَتْ له دون تكدير يومُ كذا من شهرِ

a) Les man portent بدبير. b) S. لرى, G. L. ارى, La. O. الذى. c) La. O. حيلن.

كذا من سنة كذا ويوم كذا من كذا وعُدّت تلك الايام فكانت ١٤ يوما فاعجَبْ ايّها العاقل لهذه الدنيا وعدم صفائها، وبخلها بكمال الاحوال لاوليائها،، هذا الخليفة الناصر حلف السعود، المضروب به المثلُ فى الارتقاءa فى الدنيا والصعود،، ملكها ٥٠ سنة وستة او ٧ اشهر وثلثة ايام ولم تصفُ له الا ١٤ يوما فسبحان ذى العزّة القائمة، والمملكة الدائمة،، لا اله الا هو، ومما ينسب للناصر من الشعر وقيل لابنه الحكم قوله

ما كل شىء فقدتُ الّا عوّضنى الله منه شيًّا انّى اذا ما منعتُ خيرى
تباعد الخير من يديّا من كان لى نعمةٌ عليه فانها نعمةٌ عليّا

ومما زيّن الله به دولة الناصر وزراؤه الذين من جملتهم ابن شُهَيْد قال فى المطمحb احمد ابن عبد الملك بن عمر بن شهيد مفخر الامامة، وزهر تلك الكمامة،، وحاجب الناصر عبد الرحمن، وحامل الوزارتين على سموّهما فى ذلك الزمان،، استقلّ بالوزارة على ثقليها، وتصرّف فيها كيف شاء على حدّ نظرها والتفات مُقلها،، فظهر على اولئك الوزرا، واشتهر مع كثرة النظرا،، وكانت امارةُ عبد الرحمن اسعدَ امارة، بعد عنها كل نفس بالسوء أمّارة،، فلم يطرقها صرف، ولم يرمقها بمحذور طرف،، ففرع الناس فيها هضابَ الامانى ورُبَاها، ورتعت ظباؤها فى ظلال ظُبَاها،، وهو اسد على براثنه رابض، ويَدُلّ ابدًا على قائم سيفه قابض،، يروع الروم طيفه، ويجوس خلالَ تلك الديار حيفهc، ويروى *من نجيعهمd كلّ آونة سيفه،، وابن شهيد ينتج الآراء ويلقحها، وينتقدe تلك الانحاء وينقحها،، والدولة مشتملة بغنائه، متجمّلة بسنائه،، وكرمه منتشر على الآمال، ويكسو الاولياء بذلك الاجمال،، وكان له ادب تزخرf لُجَجُه، وتبهر حُجَجُه،، وشعره رقيق لا يُنْقَد، ويكاد من اللدنة يُعْقَد،، فمن ذلك قوله

ترى البدر منها طالعًا فكأنّما يجول وشاحاها على لولؤ رطب
بعيدةُ مَهْوَى القرط مُخْتَفة الحشى ومُفْعَمة الخلخال مفعمة القلب
من اللاى لم يرحلن فوق رواحل ولا سِرْنَ يوما فى ركاب ولا ركب
ولا ابرزتهنّ المُدام لنشوة وشَدْوٍ كما تشدو القيانُ على الشرب

وكانت بينه وبين الوزير عبد الملك بن جهور متولّى الامر معه ومشاركه فى التدبير

a) S. الارتفاع. b) Cet article sur Ibn-Chohaid ne se trouve pas dans le man. L. du *Mat*. c) Les man. portent خيفه. d) Les man. d'al-Makk. portent بل يحسم. e) Al-Makk. G. وتنقد, L. O. وينقد, S. La. وينقد. f) Les man. d'al-Makk. portent تزهر.

اذا حضر مجتمعه a منافسةً، لم تنفصل لهما بها مداخلة ولا ملابسة، وكلاهما يتربّص بصاحبه دائرةَ السوء، ويغصّ به غَصَصَ الافق بالنوء، فاجتاز يوما على b ربضه، ومال الى زيارته ولم يكن من غرضه، فلما استاذن c عليه، تأخّر خروج الآذن اليه، فثنى عنانه حنقًا من حجابه، وضجرًا من d حُجّابه e، وكتب اليه معرّضا وكان يلقّب بالحمار

اتيناك لا عن حاجة عرضتْ لنا اليكَ ولا قلبٍ اليك مشوقِ
* ولكنّنا زُرْنا بضعف عقولنا حمارًا تولّى برّنا بعقوقِ f

فراجعه ابن جهور يغصّ منه، بما كان يشيع عنه، بان جدّه ابا هشام، كان بيطارا بالشام، بقوله

حجبناك لما زُرْتنا غ تائق بقلب عدوّ فى ثياب صديق
وما كان بيطار الشآم بموضع g يباشر فيه برّنا بخليق

ومن قوله يتغزّل حلفتُ بمن رمى فاصاب قلبى وقلّبه على جمر الصدود
لقد أُوْدَى تذكُّره بجسمى h ولستُ اشكّ ان النفس تُودِى
فقيدٌ وهو موجود بقلبى فوا عجبا لموجود فقيد

انتهى وقد تقدّم الكلام على هديّة ابن شهيد وبعض اخباره، ولما توفى الناصر لدين الله تولى الخلافة بعده ولى عهده الحكم المستنصر بالله فجرى على رسمه ولم يُفْقَد من ترتيبه الا شخصُه وولى حجابتَه جعفر الصقلبى واهدى له يومَ ولايته هديّةً كان فيها من الاصناف ما ذكره ابن حيان فى المقتبس وهى مائة مملوك من الافرنج ناشيّة على خيول صافنة كاملو الشكّة والاسلحة من السيوف والدرق والتراس والقلانس الهنديّة وثلثمائة ونيف وعشرون درعا مختلفة الاجناس وثلثمائة خُوذة كذلك ومائة بيضة هنديّة i وخمسون خوذة خشبيّة من بيضات الفرنجة من غير j الخشب يسمّونها الطشطانة k وثلثمائة حربة افرنجية ومائة ترس سلطانية وعشرة جواشن فضة

a) *Al-Mat.* P. موضعه. b) Les man. portent الى. c) *Al-Mat.* P. استمر, al-Makk. استامر. d) *Al-Mat.* P. على, al-Makk. G. S. L. P. عن. e) Al-Makk. S. La. O. P. احجابه, G. L. اصحابه. f) J'ai suivi ici al-Homaidī et Ibn-al-Abbār. Chez Ibn-Khākān et al-Makkarī ce vers se lit ainsi: ولكننا زرنا بفضل حلومنا فكيف تلاقى برنا بعقوق. g) Al-Homaidī لموضع. h) C'est ainsi qu'on lit chez al-Hom.; *al-Mat.* P. بمثلى, al-Makk. بقلبى. i) Les man. d'al-Makk. portent هندية. j) Ce mot me paraît altéré. k) Le mot طشطانة ou طشتانية, comme on le trouve écrit dans les man. d'Ibn-Khaldoun, me semble ap-

مذهّبة وخمسة وعشرون قرنا مذهّبة من قرون الجاموس انتهى، قال ابن خلدون ولاول وثبة الناصر طمع الجلالقة فى الثغور فغزا الحكم المستنصر بنفسه وافتتح بلد فردلند بن غندشلب فنازل شنت اشتبن^a وفتحها عنوةً واستباحها وقفل فبادروا الى عقد السلم وانقبضوا عمّا كانوا فيه، ثم اغزى غالبًا مولاه بلادَ جليقية وسار^b الى مدينة سالم لدخول دار الحرب فجمع له الجلالقة ولقيهم فهزمهم واستباحهم واوطأ العساكر بلدَ فردلند ودوّخها وكان شنجه بن ردمير ملك البشكنش قد انتقض فاغزاه الحكم التُجيبىّ صاحب سرقسطة فى العساكر وجاء ملك الجلالقة لنصره فهزمهم وامتنعوا بقُورية وعاث فى نواحيها وقفل، ثم اغزى الحكم احمد بن يعلى ويحيى بن محمد التجيبى الى بلاد برشلونة فعاثت العساكر فى نواحيها واغزى هذيل بن هاشم ومولاه غالبًا الى بلاد القومس فعاثا فيها وقفلا وعظمت فتوحات الحكم وقُوّاد الثغور فى كل ناحية وكان من اعظمها فتح قَلَهُرّة من بلاد البشكنش على يد غالب فعمرها الحكم واعتنى بها ثم فتح قُطوبية على يد قائد وَشْقة وغنم فيها^c من الاموال والسلاح والاقوات والاثاث وفى بسيطها من الغنم والبقر والرمك والاطعمة والسبى ما لا يحصى، وفى سنة ٣٥٤ سار غالب الى بلد أَلْبَة ومعه يحيى بن محمد التجيبى وقاسم بن مطرّف بن ذى النون فابتنى حصن غُرْماج ودوّخ بلادهم وانصرف، وظهرت فى هذه السنة مراكب المجوس فى البحر الكبير وافسدوا بسائط اشبونة وناشَبهم الناسُ القتالَ فرجعوا الى مراكبهم واخرج الحكم القوّاد لاحتراس السواحل وامر قائد البحر عبد الرحمن بن رُماحِس بتعجيل حركة الاسطول ثم وردت الاخبار بان العساكر نالت منهم فى كل جهة من السواحل، ثم كانت وفادة اردون بن ادفونش ملك الجلالقة وذلك ان الناصر لما اعان عليه شانجه بن ردمير وهو ابن عمّه وهو المملّك من قبل اردون وحمل النصرانيةَ على طاعته واستظهر اردون بصهره فردلند قومس قشتيلية توقّع مظاهرة الحكم لشانجه كما ظاهَرَه ابوه الناصر فبادر الى الوفادة على الحكم مستجيرا به فاحتفل لقدومه وعبّى المواكب ليوم وفادته وكان يوما مشهودا وصفه ابن حيان كما وصف

---

partenir à la langue provençale, et être dérivé de *testa*, tête. Cependant je dois avertir le lecteur qu'on le chercherait en vain dans les dictionnaires romans.

a) Les man. portent اشتبين. *b*) Les man. portent فيه, et un peu plus loin سبيته. *c*) Ce mot manque dans les man. d'al-Makkari.

ايام الوفادات قبله ووصل الى الحكم واجلسه ووعده بالنصر من عدوّه وخلع عليه وكتب بوصوله مُلْقِيًا بنفسه وعاقده على موالاة الاسلام ومقاطعة فردلند القومس واعطى على ذلك صفقة يمينه ورهن ولده غرسية ودُفعت الصِلات والحُمْلان له ولاصحابه وانصرف معه وجوهُ نصارى الذمّة ليوطّدوا له الطاعة عند رعيّته ويقبضوا رهنه، وعند ذلك بعث ابن عمّه شانجه بن ردمير ببيعته وطاعته مع قواميس اهل جليقية وسَمّورة واساقفتهم يرغب فى قبوله ويَمُتّ بما فعل ابوه الناصر معه فتقبّل بيعتهم على شروط شرطها كان منها هدم الحصون والابراج القريبة من ثغور المسلمين، ثم بعث ملكا برشلونة وطرّكونة وغيرهما يسألان تجديد الصلح واقرارهما على ما كانا عليه وبعثا بهديّة وهى ٢٠ صبيّا من الخصيان الصقالبة وعشرون قنطارا من صوف السمور وخمسة قناطير من القصدير وعشر ادراع صقلبيّة ومائتا سيف فرنجيّة فتقبّل الهديّة وعقد لهم [a] على ان يهدموا الحصون التى تضرّ بالثغور والّا يظاهروا عليه اهلَ ملّتهم وان ينذروا بما يكون من النصارى فى الاجْلاب على المسلمين، ثم وصلت رسلُ غرسية بن شانجه ملك البشكنش فى جماعة من الاساقفة والقواميس يسألون الصلح بعد ان كان توقّف واظهر المكر فعقد لهم الحكم فاغتبطوا ورجعوا، ووفدت على الحكم امُّ لذريق بن بلاشك القومس بالغرب من جليقية وهو القومس الاكبر فاخرج الحكم لتلقّيها اهلَ دولته واحتفل لقدومها فى يوم مشهود فوصلت وأُسعفت وعقد السلم لابنها كما رغبت ودُفع لها مال تقسمه بين وفدها دون ما وُصلت به هى وحُملت على بغلة فارهة بسرج ولجام مثقّلَيْن بالذهب وملحفة ديباج ثم عاودت مجلس الحكم للوداع فعاودها بالصلات لسفرها وانطلقت، ثم اوطأ عساكره ارض العدوة من المغرب الاقصى والاوسط وتلقّى دعوته ملوك زناتة من مغراوة ومكناسة فبثّوها فى اعمالهم وخطبوا بها على منابرهم وزاحموا بها دعوة الشيعة فيما بينهم ووفد * عليه ملوكهم من آل خزرة [b] وبنى ابى العافية فاجزل صلتهم واكرم وفادتهم واحسن منصرفهم واستنزل بنى ادريس من ملكهم بالعدوة فى ناحية الريف واجازهم البحر الى قرطبة ثم جلاهم الى الاسكندريّة، وكان محبّا للعلوم مكرما لاهلها جمّاعةً [c] للكُتُب فى انواعها بما لم يجمعه احد من الملوك قبله قال ابو محمد بن حزم اخبرنى تليد الخصىّ وكان على خزانة العلوم والكتب بدار

a) J'ai ajouté ce mot d'après les man. d'Ibn-Khaldoun. b) Les man. d'al-M. portent عليه من بنى حرز. b) Ibn-Khald. L. et le man. O. d'al-Makk. جامعا.

بنى مروان ان عدد الفهارس التى فيها تسميةُ الكتب ٤٤ فهرسة وفى كل فهرسة ٢٠ ورقة ليس فيها الا ذكر اسماء الدواوين لا غيرُ فاقام للعلم والعلماء سوقا نافقة جُلبت اليها بضائعه من كل قطر ووفد على ابيه ابو على القالىّ صاحب كتاب الامالى من بغداد فاكرم مثواه وحسنت منزلته عنده واورث اهل الاندلس علمه واختصّ بالحكم المستنصر واستفاد علمه وكان يبعث فى الكتب الى الاقطار رجالا من التجار ويسرى a اليهم الاموال لشرائها حتى جُلب منها الى الاندلس ما لم يعهدوه وبعث فى كتاب الاغانى الى مصنّفه ابى الفرج الاصبهانى وكان نسبُه فى بنى اميّة وارسل اليه فيه بالف دينار من الذهب العين فبعث اليه بنسخة منه قبل ان يُخرجه بالعراق وكذلك فعل مع القاضى ابى بكر الأَبْهَرى المالكى فى شرحه لمختصَر ابن عبد الحكم وامثال ذلك وجمع بداره الحُذّاق فى صناعة النسخ والمَهَرَة فى الضبط والاجادة فى التجليد فاوعى من ذلك كله واجتمعت بالاندلس خزائن من الكتب لم تكن لاحد من قبله ولا من بعده الا ما يُذكر عن الناصر العباسى ابن المستضىء ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة الى ان بِيعَ اكثرها فى حصار البربر وامر باخراجها وبيعها الحاجبُ واضح من موالى المنصور بن ابى عامر ونُهب ما بقى منها عند دخول البربر قرطبة واقتحامهم اياها عنوةً، انتهى كلام ابن خلدون ببعض اختصار ولْنبسطِ الكلام على الحكم فنقول ان الحكم المستنصر اعتلى سرير الملك ثانى يوم وفاة ابيه يوم الخميس وقام باعباء الملك اتمّ قيام وانفذ الكتب الى الآفاق بتمام الامر له ودعا الناس الى بيعته واستقبل من يومه النظرَ فى تمهيد سلطانه وتثقيف مملكته وضبط قصوره وترتيب اجناده واول ما اخذ البيعة على صقالبة قصره الفتيان المعروفين بالخلفاء الاكابر كجعفر صاحب الخيل والطراز وغيره من عظمائهم وتكفّلوا باخذها على مَنْ وراءهم وتحت ايديهم من طبقتهم وغيرهم واوصل الى نفسه فى الليل b دون هؤلاء الاكابرَ من الكُتّاب والوصفاء والمقدَّمين والعرفاء فبايعوه فلما كملت c بيعة اهل القصر تقدّم الى عظيم دولته جعفر بن عثمن بالنهوض الى d اخيه شقيقه ابى مروان عبيد الله المتخلّف بان يلزمه الحضورَ للبيعة دون معذرة وتقدّم الى موسى بن احمد بن جُدَيْر بالنهوض ايضا الى d ابى الاصبغ عبد العزيز شقيقه الثانى فمضى اليهما كل واحد منهما فى قطيع من الجند

a) Ibn-Kh. L. P. وبسرب. Peut-être doit-on lire وبسدى ou ويسلف. b) G. L. La. O. P. المبيل. c) Les man. portent فى. d) O. على, G. L. S. La. عن.

واتيا بهما الى قصر مدينة الزهراء ونفذ غيرهما من وجوه الرجال فى الخيل لاتيان غيرهما من الاخوة وكانوا يومئذ ثمانية فوافى جميعهم الزهراء فى الليل فنزلوا فى مراتبهم بفُصْلانِ دار الملك وقعدوا فى المجلسَيْن الشرقى والغربى وقعد المستنصر بالله على سرير الملك فى البهو الاوسط من الابهاء المذهّبة القبليّة التى فى السطح الممرّد فاول مَنْ وصل اليه الاخوة فبايعوه وانصتوا لصحيفة البيعة والتزموا الأيْمان المنصوصة بكل ما انعقد فيها ثم بايع بعدهم الوزراء واولادهم واخوتُهم ثم اصحاب الشرطة وطبقات اهل الخدمة وقعد الاخوة والوزراء والوجوه عن يمينه وشماله الا عيسى بن فُطَيس فانه كان قائما ياخذ البيعة على الناس وقام[a] الترتيب على الرسم فى مجالس الاحتفال المعروفة فاصطفّ فى المجلس الذى قعد فيه اكابرُ الفتيان يمينا وشمالا الى آخر البهو كل منهم على قدره فى المنزلة عليهم الظهائرُ البيض شِعارُ الحزن قد تقلّدوا فوقها السيوفَ ثم تلاهم الفتيان الوصفاء عليهم الدروع السابغة والسيوف الحالية صفَّيْن منتظمين فى السطح وفى الفُصْلان المتّصلة به ذوو الاسنان من الفتيان الصقالبة الخصيان لابسين البياض بايديهم السيوف يتّصل بهم مَنْ دونهم من طبقات الخصيان الصقالبة ثم تلاهم الرُماة متنكّبين قسيَّهم وجعابَهم ثم وصلت صفوفَ هؤلاء الخصيان الصقالبة صفوفُ العبيد الفحول شاكّين فى الاسلحة الرائقة والعدّة الكاملة وقامت التعبئة فى دار الجند والترتيب من رجّالة العبيد عليهم الجواشن والأقْبِيَة البيض وعلى روسهم البيضات الصقيلة[b] وبايديهم التراس الملوّنة والاسلحة المزيّنة انتظموا صفَّيْن الى آخر الفُصُل وعلى باب السُدّة الاعظم البوّابون واعوانهم ومن خارج باب السدّة فرسان العبيد الى باب الاقباء واتّصل بهم فرسان الحشم وطبقات الجند والعبيد والرُماة موكبًا اثرَ موكب الى باب المدينة الشارع الى الصحراء فلما تمّت البيعةُ أُذن للناس بالانفصال الا الاخوة والوزراء واهل الخدمة فانهم مكثوا بقصر الزهراء الى ان احتمل جسد الناصر رحمه الى قصر قرطبة للدفن هنالك فى تربة الخلفاء، وفى ذى الحجّة من سنة ٥٠ تكاثرت الوفود بباب الخليفة الحكم من البلاد للبيعة والتماس المطالب من اهل طليطلة وغيرها من قواعد الاندلس واصقاعها فتوصّلوا الى مجلس الخليفة بمحضر جميع الوزراء والقاضى منذر بن سعيد والملأ فأُخذت عليهم البيعة ووقعت

a) G. L. واخذ. b) S. La. O. الصقلية.

الشهادات فى نُسَخِها، وفى آخر صفر من سنة ٥١ اخرج الخليفة الحكم المستنصر بالله مونِّبيه[a] محمدا وزيادا ابنَىْ افلح الناصرى بكتيبة من الحشم لتلقّى غالب الناصرى صاحب مدينة سالم المُورِد للطاغية اردون بن ادفونش الخبيث فى الدولة المتملّك على طوائف من امم الجلالقة والمُنازِع لابن عمّه المملّك قبله شانجه بن ردمير وتبرّع هذا اللعينُ اردون بالمسير الى باب المستنصر بالله من ذاته غيرَ طالب اذن ولا مستظهر بعهد وذلك عند ما بلغه اعتزامُ الحكم المستنصر بالله فى عامه ذلك على الغزو اليه وأَخْذُه فى التأهّب له فاحتال فى تاميل المستنصر بالله والارتماء اليه وخرج قبل امان يُعْقَد له او ذمّة تعصمه فى ٢٠ رجلا من وجوه اصحابه تكنّفهم غالب الناصرى الذى خرجوا اليه فجاء به نحو مولاه الحكم وتلقّاهم ابنا افلح بالجيش المذكور فانزلاهم ثم تحرّكا بهم ثانى يوم نزولهم الى قرطبة فاخرج المستنصر بالله الابنه[b] هشاماه المُصْحَفى فى جيش عظيم كامل التعبئة وتقدّموا الى باب قرطبة فمرّوا بباب قصرها فلما انتهى اردون الى ما بين باب السدّة وباب الجِنان سأل عن مكان رمس الناصر لدين الله فأشير الى ما يوازى موضعه من داخل القصر فى الروضة فخلع قلنسوته وخضع نحو مكان القبر ودعا ثم ردّ قلنسوته الى راسه وامر المستنصر بالله بانزال اردون فى دار الناعورة وقد كان تقدّم فى فرشها بضروب الغطاء والوطاء وانتهى من ذلك الى الغاية وتوسّع له فى الكرامة ولاصحابه فاقام بها الخميسَ والجمعةَ فلما كان يوم السبت تقدّم المستنصر بالله باستدعاء اردون ومن معه بعد اقامة الترتيب وتعبئة الجيوش والاحتفال فى ذلك من العدد والاسلحة والزينة وقعد المستنصر بالله على سرير الملك فى المجلس الشرقى من مجالس السطح وقعد الاخوة وبنوهم والوزراء ونظراؤهم جفّاه[c] فى المجلس فيهم القاضى منذر بن سعيد والحُكّام والفقهاء فتى محمد بن القاسم بن طُمْلُس[d] بالملك اردون واصحابه وعالى لبوسه[e] ثوبٌ ديباجى رومى ابيض وبلبوال[f] من جنسه وفى لونه وعلى راسه قلنسوة رومية منظومة بجوهر وقد حفّته جماعة من وجوه نصارى الذمّة بالاندلس يونسونه ويبصّرونه فيهم وليد بن خيزران[g] قاضى النصارى بقرطبة وعبيد الله بن قاسم مطران طليطلة وغيرهما فدخل

a) G. L. S. مولية, La. O. مولاه. b) Les man. portent هشام. c) G. S. O. حفا, La. حفا d) La. O. خميس. e) G. L. P. لبسه. f) La. وبلوان, O. وبلبيون. Ce mot m'est inconnu, mais il semble designer *un manteau*. g) S. خيران, La. حيزون, O. خبرون.

بين صفّى الترتيب يقلب الطرف فى نظم الصفوف ويجيل الفكر فى كثرتها وتظاهر اسلحتها ورائق حليتها فراعَهم ما ابصروه وصلّبوا على وجوههم وتأمّلوا ناكسى رءوسهم غاضّين من اجفانهم قد سكرت ابصارُهم حتى وصلوا الى باب الاقباء اول باب قصر الزهراء فترجّل جميعُ من كان خرج الى لقائه وتقدّم الملك اردون وخاصّتُه قوامسه على دوابّهم حتى انتهوا الى باب السدّة فأُمر القوامس بالترجّل هنالك والمشى على الاقدام فترجّلوا ودخل الملك اردون وحدَه راكبا مع محمد بن طملس [a] فانزل فى برطل [b] البهو الاوسط من الابهاء القبليّة التى بدار الجند على كرسىّ مرتفع مكسوّ الاوصال بالفضّة وفى هذا المكان بعينه نزل قبله عدوُّه ومُناويه شانجه بن ردمير الوافد على الناصر لدين الله رحمه فقعد اردون على الكرسى وقعد اصحابه بين يديه وخرج الاذن لاردون الملك من المستنصر بالله بالدخول عليه فتقدّم يمشى واصحابه يتبعونه الى ان وصل الى السطح فلما قابَلَ المجلس الشرقى الذى فيه المستنصر بالله وقف وكشف راسه وخلع برنسه وبقى حاسرًا اعْظامًا لما بان له من الدنوّ الى السرير واستُنهض فمضى بين الصفّين المرتّبين فى ساحة السطح الى ان قطع السطح وانتهى الى باب البهو فلما قابَلَ السرير خرّ ساجدا سُويعةً ثم استوى قائما ثم نهض [c] خطوات وعاد الى السجود ووالَى ذلك مرارًا الى ان قدم بين يدى الخليفة واهوى الى يده فناوله اياها وكرّ راجعا مقهقرا على عقبه الى وساد ديباج مثقّل بالذهب جُعل له هنالك ووُضع على قدر ١٠ اذرع من السرير فجلس عليه والبهر قد علاه وأُنهض خلفه من استدنى من قوامسه واتباعه فدنوا ممتثلين فى تكرير الخنوع [d] وناولهم الخليفة يده فقبّلوها وانصرفوا مقهقرين فوقفوا على راس ملكهم ووصل بوصولهم وليد بن خيزران [e] قاضى النصارى بقرطبة فكان الترجمان عن الملك اردون ذلك اليوم فأطْرَقَ الخليفة الحكم عن تكليم الملك اردون اثرَ قعوده امامه وقتًا كيما يفرج روعه فلما راى ان قد خُفّض عليه افتتح تكليمه فقال ليسرّك اقبالُك ويغبّطك تاميلُك فلَدَيْنا لك من حسن راينا ورحب قبولنا فوق ما قد طلبته فلما تُرجم له كلامه اياه تطلّق وجه اردون وانحطّ عن مرتبته فقبّل البساط وقال انا عبد امير المومنين مولاى المتورّك على فضله القاصد الى مجده المحكّم فى نفسه ورجاله فحيث وضعنى من فضله وعوّضنى

---

a) La. O. طميس. b) C'est le mot espagnol *portal*. c) La. مشى. d) S. La. O. الخضوع.
e) S. حرران, La. حيزرون.

من خدمته رجوتُ ان اتقدّم فيه بنيّة صادقة ونصيحة خالصة فقال له الخليفة انه عندنا بمحلّ a من يستحقّ حسنَ راينا وسينالك من تقديمنا لك وتفضيلنا اياك على اهل ملّتك ما يغبطك وتعرفه b به فضل جنوحك الينا واستظلالك بظلّ سلطاننا فعاد اردون الى السجود عند فهمه مقاله c الخليفة وابتهل داعيا وقال ان شانجه ابن عمّي تقدّم الى الخليفة الماضى مستجيرا به منّى فكان من اعْزازه اياه ما يكون من مثله من اعاظم الملوك واكارم الخلفاء لمن قصدهم وامّلهم وكان قصدُه قصدَ مضطرّ قد شنأته رعيّته وانكرت سيرتَه واختارتْني لمكانه من غير سعى منّى علم الله ذلك ولا دعاء اليه فخلعتْه واخرجتْه عن ملكه مضطرًّا مضطهدًا فتطوّل عليه رحمه بان صرفه الى ملكه وقوّى سلطانه واعزّ نصره ومع ذلك فلم يقم بفرض النعمة التى أُسديتْ اليه وقصّر فى اداء المفروض عليه وحقّه وحقّ مولاى امير المومنين من بعده وانا قد قصدتُ باب امير المومنين لغير ضرورة من قرارة سلطانى وموضع احكامى محكّما له فى نفسى ورجالى ومعاقلى ومَنْ تحويه من رعيّتى فشتّانَ ما بيننا بقوّة الثقة ومطرح الهمّة فقال الخليفة قد سمعنا قولك وفهمنا مغزاك وسوف يظهر من اقراضنا اياك على الخصوصية شانُه ويترادف من احساننا اليك به أَضعافُ ما كان من ابينا رحمه الى نِدِّك وان كان له فضل التقدّم بالجنوح الينا والقصد الى سلطاننا فليس ذلك مما يؤخّرك عنه ولا ينقصك مما أَمّلناه وسنصرفك مغبوطا الى بلدك ونشدّ اواخيَّ ملكك ونملّكك جميعَ من انحاش اليك من امّتك ونعقد لك بذلك كتابا يكون بيدك نقرّره d به حدَّ ما بينك وبين ابن عمّك ونقبضه e عن كل ما يصرفه من البلاد الى يدك وسيترادف عليك من احساننا f فوق ما احتسبته والله على ما نقول وكيل فكرّر اردون الخضوع واسهب فى الشكر وقام للانصراف مقهقرا ألّا يولّى الخليفة ظهرَه وقد تكنّفه الفتيان g فاخرجوه الى المجلس الغربى فى السطح وقد علاه البهر واذهله الروع من هول ما باشرَه وجلالة ما عايَنَه من فخامة الخليفة وبهاء العزّة فلما ان دخل المجلس ووقعت عينه على مقعد امير المومنين خاليا منه انحطّ ساجدا اعْظاما له ثم تقدّم الفتيان به الى البهو الذى بجوفيّ هذا المجلس فاجلسوه هنالك على وساد مثقّل بالذهب واقبل

a) La. بمنزلة. b) G. O. ونتعرف, S. وبتعرف. c) S. معنى, La. O. كلام. d) G. L. S. P. تقرر, La. O. ونقرر. e) G. L. P. S. La. ونقبضه. f) La. O. احساننا. g) G. S. et L. ajoutent من جملة الفتيين.

نحوه الحاجبُ جعفر فلما بصر به قام اليه وخنع[a] له واومأ الى تقبيل يده فقبضها الحاجب عنه وانحنى اليه فعانقه وجلس معه فغبّطه ووعده من انجاز عِدات الخليفة له بما ضاعَفَ سروره ثم امر الحاجب جعفر فصُبّتْ عليه الخِلَعُ التى امر له بها الخليفةُ وكانت دُرّاعة منسوجة بالذهب وبرنسا مثلها له لوزة مفرّغة من خالص التبر مرصّعة بالجوهر والياقوت ملأت عينَ العلج تجلّةً فخرّ ساجدا واعلن بالدعاء ثم دعا الحاجب باصحابه رجلا رجلا فخلع عليهم على قدر استحقاقهم فكمل جميع ذلك بحسب ما يصلح لهم وخرّ جميعهم خانعين[b] شاكرين ثم انطلق الملك اردون واصحابه وقُدّم لركابه فى اول البهو الاوسط فرس من عتاق خيل الركاب عليه سرجٌ حلى ولجامٌ حلى مفرّغ وانصرف مع ابن طملس[c] الى قصر الرصافة مكان تضييفه وقد أُعِدّ له فيه كل ما يصلح لمثله من الآلة والفرش والماعون واستقرّ واصحابَه فيما لا كفاء له من سعة التضييف وارغاد المعاش واستشعر الناس من مسرّة هذا اليوم وعزّة الاسلام فيه ما افاضوا فى التبجّح به والتحدّث عنه اياما وكانت للخطباء والشعراء بمجلس الخليفة فى هذا اليوم مقامات حسان، وانشادات لاشعار محكمة متان،، يطول القول فى اختيارها فمن ذلك قول عبد الملك بن سعيد المُرادى من قصيدة حيث يقول

مُلْكُ الخليفة آيةُ الاقْبالِ وسعودُه موصولة بتوالى[d]
فالمسلمون بعزّة وبرفعة والمشركون بذلّة وسفالِ
القتْ بايديها الاعاجمُ نحوه متوقّعين لصولة الرِيبالِ
هذا اميرهم اتاه آخذا منه اواصرَ ذمّة وحبالِ
متواضعا لجلاله متخشّعا متبرّعا لمّا يَرُعْ[e] بقتالِ
سينال بالتاميل للملك الرِضى عزّا يعمّ عِداه[f] بالاذلالِ
لا يومَ اعظم للوُلاة مسرّةً واشدّ غيظا على الاقْيالِ[g]
من يوم اردون الذى اقْباله امل المدى ونهايةَ الاقْبالِ
ملك الاعاجم كلّها ابن ملوكها * والى الرُعاة وللاعاجم والِى[h]

a) La. وخضع. b) La. خاضعين. c) S. طلمس, O. طماس, La. طميس. d) On trouve cette leçon dans le *Bayān al-M.*, t. II, p. ٢٥١. Les man. d'al-M. portent بنوال. e) G. L. يزع. f) La. للعداة. g) G. L. S. P. الاقبال. h) C'est ainsi qu'on lit dans L.; La. O. والى الرعاة والرعاة (G. والرغاة) للاعاجم والى; G. S. P. الى الاعاجم والى.

ان كان جاء ضرورةً فلقد اتى   عن عزّ مملكة وطوع رجال
فالحمد لله المُنيل امامَنا   حظّ الملوك بقدرة المتعالى
هو يوم حشر الناس الّا انهم   لم يُسْألوا فيه عن الأعمال
اضحى الفضاء مغمّما[a] بجيوشه   والافق *اقتم اغبر[b] السربال
لا يهتدى السارى لليل قتامه   الّا بضوء صوارم وعوالى
وكأنّ اجسام الكُماة تسربلتْ   مذ عُرّيتْ منه جسومَ صِلال[c]
وكانّما العقبان عقبان الفَلَى   منقضّة لتخطّف الضُلّال
وكانّ منتصَبَ القنا مهتزّةً   اشطانُ نازحة بعيدة جال[d]
وكانما قُبْلُ التجافيف اكتستْ   نارًا توقُّجُها بلا اشْعال

وقال بعض المؤرّخين فى حقّ الحكم المستنصر عن فتاه تليد صاحب خزانته العلميّة حدّث عنه الحافظ ابو محمد بن حزم ان عدّة الفهارس التى فيها تسمية الكتب ٤٤ فهرسة فى كل فهرسة ٢٠ ورقة ليس فيها الّا ذكر الدواوين فقط انتهى وقد قدّمناه عن ابن خلدون ونقله ابن الابّار فى التكملة، وقال بعض المؤرّخين فى حقّ الحكم انه كان *حسن السيرة[e] مكرما للقادمين عليه جمع من الكتب ما لا يُحَدّ ولا يوصف كثرةً ونفاسةً حتى قيل انها كانت ٤٠٠ الف مجلّد وانهم لما نقلوها اقاموا ٦ اشهر فى نقلها وكان عالما نبيها صافى السريرة وسمع من قاسم بن اصبغ واحمد بن دُحَيْم[f] ومحمد بن عبد السلام الخُشَنى وزكرياء بن خطّاب واكثر عنه واجاز له ثابت بن قاسم وكتب عن خلق كثير سوى هؤلاء وكان يستجلب المصنّفات من الاقاليم والنواحى باذلا فيها ما امكن من الاموال حتى ضاقت عنها خزائنُه وكان ذا غرام بها قد آثر ذلك على لذّات الملوك فاستوسع علمه ودقّ نظره وجمّت استفادته وكان فى المعرفة بالرجال والاخبار والانساب احوذيّا نسيجَ وحده وكان ثقةً فيما ينقله بهذا وصفه ابن الابّار وبدّعه وقال عجبا لابن الفرضى وابن بشكوال كيف لم يذكراه وقلّما يوجد كتاب من خزائنه الّا وله فيه قراءة او نظر فى اىّ فنّ كان ويكتب فيه نسب المؤلّف ومولده ووفاته وياتى من بعد ذلك بغرائب لا تكاد توجد الا عنده لعنايته بهذا الشان، ومما يُنسب اليه من النظم قوله

a) La. O. مغيّما. b) La. O. اغبر مغنم. c) S. La. ضلال. d) Les man. portent حال
e) La. O. احسن النفس سيره. f) S. رحيم.

الى الله اشكو من شمائل مُتْرَفٍ[a] علىّ ظلوم لا يدين بما دِنْتُ
نأَتْ عنه دارى فاستزاد صدوده وانّى على وجدى القديم كما كُنْتُ
ولو كنتُ ادرى انّ شوقىَ بالغ من الوجد ما بلغتُه لم اكنْ بِنْتُ

وقوله عجبتُ وقد ودّعْتُها كيف لم أَمُتْ وكيف انثنتْ بعدة الوداع يدى معى
فيا مقلتى العَبْرَى عليها اسْكبى دمًا ويا كبدى الحَرَّى عليها تقطّعى

وتوفى رحمه بقصر قرطبة ثانى صفر سنة ٣٦٦ لستّ عشرة سنة من خلافته وكان اصابه الفالج فلزم الفراش الى ان هلك رحمه وكان قد شدّد فى ابطال الخمر فى مملكته تشديدا عظيما[b] وولى بعده ابنه هشام صغيرا سنّه ٩ سنين ولا ينافيه قول ابن خلدون قد ناهزَ الحُلْم وكان الحكم قد استوزر له محمد بن ابى عامر ونقله من خطّة القضاء الى وزارته وفوّض اليه فى[c] اموره فاستقلّ، قال ابن خلدون وترقّتْ حالُ ابن ابى عامر عند الحكم فلما توفّى الحكم وبويع هشام ولُقّب المؤيّد بعد ان قُتل ليلتَئذ المُغيرة اخو الحكم المرشّح لامره تناول الفتكَ به محمد بن ابى عامر هذا بممالأة من جعفر بن عثمن المُصْحَفى حاجب ابيه وغالب مولى الحكم صاحب مدينة سالم ومن خصيان القصر يومئذ ورؤسائهم فائق وجوذر فقتل ابنُ ابى عامر المغيرةَ بممالأة مَنْ ذُكر وتمّت البيعة لهشام ثم سما لابن ابى عامر املٌ فى التغلّب على هشام لمكانه فى السنّ وثاب له راى فى الاستبداد فمكر باهل الدولة وضرب بين رجالها وقتل بعضا ببعض وكان من رجال اليمنيّة من مَعافِر دخل جدّه عبد الملك مع طارق وكان عظيما فى قومه وكان له فى الفتح اثر وعظم ابن ابى عامر هذا وغلب على المؤيّد ومنع الوزراء من الوصول اليه الا فى النادر من الايام يسلّمون وينصرفون وارضخ للجند فى العطاء واعلى مراتب العلماء وقمع اهل البِدَع وكان ذا عقل وراى وشجاعة وبَصَر بالحروب ودين متين ثم تجرّد لرؤساء الدولة ممّن عانَدَه وزاحَمَه فمال عليهم وحطّهم عن مراتبهم وقتل بعضا ببعض كل ذلك عن امر[d] هشام وخطّه وتوقيعه حتى استاصلهم وفرّق جموعهم واول ما بدأ بالصقالبة الخصيان الخُدّام بالقصر فحمل الحاجب المصحفى على نكبتهم فنكبهم واخرجهم[e] من القصر وكانوا ٨٠٠ او يزيدون ثم اصهر الى غالب مولى الحكم وبالغ فى خدمته والتنصّح له واستعان به على

a) La. O. مسرف. b) La. O. يوم. c) Ce فى manque dans La. et O. d) Ce mot manque dans les man. d'al-M. e) Ibn-Kh. L., al-Makk. S. واخرهم ; al-Makk. G. L. واخرجهم.

المصحفي فنكبه ومحا اثره من الدولة ثم استعان على غالب بجعفر بن على بن حمدون صاحب المسيلة وقائد الشيعة ممدوحِ ابن هانئ بالقافيّة المشهورة وغيرها وهو النازع الى الحكم اولَ الدولة وبمن كان معه من زناتة والبربر ثم قَتَل جعفر بممالأة ابن عبد الودود وابن جهور وابن ذى النون وامثالهم من اولياء الدولة من العرب وغيرهم ثم لما خلا الجوُّ من اولياء الخلافة والمرشّحين للرياسة رجع الى الجند فاستدعى اهل العدوة من رجال زناتة والبرابرة فرتّب منهم جندا واصطنع اولياء وعرّف عرفاء من صنهاجة ومغراوة وبنى يفرن وبنى برزال ومكناسة وغيرهم فتغلّب على هشام وحجره واستولى على الدولة وملأ الدنيا وهو فى جوف بيته مع a تعظيم الخلافة والخضوع لها وردّ الامور اليها وترديد الغزو والجهاد وقدّم رجال البرابرة وزناتة واخّر رجال العرب واسقطهم عن مراتبهم فتمّ له ما اراد من الاستقلال بالملك والاستبداد بالامر وبنى لنفسه مدينة لنزله سمّاها الزاهرة ونقل اليها خزائن الاموال والاسلحة وقعد على سرير الملك وامر ان يحيّى بتحيّة الملوك وتسمّى بالحاجب المنصور ونُفّذت الكُتُب والمخاطبات والاوامر باسمه وامر بالدعاء له على المنابر باسمه عقبَ الدعاء للخليفة ومحا رسم الخلافة بالجملة ولم يبقَ لهشام المؤيّد من رسوم الخلافة اثر من الدعاء على المنابر وكَتْبِ اسمه فى السكّة والطرز وأُغفل ديوانه ممّا سوى ذلك وجنّد البرابرة والمماليك واستكثر من العبيد والعلوج b للاستيلاء على تلك الرتبة وقهر من تطاوَل اليها من العلّية فظفر من ذلك بما اراد وردّد الغزو بنفسه الى دار الحرب فغزا ٥٦ غزوة فى سنى ايام ملكه لم تنتكس له فيها رايةٌ ولا فُلَّ جيش وما أُصيب له بعثٌ وما هلكت سريّة واجاز عساكره الى العدوة وضرب بين ملوك البرابرة وضرب بعضهم ببعض فاستوثق c له ملكُ المغرب وأَخْبَتَتْ d له ملوكُ زناتة وانقادوا لحكمه واطاعوا سلطانه واجاز ابنه عبد الملك الى ملوك مغراوة بفاس من آل خزر e ولما سخط زيرى ابنَ عطيّة ملكهم لما بلغه من اعلانه بالنيل منه والغضّ من منصبه والتثقّف f لحجر الخليفة هشام فاوقع به عبد الملك سنة ٨٦ ونزل بفاس وملكها وعقد لملوك زناتة على ممالك المغرب واعماله من سجلماسة وغيرها وشرّد زيرى بن عطيّة الى تاهَرْت فابعد المفرّ وهلك فى

a) Les man. d'al-Makk. portent ممن. b) Les man. d'al-M. portent العلوجي. c) Ibn-Kh. L., al-Makk. G. L. I.a. فاستوسق. d) Ibn-Kh. L. واذعنت, Ibn-Kh. P. al-Makk. G. L. S. وخضعت. e) Al-Makk. خرز. f) Ibn-Kh. L. واشتد.

مغزّه ذلك ثم قفل عبد الملك الى قرطبة واستعمل واضحا على المغرب وهلك المنصور اعظم ما كان ملكا واشدّ استيلاءً سنة ٣٩٤a بمدينة سالم منصرَفَه من بعض غزواته ودُفن هنالك وذلك لسبع وعشرين سنة من ملكه، انتهى كلام ابن خلدون وبعضه بالمعنى وزيادة يسيرة ولا باس ان نزيد عليه فنقول مما حُكى انه مكتوب على قبر المنصور رحمه

آثاره تُنْبيك عن اخباره حتى كأنّك بالعيان تراهُ

تالله لا ياتى الزمانُ بمثله ابدًا.ولا يحمى الثغور سواهُ

وعن شجاع مولى المستعين بن هود لما توجّهتُ الى ادفونش وجدتُّه فى مدينة سالم وقد نصب على قبر المنصور بن ابى عامر سريره وامرأته متّكيّة الى جانبه فقال لى يا شجاع اما ترانى قد ملكتُ بلاد المسلمين وجلستُ على قبر ملكهم قال فحملتْنى الغيرة ان قلتُ له لو تنفّس صاحب هذا القبر وانت عليه ما سمع منك ما يكره سماعه ولا استقرّ بك قرار فهمّ بى فمالت امرأته بينى وبينه وقالت له صدقك فيما قال أيفخر مثلك بمثل هذا، وهذا تلخيص ترجمة المنصور من كلام ابن سعيدb قال رحمه ترجمة الملك الاعظم المنصور ابى عامر محمد بن عبد الله بن عامر بن ابى عامر بن الوليد بن يزيد ابن عبد الملك المعافرى من قرية تركشc وعبد الملك جدّه هو الوافد على الاندلس مع طارق فى اول الداخلين من العرب، واما المنصور فقد ذكره ابن حيان فى كتابه المخصوص بالدولة العامريّة والفتح فى المطمح والحجارى فى المُسْهب والشَقُنْدى فى الطُرَف وذكر الحجيع ان اصله من قرية تركشd وانه رحل الى قرطبة وتأدّب بها ثم اقتعد دكّانا عند باب القصر يكتب فيه لمن يعنّ له كتْبٌ من الخدم والرافعين الى السلطان الى ان طلبت السيّدة صُبْح امّ المؤيّد من يكتب عنها فعرّفها به من كان يانس اليه بالجلوس من فتيان القصر فترقّى الى ان كتب عنها فاستحسنتْه ونبّهت عليه الحكم ورغبت فى تشريفه بالخدمة فولّاه قضاء بعض المواضع فظهرت منه نجابة فترقّى الى الزكاة والمواريث باشبيلية وتمكّن فى قلب السيّدة بما استمالها به من التُحَف والخدمة ما لم يتمكّن لغيره ولم يقصّر مع ذلك فى خدمة المصحفى الحاجب الى ان توفّى الحكم وولى ابنه هشام المؤيّد وهو ابن ١٢ سنة فجاشت الروم فجهّز المصحفى ابنَ ابى عامر لدفاعهم فنصره الله عليهم وتمكّن

a) Lisez ٣٩٢. b) G. ابن مشلك, L. ابن مثلك. c) Lisez طُرُّش ('Abd-al-Wāḥid, éd. Dozy, p. ١٨). d) Même remarque.

حبّه من قلوب الناس وكان جوادا عاقلا ذكيًّا استعان بالمصحفى على الصقالبة ثم بغالب على المصحفى وكان غالب صاحب مدينة سالم وتزوّج ابن ابى عامر ابنته اسماء وكان اعظم عُرْس بالاندلس ثم بجعفر بن الاندلسى ممدوح ابن هانئ على غالب ثم بعبد الرحمن بن محمد بن هاشم التُجيبى على جعفر وله فى الحزم والكيد والتجلّد ما افرد له ابن حيان تاليفا وعدد غزواته المنشأة من قرطبة نيف وخمسون غزوة ولم تُهْزَم له راية وقبره بمدينة سالم فى اقصى ثغر شرق الاندلس، ومن شعره

رميتُ بنفسى هولَ كل عظيمة   وخاطرتُ والحُرُّ الكريم مخاطِرُ
وما صاحبى الّا جَنان مشيّعٌ   واسمر خطّىٌّ وابيض باتِرُ
فسُدتُ بنفسى اهلَ كل سيادة   وفاخرتُ حتى لم أَجِدْ من افاخِرُ
وما شِدتُ بنيانا ولكن زيادةً   على ما بنى عبدُ المليك وعامِرُ
رفعنا المعالى بالعوالى حديثةً   وأَوْرَثَناها فى القديم مَعافِرُ

وجُوده مع صاعد البغدادى اللغوى مشهور وصدر عن بعض غزواته فكتب اليه عبد الملك بن شهيد وكان قد تخلّف عنه

انا شيخ والشيخ يهوى الصبايا   * يا بنفسى أَقيك كلَّ الرزايا
ورسول الاله اسهم فى الفَىْ   * لمن لَم يُخَبِّ فيه المطايا

فبعث اليه بثلث جوارٍ من احسن السبى وكتب معهنّ وكانت واحدة اجملهنّ قوله

قد بعثنا بها كشمس النهارِ   فى ثلث من المَهَى ابكارِ
وامتحنّا بعذرة البكران   كنت ترجوه بوادر الاعذارِ
فاجتهدْ وابتدِرْه فانك شيخ   قد جلا ليله بياض النهارِ
صانك الله من كلالك فيها   فمن العار كلّة المسمارِ

فافتضّهنّ من ليلته وكتب له بكرة

قد فضضنا ختم ذاك السوارِ   واصطبغنا من النجيع الجارى

a) C'est ainsi qu'on lit dans le *Bayān al-M.*, t. II, p. ٢٩٣. Les man. d'al-M. portent مثلها. b) On retrouve cette pièce et les deux suivantes dans le 4ème livre. c) Dans le 4ème livre G. L. et S. portent: يا نفس تعيك حرف الرزايا. d) Variante dans le 4ème livre يحث. e) S. La. O. اجمل. f) G L. S. La. P. نرجى. Ce vers manque dans le 4ème livre. g) La. واتئد. Dans le 4ème livre ce vers se lit ainsi:

فاقتدْ واجتهدْ فانك شيخ   سلخ الليل عن بياض النهارِ

وصبرنا على دفاع وحرب a   فلعبنا بالدرّ او بالدرارى
وقضى الشيخ ما قضى بحسام   ذى مضاء عضب الظُبَى بتّار
فاصطنِعْه فليس يجزيك كفرًا   واتّخِذْه فحلاة على الكفّار

وقدم بعض التجار ومعه كيس فيه ياقوت نفيس فتجرّد ليسبح فى النهر وترك الكيس وكان احمر على ثيابه فرفعتْه حِدَأة فى مخالبها فجرى تابعا لها وقد ذهل فتغلغلت فى البساتين وانقطعت عن عينه فرجع متحيّرا فشكا ذلك الى بعض من يانس به فقال له صِفْ حالك لابن ابى عامر فتلطّف فى وصف ذلك بين يديه فقال ننظر ان شاء الله فى شانك وجعل يستدعى اصحاب تلك البساتين ويسأل خُدّامها عمّن ظهر عليه تبديلُ حال فاخبروه ان شخصاه b ينقل الزبل اشترى حمارا وظهر من حاله ما لم يكن قبل ذلك فامر بمجيئه فلما وقعت عينه عليه قال له أَحْضِرِ الكيس الاحمر فتملّك الرعبُ قلبه وارتعش وقال دَعْنى آتى به من منزلى فوكّل به من حمله الى منزله وجاء بالكيس وقد نقص منه ما لا يقدح فى مسرّة صاحبه فجبره ودفعه الى صاحبه فقال والله لأُحدّثنّ فى مشارق الارض ومغاربها ان ابن ابى عامر يحكم على الطيور ويُنْصِف منها والتفت ابن ابى عامر الى الزبّال فقال له لو اتيتَ به اغنَيْناك لكن تخرج كفافًا لا عقابا ولا ثوابا، وتوفّى رحمه فى غزاته للافرنج بصفر سنة ٣٩٢ وحُمل فى سريره على اعناق الرجال وعسكره يحفّ به وبين يديه الى ان وصل الى مدينة سالم ودامت دولته ٢٦ سنة فيها ٥٢ غزوة واحدة c فى الشتاء واخرى فى الصيف، انتهى كلام ابن سعيد وفى بعضه مخالفة لبعض كلام ابن خلدون، وقال الفتح فى المطمح فى حقّ المصحفى *ما صورتُه d الحاجب جعفر بن عثمن المصحفى تجرّد للعليا، وتمرّد فى طلب الدنيا،، حتى بلغ المُنَى، وتسوّغ ذلك الجَنَى،، ووصل الى المنتهى، وحصل على ما اشتهى،، دون مجد e تفرّع من دوحته، ولا فخر نشأ بين مَغْداه وروحته،، فسما دون سابقة، وارتمى f الى رتبة لم تكن *لبِنْيته مطابقة g،، فبلغ بنفسه، ونزع عن جنسه،، ولم يزل يستقلّ ويصطلع، وينتقل من مطلع الى مطلع،، حتى التاج

a) S. وجوب. Dans le 4ème livre on lit: ولهونا بالبدر ثم الدرارى   ونعمنا فى ظل انعم ليل.
b) Var. dans le 4ème livre سيفا   c) La. O. رجلا.   d) Ces deux mots se trouvent placés dans les man. après les mots عثمن المصحفى.   e) La. O. محتد.   f) Les man. d'al-Makk. portent ورمى.   g) Telle est la leçon du *Bayān al-M.*, t. II, p. ٢٧١. *Al-Mat.* L. لهيئته مطابقة، P. بمطابقة (l. لبنيته) لبنيه ; al-Makk. لنفسه مطابقة.

فى افق الخلافة، وارتاح *اليه معطفها[a]، كنشوان السلافة، واستوزره المستنصر، وعنه كان يسمع وبه كان[b] يبصر، وحاجب الامام، واسكب برايه ذلك الغمام، فادرك بذلك ما ادرك، ونصب لامانيّه الحبائل والشَرَك، فاقتنى *اقتناه[c] مدّخره[d]، وازرى بمن سواه وسخر، واستعطفه ابن ابى عامر ونجمه غائر لم يَلُحْ، وسرّه مكتوم لم يَبُحْ، فما عطف، ولا جنى من روضة دنياه ولا قطف، واقام فى تدبير الاندلس ما اقام وبرهانه مستقيم، ومن الفِتَن عقيم، وهو يجرى من السعد فى ميدان رحب، ويكرع[e] من العزّ فى مشرب عذب، ويفضّ ختام السرور، وينهض بملك على لبّته مزرور، وكان له ادب بارع، وخاطر الى نظم البديع[f] مُسارع، فمن محاسنه التى بعثها ايناسُ دهره واسعادُه، وقاله حين اَلْهَتْه سَلْماه او سُعادُه، قوله

لعينيّك فى قلبى علىّ عيونُ[g] وبين ضلوعى للشجون فنونُ
نصيبى من الدنيا هواك وانه غذاى[i] ولكنّى عليه ضنينُ

وسياتى[h] هذه الترجمة من المطمح الصغير ان شاء الله تعَ بما فيه بعض زيادة ونقصان فى الباب الرابع، وقال فى المطمح[j] فى حقّ ابن ابى عامر انه تمرّس ببلاد الشرك اعظمَ تمرُّس، ومحى من طواغيتها كل تعجرُف وتغطرُس، وغادرهم صَرْعَى البقاع، وتركهم اذلَّ من وتد بقاع، ووالَى على بلادهم الوقائع، وسدّد الى اكبادهم سهامَ الفجائع، واغصّ بالحمام ارواحَهم، ونغّص بتلك الآلام بكورَهم ورواحَهم، ومن اوضح الامور هنالك، وافصح الاخبار فى ذلك، ان احد رُسُله كان كثير الانتياب، لذلك الجناب، فسار فى بعض مسيراته الى غرسية صاحب البشكنش فوالى فى اكرامه، وتناهى فى برّه واحترامه، فطالت مدّته فلا منتزَهَ الا مرّ عليه متفرّجا، ولا موضعَ الا سار اليه معرّجا، فحلّ فى ذلك اكثر الكنائس هنالك، فبينما هو يجول فى ساحاتها[k]، ويُجيل العين فى مساحتيها[l]، اذ عرضتْ له امرأةٌ قديمة الاسر، فوبقة على طوا

a) *Al-Mat.* P. اليها يعطفه ; al-Makk. G. S. L. اليه معطفها , Ld. O. اليه معطفا. b) Ce mot manque dans les man. d'al-Makk. c) Al-Makk. فذخر. d) *Al-Mat.* L. P. وادّخر. e) Telle est la leçon du *Bayan al-M.* Les man. d'al-Makk. portent ويبلغ. f) *Al-Mat.* L. P. المعرب. g) Al-Makk. شجون. h) Ce passage n'existe pas dans les man. L. et P. du *Matmah*, mais il se trouve dans le *Bayan al-M.*, t. II, p. ٣١١. i) Les man. portent عليه. j) S Ld O. مطمح. k) G. L. S. ساحتها. l) G. L. S. مساحتها.

الكسر،، فكلّمته، وعرّفته بنفسها واعلمته،، وقالت له أيرضى المنصور أن ينسى بتنعّمه بوسَها، وبتمتّع بلبوس العافية وقد تَصَتْ لبوسَها،، وزعمت ان لها عدّة سنين بتلك الكنيسة مُحْبَسة *a* وبكل ذل وصغار مُلْبَسة،، وناشدته الله فى انْهاء قصّتها، وابْراء غُصّتها،، واستحلفته باغلظ الأيمان، واخذت عليه فى ذلك اوكدَ مواثيق الرحمن،، فلما وصل الى المنصور عرّفه بما يجب تعريفه به واعلامه، وهو مُصْغٍ اليه حتى تمّ كلامه،، فلما فرغ قال له المنصور هل وقفتَ هناك على امرٍ انكرتَه، ام لم تَقِفْ على غير ما ذكرتَه،، فاعلمه بقصّة المرأة وما خرجت عنه اليه، وبالمواثيق التى اخذت عليه،، فعتبه ولامَه، على ان لم يبدأْ بها كلامه،، ثم اخذ فى الجهاد من فوره، وعرض مَنْ *b* من الاجناد فى نجده وغوره،، واصبح غازيا على سرجه، مباهيا مروانَ يومَ مَرْجه،، حتى وافى ابنَ شانجه فى جمعه، فاخذت مهابتُه ببصره وسمعه،، فبادر بالكتاب اليه يتعرّف ما الجنيّة *c* ويحلف له باعظم اليّة،، انه ما جنى ذنبا، ولا جفا عن مضاجع الطاعة جنبا،، فعنّف ارساله وقال لهم كان قد عاقدنى ألّا يبقى ببلاده ماسورة ولا ماسور، ولو حملته فى حواصلها النسورُ *d*،، وقد بلغنى بعدُ بقاء فلانة المُسْلمة فى تلك الكنيسة ووالله لا انْتهى عن ارضه حتى اكتسحها فارسل اليه المرأة فى اثنتين معها واقسم انه ما ابصرهنّ، ولا سمع بهنّ،، واعلمه ان الكنيسة التى اشار بعلمها، قد بالغ فى هدمها،، تحقيقا لقوله، وتضرّع اليه فى الاخذ فيه بطَوْله،، فاستحيى منه، وصرف الجيش عنه،، واوصل المرأة الى نفسه، والحف توحّشها بأُنسه،، وغيّر من حالها، وعاد بسواكب نعماه على جدبها وامْحالها،، وحملها الى قومها، وكحلها بما كان شرد من نومها،، انتهى، وقال فى المطمح *e* ايضا فى حقّه ما نصّه فردٌ نابهٌ على من تقدّمه، وصرّفه *f* واستخدمه،، فانه كان امضاهم سنانا، واذكاهم جَنانا،، واتمّهم جلالا، واعظمهم استقلالا،، فآل امرُه الى ما آل، واوهم العقول بذلك المآل،، فانه كان آية الله فى اتّفاق سعده، وقُرْبه من الملك بعد بُعْده،، بهر برفعة القدر، واستظهر بالاناة وسعة الصدر،، وتحرّك فلاحَ نجمُ الهدو، وتملّك فما خفق بارضه لواء عدوّ،، بعد خمول كابَدَ منه غَصَصًا وشَرَقا، وتعذُّرِ ماموِل طارَدَ فيه سهرًا وأَرقا،،

---

a) S. O. محتبسة. *b*) Ce mot manque dans les man. d'al-Makk. *c*) Les man. d'al-Makk. portent الجلبة. *d*) La. O. الطيور. *e*) Voyez le *Bayān al-M.*, t. II, p. ٢٩٢. *f*) Les man. d'al-Makkarī portent وصوبه.

حتى أُنجز له الموعود، وقرّ تحته امام تلك السعود، فقام بتدبير الخلافة، واقعد من كان له فيها اناقة، وساس الامور احسنَ سياسة، وداس الخطوب باخشن دياسة، فانتظمت له الممالكُ، واتّضحت به المسالك، وانتشر الامن فى كل طريق، واستشعر اليُمْنَ كلُّ فريق، وملك الاندلس بضعا وعشرين حجّة، لم تدحض لسعادتها حُجّة، ولم تزخر لمكروه بها لُجّة، لبست فيها * البهاء والاشْراق *، وتنفّست عن مثل انفاس العراق، وكانت ايامه احمد ايام، وسهام باسه اسدّ سهام، غزا الروم شاتيا وصائفا، ومضى فيما يروم زاجرا وعائفا، فما مرّ له غير سنيح، ولا فاز الا بالمعلّى لا بالمنيح، فاوغل فى تلك الشعاب، وتغلغل حتى راع ليث الغاب، ومشى تحت ألْوِيَته صيدُ القبائل، واستجرّت فى ظلّها بيض الظُّبى وسُمْرُ الذوابل، وهو يقتنى الارواح بغير سَوْم، وينتضى الصفاح على كل رَوْم، ويتْلف من ينساق للخلافة وينقاد، ويختطف منهم كل كوكب وَقّاد، حتى استبدّ وانفرد، وآنس انه من الطاعة ما نفر وشرد، وانتظمت له الاندلس بالعُدْوة، واجتمعت فى ملكه اجتماعَ قُرَيْش بدار الندوة، ومع هذا لم يخلع اسم الحجابة، ولم يَدَع السمعَ لخليفته والاجابة، ظاهرٌ بخالفه الباطنُ، واسمه تنافره مواقعُ الحكم والمواطن، واذلّ قبائل الاندلس باجازة البرابر، واخمل بهم اولئك الاعلام الاكابر، فانه قاوَمَهم باضدادهم، واستكثر من اعْدادهم، حتى تغلّبوا على الجمهور، وسلبوا عنهم الظهور، ووثبوا عليهم الوثوبَ المشهور، الذى اعاد اكثر الاندلس قفرًا يبابا، وملأها وحشا وذِيابا، واعراها من الامان، برهةً من الزمان، وعلى هذه الهيئة فهو وابنه المظفّر كانا آخر سعد الاندلس، وحدّ السرور بها والانس، وغزواته فيها شائعة الأثَر، رائعة كالسيف ذى الأُثر، وحسبُه وافر، ونسبُه مَعافِر، ولذا قال يفتخره رميتُ بنفسى الابياتَ وزاد هنا بعد قوله وابيض ناثر ببتنا وهو

واتّى نَزجّ الجيوش الى الوغى اسود تلاقيها اسودٌ خوادرُ

وكانت امّه تميميّة فحاز الشرف من طرَفَيْه، واتّحف بمِلْرقَيْه، ولذا قال القسطلّى فيه

تلاقتْ عليه من تميم ويَعْرُب شموسٌ تلالا فى العُلى وبدورُ

من الحميريّين الذين اكفّهم سحائب تهمى بالندى وبحورُ

a) L.a. O. الاشراق البلاد. b) Les man. portent واسمه. c) G. L. S. O. رائقة. d) L.a. سعد حبر.

وتصرّف قبل ولايته فى شتّى الولايات، وجاء من التحدّث بمنتهى امره بآيات،، حتى صحّ زجرُه، وجاء بصبحه فجرُه،، توثر عنه فى ذلك اخبار، فيها عجب واعتبار،، وكان اديبا مُحْسِنا، وعالما متفنّنا،، فمن ذلك قوله يمنّى نفسَه بملك مصر والحجاز، ويستدعى صدور تلك الاعجاز a،،

مَنَعَ ٱلعينَ ان تذوق ٱلمنامَا   حبُّها ان ترى الصَّفَا والمقامَا
لى ديون بالشرق عند اناس   قد احلّوا بالمشعَرَيْن الحرامَا
ان قضوها نالوا الامانى والّا   جعلوا دونها رقابا وهامَا
عن قريب ترى خيولَ هشام   يبلغ النيلَ خَطْوُها والشآمَا

انتهى ما نقلتُه من المطمح، وفى المنصور المذكور ايضا قال بعض مؤرّخى المغرب b مازجًا كلامه ببعض كلام الفتح بعد ذكره استعانتَه ببعض الناس على بعض وذكر قتله لجعفر بن على فقال بعده ما صورتُه ثم انفرد بنفسه وصار ينادى صروفَ الدهر هَلْ من مُبارِز فلما لم يَجِدْه حمل الدهر على حكمه فانقاد له وساعَدَه فاستقام امره منفردا بمملكة لا سلف له فيها ومن اوضح الدلائل على سعده انه لم يُنكب قط فى حرب شهدها وما توجّهت عليه هزيمة وما انصرف عن موطن الا قاهرا غالبا على كثرة ما زاوَلَ من الحروب ومارَسَ من الاعداء وواجَهَ من الامم وانها لَخاصّةٌ ما أَحْسبُ احدا من الملوك الاسلاميّة شركه فيها ومن اعظم ما أُعِينَ به مع قوّة سعده وتمكّن جدّه سعةُ جوده وكثرةُ بذله فقد كان فى ذلك أعجوبة الزمان واول ما اتّكأ على ارائك الملوك وارتفق، وانتشر عليه لواء السعد وخفق،، حطّ صاحبَه المصحفى، واثار له كامنَ حقده الخفىّ،، حتى اصاره للهموم لبيسا، وفى غيابات c السجن حبيسا،، فكتب اليه يستعطفه بقوله

هَبْنى اساتُ فأين العفو والكرمُ   اذ قادنى نحوك الاذْعان والندمُ
يا خير مَنْ مُدّت الايدى اليه أَمَا   ترثى لشيخ نعاه عندك القلمُ
بالغتَ فى السُّخْط d فاصفَحْ صفحَ مقتدر   انّ الملوك اذا ما استُرحموا رحمُوا

فما زاده ذلك الا حنقا وحقدا، وما افادتْه الابيات الا تضرّما ووقدا،، فراجَعَه بما ايأسَه، وأراه مرمسه، واطبق عليه محبسه، وضيّق تروّحه من المحنة وتنفّسه،،

a) Les man. ajoutent ici وهو قوله. b) Voyez le *Bayān al-M.*, t. II, p. ٣٠٩. c) Les man. d'al-Makk. portent غايات. d) On trouve cette leçon dans le 4ème livre; ici les man. portent الحظ.

الآن يا جاهلا زلّت به قدمٌ — تبغى التكرّم لما فاتك الكرمُ
اغريتَ بى ملكًا لولا تثبّته — ما جاز لى عنده نطقٌ ولا كلمُ
فايأس من العيش اذ قد صرتَ فى طبق — ان الملوك اذا ما استنقموا نقموا
نفسى اذا سخطت ليست براضية — ولو تشفّع فيك العُرْبُ والعجمُ

وكان من الخيرات الداخلة فى ابواب البرّ والقربة بنيان المسجد الجامع الى ان قال « ومن ذلك بناؤه قنطرة على نهر قرطبة الاعظم ابتدأ بناءها المنصور سنة ٣٧٨ وفرغ منها فى النصف من سنة ٧٩ وانتهت النفقة عليها الى مائة الف دينار واربعين الف دينار فعظمت بها المنفعة وصارت صدرا فى مناقبه الجليلة وكانت هنالك قنعة ارض لشيخ من العامّة ولم يكن للقنطرة عدول عنها فامر المنصور أمناءه بارضائه فيها فحضر الشيخ عندهم فساوموه بالقطعة وعرّفوه وجه الحاجة اليها وان المنصور لا يريد الا انصافه فيها فرماهم الشيخ بالغرض الاقصى عنده فيما ظنّه ألّا تخرج عنه بعشر من دنانير ذهبا كانت عنده اقصى الامنيّة وشرطها صحاحا فاغتنم الامناء غفلته ونقدوه الثمن واشهدوا عليه ثم اخبروا المنصور بخبره فضحك من جهالته وانف من غبنه وامرُ ان يُعطَى ١٠ امثال ما سأل وتدفع له صحاحا كما قال فقبض الشيخ ١٠٠ دينار ذهبا فكاد ان يخرج من عقله وان يُجَنَّ عند قبضها من الفرح وجاء محتفلا فى شكر المنصور وصارت قصّته خبرا سائرا ، ومن ذلك ايضا بناء قنطرة على نهر استجة وهو نهر شنيل وتجشّم لها اعظم مؤنة وسهّل الطُرُق a الوعرة والشعاب الصعبة ، ومن ذلك انه خطّ بيده مصحفا كان يحمله معه فى اسفاره يدرس فيه ويتبرّك به ، ومن قوة رجائه انه اعتنى بجميع ما علق بوجهه من الغبار فى غزواته ومواطن جهاده فكان الخدم ياخذونه عنه بالمناديل فى كل منزل من منازله حتى اجتمع له منه صرّة ضخمة عهد بتصييره فى حنوطه وكان يحملها حيث سار مع اكفانه توقّعا لحلول منيّته وقد كان اتّخذ الاكفان من انيب مكسبه من الضيعة الموروثة من ابيه وغزل بناته وكان يسأل الله تعالى ان يتوفّاه فى طريق الجهاد فكان كذلك وكان متّسما بصحّة باطنه واعترافه بذنبه وخوفه من ربّه وكثرة جهاده واذا ذُكّر بالله ذكر ، واذا خُوّف من عقابه ازدجر ، ولم يزل متنزّها عن كل ما يفتتن به الملوك سوى الخمر

a) *Al-Bayân al-M.*, t. II, p. ٣٠٩. b) Les man. d'al-Makkari portent الطريق.

لكنّه اقلع عنها قبل موته بسنتين[a] وكان عدله فى الخاصّة والعامّة وبسطه الحقّ على الاقرب فالاقرب من خاصّته وحاشيته امرا مضروبا به المثل، ومن عدله انه وقف عليه رجل من العامّة بمجلسه فنادى يا ناصر الحقّ انّ لى مظلمة عند ذلك الوصيف الذى على راسك واشار الى الفتى صاحب الدرقة وكان له فضلُ محلّ عنده ثم قال وقد دعوتُه الى الحاكم فلم يات فقال المنصور أَوعبد الرحمن بن فُطَيس بهذا العجز والمهانة وكُنّا نظنّه امضى من ذلك اذكُرْ مظلمتك يا هذا فذكر الرجل مُعامَلةً كانت جاريةً بينهما قطعها من غير نصف فقال المنصور ما اعظم بليّتنا بهذه الحاشية ثم نظر الى الصقلبى وقد ذهل عقله فقال له ادفعِ الدرقة الى فلان وانزلْ صاغرا وساوِ خصمَك فى مقامه حتى يرفعك الحقُّ او يضعك ففعل ومثل بين يديه ثم قال لصاحب شرطته الخاصّ به خُذْ بيد هذا الفاسق الظالم وقَدِّمْه مع خصمه الى صاحب المظالم لينفذ عليه حكمه باغلظ ما يوجبه الحقُّ من سجن او غيره ففعل ذلك وعاد الرجل اليه شاكرا فقال له المنصور قد انتصفتَ انت اذهبْ لسبيلك وبقى انتصافى انا ممّن تهاون بمنزلتى فتناول الصقلبىّ بانواع من المذلّة وابعده عن الخدمة، ومن ذلك قصّة فتاه الكبير المعروف بالبورقى[b] مع التاجر المغربى فانهما تنازعا فى خصومة توجّهت فيها اليمينُ على الفتى المذكور وهو يومئذ اكبر خدم المنصور واليه امرُ داره وحرمه فدافَعَ الحاكمَ وظنّ ان جاهه يمنع من احْلافه فصرخ التاجر بالمنصور فى طريقه الى الجامع متظلّما من الفتى فوكّل به فى الوقت مَنْ حمله الى الحاكم فانصفه منه وسخط عليه المنصور وقبض نعمته منه ونفاه، ومن ذلك قصّة محمد فَصّاد المنصور وخادمه وامينه علٰى نفسه فان المنصور احتاجه يوما الى الفصد وكان كثير التعهّد له فانفذ رسوله الى محمد فالفاه الرسول محبوسا فى سجن القاضى محمد بن زرب[c] لحيف ظهر منه على امرأته قدّر ان سبيله من الخدمة يحميه من العقوبة فلما عاد الرسول الى المنصور بقصّته امر باخراجه من السجن مع رقيب من رُقباء السجن يلزمه الى ان يفرغ من عمله عنده ثم يردّه الى محبسه ففعل ذلك على ما رسمه وذهب الفاصد الى شكوَى ما ناله فقطع عليه المنصور وقال له يا محمد انه القاضى وهو فى عدله ولو أخذنى الحقّ ما اطقتُ الامتناع منه عُدْ الى محبسك

a) G. L. S. بسنين. b) *Al-Bayān al-M.* بالمَيُورْقى. c) Ce nom se trouve écrit de cette manière dans le *Bayān al-M.*; al-Makk. G. L. S. زوب , La. O. روب.

او اعترفْ بالحقّ فهو الذى يطلقك فانكسر الحاجم ووالت عنه ريح العناية وبلغت قصّته للقاضى فصالحه مع زوجته وزاد القاضى شدّةً فى احكامه، *ومن دهائه[a] قال ابن حيان انه كان جالسا فى بعض الليالى وكانت ليلة شديدة البرد والريح والمطر فدعا باحد الفرسان وقال له انْهَضِ الآن الى فجّ طليارش وأَقِمْ فيه فاول خاطر يخطر عليك سُقْه الىّ قال فنهض الفارس وبقى فى الفجّ فى البرد والريح والمطر واقفا على فرسه اذ وقف عليه قربَ الفجر شيخ هَرِمٌ على حمار له ومعه آلة الحطاب فقال له الفارس الى اين تريد يا شيخ فقال وراء حطب فقال الفارس فى نفسه هذا شيخ مسكين نهض الى الجبل يسوق حطبا فما عسى ان يريد المنصور منه قـل فتركتُه فسار عنّى قليلا ثم فكرتُ فى قول المنصور وخِفْتُ سطوته فنهضتُ الى الشيخ وقلتُ له ارجِعْ الى مولانا المنصور فقال وما عسى ان يريد المنصور من شيخ مثلى سألتك بالله ان تتركنى لطلب معيشتى فقال له الفارس لا افعل ثم قدم به على المنصور ومثّله بين يديه وهو جالس لم يَنَمْ ليلتَه تلك فقال المنصور للصقالبة فتّشوه ففتّش فلم يوجد عنده شىء فقال فتّشوا برذعة حماره فوجدوا داخلها كتابا من نصارى كانوا قد نزعوا الى المنصور يخدمون عنده الى اصحابهم من النصارى ليُقْبِلوا ويضربوا فى احدى النواحى الموطونة فلما انبلج الصبح امر باخراج اولئك النصارى الى باب الزاهرة فضُربت اعناقهم وضربت رقبة الشيخ معهم، ثم ذكر هذا المورّخ قصّة الجوهرى التى قدّمنا نقلها من مُغْرِب ابن سعيد ولكنّا راينا اعادتها بلفظ هذا المورّخ لانه اتمّ مساقا اذ قال عطفًا على دهائه ومن ذلك قصّة الجوهرى التاجر وذلك ان رجلا جوهريّا من تجار المشرق قصد المنصور من مدينة عَدَن بجَوهر كثير واحجار نفيسة فاخذ المنصور من ذلك ما استحسنه ودفع الى التاجر الجوهرى صُرّتَه وكانت قطعة يمانية فاخذ التاجر فى انصرافه طريق الرملة على شطّ النهر فلما توسّطها واليوم قيّظ وعَرَقه منصبٌّ دعتْه نفسُه الى التبرّد فى النهر فوضع ثيابه وتلك[b] الصرّة على الشطّ فمرّت حدأة فاختطفت الصرّة تحسبها لحما وصاعدت فى الافق بها ذاهبةً فقطعت الافق الذى تنظر اليه عينُ التاجر فقامت قيامتُه وعلم انه لا يقدر ان يستدفع ذلك بحيلة فاسرّ الحزن فى نفسه ولحقه لاجل ذلك علّة اضطرب فيها وحضر الدفع الى التجار

a) Ces mots manquent dans les man. d'al-Makkarî. b) La. O. وترك.

فحضر الرجل لذلك بنفسه فاستبان للمنصور * ما بالرجل a من المهانة والكآبة وفقد ما كان عنده من النشاط وشدّة العارضة فسأله المنصور عن شانه فاعلمه بقصّته فقال له هَلّا اتيتَ الينا بحدثان وقوع الامر فكُنّا نستظهر على الحيلة فهل هُديتَ الى الناحية التى اخذ الطائرُ اليها قال مرّ مشرّقا على سمت هذا الجبل الذى يلى قصرك يعنى الرملة فدعا المنصور شُرْطيّه الخاصّ به فقال له جِبنى بمشيخة اهل الرملة الساعةَ فمضى وجاء بهم سريعا فامرهم بالبحث عمّن غيّر حال الاقْلال منهم سريعا وانتقل عن الاضاقة دون تدريج فتناظروا فى ذلك ثم قالوا يا مولانا ما نعلم الا رجلا من ضعفائنا كان يعمل هو واولاده بايديهم ويتناوَلون السبق باقدامهم عجزًا عن شراء دابّة فابتاع اليوم دابّة واكتسى هو وولده كسوة متوسّطة فامر باحضاره من الغد وامر التاجر بالغدو الى الباب فحضر الرجل بعينه بين يدى المنصور فاستدناه والتاجر حاضر وقال له سببٌ ضاع منّا وسقط اليك ما فعلتَ به قال هو ذا يا مولاى وضرب بيده الى حجزة سراويله فاخرج الصرّة بعينها فصاح التاجر طربا وكاد يطير فرحا فقال له المنصور صِفْ لى حديثها فقال بينا انا اعمل فى جنانى تحت نخلة اذ سقطت امامى فاخذتُها وراقنى منظرها فقلتُ ان الطائر اختلسها من قصرك لقرب الجوار فاحترزتُ بها ودعتْنى فاقتى الى اخذ .ا مثاقيل عيونا كانت معها مصرورة وقلتُ اقلّ ما يكون فى كرم مولاى ان يسمح لى بها فاعجب المنصور ما كان منه وقال للتاجر خُذْ صرّتك وانظرْها واصدقْنى عن عددها ففعل وقال وحقّ راسك يا مولاى ما ضاع منها شىء سوى الدنانير التى ذكرها وقد وهبتُها له فقال المنصور نحن أَوْلى بذلك منك ولا ننغّص b عليك فرحك ولولا جَمْعه بين الاضرار والاقرار لكان ثوابه موفورا عليه ثم امر للتاجر بعشرة دنانير عوضا من دنانيره وللجَنّان بعشرة دنانير ثوابا لتأتّيه عن فساد ما وقع بيده وقال لو بدأْتَنا بالاعتراف قبل البحث لأوسعناه جزاء قال فاخذ التاجر فى الثناء على المنصور وقد عاوَدَه نشاطُه وقال والله لابثّنّ فى الاقطار عظيم ملكك ولأُنبّئنّ انك تملك طير اعمالك كما تملك انْسها فلا تعتصم منك ولا تمتنع ولا تونى جارك فضحك المنصور وقال اقصدْ فى قولك يغفر الله لك فعجب الناس من تلطّف المنصور فى امره وحيلته فى تفريج كربته، ....c غزوة المنصور لمدينة

a) S. P. ما بال الرجل, La. O. ما نال الرجل. b) G. O. ننقص, S. L. La. تنقص. c) Le copiste de La. a rempli ce blanc, qui se trouve dans tous les autres man., en ajoutant ومن ذلك.

شنت ياقُب قاصية غليسية واعظم مشاهد النصارى الكائنة ببلاد الاندلس وما يتّصل بها من الارض الكبيرة وكانت كنيستها عندهم بمنزلة الكعبة عندنا وللكعبة المثل الاعلى فبها يحلفون واليها يحجّون من اقصى بلاد رومة وما وراءها ويزعمون ان القبر المزور فيها قبر ياقب الحواريّ احد الاثنى العشر وكان اخصّهم بعيسى على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام وهم يسمّونه اخاه للزومه اياه وياقب بلسانهم يعقوب وكان اسقفا ببيت المقدس فجعل يستقرى الارضين داعيا لمن فيها حتى انتهى الى هذه القاصية ثم عاد الى ارض الشام فمات بها وله ١٢٠ سنة شمسيّة فاحتمل اصحابه رِمّته فدفنوها بهذه الكنيسة التى كانت اقصى اثره ولم يطمع احد من ملوك الاسلام فى قصدها ولا الوصول اليها لصعوبة مدخلها وخشونة مكانها وبُعْد شقّتها فخرج المنصور اليها من قرطبة غازيا بالصائفة يوم السبت لستّ بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٨٧ وهى غزوته الثامنة والاربعون ودخل على مدينة قُورية فلما وصل الى مدينة غليسية وافاه عدد عظيم من القوامس المتمسّكين بالطاعة فى رجالهم وعلى اتمّ احتفالهم فصاروا فى عسكر المسلمين وركبوا فى المغاورة سبيلهم وكان المنصور تقدّم فى انشاء اسطول كبير فى الموضع المعروف بقصر ابى دانس من ساحل غرب الاندلس وجهّزه برجاله البحريّين وصنوف المترجّلين وحمل الاقوات والاطعمة والعُدَد والاسلحة استظهارا على نفوذ العزيمة الى ان خرج بموضع بُرْتقال على نهر دُوْيُرُه فدخل فى النهر الى المكان الذى عمل المنصور على العبور منه فعقد هنالك من هذا الاسطول جسرا بقرب الحصن الذى هنالك ووزع [a] المنصور ما كان فيه من الميرة الى الجند فتوسّعوا فى التزوّد منه الى ارض العدوّ ثم نهض منه يريد شنت ياقوب فقطع ارضين متباعدة الاقطار وقطع بالعبور عدّة انهار كبار وخُلْجان يمدّها البحرُ الاخ ثم افضى العسكر بعد ذلك الى بسائط جليلة من بلاد فرنرش [b] وما يتّصل بها ثم انتهى الى جبل شامخ شديد الوعر لا مسلك فيه ولا طريق لم يهتد الادلاء الى سواه فقدّم المنصور الفَعَلة بالحديد لتوسعة شعابه وتسهيل مسالكه فقطعه العسكر وعبروا بعده وادى منّيه [c] وانبسط المسلمون بعد ذلك فى بسائط عريضة وارضين اريضة وانتهت مُغيرتُهم الى دير قسنان [d] وبسيط

a) Les man. d'al-Makk. portent ووجد. b) *Al-Bayān al-M.* غلنارش. c) Les man. portent مبينه. d) La. O. قسان.

بلنبوه[a] على البحر المحيط وفتحوا حصن شنت بلايه وغنموه وعبروا سباحةً[b] الى جزيرة من البحرِ المحيط لجأ اليها خلق عظيم من اهل تلك النواحى فسبوا من فيها ممّن لجأ اليها وانتهى العسكر الى جبل مُراسيه المتّصل من اكثر جهاته بالبحر المحيط فتخلّلوا اقطاره واستخرجوا من كان فيه وحازوا غنائمه ثم اجاز المسلمون بعد هذا خليجا فى معبرَيْن ارشد الادلّاء اليهما ثم نهر ايلة ثم افضوا الى بسائط واسعة العمارة كثيرة الفائدة ثم انتهوا الى موضع من مشاهد ياقوب صاحب القبر تِلْوِ مشهد قبره عند النصارى فى الفضل يقصد نُسّاكُهم له من اقاصى بلادهم ومن بلاد القبط والنُوبة وغيرهما فغادره المسلمون قاعا وكان النزول بعده على مدينة شنت ياقوب البائسة وذلك يوم الاربعاء لليلتين خلتا من شعبان فوجدها المسلمون خالية من اهلها فحاز المسلمون غنائمها وهدموا مصانعها واسوارها وكنيستها وعفّوْا آثارها ووكّل المنصور بقبر ياقوب من يحفظه ويدفع الاذى عنه وكانت مصانعها بديعة محكمة فغودرت هشيما كأن لم تَغْنَ بالامس وانتسفت بعوثه[c] بعد ذلك سائر البسائط وانتهت الجيوش الى جزيرة شنت مانكش منقطَع هذا الصقع على البحر المحيط وهى غاية لم يبلغْها قبلهم مسلم، ولا وطئها لغير اهلها قدم،، فلم يكن بعدها للخيل مجال، ولا وراءها انتقال،، وانكفأ المنصور عن باب شنت ياقوب وقد بلغ غاية لم يبلغها مسلم قبله فجعل فى طريقه القصد على عمل برمند بن اردون ليستقريَه[d] عائثا ومفسدا حتى وقع فى عمل القوامس المعاهدين الذين فى عسكره فسام بالكفّ عنها ومرّ مجتازا حتى خرج الى حصن بليقية[e] من افتتاحه فاجاز هنالك القوامس بجملتهم على اقدارهم وكساهم وكسا رجالهم وصرفهم الى بلادهم وكتب بالفتح من بليقية[f] وكان مبلغُ ما كساه فى غزاته هذه لملوك الروم ولمَنْ حسن غناؤُه من المسلمين الفين ومائتين وخمسا وثمانيين شقّة من صنوف الخزّ الطرازى واحدى وعشرين كساء من صوف البحر وكسائَيْن عنبريّين واحد عشر سقلاطونا وخمس عشرة مريّشا[g] وسبعة انماط ديباج وثوبَىْ ديباج رومىّ وفروَىْ فنك ووافى جميع العسكر قرطبةَ غانما وعظمت النعمة والمنّة

a) S. بيلنوا , L. يلتوى , *al-Bayān al-M.* بلنبوط. b) Les man. portent بساحته ; *al-Bayān al-M.* سباخة. c) Ce mot manque dans les man. d'al-Makk. d) Les man. portent ليستقربه. e) G. L. بليقة , S. بلقيه , *al-Bayān al-M.* مليقة. f) S. بلقيه. g) G. L. S. مريشات ✿

على المسلمين ولم يجد المنصور بشنت ياقب الا شيخا من الرهبان جالسا على القبر فسأله عن مقامه فقال اوانس[b] يعقوب فامر بالكف عنه[a] ...... وحدّث شعلة قال قلتُ للمنصور ليلةً طال سهرُه فيها قد افرط مولانا فى السهر وبدنه يحتاج الى اكثر من هذا النوم وهو اعلم بما يحرّك عدمُ النوم من علّة العَصَب[d] فقال لى يا شعلة الملك لا ينام اذا نامت الرعيّة ولو استوفيتُ نومى لَمَا كان فى دُور هذا البلد العظيم عين نائمة، انتهى ما نقلتُه من الكتاب المذكور، * وقد رايتُ ان اذكر هنا اخبارا[e] نقلتُها من كتاب الازهار المنثورة، فى الاخبار الماثورة، قال فى الزهرة التاسعة والعشرين تقدّم الى المنصور وانزمار بن ابى بكر البرزالى احد جند المغاربة وقد جلس للعرض والتمييز والميدان غاصّ بالناس فقال له بكلام يُضْحِك الثكلى يا مولاى ما لى ولك أَسْكنتَنى فانّى فى الفحص فقال وما ذاك يا وانزمار واين دارك الواسعة الاعذار فقال اخرجتْنى عنها والله نعمتُك اعطيتَنى من الضياع ما انصبّ علىّ منها من الانعمة ما ملأ بيوتى واخرجنى عنها وانا بربرىّ مجوَّع حديثُ عهد بالبوس أَترانى أُبْعِدُ النعم عنّى ليس ذلك من رايى فتطلّق المنصور وقال لله درّك من قد عيى لَعيّك شكر النعمة أبلَغ عندنا وآخذ بقلوبنا من كلام كل اشدق متزيّد وبليغ متفنن واقبل المنصور على من حوله من اهل الاندلس فقال يا اصحابنا كذا فلتُشْكَر الايادى واستديموا النِعَمَ لا ما انتم عليه من الجحد اللازم والتَشكّى المبرّح وامر له باقصى المنازل الخالية، وفى الموفية ثلثين ما نصّه اصبح المنصور صبيحةَ احدٍ وكان يوم راحة الخدَمة الذى أُعْفُوا فيه عن قصد الخدمة فى مطرٍ وابل غِبَّ ايام مثله فقال هذا يوم لا عهدَ بمثله ولا حيلةَ للمواظبين لقصدنا فى مكابدته فليت شعرى هل شذّ احد منهم عن التغدير فغُرِّبْ فى البكور واخرجْ وتأمّل بقوله لحاجبه فخرج وعاد اليه ضاحكا وقال مولاى على الباب ٣ من البرابرة ابو الناس بن صالح واثنان معه وهم بحال من البَلَل انما تُوضَع بالمشاهدة فقال اوصلْهم الىّ وعجّلْ فدخلوا عليه فى حال الملاّح بللا ونداوةً فضحك اليهم وأَدْنَى مجلسهم وقال خبّرونى كيف جيتم وعلى اىّ حال وصلتم وقد استكان كل ذى روح فى بَيْته وكذ كل طائر بوكره فقال له ابو الناس

a) J'ai ajoute ce mot d'après le *Bayan al-M.* b) Les man. portent اونس. c) La فل, O. وفل. Dans les autres man. il y a un blanc. d) G. L. الغضب. e) Dans G. S. P. et O. il y a ici un blanc, que j'ai rempli d'après La.; L. porte وهاهنا اخبار.

بكلامه يا مولانا ليس كل تاجره قعد عن سوقه واذا عُذر التجار على طلب الربح بالفلوس فنحن اعذر بادراكها بالبِدَر ومن غير رؤوس الاموال وهم يتناوبون الاسواق على اقدامهم ويذيّلون فى قصدها ثيابهم ونحن نأتيك على خيلك ونذيّل على صهواتها ملابسك ونجعل الفضل فى ٥ قصدك مضمونا اذا جعله اولئك طمعا ورجاء فترى لنا ان نجلس عن سوقنا هذا فضحك المنصور ودعا بالكُسى والصلات فدُفعت لهم وانصرفوا مسرورين بغدوتهم، وفى الزهرة الرابعة والاربعين ما نصّه كان بقرطبة على عهد الحاجب المنصور محمد بن ابى عامر فتى من اهل الادب قد رقّتْ حاله فى الطلب فتعلّق بكتاب العمل واختلف الى الخزانة مدّةً حتى قُلّد بعض الاعمال فاستهلك كثيرا من المال فلما ضُمّ الى الحساب أُبرز عليه ٣ آلاف دينار فرُفع خبره الى المنصور فامر باحضاره فلما مُثّل بين يديه ولزم الاقرار بما برز عليه قال له يا فاسق ما الذى جرّأك على مال السلطان تنتهبه فقال قضاءٌ غلب الرأىَ وفقرٌ افسد الامانة فقال المنصور والله لأجعلنّك نكالا لغيرك ليُحْضَرْ كبل وحَدّادٌ فأُحضراه فكُبل الفتى وقال آحْملوه الى السجن وامر الضابط بامتحانه والشدّة عليه فلما قام انشأ يقول

أوّاه أوّاهِ وكم ذا ارى اكثر من تذكار أوّاه

ما لآمْرِئٍ حولٌ ولا قوّة الحول والقوّة لله

فقال المنصور رُدّوه فلما رُدّ ᵈ قال أتمثّلتَ ام قلتَ قال بل قلتُ فقال حُلّوا عنه كبله فلما حُلّ عنه انشأ يقول أَما ترى عفو ابى عامر لا بدّ ان تتبعه منّةْ

كذلك الله اذا ما عفا عن عبده ادخله الجنّةْ

فامر باطلاقه وسوّغه ذلك المال وابرأه من التبعة فيه، وفى الخامسة والاربعين عرض على المنصور بن ابى عامر اسمُ احد خُدّامه فى جملة من طال سجنُه وكان شديد الحقد عليه فوقّع على اسمه بان لا سبيل الى اطلاقه حتى يلحق بأُمّه الهاوِيَة وعُرّف الرجل بتوقيعه فاغتمّ واجهد نفسه فى الدعاء والمناجاة وأَرِقَ المنصور اثرَ ذلك واستدعى النوم فلم يقدر عليه وكان ياتيه عند تنويمه آتٍ كريهُ الشخص عنيف الاخذ يامره باطلاق الرجل ويتوعّده على حبسه فاستدفع شانه مرارًا الى ان علم انه نذير من ربّه فانقاد لامره ودعا بالدواة فى مرقده فكتب باطلاقه وقال فى كتابه هذا طليقُ الله على

a) G. S. L. التجار. b) L. لقصدك. c) S. La. O. فاحضر. d) La. O. ردوه.

رغم انف ابن ابى عامر وتحدّث الناس زمانا بما كان منه، وفى الثلثمائة[a] والاربعين[b] ما نصّه انتهت هيبة المنصور بن ابى عامر وضبطه للجند واستخدامْ ذكور الرجال وقوام الملك الى غاية لم يصلْها ملك قبله فكانت مواقفهم فى الميدان على احتفاله مثلا فى الاطْراق حتى ان الخيل لتمتثل اطراق فرسانها فلا تكثر الصهيل والحمحمة ولقد وقعت عينُه على بارقة سيف قد سلّه بعض الجند باقصى الميدان لهزل او جدّ بحيث ظنّ ان لحظ المنصور لا ينالهم فقال علىّ بشاهر السيف فمُثّل بين يديه لوقته فقال ما حملك على ان شهرتَ سيفك فى مكان لا يُشْهَر فيه الا عن اذن فقال انّى اشرتُ به على صاحبى مُغْمَدًا فذلق من غمده فقال انّ مثل هذا لا يسوغ بالدعوى وامر به فضُربت عنقه بسيفه وطِيف براسه ونُودِىَ عليه بذنبه انتهى، ....[c] ان المنصور كان به داء فى رجله واحتاج الى الكىّ فامر الذى يكويه بذلك وهو قاعد فى موضع مشرف على اهل مملكته فجعل يسامر وينهى ويفرى الفرىّ فى اموره ورجله تُكوى والناس لا يشعرون حتى شمّوا رائحة الجلد واللحم فتعاجّبوا من ذلك وهو غير مكترث واخباره رحّه تحتمل مجلّدات فلنمسك العنان على انّا ذكرنا فى الباب الرابع والسادس من هذا الكتاب جملة من اخباره رحّه فلتراجعْ الى آخره، * وقال الفتح فى المطمح وكان مما أُعين به المنصور على المصحفى ميلُ الوزراء اليه، وايثارهم له عليه،، وسعيهم فى ترقّيه، واخذهم بالعصبيّة فيه،، فانها وان لم تكن حميّة اعرابيّة، فقد كانت سلفيّة سلطانيّة،، يقتفى القوم سبيلَ سلفهم، ويمنعون[d] بها ابتذال شرفهم،، غادروها سيرة، وخلّفوها[e] عدة ابنية،، تشاحّ الخلف فيها تشاحّ اهل الديانة، وعدّوا بها مراتبهم اعظمَ صيانة،، وراوا ان احدا لا يلحق فيها غاية، ولا ينتقد[f] ذا راية،، فلما اصطفى الحكم المستنصر بالله جعفر بن عثمن واصطنعه، ووضعه من اثرته حيث وضعه،، وهو نزيع بينهم، ونابع[g] فيهم،، حسدوه وذمّوه، وخصّوه بالمنافسة وعمّوه،،

a) La. O. السدسة. b) La. O. وفى السبعة والاربعين. c) Dans G. P. et S. il y a ici une lacune; L. porte وقال; La. et O. وفى السابعة والاربعين. J'ai ajouté les mots qu'on lit dans le texte, parce que ce passage se trouve réellement dans le man. P. du *Matmah*. Il se trouve aussi dans le *Bayan al-M.*, t II, p. ٣١٠. d) G. L. La. P. ويجعلون, S. ويتجعلون, O. ويحجلون. e) J'ai suivi ici le *Bayan al-M.* *Al-Mat.* P. et les man. d'al-Makk. portent وتخلفوها. f) Ce mot est sans doute altéré; La. O. ينتقد, *al-Mat.* P. ينتقى. Dans le *Bayan al-M.* on lit: لا يدرك فيها غاية، ولا يلحق فيه رائد. g) G. S. P. La. O. L. نابغ.

وكان أسرع هذه[a] الطائفة من اعالى الوزراء واعاظم الدولة الى مهلوذة المنصور عليه، والانحراف عنه اليه،، آلُ ابى عبدة[b] وآل شُهَيْد وآل فُطَيْس من الخلفاء[c] واصحاب الردافة[d]، وأُولى الشرف والانافة[e]،، وكانوا فى الوقت ازمّة الملك وقوام الخدمة، ومصابيح الامّة، وأَغْيَرَ الخلق على جاهٍ وحرمة،، فأَحْظوا محمد بن ابى عامر مشايعةً، ولبعض[f] اسبابه الجامعة متابعةً،، وشادوا بناءه، وقادوا الى عنصره سناءه،، حتى بلغ الامل، * والتحف بمُناه واكتحل[g]،، وعند التيام هذه الامور لابن ابى عامر استكان جعفر بن عثمن للحادثة وايقن بالنكبة، وزوال الحال وانتقال الرتبة،، وكفّ عن اعتراض محمد وشركته فى التدبير، وانقبض الناس من الرواح اليه والتبكير،، وانثالوا على ابن ابى عامر فخفّ موكبُه، وغار من سماء العزّ كوكبُه،، وتوالى عليه سعى ابن ابى عامر وطلبه، الى ان صار يغدو الى قرطبة،، ويروح وليس بيده[h] من الحجابة الا اسمها، وابن ابى عامر مشتمل على مجرّدِ[i] رسمها،، حتى محاه، وهتك ظلّه[j] واضحاه،، * قال محمد[k] بن اسمعيل رايتُه يُساق الى مجلس الوزارة للمحاسبة راجلا فاقبل يدرم، وجوارحه باللواعج تضطرم،، ورواثق الضاغط ينهره، والزَّمع يقهره،، والبهر والسنّ[l] قد هاضاه، وقصّرا خُطاه،، فسمعتُه يقول رفقًا بى فستدرك ما تحبُّه وتشتهيه، وترى ما كنتَ ترتجيه،، ويا ليت ان الموت يُباع فاغلى الله[m] سومه، حتى يَرِدَه من قد[n] اطال عليه حومه،، * ثم قال[o]

لا تأمننّ من الزمان تقلُّبا ... ان الزمان باهله يتقلَّبُ
ولقد ارانى والليوث تخافنى ... فاخافنى من بعد ذاك الثعلبُ
حسبُ الكريم مذلّةً ومهانةً ... اَلّا يزال الى لئيم يطلبُ

فلما بلغ المجلس جلس فى آخره دون ان يسلّم على احد، او يُومى اليه بعين او يد،، فلما اخذ مجلسه تسرّع اليه الوزير محمد بن حفص بن جابر فعنّفه واستجفاه[p]،

a) Al-Makk. صنع. b) *Al-Mat.* P., al-Makk. La. عبيدة. c) *Al-Mat.* P. الحنفا. d) Al-Makk. G. L. S. P. الردانة, La. O. السدانة. e) Al-Makk. G. L. S. O. P. والامانة, La. والاصانة. f) Al-Makk. وببعض. g) *Al-Mat.* P. والتحف يمينه بمناه واشتمل. h) La. له, O. معه. i) Ce mot manque dans le man. P. du *Mat.* j) *Al-Mat.* P. ظلاله. k) Il y a ici un blanc dans les man. d'al-Makk. l) Telle est la leçon qu'on trouve dans le *Bayān al-M.*; al-Makk. والنفس; *al-Mat.* P. والرمع والبهر قد هاضاه. m) Ce mot manque dans les man. d'al-Makk. n) Même remarque. o) Même remarque. p) Al-Makk. G. L. O. P. واستخفاه, S. La. واستخفاه.

وانكر عليه ترك السلام وجفاه، وجعفر مُعْرِض عنه، الى ان كثر القول منه، فقال له يا هذا جهلتَ المبرّة فاستجهلتَ عالمَهاa وكفرتَ النعمb فلصدتَ بالالاء ولم ترهب مقدّمَها، ولو اتيتَ نكرا، لكان غيرك ادرى، وقد وقعتَ فى امر ما اظنّك تتخلّص منه، ولا يَسَعُك السكوتُ عنه، ونسيتَ الايادى الجميلة، والمبرّات الجليلة، فلما سمع محمد بن حفص ذلك من قوله قال هذا البُهْتُ بعينه واىّ ايادٍيك الغُرّ التى مننتَ بها، وعيّنتَ اداءc واجبها، أَيَدٌ كذا ام يدٌ كذا وعدّدd اشياء انكرها منه ايامَ امارته، وتصرّف الدهر نَوْعَ اشارته، فقال جعفر هذا ما لا يعرف، والحقّ الذى لا يُرَدّ ولا يصرف، دفعىe القطع عن يُمْناك، وتبليغى لك الى مُناك. فاصرّ محمد بن حفص على الجحد فقال جعفر أَنْشُدُ اللهَ مَنْ له علم بما انكره، الّا اعترف به فلا ننكره، وانا احوج الى السكوت، ولا تُحْتَجَب دعوتى فيه عن الملكوت. فقال الوزير احمد بن عباس قد كان بعض ما ذكرتَه يا ابا الحسن وغير هذا اَوْلى بك، وانت فيما انت فيه من محنتك وتلبّك، فقال احرجنى الرجل فتكلّمتُ، واحوجنى الى ما به اعلمتُ. فاقبل الوزير ابن جهور على محمد بن حفص وقال اساتَ الى الحاجب، واوجبتَ عليه غير الواجب، أَمَا علمتَ ان منكوب السلطان لا يسلّم على اوليائه لانه ان فعل الزمهم الردَّ لقوله تعf واذا حُيِّيتم بتحيّة فحَيُّوا باحسن منها او رُدُّوهاg فانْ فعلوا لنالهم من انكار السلطان ما يُخشى ويُخاف، لانه تانيس لمن اوحش وتسامح لمن اخاف، وان تركوا الردّ اسخطوا الله فصار الامساكُ احسن، ومثل هذا لا يخفى على ابى الحسن، فانكسر ابن حفص، وخجل ممّا اتى به من النقص، وبلغه ان اقواما توجّعوا له، وتفجّعوا ممّا وصله، فكتب اليهم

احنُّ الى انفاسكم فانّنها   بواعثَ انفاس الحياة الى نفسى

وان زمنا مرتُ فيه مقيّداًا   لأنقلُ من رَضْوَى وأَضْيَقُ من رمسى

انتهى ....h فنقول ولما توفّى المنصور قام بالامر بعده ابنه عبد الملك المظفّر ابو مروان فجرى على سَنَن ابيه فى السياسة والغزو وكانت ايامه اعيادا دامت مدة

a) C'est ainsi qu'on lit dans le man. P. du *Mat.* et dans le *Bayan al-M.*; al-Makk. معلمها.
b) *Al-Mat.* P. اليد. c) Al-Makk. وعيّن. d) Al-Makk. رفعى. e) *Al-Bayān al-M.* عياش.
f) *Al-Koran*, sour. 4, vs. 88. g) *Al-Mat.* P. مفندا. h) G. L. كلام ابن ابى عامر,
La. O. ما ترجم به المنصور بن ابى عامر ولنرجع. Dans les autres man. il y a ici un blanc.

٧ سنين وكانت تسمى بالسابع تشبيهًا بسابع العروس ولم يزل مثل اسمه مظفّرا الى ان مات سنة ٣٩٩ فى المحرم وقيل سنة ٩٨ وكاتبه المعزّ بن زيرى ملك مغراوة بعد ان استرجع فاسا والمغرب اثرَ موت ابيه فكتب له العهد على المغرب وثارت الطوائف فى ممالكهم وتحرّكت الجلالقة لاسترجاع معاقلهم وحصونهم، *قال ابن خلدون[a] ثم قام بالامر بعده اخوه عبد الرحمن وتلقّب بالناصر لدين الله وقيل بالمامون وجرى على سَنَن ابيه واخيه فى الحجر على الخليفة هشام والاستبداد عليه والاستقلال بالملك دونه ثم ثاب له راى فى الاستيثار بما بقى من رسوم الخلافة فطلب من هشام المؤيّد ان يولّيه عهدَه فاجابه واحضر لذلك الملأ من ارباب الشُورَى واهل الحلّ والعقد فكان يوما مشهودا فكتب عهده من انشاء ابى حفص بن برد بما نصّه هذا ما عهد به هشام المؤيّد بالله امير المومنين الى الناس عامّةً وعاقَدَ الله عليه من نفسه خاصّةً واعطى به صفقةَ يمينه بيعةً تامّةً بعد ان امعن النظر واطال الاستخارة واهمّه ما جعل الله اليه من الامامة وعصب به من امر المومنين واتّقى حلول القدر بما لا يومن وخاف نزول القضاء بما لا يُصْرَف وخشى ان هجم محتومُ ذلك عليه ونزل مقدورُه به ولم يرفع لهذه الامّة عَلَمًا تاوى اليه، وملجأً تنعطف[b] عليه،، أن يكون يلقَى ربّه تبارك وتعالى مفرطا ساهيا عن اداء الحقّ اليها ونقص عند ذلك من احياء قُرَيْش وغيرها من يستحقّ ان يُسْنَد هذا الامر اليه، ويعوَّل فى القيام به عليه،، ممّن يستوجبه بدينه وامانته، وهَدْيه وصيانته،، بعد اطراح الهوى والتحرّى للحقّ والتزلّف الى الله جلّ جلاله بما يرضيه وبعد ان قطع الاواصر واسخط الاقارب فلم يجدْ احدا اجدرَ ان يولّيه عهدَه، ويفوّض اليه الخلافة بعده،، لفضل نفسه وكرم خِيمه وشرف مرتبته وعلوّ منصبه مع تُقاه وعفافه ومعرفته وحزمه من المامون الغيب، الناصح الجيب،، ابى المطرّف[c] عبد الرحمن بن المنصور ابى عامرٍ محمد بن ابى عامر وفّقه الله اذ كان امير المومنين ايّده الله قد ابتلاه واختبره، ونظر فى شانه واعتبره،، فرآه سارعا فى الخيرات، سابقا فى الحلبات، مستوليا على الغايات، جامعا للماثرات،، ومن كان المنصور اباه، والمظفّر اخاه، فلا غروَ ان يبلغ من سُبُل البرّ مداه، ويحوى من خلال الخير ما حواه،، مع ان امير المومنين ايّده الله بما طالَعَ من مكنون العلم ووعاه من

a) Ces mots manquent dans G. L. S. et P. b) Ibn-Kh. L. P. يتعطف. c) Les man. d'al-Makk. portent ici ابى المظفر.

مخزون الاثر يرى ان يكون ولىّ عهده القحطانىّ الذى حدّث عنه عبد الله بن عمرو بن العاص وابو هُريرة ان النبىّ صلّعم قال لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه فلما استوى له الاختيار، وتقابلت عنده فيه الآثار، ولم يجِدْ عنه مذهبا ولا الى غيره معدلا خرج اليه من تدبير الامور فى حياته، وفوّض اليه الخلافة بعد وفاته «a» طائعا راضيا مجتهدا وامضى امير المومنين هذا واجازه وانفذه ولم يشترط فيه مثنويّة ولا خيارا واعطى على الوفاء به فى سرّه وجهره، وقوله وفعله، عهدَ الله وميثاقه وذمّة نبيّه محمد صلّعم وذِمَمَ الخلفاء الراشدين من آبائه وذمّة نفسه ألّا يبدّل، ولا يغيّر ولا يحوّل ولا يزوّل، واشهد على ذلك الله والملائكة وكفى بالله شهيدا واشهد *من اوقع اسمه فى هذا[b] وهو جائز الامر ماضى القول والفعل بمحضر من ولىّ عهده المامون ابى المطرّف[c] عبد الرحمن بن المنصور وفّقه الله وقبوله ما قلّده والزامه نفسَه ما الزمه وذلك فى شهر ربيع الاول سنة ٣٩٠ وكتب الوزراء والقضاة وسائر الناس شهاداتهم بخطوط ايديهم وتسمّى بعدها بولىّ العهد ونعم عليه اهلُ الدولة ذلك فكان فيه حتفُه وانقراض دولته ودولة قومه وكان اسرع الناس كراهةً لذلك الامويّين والقرشيّين فغصّوا بامره وأَسِفوا من تحويل الامر جملةً من المضريّة الى اليمنيّة فاجتمعوا لشانهم وتمشّتْ من بعض الى بعض رجالاتُهم واجمعوا امرهم فى غيبة من المذكور ببلاد الجلالقة فى غزاة من صوائفه ووثبوا بصاحب الشرطة فقتلوه بمقعده من باب قصر الخلافة بقرطبة سنة ٣٩٩ وخلعوا هشاما المؤيَّد وبايعوا محمد بن هشام بن عبد الجبّار بن امير المومنين الناصر لدين الله من اعقاب الخلفاء ولقّبوه المهدى بالله وطار الخبر الى عبد الرحمن الحاجب ابن المنصور بمكانه من الثغر فانفضّ جمعه وقفل الى الحضرة مُدِلًّا بمكانه زعيما بنفسه حتى اذا قرب من الحضرة تسلّل عنه الناس من الجند ووجوه البربر[d] ولحقوا بقرطبة وبايعوا المهدى القائم بالامر واغروه بعبد الرحمن الحاجب لكونه ماجنا مستهتِرا غير صالح للامر فاعترضه منهم من قبضه عليه واحتزّ راسه وحمله الى المهدى والى الجماعة وذهبت دولة العامريّين كأن لم تكن ولله عاقبة الامور، وفى المهدى يقول بعضهم

قد قام مهديُّنا ولكن بملّة الفسق والمجون وشارك الناسَ فى

a) La. O. بمماته. b) Ces mots ne se trouvent pas dans les man. d'al-Makk. c) La. O. ابى المظفر. d) Ibn-Khald. L. نعبص.

لولاه ما زال بالمصون   من كان من قبلهa ذا أَجَمًّا   فاليومَ قد صار ذا قرونِ

وكان رؤساء البربر وزناتة لحقوا بالمهدى لما راوا من سوء تدبير عبد الرحمن وانتقاص امره وكانت الاموية تعتدّ عليهم مما كان من مظاهرتهم العامريّين وتنسب تغلّبَ المنصور وبنيه على الدولة اليهم فسخطتْهم القلوب وخزرتْهم العيون ولولا ما لهم من العصبيّة لاستاصلهم الناس ولغطتْ أَلْسِنَةُ الدهماء من اهل المدينة بكراهتهم وامر المهدى أَلّا يركبوا ولا يتسلّحوا وردّ بعض رؤسائهم فى بعض الايام من باب القصر فانتهبت العامّة دُورَهم وشكا بعضهم الى المهدى ما اصابهم فاعتذر اليهم وقتل من اتّهم من العامّة فى امرهم وهو مع ذلك مظهر لبغضهم مجاهر بسوء الثناء عليهم وبلغهم انه يريد الفتك بهم فتمشّتْ رجالاتهم واسرّوا نَجْواهم واشتَوَروا فى تقديم هشام بن سليمن ابن امير المومنين الناصر وفشا فى الخاصّة حديثهم فعوجلوا عن مرامهم ذلك وأُغرى بهم السواد الاعظم فثاروا بهم وازعجوهم عن المدينة وتُقُبّض على هشام واخيه ابى بكر وأُحضرا بين يدى المهدى فضرب اعناقهما ولحق سليمن ابن اخيهما الحكم بجنود البربر وقد اجتمعوا بظاهر قرطبة وتوامروا فبايعوه ولقّبوه المستعين بالله ونهضوا به الى ثغر طليطلة فاستجاش بابن ادفونش ثم نهض فى جموع البرابرة والنصرانية الى قرطبة وبرز اليه المهدى فى كافّة اهل البلد وخاصّة الدولة فكانت الدائرة عليهم واستُلحم منهم ما يزيد على ٢٠ الفا وهلك من خيار الناس وائمّة المساجد وسَدَنتها ومؤذّنيها عالَمٌ ودخل المستعين قرطبة خاتمَةb المائة الرابعة ولحق المهدى بطليطلة واستجاش بابن ادفونش ثانيةً فنهض معهc الى قرطبة وهزم المستعين والبرابرة بعقبة البقر من ظاهر قرطبة ودخل قرطبة اعنى المهدى وملكها وخرج المستعين مع البربر وتفرّقوا فى البسائط ينهبون لا يُبقون على احد ثم ارتحلوا الى الجزيرة الخضراء فخرج المهدى ومعه ابن ادفونش لاتّباعهم فكرّوا عليهم فانهزم المهدى وابن ادفونش ومن معهما من المسلمين والنصارى واتّبعهم المستعين الى قرطبة فاخرج المهدىُّ هشاما المؤيّد للناس وبايع له وقام بامر حجابته ظنًّا منه ان ذلك ينفعه وهيهات وحاصَرهم المستعين والبربر فخشى اهل قرطبة من اقتحامهم عليهم فاغروا اهل القصر وحاشية المؤيّد بالمهدى وان الفتنة انّما جاءت من قِبَله وتولّى كبرَ ذلك واضحٌ العامرى فقتلوا المهدى واجتمع

a) S. قبله. b) Al-Makkarī ختام. c) G. L. S معه, La. O. معهم.

الكافّة على المؤيّد وقام واضح بحجابته واستمرّ الحصار ولم يُغْنِ عن اهل قرطبة ما فعلوه شيئًا الى ان هلكت القرى والبسائط بقرطبة وعُدمت المرافق وجهدهم الحصارُ وبعث المستعين الى اهل ابن[a] ادفونش يستقدمهم[b] لمظاهرته فبعث اليهم هشام وحاجبه واضح يكفّونهم عن ذلك بان ينزلوا لهم عن ثغور قشتالة التى كان المنصور افتتحها فسكن عن مظاهرتهم عزمُ ادفونش ولم يزل الامر حتى دخل المستعين قرطبة ومن معه من البربر عنوةً سنة ٤٠٣ وقُتل هشام سرًّا ولحق بيوتات قرطبة معرّاتٌ فى نسائهم وابنائهم وظنّ المستعين ان قد استحكم امره وتوثّبت[c] البرابرة والعبيد على الاعمال فولوا المدن العظيمة وتقلّدوا الاعمال[d] الواسعة مثل باديس بن حبوس فى غرناطة والبرزالى فى قرمونة واليفرنى فى رُنْدة وخَزْرون[e] فى شريش وافترق شمل الجماعة بالاندلس وصار الملك طوائف فى آخرين من اهل الدولة مثل ابن عبّاد[*] باشبيلية وابن الافطس ببَطَلْيَوس وابن ذى النون بطليطلة وابن ابى عامر ببلنسية وابن هود بسرقسطة ومُجاهد العامرى بدانية والجزائر[f] .... وكان مائلا لبنى حمود يهجو سليمن المستعين

لا رحم الله سليمانكم ... فانه ضِدُّ سليمانِ ... ذاك به غلتْ شياطينها
وحلَّ هذا كلَّ شيطانِ ... فباسمه ساحتْ على ارضنا ... لهلك سُكّان واوطانِ

وكان[g] من اعظم الاسباب فى فساد دولة المستعين انه قال هذه الابيات مسترِيحًا بها الى خواصّه وهى قوله

حلفتُ بمن صلّى وصام وكبّرَا ... لأُغمدها فيمن تغى وتجبّرَا[h]
وأبصرِ دينَ الله تَحْيى رسومُه ... فيُبْدَل ما قد لاح[h] منها وغُيِّرَا
فوا عجبا من عَبْشَمِيّ[i] مملَّك ... برغم العوالى والمعالى تَبَرْبَرَا
فلو ان امرى بالخيار نبذتُهم ... وحاكمتُهم للسيف حكما محرَّرًا[j]
فامّا حبيب نَسْتلذّ بفقدهم ... وامّا حِمام لا نرى فيه ما زَرَا

وقد سلك هذا المسلك المرتضى المروانى فقال

قد بلغ البربرُ فينا بنا ... ما افسد الاحوال والنظمَا

a) Ce mot manque dans les man. d'al-Makk. b) G. L. يستعدهم, La. O. يستعد بهم, P. يستمدّهم. c) L. وترتبت. d) G. L. S. البلاد. e) Al-Makk. La. وحزرون, G. L. P. وحرزون, O. وحرزون, S. وحرون. f) La. O. قال ابن خلدون (!). g) L. وتكبرا. h) La. O. كان. i) G. S. P. عشمى, La. O. غشمى (l. عبشمى). j) La. محذرا.

كالسهم للطائر لولا الذى　　فيه من الريش لَمَا أَصْمَى
قُوموا بنا فى شانهم قومةً　　تُزِيل عنّا العار والرغمَا
امّا بها نملك او لا نرى　　ما يرجع الطرفُ به أَعْمَى

وكان على بن حمّود الحسنى واخوه قاسم من عقب ادريس ملك فاس وبانيها قد اجازوا مع البربر من العدوة الى الاندلس فدعوا لانفسهم واعصَوْصَبَ عليهم البربر فملكوا قرطبة سنة ٤٠٧ وقتلوا المستعين ومحوا ملك بنى اميّة واتّصل ذلك فى خلف منهم ٧ سنين ثم رجع الملك الى بنى اميّة، وكان المستعين المذكور اديبا بليغا ومن شعره يعارض هرون الرشيد فى قوله　مُلْكُ الثلاث الآنسات عنانى　الابياتَ بقوله

عجبا يهاب الليثُ حدَّ سنانى　　واهابُ لحظَ[a] فواتر الاجفانِ
واقارع الاهوالَ لا متهيّبا[b]　　منها سوى الاعْراض والهجرانِ
وتملّكتْ نفسى ثلث كالدُمَى　　زُهْرُ الوجوه نواعمُ الابدانِ
ككواكب الظلماء لُحْنَ لناظر　　من فوق اغصان على كثبانِ
هٰذى الهلال وتلك بنت المشترى　　حسنًا وهٰذى اختُ غصن البانِ
حاكمتُ فيهنّ السلوَّ الى الصبَى[c]　　فقضى بسلطان على سلطانِ
فأَبحْنَ من قلبى الحمَى وتركْننى　　فى عزّ ملكى كالاسير العانى
لا تعذلوا مَلِكا تذلّل فى الهوى　　ذلُّ الهوى عزٌّ ومُلْكٌ ثانى
ما ضرّ انّى عبدهنّ صبابةً　　وبنو الزمان وهنّ من عبدانى
ان لم أُطِعْ فيهنّ سلطانَ الهوى　　كلفًا بهنّ فلَسْتُ من مروانِ

* وولّى الامر بعده على[d] بن حمّود الحسنى تلقّب بالناصر وخرج عليه العبيد وبعض المغاربة وبايعوا المرتضَى اخا المهدى ثم اغتيل المرتضى واستقام الملك لعلى بن حمود نحو عامين الى ان قتلْته صقالبتُه بالحمّام سنة ٤٠٨ فولّى مكانَه اخوه القاسم وتلقّب بالمامون ونازعه الامرَ بعد ٤ سنين من خلافته يحيى ابن اخيه وكان على سبتة فاجاز الى الاندلس سنة ١٠ واحتلّ بمالقة وكان اخوه ادريس بها منذ عهد ابيهما فبعثه الى سبتة ثم زحف يحيى الى قرطبة فملكها سنة ٤١٢ وتلقّب بالمعتلى وفرّ عمّه *

a) G. S. L. سحر. b) G. S. L. متهيّئا. c) On trouve cette leçon chez al-Homaidî et chez 'Abd-al-wâhid (éd. Dozy, p. ٣١). Al-Makk. G. S. L. P. الرضى, La. O. عن الهوى. d) Dans G. S. et P. il y a ici une lacune, que j'ai remplie d'après La. et O.; L. ثم ان حمود.

المامون الى اشبيلية وبايع له القاضى ابن عبّاد واستجاش بعض البرابرة ثم رجع الى
قرطبة سنة ٤١٣ وملكها ولحق المعتلى بمكانه من مالقة وتغلّب على الجزيرة الخضراء
وتغلّب اخوه ادريس على طنجة من وراء البحر وكان المامون يعتدّها حصنا لنفسه
وفيها ذخائره فلما بلغه الخبر اضطرب وثار عليه اهل قرطبة ونقضوا طاعته وخرج فحاصرهم
فدافعوه ولحق باشبيلية فمنعوه وكان بها ابنه فاخرجوه اليه وضبطوا بلدهم واستبدّ
ابن عبّاد بملكها ولحق المامون بشريش ورجع عنه البربر الى يحيى المعتلى ابن
اخيه فبايعوه سنة ٤١٥ وزحف الى عمّه المامون فتغلّب عليه ولم يزل عنده اسيرا وعند
اخيه ادريس بمالقة الى ان هلك بمحبسه^a^ سنة ٤٢٧ وقيل انه خُنق كما سياتى
واستقلّ المعتلى بالامر واعتقل ابنَيْ^b^ عمّه القاسم، وكان المستكفى من الامويّين
استولى على قرطبة فى هذه المدّة عند ما اخرج اهلُها العلويّة ثم خلع اهل قرطبه
المستكفى الاموى سنة ٤١٦ وصاروا الى طاعة المعتلى واستعمل عليهم ابن عطّاف من
قبله ثم نقضوا سنة ٤١٧ وصرفوا عاملهم وبايعوا للمعتدّ^c^ الاموى اخى المرتضى وبقى المعتلى
يردّد لحصارهم العساكر الى ان اتّفقت الكافّة على اسلام الحصون والمداين له فعلا
سلطانه واشتدّ امره الى ان هلك سنة ٤٢٧ اغتاله اصحابه بدسيسة ابن عبّاد الثائر
باشبيلية فاستدعى اصحابه اخاه ادريس بن على بن *حمود من^d^ سبتة وملّكوه ولقّبوه
المتأيّد وبايعته رُنْدة واعمالها والمريّة والجزيرة الخضراء وبعث عساكره لحرب ابى
القاسم اسمعيل بن عبّاد والد المعتضد بن عباد فجاءوه براسه بعد حروب وهلك ليومين
بعد ذلك سنة ٤٣١ وبويع ابنه يحيى ولم يتمّ له امر وبويع حسن المستنصر بن المعتلى
وفرّ يحيى الى قمارش فهلك بها سنة ٤٣٤ ويقال انه قتله نجا وهلك حسن مسموما
بيد ابنة عمّه ادريس ثأرت منه باخيها وكان ادريس بن يحيى المعتلى معتقلا بمالقة
فأُخرج بعد خطوب وبويع بها فاطاعته غرناطة وقرمونة ولُقّب العالى وهو الممدوح
بالقصيدة المشهورة بالمغرب التى قالها فيه ابو زيد عبد الرحمن بن مقاتل^e^ الفنداقى^f^
الاشبونى من شعراء الذخيرة وهى

a) G. et L. ajoutent عنده. b) Les man. portent بنى. c) Ibn-Khaldoun L. للمعتمدة (l. للمعتمد). d) J'ai ajouté ces deux mots d'après Ibn-Khald.; al-Makk. G. L. S. P. على ابن سبتة, La. O. على من سبتة. e) G. S. L. P. O. مقتل. f) Peut-être doit-on lire الغيذانى, ou الغيذانى, ou القيذاقى, car d'après Ibn-Bassām, القيذان est le nom d'un village من ساحل شنترة.

ألبرق لائح من اندرين   ذرفت عيناك بالدمع[a] المعين
لعبت اسيافه عارية   كمخاريق بايدى اللاعبين
ولصوت الرعد زجرٌ وحنين   ولقلبى زفرات وأنين
وأناجى[b] فى الدجى عاذلتى   ويك لا اسمع[c] قول العاذلين
عيّرتنى بسقام وضنى   انّ هذين لدين العاشقين[d]
قد بدا لى وضح الصبح المبين   فاسقنيها قبل تكبير الأذين
سقّنيها[e] مزّة مشمولة   لبثت فى دنّها بضع سنين
نشر المزج على مفرقها   دُررا عامت فعادت كالبُرين
مع فتيان كرام نُجُب   يتهادون رياحين المجون[f]
شربوا الراح على خدّ رشا[g]   نوّر الورد به والياسمين
وجلت آياته عامدة   سبج الشعر على عاج الجبين
لوت الصدغ على حاجبه   ضمّة اللام على عطفة نون
فترى غصنا على دعص نقى   وترى ليلا على صبح مُبين
ويسقّون اذا ما شربوا   بأباريق وكاس من معين
ومصابيح الدجى قد طفئت   فى بقايا من سواد الليل جُون
وكأنّ الطلّ مسك فى الثرى   وكأنّ النور درّ فى الغصون
والندى يقطر من نرجسه   كدموع اسبلتهنّ[h] الجفون
والثريا قد *علت فى[i] افقها[j]   كقضيب زاهر من ياسمين
وانبرى جنح الدجى من صبحه   كغراب طار عن بيض كنين
وكأنّ الشمس لمّا اشرقت   فانثنت عنها عيون الناظرين

a) La. O. بالماء. b) Ibn-Bassām (man. d'Oxford) وانادى. c) Ibn-B. اقبل. d) Le man. d'Ibn-B. ajoute après ce vers ومنها. e) La. O. اسقنيها. Ce vers manque chez Ibn-B. f) Après ce vers on trouve dans le man. d'Ibn-B. cet autre:

وعليهم زاجرٌ من حلمهم   ولديهم قاصراتُ الطرف عين

g) Ibn-B. بنتى. h) Cette leçon se trouve chez Ibn-B.; al-Makk. O. اسلبتهن, G. S. L. اسكبتهن, La. نثرتهن. i) Telle est la leçon du man. d'Ibn-B.; les man. d'al-Makk. portent هوت من. j) S. برجها.

وجهُ ادريس بن يحيى بن علــــى بن حمّود امير المومنينْ[a]

مَلِكٌ ذو هيبةٍ لكنّه   خاشع لله ربّ العالمينْ
خُطّ بالمسك على ابوابه   ادْخُلوها بسلام آمنينْ[b]
فاذا ما رُفعتْ راياته   خفقتْ بين جناحَىْ جبرئينْ
واذا أشْكَلَ خطبٌ مُعْضِل   صدع الشكَّ بمصباح اليقينْ
*فبيُسْراه يسارُ المُعْسِرينْ[c]   وبيُمْناه لواء السابقينْ
يا بنى احمد يا خير الورى   لابيكم كان وفد[d] المسلمينْ
نزل الوحى عليه فاختبَى[e]   فى الدجى فوقهم الروحُ الامينْ
خُلقوا من ماء عدل وتُقى   وجميع الناس من ماء وطينْ
انظرونا نقتبسْ من نوركم   انه من نور ربّ العالمينْ

وقيل[f] انه انشده اياها من وراء حجاب اقتفاء لطريقة خلفاء بنى العباس فلما بلغ الى قوله   انظرونا نقتبس من نوركم   انه من نور رب العالمين
امر حاجبَه ان يرفع الحجاب وقابَلَ وجهَه وجهَ الشاعر دون حجاب وامر له باحسان[g] جزيل فكان هذا من انبل ما يُحكى عنه، وخُلع العالى سنة ٣٨ وولى ابن عمه محمد ابن ادريس بن على وتلقَّب بالمهدى وتوفّى سنة ٤٤ وبويع ادريس بن يحيى بن ادريس ولُقّب الموفّق ولم يُخطب له بالخلافة وزحف اليه العالى ادريس المخلوع الممدوح بالقصيدة السابقة وكان بقمارش فدخل عليه مالقة واطلق ايدى عبيده عليها لحقد عليهم فغرّ كثير منهم وتوفّى العالى سنة ٦ او ٧ واربعين وبويع محمد بن ادريس ولُقّب المستعلى ثم سار اليه باديس بن حبوس سنة ٤٤٩ فتغلّب على مالقة وسار محمد الى المرية متخلوعا ثم استدعاه اهل المغرب الى مَليلة *فاجاز اليهم[h] وبايعوه سنة ٥٦

a) Dans le man. d'Ibn-B. le 22ème vers est placé après le 23ème, et entre le 21ème et le 23ème on lit celui-ci: وبنادى الجود فى آنائه   تمموا (تَمّموا L) قصر امير المومنينْ.

b) *Al-Korān*, sour. 15, vs. 46. c) Cet hémistiche manque dans G. P. et S.; L. فبيسراه ترس واذا رعىّ (sic) فى السبق اتى وبمناه (sic) الخ; Ibn-B. انتقى. d) Ibn-B. رفد. e) La. انتقى ; Ibn-B. شاجتبى, O. et Ibn-B. فاجتنى, S. L. P. فاحتمنى (sic) G., فاختبى. f) L. قيل, S. يحكى ; dans G. et P. il y a un blanc. g) La. بمل. h) On trouve cette leçon dans les man. d'Ibn-Khaldoun ; ceux d'al-Makkarî portent وجازت.

وتوفّى سنة ٤٩٠ وكان محمد بن القاسم بن حمّود لما اعتقل ابوه القاسم بمالقة سنة ١٤ فرّ من الاعتقال ولحق بالجزيرة الخضراء وملكها وتلقّب بالمعتصم الى ان هلك سنة ٤٠ ثم ملكها بعده ابنه القاسم الواثق الى ان هلك سنة ٥٠ وصارت الجزيرة للمعتضد بن عباد ومالقة لابن حبوس مزاحمًا بابن عباد وانقرضت دولة الاشراف الحمّوديّين من الاندلس بعد ان كانوا يدّعون الخلافة، واما قرطبة فان اهلها لما قطعوا دعوة الحموديين بعد ٧ سنين من ملكهم وزحف اليهم القاسم بن حمود فى البربر فهزمهم اهل قرطبة ثم اجتمعوا واصفقوا على ردّ الامر الى بنى اميّة واختاروا لذلك عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار اخا المهدى وبايعوه فى رمضان سنة ٤١٤ ولقّبوه المستظهر وقاموا بامره، ومن شعره قوله

طال عمرُ الليل عندى مذ *a* تولّعتَ بصدّى يا غزالا نقضُ العهدَ *b* ولم يُوفِ بوعدِ *c*

أَنسيتَ العهدَ اذ بِتْنا على مفرش وردِ واجتمعنا فى وشاحٍ وانتظمنا نظمَ عقدِ

ونجوم الليل تحكى ذهبا فى لازوردِ *d*

قال الحجارى لو قال لؤلؤا فى لازورد لكان احسن تشبيهًا، وانشد متمثّلا

انّا عصابتك الأُلى كُنّا نُكابد ما تكابدْ هذا *اوانُ بلوغنا *e* النعمى وانْجاز المواعِدْ

وكان حسّان بن ابى عبدة من وزراء المستظهر ولما اكثر المستظهر دونه الاستبدادَ كتب اليه بقوله

اذا غِبْتُ لم أُحْضَرْ وان جِيتُ لم أُسَلْ فسيّانِ منّى مشهدٌ ومغيبُ

فاصبحتُ تيميًّا وما كنتُ قبلها لتَيْم ولكنّ الشبيه نسيبُ

يشير الى قول الاول ويُقْضى الامر حين تغيب *f* تَيْمٌ ولا يُستأذنون وهم شهودُ

وعاتبه ايضا بقوله

اذا كان مثلى لا يُجازَى *g* بصبره فمن ذا الذى بعدى *h* يجازى *i* على الصبرِ

وكم مشهد حاربتُ فيه عدوّكم وامّلتُ فى حربى له راحة الدهرِ

---

a) G. S. La. O. قد. *b*) G. S. L. P. الودّ. *c*) G. S. L. P. بود. *d*) On retrouve cette piece dans le 4ème livre. Les variantes principales sont: vs. 2. G. S. L. بعهد, vs. 4. واعتنقنا فى, vs. 5. تسرى. *e*) G. S. L. P. بلوغ اواننا. *f*) Les man. portent يغيب. *g*) P. يجاز, S. يحاز, G. L. O. يجار, La. يحار. *h*) La. O. مثلى. *i*) G. يجاز, S. يحاز, L. O. يجار, La. يحار.

اخوض الى اعدائكم لُجَجَ الوغى   واسرى اليهم حيث لا احد يسرى
وقد نام عنهم كلُّ مستبطن الحشى   أَكُولٍ الى المُمْسَى نَـؤُومٍ الى الظُّهْرِ
فما بالُ هذا الامر اصبح ضائعا   وانت امينَ الله تحكم فى الامرِ

وسياتى ان شاء الله تع من كلام الوزير المذكور ما يدلّ على عظيم قدره وهناك نذكر تحلية الفتح له، ثم ثار عليه لشهرين من خلافته محمد بن عبد الرحمن ابن عبيد الله بنْ امير المومنين الناصر لدين الله فاتّبعه الغوغاء وفتك بالمستظهر وتلقّب بالمستكفى واستقلّ بامر قرطبة وهو والد الاديبة الشهيرة وَلّادة ولعلّنا نُلِمّ ببعض اخبارها ان شاء الله فيما بعدُ وكان ابوه عبد الرحمن قتله المنصور بن ابى عامر لسعيه فى الخلافة^a^، ثم بعد ١٦ شهرا من بيعة المستكفى رجع الامر الى المعتلى يحيى بن على بن حمود^b^ سنة ١٦ وخلع اهل قرطبة المستكفى وولى عليهم المعتلى من قبله وفرّ المستكفى الى ناحية الثغر ومات فى مفرّه، ثم بدا لاهل قرطبة فخلعوا المعتلى بن حمود سنة ١٧ وبايع الوزير ابو محمد جَهْوَر بن محمد بن جهور عميد الجماعة وكبير قرطبة لهشام بن محمد اخى المرتضى وكان بالثغر فى لاردة عند ابن هود وذلك سنة ١٨ وتلقّب المعتدّ بالله واقام متردّدا فى الثغر ٣ اعوام واشتدّت الفتن بين رؤساء الطوائف واتّفقوا على ان ينزل دار الخلافة بقرطبة فاستقدمه ابن جهور والجماعة ونزلها آخر سنة ٢٠ واقام بها يسيرا ثم خلعه الجند سنة ٢٢ وفرّ الى لاردة فهلك بها سنة ٢٨ وانقطعت الدولة الامويّة من الارض وانتثر سلك الخلافة بالمغرب وقام الطوائف بعد انقراض الخلائف وانتزى الامراء والرؤساء من البربر والعرب والموالى بالجهات واقتسموا خطّتها وتغلّب بعض على بعض واستقلّ اخيرا بامرها منهم ملوك استفحل امرهم وعظم شانهم ولاذوا بالجزى للطاغية ان يظاهر عليهم او يبتزّهم ملكهم واقاموا على ذلك برهةً من الزمان حتى قطع اليهم البحرَ ملكُ العدوة وصاحب مرّاكش امير المسلمين يوسف بن تاشفين اللّمْتُونى فخلعهم واخلى منهم الارض،

فمن اشهرهم بنو عَبّاد ملوك اشبيلية وغرب الاندلس الذين منهم المعتمد بن عباد الشهير الذكر بالمغرب والمشرق وفى الذخيرة والقلائد من اخبارهم ما هو كاف شاف، ومنهم بنو جَهْوَر كانوا بقرطبة فى صورة الوزارة حتى استولى عليهم المعتمد بن عباد

a) S. La. O. بالخلافة. b) Ibn-Kh. L. المعتمد.

واخذ قرطبة وجعل عليها ولده ثم كانت له وعليه حروب وخطوب وفرّق ابناءه على قواعد الملك وانزلهم بها واستفحل امره بغرب الاندلس وعَلَتْ يدُه على من كان هنالك من ملوك الطوائف مثل ابن حبوس *a* بغرناطة وابن الافطس ببطليوس وابن صُمادح بالمريّة وغيرهم فكانوا يخطبون سلمه ويغلون *b* فى مرضاته وكلهم يُدارون الطاغية ويتّقونه بالجزى الى ان ظهر يوسف بن تاشفين واستفحل ملكه فتعلّقت آمال الاندلس باعانته وضايَقهم الطاغية فى طلب الجزية فقتل المعتمد اليهوديّ الذى جاء فى طلب الجزية للطاغية بسبب كلمة آسَفَه بها ثم اجاز البحر صريخا الى يوسف ابن تاشفين فاجاز معه البحر والتقوا مع الطاغية فى الزّلّاقة فكانت الهزيمة المشهورة على النصارى ونصر الله الاسلام نصرا لا كفاء له حتى قال بعض المؤرّخين انه كان عدد النصارى ٣٠٠ الف ولم ينجُ منهم الّا القليل وصبر فيها المعتمد صبرَ الكرام وكان قد اعطى يوسف بن تاشفين الجزيرة الخضراء ليتمكّن من الجواز متى شاء ثم طلب الفقهاء بالاندلس من يوسف بن تاشفين رفعَ المكوس والظلامات عنهم فتقدّم بذلك الى ملوك الطوائف فاجابوه بالامتثال حتى اذا رجع من بلادهم رجعوا الى حالهم وهو خلالَ ذلك يردّد عساكره للجهاد ثم اجاز اليهم وخلع جميعهم ونازلت عساكره جميعَ بلادهم واستولى على قرطبة واشبيلية وبطليوس وغرناطة وغيرها وصار المعتمد بن عباد كبيرُ ملوك الاندلس فى قبضته اسيرا بعد حروب ونقله الى أغْمات قربَ مرّاكش سنة ٤٨٤ واعتقله هنالك الى ان مات سنة ٨٨ ونُلِمّ *c* بما قاله الوزير لسان الدين بن الخطيب فيه حين زار قبره، وللمعتمد هذا اخبار ماثورة خصوصا مع زوجته امّ اولاده الرُمَيْكيّة الملقّبة باعتماد وقد روى أنها رأت ذاتَ يوم باشبيلية نساء البادية يبعْنَ *d* اللبن فى القِرَب وهنّ رافعات عن سُوقهنّ فى الطين فقالت له اشتهى ان افعل انا وجوارىّ مثل هؤلاء النساء فامر المعتمد بالعنبر والمسك والكافور وماء الورد وصيّر الجميع طينا فى القصر وجعل لها قِرَبا وحبالا من ابريسم وخرجت هى وجواريها تخوض فى ذلك الطين فيقال انه لما خُلع وكانت تتكلّم معه مرّةً فجرى بينهما ما يجرى بين الزوجَيْن فقالت له والله ما رايتُ خيرا فقال ولا يومَ الطين تذكيرا لها بهذا اليوم الذى اباد فيه من الاموال ما لا يعلمه الا الله فاستحيت وسكتت، * ومن

a) Les man. d'al-Makk. portent ابن باديس. *b*) Ce mot manque dans G. S. et L.; Ibn-Kh. L. ويعتملون , P. ويعملون. *c*) G. L. P. ونسلم , S. La. ودسلم (*sic*), O. وسلم. *d*) S. تنقل.

اعظم ملوك الطوائف a غير من تقدّم بنو رَزِين اصحاب السهلة وبنو الفِهْرِىّ اصحاب البُونْت وتغلّب عليهما اخيرا يوسف بن تاشفين، ومن اعظم ملوك الطوائف بنو ذى النون ملوك طليطلة من الثغر الجوفى وكانت لهم دولة كبيرة وبلغوا فى البذخ والترف الى الغاية ولهم الاعْذار المشهور الذى يقال له الاعذار الذُّنُونى وبه يضرب المثل عند اهل المغرب وهو عندهم بمثابة عُرْس بُوران عند اهل المشرق والمامون من بنى ذى النون هو صاحب ذلك وهو الذى عظم بين ملوك الطوائف سلطانه وكانت بينه وبين الطاغية مواقف مشهورة وغلب على قرطبة وملكها من يد ابن عباد المعتمد وقتل ابنه ابا عمرو وغلب ايضا على بلنسية واخذها من يد بنى ابن ابى عامر وفى ايام حافد المامون وهو القادر بن ذى النون كان الطاغية ابن ادفونش قد استفحل امره لما خلا الجوّ من مكان الدولة الخلافيّة وخفّ ما كان على كاهله من امر العرب فاكتسح البسائط وضايق ابنَ ذى النون حتى اخذ من يده طليطلة فخرج له عنها سنة ٤٧٨ كما سبق وشرط عليه ان يظاهره على اهل بلنسية فقبل شرطه وتسلّمها ابن b الفونش ولا حول ولا قوّة الا بالله، *ومن اعظم ملوك الاندلس c الموالى العامريّون مثل خَيْران وزُهَيْر واشباههما واخبار الجميع تطول، ومن ملوك الطوائف بالاندلس بنو هُود ملوك سَرَقُسْطة وما يليها ومن اشهرهم المقتدر بالله وابنه يوسف الموتمن وكان الموتمن قائما على العلوم d الرياضيّة وله فيها تواليف ومنها كتاب الاستكمال e والمناظر وولى بعده ابنه المستعين احمد سنةَ أُخذ طليطلة وعلى يده كانت وقعة وَشْقة زحف سنة ٨٩ فى آلاف لا تُحصى من المسلمين ليدافع الطاغية عن وشقة وكان محاصرا لها فلقيه الطاغية وهزمه وهلك من المسلمين نحو ١٠ آلاف وهلك هو شهيدا سنة ٥٠٣ بظاهر سرقسطة فى زحف الطاغية اليها وولى ابنه عبد الملك عماد الدولة واخرجه الطاغية من سرقسطة سنة ١٢ وتولّى ابنه سيف الدولة وبالغ فى النكاية بالطاغية ثم اتّفق معه وانتقل بحشمه الى طليطلة فكان فيها حمامه، ومن شعر المقتدر بن هود قوله رحمه فى مبانيه

قصرَ السرور ومجلسَ الذهبِ بكما بلغتُ نهايةَ الارب

a) Il y a ici une lacune dans G. S. et P.; La. وولى بعده , O. ٢٠ بعده. b) Ce mot manque dans les man. d'al-Makk. c) Il y a ici un blanc dans G. S. et P.; La. O. العلى العظيم. d) C'est ainsi qu'on lit dans les man. d'Ibn-Kh. : ceux ثم زحف على الموالى العامريين d'al-M. portent الامور. e) Ibn-Kh. L. الاستيلاء.

لو لم يَحُزْ ملكى خلافكما كانت لدىَّ كفايةُ الطلب

ومن مشاهير *ملوك الطوائف بنوه الافطس اصحاب بطليوس وما اليها والمظفَّر منهم هو صاحب التاليف المسمَّى بالمظفَّرىّ فى نحو الخمسين مجلّدا والمتوكّل منهم قُتل على يد جيش يوسف بن تاشفين وفيه قال ابن عبدون قصيدته المشهورة

الدهر يفجع بعد العين بالاثرِ فما البكاء على الاشباح والصُوَرِ

وهى من غُرر القصائد° *فلما استولى لمتونة على بلاده الاندلس وازالوا ملوك الطوائف منها بقيت عُمّالهم تتردّد اليها وبنوهم حتى فشلت ريحُهم وهبّتْ ريحُ الموحّدين اعنى عبد المومن بن على وبنيه فحاربوا لمتونة واستولوا على ملكهم بالمغرب بعد حروب كثيرة ثم اجازوا البحر الى الاندلس وملكوا اكثر بلاد الاندلس وملك بنو مَرْدَنيش شرق الاندلس وملخّص ذلك ان الاندلس كان ملكها مجموعا للمتونة بعد خلعهم ملوك الطوائف فلما اشتغل لمتونة فى العدوة بحرب الموحدين اضطربت عليهم الاندلس وعادت الى الفرقة بعضَ الشىء ثم خلص اكثرها لعبد المومن وبنيه بعد حروب منها ما حصل بين عبد المومن وبين ابن مردنيش وقائده ابن همشكه بفحص غرناطة وقد استعان ابن مردنيش بالنصارى على الموحّدين فهزمهم عبد المومن وقتلهم ابرحَ قتل واستخلص غرناطة سنة ٥٥٧ من يد ابن مردنيش° وولى الامر بعد عبد المومن ابنه يوسف واجاز الى الاندلس وكانت له مواقف فى جهاد العدوّ° وولى بعده ابنه يعقوب المنصور الطائر الصيتِ وكانت له فى النصارى بالاندلس نكاية كبيرة ومن اعظمها غزوة الارك التى تضاهى وقعة الزَلّاقة او تزيد والارك موضع بنواحى بطليوس وكانت سنة ٥٩١ وغنم فيها المسلمون ما عظم قدرُه وكانت عدّة من قُتل من الفرنج فيما قيل مائة الف *وستة واربعين *d* الفا وعدّة الاسارى ٣٠ الفا وعدّة الخيام مائة الف وخمسون الف خيمة والخيل ٨٠ الفا والبغال مائة الف والحمير ٤٠٠ الف جاء بها الكُفّار لحمل اثقالهم لانهم لا ابلَ لهم واما الجواهر والاموال فلا تحصى وبيع الاسير بدرهم والسيف بنصف درهم والفرس بخمسة دراهم والحمار بدرهم وقسم يعقوب الغنائم بين المسلمين بمقتضَى الشرع ونجا الفنش ملك النصارى الى طليطلة فى أسْوَءِ

a) G. L. S. P. La. ملوك الاندلس بنى. O. ,ملوك بنى. *b*) Il y a ici une lacune dans G. S. et P.; La. O. القصائد الاندلسية وازالوا. *c*) Les man. d'al-Makk. portent ابن همشكه. *d*) La. O. وخمسون.

حال فحلق راسه ولحيته ونكس صليبه وآلى انه لا ينام على فراش ولا[a] يقرب النساء ولا يركب فرسا ولا دابّة حتى ياخذ الثار وصار يجمع من الجزائر والبلاد البعيدة ويستعدّ ثم لقيه يعقوب وهزمه وساق خلفه الى طليطلة وحاصره ورمى عليها بالمجانيق وضيّق عليها ولم يبق الا فتحها فخرجت اليه والدة الادفونش وبناته ونساؤه وبكين بين يديه وسألنه ابقاء البلد عليهن فرقّ لهن ومن عليهن بها ووهب لهن من الاموال والجواهر ما جلّ وردّهن مكرمات وعفى بعد القدرة وعاد الى قرطبة فاقام شهرا يقسم الغنائم وجاءته رُسل الفنش بطلب الصلح فصالحه وامن اهل الاندلس مدّة وفيه يقول بعض شعراء عصره

اهلٌ بأن يُسْعَى اليه ويرتجى ... ويُزار من اقصى البلاد على الرجا

*مَنْ قد غدا[a] بالمكرمات مقلّدا ... وموشّحا ومختّما ومتوّجا

عمرتْ مقامات الملوك بذكره ... وتعطّرت منه الرياح تارّجا

........[b] ارسل له السلطان صلاح الدين بن ايّوب شمس الدين بن منقذ يستنجد به على الفرنج الخارجين عليه بساحل البلاد المقدّسة ولم يخاطبْه بامير المومنين فلم يجبْه الى ما طلبه وكل ذلك فى سنة ٥٨٧ ومدحه بن منقذ بقوله من قصيدة يقول فيها

سأشكر بحرا ذا عُباب قطعتُه ... الى بحرِ جُود ما لأُخْراه ساحلُ

الى معدن التقوى الى كعبة الندى ... الى من سَمَتْ بالذكر منه الاوائلُ

اليك اميرَ المومنين ولم تزل ... الى بابك المامول تُزْجَى الرواحلُ

قطعتُ اليك البرَّ والبحر مُوقنًا ... بأنّ نداك الغمر بالنجح كافلُ

٥ وحُزْتُ بقصديك العُلى فبلغتُها ... وادنى عطاياك العُلى والفواضلُ

فلا زِلتَ للعلياء والجود بانيا ... تبلّغك الآمالَ ما انت آملُ

وعدّتها ٤٠ بيتا فاعطاه لكل بيت الفًا وقال انما اعطيناك لفضلك ولبيتك وكان عنوان الكتاب الذى ارسله صلاح الدين الى امير المسلمين وفى اوله الفقير الى الله تع يوسف بن ايوب وبعده من انشاء الفاضل الحمد لله الذى استعمل على الملّة الحنيفيّة من استعمر الارض، واغنى من اهلها من سأله الفرض، واجرى من اجرى على يده[c] الفائتة والغرض، وزيّن سماء الملّة بدرارى الذرارى التى بعضها من بعض»، وهو كتاب

a) L. اغتدى، فقد, G. S. P. غدا (S. وقد) فقد. b) Il y a ici une lacune dans G. S. et P.; L. ولما تغلبت الفرنج على الساحل, La. ولما ارسل, O. seulement وارسل. c) S. O. P. مبدءا

طويل سأله فيه ان يقطع عنه مادّة البحر واستنجده على الافرنج اذ كانت له اليد عليهم وعاد ابن منقذ من هذه الرسالة سنة ٥٨٨ بغير فائدة وبعث معه هديّة حقيرة واما ابن منقذ فانه احسن اليه واغناه لا لاجل صلاح الدين بل لبيته وفضله كما مرّ وما وقع من يعقوب فى صلاح الدين انما هو لاجل انه لم يوفِه حقّه فى الخطاب، رجع *ولما a استفحل امر الموحّدين بالاندلس استعملوا القرابة على الاندلس وكانوا يسمّونهم السادة واقتسموا ولايتها بينهم ولهم مواقف فى جهاد العدوّ مذكورة وكان صاحب الامر بمرّاكش ياتى الاندلس للجهاد وهزم يعقوب المنصور كما سبق قريبًا بالارك ابن ادفونش ملك الجلالقة الهزيمةَ الشنعاء واجاز ابنه الناصر الوالى بعده البحرَ الى الاندلس من المغرب سنة ٦٠٩ ومعه من الجنود ما لا يُحصى حتى يحكى بعض الثقات من مؤرّخى المغرب انه اجتمع معه من اهل الاندلس والمغرب ٦٠٠ الف مُقاتل فمحّص الله المسلمين بالموضع المعروف بالعُقاب واستُشهد منهم عدّة وكانت سبب ضعف المغرب والاندلس اما المغرب فبخلاء كثير من قراه واقطاره واما الاندلس فبطلب العدوّ عليها لانه لما التاث امر الموحّدين بعد الناصر بن المنصور انتزى السادة بنواحى الاندلس كلٌّ فى عمله وضعف ملكهم بمرّاكش فصاروا الى الاستجاشة بالطاغية بعضهم على بعض واسلام حصون المسلمين اليه فى ذلك فمشتْ رجالات الاندلس واعقاب العرب منذ الدولة الاموية واجمعوا اخْراجهم فثاروا بهم لحين واحد واخرجوهم وتولّى كبرَ ذلك محمد بن يوسف بن هودٍ الجُذامى الثائر بالاندلس وابن مردنيش وثوّار آخرون، *قال ابن خلدون b ثم خرج على ابن هود فى دولته من اعقاب دولة العرب ايضا واهل نَسَبهم محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر وتلقّب محمد هذا بالشيخ فجاذبه الحبلَ وكانت لكل واحد منهما دولة اورثها بنيه انتهى، وكان ابن هود يخطب للعباسى صاحب بغداد ثم حصلت لابن هود واعقابه حروب وخطوب الى ان كان آخرهم الواثق بن المتوكّل فضايَقه الفنش والبرشلونى فبعث بالطاعة لابن الاحمر فبعث اليه ابن اشقيلولة وتسلّم مرسية منه وخطب لابن الاحمر بها ثم خرج منها راجعا الى ابن الاحمر فاوقع به النصارى فى طريقه ورجع الواثق الى مرسية ثالثةً فلم يزل بها الى ان ملكها العدوّ من يده سنة ٦٦٨ وعوّضه عنها حصنا يسمّى

a) Il y a ici une lacune dans G. S. et P.; L. ولما رجع الى اخبار يعقوب. *b*) Il y a ici un blanc dans G. S. L. et P.

يُسره وهو من عملها فبقى فيه الى أن هلك وانقرضت دولة ابن هود والله وارث الارض ومن عليها، * ولنذكر ملوك بنى الاحمر[b] اجْمالا لان لسان الدين وزير احدهم ولانهم آخر ملوك الاندلس ومن يدهم استولى النصارى على جميعها كما سنذكره، * قال ابن خلدون[c] اصلهم من أرْجُونة من حصون قرطبة ولهم فيها سلف فى ابناء الجند ويعرفون ببنى نصر وينتسبون الى سعد بن عُبادة سيّد الخزرج وكان كبيرهم لآخر دولة الموحّدين محمد[d] بن يوسف بن نصر ويعرف بالشيخ واخوه اسمعيل وكانت له وجاهة فى ناحيتهم ولما فشل ريحُ الموحّدين وانتزى الثُوّار بالاندلس واعطى السادةُ حصونها للطاغية واستقلّ بامر الجماعة محمد بن يوسف بن هود الثائر بمرسية بدعوة العباسيّة وتغلّب على شرق الاندلس اجمع فتصدّى الشيخ هذا للثورة وبويع له سنة ٦٢٩ ودعا لابى زكرياء صاحب افريقية واطاعتْه جيّان وشريس سنة ٣٠ بعدها واستظهر على امره بقرابته من بنى نصر واصهاره بنى اشقيلولة ثم بايع لبنى هود سنة ٣١ عند ما بلغه خطابُ الخليفة منْ بغداد ثم ثار باشبيلية ابو مروان الباجى عند خروج ابن هود عنها ورجوعه الى مرسية فداخله محمد بن الاحمر فى الصلح على ان يزوّجه ابنته فاطاعه ودخل اشبيلية سنة ٣٢ ثم فتك بابن الباجى فقتله وتناول البطش[e] به على بن اشقيلولة ثم راجع اهل اشبيلية بعدها بشهر دعوةَ ابن هود واخرج ابن الاحمر ثم تغلّب على غرناطة سنة ٣٥ بمداخلة[f] اهلها حين ثار ابن ابى خالد بدعوته فيها ووصلتْه بيعتُها وهو بجيّان فقدّم اليها على بن اشقيلولة ثم جاء على اثره ونزلها وابتنى بها حصن الحمراء لنزله ثم تغلّب على مالقة ثم تناول المرية من يد ابن الرميمى وزير ابن هود الثائر بها سنة ٤٣ ثم بايعه اهل لُورقة سنة ٦٣ وكان ابن الاحمر اولّ امره وصل يده بالطاغية استظهارا على امره فعضده واعطاه ابن هود ٣٠ حصنا فى كفّ غربه بسبب[g] ابن الاحمر وليعينه[h] على ملك قرطبة فتسلّمها ثم تغلّب على قرمونة سنة ٦٣٣ اعدها الله ثم نازل اشبيلية سنة ٤٦ وابن الاحمر معه ثم دخلها صلحًا وملك اعمالها ثم ملك مرسية سنة ٦٥ ولم يزل الطاغية يقتطع ممالك المسلمين

---

a) Ibn-Khald. P. بسر. b) Il y a ici une lacune dans G. et S.; P. وسنذكر انجر; La. O. وقبيل, وأما ملوك غرنطة . c) P. رجع الى ما ذكر (sic) دولة اولاد الاحمر. Dans G. et S. il y a une lacune. d) Les man d'al-M. portent نصر. e) Ibn-Kh. L. R السنحى. f) La. O. بمداخلة. g) Au lieu de ce mot les man. d'Ibn-Kh. portent عن. h) Ibn-Kh. وان يعينه.

كورةً كورةً وثغرا ثغرا الى ان لجأ المسلمون الى سيف البحر ما بين رُنْدة من الغرب *والبيرة من(a) شرق الاندلس نحو ١٠ مراحل من الغرب الى الشرق وفى قدر مرحلة او دونها فى العرض ما بين البحر والجوف ثم سخط ابن الاحمر وطمع فى الاستيلاء على سائر الجزيرة فامتنعت عليه وتلاحق بالاندلس الغُزاة من بنى مَرِين وغيرهم وعقد ملك المغرب يعقوب بن عبد الحقّ لنحو الثلثة آلاف منهم فاجازوا فى حدود الستّين وستمائة وتقبّل ابن الاحمر اجازتهم ودفع بهم فى نحر عدوّه ورجعوا ثم تسايلوا(b) اليه بعد ذلك ولم يزل الامر على ذلك الى ان هلك الشيخ ابن الاحمر سنة ٦٧١ وولى بعده ابنه محمد الفقيه واوصاه باستصراخ بنى مرين ملوك المغرب بعد الموحّدين ان طرقه امرٌ ان يعتضد بهم فاجاز الفقيه الى يعقوب بن عبد الحقّ سلطان فاس والمغرب سنة ٦٧٢ فاجاب صريخه وارسل ابنه وعساكره معه ثم اجاز على اثره وتسلّم الجزيرة الخضراء من ثائر كان بها وجعلها ركابا لجهاده ونزل اليه ابن الاحمر عن طَرِيف وما اليها من الحصون وهزم هو وابن الاحمر زعيمَ النصرانية دننّه(c) وفرق جمعه واوقع بجموع الطاغية من كل جهة وبثّ سراياه وبعوثه فى ارض النصرانية ثم خافه ابن الاحمر على ملكه وصالح الطاغية ثم عاد انتهى كلام ابن خلدون ملخّصا، وثبتت قدمُ عقب ابن الاحمر بالاندلس واستولوا على جميع ما بايدى المسلمين من ملكها مثل الجزيرة وطريف ورُنْدة التى كانت بيد بنى مرين وبعد(d) مدة الب ملوكُ النصارى سنة ٧١٩ على غرناطة وجاءها الطاغية دُون بِطْرُه فى جيش لا يحصى ومعه ٢٥ ملكا وكان من خبر هذه الوقعة(e) ان الافرنج حشدوا وجمعوا وذهب سلطانهم دون بطره الى طليطلة ودخل على مرجعهم الذى يقال له البابا(f) وسجد له وتضرّع وطلب منه استيصال ما بقى من المسلمين بالاندلس واكّد عزمه فقلق المسلمون بغرناطة وغيرها وعزموا على الاستنجاد بالمرينى ابى سعيد صاحب فاس ونفّذوا اليه رُسُلا فلم ينجع ذلك الدواء فرجعوا الى اعظم الادوية وهو اللجأ الى الله تعَ واخلصوا النيّات واقبل الفرنج فى جموع لا تحصى فقضى ناصرُ مَنْ لا ناصرَ له سواه بهزم أُمَم النصرانية وقتل

a) C'est ce qu'on lit dans les man. d'Ibn-Kh.; ceux d'al-M. portent seulement الى. b) Les man. d'al-M. portent تناسلوا. c) *Don Nuño.* Ibn-Kh. L. دننة ; al-M. G. L. P. دنته , S. دينه , La. ذمته. Le mot manque dans O. d) Les man. portent وقعد. e) S. La. O. الموافعة. f) S. البابا.

طاغيتهم دون بطره ومن معه وكان نصرا عزيزا ويوما مشهودا وكان السلطان اذذاك بالاندلس الغالب بالله ابو الوليد اسمعيل بن الرئيس ابى سعيد فرج بن نصر المعروف بابن الاحمر ركب ان يحصّن البلاد والثغور فلما بلغ النصارى ذلك عزموا على منازلة الجزيرة الخضراء فانتدب السلطان ابن الاحمر لردّهم وجهّز الاساطيل والرجال فلما راوا ذلك طلبوا الى طليطلة وعزموا على استيصال بلاد المسلمين وتأهّبوا لذلك غاية الاهبة ووصلت الاثقال والمجانيق وآلات الحصار والاقوات فى المراكب ووصل العدوّ الى غرناطة وامتلأت الارض بهم فتقدّم السلطان الى شيخ الغزاة الشيخ العالم ابى سعيد عثمن بن ابى العلاء المرينى بالخروج الى لقائهم بانجاد المسلمين وشجعانهم فخرج اليهم يوم الخميس الموفّى ٢٠ لربيع الاول ولما كانت ليلة الاحد اغارت سريّة من العدوّ على ضيعة من المسلمين فخرجت اليهم جماعة من فرسان الاندلس الرُماة فقطعوهم عن الجيش وفرّت تلك السريّة امامهم الى جهة سلطانهم فتبعهم المسلمون الى الصبح فاستاصلوهم وكان هذا اول النصر ولما كان يوم الاحد ركب الشيخ ابو سعيد لقتال العدوّ فى ٥ آلاف من ابطال المسلمين المشهورين فلما شاهدهم الفرنج عجبوا من اقدامهم مع قلّتهم فى تلك الجيوش العظيمة فركبوا وحملوا بجملتهم عليهم فانهزم الفرنج افبح هزيمة واخذتهم السيوف وتبعهم المسلمون يقتلون وياسرون ٣ ايام وخرج اهل غرناطة لجمع الاموال واخذ الاسرى فاستولوا على اموال عظيمة منها من الذهب فيما قيل ٤٣ قنطارا ومن الفضّة ١٤٠ قنطارا ومن السبى ٧ آلاف نفس حسبما كتب بذلك بعض الغرناطيين الى الديار المصريّة وكان من جملة الاسرى امرأة الطاغية واولاده فبذلت فى نفسها مدينة طريف وجبل الفتح وثمنية عشر حصنا فيما حكى بعض المؤرّخين فلم يقبل المسلمون ذلك وزادت عدّة القتلى فى هذه الغزوة على ٥٠ الفا ويقال انه هلك منهم بالوادى مثل هذا العدد لعدم معرفتهم بالطريق واما الذين هلكوا بالجبال والشعاب فلا يُحصَون وقُتل الملوك الخمسة والعشرون جميعهم واستمرّ البيع فى الاسرى والاسلاب والدوابّ ٦ اشهر ووردت البشائر بهذا النصر العظيم الى سائر البلاد ومن العجب انه لم يقتل من المسلمين والاجناد سوى ١٣ فارسا وقيل ١٠ انفس وقيل كان عسكر الاسلام نحو الف وخمسمائة فرس والرجّالة نحوا من ٤ آلاف رجل وقيل دون ذلك وكانت الغنيمة تفوت الوصف وسُلخ الطاغية دون بطره وحُشى جلده قطنًا وعُلّق على باب غرناطة وبقى معلّقا سنوات وطلبت النصارى الهدنة

عُقدت لهم وبعد ان ملكوا جبل الفتح الذى كان من اعمال سلطان فاس والمغرب وهو جبل طارق ولم يزل *بايديهم حتىa ارتجعها امير المسلمين ابو الحسن المرينى صاحب فاس والمغرب بعد ان انفق عليه الاموال وصرف اليه الجنود والحشود ونازلته جيوشه مع ولده وخواصّه وضيّقوا به الى ان استرجعوه ليد المسلمين واهتمّ ببنائه وتحصينه وانفق عليه احمال مال فى بنائه وحصنه وسوره وابراجه وجامعه ودُوره ومخازنه ولما كاد يتمّ ذلك نازله العدوّ برًّا وبحرا فصبر المسلمون وخيّب الله سعىَ الكافرين فراى السلطان المذكور ان يحصّن سفح الجبل بسور محيط به من جميع جهاته حتى لا يطمع عدوّ فى منازلته ولا يجد سبيلا للتضييق عند محاصرته وراى الناس ذلك من المُحال، فانفق الاموال، وانصف العُمّال، فاحاط بمجموعه احاطةَ الهالة بالهلال،، وكان بقاء هذا الجبل بيد العدوّ نيفا وعشرين سنة وحاصره السلطان ابو الحسن ٦ اشهر وزاد فى تحصينه ابنه السلطان ابو عنان ولما اجاز السلطان ابو الحسن المذكور الى الاندلس واجتمع اليهb ابن الاحمر وقاتلهمc الطاغية هزمهم فى وقعة طريف واستولى على الجزيرة الخضراء حتى قيّض الله من بنى الاحمر الغنىّ بالله محمد الذى كان لسان الدين بن الخطيب وزيره فاسترجعها وجملةَ بلاد كجيّان وغيرها وكانت له فى الجهاد مواقف مشهورة وامتدّ ملكه واشتدّ حتى محا دولة سلاطين فاس مما وراء البحر وملك جبل الفتح ونصر الله الاسلام على يده كما ستَقِفُ عليه فى بعض مكاتبات لسان الدين رحمه فى مواضع من هذا الكتاب وسَعْدُ هذا الغنىّ بالله من العجائب وبقى ملك الاندلس فى عقبه الى ان اخذ ما بقى من الاندلس العدوّ الكافر واستولى على حضرة الملك غرناطة اعادها الله للاسلام كما نُبيّن ان شاء الله وخَلَتْ جزيرة الاندلس من اهل الاسلام، وأُبدلتْ من النور بالظلام،، حسبما اقتضته الاقدار النافذة والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين، *قلت وكانd بنو الاحمر سلاطين غرناطة يجعلون مشيخة الغزاة لواحد من اقارب بنى مرين سلاطين المغرب لانهم اووا الى الاندلس عند استيلاء بنى عمّهم على ملك المغرب لما بينهم من المنافسة وكان لهؤلاء فى الجهاد مواقف مشهورة، ....e ما كُتب على قبر شيخ الغزاة

a) Il y a ici une lacune dans G. S. P. La. et O. b) Les man. portent عليه. c) G. L. S. P. وقابلهم. d) Il y a ici une lacune dans G. S. et P.; La. O. قال ابن خلدون واتفق. e) L. وسانذكر لك, La. O. منها. Dans les autres man. il y a un blanc.

عثمن بن ابى العلاء لتُستدلّ عند ذلك على ما ذكرناه ......a هذا قبر شيخ الحُماة، وصدر الابطال الكُماة، واحد الجلالة، ليث الاقدام والبسالة، عَلَم الاعلام، حامى ذمار الاسلام، صاحب الكتائب المنصورة، والافعال المشهورة، والمغازى المسطورة، وامام الصفوف، القائم بباب الجنّة تحت ظلال السيوف، سيف الجهاد، وقاصم الأعاد، واسد الآساد، العالى الهِمَم، الثابت القدم، الهُمام المجاهد الأرضى، البَطَل الباسل الأَمضى، المقدّس المرحوم ابى سعيد عثمن بن الشيخ الجليل الهمام الكبير، الاصيل الشهير، المقدّس المرحوم ابى العلاء ادريس بن عبد الله بن عبد الحقّ كان عمره ٨٨ سنة انفقه ما بين روحة فى سبيل الله وغدوة، حتى استوفى فى المشهور ٧٣٢ غزوة، وقطع عمره مجاهدا مجتهدا فى طاعة الربّ، محتسبا فى ادارة الحرب، ماضى العزائم فى جهاد الكُفّار، مصادمًا b بين جموعهم تدفُّق التَيّار، وصنع الله له فيهم من الصنائع الكبار، ما سار ذكرُه فى الاقطار، اشهرَ من المثل السَيّار، حتى توفّى رحّه وغبار الجهاد ملْئ اثوابه، وهو مراقب لطاغية الكُفّار واحزابه، فمات على ما عاش عليه، وفى ملحمة الجهاد قبضه الله اليه، واستاثر به سعيدا مرتضى، وسيفه على راس ملك الروم منتضى، مقدّمة قبول واسْعاد، ونتيجة جهاد وجلاد، ودليلا على نيّته الصالحة، وتجارته الرابحة، فارتجّت الاندلس لبعده، أتحفه الله رحمة من عنده، توفّى يوم الاحد الثانى لذى الحجّة من عام ٧٣٠ انتهى، ......c لسان الدين بن الخطيب رحّه فى توليته على بن بدر الدين مشيخة الغزاة ما نصّه هذا ....d فتح على الاسلام ابواب النصرا، وراق طرازا مذهّبا على عاتق المدونة الغرّا، واعمل عوامل الجهاد، فى طاعة ربّ العباد، شارعةً لاهل الكفر والعناد، من باب الاعمال والاغرا، امر به فلان تصدّر صدور اودّائه، وحسامه المشهور على اعدائه، ووليّه الذى خُبر صدق وفائه، وجلى e فى مضمار الخلوص له مغبرًا فى وجوه اكفائه، شيخ شيوخ المجاهدين، وقائد كتائبه المنصورة الى غزوة الكافرين المعتدين، وعترته التى يدافع بها عن الدين، وسابق ودّه المبرّز فى الميادين، الشيخ الاجلّ الى آخر ما وصفه به ممّا كان الوقت من مثله والله ولىّ التوفيق ».

a) L. ما نحمد, La. O. الحمد لله.   b) G. L. S. P. نضاد ما.   c) La. O. ومنها ما كتب به, L. وكتب ابضا.   d) La. O. شيخ الغزاة الذى به. Dans tous les autres man. il y a un blanc.   e) G. وحلى, S. وخلا.

الباب الرابع

فى ذكر قرطبة التى كانت الخلافة بمصرها للاعداء قاهرة، وجامعها الأموىّ ذى البدائع الباهية الباهرة، والإلماع بحضرتَي الملك الناصريّة الزهراء والعامريّة الزاهرة، ووصْف جملة من منتزهات تلك الاقطار ومصانعها ذات المحاسن الباطنة والظاهرة، وما يجرُّ اليه شجونُ الحديث من امور تقتضى بحسن ايرادها a القرائحَ الوقّادة والافكارُ الماهرة،،

* قال ابن سعيد b رحمه مملكة قرطبة فى الأقليم الرابع وايالتُه للشمس وفى هذه المملكة معدن الفضّة الخالصة فى قرية كرتّش ومعدن الزيبق والزنجفر فى بلد بسطاسة ولاجزائها خواصّ مذكورة فى متفرّقاتها وهى ارض كريمة للنبات انتهى، وقدّم رحمه فى المُغْرِب الكلام عليها على سائر اقطار الاندلس وقال انما قدّمنا هذه المملكة من بين سائر الممالك الاندلسيّة لكون سلاطين الاندلس الأُوَل اتّخذوها سريرا لسلطنة الاندلس ولم يعدلوا عن حضرتها قرطبة ثم سلاطين بنى اميّة وخلفاؤهم لم يعدلوا عن هذه المملكة وتقلّبوا منها فى ثلثة اقطاب اداروا فيها خلافتهم قرطبة والزهراء والزاهرة وانما اتّخذوها لهذا الشان لما راوها لذلك اهلًا وقرطبة اعظم علمًا واكثر فضلًا بالنظر الى غيرها من الممالك لاتّصال الحضارة العظيمة والدولة المتوارثة فيها، ثم قسم ابن سعيد كتاب الحُلّة المذهّبة، فى حُلى مملكة قرطبة،، بالنظر الى الكُوَر الى ١١ كتابا الكتاب الاول كتاب الحلّة الذهبيّة، فى حلى الكورة القرطبيّة،، الكتاب الثانى كتاب الدُرَر المصونة، فى حلى كورة بلكونة،، الكتاب الثالث كتاب محادثة السير، فى حلى كورة القُصَيْر،، الكتاب الرابع كتاب الوشى المصوَّر، فى حلى كورة المدوَّر،، الكتاب الخامس كتاب نيل المُراد، فى حلى كورة مُراد،، الكتاب السادس كتاب المزنة، فى حلى كورة كرنة،، الكتاب السابع كتاب الدرّ النافق، فى حلى كورة غافق،، الكتاب الثامن كتاب النفحة الأَرِجة، فى حلى كورة استجة،، الكتاب التاسع كتاب الكواكب الدريّة، فى حلى الكورة القَبْريّة،، الكتاب العاشر كتاب رقّة المحبّة، فى حلى كورة استبّة،،

a) S. La. O. اداتها. b) L. فاقول قال ابن سعيد ; O. seulement قال ; dans G. S et P. il y a une lacune.

الكتاب الحادى عشر. كتاب السوسانة« فى حلى كورة اليُسانة» انتهى« * قال ابن سعيد a رحمه ان العمارة اتّصلت فى مبانى قرطبة والزهراء والزاهرة بحيث ان كان يُمْشَى فيها لضوء السُّرُج المتّصلة b اميال حسبما ذكره الشقندى. فى رسالته ثم قال ولكل مدينة من مدن قرطبة واعمالها ذكرٌ مختصّ به ثم ذكر المسافات التى بين مسالك قرطبة المذكورة فقال بين المدوّر وقرطبة ١٩ ميلا وبين قرطبة ومراد ٢٥ ميلا وبين قرطبة والقصير ١٨ ميلا وبين قرطبة وغافق مرحلتان وبين قرطبة واستبّة ٣٦ ميلا وبين قرطبة وبلكونة مرحلتان وبين قرطبة واليُسانة ٤٠ ميلا وبين قرطبة وقبرة ٣٠ ميلا وبين قرطبة وبيّانة مرحلتان وبين قرطبة واستجة ٣٠ ميلا وكورة رُنْدة كانت فى القديم من عمل قرطبة ثم صارت من مملكة اشبيلية وهى اقرب وادخلُ فى المملكة الاشبيليّة انتهى« * ثم قسم c رحمه كتاب الحلة الذهبيّة« فى حلى الكورة القرطبية»، الى ٥ كتب الكتاب الاول كتاب النغم المطربة« فى حلى حضرة قرطبة» الكتاب الثانى كتاب الصبيحة الغرّاء« فى حلى حضرة الزهراء» الكتاب الثالث كتاب البدائع الباهرة« فى حلى حضرة الزاهرة» الكتاب الرابع كتاب الوردة« فى حلى مدينة شقندة» الكتاب الخامس كتاب الجرعة السيّغة« فى حلى قرية وزغة d» * وقال رحمه e فى كتاب النغم المطربة« فى حلى حضرة قرطبة» ان حضرة قرطبة احدى عرائس مملكتها وفى اصطلاح الكتاب ان للعروس الكاملة الزينة منصّةٌ وهى مختصّة بما يتعلّق بذكر المدينة فى نفسها وتاجٌ وهو مختصّ بالايالة السلطانيّة وسلكٌ وهو مختصّ باصحاب درّ الكلام« من النثار والنظام» وحلّةٌ وهى مختصّة باعلام العلماء المصنّفين الذين ليس لهم نظم ولا نثر ولا يُعجِبُ افضالُ تراجمهم واهدابٌ وهى مختصّة باصحاب فنون الهزل وما ينحو منحاه انتهى« ثم فصّل رحمه ذلك كله بما تعدّدت منه الاجزاء وقد لخّصتُ هنا بعض ما ذكر ثم اردفته بكلام غيره *فاقول قال f فى كتاب اجار g ان قرطبة بناها

a) La. O. ثل. Il y a un blanc dans G. S. et P. b) La. O. الممتدة. c) O. ذل. Dans G. S. et P. ces mots sont restés en blanc. d) O. ورغة , La. وزعة. e) L. ثم ذكر. Dans G. S. et P. on a laissé ces mots en blanc. f) Dans G. P. S. et O. il y a ici une lacune, que j'ai remplie d'après La. Le man. L. porte نقلت ذكر ابن خلدون. g) S. اجر , La. احار , O. اجار. On pourrait penser qu'on doit lire رُجّار ; mais le passage en question ne se trouve pas dans la *Geographie d'al-Idrisi*. Le mot a sans doute été altéré par les copistes.

المعجمة ومعناه اجر ساكنها يعنى عُرِّبتْ بالطاء ثم قال ودَوْر مدينة قرطبة ٣٠ الف ذراع انتهى، وقال غيره ان تكسيرها ومساحتها التى دار السورُ عليها دون الارباض طولا من القبلة الى الجوف الف وستمائة ذراع واتّصلت العمارة بها ايامَ بنى اميّة ٨ فراسخ طولا وفرسخين عرضا وذلك من الاميال ٢٤ فى الطول وفى العرض ٦ وكل ذلك ديار وقصور ومساجد وبساتين بطول ضفّة الوادى المسمّى بالوادى الكبير وليس فى الاندلس وادٍ يسمى باسم عربىّ غيره ولم تزل قرطبة فى الزيادة منذ الفتح الاسلامى الى سنة ٤٠٠ فانحطّت واستولى عليها الخراب بكثرة الفتن الى ان كانت الطامّة الكبرى عليها باخذ العدوّ الكافر لها ثالثَ عِشرِى شوّالٍ سنة ٦٣٣، ثم قال هذا القائل ودور قرطبة اعنى المسوَّر منها دون الارباض ٣٣ الف ذراع ودور قصر امارتها الف ذراع ومائة ذراع انتهى، وعدد ارباضها ٢١ فى كل ربض منها من المساجد والاسواق والحمّامات ما يقوم باهله ولا يحتاجون الى غيره وبخارج قرطبة ٣ آلاف قرية فى كل واحدة منبر وفقيه مقلّص تكون الفتيا فى الاحكام والشرائع له وكان لا يجعل القالص عندهم على راسه الّا مَنْ حفظ الموطّأ وقيل من حفظ ١٠ آلاف حديث عن النبى صلعم وحفظ المدوَّنة وكان هولاء المقلّصون المجاورون لقرطبة ياتون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة بقرطبة ويسلّمون عليه ويطالعونه *باحوال بلدهم انتهى[a]، قال وانتهت جباية قرطبة ايامَ ابن ابى عامر الى ٣ آلاف الف دينار بالانصاف وقد ذكرنا فى موضع آخر مخالفة لهذا فالله اعلم، وما احسن قول بعضهم

نَحْ عنك حضرة بغداد وبهجتَها ... ولا تعظِّمْ بلاد الفُرْس والصِينِ
فما على الارض قطر مثل قرطبة ... وما مشى فوقها مثل ابن حَمْدِينِ

*وقال بعضهم[b] قرطبة قاعدة الاندلس ودار الملك التى تُجْبَى اليها ثمراتُ كل جهة وخيراتُ كل ناحية واسطةٌ بين الكور مُوفِية على النهر زاهرة مُشْرِقة احدقت بها المُنَى فحسن مرآها وطاب جناها، وفى كتاب فرجة[c] الانفس لابن غالب اما قرطبة فانه اسم ينحو الى لفظ اليونانيين وتاويله القلوب المشكّكة وقال ابو عُبَيْد[d] البكرى انها فى نفظ القوط بالظاء المعجمة وقال الحجارى الضبط فيها باهمال الطاء وضمّها وقد يكسرها المشرقيّون فى الضبط كما يعجمها آخرون انتهى، وقال بعض العلماء اما قرطبة فهى

a) La. O. باحوال المدينة التى هم ساكنون بها (ساكنوها .O) قال الخ. b) On ne trouve ces mots que dans La. c) Les man. portent ici فرحة. d) G. L. S. ابو عبيدة.

قاعدة الاندلس وقطبها وقطرها الاعظم وامّ مداينها ومساكنها ومستقرّ الخلفاء ودار المملكة فى النصرانية والاسلام ومدينة العلم ومقرّ السُنّة والجماعة نزلها جملة[a] من التابعين وتابعى[b] التابعين ويقال نزلها بعض من الصحابة وفيه[c] كلام وهى مدينة عظيمة ازليّة من بنيان الاوائل طيّبة الماء والهواء احدقت بها البساتين والزيتون، والقرى والحصون، والمياه والعيون،، من كل جانب وبها المحرث العظيم الذى ليس فى بلاد الاندلس مثله ولا اعظم منه بركةً، وقال الرازى قرطبة امّ المداين وسُرّة الاندلس وقراره الملك فى القديم والحديث والجاهلية والاسلام ونهرها اعظم انهار الاندلس وبها القنطرة التى هى احدى غرائب الارض فى الصنعة والاحكام والجامع الذى ليس فى بلاد الاندلس والاسلام اكبر منه، *وقال ابن حَوْقل[d] هى اعظم مدينة بالاندلس وليس بجميع المغرب لها عندى شبيه فى كثرة اهل وسعة محلّ وفسحة اسواق ونظافة محالّ وعمارة مساجد وكثرة حمّامات وفنادق ويزعم قوم من اهلها انها كاحد جنبّى بغداد وان لم تكن كاحد جانبى بغداد فهى قريبة من ذلك ولاحقة به وهى مدينة حصينة ذات سور من حجارة ومحالّ حسنة وفيها كان سلاطينهم قديما ودُورهم داخلَ سورها المحيط بها واكثر ابواب القصر السلطانى من البلد وجنوب قرطبة على نهرها قال وقرطبة هذه بائنة عن مساكن ارباضها ظاهرة وذرْتُ بها فى غير يوم فى قدر ساعة وقد فتحت الشمسُ ١٥ درجة ماشيّا، *وقال الحجارى[e] كانت قرطبة فى الدولة المروانية قبة الاسلام، ومجتمَعَ اعلام الانام،، بها استقرّ سرير الخلافة المروانية، وفيها تمخّضتْ خلاصةُ القبائل المَعَدّيّة واليمانية،، واليها كانت الرحلة فى رواية الشريعة والشعراء، *اذ كانت[e] مركز الكرماء ومعدن العلماء،، ولم تزل تملأ الصدور منها والحقائب، ويبارى فيها اصحابُ الكتب اصحابَ الكتائب،، ولم تبرح ساحاتُها مُجَرّ عوالى ومجرى سوابق، ومحطّ معالى وحمى حقائق،، وهى من بلاد الاندلس بمنزلة الراس من الجسد، والزَوْر من الاسد.. ونهرها الداخل الفسيح، والخارج الذى يمنع البصر بامتداده فلا يزال مسترجِحا وهو من تردُّد النظر نليجا،، *وقال بعضهم[f] حصرة

a) La. O. جماعة. b) Les man. portent وتبع. c) C'est ainsi qu'on doit lire, car ce passage se trouve réellement dans Ibn-Haukal. La. وقال ابن سعيد رحمه فى المغرب ما , وقال بعضهم. Dans G. S. P. et O. il y a une lacune. d) On a deja rencontre ce passage dans le premier livre. La. وقال, L. وقال فى المسهب ; dans G. S. P. et O. il y a un blanc. e) G. L. S. وكانت. f) La. O. وقال الحجارى ; dans G. S. et P. il y a une lacune.

قرطبة منذ افتتحت a الجزيرة هى كانت منتهى الغاية ، ومركز الراية ، وامّ القرى ، وقرارة أُولِى الفضل والتُقَى ، ووطن اولى العلم والنُهَى ، وقلبَ الاقليم ، وينبوع متفجّر العلوم ، وقبة الاسلام ، وحضرة الامام ، ودار صَوْب المعقول وبستان ثمر الخواطر وبحر دُرر القرائح ومن افقها طلعتْ نجومُ الارض واعلام العصر ، وفرسان النظم والنثر ، وبها أُنْشئت التاليفات b الرائقة ، وصُنّفت التصنيفات c الفائقة ، والسبب فى تبريز القوم حديثا وقديما على مَنْ سواهم ان افقهم القرطبىّ لم يشتمل قطُّ الا على البحث والطلب ، لانواع العلم والادب ، انتهى ، وقال على بن سعيد اخبرنى والدى ان السلطان الاعظم ابا يعقوب بن عبد المومن قال لوالده محمد بن عبد الملك بن سعيد ما عندك فى قرطبة قال فقلتُ له ما كان لى ان اتكلّم حتى اسمع مذهب امير المومنين فيها فقال السلطان ان ملوك بنى اميّة حين اتّخذوها حضرة ملكهم لَعلى بصيرة الديار الكثيرة المنفسحة والشوارع المتّسعة والمبانى الضخمة والنهر الجارى والهواء المعتدل والخارج النضر والمحرث العظيم والشعرى الكافية والتوسّط بين شرق الاندلس وغربها قال فقلتُ ما ابقى لى امير المومنين ما اقول ، ثم قال ابن سعيد ومن كلام والدى فى شانها هى من احسن بلاد الاندلس مبانى واوسعها مسالك وابرعها ظاهرا وباطنا وتفضُل اشبيليةَ بسلامتها فى فصل الشتاء من كثرة الطين ولاهلها رياسة ووقار ولا تزال سمةُ العلم متوارثة فيهم الا ان عامّتها اكثر الناس فضولا واشدّهم تشغيبا d ويضرب بهم المثل ما بين اهل الاندلس فى القيام على الملوك والتشنيع على الولاة وقلّة الرضى باموره حتى ان السيد ابا يحيى بن ابى يعقوب بن عبد المومن لما انفصل عن ولايتها قيل له كيف وجدتَ اهل قرطبة قال مثل الجمل ان خفّفتَ عنه الحملَ صاح وان اثقلتَه به صاح ما ندرى اين رضاهم فنقصده ولا اين سخطهم فنتجنّبه وما سلط الله عليهم حَجّاج الفتنة حتى كان عامّتها شرًّا من عامّة العراق وان العزل عنها لِما قاسيتُ من اهلها عندى ولايةٌ وانى انْ كُلّفتُ العودَ اليها لَقائلٌ لا يُلْدَغ المومن من جحر مرّتَيْن قال والدى ومن محاسنها ظرف اللباس والتظاهر بالدين والمواظبة على الصلاة وتعظيم اهلها لجامعها الاعظم وكسر اوانى الخمر حيث ما وقع عينُ احد من اعاها عليها والتستّر بانواع المنْكَرات والتفاخر باصالة البيت وبالجنديّة وبالعلم وهى

a) G. L. S. P. استفتحت. b) L. La. O. التآليف. c) La. O. التصانيف. d) G. S. O. تشنيعا وتشغيبا, L. La. تشنيعا.

اكثر بلاد الاندلس كُتُبًا واشدّ الناس اعتناء بخزائن الكتب صار ذلك عندهم من آلات التعيّن a) والرياسة حتى ان الرئيس منهم الذى لا تكون عنده معرفة يحتفل فى ان تكون فى بيته خزانة كتب وينتخب فيها ليس الّا لان يقال فلان عنده خزانة كتب والكتاب الفلانى ليس هو عند احد غيره والكتاب الذى هو بخطّ فلان قد حصّله وظفر به، قال الحَضْرَمى اقمتُ مرّةً بقرطبة ولازمتُ سوق كتبها مدّةً ارتقب b) فيه وقوع كتاب كان لى بطلبه اعتناء الى ان وقع وهو بخط جيّد وتسفير مليح فرحتُ به اشدّ الفرح فجعلتُ ازيد فى ثمنه فيرجع الىّ المُنادى بالزيادة علىّ الى ان بلغ فوق حدّه فقلتُ له يا هذا أَرِنى مَنْ يزيد فى هذا الكتاب حتى بلّغه الى ما لا يساوى قال فارانى شخصا عليه لباس رياسة فدنوتُ منه وقلت له اعزّ الله سيدنا الفقيه ان كان لك غرض فى هذا الكتاب تركتُه لك فقد بلغتْ به الزيادة بيننا فوق حدّه فقال لى نستُ بفقيه ولا ادرى ما فيه ولكن اقمتُ خزانة كُتُب واحتفلتُ فيها لأتجمّل بها بين اعيان البلد وبقى فيها موضع يَسَعُ هذا الكتابَ فلما رايتُه حسن الخطّ جيّد التجليد استحسنتُه ولم أُبالِ بما ازيد فيه والحمد لله على ما انعم به من الرزق فهو كثير قال الحضرمى فاحرجنى c) وحملنى على ان قلتُ له نعم لا يكون الرزق كثيرا الا عند مثلك يُعْطَى الجوزَ مَنْ لا عنده أَسْنان وانا الذى اعلم ما فى هذا الكتاب واطلب الانتفاع به يكون الرزق عندى قليلا وتحول قلّةُ ما بيدى بينى وبينه، قال ابن سعيد وجرتْ مناظرةٌ بين يدى منصور بنى عبد المومن بين الفقيه العالم ابى الوليد بن رُشْد والرئيس ابى بكر بن زُهْر فقال ابن رشد لابن زهر فى كلامه ما ادرى ما تقول غير انه اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبه حُملتْ الى قرطبة حتى تبع فيها واذا مات مُطْرِب بقرطبة فاريد بيعُ تركته d) حُملتْ الى اشبيلية، *ولما وصف ابن بشكوال e) قصر قرطبة قال هو قصر اولىّ تداولتْه ملوكُ الامم من لدن عهد موسى النبى صلى الله على نبيّنا وعليه وسلم وفيه من المبانى الاوليّة والآثار العجيبة لليونانيّين ثم للروم والقوط والامم السالفة ما يعجز الوصف ثم ابتدع الخلفاء من بنى

a) G. L. S. اليقين. b) La. O. اطلب. c) S. فاحوجنى, G. L. La. فاخرجنى. d) O. ajoute من آلة الطرب e) Il y a ici un blanc dans G. et S.; P. قال; La. O. وسئل ابن بشكوال عن قصر*

مروان منذ فتح الله عليهم الاندلس *بما فيها فى قصرها a البدائعَ الحسان وأثّروا فيه b الآثار العجيبة والرياض المونقة وأجْرَوْا فيه c المياه العذبة المجلوبة من جبال قرطبة على المسافات البعيدة وتموّنوا المُوَن الجسيمة حتى اوصلوها الى القصر المكرّم واجرَوْها فى كل ساحة من ساحاته وناحية من نواحيه فى قنوات الرصاص تؤدّيها منها الى المصانع صُوَرٌ مختلفة الاشكال من الذهب الابريز والفضّة الخالصة والنحاس المموّه الى البحيرات الهائلة والبِرَك البديعة والصهاريج الغريبة فى احواض الرخام الرومية المنقوشة العجيبة قال وفى هذا القصر القِصاب العالية السموّ المنيعة العلوّ التى لم يَرَ الراؤون مثلها فى مشارق الارض ومغاربها *قال d ومن قصوره المشهورة وبساتينه المعروفة e الكامل والمجدّد وقصر الحائر والروضة والزاهر والمعشوق والمبارك والرشيق وقصر السرور والتاج والبديع قال ومن ابوابه التى فتحها الله لنصر المظلومين وغياث الملهوفين والحكم بالحق البابُ الذى عليه السطح المُشْرِف الذى لا نظيرَ له فى الدنيا وعلى هذا الباب باب حديد وفيه حَلَق لاطون f قد أُثْبِتَتْ فى قواعدها وقد صُوّرت صورةَ انسان فتح فَمَه وهى حلق باب مدينة اربونة من بلد الافرنج وكان الامير محمد قد افتتحها فجلب حلقها الى هذا الباب وله باب قبليّ ايضا وهو المعروف بباب الجِنان وقُدّامَ هذين البابين المذكورين على الرصيف المشرف على النهر الاعظم مسجدان مشهوران بالفضل كان الامير هشام الرضى يستعمل الحكم فى المظالم فيهما g ابتغاء ثواب الله الجزيل وله باب ثالث يعرف بباب الوادى وله باب بشماليّه يعرف بباب قُوربة وله باب رابع يُدعى بباب الجامع وهو باب قديم كان يدخل منه الخلفاء يوم الجمعة الى المسجد الجامع على الساباط وعدّد ابوابا بعد هذا طمستْ ايامَ فتنة المهدى بن عبد الجبّار، وذكر ابن بشكوال رحمه ان ابواب قرطبة ٧ بابُ القنطرة الى جهة القبلة ويعرف بباب الوادى وبباب الجزيرة h الخضراء وهو على النهر وباب الحديد ويعرف بباب سرقسطة وباب ابن عبد الجبّار وهو باب طليطلة وباب رومية وفيه تجتمع الثلثة الرُّصُف التى تشقّ دائرة الارض من جزيرة قادس الى قرمونة الى قرطبة الى سرقسطة الى طرّكونة الى اربونة مارّةً فى الارض الكبيرة ثم باب طَلَبيرة وهو ايضا باب ليون ثم

---

a) La. O. بما فى قصرها من البدائع. b) La. O. فيها. c) La. O. فيها. d) Il y a ici une lacune dans G. S. et P. e) La. المعمورة. f) C'est le mot espagnol *laton*. g) Les man. portent فيها. h) Les man. portent جزيرة.

باب عامر القرشيّ وقدّامه المقبرة المنسوبة اليه ثم باب الجوز ويعرف بباب بطليوس ثم باب العطّارين وهو باب اشبيلية انتهى، وذكر ايضا ان عدد ارباض قرطبة عند انتهائها فى التوسيع والعمارة ٢١ ربضا منها القبليّة بعدوة النهر ربض شقندة وربض منية عجب واما الغربية فتسعة ربض حوانيت الريحان a وربض الرقّاقين وربض مسجد الكهف وربض بلاط مُغيث وربض مسجد الشفاء وربض حمّام الالْبيرى وربض مسجد مسرور b وربض c الروضة وربض السجن القديم واما الشماليّة فثلثة ربض باب اليهود وربض مسجد امّ سلمة وربض الرصافة والارباض الشرقيّة ٧ ربض شَبْلار d وربض فُرْن بُرِّيل وربض e البرج وربض منية عبد الله وربض منية المُغيرة وربض الزاهرة وربض المدينة العتيقة قال ووسط هذه الارباض قصبة قرطبة التى تختصّ بالسور دونها وكانت هذه الارباض دُون سور فلما كانت ايام الفتنة صُنع لها خندق يدور بجميعها وحائط منع، وذكر ابن غالب انه كان دَوْر هذا الحائط ٣٠ ميلا وشقندة معدودة فى المدينة لانها مدينة قديمة كانت مسوّرة f * قال ابن سعيد g فى المُغْرِب ولْنذكر الآن من منتزهات قرطبة ومعاهدها المذكورة فى الاندلس نظما ونثرا ما انتهى اليه القصد من غير تغلغل فى غير المشهور منها والاهمّ ونوشّى ذلك بجميع h ما يحضرنى من مختار النظم فى قرطبة وما يحتوى عليه نطاقها المذكور فاول ما نذكر من المنتزهات منتزه الخلفاء المروانية وهو قصر الرصافة * قال والدى رحمه i كان مما ابتناه عبد الرحمن بن معوية فى اول ايامه لتنزّهه وسكناه اكثرَ اوقاته منية الرصافة التى اتّخذها بشمال قرطبة منحرفةً الى الغرب فاتّخذ بها قصرا حسنا ودحا جنانا واسعة ونقل اليها غرائب الغروس واكارم الشجر من كل ناحية واودعها ما كان استجلبه يزيد وسفر رسولاه الى الشام من النوى المختار والحبوب الغريبة حتى نمت k بيمن الجدّ وحسن التربية فى المدّة القريبة اشجارا معتمّة اثمرت بغرائب من الفواكه انتشرت عمّا قليل بارض الاندلس فعُرف بفضلها على انواعها قال وسمّاها باسم رصافة جدّه هشام بارض الشام الاثيرة لديه وامعن فى اختباره رصافته هذه وكلفه بها وكثرة تردّده عليها وسكناه اكثرَ اوقاته فيها فنشر بها الذكر فى ايامه واتّصل من بعده فى امد قال

a) G. L. S. P. الريحاني. b) La. O. المسرور. c) La. et O. ajoutent مسجد d) L. اسبلار, O. سلار. e) La. O. ٢٤. f) Il y a ici une lacune dans G. S. P. et O. g) La. المقول. Ces mots sont restes en blanc dans G. S. P. et O. h) G. L. تمهيد. i) G. L. S. P. O. رحمه.

وكلهم فضّلها وزاد فى عمارتها وانبرى[a] اوصاف الشعراء لها فتناغوْا[b] فى ذلك فيما هو الى الآن ماثور عنهم مستجاد منهم، قال ابن سعيد والرمّان السفرى الذى فاض على ارجاء الاندلس وصاروا لا يفضّلون عليه سواه اصلُه من هذه الرصافة وقد ذكر ابن حيّان شانه وافرد له فصْلا فقال انه الموصوف بالفضيلة المقدّم على اجناس الرمان بعذوبة الطعم ورقّة العجم وغزارة الماء وحسن الصورة وكان رسوله الى الشام عن توصيل اختهِ[c] منها الى الاندلس قد جلب طرائف فيها من رمان الرصافة المنسوبة الى هشام قال فعرضه عبد الرحمن على خواصّ رجاله مباهيًا به وكان فيمن حضره منهم سفر بن عُبيد الكلاعى من جند الاردنّ ويقال هو من الانصار الذين كانوا يحملون الوية رسول الله صلّعم فى غزواته قال وهم يحملون الالوية بين يدى الخلفاء من بنى اميّة فاعطاه من ذلك الرمان جزءًا فراقه حسنُه وخبره فسار به الى قرية بكورة ريّة فعالج عجمه واحتال لغرسه وغذائه وتنقيله حتى طلع شجرا اثمر واينع فنزع الى عرقه واغرب فى حسنه فجاء به عمّا قليل الى عبد الرحمن فاذا هو اشبه شىء بذلك الرصافىّ فسأله الامير عنه فعرّفه وجه حيلته فاستبرع استنباطه واستنبل همّته وشكر تهمّمه واجزل صلته واغترس[d] منه بمنية الرصافة وبغيرها من جنّاته فانتشر نوعه واستوسع الناس فى غراسه ولزمه النسب اليه فصار يعرف الى اليوم[e] بالرمان السفرى قال وقد وصف هذا الرمان احمد بن فرج[f] الشاعر فى ابيات كتب بها الى بعض من اهداه له فقال

ولابسةٍ صدفًا احمرًا — اتتْك وقد ملئتْ جوهرًا
كانك فاتح حُقّ لطيف — تضمّن مرجانه الاحمرًا
حبوبًا كمثل لِثات الحبيب — رُضابا اذا شيتَ او منظرًا
وللسفر تُعْزَى وما سافرتْ — فتشكو النوى او تُقاسِى السُرَى
بلى فارقتْ ايكَها ناعما — رَطيبا واغصانَها نُضَّرًا
وجاءتْك معتاضةً اذ اتتْك — باكرم من عُودها عنصرًا
بعُود ترى فيه ماء الندى — ويُورِق من قبل ان يُثْمِرًا
هديّة مَنْ لو غَدَتْ[g] نفسُه — [illegible] ظنّه قصّرا

قال ابن سعيد واخبرنى والدى قال اخبرنى الوَشّاح المبرز المحسن ابو الحسن

a) G. L. S. O. وامترى. b) La. فتنازعوا. c) L. S. اختيه. d) La. O. وغرس. e) La. O. الآن. f) La. دوح, O. روح. g) La. O. هدى.

المرينى قال بينما انا اشرب مع ندمانى بازاء الرصافة اذا بانسان رثّ الهيئة مجفوّ ه
الطلعة قد جاء فجلس معنا فقلنا له ما هذا الاقدام على الجلوس معنا دون سابق ه
معرفة فقال لا تعجلوا علىّ ثم فكر قليلا ورفع رأسه فانشدنا

سَقّنيها ازاء قصر الرصافةْ … واعتبرْ فى مآل امر الخلافةْ
وانْظُر الافق كيف بدّل ارضا … كى يطيل اللبيبُ فيه اعترافَهْ
ويرى ان كلّ ما هو فيه … من نعيم وعزّ امرٍ سخافَهْ
كل شىء رايته غير شىء … ما خلا لذّة الهوى والسُّلافَهْ

قال المرينى فقبّلْتُ راسه وقلتُ له بالله مَنْ تكون قال قاسم بن عَبّود الرياحى الذى
يزعم الناس انه مُوَسْوس احمق قال فقلتُ له ما هذا شعر احمق وان العقلاء لتعجز
عنه فبالله الّا ما تمّمْتَ مسرّتنا بموانستك ومنادمتك ومناشدتك ه شُرّف اشعرك فنادم
وانشد وما زلنا معه فى طيبة عيش الى ان ودعناه وهو يتلاطم مع الحيطان سكرا
ويقول الليمّ غفرًا انتهى ، *قال ومن a قصور خارج قرطبة قصر السيّد ابى يحيى بن
ابى يعقوب بن عبد المومن وهو على متن النهر الاعظم تحمله اقواس وقيل للسيد
كيف تأنّقتَ فى بنيان هذا القصر مع انحرافك عن اهل قرطبة فقال علمتُ انهم لا
يذكرون واليا بعد عزله ولا له عندهم قدر لما بقى فى رؤسهم من الخلافة المروانية
فاحببتُ ان يبقى لى فى بلادهم اثر أُذْكَرُ به على رغمهم ، قال ابن سعيد واخبرنى
والدى ان ناهض بن ادريس شاعر وادى آش فى عصره انشده لنفسه فى هذا القصر

الا حبّذا القصر الذى ارتفعتْ به … على الماء من تحت الحجارة اقواسْ
هو المصنع الاعلى الذى أنِفَ الثرى … ورفّعه عن لثمه المجدُ والباسْ
فأركب متنَ النهر عزًّا ورفعةً … وفى موضع الاقدام لا يوجد الراسْ
فلا زال معمورَ الجناب وبابه … يغصّ وحلّتْ افقه الدهر اعراسْ

قال الفتح فى قلائده b ثم ذكر الوزير ابن عمّار وتنزّه بدمشق بغرينيه وهو قصر شيّده
بنو اميّة بالصفّاح والعَمَد ، جرى فى اتّقانه الى غير أمد ، وابدع بنوه ، وتمّمت ساحته
وفناؤه ، واتّخذوه ميدانَ مراحهم ، ومضمار انشراحهم c ، وحكوا به قصرهم بالمشرق ،
واطلعوه كالكوكب المشْرِق ، وانشد فيه لابن عمار

a) O. مجعو b) Lat. O. سسه c) G. S. ومناشدتك d) L. ومن المنتزهات. Dans G. S. P. et O. il y a une lacune. e) Les man. d'al-Makk. portent افراحهم.

كل قصر بعد الدمشق يُذَمّ   فيه طاب الجنى وفاحa المشمّ
منظر رائق وماء نمير   وثرى عاطر وقصر اشمّ
بتّ فيه والليل والفجر عندى   عنبر اشهبٌ ومسك احمّ

وهى منسوبة للحاجب ابى عثمن جعفر بن عثمن المُصْحَفى وذكر الحجارى فى المُسْهِب ان الرئيس ابا بكر محمد بن احمد بن جعفر المصحفى اجتاز بالمنية المصحفيّة التى كانت لجدّه ايامَ حجابته للخليفة الحكم المستنصر فاستعبر حين تذكّر ما آل به حالُ جدّه مع المَنصور بن ابى عامر واستيلائه على ملكه واملاكه فقال

قِفْ قليلا بالمصحفيّة واندُبْ   مقلة اصبحتْ بلا انسانِ
واسْألَنْها عن جعفر وسطاهb   ونداه فى سالف الازمانِ
جعفر مثل جعفر حكم الدهـــرُ عليه بعسرةc وهوانِ
ولكم حذّر الرَدَى فصَمْنا   لا امان لصاحب السلطانِ
بينما يعتلى غدا خافضا منـــه *انتساب لكفّةd الميزانِ

ومنية الزبير منسوبة الى الزبير بن عمر الملثّم ملك قرطبة قال ابن سعيد اخبرنى والدى عن ابيه قال خرج معى الى هذه المنية فى زمان فتح النُوّار ابو بكر بن بَقِىّ الشاعر المشهور فجلسنا تحت سطر من اشجار اللوز قد نوّرتْ فقال ابن بقىّ

سطر من اللوز فى البستان قابَلَنى   ما زاد شئ على شىء ولا نَقَصَا
كانما كل غصن كمّ جارية   اذا النسيم ثنى اعطافه رَقَصَا

ثم قال شعرا منه

عجبتُ لمن ابقى على خمر دنّه   غداةَ راى لوز الحديقة نوّرَا

ولا اذكر بقيّة الابيات قال جدّى ثم اجتمعتُ به بعد ذلك بغرناطة فذكّرْتُه باجتماعه فى منية الزبير فتنهّد وفكّر ساعةً وقال اكتُبوا عنّى فكتبنا

سقى الله بستان الزبير ودام فى   *ذراه مسيلُe النهر ما غنّت الوُرْقُ
فكائنْ لنا من نعمة فى جنابه   كبزّته الخضراءf طالعُها طلقُ
هو الموضع الزاهى على كل موضع   أمَا ظلّه صافٍ أمَا ماؤه دفقُ

a) Al-Makk. ولذ. b) G. S. P. وشطاه. c) G. L. S. O. بعزة. d) La. انتسابا لكفة ; O. اكتساب لكفة ; G. L. S. P. اكتساب ككفة. e) G. مسيل داره, L. مجاريه سيل. f) G. L. S. خضراء.

اهيم به فى حالة القرب والنوى وحُقَّ له منّى التذكّر والعشق
ومن ذلك النهر الخفوق فؤاده بقلبيَ ما غُيّبتُ عن وجهه خفق

قال فقلتُ له جمع الله بينك وبينه على الحالة التى تشتهى قال ذلك لك قلتُ وكيف قال تدفع هذا السيف الذى تقلّدتَ به اتزوّد منه اليه وأُنفق الباقى فيه على ما تعلم قال فقلتُ هذا السيف شرّفنى به السلطان ابو زكرياء بن غانية وما لعطائه سبيل ولكن اعطيك قيمته فخرج واتى بشخص يعرف قيمة السيوف فقدّره وجعل يقول انه سيف السلطان ابن غانية ليعظم قدره فى عينه فيزيد فى قيمته ثم قبض ما قدّر به وانشد ارتجالا

اثال الله عمرَ فتى سعيد وابقاه ودرّته السعودُ غدا لى جُودُه سببا لعودى
الى وطنى فهل انا ذا اعودُ والثم كفّه شكرا ويتلو *شريفى آىَ نعماء النشيد b
حبانى من ذخائره بسيف به لم يبق للأحزان جيدُ

والقصر الفارسى من القصور المقصودة للنزاهة بخارج قرطبة وقد ذكره الوزير ابو الوليد ابن زيدون فى قصيد ضمّنه من منتزهات قرطبة ما تَقِفُ عليه وكان قد فرّ من قرطبة امامَ بنى جَهْوَر فحضره فى فراره عيدٌ ذكّره باعياده فى وطنه ومعاهده الأُنسية مع ولّادة التى كان يهواها ويتغزّل فيها فقال

خليلى لا فطرٌ يَسُرّ ولا أَضْحَى فما حالُ مَنْ أَمْسَى مشوقا كما أَضْحَى

وستاتى هذه القصيدة فى هذا الباب كما ستاتى قصيدة ابى القاسم بن هشام القرطبى التى اولها يا هبّة باكرتْ من نحو دارين وفيها ذكر من منتزهات قرطبة، قال ابن سعيد كان والدى كثيرًا ما يامرنى بقراءتها عليه ويقول والله لقد انبتّ عن فضل لهذا الرجل قال وكان ابو يحيى الحضرمى يزرى a به متجنّسه ويحلف ان لا ينشدها بمكان جاهل لا يفهم او حاسد لا يُنْصف فى الاعتراف لها وانه لجدير بذلك فننا من كنوز الادب، ثم قال والمرج النضير المذكور بها هو مرج الخزّ اخبرنى والدى انه حضر فى زمن الصبا بهذا المرج على راحة ومعه الرئيس العامل ابو الحسين بن الوزير ابى جعفر الوقّشى والمسنّ c بن دوريده d المشهور بتحفة الروح قال فسنحت امامنا اوز بجعلت تمرح

a) G. P. ويزرى, La O. يزرى. b) Telle est la leçon du man. La. Les autres man. portent شريفى et المشيد. c) S. P. حسين ?. d) La. دويده.

وتُنثر ما عليها من الماء فوق المرج والمرج قد احدق به الوادى والشمس قد مالت عليه للغروب فقال لى ابو الحسين بالله صِفْ يومنا وحسنَ هذا المنظر فقلتُ لا اصفه او تَصفَه انت فقال ولك منّى ذلك فافكر كل منّا على انفراد بعد ما ذكرنا ما نصف نثرا فقال ابو الحسين الوقّشى

للّه يوم بمرج الخزّ طاب لنا … فيه النعيم بحيث الروض والنهرُ
وللاوزّ على ارجائه لعبٌ … اذا جرتْ بُدّدتْ ما بيننا الدُرَرُ
والشمس تجنح نحو البين مائلةً … كأنّ عاشقها فى الغرب ينتظرُ
والكاس جائلة باللب حائرة … وكلنا غفلاتِ الدهر نبتدرُ

قال وقلتُ

ألا حبّذا يوم ظفرنا بطيبه … باكناف مرج الخزّ والنهر يبسمُ
وقد مرحتْ فيه الاوزُّ وارسلتْ … على سندس دُرًّا به يتنظّمُ
ومدَّ به للشمس وهو كانّه … لثام لها مُلْقًى من النور مِعْصَمُ
أَدَرْنا عليه اكؤُسا بعثتْ به … من الانس مَيْتا عاد وهو يكلّمُ
5 غَدَوْنا اليه صامتين سكينةً … فرُحْنا وكل بالهوى يترنّمُ

فاظهر كل منّا لصاحبه استحسانَ ما قال تنشيطا وتتميما للمسرّة ثم قلنا للمسنّ ما عندك اذن بما تُعارض هاتين القطعتين قال بهذا ورفع رجله وحبق حبقةً فرقعَتْ منها ارجاؤه فقال له ابو الحسين ما هذا يا شيخ سَوْء فقال انطلاق لازم a) ان لم تكن أَوْزَنَ من شعركما واطيب رائحةً واغنَّ صوتا واطرب معنى فضحكنا منه اشدَّ ضحك وجعلنا نهتزّ غايةَ الاهتزاز لموقع نادرة فقال والدليل على ذلك انكم طربتم لما جيتُ به اكثر ممّا طربتم من شعركم، ثم قال ابن سعيد ومن متنزهات قرطبة المشهورة فحص السرادق مقصود للفرجة يسرح فيه البصر وتبتهج فيه النفس اخبرنى والدى عن اخيه ابى جعفر بن عبد الملك بن سعيد قال خرجتُ مع الشريف الاصمّ القرطبى الى بسيط الجزيرة الخضراء وقد تدبّج بالانوار b) فلما حرّكنا حسنُ المكان، وتشوّقنا الى الاركان c)، قال الشريف لقد ذكّرنى هذا البسيطُ بسيطَ فحص السرادق فقلتُ له فهل ثار فى خاطرك نظم فيه قال نعم ثم انشد

ألا فَدَعُوا ذكر العُذَيْب وبارِقِ … ولا تَسْأموا من ذكر فحص السرادقِ

a) G. S. L. P. له لازم, La. O. يلزمه. b) La. O. بالنوار. c) Lisez الاوطان (?).

مَجَرُّ ذيولِ السكرِ من كل مُتْرَف   ومجرى الكؤوس المُتْرَعات السوابقِ
قصرتُ عليه اللحظ ما دُمْتُ حاضرا   وفكرِىَ فى غيبى لمَرْآه شائقِ
أَيا طيبَ ايامٍ تقضَّتْ بروضة   على لمحِ غُدْران وشمِّ حدائقِ
اذا وردتْ فيها حمائمُ دوحها   تخيَّلها الكُتّابَ بين المهارقِ
وما باختيار الطرف فارقتُ حسنها   ولكن بكيدٍ مّن زمانٍ مُنافقِ

قال ابو جعفر فلما سمعتُ هذا الشعر لم اتمالك عن الاستعبار وحرّكنى ذلك الى ان قلتُ فى حَوْره[a] مؤمل سيّد منتزهات غرناطة ولم يذكر هنا ما قاله فيه وذكره فى موضع آخر لم يحضرنى الآن حتى أُورده هنا، ومن منتزهات قرنبلة[?] السَّد قال ابن سعيد اخبرنى والدى ان الشاعر المبرز ابا شهاب المالقى انشده لنفسه واصفا يوم راحة بهذا السدّ

ويوم لنا بالسدّ لو رُدَّ عيشه   بعيشة ايام الزمان رددنه
بكرنا له والشمس فى خِدْر شرقها   الى ان اجابتْ اذ دعا الغربُ دعوة
فطعناه شدوًا واغتباقا ونشوةً   ورَجْعَ حديث لو رقى المَيْتَ أَحْيَه
على مثله من منزه تُبتغى المُنَى   فلله ما أَحْلَى وابدعَ مَرْآه
شَدَتْنا به الارحا وأَنْقَتْ نثارها   علينا فأَصْغَيْنا له وحبلنه
لئن بان انّا بالأنين نفقده   وبالدمع فى اثر الفراق حكيناه

وانشدنى والدى موشّحة لابى الحسن المرينى مُعاصره وصاحبه يذكر فيها هذا السدّ وهى

فى نغمة العُود والسُلافةْ   والروض والنهر والنديمْ
اشال من لامَنى خلافةْ   فظلّ فى نصحه مُليمْ

دَعْنى على منهج التصابى   ما قام لى العُذْرُ بالشباب
ولا تُطِلْ فى الهوى عتابى   فلَسْتُ أُصْغِى الى عتابْ
لا تَرْجُ * رَدّى للجواب[c]   والكاس تفترّ عن حبابْ
والغصن يُبْدى لنا انعطافةْ   اذا هفا فوقه النسيمْ
والروض اهدى لنا قطافةْ   واختال فى برده الرقيمْ

a) L. O. حوز.   b) L. S. سليم.   c) L. ردى الى الجواب, S. ردا الى الجواب, La. O. ردى الى جوابى ?

يا حبّذا عهدىَ القديمْ   ومَن به هِمْتُ مُسْعِدِى
ريمٌ عن الوصل لا يريمْ   مولّع بـ ـالـتـ ـدِّد
ما نم الّا بـ ــيم   طوعًا على رغم حُسّدِى
معتدل القدّ ذو نحافَةْ   اسقمنى طرفُه السقيمْ
ورام طرفى به انتصافَهْ   فتخذّ^a فى خدّه الكليمْ

٣

غضّ الصبا عاطرَ المقبّلْ   أَحْلَى من الامن والامَلْ
طاوى^b الحشا مُفْعَم المخلخَلْ   حُلْوُ اللَمَا ساحر المُقَلْ
لكل ما رامه تَوَصَّلْ   لم يَخْشَ ردًّا بما فعَلْ
اشكو فيُبْدِى لِىَ المحترافَهْ   ان حاده عن نهجه القويمْ
لا اعدِمُ الدهرَ فيه رافَةْ   فحُقّ لى فيه أن اهِيمْ

لله عصر لنا تقضّى   بالسدّ والمنبر البهيجّ
ارى ادّكارى اليه فرضًا   وشوقُه دائمًا يهيجْ
فكم خلعناه^d عليه غمضًا   للصـ ـرح اريجْ
وردّ^c اطال المنا ارتشافَهْ   حتى انقضى شربه الكريمْ
لله ما اسرَعَ انحرافه   وهكذا الدهر لا يُدِيمْ

يا من يحثّ المطىّ غربَا   عَرِّجْ على حضرة المُلوكْ
وانثرْ بها ان سفحتَ غربَا   من مدمع عاطل سُلُوكْ
واسمعْ الى من اقام صَبًّا   واحْكِ صداه *لا فُضّ^e فُوكْ
بَلّغْ سلامى قصرَ الرصافَةْ   وذكّروا عهدىَ القديمْ
وحَيّ عنّى دارَ الخلافَةْ   وقِفْ بها وقفةَ الغريمْ

a) S. O. فتحد. b) On trouve cette leçon dans B. Les autres man. portent ظامى ou طامى.
c) G. S. O. جار, La. جال. d) S. La. جعلنا. e) Ces deux mots me paraissent altérés.
O. لافض, S. لا فوضّ, La. لا ضم.

قال ابن سعيد والمنبر المذكور فى هذه الموشحة من متنزهات قرطبة والسدّ هو الارحا التى ذكرها فى زجله قاسم بن عَبُّود الرياحى رويتُه عن والدى عن قائله وهو[a]

بِاللّهْ[b] أَيْنْ[c] نْصِيبْ   مَنْ لَيْسْ[d] لى فِيهْ[e] نْصِيبْ
محبوبًا مْخالِفْ[f]   ومَعُو رَقِيبْ

حِينْ[g] نَقْصِدْ مَكانُو   يَقُومْ[h] فى المَقامْ
وبَتْبَاخَلْ علينا   بِرَدّ السَّلامْ
أَدْخُلْتَ يا قلبى   رُوحَكْ فى زِحَامْ[i]
سلامَتْكْ عندى   هِى شَىْ[j] عَجِيبْ
وكَيْفْ[k] بِاللّه يَسْلَمْ   مَنْ هُو فى لَهِيبْ

٢

بِاللّهْ يا حَبِيبِى   أَتُتْرُكْ[l] ذا النِّفارْ
واعْمَلْ أَنْ نْطِيبُوا   فى هٰذا النَّهارْ
واخْرُجْ معى لِلْوادْ[k]   لِشُرْب العُقارْ
نَنْعَمْ[l] نهارنا   فى لَذّة ونَطِيبْ
فى الأَرْحا والّا   فى المَرْج الخَصِيبْ

٣

او عند النواعير[m]   والرَّوْض الشَّرِيف

[a] [La versification de ce *zadjal*, ecrit dans la langue vulgaire à une époque ou le peuple avait perdu le sentiment de la quantité, ressemble a celle des poesies latines du moyen âge: elle est fondée uniquement sur l'accent. Chaque vers se compose de quatre pieds, et chaque pied de trois syllabes, ou de deux dans la rime, l'accent tombant sur la deuxieme. Quelques syllabes qui, selon les regles de la quantité, seraient breves, ont cependant l'accent. Ainsi la premiere syllabe de معى et de معو (= معه) est accentuée (2e strophe, 3e vers; str. 5, vs. 5), de même que la seconde dans اتّخل (4e str., vs 1), dans وأمس (str. 4, vs. 5) et dans عاجلا (str. 5, vs. 5). R. D.]. b) G. P. بالله. c) G. P. S. L. La. O. اى. d) P. لس. [Je crois qu'il faut biffer ce mot. R. D.]. e) B. فيه. f) P. مخالف، G. فحالف. g) G. حين. h) G. L. S. P. B. نقم. i) B. ازدحم. j) G. P. B. وصف. k) S. La. O. B. للوادى. l) La. O ننعم. m) G. L. P. B. النواعير.

او قصر الرُضافة a   او وادى العَقيقْ
رَحيقْ b والله دُونَكْ   هُو عندى الحَريقْ
وفى حُبّكَ أمْسَيْتْ   فى أهْلى غَرِيبْ
وما المَوْتُ عندى   الّا حِينْ c تَغِيبْ

أتّكلْ على اللّه   وكُنْ قَطْ جَسُورْ
وانْ ريْتْ فُضُولى   *وقل اى تمُورْ d
كمّشْ e عنّو وَجْهَكْ   فانْ راكْ f نَفُورْ
يَهْرُبْ عنكَ خائفْ   ويَبْقى مُرِيبْ
وأمْشِ g أنْتْ مُوَقّرْ   كانّكْ خَطِيبْ

ما أعْجَبْ حَدِيثى   أشْ h هٰذا الجُنُونْ
نَطْلُبْ ونُدَبّرْ   أمْرًا لا يكُونْ
وكم ذا نُهَوّنْ   شيئًا لا يَهُونْ
واشْ i مقْدارْ ما نَصْبِرْ   لـ   ـد الحَبِيبْ
رَبِّ أجْمَعْنى مَعُو   عاجِلًا قَرِيبْ j

قال ابن سعيد واما نهر قرطبة فانه يصغر عن عظمه عند اشبيلية بحيث صُنِع عليه قنطرة من حجارة لا يتأتّى مثلها فى نهر اشبيلية ومنبعه من جهة شَقُورة يمرّ النصفُ منه الى مرسية مشرّقا والنصفُ الى قرطبة واشبيلية مغرّبا، ولمّا ذكر الرازى قرطبة قال ونهرها الساكن فى جريه اللّيّن فى انصبابه الذى تومن مغبّةُ ضرره فى حمله

---

a) G. P. S. B. الرصافا. b) B. رَحِقْ; les autres man. portent حرق. c) G. P. حِنْ.
d) La. O. فقل, B. يَمَلْ; je ne comprends pas ces mots. [Comme on trouve assez souvent des phrases espagnoles dans les poésies de ce genre, je crois devoir lire وبُلْراسْ تَمُور, c'est-à-dire: *bulras de amor* (*bulras* = *burlas*; voyez, par exemple, l'archiprêtre de Hita, Copla 1488). Ces mots espagnols donnent le même sens que le mot arabe فضول qui précède. R. D.]. e) S. حمش, B. كشّ. f) G. L. P. S. رك. g) La. وامشى. h) S. La. O. ايش. i) S. La. O. وايش. j) O. ajoute: وصلى الهى   على النبى الحبيب.

وقال هذا لانه يعظم عند اشبيلية فاذا حان حمله فى ايام الامطار أشفقت اشبيلية على الغرق وتوقّع اهلُها الهلاك والقنطرة التى على هذا النهر عند قرطبة من اعظم آثار الاندلس واعجبها افواسُها ١٧ قوسا وبانيها على ما ذكره ابن حيّان وغيره السَّمْح بن مالك الخولانى صاحب الاندلس بامر عمر بن عبد العزيز رضّه وشيّدها بنو اميّة بعد ذلك وحسّنوها قال ابن حيّان وقيل انه قد كانت فى هذا المكان قنطرة من بنيان الاعاجم قبل دخول العرب بنحو ٢٠٠ سنة اثّرتْ فيها الازمان بمكابدة المدود حتى سقطتْ حناياها ومُحيتْ اعاليها وبقيتْ ارجلُها واسافلها وعليها بنى السمح فى سنة ١٠١ انتهى، وقال فى مناهج الفكر ان قنطرة قرطبة احدى اعاجيب الدنيا بُنيت زمنَ عمر ابن عبد العزيز على يد عبد الرحمن بن عبيد الله الغافقى وطولها ٨٠٠ باع وعرضها ٢٠ باعا وارتفاعها ٩٠ ذراعا وعدد حناياها ١٨ حنيّة وعدد ابراجها ١٩[a] برجا انتهى، رجع الى قرطبة، ذكر ابن حيّان والرازى والحجارى ان اكتبيان[b] ثانى قياصرة الروم الذى ملك اكثر الدنيا وصفّح نهر رومية بالصفر فأرّخت الرومُ من ذلك العهد وكان قبل ميلاد المسيح عمّ بثمان وثلثين سنة امر ببناء المدن العظيمة بالاندلس فبُنيت فى مدّته واشبيلية وماردة وسرقسطة وانفرد الحجارى بان اكتبيان[c] المذكور وجّه ٤ من اعيان ملوكه للاندلس فبنى كل واحد منهم مدينة فى الجهة التى ولّاه عليها وسمّاها باسمه وان هذه الاسماء الاربعة كانت اسماء لاولئك الملوك وغير الحجارى جعل اسماء[d] هذه المدن مشتقّةً مما تقتضيها اوضاعُها كما مرّ وذكروا انه قد تداولتْ على قرطبة وُلاةُ الروم الاخيرة الذين هم بنو عيصو بن اسحق بن ابرهيم على نبيّنا وعليهما الصلاة والسلام الى ان انتزعها من ايديهم القوط من ولد يافث المتغلّبون على الاندلس الى ان اخذها منهم المسلمون ولم تكن فى الجاهلية سريرا لسلطنة الاندلس بل كرسيّا لخاصّ مملكتها وسعدت فى الاسلام فصارت سريرا للسلطنة العُظمى الشاملة وقطبا للخلافة المروانية وصارت اشبيلية وطليطلة تبعًا لها بعد ما كان الامر بالعكس والله يفعل ما يشاء بيده الملكُ والتدبير، وهو على كل شىء قدير، لا اله الا هو العلىّ الكبير،، وقال صاحب نَشق الازهار عند ما تعرّض لذكر قرطبة هى مدينة مشهورة دار خلافة واهلها اعيان ناسٍ فى العلم والفضل وبها جامع ليس فى الاسلام

a) La. O. ١٩. b) G. L. S. اكتنبان, P. O. التغبان, La. اكتبنان. c) G. L. P. اكتنبان, S. La. اكتبنان, O. التنبيان (*sic*). d) G. L. La. O. انما.

مثله انتهى، ومن الاسباب فى سلب محاسن قرطبة عيث a البربر بها فى دخولهم مع سليمن المستعين الاموى حين استولى على قرطبة فى دولته التى افتتحت بالقهر وسفك الدماء وكان من امراء البربر المعاضدين لسليمن علىّ بن حَمّود من بنى على * بن ادريس b بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على بن ابى طالب رضّهم اجمعين وجدّه ادريس هرب من هُرون الرشيد الى البربر فتَبَرْبَر ولدُه وبنَى ابنه ادريس مدينة فاس وكان المؤيّد هشام يشتغل بالملاحم ووقف على ان دولة بنى اميّة تنقرض بالاندلس على يد علوىّ اولُ اسمه عين فلما دخل سليمن مع البربر قرطبة ومحوا كثيرا من محاسنها ومحاسن اهلها كان من اكبر امرائهم على بن حمّود وبلغ هشاما المؤيد وهو محبوس خبرُه واسمه ونسبه فدسّ اليه ان الدولة صائرة اليك وقال له ان خاطرى يحدّثنى ان هذا الرجل يقتلنى يعنى سليمن فان فعل فخُذْ بثارى وكان هذا الامر هو الذى قوّى نفس ابن حمود على طلب الامامة وحمله على الاخذ بثار هشام المؤيد فكان المؤيد احد مَنْ أُخذ بثاره بعد موته وتولّى بعد ذلك على بن حمّود وبويع بقرطبة فى قصرها فى اليوم الذى قُتل فيه سليمن المستعين واخذ الناسَ بالارْهاب والسطوة واذلّ رءوس البربر وبرقتْ للعدل فى ايامه بارقةٌ خُلّب لم تكدْ c تقدُ حتى خَبَتْ وجلس للمظالم وقُدّمت له جماعة من البربر فى اجرام فضرب رقابهم واهلهم وعشائرهم ينظرون وخرج يوما على باب عامر فالتقى فارسا من البربر وامامه حملُ عنب فاستوقفه وقال له من اين لك هذا فقال اخذتُه كما ياخذ الناس فامر بضرب عنقه ووضع راسه وسط الحمل وطِيف به فى البلد واستمرّ على هذا مع اهل قرطبة فى احسن عِشْرة نحو ٨ اشهر حتى بلغه قيامُ الاندلسيين بالمرتضَى المروانى فى شرق الاندلس فتغيّر عمّا كان عليه وعزم على اخْلاء قرطبة وابادة اهلها فلا يعود لائمّتهم بها سلطان آخرَ الدهر واغضى للبربر عن ظلمهم فعاد البلاء الى حاله وانتزع الاسلام من اهل قرطبة وهدم المنازل واستهان بالاكابر ووضع المغارم وقبض على جماعة من اعيانهم والزمهم بمال فلما غرموه سرحهم فلما جىء اليهم بدوابّهم ليركبوها امر مَنْ اخذ الدوابّ وتركهم ينزلون الى منازلهم على ارجلهم وكان منهم ابو الحزم الذى ملك قرطبة بعدُ وصارت دولته بوراثة ولده معدودةً فى دُوَل الطوائف فانجمعتْ عن علىٍّ النفوسُ

a) S. دحسب (sic), P. نحيث (sic), G. L. وبحيث, La. O. دخول. b) Ces mots ne se trouvent que dans G. c) O. تكن, G. L. S. تك.

وتوالى عليه الدعاء فقتله [illegible]ار من صقالبة بنى مروان فى الحمّام وكان قتله غرّةَ ذى القعدة سنة ٤٠٨ وكان الصقالبة ٣ فهربوا واختفَوْا فى اماكن يعرفونها وصحّ عند الناس موتُه ففرحوا وكانت مدته كما مرّ نحو عامين وحقّقها بعض فقال ٢١ شهرا وستة ايام، وكان الناصر على بن حمّود على عُنْجُمته وبُعْده من الفضائل يُصْغى الى الامداح ويثيب عليها ويظهر فى ذلك آثار النسب العربى والكرم الهاشمى ومن شعرائه المختصّين به ابن الحنّاط القرطبى ومن شعره قوله

راحتْ تذكّر بالنسيم الراحا وَطْفاء تكسر للجنوح جناحا
اخفى مسالكَها الظلامُ فاوقدتْ من برقها كى تهتدى مصباحا

وعُبَادة بن ماء السماء وكان معروفا بالتشيّع وفيه يقول من قصيدة

ابوكم علىٌّ كان بالشرق بَدْأً ما ورثتُم وذا بالغرب ايضا سميُّهْ
فصلّوا عليه اجمعون وسلّموا له الامرَ ان ولّاه فيكم وليُّهْ

ومدحه ابن دَرّاج القسطلّى بقوله

لعلّكِ يا شمسُ عند الاصيلْ شجيتِ لشجو الغريب الذليلْ
فكونى شفيعىَ لابن الشفيع وكونى رسولىَ لابن الرسولْ

وكان اخوه القاسم بن حمّود اكبر منه بعشر سنين وامّهما واحدة وهى علويّة ولما قُتل الناصر كان القاسم واليا على اشبيلية وكان يحيى بن على واليا على سبتة فاختلفت اهواء البربر فمال اكثرهم الى القاسم لكونه غُبِنَ اولا وقُدّم عليه اخوه الاصغر وكونه قريبا من قرطبة وبينهم وبين يحيى البحر ولما وصلت رُسْلُهم الى القاسم لم يظهر فرحا بالامامة وخاف ان تكون حيلة من اخيه عليه فتقهقر الى ان اتّضح له الحقّ فركب الى قرطبة وبويع فيها بعد ٩ ايام من قتل اخيه واحسن السيرةَ واحسّ من البربر الميلَ الى يحيى ابن اخيه علىّ صاحب سبتة. فتهالك فى اقتناء السودان وابتاع منهم كثيرا وقوّدهم على اعماله فأنفت البرابرُ من ذلك وانحرفوا عنه وفى سنة ٤٠٩ قام عليه بشرق الاندلس المرتضَى عبد الرحمن من[a] اعقاب الناصر لان اهل الاندلس صَعُبَ عليهم ملكُ بنى حمّود العلويين بسبب البرابر فارادوا رجوع الامامة الى بنى مروان واجتمع له اكثر ملوك الطوائف وكان معه حين اقبل لقرطبة منذر التُجيبى

a) Ce mot manque dans tous les man.

صاحب سرقسطة وخَيْران العامرى الصقلبى صاحب المَرِيّة وانضاف اليهم جمعٌ من الافرنج وتأهّب القاسم والبرابر للقائهم فكان من الاتّفاق العجيب ان فسدت نيّةُ منذر وخيران على المرتضى وقالا ارانا فى الاول وجها ليس بالوجه الذى نراه حين اجتمع اليه الجمُّ الغفير وهذا ماكر غير صافى النيّة فكتب خيرانُ الى ابن زيرى الصنهاجى المتغلّب على غرناطة وهو داهية البربر وضمن له انه متى قطع الطريقَ على المرتضى عند اجتيازه عليه الى قرطبة خذله[a] عن نصرته الموالى العامريين اعداء المروانيين واصحابَ رياسة الثغور فأَصْغَى ابن زيرى الى ذلك وكتب المرتضى الى ابن زيرى يدعوه لطاعته فقلب الكتابَ وكتب فى ظهره قُلْ ايّها الكافرون السورةَ[b] فارسل اليه كتابا ثانيا يقول فيه قد جيتُك بجميع ابطال الاندلس وبالفرنج فما تصنع وختم الكتاب بهذا البيت

ان كنت منّا أَبْشِرْ بخير   او لا فأَيْقِنْ بكلّ شرِّ

فامر الكاتب أن يحوّل الكتاب ويكتب فى ظهره أَلْهاكم التكاثُر السورةَ[c] فازداد حنقه وحمله الغيظ الى ان ترك السير الى حضرة الامامة قرطبة وعدل الى محاربته وهو يرى انه يصطلمه فى ساعة من نهار ودامت الحرب اياما وارسل ابن زيرى الى خيران يستنجز وعدَه فاجابه انما توقّفتُ حتى ترى مقدارَ حربنا وصَبْرنا ولو كُنّا ببواطننا معه فأَثْبِتْ جمعك لنا ونحن ننهزم عنه ونخذله فى غد ولما كان من الغد راى اعلام خيران واعلام منذر واصحاب الثغور قد ولّتْ عنه فسُقط فى يد المرتضى وثبت حتى كادوا ياخذونه واستحرَّ القتلُ وصُرِع كثير من اصحابه فلما خاف القبض عليه ولّى فوضع عليه خيران عيونا فلحقوه بقرب وادى آش وقد جاوز بلاد البربر وامن على نفسه فهجموا عليه فقتلوه وجاءوا براسه الى المريّة وقد حلّ بها خيران ومنذر فتحدّث الناسُ انهما اصطبحا عليه سرورًا بهلاكه وبعد هذه الواقعة اذعن اهل الاندلس للبرابرة ولم يجتمع لهم بعدها جمعٌ ينهضون به اليهم وضَرب القاسم بن حمود سرادق المرتضى على نهر قرطبة وغَشِيَه خلق من النَظّارة وقلوبهم تنقطع حسراتٍ وانشد عبادة بن ماء السماء قصيدته التى اولها

لك الخيرُ خيرانُ مضى لسبيلهِ   واصبح امرُ الله فى ابن رسولهِ

ومشت[d] امور القاسم وولّى وعزل، وقال وفعل،، الى أن كشف وجهه فى خلع طاعته

---

a) S. خذل, G. L. نزل. b) *Al-Korān*, sour. 109. c) *Al-Korān*, sour. 102. d) La. O. وتمكنت.

ابنْ اخيه يحيى بن على وكتب من سبتة الى اكابر البرابر بقرطبة ان عمّى اخذ ميراثى مِن ابى ثم لنه قدّم فى ولاياتكم التى اخذتُموها بسيوفكم العبيدَ السودان وانا اطلب ميراثى وأُولّيكم مناصبكم واجعل العبيد السودان كما هم عند الناس فاجابوه الى ذلك فجمع ما عنده من المراكب واعانه اخوه ادريس صاحب مالقة فجاز البحر بجمع وافر وحصل بمالقة مع اخيه وكتب له خيران صاحب المريّة مذكّرا بما اسلفه فى اعانة ابيه واكّد المودّة فقال له اخوه ادريس ان خيران رجل خَدّاع فقال يحيى ونحن منخدعون فيما لا يضرُّنا ثم ان يحيى اقبل الى قرطبة واثقًا بان البرابر معه ففرّ القاسم الى. اشبيلية فى ٥ فرسان من خواصّه ليلة السبت ثامن عشرِى شهر ربيع. الآخر سنة ٤١٢ وحلّ يحيى بقرطبة فبايعه البرابر والسودان واهل البلد يوم السبت مستهَلّ جمادى الآخرة وكان يحيى من النجباء وامّه فاطميّة وانما كانت آفتُه العُجْبَ واصطناعَ السفلة واشتطّ اكابر البرابر عليه وطلبوا ما وعدهم من اسْقاط مراتب السودان فبذل لهم ذلك فلم يقنعوا منه وصاروا يفعلون معه ما يخرق الهيبة ويفرغ بيت المال وفرّ السودان الى عمّه باشبيلية ومن البرابر ومن جند الاندلس مَن احتجب عنهم يحيى وتكبّر عليهم ولم يَمِلْ اليه ملوكُ الطوائف وبقى منهم كثير على الخطبة لعمّه القاسم الى ان اختلّت الحال بحضرة قرطبة وايقن يحيى انه متى اقام بها قُبِض عليه وكان قد ولّى على سبتة اخاه ادريس وبلغه ان اهل مالقة خاطبوا خيران وكاتبوه فطمع خيران فيها وفرّ يحيى فى خواصّه تحت الليل الى مالقة ولما بلغ القاسم فرارُه ركب من اشبيلية الى قرطبة فخُطِب له بها يوم الثلثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة سنة ٤١٣ ولم تصلح الحال للقاسم منذ وصل الى الحضرة ووقع الاختلاف وكان هَوَى السودان معه وهَوَى كثير من البرابر مع يحيى وهَوَى اهل قرطبة مع قائم من بنى اميّة يُشيعون ذكره ولا يظهر وكثر الارْجاف بذلك ووقع الطلب على بنى اميّة فتفرّقوا فى البلاد ودخلوا فى اغمار الناس واخفَوْا زيّهم ثم ان الخلاف وقع بين البربر واهل قرطبة وتكاثر البلديّون فاخرجوا القاسم وبرابرتَه فضرب خيمه بغربيّها وقاتلَهم مدةَ ٥٠ يوما قتالا شديدا وبنى القرطبيّون ابواب مدينتهم وقاتلوا القاسم من الاسوار الى ان طال عليهم الحصار فهدموا بابا من الابواب وخرجوا خرجة رجل واحد وصفروا a فمنحهم الله الظفر وفرّ السودان مع القاسم الى اشبيلية وفرّ البرابرة

a) La. O. ظفروا. Le mot est sans doute altéré. [Je crois devoir lire وكبّروا. R. D.].

الى يحيى وهو بمالقة وكان فرار القاسم من ظاهر قرطبة يوم الخميس لثنتى عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ٤١٤ وكان ابنه محمد بن القاسم واليا على اشبيلية وثقته المدبّر لامره محمد بن زيرى من اكابر البرابرة وقاضيها محمد بن عبّاد فعمل القاضى لنفسه وهو جدّ المعتمد بن عباد واطمع ابن زيرى فى التملّك فاغلق الابواب فى وجه مصطنعه وحاربه فقُتل من البرابر والسودان خلق كثير وابن عباد يضحك على الجميع فيئس القاسم وقنع ان يُخرجوا اليه ابنه واصحابه ويسير عنهم فاخرجوهم اليه فسار بهم الى شريش وعند ما استقرّ بها وصل اليه يحيى ابن اخيه من مالقة ومعه جمع عظيم وحاصره فى المدينة ٢٠ يوما كانت فيها حروب صعاب وقُتل من الفريقين خلق كثير وأُجْلت الحربُ عن قهر يحيى لعمّه واسْلام اهل شريش له وفرّ سودانه وحصل القاسم وابنه فى يد يحيى وكان قد اقسم انه انْ حصل فى يده ليقتلنّه ولا يتركه حتى يلى الامامة بقرطبة مرةً ثالثة فراى التربّص فى قتله حتى يرى رايه فيه فحدّث عنه بعض اصحابه انه حمله بقيد الى مالقة وحبسه عنده وكان كلّما سكر واراد قتله رغّبه ندماؤه فى الابقاء عليه لانه لا قدرةَ له على الخلاص وكان كلّما نام راى والده عليّا فى النوم ينهاه عن قتله ويقول له اخى اكبر منّى وكان محسنا الىّ فى صغرى ومسلّما لى عند امارتى اللهَ اللهَ فيه وامتدّت الحال على ذلك الى ان قتله حنقا بعد ١٣ سنة من حين القبض عليه لانه كان قد حبسه فى حصن من حصون مالقة فنُمىَ اليه انه قد تحدّث مع اهل الحصن فى القيام والعصيان فقال أَوَبقى فى راسه حدثٌ بعد هذا العمر فقتله سنة ٤٢٧ وبقى اهل قرطبة بعد فرار القاسم عنها نيفا عن شهرين يرون رايهم فيمن يبايعونه بالامامة ولما كان يوم الثلثاء نصف شهر رمضان سنة ٤١٤ أُحضر المستظهر وسليمن بن المرتضى واموىٌّ آخر معه فبايعَا المستظهر وقبّلا يده بعد ما كان قد كُتب عقد البيعة باسم سليمن بن المرتضى على ما ارتضاه الاماثلُ فبُشر اسمه وكُتب اسم المستظهر وركب الى القصر وحمل معه ابنَىْ عمّه المذكورين فحبسهما وكان قد رفع جماعةً من الأتْباعِ ذهب بهم العُجْبُ كلّ مذهب كابى عامر بن شُهَيْد المنهمكa فى بطالته وابى محمد بن حزم المشهور بالردّ على العلماء فى مقالته وابن عمّه عبد الوهّاب بن حزم الغَزِل المترف فى حالته

a) G. المنتهك, L. المنهتك, S. المتمسك.

فاحقد بذلك مشايخ [illegible][a] والاكابر، وبادر المستظهر باصطناع البرابر، واكرم مثواهم، واحسن مأواهم، و[illegible][b] مع ابن شهيد وابنَى حزم بالمباحثة فى الآداب، ونظم الشعر والتمسّك بتلك الاهداب، والناس فى ذلك الوقت اجهل ما يكون، وكان جماعة من اهل الشرّ فى السجون، يتعيّن ألّا يخرج منهم انسان، فاخرج منهم شخصا يقال له ابو عمران، وقد كان اشار بعض الوزراء عليه بعدم اخراجه فاحرجه[c]، وخالفه فى ذلك واخرجه، ولم يقبل النصيحة، وفعل ما ادّاه الى الفضيحة، فسعى القوم الذين خرجوا من المحبوس، على افساد دولته وابدال فرحه بالبوس، لما اشتغل عنهم بالادباء والشعراء حسبما اقتضاه رأيه المعكوس، فسعوا فى خلعه مع البرابر، وقُتل فى ذى القعدة من السنة التى بويع فيها وصار كأمس الدابر، بعد ٤٧ يوما من يوم بويع بالخلافة، واذا اراد الله امرا فلا يقدر احد[d] ان ياتى خلافه، وعمره ٢٣ سنة، كأنّها سِنَة، ومن شعر المستظهر المذكور، وهو من القريض الممدوح صاحبه فى البلاغة المشكور، طال عمرُ الليل عندى الابيات، وكتب اليه شاعر فى طرس مكشوط

الطرس مبشور وفيه بشارة   ببقا الامام الفاضل المستظهرِ
ملك اعاد العيش غضّا ملكه   وكذا يكون به طوالَ الاعصرِ

فاجزل صلته وكتب فى ظهر الورقة

قبلنا العذر فى بَشْر الكتاب   لما احكمتَ فى فصل الخطابِ

وقد قدّمنا فى الباب الثالث شيئا من هذه الاخبار وما حصل بعد ذلك بقرطبة الى، ان تولّى الامرَ ابن جهور فى صورة الوزارة ثم ابنه الى ان اخذ قرطبة منه المعتمد ابن عباد حسبما ذُكر فى اخباره ثم آل الامرُ بعد ذلك كله الى استيلاء ملوك العدوة من الملثّمين والموحّدين على قرطبة الى ان تسلّمها النصارى اعادها الله للاسلام كما يُذكر فى الباب الثامن، وقال صاحب مناهج الفكر فى ذكر قرطبة ما ملخّصه فاما ما اشتمل عليه غرب الجزيرة، من البلاد الخطيرة، فمنها قرطبة وكانت مقرّ الملك ودار الامارة وأُمّ ما عداها من البلاد منذ افتتحها المسلمون سنة ٩٢ زمنَ الوليد بن عبد الملك الى ان خرجت عن ايديهم وتنقّلت فى يد ملوك المسلمين الى ان وصلت الى الناصر عبد الرحمن فبنى فى تُجاهها مدينة سمّاها الزهراء يجرى بينهما

a) La. O. العلماء. b) La. O. واستقل. c) Les man. portent فاخرجه. d) La. O. امرء.

نهر عظيم انتهى، واعلَمْ ان المبانى دالّة على عظيم قدر بانيها، كما ذكرناه فى كلام الناصر الذى طابت له من الزهراء مجانيها، ولم يزل البلغاء يَصفون المبانى، باحسن الالفاظ والمعانى، ورأينا ان نذكر هنا بعض ذلك، زيادةً فى توسيع المسالك، فمن ذلك قول ابن حَمْدِيس الصقلّى *يصف دارا[a] بناها المعتمد على الله

ويا حبّذا دار قضى الله انها　　يجدّد فيها كلُّ عزّ ولا يَبْلَى
مقدّسة لو ان موسى كليمَه　　مشى قَدَمًا فى ارضها خلع النعلَا
وما هى الّا خطّة الملك الذى　　يحطّ لديه كلّ ذى امل رَحْلَا
اذا فُتحتْ ابوابُها خِلْتَ انها　　تقول بترحيب لداخلها أَهْلَا
وقد نقلتْ صُنّاعُها من صفاته　　اليها افانينًا فأَحْسَنَت النقلَا[b]
فمن صدره رحبًا ومن نوره سَنًى　　ومن صِيته فرعًا ومن حِلْمه اصلَا
فأَعْلَتْ[c] بها[d] فى رتبة الملك ناديًا　　وقلّ له فوق السماكَيْن ان يُعْلَا[e]
نسيتُ به ايوانَ كسرى لاننى　　اراه له مولى من الحسن لا مثلَا[f]
كأنّ سليمن بن داءود لم تُبِحْ　　مخافتُه للجنّ فى صنعه مَهْلَا
تُرى الشمس فيه ليقةً تستمدّها　　اكفٌّ اقامتْ من تصاويرها شكلَا
لها حركات أُودِعَتْ فى سكونها　　فما تبعتْ فى نقلهنّ يدٌ رجلَا
ولما عَشِينا[g] من توقّد نورها　　تَخِذْنا سناه فى نواظرنا كحلَا

وقال من اخرى يصف دارا بناها المنصور بن اعلى الناس ببجاية[h]

واعمُرْ بقصر الملك ناديَك الذى　　اضحى بمجدك بيتُه معمورَا
قصر لوَانّك قد كحلتَ بنوره　　أَعْمَى لَعاد الى المقام بصيرَا
واشتُقّ من معنى الحياة نسيمُه　　فيكاد يُحْدِث للعظام نُشُورَا

a) S. La. O. فى دار. On trouve cette *kaçīdah* dans le Dīwān d'Ibn-Hamdīs (man. de St. Pétersbourg, fol. 52 r.), et aussi dans le مناهج الفكر, ouvrage auquel al-Makk. l'a empruntée. b) G. L. S. O. اليها. Le man. du Dīwān porte اليه. c) P. La. O. واعلت. d) Al-Makk. به. e) Dans le Dīwān ce vers se lit ainsi:

واعلت بها فى رتبة الملك باديا　　وقل لها فوق السماكين ان تعلا.

Le man. du مناهج الفكر porte aussi باديا. f) On trouve dans le Dīwān لبست بها et ارى انه مولا. g) Al-Makk. غشينا. h) Ce poème manque dans le Dīwān, mais il se trouve dans le man. d'Oxford du مناهج الفكر. Malheureusement ce man. est très-mauvais et ne m'a fourni qu'un petit nombre de corrections.

نُسِىَ الصبيح [illegible] بذكره   وسما فقعاى خَوَرْنَقًا وسَدِيرًا

ولَوَانّ ب[illegible]وانَ قُويسل حسنُه   ما كان شيئًا عنده مذكورًا

أَعْيَت [illegible]صانعُه على الفُرْس الأُولَى   رفعوا البناء واحكموا التدبيرَا

انّ على الروم الدهورَ وما بنوا   لملوكهم شبهًا له ونظيرَا

اذكرتَنا الفردوسَ حين اريتَنا   غُرَفًا رفعتَ بناءها وقصورَا

فالمحسنون تزيّدوا اعمالهم   ورجوا بذلك جنّةً وحَرِيرَا

والمذنبون هُدُوا الصراطَ وكفّرتْ   حسناتُهم b لذنوبهم تكفيرَا

فلكٌ من الافلاك الّا انه   حقر البدورَ فأَطْلَعَ المنصورَا

ابصرتُه فرايتُ ابدعَ منظر   ثم انثنيتُ بناظرى محسورَا

وظننتُ انّى حالم فى جنّة   لما رايتُ الملكَ فيه كبيرَا

واذا الولائد فتّحتْ ابوابه   جعلتْ ترحّب بالعُفاة صريرَا

عضّتْ على حلقاتهنّ ضراغمٌ   فغرتْ بها افواهُها تكسيرَا

فكأنّها لبدتْ لتهصر عندها   مَنْ لم يكن بدخوله مامورَا

تجرى الخواطرُ مُطْلَقات اعنّة   فيه فتكبو عن مداه قصورَا

بمرخّم الساحات تحسب انه   فُرِشَ المَهَى وتوشّح الكافورَا

ومحصّب بالدرّ تحسب تربَه   مسكا تضوّع نشرُه وعبيرَا

تستخلف الاصباحُ منه اذا انقضى   صُبْحًا على عنق الظلام مُنيرَا

ثم ذكر بركة فيه عليها اشجار من ذهب وفضّة ترمى فروعُها المياهَ وتغنّى فذكر اسودا على حافاتها قاذفة بالماء c ايضا فقال

وضراغم سكنتْ عرينَ رياسة   تركتْ خريرَ الماء فيه زئيرَا

فكأنّما غشّى النُضار جسومَها   واذاب فى افواهها البلّورَا

أُسْدٌ كأنّ سكونها متحرّك   فى النفس لو وجدتْ هناك مُثيرَا

وتذكّرتْ فتكاتها فكانما   أَقْعَتْ على أَدْبارها لتثورَا

وتخالها والشمس تجلو لونَها   نارا وأَلْسُنَها اللواحس نورَا

فكانما سلّتْ سيوف جداولٍ   ذابتْ بلا نارٍ فعُدْنَ غديرَا

a) La. O. الفصيح. b) G. S. P. La. حسناتها. c) La. O. بالمياه.

وكانما نسج النسيمُ لمائه   درعًا فقدّر سردها a تقديرًا
وبديعة الثمرات تعبر نحوها   عيناى بحرَ عجائب مسجورًا
شجريّة ذهبيّة نزعت الى   سحر يؤثّر فى النُهى تاثيرًا
قد صُولجت اغصانُها فكانما   قنصت لهنّ من الفضاء طيورًا b
وكانما تابَى لواقع طيرها   ان تستقلّ بنهضها وتطيرًا
من كل واقعة ترى منقارها   ماءً كسلسال اللجين نميرًا
خُرس تُعدّ من الفصاح فان شَدَتْ   جعلتْ تغرّد بالمياه صفيرًا
وكانما فى كل غصن فضّة   لانتْ فأُرسل خيطها مجرورًا
وتُريك فى الصهريج موقعَ قطرها   فوق الزبرجد لولؤًا منثورًا
ضحكتْ محاسنُه اليك كانما   جُعلتْ لها زُهْرُ النجوم ثغورًا
ومصفّح الابواب تبرًا نظّروا   بالنقش بين شكوله تنظيرًا
تبدو مساميرُ النُضار كما علتْ   تلك النهودُ من الجنان صدورًا
خلعتْ عليه غلائلا c وَرْسيّةً   شمسٌ تَرُدّ الطرفَ عنه حسيرًا
واذا نظرتَ الى غرائب سقفه   ابصرتَ روضا فى السماء نضيرًا
وعجبتَ من خُطّاف عسجده التى   حامتْ لتبنِيَ فى ذراه وُكورًا
وضعتْ به صُنّاعُه اقلامها   فأرتْك كلَّ طريدة تصويرًا
وكانما للشمس فيه ليقةٌ   مشقوا بها التزويق والتشجيرًا
وكانما للّازورد d مخرّمٌ   بالخطّ فى وَرَق السماء سطورًا
وكانما وشّوْا عليه مُلاءةً   تركوا مكانَ وشاحها مقصورًا

ثم مدح المنصور بعد ذلك وختم القصيدة بقوله

يا مالك الارض الذى اضحى له   ملكُ السماء على العُداة نصيرًا
كمْ من قصور للملوك تقدّمتْ   واستوجبتْ لقصورك e التاخيرًا

a) G. L. S. سرده. b) Les man. d'al-Makk. et du مناهج الفكر portent قد صوبحت اغصانها فكانما قبصت بهن الخ. J'ai substitué à cette leçon celle que j'ai trouvée dans le man. d'Oxford de l'ouvrage intitulé مطالع البدور فى منازل السرور, sans oser affirmer cependant qu'elle est la véritable. c) P. S. ووشيه, G. ووشيد, La. O. ووشينه, L. موشية. J'ai adopté la leçon du man. du مناهج الفكر. d) L. باللازورد, G. P. S. La. اللازورد, O. اللازورد فيه. e) S. La. O. بقصورك.

فعمرتَها وملكتها كل رياسة   منها ودمّرْتَ العِدَا تدميرَا

قلتُ لم أَرَ لهذه القصيدة من نظيرٍ في معناها اليانع النضير، ولفظها العذب النمير، الذى شمّر فيه قائلها عن ساعد الاجادة اىّ تشمير، غير ان فيها عندى عيبا واحدا وهو ختمها بلفظ التدمير، وعلى كل حال فالحسن والاحسان، يُقادان فى أَرْسان، لعبد الجبّار بن حمديس المذكور ذى المقاصد الحسان، وخصوصًا فى وصف المبانى والبِرَك، فما ابقى لسواه فى ذلك حسنا ولا تَرَك، ومن ذلك قوله فى وصف بركة تجرى اليها المياه من شاذروان من افواه طيور وزرافات واسود وكل ذلك فى قصر اطنب فى وصفه فى قصيدة طويلة

والماء منه سبائك فضّيّة a)   ذابتْ على دوحات شاذْروان
وكانما سيف هناك مشطَّب   ألقتْه يومَ الحرب كفُّ جبانِ
كم شاخص فيه يُطيل تعجّبا   من دوحة نبتتْ من العقيانِ
عجبا لها تسقى الرياضَ ينابعًا   من الثمرات والاغصان
خُصّتْ بطائره على فَنَن لها   حسنتْ فأفرد حسنُها من ثانى
قُسّ الطيور الخاشعات بلاغةً   وفصاحةً من منطق وبيانِ
فاذا أُتيح لها الكلامُ تكلّمتْ   بخرير ماء دائم الهَمَلانِ
وكأنّ صانعها استبدّ بصنعة   فخر الجمادُ بها على الحيوانِ
أُوفَتْ على حوض لها فكأنّها   منها الى العجب العُجاب روانى
فكأنها ظنّتْ حلاوة مائها   شهدًا فذاقتْه بكل لسانِ
وزرافة فى الجوف من أُنبوبها   ماء يُريك الجرى فى الطَّيَرانِ
مركوزة كالرمح حيث ترى له   من طعنه الخلقَ انعطافَ سنانِ
وكانها ترمى السماء ببندق   مستنبط من لولوٍ وجمانِ
لو عاد ذاك الماء نفطا أُحرقتْ   فى الجوّ منه قميصُ كل عَنانِ
فى بركة قامتْ على حافاتها   أُسْد تذلّ لعزّة السلطانِ
نزعتْ الى ظلم النفوس نفوسُها   فلذلك انتُزعتْ من الأَبْدانِ
وكأنّ بَرْد الماء منها مُطْفئٌ   نارا مضرَّمة من العدوانِ

a) S. La. O. من فضة. b) G. L. S. بنبيت.

وكانما الحيّات من افواهها   يطرحْن انفسَهنّ فى الغُدْرانِ
وكانما الحيتان ان لم تَخْشَها   اخذتْ من المنصور عقدَ امانِ

وهاتان القصيدتان لابن حمديس كما فى المناهج مع طولهما يدلّان على الابْداع الذى ابتكره، والاختراع الذى ما ولج سَمْعَ احد من الفضلاء الا شكره»، وقال ابو الصَلْت اميّة بن عبد العزيز الاندلسى يصف قصرا بمصر يسمى مغزل العزّ بناه حسن ابن على بن تميم بن المعزّ العُبَيْدى

منزِل العزّ كاسمه   لا عدا العزّ مَن به سمّاهْ
منزلٌ ودّت المنازلُ فى ا   ذراه لو صُيِّرتْ ايّاهُ
فأَجِلْ فيه لحظ عينيك[a] تبصرْ   اىّ حسن دون القصور حواهُ
سال فى سقفه النُضارُ ولكن   جمدتْ فى قراره الامواهُ
وبارجائه   ـالُ طِراد   ليس تنفكّ من وغى خَيْلاهُ
تبصر الفارس المدجّج فيه   ليس تَدْمَى من الطعان قناهُ
وترى النابل المواصل للنز   ع بعيدا من قِرْنه مَرْماهُ
وصفوفا من الوحوش وطير   كلُّ مستحسَن مَرْآهُ
سكناتٌ تخالها حركاتٍ   واختلاف كانه[b] اشْباهُ
كمحيّا الحبيب حرفًا بحرف   ما تعدّى صفاته ان حكاهُ
ورده   ا... عيناه آسُه عارضاهُ
وكانّ الكافور والمسك فى الطيـــب وفى اللون صُبْحَه ومساهُ
منظر يبعث السرورَ ومرأًى   يُذْكر المرءَ طيبَ عصر صباهُ

وقال ابو الصلت اميّة الاندلسى المذكور يذكر بناء بناه على بن تميم بن المعزّ العُبَيْدى

لله مجلسك المُنيف قبابُه   بموطَّد فوق السماك[c] مؤسَّسِ
مُوف على حَبَك المجرّة تلتقى   فيه الجوارى بالجوارى الكُنَّسِ
تتقابَل الانوار من جنباته   فالليل فيه كالنهار المُشْمِسِ
عطفتْ حناياه دُوَيْنَ سمائه   عطفَ الاهلّة والحواجب والقِسى
واستشرفتْ عُمُدُ الرخام وظُوهِرتْ   بأَجلّ من زهر الربيع وأَنْفَسِ

---

a) S. O. عينيك.   b) Les man. d'al-Makk. portent كانها, et l'on trouve la même leçon dans le مناهج الفكر.   c) G. L. S. السماء.

فهواؤه من [illegible] ايض   وقراره من كل خدّ املسِ
فلكٌ تحيّـ[illegible] كل منجّم   واقسْ بالتقصيم كل مهندسِ
فبدا [illegible] العين احسنَ منظر   وغدا لطيب العيش خيرَ معرّسِ
فاطْلُعْ به قمرًا اذا ما أطْلعتْ   شمسُ الخدود عليك شمسَ الاكؤسِ
فالناس اجمع دون قدرك رتبةً   والارض اجمع دون هذا المجلسِ

ويُعْجِبنى قول ابى الصلت اميّة المذكور يصف حالَىْ زيادة النيل ونقصانه

ولله مجرى النيل منه اذا الصبا   أَرَتْنا به من برّهاه عسكرا مَجْرَا
اذا زاد يحكى الوردَ غضّاه وان صفا   حكى ماءه لونا ولم * يحكه مُرّاه

وقال رحه يصف الرصد الذى بظاهر مصر

يا نزهة الرصد التى قد اشتملتْ   من كل شىء حلا فى جانب الوادى
فذا غدير وذا روض وذا جبل   والضبّ والنون والمَلّاح والحادى

وهو ماخوذ من قول الاول يصف قصر انس بالبصرة

زُرْ وادِىَ القصر نِعْمَ القصرُ والوادِى   لا بُدَّ من زورة من غير ميعادِ
زره فليس له نِدٌّ يشاكله   من منزل حاضر إنْ شيتَ او بادِى
تُلْقَى به السُّفْنُ والظُّلْمان حاضرةً   والضبُّ والنون والمَلّاح والحادى

وقال رحه يذكر الهرمَيْن

بعيشك هل ابصرتَ احسن منظرًا   على طولِ ما عاينتَ من هرمَىْ مصرِ
اناقا بأَعْنان السماء وأَشْرَفا   على الجوّ اشرافَ السماك او النسرِ
وقد وافيا نشزًا من الارض عاليا   كانهما ثديانِ قاما على صدرِ

وستاتى ترجمته ان شاء الله تع فى الباب الخامس وعلى ذكر الانهار والبِرَك فما احسن قول بعض الاندلسيين يصف بركة عليها عدّة فوّارات

غضبتْ مجاريها فاظهر غيظُها   ما فى حشاها من خفىّ مُضْمَرِ
وكأنّ نبع الماء من جنباتها   والعين تنظر منه احسن منظرِ
قُضُبٌ من البلّور اثمر فرعُها   لما انتهتْ باللولوٌ المتحدّرِ

a) G. L. S. P. La. الخدور. Le man. du الفكر مناهج porte الحدود. b) G. S. L. O. منها, La. فيه. c) G. L. S. P. O. سيرها, La. مرها. d) La. O. لونا. e) G. L. S. P. يبعده نشرا. f) G. L. S. P. النادى. g) S. الى, La. O. على. h) La. O. بذكر.

وقال ابن صارة الاندلسى يصف ماء بالرقّة والصفاء

والنهر قد رقّتْ غلالةُ خَصْرِهِ وعليه من صبغ الاصيل طرازُ
تترقرق الامواجُ فيه كانها عُكَنُ الخصور تهزّها الأعجازُ

وما احسن قول بعض الادباء ولم يحضرنى الآن اسمه

والنهر مكسوّ غلالةَ فضّة فاذا جرى سيلا فثوبَ نُضارِ
واذا استقام رايتَ صفحةَ مُنْصُلٍ واذا استدار رايتَ عطف سوارِ

وقال ابن حمديس المغربى يصف نهرا بالصفاء[a]

ومطّرد الامواج يصقل متنَه صبًى اعلنتْ للعين ما فى ضميرِهِ
جريحٌ باطراف الحصى كلّما جرى عليها شكى اوجاعَه بخريرِهِ

وهذا النهج متّسع ولم نُطِلِ السير فى هذه المهامه، وانما ذكرنا بعض كلام المغاربة لِيُنتبه[b] به منتقصُهم من سِنَة[c] اوهامه،، ولانّ فى امرها عبرة لمن عقل، اذا صدّأ مرآة حسنها وطال ما كان لِمَتْنِها[d] صقل،، وقد وقفتُ على كلام لصاحب المناهج فى هذا المعنى فاحببتُ ذكره ملخصا وهو[e] وتُلْحق بذكر المنازل التى راق منظرُها، وفاق مخبرُها،، وارتفع بناؤُها، واتّسع فناؤُها،، طرفًا من الكلام على ما عفاه الدهر من رسومها، ومحاه من محاسن صُوَر كانت ارواحا لجسومها،، وصف اعرابىّ محلّة قوم ارتحلوا عنها فقال نثرًا ارتحلتْ عنها ربّاتُ الخدور، واقامتْ بها اثافىّ[f] القدور،، ولقد كان اهلها يعفون *اثار الرياح[g] فعفت الرياحُ آثارَهم، وذهبتْ بابدانهم وأَبْقَتْ اخبارَهم،، والعهد قريب واللقاء بعيد، وقال عمر بن ابى ربيعة فاحسن

يا دارُ امسى[h] دارسًا رسمُها وحشًا قفارًا ما بها آهلُ
قد جرّت الريحُ بها ذيلَها واسْتنّ فى اطلالها الوابلُ

ومن كلام الفتح بن خاقان، فى قلائد العقيان،، يذكر آل عبّاد من فصل اكثر فيه التفجّع، واطال به التوجّع،، والغصون[i] تختال فى ادواحها، *والازاهر يُحْيِى مَيْتَ

a) La. et O. ajoutent يجرى على الصفا. b) G. S. P. La. O. ليتنبه. c) G. L. P. La. O. سعة d) G. S. لمتها, P. لمدها (*sic*), La. O. لمثلها. e) J'ai collationné ce passage sur le man. d'Oxford du مناهج الفكر (Bodl. Hunt. 429), que je désignerai par la lettre M. f) M. رواجل. g) M. اثارها للرياح. h) La. O. اضحى. i) M. et al-Makk. والعصفور.

الصبابة [illegible] ارواحهم[a] وأطيار الرياض[b] قد اشرفتْ عليهم كثكالى يَنُحْنَ على خرابها، والقراص [illegible]ها،، والوهى بمشيّدها لاعب، وعلى كل جدار منها غرابٌ ناعب،، وقد محت الحوادثُ ضياءها، وقلّصتْ ظلالَها وافياءها،، وطالَما اشرقتْ بالخلائف وابتهجتْ، وفاحتْ من شذاهم وارجتْ[c]،، ايامَ نزلوا خلالَها، وتفيّئوا ظلالَها،، وعمروا جدائقها وجنّاتها، ونبّهوا الآمال من سِنَاتها،، وراعوا الليوثَ فى آجامها، واخجلوا الغيوثَ عند انسجامها،، فاصبحتْ ولها بالتّداعى[d] تلفّع واعتجار، ولم يبق من آثارها الا نُوىً وأحْجار،، وقد وَهَتْ[e] قبابُها، وهرم شبابُها،، وقد يلين الحديد، ويَبْلَى على طيّه الجديد،، وقال ابو صخر القرطبى يذكر ذلك من ابيات ينعاهم بها

ديار عليها من بشاشة اهلها ... بقايا تَسُرّ النفسَ أُنْسًا ومنظرَا
ربوع كساها المزنُ من خِلَع الحَيَا ... برودا. وحلّاها من النَّوْر جوهرَا
تَسُرّك طورًا ثم تُشْجِيك تارةً ... فترتاح تانيسا وتَشْجَى تذكُّرَا

ومن كلام ابى الحسن القاشانى يصف نادىَ رئيس خلا، من ازدحام المَلا،، وعوّضه الزمانُ عن تواصُل احبابه هجرًا وقِلَى،، قد كان منزله مألفَ الاضياف، ومأنسَ الاشراف،، ومنتجَعَ الركب، ومقصد الوفد،، فاستبدل بالانس[f] وحشة، وبالضياء ظلمة،، واعتاض من تزاحُم المواكب، بتلاطُم النوادب،، ومن ضجيج النداء والصهيل، بعجيج[g] البكاء والعويل،، ومن رسالة لابن الاثير الجَزَرى يصف دمنة دار لعبتْ بها ايدى الزمن، وفرقت بين المسكن والسَّكن،، كانت مقاصير جَنّة، فاصبحتْ وهى ملاعب جِنّة،، ولقد عميتْ اخبارُ قُطّانها، وآثارُ اوطانها،، حتى شابهتْ احداهما فى الخفا، الأُخْرَى فى العفا،، وكنتُ اظنُّ انها لا تُسْقَى بعدهم بغمام، ولا يُرفع عنها جلبابُ ظلام،، غير ان السحاب بكاهم فاجرى بها هوامعَ دموعه، والليل شقّ عليهم جيوبَه فظهر الصباح من خلال صدوعه،، وقد لمح فى بعض كلامه قول الشريف الرضى[h] من ابيات يصف فيها ما كان فى الحيرة من منازل النعمان بن المنذر

ما زلتُ اطّرق المنازل باللوى ... حتى نزلتُ منازل النعمانِ

---

a) Au lieu de cette phrase on trouve dans les man. du *Kalāyid:* وتتثنى فى اكف ارواحها. b) *Al-Kal.* وآثار الديار. Les mots قد اشرفت عليهم manquent dans les man. d'al-Makk. c) La. O. وتارجت. d) Ce mot manque dans les man. d'al-Makk. e) G. L. S. et M. هوت. f) Les man. d'al-Makk. portent الانس; M. بالانيس. Après le mot وحشة M. ajoute وبالصبارة عبرة (*sic*). g) Les man. portent عجيج. h) Ce mot manque dans les man. d'al-Makk.

بالحيرة البيضاء حيث تقابلتْ شُمّ العماد عريضةَ الاعطانِ
شهدتْ بفضل الرافعين قبابَها ويبين بالبنيان فضلُ البانى
ما ينفع الماضين ان بقيتْ لهم خِطَطٌ معمّرة بعُمْر فانى

يقول فيها

ولقد رايتُ بدَيْر هند منزلا أَلِمًا من الضرّاء والحدثانِ
يُغْضى كمستمع الهوان تغيّبتْ انصارُه وخلا من الاعوانِ
بالِى المعالم اطرقتْ شُرُفاتُه اطْراقَ منجذب[a] القرينة[b] عانى
أمقاصر الغزلان غيّركِ البِلى حتى غدَوْتِ مرابضَ الغزلانِ
وملاعب الانْس الجميع طوى الرَدى منهم فصرتِ ملاعبَ الجنّانِ

ومنها

مسكيّة النفحات تحسب تُرْبَها بُرْدَ الخليع معطَّرَ الأرْدانِ
وكانما نسى التجارُ لطيمةً جرت الرياحُ بها على القيعانِ[d]
ماءٌ كجَيْب الدرع يصقله الصبا *ويَفِى بدوحته النسيمُ الوانى[e]
زفر الزمان عليهم فتفرّقوا وخلوا عن الاوطار والاوطانِ *

وقال ابو اسحق الصابئ وتوارد مع الشريف الرضى فى المعنى والقافية يصف قصر رَوْح بالبصرة

أَحْبِبْ الىّ بقصر رَوْح منزلا شهدتْ بنيّتُه بفضل البانى
سور علا وتمنّعتْ شرفاتُه فكأنّ احداهنّ هضب أَبانِ
وكانما يشكو الى زوّاره بَيْنَ الخليط وفرقةَ الجيرانِ
وكانما يُبْدى لهم من نفسه اطْراقَ محزون الحشا حرّانِ

ولاحمد بن فَرَج الالبيرى من ابيات

سألتَ بها مما ردّتْ جوابا عليك وكيف تخبرك الطلولُ
ومن سفه سؤالُك *رسمَ دار[f] مضى لعفائه زمنٌ طويلُ
فان تكُ اصبحتْ قفرًا خلاءً لعينك فى مغانيها همولُ
فقدْمًا قد نعمتَ قريرَ عين بها وبربعها الرشأُ الكحيلُ

وقال ابو عبد الله بن الخيّاط الاندلسى الاعمى

a) G. L. S. P. et M. منحدب. b) G. القرينز (*sic*), L. القرنيس (*sic*), S. العرنمر (*sic*), M. الغُرْدمه (*sic*). c) La. فان, O. فان. d) La. O. et M. العقيان. e) Cet hémistiche est probablement altéré. Voici les variantes des man.: M. ونقى بُدوحة النسيم; La. وبقى, O. وبقى; G. بدوحة; G. L. السيم, S. الشبيم. f) G. ثم دار, L. ثم دارا.

لو كنت تعلم ما بالقلب[a] من نار — لم توقد النار بالهندى والغار
يا دار علوة قد هيجت لى شجنا — وزدتنى حرقا حييت من دار
كم بت فيك على اللذات معتكفا — والليل مدرع ثوبا من القار
كأنه راهب فى المسح ملتحف — *شد المجد له[b] وسطا بزنار
يدير فيه كؤوس الراح ذو حور — يدير من طرفه ألحاظ سحار

ولا مزيد فى التفجع على الديار، والتوجع للدمن والآثار، على قول البحترى من قصيدة يرثى بها المتوكل

محل على القاطول اخلق داثره — وعادت صروف الدهر جيشا تغاوره
كأن الصبا توفى نذورا اذا انبرت — تراوحه اذيالها وتبـ ـره
ورب زمان ناعم ثم عهده — ترق ويونق ناضره
تغير حسن الجعفرى وانسه — وقوض بادى الجعفرى وحاضره
تحمل عنه ساكنوه فجاءة — فعادت سواء دوره ومقاصره
اذا نحن زرناه اجد لنا الاسى — وقد كان قبل اليوم يبهج زائره
ولم انس وحش القصر اذ ريع سربه — واذ ذعرت اطلاؤه وجآذره
واذ صيح فيه بالرحيل فهتكت — على عجل استاره وستائره
واوحشه حتى كأن لم يقم به — انيس ولم تحسن لعين مناظره
كأن لم تبت[c] فيه الخلافة طلقة — بشاشتها والملك يشرق زاهره
ولم تجمع الدنيا اليه بهاءها — وبهجتها والعيش غض مكاسره
فاين الحجاب الصعب حيث تمنعت — ـــا ابوابه ومقاصره
واين عميد الناس فى كل نوبة — تنوب وناهى الدهر فيهم وآمره

وعلى قول ابى اسحق بن خفاجة الاندلسى

ومرتبع حططت الرحل فيه — بحيث الظل والماء القراح
تخرم حسن منظره مليك — تخرم ملكه القدر المتاح
فجرية ماء جدوله بكاء — عليه وشدو طائره نواح

وهذا النوع من البكاء على الدمن، والتأسف على ما فعلت بها ايدى الزمن، كثير

---

a) S. La. فى القلب. b) G. S. P. بشد المجد له, La. O. المجد شد له; M. شد الحجر (sic) له. c) Les man. d'al-Makk. portent تبن.

جدّا، لا يعرف الباحث عنه له حدّا،، وذلك لشدّة ولوع النفوس بذكر احبابها، وحنينها الى اماكنها التى هى[a] مواطن اطرابها،، ولهذا اقتصرنا على هذه النبذة القليلة، وجعلناها نغبةً[b] يشفى المشوقُ بها غليلَه،، وقد كره بعض العقلاء التأسّف على الديار لعلمهم انه لا يُجْدِى، ولا يدفع عاديةَ الدهر الخَؤون ولا يُعْدِى،، ونهوا عنه لما فيه من تجديد المُصاب، *المجرّع لصاب الأوصاب[c]،، قال ابو عمر بن عبد البرّ.

عفت المنازلُ غير أرسُمِ دمنة   حيّيتُها من دمنة ورسومِ
كم ذا الوقوف ولم نَقِفْ فى منسك   كم ذا الطواف ولم نَطُفْ بحريم
فكِلِ الدّيارَ الى الجنائب[d] والصبا   ودَعِ القفارَ مع الصدى والبوم

انتهى كلامه رحمه باكثر لفظه مع بعض اختصار، رجع الى قرطبة فنقول وقد الم لسان الدين بن الخطيب رحمه بذكر قرطبة وبعض اوصافها فى كتاب له كتبه على لسان سلطانه الى رسول الله صلعم وقد ذكرناه بجملته فى الباب الخامس من القسم الثانى فليراجَعْ ثمّه ونصّ محلّ الحاجة منه هنا تمّ كان الغزو الى امّ البلاد، ومثوى الطارف والتلاد،، قرطبة وما قرطبة المدينة التى على عمل اهلها فى القديم، بهذا الاقليم، كان العمل، والكرسىّ الذى بعصاه رُعِىَ الهَمَل، والمصر الذى فى خطّه المعمور الناقة والجمل، والافق الذى هو لشمس الخلافة العَبْشَمِيّة الحَمَل،، فخيّم الاسلام بعقوتها[e] المستباحة، واجاز نهرها المُعْيِى على السباحة،، وعمّ دوحها الأشبَ بَوارا، وادار المحلّاتِ بسورها سوارا،، واخذ بمخنقها حصارا، واعمل النصر *بشجر نصلها[f] اجتناء ما شاء واهتصارا،، وجدّل من ابطالها من لم يرض انجحارا، فاعمل الى المسلمين اصْحارا،، حتى قُرِع بعض جهاتها غِلابًا جِهارا، ورُفعت الأعلام اعلاما بعزّ الاسلام واظهارا،، فلولا استهلال الغوادى، وان اتى الوادى،، لاقْتَضَتْ الى فتح الفتوح تلك المبادى، ولقضى تفثه[g] العاكفُ والبادى،، انتهى، ومما كتب به لسان الدين رحمه فى وصف هذه الغزوة لسلطان بنى مرين على لسان صاحب الاندلس ما صورته المقام الذى نطالعه باخبار الجهاد، ونهدى اليه عوالى العوالى صحيحةَ الاسناد، ونبشّره باخبار الفتح البعيد الآماد، ونسأل الله له توالىَ الاسْعاف ودوامَ الاسْعاد، ونرتقب من صُنْع

a) M. كانت. b) Les man. portent نعبة. c) La. O. المجرع لصاحبه الصاب والاوصاب.
d) G. L. الخبائث, S. الجنائث. e) Les man. portent بعقرتها. f) La. O. بشجرة اصلها.
g) La. O. نفثه.

الله على يديه تكييفا يخرق حجاب المعتاد، وامتعاضا يَطلع بآفاق البلاد، نجوم غُرَر الجياد. ويفتح ابواب الفتوح باقاليد السيوف الحداد، ويُنْسِى[a] عن مكارم مَنْ سلف من الآباء الكرام والاجداد،، مقام محلّ اخينا الذى نستفتح له بالفتح والظهور، ونهدى الى مجده لما نعلم من فضل نيّته وحسن قصده لطائف السرور، ونستظهر بملكه المؤمَّل ومجده المشهور، ونتوعّد منهما العدوّ بالحبيب المذخور، والولىّ المنصور،، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابقاه الله عالىَ القدر، قريرَ العين منشرحَ الصدر، ولا زال حديثُ فخره سائرا مسيرَ الشمس والبدر،، عظّم سلطانه الخليقَ بالتعظيم، الوائقُ منه بالذخر الكريم، المُثْنِى على مجده الصميم، وفضله العميم،، امير المسلمين عبد الله الغنىّ بالله محمد بن امير المسلمين ابى الحجّاج ابن امير المسلمين ابى الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر سلام كريم، برّ عميم[b]،، يخصّ مقامكم الاعلى، واخوتكم الفضلا،، ورحمة الله وبركاته، اما بعد حمد الله ربّ العباد، ومُلْهِم الرشاد، ومكيّف الاسعاف والاسعاد، الولىّ النصير الذى نُلْقِى الى التوكّل عليه[c] مقاليدَ الاعتماد، ونمدّ الى انجاده ايدى الاعتداد، ونرفع اليه اكفّ الاستمداد، ونُخْلِص لوجهه الكريم عملَ الجهاد، فنتعرّف عوارف الفضل المزداد. ونجتنى ثمار النصر من اغصان القنا الميّادة[d]، ونجتلى وجوه الصُنْع الوسيم ابهر من وجه الصباح الباد، ونظفر بالنعيم العاجل فى الدنيا والنعيم الآجل يومَ قيام الأشهاد، ونتفيّأ ظلال الجنّة من تحت اوراق السيوف الحداد، والصلاة على سيّدنا ومولانا محمد رسوله النبىّ الهاد، رسول الملحمة المؤيّد[e] بالملائكة الشداد، ونبىّ الرحمة الهامية العهاد، اكرم الخلق بين الرائح والغاد، ذى اللواء المعقود، والحوض المورود، والشفاعة فى يوم التّناد، الذى بجاهه نجدع انوف الآساد، يوم الجلاد، وببركته ننال أقْصَى الامل والمُراد، وفى مرضاته نَصِلُ اسباب الوداد، فنعود بالتجر الرابح من مرضاة ربّ العباد، ونستولى من ميدان السعادة المُعادة على الآماد، والرضى عن آله وصحبه وانصاره وحزبه الكرماء الأمجاد، دعائم الذين من بعده وهُداة العباد، انجاد الانجاد، وآساد الآساد، الذين ظاهروه فى حياته بالحلوم الراجحة الاطواد، والبسالة التى لا تنال بالعُدَد فى سبيل الله والأعداد، حتى بوّءوا الاسلام فى القواعد الشهيرة والبلاد، وارغموا انوف اهل

a) G. L. S. ،وينبى. b) G. L. S. ،تميم. c) Les man. portent اليه. d) O. المناد, G. L. S. P. المنشاد. e) G. L. S. الموبدة.

المجيد والالحاد، فاصبح الدين رفيع العماد، منصور العساكر والاجناد، مستصحب العزّ فى الاصْدار والايراد، والدعاء لمقامكم الاعلى بالسعد الذى يُغْنِى عن اختيار الطوالع وتقويم الميلاد، والنصر الذى تشرق انباؤه فى جنح ليل المداد، والصُنْع الذى تُشْرَع له ابواب التوفيق والسَداد، من حمراء غرناطة حرسها الله واليُسْر وثيق *a* المهاد، والخير واضح الأشهاد، والحمد لله فى المبدأ والمعاد، والشكر على آلائه المتّصلة الترداد، ومقامكم الذخر الكافى العتاد، والمردّد *b* المتكفّل بالانجاد،، والى هذا وصل الله سعدكم، وحرس مجدكم، ووالَى نصركم وعضدكم، وبلّغكم من فضله العميم املكم وقصدكم،، فاتّنا نوثر تعريفكم بنتائج المتزيّدات، ونورد عليكم أشتات الاحوال المتجدّدات،، اقامةً لرسم الخلوص فى التعريف بما قلّ، مودّةً خالصة فى الله عزّ وجلّ،، فكيف اذا كان التعريف بما تهتزّ منابرُ الاسلام ارتياحا لوروده، وتنشرح الصدورُ منه لمواقع فضل الله وَجُوده، والمكيّفات البديعة الصفعات فى وجوده،، وهو اتّنا قدّمنا اعْلامكم بما نويناه من غزو مدينة قرطبة امّ البلاد الكافرة، ومقرّ الحامية الشهيرة والخيرات الوافرة،، والقطر الذى عهده بالمام الاسلام متقادم، والركن الذى لا يتوقّع صدمةَ صادم،، وقد اشتمل سورها من زعماء ملّة الصليب على كل رئيس بئيس، وهزبر خسيس *c*، وذى مكر وتلبيس،، ومَن له سِمَة تُذيع مكانه وتُشيعه، وأتباع على المنشط والمكره تُطيعه،، فاستدعينا المسلمين من اقاصى البلاد، وأذَعْنا فى الجهات نفير الجهاد، وتقدّمنا الى الناس بسعة الازواد، واعطينا الحركةَ التى تخلّف المسلمون فيها وراءهم جمهورَ الكفر من الاقطار والاعداد، حقّها من الاستعداد، وأفَضْنا العطاء والاستلحاق والاستركاب فى اهل الغناء وابطال الجلاد،، فحُشِر الخلق فى صعيد، واخذوا الأُهْبة والزينة فى عيد سعيد، وشمل الاستدعاء كل قريب وبعيد، عن وعد ووعيد،، ورحلنا وفضلُ الله شامل، والتوكّل عليه كاف كافل،، وخيّمنا بظاهر الحضرة حتى استوفى الناسُ آرابهم، واستكملوا اسرابهم،، ودُسْنا منهم بلاد النصارى بجموع كثّرها الله وله الحمد وانماها، وابعد فى التماس ما عنده من الاجر منتماها،، وعند ما حللنا قاشرة وجدنا السلطان دُونْ بِطْرُه مؤمّل نصرنا وانجادنا، ومستعيد حظّه من لواحق *d* جهادنا، ومقتضى دَيْن كدحه باعانتنا اياه وانْجادنا،، قد نزل بظاهرها فى

---

a) La. O. قد وطا. *b*) G. L. S. P. والردد. *c*) S. جيش, O. خيس, La. خبيس.
d) La. O. مواقع.

محلّات ممن استقرّ على دعوته، وتمسّك بطاعته، وشمله حكمَ جماعته،، فكان لقاوّنا اياه على حالّ اقرّتْ اعينَ المسلمين، وتكفّلت باعزاز الدين، ومُنْجَمَلها يُغْنِى عن التعيين، والشرح والتبيين،، ورأى هو ومَنْ معه من وفور جيش الله ما هالهم، واشكّ فى حال اليقظة خيالهم،، من جموع تسدّ الفضاء، وأبْطال تقارع اسودَ الغضا،، وكتائب منصورة، ورايات منشورة، وأُمَم محشورة،، تفضل عن مرأى العين، وتُرْدِى العدوّ فى مهاوى الحين،، فاعترفوا بما لم يكن فى حسابهم، واعتبر فى عزّة الله أُولُو البابهم،، واذا كثّر الله العدد نما وزكا، واذا ازاح العِلَل ما اعتذر غازٍ ولا شكا،، وسالتْ من الغَدِ الاباطحُ بالأَعْراف، وسَمَت الهوادى الى الإستشراف، واخذ الترتيب حقّه من المواسط الجهاديّة والاطراف،، وأُحكمت التعبية التى لا ترى العينُ فيها خَلَلا، ولا يجد الاختيار[a] عندها نَخَلا،، وكان النزول على فرسخ من عدوة النهر الاعظم[b] من خارج المدينة انجز الله وعدَ دمارها، واعادها الى عهدها فى الاسلام وشعارها، ومحا ظلام الكفر فى آفاقها بملّة الاسلام وانوارها،، وقد برزت من حاميتها شوكةٌ سابغة الدروع، وافرة الجموع،، استجنّت من اسوار القنطرة العظمى بحمى لا يخفر، واخذ اعقابها بها من الرُماة والكُماة العدد الاوفر،، فبادر اليهم سرعانُ خيل المسلمين فصدقوهم الدفاع والقراع، والنِصال[c] والمِصاع،، وخالطوهم هبرًا بالسيوف، ومباكرةً بالحتوف،، فتركوهم حصيدا، واذاقوهم وبالا شديدا،، وجدلوا منهم جملة وافرة، وامّة كافرة،، وملكوا بعض تلك الاسوار فارتفعت بها راياتهم الخافقة، وظهرت عليها عزماتهم الصادقة،، واقتحم المسلمون الوادى سيّما فى غمره، واستهانةً فى سبيل الله بامره،، وخالطوا حامية العدوّ فى صَفّته فاقتلعوها، وتعلّقوا باوائل الاسوار ففرعوها،، فلو كُنّا فى ذلك اليوم على عزم من القتال، وتيسير الآلات وترتيب الرجال،، لَدُخِلَ البلد، ومُلِك الاهل والولد،، لكن اجار الكُفّارَ من الليل كافرٌ، وقد هلك منهم عدد وافر، ورجع المسلمون الى محلّاتهم ونصر الله سافر، والعزم ظافر،، ومن الغَدِ خُضْنا البحر الذى جعلنا العزمَ فيه سفينا، والتوكّلَ على الله للبلاغ ضمينا، ونزلنا من *صَفّته القوى[d] منزلا عزيزا مكينا،، بحيث يجاور سورَها طنبُ القباب، وتصيب دورَها من بين الخيمات[e] بوارقُ

a) La. O. الاعتيار. b) G. L. et S. ajoutent الدنيا. c) Les man. portent والمصال.
d) S. La. O. صفته, P. صقفة. Le mot القوى est certainement altéré. e) G. L. S. P. المخيمات ۞

النُشّاب ، وبرزت حاميتُها على متعدّدات الابواب ، مقيمةً اسواقَ الطعان، والضراب ، فآبَتْ بصفقة الخسر والتّباب ،، ولما شرعنا فى قتالها ، ورتّبْنا اشتات النكايات لنكالها ، وان كُنّا لم نبقَ على مُطاولة نزالها ،، انزل الله المطر الذى قدم بعهاده العهدُ ، وساوى النجدُ من طوفانه الوهدَ ، وعظم به الجهد ،، ووقع الابقاء على السلاح ، والكفّ بالضرورة عن الكفاح ،، وبلغ المُقامُ عليها ، والاخذُ بمخنقها والثواء لديها ،، ٥ ايام لم تخلُ فيها الاسوارُ من افتراع ، ولا الابواب من دفاع عليها وقراع ،، وانفذت مقاتل السنائر أنْقابا ، وارتُقب الفتح الموعود ارتقابا ،، وفَشَتْ فى اهلها الجراح ، والعيث الصراح ، وساءهم المساء بعزّة الله والصباح ، ولولا عائق المطر لكان الاجْهاز والاستفتاح ، والله بعدها الفتّاح ،، وصُرفت الوجوه الى تخريب العُمْران ، وتسليطُ النيران ،، وعقر الاشجار ، وتعفية الآثار ، واتى منها العفاء على المصر الشهير فى الامصار ، وتُركت زروعها المائحة عبرةً لأُولى الابصار ،، ورحلنا عنها وقد البسها الدُخان حِدادا ، ونكس من طُغاتها اجيادا ، فاعتادت الذلّ اعتيادا ، وألِفت الهونَ قيادا ، وكادت ان تُستباح عنوةً لولا ان الله جعل لها ميعادا ،، واتى القتلُ من ابطالها ، ومشاهير رجالها ، ممن يبارز ويناطح ، ويُماسى بالناس ويُصابح ،، على عَدد جمّ اخبرتْ سيماهم المشهورة باسمائهم ، ونبّهتْ علاماتُها على نبهائهم ،، وظهر اقْدام المسلمين على المعتركات ، وبدْرهم بالحدود المشتركات ،، وتنقيلهم الاسلاب ، وقودهم الخيل المسوّمة قود الغلاب ،، وكان القفول ، وقد شمل الامن والقبول ، وحصل الجهاد المقبول ، وراع الكفرَ العزّ الذى يهول ، والاقدام الذى شهدتْ به الرماحُ والخيول ،، وخاض المسلمون من زرع * الطُرُق التى ركبوها[a] ، والمنازل التى استباحوها وانتبهوها ،، بحورًا يَعُدّ منها الساحلُ ، وفلاحة مدركة تتعدّد فيها المراحل ،، فصيّروها صريما ، وسلّطوا عليها النارَ غريما ،، وحلّوا بظهر حصن أنْدوجَر وقد اصبح مألَفَ أنْمار غير أوْشاب ، * ووكر طيورة[b] نُشّاب ،، فلما بلونا مراسه صعبا ، وابراجَه مُلئت حرسًا شديدا وشُهْبا ،، ضنّنا بالنفوس ان تغيض دون افتتاحه ، فسلّطنا العفاء على ساحه ، واغرينا الغارات باستيعاب ما باحوازه واكتساحه ، وسلّطنا النار على حزونه وبطاحه ، والصقْنا بالرّغام ذوائبَ ادواحه ،، وانصرفنا بفضل الله والمناجل دامية ، والاجور نامية ،، وقد وطينا المواطئَ التى كانت على الملوك قبلَنا بَسْلا ، ولم نترك

a) La. O. الطرقات التى ارتكبوها. b) La. O. ووكور طير.

بها حرثا يرفد ولا نَسْلا، ولا ضرعا يرسّل رِسْلا،، والحمد لله الذى يتمّم النعيم بحمده[a]
ونسأله صلة النصر فما النصر الا من عنده،، عرفناكم بهذه المكيّفات، الكريمة الصفات،
والصنائع الروائع التى بَعُدَ العهدُ بمثلها فى هذه الاوقات، علْمًا بانّها لديكم من احسن
الهديّات الوديّات، ولِما نعلمه لديكم من حسن النيّات، وكرم الطويّات،، فانكم سُلالة
الجهاد المقبول، والرفد المبذول، ووعد النصر المفعول،، ونرجو الله عز وجل ان ينتقل
خيالكم للمعاهد الجهاديّة، الى المعايَنة فى نصر الملّة المحمّديّة،، وان يجمع الله
بكم كلمة الاسلام، على عَبَدة الاصنام، ويتمّ النعمة على الانام، وودُّنا لكم ما علمتم
يزيد على ممرّ الايام، والله يجعله فى ذاته لكم متّصلَ الدوام، مبلّغا الى دار السلام،،
وهو سبحانه يصل سعدكم، ويحرس مجدكم، ويضاعف الآلاء عندكم،، والسلام
الكريم يخصّكم ورحمة الله وبركاته انتهى، ومن هذا المنحى ما كتب به لسان
الدين رحّه عن سلطانه ونصّه المقام الذى احاديث سعادته لا تُمَلّ على الاعادة والتكرار،
وسبيل مجادته الشهيرة، اوضح من شمس الظهيرة، عند الاستظهار، واخبار صنائع
الله لملكه، ونظم فرائد الآمال فى سلكه، تخلّدها اقلامُ الاقدار، بمداد الليل فى
قرطاس النهار، وترسمها بتذهيب الاسْفار، فى صحائف[a] الافمار، وتجعلها هِجّيرَى حملة
الأَسْفار، وحُداة القِطار، فى مسالك الاقطار،، مقام محلّ اخينا الذى تلذّ عادةُ هنائه
مع الاعادة، وتتلقّى انباء علائه بالاذاعة والاشادة، ونطرّز باعلام ثنائه صحائف المجادة،
ونشكر الله ان وهب لنا من اخوّته المضافة الى المحبّة والودادة، ما يرجح فى ميزان
الاعتبار اخوّةَ الولادة، وعرّفنا بيُمْن ولايته عوارف السعادة، السلطان الكذا ابن السلطان
الكذا ابن السلطان الكذا ابقاه الله فى اعلام الملك السعيد، بَيْتَ القصيد، ووسطى[b]
القلادة، ومجلّيَ الكمال الذى تبارى[c] بميدان باسه وجُوده جنسًا الابادة والافادة، ولا
زالت آمالُه الفاصية تنثال طوعَ الارادة، ويُمْن نقيبته يجمع من اشتات الفتوح، والعزّ
الممنوح، بين الحُسْنَى والزيادة[d]،، مُعْظِمُ سلطانه العالى، المُثْنى على مجده المرفوع
اسنادُه فى عوالى المعالى، المسرور بما يسنّيه الله من الصُنْع المتوالى، والفتح المقدّم
والتالى،، امير المسلمين عبد الله الغنىّ بالله محمد بن امير المسلمين ابى الحجاج
ابن امير المسلمين ابى الوليد بن فرج بن نصر ايّد الله امره، واسعد عصره،، سلام

a) P. La. O. صفحاتٍ. b) G. L. S. P. O. ووسط. c) Les man. portent تبارت. d). G. L. P. وزيادة.

كريم يتأرّج فى الآفاق شَذَى طيبه، وتُسْمَع فى ذروة الودّ بلاغةُ خطيبه، ويتضمّن
نورَه سوادُ المداد. عند مراسلة الوداد. فيكاد يذهب بعبوسه المجهول وتقطيبه،، ورحمة
الله وبركاته اما بعد حمد الله فاتح الابواب. بمقاليد الاسباب. مهما استصعبت،
وميسّر الامور. بحكمة المقدور. اذا أُجهدت الحِيَل وأُتعبت، مُخْمِد نيران الفتَن ما
التهبت، وجامع كلمة الاسلام وقد تصدّعت وتشعّبت، ومسكّن رجفان الارض بعد ما
اضطربت، ومُحْيِيها بعهاد الرحمة مهما اهتزّت وربت[a]، اللطيف الخبير الذى قدرت
حكمتُه الامورَ ورتّبت، مُنْهِى كل نفس الى ما خطّت الاقلامُ عليها وكتبت، ونَفَتْ[b]
واوجبت، وشاءت او أَبَتْ، ومُجازيها يومَ العرض بما كسبت، والصلاة على سيّدنا
ومولانا محمد رسوله هازم الاحزاب لما تألّفت وتألّبت، وجالب الحتف اليها عند ما
أَجْلَبت، رسول الملحمة اذا الليوث وثبت، ونبىّ الرحمة التى هيّأت النجاة وسبّبت،
وابلغت النفوسَ المطمئنّة من السعادة ما طلبت، ومُداوِى القلوب المريضة وقد انتكبت
وانقلبت، بلطائفه التى راضت وهذّبت، وقادت الى الجنّة العليا واستجلبت، وادّت
عن الله وادّبت، الذى بجاهه نستكشف الغمّاء اذا اطنبت[c]، ونستوكف النعماء اذا
أَخْلَفت البروقُ وكذبت، ونتحابُّ فى طاعته. ابتغاء الوسيلة الى شفاعته. فنقول
وجبت حسبما ثبتت، والرضى عن آله واصحابه. وانصاره واحزابه. التى استحقّت
المزيّةَ المرضيّة واستوجبت، لما انتمت الى كماله وانتسبت، وببذل نفوسها فى الله
ومرضاته تقرّبت، والى نصرته فى حياته انتدبت، والمَناصل قد رويت من دماء الاعداء
واختضبت، وخلَفته فى امّته بعد مماته بالهِمَم التى عن صدق اليقين أَعْرَبت، فتداعت
لمجاهدة الكُفّار وانتدبت، وأَبْعدت المُغار وأَدربت، حتى بلغ ملكُ امّته اقاصى البلاد
التى نَبَتْ[d]، فكسرت الصُلُبَ التى نُصبت، ونقلت التيجان التى غُصبت، ما هَمَت
السُحْبُ وانسحبت، وطلعت الشمس وغربت، والدعاء لمثابتكم العليا بالنصر العزيز
كلما جُهِزت الكتائب وتكتّبت، والفتح المبين كلّما ركنت عقائل القواعد اذا خُطبت،
والصنائع التى مهما حدّقت فيها العيونُ تعجّبت، او جالت فى لطائفها الافكارُ
استطابت مذاقَ الشكر واستعذبت، حتى تُنْجَز لكم مواعيدُ النصر فقد اقتربت،
فانا كتبنا اليكم كتب الله لكم اغياء ما سألت الالسنُ السائلة واستوعبت، من حمراء

a) Peut-être faut-il lire ورجّت. b) G. L. S. P. ونعت. c) G. L. S. P. طنبت.
d) La. O. تبت.

غرناطة حرسها الله وجنود الله بفضله ونعمته قد غلبت، وفتحت وسلبت، وأُسود جهاده قد أَرْدت الاعداء بعد ما كَلِبت، ومراعى الآمال قد أَخْصَبت، والحمد لله حمدًا يجلو وجوهَ الرضا بعد ما احتجبت، ويفتح ابواب المزيد فكلّما استقبلها الامل رحّبت، والشكر لله شكرًا يقيّد شوارِدَ النِعَم مما أَبقَتْ وما هربت،، والى هذا وصل الله لمقامكم اسباب الظهور والاعتلا، وعرّفكم عوارف الآلاء على الولا،، فانّنا لما ورد علينا كتابكم البَرّ الوفادة، الجمّ الافادة، الجامع بين الحسنى والزيادة a، جالى غرّة الفتح الاعظم من ثنايا السعادة، وواهب المِنَن المتاحة وواصف النِعَم المعادة،، فوقفنا b من رَقّه c المنشور على تُحَف سنيّة، واماني هنيّة، وقطاف للنصر جنيّة،، ضمنتْ سكونَ البلاد وقرارها، وان الله قد اذهب الفتن وأُوارها، واخمد نارها، ونصح عن وجه الاسلام عارها، وجمع الاهواء على من هوبتْه السعادةُ بعد ان اجهد اختيارها،، فاصبح الشتيتُ مجتمعا، وجنحُ الجناح مرتفعا، والجبل المخالف خاشعا متصدّعا، وأَصْحَبَ d فى القياد من كان ممتنعا e،، واستوثقت f الطاعة، وتباججت السُنّة والجماعة، وارتفعت الشناعة،، وتمسّكت البلاد المُكْرَهة باذيال وليّها لما رأَتْه، وعادت الاجيادُ العاطلة الى حليها بعد ما انكرتْه،، أَجَلْنا جياد الاقلام فى ملعب الهناء وميدانه، لاوّل اوقات اِمْكانه، على بعد مكانه، واجهدنا عبارة الكلام فى اجْلال هذا الصنع وتعظيم شانه، واغرينا الثناء بشِيَم مجدكم فى شرحه لنا وبيانه،، رأينا أَلّا نَكل ذلك الى اليَرَاع، ونفرده فيه بالاجتماع، وما يتعاطاه من سنّة الذراع،، وان نشدّ بردْه من المشافهة أُزْرَه، ونعضد بمُعين g من اللسان امرَه،، فعيّنّا لذلك من يفسّر منه المُجْمَل، ويمهّد المقصد المعمل،، حتى يجمع بين اغراض البرّ، والعَلَن منه والسِرّ، ويقيم * شتّى الادلّة h على الوداد المستقرّ،، ووجّهْنا فى غرض الرسالة به اليكم، واخترْنا لشرحه بين يدبكم،، خطيبَ الوفود، وبركةَ المشايخ فى هذا المقام المحمود،، الشيخ الجليل الشهير الكبير الصالح الفاضل ابا البركات بن الحاجّ وصل الله حفظه، واجزل من الحمد واللطف حظّه،، وهو البطل الذى لا يعلم الاجالة فى الميدان، ولا يبصر بوظائف ذلك

a) S. La. O. وزيادة. b) G. L. La. O. فواققنا, P. فوافقنا. c) Les man. portent رقة.
d) S. واصحت, G. L. واوضاحت. e) G. L. مستمنعا, La. متمنعا, S. مستمعا. f) G. L. S. واستوسقت. g) La. O. بمبين. h) P. شتى الادالة, G. دثنى الادالة (sic), L. يثنى الادالة, S. شى الدلالة, O. شتى الازالة.

الشان،، ومرادنا منه ان يطيل وبطيبه، ويجيل فى وصف محاسنكم اللسانَ الرطيب،، ويقرّر ما عندنا لمقامكم من التشيّع الذى قام على الحبّ المتوارث اساسُه، وأُطْرِن حكمه وأُنْتِج قياسه،، وليجعلَ تِلْوَ مقصد الهنا، بمجلسكم الباهر السنا، الصارف الى الجهاد فى سبيل الله والفنا، وجهَ التهمّم والاعتنا، على مرّ الآنا، ما تجدّد لدينا من الانبا، فى جهاد الاعدا،، وان كان رسولكم اعزّه الله قد شارك فى السُّرَى والسير، ويُمْن الطير، واغنى فى الحكاية عن الغير، فلا سرف فى الخير،، وهو انّنا لما انصرفنا عن منازلة قرطبة نظرًا للحشود التى نفدتْ مُعَدّاتُ ازوادها، وشابتْ بهشيم *الغلّة المستقلّة a مفارقُ بلادها،، واشْفاقًا لفساد اقواتها، بفوات اوقاتها،، رحلنا عنها وقد انطوينا من اعْفاء اكثر تلك الزروع، الماثلة الفروع، الهائلة الرُوع،، على همّ مُمْض، واسف للمضاجع مُقْض،، اذ كان عاذل المطر بكفّ السنةَ النار عن المبالغة فى التهابها، وحلاق اهابها،، ونَقْض اغوارها، ونهب شوارها، واذاعة اسرارها،، وهى البحور المتلاطمة، اذا حطمتْها الرياحُ الحاطمة،، واللُّجَج الزاخرة، اذا حرّكتْها السوافى الماخرة،، وتودّ العيونُ ان *تتّخذ حدودها b القاصية فلا تُطيق، والركائبُ الراكضة ان تُشْرِف على غاياتها فيفصل عن مراحلها الطريقُ،، قد جلّلها الربيعُ ارزاقا تغصّ بها الخزائنْ، والاطباق، وحبوبا مفصلة لا يرزأها الانْفاد والانْفاق، ولو اعتصت c على انتسافها الآفاق،، فخففنا فى سبيل الله لتعقيب غزوٍ تلك الاقطار المخالفة، بمَحْق الصائفة، واعانة تلك الطائفة، بكلوم المجاع d الخائفة،، خفوفًا لم نعنع فيه بالاستنابة، حرْصًا على استيصال الصبابة،، واعفينا الرَجْل e من اتّصال الكدّ، وقابلنا قبولَهم على استصحابنا فيها بالردّ،، واطللنا على قرطبة بمحلّاتنا ننسف جبال f النعم نسفا، ونعمّ الارض زلزالا وخسفا،، ونستقرى مواقع البذر احتراقا، ونخترق اجوابها المختلفة بحبّ الحصيد اختراقا، ونسلّط عليها من شَرَر النار امثالَ الجمالات الصُفْر مدّتْ من الشُواظ اعناقا، ونُوسع القرى الواسعة قتلًا واسترقاقا، وندبر على مستديرها اكواسَ الحتوف دِهاقا،، واخذت النيرانُ واديها الاعظم من كلتا جانبَيْه حتى كأنّ العيون احمّت سبيكته

a) S. La. O. الغلمة المستقبلة, G. L. الغلمة المستقلة, P. العلة المستغلة. b) G. L. P. تتخذ اخدودها. c) Ce mot est altéré. S. اعتصت, La. نعضت. d) Lisez المجاعة (?). e) Les man. portent الرحل.
f) S. جبل, G. L. جليل.

فاستحالت، واذابت صفيحته فسالت،، واتت الكُفّارَ سماؤُهم بالدخان المبين، وصارت الشمس من بعد سفورها، وعموم نورها، منقّبة المحتلى a معصّبة الجبين،، وخُصّنا احشاء الفرنتيرة b نعمٌ اشتات النِعَم انتساقا، واقوات اهلها ائتلافا، وآمال سُكّانها اخْلافا،، وقد بهتوا لسرعة الرجوع، ودهشوا لوقوع الجوع، وتسبيب تخريب الربوع،، فمن المنكر البعيد، ان يتأتّى بعد عُمْرانها المعهود، وقد اصطلم الزرع واجتثّ العود، وصار الى العدم منها الوجود،، ورأوا من عزائم c الاسلام خوارقَ تشذّ d عن نطاق العوائد، وعجائبَ تستريب فيها عينُ المُشاهد،، اذ اشتمل هذا العام، المعترَف فيه من الله الانعامُ،، على غزوات اربع دُمّرت فيها القواعد الشهيرة تدميرا، وعلا فوق مراقيها الاذان عزيزا جهيرا، وضُويِقَتْ كراسى الملك تضييقا كبيرا، وأُذيقت وبالا مُبيرا،، ورياح الادالة ان شاء الله تستانف هبوبا، وباسا مشبوبا، والثقة بالله قد ملأت نفوسا مومنة وقلوبا،، والله المسئول ان يُوزِع شكرَ هذه النِعَم التى اثقلت الاكتاد، *وابهظت الطَّوْقَ e المعتاد، وابهجت المُسيمَ f والمرتاد،، فبالشكر يُستدرّ فريدها، ويتوالى تجديدها،، وقطعنا فى بحبوحة تلك العمالة المستبحرة العمارة، والفلحِ المغنى g وصفُها عن الشرح والعبارة،، مراحلَ ختمنا بالتعريج على حزب جَيّان حربَها h، ففللنا ثانيةً غربَها، وجدّدْنا كربَها، واستوعبنا حرقها وخربها i،، ونظمنا البلاد فى سلك البلا، وحثثنا فى انجادها واغوارها ركائبَ الاستيلا،، فلم نترك بها ملقط طير، فضلًا عن معاف عير j، ولا أَسْأَرْنا لفلّها المحروب بلالةَ خير،، وقفلنا وقد تركنا بلاد النصارى التى منها لكيادنا المَدَد، والعُدّة والعَدَد، وفيها الخصام واللَدَد،، وقد لبست الحداد حريقا، وسلكتْ الى الخلاء والجلاء طريقا،، ولم نترك بها مضغةً تخالط ريقا، ولا نعمةً تصون من الفراق فريقا،، وما كانت تلك النعم لولا ان اعان الله من عنصرَيِ النار والهواء بجنود كونه الواسع، ومُدْرَكه البعيد الشاسع،، لتتولّى الايدى البشريّة تغريبها ولا ترزأ كثيرها، ولا لتمتاح بالاغتراف غديرها،، بل لله القدرة جميعا، فقدرته لا تتحامَى رِيعا، ولا حِمًى مريعا منيعا،، وعُدْنا والعود فى مثلها احمد، وقد بَعُدَ فى شفاء النفوس الامد، ونُسِخ بالسرور

a) L. المحيّا, G. S. P. المحيلى. b) *La frontera.* G. O. الغرنبيرة, S. القريزة, La. العرنيزة.
c) G. عزايم (*sic*), L. غرايب. d) G. L. P. تشد, La. O. تسد, S. يسد. e) G. L. S. O. وابهطت الطوف. f) S. La. O. المشيم. g) O. المغيى, G. L. S. المعيى, P. العيى.
h) S. خربها, G. L. P. حزبها. i) G. L. S. P. O. حربها. j) S. La. O. غيير.

الكمد، ورُفعت من عزّ الاسلام العَمَد،، والحمد لله حمدَ الشاكرين، ومنه نلتمس عادة النصر على اعدائه فهو خير الناصرين، عرّفناكم به ليُسَرّ دينكم المتين، ومجدكم الذى راق منه الجبين،، والله يصل سعدكم، ويحرس مجدكم، ويبلّغكم املكم من فضله وقصدكم،، بمنّه وطَوْله والسلام الكريم يخصّكم ورحمة الله وبركاته انتهى، رجعَ الى ما كُنّا بسبيله من اخبار قرطبة الجليلةِ الوصف، وذكر جامعها البديع الاتقان والرصف،، فنقول قد شاع وذاع على ألْسنة الجمّ الغفير من الناس بهذه البلاد المشرقيّة وغيرها ان فى جامع قرطبة ٣٠٠ ونحو ٦٠ طاقا على عدد ايام السنة وان الشمس تدخل كل يوم من طاق الى ان يتمّ الدَّوْر ثم تعود وهذا شىء لم أقِفْ عليه فى كلام المؤرّخين من اهل المغرب والاندلس ولو كان كما شاع لَذكروه وتعرّضوا له لانه من اعاجيب ما يُسْطَر مع انهم ذكروا ما هو دونه فالله اعلم بحقيقة الحال فى ذلك، وسيأتى فى الباب السابع رسالة الشقندى الطويلة وفيها من محاسن قرطبة وسائر بلاد الاندلس الطِمّ والرِمّ وقد ذكرنا فى الباب الاول جملة من محاسن قرطبة فأغْنَى ذلك عن اعادتها هنا على ان رسالة الشقندى تكرّر فيها بعضُ ما ذكرناه لانّا لم نُرِدْ ان نُخِلّ منها بحرف * فاتينا بها[a] بلفظها وان تكرّر بعض ما فيها مع بعض ما اسلفناه والعذر واضح * للمنصف المغضى[b]، والله نسأل سلوك السبيل الذى يُرْضِى،، بمنّه وكرمه، وقال صاحب نَشَق الازهار انْ فى جامع قرطبة تنّورا من نحاس اصفر يحمل الف مصباح وفيه اشياء غريبة، من الصنائع العجيبة،، يعجز عن وصفها الواصفون قيل أُحكم عمله فى ٧ سنين وفيه ٣ اعمدة من رخام احمر مكتوب على الواحد اسم محمد وعلى الآخر صورة عصى موسى واهل الكهف وعلى الثالث[c] صورة غراب نوح عمّ الثلثة خلقة الله تع لم يصنعها صانع انتهى، قلت لم أرَ احدا من محقّقى المؤرّخين للاندلس وثقاتهم ذكر هذا على قلّة اطّلاعى وهو عندى بعيد لانه لو كان لَذكره الائمّة وقد حكى القاضى عياض فى الشفاء اشياء وُجد عليها اسم نبيّنا صلّعم ولم يذكر هذا ويُستبعَد ان يكون بجامع قرطبة ولا يذكره فالله اعلم بحقيقة الامر، وقال فى موضع آخر من هذا الكتاب ان دور قرطبة ١٤ ميلا وعرضها ميلان وهى على النهر الكبير وعليه جسران وبها الجامع الكبير الاسلامى وبها الكنيسة المعظمة بين

a) S. فاثبتناها. b) G. L. S. للمصنف المغضى. c) Les man. d'al-Makk. portent الآخر.

النصارى وبهذه المدينة معدن الفضّة ومعدن الشادنج وهو حجر من شانه ان يقطع الدم وكان يُجلب منها البغال التى تُباع كل واحدة منها بخمسمائة دينار من حسنها وعلوّها الزائد انتهى، رجع الى اخبار البنيان ولا خفاء انه يدلّ على عظيم قدر بانيه ولذلك قال امير المومنين الناصر المروانى بانى الزهراء رحمه حسبما نسبهما له بعض العلماء وبعض ينسبهما لغيره وسياتيان فى ترجمة نور الدين بن سعيد على منسوبين

هِمَمُ الملوك اذا ارادوا ذِكْرَها … من بعدهم فبألْسُن البنيانِ
ان البناء اذا تعاظم قدرُه … اضحى يدلّ على عظيم الشانِ

وتذكرت هنا قصيدة قالها بعض الشاميّين وهو الاديب الفاضل الشيخ اسد بن معين الدين مما يكتب على ابراج دار الحسيب النسيب الشهير البيت، الكبير الحىّ والميت،، القاضى عبد الرحمن بن الغرفور الدمشقى وضمّنها بيتَي الناصر المذكورين

زُرْ مجلسا اضحى اعزّ مكانِ … ومحلَّ اهل العلم والعرفانِ
المجد خيّم فى ذُرَى ابراجه … والسعد عبدَ الباب طولَ زمانِ
كالخُلْد مرفوع البناء وارضه … مفروشة بالدرّ والعقيانِ
بيت به فخر البيوتُ لانه … بيت القصيد ومنزل الضيفانِ
مَغْنًى فسيح فيه معنى مُفْصِح … عن قدر بانيه بغير لسانِ
قد قال بعض ذوى الفضائل قبلنا … قولا بديعا واضح التبيانِ
همم الملوك … البيتين
قد شاده مَنْ ساد اهلَ زمانه … بالاصل والافضال والرجحانِ
ورث السيادة كابرًا عن كابر … وسما برفعته على كيوانِ
قاضى القضاة ومفخر العصر الذى … قد جاء فيه سابقَ الأقْرانِ
فى العلم بحرٌ لا يُنال قرارُه … فى الحكم مثل مهنّد وسنانِ
يروى عطاءً عن يديه قد اقتفى … آثارَ آباء ذوى احسانِ
لا زال يبقى شائدا بيتَ العُلَى … وعدوّه فى الوهن والنقصانِ
يايُّها المولى الذى يجرى مع … الاقبال والاسعاد .* طلقَ عنانِ[a]
دُمْ شامخَ المقدار مرتفعَ البنا … والناس تحت رضاك كالغِلْمانِ

a) L. طول زمان.

متمتّعا ببنيك سادات الورى a فى عزّ ربّ دائم السلطان
ما رجّع القُمْرِىُّ فى تغريده فى الروض فوق منابر الاغصان

وكان القاضى عبد الرحمن بن فرفور المذكور عالى الهمّة تضيق يدُه عمّا يريد فلذلك كان كثيرًا ما يبثّ شكواه فى الطروس والدفاتر، ويعتب على الزمان الذى أَخْنَى على اهل الادب وقطع آمالهم بحسامه الباتر، ويرحم الله القائل

هذا زمان دُرَيْهِمى لا غيره فدَعِ الدفاتر للزمان الفاتر

فمن نظم المذكور وقد ابطأ بجزء استعاره من بعض اخوانه فكتب اليه معتذرا، وادمج شكوى الزمان الذى كان من شماتة الاعداء به حذرا،

ابطأْتُ فى ذا الجزء يا سيّدى كتابةً من جَوْر دهر بغيضْ
صابَرْتُه والجسم منّى لقًى تجلُّدًا والقلبُ منّى مريضْ
فانْ ابَى الّا تلافِى وقد احلّنى منه محلّ النقيضْ
واقتادنى قسرًا الى مصرع قد رقّ منه b اللحم والعظم هِيضْ
سلّمْتُ للاقدار مستسرعا لباب مولى ذى عطاء عريضْ
جَمْوم صبرٍ كنتُ أَسْطُو به على روايا c الدهر بالهمّ غيضْ
فلا تَلُمْ يا صاحِ من بعد ذا اذا تمثّلْتُ بحال الجريضْ d

ورايتُ بخطّه رحمه الله مما نسبه جدُّه القطب الخيضرى الحافظ لابرهيم بن نصر الحَمَوى ثم المصرى المعروف بابن الفقيه .

يا زمانى كلّما حا وَلْتُ امرا يتمنّعْ ان تعصّبْتُ فانّى باصطبارى اتقنّعْ

وهذه تورية بديعة الغاية فى التعصّب والتقنّع مع حلاوة النظم وجودة السبك وخفّة الوزن والله سبحانه يروّح تلك الارواح فى الجنان، ويعاملنا وإياهم بمحض الفضل والامتنان، ويكفينا شجونَ دهر جرى بنا طلقَ العنان، رجع الى ما كُنّا فيه، وكنتُ وقفتُ فى كلام بعض العلماء على ان البيتين السابقين المنسوبين الى امير المومنين الناصر المروانى رحمه الله قالهما فى الزهراء التى بناها وسياتى ذكرها قريبا، وقال الشيخ سيدى محيى الدين بن العربى فى المسامَرات قرأْتُ على مدينة الزهراء بعد خرابها وصيرورتها ماوَى الطير والوحش وبناءها عجيب فى بلاد الاندلس وهى قريبة من قرطبة

a) La. O. العلى. b) Les man. portent العظم واللحم. c) P. S. O. زوايا. d) G. L. P. La. الحريض.

ابياتا تُذكّر العاقل، وتُنبّه الغافل،، وهى

ديـار بـاكـنـاف المـلاعب تلمعُ ... وما إنّ بها من ساكن وهى بلقعَ
ينوح عليها الطيرُ من كل جانب ... فيصمت احيـانـا وحينًـا يرجّـعُ
فخـاطبتُ منهـا طـائـرا متغرّدا ... له شجن فـى القلب وهـو مروّعُ
فقلتُ على ما ذا تنوح وتشتكى ... فقال على دهر مّضى ليس يرجعَ

ثم قـال واخبرنى بعض مشايخ قرطبة عن سبب بنـاء مدينة الزهراء ان الناصر ماتت سُرّيّة له وتركت *a* مالا كثيرا فامر ان يُفَكّ بذلك المال أَسْرَى المسلمين وطُلب فى بلاد الافرنج اسير فلم يوجد فشكر الله على ذلك فقالت له جاريته الزهراء وكان يحبّها حبّا شديدا اشتهيتُ لو بنيتَ *b* لى به مدينة تسمّيهـا باسمى وتكون خـاصّةً لى فبناها تحت جبل العروس من قبلة الجبل وشمال قرطبة وبينها وبين قرطبة اليومَ ٣ اميال او نحو ذلك واتقن بناءها واحكم الصنعة فيها وجعلها مستنزها ومسكنا للزهراء وحاشية ارباب دولته ونقش صورتها على الباب فلما قعدت الزهراء فى مجلسها نظرتْ الى بياض المدينة وحسنها فى حجر ذلك الجبل الاسود فقالت يـا سيدى ألا ترى الى حسن هذه الجارية الحسناء فى حجر ذلك الزنجىّ فامر بزوال الجبل فقال بعض جلسائه أُعيذُ امير المومنين ان يخطر له مـا يشين العقلَ سماعُه لو اجتمع الخلق ما ازالوه حفرًا ولا قطعا ولا يزيله الا مَنْ خلقه فامر بقطع شجره *c* وغرسه تينا ولوزا ولم يكن منظرا احسن منها ولا سيّما فى زمان الأزهـار وتفتّح الأزهـار، وهى بين الجبل والسهل انتهى ببعض اختصار، وقال ابن خلّكان فى ترجمة المعتمد بن عبّاد ما صورته والزهراء بفتح الزاى وسكون الهاء وفتح الراء وبعدها الف *d* ممدودة وهى من عجائب ابنية الدنيا انشأها ابو المظفّر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقّب بالناصر احد ملوك بنى اميّة بالاندلس بالقرب من قرطبة فى اول سنة ٣٢٥ ومسافة ما بينهما ٤ اميال وثُلُثا ميل وطول الزهراء من الشرق الى الغرب الفان وسبعمائة ذراع وعرضها من القبلة الى الجوف *e* الف وخمسمـائة ذراع وعدد السوارى التى فيهـا ٤ آلاف سارية وعدد ابوابها تزيّد على ١٥ الف باب وكان الناصر يقسم جباية البلاد أثلاثا فثُلُث للجند وثلث مدّخر وثلث ينفقه على عمارة الزهراء وكانت جباية الاندلس يومئذ ٥ آلاف

a) La. O. وخلفت. *b*) La. O. تبنى. *c*) S. La. O. الاشجار. *d*) Les man. d'al-Makk. portent همزة. *e*) Les man. portent الجنوب.

الف دينار واربعمائة الف وثمانين الف دينار ومن السوق والمستخلص[a] ٧٠٠ الف دينار وخمسة وستون الف دينار وهى من اهول ما بناه الانس واجلّه خطرا واعظمه شانا ذكر ذلك كله ابن بشكوال فى تاريخ الاندلس انتهى كلامه، وحكى فى المطمح ان الوزير الكبير الشهير *ابا الحزم[b] بن جَهْوَر قال وقد وقف على قصور الامويّين التى تقوّضت ابنيتُها، وعُوّضت من انيسها بالوحش افنيتُها،،

قلتُ يوما لدار قوم تفانَوْا   اين سُكّانك العزاز علينا
فاجابتْ هنا اقاموا قليلا   ثم ساروا ولستُ اعلم أَيْنَا

وفيه ان ابا عامر بن شهيد بات ليلة باحدى كنائس قرطبة وقد فُرشت بأَضْغاث آس، *وعرشت بسرور واستيناس[d]،، وقَرْع النواقيس يبهج[e] سمعه، وبرق الحميّا يسرج لمعه،، والقَسّ قد برز فى عَبْدة المسيح، متوشّحا بالزنانير ابدعَ توشيح،، قد هجروا الافراحَ، واطّرحوا النعَم[f] كل اطّراح،،

لا يعمدون الى ماء بآنية   الّا اغترافًا من الغُدْران بالراحِ

واقام بينهم يعملها حميا، كانما يرشف من كاسها شفةً لَمْيا،، وهى تنفح له باطيب عَرْف، كلمّا رشفها اعذبُ رشف،، ثم ارتجل[g]، *بعد ماء[h] ارتحل[i]،،

ولرُبَّ[j] حانٍ قد شممتُ[k] بدَيْره   خمرَ الصبا مُزِجتْ بصِرْف عصيرِه
فى فتية جعلوا السرورَ شعارَهم   متصاغرين تخشُّعًا لكبيرِه
والقَسّ مما شاء طول مُقامنا   يدعو بعود حولنا بزَبُورِه
يهدى لنا بالراح كل مخفَّر[l]   كالخِشْف خفّره التماحُ خفيرِه
يتناول الظرفاء فيه وشربهم   لسُلافه[m] والاكل من خنزيرِه

انتهى، رجع الى بناء الزهراء قال بعض من أَرَّخ الاندلس كان يتصرّف فى عمارة الزهراء كل يوم من الخُدّام والفَعَلة ١٠ آلاف رجل ومن الدوابّ الف وخمسمائة دابّة

a) La copulative و manque dans les man. b) Les man. portent بالحزم. c) *Al-Mat.* L. الكرام. d) La. وعرست بسرو بشر واستيناس ; *al-Mat.* L. وغرست بسرو استيناس .O , ومما اوحش من فرع ايناس. e) Al-Makk. يهيج. f) *Al-Mat.* L. النعيم. g) G. L. S. ارتحل. h) *Al-Mat.* L. من انس ليلته بما. i) G. L. S. ارتجل , *al-Mat.* L. P. R. اكتحل. j) *Al-Mat.* L. يا رب. k) *Al-Mat.* L. ادرت. l) On trouve cette leçon sur la marge du man. L. du *Mat.*; le texte a مصغر. Les autres man. portent مصغر. m) *Al-Mat.* L. P. R., al-Makk. G. L. S. لسلافهم.

وكان من الرَجّالة[a] من له درهم ونصف ومَنْ له الدرهمان والثلثة وكان يُصرف فيها كل يوم من الصخر المنحوت[b] المعدّل ٦ آلاف صخرة سوى الآجرّ والصخر غير المعدّل انتهى وسياتى فى الزاهرة مزيد كلام، وقال ابن حيّان ابتدأ الناصر بناء الزهراء اول يوم من محرم سنة ٣٢٥ وجعل طولها من شرق الى غرب الفين وسبعمائة ذراع وتكسيرها تسعمائة الف ذراع وتسعون الف ذراع كذا نقله بعضهم وفيه للنظر مجال قال وكان يثبت على كل رخامة كبيرة او صغيرة ١٠ دنانير سوى ما كان يلزم على قطعها ونقلها ومونة حملها وجُلب اليها الرخام الابيض من المريّة والمجزّع من ريّة والوَرْدىّ والاخضر من افريقية من اسْفاقُس وقرطاجنّة والحوض المنقوش المذهّب من الشام وقيل من القسطنطينية وفيه نقوش وتماثيل على صور الانسان وليس له قيمة ولما جلب احمد الفَيْلَسوف وقيل غيره امر الناصر بنصبه فى وسط المجلس الشرقى المعروف بالمونس ونصب عليه ١٢ تمثالا وبنى فى قصرها المجلس المسمّى بقصر الخلافة وكان سمكه من الذهب والرخام الغليظ فى جرمه الصافى لونُه المتلوّنة اجناسُه وكانت حيطان هذا المجلس مثل ذلك وجعلت فى وسطه اليتيمة التى أتْحَفَ الناصرَ بها اليُونُ ملك القسطنطينية وكانت قرامد هذا القصر من الذهب والفضة وهذا المجلس فى وسطه صهريج عظيم مملوء بالزيبق وكان فى كل جانب من هذا المجلس ٨ ابواب قد انعقدت على حنايا من العاج والابنوس المرصّع بالذهب واصناف الجواهر قامت على سوارى من الرخام الملوّن والبلّور الصافى وكانت الشمس تدخل على[c] تلك الابواب فيضرب شعاعها فى سمك المجلس وحيطانه فيصير من ذلك نور ياخذ بالابصار وكان الناصر اذا اراد ان يُفْزِع احدا من اهل مجلسه اومأ الى احد صقالبته فيحرّك ذلك الزيبق فيظهر فى المجلس كلَمَعان البرق من النور وياخذ بمجامع القلوب حتى يخيّل لكل مَنْ فى المجلس ان المحلّ قد طار بهم ما دام الزيبق يتحرّك وقيل ان هذا المجلس كان يدور ويستقبل الشمس وقيل كان ثابتا على صفة هذا الصهريج وهذا المجلس لم يتقدّم لاحد بناؤه فى الجاهليّة ولا فى الاسلام وانما تهيّأ له لكثرة الزيبق عندهم وكان بناء الزهراء فى غاية الاتقان والحسن وبها من المرمر والعُمُد كثير واجرى فيها المياه واحدق بها البساتين وفيها يقول الشاعر السُمَيْسِر[d]

a) S. La. O. الرجال. b) G. L. المنجول ; le mot manque dans S. c) S. La. فى. d) G. P. O. السميس , S. السهبر , La. الشمس.

وقفتُ بالزهراء مستعبرا معتبرا أَنْدُبُ أَشْتاتَا
فقلتُ يا زهرَا ألا فارْجعى قالت وهل يرجع من ماتا
فلم ازلْ ابكى وابكى بها هيهات يُغْنى الدمعُ هيهاتا
كانما آثار مَنْ قد مضى نوادبٌ ينْدبْنَ أَمْواتا

انتهى كلام هذا المورّخ ملخّصا وسيأتى ما يوافق جُلّه ويخالف قُلّه والله سبحانه يعلم الامر كلّه، فانه ربّما ينظر المتأمّل هذا الكتاب فيجد فى بعض الاخبار تخالُفًا فيحمل ذلك على الغلط وليس كذلك وانما السبب الحامل لذلك جلبُ كلام الناس بعباراتهم والناقد البصير لا يخفاه مثل هذا وربما يقع التكرار وذلك من اجل ما ذُكر والله اعلم، وتذكّرت بما وصفه من مجلس الناصر ما حكاه غير واحد عن القصر العظيم الذى شاده ملك طليطلة المامون بن ذى النون بها وذلك انه انتقنه الى الغاية وانفق عليه اموالا طائلة وصنع فى وسطه بحيرة وصنع فى وسط البحيرة قبّة من زجاج ملوّن منقوش بالذهب وجلب الماء على راس القبة بتدبير احكمه المهندسون فكان الماء ينزل من اعلى القبة على جوانبها محيطا بها ويتّصل بعضه ببعض فكانت قبة الزجاج فى غلالة من ماء سكب خلف الزجاج لا يفتر من الجرى والمامون قاعد فيها لا يمسّه من الماء شىء ولا يصله وتُوقد فيها الشموعُ فيُرى لذلك منظر بديع عجيب وبينما هو فيها وجواريه ذاتَ ليلة اذ سمع منشدا ينشد

أَتبنى بناء الخالدين وانما بقاؤك فيها لو علمتَ قليلُ
لقد كان فى ظلّ الاراك كفايةٌ لمن كلّ يوم يقتضيه رحيلُ

فنغّص عليه حالَه وقال انّا لله وانّا اليه راجعون اظنّ ان الاجل قد قرب فلم يلبث بعدها غير شهر وتوفّى ولم يجلس فى تلك القبة بعدها وذلك سنة ٤٦٧ تجاوز الله عنه هكذا حكاه بعض مورّخى المغرب وقد ذُكر فى غير هذا الموضع من هذا الكتاب حكايةُ هذه القبة بلفظ ابن بَدْرون شارح العبدونيّة فليراجَعْ، وتذكّرت هنا قول ابى محمد المصرى فى صفة قصر طليطلة

قصر يقصّر عن مداه الفرقدُ عذبتْ[a] مصادرُه وطاب الموردُ
نشر الصباحُ عليه ثوبَ مكارم فعليه الويةُ السعادة تُعْقَدُ

a) G. L. P. غربت, S. عربت.

وكانما المامون فى ارجائه   بدرٌ تمامٌ قابلتْه أَسْعُدُ
وكانما الاقداح فى راحاته   دُرٌّ جماد ذاب فيه العسجدُ

وله فى صفة البركة والقبة عليها

شمسيّة الانساب بدريّة   يحار فى تشبيهها الخاطرُ
كانما المامون بدر الدجى   وهى عليه الفلك الدائرُ

وكان ملوك الاندلس فى غاية الاحتفال بالمجالس والقصور وللوزير الجزيرى رحمه فى وصف مجلس للمنصور بن ابى عامر ما يشهد لذلك وهو قوله يصف

وتوسّطتْها لُجّةٌ فى قعرها   بِنْتُ السلاحف ما تزال تنقْنقُ
تنساب من فكّىْ[a] هزبر إنْ يكن   تَبْتَ الجنان فانّ فاه اخرقُ
صاغوه من ندّ وخلق صفحتَىْ[b]   هاديه مَحْض الدرّ فهو مطوّقُ
لليـاسمين تطلُّع فى عرشه   مثل المليك غَداه[c] زَهْوٌ مُطْرِقُ
ونصائدٌ من نرجس وبنفسج   وجنىّ خيرىّ وورد يَعْبَقُ
ترنو بسحر عيونها وتكاد من   طرب اليك بلا لسان تنطقُ
وعلى يمينك سوسناتٌ اطلعت   زهرَ الربيع فهنّ حسنًا تُشْرِقُ
فكانما هى فى اختلاف رقومها   راياتُ نصرك يومَ باسك تخفقُ
فى مجلس جمع السرورَ لاهله   ملكٌ اذا جُمعتْ قناه يفرّقُ[d]
حازتْ بدولته المغاربُ عزّةً   فغدا ليحسدها عليه المشرقُ

ومن هذه القصيدة

اما الغمام فشاهدٌ لك انه   لا شكّ صِنْوك بل اخوك الاوثقُ
وافى الصنيعَ فحين تمّ تمامُه   فى الصحو انشأ ودقُه يتدفّقُ
واظنّه يحكيك جُودًا اذ راى   فى اليوم بحرك زاخرا يتفهّقُ[e]

وكان السبب فى هذه الابيات ان المنصور صنع فى ذلك الاوان صنيعا لتطهير ابنه عبد الرحمن وكان عام قحط فارتفع السِعْر بقرطبة وبلغ رُبْعُ الدقيق الى دينارَين فجلا الناس من قرطبة فلما كان يوم ذلك الصنيع نشأت فى السماء سحابة عمّت الافقَ ثم اتى المطر الوابل فاستبشر الناس وسُرّ المنصور بن ابى عامر فقال الجزيرى

a) La. O. فلكى, S. فلكه (*sic*), G. فليكه. b) Cet hémistiche est peut-être altéré. c) G. L. S. O. عداه, La. غداه. d) S. تفرق. e) La. يترقرق.

بديهة اما الغمام الخ وهو القائل على لسان نرجس العامرية ·

حيّتْك يا قمر العُلَى والمجلِس . . . ازكى [a] تحيّتها عيونُ النرجس
زهوّا [b] تُريك بحسنها وبلونها . . . زُهْرَ النجوم الجاريات الكُنَّس
مُلّكْنَ افئدةَ الندامَى كلّما . . . دارتْ بمجلسهم مدارَ الاكؤس
مُلْكَ الهُمام العامرىّ محمد . . . للمكرمات ولِلنُّهَى والانفس

قال ابن بَسّام ومن شعر الجزيرى ما اندرج له اثناء نثره الذى ملّح فيه مخاطبته للمنصور على السنة اسماء كرائمه بزهر رياضه فمن ذلك عن بهار العامرية

حَدَقُ الحسان تقرّ لى وتَغارُ . . . وتضلّ فى صفتى النُهَى وتَحارُ
طلعتْ على قُضْبى عيونُ تمائمى . . . مثل العيون تحفّها الأَشْفارُ
وأَخَصُّ شىء بى اذا شبّهْتَنى . . . دُرٌّ تنطّق [c] سلكها دينارُ
اهدى له قضبُ الزمرّد ساقَهُ . . . وحباه انفسَ عطره العَطّارُ
انا نرجس حقًّا بهرتُ عقولهم . . . ببديع تركيبى فقيل بهارُ

ومن اخرى عن بنفسج العامريّة اذا تدافعت الخصومُ ايّد الله مولانا المنصور فى مذاهبها، وتنافرتْ [d] فى مفاخرها،، فاليه مفزعُها وهو المَقْنَع فى فصل القضيّة بينها لاستيلائه على المفاخر بأَسْرها، وعلمِه سرّها وجهرها،، وقد ذهب البهار والنرجس فى وصف محاسنهما، والفخر [e] بمشابههما،، كلّ مذهب وما منهما الا ذو فضيلة غير ان فضلى عليهما اوضحُ من الشمس التى تعلونا، واعذبُ من الغمام الذى يسقينا،، فان كانا قد تشبّهَا فى شعرهما ببعض ما فى العالَم من جواهر الارض ومصابيح السماء وهى من الموات الصامت فانّى اتشبّه باحسن ما زيّن الله به الانسان وهو الحيوان الناطق مع انّنى اعطر منهما عطرا، واحمد خبرا،، واكرم امْتاعا شاهدا وغائبا ويانعا وذابلا وكلاهما لا يُمْتِع، الّا ريثما يَيْنَع،، ثم اذا ذبل تستكرِه النفوسُ شمّه، وتستدفع الاكفُّ ضمّه،، وانا امتع رطبًا ويابسًا وتدّخرنى الملوكُ فى خزائنها وسائر الاطبّا، وأُصرف فى منافع الاعضا،، فان فَخَرَا باستقلالهما على ساق هى اقوى من ساقى فلا غروَ أن الوشى ضعيف، والهواء لطيف، والمسك خفيف،، وليس المجد يُدْرَك بالصِراع [f] وقد اودعتُ ايّد الله مولانا قوافِىَ الشعر من وصف مشابهى ما اودعاه وحضرتُ بنفسى

a) G. L. P. S. ازكى. b) La. O. زهرا. c) La. تمنطف. d) S. وتفاخرت , O. وتعافرت , La. وتعافرت. e) G. L. La. O. والمفاخر. f) La. O. بالصراح.

لئلّا اغيب عن حضرتهما فقديمًا فُضّل الحاضر وان كان مفضولا ولذا قالوا الذّ الطعلم ما حضر لوقته واشعَرُ الناس مَنْ انت فى شعره فلمولانا اتمّ التحكم فى ان يفصل بحكمه العدل واقول

شهدتْ لنَوّار البنفسج السَنَ   من لونه الأَحْوَى ومن اتباعه a
لمشابه الشعر الاعمّ اعارَه   القمرُ المنير الطلق نورَ شعاعه
ولربّما جمع النجيع من الطُلَا   فى صارم المنصور يومَ قراعه
فحكاه غير مخالف فى لونه   لا فى روائحه وطيب طباعه
b ملكٌ جهلنا قبله سُبُلَ العُلَا   حتى وضحْنَ بنهجه وشراعه
فى سيفه قِصَرٌ لطول نجاده   وتمام ساعده وفسحة باعه
ذو همّة كالبرق فى اسْراعه   وصريمة كالحين فى ايقاعه
تلقى الزمانَ له مُطيعا سامعا   وترى الملوك الشُمّ من اَتْباعه

ومَا احسن قول بعض الاندلسيين يصف حديقة

وحديقة مخضرّة اثوابُها   فى قُضْبها للطير كلُّ مغرّدِ
نادمتُ فيها فتيةً صفحاتهم   مثل البدور تُنير بين الأَسْعُد
والجدوَل الفضّى يضحك ماؤه   فكانّه فى العين صفح مهنّد
واذا تجعّد بالنسيم حسبتَه   لما تراه مُشْبِهًا للمِبْرَدِ c
b وتناثرتْ نُقَطٌ d على حافاته   كالعقد بين مجمّع ومبدّد
وتزجرجتْ d للناظرين كانها   درّ نثير فى بساط زبرجد

وكان بحمّام الشطارة باشبيلية صورة بديعة الشكل فوصفها بعض اهل الاندلس بقوله

ودمية مرمر تُزْهَى بجيدٍ   تناهَى فى التورّد والبياض
لها ولد ولم تعرف حليلاً e   ولا أَلِمَتْ باوجاع المخاض
ونعلم انها حجر ولكن   تُتيّمنا بألحاظ مراض

وكان بسرقسطة فى القصر المسمّى بدار السرور احد قصور المقتدر بن هود * مجلس الذهب f وفيه يقول ذو الوزارتين ابن غندشلب يهجو وزيرا كان يُنْبَز بتحقون

a) Ce mot me paraît altéré. b) Ce vers ne se trouve que dans O. c) La. O. عقد.
d) S. وتزخرفت. e) Les man. portent خليلا. f) Dans les man. ces mots sont placés entre احد et السرور.

ضجّ من تحقونَ بيتُ الذهبِ   ودعا ممّا به وا حربِى
ربِّ طَهِّرْنى فقد دنّسنى   عارُ تحقونَ الوف[a] الذنبِ

وكتب بعض كبراء الاندلس[b] الى اخوانه كتابى هذا من وادى الزيتون، ونحن فيه محتلّون[c]، ببقعة اكتستْ من السندس الاخضر، وتحلّتْ بانواع الزهر، وتخايلتْ بانهار تتخلّلها[d]، واشجار تظلّلها، تحجب ادواحُها الشمسَ لالتفافها، وتأنس للنسيم فيميل من[e] اعطافها، وما شيتم من محاسن تروق وتُعْجِب، واطيار تتجاوب بألْحان تُلْهِى وتُطْرِب، فى مثلها يعود الزمانُ كله صِبًا، وتجرى الحياة على الامل والمُنَى، وانا ابقاكم الله فيها بحال من طاب غذاؤُه، وحسن استمراؤُه، وصَحَا من جنون العُقار، واستراح من مَضَض الخُمار، وزايلتْه وساوسُه، وخلصتْ من الخُباط هواجسُه، ثم ذكر كلاما من هذا النمط فى وصف الخمار، والدعاء الى العقار فراجعه ابو الفضل بن حَسْداى برقعة قال فى صدرها يا سيدنا الذى الزَمَنا بامتنانه الشكرَ، وكبيرنا الذى علّمنا ببيانه السحر، وعميدنا الذى عقدنا بحرمه وانحلّ[f] ورمانا بدائه وانسلّ، ابقاك الله لتوبةٍ نَصُوح تُمِرُّها، ويمينٍ غَمُوس تُبِرُّها، وَرَدَ ابقاك الله كتابك الذى انفذتَه من معرَّسك بوادى الزيتون، ووقفنا على ما لقّنتَ فى اوصافه من حُجّة المفتون، واعْجابك بالتفاف شجره ودوحاته، واهتزازك لطيف بواكره وروحاته، ومرورك به وهو خُوٌّ تلاعُه، موردة هضابُه واجراعُه، وكل المشارب ما خلاه ذميم، وماؤه الدهرَ خَصِرٌ والمياه حميم، وتلك عادة تلوُّنك، وشجيّة تحضرمك[g]، وشاكلةُ ملالك وسأمك، واشعَرُ الناس عندك مَنْ انت فى شعره، واحبُّ البلاد اليك ما انت فى عُقْره، فأيْنَ منك بساتين جِلّق وجِنانه، ورياضه المونقة وخُلْجانه، وقبابه البِيض فى حدائقه الخُضْر، ووجوه العطر فى جنانه النُضْر، وما تضمنه حيطانُه، وتمجّه انجاده وغيطانُه، من امّهات الراح التى هجرتَها بزعمك، ومواد الشَمُول التى طلّقْتَها برغمك، وهيهات فوالله ما فارقْتك تلك الاجارع والمجارى، ولا شاقتْك تلك المنازل والمغانى، الّا تذكّرًا لما لدينا من طيب المعاهد، وحنينًا الى ما عندنا

a) G. L. P. S. الموف. b) Cette *risālah* d'Ibn-al-dabbāgh et la réponse d'Ibn-Ḫasdāi se trouvent chez Ibn-Bassām (man. de Gotha, fol. 75 v.). c) S. محىلون (*sic*), P. محفلون (*sic*), G. L. La. O. مختلفون. d) Les man. d'al-Makk. portent تتخللها. e) La. O. بين. f) Al-Makk. G. S. P. انحل, L. La. O. الحل. g) Telle est la leçon de tous les man.

من جميل المشاهد،، واين من المشتاق عنقاء مُغْرِب، ثم ذكر كلاما فى جواب ما مرّ من الخمار لم يتعلّق لى به غرض، وما أَحْلَى ما كتب به ابو اسحق بن خفاجة a من رسالة فى ذكر مُتنزّه ولما اكبّ الغمامُ اكْبابا، لم اجدْ منه اِغْبابا،، واتّصل المطرُ اتّصالا، لم آلَفْ منه انفصالا،، اذن اللّه تعَ للصحو ان يُطْلِع صفحته، وينشر صحيفته،، فقشعت b الريحُ السحاب، كما طوى السجلُّ الكتاب،، وطفقت السماء تخلع جلبابَها، والشمس تحطّ نقابَها،، وتطلّعت الدنيا تبتهج كانها عروس تجلّتْ، وقد تحلّتْ،، ذهبتُ فى لُمّة من الاخوان نستبق الى الراحة رَكْضا، ونطوى التفرّج ارضا،، فلا ندفع الا الى غدير نمير قد استدارتْ منه فى كل قرارة سماء، *سحائبُها غمّاء،، وانساب، فى كل تلعة حُباب، جلدُه حباب c،، فتردّدْنا بتلك الاباطح نتهادى تهادِىَ اغصانها، ونتصاحك تصاحُكَ اقحوانها،، وللنسيم، اثناء ذلك المنظر الوسيم،، تراسُلُ مشى، على بساط وشى،، فاذا مرّ بغدير نسجَه دِرْعا، واحكمه صنعا،، وان عثر بجَدْوَل شطبَ منه نَصْلا، واخلصه صَقْلا،، فلا ترى الا بطاحا، مملوءة سلاحا،، كانما انهزمت هنالك كتائبُ فألْقتْ بما لبستْه من درع مصقول، وسيف مسلول،، وفى فصل منها فاحتللنا قبّة خضراء ممدودةَ اشطانِ الاغصان سندسيّة رواقِ الارواق وما زِلْنا نلتحف منها ببُرْد ظلّ ظليل، ونشتمل عليه برداء نسيم عليل، ونُجيل النظر فى نهر صقيل،، صافى لُجَيْن الماء، كانه مجرّة سماء،، موتلف جوهر الحباب، كانه من ثغور الاحباب،، وقد حضرنا مُسْمِعٌ يجرى مع النفوس لطافةً فهو يعلم غرضها وهواها، ويغنّى لها مقترحَها ومُناها،، فصيح لسان النقر، يشفى من الوقر،، كانه كاتب حاسب تمشق يُمْناه، وتعقد يُسْراه،، يحرّك حين يشدو d ساكنات وتنبعث الطبائع للسكون e انتهى، وكانت بين ابى اسحق وبعض اخوانه مقاطعة فاتّفق ان ولى ذلك الصديق حصنا فخاطبه ابو اسحق برقعة منها اطال الله بقاء سيدى النبيهة اوصافُه النزيهةُ عن الاستثنا، المرفوعة امارتُه f الكريمةُ بالابتدا،، ما انحذفتْ ياء يَرْمِى للجزم، واعتلّتْ واوُ يَغْزو لموضع الضمّ،، كتبتُ عن ودٍّ قديم هو الحال، لم يلحقْها انتقال، وعهدٍ كريم هو

---

a) Voyez Ibn-Bassām, man. de Gotha, fol. 144 v. b) Les man. d'al-M. portent فتقشعت.
c) J'ai suivi ici le man. d'Ibn-Bassām, en substituant سحائبها à سحائبه, قلعة à تلعة, et جلدته à جلده. Les man. d'al-Makk. portent: سحابة عما وانساب فى كل قلعة جاب (La. حباب) (تلعته). فترددنا الخ d) La. O. يشجو. e) G. P. S. السكون, L. والسكون.
f) Ibn-Bassām قيادته.

الفعل لم يدخلْه اعتلال،، والله يجعل هانيك من الاحوال الثابتة اللازمة، ويعصم هذا بعدُ من الحروف الجازمة،، وانما أَسْتنهض طَوْلك الى تجديد عهدك بمطالعة الف الوصل، وتعدية فعل الفصل،، والى[a] عدولك عن باب الف القطع، الى باب الوصل والجمع،، حتى يسقط لدرج الكلام بيننا هاء السَّكْت، ويدخل الانتقال حال الصَّمْت،، فلا تتخيّلْ اعزّك الله ان رسم اخائك عندى *ذو حساه[b] قد درس عفاء، ولا ان صدرى بدارُ مَيّة أَمْسَى من ودّك خلاء،، وانما انا فعله[c] اذا ثنى[d] ظهر من ضمير ودّه[e] ما بطن، وبدا منه ما كمن،، وهنيئا اعزّك الله ان فعل وزارتك حاضر لا يلحق رفعَه تغيير، وان فعل سيفك ماضٍ ما به للعوامل تاثير،، وانت بمجدك جماع ابواب الظرف، تاخذ نفسك العليّة بمطالعة باب الصَّرْف، ودَرْس حروف العطف،، وتدخل لام التبرئة على ما حدث من عتبك، وتوجب بعد النفى ما سلف من عتبك[f]،، وتدع الف الالفة ان تكون بعدُ من حروف اللين، وترفع بالاضافة بيننا وجود التنوين،، وتسوم ساكنَ الودّ ان يتحرّك ومعتلّ الاخاء ان يصحّ وكتابى هذا حرف صِلَة فلا تحذفْه حتى تعود الحالُ الاولى صِفَةً، وتصير هذه النكرةُ معرفةً،، فانت اعزّك الله مصدرُ فعل السرور والنيل، ومنك اشتقاق اسم السودد والفضل،، وانك وان تأخَّر العصرُ بك كالفاعل وقع موخَّرا، وعدوُّك وان تكبّر كالكُمَيْت لم يقع الّا مصغّرا،، وللايام عِلَلٌ تبسط وتقبض، وعوامل ترفع وتخفض،، فلا دخل عَروضَك قَبْض، ولا عاقب رفعَك خفض،، ولا زِلْتَ مرتبطا بالفصل شرطُك وجزاؤُك، جاريًا على الرفع سَرْوُك[g] الكريم وسناؤُك،، حتى تخفض[h] الفعل، وتبنى على الكسر قبل،، ان شاء الله، وكتب رحّه يستدعى عُود غناء انتظم من اخوانك اعزّك الله عقدُ شَرْب يتساقَوْن فى ودّك، ويتعاطَوْن ريحانة شكرك وحمدك،، وما منهم الا شَرِهُ المسامع الى رنّة حمامة نادٍ، لا حمامة بطن وادٍ،، والطَّوْل لك فى *صِلَتِنا بجماد[i] ناطق قد استعار من بنانٍ لسانا، وصار لضمير صاحبه ترجمانا،، وهو على الاساءة والاحسان لا ينفكّ من ايقاع به فى غير ايجاع له فان هفا عُرِكت اذنُه وأُدِّب، وان تأنّى[j] واستوى بُعِجَ بطنُه وضُرِب،، لا زلتَ منتظمَ الجَذَل، ملتئمَ

a) Les man. portent .وعن. b) Al-Makk. .دوحها. c) G. L. P. .افعل. d) Al-Makk. .تثنى. e) La. O. .ودك. f) Ibn-B. .عتابك. Ce mot est peut-être altéré. g) G. L. P. La. O. .سرورك. h) Al-Makk. .يخفض. i) Al-Makk. .صلتها بجمال. j) G. O. et le man. d'Ibn-B. .تنابى, S. تانى.

الامل»، انتهى، ومن نظمه رحه يتفجّع، ويتوجّع a»،

شرابُ الامانى لو علمتَ سَرابُ   وعُتْبَى الليالى لو عرفتَ b عتابُ
وهل مهجة الانسان الا طريدة   تحوم c عليها للحمام عَقابُ
تخبُّ بها من كل يوم وليلة   مطايا الى دار البلا وركابُ
وكيف يغيض الدمع او يبرد الحشا   وقد بادَ اقران وفاتَ شبابُ
اقلّب طرفى لا ارى غير ليلة   وقد حُطَّ عن وجه الصباح نقابُ
كانّى وقد طار الصباحُ حمامةٌ   يمدُّ جناحَيْه علىَّ غرابُ
دعى بهم داعى الردى فكانّما   تبارتْ بهم خيلٌ هناك عِرابُ
فهاd هم وسِلْمُ الدهر حربٌ كانما   جُثًّا e بهم f طعن له g وضرابُ
هجود ولا غير التراب حشيّة   لجنبٍ ولا غير القبور قبابُ
ولستُ بناسٍ صاحبا من ربيعة   اذا نسيتْ رسم الوفاء صحابُ
ومما شجانى ان قضى حَتْفَ انفه   وما اندقّ رُمْحٌ دونه وذُبابُ
وانّا تجارَيْنا ثلثين *حقبةً   فمات سباقا والحِمام قصابُ h
كأن لم تَبِتْ فى منزل القصف ليلةً   نُجيب بها داعى الصِبا ونُجابُ i
اذا قام منّا قائم هزّ عطفَه   شباب أَرَقْناه بها وشرابُ
ولما تراءتْ لد ميب بربقةٌ   وأَقْشَعَ من ظلّ الشباب سحابُ
نهضنا باعباء الليالى جزالةً   وأَرسَتْ بنا j فى النائبات هضابُ
فيا ظاعنًا قد حطّ من ساحة البلا   بمنزل بينٍ ليْس عنه مآبُ
كفى حزنًا ان لم يَزُرْنى k على النوى   رسول ولم يُنْفَذ الىَّ l كتابُ
وأنّى اذا يمّمْتُ قبرك زائرا   وقفتُ ودونى للتراب حجابُ
ولو انّ حيّا كان جاوَرَ ميّتا   لطال كلام m بيننا وخطابُ

a) Ce poème se trouve chez Ibn-Bassām (man. de Gotha, fol. 150 r.), et aussi dans le *Dīwān* d'Ibn-Khafādjah (man. de Paris n°. 1518). *b*) Le man. du Dīwān porte تهمت. *c*) Le man. d'Ibn-B. et ceux d'al-M. portent يحوم. *d*) Ibn-B. et al-M. فما. *e*) Ibn-B. حبا; al-M. La. O. حثا. *f*) Al-M. La. بينهم. *g*) Al-M. G. L. S. P. لهم, La. O. بهم. *h*) La. O. قصاب; le man. du Dīwān porte حجة فمات سِباقا والحِمام قصاب. Je ne comprends pas le mot قصاب ou قضاب. *i*) Les man. d'al-M. portent يبيت, يجيب et يجاب. *j*) Al-M. بها. *k*) Le Dīwān porte يردنى. *l*) Al-M. G. S. L. P. اليك. *m*) Le Dīwān porte سلام.

واعرب عمّا عنده من جليّة a   فاقشع b عن شمس هناك ضبابُ

وقد ابعدنا عمّا كُنّا بصَدَدِه من ذكر قرطبة اعادها الله للاسلام فنقول قال بعض من أرّخ الاندلس انتهت مساجد قرطبة ايامَ عبد الرحمن الداخل الى ٤٩٠ مسجدا ثم زادت بعد ذلك كثيرا كما ياتى ذكره وقال بعضهم كانت قرطبة قاعدة الاندلس وأمّ المداين وقرارة الملك وكان عدد شرّافاتها ٤ آلاف وثلثمائة وكانت عدّة الدُور فى القصر الكبير ٤٠٠ دار ونيفا وثلثين وكانت عدّة c دُور الرعايا والسواد بها الواجب على اهلها المبيتُ فى السور مائة الف دار وثلثة عشر الف دار حاشا دور الوزراء واكابر الناس والبياض ورايتُ فى بعض الكتب ان هذا العدد كان ايامَ لمتونة والموحّدين قال وكانت ديار اهل الدولة اذذاك ٩ آلاف دار وثلثمائة دار انتهى وعدد ارباضها ٢٨ وقيل ٢١ ومبلغ المساجد بها ٣ آلاف وثمانمائة وسبعة وثلثون مسجدا وعدد الحمّامات المبرزة للناس ٧٠٠ حمام وقيل ٣٠٠ حمام وقال ابن حيان ان عدّة المساجد عند تناهيها فى مدّة ابن ابى عامر الف وستمائة مسجد والحمامات ٩٠٠ حمام وفى بعض التواريخ القديمة كان بقرطبة فى الزمن السالف ٣ آلاف مسجد وثمانمائة وسبعة وسبعون مسجدا منها بشقندة ١٨ وتسعمائة حمام واحد عشر حماما ومائة الف دار وثلثة عشر الف دار للرعيّة خصوصا وربّما نصف العدد واكثر لارباب الدولة وخاصّتها هكذا نقله فى المُغرِب وهو اعلم بما ياتى ويَذَر رحمه وقال بعض المؤرّخين بعد ذكره نحو ما تقدّم ووسط الارباض قبّة قرطبة التى تُختصّ بالسور دونها واما اليتيمة التى كانت فى المجلس البديع فانها كانت من تُحَف قيصر d اليونانيين بعث بها صاحب القسطنطينية الى الناصر مع تُحَف كثيرة سنيّة انتهى ونحوه لابن الفرضى وغير واحد لكن خالفهم صاحب المسالك والممالك فذكر ان عدد المساجد بقرطبة اربعمائة مسجد وواحد وسبعون مسجدا وهو بعيد وقال قبله ان دَوْر قرطبة فى كمالها ٣٠ الف ذراع وتفسيرها باللسان القوطى القلوب المختلفة وهى بالقوطية بالظاء المشالة وقيل معنى قرطبة اجْرِ فاسكنْها قال وبقرطبة اقاليم كثيرة وكور جليلة وكانت جبايتها فى ايام الحكم بن هشام مائة الف دينار وعشرة آلاف دينار وعشرون دينارا وسبق ما يخالف هذا ومن القمح ٤ آلاف مُدْى وستمائة مدى ومن الشعير ٧ الاف مدى وستمائة

a) Al-M. حلية. b) Le Dīwān porte فاقلع. c) Les man. portent عدد. d) Les man. portent قصر.

مدى وسبعة واربعين مديا، وقال بعض العلماء احصيتُ دُور قرطبة التى بها وارباضها ايامَ ابن ابى عامر فكانت مائتَا الف دار وثلثة عشر الف دار وسبعة وسبعون دارا وهذه دور الرعيّة واما دور الاكابر والوزراء والكُتّاب والاجناد وخاصّة الملك فستّون الف دار وثلثمائة دار سوى مَصَارِى الكِراء والحمامات والخانات وعدد الحوانيت ٨٠ الف حانوت واربعمائة وخمسة وخمسون حانوتا ولما كانت الفتنة على راس المائة الرابعة غيّرتْ رسوم ذلك العُمْران، ومحتْ آثار تلك القرى والبلدان،، انتهى ملخّصا وسياتى فى رسالة الشقندى ما هو اشمل من هذا، ولمّا رقّتْ حالُ ابى القاسم عامر بن هشام القرطبى بقرطبة وزيّن له بعض اصحابه الرحلةَ الى حضرة ملك الموحّدين مراكش قال وذكر المنتزهات القرطبيّة

يا هَبّةً باكرتْ من نحو دارِينِ ... وافتْ الىّ على بُعْد تحيّينى
سرتْ a على صفحات النهر ناشرةً ... احها بين خِيرِى ونسرين
ردّتْ الى جسدى روح الحياة وما ... خِلْتَ النسيم اذا ما متُّ يُحْيينى
لولا تنسّمها من نشر ارضكم ... ما اصبحتْ من اليم الوجد تُبْرِينى
مرّتْ على عُقَدات الرمل حاملةً ... من سرّكم خبرا بالوحى يشفينى
عرفتُ من عَرْفه ما لستُ اجهله ... لما تنسّم فى تلك الميادين
نزوتُ من طرب لما هفا سَحَرًا ... وظلّ ينشرنى طورًا ويطوينى
خِلْتُ الشمال شَمُولا b اذ سكرتُ بها ... سُكْرًا بما لستُ ارجوه يمنّينى
اهدتْ الىّ اريجا من شمائلكم ... فقلتُ قرّبنى من كان يُقْصينى
وخلتُ من طمع ان اللقاء على ... اثر النسيم واضحى الشوق يحدونى
فظِلْتُ الثم من تعظيم حقّكم ... مجرّ اذيالها والوجد يُغْرِينى
مسارحٌ كم بها سرّحْتُ من كمد ... قلبى وطرفى ولا سلوانَ يثنينى
بين المصلّى الى وادى العقيق * وما ... يزال c مثل اسمه مذ d بان يُبْكينى
الى الرصافة فالمرج النضير فوا ... دى الدَّبْر فالعطف من بطحاء عَبْدُونِ
لباب عبد سقته السُحْبُ وابلَها ... فلم يزل بكؤوس الانس يسقينى
لا باعَدَ الله عينى من منازهه ... ولا يقرّب لها ابواب جَيْرُونِ

a) G. L. S. P. اسرت. b) Les man. portent شمالا. c) O. ربما ما زال. d) G. L. S. P. ان.

حاشا لها من محلّات مفارقة   مَنّ شيّق دونها فى القرب محزونِ
اين المَسِير ورزق الله أُدركه   من دون جهد وتاميل يعنّينى
يا من يزيّن لى الترحالَ عن بلدى   كم ذا تحاول نسلا عند عِنّينِ
وايـن يعدل عن ارجاء قرطبة   مَنْ شاء يظفر بالدنيا وبالدينِ
قطر فسيح ونهر ما به كدر   حفّتْ بشطّيْه أٓلْفافُ البساتينِ
يا ليت لى عُمْر نوح فى اقامتها   وانّ مالِيَ فيه كنز قارونِ
كلاهما كنتُ أُفْنِيه على نشوا   ت الراح نهبًا ووصلَ الخُرَّد العِينِ
وانما اسفى انّى اهيم بها   وانّ حظِّيَ منها حظٌّ مغبونِ
ارى بعينِيَ ما لا تستطيل يدى   له وقد حازه مَنْ قدرُه دونى
وانكَدُ الناس عيشا مَنْ تكون له   نفسُ الملوك وحالاتُ المساكينِ
يغضّ طرفَ التصابِى حين تُنْبِهته   قضبانُ نَعْمانَ في كثبان يَبْرِينِ
قالوا الكَفَافُ مقيم فلتُ ذاك لمن   لا يستخفّ[a] الى بيت الزراجينِ
ولا يبلبله هبُّ الصبا سَحَرًا   ولا يلطّفه عَرْفُ الرياحينِ
ولا يهيم بتُفّاح الخدود ورمّـ   ـان النهود[b] وترجيع التلاحينِ
لا تُجتنى راحة الا على تَعَبٍ   ولا تُنال العُلَى الا من الهُونِ
وصاحب العقل فى الدنيا اخو كدر   وانما الصفو منها للمجانينِ
يا آمرِى ان احثّ العِيسَ عن وطنى   لما رأى الرزق فيه ليس يُرْضِينى
نصحتَ لكنّ لى قلبا ينازعنى   فلو ترحّلْتُ عنه حَلّه دونى
لَأَلْزَمَنْ وطنى طورًا تطاوعنى   قُودُ الامانى وطورًا فيه تعصينى
مذلّلا بين عُرْفانى وأَضرب عن   سيرٍ لارض بها من ليس يدرينى
هذا يقول غريبٌ ساقه طمعٌ   وذاك حين أُرِيه[c] البِرّ يجفونى
اليك عنِّيَ امّا لى فبُعْدُك يد   نينى وقُرْبُك يُطْغِينى ويُغْوِينى
يا لحظ كلّ غزال لستُ املكه   يدنو وما لِيَ حال منه تُدْنِينى
وبا مدامة دَيْر لا المّ به   لولاكما كان ما أُعْطِيتُ يكفينى
لأَصْبِرنّ على ما كان من كدر   لمن عطاياه بين الكاف والنونِ

a) S. La. يستحف.   b) G. L. S. O. الصدور.   c) La. O. اريد.

وتسمّى هذه القصيدة عند اهل الاندلس كنز الادب، وقد اشرنا فى الباب الاول الى كثير مما يتعلّق بقرطبة اعادها الله الى الاسلام فأغْنَى عن اعادته وان كان ذكره هنا أَنْسَبَ لان ما تقدّم انما هو فى ذكرها مع غيرها من بلاد الاندلس وهذا الباب لها بالاستقلال، وانشد ابو العاصى غالب بن اميّة المَوْرُورى لما جلس على نهر قرطبة بازاء الربض ملتفتا الى القصر بديهةً

يا قصرُ كم حُوِّيتَ من نِعَم . عادتْ لقًى بعوارض السِكَكِ
يا قصر كم حويت من ملكٍ . دارتْ عليه دوائرُ الفلكِ
ما شيئتَ فابْقَ فكل متّخذ . يوما يعود بحال متّرِكِ

قال القاضى ابو الفضل عياض عند ارتحاله عن قرطبة

اقول وقد جدّ ارتحالى وغرّدتْ . حُداتى وزُمّتْ للفراق ركائبى
وقد غُمّضتْ من كثرة الدمع مقلتى . وصارت هواءً من فؤادى ترائبى
ولم تبقَ الا وقفة يستحثّها . وداعىَ للاحباب لا للحبائبى
رعى الله جيرانًا بقرطبة العُلَى . وجاد رُباها بالعهاد السواكبِ
وحَيّا زمانا بينهم قد الفتُه . طليقَ المحيّا مستلانَ الجوانبِ
أَاِخْوانَنا بالله فيها تذكّروا . معاهدَه جار او مودّةَ صاحبِ
غدوتُ بهم من برّهم واحتفائهم . كأنّى فى اهلى وبين اقاربى

واما مسجد قرطبة فشهرته تُغْنِى عن كثرة الكلام فيه ولْنُشِرْ من احواله الى ما لا بُدّ منه فنقول قال بعض المؤرّخين ليس فى بلاد الاسلام اعظم منه ولا اعجب بناءً واتقن صنعةً وكلّما اجتمعتْ منه ۴ سوارى كان راسُها واحدا ثم صُفّ رخام منقوش بالذهب واللازورد فى اعلاه واسفله انتهى، وكان الذى ابتدأ بنيان هذا المسجد العظيم عبد الرحمن بن معوية المعروف بالداخل ولم يُكْمَل فى زمانه وكمّله ابنه هشام ثم توالى الخلفاء من بنى اميّة على الزيادة فيه حتى صار المثل مضروبا به والذى ذكره غير واحد انه لم يزل كل خليفة يزيد على مَنْ قبله فيه الى ان كمل على يد نحو الثمانية من الخلفاء، وقال بعض المؤرّخين ان عبد الرحمن الداخل لما استقرّ امرُه بنى القصر بقرطبة وبنى المسجد الجامع وانفق عليه ٨٠ الف دينار وبنى

a) On trouve cette leçon dans le *Kalāyid*; les man. d'al-M. portent مودة.

بقرطبة الرُصافةَ تشبيهًا برصافة جدّه هشام بدمشق، وقال بعض انه انفق على الجامع ٨٠ الف دينار واشترى موضعَه اذ كان كنيسة بمائة الف دينار فالله اعلم، وقال بعض فى ترجمة عبد الرحمن الداخل ما صورتُه انه لما تمهّد ملكه شرع فى تعظيم قرطبة فجدّد مغانيها وشيّد مبانيها وحصّنها بالسور وابتنى قصر الامارة والمسجد الجامع ووسّع فناءه واصلح مساجد الكور ثم ابتنى مدينة الرصافة متنزّهًا له واتّخذ بها قصرا حسنا وجنانا واسعة نقل اليها غرائب الغراس وكرائم الشجر من بلاد الشام وغيرها من الاقطار انتهى، وكانت اخته أمّ الاصبغ ترسل اليه من الشام بالغرائب مثل الرمّان العجيب الذى ارسلته اليه من دمشق الشام كما مرّ وسياتى كلام ابن سعيد بما هو اتمّ من هذا، ولما ذكر ابن بشكوال زيادة المنصور بن ابى عامر فى جامع قرطبة قال ومن احسن ما عايَنَه الناسُ فى بنيان هذه الزيادة العامريّة أَعْلاجُ النصارى مصفّدين فى الحديد من ارض قشتالة وغيرها وهم كانوا يتصرّفون فى البنيان عوضًا من رَجّالة المسلمين اذْلالًا للشرك وعزّةً للاسلام ولما عزم على زيادته هذه جلس لارباب الدُور التى نقلُ اصحابها عنها بنفسه فكان يُوتَى بصاحب المنزل فيقول له ان هذه الدار التى لك يا هذا أُريد ابتياعها[a] لجماعة المسلمين من مالهم ومن فَيْئهم لازيدها فى جامعهم وموضع صلاتهم فشَطِّطْ واطلُبْ ما شئتَ فاذا ذكر له اقصى الثمن امر ان يُضاعَف له وان تُشترى له بعد ذلك دارٌ عوضًا منها حتى أُتِىَ بامرأة لها دار بصحن الجامع فيها نخلة فقالت لا اقبل عوضا الا دارا بنخلة فقال * تُبتاع لها دار[b] بنخلة ولو ذهب فيها بيتُ المال فاشتُريتْ لها دار بنخلة وبُولِغ فى الثمن وحكى ذلك ابن حيّان ايضا، وقيل ان انفاق[c] الحكم فى زيادة الجامع كان مائة الف وواحدا وستين الف دينار ونيفا[d] وكله من الاخماس، وقال صاحب كتاب مجموع المفترق كان سقف البلاط من المسجد الجامع من القبلة الى الجوف قبل الزيادة ٢٢٥ ذراعا والعرض من الشرق الى الغرب قبل الزيادة مائة ذراع وخمس اذرع ثم زاد الحكم فى طوله مائة ذراع وخمس اذرع فكمّل الطول ثلثمائة ذراع وثلثين ذراعا وزاد محمد بن ابى عامر بامر هشام بن الحكم فى عرضه من جهة المشرق ٨٠ ذراعا فتمّ العرض مائتَىْ ذراع وثلثين ذراعا وكان عدد بلاطاته ١١ بلاطا عرضُ اوسطها ١٦

a) La. O. ان ابتاعها. b) La. O. نبتاع لها دارا, et un peu plus loin فاشترى لها دارا.
c) G. L. ايقاف. d) Les man. portent ونيف.

ذراعا وعرض كل واحد من اللذَيْن يليانه غربًا واللذين يليانه شرقًا ١٤ ذراعا وعرض كل واحد من الستّة الباقية ١١ ذراعا وزاد ابن ابى عامر فيه ثمانيةً عرضُ كل واحد ١٠ اذرع وكان العمل فى زيادة المنصور سنتَيْن ونصفا وخدم فيه بنفسه وطول الصحن من المشرق الى المغرب مائة ذراع وثمان وعشرون ذراعا وعرضه من القبلة الى الجوف مائة ذراع وخمس اذرع وعرض كل واحدة من السقائف المستديرة بصحنه ١٠ اذرع فتكسيره ثلثة وثلثون الف ذراع ومائة وخمسون ذراعا وعدد ابوابه ٩ ثلثةٌ فى صحنه غربا وشرقا وجوفا واربعة فى بلاطاته ٢ شرقيّان واثنان غربيان وفى مقاصر النساء من السقائف بابان وجميع ما فيه من الاعمدة الف عمود ومائتا عمود وثلثة وتسعون عمودا رخاما كلها وباب مقصورة الجامع ذهب وكذلك جدار المحراب وما يليه قد أُجرى فيه الذهب على الفسيفسا وثريّات المقصورة فضة محضة وارتفاع الصومعة اليومَ وهى من بناء عبد الرحمن بن محمد ٧٣ ذراعا الى اعلى القبة المفتّحة التى يستدير بها المؤذّن وفى راس هذه القبة تفافيح ذهب وفضة ودور كل تفّاحة ٣ اشبار ونصف فاثنان من التفافيح ذهب ابريز وواحدة فضة وتحت كل واحدة منها وفوقها سوسنة قد هُندست بابدع الصنعة ورمانة ذهب صغيرة على راس الزُجّ وهى احدى غرائب الارض وكان بالجامع المذكور فى بيت منبره مصحف عثمن رضه الذى خطّه بيده وعليه حلية ذهب مكلّلة بالدرّ والياقوت وعليه أغْشية الديباج وهو على كرسىّ العود الرطب بمسامير الذهب، رجع الى المنارة وارتفاع المنارة الى مكان الاذان ٥٤ ذراعا وطول كل حائط من حيطانه على الارض ١٨ ذراعا، انتهى بحروفه وفيه بعض مخالفة لما ذكره ابن الفرضى وبعضهم اذ قال فى ترجمة المنصور بن ابى عامر ما صورته وكان من اخبار المنصور الداخلة فى ابواب الخير والبرّ والقربة بنيان المسجد الجامع والزيادة فيه سنة ٣٧٧ وذلك انه لما زاد الناس بقرطبة وانجلب اليها قبائل البربر من العدوة وافريقية وتناهى حالها فى الجلالة ضاقت الارباض وغيرها وضاق المسجد الجامع عن جمل الناس فشرع المنصور فى الزيادة بشرقيّه حيث تتمكّن الزيادة لاتّصال الجانب الغربى بقصر الخلافة فبدأ ابن ابى عامر هذه الزيادة على بلاطات تمتدّ طولا من اول المسجد الى آخره وقصد ابن ابى عامر فى هذه الزيادة المبالغةَ فى الاتقان والوثاقة دون الزخرفة ولم يقصّر مع هذا عن سائر الزيادات جودةً ما عدا زيادةَ الحكم واول ما عمله ابن ابى عامر تطييب نفوس ارباب الدُور الذين

اشتُريت منهم للهدم لهذه الزيادة بأضعافهم من الثمن وصنع فى صحنه الجُبّ العظيم قدْره الواسع فناؤه وهو اعنى ابن ابى عامر هو الذى رتّب احراق الشمع بالجامع زيادةً للزيت فتطابق بذلك النوران وكان عدد سوارى الجامع الحاملة لسمائه واللاصقة بمبانيه وقبابه ومناره بين كبيرة وصغيرة الف سارية واربعمائة سارية وسبع عشرة سارية وقيل اكثر وعدد ثريّات الجامع ما بين كبيرة وصغيرة ٢٨٠ ثريّا وعدد الكؤوس سبعة آلاف كاس واربعمائة كاس وخمس وعشرون كاسا وقيل عشرة آلاف وثمانمائة وخمس كؤوس وزِنَةُ مشاكى الرصاص للكئوس المذكورة ١٠ ارباع او نحوها وزِنَةُ ما يحتاج اليه من الكتّان للفتائل فى كل شهر رمضان ٣ ارباع القنطار وجميع ما يُحتاج اليه الجامع من الزيت فى السنة ٥٠٠ ربع او نحوها يُصرف منه فى رمضان خاصّةً نحو نصف العدد ومما كان يُختصّ برمضان المعظم ٣ قناطير من الشمع وثلثة ارباع القنطار من الكتّان المقطّن لاقامة الشمع المذكور والكبيرة من الشمع التى توخذ بجانب الامام يكون وزنها من ٥٠ الى ٦٠ رطلا يحترق بعضها بطول الشهر ويعمّ الحرق لجميعها ليلةَ الختمة وكان عدد من يخدم الجامع المذكور بقرطبة فى دولة ابن ابى عامر ويتصرّف فيه من ائمّة ومُقْرِئين وأُمناء ومؤذّنين وسَدَنة ومُوقدين وغيرهم من المتصرّفين ١٥٩ شخصا ويوقد من البخور ليلةَ الختمة ٤ اواقى من العنبر الاشهب وثمانى اواقى من العود الرطب انتهى، وقال بعض المؤرّخين كان للجامع كل جمعة رطل عود وربع رطل عنبر يتبخّر به انتهى، وقال ابن سعيد نقلا عن ابن بشكوال طول جامع قرطبة الاعظم الذى هو بداخل مدينتها من القبلة الى الجوف ٣٣٠ ذراعا الصحن المكشوف عنه ٨٠ ذراعا وغير ذلك مقرمد وعرضه من الغرب الى الشرق ٢٥٠ ذراعا وعدد ابهائه عند اكتمالها بالشماليّة التى زادها المنصور بن ابى عامر بعد هذا ١٩ بهوا وتسمّى البلاطات وعدد ابوابه الكبار والصغار ٢١ بابا فى الجانب الغربى ٩ ابواب منها واحد كبير للنساء يُشْرَع الى مقاصيرهن وفى الجهة الشرقيّة ٩ ابواب منها لدخول الرجال ٨ ابواب وفى الجهة الشماليّة ٣ ابواب منها لدخول الرجال بابان كبيران وباب لدخول النساء الى مقاصيرهن وليس لهذا الجامع فى القبلىّ سوى باب واحد بداخل المقصورة المتّخذة فى قبلته متّصل بالساباط المُفْضى الى قصر الخلافة منه كان السلطان يخرج من القصر الى الجامع لشهود الجمعة وجميع هذه الابواب مُلْبَسة بالنحاس الاصفر باغرب صنعة وعدد سوارى هذا المسجد الجامع

الحاملة لسمائه والملصقة *a* بمبانيه وقبابه ومناره وغير ذلك من اعمالة بين كبار وصغار الف واربعمائة سارية وتسع سوارى منها بداخل المقصورة ١١٩ *b*سارية وذكر المقصورة البديعة التى صنعها الحكم المستنصر فى هذا الجامع فقال انه خطر بها على ٥ بلاطات من الزيادة الحَكَمِيّة واطلف حفافَيْها *b* على الستة الباقية *c* ٣ من كل جهة فصار طولها من الشرق الى الغرب ٧٥ ذراعا وعرضها من جدار الخشب الى سور المسجد بالقبلة ٢٢ ذراعا وارتفاعها فى السماء الى حدّ شرفاتها ٨ اذرع وارتفاع كل شرفة ٣ اشبار ولهذه المقصورة ٣ ابواب بديعة الصنعة عجيبة النقش شارعة الى الجامع شرقى وغربى وشمالى ثم قال وذرع المحراب فى الطول من القبلة الى الجوف ٨ اذرع ونصف وعرضه من الشرق الى الغرب ٧ اذرع ونصف وارتفاع قبوه فى السماء ١٣ ذراع ونصف والمنبر الى جنبه مؤلّف من اكارم الخشب ما بين ابنوس وصندل ونبع وبقّم وشوحط وما اشبه ذلك ومبلغ النفقة فيه ٣٥ الف دينار وسبعمائة دينار وخمسة دنانير وثلثة دراهم وثُلْث درهم وقيل غير ذلك وعدد درجه ٩ درجات صنعةُ الحكم المستنصر رحّه وذكر ان عدد ثريّات الجامع التى تُسْرَج فيها المصابيح بداخل البلاطات خاصّةً سوى ما منها على الابواب ٢٢٤ ثريّا جميعها من لاطون مختلفة الصنعة منها ٤ ثريّات كبار معلّقة فى البلاط الاوسط اكبرها الضخمة المعلّقة فى القبّة الكبرى التى فيها المصاحف حيالَ المقصورة فيها من السُرُج فيما زعموا الف *c* واربعة وخمسون تُستوقد هذه الثريّات الضخام فى العشر الآخر من شهر رمضان تُسْقَى كل ثريّا منها ٧ ارباع فى الليلة وكان مبلغ ما يُنْفَق من الزيت على جميع المصابيح فى هذا المسجد فى السنة ايامَ تمام وقوده فى مدة ابن ابى عامر مكملةً بالزيادة المنسوبة الف ربع منها فى شهر رمضان ٧٥٠ ربعا قال وفى بعض التواريخ القديمة كان عدد القَوَمة بالمسجد الجامع بقرطبة فى زمن الخلفاء وفى زمان ابن ابى عامر ٣٠٠ انتهى وفيه مخالفة لبعض ما تقدّم، وذكر بعضهم الزيت ولكن قوله أَوْلَى بالاتّباع لنقله عن ابن بشكوال ولمعرفة ابن سعيد بمثل هذا وتحقيقه فيه اكثرَ من غيره والله اعلم فقال الف ربع وثلثون ربعا منها فى رمضان خمسمائة ربع وفى الثريّات التى من الفضة وهى ثلثة *d* ٧٢ رطلا لكل واحدة ١٨ فى ليلة وقدها وقال فى المنبر انه مركّب من

a) La. O. والملاصقة. b) La. O. الحفافية. c) La. et O. ajoutent واربعمائة. d) Lisez اربعة (72 = 18 × 4).

٣٦ الف وُصْل قام كل واحد منهل بسبعة دراهم فضة وسُمّرت بمسامير الذهب. والفضة وفى بعضها نفيس الاحجار واتّصل العمل فيه تسعة a ثم قال ودور الثريّا العظيمة ٥٠ شبرا وتحتوى على الف كاس واربعة وثمانين كلها موشّاة بالذهب الى غير ذلك من الغرائب، وكتب الفقيه الكاتب ابو محمد ابرهيم بن صاحب الصلاة الوَلْبَنى يصف جامع قرطبة بما نصّه عمّر الله بشمول السعادة رسمَك، ووفّر من جزيل الكرامة قسمَك،، ولا برحتْ سحائبُ الانْعام تهمى عليك ثرّةً، وانامِلُ الايام تهدى اليك كل مسرّة،، لئن كان اعزّك الله طريق الوداد بيننا عامرا، وسبيل * الاتّحاد b غامرا،، الواجبُ ان نفضّ خُتْمه، ونرفض كُتْمه،، لا سيّما فيما يُدِرّ أَخْلاقَ الفضائل، ويهزّ اعطاف الشمائل،، وانّى شخصتُ الى حضرة قرطبة حرسها الله منشرحَ الصدر، لحضور ليلة القدر،، والجامع قدّس الله بقعته ومكانَه، وثبّت اساسه واركانَه،، قد كُسِىَ ببردة الازدهاء، وجُلِىَ فى مِعْرَض البهاء،، كانّ شرفاته فلولٌ فى سِنان، او أُشَرٌ فى أَسْنان،، وكانّما ضُربت على سمائه كِلَل، وخُلعت على ارجائه حُلَل،، وكانّ الشمس قد خلّفتْ فيه ضياءها، ونسجت على اقطاره افياءها،، فترى نهارا قد احدق به ليل، كما احدق بربوةٍ سيل،، ليل دامس، ونهار شامس،، وللذُبال تألُّق كتَضَنْضُنة الحيّات، او اشارة السّبّابات فى التحيّات،، قد أُترعت من السليط كؤوسُها، ووُصلت بمحاجن الحديد رؤوسُها،، ونِيطت بسلاسل كالجذوع القائمة، او كالثعابين العائمة،، عُصبت بها تُفّاح من الصُفْر، كاللُّقّاح الصُفْر،، وبُولِغ فى صقلها وجلائها، حتى بهرت بحسنها ولالائها،، كانّما جُليت باللهب، وأُشربت ماء الذهب،، ان سامَتَّها طولا رايتَ منها سبائك عسجد، او قلائد زبرجد،، وان جيتَها عرضا رايتَ منها افلاكا ولكنّها غير دائرة، ونجوما ولكنّها ليست بسائرة،، تتعلّق تعلُّقَ القُرْط من الذِفْرَى، وتبسط شعاعَها بسطَ الاديم حين يُفْرَى،، والشمع قد رُفعت على المنار رفعَ البنود، وعُرِضت عليها عرضَ الجنود،، ليجتلى طلاقةَ رُوائها القريبُ والبعيد، ويستوى فى هداية ضيائها الشقىُّ والسعيد،، وقد قُوبِل منها مبيضّ بمحمرّ، وعُورِض مخضرّ بمصفرّ،، تضحك ببكائها وتبكى بضحكها، وتهلك بحياتها وتحيى بهلكها،، والطيب تفغم c افواحه،

---

a) On doit probablement ajouter سنين. b) Dans G. et P. il y a ici une lacune, que j'ai remplie d'après L.; S. الاخلاص, La. O. المحبة. c) Les man. portent تفعم.

وتتنسّم ارواحَه،، وقتار الالنجوج والندّ يسترجع من روح الحياة *ما ....a فى * صفوف مَجامِر، ككعوب مُقامِر،، وظهور القباب مؤلّلةb، وبطونها مهلّلةc،، كانها تيجان، رُصّع فيها ياقوت ومَرْجان،، قد قُوّس محرابُها احكمَ تقويس، ووُشم بمثل ريش الطواويس،، حتى كانه بالمجرّة مقرطَق، وبقوس قُزَح ممنطَق،، وكانّ اللازورد حول وشومه، وبين رسومه،، نُتَف من قوادم الحَمام، او كِسَف من ظلل الغمام،، والناس أخياف فى دواعيهم، واوزاع فى اغراضهم ومَراميهم،، بين رُكّع وسُجّد، وأيقاظ وهُجّد،، ومزدحم على الرقاب يتخطّاها، ومقتحم على الظهور يتمطّاها،، كانهم بَرَد خلالَ قَطْر، او حروف فى عروضd سطر،، حتى اذا قرعت اسماعَهم روعةُ التسليم، تَهادَروا بالتكليم،، وتَجاذَبوا بالاثواب، وتساقَوْا بالاكواب،، كانهم حُضورٌ طال عليهم غياب، او سَفْرٌ أُتيح لهم اياب،، وصفيُّك مع اخوان صِدْق، تنسكب العلوم بينهم انسكابَ الوَدْق،، فى مكان كوَكْر العصفور، استغفر الله او كَكِناس اليعفور،، كانّ اقليدس قد قسم بيننا مساحتَه بالموازين، وارتبطنا فيه ارتباطَ البيادق بالفرازين،، حتى صار عقدُنا لا يُحَلّ، وحدُّنا لا يُفَلّ،، بحيث نسمع سُوَرَ التنزيل كيف تُتْلَى، ونتطلّع صُوَرَ التفصيلe كيف تُجْلَى،، والقَوَمة حوالَيْنا يجهدون فى قطع الضَرَر، ويعمدون الى قرع العُمُد بالدِرَر،، فاذا سمع بها الصبيان قد طبقت الخافقَيْن، وسرتْ بعدهمf سُرَى القَيْن،، توهّموا انها الى اعطافهم واصلة، وفى اقحافهم حاصلة،، ففرّوا بين الاساطين، كما تفرّ من النجوم الشياطين،، كانما ضربهم ابو جهم بعصاه، او حصبهم عُمَيْر بن ضابئٍg بحصاه،، فاكرِمْ بها من مساعٍ تشوق الى جنّة الخُلْد، وتُهوّن فى السعى اليها انفاقَ الطوارف والتُلْد،، تعظيما لشعائر الله، وتنبيها لكل ساه ولاه، حكمة تشهد لله تع بالربوبيّة، وطاعة تذلّ لها كل نفس ابيّة،، فلم أَرَ ادامَ اللهُ عزّك منظرا منها أَبْهَى، ولا مخبرا أَشْهَى،، وان لم تتأمّلْه عِيانا، فتخيّلْه بيانا،، وان كان حظُّ منطقى من الكلام، حظَّ السفيحh من الأَزْلام،، لكن ما بيننا من مودّة اكّدْناi وسائلَها، وانمّةj تقلّدْنا حمائلَها،، يُوجِب قبولَ اِتحافى سمينًا وغثّا، ولُبْسَ اِلطافى جديدًا ورَثّا،، لا زلتَ لزناد النبل

a) L. وهو مزجوج واقيمت فى, La. O. ما كان تقاصر فى. b) S. مكللة. c) O. ظل, G. L. P. طلل. d) P. S. O. عرض. e) G. L. P. S. التفصيل. f) La. O. S. نحوهم. g) G. L. S. صابى, La. O. صاق. h) S. السنبح, G. L. P. La. O. السفح. i) L. اتلدنا, G. P. اسلابنا (sic), S. املدنا. j) G. L. P. واذفة, S. وادنة, La. O. واذنت.

مُوريا، والى آماد الفصل مُجْرِيا،» والتحيّة العَبِقة الرَيّا، المُشْرِقة المحيّا، عليك ما طلع قمر، واينع ثمر،» ورحمة الله وبركاته انتهى، وذكر ابن بشكوال ان الحكم المستنصر هدم المِيضأة العديمة التى كانت بفناء الجامع يُستقى لها الماء من بير السانية وبنى موضَعها ٤ ميضآت فى كل جانب من جانبَي المسجد الشرقى والغربى منها ثنتان كُبْرَى للرجال وصُغْرَى للنساء أُجرى فى جميعها الماء فى قناة اجتلبها من سفح جبل قرطبة الى ان صبّتْ ماءها فى احواض رخام لا ينقطع جريانُه الليلَ والنهارَ واجرى فضلُ هذا الماء العذب الى سقايات اتّخذهن على ابواب هذا المسجد بجهاته الثلث الشرقية والغربية والشمالية اجراها هنالك الى ٣ جوابى من حياض الرخام استقطعها بمقطع المنستير[a] بسفح جبل قرطبة بالمال الكثير والقوهاة[b] الرّخامون هنالك واحتفروا اجوافها بمناقيرهم فى المدّة الطويلة حتى استوتْ فى صورها البديعة لأَعْيُن الناس فخفّف ذلك من ثقلها وامكن من اهْباطها الى اماكن نصبها باكناف المسجد الجامع وامدّ الله على ذلك بمعونته فتهيّأ حمل الواحدة منها فوق عجلة اتُّخذت من ضخام خشب البلّوط على فَلْك مُوثّقة بالحديد المثقّف محفوفة بوثاق الحبال قُرِن لجرّها ٧٠ دابّة من اشدّ الدوابّ وسُهّلت قدّامها الطُرُق والمسالك وسهّل الله حملها واحدةً بعد اخرى[c] على هذه الصفة فى مدّة ١٢ يوما فنُصبت فى الاقباء المعقوده لها قال وابتنى المستنصر فى غربىّ الجامع دار الصَدَقه واتّخذها معهدا لتفريق صدقاته المتوالية وابتنى للفقراء البيوت قبالةَ باب المسجد الكبير الغربى انتهى، واعلم انه لعظم امرِ قرطبة كان عملها حُجّةً بالمغرب حتى انهم يقولون فى الاحكام هذا مما جرى به عملُ قرطبة وفى هذه المسئلة نِزاع كثير ولا باس ان نذكر ما لا بُدَّ منه من ذلك، قال الامام ابن عَرَفة رحه فى اشتراط الامام على القاضى الحُكْمَ بمذهب معيّن وانْ خالَف معتقَدَ المشترَط اجتهادًا وتقليدًا ٣ اقوال الصحّةُ للباجى وعملِ[d] اهل قرطبة ولظاهر شرط سَحْنُون على مذهبِ[e] من ولّاه الحكمَ بمذهب اهل المدينة قال المازَرى مع احتمال كون الرجل مجتهدًا الثانى البطلانُ للطرطوشى اذ قال فى شرط اهل قرطبة هذا جَهل عظيم الثالث تصحّ التولية ويبطل الشرط تجريحا[f] على احد الاقوال فى الشرط الفاسد فى البيع للمازرى عن بعض الناس انتهى مختصرا، قال

a) La. O. المستنير , S. المنسبير , G. L. النستبر. b) G. S. والقوه , S. P. La. O. والقوة. c) La. O. واحدة. d) La. O. ولعمل. e) La. O. وبذهب. f) P. S. O. تخريجا.

ابن غازى ان ابن عرفة تسميه بالطرطوشى البطلان مطلقا وابن شاس انما نسب له التفصيل a انتهى، ولما ذكر b مولاى الجدّ الامام قاضى القضاة بفاس سيدى ابو عبد الله المقّرى التلمسانى فى كتابه القواعد شرط اهل قرطبة المذكور قال بعده ما نصّه وعلى هذا الشرط ترتّب ايجابُ عمل القضاة بالاندلس ثم انتقل للى المغرب فبينا c نحن ننازع الناس فى عمل المدينة ونصيح باهل الكوفة مع كثرة مَنْ نزل بها من علماء الأمّة كعلىّ وابن مسعود ومن كان معهما .

ليس التكحّل فى العينيّن كالكحل   سنح لنا d بعض الجمود ومعدن التقليد

الله اخّر مدّتى فتأخّرتْ   حتى رايتُ من الزمان عجائبا

يا لله وللمسلمين ذهبتْ قرطبة واهلُها، ولم يبرح من الناس جهلُها،، ما هذا الّا لان الشيطان يسعى فى محو الحقّ فيُنْسيه، والباطل لا يزال يلقنه ويُلْقيه،، ألا ترى خصال الجاهليّة كالنياحة والتفاخُر والتكاثُر والطعن والتفضيل والكهانة والنجوم والخطّ والتشاؤم وما اشبَهَ ذلك واسماءها كالعتمة e ويثْرب وكذا التنابُز بالالقاب وغيره مما نُهى عنه وحُذّر منه كيف لم تزل من اهلها وانتقلت الى غيرهم مع تيسّر امرها حتى كانهم لا يرفعون بالدين راسا، بل يجعلون العادات القديمة اسّا،، وكذلك محبّة الشعر والتلحين f والنسب وما انخرط فى هذا السلك ثابتة الموقع من القلوب والشرعُ فينا منذ سبعمائة عام وسبع وستين سنة لا نحفظه الّا قولا، ولا نحمله الّا كَلّا،، انتهى، وقال الحافظ ابن غازى بعد ذكر كلام مولاى الجدّ ما نصّه وحدّثنى ثقة ممن لقيتُ انه لما قدم مدينة فاس العلّامة ابو يحيى الشريف التلمسانى وتصدّى لاقراء التفسير بالبلد الجديد وامر السلطان ابو سعيد المرينى الحفيد اعيانَ الفقهاء بحضور مجلسه كان مما القاه اليهم g منزع المقّرى هذا فبالغوا فى انْكاره وراوا انه معول h عمّا عوّل عليه زعماء الفقهاء كابن رُشد واصحاب الوثائق المتبطى من اعتماد عمل اهل قرطبة ومن معناهم انتهى، وقال بعض المورّخين حين ذكر قرطبة ما ملخّصه هى قاعدة بلاد الاندلس ودار الخلافة الاسلاميّة وهى مدينة عظيمة واهلها اعيان البلاد وسَراة الناس فى حسن المآكل والملابس والمراكب وعلوّ الهِمَم وبها

a) G. L. التفضيل. b) Ce mot manque dans S. et O. c) La. O. فبينما. d) La. O. لى. e) La. كالقسمة. f) G. L. P. S. والتاخير. g) La. O. عليهم. h) Je crois qu'on doit lire معدل.

اعلام العلماء وسادات الفضلاء واجلاد الغزاة وانجاد الحروب وهى فى تقسيمها ٥ مدن يتلو بعضها بعضا وبين المدينة والمدينة سور عظيم حصين حاجز وكل مدينة مستقلة بنفسها وفيها ما يكفى اهلها من الحمامات والاسواق والصناعات وطول قرطبة ٣ اميال فى عرض ميل واحد وهى فى سفح جبل مطلّ عليها وفى مدينتها الثالثة وهى الوسطى القنطرة والجامع الذى ليس فى معمور الارض مثله وطوله مائة ذراع فى عرض ٨٠ وفيه من السوارى الكبار الف سارية وفيه ١١٣ ثريّا للوقود اكبرها تحمل الف مصباح وفيه من النقوش والرقوم ما لا يقدر احد على وصفه وبقبلته صناعات تدهش العقول وعلى فرجة ª المحراب ٧ قسىّ قائمة على عُمُد طولُ كل قوس فوق القامة قد تحيّر الروم والمسلمون فى حسن وضعها وفى عضادتى المحراب ٤ اعمدة اثنان اخضران واثنان لازورديّان ليس لها قيمة لنفاستها وبه منبر ليس على معمور الارض مثله فى حسن صنعته وخشبه ساج وابنوس ᵇ وعود قاقلىّ ويُذكر فى تاريخ بنى اميّة انه أُحكم عمله ونقشه فى ٧ سنين وكان يعمل فيه ٨ صنّاع لكل صانع فى كل يوم نصف مثقال محمّدىّ فكان جملة ما صُرف على المنبر لا غيرُ ١٠ آلاف مثقال وخمسين مثقالا وفى الجامع حاصل كبير ملآن من آنية الذهب والفضة لاجل وقوده وبهذا الجامع مصحف يقال انه عثمانىّ وللجامع ٢٠ بابا مصفّحات بالنحاس الاندلسى مخرّمة تخريما عجيبا بديعا يُعجز البَشَرَ ويبهرهم وفى كل باب حلقة فى نهاية الصنعة والحكمة وبه الصومعة العجيبة التى ارتفاعها مائة ذراع بالمكّىّ المعروف بالرشاشىّ وفيها من انواع الصنائع الدقيقة ما يعجز الواصفُ عن وصفه ونعته وبهذا الجامع ٣ اعمدة حُمْر مكتوب على الواحد اسم محمد وعلى الآخر صورة عصى موسى واهل الكهف وعلى الثالث صورة غراب نوح والجميع خلقة ربّانيّة واما القنطرة التى بقرطبة فهى بديعة الصنعة عجيبة المرأى فاقت قناطر الدنيا حسنا وعدد قسيّها ١٧ قوسا سعةُ كل قوس منها ٥٠ شبرا وبين كل قوسين ٥٠ شبرا وبالجملة فمحاسن قرطبة اعظم من ان يحيط بها وصفٌ انتهى وهو وان تكرّر بعضه مع ما قدّمْتُه ᶜ فلا يخلو من فائدة زائدة والله الموفّق وما ذكره فى طول المسجد وعرضه مخالف لما مرّ ويُمْكن الجوابُ بان هذا الذراع اكبر من ذلك كما اشار اليه هو فى امر الصومعة

a) La. O. فرجة. b) La. et O. ajoutent ورقم. c) La. O. تقدم.

وكذا ما ذكره فى عدد السوارى الّا ان يقال ما تقدّم باعتبار الصغار والكبار وهذا العدد الذى ذكره هذا انما هو للكبار فقط كما صرّح به والله اعلم، واما الثريّات فقد خالف فى عددها ما تقدّم مع ان المتقدّم هو قول ثقات مؤرّخى الاندلس ونحن جلبنا النقل من مواضعه وإن اختلفت طُرُقه ومضمونانه، وقال فى المُغْرِب عند تعرُّضه لذكر جامع قرطبة ما نصّه اعتمدتُ فيما انقله فى هذا الفصل على كتاب ابن بشكوال فقد اعتنى بهذا الشان اتمّ اعتناء واغنى عن الاستطلاع الى كلام غيره، عن الرازى انه لما افتتح المسلمون الاندلس امتثلوا ما فعله ابو عُبيدة بن الجرّاح وخالد ابن الوليد عن راى عمر رضّه بالشام من مُشاطرة الروم فى كنائسهم مثل كنيسة دمشق وغيرها مما اخذوه صلحًا فشاطَرَ المسلمون اعاجمَ قرطبة كنيستَهم العظمى التى كانت داخلَ مدينتها تحت السور وكانوا يسمونها شنت a بِنْجَنْت وابتنوا فى ذلك الشطر مسجدا جامعا وبقى الشطر الثانى بايدى النصارى وهُدمت عليهم سائر الكنائس بحضرة قرطبة واقتنع المسلمون بما فى ايديهم الى ان كثروا وتزيّدت عمارة قرطبة ونزلها امراء العرب فضاق عنهم ذلك المسجد وجعلوا يعلّقون منه سقيفة بعد سقيفة يستكنون بها حتى كان الناس ينالون فى الوصول الى داخل المسجد الاعظم مشقّةً لتلاصُق تلك السقائف وقِصَر ابوابها وتطامُن سقفها حتى ما يُمْكِن اكثرَهم القيامُ على اعتدال لتقارُب سقفها من الارض لم يزل المسجد على هذه الصفة الى ان دخل الامير عبد الرحمن بن معوية المروانى الى الاندلس واستولى على امارتها وسكن دار سلطانها قرطبة وتمدّنتْ به فنظر فى امر الجامع وذهب الى توسعته واتقان بنيانه فاحضر اعاظم النصارى وسامَهم بيعَ ما بقى بايديهم من كنيستهم لصقb الجامع ليُدْخله فيه واوسع لهم البذلَ وفاء بالعهد الذى صُولحوا عليه فابَوْا من بيع ما بايديهم وسألوا بعد الجدّ بهم ان يُباحوا بناء كنائسهم التى هُدمت عليهم بخارج المدينة على ان يتخلّوْا للمسلمين عن هذا الشطر الذى طُولبوا به فتمّ الامر على ذلك وكان ذلك سنة ١٦٨ ثم ابتنى عبد الرحمن عند ذلك المسجد الجامع على صفة ذَكَرَها لا حاجةَ فى تفسير الزيادات فيه وانما الحاجة فى وصفه بكمله وفى بنائه لهذه الزيادة يقول دحية بن محمد البلونى فى قصيدة

a) La. سنت, O. نست, L. بسنت, G. نبسنت, S. تسنت. b) G. L. لصف, S. نصف.

وانفق فى دين الاله ووجهه   ثمانين الفا من لُجَيْن وعسجد
توزّعها فى مسجد اسّه التّقى   ومنهاجه دين النبىّ محمد
ترى الذهب النارىّ فوق سموكه   يلوح كبرق العارض المتوقّد

قال وكمل سنة ١٧٠ ه ثم ذكر زيادة ابنه هشام الرضى وما جدّده فيه وانه بناه من خُمْس فىء اربونة ثم زيادة ابنه عبد الرحمن الاوسط لما تزايد الناس قال وهلك قبل ان يتمّ الزخرفة فاتمّها ولده محمد بن عبد الرحمن ثم رمّ المنذر بن محمد ما وَهِىَ منه وذكر ما جدّده خليفتُهم الناصر ونقضه للصومعة الاولى وبنيانه للصومعة العظيمة قال ولما ولى الحكم المستنصر بن الناصر وقد اتّسع نطاقُ قرطبة وكثر اهلها وتبيّن الضيق فى جُامعها لم يقدّم شيئا على النظر فى الزيادة فبلغ الجهد وزاد الزيادة العظمى قال وبها كملت محاسن هذا الجامع وصار فى حدّ يحسر الوصفُ عنه وذكر حضورَه لمشاوَرة العلماء فى تحريف القبلة الى نحو المشرق حسبما فعله والده الناصر فى قبلة جامع الزهراء لان اهل التعديل يقولون بانحراف قبلة الجامع القديمة الى نحو الغرب فقال له الفقيه ابو ابرهيم يا امير المومنين انه قد صلّى الى هذه القبلة خيارُ هذه الامّة من اجدادك الائمّة وصلحاء المسلمين وعلمائهم منذ افتتحت الاندلس الى هذا الوقت مُوتسيين[b] باول مَنْ نصبها من التابعين كموسى ابن نصير وحَنَش الصنعانى وامثالهم رحمهم وانما فضل مَنْ فضل بالاتّباع، وهلك مَنْ هلك بالابتداع،، فاخذ الخليفة برايه وقال نِعمّا قلتَ وانما مذهبى[d] الاتّباع، قال ابن بشكوال ونقلتُ من خطّ امير المومنين المستنصر ان النفقة فى هذه الزيادة وما اتّصل بها انتهت الى مائتى الف دينار واحد[e] وستين الف دينار وخمسمائة دينار وسبعة وثلثين دينارا ودرهمين ونصف، ثم ذكر الصومعة نقلا عن ابن بشكوال فقال امر الناصر عبد الرحمن بهدم الصومعة الاولى سنة ٣٤٠ واقام هذه[f] البديعة فاحتفر فى اساسها حتى بلغ الماء مدّةً من ٤٣ يوما ولما كملت ركب الناصر اليها من مدينة الزهراء وصعد فى الصومعة من احد دَرَجَيْه ونزل من الثانى ثم خرج الناصر وصلى ركعتَيْن فى المقصورة وانصرف، قال وكانت الاولى ذات مطلع واحد فصيّر لهذه مطلعَيْن فصل بينهما البناء فلا يلتقى الراقون فيها الا باعلاها تزيّد مراقى كل مطلع

a) La. O. ١٧٧. b) La. O. شان. c) La. O. متاسيين. d) G. L. S. مذهبه, La. مذهبنا
e) Ce mot manque dans G. et L. f) La. et O. ajoutent الصومعة.

منها على مائة سَبْعًا قال وخبر هذه الصومعة مشهور فى الاندلس وليس فى مساجد المسلمين صومعة تعدلها قال ابن سعيد قال ابن بشكوال هذا لانه لم يرّ صومعة مرّاكش ولا صومعة اشبيلية اللتين بناهما المنصور من بنى عبد المومن فهما اعظم واطول لانه ذكر ان طول صومعة قرطبة الى مكان موقف المؤذّن ٥٤ ذراعا والى اعلى الرمّانة الاخيرة باعلى الزُجّ ٧٣ ذراعا وعرضها فى كل تربيع منها ١٨ ذراعا وذلك ٧٢ ذراعا قال ابن سعيد وطول صومعة مراكش ١١٠ اذرع وذكر ان صومعة قرطبة بصخام الحجارة القطعيّة a منجّدة غايةَ التنجيد وفى اعلى ذروتها ٣ شمسات يسمّونها رمّانات b مُلْصَقة فى السفّود البارز فى اعلاها من النحاس اثنتان منها ذهب ابريز والثالثة وُسْطى بينهما من فضة اكسير وفوقها سوسنة من ذهب مسدّسة فوقها رمّانة ذهب صغيرة فى طرف الزجّ البارز باعلى الجوّ وكان تمام هذه الصومعة فى ١٣ شهرا، وذكر ابن بشكوال فى رواية ان موضع الجامع الاعظم بقرطبة كان حفرة عظيمة يطرح فيها اهل قرطبة قُمامتَهم وغيرها فلما قدم سليمن بن داود عليهما الصلاة والسلام ودخل قرطبة قال للجنّ اْرْدموا هذا الموضع وعَدّلوا مكانه فسيكون فيه بيت يُعْبَد الله فيه ففعلوا ما امرهم بهْ وبُنى فيه بعد ذلك الجامع المذكور قال ومن فضائله ان الدارات المائلة فى تزاويق سمائه مكتوبة كلها بالذكر والدعاء الى غيره باحكم صنعة انتهى، وذكر مصحف عثمن بن عفّان رضه الذى كان فى جامع قرطبة وصار الى بنى عبد المومن فقالوا هو مصحف امير المومنين عثمن بن عفان رضه مما خطّه بيمينه c وله عند اهل الاندلس شان عظيم انتهى وسنذكر فيه زيادة على هذا، . واما الزهراء فهى مدينة الملك التى اخترعها امير المومنين عبد الرحمن الناصر لدين الله وقد تقدّم ذكره وهى من المدن العظيمة القدر الجليلة، قال ابن الفرضى وغيره كان يعمل فى جامعها حين شُرع فيه من حُذّاق الفَعَلة كلّ يوم الف نسمة منها ٣٠٠ بَنّاء ومائتا نَجّار وخمسمائة من الأُجَراء وسائر الصنائع فاستتمّ بنيانه واتقانه فى مدة من ٤٨ يوما وجاء فى غاية الاتقان من ٥ ابهاء عجيبة الصنعة وطوله من القبلة الى الجوف حاشا المقصورة ٣٠ ذراعا وعرض البهو الاوسط من ابهائه من الشرق الى الغرب ١٣ ذراعا وعرض كل بهو من الاربعة المكتنفة له ١٢ ذراعا وطول صحنه المكشوف من القبلة الى

a) La. O. القطيعة. b) G. L. S. P. رماناته, La. O. رمانته. c) La. O. بيده.

الجوف ٤٣ ذراعا وعرضه من الشرق الى الغرب ٤١ ذراعا وجميعه مفروش بالرخام الخَمْرِىّ وفى وسطه فوّارة يجرى فيها الماء فطول هذا المسجد اجمع من القبلة الى الجوف سوى المحراب ٩٧ ذراعا وعرضه من الشرق الى الغرب ٥٩ ذراعا وطول صومعته فى الهواء ٤٠ ذراعا وعرضها ١٠ اذرع فى مثلها وامر الناصر لدين الله باتّخاذ منبر بديع لهذا المسجد فصُنع فى نهاية من الحسن ووُضع فى مكانه منه وحُظرت a حوله مقصورة b عجيبة c الصنعة وكان وضعُ هذا المنبر فى مكانه من هذا المسجد عند اكماله يوم الخميس لسبع بقين من شعبان سنة ٣٢٩ وفى صدر هذه السنة كمل للناصر بنيان القناة الغريبة الصنعة التى جرى فيها الماء العذب من جبل قرطبة الى قصر الناعورة غربىّ قرطبة فى المناهر المهندسة وعلى الحنايا المعقودة يجرى ماؤها بتدبير عجيب وصنعة محكمة الى بركة عظيمة عليها اسد عظيم الصورة بديع الصنعة شديد الروعة لم يشاهَدْ أَبْهَى منه فيما صوّر الملوك فى غابر الدهر مطلىّ بذهب ابريز وعيناه جوهرتان لهما وَميض شديد يجوز هذا الماء الى عجز هذا الاسد فيمجّه فى تلك البركة من فيهِ فيبهر الناظر بحسنه وروعة منظره وثجاجة صبّه فتُسْقَى من مجاجه جنانُ هذا القصر على سعتها ويستفيض على ساحاته وجنباته ويُمَدّ النهر الاعظم بما فضل منها فكانت هذه القناة وبركتها والتمثال الذى يصبّ فيها من اعظم آثار الملوك فى غابر d الدهر لبُعْد مسافتها واختلاف مسالكها وفخامة بنيانها وسموّ ابراجها التى يترقّى الماء فيها e ويتصوّب من اعاليها وكانت مدة العمل فيها من يومِ ابتدأتْ من الجبل الى ان وصلتْ اعنى القناة الى هذه البركة ١٤ شهرا وكان انطلاق الماء فى هذه البركة الانطلاقَ الذى اتّصل واستمرّ يومَ الخميس غرّة جمادى الآخرة من السنة وكانت للناصر فى هذا اليوم بقصر الناعورة دعوة حسنة افضل فيها على عامّة اهل مملكته ووصل المهندسين والقُوّام بالعمل بصلات حسنة جزيلة؛ واما مدينة الزهراء فاستمرّ العمل فيها من عام ٣٢٥ الى آخر دولة الناصر وابنه الحكم وذلك نحوٌ من ٤٠ سنة ولما فرغ من بناء *مسجد الزهراء f على ما وُصف كانت اول جماعة صُلّيت فيه صلاة المغرب من ليلة الجمعة لثمان بقين من شعبان وكان الامامُ القاضىَ ابا عبد الله محمد بن عبد الله بن ابى عيسى ومن الغَدِ صلى الناصر فيه

a) G. L. S. وخطرت. b) S. ajoute عظيمة. c) La. O. بديعة. d) G. L. S. La. غالب.
e) Les man. portent منها. f) La. قصر الزهراء ومساجدها.

الجمعة وأول خطيب خطب به a القاضى المذكور ولما بنى الناصر قصر الزهراء المتناهى فى الجلالة والفخامة اطبق الناسُ على انه لم يُبْنَ مثله فى الاسلام البتّة وما دخل اليه قط احد من سائر البلاد النائية والنِحَل المختلفة من ملك وارد ورسول وافد وتاجر جِهْبِذ وفى b هذه الطبقات من الناس تكون c المعرفة والفطنة الّا وكلّهم قطع انه لم يَرَ له شبهًا بل لم يسمع به بل لم يتوهّم كونَ مثله حتى انه كان اعجب ما يؤمّله القاطعُ الى الاندلس فى تلك العصور النظر اليه والتحدُّث عنه والاخبار عن هذا تتّسع جدًّا والادلّة عليه تكثر ولو لم يكن فيه الا السطح الممرّد المُشْرِف على الروضة المُباهى بمجلس الذهب والقبّة وعجيبُ ما تضمّنه من اتقان الصنعة وفخامة الهمّة وحسن المستشرَف وبراعة الملبس والحلّة ما بين مرمر مسنون، وذهب موضون،، وعُمُد كانما أُفرغت فى القوالب ونقوش كالرياض، وبرك عظيمة محكمة الصنعة وحياض،، وتماثيل عجيبة الاشخاص لا تهتدى الاوهامُ الى سبيل استقصاء التعبير عنها فسبحان الذى اقدر هذا المخلوقَ الضعيف على ابداعها واختراعها من اجزاء الارض المنحلة d كيما يُرِى الغافلين عنه من عباده مثالا لما اعدّه لاهل السعادة فى دار المقامة التى لا يتسلّط عليها الفناء ولا تحتاج الى الرَمّ، لا اله الا هو المنفرد بالكرم،، وذكر المؤرّخ ابو مروان بن حيّان صاحب الشرطة ان مبانى قصر الزهراء اشتملت على ۴ آلاف سارية ما بين كبيرة وصغيرة حاملة ومحمولة ونيف هو ثنتا عشرة على ثلثمائة سارية * وذكر ايضا e ان منها ما جُلب من مدينة رومة ومنها ما اهداه صاحب القسطنطينية وان مصارع ابوابها صغارها وكبارها كانت تنيف على ١٥ الف باب وكلها مُلَبّسة بالحديد والنحاس المموّه والله اعلم فانها كانت من اهوَل ما بناه الانْس واجلّه خطرًا واعظمه شانا انتهى، قلتُ فسّر بعضهم ذلك النيّف فى كلامه بثلث عشرة والله اعلم، وقال بعض من ارّخ الاندلس كان عدد الفتيان بالزهراء ١٣ الف فتى وسبعمائة وخمسين فتى ودخالتهم من اللحم فى كل يوم حاشا انواع الطير والحوت ١٣ الف رطل وعدّة النساء بقصر الزهراء الصغار والكبار وخدم الخدمة ٦ آلاف وثلثمائة امرأة واربع عشرة انتهى، وقيل ان عدد الفتيان الصقالبة ٣ آلاف وسبعمائة وخمسون وجعل

a) Ce mot manque dans G. L. et O. *b*) La. O. فيه. *c*) La. O. من تكون له. *d*) Ce mot est peut-être altéré. *e*) Il y a ici un blanc dans G. P. et S.; La. O. ونيف هو ٣٠٠ سارية وستة عشرة قال منها الخ

بعض مكانَ الخمسين ٨٧ وقال آخر ٩ آلاف صقلبى وسبعة وثمانون والمرتّب من الخبز لحيتان بُحيرة الزهراء ١٢ الف خبزة كل يوم ويُنْقَع لها من الحمّص الاسود ٩ أَقْفِزة كل يوم انتهى، ثم قال الاول وكان لهؤلاء من اللحم ١٣ الف رطل يقسم من ١٠ ارطال للشخص الى ما دون ذلك سوى الدجاج والحَجَل وصنوف الطير وضروب الحيتان انتهى، وقال ابن حيان الغيثُ بخطّ ابن دحون a الفقيه قال مسلمة بن عبد الله العريف المهندس بدأ عبد الرحمن الناصر لدين الله بنيان b الزهراء اول سنة ٣٢٥ وكانَ مبلغ ما يُنْفَق فيها كل يوم من الصخر المنحوت c المعدّل ٩ آلاف صخرة سوى الصخر المصرّف فى التبليط فانه لم يدخل فى هذا العدد وكان يخدم فى الزهراء كل يوم الف واربعمائة بغل وقيل اكثر منها اربعمائة زوامل الناصر لدين الله ومن دوابّ الاكرياء d الراتبة للخدمة الف بغل لكل بغل منها ٣ مثاقيل فى الشهر يجب لها فى الشهر ٣ آلاف مثقال وكان يَرِدُ الزهراء من الجَيّار والجصّ فى كل ثالث من الايام الف ومائة حمل وكان فيها حمّامان واحد للقصر وثانٍ للعامّة وذكر بعض اهل الخدمة فى الزهراء انه قدّر النفقة فيها فى كل عام بثلثمائة الف دينار مدةً من ٢٥ عاما التى بقيت من دولة الناصر من حين ابتدائها e لانه توفّى سنة ٥٠ فحصّلَ جميع الانفاق فيها فكان مبلغه ١٥ بيت مال قال وجلب اليها الرخام من قرطاجنّة وافريقية وتونس وكان الذين يجلبونه عبد الله بن يونس عريف البنّائين وحسن *ابن محمد f وعلى بن جعفر الاسكندرانى وكان الناصر يصلهم على كل رخامة صغيرة وكبيرة g بعشرة دنانير انتهى، وقال بعض ثقات المؤرّخين انه كان يصلهم على كل رخامة صغيرة بثلثة دنانير وعلى كل سارية بثمانية دنانير *قال h وكان عدد السوارى المجلوبة من افريقية الف سارية وثلث عشرة سارية ومن بلاد الافرنج ١٩ سارية واهدى اليه ملك الروم ١٤٠ سارية وسائرها من مقاطع الاندلس طرّكونة وغيرها فالرخام المجزّع من رَيّة والابيض من غيرها والوردىّ والاخضر من افريقية من كنيسة اسْفاقُس واما الحوض المنقوش المذهّب الغريب الشكل الغالى القيمة فجلبه اليه احمد اليونانى من القسطنطينية مع ربيع الاسقف القادم من ايلياء واما الحوض الصغير الاخضر المنقوش

a) G. دخون, La. دحين. b) La. O. بعمارة. c) G. L. S. المنحور, La. O. المنحوت المنحور. d) La. O. الاكرية. e) G. L. S. O. ابتداها. f) Ces deux mots ne se trouvent que dans La. g) G. L. S. بكبيرة. h) Il y a ici une lacune dans G. et S.; La. O. قيل.

بتماثيل الانسان فجلبه احمد من الشام وقيل من القسطنطينية مع ربيع الاسقف ايضا وقالوا انه لا قيمة له *قرطَ غرابة a وجمال وحُمل من مكان الى مكان حتى وصل الى البحر ونصبه الناصر فى بيت المنام فى المجلس الشرقى المعروف بالمونس وجعل عليه ۱۲ تمثالا من الذهب الاحمر مرصّعة بالدرّ النفيس الغالى مما عُمل بدار الصناعة بقرطبة صورة اسد الى جانبه غزال الى جانبه تمساح وفيما يقابله ثعبان وعقاب وفيل b وفى المجنّبتَيْن حمامة وشاهين وطاووس ودجاجة وديك وحِدأة ونسر وكل ذلك من ذهب مرصّع بالجوهر النفيس ويخرج الماء من افواهها وكان المتولّى لهذا البنيان المذكور ابنه الحكم لم يتّكِلْ فيه الناصر على امين غيره وكان يُخْبَز على ايامه فى كل يوم برسم حِيتان البحيرات ۸۰۰ خبزة وقيل اكثر الى غير ذلك مما يطول تتبّعه *وكان c الناصر كما قدّمْنا قسم الجباية اثلاثًا ثلث للجند وثلث للبناء وثلث مدّخر وكانت جباية الاندلس يومئذ من الكور والقرى ٥ آلاف الف واربعمائة الف وثمانين الف دينار ومن السوق والمستخلَص ۸۰۰ الف وخمسة وستين الف دينار واما اخماس الغنيمة d فلا يحصيها ديوان وقد سبق هذا كله وانما كرّرته لقول بعضهم اثرَ حكايته له ما صورتُه وقيل ان مبلغ تحصيل النفقة فى بنيان الزهراء مائة مُدْى من الدراهم القاسميّة بكيل قرطبة وقيل ان مبلغ النفقة فيها بالكيل المذكور ۸۰ مديا وستة اقفزة من الدراهم المذكورة واتّصل بنيان الزهراء ايامَ الناصر ۲٥ سنة شطرَ خلافته ثم اتّصل بعد وفاته e خلافةَ ابنه الحكم كلها وكانت ۱٥ عاما واشهرًا فسبحان الباقى بعد فناء الخلق لا اله الا هو انتهى وقال ابن اصبغ f الهمدانى والفتح g فى المطمح كان الناصر كَلِفا بعمارة الارض واقامة معالمها وانبساط *مياهها h واستجلابها من ابعد بقاعها وتخليد الآثار الدالّة على قوّة الملك وعزّة السلطان وعلوّ الهمّة فانصى i به الاغراق فى ذلك الى ان ابتنى مدينة الزهراء البناء الشائعَ ذكرُه الذائع j

a) S. قرط غرابة , G. L. P. قرط غراية , La. O. فط غرابة وجمالا. b) Les man. portent وقبل. c) Il y a ici un blanc dans G. et S.; L. مال وكان. d) P. الغيمة , G. S. العظيمة , L. الاخماس العظيمة. e) La. مماته. f) C'est ainsi que je crois devoir lire; voyez, dans le v^e^ livre, l'article sur منذر بن سعيد. La. O. البديع , L. حبان. Dans G. S. et P. le mot est resté en blanc. g) G. P. S. O. والشيخ. h) Dans G. P. et S. il y a ici une lacune, que j'ai remplie d'après les man. du *Matmah*. Al-Makk. L. امرها , La. O. مجاهلها. i) G. L. S. P. فامضى , La. O. فانتهى. j) *Al-Mat.* الزائع (*sic*), al-Makk. الزائد.

خبرُه . المنتشرَة فى الارض أثرُه . واستفرغ وُسْعَه [d] فى تنميقها واتقان قصورها وزخرفة مصانعها فانهمك فى ذلك حتى عطّل شهودَ الجمعة بالمسجد الجامع الذى اتّخذه ٣ جُمَع متوالية فاراد القاضى منذر ان يغضّ منه بما يتناوله من الموعظة بفصل الخطاب والحكمة والتذكرة بالانابة والرجعة [e] فابتدأ اول خطبته بقوله تع أَتَبْنُون بكل رِيعٍ الى قوله تع تكنْ من الواعظين [f] ثم وصله بقوله فمتاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتّقى، وهى دار القرار ومكان الجزاء،، ومضى فى ذمّ تشييد البنيان والاستغراق فى زخرفته والاسْراف فى الانفاق عليه بكلام جَزْل وقول فَصْل * فقال الحاكى [g] فجرى فيه طلقًا وانتزع فيه قوله تع أَفمن اسّس بنيانه الى آخر الآية الى حكيم [h] واتى بما يشاكل المعنى من التخويف بالموت والتحذير من فجاءته والدعاء الى الزهد فى هذه الدار الفانية والحضّ على اعتزالها والرفض لها والندب الى الاعْراض عنها والاقْصار عن طلب اللذّات ونهى النفس عن اتّباع هواها [i] فأسْهَبَ فى ذلك [j] كله واضاف اليه [k] من آى القرآن ما يطابقه وجلب من الحديث والاثر ما يشاكله حتى اذّكر مَنْ حضره من الناس وخشعوا ورقّوا واعترفوا وبكوا وضجّوا ودعوا واعلنوا التضرّع الى الله فى التوبة والابتهال فى المغفرة واخذ خليفتهم من ذلك باوفر حظّ وقد علم انه المقصود به فبكى وندم على ما * سلف له [j] من فرطه واستعاذ بالله من سخطه الّا انه وجد على منذر لغلظ ما قرّعه [k] به فشكا ذلك لولده الحكم بعد انصراف منذر وقال والله لقد تعمّدنى منذر بخطبته وما عنى بها غيرى. فاسرف علىّ وافرط فى تفريعى [l] ولم يُحْسِن السياسة فى وعظى فزعزع [m] قلبى وكاد بعصاه يقرعنى واستشاط غيظًا عليه فاقسم ألّا يصلّى خلفه صلاة الجمعة خاصّةً فجعل يلتزم صلاتها وراء احمد بن مطرّف صاحب الصلاة بقرطبة ويجانب الصلاة بالزهراء وقال له الحكم فما الذى يمنعك من عزل منذر عن الصلاة بك والاستبدال بغيره منه اذ كرهته فزجره وانتهره وقال له

a) L. فخره. Dans G. P. et S. ce mot est resté en blanc; la lacune n'est pas indiquée dans La. O. b) La. ajoute فخره, O. ذكره. c) Il y a ici une lacune dans G. P. et S; La. et O. ne l'indiquent pas. L. خبره وقال. d) *Al-Mat.* L. وجده, al-Makk. La. O. جهده. e) La. O. والرجوع. f) *Al-Korān*, sour. 26, vs. 128—136. g) J'ai rempli ainsi, d'après L., la lacune que l'on trouve dans G. P. et S. Les man. La. et O. ne l'indiquent pas. h) *Al-Kor.*, sour. 9, vs. 110—112. i) La. O. الهوى. j) La. O. نالة. k) *Al-Mat.* R., al-Makk. تفرعه. l) G. تعزبعى, La. O. تفربعى وتعزبعى. m) S. ففزع.

أمثلُ منذِر بن سعيد فى فضله وخيره وعلمه لا أُمَّ لك يُعْزَل لأرضاه نفس ناكبة عن الرشد سالكة غير القصد هذا ما لا يكون وانّى لأسْتحى من الله ألّا اجعل بينى وبينه فى صلاة الجمعة شفيعا مثل منذر فى ورعه وصدقه ولكنهٌ احرجنى فاقسمتُ ولَودِدتُّ انّى أَجِدُ سبيلا الى كفّارة يمينى بملكى بل يصلّى بالناس حياتَه وحياتَنا ان شاء الله فما اظنّنا نعتاض*a* منه ابدًا وقيل ان الحكم اعتذر عمّا قال منذر وقال يا امير المومنين انه رجل صالح وما اراد الا خيرا ولو راى ما انفقتَ*b* وحسن تلك البنية لَعذرك فامر حينئذ الناصر بالقصور ففُرشت وفُرش ذلك المجلس باصناف فُرُش الديباج وامر بالاطعمة وقد احضر العلماء*c* ......*d* وغصّ بهم المجلس فدخل منذر فى آخرهم فاومأ اليه الناصر ان يقعد بقربه فقال يا امير المومنين انما يقعد الرجل حيث انتهى به المجلس ولا يتخطّى الرقاب فجلس فى آخر الناس وعليه ثياب رثّة، ثم ذكر هذا القائل بعد هذا من كلام منذر ما ياتى قريبا وقحط الناسُ آخرَ مدة الناصر فامر القاضى منذر المذكور بالبروز الى الاستسقاء بالناس فتأهّب لذلك وصام بين يديه اياما ثلثا تنفّلا وانابةً ورهبةً واجتمع له الناس فى مصلّى الربض بقرطبة بارزين الى الله تعَ فى جمع عظيم وصعد الخليفة الناصر فى اعلى مصانعه المرتفعة من القصر ليشارفَ الناسَ ويشاركهم فى الخروج الى الله والضراعة له فابطأَ القاضى حتى اجتمع الناس وغصّتْ بهم*e* ساحةُ المصلّى ثم خرج نحوهم ماشيا متضرّعا مُخْبِتًا متخشّعا وقام ليخطب فلما راى بِدارَ الناس الى ارتقائه واستكانتهم من خيفة الله واخْباتهم له وابتهالهم اليه رقّتْ نفسُه وغلبتْه عيناه فاستعبر وبكى حينا ثم افتتح خطبتهُ بان قال يٰأيُّها الناس سلام عليكم ثم سكتَ ووقف شبهَ الحَصِر ولم يك من عادته فنظر الناس بعضهم الى بعض لا يدرون ما عراه ولا ما اراد بقوله ثم اندفع تاليا لقوله تعَ كتب ربُّكم على نفسه الرحمةَ الى رحيم*f* ثم قال استغفروا ربّكم انه كان غفّارا استغفروا ربّكم ثم تُوبُوا اليه، وتزلّفوا بالاعمال الصالحة لديه،، قال الحاكى فضجّ الناس بالبكاء وجأروا بالدعاء ومضى على تمام خطبته ففزّع النفوس بوعظه

a) *Al-Mat.* R., al-Makk. L. La. نغتاظ , G. نغتاض , O. نعتاض. *b*) Je crois qu'il faut lire اتقنت. *c*) O. العظماء. *d*) Il y a ici dans G. P. et S. une lacune, que le copiste du man. L. a remplie en ajoutant وغيرهم من الموالى. *e*) Les man. portent به. *f*) *Al-Kor.*. sour. 6, vs. 54.

وانبعث الاخْلاص بتذكيره فلم ينقص a النهار حتى ارسل الله السماء بماء منهمر روى الثرى وطرّد المَحْل وسكّن الأزْل والله لطيف بعباده وكان لمنذر فى خُطَب الاستسقاء استفتاح عجيب ومنه ان قال يوما وقد سرّح طرفه فى ملأ الناس عند ما شخصوا اليه بابصارهم فهتف بهم كالمُنادى يايها الناس وكرّرها ثلثًا عليهم مُشيرا بيده فى نواحيهم انتم الفقراء الى الله الى بعزيز b فاشتدّ وجد الناس وانطلقت اعيُنُهم بالبكاء ومضى فى خطبته *وقيل ان c الخليفة الناصر *طلبه d مرةً للاستسقاء *واشتدّ e عزمُه عليه فتسابق الناس للمصلّى فقال للرسول وكان من خواصّ الناس ليت شعرى ما الذى يصنعه الخليفة سيدنا فقال له ما رايناه قط اخشعَ منه فى يومنا هذا انه منتبذ حائر منفرد بنفسه لابس اخشّ الثياب مفترش التراب وقد رمّد به على راسه وعلى لحيته وبكى واعترف بذنوبه وهو يقول هذه ناصيتى بيدك أتراك تعذِّب الرعيّة وانت احكم الحاكمين لن يفوتك شىء منّى قال الحاكى فتهلّل وجه القاضى منذر عند ما سمع قوله وقال يا غلام آحْمِل المطر معك فقد اذن الله تع بالسقيا اذا خشع جبّارُ الارض فقد رحم جبّارُ السماء وكان كما قال فلم ينصرف الناس الا عن السقيا وكان منذر شديد f الصلابة فى احكامه والمهابةِ فى أقْضيته وقوّة الخلوة والقيام بالْحقّ فى جميع ما يجرى على يده لا يهاب g فى ذلك الاميرَ الاعظم فمَنْ دونه، قال ابن الحسن النباهى واصله فى المطمح وغيره ومن اخبار منذر المحفوظة له مع الخليفة الناصر فى انكاره عليه الاسرافَ فى البناء ان الناصر كان قد اتّخذ لسطح القُبَيْبة h المصغّرة الاسم للخصوصية التى كانت ماثلة i على الصرح الممرّد المشهور شانُه بقصر الزهراء قراميدَ ذهب وفضة انفق عليها مالا جسيما وقَرْمَدَ سقفها به وجعل سقفها صفرا فاقعة الى بيضا ناصعة تسلب j الابصارَ بأشعّة نورها وجلس فيها اثرَ تمامها يوما لاهل مملكته فقال لقرابته ومَنْ حضر من الوزراء واهل الخدمة مفتخِرا عليهم بما صنعه من ذلك مع ما يتّصل به من البدائع الفتّانة هل رايتم او سمعتم ملكا كان قبلى فعل مثل

a) Les man. portent ينقص. b) *Al-Kor.*, sour. 35, vs. 16—18. c) Ces mots sont restés en blanc dans G. P. S. et O.; L. ومنه ان. d) Il y a ici une lacune dans G. P. et S.; La. O. خرج. e) La. O. واسرع. Dans G. P. et S. il y a une lacune. f) Dans G. P. et S. ce mot est resté en blanc. Les man. du *Mat*. portent من ذوى الصلابة. g) Al-Makk. يهب. h) *Al-Mat*. P. العنبسة (?). i) G. S. La. O. ماثلة. j) La. تستلب, S. فتسلب, G. L. فتستلب

هذا . او قدّر عليه فقالوا لا والله يا امير المومنين وانك لاوحدُ فى شانك كله وما سبقك الى مبتدعاتك هذه ملك رايناه ولا انتهى الينا خبره فابهجه قولهم وسرّه وبينما هو كذلك أن دخل عليه القاضى منذر بن سعيد وهو ناكس الراس فلما اخذ مجلسه قال له كالذى قال لوزرائه من ذكر السقف المذهّب واقتداره على ابداعه فاقبلتْ دموع القاضى تنحدر على لحيته وقال له والله يا امير المومنين ما ظننتُ ان الشيطان لعنه الله يبلغ منك هذا المبلغ ولا ان تمكّنه a من قيادك هذا التمكين b مع ما اتاك الله من فضله ونعمته وفضّلك به على العالمين حتى يُنْزِلك منازل الكافرين قال فانفعل عبد الرحمن لقوله وقال له انظرْ ما تقول وكيف انزلنى c منزلتَهم قال نعم أَليس الله تعَ يقول ولولا ان يكون الناس امّةً واحدة الآيةَ d فوجم الخليفة واطرق مليًّا ودموعه تتساقط خشوعا لله * قال الحاكى e ثم اقبل على منذر وقال له جزاك الله يا قاضى خيرا عنّا f وعن الدين والمسلمين اجلّ جزائه وكثّر فى الناس أَمْثالك فالذى قلتَ هو الحقّ وقام عن مجلسه ذلك وهو يستغفر الله تعَ وامر بنقض سقف القبّة واعاد قرمدها ترابًا على صفة غيرها . انتهى ما حكاه ابن الحسن النباهى ولنذكرْ هذه الحكاية وغيرها وان خالَفَ السياقُ ما سبق وهذا منقول من كلام الحجارى فى المُسْهِب ، فى اخبار المغرب ، فانه اتمّ فائدةً اذ قال رحمه دخل منذر ابن سعيد يوما على الناصر بانى الزهراء وهو مُكِبٌّ على الاشتغال بالبنيان فوعظه فانشده عبد الرحمن الناصر

هِمَمُ الملوك اذا ارادوا ذكرَها من بعدهم فبالسُن البنيانِ
أَوما ترى الهرمَيْن قد بقيا وكم ملك محاه حوادثُ الازمانِ
ان البناء اذا تعاظم قدْرُه g اضحى يدلّ على عظيم الشانِ

قال فما ادرى أَهذا شعره ام تمثّل به فان كان شعره فقد بلغ به الى غاية الاحسان وان كان تمثل به فقد استحقّه بالتمثيل به فى هذا المكان وكان منذر يكثر تعنيفه على البنيان ودخل عليه مرةً وهو فى قبة قد جعل قرمدها من ذهب وفضة واحتفل فيها احتفالا ظنّ ان احدا من الملوك لم يصلْ اليه فقام خطيبا والمجلس

---

a) La. O. يتمكن. b) La. O. التمكن. c) La. O. S. انزلتنى. d) *Al-Kor.*, sour. 43, vs. 32. e) J'ai rempli, d'après L., la lacune que l'on trouve dans G. P. et S.; La. et O. ne l'indiquent pas. * f) G. L. et S. ajoutent وعن نفسك. g) G. L. S. O. شانه.

قد غصّ بارباب الدولة فتلا قوله تعَ ولولا ان يكون الناس امّةً واحدةً لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفا من فضة الآيةَ وأَتْبَعَها بما يليق بذلك فوجم الملك واظهر الكآبة ولم يسعْه الا الاحتمالُ لمنذر بن سعيد لعظم قدره فى علمه ودينه وحضر معه يوما فى الزهراء فقام الرئيس ابو عثمن بن ادريس فانشد الناصر قصيدة منها

سيشهد ما ابقيتَ انك لم تكن مُضيعًا وقد مكّنْتَ للدين والدنيَا

فبالجامع المعمور للعلم والتُقَى وبالزهرة الزهراء a للملك والعليَا

فاهتزّ الناصر وابتهج واطرق منذر بن سعيد ساعةً ثم قام منشدًا

يا بانِيَ الزهراء مستغرقا اوقاتَه فيها أَمَا تمهلُ

لله ما احسَنَها رونقا لو لم تكن زهرتُها تذبلُ

فقال الناصر اذا هبَّ عليهاb نسيمُ التذكار والحنين وسقَنْها مدامعُ الخشوع يا ابا الحكم لا تذبل ان شاء الله تعَ فقال منذر اللهمّ اشهد انى قد بثثتُ ما عندى ولم آلُ نصحًا انتهى، ولقد صدق القاضى منذر رحَه فيما قال فانها ذبلتْ بعد ذلك فى الفتنة، وقُلبd ما كان فيها من مِنْحَةٍ محْنةً، وذلك عند ما ولى الحجابةَ عبد الرحمن بن المنصور بن ابى عامر الملقَّب بشنجول وتصرَّف فى الدولة مثل ما تصرَّف اخوه المظفَّر وابوهما المنصور ما ساء التدبير، ولم يميِّز بين القبيل والدبير، فدسّ الى المؤيَّد هشام بن الحكم مَنْ خوَّفه منه حتى ولّاه عهدَه كما بيَّنّا نصّ العهد فيما سبق فاطبق الخاصّة والعامّة على بغضه واضمار السوء له وذلك سنة ٣٩٨ فعند ذلك خرج عليه محمد بن هشام بن عبد الجبّار بن الناصر سنة ٩٩ وتلقَّب بالمهدى وخلع المؤيد وحبسه واسلمت الجيوشُ شنجول فأُسر وقُتل، قال ابن الرقيق ومن اعاجيب ما رُئِىَ انه من نصف نهار يوم الثلاثاء لاربع بقين من جمادى الآخرة الى نصف نهار يوم الاربعاء فُتحت قرطبة وهُدمت الزهراء وخُلع خليفة وهو المؤيد وولى خليفة وهو المهدى وزالت دولةُ بنى عامر العظيمة وقُتل وزيرهم محمد بن عسقلاجة واقيمت جيوش من العامّة ونُكب خلق من الوزراء وولى الوزارة آخرون وكان ذلك كله على يدe ا. رجال فحّامين وجزّارين وزبّالين وهم جند المهدى هذا انتهى، وقد تقدم بعض الكلام على المهدى هذا وهو الذى قيل فيه لما قام على الدولة قد

a) La. O. العلياء. b) La. للحكم. c) S. علينا. Ce mot manque dans G. et L. d) Les man. portent وبدل. e) G. P. S. La. O. يدى.

قام مهديّنا ولكن   الابيات، ومن شعر المهدى هذا وقد حيّاه فى مجلس شرابه غلام بقضيب آس

اهديتَ شبهَ قوامك الميّاسِ   غصنًا رطيبا ناعما من آسِ

وكانما يحكيك فى حركاته   وكانما تحكيه فى الانفاسِ

وقد ذكرنا فيما سبق فى الفصل الثالث خبر المهدى هذا وقتله ولقد كان قيامه مشئوما على الدين والدنيا فانه فاتح ابواب الفتنة بالاندلس وماحى معالمها حتى تفرّقت الدولة وانتثر السلك وكثر الرؤساء وتطاوَل العدوّ اليها واخذها شيئًا فشيئًا حتى محا اسم الاسلام منها اعادها الله، وقد الّمّ الولىّ ابن خلدون فى تاريخه بذكر الزهراء فى جملة مبانى الناصر فقال ما نصّه ولما استفحل ملك الناصر صرف نظره الى تشييد القصور والمبانى وكان جدّه الامير محمد وابوه عبد الرحمن الاوسط وجدّه الحكم قد احتفلوا a فى ذلك وبنوا قصورهم على اكمل الاتقان والضخامة وكان فيها المجلس الزاهر والبهو والكامل والمُنيف فبنى هو الى جانب الزاهر قصره العظيم وسمّاه دار الروضة وجلب الماء الى قصورهم واستدعا عرفاء المهندسين والبنّائين من كل قطر فوفدوا عليه حتى من بغداد والقسطنطينية ثم اخذ فى بناء المنتزهات فاتّخذ منية الناعورة خارجَ القصور وساق لها الماء من اعلى الجبل على ابعد مسافة ثم اختطّ مدينة الزهراء واتّخذها لنزله وكرسيًّا لملكه وانشأ فيها من المبانى والقصور والبساتين ما عفى على مبانيهم الاولى واتّخذ فيها محلّات للوحش فسيحة الفناء متباعدة السياج ومسارحَ للطيور مظلّلة بالشباك واتّخذ فيها دُورًا لصناعة الآلات من آلاتِ السلاح للحرب والحلى للزينة وغير ذلك من المِهَن وامر بعمل الظُلّة على صحن الجامع بقرطبة وقايةً للناس من حرّ الشمس انتهى، واما الزاهرة فهى من بناء المنصور محمد بن ابى عامر قال ابن خلدون فى اثناء كلامه على المنصور ما صورتُه وابتنى لنفسه مدينة لنزله سماها الزاهرة ونقل اليها جزءًا من الاموال والاسلحة انتهى، وقال غيره واظنّه صاحب المطمح b وفى سنة ٣٦٨ امر المنصور بن ابى عامر ببناء الزاهرة وذلك عند ما استفحل امره، واتّقد جمره، وظهر استبداده، وكثر حُسّاده وأنداده c، وخاف على نفسه فى الدخول الى قصر السلطان، وخشى ان يقع فى اشطان،

a) Les man. portent اختلفوا.   b) Ce passage ne se trouve pas dans les man. du *Matmah*, mais voyez le *Bayān al-moghrib*, t. II, p. ٢٩٤.   c) La. O. واضداده.

فتوثّق لنفسه، وكُشف له ما سُتر عنه فى امسه،، من الاعتزاز عليه، ورفع الاستناد اليه،، وسما الى ما سَمَتْ اليه الملوكُ من اختراع قصر ينزل فيه، ويحلّه باهله وذويه،، ويضمّ اليه رياستَه، ويُتمّ به تدبيره وسياستَه،، ويجمع فيه فتيانه، وغلمانه،، فارتاد موضع مدينته المعروفة بالزاهرة، الموصوفة بالقصور الباهرة،، واقامها بطرف البلد على نهر قرطبة الاعظم، ونسق فيها كلّ اقتدار مُعْجِز ونظم،، وشرع فى بنائها فى هذه السنة المؤرّخة وحشد الصُنّاع والفَعَلة وجلب اليها الآلات الجليلة، وسَرْبَلها بهاء يردّ الاعيُنَ كليلة،، وتوسّع فى اختطاطها، وتولّع بانتشارها فى البسيطة وانبساطها،، وبالَغ فى رفع اسوارها، وثابَرَ على تسوية انجادها واغوارها،، فاتّسعتْ هذه المدينة فى المدّة القريبة، وصار بناؤها من الابنية a الغريبة،، وبنى مُعْظَمها فى عامَيْن وفى سنة ٣٧٠ انتقل المنصور اليها ونزلها بخاصّته، وعامّته،، فتبوّأها وشحنها بجميع أسْلحته، وامواله وأمْتِعته،، واتّخذ فيها الدواوين والاعمال وعمل فى داخلها الأهْراء، واطلق بساحتها الارحا، ثم اقطع ما حولها لوزرائه وكُتّابه، وقُوّاده وحُجّابه،، فابتنوا بها كبار الدُور، وجليلات القصور،، واتّخذوا خلالَها المستغَلّات المفيدة، والمنازه المشيدة،، وقامت بها الاسواق، وكثرت فيها الارفاق،، وتنافس الناسُ فى النزول باكنافها، والحلول باطرافها،، للدنوّ من صاحب الدولة، وتناهَى الغلوّ فى البناء حوله،، حتى اتّصلت ارباضها بارباض قرطبة وكثرت بحوزتها العمارة، واستقرّت فى بحبوحتها الامارة،، وافرد الخليفة من كل شىء الا من الاسم الخلافى، وصيّر ذلك هو الرسم b العافى،، ورتّب فيها جلوس وزرائه، ورءوس امرائه،، وندب اليها كل ذى خطّة بخطّته، ونصب ببابها كرسىّ شرطته،، واجلس عليها واليا على رسم كرسىّ الخليفة، وفى صفة تلك المرتبة المنيفة،، وكتب الى الاقطار بالاندلس والعدوة بان تُحمل الى مدينته تلك اموال الجبايات، ويقصدها c اصحاب الولايات،، وينتابها طُلّاب الحوائج، وحذّر ان يعوج عنها الى باب الخليفة عائج،، فاقتضيت لديها d اللُّبانات والاوطار، وانحشد الناس اليها من جميع الاقطار،، وتمّ لمحمد بن ابى عامر ما اراد، وانتظم بلبّة امانيّه المُراد،، وعطّل قصر الخليفة من جميعه، وصيّره بمَعْزِل من سامعه ومُطيعه،، وسدّ باب قصره عليه، وجدّ فى خبر ألّا يصل اليه،، وجعلْ فيه ثقةً من صنائعه يضبط القصر، ويبسط فيه

a) G. L. S. الابنا , P. الانبا , La. O. فردا فى الابنية. b) La. O. ورسم. c) G. L. S. وبقصد, La. O. وتقصد. d) Al-Makk. اليها.

النهى والامر،، ويُشرِف منه على كل داخل، ويمنع ما يحذره من الدواخل،، ورتّب عليه الحُرّاس والبوّابين، والسُمّار والمنتابين،، يلازمون حراسة مَنْ فيه ليلا ونهارا، ويراقبون حركاتِهم سرًّا وجهارا،، وقد حجر على الخليفة كل تدبير، ومنعه من تملّك قبيل او دبير،، واقام الخليفة هشام مهجورَ الفنا، محجوره^a^ الغنا،، خفيّ الذكر، عليل الفكر،، مسدود الباب، محجوب الشخص عن الاحباب،، لا يراه خاصٌّ ولا عامّ، ولا يُخاف منه بأس ولا يُرْجَى منه انعام،، ولا يعهد منه^b^ الا الاسم السلطانى *فى السكّة^c^ والدعوة وقد نسخه ولبس ابّهته، وطمس بهجته،، واغنى النَاس عنه، وازال اطماعهم منه،، وصيّرهم لا يعرفونه، وامرهم انهم^d^ لا يذكرونه،، واشتدّ ملك محمد بن ابى عامر منذ نزل قصر الزاهرة وتوسّع مع الايام فى تشييد ابنيتها^e^ حتى كملتْ احسنَ كمال، وجاءتْه فى نهاية الجمال،، تَفاوُتَ^f^ بِنا، وسعةَ فنا،، واعتدالَ هواء رقّ اديمُه، وصقالةَ جوّ اعتلّ^g^ نسيمُه،، ونضرةَ بستان، وبهجةً للنفوس فيها افتتان،، وفيها يقول صاعد اللُّغوى

يــاايّها الملك المنصور من يَمَنٍ … والمبتنى نسبا غير الذى انتسبا
بغزوة فى قلوب الشرك رائعة^h^ … بين المنايا تُناغى السُمْرَ والقُضُبا
اما ترى العين تجرى فوق مرمرها … *زهوًا فتُجْرِى^i^ على أَحْفافها^j^ الرُطَبا^k^
اجريتَها فطما الزاهى بجريتها … كما طموتَ فسُدتَ العُجْمَ والعربا
تخال فيه جنودَ الماء رافلةً … مستلئمات تُريك الدرعَ والبَلَبا
تحفّها من فنون الأَيْك زاهرة … قد اورقتْ فضّةً اذ اثمرتْ^l^ ذهبا
بديعة الملك ما ينفكّ ناظرها … يتلو على السمع منها آيةً عجبا
لا يُحْسِن الدهر ان يُنْشِى لها مثلا … ولو تعنّت فيها نفسه طلبا

ودخل عليه ابن ابى الحباب فى بعض قصوره من المنية المعروفة بالعامريّة والروض قد تفتّحت انوارُه، وتوشّحت انجادُه واغوارُه،، وتصرّف فيها الدهر متواضعا، ووقف بها السعد خاضعا،، فقال

a) Al-Makk. معاجوز. b) Al-Makk. فيه. c) G. L. S. للسكة. d) Ce mot manque dans S. La. et O. e) G. L. S. O. بنيتها. f) G. L. S. نفاوه, P. تفاوة. g) G. L. S. La. اعتدل. h) L. S. La. O. رائعة. i) Al-Makk. هوى فيجرى. j) L. La. اخفافها, *al-Bayān al-M.* احسائها. k) P. S. et le *Bayān al-M.* الطربا. l) Al-Makk. اورقت.

لا يومَ كاليوم فى ايامنا الأُوَلِ   بالعامريّة ذات الماء والظُّلَلِ
هواؤُها فى جميع الدهر معتدل   طيبا وان حلَّ فصلٌ غير معتدلِ
ما انْ يبالى الذى يحتلّ ساحتها   بالسعد أَلّا تحلّ الشمسُ بالحَمَلِ a

وما زالت هذه المدينة رائقة، والسعود بلبّتها متناسقة،، تراوحها الفتوحُ وتغاديها، وتُجلب اليها منكسرةً اعاديها،، لا تزحف عنها راية الّا الى فتح، ولا يصدر عنها تدبير الّا الى نجح،، الى ان حان يومُها العصيب، وقُيّض لها من المكروه اوفرُ b نصيب،، فتولّتْ فقيدةً، وخلتْ من بهجتها كل عقيدة،، انتهى، وقدْ حكى الحُمَيْدى فى جذوة المقتبس هذه الحكاية الواقعة لابن ابى الحباب بزيادة فقال بعد ان ذكر هذه المنية العامرية التى الى جانب الزهراء ان ابا المطرّف بن ابى الحباب الشاعر دخل الى المنصور فى هذه المنية فوقف على روضة فيها ٣ سوسنات ثنتان قد تفتّحتا c وواحدة لم تتفتّحْ فقال يصف ذلك

لا يومَ كاليوم فى ايامنا الأُوَلِ   بالعا...ة ذات الماء والظُّلَلِ d
هواؤُها فى جميع الدهر معتدل   طيبًا وان حلَّ فصلٌ غير معتدلِ
ما ان يبالى الذى يحتلّ ساحتها   بالسعد الا تحلّ الشمسُ بالحَمَلِ e
كانما غُرستْ فى ساعة وبدا   السوسانَ * من حينه f فيها على عَجَلِ
أَبْدَتْ ثلثًا من السوسان * مائلةً   اعناقُهنّ g من الاعياء والكَسَلِ
فبعض نُوّارها للبعض h منفتح   والبعض منغلق عنهنّ فى شُغُلِ
كانها راحة ضمّتْ اناملها   * من بعد ما i مُلِئت من جُودك الخَضِلِ
وأُخْتُها بسطتْ منها اناملها   ترجو نداك كما عوّدتّها قَبِلِ

انتهى، وذكر ابن سعيد ان ابن العريف النحوى دخل على المنصور بن ابى عامر وعنده صاعد اللغوى البغدادى فانشده وهو بالموضع المعروف بالعامرية من ابيات

فالعامريّة ترهى   على جميع المبانى   وانت فيها كسَيْفٍ   قد حلَّ فى غُمْدانِ

فقام صاعد وكان منافضا له فقال اسعد الله الحاجب الاجلَّ ومكّن سلطانه هذا الشعر الذى قاله قد اعدّه وروّى فيه اقدر انا اقول احسن منه ارتجالا فقال له المنصور

a) G. L. S. La. فى الحمل.   b) G. L. S. La. واقر.   c) Les man. d'al-Makk. portent لم تفتح et فتحتا.   d) La. O. والظلل.   e) Al-Makk. فى الحمل.   f) Al-Hom. مدامها.   g) Al-Hom. (sic) فائمة وما دشكى.   h) Al-Hom. بالحسن.   i) Al-Hom. ممدودة.

قُلْ ليظهر صدقُ دعواك فجعل يقول من غير فكرة طويلة‌،

يايها الحاجب المعتلى على كيوانِ ومَنْ به قد تناهى فخارُهُ كل يمانى
العامريّة اضحتْ . كجنّة الرضوانِ فريدة لفريد ما بين اهل الزمانِ

ثم مرّ في الشعر الى ان قال فى وصفها

انظرْ الى النهر فيها ينساب كالثعبانِ والطير يخطب شكرًا
على ذُرَى الاغصانِ والقُضْبُ تلتفّ سُكْرًا بمُيّس القضبان
والروض يفترّ زهوًا عن مبسم الاقحوانِ والنرجس الغضّ يرنو
بوجنة النعمانِ وراحة الريح تمتا زه نفحة الريحانِ
فدُمْ مَدَى الدهر فيها فى غبطة وامانِ

فاستحسن المنصور ارتجاله وقال لابن العريف ما لك فائدة فى مناقضة مَنْ هذا ارتجالُه فكيف تكون رويّتُه فقال ابن العريف انما انطقه وقرّب عليه الماخذَ احسانُك فقال له صاعد فيخرج من هذا ان قلّة احسانه لك أَسْكَتَك وبعُد عليك الماخذُ فضحك المنصور وقال غيرُ هذه المنازعة أَلْيَقُ بأَدَبِكما، قلتَ وقد ذكر مورّخو الاندلسْ مُنًى كثيرة بها منها منية الناعورة السابقة ومنية العامرية هذه ومنية السرور ومنية الزُبَيْر منسوبة الى الزبير بن عمر الملثّم ملك قرطبة، قال ابو الحسن بن سعيد اخبرنى ابى عن ابيه قال خرج معى الى هذه المنية فى زمان فتح نُوّار اللوز ابو بكر ابن بَقِىّ الشاعر المشهور فجلسنا تحت سطر لوز قد نوّر فقال ابن بقىّ سطر من اللوز البيتين ثم قال عجبت لمن ابقى البيت انتهى، وذكر بعض مورّخى الاندلس ان المنصور بن ابى عامر كان يزرع كل سنة الف مُدْى من الشعير قَصيلًا لدوابّه الخاصّة به وانه كان اذا قدم من غزوة من غزواته لا يحلّ عن نفسه حتى يدعو صاحبَ الخيل فيعلم ما مات منها وما عاش وصاحبَ الابنية لما وَهَىَ من اسواره ومبانيه وقصوره ودُوره قال وكان له دخالة كل يوم ١٢ الف رطل من اللحم حاشا الصيد والطير والحيتان وكان يصنع فى كل عام ١٢ الف ترس عامريّة لقصر الزاهرة والزهراء قال وابتنى على طريق المُباهاة والفخامة مدينة الزاهرة ذات القصور

a) S. La. O. كثيرة. b) L. فى الحسن. c) La. لوجنة. d) Faut-il lire تمتار ?
e) G. L. فمرّ مُرّ (sic), P. فمرم (sic). f) L. بغبطة.

والمتنزهات المخترعة كمنية السرور وغيرها من مناشئه البديعة انتهى، ومن المطمح *

ان المنصور لما فرغ من بناء الزاهرة غزا غزوة وابعد فيها الايغال، وغال فيها من عظماء الروم مَنْ غال،، وحلّ من ارضهم ما لم يُطْرَق، وراع منهم ما لم يُرَعْ قط ولم يَفْرَق،، وصدر صدرا سَمَا به على كل حسناء عقيلة، وجلا به كل صفحة للحسن صقيلة، ودخل قرطبة دخولا لم يُعْهَد، وشُهِد له فيها يوم مثله لم يُشْهَد،، وكان ابن شُهَيْد متخلّفا عن هذه الغزوة لنقرس عداه عائدُه، وحداه منتجعُه ورائدُه،، وابن شهيد هذا احد حُجّاب الناصر، وله على ابن ابى عامر اياد محكمة الاواصر،، وهو الذى نهض به اول انبعاثه، وشغى امره زمنَ النيابة،، وخاصَمَ المصحفيَّ عنه بلسان من الحماية أَلَدّ، وتوخّاه باحسان قلّده من الرعاية ما قلّد،، واسمى رتبتَه، وحلّى *باعظم جباه جيدَه ولبّته ᵇ،، وكان كثيرًا مّا يُتْحِفه، ويصله ويلطفه،، فلما صدر المنصور من غزوته هذه وقدهᶜ نسى مُتاحَفته او غفل فكتب اليه ابن شهيد

انا شيخ والشيخ يهوى الصبايا البيتين

فـاْجعلنّى فُدِيتَ اشكر معروفك وابعثْ بها عذابَ الثنايا

فبعث اليه بعقيلة من عقائل الروم يكنفها ثلث جوارٍ، كأنّهنّ نجومٌ سوارٍ،، وكتب اليه

قد بعثنا بها كشمس النهارِ الابيات

فكتب اليه ابن شهيد

قد فصصنا ختامَ ذاك السوارِ الابيات

انتهى وقد قدّمْنا هذه الحكاية فى اخبار المنصور من الباب الثالث ولكنّا اعَدْناها هنا *بلفظ المطمح لما فيهٖ من العذوبة والفائدة الزائدة، ومن كان فى ايام المنصور من الوزراء المشهورين الوزير الكاتب ابو مروان عبد الملك بن ادريس الخولانى قال فى المطمح عَلَم من اعلام الزمان، وعين من اعيان البيان،، باهر الفصاحة، طاهر الجناب والساحة،، تولّى التحبير ايامَ المنصور والانْشا، وأَشْعَرَ بدولته الافراحᵈ والانتشا،، ولبس العزّة مدّتهاᵉ ضافيةَ البرود، وورد بها النعمةَ صافيةَ الورود،، وامتطى من جياد التوجيه، واعتنق من لاحق والوجيه،، وتمادى طَلْقُه، ولا احدٌ يلحقه،، الى ايام المظفّر

a) Ce passage ne se trouve pas dans nos man. du *Matmah*. b) La. O. باعظام جباهه لبنته. c) G. L. P. S. وقعد. d) *Al-Mat.* L. الارتياح. e) Ce mot manque dans G. et L.; S. مده, La. O. زمانا.

فمشى على سَنَنه، وتمادى بالغفلة يترنّم على فَنَنه،، الى ان قتل المظفّر صهرَه عيسى ابن القطّاع، صاحب دولته ولعيرها المُطلع، وكان ابو مروان قديم *الاصطناع له والانقطاع[a]،، فاتّهم معه، وكاد ان يذوق الحِمامَ ومصرعه[b]،، الا ان احسانه شفع، وبيانه منع[c] ودفع،، فحُطّ عن تلك الرُتَب، وحُمل الى طرطوشة على القَتَب،، فبقى هنالك معتقلا فى برج من ابراجها، ناتى[d] المنتهى، كانماء[e] يناجى السُهَى،، قد بعد ساكنه عن الانيس، وقعد[f] من النجم بمنزلة الجليس،، تمرّ الطيورُ دونه ولا تجوزه، ويرى منه الثرى ولا يكاد يحوزه،، فبقى فيه دهرًا لا يرتقى اليه راقٍ، ولا يُرْجَى لبثّه راقٍ،، الى ان أُخرج منه الى ثراه، واستراح ممّا عراه،، فمن بديع ما نظمه قوله يصف المعقل، الذى فيه اعتُقل،،

يلوى اليه كل أَعْوَرَ ناعق[g]   وتهبّ فيه كل ريح صَرْصَرِ
ويكاد من يرقى اليه مرّةً   من عمره يشكو انقطاع الابهرِ

ودخل ليلةً على المنصور والمنصور قد اتّكأ وارتفق، وتحلّى[h] بمجلسه ذلك الأُفُق،، والدنيا[i] بمجلسه ذلك مشوقة، واحاديث الامانى به منسوقة،، فامره بالنزول فنزل فى جملة الاصحاب، والقمر يظهر ويحتجب فى السحاب،، والافق يبدو به اغرّ ثم يعود مبهما، والليل يتراءى منه اشقر ثم يعود ادهما،، وابو مروان قد انتشا، وجال فى ميدان الانس ومشا، وبُرْد خاطره قد دبّجه السرورُ ووشّى،، فاقلقه ذلك المغيبُ والالتياح، وانطقه ذلك السرورُ والارتياح،، فقال

ارى بدر السماء يلوح حينا   فيبدو ثم يلتحف السحابا
*وذلك انه[j] لما تبدّى   وابصر وجهك استحيا فغابا
مقالٌ لو نمى عندى اليه   لراجَعَنى بذا حقًّا جوابا

وله فى مده اعتقاله، وتردّده فى *قيله وقاله[k]،،

شحط المزارُ فلا مزارَ ونافرت   عينى الهجوعَ فلا خيال يعترى

---

a) *Al-Mat.* L. P. الانقطاع اليه والاصطناع. b) *Al-Mat.* L. وباجرعه, P. ويصرعه. c) G. L. La. O. نفع, S. قفع. d) *Al-Mat.* L. P. ناث. e) *Al-Mat.* P. R. كما; al-Makk. كالماء (*sic*). f) *Al-Mat.* P. R. فعد; al-Makk. S. بعد, G. تعد, L. يعد. g) *Al-Mat.* L. ناعب. h) *Al-Mat.* L. وحكى. i) G. P. S. و.... نيا, La. O. فكم امانيا. j) *Al-Mat.* L. وذاك لانه. k) *Al-Mat.* L. قيده وعقاله.

ازرى بصبرى وهو مشدود القُوَى a وأَلْآنَ عُودى وهو صلبُ المكسرِ
وطوى سرورى كلّه وتلذّذى بالعيش طىَّ صحيفة لم تُنْشَرِ
ها انما القى الحبيبُ توهّما بضمير تذكارى وعين تذكّرى
عجبا لقلبى يومَ راعتْنى النوى ودنا وداعى b كيف لم يتفطّرِ

رجع الى المنصور وكان المنصور اذا اراد امرا مُهِمًّا شاور اربابَ الدولة الاكابر c من خُدّام الدولة الامويّة فيشيرون عليه بالوجه الذى عرفوه وجرت الدولة الاموية عليه فيخالفهم الى المنهج الذى ابتدعه، فيقصّون فى انفسهم بالهلاك فى الطريق الذى سلكه والمَهْيَع الذى اخترعه،، فتسفر العاقبةُ عن السلامة التامّة التى اقتضاها سعدُه فيكثرون التعجُّب من موارد اموره d ومصادرها وقيل له مرةً ان فلانا مشعوم فلا تستخدمْه فقال أُفٍّ لسعدٍ لا يغطّى على شومه فاستخدمه ولم يَنَلْه من شومه الذى جرتْ به العادةُ شىءٌ، وحكِى عنه انه كان فى قصره بالزاهرة فتأمّل محاسنَه ونظره e الى مياهه المطّردة، وأنْصَتَ لاطياره المغرّدة،، وملأ عينَه من الذى حواه من حسن وجمال، والتفت فى الزاهرة من اليمين الى الشمال،، فانحدرت دموعُه وتجهّم وقال وَيْهًا لكِ يا زاهرةُ فلَيْتَ شعرى مَنِ الخائن الذى يكون خرابكِ على يديه عن قريب فقال له بعض خاصّته ما هذا الكلام الذى ما سمعناه من مولانا قط وما هذا الفكر الردىء الذى لا يليق بمثله شغلُ البال به فقال والله لَترون ما قلتُ وكانّى بمحاسن الزاهرة قد مُحِيت، ورسومها قد غُيِّرت، وبمبانيها قد هُدِمت ونُحِّيت، وبخزائنها قد نُهِبت، وبساحاتها قد أُضْرِمت بنار الفتنة وأُلْهِبت،، قال الحاكى فلم يكن الا ان توفّى المنصور وتولّى المظفّر ولم تَطُلْ مدّتُه فقام بالامر f اخوه عبد الرحمن الملقّب بشنجول فقام عليه المهدى والعامّة، وكانت منهم عليه وعلى قومه الطامّة،، وانقرضت دولة آل عامر، ولم يبق منهم آمر،،

كأن لم يكن بين الحَجُون الى الصَفا انيسٌ ولم يسمرْ بمكّة سامرُ
بلى نحن كُنّا اهلَها فابادنا صروفُ الليالى والجدودُ العواثرُ

وخربت الزاهرة وذهبت g كأمس الدابر، وخلت منها الدُسوتُ الملوكيّة والمنابر h،، واستولى النهب على ما فيها من العدّة والذخائر والسلاح، وتلاشى امرُها فلم يُرْجَ

a) G. القرى, L. S. La. O. العرى. b) *Al-Mat.* R. et al-Makk. وداع. c) La. O. والاكابر.
d) Les man. portent امورها. e) La. O. ورأى. f) G. L. S. بالامرة. g) La. O. ومضت.
h) La. O. والدساكر.

لفسادها صلاح،، وصارت قلعًا صفصفاء وأُبدلت a بايام التّرح عن اوقات الفرح والصفا،، ويروى ان بعض اولياء ذلك الزمان مرّ بها ونظر الى مصانعها السامية الفائقة، ومبانيها العالية الرائقة،، فقال يا دارُ فيك من كل دار، فجعل الله منك فى كل دار،، قال الحاكى فلم تكن بعدُ دعوة ذلك الصالح الا ايام يسيرة حتى نُهبت ذخائرها، وعمّ بالخراب سائرها،، فلم تبقَ دار بالاندلس الا ودخلها من فَيْئها حصّة كثيرة او قليلة، وحقّق الله دعاء ذلك الرجل الذى همّته مع ربّه جليلة،، ولقد حُكى ان بعض ما نُهِب منها بِيعَ ببغداد وغيرها من البلاد المشرقيّة فسبحان من لا يزول سلطانه ولا ينقضى ملكه لا اله الا هو، وتذكرت هنا ما رآه فى المنام بعض اهل المغرب بالليلة التى انقرض فيها ملك الموحّدين ان شخصا ينشده

مُلْكُ بنى مومن تولّى وكان فوق السماك سَمْكُهْ
فاعتبِروا وٱنْظروا وقولوا سبحان من لا يبيد ملكُهْ

لا اله الا هو، وكان المهدى القائم على العامريين ماجنًا فاتكًا وقال وقد حيّاه فى مجلس شرابه غلام بقضيب آس

اهديت شبه قوامك المياس البيتين

ان المنصور بن ابى عامر حين تغلّب على ملك الامويين غير مكترث بمثل المهدى المذكور فسلّطه الله على كل ما اسّسه المنصور حتى هدمه، واخّر كل ما قدّمه،، ولم ينفع فى ذلك احتياط ولا حزم، ولا رادَّ للقضاء المُبْرَم الجزم،،

والله يحكم ما يشا ء فلا تكن متعرّضا

وقد قدّمْنا شيئا من اخبار المنصور ولا باس ان نلمّ هنا ببعضها وان حصل منه نوعُ تكرار فى نبذة منها لارتباط الكلام بعضه ببعض، قال بعض المحقّقين من المورّخين حجر المنصور بن ابى عامر على هشام المويّد بحيث لم يَرَه احد منذ ولىَ الحجابةَ وربما اركبه بعد سنين وجعل عليه برنسًا وعلى جواريه مثل ذلك فلا يُعرف منهن ويامر من ينحّى الناس من طريقه حتى ينتهى المويد الى موضع تنزّهه ثم يعود غير انه اركبه بأبّهة الخلافة فى بعض الايام لغرض له كما ألْمَعْنا به فيما سبق وكان المنصور اذا سافر وكّل بالمويد من يفعل معه ذلك فكان هذا من فعله سببا

a) P. وازبلت, S. وادبلت, G. L. La. واذيلت, O. وادبلت.

لانقطاع ملك بنى امية من الاندلس واخذ مع ذلك فى قتل من يخشى منه من بنى امية خوفَ ان يثوروا به ويُظْهِر انه فعل ذلك شفقةً على المؤيد حتى افنى من يصلح منهم للولاية ثم فرق باقيهم فى البلاد، وادخلهم زوايا الخمول عارِين من الطراف والتلاد،، وربما سكن بعضهم البادية، وترك مجلس الأبّهة ونادِيَه،، حتى قال بعض من ينقم على المنصور ذلك الفعل من قصيدة

أَبنى اميّة اين اقمارُ الدجى منكم واين نجومُها والكوكبُ

غابتْ اسودُ منكم عن غابها فلذاك حاز الملكَ هذا الثعلبُ

مع ان المنصور مُفاخر، بديهّا[a] الاوائلَ والاواخر،، من المثابرة على جهاد العدوّ، وتكرار الذهاب بنفسه فى الرواح والغدوّ،، وله مع المصحفى وغيره اخبار مرّت[b] وباقى بعضها، ولا باس ان نلخّص ترجمة المصحفى فنقول قال الفتح فى المطمح الحاجب جعفر المصحفى تجرّد للعليا، وتمرّد فى طلب الدنيا،، حتى بلغ المُنَى، وتسوّغ ذلك الجَنَى،، فسما دون سابقة، وارتمى الى رتبة لم تكن لبنيته[c] مطابقة[d]،، فالتاح فى افق[e] الخلافة، وارتاح *اليه معطفه[f] كنشوان السُلافة،، واستوزره المستنصر، وعنه كان يسمع وبه كان[g] يبصر،، فادرك بذلك ما ادرك، ونصب لامانيه الحبائل والشَرَك،، واقتنى وادّخر، وازرى بمن سواه وسخر،، واستعطفه المنصور محمد بن ابى عامر ونجمه غائر لم يَلُحْ، وسرّه مكتوم لم يَبُحْ،، فما عطف، ولا جنى من روضة دنياه ولا قطف،، فاقام، فى تدبير الاندلس ما اقام،، والاندلس متغيّرة، والاذهان فى تكيّف سعده متحيّرة،، فناهيك من ذكر خلّد، ومن فخر تقلّد،، ومن صعب راضَ، وجناحِ فتنة هاضَ،، ولم يزل بنجاد تلك الخلافة معتقلا، وفى مطالعها منتقلا،، الى ان توفّى الحكم، فانتقض[h] عقده المُحْكَم،، وانبَرَتْ[i] اليه النوائب، وتسدّدت اليه *من الخطوب[j] سهامٌ صوائب،، واتّصل الى المنصور ذلك الامر، واختصّ به كما مال[k] بيزيد اخوه الغَمْر، واناف فى تلك الخلافة كما شبّ قبل اليوم عن طوقه عمرو،، وانتدب للمصحفى

---

a) G. S. بدبها, P. بذبها, La. ندبها, O. بذبها. b) G. L. S. P. مر. c) *Al-Mat.* P., al-Makk. La. O. لبنيه; *al-Mat.* L. لهيئته, R. لنعسه; al-Makk. G. L. S. لبيته. d) *Al-Mat.* P. et al-Makk. بمطابعة. e) *Al-Mat.* P. R et al-Makk. افياء. f) *Al-Mat.* P. R. et al-Makk. اليها بعطفه. g) Ce mot manque dans *al-Mat.* P. R. et al-Makk. G. L. S. O. h) *Al-Mat.* L. فانفصم. On trouve la même leçon dans le *Bayān al-M.*, t. II, p. ٢٧٢. i) *Al-Mat.* P. R. وانبرمت. j) Ces mots ne se trouvent que dans le man. L. du *Matmaḥ*. k) *Al-Mat.* L. فال, P. بال.

يصدر قد كان اوغره، ويسائه وصغّره،، فاقتصّ a من تلك الاساءة b، واغصّ حلقه باىّ مساءة،، فاخمله ونكبه، وارجله عمّا كان الدهر اركبه،، والهب جوانحه c حزنا، ونهب له مدّخرا ومختزنا،، ودمّر عليه ما كان حاط، واحاط به من مكروهه ما احاط،، وغبره d سنين فى مَهْوَى تلك النكبة، وجَوَى e تلك الكربة،، ينقله المنصور معه فى غزواته، ويعتقله بين *ضيق المطبق f ولهواته،، الى ان تكوّرت شمسه، وفاضت بين اثناء المحن g نفسه،، ومن بديع ما حُفِظ له فى نكبته، قوله يستريح من كربته،،

صبرتُ على الايام لما تولّتِ والزمتُ نفسى صبرَها فاستمرّتِ
فوا عجبا للقلب كيف اعترافه h وللنفس بعد العزّ كيف استذلّتِ
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى فان طمعتْ تاقتْ والا تسلّتِ
وكانت على الايام نفسى عزيزةً فلما رأت صبرى على الذلّ ذلّتِ
فقلتُ لها يا نفسُ موتِى كريمةً فقد كانت الدنيا لنا ثم ولّتِ

وكان له ادب بارع، وخاطر الى نظم القريض مسارع i،، فمن محاسن انشاده، التى بعثها ايناسُ دهره باسعاده j،، قوله

لعينَيْك k فى قلبى علىّ عيونُ وبين ضلوعى للشجون فنونُ
لئن كان جسمى l مُخْلَقا فى يد الهوى فحبّك عندى m فى الفؤاد مصونُ

وله وقد n اصبح عاكفا على حميّاه، هاتفا باجابة دنياه، مرتشفا ثغر o الانس متنسّما ريّاه،، والملك يغازله بطرف كحيل p، والسعد قد عقد عليه منه اكليل،، يصف لون q مُدامه، وما تعرّف له منها دون ندامه،،

صفراء تطرق r فى الزجاج فان سَرَتْ فى الجسم دبّتْ مثل صِلّ لادغِ
خفيت على شرّابها فكانّما يجدون ريّا من s اناء فارغِ

a) *Al-Mat.* R. et al-Makk. فاقتضى. b) *Al-Mat.* P. R. اساءه, al-Makk. اشاءه. c) *Al-Mat.* P. R., al-Makk. G. S. La. O. جوارحه. d) Al-Makk. وعبر. e) Al-Makk. G. L. S. O. وجرا, La. وحراثم. f) *Al-Mat.* P. ضيق التطبيق. Dans le *Bayān al-M.* (*loc. cit.*) on lit بين اظفار التضبيق. g) *Al-Mat.* L. P. المحاسن. h) Var. dans le *Bayān al-M.* اصطباره. i) *Al-Mat.* R., al-Makk. G. L. S. يسارع. j) *Al-Mat.* P. واسعاده. k) *Al-Mat.* L. لعينك, P. R. لعينى. l) Al-Makk. La. O. فلبى. m) *Al-Mat.* L. غض. n) Les man. P. et R. du *Mat.* ajoutent كان. o) *Al-Mat.* L. P. نغور. p) Al-Makk. كليل. q) Al-Makk. G. L. S. كوز. r) Al-Makk. La. تشرق; dans le *Bayān al-M.* on lit تبرق. s) *Al-Mat.* P., al-Makk. La. فى.

*ومن شعره الذى قاله فى السفرجل مشبّهاً[a]، وغدا به لنسائم البديع منبّهاً، قوله يصف سفرجلة، ويقال انه ارتجله،

ومصفرّة تختال فى ثوب نرجسٍ   وتعبق عن مسك ذكىّ التنفّس
لها ريحُ محبوب وقسوة قلبه   ولونُ محبٍّ حُلّةَ السقم مكتسى
فصُفْرتها من صفرتى مستعارة   وانفاسُها فى الطيب انفاسُ مونسى
وكان لها ثوب من الزُغْب اغبر[b]   *على جسمٍ مصفرّ[c] من التبر املسِ
فلما استتمّت فى القضيب شبابَها   وحاكت لها الاوراق اثواب سندسِ
مددتُ يدى باللطف ابغى اجتناءها   لاجعلها ريحانتى وسط مجلسى
فبزّت يدى غَضْبًا لها ثوبَ جسمها   واعريتُها باللطف من كل ملبسِ ٧
ولما تعرّت فى يدى من برودها   ولم تبقَ الا فى غلالة نرجس[d]
ذكرتُ بها مَن لا ابوح بذكره   فانبلها فى الكفّ حرُّ التنفّس

وله وقد اعاده المنصور الى المطبق، والشجون تسرع اليه وتسبق، معزّيا لنفسه باسعاده[e] امسه،

أُجازى الزمانَ على حالة   مجازاةَ نفسى لانفاسِهَا
اذا نَفَس صاعد شفّها   توارت به دون الاسِ
وان عكفتْ نكبة للزمان   * عكفتُ بصدرى[f] على راسِهَا

ومما حُفظ له فى استعطافه، واستنزاله للمنصور واستلطافه، قوله

عفى الله عنك أَلا رحمةٌ   تجود بعفوك ان أُبعدَا
لئن جلّ ذنبٌ ولم اعتمدْه[g]   فانت اجلُّ واعلى يدَا
الم ترَ عبدا عدا طورَه   ومولًى عفا ورشيدا هدَى
ومفسدَ امر تلافيتَه   فعاد فاصلح ما افسدَا

---

a) *Al-Mat.* P. R. ومن شعره فى السفرجل الذى قاله فيه مشبها, L. ومن بديع قوله. b) *Al-Mat.* L. اخضر. c) Au lieu de ces mots on lit dans les *Notices sur quelques man. arabes*, par M. Dozy, p. 144: يرف على جسم. Quant à la construction, comparez ce vers (Gulistān, éd. Semelet, p. ١٥) : كستّورِ مغلوبٍ يصول على الكلب. d) *Al-Mat.* L. سندس. e) *Al-Mat.* P. R. باخبار. f) *Al-Mat.* P. R. عطفت بصلدى. g) La. اعتمد, G. L. S. O. اعتده.

٥ أَقِلْنى اقالك مَنْ لم يزل يقيك ويصرف عنك الرَّدَى

عود وانعطاف الى اخبار المنصور بن ابى عامر رحمه وجازاه عن الجهاد افضل الجزاء بمنّه وكرمه وفضله وطَوْله فنقول وكان له فى كل غزوة من غزواته المنيفة على الخمسين مفاخر من المفاخر الاسلاميّة فمنها ان بعض الاجناد نسى رايتَه مركوزة على جبل بقرب احدى مداين الروم فاقامت عدّةَ ايام لا يعرف الروم ما وراءها بعد رحيل العساكر وهذا بلا خفاء مما يفتخر به اهل التوحيد على التثليث لانهم لما أُشرب قلوبهم خوفَ شرذمة المنصور وحزبه وعلم كل من ملوكهم انه لا طاقة له بحربه،، لجأوا الى الفرار والتحصّن بالمعاقل والقلاع ولم يحصل منهم غير الاشْراف من بُعْد والاطّلاع،، ومن مفاخر المنصور فى بعض غزواته انه مرّ بين جبلين عظيمين فى طريق عرض بريد بوسط بلاد الافرنج فلما جاوز ذلك المحلّ وهو آخذ فى التحريق والتخريب والغارات والسبى يمينا وشمالا لم يجسر احد من الافرنج على لقائه حتى اقفرت البلادُ مسافةَ ايام ثم عاد فوجد الافرنج قد استجاشوا من ورائه [a] وضبطوا ذلك المدخل الضيّق الذى بين جبلين وكان الوقت شتاء فلما رأى ما فعلوه رجع واختار منزلا من بلادهم اناخ به فيمن معه من العساكر وتقدّم ببناء الدُور والمنازل ويجمعه [b] آلات الحرث ونحوها وبثّ سراياه فسبت وغنمت فاسترقّ الصغارَ وضرب اعناق الكبار والقى جُثَثَهم حتى سدّ بها المدخل الذى من جهته وصارت سراياه تخرج فلا تجد الا بلدا خرابا فلما طال البلاء على العدوّ ارسلوا اليه فى طلب الصلح وان يخرج بغير أَسْرَى ولا غنائم فامتنع من ذلك فلم تزل رُسُلهم تتردّد اليه حتى سألوه ان يخرج بغنائمه واسراه فاجابهم ان اصحابى ابَوْا ان يخرجوا وقالوا انّا لا نكاد نَصِلُ الى بلادنا الّا وقد جاء وقت الغزوة الاخرى فنقعد ههنا الى وقت الغزاة فاذا غزونا عُدْنا فما زال الافرنج يسألونه * الى ان [c] قرّر عليهم ان يحملوا على دوابّهم ما معه من الغنائم والسبى وان يمدّوه بالميرة حتى يصل الى بلاده وان ينحّوا جِيَفَ القتلى من طريقه بانفسهم ففعلوا ذلك كله وانصرف ولَعمرى ان هذا لَعِزٌّ ما وراءه مطمح ونصرٌ لا يكاد الزمان يجود بمثله ويسمح،، خصوصًا ازالتُهم جيفَ قتلاهم من الطريق وغصُّهم فى شرب ذلك بالريق،، ومن مآثره التى هى فى جبين عصره

a) Les man. portent ورائهم. b) G. L. S. ويجمع, O. وجمع. c) La. O. حتى. *.

غُرّة، ولعين دهره قرّة،، انه لما ختن اولاده ختن معهم من اولاد اهل دولته a ٥٠٠ صبىّ ومن اولاد الضعفاء عدد لا ينحصر فبلغت النفقة عليهم فى هذا الاعْذار ٥٠٠ الف دينار وهذه مكرمة مخلّدة، ومنّة مقلّدة،، فالله يجازيه عن ذلك افضل الجزا، ويجعل للمسلمين فى فقد مثله احسن العزا،، ومن مناقبه التى لم تتّفق لغيره من الملوك فى *غابر الزمن b ان اكثر جنده من سبيه على ما حقّقه بعض المؤرّخين وذلك غاية المنح من الله والمنّ، ومن اخباره، الدالّة على اقْبال امره وخيبة عدوّه وادْباره،، انه ما عاد قط من غزوة الا استعدّ لاخرى ولم تُهْزَم c له قط راية مع كثرة غزواته شاتية وصائفة وكفاه ذلك فخرًا، ومنها انه لقيتْه وقد عاد من بعض غزواته d امرأة نفمت عليه بلوغَ مُناه وشهواته،، وقالت له يا منصور استمعْ نداءى، فانت فى طيب عيشك وانا فى بكاءى،، فسألها عن مصيبتها التى غمّتْها e، فذكرت ان لها ابنًا اسيرا فى بلاد سمّتْها،، وانها لا يهنأ عيشُها لفقده، ولا يخبو ضرام قلقها من وقده،، وانشد لسان حالها *يا ذلك e الملك العَلِى وبح f الشجىّ من الخَلِى فرحّب المنصور بها، واظهر الرقّة بسببها،، وخرج من القابلة الى تلك المدينة التى فيها ابنها وجاس اقطارها وتخلّلها، حتى دوّخها اذ اناخ عليها بكلكله وذلّلها، واعراها من حُماتها وبنود الاسلام المنصورة ظلّلها،، وخلّص جميع مَنْ فيها من الاسرى، وجلبت عواملُه الى قلوب الكَفَرة كَسْرا، وانقلبت عيونُ الاعداء حَسْرَى، وتلا لسان حال المرأة فانّ مع العُسْر يُسْرا انّ مع العسر يسرا g،، فهكذا تكون الهمّة السلطانية، والنخوة الايمانية،، فالله يروّح تلك الارواح فى الجنان، ويرقّى درجاتها ويعاملها بمحض الفضل والامتنان،، وقد تذكّرتُ هنا والحديث شجون، *وفى ذكره h المناسبات يبلغ الطُلّاب ما يرجون،، كتابا كتبه الاديب الكاتب ابو محمد ابن الامام الحافظ محدّث الاندلس ابى عمر i بن عبد البر النميرى الى المنصور بن ابى عامر وهو من ذرّيّة المنصور الكبير الذى كُنّا نتحدّث فى اخباره، يمتّ اليه بسلفه ومعامَلتهم لمن تقدّم من آبائه بتعظيم قدره واكباره،، وهو عمّر الله ببقاء مولاى ذى السابقتين j بهجةَ اوطانه، وملكه

a) La. O. قرطبة. b) Les man. portent غالب الظن. c) La. O. تنهزم. d) G. L. S. غمتها وعمتها, O. عمتها. e) G. L. P. S. ذلك, La. O. لذلك. f) G. L. P. La. ايا وبح, O. با ويح. g) *Al-Kor.*, sour. 94, vs. 5, 6. h) G. وقد ذكر, S. O. وذكر. i) G. L. O. عمرو. j) G. L. السابقين.

عنانَ زمانه، ومدَّ عليه ظِلالَ امانه،، انّى ابقى الله الملك الكريم، والسيّد الزعيم،، لما اضاءت التّى اهلّةُ مفاخركم فى سماء الفخار، واشرقت شموسُ مكارمكم على مفارق الأ . إر،، وابصرتُ شمائلك الزُهْر تهدى اليك من الهِمَم كامنَها، ومحاسنَك الغُرّ توقظ لك من الآمال ‍a) راقدَها،، تيقّنتُ ان بحقّ انقادت لك القلوبُ فى اعنّتها، وتهادتْ اليك النفوسُ بازمّتها،، فآليْتُ ان لا أُلمّ الا بحماك، ولا احطّ رحلا الا بفناك،، علمًا بانك نثرة الفخر، وغرّة الدهر،، فتيمّمتُ ساريا فى ساطع نورك، متيمّنًا بيُمْن طائرك b)،، محقّقا للربح، مُوقِنا بالفلح والنجح،، حتى حللتُ فى دوحة المجد، وأَنَختُ بدولة السعد، واستشعرتُ لبسةَ الشكر والحمد،، وجعلتُ انظم من جواهر الكلام، ما يُرْبِى على جواهر النظام،، وانشر من عطر الثنا، ما يُزْرِى بالروضة الغنّا،، وحاشا للفهم ان يعطّل ليلى من اقمارك، او يخلّى افقى من انوارك،، فارانى منخرطا فى غير سلكه، ومنحطّا الى غير ملكه،، لا جرمَ انه مَن استضاء بالهلال، غنى عن الذُبال،، ومَن استنار بالصباح، القَى سنى المصباح،، وتالله ما هزّتْ آمالى ذوائبَها الى سواك، ولا حَدَتْ اوطارى c) ركائبَها الى مَنْ عداك،، ليكون فىّ اثرُ الوسمىّ فى الماحل، وعلىّ جمالُ الحلى على العاطل،، لسيادتك السنيّة، ورياستك الاوليّة، التى يُقْصِر عنها لسانُ افْصاحى، ويَعْيَى فى بعضها بيانى وايضاحى،، والقراطيس عند بثّ مناقبك تَفْنَى، والاقلام فى رسم مآثرك تَحْفَى d)،، وما املُ المُجْدِب، فى حياة المُخْصِب،، ولا جذلُ المُذْنِب، برضى المُعْتِب،، كأمَلى فى التعزّز بحوزتك، والتجمّل بجملتك، والترفّع بخدمتك،، فالسعيد مَنْ نشأ فى دولتك، وظهر فى امّتك، واستضاء بغرّتك،، لقد فاز بالسبق مَنْ لحظتْه عينُ رعايتك، وكنفتْه حوزةُ حمايتك،، فانت الذى امنتْ بعدله نوائبُ الايام، وقويتْ بسلطانه دعائمُ الاسلام،، تختال بك المعالى اختيالَ العروس، وتخضع لجلالك اعزّةُ النفوس،، سابقة اشهر من الفجر e)، وفطنة أنْوَر من البدر، وهمّة انفذُ من الدهر،،

لقد فاز مَنْ اضحى بكم متمسّكا ... يشدّ على تأميل عزّكم يدَا
سلكتَ سبيل الفخر خُلْقًا مركّبا ... وغيرك لا يأتيه الّا تجلّدَا
فانتم لواء الدين لا زال قيّمًا ... بآرائكم فى ظلمة الخطب يُهتدَى

a) La. O. الاعمال. b) S. طيرك. c) G. L. P. S. O. اوطار. d) La. O. تخفى. e) G. L. S. الفخر.

لِيَهْنكم مجدٌ تليد بنيتهم[a] اغار سناه فى البلاد وأَنْجَدا

ومثله ابقاه الله يُستثمر ايراقُه فيُثْمِر جناه، ويُستمطر ابراقُه فيمطر حياه،، لا سيّما وانّى نشأة حقّها احسانُ اوائلك الطاهرين، والقُها انعامُ اكابرك الطيّبين،، وجدير بقبولك واقبالك، وبرّك واجمالك،، مَنْ اصله ثابتٌ فى اهل محبّتكم، وفرعه نابتٌ فى خاصّتكم،،

وما رغبتى فى عسجد استفيدُهُ ولكنّها فى مفخر استجدُّهُ

فكل نوال كان او هو كائن فلحظة طرف منك عندى[b] ندُّهُ

فكُنْ فى اصطناعى محسنًا كمجرّب[c] يَبِنْ لك تقريبُ الجواد وشدُّهُ

اذا كنتَ فى شكّ من السيف فابْلُه[d] فاِمّا تنفيه واِمّا تُعِدُّهُ

وما الصارم الهندىّ الا كغيره اذا لم يفارقْه النجّادُ وغمدُهُ

ولا غروَة[e] ان يتطوّل مولاى بغرس الصنيعة فى ازكى التُرَب، ووضع الهناء مكانَ النُوَب،، والله يبقى مولاى آخذًا بزمام الفخر، ناهضا باعباء البرّ، مالكا لاعنّة الدهر،، وصنع الله لسيّدى اتمّ الصُنْع واجمله، وافضله واكمله،، بمنّه لا ربَّ سواه، انتهى، رجع الى اخبار المنصور الكبير محمد بن ابى عامر رحّه وكُنّا قد ذكرنا انه قبض على الوزير الحاجب المصحفى مع انه كان احد اتباعه قال صاحب كتاب روضة الازهار، وبهجة النفوس ونزهة الابصار،، ولما امر المنصور بن ابى عامر بسجن المصحفى بالمطبق فى الزهراء ودّع اهله وداعُه وداع الفرقة وقال لهم لستم تروننى بعدها حيًّا فقد اتى وقتُ اجابة الدعوة وما كنتُ ارتقبه منذ ٤٠ سنة وذلك انى شاركتُ فى سجن رجل فى عهد الناصر وما اطلقتُه الا بروبا رايتُها بان قيل لى اطلِقْ فلانا فقد أُجيبت فيك دعوتُه فاطلقتُه واحضرتُه وسالتُه عن دعوته علىّ فقال دعوتُ على مَنْ شارك فى امرى ان يُميتَه الله فى اضيق السجون فقلتُ انها قد اجيبت فانّى كنتُ ممّن شارك فى امره وندمتُ حين لا ينفع الندمُ فيروى انه كتب للمنصور ابن ابى عامر بهذه الابيات

هَبْنى اسأتُ فاين العفو والكرم الابيات

فاجابه المنصور بابيات لعبد الملك الجزيرى

يا جاهلًا بعد ما زلّتْ بك القدمُ تبغى التكرّم لما فاتك الكرمُ

---

a) G. بنيته. b) G. عنده, L. عندك. c) La. O. لمجرب. d) La. O. بباس. e) Les man. portent ـ ..

ندمتَ اذ لم تَعُدْ منّى بطائلة　　　وقلّما ينفع الاذعان والندمُ

نفسى اذا جمحتْ ليست براجعة　　　ولو تشفّع فيكَ العُرْبُ والعجمُ

فبقى فى المطبق حتى مات نعوذ بالله من دعوة المظلوم انتهى، وقد ذكر بعضهم فى هذه الابيات زيادةً حسبما ذكرناه فى غير هذا المحلّ فان هذه الابيات للمنصور وهذا المؤرّخ مصرّح بانها لعبد الملك الجزيرى وقد يقال لا منافاةَ بينهما فان المنصور اجاب بالابيات وهل هو قائلها أم لا الامرُ اعمّ[a] فبيّن هنا والله اعلم، وقال بعض مؤرّخى المغرب أن الحاجب المصحفى حصل له فى هذه النكبة من الهَلَع والجَزَع ما لم يُظَنّ انه يصدر من مثله حتى انه كتب الى المنصور بن ابى عامر يطلب منه أن يقعد فى دهليزه معلّما لاولاده فقال المنصور بدهائه وحذقه ان هذا الرجل يريد ان يحطّ من قدرى عند الناس لانهم طالما رأونى بدهليزه خادما ومسلّما، فكيف يرونه الآن فى دهليزى معلّما،، وكان المنصور يذهب به بعد نكبته معه فى غزواته حتى انه حكى بعضهم انه راى الحاجب المصحفى فى ليلة نهى المنصور فيها الناس عن إيقاد النيران تعميةً على العدوّ الكافر وهو ينفخ فحمًا فى كانون صغير ويخفيه تحت ثيابه او كما قال فسبحان مُزيلِ[b] الدُوَل لا اله الا هو فان هذا المصحفى بلغ من الجلالة والعظم والتحكّم فى الدولة المدّة المديدة امرا لا مزيدَ عليه والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين، ولقد ذكر بعض العلماء المَغاربة ان من اعاجيب انقلاب الدنيا باهلها قصّة المنصور بن ابى عامر مع الحاجب جعفر بن عثمن المصحفى ولم يزل اعداء المنصور بن ابى عامر يتربّصون به الدوائر، فغلب سعدُه الذى هو المثل السائر،، وربّما همس بعض الشعراء بهجوه وهجو الدولة جميعا اذ قال[c]

اقترب الوعدُ وحانَ الهلاكْ　　　وكل ما تحذره قد اتاكْ

خليفة يلعب فى مكتب　　　وامّه حُبْلَى وقاضٍ ينـاكْ

يعنى بالخليفة هشاما المؤيد لكونه صغيرا وامّه صُبْح البشكنشيّة كان الاعداء يتّهمون بها المنصورَ، وذلك بُهْتان وزور، وافظع منه رَمْيُهم القاضى بالفجور، والله عالم بسرائر الامور،، ونعوذ بالله من السنة الشعراء الذين لا يراعون إلّا ولا ذمّةً، ويُطلقون السنتهم فى العلماء والائمّة،، ومَنْ كان حاسدا لمن بات فى نعمائه يتقلّب، جدير بان لا يدرك

---

a) S. La. O. اغم. Le sens de ces mots ne m'est pas clair. b) La. مذيل, G. L. S. مديل.
c) Voyez le *Bayān al-M.*, t. II, p. ٣٠٠.

ما يؤمّل ويتطلّب،، لانه يعترض على الله سبحانه فى احكامه، نعوذ بالله من شرّ انفسنا ومن شرّ كل ذى شرّ بجاه نبيّنا عليه ازكى صلاة الله وافضل سلامه،، وقد قدّمنا ان المنصور بن ابى عامر كان اولا يخدم جعفر بن عثمن المصحفى مدبّر مملكة هشام المؤيد ويريه النصيحة وانه ما زال يستجلب a القلوب بجُوده وحسن خلقه والمصحفى ينفرها ببخله وسوء خلقه الى ان كان من امره ما كان فاستولى على الحجابة وسجن المصحفى وفى ذلك يقول المصحفى b

غرستُ قضيبا خِلْتُه عودَ كرمة — وكنتُ عليه فى الحوادث قيّمَا
اكرّمه c دهرى فيزداد خبثُه — ولو كان من اصل كريم تكرّمَا

ولما يئس المصحفى من عفو المنصور قال

لى مدّة لا بُدّ ابلغها — فاذا انقضتْ ايامُها مُتّ
لو قابلتْنى الأُسْدُ ضاريةً — والموت لم يقربْ لَمَا خِفْتُ
فانظرْ الىّ وكُنْ على حذر — فى مثل حالك أَمْسِ قد كُنْتُ

ومن احسن ما نعى به نفسه قوله حسبما تقدم

صبرت على الايام حتى تولت — الابيات

وانشد له الفتح فى المطمح d ونسبها غيره لاحمد بن الفرج صاحب الحدائق

كلّمتْنى فقلتُ درُّ سقيط — فتأمّلتُ عقدها هل تناثَرْ
فازدهاها تبسّم فأرتْنى — نظمَ درّ من التبسّم آخَرْ

وله كما مرّ صفراء تطرق فى الزجاج البيتين وله

يا ذا الذى اودعنى سرّه — لا تَرْجُ ان تسمعه منّى
لم أُجْرِه بعدك فى خاطرى — كانه ما مرّ فى اذنى

وانشد له صاحب بدائع التشبيهات

سألتُ نجومَ الليل هل ينقضى الدجى — فخطّتْ جوابا بالثريّا كخطّ لا
وكنتُ ارى انّى بآخره ليلتى — فاطرق حتى خِلْتُه عاد اوّلا
ومما عن هوى سامرْتُها غير انّنى — انافسها المجرى الى طُرُق العُلَى

a) G. L. S. ينتجلب. b) On rencontre plusieurs des pièces suivantes chez Ibn-al-Abbār. Voyez les *Notices sur quelques man. arabes*, p. 142—147. c) La. O. واكرمه. d) Ces vers ne se trouvent pas dans nos man. du *Matmah*. e) G. L. La. O. تاخر.

انتهى، رجع وكان كما تقدم بقرطبة المصحف العثمانى وهو *متواتر عند[a] اهل الاندلس قالوا ثم آل امره الى الموحّدين ثم الى بنى-مرين، قال الخطيب ابن مرزوق فى كتابه المسند الصحيح الحسن ما ملخّصُه وكان السلطان ابو الحسن لا يسافر الا ومعه المصحف الكريم العثمانى وله عند اهل الاندلس شان عظيم ومقام كبير وكيف لا قال ابن بشكوال أُخرج هذا المصحف من قرطبة وغُرّب منها وكان بجامعها الاعظم ليلةَ السبت حادى عشر شوال سنة ٥٥٢ فى ايام ابى محمد عبد المومن بن على وبامره وهذا احد المصاحف الاربعة التى بعث بها عثمن رضه الى الامصار مكة والبصرة والكوفة والشام وما قيل ان فيه دم عثمن هو بعيد فان يكن احدها فلعلّه الشامى قاله ابن عبد الملك قال ابو القاسم التُجيبى السَبْتى اما الشامى فهو باقٍ بمقصورة جامع بنى اميّة بدمشق المحروسة وعايَنْتُه هنالك سنة ٦٥٧ كما عاينتُ المكّىّ بقبّة اليهوديّة وهى قبة التراب قلت عاينتُهما مع الذى بالمدينة سنة ٧٣٥ وقراتُ فيهما قال النَخَعى لعلّه الكوفى او البصرى واقول اختبرتُ الذى بالمدينة والذىْ نُقل من الاندلس فالفيتُ[b] خطّهما سواءً وما توهّموا من انه خطّه بيمينه فليس بصحيح فلم يخطّ عثمن واحدا منها وانما جمع عليها بعضا من الصحابة كما هو مكتوب على ظهر المَدَنى ونصّ ما على ظهره هذا ما اجمع عليه جماعةٌ من اصحاب رسول الله صلّعم منهم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير *وسعيد بن العاصى[c] وذكر العدد جمعه عثمن رضه من الصحابة رضهم على كتب المصحف انتهى واعتنى به عبد المومن بن على ولم يزل الموحّدون يحملونه فى اسفارهم متبرّكين به الى ان حمله المعتضد وهو السعيد على بن المامون ابى العلا ادريس بن المنصور حين *توجّه لتلمسان آخر سنة ٦٤٥ فقُتل قريبًا من تلمسان وقُدّم ابنه ابرهيم ثم قُتل ووقع النهبُ فى الخزائن واستولت العرب وغيرهم على معظم العسكر ونُهب المصحف ولم يُعلم مستقرّه وقيل انه فى خزانة ملوك تلمسان قلت لم يزل هذا المصحف فى الخزانة الى ان افتتحها امامنا ابو الحسن اواخر شهر رمضان سنة ٧٣٧ فظفر به وحصل عنده الى ان أُصيب فى وقعة طريف وحصل ببلاد بُرْتُقال وأُعمل الحيلة فى استخلاصه ووصل الى فاس سنة ٧٤٥ على يد احد تجار ازمّور واستمرّ بقاؤه فى الخزانة، انتهى

a) La. O. متداول بين b) La. O. فرايت: c) Les man. portent وسعيد والعاصى.

باختصار واعتنى به ملوك الموحّدين غايةَ الاعتناء كما ذكره ابن رُشيد فى رحلته ولا باس ان اذكر كلامه بجملته والرسالة فى شان المصحف لما فيها من الفائدة ونصّ محلّ الحاجة منه انشدنى الخطيب ابو محمد بن برطلة من لفظه وكتبته من خطّه قال انشدنى الشيخ الفقيه القاضى ابو القاسم عبد الرحمن بن كاتب الخلافة ابى عبد الله بن عيّاش لابيه رحمه مما نظمه وقد امر امير المومنين المنصور بتحلية المصحف ونقلته[a] من كل ملك ذخيرةً كانهم كانوا برسم مكاسبهْ

فانْ ورث الاملاكُ شرقا ومغربا فكم قد اخلّوا جاعلين بواجبهْ

وكيف يفوت النصرُ جيشا جعلتَه امامَ قناه فى الوغى وقواضبهْ

والبستَه الياقوت والدرَّ حليةً وغيرك قد روّاه من دم صاحبهْ

وعلى ذكر هذا المصحف الكريم فلنذكرْ كيفيّة الامر فى وصوله الى الخليفة امير المومنين عبد المومن وما ابدى فى ذلك من الامور الغريبة التى لم يُسمع بمثلها فى سالف الدهر حسبما اطرَفنا به الوزير الاجلّ ابو زكرياء يحيى بن احمد بن يحيى بن محمد بن عبد الملك بن طُفَيْل القيسى حفظه الله وشكره مما استفاده وافاده لنا مما لم نسمع به قبلُ عن كتاب جدّه الوزير ابى بكر محمد بن عبد الملك ابن طفيل المذكور مما تضمّنه من وصف قصّة المصحف فقال وصل اليهم ادام الله تاييدهم قمرَا الاندلس النيّران، واميراها المتخيّران،، السيّدان الاجلّان ابو سعيد وابو يعقوب ايّدهما الله وفى صحبتهما مصحف عثمن بن عفّان رضه وهو الامام الذى لم يختلف فيه مختلف، وما زال ينقله خلف عن سلف،، قد حُفظ شخصه على كثرة المتناولين، وذخره الله لخليفته المخصوص بمن سُخّر لخدمته من المتداولين،، وله من غرائب الانباء ومتقدّم الاشعار بما آل اليه امرُه[b] من الايماء ما مُلئت به الطروس، وتحقّقه من اهل الاندلس الرائس والمرءوس،، فتُلُقّى عندَ وصوله بالاجْلال والاعظام، وبُودِر اليه بما يجب من التبجيل والاكرام، وعُكف عليه اطول العكوف والتُزم اشدّ الالتزام،، وكان فى وصوله ذلك الوقتَ من عظيم العناية وباهر الكرامة ما هو معتبَر لأُولى الالباب، وبلاغ فى الاغراب والاعجاب،، وذلك ان سيدنا ومولانا الخليفة امير المومنين، ادام الله له عوائد النصر والتمكين،، كان قبل ذلك بايام قد جرى ذكرُه

a) G. L. ونقلته. b) G. P. S. La. O. امر:

فى خاطره الكريم، وحركته [illegible] تواضع خُلقه العظيم»، وتراءى مع نفسه المطمئنّة المرضيّة، وسجاياه الحسنة الوضيّة»، فى معنى اجتلابه من مدينة قرطبة محلّ مثواه القديم، ووطنه المؤهّل بحرمته للتقديم»، فتوقّع ان يتأذّى اهلُ ذلك القطر بفراقه، ويستوحشوا لفقدان اضاءته فى افقهم واشراقه، فتوقّف عن ذلك لِما جُبِل عليه من رحمته واشفاقه»، فاوصله الله اليه تحفةً سنيّة، وهديّة هنيّة، وتحيّة من عنده مباركة زكيّة» دون ان يكدّرها من البَشَر اكتساب، او يتقدّمها استدعاء او اجتلاب»، بل اوقع الله سبحنه فى نفوس اهل ذلك القطر من الفرح بارساله الى مستحقّه، والتبرُّع به الى القائم الى الله تع بحقّه»، ما اطلع بالمشاهدة والتواتُر على صحّته وصدقه، وعضدتْ مخايلَ برقه سواكبُ ودقه»، وكان ذلك فى كرامات سيّدنا ومولانا الخليفة معدودا، والى امره الذى هو امر الله مردودا»، واجمع عند ذلك بحضرة مراكش حرسها الله سائر الابناء الكرام، والسادة الاعلام»، بدور الآفاق، وكواكب الاشراق، واهل الاستيهال للمقامات الرفيعة وذوو الاستحقاق»، فانتظم عند ذلك هذا القصيد مشيرًا الى اجتماع هذه الدرارئ الزاهرة، والتيام خطوطها على مركز الدائرة»، ووصول المتقدّم ذكرُه المشهور، فى جميع المعمور»، وهو هذا

درارئُ من نور الهدى تتوقّدُ ... مطالعها فوق المجرّة اسعَدُ
وانهار جود كلّما أُمسك الحيا ... يمدّ بها طامى الغوارب مُزْبِدُ
وآساد حرب غابُها شجر القنى ... ولا لبدة الا العجاج الملبَّدُ
مساعير فى الهيجاء مساريع للندى ... بايديهم يُحمى الهجير ويبردُ
تُشَبّ بهم نارانِ للحرب والقِرَى ... ويجرى بهم سيلانِ جيش وعسجدُ
ويستمطرون البرق والبرق عندهم ... سيوف على افق العُداة تجرّدُ
اذا عن سجف الساريات مضاؤها ... فما ذا الذى يغنى الحديد المسرّدُ
ويسترشدون النجم والنجم عندهم ... نصول الى حَبّ القلوب تسدَّدُ
تزاحَم فى جوّ السماء كانما ... عواملها فى الافق صرح ممرَّدُ
تخازَر الحاظُ الكواكب دونها ... ويَفْرَق منها المِرْزَمانِ وفرقدُ

a) G. L. P. S. et O. ajoutent منه. b) La. O. للهيجا. c) Je ne comprends pas ce vers. Voici les variantes des man.: O. سحف, La. O. السايرات, La. يغنى, O. المبرد.

الم تَرَها فى الافق خافقة الحشا — كما تطرف a العينان والقلب يُرْعَدُ
وليس أحْمرار الفجر من اثر السنى — ولكنّه ذاك النجيع المورَّدُ
وما انبسطت كفّ الثريّا فدافعتْ — ولكنّها فى الحرب شِلْو مقدَّدُ
وحطّ سُهيلا ذعرُه عن سميّه — فاضحى على افق البسيطة يُرعدُ
ولما راى نسر وقوعَ اليفه — تطايَر من خوف فما زال يجهدُ
مواقع امر الله فى كل حالة — يكاد لها راس الثرى يتميّدُ
اهاب باقصى الخافقَيْن فنُظّمت — وهيّب جمعَ b المُخْفقين فبُدّدوا
وأَصْفَى c على الدنيا ملابسَ رحمة — نضارتُها فى كل حين تجدَّدُ
واخضل ارجاء الرُّبَى فكانما — عليها من النبت النصير d الزبرجدُ
فمن طرب ما اصبح البرقُ باسما — ومن فرح ما اضحت المزنُ ترعدُ
وغنّى على افنان كل اراكة — غذاها حيا النعمى حمامٌ مغرّدُ
وكبّر ذو نطق وسبّح صامت — وكاد به المعدوم يُحيا ويوجدُ
وابرز للاذهان ما كان غائبا — فسيّان فيها مُطْلَق ومقيّدُ
سلام على المهدىّ اما قضاؤه — فحَتْمٌ واما امره فموكّدُ
امام الورى عمّ البسيطة عدلُهُ — على حينِ وجهُ الارض بالجور أَرْبَدُ
بصير راى الدنيا بعين جليّة — فلم يُغْنِه الا المقام المحمّدُ e
ولما مضى والامر لله وحده — وبُلّغ مامول وأُنجز موعدُ
تردّى امير المومنين رداءه — وقام بامر الله والناس هُجّدُ
بعزمة شَيْحان الفؤادِ مصمّم — يقوم به اقصى الوجود ويقعدُ
مشيئته ما * شاءه الله f انه — اذا هَمّ فالحكم الالهىّ يُسْعِدُ
كتائبه مشفوعة بملائك — ترادفها g فى كل حال وترفدُ
وما ذاك الا نيّة خلصت h له — فليس له فيما سوى الله مقصدُ
اذا خطبت راياتُه وسط محفل — ترى قِمَمَ الاعداء فى الترب تسجدُ
وان نطقتْ بالفصل فيهم سيوفُه — اقرّ بامرِ الله من كان يجحدُ

a) G. L. La. O. تطرق. b) La. O. جميع. c) P. S. L. واصفى , G. واصغى. d) G. S. La. O. الضمير. e) La. O. المماجد. f) S. شاء ربى. g) G. P. S. La. تراد بها , O. تزاد بها. h) S. حصلت.

مُعيد علوم الدين بعد ارتفاعها … ومُبْدى علوم لم تكن قبلُ تُعهدُ
وباسط انوار الهداية فى الورى … وقد ضمّ قرصَ الشمس فى الغرب ملحدُ
وقد كان ضوء الشمس عند طلوعها … يُغان بأَكْنان الضلال ويُغمدُ
فما زال يجلو عن مطالعها الصَدَى … ويبرزها بيضاء والجوّ اسودُ
جزى الله عن هذا الانام خليفةً … به شربوا ماء الحياة فخُلّدوا
وحيّاه ما دامت محاسنُ ذكره … على مدرج الايام تُتْلَى وتنشدُ
لمصحف عثمن الشهيد وجمعه … تبيّن ان الحقّ بالحقّ يُعضدُ
تحامتْه ايدى الروم بعد انتسافه … وقد كاد لولا سعده يتبدّدُ
فما هو الا ان تمرّس صارخ … بدعوته العليا فصبّ المبدّدُ
وجاء ولىُّ الثار يرغب نصره … فلبّاه منه عزمُه المتجرّدُ [a]
رأى اثر المسفوح فى صفحاته … فقام لاخذ الثار منه مؤيّدُ
وشبّهه بالبدر وقتَ خسوفه … فلله تشبيه له [b] الشرع يشهدُ
زمان ارتفاع العلم كان خسوفه … وقد عاد بالمهدىّ والعود احمدُ
اشتْك اميرَ المومنين أُلُوكةٌ … من الحرم الاقصى لامرك تمهدُ
سيوف بنى عَيْلان قامت شهيرة … لدعوتك العلياء تهدى وترشدُ
وطافت ببيت الله فاشتدّ شوقه … اليك ولبّى منه حِجْر ومسجدُ
وحجّ اليك الركن والمَرْوه [c] والصَفَا … فانت لذاك الحج حجٌّ ومقصدُ
مشاعرها الاجسام [d] والروح امركم … ومنكم لها يرضى البقاء المخلّدُ
فلله حج واعتمار وزورة … اتتْنا ولم يبرحك بالغرب مشهدُ
ولله سبع نيّرات تقارنت … بها فِئَةُ الاسلام تُحْمَى [e] وتسعدُ
اذا لم يكن الا فناؤك عصمة … فما ذا الذى يرجو القصىّ المبعّدُ
فدُمْ للورى غيثا وعزًّا ورحمة … فقربُك فى الدارَيْن مُنْجٍ ومسعدُ
وزادت بك الاعيادُ حسنا وبهجة … كانك للاعياد زىٌّ مجدّدُ
ولا زلتَ للايام تُبْلى جديدَها … وعمرُك فى رَيْعانه ليس ينفدُ

ثم انهم ادام الله تاييدهم ووصل سعودهم، لما ارادوا من المبالغة فى تعظيم المصحف

a) G. L. S. المتجدد. b) La. O. به. c) Au lieu de والمروة. d) S. الاجساد. e) La. O. تحيا.

المذكور، واستخدام البواطن والظواهر فيما يجب له من التوقير والتعزير،، شرعوا في انتخاب كسوته، واخذوا في اختيار حليته،، وتأنّقوا في استعمال أَحْفظته، وبالغوا في استجادة أَصْونته،، فحشدوا له الصُنّاع المُتْقنين، والمَهَرة المتفنّنين،، ممن كان بحضرتهم العليّة، او ساتر بلادهم القريبة والقصيّة،، فاجتمع لذلك حُذّاق كل صناعة ومَهَرة كل طائفة من المهندسين والصوّاغين والنظّامين والحلّاتين والنقّاشين والمرصّعين والنجّارين والزوّاقين[a] والرسّامين والمجلّدين وعرفاء البنائين ولم يبق من يوصف ببراعة، او يُنسب الى الحذق في صناعة،، الا احضر للعمل فيه، والاشتغال بمعنى من معانيه،، فاشتغل اهل الحيَل الهندسيّة بعمل أَمْثلة مخترعة، واشكال مبتدعة،، وضمّنوها من غرائب الحركات، وخفيّ امداد الاسباب المسبّبات[b]،، ما بلغوا فيه منتهى طاقتهم، واستفرغوا فيه جهدَ قوّتهم،، والهمّة العليّة ادام الله سموّها تترقّى فوق معارجهم، وتتخلّص كالشهاب الثاقب وراء موالجهم، وتنيف على ما ظنّوه الغايةَ القُصْوى من لطيف مدارجهم،، فسلكوا من عمل هذه الامثلة كل شِعْب، ورأبوا من منتشرها كل شَعْب، واشرفوا عند تحقيقها، وابراز دقيقها، على كل صعب،، فكانت منهم وقفة كادت لها النفسُ تيأس عن مطلبها، والخواطرُ تكرّ راجعةً عن خفيّ مذهبها،، حتى اطلع الله خليفته في خلقه، وامينَه المرتضى لاقامة حقّه،، على وجه انقادت فيه تلك الحركاتُ بعد اعتياصها، وتخلّصت اشكالها عن الاعتراض على احسن وجوه خلاصها،، القوا ذلك أيّدهم الله بنصره، وامدّهم بمعونته ويُسْره،، الى المهندسين والصُنّاع فقبلوه احسن القبول، وتصوّروه باذهانهم فرأوه على مطابقة المامول،، فوقّفهم حسنُ تنبيهه مما جهلوه على طور غريب من موجبات التعظيم، وعلموا ان الفضل لله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم،، وسياتى بعد هذا اشارة الى تفصيل تلك الحركات المستغرَبة، والاشكال المونقة المعجبة،، ان شاء الله تعَ مما صُنع للمصحف العظيم من الأَصْونة الغريبة، والأَحْفظة العجيبة،، انه كُسى كله بصوان واحد من الذهب والفضة ذى صنائع غريبة من ظاهره وباطنه لا يُشْبه بعضُها بعضا قد أُجرى فيه من الوان الزجاج الرومىّ ما لم يُعهد له في العصر الاول مثال، ولا عُمر قبله بشبهه خاطر ولا بال،، وله مفاصل تجتمع اليها اجزاؤه وتلتئم، وتتناسق عنده عجائبه

a) Les man. portent والزرافين. b) P. L. S. La. O. للمسببات.

وتنتظم، قد أُسلست للتحرك أعطافها، وأُحكم انشاؤها على البغية وانعطافها، ونُظم على صفحته وجوانبه من فاخر الياقوت ونفيس الدرّ وعظيم الزمرّد ما لم تزل الملوك السالفة والقرون الخالية تنافس فى افراده، وتتوارثه على مرور الزمن وترداده، وتظنّ العزّ الاقعس، والملك الانفس، فى ادّخاره واعداده، وتسمّى الواحد منها بعد الواحد بالاسم العَلَم لشذوذه فى صنفه واتّحاده، فانتظم عليه منها ما شاكله زُهْرُ الكواكب فى تلألُوه واتّقاده، واشبَهَه الروضُ المزخرف غبَّ سماء اقلعتْ عن امداده، واتى هذا الصوان الموصوف رائقَ المنظر، آخذًا بمجامع القلب والبصر، مستوليا بصورته الغريبة على جميع الصُوَر، يدهش العقول بهاء، ويحيّر الالباب رُواء، ويكاد يُعْشِى a الناظر تألّقا وضياء، فحين تمّت خِصالُه، واستُركبت اوصالُه، وحان ارتباطه بالمصحف العظيم واتّصاله، رأوا ادام الله تاييدهم واعلى كلمتهم مما رزقهم الله من ملاحظة الجهات، والاشراف على جميع التنيّات، ان يُتلطّف فى وجه يكون به هذا الصوانُ المذكور طورًا متّصلا، وطورًا منفصلا، ويتأتّى به للمصحف العظيم ان يبرز تارةً للخصوص متبذّلا، وتارةً للعموم متجمّلا، اذ معارج الناس فى الاستبصار تختلف، وكل له مقام اليه ينتهى وعنده يقف، فعُمل فيه على شاكلة هذا المقصد b، وتُلطِّف فى تتميم هذا الغرض المعتمَد، وكُسى المصحف العزيز بصوان لطيف من السندس الاخضر، ذى حلية خفيفة تلازمه فى المغيب والمحضر، ورُتّب ترتيبا يتأتّى معه ان يُكسى بالصوان الاكبر، فيلتئم به التيامًا يغطّى على العين من هذا الأثر، وكمل ذلك كله على اجمل الصفات واحسنها، وابدع المذاهب واتقنها، وصُنع له مَحْمِل غريب الصنعة، بديع الشكل والصيغة، ذو مفاصل ينبو عن دِقّتها الادراكُ، ويشتدّ بها الارتباط بين المفصلَيْن ويصحّ الاشتراك، مغشّى كله بضروب من الترصيع، وفنون من النقش البديع، فى قِطَع من الابنوس والخشب الرفيع، لم يعمل c قط فى زمان من الازمان، ولا انتهت قط الى ايسره نوافذ الاذهان، مُدار بصنعة قد أُجريت فى صفائح الذهب، وامتدّت امتدادَ ذوائب الشُهُب، وصُنع لذلك المحمل كرسىٌّ يحمله عند الانتقال، ويشاركه فى اكثر الاحوال، مرصّع مثل ترصيعه الغريب، ومشاكل d له فى جودة التقسيم وحسن الترتيب، وصُنع لذلك كله تابوت

a) L. S. La. O. يغشى. b) G. L. S. القصد. c) G. L. S. تعمل. d) S. La. ومشارك.

يحتوى عليه احتواء المشكاة على انوارها، والصدورِ على محفوظ لمكارها،، مكعّب الشكل سامٍ فى الطول حسن الجملة والتفصيل، بالغ ما شاء من التتميم فى اوصاله والتكميل، جارٍ مجرى المَحْمِل فى التزيين والتجميل،، وله فى احد غواربه باب رُكّبت عليه دفّتانِ قد أُحكم ارتجاجهما، ويُسّر بعد الابهام انفراجهما،، ولانفتاح هذا الباب وخروج الكرسىّ من تلفاته وتركّب المحمل عليه ما دُبّرت الحركات الهندسيّة، وتُلقّيت تلك التنبيهات القدسيّة،، وانتظمت العجائب المعنويّة والحسّيّة، والتأمت الذخائر النفيسة والنفسيّة،، وذلك ان باسفل هاتين الدفّتين فيصلا فيه موضع قد أُعدّ له مفتاح لطيف يدخل فيه فاذا أُدخل ذلك المفتاح فيه وأُديرت به اليدُ انفتح البابُ بانعطاف الدفّتين الى داخل الدفّتين من تلقائهما وخرج الكرسىّ من ذاته بما عليه الى اقصى غايته وفى خلال خروج الكرسى يتحرّك عليه المحمل حركةً منتظمة مقترنة بحركته ياتى بها من موُخّر الكرسى زحفًا الى مقدّمه فاذا كمل الكرسى بالخروج وكمل المحمل بالتقدّم عليه انغلق البابُ برجوع الدفّتين الى موضعهما من تلقائهما دون ان يمسّهما احد وترتّبت هذه الحركات الاربع على حركة المفتاح فقط دون تكلّف شىء[b] آخر فاذا أُدير المفتاح الى خلف الجهة التى ادير اليها اولا انفتح[a] الباب واخذ الكرسى فى الدخول والمحملُ فى التأخّر عن مقدّم الكرسى الى موُخّره فاذا عاد كل الى مكانه انسدّ البابُ بالدفّتين ايضا من تلقائه كلُّ ذلك يترتّب على حركة المفتاح كالذى كان فى حال خروجه وصحّت هذه الحركات اللطيفة على اسباب ومسبّبات غائبة عن الحسّ فى باطن الكرسى وهى مما يدقّ وصفُها ويصعب ذكرُها اظهرتْها بركاتُ هذا الامر السعيد وتنبيهات سيدنا ومولانا الخليفة ادام الله امرهم، واعزّ نصرهم،، وفى خلال الاشتغال، بهذه الاعمال،، التى هى غُرَر الدهر، وفوائد العمر،، امروا ادام الله تاييدهم ببناء المسجد الجامع بحضرة مراكش حرسها الله تع فبُدِئ ببنيانه وتاسيس قبلته فى العشر الاول من شهر ربيع الآخر سنة ٥٥٣ وكمل منتصَف شعبان المكرم من العام المذكور على اكمل الوجوه واغرب الصنائع وافسح المساحة وابعد البناء والنجارة وفيه من شمسيّات الزجاج وحركات المنبر والمقصورة ما لو عُمل فى السنين العديدة لاسْتُغرب تمامُه فكيف فى هذا الأَمَد

a) Les man. ajoutent اولا.   b) G. L. S. شى.

اليسير الذى لم يتخيّل احد من الصنّاع انه يتمّ فيه فضلًا عن بناۤئه وصُلّيت فيه صلاة الجمعة منتصَف شعبان المذكور ونهضوا ادام الله تاييدهم عقبَ ذلك لزيارة البقعة المكرمة، والروضة المعظمة،، بمدينة تينْمَلّل ادام الله رفعتها فاقاموا بها بقيّة شعبان المكرم، واكثرَ شهر رمضان المعظم،، وحملوا فى صحبتهم المصحف للعزيز ومعه مصحف الامام المهدى المعلوم رضه فى التابوت الموصوف اذ كان قد صُنع له غرفة فى اعلاه، وأُحكمت فيه احكاما كمل به معناه، واجتمع فى مشكاته فعاد النور الى مبداه،، وخُتم القرآن العزيز فى مسجد الامام المعلوم ختمات كادت لا تُحصى لكثرتها، وهنا انتهى ما وجدناه من هذا المكتوب ثم قال ابن رشيد بعد إيراد ما تقدم ما صورتُه نجزت الرسالةُ فى المصحف العظيم والحمد لله رب العالمين، انتهى محلّ الحاجة منه، ومما احسن قولَ الشيخ الامام ابى محمد عبد الحقّ بن غالب بن عطيّة يستودع اهل قرطبة

استودع اللهَ اهلَ قرطبة حيث عهدتُ[a] الحياء والكرمَا

والجامع الاعظم العتيق ولا[b] زال مدى الدهر مأمنًا حرمَا

وقال ابو الربيع بن سالم حدّثنى بذلك ابو الحسن عبد الرحمن بن ربيع الاشعرى قال انشدنى ابو محمد بن عطيّة لنفسه فذكرهما بعد ان قال انه لما ازمع القاضى ابو محمد بن عطية الارتحال عن قرطبة قصد المسجد الجامع وانشد البيتين انتهى، وقال ابن عطية ايضا رحه باربع فاقت الامصارَ قرطبةٌ البيتين[c]

وقد تقدم انشادُنا لهذين البيتين من غير نسبة لاحد، ومما يدخل فى اخبار الزاهرة من غير ما قدّمناه ما حكاه عن نفسه الوزير الكاتب ابو المُغيرة بن حزم قال نادمتُ يوما المنصور بن ابى عامر فى منية السرور بالزاهرة ذات الحسن النضير، وهى جامعة بين روضة وغدير،، فلما تضمّخ النهارُ بزعفران العشىّ، ورفرف غراب الليل الدجوجىّ،، واسبل الليلُ جنحه، وتقلّد السماكُ رمحه،، وهمّ النسرُ بالطيران، وعام فى الافق زورقُ الزبرقان،، اوقدنا مصابيحَ الراح، واشتملنا مُلاءَ الارتياح،، وللدجنّ فوقنا رواق مضروب، فغنّتْنا عند ذلك جارية تسمّى أُنْس القلوب،،

قدم الليلُ عند سير النهارِ وبدا البدرُ مثل نصف سوارِ

a) G. L. عهدت, La. O. وجدت. b) G. L. وما. c) Voyez plus haut, p. ۹۹. Variantes: vs. 1. وهى ; vs. 2. اكبر شى.

فكانّ النهار صفحة خدّ   وكانّ الظلام خطّ عذارِ
وكانّ الكؤوس جامدُ ماءٍ   وكانّ المدام ذائبُ نارِ
نظرى قد جنى علىّ ذنوبا   كيف مما جنته عينى اعتذارى
يا لَقومى تعجّبوا من غزال   جائرٍ فى محبّتى وهو جارى
ليت لو كان لى *اليه سبيلa   فأُقضّى من حبّه اوطارى

قال فلما اكملت الغنا، احسستُ بالمعنى، فقلتُ

كيف كيف الوصول للاقمارِ   بين سُمْر القنى وبيض الشفارِ
لو علمنا بانّ حبّك حقٌّ   لَطلبنا الحياة منك بثارِ
واذا ما الكرام همّوا بشىء   خاطروا بالنفوس فى الاخطارِ

قال فعند ذلك بادَرَ المنصور لحسامه، وغلظ فى كلامه، وقال لها قُولى واصْدقى الى من تُشيرين، بهذا الشوق والحنين، فقالت الجارية ان كان الكذبُ أَنْجَى، فالصدق أَحْرَى وأَوْلَى، والله ما كانت الا نظرة، ولدتْ فى القلب فكرةً، فتكلّم الحبّ على لسانى، وبرح الشوق بكتمانى، والعفو مضمون لديك عند المَقْدَرة، والصفح معلوم منك عند المعذرة، ثم بكت فكانّ دمعها درّ تناثر من عقد، او طلّ تساقط من ورد، وانشدت

اذنبتُ ذنبا عظيما   فكيف منه اعتذارى
والله قدّر هذا   ولم يكن باختيارى
والعفو احسن شىء   يكون عند اقتدارِ

قال فعند ذلك صرف المنصور وجه الغضب الىّ، وسلّ سيف السخط علىّ، فقلتُ ايّدك الله انما كانت هفوة جرّها الفكرُ، وصبوة ايّدها النظرُ، وليس للمرء الا ما قُدر له، لا ما اختاره وامّله، فاطرق المنصور قليلا ثم عفا وصفح، وتجاوز عنّا وسمح، وخلّا سبيلى، فسكّن وجيبَ قلبى وغليلى، ووهب الجارية لى، فبتْنا بانعم ليلة، وسحبنا فيها للصبا ذيله، فلما شمّر الليلُ غدائره، وسلّ الصباحُ بواتره، وتجاوبت الاطيار بضروب الالحان، فى اعالى الاغصان، انصرفتُ بالجارية الى منزلى، وتكامل سرورى، قال بعضهم ذكّرتْنى حكايةُ ابى المغيرة هذه حكايةٌ قراتُها فى النوادر لابى على القالىّ البغدادى حذتْ فى الظرف حذوَها، وزهتْ بالاغراب زهوَها، وهى ما اسنَدَه عن

a) La. O. سبيل اليه   b) La. O. الهوى.

منصور البرمكى انه كانت للرشيد جارية غلامية وكان المامون يميل اليها وهو اذذاك امرد فوقفت تصبّ على يد الرشيد من ابريق معها والمامون خلف الرشيد فاشار اليها يقبّلها فانكرت ذلك بعينها وابطأت فى الصبّ على قدر نظرها للمامون واشارتها اليه فقال الرشيد ما هذا ضعى الابريق من يدك ففعلت فقال والله لئن لم تصدقينى لاقتلنّك فقالت يا سيدى اشار الىّ كانه يقبّلنى فانكرتُ ذلك عليه فالتفت الى المامون فنظر اليه كانه ميّت لما داخَلَه من الجزع والخجل فرحمه وضمّه اليه وقال يا عبد الله أَتحبّها قال نعم يا امير المومنين قال هى لك فاَخْلُ بها *فى تلك القبة ففعل ثم قال له هل قلتَ فى هذا الامر شيئا فقال نعم يا سيدى ثم انشد

ظبى كتبتُ بطرفى من الضمير اليه قبّلْتُه من بعيد
فاعتلّ من شفتَيْه وردّ اخبث ردّ بالكسر من حاجبَيْه
فما برحتُ مكانى حتى قدرتُ عليه

وفى هذا المعنى يقول احد البلغاء اللحظ يعرّب عن اللفظ وقال *آخر رُبَّ كناية تُغْنى عن ايضاح وربّ لفظ يدلّ على ضمير ونظمه الشاعر فقال

جعلنا علامات المودّة بيننا دقائق لحظ هنّ أمضى من السِحْرِ
فاعرف منها الوصلَ فى لين لحظها واعرف منها الهجرَ بالنظر الشَزْرِ

وفى هذا قال بعض الحكماء العينُ باب القلب فما فى القلب ظهر فى العين وقال الشاعر

العين تُبْدى الذى فى نفس صاحبها من المحبّة او بُغْض اذا كانا
والعين تنطق والافواه صامتة حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

انتهى، وابو المغيرة بن حزم قال فى حقّه فى المطمح ما نصّه الوزير الكاتب ابو المغيرة عبد الوهّاب بن حزم وبنو حزم فتية علم وادب، وثنيّة مجد وحسب،، وابو المغيرة هذا فى الكتابة اوحد، ولا يُنْعَت ولا يُحَدّ،، وهو فارس المضمار، حامى ذاك الذمار،، وبَطَل الرعيل، واسد ذلك الغيل،، نسف المعجزات، وسبق فى المُعْضِلات الموجزات،، اذا كتب وشى المهارق ودبج، وركب من بحر البلاغة الثبج،، وكان هو وابو عامر بن شُهَيْد خليلَىْ صفا، وحليفَىْ وفا،، لا ينفصلان فى رواح ولا مَقيل، ولا يفترقان كمالك وعَقيل،، فكانا بقرطبة رافعَىْ ألوية الصبوة، وعامرَىْ أنْديَة السلوة،،

---

a) La. ajoute الماء. b) O. فادخل. c) La. O. تلك الليلة بالقبة. d) G. L. S. اخرون.
e) *Al-Mat.* L. وشاجية (ou peut-être وثنيجة). f) Al-Makk. رواد.

الى ان اتّخذ ابو عامر فى حبالة الردى وعلق، وغدا رهنُه فيماه قد غلق،، فانفرد ابو المغيرة بذلك الميدان، واستردّ من سبقه ما فاتَه منذ زمان،، فلم تُذكر له مع ابى عامر حسنة، ولا سارت[b] له فقرة[a] مستحسَنة،، لتعذُّر ذلك وامتناعه، *بشفوف ابى عامر وامتداد باعه[d]،، واما شعر ابى المغيرة فمرتبط بنثره، ومختلط زهرُه بذُرّه[e]،، وقد انبتٌ له منها فنونا، تُجَنّ بها الافهامُ جنونا،، فمن ذلك قوله

طَعنتْ وفى احداجها من شكلها[f]   عِينٌ فضحْنَ بحسنهنّ العِينَا[g]
ما انصفتْ[h] فى جنب قُوضحَ اذ قَرَتْ   ضيفَ السوداد بلابلًا وشجونَا
اضحى الغرامُ قطينَ ربْعِ فؤاده   اذ لم يجدْ بالرقمتَيْن[i] قطينَا

وله   لما رايتُ الهلال منطويا   فى غرّة الفجر قارنَ[j] الزَهَرَهْ
شبّهْتُه والعيانُ يشهد لى   بصولجان انْثَنَى[k] لضرب كُرَهْ

انتهى، وابو عامر بن شهيد المذكور قال فى حقّه ما صورتُه الوزير ابو عامر احمد ابن عبد الملك بن شهيد الاشجعى عالم باقسام البلاغة[l] ومعانيها، حائز قصب السبق فيها،، لا يُشْبِهه احد من اهل زمانه، ولا ينسق ما نسق من درّ البيان وجمانه،، توغّل فى شعاب البلاغة وطُرُقها، واخذ على متعاطيها ما بين مغربها ومشرقها،، لا تقاومه عمرو بن بحر، ولا تراه[m] يغترف الا من بحر،، مع انطباع، مشى فى طريقه بامدّ باع،، وله الحَسَب المشهور، والمكان الذى لم يَعْدُه للظهور، وهو من ولد الوَضّاح، المتقلّد تلك المفاخر والاوضاح،، * صاحب الضَحّاك[n] يومَ المرْج، وراكب ذلك الهَرْج،، وابو عامر * هذا حفيده[o] من ذلك النسب، ونبع لا يراش[p] الا مع[q] ذلك الغرب[r]،، وقد انبتٌ له ما هو بالسحر لاحق، ولنور المحاسن[s] ماحق،، فمن ذلك قوله

---

a) *Al-Mat.* R., al-Makk. G. P. L. S. O. فيها. b) *Al-Mat.* P. R., al-Makk. سرت. c) *Al-Mat.* L. ajoute وان كانت. d) *Al-Mat.* L. ابى عامر على تلك (l. باشتمال) ال باسمت. e) Al-Makk. بدرره. f) *Al-Mat.* L. سلكها. g) Après ce vers on trouve dans le man. L. du *Mat.* et aussi chez al-Ḫomaidī:

صُنّ البدور بظلّ شَعْر (جثل al-Ḫ.) فاحم   وغرسن فى كثبانهن غصونا

h) Al-Makk. الصفت. i) *Al-Mat.* L., al-Ḫom. بالرقتين. j) *Al-Mat.* L. P. R., al-Makk. G. L. S. فارق. k) Al-Ḫom. اوفى. l) *Al-Mat.* L. الكلام. m) *Al-Mat.* L. تخاله. n) *Al-Mat.* P. R. والضحاك صاحب الضحاك, *al-Mat.* L. et al-Makk. والضحاك صاحب. o) *Al-Mat.* P. R. et al-Makk. حفيده هذا. p) Al-Makk. La. O. تراس. q) *Al-Mat.* L. et al-Makk. La. O. من. r) *Al-Mat.* P. R. العرب, al-Makk. La. O. الزغب. s) *Al-Mat.* L. الشمس.

ان الكريم اذا نالتهa مخمصةٌ ابدى الى الناس * شبعًا وهو طيّانُb
يحنى الضلوعَ على مثل اللّظى حرقًا والوجه غمْرٌ بمماء البِشْر مَلآنُc

وهو ماخوذ من قول الرضى

ما انْ رايتُ كمعشر صبروا عزًّا على الأزْلاتd والازم
بسطواe الوجوه وبين اضلعهم حَرُّ الجوى ومآلم الكلمِ

وله ايضا

أَلِفْتُf بالحبّ حتى لو دنا اجلى لَمَا وجدتُ لطعم الموت من أَلَمِ
* كِلَا الندى والهوى قِدْمًا ولعتُ بهg وَيْلى من الحبّ اوh ويلى من الكرمِ

واخبرنى الوزير ابو الحسينi بن سِراج *وهو بمنزل ابن شهيد وكان من البلاغة فى مدى غاية البيان، ومن الفصاحة فى اعلى مراتب التبيان،، وكُنّا نحضر مجلسَ شرابه، ولا نغيب عن بابهj،، وكان له بباب الصومعة من الجامع موضع لا يفارقه اكثرَ نهاره، ولا يخلّيه من نثر دُرَره وازهاره،، فقعد فيه ليلة ٢٧ من رمضان فى لمّة من اخوانه، وائمّة سلوانه،، وقد حفّوا به، ليقطلفواk نُخَبl ادبه،، وهو يخلط لهم الجدَّ بهزل، ولا يفرط فى انبساطm مشتهر ولا انقباض جزل،، اذاn بجارية من اعيان اهل قرطبة معها من جواريها، مَنْ يسترها ويواريها،، وهى ترتاد موضعا لمناجاة ربّها، وتبتغى منزلا لاستغفار ذنبها،، وهى متنقّبة، خائفة ممن يرقبهاo مترقّبة،، وامامها طفل لها كانه غصن آس، او ظبى يمرح فى كناس،، فلما وقعت عينُها على ابى عامر ولّتْ سربعة، وتولّتْ مروعة،، خيفةَ ان *يشبّب بهاp، او يشهرها باسمها،، فلما نظرها، قال قولا فضحها به وشهرهاq،،

---

a) On trouve cette leçon chez al-Homaidî. Les man. du *Mat.* et d'al-Makk. portent نـابته.
b) J'ai suivi ici al-Hom.; *al-Mat.* L. بشرا وهو ظمان, *al-Mat.* P. et al-Makk. ريا وهو ظمان.
c) Al-Makk. La. O. ريان. d) Al-Makk. La. O. الازمات. e) *Al-Mat.* P. R. et al-Makk. G. L. S. نشطوا. f) J'ai adopté la leçon que l'on trouve dans al-Hom.; *al-Mat.* L. P. R. et al-Makk. كلفت. g) Al-Hom. وذادنى كرمى عمن ولهت به. h) Al-Makk. La. O. ام.
i) *Al-Mat.* R. et al-Makk. ابو الحسن. j) *Al-Mat.* L. ان منزل ابى عامر بن شهيد كان منتدا الاعيان، ومسرى البيان،، وكان كل شاعر او كاتب، منه بين حلة او راتب،، وكانوا يحضرون مجلس شرابه، ولا ينفصلون ساعة عن بابه،، k) *Al-Mat.* R. et al-Makk. G. L. P. ليقطعوا. l) *Al-Mat.* L. نجب, al-Makk. O. منخب, G. L. P. نحت, S. تحت, La. تحف. m) *Al-Mat.* P. et al-Makk. G. S. P. O. البساط et انقاض.
n) *Al-Mat.* R. et al-Makk. واذا. o) *Al-Mat.* L. يرمقها. p) Al-Makk. La. O. يشينها.
q) Ces vers se trouvent aussi dans le بدائع البدائة (*Bad.*).

وناظرةٍ a تحت طىّ القناعِ دعاها الى الله بالخيرة b داعى
* سعتْ خفيةً c تبتغى منزلا لوصل التبتّل والانقطاعِ
فجاءت تهادى كمثل الرؤوم تُناغى d غزالا * بروض اليفاعِ e
وجالت بموضعنا f جولةً g فحلّ الربيع بتلك البقاعِ h
i اتتْنا تبختَرُ فى مشيها فحلّتْ بوادٍ كثير السباعِ
وريعتْ حذارًا على طفلها * فناديتُ ياء هذه لا تُراعى
غزالك تَفْرَق منه الليوثُ وتنصاعُ j منه كُماةٌ k المصاعِ
فولّتْ وللمسك فى l ذيلها على الارض خطٌّ كظهر m الشُجاعِ

انتهى المقصود منه، رجع ومما ينخرط فى سلك اخبار الزهراء ما حكاه الفتح فى ترجمة المعتمد بن عبّاد اذ قال واخبرنى الوزير الفقيه ابو الحسن n بن سراج انه حضر مع الوزراء والكتّاب بالزهراء فى يوم قد o غفل عنه الدهرُ فلم يرمقْه بطرف، ولم يطرقْه بصرف،، ارختْ به المسرّاتُ عهدَها، وابرزتْ له الامانىّ خدَّها،، وارشفت فيه لَمَاها، واباحت الزائرين p حماها،، وما زالوا ينتقلون q من قصر الى قصر، ويتبذلون r الغصون بجنى وهصر،، ويتوقّلون فى تلك الغُرَفات، ويتعاطون الكؤوس s بين تلك الشُرُفات،، حتى استقرّوا بالروض بعد t ما قضوا من تلك الآثار اوطارا، ووقّروا u بالاعتبار قطارا،، فحلّوا منه v فى درانك ربيع مفوّفة بالازهار، مطرّزة w بالجداول والانهار،، والغصون تختال فى ادواحها، وتتثنّى فى اكفّ ارواحها،، وآثار الديار قد اشرفتْ عليهم كثكالى يَنُحْنَ على خرابها، وانغراص x اطرابها،، والوَهْى بمشيّدها لاعب، وعلى كل جدار غراب ناعب،، وقد محت الحوادثُ ضياءها، وقلّصت ظلالها وافياءها،،

a) *Bad.* وداعية. b) *Al-Mat.* P. R. للخير. c) *Bad.* اتت بابنها. d) *Bad.*, *al-Mat.* P. et al-Makk. تراعى. e) C'est ainsi qu'on lit dans *Bad.*; *al-Mat.* L. يفاع (?) باعبى; al-Makk. بروض البقاع. Ce vers manque dans *al-Mat.* P. R. f) *Bad.* باكنافه. g) Al-Makk. O. حوله. h) Ce vers manque dans *al-Mat.* L. et al-Makk. G. L. P. Dans *Bad.* il est placé après اتتنا تبختر. i) *Bad.* فعلت ايا. j) *Bad.* وتهرب; al-Makk. G. L. P. S. La. وتقطع, O. وتفزع. k) *Bad.* اسود. l) *Al-Mat.* L. P. R. et al-Makk. G. L. S. من. m) *Bad.* كخط. n) *Al-Kal.* H. الحسين. o) Ce mot manque dans les man. d'al-Makk. p) Al-Makk. للزائرين. q) Al-Makk. ينقلون. r) S. La. O. ويتبدلون. s) La. O. شى. t) Al-Makk. G. L. S. من بعد. u) *Al-Kal.* Ga. H. et al-Makk. ووقروا. v) Al-Makk. منها. w) O. مطردة, La. مطرفة. x) La. et O. ajoutent اترابها و.

وطالما اشرقت بالخلائف وابتهجت، وفاحت من شذاهم وارجت (a)، ايامَ نزلوا خلالها، وتفيّعوا ظلالها، وعمروا حدائقها وجنّاتها، ونبّهوا الآمال من سِناتها، وراعوا الليوث فى آجامها، واخجلوا الغيوث عند انسجامها، فأضحتْ ولها بالتداعى تلفّع واعتجار، ولم يبق من آثارها الا نُؤِىٌّ واحجار، قد وَهَتْ قبابُها، وهرم شبابُها، وقد بلين الحديد، ويبْلَى على طيّه الجديد، فبينما هم يتعاطونها صغارا وكبارا، ويديرونها انسا واعتبارا، اذا برسول المعتمد قد وافاهم برقعة فيها (b)

حسد القصر فيكم (c) الزهراءا   ولعمرى وعمركم ما اساءا
قد طلعتم بها شموسا صباحا (d)   فاطْلُعوا عندنا بدورا مساءا

فساروا الى قصر البستان بباب العطّارين فألْفَوْا مجلسا قد حار فيه الوصف، واحتشد فيه اللهو والقصف، وتوقّدت نجوم مُدامه، وتأوّدت قدود خُدّامه، وأرْبَى على الخورنق والسَّدير، وابدى صفحة البدر من ازرار المُدير، فاقاموا ليلَهم (e) ما عراهم نوم، ولا عداهم عن طيب اللذّات سَوْم، وكانت قرطبة منتهى امله، وكان رَوْمُ امرها اشهى عمله، وما زال يخطبها بمداخلة اهليها، ومواصلة واليها، اذ لم يكن فى منازلتها قائد (f)، ولم يكن لها الا حِيَل ومكايد، لاستمساكهم بدعوة خلفائها، وأَنَفتهم من طموس رسوم الخلافة وعفائها، وحين اتّفق له تملّكها، وأطْلَعه فلكها، وحصل فى قطب دارتها، ووصل الى تدبير رياستها وادارتها، قال

مَنْ للملوك بشأو الأصْيَد البَطَل   هيهات جاءتكم مهديّة (g) الدُوَل
خطبتْ قرطبة الحسناء اذ منعتْ   من جاء يخطبها بالبيض والاسل
وكم غدتْ عاطلا حتى عرضتُ لها   فاصبحتْ فى سرىّ الحلى والحُلَل
عِرسُ الملوك لنا فى قصرها عُرُسٌ   كل الملوك بها فى مأتم الوجل
فراقبوا عن قريب لا ابا لكم   هجومَ ليث بدرع الباس مشتمل

ولما انتظمت فى سلكه، واتّسمت بملكه، اعطى ابنه الظافر زمامها، وولّاه نقضها وابرامها، فافاض فيها نداه، وزاد على امده ومداه، وجمّلها بكثرة حبائه، واستقلّ باعبائها على فتائه، ولم يزل فيها آمرًا وناهيا، غافلا عن المكر ساهيا، حُسْنَ ظنٍّ باهلها اعتقده،

a) La. O. وتارجت. b) Al-Makk. G. L. فيها مكتوب, S. مكتوب فيها. c) Al-M. منكم.
d) La. O. نهارا. e) Al-M. ليلتهم. f) Al-Makk. G. L. P. فائد, S. فائدة. g) Al-Makk. مهدية ✿

واغترارا بهم ما روّاه ولا انتقده، وهيهات كم من ملك كفّنوه فى دمائه، ودفنوه بذمّاته، وكم من عرش ثلّوه a، وكم من عزيز مُلْك اذلّوه، الى ان ثار فيها ابن عُكّاشة ليلا، وجرّ اليها حربا وويلا، فبرز الظافر منفردا عن كُماته، عاريا من حُماته، وسيفه فى يمينه، وهاديه فى الظلماء نورُ جبينه، فانه كان غلاما كما بلّله الشبابُ بانداته، والحفه الحسنُ برداته، فدافعهم اكثرَ ليله، وقد مُنِع منه تلاحُق رَجْله وخيله، حتى امكنتْهم منه عثرةٌ لم يُقَلْ لها لَعًا، ولا استقلّ منها ولا سعى، فتُرك ملتحفا بالظَلْماء b، *تحت نجوم السماء، معفّرا فى وسط الحما d، تحرسه الكواكبُ، بعد المواكب، ويستره الحندسُ، بعد السندس، فمرّ بمصرعه سحرًا احدُ ائمّة الجامع المغلّسين فرآه وقد ذهب ما كان عليه ومضى، وهو أَعْرَى من الحسام المنتضى، فخلع رداءه عن منكبيْه ونضاه، وستره به سترا اقنع * المجدَ به e وارضاه، واصبح لا يُعلم ربُّ تلك الصنيعة، ولا يُعرف فتُشْكَرَ له يدُه الرفيعة، فكان المعتمد اذا تذكّر صرعتَه، وسعّر الحزنُ لوعتَه، رفع بالعويل نداءه، وانشد ولم أَدْرِ مَنْ القى عليه رداءه ولما كان من الغد حُزّ f راسه ورُفع على سنّ رمح وهو يُشرِق كنار على عَلَم، ويرشق نفس كل ناظر بألَم، فلما رمقتْه الابصار، وتحقّقتْه الحُماةُ والانصار، رموا اسلحتهم، وسوّوْا للفرار اجنحتهم، فمنهم من اختار فراره وجلاه، ومنهم من اتتْ به الى حَيْنه رِجْلاه، وشُغِل المعتمد عن رثائه بطلب ثاره، ونصب الحبائل لوقوع ابن عُكّاشة وعثاره، وعدل عن تابينه، الى البحث عن مفرقه وجبينه، فلم تُحفظ له فيه قافية، ولا كلمة للوعته شافية، الا اشارتُه اليه، فى تابين اخويْه، المامون والراضى المقتولَيْن فى اول النائرة، والفتنة الثائرة، انتهى، وقد رايت ان ازيد على ما تقدّم مما قصدتُ جلبَه فى هذا الموضع نبذةً من كلام الفتح فى ذكر منتزهات قرطبة وغيرها من بلاد الاندلس، ووصف مجالس الانس التى كانت بها مما تنشرح له الانفس، ووقع ذكر غيرِ قرطبة والزهراء لهما تَبَعا، ولا يخلو ذلك من عبرة بحال من جعل فى اللهو مَصيفا ومرتبَعا، ثم طواه الدهرُ طىّ السجلّ، ومحى آثاره التى تسمو وتجلّ، وما قصدنا علم اللهُ غيرَ الاعتبار، بهذه الاخبار، لا الحثّ على الحرام،

a) Al-M. ثلوه. b) Al-M. فى الظلماء. c) On ne trouve pas ces mots dans les man. du *Kalāyid*. d) Al-M. G. L. S. الحما. e) Al-M. المجدب. f) Les man. du *Kalāyid* portent حيز.

وتسهيلَ القصد اليه والمرام، والاعمال بالنيّات، والله كفيل بفضله وكرمه ببلوغ الامنيّات، وتعويضنا عن هذه النعم الفانيات. بالنعم الباقيات. السنيّات، قال الفتح رحمه فى ترجمة الوزير ابى الوليد بن زيدون ما صورته واخبرنى الوزير الفقيه ابو الحسين[a] ابن سراج[b] *انه فى وقت فراره اضحى[c] غداةَ الأَضْحَى، وقد *ثار به[d] الوجدُ بمن كان يالفه والغرام، وتراءتْ لعينَيْه[e] تلك الظباء الاوانس[f] والارآم، وقد كان الفطر وافاه والشقاء قد استولى على رسم عافيته حتى عفاه[g]، فلما عاده منه[h] ما عاد، واعياه ذلك النكدُ المُعاد، استراح الى ذكر عهده الحسن، واراح جفونه المسهَّدة بتوهُّم ذلك الوسن، وذكر معاهد كان يخرج اليها فى العِيد، ويتفرّج بها مع اولئك الغِيد، فقال

خليلى لا فطر يَسُرّ ولا أَضْحَى   فما حالُ من أَمْسَى مشوقا كما اَضْحَى
لئن[i] شاقَنى شرقُ العقاب فلم ازلْ   اخصُّ بممحوض الهوى ذلك السفحا
وما انفكّ[k] جوفىُّ الرصافة مُشْعِرى[l]   دواعِىَ بثٍّ يُعْقِب[m] الاسفَ البرحا
ويهتاج قصر الفارسىّ صبابةً   لقلبى لا يالو[n] زنادَ الاسى[o] قدحا
وليس ذميما عهدُ مجلس[p] ناصح   فأَقبل فى فرط الوَلُوع به نصحا
كانّى لم اشهد لدى عين شهدة   نزالَ عتاب كان آخرُه الفتحا[q]
وقائع جانيها التجنّى فان مشى   سفيرُ خضوعٍ بيننا اكّد الصلحا
وايام وصل بالعقيق اقتضيتُه   *فان لم[r] يكن ميعادُه العيدَ فالفصحا
وآصال لهو فى مسنّاة[s] مالك   معاطاةَ ندمان اذا شيبتَ او سبحا
لدى راكد تصبيك من صفحاته   قواريرَ خضرٍ خِلْتَها مُرّدتْ صرحا
معاهد لذّات واوطان صبوة   اجلتُ المعلّى فى الامانى بها قِدْحا

a) *Al-K.* G., et al-M. G. L. La. O. الحسن   b) Les man. d'al-M. ajoutent رحمه.
c) *Al-K.* B. اضحى «ايام تواربه، وجريه امام الطلب وتباريه» انه.   d) *Al-K.* A. B. G. ثار له, H. نازله.   e) *Al-K.* A. B. G. H. له.   f) *Al-K.* A. الانسه, B. C. H. الانسية ; dans G. le mot manque.   g) *Al-K.* G. عافاه ; les autres man. du *K.* et tous ceux d'al-M. portent اعفاه.   h) *Al-K.* A. B. منها, H. et al-M. منهما.   i) *Al-K.* B. G. D. ببال.   j) *Al-K.* G. D. وكم.   k) *Al-K.* B. زال.   l) Al-M. مسعرى.   m) *Al-K.* B. et al-M. تعقب.
n) *Al-K.* G. H. تالو.   o) *Al-K.* B. G. D. et al-M. La. O. الهوى.   p) Al-M. مجالس.
q) *Al-K.* A. القبحا.   r) *Al-K.* A. G. et al-M. فالا.   s) *Al-K.* A. مُسنيّات.

ألا هل الى الزهراء اوبة نازح ، تقضّت مر ابيها مدامعه نزحا

مقاصير b ملك اشرقت جنباتها فخلنا c العشاء الجون اثناءها صبحا

يمثّل قرطيها لى d الوهم جهرة e فقبّتها فالكوكب الرحب f فالسطحا

محلّ ارتياح يذكر الخلد طيبه اذا عزّ g ان يصدى h الفتى فيه او يضحا i

هناك الحمام الورق j تندى k جفافها l ظلال عهدت الدهر فيها فتى سمحا

تعوّضت من شدو m القيان خلالها صدى فلوات قد اطار الكرى صبحا

ومن حملى الكاس المفدّى مديرها تقحّم اهوال حملت لها الرمحا

أجل ان ليلى فوق شاطئ بيطة n لأقصر من ليلى بآنة فالبطحا

وهذه معاهد بنى امية *قطعت بها بنو امية o ليالى واياما ، وظلّت فيها الحوادث عنهم نياما ،، فهاموا بشرق العقاب ، وشاموا به برقا يبدو من نقاب ،، ونعموا بجوفيّ الرصافة ، وطعموا عيشا تولّى الدهر جلاءه وزفافه ،، وابعدوا نصح الناصح ، وحمدوا انس مجلس p ناصح ،، وعمّوا بالزهرا ، وصمّوا عن نبأ صاحب الزورا ،، حتى *راح بهم q الموت عنها وفوّضهم ، وعوّضهم منها ما عوّضهم ،، فصاروا احاديث وانباء ، ولم يتزوّدوا منها الا حنوطا وكباء ،، وغدت تلك المعاهد تصافحها اكفّ r الغير ، وتراوحها s نعبات t الطير ،، وراحت بعد الزينة سدى ، وامست مسرحا u للبوم v وملعبا للصدى ،، ويسمع للجنّ فيها w عزيف ، ويصرع بها x البطل الباسل والنزيف ،، وكذا الدنيا اعمالها خراب ، وآمالها آلّ وسراب ،، اهلكت اصحاب الأخدود ، واذهبت ما كان بمأرب من حيازات وحدود ،، انتهى ، وقال الفتح بعد كلام ما صورته ولما عضّته انياب y الاعتقال ، ورضّته تلك النوب الثقال ،، وعوّض بخشانة العيش من اللين ، وكابد قسوة خطب لا يلين ،، تذكّر عهد عيشه الرقيق ، ومراحه بين الرصافة والعقيق ،، وحنّ الى سعد زرّت عليه جيوبه ،

---

a) *Al-K.* A. نايح , al-M. ناصح. b) Al-M. مقاصر. c) *Al-K.* B. H. فخلت. d) Al-M. الى. e) Al-M. جمرة. f) *Al-K.* B. et al-M. الجون. g) *Al-K.* A. عزّ , G. غر ; al-M. S. غر , G. P. La. O. عن. h) *Al-K.* B. يمسى. i) *Al-K.* B. تصحا , G. H. et al-M. G. P. S. يصحا. j) *Al-K.* B. G. H. et al-M. G. P. L. La. O. الزرق. k) *Al-K.* A. et al-M. La. تبدى. l) *Al-K.* D. حقافها , A. et al-M. خفافها. m) Al-M. شرق. n) *Al-K.* B. بيضة , A. G. H. et al-M. نيطة. o) *Al-K.* B. بها , al-M. بنى امية قطعت بها , بنى امية قطعوا بها. p) Al-M. مجلس. q) *Al-K.* G. D. غدا بهم , al-M. رحلهم. r) *Al-K.* B. كف , A. يد ; al-M. ايدى. s) Al-M. تناوحها. t) *Al-K.* A. et al-M. G. L. نغبات ; *al-K.* B. et al-M. S. نغمات. u) *Al-K.* B. مكمنا. v) *Al-K.* B. D. G. للسيد. w) Al-M. بها. x) Al-M. فيها. y) Al-M. ناب.

واستهدى نسيمَ عيش طاب له هبوبه،، وتأسّى بمن بانت له النوائب بمِرْصاد، ورمته بسهام ذات اقْصاد، * وضِيمَ من عهد الاحصّ الى ذات الاصاد *a*،، فقال

الهوى فى طلوع تلك النجومِ … والمُنَى فى هبوب ذاك النسيمِ
سَرَّنا عيشُنا الرقيق الحواشى … لو يدوم السرورُ للمستديمِ
وطَرٌ ما انقضى الى ان تقضّى … زمنٌ ما ذمامُه بالذميمِ
أيّها المؤذنى بظلم *b* الليالى … ليس يومى بواحد *c* من ظلومِ
ما ترى البدر ان تأمّلتَ والشمـ … ـس كما يُكسفان دون النجومِ
وهو الدهر ليس ينفكّ ينحو … بالمُصاب العظيم نحو العظيمِ

وقال الفتح ايضا فى شان ابن زيدون ما صورته ولما تعذّر فكاكه *d*، وعُقِر فرقده وسماكه،، وعاودته *e* الاوهام والفِكَر، وخانه من ابى الحزم الصارمُ الذَكَر،، قال يصف ما بين مسرّاته وكروبه، ويذكر بُعْد طلوع امله من غروبه،، ويبكى لما هو فيه من التعذير، ويعذر ابا الحزم وليس له غيره من عذير،، ويتعزّى بانْتحاء الدهر على الأَحْرار، والْحاحه على التمام بالسرار،، ويخاطب وَلّادةَ بوفاء عهده، ويقيم لها البراهين على ارقه وسُهْده *f*،،

ما جال بعدك لحظى فى سَنَى القمرِ … الا ذكرتك ذكرَ العين بالاثرِ
ولا استطلتُ ذماءَ الليل من اسف … الا على ليلة سرّتْ مع القِصَرِ
فى نشوة من * سِنات الدهر *g* مُوهِمة … أَلّا مسافةَ بين الوهن والسحرِ
يا ليت ذاك السوادَ الجون متّصل … قد استعار سوادَ القلب والبصرِ
يا للرزايا لقد شافهتُ منهلها … غمرًا فما اشرب *h* المكروهَ بالغُمَرِ
يَهْنِى الشامتَ المرتاحَ خاطرُه … انّى معنّى الامانى ضائعُ الخطرِ
هل الرياح بنجم *i* الارض عاصفة … ام الكسوف لغير الشمس والقمرِ
ان طال فى السجن ايداعى فلا عجب … قد يُودَع الجفنَ حدُّ الصارم الذَكَرِ
وان يثبّط ابا الحزم الرضى قدرٌ … عن كشف ضُرّى فلا عتبٌ على القدرِ

a) Cette phrase ne se trouve pas dans les man. d'al-M. b) *Al-K.* B. بصرف. c) Al-M. La. O. بواجد. d) *Al-K.* B. العكاكة, al-M. انعكاكه. e) *Al-K.* A. B. et al-M. وعادنه. f) Voyez *Catal. Codd. OO. Bibl. Lugd. Bat.*, par M. Dozy, t. I, p. 251. g) Al-M سباب الوصل h) *Al-K.* G. D. انهل. i) *Al-K.* A. et al-M. La. O. بناخم.

مَنْ لـم ازل من تـأتيه علّى ثـقـة　　ولـم أَبِتْ مـن تجنّيه على حـذرِ

وله يتغزّل، ويعاتب من *يستعطف ويستنزل[a] ،،

يـا مستـخـفًّـا بعـاشقيهِ　　ومستغـشًّـا لنـاصحيـهِ

ومَنْ اطـاع الوُشـاةَ فينا　　حتى اطعنـا السلوَّ فيـهِ

الحمـد لله اذ ارانـى　　تكذيبَ ما كنت تدّعيهِ

من قبل ان يُهزم التسلّى　　ويغلـب الشوقَ ما يليهِ

انتهى، وما احسن قول ابن زيدون المذكور فى قصيدته النونيّة الشهيرة

غِيظَ العِدَى من تساقِينا[b] الهوى فدعَوْا　　بان نغصّ فقال الدهرُ آمينَا

ومن غرائب[c] ما وقفتُ عليه موشّحة لابن الوكيل دخل فيها على اعجاز نونيّة ابن زيدون وهى

غـدا مـنـادبـنَـا　　محكّما فـينَـا
يقضى علينا الأَسَى　　لـولا تـأسّيـنَـا

بحر الهوى يُغْـرِقْ　　مَنْ فيه جهدَه عامْ
ونـارُه تُـحْـرِقْ　　مَنْ همّ او قد هامْ
وربـمـا يُـقْـلِـقْ[d]　　فتـى عـلـيـه نـامْ
قـد غيّر الاجسامْ　　وصـيّـر الايـامْ
سُودًا وكـانـت بكم　　بِيضًـا ليـالـيـنَـا

٢

يا صاحبَ النَجْوَى　　قـف واستمعْ منّى
ايـاك أن تَـهْـوَى　　انّ الـهـوى يُضْنى
لا تقرب البَـلْـوَى　　أسـمـعْ وقُـلْ عنّى
بـحـارُه مُـرّةْ　　خُضْنـا على غـرّةْ
حيـنًـا فقـام بهـا　　للنَّعْى نـاعيـنَـا

٣

مَنْ هـام بـالغيدِ　　لاقـى بـهم هَمّـا
بذلـتُ مجهودِى　　لأَحْـوَرٍ ألْـمَـى

a) Al-M. يستعطفه ويتنزل. b) Al-M. G. L. S. تصافينا. c) La. O. أغرب: d) G. L. P. S. نعلف.

يهمّ بالجودِ   وردّ ما همّا
وعند ما قد جادْ   بالوصل او قد كادْ
اضحى التنائى بديلًا من تدانينَا

٤

بحقّ ما بينى   وبينكم الّا
اقررتمُ عينى   فتجمعوا الشملَا
فالعين[a] بالبين   بفقدكم[b] أبْلى
جديدَ ما قد كانْ   بالاهل والاخوانْ
ومورِد اللهو صافٍ من تصافينَا

٥

يا جيرةً بانتْ   عن مُغْرَم صَبِّ
لعهده خانتْ   من غيرِ ما ذنبِ
ما هكذا كانتْ   عوائد العُرْبِ
لا تحسبوا البُعْدَا   يغيّر العهدَا
اذ[c] طال ما غيّر   النائ المحبّينَا

٦

يا نازلا بالبانْ   بالشفع والوترِ
والنمل والفرقانْ   والليلْ اذا يسرِى
وسورة الرحمنْ   والنحل والحجرِ
هل حلّ فى الأدْيانْ   ان يقتل الظمْآنْ
مَنْ كان صرْفَ الهوى   والودّ يسقيه

٧

يا سائل القطرِ   عَرِّجْ على الوادى
من ساكنى بدرِ   وقفْ بهم نادى[d]
عسى صَبًا تسرى   لمُغْرَم صادى

a) P. فالعيش.   b) S. لفقدكم.   c) P. La. O. اذ.   d) G. L. P. بادى , S. نادى (*sic*).

ان شيتَ تَحيينا بَلّغْ تحيّتَناa
مَنْ لو على البُعْد حيّاهb كان يُحْيينَا

٨

وافتْ لنا ايامْ كانها اعوامْ
وكان لى اعوامْ كانها ايامْ
تمرُّ كالأَحْلامْ بالوصل لى لو دامْ
والكاس مُتْرَعَةْ حثّتْ مشعشعَةْ
فينا الشَمُول وغنّانا مغنّينَا

رجعَ الى ما يتعلّق بقرطبة، قالَ الوزير ابو بكر بن القبطرنة يخاطب ابا الحسينc ابن سِراج ويذكر لمّة من اخوانه

يا سيدى وابى هوى وجلالة — الابياتd
وأَشِمّ منها المصحفىَّ على النوى — نَفَسا ينسّى السوسنَ المبلولَا
والى ابى مروان منهاe نفحة — تهدى له نَوْرَ الرُبى مطلولَا
واذا لقيتَ الاخطبىَّ فسَقِّه — من صَفْو ودّى قرقفا وشمولَا
وابو علىّ بُلّf منها ربعَه — مسكا بماء غمامة محلولَا
واذكرْ لهم زمنا يهبّ نسيمُه — أُصُلًا كنفث الراقيات عليلَا
مولًى ومُولِىً نعمة وكرامة — واخا اخاهg مخلصا وخليلَا
بالخَيْر ماh عبستْ هناك غمامة — الا تضاحكَ انْجُرًا وجليلَا
يوما وليلا كان ذلك كلّه — سَحَرًا وهذاi بكرةً واصيلَا
لا ادركتْ تلك الاهلّةُ دهرَها — نقصًا ولا تلك النجومُk افولَا

قالَ ابو نصر الخير الذى ذكرهj هنا هو خير الزجالى خارجَ باب اليهود بقرطبة الذى يقول فيه ابو عامر بن شُهيد

لقد اطلعوا عند باب اليهود — البيتينk

a) G. L. S. تحيينا, La. محبينا. b) G. L. P. حتى, S. حى. c) *Al-K.* H. et al-M. S. الحسن. d) Voyez p. ٩٨. e) *Al-K.* A. B. et al-M. منه. f) *Al-K.* B. زهر. g) Al-M. سعى. h) *Al-K.* A. B. H. لا. i) Al-M. La. O. البدور. j) Al-M. ذكر. k) Voyez p. ٩٨. Varr. شمسا et تكسفا.

وهذا الحير من ابدع المواضع واجملها، واتمّها حسنا واكملها،، صحنه مرمر صافى البياض، يخترقه جدول كالحيّة النضناض،، به جابية، كل لجّة فيها a كابية،، قد قُربصت b بالذهب واللازورد سماؤه، وتأزّرت بهما جوانبه وارجاؤه،، والروض قد اعتدلت اسطارُه، وابتسمت من كمائمها ازهارُه،، ومُنع الشمس ان ترمق ثراه، وتعطّر النسيمُ بهبوبه c عليه ومَسْراه،، شهدتُّ به ليالى واياما كانما تصوّرتْ من لمحات الاحباب، او قُدّت من صفحات ايام الشباب،، وكانت لابى عامر بن شهيد به فُرَج وراحات اعطاه فيها الدهرُ ما شاء، ووالَى عليه الصَّحْوَ والانتشا،، وكان هو وصاحب الروض المدفون بازائه اليفَىْ صَبْوة، وحليفَىْ نشوة،، عكفا فيه على جريالهما، وتصرّفا بين زهوهما واختيالهما،، حتى ردّاهما الردَى، وعداهما الحمامُ عن ذلك المَدَى،، فتجاورَا فى الممات، تجاوُرَهما فى الحياة، وتقلّصت عنهما وارفات تلك الفيئات،، والى ذلك العهد * اشار ابن شهيد وبه عرّضd، وبشوقه e صحّح * وما مرّض f،، ح يقول عند موته يخاطب ابا مروان صاحبه وامر أن يُدْفَن بازائه ويكْتَب على قبره

يا صاحبى قُمْ فقد اطلْنا   أنحن طولَ المدى هجودُ
فقال لى لن نقومَ منها   ما دام من فوقنا الصعيدُ .
تذكَّرْ كم ليلة نعمنا   فى ظلّها والزمان عيدُ
وكم سرور همى علينا   سحابُه ثرّةً تجودُ g
٥ * كل كأن لم يكن تقضّى h   وشومه i حاضر عتيدُ
حصّله كاتبٌ حفيظ   وضمّه صادق شهيدُ
يا ويلنا ان تنكّبتْنا   رحمةُ مَنْ بطشُه شديدُ
يا ربِّ عفوًا فانت مولى   قصّر فى شكره j العبيدُ

انتهى، ثم قال بعد كلام وركب ابو الحسن بن القبطرنة الى سوق الدواب بريسه ومعه ابو الحسين بن سراج فنظر الى ابى الحكم بن حزم غلاما k كما عقّ تمائمه، وهو يروق كانه زهر فارَق كمائمه،، فسأل ابا الحسين بن سراج ان يقول فيه فارتجّ

---

a) Al-M. بها. b) *Al-K.* قربست. c) *Al-K.* A. بمروره d) *Al-K.* A. اشار به وعرض, G. D. اشار به وما عرض. e) *Al-K.* A. وتنشوقه , B. وبتشوقه. f) Al-M. ومرض g) Al-M. ناجود. h) La. O. فخيره مسرعا تقضى. i) *Al-K.* H. وشوقه. j) *Al-K.* G. شكرك , H. حقه , al-M. أمرك. k) *Al-K.* B. et al-M. La. O. غلام.

عليه، وثنى[a] عنان القول اليه،، فقال

راى صاحبى عمرا فكلّف وصفه وحمّلنى من ذاك ما ليس فى الطوق

فقلتُ له عمرو كعمرو فقال لى صدقتَ ولكن * ذاك شبّ عن[b] الطوق

انتهى، وكان بنو القبطرنة بالاندلس اشهر من نار على علم، وقد تصرّفوا فى البراعة والقلم،، ولهم الوزارة المذكورة، والفضائل المشكورة،، ولذا قال ابو نصر فى حقّهم ما صورتُه هم للمجد كالاثافى، وما منهم الا موفور القوادم والخوافى، إن ظهروا، زهروا،، وان تجمّعوا، تضوّعوا[c]،، وان نطقوا، صدقوا،، ماؤهم صَفْو، وكل واحد[d] منهم لصاحبه كُفْوٌ،، انارت بهم نجوم المعالى وشموسُها، ودانت لهم ارواحها ونفوسُها،، ولهم النظام[e] الصافى الزجاجة[f]، المصحلّ العجاجة،، انتهى، ثم قال وبات ابو محمد منهم مع اخوته فى ايام صِباه، واستطابته[g] جَنُوبَ الشباب[h] وصَباه،، بالمنية المسمّاة بالبديع وهو روض كان المتوكّل يَكْلَف بموافاته، ويبتهج بحسن صفاته،، ويقطف رياحينه وزهره، ويَقف عليه اغْفاءه وسهرَه،، ويستفزّه الطربُ متى ذكره، وينتهز فُرَص الانس فيه روحاته وبُكَرَه،، وبدير حميّاه على صفّة نهره، ويخلع سرّه فيه لطاعة جهره،، ومعه اخواه فطاردوا اللذّات حتى انضوها، ولبسوا برود السرور وما نضوها،، حتى صرعتْهم العُقار، وطلّحتْهم تلك الاوقار،، فلما همّ رداء الفجر ان يَنْدَى، وجبين الصبح ان يتبدّى،، قام الوزير ابو محمد فقال

يا شقيقى وافَى الصباح بوجه ستر الليلَ نورُه[i] وبهاؤه

فاصطبِحْ واغتنمْ مسرّةَ يوم لستَ[j] تدرى بما يجيء مساؤه

ثم استيقظ اخوه ابو بكر فقال

يا اخى قُمْ تَرَ[k] النسيم عليلا باكِرِ الروضَ والمُدام شمولا

لا تَنَمْ واغتنمْ مسرّةَ يوم ان تحت التراب نوما طويلا

فى رياض تَعانَق الزهرُ فيها مثل ما عانَق الخليل خليلا[l]

ثم استيقظ اخوهما ابو الحسن، وقد هبّ من غفلة الوَسَن،، فقال

يا صاحبىّ ذَرَا لومى ومعتبتى قُمْ نصطبِحْ خمرةً من خير ما ذخروا

---

a) Al-M. فثنى. b) Al-M. ذا اشب على. c) *Al-K.* G. D. et al-M. La. O. تصرعوا. d) Ce mot ne se trouve pas dans les man. d'al-M. e) *Al-K.* A. النظم. f) *Al-K.* A. ajoute والنثر. g) Al-M. واستطابة. h) *Al-K.* A. الزمان, B. G. الشمال. i) *Al-K.* B. ضوءه. j) Al-M. ليس. k) *Al-K.* A. B. et al-M. ترى. l) Al-M. L. La. O. الخليلا.

وبـادِرًا غفلةَ الايـام واغتـنـمـا   فـاليومَ خمرٌ ويبـدو فـى غـدٍ خبرُ

انتهى، وساق صاحب البدائع هذه القصّة فقال*a* وذكر الفتح ما هذا معناه انه خرج الوزراء بنو القبطرنة الى المنية المسمّاة بالبديع وهو روض قد اخضرّت مسارحُ نباته، واخصلّت مسارى هبّاته، ودمعتْ بالطلّ عيونُ ازهاره، وذاب على زبرجده بلّور انهاره،، وتجمّعتْ فيه المحاسن المتفرّقة، واضحت مُقَلُ الحوادث عنه مُطْرِقة،، فخيولُ النسيم تُرْكَض فى ميادينه فلا تكبو، ونصول السوافى*b* تحسم ادواء الشجر فلا تنبو،، والزروع قد نقبت وجه الثرى، وحجبت الارضَ عن العيون فما تبصر ولا تُرَى،، وكان المتوكّل بن الافطس يَعُدّه غايةَ الارب، ويُعِدّه*c* مشهدًا للطرب، ومدفعا للكُرَب، فباتوا فيه ليلتَهم يُديرون لُمَعَ لهب،، يتمنّوْن فيه الخلود، ويتحسّوْن*d* ذوبَ ذهب لا يُصهر به ما فى بطونهم والجلود،، حتى تركتْهم ابنةُ الخابية، كانهم اعجازُ نخل خاوية،، فلما هزم روميُّ الصباح زنجيَّ الظلام، ونادَى الديكُ حَيَّ على المُدام، انتبه كبيرهم ابو محمد مستعجلا، وانشد مرتجلا،، يا شقيقى الخ*e* فانتبه اخوه ابو بكر لصوته، وتخوّف لذهـاب ذلك الوقت وفوته،، وانبه اخـاهما ابـا الحسن وهو يرتجل يا اخى قم تر النسيم الخ*f* فانتبه اخوه لكلامه، دافعا لذّة منامه، للذّة قيامه،، وارتجل   يا صاحبى ذرا الخ*g*   انتهى، قال الفتح ولما امر المعتمد بن عبّاد ابا بكر ابن القبطرنة السابق الذكر مع الوزير ابى الحسين بن سراج بلقاء ذى الوزارتين ابـى الحسن بـن اليَسَع القـائـد والمشى اليـه، والنزول علـيـه،، تنويهـا لمَقْـدَمـه، وتنبيهـا على حظوته لـديه وتقـدُّمه،، فصـارا الـى بـابـه، فوجـداه مُقْفِرا من حُجّابه،، فاستغربا خلوّه من خَوَل، وظنّ كل واحد منهما وتأوّل،، ثم اجمعا على قرع الباب، ورَفْع ذلك الارتياب،، فخرج وهو دَهِش، واشار اليهما بالتحيّة وبده*h* ترتعش،، وانزلهما خَجِلا، ومشى بين ايديهمـا عَجِلا،، واشـار الى شخص فتوارَى بالحجاب، وبارَى الريحَ سرعةً فـى الاحتجاب،، فقعدا ومقلةُ الخشف، ترمقـ*i* من خَلَل*j* السجف،، فانصرفا عنه، وعزما ان يكتبا اليه بما فَهِمَا منه،، فكتبا اليه

a) Man., fol. 210 r. *b*) Les man. porteut السوافى. *c*) Ce mot manque dans les man. d'al-M. *d*) Al-M. .ويحسون *e*) Variantes: vs. 1. با خليلى ; vs. 2. فانتبه واغتنم. *f*) Varr. vs. 1. بادر الراح والمدام ; vs. 2. فانتبه واغتنم ; le 3ème vers manque. *g*) Varr. vs. 1. وبادرا خبرا , ونبدى , الايام وابتدرا .vs. 2 ; فهوه من خير ما ذخرا. *h*) Al-M. .ويداه *i*) *Al-K*. A. G. تنظر *j*) Al-M. خلال.

سمعنا خشفةَ الحُشْفِ   وشِمْنا طرفةَ الطرفِ
وصدَّقْنا ولم نقطع   وكذَّبْنا ولم نَنْفِ
وأَغْضَيْنا لاجلالك عن اكرومة الظَرفِ a
ولم تُنْصِفْ b وقد جبنا   ك ما تنهض c من ضُعْفِ
وكان الحقّ d ان تحمل   او تُرْدِفَ في الردفِ

فراجعها * في الحين e بقطعة منها

أيا اسْفى على حال   سُلِبْتُ f بها من الظرف g
ويا لهفى على جهلي h   * بضَيْف كان من صِنْفِ i

انتهى، ولاهل الاندلس في معاني الانس الحسان، ما لا يفي به لسان،، وقال الفتح في ترجمة الوزير ابي الفضل بن حَسْداي بعد كلام ما صورتُه فمنها هذه القطعة التي أَطْلَعها نيّرة، وترك الالباب بها متحيّرة،، في يوم كان عند المقتدر بالله مع عِلْيَة، قد تخذوا المجد حلية،، والامل قد سفر لهم عن محيّاه، وعبق لهم k ريّاه، فصافَحه الكلُّ منهم وحيّاه،، وشمس الراح، دائرة على فلك l الراح m،، والملك ينشر فضله، وبنثر وابله وطلّه،، يُسْدِى العلا، ويهب الغناء والغنى،، فصدحت الغواني، وافصحت المثالث والمثاني،، بما استنزل من مرقب n الوقار، وسرى في النفوس مَسْرَى العقار،،

توريدُ خدّك للاحداق لذّاتُ   عليه من عنبر الاصداغ لاماتُ
نيرانُ هجرك للعُشّاق نارُ لَظًى   لكنّ وصلك إن واصلتَ جنّاتُ
كانما الراح والراحات تحملها   بدورُ تمّ وايدى الشَرْب هالاتُ
حُشاشة ما تركنا الماء يقتلها   الا لتحيا بها منّا حُشاشاتُ
قد كان في كاسها من قبلها ثَقَلٌ   فخفّ اذ مُلئت منها الزجاجاتُ
*عهدٌ للُبْنَى o تقاضتْه الامانات   بانتْ p وما قضيت منها لُباناتُ
يُدْنِى التوهُّم للمشتاق منتزحا   من الامور وفي الاوهام راحاتُ

a) *Al-K.* B. الضيف, A. C. et al-M. G. L. P. La. O. الطرف. b) Al-M. P. ننصف. c) Al-M. G. L. P. La. O. ننهض. d) Al-M. الحكم. e) S. ابو الحسن. f) Al-M. سلبت. g) *Al-K.* B. H. الطرف. h) Al-M. جهل. i) *Al-K.* A. بصيف كان من ضيف, B. H. بصنف كان من صنف; al-M. بنصف كان من نصف. j) *Al-K.* A. B. منها. k) Les man. d'al-M. ajoutent عن. l) *Al-K.* B. H. تلك. m) *Al-K.* A. et al-M. الاثراح. n) *Al-K.* D. G. بمرقب, B. بمراكب. o) Al-M. La. O. عهد المنى قد. p) *Al-K.* B. D. بانت.

تُقْضى عداتٌ انه الكرى وانا | هبَّ النسيمُ فقد تُهْدَى تحيّاتُ
زُور يعلّل القلب المستهام به | دهرًا وقد بقيتْ فى النفس حاجاتُ
لعلّ عطف الليالى ان يعودَ الى | عُتْبَى فتُبلغ اوطار ولذّاتُ
حتى نفوزة بها جاد الخيالُ به | فربما صدقتْ تلك المناماتُ

ولما أعْرَسَ المستعين بالله ببنت الوزير الاجل ابى بكر بن عبد العزيز احتفل ابوه المؤتمن فى ذلك احتفالا شهره، وابدع فيه إبْداعا راق مَنْ حضره وبهره،، فانه احصر [d] فيه من الآلات المبتدعة، والادوات المخترعة،، ما بهر الالباب، وقطع دون معرفتها الاسبابَ،، واستدعى اليه جميعَ اعيان الاندلس من دانٍ وقاصٍ، ومُطيع وعاصٍ،، فاتوه مُسْرِعين، ولبّوه متبرّعين،، وكان مُدير تلك الآراء [e] ومدبّرها، ومنشئَ مخاطباتها ومحبّرها،، الوزير الكاتب ابو الفضل وصدرت عنه فى ذلك الوقت كُتُب ظهر اعْجازُها، وبهر اقتضابها وايجازُها،، فمن ذلك ما خاطب به صاحب المظالم ابا عبد الرحمن [f] ابن طاهر محلّك اعزّك الله فى طىّ الجوانح ثابتٌ وان نزحت الدار، وعيانك فى احناء الضلوع بادٍ وان شحط [g] المزار،، فالنفس فائزة منك * بتمثّل الخاطر [h] باوفر الحظّ، والعين نازعة [i] الى ان تمتّع من لقائك بظفر اللحظ،، فلا عائدة اسبغ بُرْدًا، ولا مَوْهِبة أَسْوَغ وِرْدًا،، من تفضّلك بالخفوف [j] الى *مأنس يتمّ [k] بمشاهدتك التيامُه، ويتّصل بمحاضرتك انتظامُه،، ولك فضل الاجْمالِ، بالامْتاع من ذلك باعظم الآمال،، وانا اعزّك الله على شرف سوددك حاكم، وعلىّ مَشْرَع سَنائك حائم،، وحسبى ما تتحقّقه من نِزاعى وتشوّقى، وتتيقّنه من تطلّعى وتتوّقى،، وقد تمكّن الارتياح باستحكام الثقة، واعترض * الانشراح بارتقاب [l] الصلة،، وانت وصل الله سعدك بسماحة شِيَمك، وبارع كرمك،، تُنْشِئُ للمؤانسة [m] عهدًا، وتُورِى بالمكارمة زندا، وتقتضى بالمشاركة شكرا حافلا وحمدا،، لا زلتَ مهنّأً بالسعود المُقْبلة [n]، مسوّغا اجتلاء غُرَر الامانى المتهلّلة،، بمنّه انتهى، ثم قال بعد هذا بيسير ما نصّه وركب المستعين بالله يوما نهرَ سرقسطة

---

a) *Al-K.* A. دب, D. G. H. تعاد. b) *Al-K.* D. تغوز, al-M. تفوز. c) *Al-K.* A. B. لنسا. d) *Al-K.* D. G. H. اظهر. e) *Al-K.* A. G. H. الاراعة, C. D. الاراغة, B. الارافة. f) Al-M. ابا عبد الله. g) *Al-K.* B. H. شط. h) *Al-K.* B. بتخيل المناظر. i) *Al-K.* B. H. منازعة. j) Al-M. بالحفوق. k) Al-M. G. P. ما تسرنتم, L. La. O. ما يسر يتم, S. ما ليس بتم.
l) Telle est la leçon du man. B. du *Kalāyid.* A. D. G. H. الانتزاح بارتقاب; al-M. الافتراح باستحباب. m) *Al-K.* B. للمخاطبة. n) *Al-K.* A. B. D. H. et al-M. S. La. O. المعنيلة.

يريد طرادَ لذّته، وارتياد نزهته، وافتقاده[a] احد حصونه المنتظمة بليْته،، فاجتمع[b] له من اصحابه، من اختصّه لاستصحابه،، وفيهم[c] ابو الفضل مشاهدا لانفراجهم، سالكا لمنهاجهم،، والمستعين قد احضر من آلات ايناسه، واظهر من انواع ذلك واجناسه،، ما راق مَنْ حضر، وفاق حسنُه الروضَ الانضر،، والزوارق قد حفّت به، والتفت بجوانبه،، ونغمات الاوتار تَحْبِس السائر عن غَدْوه، وتخرس الطائر المُفْصح بشدوه،، والسمك تثيرها المكايد، وتغوص اليها المصايد،، فتبرزه منها للعيين، قضبانُ درّ او سبائك لُجَيْن،، والراح لا يُطْمَس لها لمع، ولا يُنْجَس منها بصر ولا سمع،، والدهر قد غضّت[d] صروفُه، واقتصّ من منكره[e] معروفه،، فقال

للّه يوم انيق واضح الغُرَرِ ... مفضّض مُذْهَب الآصال والبُكَرِ
كانما الدهر لما ساءَ اعتبنا ... فيه بعُتْبَى وأَبْدَى[f] صفحَ معتذِرِ
نسير فى زورق حقّ *السفينُ به ... من جانبَيْه[g] بمنظوم ومنتثرِ
*مُدَّ الشِراع به نشرًا[h] على ملك ... بَذَّ الاوائلَ فى ايامه[i] الأُخَرِ
هو الامام الهُمام المستعين حوى ... علياء مؤتمن[j] *عن هَدْى مقتدرِ
تحوى السفينة منه آيةً عجبا ... بحرا[k] تجمّع حتى صار فى نَهَرِ
تُشار[l] من قعره النينانُ مُصْعَدةً ... صيدًا كما ظفر الغوّاصُ بالدُرَرِ
وللنَدامَى به عبٌّ ومرتشَف ... كالريق يعذب فى وِرْد وفى صَدَرِ
والشُرْب فى ودّ[m] مولى خُلْقه زَهَرٌ ... يذكو[n] وغُرّته[o] ابهى من القمرِ

انتهى، وقال فى ترجمة العلّامة الكبير الاستاذ ابى محمد عبد الله بن السيد البطليوسى شارح ادب الكُتّاب وسِقْط الزند وغيرهما ما صورتُه اخبرنى انه حضر مع المامون بن ذى النون فى مجلس الناعورة بالمنية التى تَطْمَح اليها المُنَى، ومرآها هو المقترحَ والمتمنَّى،، والمامون قد احتبى، وافاض الحِبَا،، والمجلس بروق *كان

a) Al-K. A. باقتقاد. b) Al-M. واجتمع. c) Al-K. B. فيبرز, A. فيبدو. d) L. La. عضت, O. غصت. e) Al-M. نكره. f) Dans le VII[e] Livre, où al-Makk. donne cette pièce d'après le بدائع البداية, فابدى. g) Dans le VII[e] Livre: السرور به فى جانبيه. h) Dans le VII[e] Livre: مد الشراع به فدا. i) Al-M. اباته. j) Plus loin فى et معتذر. k) Plus loin بحرا. l) Al-M. a ici تصاد. m) Al-M. مد. n) Ibn-Bassām (man. de Gotha, fol. 134 r.) يذكى. o) Plus loin al-Makk. G. P. ومهجته, ce qui est une altération de وبهجته, comme portent al-Makk. L. et le بدائع البداية.

الشمس a في افقه، والغدير [illegible] والنور عبق b، وعلى ماء النهر مصطبح ومغتبق،، والدولاب يئن كناقة [illegible] الحوار، او كثكلى من حرّ الأوار،، والجو قد عنبرته انواؤه، والروض قد [illegible]ه، والأسد قد فغرت افواهها، ومجّت امواهها، فقال

يا منظرا ان نظرتُ c بهجته ... اذكرنى حُسْنَ جنّة الخُلْد
تربةُ مسك وجوُّ عنبرة ... وغيمُ ندّ وطشُ d ماوَرْد
والماء كاللازورد قد نظمت ... فيه اللآلى فواغرُ الأُسْد
كانما جائل الحباب به ... يلعب فى جانبيه بالنرد
تراه يزهى اذا يحلّ به ... المامون زهوَ الفتاة e بالعقد
تخاله ان بدا به قمرًا ... تمًّا بدا فى مطالع السعد
كانما أُلبِسَتْ حدائقه ... ما حاز من شيمة ومن مجد
جادها فروضها ... بوابل من يمينه رَغْد
لا زال فى عزّة مضاعفة ... *متمّم الرفد f وارى الزند

وقال فى وصف هذا المجلس بعينه فى الكتاب الذى افرده لترجمة ابن السيد ما صورتُه فمن ذلك انه حضر مع القادر بالله بن ذى النون بمجلس الناعورة بطليطلة فى المنية المتناهية البهاء والاشراق، المباهية لزوْراء العراق،، التى ينفح شذاها العَطِر، ويكاد من الغضارة ان يمطر،، والقادر بالله رحمه قد التحف الوقارَ وارتداه، وحكّم العقار فى جوده ونداه،، والمجلس يُشْرِق كالشمس فى الحَمَل، ومَنْ حواه يبتهج كالنفس عند مَنال الامل،، والزهر عبق، وعلى ماء النهر مصطبح ومغتبق،، والدولاب يئنّ كناقة اثرَ حُوار، الى آخر ما سبق، *وقال الفضل g فى وصف هذا المجلس حاذيا حذو الفتح ما صورتُه h حضر الاستاذ ابو محمد بن السيد عند المامون بن ذى النون فى بعض منتزهاته فى وقت طاب نعيمُه، وسرت i بالسعود نجومُه،، والروض قد اجاد وشيَه راقمُه، والماء قد جرت بين الاعشاب اراقمُه،، وثمّ بركة مملوّة، كانها مرآة مجلوّة،، قد اتّخذتْ سباعُ الصُفْر بشاطئها غابا، ومجّت بها من سائغ الماء لُعابا،، فكانّها آساد عَيْن، ادلعتْ السنةً من لُجَيْن،، وهى لا تزال تقذف الماء ولا تفتر، وتنتظم

a) Al-M. كالشمس. b) *Al-K.* A. B. رمقت. c) *Al-K.* B. ورش. d) *Al-K.* G. الكعاب. e) Al-M. La. O. رفعة. f) *Al-K.* B. G. ميمم الوغد. g) Lisez وقال ابن ظافر. h) Man., fol. 169 r. i) Al-M. وسعت.

لآلئ الحباب بعد ما تنثر، فامره بوصف ذلك الموضع، الذى تتخذ اليه ركائب القلوب وتُوضِع، فقال بديهًا يا منظرا الخ [a] انتهى، ثم قال الفتح فى هذا التصنيف بعد كلام فى المذكور ما نصّه وما ابدع قوله فى وصف الراح، والحضّ على النبذ للهموم والاطّراح [b]، بمعاطاة كاسها، وموالاة ايناسها، ومعاقرة دنانها، واهتصار ثمار الفتوّة وافنانها، والاعْراض عن الايام وانكادها، والجرى فى ميدان الصبوة الى بُعْد آمادها،

سَلِّ الهمومَ اذا نبا زَمَنٌ   بمدامة صفراء كالذهب
مُزجت فمن درّ على ذهب   طافٍ ومن حَبَبٍ على لهبِ
وكانّ ساقِيَها يثير شَذًى   مسك لدى الاقوام منتهبِ

ولله هو فقد ندب الى المندوب، وذهب الى مداواة القلوب من الندوب، وابْرائها من الآلام، واهْدائها كل تحيّة وسلام، وابْهاجها بآصال وبُكَر، وعلاجها من هموم وفِكَر، فى زمن حُلّى عاطلُه، وجُلى فى احسن الصُّوَر باطلُه، ونفقت مُحالاتُه، وطبقت ارضه وسماءه [c] استحالاتُه، فلبيبُه كاسد، ونبيهُه مستاسد، واضغاثُه تنسر، وبغاثُه استنسر، فلا استراحة [d] الا فى معاطاة حميّا، ومواخاة وسيم المحيّا، وقد كان ابن عمّار ذهب مذهبه، وفضّضه بالابداع وذهّبه، حين دخل سرقسطة وراى غباوة اهلها، وتكاثُفَ جهلها، وشاهد منهم من لا يعلم معنى ولا فصلا، وواصل من لا يعرف قطعا ولا وصلا، فاقبل على راحة يتعاطاها، وعكف عليها ما تعدّاها ولا تخطّاها، حتى بلغه انهم نقموا معاقرته العقار، وجالتْ السنتُهم فى توبيخه مجالَ ذى الفقار، فقال

نقمتم علىّ الراحَ أُدْمِنُ شُرْبَها   وقلتم فتى راحٍ وليس فتى مجدِ
ومن ذا الذى قاد الجياد الى الوغى   سوايَ ومن اعطى كثيرا ولم يُكْدِ
فديتُكم لم تفهموا السرّ انما   فليتكم جهدى فابعدتُكم جهدى

ودُعى [e] ابن السيد ليلةً الى مجلس قد احتشد فيه الانس والطرب، *وقرع فيه السرور نبعه بالغرب [f]، ولاحت نجوم اكواسه، وفاح نسيم رنده وآسه، وابدت صدورُ اباريقه أَسْرارها، وضمّت عليه المحاسنُ [g] ازرارها، والراح يديرها اهيَف واوطَف، والامانى

a) Varr. vs. 1. ذكرنى طبيب ; vs. 6. ان بدا به قمرا لما بدا. b) S. والاتراح. c) Les man. portent وسماؤه. d) La. O. استطاعة. e) Ce passage se trouve aussi dans le man. A. du *Kalāyid*; mais on n'y lit que le premier vers du poème. f) *Al-K.* A. وقرع فيه دمع السرور بالعَرب. (*sic*). g) Al-M. المجالس.

تجنى وتقطف،، فقال

يا رُبَّ ليل قد هتكتَ حجابَه … بمدامة وقّادة كالكوكب
يسعى بها أحْوَى الجفون كانها … من خدّه ورضابِ فيه الاشنبِ
بدرانِ بدرٌ قد امنتَ غروبَه … يسعى ببدر جانح للمغربِ
فاذا نعمتَ برشف بدر غارب … فانعَمْ برشفة طالع لم يغربْ
حتى ترى زُهْرَ نجوم كانها … حول المجرّة رَبْرَب فى مشربِ
والليل منحفر[a] يُطير غرابَه[b] … والصبح يطرده بباز اشهبِ

ثم قال الفتح بعد كلام كثير ما صورتُه[c] ودخل يعنى ابن السيد سرقسطة ايامَ المستعين وهى جنّة[d] الدنيا، *وفتنة المحيا[e]،، ومنتهى الوصف، وموقف السرور والقصف،، مَلِك نمير البشاشة، كثير الهشاشة،، ومُلْك ابهج الفنا، أَرِج الارجا،، يروق المجتلى، ويفوق النجم المعتلى،، وحضرة منسابة الما، منجابة السما،، يبسم[f] زهرها، وينساب[g] نهرها،، وتتفتّح خمائلُها، وتتضوّع صباها وشمائلها،، والحوادث لا تعترضها، والكوارث لا تقرضها،، ونازلُها من عرس الى موسم، وآملُها متّصل بالامانى ومتّسم،، فنزل منها فى مثل الخورنق والسدير، وتصرّف فيها بين روضة وغدير،، فلم يَخْفَ على المستعين احتلاله، ولم تُخْفَ لديه خِلاله،، فذكره مُعْلِما به ومعرّفا، واحضره منوّها به ومشرّفا،، وقد كان فرّ من ابن رزين، فرارَ السرور من نفس الحزين،، وخلص من اعتقاله، خُلوصَ السيف من صقاله، فقال يمدحه[h]

هُم سلبونى حسنَ صبرى اذ بانوا … باقمار اطواق مط غها بانْ[i]
لئن غادرونى باللوى ان مهجتى … مسايرة اظعانَهم حيثما كانُوا
سقى عهدَهم بالخيف عهدُ غمائم … ينازعها مزن[j] من الدمع هَتّانْ
أأحْبابَنا هل ذلك العهد راجع … وهل لى عنكم آخرَ الدهر سلوانْ
ولى مقلة عَبْرَى وبين جوانحى … فؤاد الى لقياكم الدهرَ حَنّانَ
تنكّرت الدنيا لنا بعد بُعْدكم … وحفّت بنا من مُعْضِل الخطب أَلْوانْ

a) La. منحفر. b) La. جناحه. c) Ce passage se trouve aussi dans le man. A. du *Kalāyid*. d) *Al-K.* A. زهرة. e) *Al-K.* A. وفتنة المحيا (*sic*). f) *Al-K.* A. تبسم. g) *Al-K.* A. وانساب. h) Les man. B. C. D. G. du *Kalāyid* contiennent plusieurs vers de ce poème (1—6, 11—13, 22—26); dans A. on n'en trouve que le premier. i) *Al-K.* G. D. البان. j) Al-M. نهر.

اناخت بنا فى ارض شنتمريّة   هواجس ظنّ خان والظنّ خوّان
وشمنا بروقا للمواعيد اتعبت   نواظرنا دهرا ولم تهم تهتان
فسرنا وما نلوى على متعذّر   اذا وطن اقصاك آوتك اوطان
ولا زاد الا ما انتشته من الصبا   انوف وحازته من الماء اجفان
رحلنا * سوام الحمد*a* عنها لغيرها   فلا ماؤها صدّا ولا النبت سعدان
الى ملك حاباه بالمجد يوسف   وشاد له البيت الرفيع سليمان
الى مستعين بالاله مؤيّد   له النصر حزب والمقادير اعوان
جفتنا بلا جرم كان مودّة   ثنى نحونا منها*b* الاعنّة شنآن
ولولم تغد*c* منّا سوى الشعر وحده   لنحن*d* لنا برّ عليه واحسان
فكيف ولم نجعل بها الشعر مكسبا   فيوجب للمكدى جفاء وحرمان
ولا نحن ممن يرتضى الشعر خطّة   وان قصرت عن شأونا فيه اعيان
ومن اوهمته غيره*e* ذاك ظنونه   فثمّ مجال للمقال وميدان
خليلى من يعدى*f* على زمن له   اذا ما قضى حيف علىّ وعدوان
وهل رىء من قبلى غريق مدامع   يغيض بعينيه الحيا وهو حرّان
وهل طرفت عين لمجد ولم يكن   لها مقلة من آل هود وانسان
بوجه ابن هود كلّما اعرض الورى   صحيفة اقبال لها البشر عنوان
فتى المجد فى برديه بدر وضيغم   وبحر وقدس ذو الهضاب وثهلان*g*
من النفر الشمّ الذين اكفّهم   غيوث ولكنّ الخواطر نيران
ليوث شرى ما زال منهم لدى الوغى   هزبر بيمناه*h* من السمر*i* ثعبان
وهل فوق ما قد شاد*j* مقتدر لهم   ومؤتمن بالله لقياه ايمان
ألا ليس فخر فى الورى غير فخرهم   والّا فانّ الفخر زور وبهتان
فيا مستعينا مستعانا لمن نبا   به وطن يوما وعضته ازمان
كسوتك من نظمى قلادة مفخر   يباهى بها جيد*k* المعالى ويزدان

---

a) Ces mots sont sans doute altérés. *Al-K.* B. سوام الحمد, G. سواد الحمد; al-M. La. O. سوام الخمر. *b*) La. O. منه. *c*) O. تغد, La. تقد, S. تعد. *d*) G. L. نحن. *e*) La. O. عند. *f*) G. L. S. بعدى. *g*) Al-M. تهلان. *h*) Les man. du *Kal.* portent فيمناه. *i*) *Al-K.* B. D. السم, G. الثم, al-M. S. الشم. *j*) *Al-K.* B. G. ساد, al-M. La. O. شاء. *k*) La. O. جعد.

وان قصرت عما ليس فيهما تجاوزه در فى النظم ومرجان
معان حكت خلق الحسان كأننى بهن او بطليوس بغدان
اذا غرست كفاك غرس مكارم بارضى اجنتك الثنا منه اغصان

وقال فى *وصفه مجلساة لابى عيسى بن لبّون احضر اليه ابن السيد منوها بقدره ما صورته وأُحضر الى مجلس نام عنه الدهر وغفل، وقام لفرط انسه واحتفل،، قد بانت صروفه، ودنت من الزائر قطوفه،، وقال هلمّ بنا الى الاجتماع بمذهبك، والاستمتاع بما شيته ببراعة ادبك،، فاقاموا يُعملون كاسهم، ويصلون ايناسهم،، وباتوا ليلهم ما طرقهم نوم، ولا عداهم عن طيب اللذات سَوْم،، ثم قال بعد كلام كثير وحضر ابن السيد عند عبد الرحمن الظافر بن ذى النون مجلسا رفعت فيه المُنى لواءها، وخلعت عليه اضواءها،، وزفت اليه المسرّاتُ ابكارَها، وفارقت اليه الطير اوكارَها،، فقال يصفه

لم ترَ مثله ولا ترى انفَسَ فى نفسى وأبْهَى منظرًا
اذا تردّى وشيَه المصوّرًا من حوك صنعاء وحوك عَبْقرًا
ونسج قُرْقُوبٍ ونسج تُسْتَرًا خِلْتَ الربيع الطلق فيه نوّرًا
كانما الابريق حين قَرْقَرًا قدّامَ لثمه الكاس حين فغرًا
وحشيّة ظلّت تُناغِى جوذرًا تُرْضِعه الدَّرَّ ويرنو حذرًا
كانما مجّ عقيقا احمرًا او فتّ من ريّاه مسكا اذفرًا
او عابد الرحمن يوما ذكرًا فنمّ مسكا ذكرُه وعنبرًا
الظافر الملك الذى من ظفرًا بقربه نال العلاء الاكبرًا
لو أن كسرى راءه او قيصرًا هلّل اكبارًا له وكبّرًا
تُبْدِى سماء الملك منه قمرًا اذا حجاب المجد عنه سفرًا
يا ايها المُنْضِى المطايا بالسرَى يبغى غمام المكرمات الممطرًا

انتهى، وقال الفتح فى ترجمة الاديب ابى القاسم بن العطّار ما صورتُه هو احد ادباء اشبيلية ونُحاتها، العامرين لارجاء المعارف وساحاتها،، لولا مواصلة راحاته، وتعطيل بُكَره وروحاته،، وموالاته للفرج، ومغالاته فى عَرْف للانس او ارج،، لا يعرّج الا على ضفة

a) G. L. O. تاجاوز. b) La. O. وصف مجلس. c) G. L. O. والاستماع. d) La. O. واقاموا.
e) La. O. ثم. f) La. O. وبومى.

نهر، ولا يلهج الا بقطعة زهر[a]، * ولا يَحْفل بملام[a]، ولا[b] ينتقل الا فى طاعة غلام، ناهيك من رجل مخلوع العنان فى ميدان الصبابة، مُغْرَم بالمحاسن[c] غرامَ يزيد بحَبّابة، لا تراه الا فى نمّة انهماك، ولا تلقاه الا فى لمّة انهتاك، رافعًا لرايات الهوى، فارعا لثنيّات الجَوَى، لا يُقْفِر فوادُه من كَلَف، ولا يبيت الا رهن تَلَف، اكثر خلف الله عَلاقةً، واحضرهم لمشهد خلاقة، مع جزالة تُحرّك السكون، وتُضحك الطيرَ فى الوكون، وقد اثبتُّ له ما يرتجله فى اوقات انسه وساعاته، وينفث به اثناء زفراته ولوعاته، فمن ذلك ما قاله فى يوم ركب فيه النهر على عادات انكشافه، وارتضاعه لثغور اللذّات وارتشافه،

عبرنا سماء النهر والجوُّ مُشْرِق … وليس لنا الا الحباب نجومُ
وقد البسته الايكُ بردَ ظلالها … وللشمس فى تلك البرود[d] رقومُ

وله فيه

مررنا بشاطى النهر بين حَدائق … بها حدقُ الازهار تستوقف الحَدَقْ
وقد نسجت كفُّ النسيم مُفاضةً … عليه وما غير الحباب لها حَلَقْ

وله

هبّت الريح بالعشىّ فحاكتْ … زردا للغدير ناهيك جُنَّةْ
وانجلى البدر بعد * هَدْء[e] فصاغت … كفُّه للقتال منه اسنَّةْ

وقوله

لله بهجة مَنْزِه[f] ضربتْ به … فوق الغدير رواقها الأنْشامُ
فمع الاصيل النهر دِرْع سابغ … ومع الضحى يلتاح فيه حسامُ

وله

لا كالعشيّة فى رواء[g] جمالها … وبلوغ نفسى منتهى آمالها
ما شيتَ شمس الارض مشرقة السَّنَى … والشمس قد شدَّتْ مطىَّ رحالها
فى حيث تنساب المياه اراقمًا … وتُعيرك الافياء بُرْدَ ظلالها

وله

لله حسن حديقة بسطتْ لنا … منها النفوس سوالفٌ ومعاطفُ
تختال فى حُلَل الربيع وحليه … ومن الربيع قلائد ومطارفُ

انتهى، وقال الفتح فى ترجمة ابن عمّار اخبرنى ذو الوزارتين الاجلّ ابو المطرّف[h] بن عبد العزيز انه حضر معه عند الموتمن فى يوم جادت فيه السماء بهطلها، وأتْبعت[i] وَبْلها بطلّها، واعقب رعدَها برقُها، وانسكب دِراكًا ودفْقها، والازهار قد تجلّت من

---

a) Ces mots manquent dans les man. d'al-Makk. b) Al-M. ولم. c) Al-M. بالحسان. d) Les man. du *Kalāyid* portent البروج. e) Al-M. فحاكت هذا. f) *Al-K.* D. G. منزل. g) Al-M. وراء. h) La. O. ابو المظفر. i) Al-M. وارتعب.

كمامها، وتحلّت بدرّ غمامها،، والاشجار قد جُلى صَداها، وتوشّحت بنداها،، واكوس الراح كانها كواكب تتوقّد، تديرها انامل تكاد من اللطافة تُعْقَد،، اذا بفتى من فتيان الموتمن اخرسَ لا يُفْصِح، مستعجم لا يبيّن ولا يُوضِح،، متنمّر تنمُّرَ الليث، مشمّر[a] كالبطل الباسل[b] عند العيث،، وقد افاض على نفسه درعا، تضيق بها الاسنّة[c] ذَرْعا،، وهو يريد استشارة الموتمن فى الخروج[d] الى موضع بعثه ووجّهه، فكل[e] من صدّه عنه نَهَرَه ونجهه،، حتى وصل الى مكان انفراده، ووقف بازاء وساده[f]،، فلما وقعت عينُ ابن عمار عليه، اشار بيده اليه،، وقرّبه واستدناه، وضمّه اليه كانه تبنّاه،، وجدّ[g] ان يخلع عنه[h] ذلك الغدير، وان يكون هو الساقى والمُدير،، فامره الموتمن بخلعه، وطاعة امره وسمعه،، فنضاه عن جسمه، وقام يسقى[i] على حكمه ورسمه،، فلما دبّت فيه الحميّا، وشبّت غرامه بهجةُ ذلك المحيّا،، واستنزلتْه[j] سورة العقار، من مرقب الوقار،، قال

وهويتُه يسقى المدامَ كانّه … قمر يدور بكوكب فى مجلس[k]
متأرّج الحركات تَنْدَى ريحُه … كالغصن هزّته الصبا بتنفُّس
يسعى بكاس فى انامل سوسن … ويدير أخرى من محاجر نرجس
يا حامل السيف الطويل نجادُه … ومصرّف الفرس القصير المحبس[l]
ایاك بادرةَ الوغى من فارس … خَشِنِ القِناع على عذار املس
جَهْم وان حسر القناع[m] فانما … كشف[n] الظلامَ[o] عن النهار المُشْمِس
يطغى ويلعب فى دلال عذاره … كالمُهْر يمرح[p] فى اللجام المُجْرِس
سَلِّمْ فقد قصف القنا غصنُ النقى … وسطا بليث الغاب ظبىُ المكنِس
عنّا بكاسك قد كفتْنا مقلةٌ … حوراء قائمة بسُكْر المجلس[q]

واورد هذه القصّة صاحب البدائع بقوله[r] حضر ابو المطرّف[s] بن عبد العزيز عند

a) *Al-Kal.* B. et al-M. متنشمر. b) Al-M. الفارس. c) Al-M. الالسنة. d) Al-M. التوجه. e) Al-M. وكل. f) Al-M. اساده. g) *Al-K.* A. B. H. وحد, D. وخد ; al-M. G. L. S. واشار, La. O. واراد. h) Al-M. عند. i) *Al-K.* G. et al-M. S. يسعى. j) *Al-K.* A. G. H. واستزلنه ; ces man. ajoutent واستنزلته après العقار. k) Dans le VII^e Livre حندس. l) Les man. du *Kal.* portent المجلس. m) Al-M. اللثام. n) *Al-K.* A. ورفع. o) *Al-K.* A. B. الضباب (l. الصباب). p) Al-M. G. L. S. يرمح, La. O. يلمح. q) *Al-K.* H. الانفس. r) Man. fol. 207 v. (*Bad.*). s) La. O. ابو المظفر.

الموتمن بن هود فى يوم اجرى الجوّ فيه اشقر برقه، ورمى بنَبْل[a] ودقه،، وتحمّلت[b] الرياح فيه اوقار السحاب على اعناقها، وتميّلت[c] قامات الاغصان فى الحُلَل الخُضْر من اوراقها[d]،، والراح[e] قد اشرقت نجومُها فى بروج الراح، وحاكت شمسُها شمسَ الافق فتلفّعت بغيوم الاقداح،، ومُديرها قد ذاب ظرفا فكاد يسيل من اهابه، واخجل خدَّها حسنا فتكلّل[f] بعَرَق حبابه،، اذا بفتى رومى[g] *من فتيان[h] الموتمن قد اقبل متدرّعا كالبدر اجتاب سحابا، والخمر قد اكتست حبابا[i]،، وقد جاء يريد استشارة الموتمن فى الخروج الى موضع كان عوّل فيه عليه، وامره ان يتوجّه اليه،، فحين[j] لمحه ابن عمّار والسكر قد استَحْوَذ على لبّه، وبثّ[k] سراياه فى ضواحى قلبه[l]،، جدّ فى ان يستخرج تلك الدُرّة من ماء ذلك الدِلاص، وان يجلّى عنه سَهَكه كما يجلّى الخَبَثُ عن الخِلاص،، *وان يكون هو الساقى[m] فامره الموتمن بقبول امره وامتثاله، واحتذاء مثاله[n]،، فحين ظهرت تلك الشمس من حُجُبها، ورمتْ شياطينَ النفوس من كُمَيتْ المُدام بشُهُبها،، ارتجل ابن عمار   وهويته الخ[o]   الا انه قال اثرَ قوله   اياك بادرة الوغى من فارس   ما صورته   يضع السنان على العذار الاملس   انتهى، ولابن عمار الرائيّة الشهيرة فى مدح المعتضد عبّادٍ والدِ المعتمد وهى

a) *Bad.* ببندق. b) *Bad.* وحملت, et cette leçon se trouve aussi dans le vii^e Livre, où al-Makk. copie encore une fois ce passage. c) Dans le vii^e Livre وتمايلت. d) Dans le *Bad.* et dans le vii^e Livre d'al-M. on trouve ajouté ceci: والازهار قد تفتّحت عيونها، والكمائم قد ظهر (مكتومها و + *Bad.*) مكنونها،، والاشجار قد انصقلت بالعطر (بمداوس *Bad.* القطر)، ونشرت ما يفوق الوان التبر، وثَبّتْ ما يعلو العطر،، e) Al-M. ici والرياحْ. f) Al-M. ici فتظلل. g) Ce mot manque ici dans les man. d'al-M. h) Dans le vii^e Livre: من اصبح فتيان. i) Le *Bad.* et le vii^e Livre d'al-M. ajoutent: والطاووس انقلب حُبابا،، فهو مَلَكٌ حسنا الا انه جَسَد، وغزال لينا الا انه (فى هيأة + al-M.) الاسد،، j) Le *Bad.* et le vii^e Livre d'al-M. ajoutent وصل الى حضرته. k) vii^e Livre et *Bad.* وانبثت. l) Le *Bad.* et le vii^e Livre d'al-Makk. ajoutent: فاشار اليه وقرّبه، واستبدع ذلك اللباس وان يوقّر على ذلك الوفر نعمةَ جسمه، واستغربه،، وجدّ الخ. m) *Bad.* et vii^e Livre: ويكون هو الساقى على عادته القديمة ورسمه،، n) Al-M. ici et plus loin امثاله.
o) Varr. vs. 2. عطعه ينـدى; vs. 3. يسقى; vs. 6. وان كشف القناع; vs. 7. كالمهر يلعب. La variante يضع السنان dans le 5ème vers ne se trouve pas dans le *Bad.*

أَدِرِ الزجاجةَ a فالنسيم قد انبَرَى … والنجم قد صرف العنانَ عن السُّرَى
والصبح قد اهدى لنا كافورَهُ … لما استردَّ الليلُ منّا العنبرَا
والروض كالحَسْنَا كساه زَهْرُهُ … وَشْيًا وقلّده نداه جوهرَا
او كالغلام زها بورد خدوده b … خجلا وتاهَ بآسهنّ معذَّرَا
روض كانّ النهر فيه مِعْصَم … صافٍ اطلَّ على رداء اخضرَا
وتهزّه ريح الصبا فتخاله c … سيفَ ابن عبّاد يبدّد عسكرَا
عبّادٌ المخضرّ نائلُ كفّه … والجوُّ قد لبس الرداء الاغبرَا
ملك اذا ازدحم الملوكُ بمورد … ونحاه لا يَرِدون حتى يصدرَا
أَنْدَى على الاكباد من قطر الندى … والذُّ فى الاجفان من سِنَة الكَرَى
يختار ان يَهَبُ الخريدةَ كاعبا … والطِّرْفَ اجردَ والحسامَ مجوهرَا
قَدّاحُ زند المجد لا ينفكُّ من … نار الوغى الا الى نار القِرَى
لا خَلْقَ أَقْرَأُ من شفار حسامه … ان كنتَ شبّهتَ المواكبَ أَسْطُرَا
ايقنتُ انى من ذَرَاه بجنّة … لما سقانى من نداه الكوثرَا
وعلمتُ حقًّا d ان ربعى مُخْصِب … لما اسال e به الغمامَ الممطرَا
مَنْ لا توازنه الجبالُ اذا احتبى … من لا تسابقه الرياحُ اذا جرَى
ماض وصدرُ f الرمح يكهم والظُّبى … تنبو وايدى الخيل تعثر فى البُرَى g
فاذا h الكتائب i كالكواكب فوقهم j … من لامهم مثل السحاب كَنَهْوَرًا k
من كل ابيضَ قد تقلّد ابيضا … عَضْبا واسمَرَ قد تحمّل l اسمرَا
ملك يروقك خَلْقه او خُلْقه … كالروض يحسن منظرا او مخبرَا
اسمعتُ باسم الفضل حتى شِمْتُهُ … فرأيتُه فى بردتَيْه مصوَّرَا
وجهلتُ معنى الجود حتى زرتُه … فقرأتُه فى راحتَيْه مفسَّرَا
فاح الثرى متعطّرا بثنائه … حتى حسبْنا كل ترب عنبرَا
وتتوّجت بالزهر صُلْعُ هضابه … حتى ظننّا كل هضب قيصرَا

a) Al-M. المدامة. b) Al-M. G. L. P. S. رياضة. c) *Al-K.* H. فنطلبه, A. فكانه. d) *Al-K.* H. et al-M. جدا. e) Al-M. سالت. f) *Al-K.* B. وطرف. g) Al-M. L. S. الثرى. h) Al-M. G. L. P. S. قاد. i) *Al-K.* A. المواكب. j) Al-M. La. O. بينهم. k) Al-M. La. O. تهورا. l) *Al-K.* A. B. et al-M. تقلد.

هصرتَ يدى غصن الغنى من كفه ‏ ‏ ‏ وجنيتُ به روض السرور منوّرا
حسبى على الصُنْع الذى اولاه ان ‏ ‏ ‏ أَسْعَى بجدّ او اموت فأُعْذَرَا
يـٰأيّها الملك الذى حاز العلاء[a] ‏ ‏ ‏ وحباه[b] منه بمثل حمدى انورَا
السيف افصح[c] من زياد خطبةً ‏ ‏ ‏ فى الحرب ان كانت يمينُك[d] منبرَا
ما زلتَ تُغْنى من عَنَا لك راجيا ‏ ‏ ‏ نيلا وتُغْنى من عتا وتجبّرَا
حتى حللتَ من الرياسة محجرا ‏ ‏ ‏ رَحْبًا وضمّت منك طرفا احورَا
شقيتْ بسيفك أُمّةٌ لم تعتقدْ ‏ ‏ ‏ الا اليهودَ وان تسمّتْ بربرَا
اثمرتَ رُمْحَك من رؤوس كُماتهم ‏ ‏ ‏ لما رايتَ الغصن يُعْشَق مُثْمِرَا
وصبغتَ درعك من دماء ملوكهم[e] ‏ ‏ ‏ لما علمتَ الحسن يُلْبَس احمرَا
واليكها كالروض زارتْه الصَبَى ‏ ‏ ‏ وحنى عليه الطلُّ حتى نوّرَا
نمّقْتَها وشيا بذكرك مُذْهَبا ‏ ‏ ‏ وفتقتَها مسكا بحمدك اذفرَا
مَنْ ذا ينافحنى وذكرك مَنْدَل ‏ ‏ ‏ اوردتُه من نار فكرى مجْمَرَا
فلئن وجدتَّ نسيم حمدى عاطرا ‏ ‏ ‏ فلقد وجدتَّ نسيم برّك اعطرَا

انتهى، وقال فى ترجمة عبد الجليل بن وَهْبُون المُرْسى ركب باشبيلية زورقا فى النهر[f] الذى لا تدانيه الصَرَاة، ولا يضاهيه الفُرات،، فى ليلة تنقّبت بظلمتها[g]، * ولم تَبْدُ وضح فى دُهْمتها[h]،، وبين ايديهم شمعتانِ قد انعكس شعاعهما فى اللُجّة، وزاد فى تلك البهجة،، فقال

كانما الشمعتان اذ سَمَتَا ‏ ‏ ‏ خذّاء[i] غلام محسَّن الغَيَد
وفى حشى النهر[j] من شعاعهما ‏ ‏ ‏ طريق نار الهوى الى كبدى

وكان معه غلامُ البكرىّ معاطيا للراح، وجاريا فى ميدان ذلك المراح،، فلما جاء عبد الجليل بما جا، وحلّ للابداع الجوانبَ والارجا،، حسده على ذلك الارتجال، وقال بين البُطْى[k] والاستعجال،،

أَعْجِبْ بمنظر ليلة لَيْلاء ‏ ‏ ‏ تجنى بها اللذّات فوق الماء

a) *Al-K.* A. D. H. المنى. b) *Al-K.* A. وجناه. c) *Al-K.* B. اصدق. d) Al-M. يمينه.
e) *Al-K.* D. سراتهم , H. حماتهم. f) Al-M. نهرها. g) *Al-K.* A. بظلمائها , al-M. فى ظلمتها.
h) *Al-K.* A. ولم يلح قمر فى سمائها. i) *Al-K.* B. خذا , A. D. G. خد , H. et al-M. جيد.
j) *Al-K.* B. D. G. الماء. k) Al-M. L. S. البطاء , La. O. البطاية , G. البطحاء.

فى زورق يزهى بغُرّة أَغْيَدٍ ... يختال مثل البانة الغَيْناء a

قرنت يداه الشمعتَيْن بوجهه ... كالبدر بين النسر والجَوْزاء

والتاج تحت الماء ضوء b منهما ... كالبرق يخفق فى غمام سماء

انتهى، وقال الفتح رحمه دُعيتُ يوما الى منية المنصور بن ابى عامر ببلنسية وهى منتهَى الجمال، ومَزْهَى الصَبا والشمال،، على وَهْى بنائها، وسُكنى الحوادث برهةً بفنائها،، فوافيتُها والصبح قد البسها قميصَه، والحسن قد شرح بها عويصَه،، وبوسطها مجلس قد تفتّحت للروض ابوابُه، وتوشّحت بالأُزُر الذهبيّة اثوابُه،، يخترقه جَدْوَل كالحسام المسلول، وينساب فيه انسيابَ الأَيْم فى الطول،، وضفّتاه بالادواح c محفوفة، والمجلس بروق كالخريدة المزفوفة،، وفيه يقول على بنُ احمد احد شعرائها، وقد حلّه مع طائفة من وزرائها،،

قُمْ سَقِنى والرياض لابسةٌ ... وشيا من النَوْر حاكه القطرُ

فى مجلس كالسماء لاح به ... من وجه مَنْ قد هويتُه بدرُ

والشمس قد عصفرتْ غلائلها ... والارض تندى d ثيابُها الخُضْرُ

والنهر مثل المجرّ حفّ به ... من الندامَى كواكب زُهْرُ

فحللتُ e ذلك المجلس وفيه أَخْدان، كانهم الولدان،، وهم فى عيش لَدْن، كانهم فى جنّات f عدن،، فأَنَخْتُ لديهم ركائبى وعقلتُها، وتقلّدتُ بهم رغائبى واعتقلتُها،، واقمنا نتنعّم * بحسنه طولَ ذلك g اليوم، ووافَى الليل فذُدْنا عن الجفون طروقَ النوم،، وظللنا بليلة كانّ الصبح منها مقدود، والاغصان تميس كانها قدود،، والمجرّة تتراءى نهرا، والكواكب تخالها فى الجوّ زهرا،، والثريّا كانها راحة تُشير، وعُطارد لنا بالطرب h بشير i،، فلما كان من الغد وافيتُ الرئيس ابا عبد الرحمن زائرا فأَفْضنا فى الحديث الى ان افضى بنا الى ذكر منتزهنا بالامس، وما لقينا j فيه من الانس،، فقال لى ما بهجتُهُ موضع قد بان قطينُه وذهب، وسلب الزمان بهجتَه وانتهب،، وباد فلم يبقَ الا رسمُه، ومحاه الحدثان فما كاد يلوح وسمُه،، عهدى به عند ما فُرغ k

---

a) *Al-K.* A. G. H. et al-M. L. La. O. الغناء, S. الغيباء. b) *Al-K.* A. H. جبينه. c) G. L. S. P. بالارواح. d) G. S. P. تبدى, L. تبدو. e) G. L. et S. ajoutent فى. f) La. O. جنة. g) La. O. بحسن ذلك. h) La. O. بالطرف. i) L. يشير. j) G. L. تعبنا. k) La. O. بلغ.

من تشبيبه، وتُنُوهِيَ فى تنسيقه وتنضيده،، وقد استدعانى اليه المنصور فى يوم حلّت فيه الشمسُ برجَ شرفها، واكتست الارض بزخرفها،، فحللتُ به والدوح[a] تميس معاطفُه، والنَّوْر يخجله قاطفُه،، والمدام تطلع به وتغرب، وقد حلَّ به قحطان ويَعْرُب،، وبين يدى المنصور مائة غلام ما يزيد احدهم على العشر غير اربع، ولا يحلّ غير الفؤاد من مَرْبَع،، وهم يديرون رحيقا، خِلْتَها فى كاسها درّا او عقيقا،، فاقمنا والشُهب تغازلنا، وكانّ الافلاك منازلنا،، ووهب المنصور فى ذلك اليوم ما يزيد على ٢٠ الغا من صلات متّصلات واقطع ضياعا ثم توجّع لذلك العهد، وافصح بما بين ضلوعه من الوجد،، وقال

سقيا لمنزلة اللوى وكثيبها   اذ لا ارى زمنا كازمانى بها

انتهى، وما احسن ما كتب به الفتح الى بعض الملوك يصف نزهة ببعض منتزهات الاندلس المونقة، ويذكر استضاءته فيها بشموس المسرّة المشرقة،، وهو اطال الله بقاء ناصر الدولة، ومحيى الملّة،، الذى حسن بلقياه العيش، وتزيّن[b] بمحيّاه الجيش،، وراق باسمه المُلْك، وجرت بسعده الفُلْك،، وانار به الليل الدامس، ولاح له الاثر الطامس،، وجرى الدهر لسطوته خائفا، وغدا السعدُ بعَقْوته طائفا،، والزمان ببرود علياه ملتحف، ولثغور نداه مرتشف،، ولا زال للمجد يتملّكه، والسعد يحمله فلكُه،، أمّا وقد وافقتْنى ايامه ايّده الله وِفاقا، ورايتُ للبيان[c] عنده نَفاقا،، فلا بدّ ان أُرسل كتائبَه افواجا، وافيض من بحره امواجا،، وأَصِف ما شاهدتُه من اقتداره، وعاينتُه من حسن ايراده وإِصْداره،، بمقال افصح من شكوى المحزون، واملح من رياض الحزون،، وقد كنتُ ايّده الله كَلِفا بالدُوَل وبهائها، لَهِجا بالبلوغ الى انتهائها،، لأَجِدَ دولةً ارتضيها، وحظوة علياء اقتضيها،، فكل مَلِك فاوضتُه سرًّا او جهرا، وكل مُلْك قلبتُه بطنا وظهرا،، والنفس تَصُدّ عنه صدودَ الجبان عن الحرب، والملائكة الكرام عن الشرب،، الى ان حصلتُ لديه، ووصلتُ بين يديه،، فقلتُ الآن امكن من راح البغية الانتشاء، وتمثّلتُ الحمدُ لله الذى اذهب عنّا الحزن واورثَنا الارض نتبوّء من الجنّة حيث نشاء[d]،، وما زلتُ أُسايره حيث سار، وآخذ اليمين تارةً وتارةً اليسار،، وكل ناحية تسفر لى عن خدّ روض ازهر، وعذار نبت اخضر،، وتبسم عن ثغر حباب،

a) La. O. والروض. *b*) La. O. وتزيد. *c*) O. للسان, La. للشان. *d*) Voyez le *Korān*, sour. 35, vs. 31, et sour. 39, vs. 74.

فى نهر كالحُباب،، وترفل من الربيع فى ملابس سندسيّات، وتهدى الينا نوافح مسكيّات،، ونزهى من بهجتها باحسن منظر، وتَتيهُ بجلباب انيع من برد الشباب الاخضر،، فجُلْنا فيها يمينا وشمالا، واستخبرنا عن اسرارها صبا وشَمالا،، ثم مال بنا ايّده الله عن هذه المسارح السنيّة، والمنازل البهيّة،، الى احدى ضياعه الحالية، وبقاعه العالية،، فحللناها * والايم قد عرى من جلبابه ᵃ، واليوم قد اكتهل بعد شبابه،، فنزلنا فى قصور يقصر عنها جعفرىّ جعفر، وقصور بنى الاصفر،، تهدى من لبّاتها بردا محبّرا، وتبدى من شذاها مسكا وعنبرا، وقد لاحت من جوانبها نجومُ اكواس، لو رآها ابو نُواس،، لجعلها شعارَه، ووقّف على نَعْتها اشعارَه،، ولم يتّخذ سواها نجعة، ولا نبّه خماره بعد هجعة،، فتعاطيناها والسعد لنا خادم، وما غير السرور علينا قادم،، وخدود سُقاتها قد اكتست من سناها، وقدودهم تتهيّل علينا بجناها،، ونحن بين سُكْر وصحو، واثبات لها ومحو،، واصاخة الى بَمّ وزير، والتفات ᵇ الى ملك ووزير،، الى ان ولّى النهارُ فحيّانا، واقبل اللّيلُ المُبيتُ فأحْيانا،، فوصلنا بلهو وقصف، وعيش يتجاوز كل وصف،، فكانّ يومنا مقيم، او كانّ ليلنا من الظلام عقيم،، ولما سلّ الفجرُ حسامه، وابدى لعبوس الليل ابتسامه،، وجاء يختال اختيالا، ويمحو من بقايا الليل نيالا ᶜ،، قُمْنا نتنادَب للمسير، وكلّنا فى يد النشوة اسير،، فسِرْنا والملك الاجلّ يقدمنا، والايام تخدمنا،، فلا زالت الايام به زاهية، وعن سواه لاهية،، ما عمر وكرّا عُقاب، وكان للشهور غُرَر وأعْقاب،، انتهى، وقال الفتح فى ترجمة الراضى بالله ابى خالد يزيد بن المعتمد بن عبّاد بعد كلام ما صورتُه واخبرنى المعتزّ ᵈ بالله ان اباه المعتمد وجّهه يعنى الراضى الى شلْب واليا وكانت ملعب شبابه، ومألف احبابه،، الّتى عمر نجودها غلاما، وتذكّر عهودها أحْلاما،، وفيها يقول يخاطب ابن عمّار وقد توجّه اليها

أَلا حَيِّ اوطانى بشلب ابا بكرِ   وسَلْهنّ هل عهد الوصال كما أَدْرى

وسَلّمْ على قصر الشراجيب عن ᵉ فتى   له ابدًا شوق الى ذلك القصرِ

وقصر الشراجيب هذا متناه فى البهاء والاشراق، مباه لزَوْراء العراق،، رُكضت فيه جياد راحاته، وومضت بروق امانيه فى ساحاته، وجرى الدهر مطيعا بين بُكَره وروحاته،،

a) Le sens de cette phrase ne m'est pas clair. b) Les man. portent والتغاته. c) La. O. نبالا. d) G. P. المعتد, L. La. O. المعتمد, S. الراضى. e) Al-M. من.

ايامَ لم تُخَلّ عنه تمائمُه، ولا خلتْ من ازهاره[a] الشباب كمائمُه،، وكان يعتدّها مَحْيَا آماله، ومنتهى[b] اعماله،، الى بهجة جنباتها، وطيب نفحاتها وهبّاتها،، والتفاف خمائلها، وتقلّدها بنهرها مكانَ حمائلها،، وفيها يقول ابن اللّبّانة

امـا عـلـم المعتزّ بـالله انّني ... بحضرته فى جنّة شقّها نهرُ
وما هو نهر اعشب النبتُ حوله ... ولكنّه سيـف حمـائله خُضْرُ

فلمـا صدر عنهـا وقـد حسنت آثـارُه فى تدبيرهـا، وانسدلت رعـايتُه على صغيرهـا وكبيرها،، نزل المعتمد[c] عليه مشرّفا لاوبته، ومعرّفا بسموّ قدره لديه ورتبته،، واقام يومَه عنده مستريحا، وجرى فى ميدان الانس بطلا مُشيحا،، وكان واجدا على الراضى فجلت الحميّـا افقه، ومحتْ غيظه عليه وحنقه،، وصوّرتْه لـه عينُ حنوّه، وذكّرتْه بُعْده فجنح الى دنوّه،، وبين مـا استُدعى ووافَى، مـالت بالمعتمد نشوتُه فأغفى[d]،، فألفـاه صريعـا فى منتداه، طريحا فى منتهى مداه،، فاقام تُجاهَه، يرتقب انتباهه،، وفى اثناء ذلك صنع شعرا اتقنه وجوّده، فلما استيقظ انشده،،

الآنَ تـعـود ... ويـدنـو شـفـاءُ فـؤادٍ مُـعَـلّْ
ويُـورِق لـلـعـزّ غـصـنٌ ذوى ... ويطلع للـسـعـد نجم افَـلْ
فقد وعدتْنى سحـاب الرضى ... بـوابلـهـا حين جـادت بِطَلّْ
أيـا مـلـك[e] امـرُه نـافـذ ... فمن شـاء[f] عزّ ومن شـاء ذَلّْ
دعـوتَ فـطـار بقلبى السرور ... اليك وان كان منك الوجَلْ
كما يستطيرك ... بُ الوغى ... اليـهـا وفيهـا الظُّبى والاسَلْ
فلا غَرْوَ ان كان منك اغتفار ... وان كان منّـا ... زَلَلْ
فمثلك وهـو الذى لـم نجدْ ... ه عـادَ بحلم على من جَهِلْ

انتهى، وقال فى ترجمة المتوكّل على الله بن الافطس ما صورتُه واخبرنى الوزير ابو محمد بن عبدون ان الجَدْب توالى بحضرته حتى جفّت مذانبُها، واغْبرّت جوانبُها،، وغرّد المُكّاء فى غير روضة، وخاض * الناس بالياس[g] اعظمَ خوضة،، وابدت الخمـائلُ عبوسَها، وشكت الارض للسماء بوسَها،، فاقلع المتوكّل عن الشرب واللهو، ونزع ملابس

a) Al-M. ازاهير. b) Al-M. مشتهى. c) Al-M. المعتد. d) Al-M. واغفى. e) Les man. du *Kalāyid* portent ملكا. f) Al-M. G. L. S. شا اعز et شا اذل. Dans les man. d'al-M. ce vers est placé après كما يستطيرك. g) *Al-K.* A. et al-M. La. O. الياس بالناس.

الخُيَلاء والزهو،، واظهر الخشوع، واكثر السجود والركوع،، الى ان غيّم الجوّ، وانسجم النوء،، وصاب الغمام، وترنّمت الحمام،، وسفرت الانوار[a]، وزهت النجاد[b] والاغوار،، واتّفق ان وصل ابو يوسف المغنّي والارض قد لبست زخارفها، ورقم الغمامُ مطارفها،، وتدبّجت[c] الغيطان والرُبى، وارجت نفحات الصبى،، والمتوكل ما فضّ لتوبته ختاما، ولا نفض عن قلبه منها قتاما،، فكتب اليه

الـمَّ ابـو يـوسـف والـمـطَـرْ   فيا ليت شعرى ما يُنتظَرْ
ولسـتُ بـآبٍ وانت الشهيـد   حضورَ نديّك فيمن حضَرْ
ولا مطلعى وسط تلك السما   ء بين النجوم وبين القمَرْ
وركضِى فيها جيادَ المُدا   مِ محثوثةً بسيـاط الوتَرْ

فبعث اليه مركوبا وكتب معه[d]

بعثتُ اليك جناحا فطِرْ   على خفية من عيون البَشَرْ
على ذُلُلٍ من نتاج البروق   وفى ظُلَلٍ من نسيج الشجَرْ
فحسبىَ ممن نأى *مَنْ دنا[e]   فمن[f] غابَ كان فِدًا من حضَرْ

فوصل القصبة المُطلّة على البطحاء، المُزْرِية بمنازل الرَوْحا،، فاقام منها حيث قال عَدِىّ بن زيد يصف مصنعا

فى قباب حول دسكرة   عندها[g] الزيتون قد ينعا

ومضى[h] لهم من السرور يوم ما مرّ لذى رُعَيْن، ولا تصوّر قبل عيونهم لعَيْن،، واخبرنى انه سايَرَه الى شَنْتَرِين قاصيةِ ارض الاسلام، السامية الذُرَى والأعْلام،، التى لا يروعها صرف، ولا يفرعها[i] طرف،، لانها متوعّرة المراقى، معقّرة[j] للراقى،، متمكّنة الرواسى والقواعد، من[k] ضفّة نهر استدار بها استدارةَ القُلْب بالساعد،، قد اطلّت على خمائلها اطْلالَ العروس من منصّتها، وافتطعت فى[l] الجوّ اكثر من حِصّتها،، فمرّوا بالبَسْ[m] فُطْر سالت به جداوله، واختالت فيه خمائله،، فما يجول الطرف منه الا فى حديقة او بقعة انيقة،، فتلقّاهم ابن مُغانا قاضى حضرته وانزلهم عنده، وأوْرَى لهم بالمبرّة زنده،،

---

a) Al-M. الازهار. b) Al-M. G. L. S. النجوم, La. O. النجود. c) Al-M. وتنوجت.
d) Al-M. G. L. S. اليه. e) *Al-K.* A. جفوة. f) Al-M. ومن. g) *Al-K.* B. D. et al-M. La. O. حولها. h) Al-M. ومر. i) Al-M. La. O. يقرعها. j) *Al-K.* B. G. Ga. H. et al-M. G. L S. La. O. معفرة. k) *Al-K.* A. على. l) Al-M. من. m) Al-M. بانفس.

وقدّم لهم طعاما، واعتقد قبوله مَنًّا وانْعاما،، وعند ما طعموا قعد القاضى بباب المجلس رقيبا لا يبرح، وعينُ المتوكل حياءً منه لا تجول ولا تمرح،، فخرج ابو محمد وقد ابرمه القاضى a بتثقيله، وحرمه راحةَ رواحه ومَقيله،، فلقى ابن خَيْرون منتظرا له، وقد اعدّ لحلوله منزله،، فسار الى مجلس قد ابتسمت ثغور نُوّاره، وخجلت خدودُ ورده من زُوّاره،، وأَبْدَتْ صدورُ اباريقه اسرارَها، وضمّت عليه المحاسنُ ازرارَها،، ولما حصر له وقت الانس وحينُه، وارجت له رياحينُه،، وجّه من يرقب المتوكل حتى يقوم جليسُه، ويزول مُوحِشُه لا انيسُه،، فاقام رسوله وهو بمكانه لا يريمه، قد لازَمَه كانه غريمه،، فما انفصل، حتى ظنّ ان عارض الليل قد نصل b،، فلما علم ابو محمد بانفصاله بعث الى المتوكل قطيع خمر c وطبق ورد وكتب معهما

اَلَيْكَها فاجْتَلِها منيرةً   وقد خَبَا d حتى الشهابُ الثاقبُ
وَاقفةً بالباب لم يأذَنْ لها   الا وقد كاد ينام الحاجبُ
فبعضها من المخاف e جامد   وبعضها من الحياء ذائبُ

فقبلها منه رحّة وكتب اليه

قد وصلتْ تلك التى زففتَها   بِكْرًا وقد شابت لها ذوائبُ
فهُبَّ حتى نستردّ ذاهبا   من أُنسنا ان استُردّ ذاهبُ

فركب اليه، ونقل معه ما كان * فى المجلس f بين يديه،، وباتا ليلتهما لا يريمان السهر، ولا يشيمان برقا الا الكاس والزهر،، ثم قال بعد كلام واخبرنى الوزير الفقيه ابو ايوب بن ابى اميّة انه مرّ فى بعض ايامه بروض مفترّ المباسم، معطّر الرياح النواسم،، قد صقل الربيع حَوْذانَه، وانطق بُلْبُلَه ووَرَشانَه،، والحف غصونه بروداً مخضرّة، وجعل اشراقه للشمس ضرّة،، وازاهره تَتيهُ على الكواكب، وتختال فى خِلَع الغمائم السواكب،، فارتاح الى الكون به بقيّةَ نهاره، والتنعّم ببنفسجه وبهاره،، فلما حصل من انسه فى وسط المدى، عمد الى ورقةِ اكرنب قد بلّلها الندى،، وكتب فيها بطرف غصن ناعم g، يستدعى الوزير ابا طالب بن غانم،، احد ندمائه، ونجوم سمائه،،

أَقْبِلْ ابا طالب الينا   * وقَعْ وقوعَ h الندى علينا

a) Ce mot manque dans les man. d'al-M. b) Al-M. فصل. c) Al-M. راح. d) *Al-K.* B. خفى, D. G. et al-M. جنا. e) *Al-K.* B. الممات. f) Al-M. بالمجلس. g) Ce mot ne se trouve pas dans les man. d'al-M. h) *Al-K.* B. H. واسقط سقوط.

فنحن عِقْد بغير وُسْطَى   مــا لـم تَكن حاضرا لدَيْنا

وقـال فى ترجمة المعتصم بن صُمادح مـا صورتُه واخبرنى ابو خـالد بن يشتغير a انه حضر مجلسه بالصمادحيّة فى يوم غيم وفيه اعيان الوزرا ونبهاء الشعرا، فقعد على موضع يتداخل الماء فيه، ويلتوى فى نواحيه، والمعتصم منشرح النفس، مجتمع الانس، فقال

انظرْ الى حسن هذا الماء فى صَبَبِهْ   كانه ارقمٌ قد جدَّ فى هَرَبِهْ

فاستبدعوه، وتيّموه به واولعوه، فـاسكب عليهم شآبيب نداه، واغرب b بمـا اظهره c من بشره وابداه، ثم قال بعد كلام وخرج الى بَرْجة ودلاية وهمـا نظرانِ لـم يَجُلْ فى مثلهمـا ناظر، ولم تدّعِ حسنَهمـا الخدودُ النواضر، غصون تثنيهـا الرياح، ومياه لها انسياح، وحدائق تُهْدِى الارج والعَرْف، ومنازع d تُبهج النفس وتمتّع الطرف، فاقـام فيهـا ايامـا يتدرّج فى مسارحها، ويتصرّف فى منازهها، وكانت نزهة أرْبَتْ على نزهة هشـام بدير الرصـافة، واناقت عليهـا اىّ انافة، وقـال فى ترجمة ابن رَزِين مـا ملخّصه e اخبرنى الوزير ابو عامر * بن سنون f انه اصطبح يوما والجوّ مسكىّ g العوارف، لازوردىّ المطـارف، والروض انيقة لِبّاته، رقيقة h هبّاته i، والنَّور مبتلّ، والنسيم معتلّ، ومعه قومه، وقد راقهم يومه، وصِلاته تُصـافح معتقيهم، ومبرّاته تُشـافه موافيهم، والراح تُشعشَع، وماء الامانى يَنْشَع، فكتب الـى ابنُ عمّار وهو ضيفه

ضمانٌ على الايام ان أَبْلُغَ المُنَى   اذا كنتَ فـى ودّى مُسِرًّا ومُعْلِنـا

فلو تسـأل الايـامُ مَـنْ هـو مفرد j   بودّ k ابـن عـمّـار لقلتُ لـهـا انـا

فـان حـالـت الايـامُ بينى وبينه   فكيف يطيب العيش او يحسن l الغِنَا m

فلما وصلت الرقعة اليه تأخّر عن الوصول، واعتذر بعذر مختلّ المعانى والفصول، فقال احد الحاضرين انى لاعجَبُ * من ابن عمار، كيف قعد n عن هذا المضمار، مع ميله الى السَّمـاع، وكلفه بمثل هذا الاجتمـاع، فقـال ذو الريـاستين ان الجواب تعذّر،

---

a) *Al-K.* A. بسعبر (*sic*), G. H. et al-M. G. L. بشتغير, al-M. S. بستعبر, La. O. يستعبر, P. يشعبر. Comparez plus loin dans le VII^e Livre. b) *Al-K.* A. واغزل, B. واظهر, G. H. واعرب, D. واغراب. c) *Al-K.* A. B. H. اظهر, al-M. ظهر. d) Al-M. ومنازل. e) Ibn-Khākān a copié ici Ibn-Bassām (man. de Gotha, fol. 31 v.). f) Ces mots manquent dans les man. d'al-M. g) Al-M. سماكى. h) *Al-K.* A. عبقة. i) Ibn-B. et *al-K.* H. هياته. j) Al-M. La. O. مغرم. k) *Al-K.* B. C. بحب. l) Al-M. La. O. يحصل. m) *Al-K.* A. et al-M. La. O. المنا. n) Al-M. من قعود ابن عمار.

فلذلك(a) اعتذر، لانه يعانى قوله ويعلّله، ويروّيه ولا يرتجله، ويقوله فى المدّة الممتدّة فراى ان الوصول بلا جواب اخْجال لاديه، واخْلال بمنازله(b) فى الشعر ورُتَبه، فلما كان من الغد ورد(c) ابن عمار ومعه الجواب وهو

هصرتَ لى الآمال(d) طيّبَةَ الجَنَى ... وسوّغتَنى الاشوال مُقْبلَةَ الدُنى(e)

والبستَنى النعمى اغضّ من الندى ... واجملَ من وشى الربيع(f) واحسنَا

وكم ليلة احظيتَنى بحضورها ... فبتّ سميرا

أُعلّل نفسى بالمكارم والعُلَى ... وأُدْنِى وكفى بالغناء وبالغنَى

سأقرن بالتمويل ذكرك كلّما ... تعاورت الاسماء غيرَك والكُنَى

لأوسعتَنى قولا وطَوْلا كلاهما ... يطوّق اعناقا ويُخْرِس ألْسُنَا

وشرّفْتَنى من قطعة *الروض بالنّى(g) ... تناثر فيها الطبعُ وردا وسوسنَا

تروق بجيد الملك عقدا مرصّعا ... وتزهى على عطفَيْه *وشيا معيّنا(h)

فدُمْ هكذا يا فارس الدَسْت والوغى ... لتَطْعُنَ *طورا بالكلام(i) وبالقَنَا

واخبرنى الوزير *الكاتب ابو جعفر(j) بن سَعْدُون انه اصبح يوما بحضرته وللرذاذ رَشّ، وللربيع على وجه الارض فرش، وقد صقل الغمامُ الازهارَ حتى اذهب تَمَشها، وسقاها فأروى عطشها، فكتب اليه

فَدَيْناك لا يسطيعك النظمُ والنثرُ ... فانت مليك الارض وانفصل(k) الامرُ

مَرَيْنا نداك الغَمْر فانهلّ صيّبا ... كما سكبت وطفاء او فتق البحرُ

وجاء الربيع الطلق يَنْدَى(l) غضارةً ... فحيّتْك منه الشمسُ *والروض والنهرُ(m)

الى ان قال ثم وجّه فيه الى روضة قد ارجت نفحاتُها، وتدبّجت ساحاتُها، وتفتّحت كمائمها(n)، وافصحت حمائمها، وتجرّدت(o) جداولها كالبواتر، ورمقت *ازاهرها بعيون فواتر(p)، فاقاموا يعملون كاسهم(q)، ويشتملون ايناسهم، فقال ذو الرياستين

وروض كساه الطلّ وشيا مجدّدَا ... فاضحى مُقيما للنفوس(r) ومُقْعِدَا

a) Al-M. فلذا. b) Al-M. لمنازله. c) *Al-K.* B. G. وافى. d) Ibn-B. الايام. e) Ibn-B. الارض بالمنى, al-M. La. المنى. f) *Al-K.* B. C. الرياض. g) Ibn-B. الروضة التى, al-M. La. بالمنى. h) Al-M. La. O. بردا مرينا. i) *Al-K.* B. C. G. بالاقلام فيها. j) Ces mots ne se trouvent pas dans les man. d'al-M. k) Ibn-B. وانفعل, al-M. واتصل. l) Al-M. يبدى. m) *Al-K.* B. C. والانجم الزهر. n) Al-M. G. L. S. كمامها et حمامها. o) Al-M. وجردت. p) Al-M. ازهارها كالعيون الفواتر. q) Al-M. اكواسهم. r) Ibn-B. للعيون.

اذا صافحتْه الريحُ خِلْتَ غصونه   رواقصَ فى خُضْرٍ من العَصْبِ مُيَّدَا
اذا ما انسكاب الماء عاينتَ خِلْتَه   وقد كسَّرتْه راحةُ الريح مِبْرَدَا
وان سكنتْ عنه حسبتَ *a* صفحاءه   حساما صقيلا صافى المتن جُرِّدَا
وغنّتْ به وُرْقُ الحمائم حولنا *b*   غناء ينسّيك الغريضَ ومَعْبَدَا
فلا تَجْفُوَنَّ الدهر ما دام مُسْعِدا   ومُدَّ الى ما قد حباك به يَدَا
وخُذْها مُداما من غزال كانه   اذا ما سقى *c* بدرٌ تحمّل فرقدا

الى ان قال واخبرنى الوزير *ابو عامر *d* بن سنون' انه كان معه فى منية العيون،، فى يوم مطرّز الاديم' ومجلس معزّز النديم،، والانس يغازلهم من كل ثنيّة' ويواصلهم بكل امنيّة،، فسكر احد الحاضرين سكرا مثّل له ميدانَ الحرب' وسهّل عليه مستوعَر الطعن والضرب،، فقلب مجالس الانس حربا وقتالا' وطلب الطعن وحده والنزالا،، فقال ذو الرياستين

نفس الذليل تعزّ بالجريالِ   فيقاتل الاقرانَ دون قتالِ
كم من جَبان ذى افتخار باطل   بالخمر *e* تحسبه من الابطالِ
كبش الندىّ تخمّطا وعرامةً *f*   واذا تُشَبّ الحربُ شاةُ نزالِ *g*

وقال فى ترجمة ابن طاهر ما صورتُه وجيتُه يوما وقد وقفتُ *h* بباب الحَنَش فقال لى من اين فاعلمتُه' ووصفتُ له ما عاينتُه من حسنه وتأمّلتُه،، فقال لى كنتُ أخْرُج عليه *i* اكثرَ الليالى مع الوزير الاجلّ ابى بكر يعنى ابن عبد العزيز الى روضته التى ودّت الشمسُ ان يكون منها *j* طلوعها' وتمنّى المسكُ ان *تنضمّ عليها *k* ضلوعها،، والزمان غلام' والعيش احلام' والدنيا تحيّة وسلام،، والناس قد انتشروا فى جوانبه' وقعدوا على مذانبه،، وفى الساقية *l* الكبرى دولاب يئنّ كناقة اثرَ الحُوار *m*' او كثكلى من حرّ الأُوار،، وكل مُغْرَم يجعل فيه ارتياحه' بكرته *n* ورواحه،، ويغازل عليه حبيبه' ويصرف اليه تشبيبه،، فخرجتُ عليه ليلةً والمتنبّى الجزيرى واقفٌ وأمامه ظبىٌ آنس' تهيم به المكانسُ،، وفى اذنيْه قُرْطانِ' كانهما كوكبان' وهو يتأوّد تأوّدَ غصن

a) Ibn-B. تخال. *b*) Al-M. بيننا. *c*) Ibn-B. بدا. *d*) Ces mots manquent dans les man. d'al-M. *e*) Al-M. بالراح. *f*) *Al-K.* B. C. شجاعة. *g*) Je ne comprends pas ce mot. *Al-K.* A. شاة نزال, C. شاب نزال. *h*) Les man. du *Kalāyid* portent بحف. *i*) *Al-K.* B. G. H. et al-M. اليه. *j*) Al-M. منه. *k*) Al-M. تضم عليه. *l*) Al-M. ساقيته. *m*) Al-M. حوار. *n*) *Al-K.* A. B. غدوه.

البان ،، المتنبّى يقول   معشرَ الناس بباب الحَنَش   بدرُ تمّ طالع فى غَبَش
عـلّـق القرطَ على مسمعه   مَنْ عليه آفةَ العين خَشى

فلما رآنى أَمْسَك ، وسبّح كانه قد تنسّك ،، وقال فى ترجمة ابن عمّار ما صورتُه وتنزّه بالدمشق بقرطبة وهو قصر شيّده بنو اميّة بالصفاح والعَمَد ، وجروا [a] فى اتقانه الى *غير أَمَد [b] ،، وأَبدع بناؤه ، ونُمّقت ساحاتُه [c] وفناؤه ،، واتّخذوها ميدانَ مراحهم ، * ومضمارَ انشراحهم [d] ،، وحكوا به قصرهم بالمشرق ، واطلعوه كالكوكب الثاقبِ المُشْرِق ،، فحلّه ابو بكر بن عمّار على اثر بُوسه ، وابتسم له دهرُه بعد عبوسه ،، والدنيا قد اعطتْه عفوَها ، وسقتْه صفوَها ،، وبات فيه مع لمّة من أَتْباعه ، ومتقيّـبى [e] رباعه ،، كلهم [f] يحيّيه بكاس ، ويفديه بنفسه من كل باس ،، فطابت له ليلتُه فى مَشيده ، واطربَه الانسُ ببسيطه ونشيده [g] ،، فقال

كل قصر بعد الدمشق يُذَمّْ   فيه طاب الجنى وفاح المشمّْ
منظر رائق وماء نَمير   وثرى عاطر وقصر اشمّْ
بتُّ فيه والليل والفجر عندى [h]   عنبر اشهبٌ ومسك احمّْ

انتهى ، وعبّر صاحب البدائع عن هذه القصّة بقوله ، تنزّه ابن عمار بالدمشق بقرطبة وهو قصر شيّده خلفاء بنى اميّة وزخرفوه ، ودفعوا صرف الدهر عنه وصرفوه ، واجروه على اراداتهم وصرّفوه ،، وذهّبوا سُقُفه وفضّضوها ، ورخّموا ارضه وروّضوها ،، فبات به والسعد يلحظه بطرفه ، والروض يحيّيه بعَرْفه ،، فلما استنفد [i] كافورُ الصباح مسكَ الغَسَق ، ورصّع ابنوسَ الظلام نُضارُ الشَفَق ،، قال مرتجلا   كل قصر بعد الدمشق يذم   الخ [k]

انتهى ، وقال فى ترجمة ذى الوزارتين ابى عيسى بن لَبُّون [l] اخبرنى الوزير ابو عامر ابن الطويل انه كان بقصر مُرْبيطر * فى المجلس [m] المشرف منها [n] والبطحاء قد لبست زخرفَها ، ودبّج الغمامُ مطْرَفَها ،، وفيها حدائق ترنو عن مُقَل نرجسها ، ونبثّ طيبَ تنفّسها ،، والجلّنار قد لبس اردية الدما ، وراع افئدة الندما ،، فقال

قُمْ يا نديمِ أَدِرْ علىّ القرقفَا   أَوَما ترى زهرَ الرياض مفوّقَا

---

a) *Al-K.* A. H. وجرى. b) Al-M. غاية وامد. c) Al-M. ساحته. d) Al-M. ومضمارا لانشراحهم. e) *Al-K.* A. ومتقبلى, B. ومتقيل, G. D. ومتقلبى, H. ومتقلى. f) Al-M. وكلهم. g) *Al-K* G. ومديده. h) *Al-K.* B. D. G. عنى. i) Man., fol. 207 r. j) Tous les man. portent استنفذ. k) Varr.: vs. 1. غير الدمشق et طاب الحيا. l) Al-Fath a ici copié Ibn-Bassām, man. de Gotha, fol. 26 v. m) Al-M. بالمجلس. n) Lisez عليها (?).

فتختال محبوبا مُدِلّا وَرْدُها ... وتظنّ نرجسها محبّا مُدْنَفا

والجلّنار دماء قَتْلَى مَعْرَك ... والياسمين حباب ماء قد طَفَا

الى ان قال وشرب مع الوزراء والكُتّاب[a] ببطحاء لُورقة[b] عند اخيه وابن اليَسَع غائب عنهاء[c] فى عشيّة تجود بدمائها، ويصوب عليها دمع سمائها،، والبطحاء قد خُلع عليها سندسُها، ودنّرها[d] نرجسُها،، والشمس تنفض على الرُبَى زعفرانها، والانوار تغمّض أجْفانها،، فكتب الى ابن اليسع

لو كنتَ تشهد[e] يا هذا عشيّتنا ... والمزنُ يسكب[f] احيانًا وينحدرُ

والارض مصفرّة بالمزن[g] كاسية ... ابصرتَ تِبْرًا عليه الدرُّ ينتثرُ

وقال فى ترجمة ذى الوزارتين ابى بكر بن رُحَيْم ما صورتُه ووصل هو وابن وضّاح[h] صِهْر المرتضى وابن جمال الخلافة صاحب صقلّية الى احدى جنّات مُرْسِية، فحلّوا منها فى قبّة فوق جَدْوَل مطّرد، وتحت ادواح طيرُها غَرِد، فاقاموا يتعاطون رحيقَهم، ويعمرون بالمؤانسة[i] طريقَهم،، اذا بالجَنّان قد وقف عليهم وقال كان بموضعكم بالامس صاحب الموضع ومعه شعور منشورة، وخدود غير مستورة،، قد رُفعت عنها البراقع، وما منها نظرة الا ومعها[j] سهم واقع،، فاستدعى فحما وكتب فى احدى زوايا القبّة

قادَنا ودُّنا اليك فجينا ... بنفوس تفديك من كل بُوسِ

فنزلنا منازلا لبدور ... وحللنا مطالعا لشموسِ

وقال فى ترجمة الوزير الكاتب ابى محمد بن عبدون ما صورتُه[k] حللتُ بيابُرة[l] فانزلنى[m] واليها بقصرها، ومكّننى من جنى الامانى وهصرها،، فاقمتُ ليلى، اجرّ على المجرّة ذيلى، وتتطارَد فى ميدان السرور خيلى،، فلما كان من الغد باكَرَنى الوزير ابو محمد مسلّما، ومن تنكّبى[m] عنه متألّما،، ثم عطف على القائد عاتبا عليه فى كونى لديه، ثم انصرف وقد اخذنى من يديه،، فحللتَ عنده فى رحب، وهَمَتْ علىّ من البرّ امطارُ سحب،، فى مجلس كانّ الدرارىّ فيه مصفوفة، او كانّ الشمس اليه مزفوفة،، فلما حان انصرافى، وكثر تطلّعى الى مآبى[n] واستشرافى،، ركب معى

a) Al-M. الكتاب. b) Ces mots ne se trouvent pas dans les man. d'al-M. c) *Al-K.* D. G. ماء. d) Al-M. G. L. S. وذرها, La. O. ودرها. e) Al-M. La. O. تبصر. f) Al-M. تسكب. g) Ibn-B. بالزهر, al-M. بالشمس. h) *Al-K.* B. H. صمادح. i) Al-M. فى المؤانسة. j) *Al-K.* D. وهى. k) Al-M. P. بيبرة, G. L. S. La. O. بايرة. l) Al-M. فانزلنا. m) *Al-K.* A. B. تنكيبى. n) *Al-K.* A. B. مامى, D. G. مالفى.

التي حُديقة نَضِرة، مجاورة للحضرة a فأَنَخْنا عليها ايدي عِيسنا، وتِلْنا منها ما شينا من تأنيسنا،، فلما امتطيتُ عزمي، وسدّدتُّ الى غرض الرحلة سهمي،، انشدني

سلام * كما حيّا لزهره b الرُبَى عَرْفُ   فلا سمعَ الا ودّ لو انه أَنْفُ

حنيني c الى تلك السجايا فانها   لآثارُ اعيان المساعي التي أَقْفُو

ثم سرد القصيدة الى ان قال وله رحمه

سقاها الحَيَا من مّغانٍ فِساحِ   فكم لي بها من مّعانٍ فِصاحِ

وحلّى اكاليل تلك الرُبَى   ووشّى معاطفَ d تلك البطاحِ

فما أَنْسَ لا e أَنْسَ عهدي بها   وجَرِّيَ فيها ذيولَ المِراحِ

ونومي على حِبَرات الرياض   يجاذب بردَيَّ راحُ f الرياحِ

بحيث لَمْ أُعطِ النُهى طاعةً   ولم أُصْغِ سمعا الى لَحْيِ لاحِ

وليل كرجعة طرف المُريب   لَمْ أَدْرِ له شَفَقًا من صباحِ

وقال في ترجمة الوزير ابي محمد بن مالك بعد كلام له فيه وانشاده لبيتيْه g البديعين اللذين هما

لا تَلُمْني بان طربتُ لشَجْو   يبعث الانسَ فالكريم طَرُوبُ

ليس شقُّ الجيوب حقًّا علينا   انما الحقُّ h ان تُشَقَّ القلوبُ

ما صورتُه وخرجتُ من اشبيلية مشيّعا لاحد زعماء المرابطين فالفيتُه معه مسايرًا له في جملة مَنْ شيّعه فلما انصرفنا مال بنا الى معرّس i امير المسلمين ادام الله تاييده الذي ينزله عند حلوله j اشبيلية وهوْ موضع مستبدَع، كانّ الحسن فيه مُودَع،، ما شيتَ من نهر ينساب انسيابَ الاراقم، وروض كما وشّت البردَ k يدُ راقم،، وزهر يحسد المسكُ l رَيّاه، ويتمنّى الصبح ان يَسِمَ به محيّاه،، فقطف غلام وسيم من غلمانه نَوْرة ومدّ يده التي وهي في كفّه، فعزم على ان اقول بيتا في وصفه،، فقلتُ

وبدر بدا والطرف مطلع حسنه   وفي كفّه من رائق النَوْر كوكبُ

فقال ابو محمد

a) Al-M. زهر (S. La. O. منه) يناجى منها. b) *Al-K.* B. حننت. c) Al-M. G. L. S. سمعى. d) Al-M. فلم انس لم. e) Al-M. هسر f) *Al-K.* H. et al-M. La. O. معاطيف. g) Les man: portent ببيتيه. h) Al-M. الشان. i) *Al-K.* A. قصر. j) *Al-K.* A, B. حلول, G. حلوله الى. k) *Al-K.* A. D. G. et al-M. S. البرود. l) Al-M. الملك.

يروح لتعذيب النفوس ويغتدى   ويطلع فى افق الجمال ويغربُ
ويحسد منه الغصنُ اىّ مهفهف   يجىء على مثل الكثيب ويذهبُ

وقال فى ترجمة الوزير ابى القاسم بن السقّاط بعد كلام كثير ما صورتُه وحملَنا الوزير القاضى ابو الحسن بن أَضْحَى الى احدى ضياعه بخارج غرناطة ومعنا الوزير ابو محمد بن مالك، وجماعة من اعيان تلك الممالك،، فحللنا بضيعة لم ينحت المحلُ اثلَها، ولم ترمق العيونُ مثلها،، وجُلْنا بها فى اكناف جنّاتٍ أَلْفاف فما شئتَ من دوحة لَفّاء، وغصن يميس كمعطَفَىْ هَيْفاء،، وماء ينساب فى جداوله، وزهر يصمخ بالمسك راحةَ متناوله،، ولما قضينا من تلك الحدائق اربا، واقتصصنا منها أَتْرابا[a] عُرُبا،، مِلْنا الى موضع المَقيل، ونزلنا[b] عن منار[c] تُزْرى بمنار[d] جذيمة مع مالك وعَقيل،، وعند وصولنا بدا لى من احد الاصحاب تقصير فى المبرّة، عرض لى منه تكدير لتلك العيون القرّة،، فاظهرتُ التشاغُل اكثرَ ذلك اليوم، ثم عدلتُ عنهم الى الاضطجاع[e] والنوم،، فما استيقظتُ الا والسماء قد نسخ صَحْوَها، وغيّم جوّها،، والغمام منهمل، والثرى من سقياه ثَمِل،، فبسطنى بتَحَفّيه، وابهجنى ببرّ له يتمّمه ويوفّيه،، وانشدنى

يوم تجهّم فيه الافقُ وانتثرتْ   مدامعُ الغيث فى خدّ الثرى هَمَلا
راى وجومَك فاربدّت[f] طلاقتُه   مضاهيا لك فى الأَخْلاق ممتثلا

وقال فى ترجمة الوزير القاضى ابى الحسن بن أَضْحَى ما نصّه وكان لصاحب البلد الذى كان يتولّى القضاء به ابنٌ من احسن الناس صورةً، وكانت محاسن الافعال والاقوال عليه مقصورة،، مع ما شئتَ من لَسَنٍ، وصوتٍ حسن،، وعفاف، واختلاط بالنبهاء[g] والتفاف،، فحملَنا الى احدى ضياعه بقرب من حضرة غرناطة فحللنا قرية على ضفّة نهر، احسن من شانمهْر،، تشقّها جداول كالصلال، ولا ترمقها الشمسُ من تكاثُف الظلال،، ومعنا جملة من اعيانها فاحضرنا من انواع الطعام، وارانا من فرط الاكرام[h] والانعام،، ما لا يُطاق ولا يُحدّ[i]،، ويقصر عن بعضه العَدّ[j]،، وفى اثناء مُقامنا بدا لى من ذلك الفتى المذكور ما انكرتُه فقابلتُه بكلام أَحْقَدَه[k]، وملام اعتقده[l] ،،

---

a) *Al-K.* D. G. ابكارا. b) *Al-K.* B. ونزلنا. c) *Al-K.* A. B. et al-M. S. منازل.
d) *Al-K.* A. B. بمنازل. e) Al-M. S. La. O. الاضّجاع. f) Al-M. فارتدت. g) Al-M. بالبهاء. h) *Al-K.* A. B. الامتنان. i) *Al-K.* A. B. يقدر. j) *Al-K.* A. B. الغدر.
k) Al-M. اعتقده. l) Al-M. احقده.

فلما كان من الغد لقيتُ منه اكتئابَه، ولم أَرَ منه ما عهدتُه من الاثابة،، فكتبتُ اليه مداعبًا[a] فراجعنى بهذه القطعة

اتـتْـنـى ابـا نصرٍ نتيجـةُ خـاطرٍ   سريعٍ[b] كرجع الطرف فى الخطراتِ
فاعربتَ[c] عن وجد كمين طويتَه   بـاهيفَ طـاوٍ فـاتر اللحظـاتِ
غـزال احـمّ المـقـلـتـيـن عـرفـتَـه   بخيف مِنًى للحين[d] او عَرَفاتِ
رمـاك فـأَصْـمَـى والقلـوب رَمِـيّـةٌ[e]   لكل كحيل الطرف ذى فتكاتِ
وظنّ بـانّ القلب مـنـك محصّب   فلبّـاك مـن عينَيْه بـالـجمـراتِ
تقرّب بـالنُسّـاك فى كل منسك   وضحّى غـداةَ النحر بـالمُهَجـاتِ
وكانت له جَيّانُ مَثْوًى فاصبحتْ   ضلـوعُـك مـثـواه بكل فـلاتِ
يـعـزّ علينـا ان تهيم فتنـطـوى   كـئيبـا على الأَشْجـان والزفراتِ
فلو قُبلتْ للناسْ فـى الحبّ فديةٌ   فـديـنـاك بـالامـوال والبَشَـراتِ

وقال فى ترجمة اديب الاندلس وشاعرها ابى اسحق بن خَفَاجة بعد كلام ما صورتُه وقال يندب معاهدَ الشباب، ويتوجّع[f] لوفاة الاخوان والاحباب،، بعقبِ سيل اعاد الديارَ آثارا، وقضى عليها وهيا وانتثارا[g]،،

أَلا عرْس[h] الاخوانُ فى ساحة البلَا   ومـا رفعوا غيرَ القبور قِبـابَـا
فـدمـع كما سحّ الغمـامُ ولوعة   كما صرّمت[i] ريحُ الشمال شهابَا
اذا استوقفتْنى فـى الديـار عشيّةٌ   تلـدّدتُ فـيـهـا جيئةً وذهـابَـا
اكرُّ بطرفى فـى معاهـد فتيـة   ثكلتُهم بيضَ الوجـوه شبـابَـا
فطـال وقوفى بيـن وجد وحُرْقة[j]   أُنـادى رسومـا لا تُحير جوابًـا
وامحو جميـلَ الصبر طورًا بعبرة   اخطُّ بهـا فى صفحتىّ كتابًا
وقد درست اجسـامُهم[k] وديـارهم   فلـم أَرَ الا أَعْـظُـمـا ويَبَـابَـا
وحسبِىَ شجوًا ان ارى الدار بلقعا   خـلاءً وأَشْلاءَ الصديق تُرابَـا

ولقد احلّنى هذه الديار المندوبة وهى كعهدهـا فى جودة مَبْناها، وعودة سناها،، فى

a) Les man. d'al-M. ajoutent له. b) Al-M. مريع. c) Al-K. A. B. G. فاعرب. d) Al-M. للحسن. e) Al-K. B. رجيّة. f) Al-M. ويتفجع. g) Ces vers se trouvent aussi chez Ibn-Bassām, man. de Gotha, fol. 151 v. h) Al-M. عرض. i) Al-K. A. D. G. et Ibn-B. ضربت. j) Al-K. A. et al-M. وفرقة ; Al-K. B. وعبرة ; Al-K. G. et Ibn-B. وزفرة. k) Al-K. B. أجسادهم.

ليلة اكتحلنا ظلامَها اثْمِدا، ومحونا بها من نفوسنا كَمَدا،، ولم يزل ذلك الانْس يبسطه، والسرور ينشّطه،، حتى نشر لى ما طواه، وبثّ مكتومَ لوعته وجواه،، واعلمنى بلياليه فيها مع أَتْرابه، وما قضى بها من أَطْرابه،، انتهى ما وقع عليه اختيارى من كلام ابى نصر الفتح بن عُبيد الله رحّه فى وصف بعض منتزهات الاندلس البديعة، ورياضها المونقة المريعة،، ومـا احسن رسالةً له مختصرة كتبها مهنّئًا بعض ملوك الاندلس بما منحه الله من التمكين الذى ايّده الله به ونصره وقد جوّد اوصافه، واستطرد منها الى ذكر الناصر وولده الحكم اللذين عمرا الزهراء والرصافة،، ونصّها اطال الله بقاء الامير للارض[a] يتملّكها، ويستدير بسعده فلكها،، قد استبشر المُلْك ايّده الله وحُقّ له الاستبشار[b] فقد اومأ اليه السعد واشار،، بما اتّفق له من توليتك، وخفق عليه من[c] الويتك،، فلقد حُبِىَ منك بمَلِك أَمْضَى من السهم المسدّد، طويل نجاد السيف رَحْب المقلّد،، يتقدّم حيث يتأخّر الذابلْ، ويتكرّم اذا بخل الوابل،، ويحمى الحمَى كرَبيعة بن مُكْدَم، ويسقى الظُّبَى نجيعا كلَوْن العندم،، فهنيئا للاندلس فقد[d] استردّت عهد خلفائها، واستجدّت رسوم تلك الامامة بعد عفائها،، فكأنْ لم تَمُتْ اعاصرُها، ولم يَمُتْ حَكَمُها ولا ناصرُها،، اللذان عمرا الرصافة والزهرا، ونكحا عقائل الروم وما بذلا غير المشرفيّة مَهْرا،، والله اسأله اظْهار ايامك، وبه ارجو انتشار أَعْلامك،، حتى يكون عصرك اجمل من عصرهم، ونصرك اغرب من نصرهم،، بمنّه ويمنه، وقال رحّه فى ترجمة الفقيه القاضى الحافظ ابى محمد عبد الحقّ ابن عَطيّة صاحب التفسير الشهير بعد كلام كثير ما صورتُه ومررنا فى احدى نُزَهنا بمكان مُقْفِر، وعن المحاسن مسفر،، وفيه بكيرُ نرجس كانه عيون[e] مراض، يسيل وسطه ماء رضراض،، بحيث لا حسّ الّا للْهام، ولا انسَ الا ما يتعرّض للاوهام،، فقال

نرجس باكرتُ منه روضةً — لذّ قطعُ الدهر فيها وعذُبْ
حثّت الريحُ بها خمرَ حَيًا — رقص النبتُ لها ثم شَرِبْ
فغدا يسفر عن وجنته — نورُه الغضُّ ويهتزّ طَرَبْ
خِلْتَ لمع الشمس فى مشرقه[f] — لهبا يخمد[g] منه فى نهبْ

a) La. O. للازمن. b) Ce mot manque dans G. L. S. La. et O. c) G. L. S. لقد. d) La. et O. ajoutent وكرمه. e) *Al-K.* A. B. جفون. f) *Al-K.* B. حافاته. g) *Al-K.* A. D. G. H. يحمله منه لهب, B. يحمد; al-M. G. L. P. La. O. يجمد.

ه وبيـاض الطـلّ فـي صفحته نُقَط الفضّة فى خطّ الذهبْ

انتهى، وسيأتى ان شاء الله تعَ كثير من وصف بلاد الاندلس ومتنزهاتها وما اشتملت[a] عليه من المحاسن فى كلام غير واحد ممن يجرى ذكره فى هذا الكتاب وخصوصًا اديب زمانه غير مُدافَع مَن اعترف له اهلُ الشرق، بالسبق،، واهل المغرب، بالابداع المُغْرِب،، النور ابو الحسن على بن سعيد العَنْسى فانه لما دخل مصر اشتاق الى تلك المواطن الاندلسيّة الرائقة، ووصفها بالقصائد والمقطوعات الفائقة،، وقد اسلفْنا ايضا فيما مرّ من هذا الكتاب بعض ما يتعلّق بمحاسن الاندلس فليراجَعْ فى محلّه من هذا الكتاب، قلت وما ذا عسى ان نذكر من محاسن قرطبة والزاهرة والزهرا، او نَصِف من محاسن الاندلس التى تبصر بكل موضع منها ظلّا ضافيا. ونهرا صافيا[b]. وزهرا،، ويرحم الله اديبها المشهور، الذى اعترف له بالسبق الخاصّةُ والجمهور،، ابا اسحق بن خفاجة اذ قال

يـا اهـل انـدلـس لـلـه درّكـم — مـاء وظلّ وانـهـار واشـجـارُ
مـا جنّة الخلد الّا فـى ديـاركـم — ولو تخيّرْتُ هذا كنتُ أَخْتارُ
*لا تحسبوا فى غد ان تدخلوا سَقَرا — فليس تُدْخَل بعد الجنّة النارُ

ويروى مكانَ قوله ولو تخيرت هذا كنت اختار ما مثاله وهذه كنتَ لو خُيّرتُ اختـار وكذا رايتُ بخطّ الحافظ التّنَسى والاول رايتُه بخطّ العلّامة الوانشريشى[c] رحمهما، وحكى ان الخليلى لما قدم من الاندلس رسولا الى سلطان المغرب ابى عِنان فارس بن السلطان ابى الحسن المَرينى انشد بحضرة السلطان المذكور ابياتَ ابن خفاجة هذه كالمفتخر ببلاد الاندلس فقال السلطان ابو عنان كذب هذا الشاعر يشير الى كونه جعلها جنّةَ الخلد وانه لو خُيّر لاختارها على ما فى الآخرة وهذا خروج من ربقة الدين ولا *اقل من الكذب والاغْراق[d]، وان جرتْ عادةُ الشعراء بذلك الاطلاق،، فقال الخليلى يا مولانا بل صدق الشاعر لانها موطن جهاد، ومقارعةٍ للعدوّ وجلاد،، والنبىّ صلّعم *الرحيم الرءوف[e]، يقول الجنّة تحت

a) Ce mot ne se trouve pas dans G. L. et S. b) La. O. لا تختنشوا بعد ذا. c) G. L. S. O. الوانشريسى, P. الوانشريسنى. d) G. L. اقل من الكذ فى الاغراق, O. افل. Peut-être doit-on lire أَقْلَى. e) La. O. العطوف، الودود الرحيم الرعوف.

ظلال السيوف»، فاستحسن منه هذا الكلام، ورفع عن قائل الابيات الملام»، واجزل صلته، ورفع منزلته»، ولعمرى ان هذا الجواب، لجدير بالصواب»، وهكذا ينبغى ان تكون رُسُل الملوك فى الافتنان، روّح الله ارواح الجميع فى الجنان»، وابو اسحق ابن خفاجة كان اوحد الناس فى وصف الانهار، والازهار»، والرياض، والحياض»، والرياحين، والبساتين»، وقد سبق بعض كلامه ويأتى ايضا منه بعض اثناء الكتاب a ومن ذلك قوله

وكمامةٍ حدرة الصباحُ قناعَها | عن صفحة تَنْدَى من الازهارِ
فى ابطحٍ رضعت ثغورُ اقاحه | أَخْلافَ كل غمامة مِدْرارِ
نثرت بحجره الارضd فيه يدُ الصبا | دررَ الندى ودراهم النُّوّارِ
وقد ارتدى غصنُ النقا وتقلّدت | حلىَ الحباب سوالفُ الانهارِ
فحللتُ حيث الماء صفحة ضاحك | جَذِلٍ وحيث الشطّ بدء عذارِ
والريح تنفض بكرةً لِمَمَ الرُّبى e | والطلّ ينضح اوجهَ الاشجارِ
متقسّمَ الالحاظ بين محاسن | من ردقf رابية وخصرg قرارِ
واراكة سجع الهديل بفرعها | والصبح يسفر عن جبين نهارِ
هزّتْ له اعطافها ولربّه | خُلعت عليه مُلاءة الانوارِ

وقال

سقيا ليوم قد أَنَخْتُ بسرحة | رَيّا تُلاعبها الرياح فتلعبُ
سَكْرَى يغنّيها الحمامُ فتنثنى | طربًا ويسقيها الغمام فتشربُ
يلهو فترفع للشبيبة رايةٌ | فيه ويطلع للبهارة كوكبُ
والروض وجه ازهرٌ والظلّ فر | ع اسودٌ والماء ثغر اشنبُ
فى حيث اطربَنا الحمامُ عشيّةً | فشدا يغنّينا الحمام المطربُ
واهتزّ عطف الغصن من طرب بنا | وافترّ عن ثغر الهلال المَغْرِبُ
فكأنه والحسن مقترن به | طوق على برد الغمامة مُذْهَبُ
فى فتية تسرى فينصدع الدجى | عنها وتنزل بالجديب فيُخْصِبُ

a) La plupart de ces poèmes d'Ibn-Khafādjah se trouvent chez Ibn-Bassām (man. de Gotha, fol. 150 et suiv.). Le Dīwān du poète (man. de Paris) n'en contient que très-peu. b) P. O. حذر, La. حثر. c) G. L. S. بحجر. d) Ibn-B. الروض. e) Ibn-B. السرى. f) G. L. زدف, S. زدق. g) G. P. S. La. O. وخصر.

كرموا فلا غيث السماحة مُخْلِف　　يوما ولا برق اللطافة خُلَّبُ
من كل ازهر للنعيم بوجهه　　ماء يرقرقه الشبابُ فيسكبُ

وقال يمدح الامير ابا يحيى بن ابرهيم

سمح الخيالَ على النوى بمزارِ　　والصبح يمسح عن جبين نهارِ
فرفعتُ من نارٍ لضيف طارقٍ　　يعشو اليها من خيالٍ طارِى
ركب الدجى أَحْسِنْ بها من مركب　　وطوى السُّرى احسنْ بها من سارِى
واناخ حيث دموع عينى مَنْهَل　　يروى وحيث حشاىَ مَوْقد نارِ
وسقى فاروى غُلّةً من ناهل　　اورى بجانب زندَ أُوارِ
يلوى الضلوع من الوَلُوع بخطرة[b]　　من شيم برق او شميم عرارِ
والليل قد نضح الندى سرباله　　فانهلَّ دمعُ الطلّ فوق صدارِ
رُسُلَ الرياح عشيّةً　　بمساقط الانواء والانوارِ
ومجرّ ذيل غمامة لبستْ به　　وشَى الحباب معاطفُ الانهارِ
خفقتْ ظلالُ الايك فيه ذوائبا　　وارتجّ رِدْفًا مائج[c] التيّارِ
ولوى القضيب هناك جيدا اتلعا　　قد قبّلته مباسمُ النوّارِ
باكرتُه والغيم قطعةُ عنبر　　مشبوبة والبرق لفحة[d] نارِ
والريح تلطم[e] فيه ارداف الرُّبَى　　لعبًا وتلثم اوجهَ الازهارِ
ومنابر الاشجار قد قامت بها　　خطباء مُفْصِحة من الاطيارِ
فى فتية جنبوا العجاجةَ ليلةً　　ولربّما سفروا عن الاقمارِ
ثار القتام بهم دُخانا وارتمى　　زندُ الحفيظة منهم بشرارِ
شاهدتُ من همّاتهم[f] وهِباتهم　　اشْرافَ اطواد وفيضَ بحارِ
من كل منتقب بوردة خجلة　　كرما وهم تمىلِ بثوب وقارِ
فى عمّة خُلعت عليه للمنّة　　وذُوابة قُرنت بها لعذارِ
ضافى[g] رداء المجد طَمّاح العُلَى　　طامى عُباب الجود رَحْب الدارِ
جرّار اذيال المعالى والقنى　　حامى الحقيقة والحمى والجارِ

a) La. شح. b) Ibn-B. et al-Makk. لخطرة. c) Ibn-B. et al-Makk. مايل. d) S. نفحة, La. O. قطعة. e) Al-Makk. تطلع. f) G. L. S. La. هياتهم, O. هباتهم, P. هيباتهم. g) G. L. S. صافى.

طرد القنيصَ بكل قيد طريدة   زَجِل الجناح مورَّد الاظفارِ
ـة لعطاف   مكحولة اجفانُه بنُضارِ
يرمى به الامل القصىَّ فينثنى   مخضوبَ مرأًى[b] الظفر والمنقارِ
وبكل ناهى الشوط اشدقَ اخزرٍ   طاوى الحشى حالى المقلَّد ضارِى
يفترّ عن مثل النصال وانما   يمشى على مثل القنى الخُطّارِ
مستقريا اثرَ القنيص على الصفى   والليل   ـل بشملة قار
من كل مسودّ تلهَّبُ طرفه   ترميك فحمته بشعلة نارِ
ومورَّس السربال يخلع قدّه[c]   عن نجم رجم فى سماء غبارِ
يستنّ فى سطر الطريق وقد عفا   قدمًا فتقرأ احرف الآثارِ
عطف الـ   فكانه   والنقع يحجبه هلالُ سرارِ
ورب روّاغٍ[d] هنالك انبسطٍ   ذلق[e] المسامع اطلس الاطمارِ
يجرى على حذر فيجمع بَسْطَه   يهوى فينعطف انعطافَ سوارِ
ممتدّ حبل الشأوِ يَعْسِل رائغا[f]   فيكاد يُفْلِت ايدىَ الاقدارِ
متردّد يرمى به خوفُ الردى   كُرَةً تهادتها[g] اكفُّ قفارِ
ولربَّ طَيّار خفيف قد جرى   فَشَلًا بجارِه[h] خلفه طيّارِ
من كل قاصرة الخُطا مختالة   مِشْىَ الفتاة تجرّ فضل ازارِ
مخضوبة المنقار تحسب انها   كرعتْ على ظِمْا بكاس عقارِ
ولو استجارت منهما بحِمَى ابى   لآمنهُا[i] ا   جوار
خدم[i] القضاء[j] مرادَه فكانما   ملكت يداه اعـ   الاقدارِ
وعنى الزمانُ لامره فكانما   آصْغى الزمانَ به الى آمارِ
وجلا الامارة فى رفيف نضارة   جَلَت الدجى فى حلّة الانوارِ
فى حيث وشّح لبّة بقلادة   منها وحلّى مِعْصَمًا بسوارِ
جذلانُ يملأ منحةً وبشاشةً   ايدى العُفاة واعيُنَ الزُوّارِ

a) Le Dīwān porte كحبيرة. b) G. L. P. را, S. La. راء, O. et Ibn-B. راى. c) G. فتده (sic), L. P. S. La. O. ندة. d) P. زواغ, G. L. S. La. O. رواع. e) G. L. S. P. خلق, La. O. حلق. f) Al-Makk. رايعا. g) G. L. P. S. تهاداها. h) Al-Makk. بيحار. i) Ibn-B. وعد. j) Ibn-B. الزمان. On trouve la même leçon dans le Dīwān.

ارج الندىّ بذكره فكانه　　تنفس عن روضة معطارِ
بطل جرى a الفلكُ المحيط بسرجه　　واستلّ صارمه يدُ المقدارِ
يومَ الوغى وشماله　　ما شاء من نار ومن إعصارِ
b والسُمْرُ خُمْرٌ c والجياد عوابس　　والجوّ كاس والسيوف عوارى d
والخيل تعثر فى شَبَا شوك القنى　　قَصْدًا وتسبح فى الدم المَوّارِ
والبيض تُحنى فى الطُلا فكانما　　تلوى عُرًى منها على أزْرارِ e
والنقع يكسر من سنى شمس الضحى　　فكانه صَدًأً على دينارِ
صحب الحسام a النصر صحبةَ غبطة　　فى كفّ صَوّال به سَوّارِ a
لو انه أَوْمَى e اليه بنظرة　　يوما لثار فلم ينَمْ عن ثارِ
ومضى f وقد ملكتْه هزّةُ عزّة g　　تحت العجاج وضحكة استبشارِ

وقال رحمه

واراكة ضربت سماء فوقنا　　تَنْدَى وافلاك الكؤوس تُدارُ
حقّت بدوحتها مجرّةُ جدْول　　نثرتْ عليه نجومَها الازهارُ
وكانها وكانّ جدول مائها　　* حسناء شُدَّ h بخصْرها زُنّارُ
زقّ الزجاجُ بها عروسٌ مدامة　　تُجلى ونُوّار الغصون نُثارُ
فى روضة جنح الدجى ظلّ بها　　وتجشّمتْ i نورا بها الانوارُ
غنّاء ينشر وشيَه البَزّازُ لى　　فيها ويفتق مسكه العطّارُ
قام الغناء j بها وقد نضح الندى　　وجهَ الثرى واستيقظ النُوّارُ
والماء فى حلى الحباب مقلّد　　زرّتْ عليه جيوبَها الاشجارُ

وقال ملتزما ما لا يُلزم

خُذْها اليك وانها لنضيرةٌ k　　طرأتْ اليك قليلة النُظراء
حملتْ وحسبُك * نفحةً فى بهجة l　　عبقَ العروس وخجلة العذراء
من كل وارسة القميص كانما　　نشأت تُعَلّ بريقة الصفراء
نجمتْ تروق بها نجوما m حسبها n　　بالايكة الخضراء من خضراء

---

a) Ibn-B. سرى, al-M. G. L. S. O. حوى.　b) Al-Makk. والشمس خمر.　c) La. O. الغمام.　d) La. O. ثوار.　e) Le Dīwān porte اوحى, et l'on trouve la même leçon chez Ibn-B.　f) Al-Makk. وقضى.　g) Ibn-B. نخوة.　h) Ibn-B. et al-Makk. S. حسنا يشد.　i) Al-Makk. G. L. P. وتجشمت, Ibn-B. وتحسست.　j) G. L. S. P. الغبار.　k) G. L. La. نظيرة.　l) La. O. بهجة من نفحة.　m) Al-Makk. نجوم.　n) Al-Makk. et Ibn-B. حسنها.

واتّئك تسفر عن وجوه طلقة   وتنوب من لطف عن الصفراء[a]
ينـدى بـهـا وجـهُ الندىّ وربّـمـا   بسطت *هناك اسرّة[b] السرّاء
فاستضحكت وجهَ الدجى مقطوعة   حملتْ جمال الغـرّة الغرّاء

وقال ايضا

وصـدرِ نـادٍ نظـمـنـا   لـه القوافىَ عقْدَا
فـى منزل قـد سحبنـاه   بظـلّـه[d] العزّ بُـرْدَا
تذكو به الشُهْبُ جمرا،   ويعبق الليل نـدّا
وقـد تـأرّج نَـوْر   غضّ يخالط وَرْدَا
كـمـا تـبـسّـم[e] ثـغـر   عـذب يقبّل خدّا

وقال من قصيدة يصف منتزها

يـا ربَّ وَضّـاح الجبيين كـانمـا   رسـم العـذار بصفحتَيْه كتابُ
تـغْـرَى بطلعته العـيـونُ ملاحةً[f]   وتبيت تعشق عقلَـه الالبـابُ
خُلعت عليه من الصباح غلالةٌ   تندى ومن شَفَق المساء[g] نقابُ
فكرعتَ من ماء الصبا فى منهل   قد شقَّ عنه من القميص سرابُ
فى حيث للريح الرُخـاء تنفُّس   ارج وللـمـاء الـفُـرات عُـبـابُ
ولربَّ غضّ الجسم مدَّ بحوضه   سبحا كما شقَّ السماء شهابُ
ولـقـد أنَخْتُ بشـاطئَيْه يهزّنى   طربـا شـبـابٌ[h] راقَـنـى وشـرابُ
وعبرتُ[i] دجلته يضاحكنى بها   مرحـا حبيبٌ شـاقَنى وحبـابُ
تُجلى من الدنيا عروس بيننـا   حسنـاء تُرشـف والمدام رُضـابُ
ثم ارتـحـلـتُ ولـلـنـهـار ذوابـة   شيباء تُخضب والنهـار خضابُ
تلوى معـاطفَى الصبـابة والصبـا   والليل دون الكاشحين حجابُ

وقال

مـرَّ بـنـا وهـو بـدرُ تـمّ   يسحب من ذيله سحابَا
بقـامـة تـنـثـنـى قضيبـا   وغُـرّة تلتظـى شـهـابَـا
يقـرأ والـلـيـل مُـدْلَـهِـمّ   لـنـور اجـلاتـه كـتـابَـا
وربَّ لـيـل سـهـرتُ فـيـه   ازجـر مـن جـنـحـه غـرابَـا[j]

---

a) Al-Makk. الشعراء.   b) La. O. هنالك اوجه.   c) *Al-Kal.* A. لبسنا (صحبنا خ).   d) *Al-Kal.* B. فى ظله.   e) Al-Makk. تنفس.   f) Al-Makk. مهابة.   g) Al-Makk. السماء.   h) La. جباب, O. حباب; Ibn-B. شهاب.   i) Al-Makk. وبكيت.   j) G. L. S. P. La. تكابا, O. بكابا.

حتى اذا الليل مال سَكرا   وشقّ سربـالـه وجـابَـا
وحـام مـن سـدْفـه غراب   طـالـت بـه سنّه فشـابَـا
ازددتُ مـن لوعتى خبـالا   فجيبتُ a من غلّتى b شرابَا
ومـا خطـا قادما فوافى   حتى انثنى ناكصا فآبَا
وبين جفنـى بحـر شوق   يعبّ فى وجنتى عبـابَـا
قد شُبّ فى وجهه شعاع   وشبّ فى c قلبى التهـابَـا
وروضـة طـلـقـة حـيـاء   غـنّـاء مخضرّة جنـابَـا
ينجـاب عن نورها كمام   يحطّ عـن وجهه نقـابَـا
بـات بهـا مبسم الاقاحى   يرشف من طلّهـا رُضـابَـا
ومن خفوق البروق فيهـا   الوية خُمّرت خـضـابَـا
كـانـهـا انـمـل وِراد   تحصر قطر الحَيَا حسابَا

وله ايضا

رحـلـتُ عنكم ولى فؤاد   تُنقض اضلاعُه حنينَـا
اجود فيكم بعلّق دمع   كنتُ به d قبلكم ضنينَا
يثور فى وجنتىَّ جيشا   وكان فى جفنه كمينَا
كاننى بعدكم شمـال   قد فـارقتْ منكم يمينَـا

وقال

فيا لشجى صدره e من الصبر فارغ   ويا لقَذَى طرف f من الدمع ملآنِ
ونفس الـىَ جـوّ الـكـنيسة صبّـة   وقلبٍ الـى افـق الجزيرة حَنّـانِ
تعوّضتُ مـن واهًـا بـآهٍ ومن هوى   بهُون ومن اخـوان صِدْق بخُوّانِ
ومـا كل بـيـضـاء تروق بشحمة   ومـا كل مَرْعًـى ترتعيه بسَعْدانِ
فيا ليت شعرى هل لدهرى عطفة   فتجمع اوطـارى عـلـىَّ واوطـانى
مـيـاديـن اوطـارى ولـذّة لـذّتـى   ومـنـشـأُ تَهْيـامى وملعب غِـزْلانى
كأن لم يَصِلْنى فيه ظبى يقوم لى g   لَمَـاه وصُدْغـاه براحى h وريحـانـى
فسقيـا لـواديهم وان كنتُ انمـا   ابـيـت لـذِكْراه بغُلّـة ظـمـآنِ
فكم يـومٍ لَهْوٍ قـد أَدَرْنـا بـافقه   نجومَ كـوس بيـن اقمـار ندمـانِ

a) Al-Makk. فحت. b) Al-M. S. et Ibn-B. علتى. c) G. L. P. La. O. عن; S. et Ibn-B. من. d) G. L. فيه. e) La. O. قلب. f) La. O. جفن. g) G. L. فى. h) O. براح, La. باس.

وللقُضْب والاطيار مَلْهًى بجَزْعه [a] فما شيتَ من رقص على رجع ألحانِ
وبالحضرة الغرّاء غرّة [b] علقته فاحببتَ حبّا فيه قضبان نَعمانِ
رقيق الحواشى فى محاسن وجهه ومنطقه مُسْلى قلوب وآذانِ
اغار لخدَّيْه على الورد كلّما بدا ولعطفَيْه على غُصْن البانِ
وهَبْنِىَ أَجْنِى ورد خدّ بناظرى فمن اين لى منه بتفّاح لُبْنانِ
يعلّلنى منه بموعد رشفه • خيال له يَغْرى بمطل ولَيّانِ
حبيب عليه لجّة من صوارم علاها حباب من اسنّة مُرّانِ
تراءتْ لنا فى مثل صورة يوسف تراءتْ لنا فى مثل ملك سليمانِ
طوى بردُه منها صحيفةَ فتنة قرأْنا لها من وجهه سطرَ عنوانِ
محبّته دينى ومثواه كعبتى وروئيتُه حجّى وذكراه قرآنى

وقال

وليلٍ تعاطَيْنا المدام وبيننا حديث كما هبّ النسيم على [c] الوردِ
ادوه والكاس تعبيق [d] نفحةً واطيبُ منها ما نُعيد وما نُبْدى
ونُقْلى اقاح الثغر او سوسن الطُّلَى ونرجسة الاجفان او وردة الخدّ
الى ان سَرَتْ [e] فى جسمه [f] الكاسُ والكَرى ومالا بعطفَيْه فمال على عضْدى [g]
فاقبلتُ استهدى لما بين اضلعى من الحَرّ ما بين الضلوع [h] من البردِ
وعاينتُه قد سُلَّ من وشى برده [i] فعانقتُ [j] منه السيف سُلَّ من الغمدِ
لَيَانَ مَجَسّ واستقامة قامة وهزّة اعطاف ورونق افرندِ
أُغازل منه الغصن فى مغرس النقى والثم وجه الشمس فى مطلع السعدِ
فان لم يكنْها [k] او تكنْه فانه اخوها كما قُدّ الشِراكُ من الجلدِ
تُسافر كِلْتَا راحتَىَّ بجسمه فطورًا الى خصرٍ وطورًا الى نهدِ
فتهبط من كشحَيْه كفّى تهامةً وتصعد من نهدَيْه اخرى الى نجدِ

وقال ايضا

ورداء [l] ليل بات فيه مُعانقى طيفُ الَّمّ بظبية الوَعْساء
فجمعتُ بين رضابه وشرابه وشربتُ من ريق ومن صهباء
ولثمتُ فى ظلماء ليلة وفرة شفقًا هناك لوجنة حمراء

---

a) La. O. باوقه. b) S. La. O. عز, G. L. P. عن. c) Ibn-B. عن. d) Al-Makk. يعبق.
e) La. O. جرت. f) P. وجهه. g) O. زند, La. حد. h) Ibn-B. الثنايا. i) Ibn-B. ملبس.
j) La. O. فعاينت. k) G. L. P. تكنها. Ce vers manque dans La. et O. l) La. ولرب.

والليل مشمّط الذوائب a كبرةً   خرِفٌ يدبّ على عصى الجوزاء
ثم انثنى والصبح b يسحب فرعه   ويجرّ من طرب فضول رداء
تـنْـدَى بفيه اقحوانةُ أجْرَعٍ   قد غازلتْها الشمسُ غبّ سماء
وتميس فـى اثـوابـه ريحـانةٌ   كرعتْ على ظِمْأٍ بجدول ماء
نـفّـاحـة c الانـفـاس الا انـهـا   حذر الندى d خفّاقة الافياء e
فلويتَ معطفها اعتناقا حسبَنا   فيـه بقطر الدمع من انْـواء

انتهى، وكان المعتمد بن عبّاد رحمه كثيرا ما ينتاب وادى الطلح مع رُمَيْكيّته، وأُولِى انسه ومسرّته،، وهو وادٍ بشرَف اشبيلية ملتفّ الاشجار، كثير ترنّم الاطيـار،، وفيه يقول نور الدين بن سعيد

سائلْ بوادى الطلح ريحَ الصَّبا   هل سُخّرتْ لى فى زمان الصِبا
كانت رسولا فيه مـا بيننـا   لن نامَنَ f الرُسْلَ ولن نكتبا g
يـا قـاتـلَ الـلـه انـاسـا اذا   ما استُومنوا خانوا فما اعجبا
هَلّا رعَـوْا أنّـا وثقـنـا بـهـم   ومـا اتّخـذنـا عنهم مذهبا
يـا قاتل الله الذى لم يَتُبْ   من غدرهم من بعد ما جرّبا
والـيَـمّ لا يعرف مـا طعمُـه   الا الذى وافـى لأن يشـربـا
دَعْنِىَ من ذكر الوُشاة الأُولَى   لمّـا يزلْ فكرى بهم مُلْهَبـا
واذكُرْ بوادى الطلح عهدا لنا   لله مـا أحْلَى ومـا أطْـيَـبـا
بجـانب العطف وقد مـالتِ   الاغـصـان والزهر يبثّ الصبـا
والطير مـارت بين الـحـانـهـا   وليس الا مَعجـبـا مـطـربـا
وخـانَنى مَـنْ لا اسمّيه مـن   شُحٍّ اخـاف الدهرَ ان يسلبـا
قد اترع الكاس و.   بهـا   وقلـتُ اهـلًا بـالمُنَى مَرْحَـبـا
اهـلًا وسـهـلًا بـالـذى شبتُه   .بـا بدرَ تمّ مُهْدِيـا
لكنّنـى آلـيـتُ أُسْقَى بـهـا   او تُودِعَنْـهـا ثغرك الاشـنـبـا
فمجّ لى فى الكاس من ثغره   مـا حبّـب الشرب ومـا طيّبـا

a) S. La. O. الذواتب. b) Le Dīwān porte والسكر. c) S. O. تفاحة. d) Le Dīwān porte النوى. e) Ibn-B. الالياء. f) G. L. S. تامن, O. نامل. g) G. L. S. تكتبا, La. تنكبا ✿

فقال ها لثمى نُقْلا ولا   تشمّ الا عَرْفى الاطيبَاء[a]
واقطفْ بخدّى *الوردَ والآسّ[b] والـــسنسرينَ لا تحفِلْ بزهر الرُبَا
اسعفتُه غصنا غدًا مثمرا   ومن جناه ميسُه قرّبا
قد كنتُ ذا نُهًى وذا امرة   حتى تبدّى فحللتُ الحُبَا
ولم أُصُنْ عِرْضى فى حبّه   ولم أُطِعْ فيه الذى انّبا
حتى اذا ما قال لى حاسد   ترجوه والكوكب ان يغربَا
ارسلتُ من شعرى سِحْرًا له   ييسّر المرغب والمطلبَا
وقال عَرّفْه باتّى سأحْـــتال فما أُجْتنب المكتبَا
فزاد فى شوقى له وعدُه   ولم ازل معتقدا مرقبَا
امدُّ طرفى ثم اثنيه من   خوف اخى التنغيص ان يرقبَا
أُصدّق الوعد وطورًا ارى   تكذيبَه والحُرُّ لن يكذبَا
اتى *ومن سخّره بعد ما   آيَسَ[d] بُطْئً كاد ان يغضبَا
قبّلْتُ فى الترب ولم استطِعْ   من حَصَره[e] اللقيا سوى مَرْحَبَا
هنّأتُ ربعى اذ غدا هالة[f]   وقلتُ يا مَنْ لم يُضِعْ أشْعَبَا
بالله مِلْ معتنقا لاثما   فمال كالغصن ثنتْه الصبَا
فقال ما ترغب قلتُ أتّئِدْ   ادركتُ اذ كلّمْتَنى المرغبَا[g]
فقال لا مذهبَ[h] عن ذكر ما   ترغبه قلتُ اذًا مركبَا
وكان ما كان فواللهِ ما   ذكرتُه دهرى او اغلبَا

وستاتى هذه القصيدة *فى جملة[i] من نظم ابن سعيد المذكور[j] وقال يتشوّق الى اشبيلية وهى حِمْص الاندلس

أَنّ الخليج وغنّت الورقاء   هل بَرحا اذ هاجت البَرحاء
انا منكما أَوْلَى بحلية عاشق   اغنى وما نمّتْ بى الصُعَداء

a) La. O. الطيبا. b) La. O. الاس والورد. c) Ces mots sont peut-être altérés. d) La. O. ایاس. e) G. L. P. La. حصر, S. حصرة. f) P. S. الة. g) La. المارِبا. h) La. O. مرغب. i) La. O. بكمالها. j) Dans le vème Livre. Voici les variantes principales: vs. 3. استامنوا ; vs. 6. والهمّ ; vs. 11. يصحبا ; vs. 18. O. شغفته ; vs. 21. O. حاسدى ; vs. 22. B. يبشر ; vs. 32. O. قلت له.

اخشى الوُشاة فما اَفوه بلفظة — والكتم عند العاشقين عناء
لولا تشوّق ارض حمص ما جرى — دمعى ولا شمتت بى الاعداء
لم استطِعْ كتما له فكانّنى — ما كان لى كتم ولا اخْفاء
والبدر مَهْمَا رام كتما من سرى — فيه ينمّ على سراه ضياء
بلد متى يخطُر له ذكرٌ [a] هفا — قلبى وخان تصبّره وعزاء
من بعده ما الصبح يُشْرِق نورُه — عندى ولا تتبدّل الظلماء
كم لى به من ذى وفاء لم يَخُنْ — عهدى وينمو بالوداد وفاء
فترى اذا *ما رَدّ ذكرى [b] سائلٌ [c] — عن حالتى ان قلّت الانباء
يمسى ويصبح فى تذكُّر مدّة — يرضى بها الاصْباح والامْساء
مع كل مبذول الوصال ممنّع — من غيرنا تسمو به الخُيَلاء
كالظبى كالشمس المنيرة كالنقى — كالغصن يثنى معطفَيْه رُخاء
يسعى براح كالشهاب براحة — كالبدر والوجه المنيرُ ذُكاء
ما لان نحو الوصل حتى طال منه — الهجر واتّصلت به البَلْواء
خير المحبّة ما تأتّتْ عن قِلًى — تُذْرَى ببُوس الفاقة النعماء
ما زلتُ ارقى بالقريض جنونَه — حتى استكان وكان منه اباء
ظفرتُ منه بمدّة لو انها — دامتْ لَدامتْ لى بها السَّرّاء
صفو تكدّر بالتحرّك لينه — ما زلتُ لكن لا يُرَدّ قضاء
ان الفراق هو المنيّة انما — اهل النوى ماتوا وهم أَحْياء
لولا تذكُّر لذّة طابت لنا — بذُرَى الجزيرة حيث طاب هواء
وجرى النسيم على الخليج معطّرا — وتبدّدت فى الدوحة الانداء
ما كابدتْ نفسى اليمَ تفكُّر — الوى به عن جفنى الاغفاء
يا نهر حمص لا عدتْك مسرّةٌ — ماء يسيل لديك ام صهباء
كل النفوس تهشّ فيك كانما — جمعتْ عليك شتاتَها الاهواء
ودّى اليك مع الزمان مجدّد — ما ان يحول تذكّر وعناء
ولَوَ انّنى لم أُحْىِ ذكرًا للذى — اوليتَه ما كان فىَّ حياء

a) La. O. تذكر. b) G. P. La. O. مآ وذكرى, S. قد فل اذ ما ردكرى. c) Le reste du poème manque dans La. et O.

ما كنتَ اطمع في الحياة لو انّني ايقنتَ ألّا يَستردّ لقاء
غيري اذا ما بانَ حانَ وانما ابقى حياتي حين بِنْتُ رجاء

وسيأتي ان شاء الله تعَ لهذا النمط وغيره مزيد اثناء الكتاب، بحسب ما اقتضتْه المناسَبة والله المرجوّ في حسن المتاب، وهو سبحانه لا اله الا هو الموفّق للصواب ؛

تم الجزء الاول من المجلد الاول
بحمد الله تعالى وحسن عونه
والله ولي التوفيق ؛

الباب الخامس

فى التعريف ببعض من رحل من الاندلسيّين الى بلاد المشرق الذاكية العرار والبشام، ومدح جماعة من اولئك الاعلام، ذوى العقول الراجحة والاحلام، لشامة وجنة الارض دمشق الشام، وما اقتضتْه المناسبةُ من كلام اعيانها، وارباب بيانها، ذوى السُّودد والاحتشام، ومخاطباتهم للمؤلِّف الفقير حين حلّها سنة الف وسبعة وثلاثين للهجرة وشاهَدَ برق فضلها المبين وشام،

اعلم جعلنى الله واياك ممّن له للمذهب الحق انتحال، أنّ حصر اهل الارتحال، لا يمكن بوجه ولا بحال، ولا يعلم ذلك على الاحاطة الّا عَلّامُ ٱلْغُيُوبِ الشديد المحال a،
ولو اطلقنا عِنانَ الاقلام، فيمن عرفناه فقطّ من هؤلاء الاعلام، لطال الكتابُ وكثر الكلام، ولكنا نذكر منهم لمعًا على وجه التوسّط من غير إطناب داعٍ الى الملال واختصارٍ مودٍّ للمَلام، فنقول مستمدّين من واهب العقول

1 منهم عالم الاندلس عبد الملك بن حبيب السُّلَمى وقد عرّف به القاضى عِياض فى المدارك وغير واحد، ورايتُ فى بعض التواريخ ان تواليفه بلغت الفا، ومن اشهرها كتاب الواضِحة فى مذهب مالك كتاب كبير مفيد ولابن حبيب مذهب فى كتب المالكيّة مسطور وهو مشهور عند علماء المشرق وقد نقل عنه الحافظ ابن حجَر صاحب المواهب وغيرهما، ومن نظمه يخاطب سلطان الاندلس

لا تنسَ لا ينسك الرحمن عاشورا ۝ واذْكُره لا زلتَ فى التاريخ مذكورا
قال النبى صلاة الله تشمله ۝ قولًا وجدْنا عليه الحق والنورا
فيمن يوسّع فى انفاق مَوْسمه ۝ ألّا يزالَ بذاك العام ميسورا

وهذا البيت الثالث نسيتُ لفظه فكتبته بالمعنى والوزن اذ طال عهدى b به، وقال

a) Voyez le *Korān*, sour. 5, vs. 108, et sour. 13, vs. 14. b) B. عمرى.

الفتح فى المَطْمَح الفقيه العالم ابو مروان عبد الملك بن حبيب السلمى اىّ شرف لاهل الاندلس ومفخر، واىّ بحر بالعلوم يزخر، خلدت منه الاندلسُ فقيها عالما، اعاد مجاهلَ جهلها معالما، واقام فيها للعلوم *a* سوقا نافقه، ونشر منها الوية خافقه، وجلا عن الالباب صدأ الكسل، وشحذها شحذ الصوارم والأَسَل، وتصرف فى فنون العلوم، وعرف كل معلوم، وسمع بالاندلس وتفقه، حتى صار اعلم مَن بها وأَفْقَه، ولقى أنجاب *b* مالك، وسلك من مناظرتهم اوعرْ المسالك، حتى اجمع عليه الاتفاق، ووقع على تفضيله الاصفاق، ويقال انه لقى مالكا آخر عمره وروى عنه *c* عن سعيد بن المسيَّب أَنّ سليمان بن داود صلّعم كان يركب الى بيت المقدس فيتغدّى به ثم يعود فيتعشى باصطخر، وله فى الفقه كتاب الواضحة ومن احاديثه غرائب، قد تحلّت بها للزمان نحور وترائب، وقال محمد ابن لبابة *d* فقيه الاندلس عيسى بن دينار وعالمها عبد الملك بن حبيب وراويها *e* يحيىّ بن يحيى وكان عبد الملك قد جمع الى علم الفقه والحديث علمَ اللغة والاعراب، وتصرف فى فنون الآداب، وكان له شعر يتكلم به متبحرا، ديرى *f* ينبوعه بذلك متفجرا، وتوفى بالاندلس فى رمضان سنة ٢٣٨ وهو ابن ثلاث وخمسين سنة بعد ما جال فى الارض، وقطع طولها والعَرض، وجال فى اكنافها، وانتهى الى اطرافها، ومن شعره قوله

*قد طاح امرى *g* والذى ابتغى   هَيّنٌ على الرحمن فى قدرتهْ
الفٌ من الخمر وأَفْلُسٌ بها   لعالم اربى *h* على بغيتهْ
زربـاب *i* قد اعطيَها جملة   وحرفتى اشرف من حِرفتهْ *j*

وكتب الى الزجالى *k* رسالة وصلها بهذه الابيات

كيف يطيق الشعرَ من اصبحتْ   حالتُه اليوم كحال الغَرِقْ
والشعر لا يسلس الّا على   فراغ قلب واتّساع الخُلُقْ

a) *Matmah* P. للمعالم , L. للمعارف , R. للعلم.   *b*) Al-Makkarī B. et *Matmah* L. portent اصحاب.   *c*) *Matmah* L. ajoute عن ربيعة.   *d*) G. S. et *Matm* P. لبانة. Voyez le *Bayān al-moghrib*, II, p. 166. Il s'appelle محمد بن عمر بن لبابة.   *e*) *Matm.* L. وعاقلها.   *f*) G. S. ومرى.   *g*) *Matm.* L. صلاح حالى.   *h*) *Matm.* L. ازرى.   *i*) G. L. ذيباب.   *j*) Deux manuscrits du *Matm.* (L. et R.) omettent ce distique; *Matm.* L. زرباب قد باخذها دفعة وصنعتى المرق (اشرف l.) من صنعته.   *k*) *Matm.* P. et L. محمد بن سعيد الزجالى (البرجالى .L) ✿

فاقنعْ بهذا القول من شاعرٍ يرضى من الحظ a بادنى العنقْ
فضلك قد بان عليها كما بان لاهل الارض ضوء الشفقْ
ه امّا نمام الودّ منّى لكم فهو من المحتوم فيما سبقْ

ولم يكن له علم بالحديث يعرف به صحيحه من معتلّه، ولا يفرق بين مستقيمه ومختلّه، وكان غرضه الاجازة، واكثر رواياته غير مستجازة، قال ابن وضّاح قال ابراهيم ابن المنذر اتى صاحبكم الاندلس يعنى عبد الملك بغرارة مملوّة فقال لى هذا علمك قلت له نعم ما قرأ علىّ b منه حرفا ولا قرأته عليه وحكى انه قال فى دخوله المشرق وحضر مجلس بعض الاكابر فازدراه، من رآه،

لا تنظرنّ الى جسمى وقلّته وأنظرْ لصدرى وما يحوى من السننِ
فرُبّ ذى منظر من غير معرفة وربّ مَن تزدريه العين ذو فطنِ
وربّ لؤلؤة فى عين c مزبلة لم يُلتفَت بالٌ لها الّا الى زمنِ

انتهى ما فى المطمح الصغير، قلت امّا ما ذكره من عدم معرفته بالحديث فهو غيرُ مسلّم وقد نقل عنه غير واحد من جهابذة المحدّثين نعمْ لاهل الاندلس غرائب لم يعرفها كثير من المحدثين حتى ان فى شفآء عياض احاديث لم يعرف اهل المشرق النُقّاد مخرِّجها مع اعترافهم بجلالة حُفّاظ الاندلس الذين نقلوها كبقى بن مخلد وابن حبيب وغيرهما على ما هو معلوم، وامّا ما ذكره عنه فى الاجازة بما فى الغرارة فذلك على مذهب من يرى الاجازة وهو مذهب مستفيض واعتراضُ مَن اعترض عليه انما هو بنآء على القول بمنع الاجازة فاعلم ذلك والله الموفق،

٢ ومن الراحلين من الاندلس الفقيه المحدّث يحيى بن يحيى اللّيثى راوى الموطّأ عن مالك رضّه ويقال ان اصله من بَرابر مصمودة وحكى d انه لما ارتحل الى مالك لازمه فبينما هو عنده فى مجلسه مع جماعة من اصحابه اذ قال قائل قد حضر الفيل فخرج اصحاب مالك كلهم ولم يخرج يحيى فقال له مالك ما لَكَ لم تخرج وليس الفيل فى بلادك فقال انما جئتُ من الاندلس لانظر اليك واتعلّم من هَدْيك وعلمك ولم اكن لانظر الى الفيل فاعجب به مالك وقال هذا عاقلُ الاندلس * ولذلك

a) *Matm.* P. et L. الخصر. b) J'adopte la leçon des manuscr. du *Matmah*; ceux d'al-Makkarî portent عليه. c) *Matm.* L. بعر. d) Voyez Ibn-Khallikân, n°. 802.

قبل ان يحيى هذا عاقل الاندلس *a* وعيسى بن دينار فقيهها وعبد الملك بن حبيب عالمها ويقال ان يحيى راويها ومحدّثها، وتوفى يحيى بن يحيى سنة ٢٣٤ برجب وقبره يُستسقى به بقرطبة وقيل ان وفاته فى السنة التى قبلها والله اعلم، وروايته الموطّأ مشهورة حتى ان اهل المشرق الآن يُسندون الموطّأ من روايته كثيرا مع تعدّد رُواة الموطّأ والله اعلم، وكان يحيى بن يحيى روى الموطّأ بقرطبة عن زياد بن عبد الرحمن اللخمى المعروف بشَبَطون وسمع من يحيى بن مُضر القيسى الاندلسى ثم ارتحل الى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة فسمع من مالك بن انس الموطّأ غير ابواب فى كتاب الاعتكاف شكّ فى سماعها فاثبت روايته فيها عن زياد وذلك مما يدلّ على ورَعه، وسمع بمصر من الليث بن سعد وبمكة من سفيان بن عُيَينة وتفقّه بالمدَنيّين والمصريّين كعبد الله بن وهْب وعبد الرحمن بن القاسم العُتَقى *b* وسمع منهما وهما من اكابر اصحاب مالك بعد انتفاعه بمالك وملازمته له وانتهت اليه الرئاسة بالاندلس وبه اشتهر مذهبُ مالك فى تلك الديار وتفقّه به جماعة لا يُحصون عددا وروى عنه خلق *c* كثير واشهر رُواة الموطّأ واحسنُهم روايةً يحيى المذكور وكان مع امانته ودينه معظّما عند الامرآء يكنّى عندهم عفيفا عن الولايات متنزها جلت رتبته عن القضآء وكان اعلى من القضاة قدرا عند وُلاة الامر بالاندلس لزُهده فى القضاء وامتناعه، قال الحافظ ابن حزم مذهبان انتشرا فى بدء امرهما بالرئاسة والسلطان مذهبُ ابى حنيفة رحه فانه لما ولى القضآء ابو يوسف كانت القضاة من قبله من اقصى المشرق الى اقصى عمل افريقية فكان لا يولى الا اصحابه والمنتسبين لمذهبه ومذهبُ مالك عندنا بالاندلس فان يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبول القول *d* فى القضاة وكان لا يلى *e* قاض فى أقطار بلاد الاندلس الا بمشورته واختياره ولا يشير الا باصحابه ومن كان على مذهبه والناس سُرّاع الى الدنيا فاقبلوا على ما يرجون بلوغَ اغراضهم به على ان يحيى لم يل قضاء قطّ ولا اجاب اليه وكان ذلك زايدا فى جلالته عندهم وداعيا الى قبول رأيه لديهم انتهى، وذكرنا

a) Ces mots ne se trouvent que dans le manuscrit B. *b*) B. المعتلى, G. L. S. العتلى. J'ai suivi Ibn-Khallikān (v. nº. 370), notre auteur ayant emprunté a cet écrivain une grande partie des détails qu'il donne ici. V. Ibn-Khallikān, nº. 802. *c*) G. S. حلق. *d*) B. ajoute عنده. *e*) B. يولى.

فى غير هذا الموضع قولا آخر فى سبب انتشار مذهب مالك بالاندلس والله تعالى اعلم بحقيقة الامر، وقال ابن ابى الفياض جمع الامير عبد الرحمن بن الحكم الفقهاء فى قصره وكان وقع على جارية يحبّها فى رمضان ثم ندم اشدّ ندم فسألهم عن التوبة والكفّارة فقال يحيى تكفّر بصوم شهرين متتابعين فلما بادر يحيى بهذه الفتيا سكت الفقهاء حتى خرجوا فقال بعضهم له لِمَ لَمْ تُفتِ بمذهب مالك بالتخيير *a* فقال لو فتحنا له هذا الباب سهل عليه ان يطأ كل يوم ويعتق رقبة ولكن حملته على اصعب الامور لئلّا يعود، وقال بعض المالكيّة ان يحيى ورى بهذا وانه لم ير انه يملك شيئا اذ هو مستغرق الذمّة فلا عتق له ولا طعام *b* فلم يبق الا الصيام انتهى، ولما انفصل يحيى عن مالك ووصل الى مصر راى ابن القاسم يدوّن سماعه من مالك فنشط للرجوع الى مالك ليسمع منه المسائل التى رأى ابنَ القاسم يدوّنها فرحل رحلة ثانية فالفى مالكا عليلا فاقام عنده الى ان مات وحضر جنازته فعاد الى ابن القاسم وسمع منه سماعه من مالك هكذا ذكره ابن الفرضى فى تاريخه وهو ممّا يردّ الحكاية المشهورة الآن بالمغرب ان يحيى سال مالكا عن زكاة التين فقال له لا زكاة فيها فقال انها تدخر عندنا ونذر ان وصل الى الاندلس أن يرسل لمالك سفينة مملوّة تينا فلما وصل ارسلها فاذا مالك قد مات انتهى، قال ابن الفرضى ولما انصرف يحيى الى الاندلس كان امامَ وقته وواحد بلاده وكان ممن اتُّهم بالهَيْج فى وقعة الربض المشهورة *c* ففرّ الى طليطلة ثم استأمن فكتب له الأمير الحكم أمانا وانصرف الى قرطبة وقيل لم يُعطَ احدٌ من اهل الاندلس منذ دخلها الاسلام ما أُعطِى يحيى من الحظوة وعِظم القدر وجلالة الذكر، وقال ابن بشكوال ان يحيى كان مجاب الدعوة وانه اخذ فى سمته وهيئته ونفسه ومقعده هيئة مالك ويحكى عنه انه قال اخذت ركاب الليث بن سعد فاراد غلامه ان يمنعنى فقال دَعْه ثم قال لى الليث خدمك العلم فلم تزل بى الايام حتى رايت مالكا انتهى،

ومنهم القاضى ابو عبد الله محمد بن عيسى، قال فى المطمح من بنى يحيى بن يحيى الليثى وهذه ثنية *d* علم وعقل، وصحة ضبط ونقل، كان عَلَم الاندلس، وعالمها

a) C'est-à-dire بالتخيير بين العتق والطعام والصيام ; voyez Ibn-Khallikān, l. l. *b*) Telle est la leçon de L.; les autres man. portent إطعام. *c*) Voyez le *Bayān al-Moghrib*, II, p. 73. *d*) Al-Makkarī B. تثنية ; *Matmah* L. بيتة

التدلس a،، ولى القضاء بقرطبة بعد رحلة رحلها الى المشرق، وجمع فيها من الروايات والسماع كل مفترى b،، وجال فى آفاق ذلك الافق لا يستقر فى بلد، ولا يستوطن فى جلده c،، ثم كرّ الى الاندلس فسمت رتبته، وتحلت بالامانى لبّته،، وتصرف فى ولايات أُحمِد فيها منابُه، واتصلت بسببها بالخليفة اسبابُه،، وولّاه القضاء بقرطبة فتولاه بسياسة محموده، ورئاسة فى الدين مبرقة القوى مجهوده،، والتزم فيها الصرامه، فى تنفيذ الحقوق والحرامه d،، فى اقامة الحدود والكشف عن البينات فى السر، والصدع بالحق فى الجهر،، لم يستمله مخادع ولم يكده e مُخاتل، ولم يهب ذا حرمة ولا داهن ذا مرتبة ولا اغضى لاحد من اسباب f السلطان واهله حتى تحاموا جانبه فلم يجسر احد منهم عليه وكان له نصيب وافر من الادب، وحظ من البلاغة اذا نظم واذا كتب،، ومن ملح شعره ما قاله عند اوبته، من غربته،،

كأنْ لم يكن بينٌ ولم تك فرقة ... اذا كان من بعد الفراق تلاقى
كأن لم تؤرّق بالعراقين مقلتى ... ولم تَمْرِ g كفّ الشوق ماءَ مآقى
ولم أزر الاعراب فى جنب h ارضهم ... بذات اللوى من رامة وبراق
ولم أصطبح بالبيد من قهوة الندى ... وكاس سقاها فى الازاهر ساقى

وله ايضا

*ما ذا أُكابدُ i من ورق مغرِّدة j ... على قضيب بذات الجزع ميّاسِ
رددن شجوا شجا قلبى k الخلىّ فهل ... فى عبرة ذرفت فى الحب من باس l
ذكّرنه m الزمن الماضى بقرطبة ... بين الاحبّة فى امن وايناس
هم الصبابة لولا همّة شرفت ... فصيّرتْ قلبَه كالجندل القاسى

وله اخبار تدل على رقة العراق، والتغذى بماء تلك الآفاق،، فمنها انه خرج الى حضور جنازة بمقابر قريش ورجل من بنى جابر كان يؤاخيه له منزل هناك n فعزم عليه،

a) G. L. S. et *Matmah* P. et L. المندس. b) *Maim.* P. et L. فى مطلومه جلد. c) S. بسيادة. d) B. et *Matmah* P. et R. والحزامه. e) Telle est la leçon du *Matmah* et de R. et S. d'al-Makkarī; les autres man. portent يكره. f) *Maim.* L. اصحاب. g) *Maim.* L. تجر. h) *Maim.* L. جنة; al-Makkarī G. L. جنت, S. خبت. i) Al-Homaidī ونل ام ذكراى. j) *Matmah* P. et L. مغردة. k) Telle est la leçon du *Matmah*; les manuscrits d'al-Makkarī et celui d'al-Homaidī portent قلب. l) Al-Makk. G. L. R. ناس; al-Homaidī غربة ناه عن الناس. m) R. S. et *Maim.* P. et L. ذكرته. n) Ce mot ne se trouve que dans le manuscr. L. du *Matmah*.

فى الميل اليه، وعلى اخيه فنزلا عليه، فاحضر لهما طعاما وامر جارية له بالغناء فغنّت a

طابت بطيب لثاتك الأقداحُ   وزهت بحمرة خدّك التفّاحُ
واذا الربيع * تنسّمت ادواحه b   طابت بطيب نسيمك الادواحُ
واذا الحنادسُ أُلبستْ ظلماءها c   فضياء وجهك فى الدجى مصباحُ

فكتبها القاضى فى ظهر يده، وخرج من عنده، قال يونس بن عبد الله فلقد رايتُه يكبّر للصلاة على الجنازة والابيات مكتوبة على ظهر كفه انتهى، وكان رحمه فى غاية اللطف حكى بعض اصحابه قال ركبنا معه فى مَوكب حافل من وجوه الناس اذ عرض لنا فتى متأدّبٌ قد خرج من بعض الازقة سكرانٌ يتمايل فلما راى القاضى هابَه واراد الانصراف فخانتْه رِجْلاه فاستند الى الحائط واطرق فلما قرب القاضى رفع رأسه ثم انشا يقول

الا ايها القاضى الذى عمّ عدلُه   فاضحى به بين الآنام d فريدا
قرأتُ كتاب الله تسعين مرّة   فلم ار فيه للشراب حدودا
فان شئتَ ان تجلده e فدونك منكبا   صبورا على ريب الزمان جليدا
وان شئت ان تعفو تكن لك منة   تروح بها فى العالمين حميدا
وان انت تختار الحديدَ f فانّ لى   لسانا على هجو g الزمان حديدا

فلمّا سمع شعره وميّز ادبَه اعرض عنه وترك الانكار عليه ومضى لشانه انتهى ملخّصا من المطمح، ورايتُ بخطى فى بعض مسودّاتى ما صورته محمد بن عبد الله بن يحيى ابن يحيى الليثى قاضى الجماعة بقرطبة سمع عمّ ابيه عبيد الله بن يحيى ومحمد ابن عمر بن لبابة h واحمد بن خالد ورحل من قرطبة سنة ٣١٢ ودخل مصر وحج

a) Au lieu du récit d'al-Makkarī, al-Homaidī, qui cite les mêmes distiques, en dit ceci: شاهد قاضى الجماعة محمد بن ابى عيسى فى دار رجل من بنى حُدَير (sic) مع اخيه ابى عيسى فى ناحية مقابر قريش وقد خرجوا لحضور جنازة وجارية للحُدَيرى تغنيهم بهذه الابيات. b) *Matmah* L. تبسمت ارجاؤه. c) Tous les manuscrits portent ظلماؤها. d) *Matmah* فى العالمين. e) Telle est la leçon des trois manuscrits du *Matmah*; ceux d'al-Makkarī portent جلدًا لى. f) O. et *Matm.* L. الحدود. g) G. هجر, O. ريب. h) L. et S. لبانة.

وسمع بمكة من ابن المنذر والعُقيلى a وابن الاعرابى وغيرهم وكان حافظا معتنيا بالآثار جامعا للسُنن متصرّفا فى علم الاعراب b ومعانى الشعر شاعرا مطبوعا وشاوره القاضى احمد بن بقى واستقضاه الناصر عبد الرحمن بن محمد على البيرة وبجانة c ثم ولّاه قضاء الجماعة بقرطبة بعد ابى طالب سنة ٣٣٦ وجمعت له مع القضاء الصلاة، وكان كثيرا ما يخرج الى الثغور ويتصرف فى اصلاح ما وهى منها فاعتلّ فى آخر خرجاته ومات فى بعض الحصون المجاورة لطليطلة سنة ٣٣٧ ومولده سنة ٢٨٤ انتهى واظنّ أنى نقلتُه من كتاب ابن الآبّار الحافظ والله اعلم،

ومنهم عتيق بن احمد بن عبد الباقى الاندلسى الدمشقى وفاةً يكنى ابا بكر نزيل دمشق كان مشهورا بالصلاح وانتفع به جماعة من الفقرآء وولد على ما قيل سنة ٥١٩ وتوفى سنة ٦١٩ بدمشق ودفن بمقابر الصوفيّة فيكون عمره على هذا مائة سنة رحّه ونفعنا ببركاته وبركات امثاله،

ومنهم ابو ابراهيم اسمعيل بن محمد بن يوسف الانصارى الاندلسى الأُبَّذى الملقب فى البلاد المشرقية ببرهان الدين وأُبَّذة بضم الهمزة وتشديد الباء الموحدة وفتحها وبعدها ذال معجمة بلد بالاندلس، سمع المذكور بمكة وغيرها من البلاد وبدمشق من الحافظ ابن طَبَرْزَد وأمّ بالصخرة وكان فاضلا صالحا شاعرا توفى سنة ٦٥٩ واخبر عن بعض الاولياء المجاورين ببيت المقدس انه سمع هاتفا يقول لما خرب القدس

ان يكن بالشآم قَلَّ نصيرى d ثم خرّبت واستمر هلوكى
فلقد اثبت e العُداة خرابى سمر العار فى حياة الملوك

هكذا رايتُه بخط الصَّفَدىّ فى حياة ويحتمل ان يكون فى جباه جمع جَبْهة والله اعلم،

ومنهم القاضى منذر بن سعيد البلّوطى قاضى الجماعة بقرطبة وقد قدّمنا جملة من اخباره فى الباب الثالث والرابع من هذا القسم وكان لا يخاف فى الله لومة لائم، ومن مشهور ما جرى له فى ذلك قصّة فى ايتام اخى نجدة وحدث بها جماعة من اهل العلم والرواية وهى ان الخليفة الناصر احتاج الى شرآء دار بقرطبة لحظيّة من نسآئه تكرم عليه فوقع استحسانه على دار كانت لاولاد زكريا اخى نجدة وكانت بقرب النشّارين فى الربض الشرقىّ منفصلة عن دُوره ويتصل بها

a) B. العقلى. b) S. الادب. c) S. وبجاية. d) G. L. S. نصرى. e) Ce mot manque dans le man. O.

حمام a له غلّة واسعة وكان اولاد زكريا اخى نجدة ايتاما فى حجر القاضى فارسل الخليفة مَن قوّمها له بعدد ما طابت نفسُه وارسل ناسا امرهم بمداخلة وصىّ الايتام فى بيعها عليهم فذكر انّه لا يجوز الّا بامر القاضى اذ لم يجز بيع الاصل الا عن رأيه ومشورته فارسل الخليفة الى القاضى منذر فى بيع هذه الدار فقال لرسوله البيعُ على الايتام لا يصحّ الا لوجوهٍ منها الحاجةُ ومنها الوهى الشديد ومنها الغبْطة فامّا الحاجة فلا حاجةَ لهؤلاء الايتام الى البيع واما الوهى فليس فيها وامّا الغبطة فهذا مكانها فان اعطاهم امير المؤمنين فيها ما تستبين به الغبطة امرتُ وصيّهم بالبيع والّا فلا فنقل جوابه الى الخليفة فاظهر الزهدَ فى شرآء الدار طمعا ان يتوخى رغبته فيها وخاف القاضى ان تنبعث منه عزيمة تلحق الايتام سورتها فامر وصىّ الايتام بنقض الدار وبيع أنقاضها ففعل ذلك وباع الانقاض فكانت لها قيمة باكثر مما قُوّمت به للسلطان فاتصل الخبر به فعز عليه خرابُها وامر بتوقيف الوصىّ على ما احدثه فيها فاحال b الوصىّ على القاضى انه امره بذلك فارسل عند ذلك للقاضى منذر وقال له أأنت امرت بنقض دار اخى نجدة فقال له نعم فقال وما دعاك الى ذلك قال اخذتُ فيها بقول الله تعالى أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا c مقوّموك لم يقدروها d الا بكذا وبذلك تعلق وهمك فقد نضّ فى أنقاضها اكثر من ذلك وبقيت القاعة والحمام فضلا ونظر الله تعالى للايتام فصبر الخليفة عبد الرحمن على ما اتى من ذلك وقال نحن اوّل e مَن انقاد الى الحق فجزاك الله تعالى عنّا وعن امانتك خيرا، قالوا وكان على متانته وجزالته حسن الخلق كثير الدعابة فربّما ساء ظنُّ مَن لا يعرف به حتى اذا رام ان من دينه شعرة ثار له ثورة الاسد الضارو، فمن ذلك ما حدث به سعيد ابنه قال قعَدْنا ليلة من ليالى شهر رمضان المعظم مع ابينا للافطار بداره البرانيّة فاذا بسائل يقول f أَطْعِمونا من عشائكم أطعمكم الله تعالى من ثمار الجنة هذه الليلة ويكثر من ذلك فقال القاضى ان استجيب لهذا السائل فيكم فليس يصبح منّا واحد، وحكى

a) S. ajoute وكانت. b) Ce mot signifie ici: »rejeter la faute sur un autre;" cf. احالة Harîrî (2de éd.) p. ٥٨ et le comment. p. ٥٩. c) V. Sour. 18, vs. 78. d) *Matmah* L. يقوّموها. e) Telle est la leçon du *Matmah*; les manuscrits d'al-Makkarî portent اولى. f) Ibn-Khâkân ajoute يا اهل هذه الدار الصالح اهلها.

عنه قاسم بن احمد الجهنى a انه رَكب يوما لحيازة ارض محبّسة .فى رَكْب من وجوه الفقهآء واهل العَدالة فيهم ابو ابراهيم اللُؤلُوى ونظراؤه قال فسرنا نقفوه امامنا وامامَه امناؤه يحملون خرائطه وذووه عليهم السكينة والوقار وكانت القضاة حينئذ لا تراكب ولا تماشى فعرض له فى بعض الطريق كلاب مع مستوحمة والكلاب تلعق هَنَها وتدور حولها فوقف وصرف وجهه الينا وقال اترون يا اصحابنا ما أبرّ الكلاب بالهنّ الذى تلعقه وتكرمه ونحن لا نفعل ذلك ثم لوى عنان دابّته وقد اضحكنا وبقينا متعجبين من هزله، وحضر عند الحكم المستنصر بالله يوما فى خَلْوة b له فى بستان الزهرآء على بركة مآء طافحه، وسط روضة نافحه،، فى يوم شديد الوهج وذلك اثر منصرفه من صلاة الجمعة فشكا الى الخليفة من وهج الحرّ والجهد c، وبث منه ما تجاوز الحد،، فامره بخلع ثيابه، والتخفيف عن جسمه ففعل ولم يُطف ذلك ما به،، فقال له الصواب ان تنغمس فى وسط الصهريج انغماسةً يبرد بها جسمك وليس مع الخليفة الا الحاجب جعفر الخادم الصقلبى امين الخليفة الحكم لا رابِعَ لهم فكأنه استحيى من ذلك وانقبض عنه وقارا، وقصر عنه اقصارا،، فامر الخليفة حاجبه جعفر بسبقه الى النزول فى الصهريج ليسهل عليه الامر فيه فبادر جعفر لذلك والقَى نفسه فى الصهريج وكان يُحسِن السباحة فجعل يجول يمينا وشمالا فلم يسع القاضى الا انفاذ امر الخليفة فقام والقى بنفسه خلف جعفر ولاذ بالقعود فى درج الصهريج وتدرج فيه بعض تدريج ولم ينبسط فى السباحة وجعفر يمر مُصَعِّدا ومُصوِّبا فدسّه d الحكم على القاضى وحمله على مساجَلته فى العوم فهو يعجزه فى اخلاده الى القعود ويعاتبه بالقاء الماء عليه، والاشارة بالجذب اليه،، وهو لا ينبعث معه، ولا يفارق موضعه،، الى أن كلمه الحكم وقال له ما لك لا تُساعِد الحاجب فى فعله وتقبل صنعه فمن اجلك نزل، وبسببك تبذّل،، فقال له يا سيّدى يا امير المؤمنين الحاجب سلّمه الله لا هَوْجَلَ معه وانا بهذا الهوجل الذى معى يعقلنى ويمنعنى من ان اجول معه مجاله يعنى ان الحاجب خصىّ لا هوجل معه والهوجل الذَّكَر فاستفرغ الحكم ضحكا من نادرته ولطيف تعريضه لجعفر وخجل جعفر من قوله وسبّه سبّ الاشراف وخرجا من الماء

---

a) S. الجهبنى. b) Telle est la leçon de B. et du *Matmah* P. et L.; les autres manuscr. d'al-Makkarī et *Matmah* R. portent خلده. c) Les manuscr. portent الجهد. d) *Matm.* L. فغمره ۞

وامرهما الخليفة بخلع ووصلهما بصلات سنيّة تُشاكل كلّ واحد منهما، وحكى ان الخليفة الحكم قال له يوما لقد بلغنى انك لا تجتهد للايتام وانك تُقدّم لهم اوصياء سُوء ياكلون اموالهم قال نعم وان امكنهم نيك امّهاتهم لم يعفّوا عنهن قال وكيف تقدّم مثلَ هؤلاء قال لستُ اجد غيرهم ولكن احلّنى على اللؤلؤى وابى ابراهيم ومثل هؤلاء فان ابوا اجبرتهم بالسّوط والسجن ثم لا تسمع الا خيرا، وقال القاضى منذر اتيت وابو جعفر بن النحاس فى مجلسه بمصر يُملى فى اخبار الشعرآء شعر قيس المجنون ث يقول

خليلىّ هل بالشام عين حزينة تبكّى على نجد لعلّى اعينها
قد آسلمها الباكون الّا حمامة مطوّقة باتت وبات قرينها
تجاوبها اخرى على خيزرانة يكاد يدنّيها من الارض لينها

فقلت له يا ابا جعفر ما ذا اعزّك الله باتا يصنعان فقال لى وكيف تقوله انت يا اندلسىّ فقلت له بانت وبان قرينها فسكت وما زال يستثقلنى بعد ذلك حتى منعنى كتاب العين وكنت ذهبت الى الانتساخ من نسخته فلما قطع بى قيل لى اين انت عن ابى العباس بن ولّاد فقصدته فلقيتُ رجلا كامل العلم حسن المروّة فسالته الكتاب فاخرجه الىّ ثم ندم ابو جعفر لما بلغه اباحة ابى العباس الكتاب لى وعاد الىّ ما كنتُ اعرفه منه قال وكان ابو جعفر لئيم النفس شديد التقتير على نفسه وربّما وُهبتْ له العمامة فيقطعها ثلاث عمآئم وكان يابى شرآء حوائجه بنفسه ويتحامل فيها على اهل معرفته انتهى، وابو جعفر هذا يقال ان تواليفه تزيد على خمسين منها شرح عشرة دواوين للعرب واعراب القرآن ومعانى القرآن وشرح ابيات الكتاب وغير ذلك، رجع وقال منذر بن سعيد كتبتُ الى ابى على البغدادى استعيرُ منه كتابا من الغريب وقلت

بحقّ ريم مهفهفْ وصُدغه المتعطف a ابْعثْ الىّ بجزء من الغريب المصنّفْ

فقضى حاجتى واجاب بقوله

وحقّ دُرّ تالّف بفيك b اىّ تالّف لأبْعثنّ بما قد
حوى الغريب المصنّف ولو بعثتُ بنفسى اليك ما كنت اسرف

a) Telle est la leçon de B. et O.; les autres manuscrits portent المنعطف. b) O. وفيك.

فرحم الله تلك الارواح الطاهرة، وذكر ابن اصبغ الهمدانى عن منذر انه خطب يوما وارإد التواضع فكان من فصول خطبته ان قال حتى متى والى متى اعظ ولا اتّعظ وازجر ولا ازدجر ادُلّ الطريق على المستدلّين وابقى مقيما مع الحايرين كلا ان هذا لَهُو البلاء المبين إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَآءُ وَتَهْدِى مَنْ تَشَآءُ الاية a اللهمّ فرِّغنى لِمَا خلقتنى له ولا تشغلنى بما تكفّلت لى به ولا تحرمنى وانا اسألك ولا تعذبنى وانا استغفرك يا ارحم الراحمين، وسمع بالاندلس من عبيد الله بن يحيى ابن يحيى ونظرائه ثم رحل حاجّا سنة ٣٠٨ فاجتمع بعدة اعلام وظهرت فضائله بالمشرق وممن سمع عليه منذر بالمشرق ثم بمكة محمد بن المنذر النيسابورى سمع عليه كتابَه المؤلف فى اختلاف العلمآء المسمّى بالاشراف وروى بمصر كتاب العين للخليل عن ابى العباس بن ولّاد وروى عن ابى جعفر بن النحاس وكان منذر متفنّنا فى ضروب العلوم وغلب عليه التفقه بمذهب ابى سليمان داود بن على الاصبهانى المعروف بالظاهرى فكان منذر يؤثر مذهبه ويجمع كتبه ويحتجّ لمقالته وياخذ به فى نفسه وذَوِيه فاذا جلس للحكومة قضى بمذهب الامام مالك واصحابه وهو الذى عليه العمل بالاندلس وحمل السلطان اهل مملكته عليه وكان خطيبا بليغا عالما بالجَدَل حاذقا فيه شديد العارضة b حاضر الجواب عتيده ثابت الحجّة ذا اشارة عجيبة ومنظرٍ جميل وخلق حميد وتواضع لاهل الطلب وانحطاط اليهم واقبال عليهم وكان مع وقاره التامّ فيه دُعابة مستملحة وله نوادر مستحسنة وكانت ولايته القضاء بقرطبة للناصر فى شهر ربيع الآخر سنة ٣٣٩ ولبث قاضيا من ذلك التاريخ للخليفة الناصر الى وفاته ثم للخليفة الحكم المستنصر الى ان توفى رحمه عقب ذى القعدة من سنة ٣٥٥ فكانت ولايته لقضاء الجماعة المعبَّر عنه فى المشرق بقضاء القضاة ستة عشر عاما كاملة لم يُحفَظ عليه فيها جَوْر فى قضيّة، ولا قَسْم بغير سويّة، ولا ميل بهوى ولا اصغاء الى عناية رحمه الله ورضى عنه ودفن بمقبرة قريش بالربَض الغربى من قرطبة اعادها الله للاسلام جوفى مسجد السيّدة الكبرى بقرب داره، وله رحمه تواليف مفيدة منها كتاب احكام القرآن والناسخ والمنسوخ وغير ذلك فى الفقه والكلام فى الردّ على اهل المذاهب تغمده الله برضوانه، وكتب بعض الادبآء الى القاضى منذر بقوله

a) Voyez Sour. 7, vs. 154. b) Voyez sur cette expression Ibn-Khallikān, n°. 637, éd. Wüstenfeld, p. ١٨. Les man. portent المعارضة

مسألةٌ جئتُك مستفتيا   عنها وانت العالم المُستشارْ
عَلامَ تحمرّ وجوهُ الظبا   وأوْجُهُ العُشّاق فيها اصفرارْ

فاجابه منذر بقوله   احمرّ وجهُ الظبْي اذ لحظُه   سيفٌ على العُشّاق فيه احْورارْ
وأصفرّ وجه الصبّ لمّا نأى   والشمس تلقى للمغيب اصفرارْ

وممن رحل الى المشرق من الاندلس فشهد له بالسبق كل اهل المغرب والشرق
الامام العلامة ابو القاسم الشاطبى صاحب حِرْز الامانى والعَقيلة وغيرهما وهو ابو القاسم *a*
القاسم بن فيرّه بن خلف بن احمد الرعينى الشاطبى المقرى الفقيه الحافظ الضرير
احد العلماء المشهورين والفضلاء المذكورين خطب ببلدة *b* شاطبة مع صغر سنه ودخل
الديار المصريّة سنة ٥٧٢ وحضر عند الحافظ السلفى وابن برى وغيرهما وولد بشاطبة
آخر سنة ٥٣٨ وتوفى بالقاهرة يوم الاحد الثامن والعشرين وقيل الثامن عشر من جمادى
الاخرة سنة ٥٩٠ بعد العصر ودفن من الغد بالتربة الفاضلية بسفح المقطّم وحكى ان
الامير عزّ الدين موسك الذى كان والدُ ابن الحاجب حاجبا له بعث الى الشيخ
الشاطبى يدعوه الى الحضور عنده فامر الشيخ بعض اصحابه ان يكتب اليه

قُلْ للامير مقالةً   من ناصحٍ فَطِنٍ نبيهْ   انّ الفقيه اذا اتى   ابوابَكم لا خير فيهْ

ومن نظمه رحمه تع

خالصتُ ابناء الزمان فلم اجد   من لم أرَ منه ارتيادىَ مخلصى
ردّ الشباب وقد مضى لسبيله   اهْيَا وامكَنُ من صديق مُخْلص

وكان رحمه قرأ بشاطبة القرآات واتقنها *c* على النفرى *d* ثم انتقل الى بلنسية فقرأ
بها التيسير من حفظه على ابن هذيل وسمع الحديث منه ومن ابن النعمة *e* وابن
سُعادة وابن *f* عبد الرحيم وغيرهم وارتحل الى المشرق فاستوطن القاهرة واشتهر اسمه
وبَعُد صيتُه وقصده الطلبة من النواحى وكان اماما علامة ذكيا كثير الفنون منقطع
القرين رأسا فى القرآات حافظا للحديث بصيرا بالعربيّة واسع العلم وقد سارت الركبان
بقصيدته حِرْز الامانى وعقيلة أتراب القصائد اللتين فى القرآات والرسْم وحفظهما خلق

a) Ce mot manque dans B.; Ibn-Khallikān (n°. 548) ابو محمد. *b*) S. ببلده. *c*) العرآن واتقنه.
d) B. et L. النفزى; voyez Ibn-Khallikān, n°. 548. *e*) Telle est la leçon des manuscrits d'al-Makkarī; Ibn-Khallikān (n°. 548) محمد بن عبد النعيم الخزرجى. *f*) B. وابى.

لا يُحصَون وخضع لهما فحول الشعرآء وكبار البلغآء وحُذّاق القُرّاء ولقد اوْجَز وسهّل الصعب، وممن روى عنه ابو الحسن بن خيرة *a* ووصفه من قوة الحفظ بامر معجب وممن قرأ عليه بالروايات الامام الشهير محمد بن عمر القرطبى وتصدّر الشاطبى رحه للاقرآء بالمدرسة الفاضلية وكان موصوفا بالزهد والعبادة والانقطاع وقبره بالقرافة يزار وتُرجَى استجابة الدعاء عنده وقد زرته مرارا ودعوت الله بما نرجو قبوله وترك اولادا منهم ابو عبد الله محمد عاش نحو ثمانين سنة، وقال السبكى *b* فى حق الامام الشاطبى انه كان قوى الحافظة واسع المحفوظ كثير الفنون فقيها مقرئا محدّثا نحويا زاهدا عابدا ناسكا يتوقد ذكاء، قال السخاوى اقطع انه كان مكاشفا وانه سأل الله كتمان حاله ما كان احد يعلم اى شىء هو انتهى، وترجمته واسعة رحه ونفعنا به، وقال ابن خلّكان ولقد *c* ابدع فى حرز الامانى *كلّ الابداع *d* وهى عمدة قُرّاء هذا الزمان فى نقلهم فقلّ من يشتغل بالقرآآت الا ويقدم حفظها ومعرفتها وهى مشتملة على رموز عجيبة واشارات لطيفة وما اظنّه سبق الى اسلوبها، وقد رُوِى عنه انه كان يقول لا يقرأ احد قصيدتى هذه الا وينفعه الله عز وجل لانى نظمتها لله تعالى مخلصا، وكان عالما بكتاب الله تعالى قِراءة وتفسيرا وبحديث رسول الله صلّعم مبرزا فيه، وكان اذا قرِئ عليه صحيحا البخارى ومسلم والموطّأ يُصحّح النُسَخ من حفظه ويملى النكَت على المواضع المحتاج *e* اليها، وكان اوحد فى علم النحو واللغة عارفا بتفسير الرؤيا حسَن المقاصد مخلصا فيما يقول ويفعل وكان يجتنب فضول الكلام ولا ينطق فى سائر اوقاته الّا بما تدعو اليه ضرورة ولا يجلس للقرآءة الا على طهارة فى هيئة حسنة وتخشّع واستكانة وكان يعتلّ العلّة الشديدة فلا يشتكى ولا يتأوّه واذا سُئل عن حاله قال العافية لا يزيد على ذلك وكان كثيرا ما ينشد هذا اللغز فى النّعْش وهو لابى زكريا يحيى بن سلامة الخطيب

اتعرف شيئا فى السمآء نظيره ... اذا سار صاح الناسُ حيث *f* يسيرُ
فتلقاه مركوبا وتلقاه راكبا ... وكل امير يعتليه *g* اسيرُ
يحضّ على التقوى ويكره قربه ... وتنفر منه النفس وهو نذيرُ .

a) S. حيرة. *b*) S. الشُبكى. *c*) Au lieu de ولقد les manuscr. d'al-Makkarî portent انه كان. *d*) Ces mots manquent dans les manuscrits d'al-Makkarî. *e*) Lisez المحتاجة. *f*) O. اين. *g*) S. يغتشيه.

ولم يستنزره[a] عن رغبة فى سبيله   ولكن على رَغْم المزور يزورُ

وكان يقال عند دخوله الى مصر انه يحفظ وِقْر بعير من العلوم وكان نزيل القاضى الفاضل ورتّبه[b] بمدرسته بالقاهرة وقيل ان كنيته ابو محمد حسبما وجد فى بعض اجازاته رحمه تع ٭

ومن الراحلين الى المشرق[c] من الاندلس الامام القاضى ابو بكر بن العربى ٭ قال ابن سعيد هو الامام العالم القاضى الشهير فخر العرب ٭ ابو بكر محمد بن عبد الله بن العربى المعافرى قاضى قضاة كورة اشبيلية ذكره الحجارى فى المسهب طبق الآفاق بفوائده ٭ وملأ الشام والعراق باوابده ٭ وهو امام فى الاصول والفروع وغير ذلك ٭ ومن شعره وقد ركب مع احد الامرآء الملثمين وكان ذلك الامير صغيرا فهزّ عليه رمحا[d] كان فى يده مداعبا فقال

يهزّ علىّ الرمحَ ظبىٌ مهفهفٌ   لعوب بألباب البريّة عابثُ
ولو كان رمحا واحدًا[e] لاتّقيتُه   ولكنه رمح وثانٍ وثالثُ

وقوله وقد دخل عليه غلام جميل الصورة فى لباس خشن

لَبِس الصوف لكى انكرَهُ   واتانا شاحبا[f] قد عبسا
قلتُ ايه قد عرفْناك وذا   جُلُّ سوء لا يعيب الفرَسا
كلّ شىء انت فيه حسَنٌ   لا يبالى حسَنٌ ما لبسا

وزعم بعض ان الابيات ليست له وانما تمثّل بها والله اعلم ٭ وممن عرف بابن العربى وذكره ابن الامام فى سمط الجمان والشقندى فى الطرف[g] وكان قد صحب المهدى محمد بن تومرت بالمشرق فاوصى عليه عبد المومن وكان مكرما عنده ٭ وحكى انه كتب كتابا فاشار عليه احد[h] من حضر ان يذرّ عليه نشارة فقال قف ثم فكر ساعة وقال اكتبْ

لا تشنْه بما تذرّ عليه   فكفاه هبوبُ هذا الهوآء
فكأنّ الذى تذرّ عليه   جُدَرىّ بوجنة حسْنآء

ونعى ابا بكر الطرطوشى وما برح معظّما الى ان تولّى خُطّة القضاء ووافق ذلك ان

a) S. يستنزر. b) O. رتبة. . c) S. المغرب. d) Telle est la leçon de B. O. et R.; les autres manuscrits (G. L. La. et S.) portent رميحا. e) Telle est la leçon du man. O.; les autres portent ولو انه رمح اذا. f) G. شاجا , S. شاحنا. g) B. الطرق , S. الظرف. h) B. S. بعض.

احتاج سُورُ اشبيلية الى بنيان جهة منه ولم يكن فيها مال متوفر ففرض على الناس جلودَ ضحاياهم وكان ذلك فى عيد الأضحا فاحضروها كارهين ثم اجتمعت العامّة العمياء وثارت عليه ونهبوا داره وخرج الى قرطبة، وكان فى احد ايام الجمع قاعدا ينتظر الصلاة فاذا بغلام رومى وضىء قد جاء يخترق الصفوف بشمعة فى يده وكتاب معتّق فقال

وشَمعة تحملها شمعةٌ ٠ يكاد يخفى نورُها نارَها
لو لا نُهَى نفسٍ نهت غيّها لقبّلتْه واتت عارَها

ولما سمعها ابو عمران الزاهد قال انه لم يكن يفعله ولكنه هزّته أريَحيّة الادب ولو كنت انا لقلتُ

لولا الحياء وخوفُ الله يمنعنى وأن يقالَ صبا موسى على كِبَرِهْ
اذًا لمتّعتُ لحظى فى نواظره حتى اوفّى جفونى الحق من نظرِهْ

رجع الى اخبار ابن العربى فنقول انه سمع بالاندلس اباه وخاله ابا القاسم الحسن الهوزنى وابا عبد الله السرقسطى وببجاية ابا عبد الله الكلاعى وبالمهدية ابا الحسن ابن الحدّاد الخولانى وسمع بالاسكندريّة من الأنماطى وبمصر من ابى الحسن الخلعى وغيره وبدمشق غير واحد كابى الفتح نصر المقْدسى وبمكة ابا عبد الله الحسين الطبرى وابن طلحة وابن بندار وقرأ الادب على التبريزى وعمل رحمه على مدينة اشبيلية سورا بالحجارة والأجُرّ بالنورة من ماله وكان كما فى الصِلة حريصا على *ادآء المعارف ونشرها ª ثاقب الذهن فى تمييز الصواب فيها ويجمع الى ذلك كله آداب الاخلاق مع حُسن المعاشرة ولين الكنف وكثرة الاحتمال وكرم النفس وحسن العهد وثبات الودّ، وذكره ابن بشكوال فى الصلة وقال فيه هو الامام الحافظ ختام علمآء الاندلس رحل الي المشرق مع ابيه مستهل ربيع الاول سنة ٤٨٥ ودخل الشام والعراق وبغداد وسمع بها من كبار العلماء ثم حج فى سنة ٨٩ وعاد الى بغداد ثم صدر منها، وقال ابن عساكر خرج من دمشق راجعا من مقرّه سنة ٤٩١ ولما غرب صنّف عارضة الأحْوَذى ولقى بمصر والاسكندرية جملة من العلمآء ثم عاد الى الاندلس سنة ٤٩٣ وقدم اشبيلية بعلم كثير وكان موصوفا بالفضل والكمال وولى القضاء باشبيلية ثم صرف عنه ومولده ليلة يوم الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ٤٦٨ وتوفى

a) J'ai corrigé ces mots d'après Ibn-Khallikān, n°. 637. Les manuscrits d'al-Makkarī portent: ادآيها وسيرها.

بمقيلة بقرية a من مدينة فاس وهو بفاس فى ربيع الآخر سنة ٥٤٣ انتهى كلام ابن سعيد وغيره ملخصا وما وفّى ابنُ سعيد حافظ الاسلام ابا بكر بن العربى حقه فلنُعَزِّزه بما حضرنا من التعريف به فنقول انه لقى ببغداد الشاشى ابا بكر والامام ابا حامد الطوسى الغزالى ونقل عنه انه قال كل مَن رحل لم يات * بمثل ما b اتيتُ به من العلم الّا الباجى او كلامًا هذا معناه وكان من اهل التفنّن فى العلوم متقدما فى المعارف كلها متكلما على انواعها حريصا على نشرها وقام بامر القضاء احمدَ قيام مع الصرامة فى الحق والقوّة والشدة على الظالمين والرفق بالمساكين وقد روى عنه انه امر بثقْب أشداق زامر ثم صُرف عن القضاء واقبل على نشر العلم وبثّه وقرأ عليه الحافظ ابن بشكوال باشبيلية، وقال ابن الآبّار ان الامام الزاهد العابد ابا عبد الله ابن مُجاهد الاشبيلى لازم القاضى ابن العربى نحوا من ثلاثة اشهر ثم تخلف عنه فقيل له فى ذلك فقال كان يُدرس وبغلتُه عند الباب ينتظر الركوب الى السلطان انتهى، وذكره ابن الزبير فى صلته وقال انه رحل مع ابيه ابى محمد عند انقراض الدولة العبادية وسنّه نحو سبعة عشر عاما الى ان قال وقيّد الحديثَ وضبط ما روى واتسع فى الرواية واتقن مسائل الخلاف والاصول والكلام على ائمة هذا الشان، ومات ابوه بالاسكندرية اول سنة ثلاث وتسعين فانصرف حينئذ الى اشبيلية فسكنها وشُوور فيها وسمع ودرس الفقه والاصول وجلس للوعظ والتفسير وصنف فى غير فن تصانيف مليحة حسنة مفيدة وولى القضاء مدة اولها فى رجب من سنة ٢٨ فنفع الله به لصَرامته ونفوذ احكامه والتزم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى اوذى فى ذلك بذهاب كُتُبه وماله فاحسن الصبر على ذلك كله ثم صُرف عن القضاء واقبل على نشر العلم وبثّه وكان فصيحا حافظا اديبا شاعرا كثير المُلَح مليح المجلس، ثم قال قال القاضى عياض بعد ان وصفه بما ذكرتُه ولكثرة حديثه واخباره وغريب حكاياته ورواياته اكثر الناسُ فيه الكلامَ وطعنوا فى حديثه وتوفى منصرفه من مرّاكش من الوجهة c التى توجّه فيها مع d اهل بلده الى الحضرة بعد دخول الموحّدين مدينة اشبيلية فحبسوا بمرّاكش نحو عام ثم سُرحوا فادركته منيته وروى عنه خلق كثير منهم القاضى

a) B. et S. بمقبرة , L. بقرية. Je suppose qu'il faut lire بمَقيل , au lieu de بمقيلة. Ibn-Khallik. l. l. a بالعدوة. b) B. et S. بما. c) S. الرجعة. d) G. L. من.

عياض وابو جعفر بن الباذش وجماعة انتهى ملخصا، ووقع فى عبارة ابن الزبير تبعا لجماعة انه دُفن خارج باب الجيسة بفاس والصواب خارج باب المحروق كما اشبعتُ الكلام فى ذلك فى ازهار الرياض وقد زرتُه مرارا وقبره هنالك مقصود للزيارة خارج القصبة وقد صرح بذلك بعض المتقدمين الذين حضروا وفاته وقال انه دفن بتربة القائد مظفر خارج القصبة وصلى عليه صاحبه ابو الحكم بن حجّاج رحه، ومن بديع نظمه

أتَتْنى تُؤَنِّبنى بالبكا فاهلًا بها وبتأنيبها
تقول وفى نفسها حَسْرةٌ اتبكى بعين ترانى بها
فقلتُ اذا استحسنتْ غيركم امرتُ جفونى بتعذيبها

وقال رحه دخل علىّ الاديب ابن صارة وبين يدىّ نارٌ علاها رمادٌ فقلت له قُلْ فى هذه فقال شابت نواصى النار بعد سوادها وتستّرت عنا بثوب رَمادِ
ثم قال لى اجِزْ فقلت شابت كما شبنا وزال شبابنا فكأنما كنّا على ميعادِ
وقد اختلف حُذّاق الادباء فى قوله ولكنه رمح وثان وثالث ما هو الثانى والثالث فقيل القد واللحظ وقيل غير ذلك، ولما ذكر رحه فى كتابه قانون التاويل ركوبَه البحر فى رحلته من افريقية قال وقد سبق فى علم الله تعَ ان يعْظم علينا البحر بزوله b، ويغرقنا فى هوله c،، فخرجنا من البحر، خروج الميت من القبر،، وانتهينا بعد خطْبٍ طويل الى بيوتِ بنى كعب بن سُليم ونحن من السغب d على عطب ومن العُرَى فى اقبح زى قد قذف البحر زِقاقَ زيت e مزّقت الحجارة هيئتها، ودسمت الادْهان وبرها وجلدتها،، فاحتزمناها f ازرا واشتملناها لفافا g تمجنا الابصار، وتتخذلنا الانصار،، فعطف اميرهم علينا فاوينا اليه فآوانا، واطعمنا الله تعَ على يديه وسقانا، واكرم مثوانا وكسانا،، بامر حقير ضعيف، وفن من العلم طريف،، وشرحُه انّا لما وقفنا على بابه الفيناه يدير h اعواد الشاه، فعل السامد اللاهْ،، فدنوت منه فى تلك الاطمار، *وسمح لى بيانذقته i اذ كنت من الصغر فى حدّ يسمح فيه للاغمار j،، ووقفت بازائهم انظر الى تصرّفهم من ورائهم،، اذ كان علق بنفسى بعض ذلك من بعض القرابة فى

a) S. البانش. b) La. بنزوله. c) Lb. ويغرقنا بهوله. d) Telle est la leçon de La. et R.; G. L. Lb. الشغب, S. الشعب. e) O. ربب. f) Lb. فاحتملناها. g) R. لفاقا. h) Telle est la leçon d'O.; les autres manuscrits portent يدير. i) La. وسمح لى بما يغنيه. j) Lb. للاعمار, O. الاغْمار.

خُلس البطالة، مع غلبة الصبوة والجهالة،، فقلت للبيانقة الامير اعلم من صاحبه فلمحونى شزرا، وعظمت فى اعينهم بعد ان كنتُ نَزرا،، وتقدم الى الامير مَن نقل الكلام اليه فاستدنانى فدنوتُ منه وسألنى هل لى بما هم فيه بصر، فقلت لى فيه بعض نظر، سيبدو لك ويظهر،، حرّكْ تلك القطعة ففعل وعارضه صاحبه فامرتُه ان يحرك اخرى، وما زالت الحركات بينهم كذلك تَتْرَى،، حتى هزمهم الامير، وانقطع التدبير، فقالوا ما انت بصغير،، وكان فى اثناء تلك الحركات قد ترنّم ابن عمّ الامير منشدا ᵃ واحلى الهوى ما شكّ فى الوصل ᵇ ربّه وفى الهجر فهو الدهر يرجو ويتّقى فقال لعن الله ابا الطيب أَوَيشك الربّ فقلت فى الحال ليس كما ظنّ صاحبك ايها الامير انما اراد بالرب هٰهنا الصاحب يقول الذّ الهوى ما كان المحبُّ فيه من الوصال، وبلوغ الغرض والآمال،، على ريب فهو فى وقته كله على رجاء لما يؤمّله وتقاة لما يقع ᶜ به كما قال اذا لم يكن فى الحُبّ سُخط ولا رضى فأيْن حلاوات الرسائل والكُتْب واخذنا نضيف الى ذلك من الاغراض، فى طرفَى الابرام والانتقاض، ما حرّك منهم الى جهتى دواعى ᵈ الانتهاض،، واقبلوا يتعجبون منى، ويسألوننى كم سنّى، ويستكشفوننى عنّى،، فبقرت لهم حديثى، وذكرت لهم نجيثى،، واعلمت الامير بانّ ابى معى فاستدعاه، وقمنا الثلاثة الى مثواه،، فخلع علينا خلعه، واسبل علينا ادمُعَه،، *وجاء كل خوان ᵉ، بافنان الالوان، ثم قال بعد المبالغة فى وصف ما نالهم من اكرامه فانظر الى هذا العلم الذى هو للجهل اقرب، مع تلك الصُّبابة اليسيرة من الادب، كيف انقذا من العطب، وهذا الذكر يرشدكم ان عقلتم الى المطلب،، وسرنا حتى انتهينا الى ديار مصر انتهى مختصرا والنزول العجب ونجيث الخبر ما ظهر من قبيحه يقال بدا نجيث القوم اذا ظهر شرّهم ᶠ الذى كانوا يخفونه قالهما الجوهرى، وذكر رحه فى رحلته عجائب منها انه حكى دخوله بدمشق بيتَ بعض الاكابر انه راى فيه النهر جائيا ᵍ الى موضع جلوسهم ثم يعود من ناحية اخرى فلم افهم معنى ذلك حتى جاءت موآئد الطعام فى النهر المقبل اليها فاخذها الخدم ووضعوها بين يدينا فلما فرغنا القى الخدم الاوانى وما معها فى النهر الراجع فذهب

---

a) La. ajoute بقول ابى الطيب المتنبى. b) La. et O. القرب. c) G. L. Lb. S. يقطع. d) B. G. L. S. داعى. e) Lb. وجاءنا الخوان. f) Les man. portent سرهم g) B. S. جاريا ☆

. بها الماء الى ناحية الحـ[illegible]سان يقرب الخدم تلك الناحية فعلمتَ السر وان هذا لعجيب انتهى [illegible]. وقال فى قانون التاويل ورد علينا دانشمند يعنى الغزالى فنزل برباط ابى سعيد a بازآء المدرسة النظامية مُعْرضا عن الدنيا مقبلا على الله تعّ فمشينا اليه وعرضنا أُمنيّتنا عليه وقلتُ له انت ضالّتنا التى كنّا ننشد، وامامُنا الذى به نسترشد،، فلقينا لقاء المعرفه، وشاهدنا منه ما كان فوق الصفه،، وتحقّقْنا ان الذى نُقِل الينا من انّ الخبر علىْ الغائب فوق المشاهدة ليس على العُموم ولو رآه على بن العبّاس لما قال

اذا ما مدحتَ آمرًا غائبا   فلا تَغلُ فى مدحه واقصِد
فانّك ان تَغْلُ تغل الظنو   نُ فيه الى الابد الابعد
فيصغُر من حيث عظّمتَه   لفضل المغيب على المشهد

انتهى، وكنت نقلت من المطمح فى حقه ما صورته الفقيه الحافظ ابو بكر بن العربى عَلمُ الاعلام الطاهر الاثواب b، الباهر الالباب،، الذى انسى ذكاء اياس، وترك التقليد للقياس،، وانتج الفرع من الاصل، وغدا فى يده c الاسلام امضى من النصل،، سقى الله به الاندلس بعد ما اجدبَت من المعارف، ومدّ عليها منه الظلّ الوارف،، وكساها رونق نُبله، وسقاها ريّق وَبْله،، وكان ابوه ابو محمد باشبيلية بدرا فى فلكها، وصدرا فى مجلس ملكها،، واصطفاه معتمد بنى عبّاد، اصطفاء المامون لابن ابى دُوَاد d،، وولّاه الولايات الشريفه، وبوّأه المراتب المنيفه،، فلما اقفرت حمص من ملكهم وخلت، *والقتهم منها وتخلت e،، رحل به الى المشرق، وحلّ فيه محلّ الخائف الفرق،، فجال فى اكنافه، واجال فيها قداح الرجاء f فى استقبال العز واستئنافه،، فلم يسترد ذاهبا، ولم يجد كمعتمده باذلا له وواهبا،، فعاد الى الرّواية والسماع، وما استفاد فى آمال g تلك الاطماع،، وابو بكر اذذاك فى ثرى الذكاء قضيب ما دوّح h، وفى روض الشباب

a) S. سعيد. b) Les manuscr. d'al-Makkarī portent الابواب. c) Ce mot manque dans les manuscr. d'al-Makkarī. d) J'ai corrigé d'après le Kāmous *in voce* داد; L. دَوّاد; voyez aussi Ibn-Khallikān, n°. 35, où il faut lire احمد بن ابى دُواد au lieu de دآاد; *Maim.* P. اصطفا المامون لابى عباد. e) *Matmah* P. والفت ما فيها. f) *Matm.* P. الملك. g) *Matm.* L. حبالة. h) *Matm.* P. (et al-Makk. S.) روح, L. دوّخ.

زهر ما صوّح a ،، فالزمه مجالسه العلم رائحا وغاديا ، ولازمه سائقا b اليها وحاديا c ،، حتى استقرت به مجالسه ، واطّردت له مقاتسه ،، فجدّ فى طلبه ، واستجد به ابوه متمزق d اربه e ،، ثم ادركه حمامه ، ووارته هناك رجامه f ،، وبقى ابو بكر متفردا ، وللطلب متجردا ،، حتى اصبح فى العلم وحيدا ، ولم تجد عنه رئاسته محيدا ،، فكرّ الى الاندلس فحلّها والنفوس اليه متطلّعة ، ولانبائه متسمّعة ،، فناهيك من حُظوة لقى ، ومن عزة سقى ، ومن رفعة سما اليها ورقى ،، وحسبك من مفاخر قلدها ، ومحاسن انس * اثبتها فيها وخلدها g ،، وقد اثبت من بديع نظمه ما يهزّ اعطافا ، * وتردُّه الافهام نطافا h ،، فمن ذلك قوله يتشوق الى بغداد ، ويخاطب فيها اهل الوداد ،،

أمنْك سرى والليلُ يخدع بالفجر   خيالُ حبيب قد حوى قصَب الفخر
جلا ؛ ظلمَ i الظلماء مشرقُ نوره   ولم يَخبط الظلماء بالانجم الزهر
ولم يرض بالارض البسيطة مَسْحَبا   فصار على الجوزاء لى فلك يسرى k
وحثّ مطايا قد مطاها بعزّة   فاوطأها قَسْرا على قُنّة l النسر
فصارت ثقالا بالجلالة فوقها   وسارت عجالا تتّقى ألمَ الزجر
وجرّت على ذيل m المجرّة ذيلَها   فمن ثمّ يبدو ما هناك لِمَن يسرى
ومرّت على الجوزاء توضع فوقها   فآثارُ ما مرّت به كلفُ البدر
وساقت اريجَ n الخلد فى جنّة العُلى   فدعْ عنك رملا * ما لا ينعم o يستدرى
فما حذرت قيسا ولا خيلَ عامرٍ   ولا اضمرت خوفا لقاء بنى ضمرِ
سقا الله مصرا والعراق واهلها   وبغداد والشامين منهمل القطرِ

ومن تآليف الحافظ ابى بكر بن العربى المذكور كتاب القبس فى شرح موطّأ مالك ابن انس ، وكتاب ترتيب المسالك فى شرح موطأ مالك ، وكتاب انوار الفجر ، وكتاب احكام القران ، وكتاب عارضة الأحْوَذى فى شرح الترمذى والاحوذى بفتح

a) *Matmah* L. صوح. b) *Matm.* P. L. سابقا. c) *Matm.* P. وجاريا , L. وحاديها , R. وجاذيا ; al-Makkarī S. وجائيا. d) *Matm.* L. متخرق. e) *Matm.* P. R. ادبه. f) *Matm.* P. رخامه. g) *Matm.* P. نبتها فيها وقلدها. h) *Matm.* P. L. (P. الافهام) الاوهام (P. وترده) وتره. i) *Matm.* P. L. سرى. j) *Matm.* L. زهر. k) Al-Makkarī يجرى. l) *Matm.* P. L. ثمة. m) *Matm.* L. ظهر. n) S. اريح. o) Telle est la leçon du man. O. ; tous les autres manuscrits, tant d'al-Makkarī que d'Ibn-Khākān, portent بالانيعم, leçon dont je ne puis comprendre le sens.

الهمزة وسكون الحاء [illegible] وفتح الواو وكسر الذال المعجمة وآخره ياء مشددة، وكتاب مراقى [illegible] وكتاب الخلافيات، وكتاب نواهى الدواهى، وكتاب سِرّاج المريدين، وكتاب المشكلين مشكل القرآن والسنة، وكتاب الناسخ والمنسوخ فى القرآن، وكتاب قانون التاويل، وكتاب النيّرين فى الصحيحين، وكتاب سراج المهتدين، وكتاب الامَد الاقصى باسماء الله الحسنى وصفاته العُلى، وكتاب فى الكلام على مشكل حديث السبحات والحجاب، وكتاب العقد الاكبر للقلب الاصغر، وتبيين الصحيح فى تعيين الذبيح، وتفصيل التفصيل بين التحميد والتهليل، ورسالة الكافى فى أن لا دليل على النافى، وكتاب السباعيات، وكتاب المسلسلات *a*، وكتاب المتوسّط فى المعرفة بصحة الاعتقاد والردّ على من خالَف اهل السنة من ذوى البِدَع والالحاد، وكتاب شرح غريب الرسالة، وكتاب الانصاف فى مسائل الخلاف عشرون مجلّدا، وكتاب حديث الافك، وكتاب شرح حديث جابر فى الشفاعة، وكتاب شرح حديث امّ زَرْع *b*، وكتاب سَتر العورة، وكتاب المحصول فى علم الاصول، وكتاب اعيان الاعيان، وكتاب ملجاة المتفقهين الى معرفة غوامض النحويين، وكتاب ترتيب الرحلة وفيه من الفوائد ما لا يوصَف، ومن فوائد القاضى ابى بكر بن العربى رحه قوله قال علماء الحديث ما من رجل يطلب الحديث الا وكان *c* على وجهه نضرة لقول النبىّ صلعم نضّر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فادّاها كما سمعها الحديث قال وهذا دُعاء منه عليه الصلاة والسلام لحملة علمه ولا بدّ بفضل الله من نيل بركته انتهى والى هذه النضرة اشار ابو العباس العزفى *d*

اهلُ الحديث عصابةُ الحقّ   فازوا بدعْوة سيّد الخلق

فوجوهُهم زهْرٌ منضّرة   لَأْلاؤها كتـ ـ البرق

يا ليتنى معهم فيُدْركنى   ما ادركوه بها من السبق

انتهى، ولا باس ان نذكر هنا بعض فوائد الحافظ ابى بكر بن العربى رحه، فمنها قوله فى تصريف المحصَنات يقال أحْصَنَ الرجل فهو مُحصَن بفتح الصاد فى اسم الفاعل وأسْهَبَ فى الكلام فهو مُسْهَب اذا اطال البحث فيه وألْفَجَ فهو مُلْفَج *e* اذا كان عديما

a) S. المثلثات. *b*) G. ذرع ; voyez *Hamāsa*, p. ۴٥ med. *c*) Les manuscrits portent كان.
d) Telle est la leçon de L. et O., les autres man. portent الغرفى, S. العرفى ; voyez Veth, *Lobb al-lobāb*, p. ۱۷۹, note *n*. *e*) Les man. portent الفح et ملفح.

لا رابع له والله اعلم انتهى ومنها قوله سمعت الشيخ فخر الاسلام ابا بكر الشاشى وهو ينتصر لمذهب ابى حنيفة فى مجلس النظر يقول يقال فى اللغة العربيّة لا تقرَبْ كذا بفتح الرآء اى لا تلتبس بالفعل واذا كان بضم الرآء كان معناه لا تدنُ من الموضع وهذا الذى قاله صحيح مسموع، ومنها قوله شاهدتّ المائدة بطور زيتا مرارا، واكلت عليها ليلا ونهارا، وذكرت الله سبحانه وتعالى فيها سرًّا وجهارا، وكان ارتفاعها اشفّ من القامة بنحو الشبر وكان لها a درجتان قبليًّا وجنوبيًّا وكانت صخرة صلودا لا تؤثّر فيها المَعاول وكان الناس يقولون مُسخت صخرة اذ مُسخ اربابها قردة وخنازير b والذى عندى انها كانت صخرة فى الاصل قطعت من الارض محلًّا للمائدة النازلة من السماء وكلّ c ما حولها حجارة مثلها وكانت a ما حولها محفوفة بقصور وقد نحتت فى ذلك الحجر الصلد بيوت ابوابها منها ومجالسها منها مقطوعة فيها وحناياها فى جوانبها وبيوت خدمتها قد صوّرت من الحجر كما تصوّر من الطين والخشب فاذا دخلتَ فى قصر من قصورها ورددت الباب وجعلت من ورآئه صخرة مقدار ثُمْن درهم لم يفتحه اهل الارض للصوقه بالارض واذا هبت الريح وحثّت تحته التراب لم يفتح الا بعد صَبّ الماء تحته والاكثار منه حتى يسيل بالتراب وينعرج منعرج الباب وقد بار بها قدم بهذه العلة وقد كنت اخلو فيها كثيرا للدرس ولكنى كنت فى كل حين اكنس حول الباب مخافة مما جرى لغيرى فيها وقد شرحتُ امرها فى كتاب ترتيب الرحلة باكثر من هذا انتهى، ومنها قوله رحمه تذاكرت بالمسجد الاقصى مع شيخنا ابى بكر الفهرى الطرطوشى d حديث ابى ثعلبة المرفوع انّ من ورائكم اياما للعامل فيها اجرُ خمسين منكم فقال بل منهم فقال بل منكم لانكم تجدون على الخير اعوانا وهم لا يجدون عليه اعوانا وتفاوضنا كيف يكون اجر مَن ياتى من الامّة اضعاف اجر الصحابة مع انهم اسّسوا الاسلام وعضدوا الدين واقاموا المنار، وافتتحوا الامصار، وحموا البيضة ومهّدوا الملة وقد قال صلعم فى الصحيح لو انفق احدكم كل يوم مثل أُحُد ذهبا ما بلغ مُدّ احدهم ولا نصيفه فتراجعنا القول وتحصّلَ ما اوضحناه فى شرح الصحيح وخُلاصته ان الصحابة رضهم كانت لهم اعمال كثيرة لا يلحقهم فيها احد ولا يدانيهم فيها بشر واعمال سواها من

a) O. ثلث. b) Voyez le Commentaire de Baiçâwî (éd. Fleischer) sur le *Korān*, sour. 5, vs. 115. c) Les man. portent وكان. d) L. ajoute فى.

فروع الدين يساويهم فيها في الاجر مَن أخلَص اخلاصهم وخلّصها من شوائب. البِدَع والرياء بعدهم والامر بالمعروف والنهى عن المنكر بابٌ عظيم هو ابتدآء الدين والاسلام وهو ايضا انتهآوءه وقد كان قليلا فى ابتدآء الاسلام صعب المرام لغلبة الكفار على الحق وفى اخر الزمان يعود كذلك لوعد الصادق صلّعم بفساد الزمان وظهور الفتن وغلبة الباطل واستيلاء التبديل والتغيير على الحق من الخلق وركوب من ياتى سَنَنَ مَن مضى من اهل الكتاب كما قال صلّعم لتركبنّ سَنَنَ مَن قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جُحْر ضبٍّ خرب لدخلتموه؛ وقال صلّعم بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فلا بدّ والله اعلم بحكم هذا الوعد الصادق من ان يرجع الاسلام الى واحد كما بدا من واحد ويضعف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى اذا قام به قائم مع احتواشه بالمخاوف وباع نفسه من الله تعَ فى الدّعآء اليه كان له من الاجر أضعافُ ما كان لمن كان متمكّنا منه مُعانا عليه بكثرة الدعاة الى الله تعَ وذلك قوله لانكم تجدون على الخير اعوانا وهم لا يجدون عليه اعوانا حتى ينقطع ذلك انقطاعا باتا لضعف اليقين وقلة الدين كما قال صلّعم لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الارض الله الله يروى بفتح الهاء ورفعها والرفع على معنى لا يبقى موحّد يذكر الله عز وجل والنصب على معنى لا يبقى آمرٌ بمعروف ولا ناهٍ عن منكر يقول اخاف الله وحينئذ يتمنى العاقل الموت كما قال صلّعم لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتنى كنتُ مكانَه انتهى؛ وانشد رحّه لبعض الصوفية

امتَحَن الله بذا خَلْقَه ... فالنارُ والجنّة فى قبضتهْ

فهجْرُه اعظمُ من نارهِ ... ووصلُه اطيب من جنّتهْ

ومن فوائد ابن العربى رحّه انه قال كنتُ بمجلس الوزير العادل ابى منصور بن جهير على رتبة بيّنّاها فى كتاب الرحلة للترغيب فى الملة فقرأ القارئ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ a وكنت فى الصفّ الثانى من الحلقة بظهر ابى الوفاء على بن عَقِيل امام الحنبلية بمدينة السلام وكان معتزلى الاصول فلما سمعتُ الآية قلت لصاحب لى كان يجلس على يسارى هذه الآية دليل على روية الله فى الآخرة فانّ العرب لا تقول لقيتُ فلانا الا اذا رأيته فصرف وجهه ابو الوفاء مُسْرِعا الينا وقال ينتصر لمذهب الاعتزال

a) Voyez sour. 33, vs. 43.

فى انّ الله لا يُرَى فى الآخرة فقد قال فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ اِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ a وعندك أن المنافقين لا يرون الله فى الآخرة وقد شرحنا وجه الآية فى المشكلين وتقدير الآية فاعقبهم هو نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه فيحتمل ضمير يلقونه ان يعود الى ضمير الفاعل فى اعقبهم المقدّر بقولنا هو ويحتمل ان يعود الى النفاق مجازا على تقدير الجزآء انتهى، ومنها ما نقله عن ابن عباس رضّه لا يقُلْ احدكم انصرفنا منَ الصلاة فان قوما قيل فيهم ثُمَّ ٱنْصَرَفُوا صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ b وقد اخبرنا محمد بن عبد الملك القيسى الواعظ اخبرنا ابو الفضل الجوهرى سماعا منه كُنّا فى جنازة فقال المنذر بها انصرفوا رحمكم الله فقال لا يقل احدكم انصرفوا فان الله تعَ قال فى قوم ذمّهم ثُمَّ ٱنْصَرَفُوا صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ولكن قولوا انقلبوا رحمكم الله فانّ الله تعَ قال فى قوم مدحهم فَٱنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ c انتهى، ومنها وقد ذكر الخلاف فى شاهد يوسف ما صورته فاذا قلنا انه القميص فكان يصحّ من جهة اللغة ان يخبر عن حاله بتقدم مقاله فان لسان الحال أبلغُ من لسان المقال فى بعض الامور وقد تُضيف العرب الكلام الى الجمادات بما تخبر عنه بما عليها من الصفات ومن احلاه قول بعضهم قال الحائط للوتد لم تشقّنى قال سَل مَن يدقّنى ما يتركنى ورأى هذا الذى ورآئى لكنّ قوله تعَ بعد ذلك مِنْ أَهْلِهَا d فى صفة الشاهد يُبْطِل ان يكون القميص وامّا من قال انه ابن عمّها او رجل من اصحاب العزيز فانه يحتمل لكن قوله مِنْ أَهْلِهَا يُعْطى اختصاصها من جهة القرابة انتهى، ومنها قوله انه كان بمدينة السلام امامٌ من الصوفية واىّ امام يُعرف بابن عطآء فتكلّم يوما على يوسف واخباره حتى ذكر تبرئته مما يُنسَب اليه من مكروه فقام رجل من آخر مجلسه وهو مشحون بالخليقة من كل طائفة فقال يا شيخ يا سيدنا فاذَنْ يوسف همّ وما تمّ فقال نعم لأنّ العناية من ثَمّ فانظروا الى حلاوة العالِم e والمتعلّم وفطنة العامّى f فى سؤاله والعالم فى اختصاره واستيفائه ولذا قال علماؤنا الصوفيّة ان فائدة قوله تعَ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وعِلْمًا g ان الله اعطاه العلم والحكمة ايام غلبة الشهوة ليكون له سببا للعصْمة انتهى، ومنها قوله كنتُ بمكة مقيما فى ذى الحجة سنة ٤٨٩ وكنت اشرب مآء زمزم كثيرا وكلما شربته نويتُ به العلم والايمان ففتح الله لى ببركته فى

a) Voyez sour. 9, vs. 78. b) Voyez sour. 9, vs. 128. c) Voyez sour. 3, vs. 168. d) Voyez sour. 12, vs. 26. e) S. العلام. f) S. العالم. g) Voyez sour. 12, vs. 22.

المقدار الذى يسّره لى من الخلع ونسيتُ أن اشربه للعمل ويا ليتنى شربته لهما حتى يفتح الله لى فيهما ولم يقدر فكان صفوى للعلم اكثر منه للعمل واسال الله الحفظ والتوفيق برحمته، ومنها قوله سمعتُ امام الحنابلة بمدينة السلام ابا الوفاء على بن عقيل يقول انّما تبع الولدُ الامّ فى الماليّة وصار بحكمها فى الرقّ والحرّيّة لانه انفصل عن الاب نطفة لا قيمة له ولا ماليّة فيه ولا منفعة مبثوثة عليه وانما اكتسب ما اكتسب بها ومنها فلذلك تبعها كما لو اكل رجل تمرا فى ارض رجل وسقطتْ منه نواة فى الارض من يد الآكل فصارت نخلة فانهـا مِلكُ صاحب الارض دون الآكل باجماع من الامّة لانها انفصلت عن الآكل ولا قيمة لها وهذه من البدائع انتهى، ومنها قوله ومن نوادر ابى الفضل الجوهرى ما اخبرنا عنه محمد بن عبد الملك الواعظ وغيره انه كان يقول اذا امسكتَ عَلاقة الميزان بالابهام والسبّابة وارتفعتَ سائر الاصابع كان شكلها مقرّرا بقولك الله فكأنه اشارة منه سبحانه فى تيسير الوزن كذلك الى ان الله سبحانه مُطْلِعٌ عليك فاعدل فى وزنك انتهى، ومنها قوله كان ابن الكازرونى ياوى الى المسجد الاقصى ثم تمتّعنا به ثلاث سنوات ولقد كان يقرأ فى مَهْد عيسى عم فيسمع من الطور فلا يقدر احد ان يصنع شيئا دون قرآءته الا الاصغاء اليه انتهى، ومنها قوله فى تفسير قوله تع فِى أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ a قيل انها كانت آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء والناس يكرهون السفر يوم الاربعاء لاجل هذه الرواية حتى انى لقيت يوما مع خالى الحسن بن ابى حفص رجلا من الكُتّاب فودّعنا بنيّة السفر فلما فارقنا قال لى خالى انك لا تراه ابدا لانه سائر فى يوم اربعاء لا يتكرر وكذا كان مات فى سفره وهذا ما لا اراه ان يوم الاربعاء يوم عجيب بما جاء فى الحديث من الخلق فيه والترتيب فان الحديث ثابت بأن الله خلق يوم السبت التربة ويوم الاحد الجبال ويوم الاثنين الشجر ويوم الثلاثاء المكروه ويوم الاربعاء النور وروى النون وفى غريب الحديث انه خلق يوم الاربعاء التِقْن وهو كل شىء تتقن به الاشياء يعنى المعادن من الذهب والفضة والنحاس والحديد والرَصاص فاليوم الذى خلق فيه المكروه لا يعافه الناس واليوم الذى خلق فيه النور او التقن يعافونه ان هذا لهو الجهل المبين، وفى المغازى ان النبىّ صلعم دعا على يوم الاثنين الى يوم الاربعاء بين

a) Voyez sour. 41, vs. 15.

الظهر والعصر فاستجيب له وهى ساعة فاصلة فالآثار الصحاح تدل على فصل هذا اليوم فكيف يدّعى فيه التحذير والنحس باحاديث لا اصل لها وقد صوّر قوم اياما من الاشهر الشمسية ادعوا فيها الكراهية لا يحلّ لمسلم ان ينظر اليها ولا يشغل بالّا بها والله حسيبهم [a] انتهى، ومنها وكان يقرأ معنا برباط ابى سعيد على الامام دانشمند من بلاد المغرب خُنْثى ليس له لحية وله ثديان وعنده جارية فربّك اعلم به ومع طول الصحبة عقلنى الحياء عن سؤاله، وبودّى اليوم لو كاشفتُه عن حاله،، انتهى،

ومن شعر ابن العربى مما نسبه له الشيخ ابو حيّان قوله [b]

ليت شعرى هل درَوا اىّ قلب ملكوا … وفؤادى لو درى اىّ شعْب سلكوا
اتراهم سلموا او تراهم هلكوا … حار ارباب الهوى فى الهوى وارتبكوا

ومن فوائده اخبرنى المهَرة من السَّحَرة بارض بابل مَن كتب آخر آية من كل سورة ويعلقها لم يبلغ اليه سِحْرنا قال هكذا قال والله اعلم بما نقلوه، وقال رحمه حذقت [c] القران ابن تسع سنين ثم ثلاثة لضبط القرآن والعربيّة والحساب فبلغت ست عشرة وقد قرأتُ من الاحرف نحوا من عشرة بما يتبعها من اظهار وادغام ونحوه وتمرّنت فى العربية واللغة ثم رحل بى ابى الى المشرق ثم ذكر تمام رحلته رحمه،

ومنهم ابو بكر محمد بن ابى عامر بن حجاج الغافقى الاشبيلى ومن نظمه بالمدينة ٩
المشرفة على ساكنها الصلاة والسلام

لم يبقَ لى سُؤْلٌ ولا مطلبٌ … مذ صرتُ جارا لحبيب الحبيبْ
لا أبتغى [d] شيءا سوى قُرْبَه … وها انا ـرـبـ قريبْ
مَن غاب عن حضرةِ محبوبه … فلستُ عن طَيْبَة ممّن يغيبْ
لا تسألِ المغبوط عن حاله … جارُ كريم ومحلّ خصيبْ
٥ العيش والموتُ هنا طيّب … بطيبة لى كلّ شىء يطيب

ومِمّن روى عنه هذه الابيات الاشرف ابن الفاضل،

ومنهم الشيخ الاديب البارع جمال الدين ابو عبد الله محمد بن الفقيه الخطيب

---

a) S. حسبهم. b) D'après une note qui se trouve sur la marge du manuscrit G., ces distiques sont du célèbre Çoufî Mohyî al-dîn Ibn-'arabî: والصواب ان الابيات للشيخ الاكبر محيى الدين ابن عربى رضه وهى فى ابتداء ترجمان الاشواق له. c) G. L. حفظت. d) O. يبتغى.

ابى الحسن محمد بن ابى عبد الله محمد بن عيسى بن محمد بن على بن زِنُّون *a* الانصارى المالقى من اشياخ ابى حيّان لقيه ببلبيس من ديار مصر قال وانشدنى لشيخه عبد الله الاستجى من قصيدة

ما للنسيم سرى الاصيلُ عليلا ... أتُراه يشكو لَوعةً وغليلا

جرّ الذيولَ على ديارِ احبّتى ... فاتى يجرّ من السقام ذيولا

وانشد رحمه لرضوان المخزومى ... ان كنتَ يوسف حسنا ... وكنتُ عبد العزيزِ

فانّ يوسف من قَبْلِ ... كان عبد العزيزِ

واخذ ابن زِنُّون المذكور عن ابى عبد الله بن صالح وقرأ للسبعة على ابى جعفر العجّام *b* وابى زيد القُمَارشى وعلى ابى جعفر السهيلى وولد ابن زنّون سنة ٦١٧ بمالقة ومن تواليفه نَفْح المسك الأذْفر في مدح المنصور بن المظفّر، وازهار الخميله في الآثار الجميله، واستطلاع البشير، ومَمْحَص اليقين، وروض المتّقين ٥،،

ومنهم زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمى المعروف بشبطون *d* يكنى ابا عبد الله كان فقيه الاندلس على مذهب مالك وهو اوّل من ادخل مذهبه الاندلس وكانوا قبله يتفقّهون على مذهب الاوزاعى واراده الامير هشام على القضاء بقرطبة وعزم عليه فهرب فقال هشام ليت الناس كلهم كزياد حتى أُكفى *e* اهل الرغبة فى الدنيا وارسل الى زياد حتى امنه فعاد الى داره، ويحكى انه لما اراده للقضاء كلّمه الوزراء فى ذلك عن الامير وعرّفوه عزمه عليه فقال لهم امّا ان اكرهتمونى على القضاء فزوجتى فُلانة طالق ثلاثا لئن اتانى مدّعٍ فى شىء مما فى ايديكم لاخرجنّه عنكم *f* ثم اجعلكم مدّعين فيه *g* فلمّا سمعوا ذلك علموا صدقه فتكلموا *h* عند الامير فى معافاته، سمع من مالك الموطأ ويُعرَف سماعه بسماع زياد وسمع من معاوية بن صالح وكانت ابنةُ مُعاوية تحته وروى يحيى بن يحيى الليثى عن زياد هذا الموطأ قبل ان يرحل الى مالك ثم رحل فادرك مالكا فرواه عنه الا ابوابا فى كتاب الاعتكاف شكّ فى سماعها من مالك فابقى روايته فيها عن زياد عن مالك وتوفى سنة ٢٠٤ وقيل سنة ١٩٣ وقيل

a) L. S. ذى النون. Je suppose que زِنُّون est formé de ذِى النّون par corruption. *b*) S. الفحام. *c*) G. المتعين. *d*) S. بسبطون. *e*) L. اكفر. *f*) Cette leçon se trouve dans *l'Histoire des cadis de Cordoue*, par al-Khochanī (man. d'Oxford, p. 205). Les man. d'al-Makkarī portent منه. *g*) فيه dans al-Khochanī; al-Makk. فيها *h*) B. G. L. فعملوا.

فى التى بعدها وقيل فى سنة ١٩٤ والاوّل اولى بالقبول والله اعلم ورحل فى ذلك العصر جماعة من نظرآء *a* شَبَطون كفرغوس بن العباس وعيسى بن دينـار *b* وسعيد بن ابى هند وغيرهم ممن رحل الى الحج ايام هشام بن عبد الرحمن والد الحكم فلما رجعوا وصفوا من فضل مـالك وسعة علمه وجلالة قـدره مـا عظم بـه صيته بالاندلس فـانتشر حينئذ رأيه وعلمه بـالاندلس وكان رائدَ الجمـاعة فى ذلك شبطون وهو اول من ادخل موطأ مالك الى الاندلس مكملا متقنـا فاخذه عنه يحيى بن يحيى كما مرّ وهو اذذاك صدْر فى طلاب الفقه فاشار عليه زياد بالرحيل الى مالك ما دام حيًّا فرحل سريعا واخذ يحيى عن زياد هذا الكتب العشرة المنسوبة الى يحيى ولقى ايضـا عبد الله بن وهب صـاحب مـالك وسمع منه الموطـأ ولقى ايضـا عبد الله بن نافع المدنى صاحب مالك وسمع منه ومن الليثَ بن سعد فقيه مصر ومن سفيان بن عيينة بمكة وقدم يحيى الاندلسَ ايام الحكم فانتشر به وبزياد وعيسى بن دينار عِلمُ مالك بالاندلس رضى الله عن الجميع وقد قدمنا الحديث الذى رواه زياد بن عبد الرحمن عن مالك فليراجع فى الباب الثالث،

١٢ ومنهم سوار بن طـارق *c* مولى عبد الرحمن بن معـاوية قرطبىّ حجّ ودخل البصرة ولقى الاصمعىّ ونظرآءه وانصرف الى الاندلس وادب الحكم ومن ولده محمد بن عبد الله بن سُوار حج ايضا ولقى ابا حاتم بـالبصرة والرياشيّ وغيرهمـا وادخـل الاندلس علما كثيرا رحم الله الجميع،

١٣ ومنهم بقى بن مخلد الشهير الذكر صاحب التآليف التى لـم يؤلَف مثلهـا فى الاسلام ولقى مائتين واربعة وثمـانين شيخـا وكانت له خـاصّة من الامام احمد بن حنبل رحّه وستاتى جملة مما يتعلّق ببقى بن مخلد فى رسالة ابن حزم فى البـاب السـابع، وبَقِىّ على وزن على رحّه ورضّه وقد عُرف ببقى بـن مخلد غير واحـد من العلماء كصاحب النبراس وغيره،

١٤ ومنهم قـاسم بن اصبغ بن محمد بن يوسف ابو محمد البيـانى وبيـانة من اعمال قرطبة واصل سلفه من موالى الوليد بن عبد الملك وسمع المذكور بقرطبة من بقى ابن مخلد ومحمد بن وضّـاح ومطرف بـن قيس واصبغ بـن خليل وابن مسرة وغير

a) Les man. portent انظار. *b*) L. زياد. *c*) B. سالف.

واحد ورحل الى المشرق مع محمد بن عبد الملك بن أيْمن ومحمد بن زكرياء ابن عبد الاعلى سنة ٢٧۴ فسمع بمكة من محمد بن اسمعيل الصائغ وعلى بن عبد العزيز ودخل العراق فلقى من اهل الكوفة ابراهيم بن ابى العنبس *a* قاضيها وابراهيم ابن عبد الله القصّار *b* وسمع ببغداد من القاضى اسمعيل واحمد بن زهير بن حرب وغيرهما كعبد الله بن الامام احمد بن حنبل والحارث بن ابى اسامة وكتب عن ابن ابى خَيْثمة *c* تاريخه وسمع من ابن قتيبة كثيرا من كتبه وسمع من المُبرّد وثعلب وابن الجهم فى اخرين وسمع بمصر من محمد بن عبد الله العُمرى ومطلب بن شعيب وغيرهما وسمع بالقيروان من احمد بن يزيد المعلّم وبكر بن حماد التاهرتى الشاعر وانصرف الى الاندلس بعلم كثير فمال النّاسُ اليه فى تاريخ احمد بن زهير وكتب ابن قتيبة واخذوا ذلك عنه دون صاحبيه ابن ايمن وابن عبد الاعلى وكان بصيرا بالحديث والرجال نبيلا فى النحو والعربيّة والشعر وكان يشاوَر فى الاحكام وصنع على كتاب السنن لابى داود كتابا فى الحديث وسببه انه لما قدم العراق سنة ٢٧٦ مع صاحبه محمد بن ايمن فوجدا ابا داود قد مات قبل وصولهما بيسير فلما فاتهما عمل كل واحد منهما مصنّفا فى السنن على ابواب كتاب ابى داود وخرّجا الحديث من روايتهما عن شيوخهما وهما مصنّفان جليلان ثم اختصر قاسم بن اصبغ كتابه وسماه المجتنى بالنون وابتدأ اختصاره فى المحرم سنة ٣٢۴ وجعله باسم الحكم المستنصر وفيه من الحديث المسنَد الفان واربعمائة وتسعون حديثا فى سبعة اجزاء ومولده يوم الاثنين عاشر ذى الحجة سنة ٣۴٧ رحمه الله وحكى القرطبىّ فى تفسيره عند قوله تع قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا اِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا *d* أنّ قاسم بن اصبغ قال لما رحلتُ الى المشرق نزلتُ القيروان فاخذتُ عن بكر بن حماد حديث *e* النبى صلعم انه قدم عليه قوم من مُضَر مجتابى النِّمار فقال انّما هو مجتابى الثمار فقلتُ انما هو مجتابى النمار هكذا قرأتُه على كل مَن لقيته بالاندلس والعراق فقال لى بدخولك العراق تُعارِضُنا وتفخر علينا او نحو هذا ثم قال لى قُمْ بنا الى ذلك الشيخ كان فى

a) S. العبس. *b*) B. G. الفصّاد. *c*) G. خيشمة; M. de Hammer-Purgstall (*Litteraturgeschichte der Araber*, IV, 457) le nomme خُتَيْمة. *d*) Voyez sour. 2, vs. 30. *e*) B. et S. ajoutent: مسنّد فقرأت عليه يوما فيه حديث.

المساجد فانّ له بمثل هذا عِلْماً نعمنا اليه وسالناه عن ذلك فقال انما هو مجتابى النمار كما قلتَ وهم قوم كانوا يلبسون الثياب مشقّقة جيوبهم امامَهم والنِمار جمع نَمِرة فقال بكر بن حماد واخذ بانفه رَغِم انفى للحق وانصرف انتهى، وهذه الحكاية دالّة على عظيم قدر الرجُلَين رحمهما الله ورضّهما،

---

١٥ ومنهم قاسم بن ثابت ابو محمد العوفى السرقسطى رحل مع ابيه فسمع بمصر من احمد بن شعيب النساءىّ واحمد بن عمرو البَزّار وبمكة من عبد الله بن على بن الجارود ومحمد بن على الجوهرى واعتنى بجمع الحديث واللغة هو وابوه فادخَلا الى الاندلس علما كثيرا ويقال انهما اوّلُ مَن ادخل كتاب العين الى الاندلس والّف قاسم فى شرح الحديث كتابا سمّاه الدلائل بلغ فيه الغاية فى الاتقان ومات قبل اكماله فاكمله ابو ثابت بعده، وقد روى عن ابى على البغدادى انه كان يقول كتبتُ كتاب الدلائل وما اعلمُ انه وُضع بالاندلس مثله وكان قاسم عالما بالحديث واللغة متقدما فى معرفة الحديث والنحو والشعر وكان مع ذلك ورعا ناسكا وأُرِيدَ على القضاء بسرقسطة فابى ذلك فاراد ابوه اكراهه عليه فساله أن يتركه ينظر فى امره ثلاثا ويستخير الله تعٓ فمات فى هذه الثلاثة الايام فيرون[a] انه دعا لنفسه[b] بالموت وكان مجاب الدعوة، توفى سنة ٣٥٢ بسرقسطة رحمه الله،

---

١٦ ومنهم علم الدين ابو محمد المرسى اللورقى وهو قاسم بن احمد بن موفق بن جعفر العلامة المقرئ الاصولى النحوى وُلد سنة ٥٧٥ وقرأ بالروايات قبل الستمائة على ابى جعفر الحصّار وابى عبد الله المُرادى وابى عبد الله بن نوح الغافقى وقدم مصر فقرأ بها على ابى الجُود غيات بن فارس وبدمشق على التاج زيد الكندى وسمع ببغداد من ابى محمد بن الاخضر واخذ العربية عن ابى البقآء ولقى الجزولى بالمغرب وسأله عن مسئلة مشكلة فى مقدّمته فاجابه وبرع فى العربيّة وفى علم الكلام والفلسفة وكان يقرئ[c] ويحقّقه واقرأ بدمشق ودرس وشرح المفصّل فى النحو فى ٤ مجلّدات فاجاد وافاد وشرح الجزوليّة والشاطبية وكان مليحَ الشكل حسن البِزّة موطّأ الاكناف قرأ عليه جماعة وتوفى سابع رجب سنة ٦٦١ وكان معمّرا مشتغلا بانواع العلوم وسماه بعضهم ابا القاسم والاوّل اصحّ،

a) G. L. فيبرون. b) B. على نفسه. c) S. يقرأ

ومنهم قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيّار a ابو محمد من اهل قرطبة وجدّه مولى الوليد بن عبد الملك رحل فسمع بمصر من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم والمزنى والبرقى والحارث بن مسكين ويونس بن عبد الاعلى وابراهيم بن المنذر وغيرهم ولزم ابن عبد الحكم للتفقّه وتحقّق به وبالمزنى وكان يذهب مذهب الحجّة والنظر وترْك التقليد ويميل الى مذهب الشافعى ولما قال له ابنُه محمد بن القاسم يا ابتِ اوصنى قال أُوصيك بكتاب الله فلا تنسَ حظّك منه واْقرأْ منه كل يوم جزءً واجعَلْ ذلك عليك واجبا وان اردتّ ان تاخذ من هذا الامر بحظّ يعنى الفقه فعليك برأيِ الشافعى فانّى رايتُه اقلّ خطَئًا، قال ابو الوليد بن الفرضى ولم يكن بالاندلس مثله فى حسن النظر والبَصَر بالحجّة، وقال احمد بن خالد ومحمد ابن عمر بن لُبابة ما راينا افقهَ من قاسم بن محمد ممن دخل الاندلس من اهل الرحلة، وقال اسلم بن عبد العزيز سمعت عن ابن عبد الحكم انه قال لم يقدم علينا احد من الاندلس اعلم من قاسم بن محمد ولقد عاتبتُه فى حين انصرافه الى الاندلس وقلت له اقمْ عندنا فانّك تقتعد b هاهنا رئاسة ويحتاج الناسُ اليك فقال لا بُدّ من الوطن، وقال سعيد بن عثمان قال لى احمد بن صالح الكوفى قدم علينا من بلادكم رجلٌ يسمّى قاسم بن محمد فرايتُ رجلاً فقيها وألّف رحمه كتابا نبيلا فى الرّد على ابن مزين وعبد الله بن خالد والعتبى يدلّ على علمه وله كتاب فى خبر الواحد، وكان يلى وثائق الامير محمد طولَ ايامه روى عنه ابن لُبابة وابن ايمن والاعناقى وابنه محمد بن قاسم c توفى سنة ست او سبع او ثمان وسبعين ومائتَيْن رحمه الله،

ومنهم ابو بكر الغسانى وهو محمد بن ابراهيم بن احمد بن اسود من اهل المرية قدم الى مصر ولقى بها ابا بكر الطرطوشى ثم عاد الى بلده وشُوِور واستُقْضى بمرسية مدة طويلة ثم صُرف وسكن مرّاكش، قال ابن بشكوال توفى بمراكش فى رجب سنة ٥٣٦، وقال ابو جعفر بن الزبير ان له كتاب تفسير القرآن وبيته بيت علم ودين،

ومنهم ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن حبون من اهل وادى الحجارة، قال ابن الفرضى سمع من ابن وضاح والخشنى d ونظرائهما بالاندلس ورحل الى المشرق

a) B. سياد, S. سيان. b) L. et S. تعتقد. c) B. G. L. S. ajoutent فى اخرين. d) S. والخشنى ☆

فتردّد هنالك نحوا من ١٥ سنة وسمع بصنعآء ومكة وبغداد ولقى جماعة من اصحاب الامام احمد بن حنبل منهم عبد الله بن احمد وسمع بمصر من الحفاظ النيسابورى وابراهيم بن موسى وغيرهما وبالمصيصة والقيروان وكان اماما فى الحديث عالما حافظا a بصيرا بالطرق ولم يكن بالاندلس قبله ابصر بالحديث منه وهو ضابط متقن حسن التوجّه b للحديث صَدوق ولم يذهب مذهبَ مالك وممن روى عنه ابن ايمن وقاسم ابن اصبغ ووهب بن مسرّة واحمد بن سعيد بن حَزم وقال خالد بن سعيد لو كان الصدقُ انسانا c لكان ابن حيّون وكان يُزَنّ بالتشيّع لشىء كان يظهر منه فى حق معاوية رضّه وكان شاعرا وتوفى بقرطبة سنة ٣٠٥ سامحه الله تعالى،

٣٠ ومنهم ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن غالب المالقى، قال ابن نقطة سمع بالاسكندرية من ابى الحسن بن المقدسى وكان فاضلا رايتُ بخطه اجازة بمصر لبعض المصريّين فى رجب سنة ٦٠٤ وسمع بمصر شيئا من الخِلَعيّات d، قال ابن فرتون الفاسى فى ذيل تاريخ الاندلس روى بمالقة ورحل الى المشرق وحج ولقى ابا الحسن على بن المفضل e المقدسى واخذ عنه كتاب تحقيق الجواب عمّن أُجيز له ما فاته من الكتاب من تاليفه ورجع الى الاندلس ثم نهض الى مراكش فتوفى فى اقصى بلاد السوس فى حدود سنة ٦٤٥ رحمه،

٣١ ومنهم اليَقّورى وهو ابو عبد الله محمد بن ابراهيم مصنّف كتاب اكمال الاكمال للقاضى عياض على صحيح مسلم وكُتُبٍ على كتاب الشهاب القَرافى فى الاصول وسمع الحديث وقدم الى مصر ومعه مصحفُ قرآن حمْل بغل بعثه ملك المغرب ليوقَف f بمكة ثم عاد بعد حجّه ومات بمراكش سنة ٧٠٧ وقد زرت قبره بها مرارا، قال الحافظ المقريزى واليقورى نسبة الى يقورة بيآء اخر الحروف مفتوحة وقاف مشددة وراء مهملة بلد بالاندلس انتهى،

٣٢ ومنهم ابو عبد الله الانصارى وهو محمد بن ابراهيم بن موسى بن عبد السلام ويُعْرَف بابن شقّ الليل من اهل طليطلة سمع بمصر ابا الفرج الصوفى وابا القاسم الطحّان الحافظ وابا محمد بن النحاس وابا القاسم بن مَيْسرة وابا الحسن بن بشر وغيرهم وسمع بطليطلة من جماعة وحدث عن جماعة من المحدّثين كثيرة، قال ابن

a) B. S. ajoutent للعلل. b) B. التوجيه. c) B. S. لسانا. d) S. الخليعيات. e) G. L. S. الفضل ; voyez Ibn-Khallikān, n°. 442. f) S. ليبوقفه.

بشكوال وكان فقيها عالما واماما متكلما حافظا للفقه والحديث قائما بهما متقنا لهما الا ان المعرفة بالحديث واسماء رجاله والبصر بمعانيه وعلله كان اغلب عليه وكان مليح الخطّ جيّد الضبط من اهل الرواية والدراية والمشاركة فى العلوم وكان اديبا شاعرا مجيدا لغويّا ديّنا فاضلا كثير التصانيف والكلام على علم الحديث حلو الكلام فى تآليفه وله عنايات [a] باصول الديانات واظهار الكرامات توفى بطلبيرة يوم الجمعة منتصف شعبان سنة ٤٥٥ رحّه،

٢٣ ومنهم الشيخ الامام الشهير الكبير الولى العارف بالله تعّ سيدى ابو عبد الله القرشى الهاشمى الاندلسى شيخ السالكين وامام العارفين وقَدْوة المحققين قدم مصر بعد ما صحب ببلاد المغرب جماعةً من اعلام الزهّاد وكان يقول صحبتُ ستمائة شيخ اقتديتُ منهم باربعةِ الشيخ ابى [b] الربيع [c] والشيخ ابى [d] الحسن بن طَريف والشيخ ابى [d] زيد القرطبى والشيخ ابى [d] العباس الجوزى وسلك على يده جماعة منهم ابو العباس القسطلانى فانه اخذ عنه كلامه وجمعه فى جزء وخرج سيدى ابو عبد الله [e] القرشى من مصر الى بيت المقدس فاقام به الى حين وفاته عشية الخميس السادس من ذى الحجة سنة ٥٩٩ عن ٥٥ سنة ودُفن هناك وقبره ظاهر *يُقصَد للزيارة [f] زرته اوّل *قدْمانى الى [g] بيت المقدس سنة ١٠٢٨، ومن كلامه مَن لم يدخل فى الامور بالادب لم يُدرِك مطلوبَه منها، وقوله العاقل ياخذ ما صفا ويدع التكلف فانه تعّ يقول وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ [h]، وقال من لم يراعِ حقوقَ الاخوان بترك حقوقه حُرِم بركة الصحبة، وقال سمعتُ الشيخ ابا اسحق ابراهيم بن طريف يقول لمّا حضرتْ الشيخ ابا الحسن بن غالب الوفاةُ قال لاصحابه اجتمعوا وهلّلوا سبعين الف مرّة واْجعلوا ثوابَها لى فانه بلغنى انها فداء كل مومن من النار قال فعملناها واجتمعنا عليها وجعلنا ثوابَها له، ثمّ حكى عن شيخه ابى زيد القرطبى ما حكاه السنوسىّ عنه فى اواخر شرح صُغراهُ وقد انكر غير واحد من الحفاظ كابن حجر وغيره كونَ ما ذُكر حديثا ولعلّ هُولاء اخذوه من جهة الكشف ونحوه والله تعّ اعلم، وقال رحّه

a) G. L. S. عنابة. b) Les man. portent ابو. c) S. ربيع. d) Les man. portent ابو e) Telle est la leçon qui se trouve sur la marge du man. L.; tous les autres manuscrits portent ابو العباس. f) S. بقصد الزيارة. g) Les manuscrits portent : قدماتى على. h) Voyez Sour. 10, vs. 107.

دخلتُ على الشيخ ابى محمد عبد الله المغاور a فقال لى أُعْلِمك شيئا تستعين به اذا احتجتَ الى شىء فقُلْ يا واحد يا احد يا واحد يا واجد يا جواد ٱنفحْنا منك بنفحة خير انك على كل شىء قدير قال فانا انفق منها منذ سمعتها، وقال رحّه ما من حال ذُكر فى رسالة القشيرى الا وقد شاهدتُه نفسى، وتزوّج رحّه بنساء حدّثن عنه بكرامات ومنهنّ امّ القطب القسطلانى وحكت انها خرجتْ عنه يوما لحاجتها ثم عادت فسمعت عنده فى طبقته حِسّ رجل فتوقفتْ وافتقدت الباب فوجدته مُغلَقا فلما انقطع الكلام دخلت اليه فاذا هو وحدَه كما تركتُه فسألتُه عن ذلك فقال هو الخِضْر دخل علىّ وفى يده حبّة b فقال هذه جئتُك بها من ارض نجد وفيها شفاء مرضك فقلتُ لا اريدُ ٱذهبْ انت وحبّتك لا حاجة لى بها، ودخل عليه بعض نسائه يوما فوجدتْه بصيرا نقىّ الجسم من الجُذام فلما نظرَتْه قال لها اتريدين ابقى لك هكذا فقالت له يا سيدى كُنْ كيف شئتَ انما مقصودى خدمتك وبركتك، وقيل له وقد تكاثرت منه رؤية الاشيآء واخبارُه بها مع كونه ضريرا عن ذلك فقال كُلّى عَيْنٌ بأىّ عُضْو اردتُّ ان انظرَ به نظرتُ وقال هممتُ ان ادعو برفع الغلاء فقيل لى لا تدعُ فما نسمع لاحد منكم فى هذا الامر دعآء فسافرت الى الشام فلما وصلت الى بلد الخليل عمّ تلقّانى رسول c الخليل حين ورودى عليه فقلت له يا رسول الله اجعل ضيافتى عندك اهل مصر فدعا لهم ففرّج الله عنهم، ومناقبُه رحّه وكراماته لا يفى بها هذا المختصر وانما قصدنا بذكرها البركة وكفارةَ ما وقع فى هذا الكتاب من الاحماض والله المرجو فى العفو، ومن فوآئده ما نقله عن شيخه ابى الربيع المالقى انه قال له ألا اعلّمك كنزا تُنفق d منه ولا ينفد قلتُ بلى قال قُلْ يا الله يا احد يا واحد يا موجود يا جواد يا باسط يا كريم يا وهّاب يا ذا الطول يا غنى يا مغنى يا فتاح يا رزّاق يا عليم يا حىّ يا قيّوم يا رحمان يا رحيم يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام يا حنّان يا منّان انفحنى منك بنفحة خير تغنينى بها عمّن سواك إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح انّا فتحنا لك فتحا مبينا نصرٌ من الله وفتحٌ قريبٌ اللهم يا غنى يا حميد يا مبدئ يا معيد يا وَدود يا ذا العرش المجيد يا فعّالًا لما تريد e اكفِنى بحلالك عن حرامك وأغنِنى

a) S. المغاوز. b) S. حبّة. c) B. ajoute الله. d) G. L. اتنفق. e) B. G. S. بريد.

بفضلك عمّن سواك واحفظني بما حفظت به الذكر وانصرني بما نصرت به الرسل انك على كل شيء قدير فمن داوم على قرآءته بعد كل صلاة خصوصا صلاة الجمعة حفظه الله تع من كل مخوف ونصره على أعدآئه واغناه ورزقه من حيث لا يحتسب ويسّر عليه معيشته وقضى عنه دينه ولو كان عليه امثال الجبال دَينا بكرمه واحسانه انتهى، نقله عنه العلامة ابن داود البلوى الاندلسى ومن خطّه نقلت رحم الله الجميع ونقله اليافعى كما ذكر رحه الا انه لم يقل فيه يا ودود واتفقا فيما عدا ذلك والله اعلم، وقال ابن خلكان *a* فى حقه محمد بن ابراهيم القرشى الهاشمى الزاهد العبد الصالح من اهل الجزيرة الخضرآء كانت له كرامات ظاهرة ورايتُ اهل مصر يحكون عنه اشيآء خارقة ولقيت جماعة ممن صحبه وكل منهم قد نمى *b* عليه من بركته وذكروا عنه انه وعد جماعته *c* الذين صحبوه مواعيد من الولايات والمناصب العلية وانها صحّت كلّها وكان من السادات الاكابر والطراز الاول وهو مغربى صحب بالمغرب اعلام الزهّاد وانتفع بهم فلما وصل الى مصر انتفع به من صحبه او شاهده ثم سافر الى الشام قاصدَ *d* زيارةِ بيت المقدس فاقام بها الى ان مات وصُلّى عليه بالمسجد الاقصى وهو ابن خمس وخمسين سنة، وقبره ظاهر للزيارة والتبرّك به، والجزيرة الخضرآء فى بلاد الاندلس مدينة تُقابل *e* سبتة من برّ العَدْوة، ومن جملة وصاياه لاصحابه سيروا الى الله تع عَرْجا ومكاسير فانّ انتظار الصحّة بطالة انتهى ببعض اختصار،

٢٤ ومنهم ابو عبد الله محمد بن على بن الحسن بن ابى الحسين القرطبى سمع من قاسم بن أصبغ وغيره وقدم مصر فسمع بها من ابن الورد وابن ابى الموت *f* والبارودى وابن السكن *g* فى اخرين وسمع بالرملة وبيت المقدس وكان ضابطا بصيرا بالنحو واللغة فصيحا بليغا طويل اللسان ولى الشُرطة ببلاد المغرب توفى سنة ٣٧٢،

٢٥ ومنهم ابو بكر محمد بن على بن خلف التجيبى الاشبيلى *h* الحافظ الكاتب روى عن ابن الجدّ وغيره ومرّ بمصر حاجّا فلقى بمكة ابا حفص الميانشى *i* وابا الحسن المكناسى *j* ولقى بالاسكندرية السلفى وابن عوف وغيرهما وكان مدرّسا

a) Voyez n°. 643. *b*) Les man. d'al-Makkarī portent بثنى ; Ibn-Khall. نمى. *c*) Ibn-Khall. جماعة من. *d*) Ibn-Khall. قاصدا. *e*) Ibn-Khall. فى مقابلة. *f*) L. الموال. *g*) S. السكين. *h*) B. ajoute ابن خلف. *i*) S. الميانسى. Je crois qu'il faut lire الميانجى ; voyez Veth, *Lobb al-lobāb*, p. ٢٥٩. *j*) B. المنكاسى, G. المنكاشى, S. المكانسى.

للفقه فقيها جليلا متقدما فيه عارفا فاضلا سنيّا توفى بعد امتحان من منصور بنى عبد المؤمن سنة ۵۹۹ وذلك انه وُشى به للمنصور ايام عزم على ترك التقليد والعمل بالحديث،

۲۶ ومنهم ابو بكر الاندلسى الجيانى محمد بن على بن عبد الله بن محمد بن ياسر الانصارى الجيانى سافر من بلده ودخل ديار مصر والشام والعراق وخراسان وما وراء النهر ولقى ائمّتها وتفقه ببخارى حتى تمهّر فى المذهب والخلاف والجَدَل ثم اشتغل بالحديث وسَماعه وحفظه وحصّل منه كثيرا ثم سكن بلخ مدّة وعاد الى بغداد فدخلها سنة ۵۵۹ وتوجّه الى مكة فحج ورجع الى الشام واستوطن حلب الى ان توفى بها ووقف كُتبَه وكان متديّنا صدوقا حافظا عالما بالحديث وفيه فضل وُلد بجيان سنة ۴۹۳ ومات بحلب سنة ۵۹۳،

۲۷ ومنهم ابو عبد الله محمد بن على التجيبى الدهان الاغرناطى كان حسن السمت بارع الخط والخِلق والخُلق رحل الى الحج وجال فى البلاد فى حدود سنة ۶۰۹ فاخذ بمكة والشام ومصر والاسكندرية عن جماعة كثيرة وكان عادلا فاضلا على خير ودين وكان متحرفا a بالتجارة بغرناطة ثم خرج منها اخر عمره فمات بقُوص بعد ما حجّ سنة ۶۵۰ وصدر من مكة سنة ۶۵۳ فمات قبل منتصف السنة رحمه،

۲۸ ومنهم ابو عمرو محمد بن على بن محمد بن ابى الربيع القرشى العثمانى الاندلسى الاشبيلى النحوى وُلد سنة ۶۱۷ باشبيلية وقدم مصر فسمع الكثير بها وبدمشق وغيرها وكان اماما عالما نحويا فاضلا كتب عنه ابو محمد الدمياطى والقطب عبد الكريم وناهيك بهما،

۲۹ ومنهم ابو بكر ابو عبد الله محمد بن على بن محمد بن على بن هذيل البلنسى رحل وسمع من السلفى وحج، قال ابو الربيع ابن سالم هو شيخ صدوق متيقّظ سمع اباه وابا الوليد بن الدّباغ b وابا الحسن طارق بن موسى بن يعيش وجماعة واخذ بمكة سنة ۵۳۹ عن ابى على الحسن المقرى وقفل الى الاندلس سنة ۵۴۹ فأُخذ عنه بها وسمع منه جماعة، قال ابن الابّار كان غاية فى الصلاح واعمال البر والورع وتوفى ببعض قرى بلنسية سنة ۵۸۳c ومولده سنة ۵۱۷d او ۵۱۹ وله حظ من علم التعبير e واللغة رحمه،

a) [La 5e forme de ce verbe se trouve dans le même sens chez Ibn-al-Khatîb, man. de M. de Gayangos, fol. 23 v. R. D.] b) B. الدبـاغ, S. الذبـاغ. c) Les man. portent ۵۳۸. d) S. ۵۱۸. e) S. ajoute والتعبيين.

٣٠ ومنهم ابو عبد الله ويقال ابو سلمة محمد بن على البيـاسى الغرناطى الانصارى ناصر الدين روى عن الحافظ ابى حفص [a] بن الزبير وغيره وقدم الى القاهرة واستوطنها بعد الحج حتى مات بها سنة ٧٠٣ [b] وكان عارفا بعلم الحديث وكتب منه كثيرا ومال الى مذهب الظاهرية وانتفع به جماعة من طلبة الحديث وكان ثقة رحه؛

٣١ ومنهم ابو عبد الله محمد بن على بن يحيى بن على بن الشامى الاندلسى الغرناطى قدم مصر حاجّا واقام بمكة والمدينة وكان امامـا فاضلا عالما متفنّنا [c] فى علوم ما بين فقه واصول ونحو ولغة وقرآات ونظم ونثر ومع معرفته بمذهب مالك ينقل كثيرا من مذهب الشافعى وسمع الموطّأ بتونس من ابى محمد بن هـارون القرطبى ومولده بغرناطة سنة ٦٧١ وتوفى سنة ٧١٥؛ ومن شعره

اذا كنتُ جـارًا للنبىّ وصَحْبه ... ومكـة بيت الله منّى على قُـرب

فما ضرّنى ان فاتنى رغدُ عيشه ... وحسبى الذى اوتيته نعمةٌ حسبى

وقوله

نزيل الكرام [d] عزيز الجوار ... وانّـى نزيلٌ عليكم وجـارْ

حللتُ ذراك وانت الكريم ... ومَن حلّ مثوى كريم يُجارْ

٣٢ [e] ومنهم ابو عبد الله محمد بن عمـار الكلاعى الميورقى قدم مصر وروى عن ابن الوليد بها وكان عالما وله قصيدة طويلة فيها حِكم ومواعظ بوصى ابنَه بها ومن ابياتها قوله

وطاعةُ مَن اليه الامرُ فالْزمْ ... وان جاروا وكانوا مسلمينا

فان كفروا ككُفْر بنى عُبَيْد ... فـلا تسكـن ديـار الكافرينا ٥

واسم ابنه حسن وسمع من المذكور الحافظُ القـاضى ابو بكر بن العربى فى رحلته سنة ٤٨٥ ووصفه بالعلم وعمّار بالرآء؛

٣٣ ومنهم ابو عبد الله محمد بن عمر بن يوسف بن الفخار القرطبى الحـافظ روى عن عيسى الليثى وابن عون الله ابى جعفر التميمى وابى محمد الباجى وقدم مصر وحج وجـاور بالمدينة النبوية على ساكنهـا الصلاة والسـلام وافتى بهـا وافتخر بذلك على اصحابه وقال لقد شُوورتُ بمدينة الرسول صلّعم دار مالك بن انس ومكان شَوْراه ولقى جماعة من العلمآء واخذ عنهم وكان من اهل العلم والذكآء والحفظ والفهم عـارفا بمذاهب الايمة واقوال العلماء ذاكرا للروايـات يحفظ المدوّنة والنوادر لابن ابى زيد

a) B. et S. جعفر. b) S. ٩٠٣. c) S. متقنا. d) O. الكرار. e) Ce passage, à partir du commencement de cet article, manque dans G. et L.

يوردها من صدره دون كتاب، قال ابن حيّان مؤرخ الاندلس توفى الفقيه المشاور الحافظ المتبحّر a الرواية الطويل الهجرة فى طلب العلم الناسك المتقشف بمدينة بلنسية فى ربيع الاول سنة ٤١٧ لعشر خلون من الشهر وكان الحفل فى جنازته عظيما وعاين الناسُ فيها اية من ظهور اشباه الخطاطيف b بها تجللت الجمع زافّة فوق النعش لم تُفارق نعشه الى ان وُورِى فتفرّقت ومكث مدة ببلنسية مطاعًا عظيم القدر عند السلطان والعامة، وذكر جماهر بن عبد الرحمن حديث الطير وكذا ذكر الحسن بن محمد القيسى خبر الطير، قال وكانت سنّه نحو ثمانين سنة وكان مجاب الدعوة وظهرت فى دعوته الاجابة، وقال ابو عمرو الدانى ان وفاته يوم السبت لسبع خلون من شهر ربيع الأوّل سنة ٤١٩ c ودُفن يوم الاحد بمدينة بلنسية وبلغ نحو ست وسبعين سنة وهو آخر الفقهاء الحفاظ الراسخين العالمين بالكتاب والسُنّة بالاندلس رحمه،

٣٤ ومنهم ابو عبد الله محمد بن عمروس d القرطبى سمع على بن مفرج e وغيره من شيوخ قرطبة وقدم مصر واخذ بها عن ابن المهندس وغيره وحجّ ودخل العراق وسمع من ابى بكر الابهَرى والدارقُطنى وجماعة وعاد الى الاندلس وشهر بالعلم والمال وولى الاحباس بقرطبة حدّث عنه ابو عمر بن عبد البر وغيره ومات فى جمادى الآخرة سنة ٤٠٠ رحمه،

٣٥ ومنهم ابو عبد الله محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيح المعافرى المعروف بالاعشى القرطبى رحل سنة ١٧٩ فسمع سفيان بن عُيَيْنة ووكيع بن الجرّاح ويحيى ابن سعيد القطان وعبد الله بن وهب وجماعة وكان الغالب عليه الحديث ورواية الآثار وكان صالحا عاقلا سريّا جوادا يذهب الى مذهب اهل العراق وتوفى سنة ٢٢١ ذكره ابن يونس وغيره،

٣٦ ومنهم ابو عبد الله محمد بن فُطَيْس الغافقى الالبيرى الزاهد، قال الحميدى فى حقه هو من اهل الحديث والفَهم والحفظ والبحث عن الرجال وله رحلة سمع فيها من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ومن ابن وهب بن اخى عبد الله بن وهب وغيرهما وروى بالاندلس عن جماعة منهم بقى بن مخلد وابن وضاح وسمع بمكة وغيرها

a) G. S. المستبحر. b) B. الخطّاف. c) Telle est la leçon de S.: les autres manuscrits ne portent que ١٩. d) عمر D. e) G. S. معرج.

من مائة شيخ، قال ابن الفرضى كان شيخا نبيلا ضابطا لكتبه ثقة فى روايته صدوقا فى حديثه وكانت الرحلة اليه بالبيرة وبها مات فى شوال سنة ٣١٩ وهو ابن تسعين سنة رحمه،

٣٧ ومنهم ابو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيّار القرطبى من موالى بنى اميّة سمع من ابيه ومن بقى بن مخلد وغيره ورحل سنة ٢٩٤ فسمع بمصر من النساءى ومن احمد بن حمّاد زغبة a وسمع بمكة والبصرة والكوفة وبغداد ودمياط والاسكندرية والقيروان من مائة وستين رجلا، قال ابو محمد الباجى لم ادرك بقرطبة اكثر حديثا منه وكان عالما بالفقه متقدما فى علم الوثائق راسا فيها وكان مشاوَرا سمع من الناس كثيرا وكان ثقة صَدوقا وغزا سنة ٣٢٧ ومات ثالث الحاجة منها ومولده سنة ٢٩٣ وقيل توفى سنة ٣٢٨ b قاله ابن يونس والحميدى،

٣٨ ومنهم ابو عبد الله محمد بن قاسم * بن محمد بن قاسم c القرشى الفهرى عرف بابن رُمّان الغرناطى قرأ على ابى جعفر بن الزبير بها وقدم الى القاهرة سنة ٧١٢ ومات بالمدينة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام سنة ٧٢٩، ومن شعره قوله

فُديتم خبّرونى كيف صحّت ... فريضةُ هالكٍ من غير مَيْنِ
لـزيـد زوجةٌ ولـهـا ابنُ أُمّ ... فماتت عنهمـا لا غير دَينِ
فحاز البَعْلُ ما تركتْه اِرْثـا ... وولّـى غيـره صِـفْـر اليدينِ
ولا رقّ d فُديت على اخيها ... وليس بكافر يُرمَى بشَيْنِ
وليس معجّـلا ارثـا بـقـتـل ... مخـافةَ ان ينـال شقـاوتَيْنِ،

٣٩ ومنهم ابو عبد الله محمد بن لب الشاطبى حدّث بالقاهرة وتوفى قريبا من سنة ٦٤٠ وهو احد اصحاب الشيخ ابى الحسن بن الصباغ ومن كلامه اشتغالُك بوقتٍ لم يأتِ تضييعٌ للوقت الذى انت فيه ولعمرى لقد صدق،

٤٠ ومنهم ابو عبد الله بن سُراقة الشاطبى بن محمد بن ابراهيم بن الحسين محيى الدين e ويكنى ايضا ابا القاسم وابا بكر الانصارى الشاطبى المالكى وُلد بشاطبة سنة ٥٩٢ وسمع من ابى القاسم بن بقى ورحل فى طلب الحديث فسمع ببغداد من الشيخ ابى حفص عمر السهروَردى وابى طالب القُبّيطى f وابى حفص الدينورى وجماعة وسمع

a) B. زغبه. b) L. ٣١٨. c) Ces mots manquent dans le man. S. d) O. رقت. e) Dans le manuscr. S. il est nommé : ابو عبد الله محمد بن محمد بن ابراهيم بن الحسين ابن سُرافة محيى الدين. f) S. القبطى.

بحلب من ابن شدّاد وغيره وولى مشيخة دار الحديث البهادية بحلب ثم قدم مصر وتولّى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة بعد وفاة ابى سَهْل القصرى سنة ٦٤٢ وبقى بها الى ان توفى بالقاهرة فى شعبان سنة ٦٦٣ ودفن بسفح المقطم وكان الجمع كبيرا وهو احد الائمّة المشهورين بغزارة الفضل وكثرة العلم والجلالة والنُبْل واحد المشايخ الصوفية له فى ذلك اشارات لطيفة مع الدين والعَفاف والبشر والوفار والمعرفة الجيدة بمعانى a الشعر وكان صالح الفكرة فى حل التراجم b مع ما جُبل عليه مِنْ كرم الاخلاق واطّراح التكلّف c ورقّة الطبع ولين الجانب، ومن شعره قوله

نصبت ومثلى للمكارم ينصب ورُمتُ شروقَ الشمس وهى تُغرِّب
وحاولتُ احياء النفوس باسرها وقد غرغرتْ يا بُعدَ ما انا اطلبُ
واتعبُ ان لم تمنح الخلقَ راحةً وغيرِىَ ان لم تتعب الخلق يتعب d
مُرادِىَ شىء والمقاديرُ غيره ومَن عانَد الاقدارَ لا شكَّ يغلب

وقوله الى كم أُمَنّى النفسَ ما لا تنالُه فيَذْهب عمرى والامانىّ لا تُقضى
وقد مرّ لى خمسٌ وعشرون حجّةً ولم ارضَ فيها عيشتى فمتى ارضا
وأعلمُ أنّى والثلاثون مدّتى حَرٍ بمغانى e اللهو اوسعُها رفضا f
فما ذا عسى فى هذه الخمس ارتجى ووجدى الى أوْبٍ من العشر قد أفضى
o فيا ربّ عَجِّلْ لى حياةً لذيذةً والّا فبادرْ بى الى العَمَل الأَرْضَى

وقال وصاحبٌ كالزُلال يمحو صفاؤه الشكّ
لمْ يُحصِ الّا الجميلَ منّى كأنّه كاتب

وهذا عكس قول المنازى وصاحب خلته خليلا وما جرى غدْرُه ببالِى
لم يُحص الّا القبيحَ منّى كأنه كاتب الشمال،

٣١ ومنهم ابو عبد الله محمد بن محمد بن احمد الفِرِّيشى بكسر الفاء وتشديد الرآء المهملة بعدها شين معجمة نسبة الى فِرّيش احدى مدابن قرطبة ولد بغرناطة سنة ٥٥٧ وقرأ بالروايات على ابى القاسم بن غالب وسمع عليه وعلى ابى القاسم بن بشكوال وغيره وسمع بمكة وحدّث بمصر وعاد الى الاندلس فمات بقرطبة سنة ٦٣٣ وكان مشهورا بالصّلاح معروفا باجابة الدعآء ورعا ثقة زاهدا فاضلا رحمه،

a) B. بمعانى. b) S. الراحم. c) Ce mot signifie *affectation*. d) G. L. يعتب. e) O. S. بمعانى. f) G. روضا.

۴۲ ومنهم ابو عبد الله محمد بن محمد بن خيرون وقيل محمد بن عمر بن خيرون الاندلسى سكن القيروان ورحل الى المشرق واخذ القرآت بمصر عن محمد بن سعيد الانماطى وغيره، وعُبيد بن رجاء وابى الحسن اسمعيل بن يعقوب الازرق المدنى ودخل العراق وسمع به من اصحاب على بن المدنى ويحيى بن معين وعاد الى القيروان وسمع بها وبقرطبة وقدم بقراءة نافع على اهل افريقية وكان الغالب على قراءتهم حرف حمزة ولم يكن يقرأ بحرف نافع الا الخواص حتى قدم بها فاجتمع اليه الناس ورحل اليه اهل القيروان من الافاق وكان ياخذ اخذا شديدا على مذهب المشيخة من اصحاب ورْش وتوفى بشعبان سنة ۳۰۹ وكانْ رجلا صالحا فاضلا كريم الاخلاق اماما فى القرآت مشهورا بذلك ثقة مأمونا واحد اهل زمانه وائمّتهم فى علم القرآن رحّه،

۴۳ ومنهم ضياء الدين ابو جعفر محمد بن محمد بن صابر بن بندار القيسى الاندلسى المالقى وُلد بمالقة سنة ۵۱۵ وسمع الكثير وقدم القاهرة حاجا فسمعْ بها وبدمشق وكتب بخطه كثيرا وكان سريع الكتابة سريع القراءة كثير الفوآئد دينا خيرا فاضلا له مشاركة جيدة فى عدة علوم توفى شابّا بالقاهرة سنة ۵۴۲ رحّه،

۴۴ ومنهم ابو بكر محمد الزهرى المعروف بابن مُحْرِز البلنسى وُلد بها سنة ۵۶۹ وقدم مصر فسمع ابن الفضل وغيره وروى عنه جماعة وكان احد رجال الكمال علما وادراكا وفصاحة وحفظا للفقه وتفنّنا * فى العلوم a ومتانة فى الادب حافظا للّغة b والغريب وله شعر رائق ودين متين واخذ الناس عنه ببلده وبمرسية واشبيلية ومالقة وغرناطة فى اجتيازه عليها وبغيرها من البلاد وعلا صِيتُه وعُرف بالدين والعلم والفضل وكان ابو الخطاب يثنى على علمه ودينه وتوفى ببجاية سنة ۶۵۵ عن سن عالية رحّه،

۴۵ وممن ارتحل من الاندلس الىّ المشرق القاضى ابو الوليد الباجى c صاحب التصانيف المشهورة، وقال ابن ماكولا فى حقّه انه فقيه متكلم اديب شاعر سمع بالعراق ودرس الكلام وصنف الى ان مات، وكان جليلا رفيع القدر والخَطْر، وقال غير واحد انه وُلد سنة ۴۰۳ وارتحل سنة ۴۲۶ وجاور ثلاثة اعوام ملازما لابى ذرّ الحافظ يخدمه ورحل الى بغداد ودمشق ولقى فى رحلته غيرَ واحد وتفقه بالقاضى ابى الطيّب الطبرى

a) B. للعلوم. b) G. L. S. للغات. c) Voyez Ibn-Khallikān, n°. 274.

وغيره، وقال ابو على بن سُكَّرة ما رايت مثل ابى الوليد الباجى وما رايت احدا على هيئته وسمْته وتوقير مجلسه ولما كنتُ ببغداد قدم ولده ابو القاسم فسرتُ معه الى شيخنا قاضى القضاة الشاشى فقلت له ادام الله عزّك هذا ابن شيخ الاندلس فقال لَعلّه ابن الباجى قلتُ نعم فاقبل عليه، قال القاضى عياض وكثرت القالةُ فى القاضى ابى الوليد لمداخلته الرؤساء وولى قضاء اماكن تصغر عن قدره وكان يبعث الى تلك النواحى خلفاءه وربّما اتاها المرّة ونحوها وكانَ فى اوّل امرهِ مُقلّا حتى احتاج الى القصد بشعْره واستاجر نفسَه a مدةَ مقامه ببغداد فيما سمعته مستفيضا لحراسةِ دَرْبٍ وقد جمع ابنه شعره، قال ولما قدم الاندلس وجد لكلام ابن حزم طلاوة الا انه كان خارجا عن المذهب ولم يكن بالاندلس من يشتغلُ بعلمه فقصُرتْ ألْسنةُ الفقهاء عن مجادلته وكلامه واتبعه على رايه جماعة من اهل الجهل وحلّ بجزيرة ميورقة فرأس فيها واتبعهُ اهلها فلما قدم ابو الوليد كلّموه فى ذلك فدخل اليه وناظره وشهّر باطلَه وله معه مجالس كثيرة ولما تكلم ابو الوليد فى حديث الكتابة يوم الحُدَيْبية الذى فى البخارى قال بظاهر لفظه فانكر عليه الفقيه ابو بكر الصائغ وكفّره باجازة الكَتْب على الرسول الأُمّىّ صلّعم وانه تكذيب للقران فتكلّم فى ذلك مَن لم يفهم الكلام حتى أثاروا عليه الفتنة وقبّحوا عليه عند العامّة ما اتى به وتكلّم به خطباؤهم فى الجمع، وقال شاعرهم

برئتُ ممّن شرا دنيا بآخرة وقال أنّ رسول الله قد كتبا

فصنّف ابو الوليد رحّه رسالة بيّن فيها ان ذلك غير قادح فى المعجزة فرجع بها جماعة اذ ليس مَن عرف ان يكتُب اسمه فقطْ بخارج عن كونه أُمّيّا لانه لا يسمّى كاتبا وجماعة من الملوك قد ادمنوا على كتابة العلامة وهم امّيون والحكم للغالب لا للصور النادرة وقد قال عليه الصلاة والسلام انّا امّة امّيون اى اكثرهم كذلك لندور الكتابة فى الصحابة، وقال تعالى هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ b انتهى وبعضه بالمعنى، وذكر ابن بَسّام ان ابا الوليد الباجى نشأ وهمّته فى العلم وانّه بدأ بالادب فبرز فى ميادينه وجعل الشعر بضاعته فنال به من كل الرغائب ثم رحل وما حلّ بلدا الا وجده ملآنَ بذكره، نشْوانَ من قهوتَىْ نظمه ونثره،، فمال الى علم

a) B. بنفسه. b) Voyez sour. 62, vs. 2.

الكلية فمشى بمقياس وبنى على أسس، حتى صار كثير من العلمآء يسعون منه، ويرتاحون للاخذ عنه، ثم كرّ واستقصى فى طريقه بطلب فاقام بها نحوا من عام، قال بلغنى عن ابن حزم انه كان يقول لو لم يكن لاصحاب المذهب المالكى بعد عبد الوهاب الّا مثل ابى الوليد الباجى لكفاهم وصنف ابو الوليد كتبا كثيرة منها كتاب التسديد، الى معرفة التوحيد، وكتاب سنن المنهاج، وترتيب الحجاج، وكتاب احكام الفصول، فى احكام الاصول، وكتاب التعديل والتجريح، لمن خرج عنه البخارى فى الصحيح، وكتاب شرح الموطّأ وهو نسختان نسخة سمّاها الاستيفاء ثم انتقى منها فوائد سمّاها المنتقى فى ٧ مجلّدات وهو احسن كتاب أُلّف فى مذهب مالك لانه شرّح فيه احاديث الموطأ وفرع عليه تفريعا حسنا وافرد منه شيئا سمّاه الايماء، وقال بعضهم انه صنف كتاب المعانى فى شرح الموطأ فجاء عشرين مجلّدا عديم النظير a وكان ايضا صنّف كتابا كبيرا جامعا بلغ فيه الغاية سمّاه الاستيفاء وله كتاب الايماء فى الفقه ٥ مجلّدات انتهى، ومن تصانيفه مختصر المختصر فى مسآئل المدوّنة، وله كتاب اختلاف الموطأ b، وكتاب الاشارة فى اصول الفقه، وكتاب الحدود، وكتاب سنن الصالحين، وكتاب التفسير لم يتمه، وكتاب شرح المنهاج، وكتاب التبيين لسبيل المهتدين فى اختصار فرق الفقهآء، وكتاب السراج فى الخلاف لم يتم وغير ذلك، وحج الباجى رحمه اربع حجج جاور فيها ثلاثة اعوام ملازما لابى ذرّ عبد بن احمد الهروى وكان يسافر معه للسروات c لانّ ابا ذر تزوّج من العرب d وسكن بها، وابو ذرّ المذكور هو عبد بن احمد بن محمد بن عبد الله بن عقير e الانصارى المالكى ويُعرف بابن السماك سمع بهراة وسرخس وبلخ ومَرْو والبصرة وبغداد ودمشق ومصر وجاور بمكة والف معجما لشيوخه وعمل الصحيح وصنف التصانيف، قال الخطيب قدم ابو ذرّ بغداد وانا غائب فحدّث بها ثم حج وجاور ثم تزوج فى العرب f وسكن السروات g وكان يحج كل عام ويحدّث ويرجع وكان ثقة ضابطا دينا، وقال الحسن بن بقى المالقى حدّثنى شيخى قال قيل لابى ذر من اين تمذهبتَ بمذهب مالك ورأى الاشعرى مع انك هَرَوى فقال قدمتُ بغداد وكنت ماشيا مع الدارقطنى فلقينا ابا بكر بن الطيّب فالتزمه الدارَقُطنى وقبّل وجهه وعينيه فلما افترقنا

---

a) S. النظر. b) B. G. L. الموطآت. c) Voyez le *Mochtarik* de Yâkout, p. ٢٤٣; B. porte للهروات. d) S. المغرب. e) B. غفير. f) S. المغرب. g) B. الهروات.

قلتُ مَن هذا قال هذا امامُ المسلمين والذابّ عن الدين القاضى ابو بكر ابن الطيّب . فمن ذلك الوقت تكررت اليه وتمذهبتُ بمذهبه انتهى، قلت هذا صريح فى انّ القاضى ابا بكر الباقلانى مالكى وهو الذى جزم به غير واحد ولذا ذكره عياض فى المدارك فى جملة المالكية وكذلك شيخ السُنة الامام ابو الحسن الاشعرى مالكى المذهب فيما ذكره غير واحد من الائمّة وذكر بعض الشافعيّة انهما شافعيّان والله تعَ اعلم، وقال عبد الغافر فى تاريخ نيسابور كان ابو ذرّ زاهدا ورعا عالما سخيّا لا يدّخر شيئًا وصار كبير مشيخة الحرم مشارا اليه فى التصوّف خرّج على الصحيح تخريجا حسنا وكان حافظا كثير الشيوخ توفى سنة ٤٣٥ a، وقال ابو على ابن سُكّرة توفى عقب شوال سنة ٤٣٤، وقال الخطيب فى ذى القعدة من سنة ٣٤ رحمه، واكثر نسخ البخارى الصحيحة بالمغرب امّا من رواية الباجى عن ابى ذر عبد بن احمد الهروى المذكور وامّا من رواية ابى على الصدَفى الشهير المعروف بابن سُكّرة بسنده * واعلمْ ان هراة المنسوب اليها الحافظ ابو ذر ليست بهراة التى وراء النهر نظيرة بلخ وانما هى هراة بنى شيمانة بالحجاز b وبها كان سُكنَى ابى ذر والله اعلم، رجع الى القاضى ابى الوليد الباجى رحمه ثم انه اعنى الباجى قدم بغداد واقام بها ثلاثة اعوام يدرّس الفقه ويقرأ الحديث فاقى بها عدة من العلمآء كابى الطيبْ الطبرى والامام الشهير ابى اسحق الشيرازى والصيمرى وابن عمروس المالكى واقام بالموصل سنة مع ابى جعفر السمنانى ياخذ عنه علم الكلام فبرع فى الحديث وعلله ورجاله وفى الفقه وغوامضه وخلافه وفى الكلام ومصآئقه وتدبّج c مع الحافظ ابى d بكر الخطيب البغدادى بحيث روى كل واحد منهما عن الاخر رضّهما ونفع بهما ورجع الى الاندلس بعد ١٣ سنة بعلم جم حصّله مع الفقر والتعفّف وممّا يفتخر به انه روى عنه حافظا المغرب

---

a) B. ٤٢٥ . b) Cette remarque est une bévue d'al-Makkarī. Il n'y a dans le Hidjāz ni une ville nommée هراة, ni une tribu بنو شيمانة. Mais il y a, près de la Mecque, un endroit nommé سراةُ بنى شبابة, sur lequel Yākout (dans le *Mochtarik*, p. ٢٤٤) dit ceci : وهناك موضع آخر يقال له سراةُ بنى شبابة قرب مكة نَسَب المحدّثون اليها ابا جُمَيْع عيسى بن الحافظ ابى ذرّ عبد بن احمد الهَرَوى الشبابىّ حدّث فى هذا الموضع عن ابيه فنُسب اليه ☆ c) Je suppose que ce mot est altéré ; B. وتذبج , S. وبدبح . d) Les man. portent وابى.

والمشرق ابو عمر بن عبد البر والخطيب ابو بكر بن ثابت البغدادى وناهيك بهما وهما اسنّ منه واكثر وابو عبد الله الحميدى وعلى بن عبد الله الصقلى واحمد بن على بن غزلون وابو بكر الطرطوشى وابو على بن الحسين السبتى a وابو بكر سفيان ابن العاصى وممّن روى عنه ابنه ابو القاسم احمد وكان لما رجع الى الاندلس فشا علمه وتهيّأت الدنيا له وعظم جاهُه واجزلت له الصلات فمات عن مال وافر وترسّل للملوك وولى القضاء بعدة مواضع رحمه، وامّا ما تقدم عن القاضى ابى الوليد الباجى من اجراء حديث الكتابة على ظاهره فهو قولُ بعض والصواب خلافه، قال القاضى ابو الفضل عياض حدثنا محمد بن على المعروف بابن الصَّيْقَل b الشاطبى من لفظه قال حدثنى ابو الحسن بن مُفَوّز قال كان ابو محمد بن احمد بن الحاج الهوارى من اهل جزيرة شُقَر ممّن لازم الباجى وتفقه عنده وكان يميل الى مذهب الباجى فى جَواز مُباشرة النبىّ صلّعم الكتابةَ بيده فى حديث المقاضاة فى الحديبية على ما جاء فى ظاهر بعض رواياتها ويعجب به وكنت انكر ذلك عليه فلما كان بعد بُرهة اتانى زائرا على عادته واعلمنى ان رجلاً من اخوانه كان يرى فى النوم انه بالمدينة وانه يدخل المسجد فيرى قبر النبىّ صلّعم امامَه فيجد له قُشَعْرِيرة وهيبة عظيمة ثم يراه ينشقّ ويميد ولا يستقر فيعتريه منه فزعٌ عظيم وسالنى عن عبارة رؤياه فقلت أخشى على صاحب هذا المنام ان يصف رسول الله صلّعم بغير صفته او ينحله ما ليس له باصل او لعله يفترى عليه فسألنى من اين قلت هذا قلتُ له من قول الله تعالى تَكَادُ ٱلسَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ الى قوله وَلَدًا c فقال لى لله دَرّك يا سيدى وأقبل يقبّل راسى وبين عينىّ ويبكى مرة ويضحك اخرى ثم قال لى انا صاحب الرؤيا وٱسمعْ تمامها يشهد لك بصحة تاويلك قال انه لما رايتُنى فى ذلك الفزع العظيم كنتُ اقول والله ما هذا الا اننى اقول واعتقد ان رسول الله صلّعم كتب فكنتُ ابكى واقول انا تائب با رسول الله واكرّر ذلك مرارا فأرى القبر قد عاد الى هيئته اوّلا وسكن فاستيقظتُ ثم قال لى وانا اشهد ان رسول الله صلّعم ما كتب قطّ حرفا وعليه القى الله تعَ فقلت الحمد لله الذى اراك البرهان واشكر له كثيرا انتهى، وقال ابن الابّار حدثنى بهذه الحكاية ابو الربيع بن سالم بقراءتى عليه عن الكاتب ابى بكر عبد الرحمن

a) G. L. S. السبشى. b) S. الصقيل. c) Voyez sour. 19, vs. 92 et suiv.

ابن مغاور قراءة عليه عن القاضى ابى حفص a احمد بن عبد الرحمن بن جحدر b وعن ابى الحسن طاهر بن مفوز قال كلن ابو محمد الى اخرها وهى اتم من هذه انتهى، رجع الى الباجى ذكر ابو العرب عبد الوهاب البقسانى بسنده الى القاضى ابى الوليد الباجى انه كان يقول وقد ذكرت له صحبة السلطان لولا السلطان لنقلتنى الذرّ من الظل الى الشمس او ما هذا معناه انتهى، ومن فوائد الباجى انه حكى ان الطلبة كانوا ينتابون مجلس ابى على البغدادى واتفق ان كان يوم c مطرٍ ووَحْل فلم يحضر من الطلبة سوى واحد فلما رأى الشيخ حرصه على الاشتغال، واتيانه فى تلك الحال،، انشده

دبيبَ d للمجد والساعون قد بلغوا ... حدّ النفوس والقوا دونه الأُزُرا

وكابدوا المجد حتى ملّ اكثرهم ... وعانق المجد من وافى ومن صَبَرا

لا تحسب المجد تمرا انت آكِلُه e ... لن تبلغ المجدَ حتى تلعق الصبرا

وروى عن القاضى ابى الوليد الباجى رحمه الخطيب البغدادى قوله رحمه

اذا كنتُ اعلم علم اليقين ... بأنّ جميع حياتى كساعهْ

فلِمْ لا اكون ضنينًا بها ... واجعلها فى صلاح وطاعهْ

وقد ذكرناهما فيما ياتى قريبا من كلام الفتح لكوننا نقلنا كلامه بلفظه رحمه وقال فى القلائد فى حق الباجى رحمه ما صورته بَدْر العلوم اللائح، وقطرها الغادى الرائح،، وثبيرها الذى لا يزحم، ومنيرها الذى ينجلى به ليلها الاسحم،، كان امام الاندلس الذى تقتبس انواره، وتنتجع نجوده f واغواره،، رحل الى المشرق فعكف على الطلب ساهرا، وقطف من العلم ازاهرا،، وتفنّن فى اقتنائه، وثنى اليه عنان اعتنائه،، حتى غدا مملوَّ الوطاب، وعاد يَلْمَح طلبه الى الارطاب،، فكرّ الى الاندلس بحرًا لا تخاض لُجَجُه، وفجرا لا يطمس منهجُه،، فتهادته الدول، وتلقته الخيل والخوَل،، وانتقل من محجر الى ناظر، وتبدّل من يانع بناضر،، ثم استدعاه المقتدر بالله فصار اليه مرتاحا، وبدا فى افقه ملتاحا،، وهناك ظهرت تواليفه واوضاعُه، وبدا وحده فى سبل العلم وانصاعه،، وكان المقتدر يباهى بانحياشه الى سلطانه، وايثاره لحضرته

---

a) B. S. جعفر. b) B. جحدر. c) G. L. يوما. d) O. S. دبيت. e) O. تاكله.
f) Ibn-Khākān G. انجاده, A. B. نجاده.

بالستيطانه،، ويحتفل فيما يرتّبه ويجريه، وينزله فى مكانه متى كان يوافيه،، وكان له نظم يوقفه a على ذاته، ولا يصرفه فى رفث القول وبذاذاته b،، فمن ذلك قوله فى معنى الزهد، اذا كنتُ اعلم علم اليقين البيتين c، ولَه يرثى ابنيه وماتا مغتربين، وغربا كوكبين،، وكانا ناظرى الدهر، وساحرى النظم والنثر،،

رعى الله قبرَيْن استكانا ببلدة ... هما اسكناها فى السواد من القلب
لئن غُيّبا عن ناظرى وتبوّءا ... فؤادى لقد زاد التباعُد فى القرب
يقرّ بعينى ان أزور ثراهما ... وألزق مكنون الترائب بالترب
وأبكى وأُبكى ساكنيها لعلّنى ... سأنجد من صَحب واسْعَد من سُحب
فما ساعدَتْ وُرق الحمام اخا اسًى ... ولا روّحتْ ريحُ الصَّبَى عن اخى كَرب
ولا آستعذبتْ عيناى بعدهما كرًى ... ولا ظمئَتْ نفسى الى البارد العذب
احنّ ويثنى اليأسُ نفسى عن الاسى ... كما آضطرّ محمول على المركب الصعب

وله يرثى ابنه محمدا

امحمدا ان كنتُ بعدك صابرا ... صبر السليم لما به لا يسلمُ
ورُزِئتُ قبلك بالنبىّ محمد ... ولرزؤه ادهى لدىّ واعظمُ
فلقد علمتُ بأنّنى بك لاحق ... من بعد ظنّى انّنى متقدّمُ
لله ذكرٌ لا يزال بخاطرى ... متصرف فى صبره مستحكمُ
فاذا نظرتُ فشخصه متخيّل ... واذا اصخْتُ فصوته متوقّمُ
وبكلّ ارض لى من اجلك لَوْعة ... وبكل قبر وَقْفة وتلوّمُ
فاذا دعوتُ سواك حاد عن آسمه ... ودعاه باسمك مُعْوِل بك مُغْرَمُ
حكم الردى ومناهج قد سنّها ... لِأُولى النهى والحزن قبل متمّمْ

انتهى، ولعمرى انه لم يوف القاضى ابا الوليد الباجى حقّه الواجب المفترض ووددتُ انه مدّ النفس فى ترجمته بعبارته التى يعترف ببراعتها من سلّم ومن اعترض فانّ ترجمة المذكور مما سطره افسح مجالا، وافصح رويّة وارتجالا،، وبالجملة فهو احد اعلام الاندلس وهو سليمان بن خلف بن سعد بن ايوب بن وارث التجيبى وذكره

---

a) Al-Makk. يوقف. b) Telle est la leçon des man. (A. B. G.) d'Ibn-Khākān ; al-Makkarī وبذاته. c) Voyez pag. ٥٠٩ .

ابن بسّام فى الذخيرة وابن خلكان وغير واحد واصله من بطليوس وانتقل جدّه الى باجة قرب اشبيلية وليس هو من باجة القيروان ومولده سنة ٤٠٣ ورحل سنة ٤٢٦ فقدم مصر وسمع بها وآجر نفسه ببغداد لحراسة الدروب وكان لما رجع الى الاندلس يضرب ورق الذهب ويعقد الوثائق الى ان فشا علمه وتهيّأت له الدنيا وشهرته تغنى عن وصفه، ومن نظمه قوله

ما طال عهدى بالديار وانما أَنْسَى معاهدَها اسًى وتبلُّدُ
لو كنت انبأتُ الديار صبابتى رقّ الصّفا بفنائها والجلمدُ

وله فى المعتضد بن عبّاد والد المعتمد

عبّادُ اْستعبد البرايا بأنعُم تبلغ النعائمْ
مديحُه ضِمْنُ كل قلب حتى تغنّتْ به الحمائمْ

ومن اشهر نظمه قوله اذا كنتُ اعلم البيتين وقد سبقا، وممن ذكره ايضا الحجارى فى المسهب وابن بشكوال فى الصلة وانه حجّ اربع حجج رحمه وتوفى فى المريّة لاحدى عشرة بقيت من رجب وقيل ليلة الخميس ١٩ صفر سنة ٤٧٤ ومن تواليفه المنتقى فى شرح الموطأ ذهب فيه مذهب الاجتهاد وايراد الحجج وهو مما يدل على تبحّره فى الفنون، ولما قدم من المشرق الى الاندلس بعد ١٣ عاما وجد ملوك الطوائف أحزابا مفترقة فمشى بينهم فى الصلح وهم يُجِلّونه فى الظاهر ويستثقلونه [a] فى الباطن ويستبردون نزعته ولم يُفِدْ شيئا فالله يجازيه عن نيّته، ولما ناظر ابنَ حزم قال له الباجى انا اعظم منك همّةً فى طلب العلم لانك طلبته وانت مُعَانٌ تسهر بمشكاة الذهب وطلبتُه وانا اسهر بقنديل [b] بائت السوق فقال ابن حزم هذا الكلام عليك لا لك لانك انما طلبتَ العلم وانتَ فى تلك الحال رجاءَ تبديلها بمثل حالى وانا طلبته فى حين ما تعلمه وما ذكرتَه فلم ارجُ به الّا علوّ القدر العلمىّ فى الدنيا والآخرة فأفحمه، قال عياض قال لى اصحابه كان يخرج الينا للاقراء وفى يده أَثَر المِطْرَقة الى ان فشا علمه ونوّهت الدنيا به وعظم جاهُه واجزلت صلاته حتى مات عن مال وافر وكان يستعمله الاعيان فى ترسّلهم ويقبل جوائزهم وولى القضاء بمواضع من الاندلس، وابن حزم المذكور هو ابو محمد ابن حزم الظاهرى قال ابن

a) S. ويستغلّونه. b) G. S. لقنديل.

حيان وغيره كان ابن حزم صاحب حديث وفقه وجدل وله كتب كثيرة فى المنطق والفلسفة لم يخل فيها من غلط وكان شافعى المذهب يناضل الفقهآء عن مذهبه ثم صار ظاهريا فوضع الكتب فى هذا المذهب وثبت عليه الى ان مات وكان له تعلّق بالادب وشنّع عليه الفقهآء وطعنوا فيه واقصاه الملوك وابعدوه عن وطنه وتوفى بالبادية عشية يوم الاحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ٤٥٦ وقال صاعد فى تاريخه كان ابن حزم اجمعَ اهلِ الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام واوسعهم معرفة مع توسّعه فى علم اللسان والبلاغة والشعر والسِّيَر والاخبار اخبرنى ابنه الفضل انه اجتمع عنده بخطّ ابيه من تواليفه نحو اربعمائة مجلد نقله عن تاريخ صاعد الحافظ الذّهبيّ، قال الذهبيّ وهو العلامة ابو محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الاموى مولاهم الفارسيّ الاصل الاندلسيّ القرطبى الظاهرى صاحب المصنفات واول سماعه سنة ٣٩٩ وكان اليه المنتهى فى الذكاء وحدّة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسُّنّة والمذاهب والملل والنحل والعربية والاداب والمنطق والشعر مع الصدق والديانة والحشمة والسودد والرئاسة والثروة وكثرة الكتب، قال الغزالى رحه وجدتُّ فى اسمآء الله تعـ كتابا لابى محمد ابن حزم يدلّ على عظم حفظه وسَيَلان ذهنه a انتهى باختصار، وعلى الجملة فهو نسيجُ وحده لو لا ما وُصف به من سُوء الاعتقاد، والوقوع فى السلف الذى اثار عليه الانتقاد،، سامحه الله وذكر الذهبيّ ان عمره اثنتان وسبعون سنة وهو لا ينافى قولَ غيره انه كان عمره احدى وسبعين سنة وعشرة اشهر لانه وُلد رحه بقرطبة بالجانب الشرقىّ فى ربض منية المغيرة قبل طلوع الشمس وبعد سلام الامام من صلاة الصبح آخر ليلة الاربعاء اخر يوم من شهر رمضان سنة ٣٨٤ بطالع العقرب وتوفى ليومين بقيا من شعبان سنة ٤٥٦ وكان كثير المواظبة على التاليف ومن جملة تاليفه كتاب الفصل، بين اهل الأهواء والنحل،، وكتاب الصادع والرادع على من كفّر اهل التاويل من فرق المسلمين والردّ على فرق التقليد، وكتاب شرح حديث الموطّأ والكلام على مسآئله، وكتاب الجامع فى صحيح الحديث باختصار الاسانيد والاقتصار على أصحّها، وكتاب التلخيص فى المسائل النظرية وفروعها التى لا نصّ عليها فى الكتاب والحديث، وكتاب منتقى الاجماع وبيانه من جملة ما لا

a) Les man. portent ذهبه.

يُعرَف فيه اختلاف، وكتاب الامامة والخلافة فى سِيَر الخلفآء ومراتبها والندب والواجب منها، وكتاب إخلاق النفس، وكتاب الايصال، الى فهم كتاب الخصال»، وكتاب كشف الالتباس، ما بين اصحاب الظاهر واصحاب القياس»، انتهى، وقال ابن سعيد فى حق ابن حزم ما ملخصه الوزير العالم الحافظ ابو محمد على بن الوزير ابى عمر احمد بن سعيد بن حزم الفارسى وشهرته تُغْنى عن وصفه وتوفى مَنْفيا بقرية من بلده ·بلد لبلة ووصله من ابن عَمّه أبى المغيرة رسالةٌ فيها ما اوجب ان جاوبه بهذه الرسالة وهى سمعتُ واطَعْتُ لقوله تعالى وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ a واسلمتُ وٱنْقَدتُ لقول نبيّه عليه الصلاة والسلام صِلْ مَن قطعك واعفِ عمّن ظلمك ورضيتُ بقول الحكمآء كفاك انتصارا ممّن تعرّض لاذاك اعْراضُك عنه، واقول

تتبّعْ سواى آمْرأً b يبتغى ... سبابَك انّ هواك السبابْ
فانى ابيتُ طلابَ السفاه ... وصُنتُ محلّى عمّا يُعابْ
وقُلْ ما بدا لك من بعد ذا ... وأَكْثِرْ فان سُكوتى خطابْ

واقول

كفانى بذكر الناس لى ومآثرى ... وما لك فيهم يا ابن عمّى ذاكرُ
عدوّى واشياعى كثير كذاك مَنْ ... غدا وهو نفّاعُ المساعى وضآئرُ
وانى وإن آذيْتنى وعققْتَنى ... لَمُحتملٌ ما جاءنى منك صايرُ

فوقع له ابو المغيرة على ظهر رفعته قرأتُ هذه الرقعة العاقة فحين استوعبتُها انشدتْنى

تَنَحْنَحَ زيدٌ وسَعَلْ ... لَمّا رأى وَقْعَ الأَسَلْ

فأردتُّ قطعَها وترك المراجعة عنها فقالت لى نفسى قد عرفت مكانها بالله لا قطعتْها الا يده فاثبتْ على ظهرها ما يكون سببا لصونها c فقلت

نعقتَ ولم تدر كيف الجوابْ ... واخطأتَ حتى اتاك الصوابْ
واجريتَ وحدك فى حلبة ... نَأَتْ عنك فيها الجيادُ العِرابْ
وبتَّ من الجهل مستنبحًا d ... بغير قرى فاتتْك الذُّبابْ
فكيف تبيّنت عُقْبى الظلوم ... اذا ما انقضتْ بالخميس العُقابْ
لعمرُك ما لى طِبَاع تذمّ ... ولا شيمة يومَ مجد تعابْ
انيلُ المنى والظّبَى سخطة e ... واعطى الرضى والعوالى غضابْ

a) Voyez sour. 7, vs. 198. b) Telle est la leçon du manuscr. B.; les autres portent أمرى. c) G. et S. الى صونها. d) O. مستصحبا, S. مستنحيا. e) B. G. L. S. سخط.

واقول

وغاصبُ حقّى أوبقته المقادرُ … يُذكّرنى حاميمَ والرمحُ شاجرُ

غدا يستعير الفخرَ من خيم خصمه … ويجهلُ ان الحقّ ابلجُ ظاهرُ

ألمْ تتعلم يا اخا الظلم اننى *أبـ … ـنُ عَمّك b ناهٍ منذ عشرٍ وآمرُ

تُذلّ لى الاملاكُ حرَّ نفوسها … واركبُ ظهر النَّسْر والنسر طائرُ

وابعث فى اهلى الزمان شواردا … تُلينهمْ وهى الصعابُ النوافرُ

فان أنْوِ فى ارض فانّىَ سائر … وان انا عن قوم فانّىَ حاضرُ

وحسبك ان الارض عندك خاتم … وانّك فى سَطْحِ السلامة عاثرُ

ولا لومَ عندى فى استراحتك التى … تنفّستَ عنها والخطوب فواقرُ

فانّى للخُلْف الذى مرّ حافظ … وللنزعة الاولى بحاميم ذاكرُ

هنيئا لكلّ ما لديه فاننا … عطيّةُ مَن تبلى لديه السرائرُ

ومن شعر ابى محمد ابن حزم يخاطب قاضى الجماعة بقرطبة عبدَ الرحمن بن بشير

انا الشمس فى جوّ العلوم منيرة … ولكنّ عيبى انّ مَطْلعى الغربُ

ولو انّنى من جانب الشرق طالع … لجدّ على ما ضاع من ذكرِىَ النّهْبُ

ولى نحوَ آفاق العراق صبابة … ولا غروَ ان يستوحش الكَلِفُ الصبُّ

فان يُنْزِل الرحمن رَحْلِىَ بينهم … فحينئذ يبدو التأسّفُ والكرب

فكم قائل اغفلتُه وهو حاضر … واطلب ما عنه تجىء به الكتب

هنالك يدرى c أنّ للعبد قصّة … وانّ كسادَ العلم آفتُه القُرْبُ

فيا عجبا من غاب عنهم تشوّقوا d … له ودُنوُّ المرء من دارهم ذنب

وان مكانا ضاق عنّى لضيّقٌ … على انه فيح مهامِهُه سُهب

وان رجالا ضيّعونى لضيّعٌ … وانّ زمانا لم انل خِصْبَه جدب

ومنها فى *الاعتذار عن e مدحه لنفسه

ولكنّ لى فى يوسف خيرَ أسوة … وليس على مَن بالنبىّ ائتسى ذنبُ

يقول مقالَ f الحقّ والصدق *انّنى … حَفيظٌ عَليمٌ g ما على صادق عَتْبُ

a) Telle est la leçon que propose M. Dozy (*Catal. Codd. Orient.*, I, p. 234); les man. portent (R. et S.) برغمك, ou (B. G. L. O.) بزعمك. b) 'Abd-al-wāhid (p. ٣٣) أكناف. c) B. G. L. تدرى. d) L. تشوفوا. e) Ces mots manquent dans les man. d'al-Makkarī; voyez 'Abd-al-wāhid, p. ٣٤. f) 'Abd-al-wāhid وقال. g) Voyez sour. 12, vs. 55.

وقوله لا يَشْتمنْ حاسدى ان تكبة عرضتْ فالدهر ليس على حال بمترك
ذو الفضل كالتبر *يُلقَى تحت متربة طورًا وطورا يُرى تاجا على مَلك[a]

وقوله لما أحرق المعتضد بن عبّاد كتبه باشبيلية
دَعونىَ من احراق رقّ وكاغد وقولوا بعلمى[b] كَىْ يرى الناسُ مَن يدرى
فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذى تضمّنه القرطاسُ بل هو فى صدرى
يَسيرُ معى حيث استقلّت ركائبى وينزل ان انزلْ ويُدفَن فى قبرى

وقوله لئن اصبحتُ مرتحلا بشخصى فقلبى عندكم ابدًا مقيمُ
ولكنْ للعيان لطيفُ مَعْنى لذا[c] سَأَلَ المعاينةَ الكليمُ،

وقوله وذى عذل فيمن سبانىَ حسنُه يُطيل مَلامى فى الهوى ويقول
أَمِن حُسْن[d] وجه لاح لم تر غيره ولم تدر[e] كيف الجسمُ انت عليل[f]
فقلتُ له اسرفتَ فى اللوم فأتّئدْ وعندىَ[g] رَدٌّ لو اردتُّ طويل
الم تر انّى ظاهرىٌّ واتّنى على ما ارى[h] حتى يقوم دليل

وهو ابو محمد على بن ابى عمر احمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن مزيد القرطبى، قال ابنه ابو رافع الفضل اجتمع عندى بخط ابى من تواليفه نحو اربعمائة مجلد تشتمل على قريب من نحو ثمانين الف ورقة انتهى، وابوه الوزير ابو عمر المذكور كان من وزرآء المنصور بن ابى عامر وتوفى كما قال ابن حيّان بذى القعدة سنة ٤٠٢، وكان منشأه ومولده بقرية تعرف بالزاوية، وحكى ان الحافظ ابا محمد ابن حزم قصد ابا عامر ابن شُهَيْد فى يوم غزير المطر والوحل شديد الريح فلقيه ابو عامر واعظم قصده على تلك الحال وقال له يا سيدى مثلك يقصدنى فى مثل هذا اليوم فانشده ابو محمد ابن حزم بديها

ولو[i] كانت الدنيا دُوَيْنك لُجّةً وفى الجو صَعْق دائم وحريقُ
لسَهّل ودّى فيك نحوك مسلكا ولم يتعذّر لى اليك طريقُ

a) 'Abd-al-wāhid: طورا تحت ميقعة وتارة فى ذرى تاج على ملك. b) B. S. بعلم.
c) *Matmah* بذ. d) Telle est la leçon du *Matmah*; al-Makk. اجل. e) B. تر. f) *Matmah* فتبيل. g) Telle est la leçon d'Ibn-al-Khatīb (voyez Dozy, *Catal. Codd. Orient. Bibl. Acad. Lugd.-Batav.*, I, 229); al-Makk. et *Matm.* فعندى. h) Ibn-al-Khatīb بدا. i) Les manuscrits portent فلو.

قال الحافظ ابن حزم رحمه الله قال لى الوزير ابى فى بعض وصاياه لى .

اذا شئت ان تكون غنيّا فلا تكن   على حالة الّا رضيت بدونها

وهذا كما قيل فضل الفرع والاصل سامح الله الجميع ، وقال ابن حزم فى طوق الحمامة انه سار يوما هو وابو يوسف ابن عبد البرّ صاحب الاستيعاب بسكّة الحطّابين من مدينة اشبيلية فلقيهما شابّ حسن الوجه فقال ابو محمد هذه صورة حسنة فقال له ابو عمر لم نر الّا الوجهَ فلعلّ ما سترتْه الثياب ليس كذلك فقال ابن حزم ارتجالا

وذى عَذَلٍ فيمن سبانىَ حسنُه الابيات ولابن حزم ايضا قوله

لا تَلُمْنى لان سبْقةَ لحظ   فات ادراكُه ذوى الالبابِ

يسبق الكلبُ وثبةَ الليث فى العَدْ   وِ ويعلو النخالُ فوق اللُبابِ

ولابى بكر بن مفوّز جزء يردّ فيه على ابى محمد بن حزم وفيه قال معرضا

يا مَن تعسّانى امورا لن تعانيَها a   خَلِّ التعانى وأَعطِ القوس باريها b

تروى c الاحاديثَ عن كلِّ مسامحةً   وانّما لمُعانيها مَعانيها

وقيل انه خاطب بهما بعض اصحاب ابن حزم، رجع الى القاضى ابى الوليد الباجى ومن نظمه قوله من مرثية احنّ ويثنى اليأس نفسى عن الاسى البيت d ومن جيّد نظمه قوله

اسَرّوا على الليل البهيم سُراهمُ   فنمّت عليه فى الشمال شمائلُ

متى نزلوا ثاوين بالخيف من منى   بدَتْ للهوى بالمازمَيْن مخائلُ

فلله ما ضمّتْ منى وشعابُها   وما ضمنت تلك الرّبى والمنازلُ

وسما التقينا للجمار وابرزت   اكفّ لتقبيل الحصى وانامِلُ

٥ اشارت الينا بالغرام e مَحاجرُ   وباحت به منّا جسوم نواحلُ

وقال الباجى ابو الوليد رحمه

مضى زمن المكارم والكرام   سقاه الله من صوب الغمامِ

وكان البرّ فعلا دون قول   فصار البرّ نطقا بالكلامِ

وذيّله بعضهم بقوله

وزال النُّطق حتى لستَ تلقى   فتى يسخو f بردّ للسلام

---

a) Telle est la leçon de B.; G. يعاينها, L. O. S. يعانيها. b) S. رامبها. c) O. يروى.
d) Voyez p. ٥١٠. e) G. L. بالعزام. f) O. ينحو.

وزاد الأمر حتى ليس الّا   سخيّ بالأذى او بالملام،

ومنهم الفقيه العالم الشهير ابو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن ٣٩
سليمان بن ايوب الفهرى الطرطوشى صاحب سراج الملوك ويعرف بابن ابى رَنْدَقة بالرآء المهملة المفتوحة وسكون النون وكفى بسراج الملوك دليلا على فضله وذكره ابن بشكوال فى الصلة وتوفى بالاسكندرية فى شعبان وقيل جمادى الاولى سنة ٥٢٠ a وزرت قبره باسكندرية، وممن اخذ عنه الحافظ القاضى ابو بكر بن العربى وغيره، ومن نظم الطرطوشى قوله من رسالة

اقلّبُ طرفى فى السماء تردّدًا   لعلّى ارى النجم الذى انت تنظرُ
وأستعرض الركبان من كلّ وجهة   لعلّى بمن قد شمّ عَرفَك اظفرُ
وأستقبل الارياحَ b عند هبوبها   لعلّ نسيمَ الريح عنك c تخبّرُ
وامشى ومالى فى الطريق مآربُ   عسى نغمةٌ بأسم الحبيب ستذكرُ d
e وألمح مَن ألقاه من غير حاجة   عسى لمحةٌ من حسن وجهك تسفرُ

ومن نظمه ايضا قوله

يقولون ثكلى ومن لم يذُق   فراق الاحبّة لم يثكلِ
لقد جرّعتنى ليالى الفراق   كُؤسًا امرَّ من الحنظلِ

وممّا نسب اليه

اذا كنتَ فى حاجة مرسِلا   وانت بانجازها مُغرَم
فأرسلْ بأكْمَه جلّابة   به صممٌ اغطشُ أبْكَم
ودَعْ عنك كلَّ رسول سوى   رسولٍ يقال له الدرهم

وكان كثيرا ما ينشد

إنّ لله عِبادا فُطنا   طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
فكّروا فيها فلمّا علموا   انّها ليست لحىّ وَطَنا
جعلوها لُجّةً وأتخذوا   صالحَ الاعمال فيها سُفنا

وقال رحمه كنت ليلة نائما بالبيت المقدس اذ سمعت فى الليل صوتا حزينا ينشد

أخوفٌ ونومٌ إنّ ذا لعجيبُ   ثكلتْك من قلب فأنت كذوبُ
اما وجلال الله لو كنت صادقا   لَمَا كان للاغماض فيك نصيبُ

قال فاىقظ النوام وابكى العيون، وكان رحمه زاهدا متورعا متقلّلا من الدنيا قوالا

a) S. ٥٢٠.   b) B. G. L. الارواح.   c) S. عنكم.   d) S. O. تذكر.   e) O. ajoute وكان كثيرا ما ينشده ☆

للحتف، وكان يقول انا عرض لك امران « امرُ دُنيا وأُخرى فبادِرْ بامر الاخرى يحصل لك امر الدنيا والاخرى، وله طريقة فى الخلاف ودخل مرّة على الافضل بن امير الجيوش فوعظه وقال له انّ الامر الذى اصبحت فيه من الملك انّما صار اليك بموت مَن كان قبلك وهو خارجٌ عن يدك بمثل ما صار اليك فاتّق الله فيما خوّلك من هذه الامّة فان الله عز وجل سائلك عن النقير والقطمير والفتيل واْعلمْ أن الله عز وجل آتى سليمان بن داود مُلك الدنيا بحذافيرها فسخّر له الانس والجنّ والشياطين والطير والوحش والبهائم وسخّر له الريحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ *b* ورفع عنه حسابَ ذلك اجمع فقال عزّ من قائل هذا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ *c* فما عدّ ذلك نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف أن يكون استدراجا من الله عز وجل فقال هذا من فضل ربّى ليبلونى أأشكر ام اكفر فافتح الباب وسهّل الحجاب وانصُر المظلوم، وكان الى جانب الافضل رجل نصرانى فانشده

يا ذا الذى طاعتُه قربه *d*   وحقّه مفترَض واجبُ
انّ الذى   من اجله   يزعم هذا انّه كاذبُ

واشار الى النصرانى فاقامه الافضل من مكانه، والطرطوشى بضم الطائين نسبة الى طرطوشة من بلاد الاندلس وقد تفتح الطاء الاولى وعبّر عنه الحاجب فى مختصره الفقهى فى باب العتق بالاستاذ، وكان رحمه صحبَ القاضى ابا الوليد الباجى بسرقسطة واخذ عنه مسائل الخلاف وسمع منه واجازه وقرأ الفرائض والحساب بوطنه وقرأ الادبَ على ابى محمد ابن حزم بمدينة اشبيلية ثم رحل الى المشرق سنة ٤٧٦ ودخل بغداد والبصرة وتفقه عند ابى بكر الشاشى وابى محمد الجرجانى وسمع بالبصرة من ابى على التسترى وسكن الشام مدة ودرس بها وكان راضيا باليسير، وقال الصفدى فى ترجمة الطرطوشى ان الافضل بن امير الجيوش انزله فى مسجد شقيق الملك بالقرب من الرَّصَد وكان يكرهه فلما طال مقامه به ضجر وقال لخادمه متى نصبر أجمع لى المُباح فجمعه واكله ثلاثة ايام فلما كان عند صلاة المغرب قال لخادمه رميته الساعة فلما كان من الغد ركب الافضل فقتل ووُلى بعده المامون بن البطائحى فاكرم الشيخ اكراما كثيرا وله الّف الشيخ سِراج الملوك انتهى ومقامه اعنى الطرطوشى

a) Ce mot manque dans B. G. L. *b*) Voyez sour. 38, vs. 35. *c*) Voyez sour. 38, vs. 38.
d) Les man. portent قريبة. J'ai corrigé d'après Ibn-Khallikān (n°. 616).

مشهور وهذه الحكاية تكفى فى ولايته، ومن تآليفه مختصر تفسير الثعالبى، والكتاب الكبير فى مسائل الخلاف، وكتاب فى تحريم جُبْن الروم، وكتاب بدع الامور ومحْدَثاتها، وكتاب شرح رسالة الشيخ ابن ابى زيد، ووُلد سنة ٤٥١ تقريبا ولما توفى صلّى عليه ولده محمد ودفن رحّه قبل الباب الاخضر بالاسكندرية وزرتُ قبره مرارا رحّه ورضّه ونفعنا به وكان القاضى عياض ممّن استجازه فاجازه ولم يلقه وشهرته رضّه تغنى عن الاطناب، حكى انه كتب على a سراج الملوك الذى اهداه لولىّ الامر بمصر

النّاسُ يُهدُون على قدرهم   لكنّنى أُهْدِى على قدرى
يهدون ما يفنى واهدى الذى   يبقى على الايّام والدهر

وحكى انه سمع رضّه منشدا ينشد للوأوآء الدمشقى b

قمرٌ اتى من غير وعد   فى ليلة طرقتْ بسعد
بات الصباح الى الصبا   ح مُعانقى خدًّا بخدّ c
يمتار d فىّ وناظرى e   ما شئتُ من خمر وورد

فقال اَوَيظن هذا الدمشقى ان احدا لا يُحسِن ينظم الكذبَ غيره لو شئنا لكذبنا f مثل هذا ثم انشد لنفسه معارضة

قمرٌ بدا من غير وعد   حقّت شمائلُه
قبّلتُه ورشفتُ ما   فى فيه من خمر وشُهْد
فرشفتُ g مُزن السلسبيـ   ـل بزنجبيل مستعَدّ
ولثمتُ فاه من الغرو   بِ الى الصباح المستجَدّ
وسكرت من رشفى العتيـ   ـقَ h على اقاح تحت رَنْد i
فنزعتُ عن فمه فمى   ووضعتُ خدّا فوق خدّ
وشممتُ عرف نسيمه   آلْجارى على مسك وقدّ k
وصحوتُ من ريّا القرنْـ   ـفل بين ريْحان وورد
وأَلَذُّ من وصلى به   شكواه وجدا مثل وجدى

---

a) O. ajoute لسان. b) J'ai ajouté le mot الدمشقى d'après le manuscrit O. qui porte (sic) للواو الدمشفى ; L. للوادأء ; voyez Ibn-Khallikān, n°. 861 (p. ١٠٨). c) S. بخدّى. d) G. L. R. S. بمنار. e) R. وخاطرى. f) B. لقلنا. g) O. ورشفت. h) B. G. L. S. العقيق. i) O. R. زند. k) O. ورند.

ومن نظم الطرطوشي ايضا بقوله

كأنّ لِسانِىَ والمشكلات سنا الصبح ينجر [a] ليلاً بهيما
وغيرِىَ ان [b] رام ما رُمْته خصىٌّ يحاول فَرْجا عقيما

وقوله فاعمل [c] لمعادك يا رَجُلُ فالقوم [d] لدنياهم عملوا
وٱدّخرْ لمسيرك من زادٍ فالقوم بلا زاد رحلوا

٤٧ ومنهم محمد [e] بن عبد الجبار الطرطوشي [f] وفد الى المشرق وذكره العماد فى الخريدة وله [g] فى * الآمدى العلى [h] بمصر وكان يخضب بسواد الرمان [i] يخضب باقبح خضاب سواده

اخلطِ العفص فيه يا أحْوَجَ النا سِ الى العفص حين يعكس عفصْ [j]

٤٨ ومنهم القاضى الشهير الشهيد ابو على الصيرفى [k] حسين بن محمد بن فِيرّه بن حيون ويعرف بابن شُكّرة وهو من اهل سرقسطة سكن مرسيّة وروى بسرقسطة عن الباجى وابى محمد عبد الله بن محمد بن اسمعيل وغيرهما وسمع ببلنسية من ابى عبّاس [l] العذرى وسمع بالمرية من ابى عبد الله محمد بن سَعْدون القَرَوى وابى عبد الله ابن المرابط وغيرهما ورحل الى المشرق اوّل المحرم سنة ٤٨١ وحج من عامه ولقى بمكة ابا عبد الله الحسن بن على الطبرى وابا بكر الطرطوشي وغيرهما ثم صار الى البصرة فلقى بها ابا يَعْلَى [m] المالكى وابا العبّاس الجرجانى وابا القاسم ابن شُعْبة وغيرهم وخرج الى بغداد فسمع بواسط من ابى المعالى محمد بن عبد السلام الاصبهانى وغيره ودخل بغداد سنة ٤٨٢ فاطال الاقامة بها خمس سنين كاملة وسمع بها من ابى الفضل بن خِيرون [n] مُسند بغداد ومن ابى الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفى وطَرّاد [o] الزينبى والحميدى وغيرهم وتفقه عند ابى بكر الشاشى وغيره ثم رحل منها سنة ٨٧ فسمع بدمشق من ابى الفتح نصر المقدسى وابى الفرج الاسفرآئنى وغيرهما وسمع بمصر من القاضى ابى الحسن الخِلَعى وابى العباس احمد بن ابراهيم الرازى واجاز له الحبّال مُسْنِدُ مصر فى وقته ومُكثِرها وسمع بالاسكندرية من ابى القاسم

a) B. O. ينجر. b) O. اذا. c) O. اعمل. d) G. S. فللقلب, L. فالقلب, O. فالناس.
e) 'Imād-al-dīn (*al-Kharīda*, man. de Paris) محمود. f) 'Imād-al-dīn الطرسوسى. g) 'Imād-al-dīn ajoute يهجو. h) Telle est la leçon d' 'Imād-al-dīn ; les manuscrits d'al-Makkari portent الامد العجلى. i) 'Imād-al-dīn الرماد. j) عفص حين يعكس = صفع, *soufflet*. k) L. الصدفى, S. الصفدى. l) L. العباس. m) S. على. n) S. خيزون. o) S. وطبراد.

الورّاق وشُعَيب بن سعيد وغيرهما ووصل الى الاندلس فى صفر من سنة ٤٩٠ a وقصد مرسية فاستوطنها وقعد يحدّث الناس بجامعها ورحل الناس من البلدان اليه وكثر سماعهم عليه، وكان عالما بالحديث وطرقه عارفا بعلله واسمآء رجاله ونَقَلته وكان حسن الخط جيّد الضبط وكتب بخطّه علما كثيرا وقيّده وكان حافظا لمصنّفات الحديث قائما عليها ذاكرا لمتونها واسانيدها ورُواتها b وكتب منها صحيح البخارى فى سفر وصحيحَ مسلم فى سفر وكان قائما على الكتابين مع مصنّف ابى عيسى الترمذى وكان فاضلا ديّنا متواضعا حلوما وقورا عالما عاملا واستقضى بمرسية ثم استعفى فأُعفى واقبل على نشر العلم وبثّه، وقد ذكره ابو القاسم ابن عساكر فى تاريخه لدخوله الشام قال وبعد ان استقرّت به النوى، واستمرت افادته بما قيد وروى،، *رفعتْه ملوكه c اوانه، وشفعته فى مطالب اخوانه،، فاوسعته رعيا، وحسّنت فيه رايا،، ومن ابنائهم من جعل يقصده، لسماع يُسْنِده،، وعلى وقاره الذى كان به يعرَف، ندر له مع بعضهم d ما يستطرَف e،، وهو انّ فتى يسمّى يوسف لازم مجلسه، معطرا رائحته ومنظفا ملبسه،، ثم غاب لمرض قطعه، او شُغْلٍ منعه،، ولمّا فرغ او ابلّ، عاود ذلك النادى المبارك والمحل،، وقبل افضائه اليه f، دلّ طيبُه عليه،، فقال الشيخ على سلامته من المجون، وسلامته من الفتون، اِنّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ g،، وهى من طرف نوادره رحمة الله عليه، ولمّا قُلِّد قضاء مرسية وعزم عليه صاحبُ الامر فرّ الى المرية فاقام بها سنة خمس وبعض سنة ست وخمسمائة وفى سنة ستّ قبل قضاءها على كره الى ان استخفى آخر سنة سبع فى قصّة يطول ابرادها وبطول مُقامه بالمرية اخذ الناس عنه بها فلما كانت وقعة كَتَنْدَة كان ممّن حضرها ففقد فيها سنة ٥١٤ رحمه، وقال القاضى عياض ولقد حدّثنى الفقيه ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر انه قال له خُذ الصحيح واذكر أىّ متن شئت منه أذكرُ لك سَنَدَه او اىّ سند شئتَ أذكر لك متنه انتهى، وذكر غير واحد انه حدّث ببغداد بحديث واحد والله اعلم،

٤٩ ومنهم ابن ابى روح الجزيرى ومن شعره لمّا تغرّب بالمشرق قوله

احنّ الى الخضرآء فى كلّ موطن   حنينَ مشوقٍ للعناق وللضمّ

a) Tous les manuscrits portent ٤٧٠. b) S. وروايتها. c) Telle est la leçon de B., les autres manuscrits portent مسلوك (G. رفعته) رفعته. d) S. ajoute على. e) B. يستطرف. f) Les man. portent اليه. g) Voyez sour. 12, vs. 94.

وما ذاك الّا أنّ جسين زهتها   ولا بدّ من شوق الرضيع الى الأمّ .

٥٠ ومنهم a العالم ابو حفص عمر بن الحسن الهوزنى الحسيب العالم المحدّث (ذكره ابن بسّام فى الذخيرة والحجارى فى المسهب) وسبب رحلته الى المشرق انه لما تولّى المعتضد بن عبّاد خاف منه فاستاذنه فى الحجّ سنة ٤٤٤ ورحل الى مصر ثم الى مكة وسمع (فى طريقه كتاب) صحيح البخارى وعنه اخذه اهل الاندلس ورجع فسكن اشبيلية وخدم المعتضد فقتله (ومَن من شىء سُلّط عليه وكان قتله يوم الجمعة ١١ ليلة خلت من ربيع الاول) سنة ٤٦٠ رحمه ومن شعره يحرّضه على الجهاد قوله

أعبّادُ جلّ الرزؤُ والقوم هُجّع   على حالة من مثلها يُتوقّعُ

فلقّ كتابى من فراغك ساعةً   وان طال فالموصوفُ للطُّول موضعُ

اذا لم أبثّ الدآء ربّ b شكاية   اضعتُ واهلٌ للملام المضيّعُ .

(ووصله بنثر وهو) وما اخطأ السبيل مَن اتى البيوت من ابوابها، ولا أرجى الدليل مَن أناط الامورَ بارِبابها، ولرُبّ امل بين اثنآء المحاذير مُدْمَجٍ c، ومحبوب فى طىّ المكاره مدرج، فانتهزْ فرصتها فقد بان من غيرك العجز، وطبّق مفاصلها d فكان قد امكنك الحزّ، ولا غرو ان يستمطر الغمام فى الجدب، ويستصحب الحسام فى الحرب، وله

صرّح الشرُّ فلا يستقلّ   إن نهلتم جاءكم e بعدُ عَلّ

يَدْرؤ صعْق الارض رشٌّ وطَلّ   ورباح أبلّ

خَفّضوا فالداء رزؤٌ اجلّ   وآغمدوا سيفًا عليكم يُسَلّ

f وبسبب قتل بنى عبّاد لابى حفص الهوزنى المذكور تسبّب ابنُه ابو القاسم فى فساد دولة المعتمد بن عبّاد وحرّض عليه امير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب المغرب حتى ازال ملكه، ونثر سلكه، وسبّب هلكه، كما ذكرناه فى غير هذا الموضع من هذا الكتاب غير مرة فليراجعه من اراده فى محالّه، وبيت بنى الهوزنى بالاندلس بيت كبير مشهور ومنهم عدة علمآء وكبرآء رحم الله الجميع f

---

a) Cet article se trouve deux fois dans ce livre, et comme la différence qui existe entre les deux redactions n'est pas importante, je n'en ai donné que la première, en plaçant entre des crochets les additions de la seconde. b) B. G. L. دبّ, S. دبت. c) Seconde réd. مدرج. d) Prem. réd. مصاربها. e) Prem. réd. B. G. L. جانح, O. جانحا. f) Au lieu de ce passage la première rédaction ne porte que ceci: وابنه ابو القاسم هو الذى كان سبب فساد دولة المعتمد بن عبّاد بسبب قتل المعتضد والده كما مرّ ۞

ومنهم ابو عمرو عثمان بن الحسين اخو الحافظ ابى الخطاب ابن دحية الآتى ذكره a كان اسنّ من اخيه ابى الخطاب وكان حافظا للغة العرب قيّما بها وعزل الملك الكامل ابا الخطاب عن دار الحديث الكاملية التى انشأها بين القصرين ورتّب مكانه اخاه ابا عمرو المذكور ولم يزل بها الى ان توفى سنة ٦٣٤ بالقاهرة ودفن بسفح المقطّم كاخيه وكان موت ابى عمرو بعد ابى الخطاب بسنة رحمهما٬

ومنهم الكاتب ابو بكر محمد بن قاسم من اهل وادى الحجارة ويعرف باشكنهاده b ٥٢
وارتحل الى المشرق لما نبتْ به حضرة قرطبة عند تقلّب دولها٬ وتحوّل ملوكها وخولها،، فجال فى العراق٬ وقاسى ألم الفراق،، واجتاز بحلب٬ واقام بها مقامَ غريب لم يصْف له حلب،، وقال

ابن اقصى الغرب من ارض حَلَب   آمل فى الغرب موصولَ التعبْ
حنّ من شوقٍ الى اوطانه   مذ c جفاه صبرَه لما اغتربْ
جال فى الارض لَجاجًا حائرًا   بين شوق وعناء ونصَبْ
كلُّ من يلقاه لا يعرفه   مستغيثا بين عجم وعرَبْ
لَهْفَ نفسى اين هاتيك العُلى   وا ضياعاهُ ويا غبْن الحسَبْ
والذى قد كان ذُخْرا وبه   أرتجى المال وادراك الرتبْ
صار لى أنْجَسَ d ما اعددتُه   بين قوم ما دروا طعْم الادبْ
يا احبّائى اسمعوا بعضَ الذى   يتلقاه الطريدُ المغتربْ
وليكنْ زَجْرًا لكم عن غربة   يرجع الراسُ لديها كالذنَبْ
واحملوا طعنا وضربا دائما   فهو عندى بين قومى كالضربْ
ولئن قاسيت ما قاسيتُه   فبما ابصر لحظى من عجَبْ
ولقد أُخْبِركم e ان الذى   بكمُ حتى تقولوا قد كذب

واجتاز بدمشق فقال من ابيات

دمشق جنّة الدنيا حقيقا   ولكن ليس تصلح للغريبِ
بها قومٌ لهم عدد ومجد   وصحبتهم تئول الى حروبِ

ثم انه ودّع الشرق بلا سلام٬ وحل بحضرة دانية لدى ملكها مُجاهد العامرى ذى

a) Voyez n°. 55. b) O. باسكناده, L. باشنكهاده. c) B. L. ممن. d) G. O. بنجس, S. بنخس. e) S. اخبرتكم.

بحبوحة عزّ لا يخشى فيه بالظلام ،، واستقبل الاندلس بخاطر جديد، ونال بها بعدُ من بلوغ الآمال ما ليس عليه مزيد ،، وقال

وكم قد تهيّبت الجهد قبل مجاهد   وكم ابصرتْ عينى وكم سمعت اذنى

ولاقيت لِنْ دهرى وصرف خطوبه   كما جرّتِ النكباء فى معْطف الغصن

فلا تسألونى عن فراق جهنّم   ولٰكن سلونى عن دخولى الى عدنِ

ولهُ منْ كتاب . . . . . وحاملُ كتابى سلّمه الله واعانه ممّن اخنى عليه الزمان، وادار عليه بما صحا الى الآن من *a* كؤوس الهوان ،، وقد قصد *b* على بُعد جنابك الرحيب الخصيب، قصْدَ الحسن محلّ الخصيب، ويمّم جناب ابن طاهر حبيب ،، وانّى لارجو ان يرجع منك رجوعَ نصيب عن سليمان، ويستعين فى شكرك بكل لسان ،، وانت *c* عليم بان الثناء هو الخلف وقد قال الاول

ارى الناسَ احدوثة   فكُونى حديثا حسَن

وانا القائل   فلا تزهدَنْ فى الخير قد مات حاتمٌ   وأخبارُه حتى القيامة تُذكَر

ومع هذا *d* فهو عليه بقدر ما يحتمل *e* من التكليف هذا الأوان، عارف وجوه الاعذار غير *f* ذى عاجل فى العَتب قبل البيان وعند سيدى من التهدى للايصاء ما يحقق فيه جميع الرجاء ،، دامت ارجآؤه مؤمّلة، ولا برحتْ نعمُه سابغة مكملة ،،

٣٥ ومنهم الكاتب ابو عبد الله محمد بن عبد ربه المالقى، وقال بعضهم انه من الجزيرة الخضرآء له رحلة الى الديار المصريّة صنع فيها مقامة يقول فيها

وفى جنبات الروض نهر ودوحة   يروقك منها سُندسٌ ونُضارُ

تقول وضوء البدر فيه مغرّب *g*   ذراعُ فَتاة *h* دارَ فيه سُوارُ

ومن شعره   ما *i* كلّ انسان اخٌ مُنصفٌ   ولا الليالى ابدًا تُسعفُ

فلا تُضِعْ ان امكنتْ فُرصة *j*   وأصحبْ من الاخوان مَن يُنصفُ

وآنتفْ من الدهر ولو ريشةً   فانّما حظّك ما تنتفُ

وقوله يرثى السيد ابا عمران *k* ابن امير المؤمنين يوسف بن امير المؤمنين عبد المؤمن

a) Ce mot manque dans les man. *b*) S. فقصدت. *c*) S. فانت. *d*) B. هذه. *e*) B. يحتمله. *f*) G. S. وغير. *g*) Les manuscrits portent مغربا. *h*) G. قناة. *i*) B. G. L. من. *j*) S. فلا تضيع فرصة امكنت. *k*) Telle est la leçon de B. G. L. O. R.; S. porte أبو عمر; voyez 'Abd-al-wāhid, p. 177, l. 2.

ابن على ملك المغرب والاندلس،

بجيد المعالى اىّ عقد تبدّدا   وصدر العوالى اىّ رمح تقصّدا
ولمّا دهتْ خيل الشقىّ فجآءةً   وسال العِدَى بحرا من الموت مزبدا
شهدتَّ بوجه كالغزالة مشرقا   وان كان وجه الشمس بالنقع مُرْبَدّا [a]
عزآئمُ صدق ليس تصرف هكذا   الى الموت تسعى او على الموت يعتدى

وكان السيد ابو عمران المرثى قتله الميورقى صاحبُ فتنة افريقية فى الهزيمة المشهورة على طاهرت [b]، وجمع ابن عبد ربّه المذكور شعر السيد ابى الربيع بن عبد الله بن امير المؤمنين عبد المؤمن بن على وكان عبد ربّه المذكور كاتبا للسيد ابى الربيع سليمان المذكور ولما انشد لبعض الشعرآء

حاكت يمين الرياح مُحْكَمَةً   فى نَهَرٍ واضح الاساريرِ
فكلّما ضعفت به حلقا   قام لها القطر بالمسامير

انشد لنفسه

بين الرياض وبين الجوّ معترك   بيضٌ من البرق او سُمْرٌ من السُمُرِ
ان اوترت قوسها كفُّ السماء رمت   نبلا من الماء فى زغف [c] من الغدر
لاجل ذاك اذا هبّت طلائعها   تدرّع النهر واهتزّت قنا الشجر

واجتمع ابن عبد ربّه المذكور فى رحلته بالسعيد [d] بن سنآء الْملك واخذ عنه شيئا من شعره ورواه بالمغرب،

١۴ منهم الشاعر الاديب ابو محمد عبد المنعم بن عمر بن حسان المالقى ومن نظمه فى السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب من قصيدة

وفى صهوات المقربات وَفى القنى   حصون حمًى لا فى هضاب [e] المعاقل
ومنها
ولا مَلك ياتى كيوسف آخرا   كما لم يجئْ مثلٌ له فى الاوآئل،

١٥ ومنهم الحافظ ابو الخطاب ابن دَحْيَة وهو مجد الدين عمر بن الحسن بن على ابن محمد بن فرح بن خلف الظاهرى المذهب الاندلسى كان من كبار المحدّثين

---

a) G. L. S. مزبدا. b) Les man. portent (B. G. L.) تلهوت, ou (S) ثلهوت, ou (O) تلوت. J'ai corrigé d'après 'Abd-al-wāḥid (p. ٢۴٢) qui dit expressément: وتوفى موسى بظاهر مدينة طاهرت قتله العرب اصحاب الميرقى فى شهور سنة ٦٠٥. Je suppose que notre auteur a écrit تاهرت. c) Telle est la leçon d' 'Abd-al-wāḥid (p. 218); al-Makkarī G. R. L. رغد, B. رعد, O. S. زعف. d) G. L. بالسعد; voyez Ibn-Khallikān, nº. 871. e) B. حصون.

ومن الحفاظ الثقات الاعلام المحصّلين استوطن بجاية فى مدة ابى عبد الله بن يومور ᵃ وروى بها واسمع وكان من احفظ اهل زمانه باللغة حتى صار حوشىٌّ ᵇ اللغة عنده مستعملا وحشيّها ولا يحفظ الانسان من اللغة حوشيّها الا وذلك أُضعاف اضعاف محفوظه من مستعملها وكان قصده والله اعلم ان ينفرد بنوع يشتهر به دون غيره كما فعل ᶜ كثير من الادباء حيث تركوا طريق المعرب وانفردوا بالطّريق الاخر ولو سلكوا طريق المعرب لكانوا فيه كآحاد الناس وكذا الشيخ ابو الخطاب ابن دحية له رسائل ومخاطبات كلها مغلقات مقفلات وكان رحه اذا كتب اسمَه فيما يُجيزه او غير ذلك يكتب ابن دَحية ودِحْية معًا المشبّه بجبريل وجبرائل ويذكر ما ينيف على ثلاث عشرة لغة مذكورة فى جبرئيل ويقول عند فاطر السموات والارض وهذا فرع انفرد به عمّن عداه من اهل العلم، قال صاحب عُنوان الدراية رايتُ له تصنيفا فى رجال الحديث لا ᵈ باسَ به وارتحلَ الى المشرق فى دولة بنى ايوب فرفعوا شانَه وقرّبوا له مكانه وجمعوا له علماء الحديث وحضروا له مجلسا اقرّوا له بالتقدّم وعرفوا انه من اولى الضبط والاتقان والتفهّم وذكروا احاديث باسانيد حوّلوا متونَها فاعاد المتون المحوّلة وعرّف عن تغييرها ثم ذكر الاحاديث على ما هى عليه من متونها الاصليّة ومثل هذه الحكاية اتّفق لابى عمر بن عات فى كتاب مسلم بمرّاكش ببيت الطلبة منها، ومن شعر ابى الخطاب ما كتب به الى الكامل بن العادل بن ايوب

ما لى اسائل بَرْقَ بارق عنكمُ ‏ ‏ ‏ ‏ من بعد ما بعدَتْ ديارِىَ منكمُ
فمحلّكم قلبى وانتم بالحشا ‏ ‏ ‏ ‏ لا بالعقيق ولا برامةَ انتمُ
وانا المقيم على الوفاء بعهدكم ‏ ‏ ‏ ‏ يا مالكين وفيتمُ او خُنْتمُ

وهى طويلة ومنها

رفعتْ له الأمْلاك منه سجيّة ‏ ‏ ‏ ‏ مَلْكٌ ᵉ السِماك الرمحَ وَهْو محرّمُ

ومنها ايضا

لِذوى النُّهى والفهم سِرٌّ حُكومةٍ ‏ ‏ ‏ ‏ قد حار فيها كاهنٌ ومُنجّمُ

a) S. يومور. Je doute que ce nom soit correct. J'avais pensé d'abord à ابو عبد الله ابن تومرت; mais comme il était mort quelque temps auparavant, en 524 (voyez Ibn-Khall., n°. 699), il ne peut être question de lui en cet endroit. b) S. وحشى. c) B. فعله. d) S. ولا. e) B. G. L. S. سلك.

فاقصدْ مرادك حيث سرتَ مظفّرا ‏ ‏ والله يكلأ والكواكبُ نُوّم
وليهْنك الشهر السعيد تصومه ‏ ‏ وتفوز فيه بالثواب a وتغنم
فلانت فى الدنيا كلَيْلة قدرِه ‏ ‏ قدرا نقدرك فى الملوك معظّمُ

فاجابه السلطان مكافاة بنثر ونظم فمن النظم

وهَيَّجْنَ b شوقى للاجارع باللوى ‏ ‏ واين اللوى منّى واين الاجارعُ
مَرابعَ لو آنّ المرابع انجم ‏ ‏ لكان نجومَ الارض تلك المرابعُ
رعى الله اياما لها ولوَ آنّها ‏ ‏ التى وقد ولى الشباب رواجعُ
ليالى لا لَيْلَى اذا رمتُ وصلها ‏ ‏ يلوح لها من صُبْحِ شيبى موانعُ

فى جملة ابيات، ومن النثر الحمد لله ولى الحمد وقف ولده على الابيات التى حسن شعرها، وصفا درّها،، وليس من البديع ان يقذف البحر درّا، او ينظم الخليل شعرا،، وقد اتخذتْ الورقة لأتنزّه فى معانيها، واستفيدَ بما اودعتَه فيها،، فالله تعالى لا يخلينا من فوآئد فكرته، وصالح ادعيته،، والسلام، فاجابه الحافظ ابو الخطاب عن الابيات بقوله من قصيدة

c شجتنى شواج فى الغصون سواجعُ ‏ ‏ ففاضت هَوامٍ للجفون هوامعُ

c واكثر فيها من التغزل الى ان قال d

ولا حاكم ارضاه بينى وبينها ‏ ‏ سوى حاكم دهرى له اليوم ضائعُ
يدافع عنى الضيم قائمُ سيفه ‏ ‏ اذا عزّ e مَن للضيم عنى يدافعُ
هو الكامل الاوصاف والملك الذى ‏ ‏ تشير اليه بالكمال الاصابعُ
وبيضُ اياديه الكريمة فى الورى ‏ ‏ قلآئد فى الاعناق وهى الصنائعُ
وبوماه يوماه اللذان هُمَا هُمَا ‏ ‏ اذا ... ت فيه f الملوك المجامعَ

ومنها

فما روضة * غنّا بها g مرّت الصبا ‏ ‏ فنشر شذاها الطيب للنشر ذايعُ
له من شكىّ الدهر g بُرد مفوّف ‏ ‏ اتيح له من ارض صنعآء صانعُ
فراقك منها اخضرُ الثوب ناضر ‏ ‏ وشاقك منها اصغر اللون فاقعُ

a) S. بالصواب. b) Le sujet de ce verbe est le mot مرابع dans le vers suivant. c) Dans le man. O. ces mots se trouvent immédiatement après بقوله من قصيدة. d) Telle est la leçon du man. O.; B. G. L. S. عرف من. e) O. علب. f) G. عتابها. g) B. O. S. الزهر.

واحمرُ قانٍ للخدود مورّد   وابيض كالثغر المفلّج ناصعُ *
باحسن من توشيع مدحى الذى له   بدائعُ من وَشْى البديع وشائعُ
وما ضائعٌ من نشر شكوى الذى به   تنأ الارجاء عندك ضائعَ
ولو لم يقيّدنى نداك لكان لى   مجال فسيح البسيطة واسعَ
فانت الذى لى والأعادى كثيرة   فويق مكان النجم فى الافق دافعَ
ومنها بقيتَ لعبد جدّه دحية الذى   يشابه جبريل له ويضارعُ
وجدّته الزهراء بنت محمد   عليه السلام الدائم المتتابعُ
ولا عدمَتْ منك الممالك مالكا   يقرّب للآمال ما هو شاسعُ
ومنك عيون للمهمّات يُقّظ   وعنك عيون الحادثات هواجعُ

وقال المقريزى فى ترجمة الملك الكامل انه كان مشغوفا بسماع الحديث النبوى وتقدم عنده ابو الخطاب ابن دحية وبنا له دارَ الحديث الكاملية بين القصرَيْن بالقاهرة انتهى، وقال ابو الخطاب ابن دحية انشدنى ابو القاسم السُّهيلى لنفسه وذكر انه ما سال الله بها الا اعطاه

يا مَن يرى ما فى الضمير ويسمعَ   انتَ المعَدّ لكل ما يُتوقّعُ *
يا مَن يرجّى للشدآئد كلّها   يا مَن اليه المشتكى والمفزعُ
يا مَن خزآئن رزقه a فى قول كُنْ   امنُنْ فانّ الخير عندك اجمعُ
ما لى سِوَى فقرى اليك وسيلة   وبالافتقار اليك فقرى ادفعُ
ما لى سوى قرعى لبابك حيلة   فلئن رددتَّ فأىَّ باب اقرعُ
ومن الذى ادعو واهتف بأسمه   ان كان فضلك عن فقيرك يُمْنَعُ
حاشا لجودك أن يقنّط b عاصيا   الفضلُ اجزل والمواهبُ اوسعُ

ومن نظم السهيلى

اسائلُ عن جيرانه من لقيتُه   واعرض عن ذكراه والحال ينطقُ
وما لى الى جيرانه من صبابة   ولكنّ نفسى عن صبوح ترقّقُ

ولَه لمّا اجاب بلا طمِعْتُ بوَصْله   اذ حرف لا حرفان معتنقانِ
وكذا نَعَمْ بنعيم وصل آذنت   بنعم ولا فى اللفظ متّفقانِ

a) O. ملكه.   b) S. تقنّط.

وُلِدَ ابو الخطاب ابن دحية في ذى القعدة سنة ٧ او ٥٤٨ a وتوفى فى انفجار الفجر ليلة الثلاثاء ١٤ ربيع الاول سنة ٦٣٣ b بالقاهرة ودفن بسفح المقطّم، وتكلم فيه جماعة فيما ذكره ابن النجّار وقدره اجلّ ممّا ذكروه وقد روى رحّة بالمغرب ومصر والشام والعراق وخراسان وعراق العجم وكل ذلك فى طلب الحديث وسمع بالاندلس من ابن بشكوال وابن زرقون فى جمع كبير c وببغداد من ابى الفرج ابن الجوزى وباصبهان من ابى جعفر الصيدلانى معاجم الطبرانى ومن غيره وبنيسابور من ابى سعد d بن الصفار ومنصور بن الفراوى والمؤيّد الطوسى وحصّل الكتب والاصول وحدّث وافاد وكان من اعيان العلماء ومشاهير الفضلاء مُتْقِنا لعلم الحديث وما يتعلّق به عارفا بالنحو واللغة وايام العرب واشعارها وصنف كتبا كثيرة مفيدة جدّا منها كتابُ التنوير فى مولد السراج المنير صنّفه عند قدومه الى اربل سنة ٦٠٤ وهو متوجه الى خراسان لما راى ملك اربل مظفر الدين كُوكُبُرِى e معتنيا بعمل المولد النبوى فى شهر ربيع الاول كل عام مهتمّا به غاية الاهتمام وكمله وقراه عليه بنفسه وختمه بقصيدة طويلة فاجازه بالف دينار وصنّف ايضا العَلَم المشهور فى فضائل الايّام والشهور والآيات البيّنات فى ذكر ما فى اعضاء رسول الله صلّعم من المعجزات وكتاب شرح اسماء النبى صلّعم وكتاب النِّبْراس فى اخبار خلفآء بنى العباس وكتاب الاعلام المبين فى المفاضلة بين اهل صِفّين، وولى قضآء بلد اصوله دانية مرّتين ثم صُرف عن ذلك لسيرة نُعيت عليه فرحل منها وحدّث بتونس سنة ٥٩٥ ثم حجّ وكتب بالمشرق عن جماعة باصبهان ونيسابور وعاد الى مصر فاستادبه f العادل لولده الكامل واسكنه القاهرة فنال بذلك دُنْيا عريضة ثم زادت حظوته عند الكامل واقبل عليه اقبالا عظيما وكان يعظّمه ويحترمه ويعتقد فيه الخير ويتبرك به حتى كان يُسوّى له المداس حين يقوم، وهو بلنسىّ كما قال ابن خلّكان وغيره وبلنسيّة مشهورة بشرق الاندلس،

٥٩ ومنهم خلف بن القاسم بن سهل بن الدبّاغ الحافظ الاندلسى رحل الى المشرق وكان حافظا فهما عارفا بالرجال حدّث حديث مالك وشعبة واشياء فى الزهد وسمع بمصر ابا الحسن ابن الورد البغدادى ومسلم بن الفضل والحسن بن رشيق وجماعة

a) Ibn-Khallikān (n°. 508) ٥٤٤. b) S. ٦٢٣. c) S. كنير. d) B. سعيد. e) Telle est la leçon de G. L.; S. porte كوكبرى. Abou'lfidā (*Annales*, IV, 272, l. 9) le nomme كوكبورى. f) S. فسناذن به.

وسمع بدمشق على بن ابى الطب وابا الميمون ابن راشد وبمكة من بكير الحداد وابى الحسن الخزاعى والآجرى وبقرطبة من احمد بن يحيى بن الشاهد ومحمد ابن معاوية وتوفى سنة ٤٣٣،

٥٧ ومنهم خلف بن سعيد بن عبد الله بن زرارة ابو القاسم بن المرابط الكلبى من ذرية الابرش الكلبى ويعرف بالمبرّقع المحتسب القرطبى رحل الى المشرق مرّتين اولاهما سنة ٣٣٣ *b* وهو ابن ٢٣ سنة وسمع ابا سعيد ابن الاعرابى وابن الوردى *c* وابا بكر الآجرى وروى عنه ابو اسحق ابن شِنْظِير *d* وابو جعفر الزهراوى وقال ابن شِنْظِير انه توفى فى نحو الاربعمائة رحمه الله ورضى عنه،

٥٨ ومنهم سابق فُضلاء زمانه ابو الصلت امية بن عبد العزيز بن ابى الصلت الاشبيلى يقال ان عُمره ٦٠ سنةً منها عشرون فى بلده اشبيلية وعشرون فى افريقية عند ملوكها الصنهاجيين وعشرون فى مصر محبوسا فى خزانة الكتب وكان وجّهه صاحب المهدية الى ملك مصر فسجن بها طول تلك المدة فى خزانة الكتب فخرج فى فنون العلم اماما وامتن علومه الفلسفة والطب والتلحين وله فى ذلك تواليف تشهد بفضله ومعرفته وكان يكنى بالاديب الحكيم وهو الذى لحّن الاغانى الافريقية قال ابن سعيد واليه تُنسَب الى الآن وذكره العماد فى الخريدة وله كتاب الحديقة على اسلوب يتيمة الدهر للثعالبى وتوفى سنة ٥٢٠ وقيل سنة ٥٢٨ بالمهديّة وقيل مستهلّ السنة بعدها *e* ودُفن بها، وله فيمن اسمه واصل

يا هاجرا سمّوه عمْدًا واصِلًا ... وبضدّها تتبيّن الاشـ
الفيتَنى *f* حتى كأنّك واصل ... وكأنّنى من طول * هجرى الراء *g*

وقوله وهو من بدائعه

لا غرو ان سبقتْ لُهاك مدآئحى ... وتدفّقت جدواك ملأ انآئها
يُكْسَى القضيب ولم يحن اثماره ... وتطقطق *h* الورقآء قبل غنائها

وقال فى الافضل

تردى بكلّ فنا *i* اذا شهد الوغى ... نثرَ الرماح *j* على الدروع كعوبا

a) S. ٣٩٢. *b*) B. ٣٣٣. *c*) B. G. L. الورد. *d*) B. شنطير, G. شنطيز, S. شنتطير.
e) Voyez Ibn-Khallikān, nº. 103. *f*) S. انفيتنى. *g*) S. هجرك راء. Je dois avouer que le sens de ce vers ne m'est pas clair. *h*) B. تطوّق. *i*) Les man. portent شتى. *j*) B. الرميح.

قد لوّحتْه يدُ الهواجر فاغتدى   مثل الغنـاة قضافةً وشحوبا
تتّخذوا القنا a اشطانَهم واستنبطوا   فى كل قلب بالطعان قليبا

ومنها   تُعطى الذى اعطتكه سُمْر القنا   ابدا فتغدو سالبا مسلوبا

ومنها   وانا الغريب مكانه وبيانه   فاّجعلْ صنيعك فى الغريب غريبا

وله   ومهفهف شربتْ b محاسنُ وجهه   ما مَجّه فى الكاس من ابريقه
فغعالُها من مقلتيه ولونُها   من وجنتيه وطعمُها من ريقه

اخذه من ابن حَيّوس c وقصر عنه فى قوله

ومهفهف يغنى بلحظ جفونه   عن كاسه الملآى وعن ابريقه
فعلُ المدام ولونُها ومذاقُها   فى مقلتيه ووجنتيه وريقه

ولابى الصلت فيمن اسمه مُحسِن

ايّها الظالم المُسى   ء مَدَى دهره بِنا   ما لهم اخطَأوا الصوا   بَ فسمّوك محسِنا

وله فى لابس قرمزيّة حمرآء

أقبَل يسعى ابو الفوارس فى   مِرْأى عجيبٌ ومنظرٍ أَنِقِ
أقبل فى قرمزيّة عجبٍ   قد صبغتْ لونَ خدّه الشرِقِ
كانّما جِيدُه وغرّته   من دونها اذ بدَوْن فى نسَقِ
عمودُ فَجْرٍ من فوقه قمرٌ   دارت به قطعةٌ من الشفَقِ

ولَه فى ثقيل   لى جليس عجبتُ كيف آستطاعت   هذه الارض والجبال تُقِلُّهْ
انا ارعاه مُكرَها وبقلبى   منه ما يتلفُ الجبالَ اقلُّهْ
فهو d مثل المشيب اكرَهُ مرْآ   هُ ولٰكن اصونه وأُجِلُّهْ

اخذه من قول ابى الحسن جعفر بن الحاج الميورقى وهما فى عصر واحد

لى صاحب عميتْ علىّ شُؤونُه   حركاته مجهولةٌ وسكونُهُ
يرتاب بالامر الجلىّ توهّما   فاذا تيقّن نازَعَتْه ظنونُهُ
انّى لأهْواه على شرقى به   كالشيب تكرهه وانت تصونُهُ

وأوصى ابو الصلت المذكور ان يُكتَب على قبره ممّا نظمه قبل موته

سكنتُك يا دار الفنآء مُصدِّقا   بأنّى الى دار البقاء أَصيرُ

a) G. العتى.   b) Ibn-Khall. l. l. شركت.   c) B. G. L. S. يس ; voyez le *Kâmous* au mot حاس, et Ibn-Khall., n°. 684.   d) L. R. هو.

وأعظمُ ما فى الامر أنّىَ صائر　　الى عادل فى الحكم ليس يجورُ
فيا ليت شعرى كيف القاه عندها　　وزادى قليل والذنوب كثيرُ
فان أكُ مَجْزِيّا بذنبى فانّنى　　بشرّ عقاب المذنبين جديرُ
وان يك عفوٌ ثمّ عنّى ورحمة　　فثَمَّ دائمٌ وسرور

ولهُ ايضا　اذا كان اصلى من تراب فكلّها　　بلادى وكل العالمين اقاربى
ولا بُدّ لى ان اسْأل العيس حاجةً　　تشقّ على شُمّ الذُّرى والغواربِ

وقال　دَبّ العذار بخدّه ثم انثنى　　عن لَثم مبسمه البَرود الاشنبِ
لا غرو لن خَشى الردَى فى لثمه　　فالريق سُمٌّ قاتل للعقربِ

وقد ذكروا انه من خواصّ ريق الانسان انه يقتل العقرب وهو مجرَّب،

وقال　لا تدعُنى ولتدعُ مَن شئتَه　　اليك من عجم ومن عرب
فنحن اكّالون للسحت فى　　ذراك سمّاعون للكذب

وقال　لا تسألنّىَ عن صنيع جفونها　　يومَ الوداع وسل بذلك مَن نجا
لو كنتُ املك خدّها للَثمتُه　　حتى أُعيد به الشقيق بَنَفْسجا
او كنتُ اهجع لاحتضَنتُ خيالها　　ومنعتُ ضوء الصُّبح ان يتبلّجا
وبثثتُّ فى الظلماء كحلّ جفونها　　وعقدتُّ هاتيك الذوائبَ بالدُّجا

وقال مهنّئا بمولود .

يلوح فى المَهْد على وجهه　　تجهُّمُ الباسِ وبُشْرى النَّدى
والشمس والبدر اذا استجمعا　　لم يلبثا ان يَلِدا فرقدا
فابْقَ له حتى ترى [a] نجْلَه　　وان عرا خطب فنحنُ الفِدَى

قال ابن سعيد وهذا البيت الاخير من اثقل الشعر يُتطيّر من [b] سماعه وتركُه أَولى، وقال فى الرَصَد

فذا غدير وذا روضٌ وذا جبل　　فالضبّ والنون [c] والملاح والحادى [d]

٥٩　ومنهم الفقيه ابو محمد عبد الله بن يحيى بن محمد بن بهلول السرقسطى ذكره العماد الاصبهانى فى الخريدة وذكره السمعانى فى الذيل وانه دخل بغداد فى حدود سنة ٥١٩ [e] ومن شعره

a) G. L. S. O. نبرى.　b) O. سمعه.　c) S. والنور.　d) O. والجارى.　e) S. ٥١٠.

ايا الشمس انّى a ان اتتّكِ مدآئحى   وهنّ لآلٍ نُظِّمتْ وقلائدُ ١
فلستُ بِمَن يبغى عن الشعر رشوةً   ابَى ذاك لى b جَدٌّ كريم ووالدُ
وانّى من قوم قديما ومُحْدَثا   تُباع عليهم بالالوف القصآئدُ ،

ومنهم الفقيه المقرئ ابو عامر المتيارى من رجال الذخيرة رحل الى المشرق وقرأ ٩٠
على ابى جعفر الديباجى كتابَه فى العروض وسائر كتبه ولقى شيخ القيروان فى العربيّة
ابن القزاز c واديبها الحصْرى واخبر عن نفسه انه كان بين يديه تلميذ له وسيم ،
فمرّ به ابو جعفر التجانى بسحاءة كتب له فيها وخلّاها بين يديه وهو قد غلب
النوم عليه فقال

يا نائما متعمّدا   ابصارَ طيف حبيبه   هو جوهر فأثقبْه ا
نَّ الطيب فى مثقوبه   أوْ أركبنّى ظهرَه   ان لم تقل بركوبهْ

فلمّا قرأها علم أنّها للتجانى فكتب تحتها

يا طالبا اضحى حجا   بُ دون ما مطلوبهِ   لو لم يكن فى ذاك اثـ
ـمٌ لم اكن اسخو بهِ   انّى اغارُ عليه من   اثوابه ورقيبه

وانشد يوما فى حلقته لابن الرومى فى خبّاز

لم انسَ لم انسَ خبّازا مررتُ به   يدحو الرقاقة وشْكَ اللمح بالبصرِ
ما بين رؤيتها فى كفّه كُرَةً   وبين رؤيتها قوْراء كالقمرِ
الّا بمقدار ما تنداح دائرة   فى صفحة الماء يُرْمَى فيه بالحجَرِ

فقال بعض تلامذته d انه لا يقدر على الزيادة هذا فقال

فكاد يضرط اعجابا برؤيتها   ومن رأى مثل ما ابصرتُ منه خرِى

فضحك مَن حضر وقال البيت لايق بالقطعة لولا ما فيه من ذكر الرجيع فقال

إن كان بيتىَ هذا ليس يُعجِبكم   فعجّلوا مَحْوَه او فالعقوه طَرِى ،

ومنهم الاديب الطبيب ابو الحجاج يوسف بن عتبة الاشبيلى مطبوعٌ فى الشعر
والتوشيح ، قال ابن سعيد اجتمعتُ به فى القاهرة مرارا بمجلس الامير جمال الدين
ابى الفتح موسى بن يغمور e بن جلدك وفى غيره وتوفى فى مارستان القاهرة ومن شعره

---

a) L. اشمس انى S. ,ايا شمس انى. b) L. بى. c) S. القزار. d) G. L. S. ajoutent لما. e) B. S. يعمور; voyez *Orientalia*, par Weijers etc., II, 251.

أمّا الغُرابُ فانّه سببُ النوى * لا ريب فيه وللنوى اسبابُ
يدعو الغُراب وبعد ذاك تُجيبه جمل وتعوى بعد ذاك ذئابُ
لا تكذبنّ فهذه اسبابُه لكنّ منها بدأة وجوابُ،

٣٢ ومنهم الامام المحدّث الحافظ جمال الدين ابو بكر محمد بن يوسف بن موسى الاندلسى الصيف بابن مُسْدى ª وهو من الائمّة المشهورين بالمشرق والمغرب، قال رحمه الصدفى رئيس الاندلس واديبُها ابو الحسن سَهْل بن مالك الازدى الغرناطى لنفسه سنة ٦٣٧ فى شوال بداره بغرناطة

مُنَغّصُ العيش لا يَأْوى الى دَعَة مَن كان ذا بلد او كان ذا وَلَد
والساكن النفس مَن لم ترضَ همّته سُكْنى مكان ولم يسكن الى احَد،

٣٣ ومنهم الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدى الحُمَيْدى نسبة لجدّه حُمَيْد الاندلسى وُلد ابوه بقرطبة ووُلد هو بالجزيرة بُلَيْدة بالاندلس قبل ٤٢٠ وكان يُحمَل على الكتف للسماع سنة ٤٢٥ فاوّل ما سمع من الفقيه ابى القاسم اصبغ ᵇ قال وكنتُ افصحَ من يقرأ عليه وكان قد لقى ابن ابى زيد وقرأ عليه وتفقّه وروى عنه رسالته ومختصر المدوّنة ورحل سنة ٤٤٨ وقدم مصر وسمع بها من الضراب والقضاعى وغير واحد وكان سمع بالاندلس من ابن عبد البرّ وابن حَزم ولازمه وقرأ عليه مصنّفاته واكثر من الاخذ منه وشهر بصحبته وصار على مذهبه الا انه لم يكن نتظاهر به وسمع بدمشق وغيرها وروى عن الخطيب البغدادى وكتب عنه اكثر مصنّفاته وسمع بمكة من الزنجانى واقام بواسط مدة بعد خروجه من بغداد ثم عاد الى بغداد واستوطنها وكتب بها كثيرا من الحديث والادب وسائر الفنون وصنّف مصنّفات كثيرة وعلّق فوائد وخرّج تخاريجَ للخطيب ولغيره وروى عنه ابو بكر الخطيب اكثر مصنّفاته وابن ماكولا وكان اماما من ائمّة المسلمين فى حفظه ومعرفته واتقانه وثقته وصدْقه ونبله وديانته وورعه ونزاهته حتى قال بعضُ الاكابر ممّن لقى الائمة لم ترَ عيناى مثل ابى عبد الله الحميدى فى فضله ونبله ونزاهة نفسه وغزارة علمه وحرصه على نشر العلم وبثّه فى اهله وكان ورعا ثقة اماما فى علم الحديث وعِلله ومعرفة متونه ورُواته محقّقا فى علم الاصول على مذهب اصحاب الحديث

a) Lisez المَسْدى. b) B. الاصبغ.

متبحّرا فى علم الادب والعربيّة، ومن تصانيفه كتاب جَذْوَة المُقْتَبِس فى اخبار علمآء الاندلس، وكتابُ تاريخ الاسلام وكتابُ مَن ادّعى الامان من اهل الايمان، وكتابُ الذهب المسبوك فى وعظ الملوك، وكتابُ تسهيل السبيل الى علم الترسيل، وكتابُ مخاطبات الاصدِقآء فى المكاتبات واللقآء، وكتابُ ما جاء من النصوص والاخبار فى حفظ الجار، وكتابُ النميمة، وكتاب الامانى الصادقة وغير ذلك من المصنّفات والاشعار الحِسان فى المواعظ والامثال وكان من كثرة اجتهاده ينسخ بالليل فى الحرّ ويجلس فى اجانة ماء يتبرّد به، ومن مشهور مصنّفاته كتابُ الجمع بين الصحيحين وذكره الحجارى فى المسهب وقال عنه انه طرق ميورقة بعد ما كانت عُطْلًا من هذا الشان وترك لها فخرا تُبارى به خواصّ البلدان وهو من علمآء ائمّة الحديث ولازم ابا محمد ابن حزم فى الاندلس واستفاد منه ورحل الى بغداد وبها الّف كتابَ الجذوة، ومن شعره قوله

الفتُ النوى حتى انِسْتُ بوحشها   وصرتُ بها لا فى الصبابة مُولَعا
فلم احصِ كم رافقتُه من مُرافق   ولم احص a كم خيّمتُ فى الارض موضعا
ومن بعد جوب الارض شرقا ومغربا   فلا بُدّ لى من ان اوافى مصرفا

وقال رحمه

لقاء الناس ليس يُفيدُ شيئا   سوَى الهَذيان من قيل وقال
فأقْلِلْ من لِقاء الناس الّا   لاخذ العلم او اصلاح حالِ .

وذكره ابن بشكوال فى الصلة وتوفى ببغداد سنة ٤٨٨ رحمه، قال ابن ماكولا اخبرنا صديقُنا ابو عبد الله الحميدى وهو من اهل العلم والفضل والتيقظ لم ار مثله فى عفّته ونزاهته وورعه وتشاغله بالعلم وكان أوْصى مظفّر بن رئيس الرؤسآء ان يدفنه عند قبر بشْر الحافى فخالف وصيّته ودفنه فى مقبرة باب ابرز b فلما كانت مدة رآه مظفّر فى النوم كانّه يعاتبه على مخالفته فنُقل فى صفر سنة ٤٩١ الى مقبرة باب حرب ودُفن عند قبر بشر وكان كَفَنه جديدا وبدنه طريّا تفوح منه رائحة الطيب ووقف كتبه على اهل العلم رحمه، ومن مناقبه انه قال لمن دخل عليه فوجده مكشوف الفخذ تعديتَ بعين الى موضع لم ينظره احد منذ عقلتُ انتهى، ومن شعر الحميدى ايضا قوله

a) Les manuscrits portent ولا احصى. b) C'est d'après Ibn-Khallikān (n°. 627) que j'ai corrige la leçon des manuscrits qui portent البرز ou البزر.

طريقُ الزهد [illegible] طريق ··· وتقوى الله تاليةُ الحقوقِ
فثِقْ بالله يكفِك واستعنْه ··· يعنْك ودعْ بُنيّات الطريق

وقوله

كلامُ الله عزّ وجلّ قولى ··· وما صحّت به الآثارُ دينى
واتّفق الجميعُ عليه بَدْءاً ··· وعَوْدًا فهو عن حقّ مُبينِ
فدعْ ما صدّ عن هَدْى وخذها ··· تكن منها على عين يقينِ،

٢٤ ومنهم الكمال ابو العبّاس احمد الشريشى وهو احمد بن عبد المؤمن بن موسى ابن عيسى بن عبد المؤمن القيسى من اهل شريش روى عن ابى الحسن بن لبال a وابى بكر بن ازهر وابى عبد الله ابن زرقون وابى الحسين ابن جبير وغيرهم واقرأ العربيّة وله تواليف افاد بما حشر فيها منها شرح الايضاح للفارسى والجمل للزجاج وله فى العروض تواليف وجمع مشاهير قصائد العرب واختصر نوادر ابى على القالى، قال ابن الابّار لقيته بدار شيخنا ابى الحسن ابن حريق من بلنسية قبل توجّهى الى اشبيلية فى سنة ٦١٩ وهو اذذاك يقرأ عليه شرحه للمقامات فسمعتُ عليه بعضه واجاز لى سائره مع روايته وتواليفه واخذ عنه اصحابُنا ثم لقيته ثانية مقدمه من مرسية انتهى، ومن بديع نظمه وهو بمصر يتشوّق الى الشام

يا جيرةَ الشام هل من نحوكم خَبَرُ ··· فانّ قلبى بنار الشوق يستعِرُ
بعُدتُ عنكم فلا والله بَعْدكمُ ··· ما لذّ للعين لا نوم ولا سهرُ
اذا تذكّرتُ اوقاتا نأتْ ومضتْ ··· بقربكم كادت الاحشاء تنفطرُ
كانّنى لم اكن بالنَّيْرَبَيْن b ضحًى ··· والغيمُ يبكى ومنه يضحك الزهَرُ
والوُرْقُ تُنْشِدُ والاغصان راقصة ··· والدوح تطرب بالتصفيق والنهَرُ c
والسفحُ اين d عشيّاتى التى سلفتْ ··· لى منه فهى لعمرى عندى العمُرُ
سقاك يا سفحُ سفحُ الدمع منهمِلًا ··· وقلّ ذاك له ان اعوز المَطَرُ

وله رحمه شروح لمقامات الحريرى كبير ووسط وصغير وفى الكبير من الآداب ما لا كفاء له وكان رحمه معجبا بالشام، وقال ابن الابّار عند ما ذكر انه شرح مقامات الحريرى فى ثلاث نسخ كبراها الادبيّة ووسطاها اللغوية وصغراها المختصرة انتهى وتوفى بشريش بلده سنة ٦١٩ رحمه الله،

---

a) L. نبال ou نيبال, S. (?) نبال. b) B. S. بالنيّرين, R. بالنيربيين ; voyez Yākout (*Mochtarik*) s. v. نيرب. c) S. والوتر. d) S. والنير والسفح.

٩٥ ومنهم ابو بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الازدى القرطبى الملقّب بضياء الدين احد الائمّة المتاخرين فى القرآات وعلوم القرآن الكريم والحديث والنحو واللغة وغير ذلك ، قال القاضى الشمس ابن خلّكان a انه رحل من الاندلس فى عنفوان شبابه وقدم مصر فسمع بالاسكندرية ابا عبد الله محمد بن احمد بن ابراهيم الرازى وبمصر ابا صادق مُرْشد بن يحيى بن القاسم المدنى المصرى وابا طاهر احمد بن محمد الاصبهانى المعروف بالسلفى وغيرهم ودخل بغداد سنة ٥١٧ وقرأ بها القرآن الكريم على الشيخ ابى محمد عبد الله بن على المقرئ المعروف بابن بنت الشيخ ابى منصور الخيّاط وسمع عليه كتبا كثيرة منها كتاب سيبويه وقرأ الحديث على ابى بكر محمد بن عبد الباقى البزّار b المعروف بقاضى المارستان وابى القاسم ابن الحصَيْن وابى العِزّ c وغيرهم وكان ديّنا ورعا عليه وقار d وسكينة وكان ثقة صدوقا ثَبْتا نبيلا قليل الكلام كثير الخير مفيدا اقام بدمشق مدّةً واستوطن الموصل ورحل منها الى اصبهان ثم عاد الى الموصل واخذ عنه شيوخ ذلك العصر وذكره الحافظ ابن السمعانى فى كتاب الذيل وقال انه اجتمع به بدمشق وسمع عنه مشيخة ابى عبد الله الرازى وانتخب عليه اجزاء وساله عن مولده فقال وُلدتُّ سنة ٤٨٩ بمدينة قرطبة ورايتُ فى بعض الكتب ان مولده سنة ٤٨٧ والاوّل اصحّ وكان شيخنا القاضى بهآء الدين *ابو المحاسن e يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شدّاد قاضى حلب رحّه تعالى يفتخر بروايته وقرآءته عليه وقال كنّا نقرأ عليه بالموصل وناخذ عنه وكنّا نرى رجلا ياتى اليه كلّ يوم فيسلّم عليه وهو قائم ثم يمدّ يده الى الشيخ بشىء ملفوف فياخذه الشيخ من يده ولا نعلم ما هو ويتركه ذلك الرجل ويذهب ثم تقفّينا ذلك فعلمنا f انها دجاجة مسموطة كانت *تُرسَم للشيخ g فى كلّ يوم يبتاعها له ذلك الرجل يُسمّطها ويحضرها واذا دخل الشيخ الى منزله تولى طبخها بيده وذكر فى كتاب h دلآئل الاحكام انه لازم القرآءة عليه ١١ سنة آخرها سنة ٥٦٧ ، وكان الشيخ ابو بكر القرطبى المذكور كثيرا ما ينشد مسندا الى ابى الخير الكاتب الواسطى

a) Voyez Ibn-Khallikān, n°. 806. b) Ibn-Khallikān البزاز. c) Ibn-Khallikan ajoute بن كدس. d) Ibn-Khallikān ajoute وهيبة. e) Ces mots manquent dans les manuscrits d'al-Makkari. f) Al-Makkarī فعلنا. g) Ibn-Khallikān برسم الشيخ. h) Ibn-Khallikan كتابه الذى سمّاه

جرى قلمُ القضاءِ بما يكونُ فسيّان التحرّكُ والسكونُ
جُنونٌ منك أن تسعى لرزقٍ ويُرزَق فى غشاوته الجنينُ

وتوفى القرطبىّ المذكور بالموصل يوم [a] عيد الفطر سنة ٥٦٧ رحه انتهى كلام ابن خلّكان ببعض اختصار،

---

٦٦ ومنهم الوزير ابو عبد الله محمد بن الشيخ الاجل ابى الحسن بن عبد ربه وهو من حفدته صاحب كتاب العقد المشهور، حدّث الشيخ الاجل ابو عبد الله محمد ابن على اليَحْصُبى القرمونى [b] رفيقه قال اصطحبْتُ معه فى المركب من المغرب الى الاسكندرية فلما قربنا منها هاج علينا البحر واشفينا على الغرق فلاح لنا ونحن على هذه الحال منارُ الاسكندرية فسُرِرْنا برؤيته وطمعنا فى السلامة فقال لا بُدّ ان اعمل فى المنار شيئًا فقلتُ له أَعلى مثل هذه الحال التى نحن فيها فقال نعم فقلت فأصنعْ فاطرق ثم عمل بديها

لله دَرُّ منارِ اسكندرية كَمْ يَسْمو اليه على بعدٍ من الحَدَقِ
من شامخ الانف فى عِرنينه شمم كانّه باهتٌ فى دارة الافقِ
يكسّرِ الموجُ منه جانبَىْ رجل مشمّر الذيل لا يخشى من الغرقِ
لا يبرح الدهرَ من وردٍ على سُفُن ما بين مصطبح منها ومغتبقِ
٥ للمنشِآت الجوارى عند رؤيته كموقع النوم عن اجفان ذى أرِقِ

وتقدمت ترجمة الكاتب ابى عبد الله ابن عبد ربّه واظُنّه هذا فليتنبّه له بل اعتقد انه هو لا غيره والله اعلم،

---

٦٧ ومنهم ابو عبد الله محمد بن الصفار القرطبى، قال فى القدح المعلّى بيتهم مشهور بقرطبة، لم يزل يتوارث فى العلم والجاه وعلو المرتبة،، ونشأ ابو عبد الله هذا حافظا للآداب، اماما فى علم الحساب،، مع انه كان اعمى مُقْعَدا مشوّه الخلقة، ولكنه اذا نثف عَلِمَ كلُّ مُنْصِف حقّه،، ومن عجائبه انه سافر على تلك الحالة، حتى غدت بغداد له هالة،، اجتمعتُ به بحضرة تونس فرايتُ بحرا زاخرا، وروضا ناضرا،، الا انّه *حاطب ليل، وساحب ذيل [c]،، لا يُبالى ما اورَدَه، ولا يلتفت الى ما انشده،، جامعا بين السمين والغثّ، حافظا للمتين والرثّ،، وكان يقرئ الادب بمراكش وفاس وتونس

---

a) Ibn-Khallikān شى عبور. b) S. الفرومى. c) Voyez sur cette phrase le Commentaire sur Harîrî, par M. de Sacy, 2e éd., p. v.

وغيرها، ومن مشهور حكاياته انه لمّا قال ابو زيد الفازازى a فى ابى العلى المستنصر قصيدته التى مطلعها الحزم والعزمُ * منسوبان للعرب b عارضه بقصيدة ثم قال فيه وفى ابن اخيه يحيى بن الناصر الذى نازعه فى ذلك الاوان

وان ينازِعْك فى المنصور ذو نسَب فنجْلُ نوحٍ ثَوى فى قسْمة العَطَبِ
وان يقلْ انا عمّ فالجوابُ لـه عَمٌّ النبى بـلا شكٍّ ابـو لَهَـبِ

وشاعت القصيدة فبلغت ابا العلى فحرص c على قتله وسلّمه الله منه ومات سنة ٦٠٩ ومن شعره قوله

لا تحسب الناسَ سَواءً متى اشتبهوا فـالنـاسُ اطوارُ
وٱنظرْ الى الاحجار فى بعضها ماءٌ وبعضٌ ضمْنها النارُ d

وقوله

يا طالعا فى جفونى وغائبا فى ضلوعى بالَغْتَ فى السخط طلما
وما رَحِمتَ خضوعى . اذا نويتَ ٱنقطاعا فـٱحسبْ حِسابَ الرجوع

انتهى باختصار يسير،

ومنهم ابو الوليد ابن الجنان محمد بن المشرف ابى عمرو ابن الكاتب ابى بكر ٦٨
ابن العالم الجليل ابى العلى ابن الجنان الكنانى الشاطبى، قال ابن سعيد توارثوا بشاطبه، مراتب تحسدها النجوم الثاقبه،، وابو الوليد اشعرهم، وقد تجدّد به فى اقطار المشرق مفاخرهم،، وهو معروف هناك بفخر الدين، ومتصدّر فى ائمة النحويين،، ومرتب فى شعرآء الملك الناصر صاحب الشام، ومُقطَّعاته الغراميّة قلائد اهل الغرام،، صحبْتُه بمصر ودمشق وحلب، وجريتُ معه طَلْقَ الجَموح فى ميادين الادب،، وانشدنى بدمشق

أنـا مِن سُكْرِ هواهم ثَمِلُ لا أُبالى هجروا ام وصلوا
فبشعرى وحديثـى فيهمِ زمزم الحادى f وسار المثلُ
انّ عُشّاق الحِمَى تعرفنى والحِمَـى يعرفنى والطّلَلُ
رحلوا عن ربْع عينى فلذا ادمُعى عن مقلتى ترتحلُ
ما لها قد فارقتْ أوطانها وهى ليست لحماهم تَصلُ
لا تَظُنّوا أنّنى أسلو فما مَذْهَبى عن حُبّكم يَنْتَقِلُ

a) B. الفازازى , S. الفازارى. b) B. منسوب الى العرب. c) Les manuscrits portent فحرص. d) Ces vers manquent dans G. L.; S. نار. e) R. منيم. f) R. الحاوى.

وقوله رحمه

بالله يا بانة الوادى اذا خطرت   تلك المعاطف حيث الشيح والغار
فعانقيها بصبّ القلب الكئيب فما   على معانقة الأغصان انكار
وحيّيها بلقّنى فيك مكتئب   فبعض هذا لها بالحبّ a اخبار
وانتم جيرة الجرعاء من أضم   لى فى حماكم احاديث وأسمار b
٥ وأنتم أنتم فى كلّ آونة   وانّما حبّكم فى الكون أطوار
ويا نسيما c سرى تحدو ركائبه   لى بالغوير لبانات وأوطار

وله

يا رعى الله انسنا بين روض   حيث ماء السرور فيه يجول
تحسب الزهر عنده يتثنّى   وتخال الغصون فيه تميل

وقوله

هات المدام فقد ناح الحمام على   فقد d الظلام وجيش الصبح فى غلب
واعين الدهر من طول البكا رمدت   فكحّلتها يمين الشمس بالذهب
والكاس حلّتها حمراء مذهبة   لكنّ ازرتها من لولو الحبب
كم قلت للافق لمّا ان بدا صلفا   بشمسه عند ما لاحت من الحجب
٥ ان تهت بالشمس يا افق السماء فلى   شمسان وجه نديمى e وابنة العنب
قم اسقنيها f وثغر الصبح مبتسم   والليل تبكيه عين البدر بالشهب
والسحب قد لبست سود الثياب وقد   قامت لترثيه الاطيار فى القضب g

وله

عليك من ذاك الحمى يا رسول   بشرى علامات الرضى والقبول
جئت وفى عطفيك منهم شذا   بسكر h من خمر هواه العذول

ومنها

بنا وودّعتم ناظرى   وانتم بين ضلوعى نزول
حللتم قلبى وهو الذى   يقول فى دين الهوى بالحلول
انا الذى حدّث عنّى الهوى   بأنّنى عن حبّكم لا أحول
فليزد العاذل فى عذله   وليقل الواشى لكم ما يقول

انتهى كلام النور ابن سعيد، وقال غيره ولد المذكور بشاطبة منتصف شوال سنة ٦١٥

a) R. فى الحبّ. b) O. وانمار. c) O. نسيم. d) R. جيش. e) B. حبيبى. f) B. سقّنيها. g) O. الغصب. h) Lisez بانسكر.

ومات بدمشق ودُفن بسفح قاسيون وكان عالما فاضلا دَمِث الاخلاق كريم الشمائل كثير الاحتمال واسع الصدر صحب الشيخ كمال الدين ابن العديم وولدَه قاضي القضاة مجد الدين فاجتذبوه اليهم وصار حنفيّ المذهب ودرس بالمدرسة الاقبالية الحنفيّة بدمشق وله مشاركة فى علوم كثيرة وله يَدٌ فى النظم ومنه قوله

لله قوم يعشقون ذوى اللِّحَى   لا يسألون عن السواد المقبل
وبمهجتى قوم وأفْدِى منهم   جُبلوا على حبّ الطِّراز الاوّل

وله ايضا   قُم آسقنيها وليل الهمّ منهزم   والصُّبح أعلامه محمرّة العذبِ
والسحبُ قد نثرت فى الارض لُؤلُؤها   فضمَّةُ [a] الشمس فى ثوبٍ من الذهبِ

انتهى وقد تقدم عن ابن سعيد له ما يقارب هذا وله رحمه فى كاتب

وبى كاتبٌ اضمرتُ فى القلب حُبَّه   مخافةَ حُسّادى عليه وعُذّالى
لـه صَنْعة فـى خـطّ لامِ عذارِهِ   ولكن سَهَا فى نقطة [b] اللام بالخالى،

69 ومنهم ابو محمد القرطبى، قال ابن سعيد لقيته بالقاهرة، وكأنّه لا خبرَ عنده من الآخرة،، وقد طال عمره فى اكل الاعراض، وفساد الاغراض [c]،، وممّا بقى فى اذنى من شعره قوله

رحم الله مَن لقيتُ قديما   فلقد كان بى رَءوفا رحيما
أتمنّى لقاء حُرٍّ وقد اعْــوَزَ بُخْتى كما علمت الكيميا

وتوفى بالقاهرة سنة ٦٤٣ انتهى،

70 ومنهم على بن حمد القاسى الكنانى، قال ابن سعيد لقيتُه ببيت المقدس على زىّ الفقراء وحصّلتُ منه هذه الابيات، وندمتُ بعد ذلك على [d] ما فات،، وهى

ذاك العذارُ المطلُّ   دَمى عليه يُطَلُّ   كأنّما الخدّ ماءٌ   وقد جرى فيه ظلُّ
عقودُ صبرى عليه   مُذ حلّ فيه تُحَلّ   جرَتْ دموعى عليه   فقلتُ آسٌ وطلٌّ [e]،

71 ومنهم ابو عبد الله بن العطار القرطبى، قال ابن سعيد هو حُلْوُ المَنازع، ظريف المَنازع والمطالع،، مطبوع النوادر، موصوف بالاديب الشاعر،، مازَجْتُه بالاسكندريّة، وبهذه الحضرة العليّة،، وما زال يدين بالانفراد، والتجوّل فى البلاد،، حتى قضى مناه، والقى بهذه المدينة عصاه،، لا يخطر الهمّ له ببال، ولا يبيت الّا على وَعْد من وصال،،

a) B. فضّت. b) G. L. S. اذ انقط. c) S. الاعراض. d) Ce mot ne se trouve que dans les manuscrits B. et S. e) G. L. وظل.

وله حين سمع ما ارتجاه المسكين بالاسكندرية حين داعبنى باختلاسها القاضى زين القضاة ابن التنسى فقال ما لى اليه سبيل، حتى يحضر مضرق [a] نبيل،،

شعر ايا سارقا ملكا مصونا ولم يجبْ على يده قَطعٌ وفيها [b] نصابُ
ستبكيه الاقلام عند عثارها ويبكيه ان يعدمه [c] الصواب كتابُ

فقال ،، أُحاجيك ما شىءٌ اذا ما سرقتَه وفيه نصاب ليس يلزمك القطعُ
على أنّ فيه القطعَ والحدُّ ثابت ولا حَدّ فيه هكذا حُكم الشرعُ

انتهى كلام ابن سعيد من كتابه القِدح المعلّى فيما اظنّ، ويعنى والله اعلم بقوله وبهذه الحضرة العليّة حضرة تونس المحروسة فانها كانت مَحطّ رحال الافاضل، من الاواخر والاوائل،، حتى ان قاضى القضاة ابن خلدون اقام بها مدّة ومنها ارتحل الى مصر وكذلك الخطيب الجليل سيدى ابو عبد الله بن مَرْزوق رحه ومنها خاطب الوزير لسان الدين ابن الخطيب وسلطانه فى الشفاعة له عند سلطان المغرب فكتب لسان الدين عن سلطانه فى ذلك ما نصّه المقامُ الذى نُؤكد اليه ببرّ سلفه الوداد، ونُغرِى [d] بتخليد فخره وامره القلمَ والمداد، ونَصل به الاستظهارَ على عدوّ الله والاعتداد، ونخطب له من الله بهزّ أعطافه للخير والتوفيق والسداد، والاعانة منه والأمداد،، مقامُ مَحلّ اخينا الذى اشتهر فضله ودينه، ووضح سَعْده متالّقة براهينه، وحيّاه الصنعُ الجميل وبيّاه مشرقا جبينه،، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابقاه الله يرعى الذِمم،، ويسلك من الفضائل المنهج الاَمّ، ويغلى البضائع النافقة عند الله ويعلى الهِمَم،، مُعَظّم قدره، وملتزم برّه، الحريص على توفير اجره، وتخليد فخره،، فُلان، امّا بعد حمد [e] الله ناصر الامرة المطاعه، المحافظة على السنة والجماعه، وحافظها من الاضاعه، الى قيام الساعه، الذى جعل المودّة فيه انفع الوسائل النفّاعه،، والصلاة والسلام على سيّدنا ومولانا محمد رسوله المخصوص بمقام الشفاعه، على العُموم والاشاعه، متمّم مكارم الاخلاق من الفضل والبذل والحياء والشجاعه، والرضى عن آله وصحبه الذين اقتدوا بهَدْيه بحسب الاستطاعه،، وزرعوا الخير فى العاجله، ففازوا فى الآجله،، بفائد تلك الزراعه،، والدعاء لمقامكم الاعلى بصُنْع يروى فيه عن الاشمط الباتر، خبرَ النصر المتواتر،، لسان البراعه، وتأييدٍ لا

---

a) B. et S. مضرّق. b) Les man. portent فيه. c) Les manuscrits portent يعدو. d) Les manuscrits portent (G.) تعرى ou (B. L. S.) بغرى. e) S. رحمه.

نرضى a فيه القنا بمقام القناعه b هاها كتبناه اليكم كتب الله لثنائكم العاطر بتخليد المفاخر،، منشور الاذاعه، فى ايدى *النواسم الضواعه،، من حمرآء غرناطة حرسها الله عن خير هامى السحاب، وبشر مُفتّح الابواب، وعزّ للاسلام ببركة الاعتداد بملككم المنصور الاعلام مقتبل الشباب، وعن *ضافى الجلباب c، والحمد لله على تظافر الايدى فى ذاته وتوفّر الاسباب، وجانبكم الرفيع الامل للمنتاب، اذا حدَت الحُداة ذوات الاقتاب، ومطمح الوسآئل، المطرزة المسآئل،، بتصحيح الودّ اللباب، وانى هذا وصل الله لكم سوابغ نِعَمه وآلائه دائمة الانكساب، وجعل ما عجّل لكم من نعمة كعيله بالزلفى وحسن المآب، والهَمَكم تقييد شواردها بالشكر قولا وعملا فالشكر مستدعى المزيد كما وُعِد فى الكتاب،، فانّ من المنقول الذى اشتهر وراق فضله، وبهر قوله،، اشفعوا تُوجَرُوا وما فى معناه من المعتبر فى الخبر وتنفيس كربة عن مسلم، وسماع شكوى من متظلّم،، ولولا انّ مقامَكم السنىّ اغنى، لجلبنا الكثير من هذا المعنى،، ولما تحقّق ما انتم عليه من سلوك سبيل والدكم الملك الصالح قدّس الله تربته، وضاعَف قربته،، من يُمن الظفَر، وسلوك سبيل الخيّر،، واقامة رسوم الدين، والاقتداء من هَدْيه بالنور المبين،، خفّ علينا ان نقصدكم بالشفاعات، مع الساعات، ونتّجر لكمْ مع الله بانفَس البضاعات،، فما اثمر من ذلك شكرنا الله عليه حقيقه، وشكرناكم شريعه، وما تاخّر اوسع كم فيه عَذرا بسدّ ذريعه،، وعلمنا ان الله لم ياذن فى تعجيله، وسالناه فى تيسيره وتسهيله،، سوآء نَدبنا فى ذلك ما عاد، باعانة عامّة وامداد، وساهَم فى قصد جهاد، وما لم يعد علينا خصوصا وعلى المسلمين عموما باعانة ولا ارفاد،، انما علينا ان نجلب الخير الباقى، والاجر الوافى،، الى بابكم، وندلّ عليه كريم جَنابكم،، بمُقتضى وداد، وصُحبه باد، وجميل ظنّ فى دينكم المتين واعتقاد، سلم مُجملهُ ومُفصّله من انتقاد،، وذلك ان الشيخ الفقيه الخطيب الكبير الشهير الصدر الاوْحد سُلالة d الصالحين، وخطيبَ والدكم كبير الخلفآء والسلاطين، وبما نيها من مزيّة دنيا e ودين،، ابا عبد الله ابن مرزوق جبر الله على يدكم بالبرّ f حاله، وسنى من مقامكم السنىّ آماله،، جرى عليه من المِحَن، ونتآئج الاحَن،، ما

a) B. ترضى , S. يرضى. b) Ces mots sont sans doute altérés. c) S. ضافى الالباب. d) B. سُلاسه. e) S. دينا. f) B. G. L. البرة.

يعلم كل ذى مروءة [illegible] وفضل ،، انّ ذلك من الجنايات على والحكم السلطان محسوب ، والى تعلّقه منسوب ،، ولو كانت ذنوبه رضوى وثبيرا ، لاستدعت التى تعتمدها [illegible] كثيرا ،، رعيًا لذلك الامام الصالح الذى كبّر خَلْفه واحرم ، وتشهّد وسلّم ،، وامّن عقب دُعائه ، ونصب كفّه لمواهب الله وآلائه ،، وانصت لخطبته ووعظِه ، واوجب المزيّة لسعة حفظه ، وعذوبة لفظه ،، فاحبط ذلك من احبط الاعمال الصالحه ، وعطّل المتاجر الرابحه ،، واسَف الملك المذكور بدَم ولده ، واحراق خزآئنه وعُدده ،، وتغيير رُسومه وحدوده ، واسخاطه واسخاط الله معبوده ،، الى ان ظهر سيفكم المليك من عاره ، واخذ منه بثاره ، وتقرب الى الله والى السلف الكريم بمحو آثاره ، والحمد لله على ما خصّه من ايثاره ، وتدارك الاسلام باقالة عِثاره ،، وانه خاطبَنا الآن من حضرة تونس يُقرر من حالة ما يفتّ الفؤاد ، ويوجب الامتعاضَ له والاجتهاد ، يطلب منّا الاعانة بين يديكم والانجاد ، ويشكو العَيْلة والاولاد ، والغربة التى احلّته *a* الاقطار النازحة والبلاد ، والحوادث التى سَلبتْه الطارف والتِلاد ،، وان نذكركم بوسيلته ، وضعف حيلته ،، فبادرنا لذلك عملا بالواجب ، وسلوكا من برّه ورَعْى حقه على السنن اللاحب ،، وان كنا نعلوقه فى امرنا عند الحادثة علينا تقصيرا ، ولا نشكر الا الله وليّا ونصيرا ،، فحقّه علينا اوجب ، فهو الذى لا يتحَجّدُ ولا يُحْتَجَبْ ، ولا يلتبس منه المذهب ،، وكيف لا يشفع فيمن جعله السلفُ الى الله شفيعا ، واحلّه محلا مَنيعا رفيعا ، الى ولبّه الذى جبر ملكه سريعا ، وصيّر جنابَه بعد المحول مريعا ، وجدّد رسومه تاصيلا لها وتفريعا ،، ومثلكم من اغتنم برّه فى نصْر مظلوم ، وصبر مكلوم ، واعدآء كرم على لُوم ،، وهى منّا ذكرى تنفع ، وحرص على اجْر مَن يشفع ، واسْعاف لمن سال ما يعلى من قدركم ويرفع ،، وتادية لحقّ سلفكم الذى توفرت حقوقه ، وابلاغ نصيحة دينيّة الى مَجدكم الذى لا يمنعه عن المجد مانع ولا يعوقه ،، ومطلبه فى جنب ملككم الكبير حقير ، وهو الى ما يفتح الله به على يد صدقتكم فقير ،، ومنهلكم الأَرْوَى *b* ، وباعكم فى الخير اطْول وساعدكم اقوى ، وما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللّٰهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَى *c* ،، والله عز وجلّ يسْلك بكم المسالك التى تخلد بالجميل ذكركم ، وتعظم عند الله اجركم ،، فما عِنْدَ ٱللّٰهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ *d* ، والدنيا دار الغرور والآخرة دار

a) G. اخلته . *b*) S. الاروى . *c*) Voyez sour. 2, vs. 139. *d*) Voyez sour. 3, vs. 197.

القرار، وهو سبحانه يَصِل سعدكم ويحرس مجدكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى، والسلطان المخاطب بهذا هو ابو فارس عبد العزيز بن السلطان الكبير الشهير ابى الحسن المرينى وكان ابن مرزوق غالبا على دولة السلطان ابى سالم اخى ابى فارس المذكور فقتله الوزير عمر بن عبد الله الفردودى [a] وتغلب على الملك ونصب اخًا لابى سالم معتوها وسجن ابن مرزوق ورام قتله فخلّصه الله منه ثم ان السلطان ابا فارس ثار على الوزير المتغلّب وقتله واستقلّ بالمُلْك فخوطب فى شان ابن مرزوق بما ذكره، رجع الى ما كنّا فيه من ذكر الراحلين من اعلام الاندلسيّين الى البلاد المشرقيّة المحروسة بالله سبحانه وتع فنقول

٧٢ ومنهم ابو الوليد وابو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الازدى القرطبى المعروف بابن الفرضى الحافظ المشهور كان فقيها عالما بفنون عارفا بعلم الحديث ورجاله بارعا فى الادب وغيره وله من التصانيف تاريخ علمآء الاندلس وقفتُ عليه بالمغرب وهو بديعٌ فى بابه وهو الذى ذيّل عليه ابن بشكوال بكتاب الصلة وله كتابٌ حسَن فى المؤتلف والمختلف وفى مشتبه النِسْبة وكتاب فى اخبار شعرآء الاندلس وغير ذلك ورحل من الاندلس الى المشرق سنة ٣٨٢ فحج وسمع من العلمآء واخذ عنهم وكتب من اماليهم وروى عن عدة شيوخ من اهل المشرق، ومن شعره

أسيرُ الخطايا عند بابك واقفُ   على وَجَلٍ ممّا به انت عارفُ
يخاف ذنوبا لم يغبْ عنك غيبها   ويرجوك فيها فهو راجٍ وخائفُ
ومَن ذا الذى يُرْجَى سواك ويُتّقى   وما لك فى فَصْل القضآء مُخالفُ
فيا سيّدى لا تُخْزِنى فى صحيفتى   اذا نُشرتْ يومَ الحساب الصحآئفُ
وكُنْ مونسى فى ظُلْمة القبر عند ما   يَصُدّ ذَوُو القُرْبَى ويجفو المُؤالفُ
لَئن ضاقَ عنّى عَفْوُك الواسعُ الذى   أُرَجّى لاسْرافى فانّى لَتالفُ

وكان رحمه حسَن الشعر والبلاغة ومن شعره رحمه

إنّ الذى اصبَحْتُ طَوْعَ يمينه   ان لم يكنْ قمرًا فليس بدونهِ
ذُلّى له فى الحبّ من سلطانه   وسقامُ جِسْمى من سقام جفونهِ

وله شعر كثير ومولده فى ذى القعدة ليلة الثلاثاء لتسع بقين منه سنة ٣٥١ وتوفى

a) B. et L. الغودودى.

القضاء بمدينة بلنسية فى ايام محمد المهدى المروانى وقتله البربر يوم فتح قرطبة يوم الاثنين لسبع خلون من شوال سنة ۴۰۳ وبقى فى داره ثلاثة ايام ودُفن متغيّرا من غير غسل ولا كفن ولا صلاة رحمه، وروى عنه انه قال تعلّقتُ بأستار الكعبة وسألتُ الله تع الشهادة ثم انحرفتُ وفكرت فى هَوْل القتل فندمتُ وهممتُ ان ارجع فاستقيل اللهَ سبحانه وتع فاستحييتُ واخبر مَن رآه بين القتلى ودنى منه فسمعه يقول بصَوت ضعيف لا يُكْلَم احد فى سبيل الله والله اعلم بمن يُكلَم فى سبيله الا جاء يوم القيٰمة وجُرْحه يثغب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك كانّه يعيد على نفسه الحديث الوارد فى ذلك قال ثم قضى على اثر ذلك وهذا الحديث اخرجه مُسْلم فى صحيحه، وقد ساق فى المطمح حكايته فقال كان حافظا عالما كَلِفا بالرواية رحل فى طلبها، وتبحّر فى المعارف بسببها، مع حظّ من الادب كثير، واختصاص بنظيم (a) ونثيره، حجّ وبرع، فى الزهادة والورع، فتعلق باستار الكعبة يسأل الله الشهادة ثم فكر فى القتل ومرارته، والسيف وحرارته، فاراد ان يرجع ويستقيل (b) الله تع فاستحيا، وآثر نعيم الآخرة على شقاء الدنيا، فاصيب فى تلك الفتن مكلوما (c)، وقُتِل مظلوما، ثم ذكر مثل ما مرّ ومما قال فى طريقه (d)، يتشوّق الى قريبه (e)،

مضت لى شهور (f) منذ غِبتم ثلاثة — وما خِلْتُنى ابقى اذا غبْتمُ شهرا
وما لى حياة بعدكم أستلذّها — ولو كان هذا لم اكنْ فى الهوى حُرّا
ولم يُسْلِنى طولُ التنآء عليكمُ (g) — بلى زادنى (h) وجدًا وجدّد لى ذكرا
يَمثلكم لى (i) طول شوقى اليكم — ويدنيكمَ حتى
سأسَتعْتِب الدهرَ المفرِّق بيننا — وهل نافعى ان صرتَ آستَعتِب الدهرا

a) Le *Matmah̲* ajoute منه. b) Al-Makk. L. ويستقبل. c) Ce mot manque dans les manuscrits du *Matmah̲*. d) Telle est la leçon de B. L. S. et du *Matmah̲*; al-Makk. G. غرضه. e) Les man. d'al-Makkarî portent افريقية. f) Telle est la leçon d'al-H̲omaidî; G. L. S. d'al-Makkarî, P. et R. du *Matmah̲* شئون; al-Makk. B. شعور; *Matmah̲* L. سنون. g) Telle est la leçon de tous les man. d'al-Makkarî (à l'exception de B. qui porte التناهى عنكم) et de P. et R. du *Matmah̲*; *Matm.* L. et al-H̲omaidî هواكم. Je crois qu'il faut lire: تنائى عنكم.
h) Al-Makkarî L. et al-H̲omaidî زاد لى. i) L. يمثل كم.

أُعَلِّل نفسى بالمنى فى لقائكم ❊ وأستسهل البَرَّ الذى جُبْتُ a والبحرا
ويُؤنِسنى طىُّ المراحل عنكم ❊ اروح على أرضٍ واغدو على اخرى
وتالله ما فارقتُكم عن قِلًى لكم ❊ ولكنّها الاقدارُ تجرى كما تجرى
رَعَتْكم من الرحمن عين بصيرة ❊ ولا كشفتْ ايدى النوى عنكُمْ سترا

وقد عرّف به ابن حبّان فى المقتبس وذكر قصّة شهادته رحمه،

٧٣ ومنهم الشيخ ابو بكر محمد بن احمد بن محمد بن عبد الله البكرى الشريشى المالكى وُلد بشريش سنة ٦٠١ ورحل الى العراق فسمع به المشائخ كالقطيعى وابن زروبة وابن الكثير وغيرهم واشتغل وساد اهل زمانه، واشتهر بين اقرانه، ثم عاد الى مصر فدرّس بالفاضليّة ثم انتقل الى القدس الشريف فاقام به شيخ الحرم ثم جاء الى دمشق المحروسة بالله وتولى مشيخة الحديث بتربة ام الصالح ومشيخة الرباط الناصرى ومشيخة المالكيّة وعُرض عليه القضاء فلم يقبل وكانت وفاته يوم الاثنين الرابع والعشرين من رجب بالرباط الناصرى ودفن بسفح قاسيون رحمه وذلك سنة ٦٨٥ وليس هو بشارح المقامات بل هو غيره وقد اشتركا فى البلد فبسبب ذلك ربّما يقع فى الأذهان الوهم فى امرهما وشارح المقامات احمد وهو محمد وقد ترجمنا b صاحبَ شرح المقامات فيما تقدّم من هذا الباب فليراجع والله سبحانه اعلم،

٧٤ ومنهم ابو محمد عبد العزيز بن احمد بن السيد بن المغلس c القيسى الاندلسى البلنسى كان من اهل العلم باللغة والعربيّة مشارا اليه فيهما رحل من الاندلس وسكن بمصر واستوطنها وقرأ الادب على ابى العلى صاعد اللغوى صاحب كتاب الفصوص وعلى ابى يعقوب يوسف بن *يعقوب البحترى d بمصر ودخل بغداد واستفاد وافاد وله شعر حسن فمن ذلك

مرض الجفون بلا علّة ❊ ولكنّ قلبى به مُمْرَضْ
اعان السُّهاد على مقلتى ❊ بفيض الدموع فما تغمضُ
وما زاره شوقا f ولكن اتى ❊ يُعَرِّضُ لى اننى g مُعْرِضْ

وله اشعار كثيرة وتوفى يوم الاربعاء لستّ بقين من جمادى الاولى سنة ٤٢٧ وقيل سنة ٤٢٦ بمصر وكان استوطنها وصلى عليه الشيخ ابو الحسن على بن ابراهيم الحوفى صاحب التفسير فى مصلى الصدفى ودفن عند ابى h اسحاق رحمه، ومُغَلِّس بضم

a) *Matm.* حثثت. b) Voyez n°. ٩٤. c) Ibn-Khallikān (n°. 397) مغلّس. d) J'ai corrige d'apres Ibn-Khall.; les man. d'al-Makk. portent: خرقاد (B. خرفان). e) G. L. زاد. f) Ibn-Khallikān سوءا. g) Ibn-Khall. انه. h) Ibn-Khall. بنى.

الميم وفتح الغين وتشديد اللام المكسورة وبعدها سين مهملة، وكانت بينه وبين ابى الطاهر اسمعيل بن خلف صاحب كتاب العُنوان معارضات فى قصائد *a* ومن شعر ابن المجلس قوله فى حمّام

b وأوام اذا ما اغتدوا به   تشابه فيه وَغْدُه ورئيسُهُ
يخالط فيه المرء غيرَ خليله *c*   ويَضْحَى عدوُّ * المرء وهو جليسُهُ *d*
يُفَرِّج كربى ان تزايد كربه   ويؤنس قلبى ان يعُدَّ انيسُهُ
اذا ما اعرت * الحوض مآء *e* تكاثرت   على مائه *f* اقماره وشموسُهُ،

٧٥ ومنهم ابو الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله *g* الحكيم الاديب المعروف بالمغربى وهو من اهل المرية وانتقل الى المشرق وكان كامل الفضيلة وجمع بين الادب والحكمة وله ديوان شعر جيد والخلاعة والمجون غالبة عليه وذكر العماد فى الخريدة انه كان طبيب المارستان المستصحَب فى معسكر السلطان *h* السلجوقى حيث خيّم وكان السديد *i* يحيى بن سعيد المعروف بابن المرَخِّم الذى صار اقضى القضاة ببغداد فى ايام الامام *j* المقتفى فاصدا *k* وطبيبا فى هذا المارستان واثنى العماد على ابى الحكم المذكور وذكر فضله وما كان عليه وانّ له كتابا سمّاه نهج الوضاعة لاولى الخلاعة ثم انّ ابا الحكم انتقل الى الشام وسكن دمشق وله فيها اخبار ومجاريات ظريفة تدلّ على خِفّة روحه، قال ابن خلكان رايتُ فى ديوانه ان ابا الحسين احمد بن منير الطرابلسى كان عند الامرآء بنى مُنْقِذ *l* بقلعة شَيْزَر *m* وكانوا مقبلون عليه وكان بدمشق شاعر يقال له ابو الوحش *n* وكانت فيه دعابة وبينه وبين ابى الحكم المذكور مداعبات فسال منه كتابا الى ابن مُنير

a) Ibn-Khall. ajoute: .هى موجودة فى ديوانهما *b*) Dans le VIIe Livre, ou al-Makkarı cite encore une fois ces vers, on trouvera beaucoup de variantes. *c*) B. G. L. .خليطه *d*) L. .وهو فيه جليسه *e*) B. G. L. .الجوّ طرفا *f*) B. ما به; G. S. .مائة *g*) Voyez Ibn-Khall. n°. 367. *h*) Ibn-Khallikān ajoute .محمود *i*) Ibn-Khallikān ajoute .ابو الوفآء *j*) Ce mot manque dans les man. d'al-Makk. *k*) Ce mot signifie *chirurgien.* *l*) Les man. d'al-Makk. et d'Ibn-Khall. portent منقد; voyez Wüstenfeld, *Genealog. Tabellen d. arab. Stämme.* *m*) Al-Makk. شيِرَز *n*) Ibn-Khall. ajoute: سبع بن خَلْف بن محمد بن هبة الله الفقعسى . وكانوا يصغرون كنيته فيقولون وُحَيْش ۞

بالوصيّة عليه فكتب ابو الحكم

ابا الحسين ٱستمعْ a مقال فتى   عوجل فيما يقول فارتجلا
هذا ابو الوحش جاء ممتدحا b   للقوم c فٱهنئْ d به اذا وصلا
وٱتلُ عليهم بحسن شرحك ما   اتقله e من حديثه جملا
وخبِّرِ القوم انّه رجل   ما ابصر الناسُ مثلَه رَجُلا
تنوب عن وصفه شمائله   لا يبتغي عاقل به بدَلا

ومنها

وهو على خفّةٍ به ابدًا   مُعْتَرِف انه من الثُّقلا
يمتّ f بالثلب g والرقاعة والسّخف h وامّا بغير ذاك فلا
ان انت فاتحتَه لتخبرَ ما   يصدر عنه فتحت منه خَلا
فهبه i ان حلّ خطّة الخسف   الهون j ورد به اذا رحلا
وأسقه k السّمّ ان ظفرتَ به   وٱمزج له من لسانك العَسَلا

وله اشياء مستملحة منها مقصورة هزليّة ضاهى بها مقصورة ابن دُرَيْد من جملتها

وكل ملموم l فلا بدّ له   من فرقة لو الزقوه m بالغرى

وله مرثية فى عماد الدين *ابن يحيى n بن آق سنقر الاتابك شاب فيها الجدّ بالهزل والغالب على شعره الانطباع وتوفى ليلة الاربعاء رابع ذى القعدة سنة ٥٤٩ وقيل فى السنة قبلها بدمشق رحّه والقاضى ابن المرخم هو الذى يقول فيه ابو القاسم هبة الله بن الفضل الشاعر المعروف بابن القطّان

يا ابن المرخّم صرتَ فينا قاضيا   خَرِف o الزمان تراه ام جن p الفلكْ
ان كنتَ تحكم بالنجوم فربّما   أمّا بشرع محمّد من أين لَكْ

وكان ابو الحكم المذكور فاضلا فى العلوم الحكميّة، مُتْقنا للصناعة الطبيّة، حسن النادرة كثير المداعبة محبّا للّهو والخلاعة والشراب وكان يعرف صنعة الموسيقا

---

a) B. G. L. اسمع. b) Ibn-Khall. ممتدح. c) Ibn-Khall. القوم. d) Ibn-Khall. فتنو.
e) Ibn-Khall. اتلوه. f) L. يميث. g) B. بالثلب. h) B. G. والسخف. i) G. S. عنبه, L. فبنه ; Ibn-Khallikān فسمه. j) C'est ainsi que j'ai corrigé à cause du mètre; les manuscrits d'al-Makk. et Ibn-Khallikān portent والهون. k) B. et Ibn-Khallikān وسقه. l) S. ملحوم. m) Ibn-Khallikān لزقوه. n) Ibn-Khallikān زنكى بن. o) Les man. portent خرف. p) Ibn-Khallikān ذكسن.

ويلعب a بالعود ويجلس في [illegible] باب جيرون b للطب وسكناه بالبادين c؛ واتى فى
ديوانه نهج الوضاعة [illegible] يدلّ على انه اريب، سامحه الله وغفر له،

٧٦ ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق مَن هو لاحق بالتقديم والسبق، الشهير عند اهل المغرب والمشرق، الحافظ المقرئ الامام الربّانى ابو عمرو الدانى عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الاموى مولاهم القرطبى صاحب التصانيف التى منها المقنع والتيسير وعُرف بالدانى لسُكناه دانية وولد سنة ٣٧١ وابتدا بطلب العلم سنة ٣٨٧ ورحل الى المشرق سنة ٣٩٧ فمكث بالقيروان اربعة اشهر ودخل مصر فى شوالها فمكث بها سنةً وحج ورجع الى الاندلس فى ذى القعده سنه ٣٩٩ وقرأ بالروايات على عبد العزيز بن جعفر الفارسى وغيره بقرطبة وعلى ابى الحسن بن غلبون وخلف ابن خاقان المصرى وابى الفتح فارس ابن احمد وسمع من ابى مُسْلم الكاتب وهو اكبر شيخ له ومن عبد الرحمن بن عثمان العشيرى وحاتم بن عبد الله البزار d وغير واحد من اهل مصر وسواها وسمع من الامام ابى الحسن القابسى وخلّف كُتُبه بالحجاز ومصر والمغرب والاندلس وتلا عليه خلق منهم مفرج الاقفالى وابو داود بن نجاح e صاحب التنزيل فى الرسم وهو من اشهر تلامذته وحدّث عنه خلق كثير منهم خلف بن ابراهيم الطليطلى، قال ابو محمد عبيد الله الحجرى ذكر بعض الشيوخ انه لم يكن فى عصر الحافظ ابى عمرو الدانى ولا بعد عصره احدٌ يضاهيه فى حفظه وتحقيقه وكان يقول ما رايتُ شيئا قطّ الّا كتبتُه ولا كتبتُه الّا حفظتُه *ولا حفظتُه فنسيته* f، قال ابن بشكوال كان ابو عمرو احدَ الائمة فى علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه واعرابه وجمع فى ذلك كلّه تواليف حسانا وله معرفة بالحديث وطرقه واسمآء رجاله وكان حسَن الخطّ والضبط من اهل الحفظ والذكاء واليقين وكان دينا فاضلا ورعا سنيّا، وقال بعضهم واظنّه المغامى كان ابو عمرو مجابَ الدعوة مالكىّ المذهب، وقال بعض اهل مكة ان ابا عمرو الدانى مقرى متقدّم واليه المنتهى فى علم القرآات واتقان القرآن والقُرّآء خاضعون لتصانيفه وانقون بنقله فى القرآات والرسم والتجويد والوقف والابتدآء وغير ذلك وله مائة وعشرون مصنّفا وروى

---

a) S. ويضرب. b) Voyez sur le Bāb Djīroun à Damas, 'Abd-al-laṭīf, *Relation de l'Egypte*, p. 417, 443; Edrīsī, I, 351. c) S. للبادين. C'est le nom d'une rue à Damas. d) S. البزاز. e) L. حجاج. f) Ces mots manquent dans L.

عنه بالاجازة رَجُلان احمد بن محمد بن عبد الله الخولانى وابو العباس احمد بن عبد الملك بن ابى حمزة وكانت وفاته رحّه الله بدانية فى نصف شوال سنة ٤٤٤،

٧٧ ومنهم ابو محمد عبد الله بن عيسى بن عبد الله بن احمد بن ابى حبيب الاندلسى من بيت علم ووزارة صرف عمره فى طلب العلم وكان غزير a العلم فى الفقه والحديث والادب وولى القضاء بالاندلس مرّة b ثم دخل الاسكندريّة ومصر وجاور بمكة المشرفة ثم قدم العراق واقام ببغداد مدّة ثم وافى خراسان فاقام بنيسابور وبلخ وكانت ولادته ببلاد الاندلس وتوفى بهراة فى شعبان سنة ٥٤٨ رحّه ورضّه،

٧٨ ومنهم ابو العباس احمد بن على بن محمد بن على بن شكر الاندلسى المقرى رحل واخذ القرآآت عن ابى الفضل جعفر الهمدانى وسمع من ابى القاسم بن عيسى وسكن الفيّوم واختصر التيسير وصنف شرحا للشاطبيّة وتوفى سنة ٦٤٠ رحّه،

٧٩ ومنهم العلّامة ذو الفنون علم الدين القاسم بن احمد المرينى اللورقى المقرى النحوى ولد سنة ٥٧٥ c وقرأ القرآآت واحكم العربية وبرع فيها واجتمع بالجزولى وساله عن مسئلة فى مُقدّمته وقرأ علم الكلام والاصوليّين والفلسفة وكان خبيرا بهذه العلوم مقصودا باقرآئها وولى مشيخة قرآءة العادليّة ودرس بالعزيزيّة نيابةً وصنّف شرحا للشاطبيّة وشرحا للمفصّل فى عدة مجلّدات وشرح الجزولية وغير ذلك وكان مليح الشكل حسن البزّة رحّه وتوفى سنة ٦٦١،

٨٠ ومنهم ابو عبد الله ابن ابى الربيع القيسى d الاندلسى الغرناطى قدم مصر سنة ٥١٥ او بعدها فسمع على السلفى وبقرآءته على جماعة من شيوخ مصر وكان لديه فقهٌ وادب ثم سافر الى باب الابواب وكان حيّا سنة ٥٥٩ ومن نظمه يمدح كتاب الشهاب

انّ الشهاب له فضلٌ على الكُتُب ... بما حوى من كلام المصطفى العربى
كم ضمّ من حكمة غرّا وموعظة ... ومن وعيد ومن وَعْد ومن ادب
اما القُضاعىّ فالرحمن يرحمه ... كما حباه من التاليف بالعَجَب،

٨١ ومنهم الحافظ ابو عامر محمد بن سعدون بن مرجى القرشى العبدوى من اهل ميورقة من بلاد الاندلس سكن بغداد وسمع بها من ابى الفضل بن خيرون وطرّاد

a) G. S. عزيز. b) Telle est la leçon des manuscrits; je crois qu'il faut lire مدّة.
c) S. ٥٨٥. d) L. الضبّى.

الوينبى وابى عبد الله [illegible] وجماعة ولم يزل يسمع الى حين وفاته وكتب بخطه كثيرا من [illegible] وجمع وخرّج وكان صحيح العقل معتمد الضبط مرجوعا اليه فى النقل وكفاه فخرا وشرفا ان روى عنه الحافظان ابو الطاهر السلفى وابو الفضل محمد بن ناصر وكان فهّامة علامة ذا معرفة بالحديث متعفّفا مع فقره وكان يذهب الى المناولة والعرض كالسماع وقال السلفى فيه انه من اعيان علمآء الاسلام بمدينة السلام متصرّف فى فنون من العلم ادبا ونحوا ومعرفة بانساب العرب والمحدّثين وكان داوودى المذهب قرشى النسب وقد كتب عنّى وكتبت عنه وسمعنا معًا كثيرا على شيوخ بغداد ومولده بقرطبة من مدن الاندلس وقبل اجتماعى به كنت اسمع اسمعيل بن محمد بن الفضل الحافظ باصبهان يثنى عليه فلما اجتمعنا وجدتّه فوق ما وصفه انتهى، قال ابن عساكر كان احفظ شيخ لقيته وربّما حكى عنه بعضهم كابن عساكر امورا منكرة فالله اعلم وتوفى فى ربيع الآخر سنة ٥١٤ ببغداد،

٨٢ ومنهم ابو عبد الله محمد بن سعدون الباجى سمع بمصر من ابن الورد وابن السكن وابن رشيق وبمكة من الآجُرى وكان صالحا فاضلا زاهدا ورعا حدّث ومات ببطليوس فجاءةً سنة ٣٩٢ ومولده سنة ٣٢٢،

٨٣ ومنهم ابو بكر محمد بن سعدون التميمى الجزيرى المتعبّد كانت آدابه كثيرة وحجّ غير مرّة ورابط ببلاد المغرب وكان حسن الصوت بالقرآن سمع بمصر من جماعة وبمكة وصحب الفقرآء وطاف بالشام وغزا غزوات وتعرض للجهاد وحرّض عليه وساح بجبل المقطم وذكر انه صلّى بمصر الضحى اثنتى عشرة ركعة ثم نام فراى النبىّ صلّعم فقال يا رسول الله انىّ [a] انّ مالكا والليث اختلفا فى الضحى فمالك يقول اثنتا عشرة ركعة والليث يقول ثمانيا فضرب عليه الصلاة والاسلام بين وركى ابن سعدون وقال رَأْىُ مالك هو الصوابُ ثلاث مرّات قال وكان فى وركى وجع فمن تلك الليلة زال عنى وكان له براهين من نور يضىء عليه اذا صلّى ونحوه وانشد

سِجْنُ اللسان هو السلامة للفتى ... من كل نازلة لها استيصالُ
انّ اللسان اذا حللتَ عِقالَه ... القاك فى شنعآء ليس تقال

توفى سنة ٣٤٤،

a) Ce mot manque dans B. et S.

٨٤ ومنهم ابو عبد الله محمد بن سعد الاعرج الطليطلى الخطيب وقال فيه ابن سعيد سمع بمصر من ابن الوَرْد وابن السكن وحدّث مولده سنة ٣٠٩ وتوفى فى ربيع الاخر سنة ٣٨٤،

٨٥ ومنهم ابو عبد الله محمد بن سعيد بن اسحق بن يوسف الأموى القرطبى واصله من لبلة ولكن سكن قرطبة قدم مصر وحج وسمع فى* طريقه من الشيخ ابى محمد بن ابى زيد صاحب الرسالة واخذ عن القابسى وعن جماعة من علماء مصر والحجاز ومولده سنة ٣٥٢ ورحلته سنة ٤١٨،

٨٦ ومنهم ابو عبد الله محمد بن سعيد بن حسان بن الحكم بن هشام القرطبى سمع من ابيه ويحيى بن يحيى وعبد الملك بن حبيب ورحل فسمع من اشهب بن عبد العزيز وعبد الله بن نافع وعبد الله بن عبد الحكم وعاد الى الاندلس وبها توفى سنة ٢١٠ رحمه،

٨٧ ومنهم ابو عبد الله محمد بن سليمان المعافرى الشاطبى نزيل الاسكندريّة ويعرف بابن ابى الربيع احد اولياء الله تعّ شيخ الصالحين صاحب الكرامات المشهورة جمع بين العلم والعمل والورع والزهد والانقطاع الى الله تعّ والتخلّى عن الناس والتمسّك بطريقة السلف قرأ القرآن ببلده بالقرآآت السبع على ابى عبد الله محمد بن سعادة الشاطبى وغيره وقرأ بدمشق على الواسطى وسمع عليه الحديث ورحل فسمع من الزاهد ابى يوسف يعقوب خادم اضياف رسول الله صلّعم بين قبره ومنبره سنة ٦١٧ وسمع بدمشق على ابى القاسم بن مصرى وابى المعالى ابن خضر وابى الوفاء ابن عبد الحق وغيرهم وانقطع لعبادة الله تعّ فى رباط سوار من الاسكندريّة بتربة ابى العباس الراس a وتلمّذ للشاطبى تلميذ الراس b وصنف كتبا حسنة منها كتاب المسلك القريب فى ترتيب الغريب وكتاب اللمعة الجامعة فى العلوم النافعة فى تفسير القرآن العزيز وكتاب شرف المراتب والمنازل فى معرفة العالى فى القرآآت والنازل وكتاب المباحث السنيّة فى شرح الحصّريّة c وكتاب الحَرْقة فى *لباس الخرْقة d وكتاب المَنْهَج المفيد فيما يلزم الشيخ والمريد وكتاب النبذ الجلية فى الفاظ اصطلح عليها الصوفيّة وكتاب زهر العَريش فى تحريم الحشيش وكتاب الزهر المضى فى

a) Telle est la leçon des manuscrits; je crois que ce mot est altéré. b) Même remarque. c) L. الحصرية. d) L. R. لبلس الخرافة ; G. S. البلس الخرفة.

مناقب الشاطبى وكتاب [illegible] المضية فى الاحاديث النبوية ومولده بشاطبة سنة ٥٨٥ ووفاته بالاس[illegible] رمضان سنة ٦٧٣ ودفن بتربة شيخه المجاورة لزاويته رحمهما ونفع [illegible]

٨٨ ومنهم [illegible] عبد الله محمد بن شريح الرعينى الاشبيلى قدم مصر وسمع بها من ابن [illegible] وابى على الحسن البغدادى وابى جعفر النحوى وابى القاسم بن الطيب البغدادى الكاتب وبمكة من ابى ذرّ الهروى، قالَ ابن بشكوال كان من جملة المقرئين وخيارهم ثقة فى روايته وكانت رحلته الى المشرق سنة ٤٣٣ وولد سنة ٣٩٢ وتوفى سنة ٤٧٦ وعمره ٨٤ سنة إلّا ٥٥ يوما وروى باشبيلية عن جماعة رحمه،

٨٩ ومنهم ابو عبد الله محمد بن صالح الانصارى المالقى قال السلفى هو شابّ من اهل الادب له خاطر سَمْح كان يحضر عندى بالاسكندريّة كثير السماع للحديث وذكر انه قرأ الادب على ابى الحسين بن الطراوة النحوى بالاندلس وعلى نظرآئه وانشدنى لنفسه

كم ذا تُقلْقلنى النوى وتسوقنى　　والى متى اشجى بها وأُسام
أَلِفتْ رِكابِىَ الفَلَا فكانّما　　للبين عَهْدٌ بيننا وذِمَامُ
يا وَيْحَ قلبى من فراق احبّة　　ابدا تصدّعه به الايّامُ،

٩٠ ومنهم ابو عبد الله محمد بن صالح القحطانى المعافرى الاندلسى المالكى رحل الى المشرق فسمع بالشام من خيثمة بن سليمان وبمكة ابا سعيد بن الاعرابى وببغداد اسمعيل بن محمد الصفّار وسمع بالمغرب بكر بن حمّاد التاهرتى ومحمد بن وضاح وقاسم بن اصبغ وبمصر جماعة من اصحاب يونس والمزنى روى عنه ابو عبد الله الحاكم وقال اجتمعنا به بهمدان مات ببخارى سنة ٣٨٣ وقيل سنة ٨ وقيل ٧٩، وقالَ فيه ابو سعيد الادريسى انه كان من افاضل الناس ومن ثقاتهم، وقالَ غُنْجار انه كان فقيها حافظا جمع تاريخا لاهل الاندلس وقال السمعانى فيه كان فقيها حافظا رحل فى طلب العلم الى المشرق والمغرب رحمه،

ومنهم ابو عبد الله محمد بن طاهر a) على بن عيسى الخزرجى الدانى النحوى اخو ابى العباس بن عيسى سمع بدانية من ابى داود المقرى وغيره وقدم دمشق

---

a) S. ظاهر

سنة ٥٥٣ حين خرج حاجّا واقرأ بدمشق النحو مدّة ثم خرج الى بغداد واقام بها الى ان مات سنة ٦١٩ وولد سنة ٥٣٣ ه a وقدم مصر سنة ٥٧٣ وله من المصنّفات كتاب تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الادب فى علم مجازات العرب ، ومن كلامه ليستْ هيبةُ الشيخ لشيبته ولا لِسنّه ولا لشخصه ولكن لكمال عقله والعقل هو المُهابُ ولو رايتُ شخصا جمع جميع الخصال وعدم العقل لَمَا هِبْتُه ، وقال مَن جهل شيئا عابَه ومن قصّر عن شىء هابه ،

٩٣ ومنهم القاضى الشهير محمد بن بشير وهو محمد بن سعيد بن بشير بن شراحيل المعافرى وقيل فى آبائه غير ذلك كما ياتى ولما اشير على الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بتقديم ابن بشير الى خُطّة القضاء بقرطبة ووجّه b اليه بباجة فاقبل ولا يعلم ما دُعِى اليه ونزل على صديق له العابد c * فتحدّث فى شان استدعائه وقدّم انه صرف فى الكتابة فقال له العابد d ما اراه بعث فيك الّا للقضاء فانّ القاضى بقرطبة مات وهى الآن دون قاض فقال ابن بشير فأنا استشيرك فى ذلك ان وقع فقال اسْألك عن اشياء ثلاث واعزم عليك ان تصدقنى فيها ثم اشيرُ بعد ذلك عليك فقال ما هى فقال كيف حبُّك للاكل الطيب واللباس اللين وركوب الفارِه فقال والله ما أُبالِى ما رددتُّ به جُوعى وسترتُ به عَوْرتى وحملتُ به رحلى فقال هذه واحدة فقال كيف حبُّك للتمتّع بالوجوه الحِسان والتبطّن للكواعب الغِيد وما شاكَلَ ذلك من الشهوات فقال هذه حالٌ والله ما استشرفتُ قطّ اليها ولا خطَرَتْ ببالى ولا اكترثتُّ لفقدها فقال هذه ثانية وكيف حبُّك لمدح الناس لك وثنائهم عليك وكيف حبُّك للولاية وكراهيتك للعَزْل فقال والله ما أُبالى فى الحق مَن مَدَحنى وذمّنى وما أُسرّ للولاية ولا استوحِشُ للعَزْل فقال وهذه الثالثة اقبل الولاية فلا بأْسَ عليك فقدم قرطبة فولّاه الامير الحكم القضاء والصلاة ، قال ابن وضاح اخبرنى من كان يرى محمد بن بشير القاضى داخلا على باب المسجد الجامع يوم الجمعة وعليه رِداءٌ مُعَصْفَر وفى رجله نَعْل صَرّارة وله جُمّة مفرقة ثم يقوم فيخطب ويُصلّى وهو فى هذا الزِىّ وبه كان يجلس للقضاء بين الناس فان رام احد من دِينه شيئا وجده أبْعَدَ من الثريّا واتاه رجلٌ لا يعرفه فلما راى ما هو فيه زِىّ الحَداثة من الجُمّة المفرّقة والرِداء المعصفر وظهور

a) Je crois qu'il faut lire ٥٣١. b) B. G. L. وجّه. c) S. من العبّاد. d) Ces mots manquent dans G.; L. n'ajoute que le mot قال.

الكحل والسواك واثر [illegible] على قدميه توقف ثم قال دُلّونى على القاضى فقيل له ها هو واشير اليه [illegible] غريب واراكم تستهزءون بى انا اسْألكم عن القاضى وانتم تدلّونى على زامر فصحّحوا له انه القاضى فتقدّم اليه واعتذر فادناه وتحدّث معه فوجد عنده من العَدْل والانصاف فوق ما ظنّه فكان يحدّث بقصّته معه، وعوتب فى [illegible] لمّته ولبْسه الخزّ والمُعصفر فقال حدّثنى مالك بن انس انّ محمد بن المنكدر وكان سيد القرّآء كانت له لمّةٌ وان هشام بن عُروة فقيه هذا البلد يعنى المدينة كان يلبس المعصفر وانّ القاسم بن محمد كان يلبس الخزّ، ولقد سُئل يحيى ابن يحيى عن لباس العمآئم فقال هى لباس الناس فى المشرق وعليه كان امرهم فى القديم فقيل له لو لبستّها لاتّبعك الناس فى لباسها فقال قد لبس محمد بن بشير الخز فما تبعه الناس فيه وكان ابن بشير اهلًا ان يُقتدَى به فلعلّى لو لبستُ العمامة لتركنى الناسُ ولم يتبعونى كما تركوا ابنَ بشير، وكان اوّل ما نظر فيه محمد ابن بشير حين وُلى القضآء التسجيل على الخليفة الحكم فى ارحِىّ القنطرة اذ قيم عليه فيها وثبت عنده حقّ المدّعى واعذر الى الحكم فلم يكن عنده مدفع فسجّل فيها واشهد على نفسه فلما مضت مُدَيدةٌ ابتاعها الحكم ابتياعا صحيحا فسرّ بذلك وقال رحم الله محمد بن بشير فقد احسن فيما فعل بنا على كُرهٍ منّا كان فى ايدينا شىءٌ مشتبه فصحّحه لنا وصار حَلالا طيّب المسلك فى اعقابنا، وحكم على ابن فطيس الوزير ولم يعرّفه بالشهود فرفع الوزير ذلك الى الحكم وتظلّم من ابن بشير فاومأ الحكم اليه انّ الوزير ذكر حكمك عليه بشهادة قوم لم تعرّفه بهم ولا اعذرت اليه فيهم وانّ اهل العلم يقولون انّ ذلك له فكتب اليه ابن بشير ليس ابن فطيس ممن يعرّف بمن شَهِد عليه لانه ان لم يجد a سبيلا الى تجريحهم لم يتحرّج عن طلب اذاهم فى انفسهم واموالهم فيدعون الشهادة هم ومن اتّنسى بهم وتضيع اموال الناس، واكثر موسى بن سماعة احد خواص الامير الحكم فى ابن بشير الشكاية وانه يجور عليه فقال له الحكم انا امتحنُ قولك الساعة فاْخرجْ اليه فورا واستاذنْ عليه فان اذن لك عزلْتُه وصدّقتَ قولك فيه وان لم ياذن لك دون خصْمك ازددتّ بصيرةً فيه فليس هو عندى بجائر على حال وانما مقصده الحق فى كل ما يتصرف فيه

a) G. L. تجد.

فخرج يومٌ دار ابن بشير وقد امر الحكم من يثق به من الفتيان الصقالبة ان يقفوا اثره ويعلموا ما يكون منه فلم يكن الا ريثما بلغ ثم انصرف فحكى للحكم انه لما خرج الآذنُ الى موسى وعلم القاضى بمكانه عاد اليه فقال له ان كانت لك حاجة فاقصدْ فيها اذا جلس القاضى مجلس القضاء فتبسّم الحكم وقال قد اعلمتُه ان ابن بشير صاحب حقّ لا هوادة فيه عنده لاحد، وولى القضاء مرّتين فلما عُزل المرّة الاولى انصرف الى بلده وكان بعض اخوانه يعاتبه فى صلابته ويقول له اخشى عليك العزل فيقول له ليتَهُ قُدّر أنّ الشقرآء يعنى بغلتَه تقطع الطريق بى حائة نحو باجة فما مضى الا يسيرٌ حتى عتب عليه الاميرُ فى قصّة a اشتدّ فيها على بعض خاصّته فكانت سببًا لعزله وانصرف كما تمنّى فلم يمكث الّا يسيرا حتى اتى فيه رقّاصٌ من قِبَل الامير الحكم والرقّاص عند المغاربة هو الساعى عند المشارقة فعاد الى قرطبة وجبره على القعود للقضآء الامير الحكم فلان منه باليمين بطلاق زوجته وبصدقة ما يملك فى السبيل ان حكم بين اثنين فلم يعذره واخرجه من ماله وعوّضه من طِيب ما عنده ووهب له جارية من جواريه فعاد الى القضاء ثانيةً، وممّا يحكى عنه فى العدل ان سعيد الخير بن السلطان عبد الرحمن الداخل وكّل عند ابن بشير وكيلا يخاصم عنه لشىء اضطرّ اليه وكانت بيده فيه وثيقة فيها شهاداتُ شهودٍ قد ماتوا ولم يكن فيها من الأحْيآء الّا الامير الحكم وشاهدٌ آخر مبرزٌ فشهد لسعيد الخير ذلك الشاهد وضربت على وكيله الآجال فى شاهد ثانٍ وجدّ به الخصام فدخل سعيد الخير بالكتاب الى الحكم واراد شهادته فى الوثيقة وقد كان كتبها قبل الخلافة فى حياة ابيه وعرّفه مكان حاجته الى ادآئها عند قاضيه خوفا من بُطلان حقّه وكان الحكم يُعَظّم سعيد الخير عَمّه ويلتزم مبرّته فقال له يا عَمّ انّا لَسْنَا من اهل الشهادات فقد التبسنا من هذه الدنيا بما لا تجهله ونخشى ان توقّفَنا مع القاضى موقف مخزاة كُنّا نفديه بملكنا قصر فى خصامك حيث صيّرك الحق اليه وعلينا خلف ما انتقصك فبى عليه وقال سبحان الله وما عسى ان يقول قاضيك فى شهادتك وانت ولّيتَه وهو حسنة من حسناتك وقد لزمتك فى الديانة ان تشهد لى بما علِمتَه ولا تكتمنى ما اخذ الله عليك فقال بلى إنّ ذلك لَمِن حقّك كما تقول ولكنّك تدخل علينا به

---

a) S. قضية.

داخلة فان اعفيتنا منه فهو احبّ الينا وان اضطررتنا لم يُمَكِنّا عقوقُك فعزم عليه عَزْمَ مَن لم يشك ان قد ظفر بحاجته وضايقته الآجال فالحّ عليه فارْسل الحكم عند ذلك *الى فقيهَيْن من فقهآء زمانه وخط شهادته بيده فى قرطاس وختم a بخاتمه ودفعها الى الفقيهين وقال لهما هذه شهادتى بخطى تحت ختمى فادّياها الى القاضى فاتياه بها الى مجلسه وقت قعوده للسماع من الشهود فادّياها اليه فقال لهما قد سمعتُ منكما فقوما راشدَيْن فى حفظ الله وجآء وكيل سعيد الخير وتقدم اليه مُدلًّا واثقا وقال له ايّها القاضى قد شهد عندك الامير اصلحه الله فما تقول فاخذ كتاب الشهادة ونظر فيه ثم قال للوكيل هذه شهادة لا تعمل عندى فجِئْنى بشاهد عَدْل فدهش الوكيل ومضى الى سعيد الخير فاعْلَمه فركب من فَوْره الى الحكم وقال ذهب سلطانُنا وازيل بهآؤنا يجترىّ هذا القاضى على ردّ شهادتك والله قد استخلفك على عباده وجعل الامر فى دمآئهم واموالهم اليك هذا ما لا يجب ان تحمله عليه وجعل يغريه بالقاضى ويحرّضه على الايقاع به فقال له الحكم وهل شككت انا فى هذا يا عَمّ القاضى رجلٌ صالح والله لا تاخذه فى الله لومة لائم فعل ما يجب عليه ويلزمه وسدّ دونه بابا كان يصعد عليه الدخول منه فاحسن الله جزاءه فغضب سعيدُ الخير وقال هذا حسبى منك فقال له نعم قد قضيت الذى كان لك علىّ ولستُ والله اعارضُ القاضى فيما احتاط به لنفسه ولا اخون المسلمين فى قبض يد مثله ولمّا عوتب ابن بشير فيما اتاه من ذلك قال لِمَن عاتبه يا عاجز أمَا تعلم انه لا بُدَّ من الاعذار فى الشهادات فمن كان يجترى على الدفع فى شهادة الامير لو قبلتها ولو لم اعذر لبخسْتُ المشهود عليه حقّه، وتوفى القاضى محمد بن بشير سنة ١٩٨ قبل الشافعى بستّ سنين كما ياتى قريبا ومحاسنه رحّه كثيرة، وقد استوفى ترجمته بقدر الامكان القاضى عياض فى المدارك فليراجعْها من ارادها فانّ عهدى بها لمَغْرب b،

وقال بعضُ من عرّف به ما نصّه القاضى محمد بن بشير بن محمد المعافرى اصله من جُنْد باجة من عربِ مصر ولاه الحكم بن هشام قضآء القضاة الذى يعبّرون عنه بالمغرب بقضاء الجماعة بقرطبة بعد المصعب بن عمران ثم صرفه وولى مكانه الفرج ابن كنانة، وعن ابن حارث قال احمد بن خالد طلب محمد بن بشير العلم بقرطبة

a) Ces mots manquent dans G. et L. b) Les man. portent المغرب.

عند شيوخ اهلها حتى اخذ منه بحظّ وافر ثم كتب لاحد اولاد عبد الملك بن عمر [a] المروانى لمظلمة نالته على وجه الاعتصام به وتصرّف معه تصرّفا لطيفا ثم انقبض عنه وخرج حاجّا، قال ابن حارث وكتب محمد بن بشير فى حداثته للقاضى مصعب ابن عمران ثم خرج حاجّا فلقى مالك بن انس وجالسه وسمع منه[b] وطلب العلم ايضا بمصر ثم انصرف فلزم ضيعته فى باجة، وقال ابن حيان انه استقدم من باجة للقضاء برأى العباس بن عبد الملك، وقال ابن شعبان فى الرواية عن مالك من اهل الاندلس محمد بن بشير بن سرافيل ويقال شراحيل وُلى القضاء وكان رجلا صالحا وبعَدْله تضرب الامثال واستوطن قرطبة وتوفى بها سنة ١٩٨ انتهى وبعضه عن غيره ومن شعره قوله

انّما أُزْرِى بقدرى انّنى لستُ من باجة[c] اهل البلد
ليس منهم غير ذى مقليّةٍ لذوى الالباب او ذى حَسَدِ
يتحامون لقاءى مثل ما يتحامون لقاء الاسَد
مطلعى اثقَلُ فى اعيُنِهم وعلى انفسهم من أُحُدِ[d]
لو رآونى وسطَ بحرٍ لم يكن أَحَدٌ ياخذ منهم بِيَدِى،

٩٣ ومنهم محمد بن عيسى بن دينار الغافقى من اهل قرطبة كان فقيها زاهدا وحجّ وحضر افتتاح اقريطش واستوطنها قاله الرازى،

٩٤ ومنهم محمد بن يحيى بن يحيى الليثى خرج حاجا ولقى سحنون بن سعيد بافريقية ولقى بمصر رجالا من اصحاب مالك فسمع منهم وعرف بالفقه والزهد وجاور بمكة وتوفى هنالك،

٩٥ ومنهم محمد بن مروان بن خطاب المعروف بابن ابى جمرة[e] رحل حاجا هو وابناه خطاب وعبيرة فى سنة ٢٢٢ وسمعوا ثلاثتهم من سحنون بن سعيد المدوّنة بالقيروان وادركوا اصبغ بن فرج[f] واخذوا عنه،

٩٦ ومنهم محمد بن ابى علاقة البوّاب من اهل قرطبة كانت له رحلة الى المشرق ولقى فيها جماعة من اهل العلم واخذ عن ابى اسحق الزجاجى وعن ابى بكر ابن الانبارى وعن ابى الحسن على بن سليمان الاخفش وابى عبد الله نفطويه وغيرهم

a) Telle est la leçon du man. d'Ibn-Hārith, c.-à-d. d'al-Khochanī (*Hist. des cadis de Cordoue*, man. d'Oxford, p. 234). Les man. d'al-Makk. portent مروان. b) Al-Khochanī معه. c) Les man. portent بابة. d) Ces voyelles se trouvent dans L. e) B. G. حمرة. f) S. الفرج.

عن الاخفش الكامل للمبرّد وقال الحكم المستنصر لم يصح كتاب الكامل عندنا
من رواية الّا من قبل ابن علاقة وكان ابن جابر الاشبيلي قد رواه قبل بمصر بمدّة
وما علمت احدا رواه غيرهما وكان ابن الاحمر القرشي يذكر انه رواه وكان صدوقا
٩٧ ولكن كتابه ضاع ولو حضر ضاهى الرجُلَيْن المتقدّمين ؛

ومنهم محمد بن حزم بن بكر التنوخي من اهل طليطلة وسكن قرطبة يعرف بابن
المديني سمع من احمد بن خالد وغيره وصحب محمد بن مسرّة الجبلي قديما
واختصّ بمرافقته في طريق الحج ولازمه بعد انصرافه وكان من اهل الورع والانقباض
وحكى عن ابن مسرّة انه كان في سكناه المدينة يتتبّع آثار النبي صلّعم قال ودلّه
بعضُ اهل المدينة على دار مارية أُمّ ابراهيم سُرّيّة النبي صلّعم فقصد اليها فاذا دُوَيْرة
لطيفة بين البساتين بشرقيّ المدينة عرضها وطولها واحد قد شقّ في وسطها بحائط
وفرش على حائطها خشب غليظ يرتقى الى ذلك الفرش على خارج لطيف وفي اعلى
ذلك بيتان وسقيفة كانت مقعد النبي صلّعم في الصيف قال فرايتُ ابا عبد الله بعد
ما صلّى في البيتَين والسقيفة وفي كل ناحية من نواحي تلك الدار ضرب احد
البيتين بشبره فكشفتُه بعد انصرافي وهو ساكن في الجبل عن ذلك فقال هذا البيت
الذي تراني فيه بنيته على تلك الحالة a في العرض والطول بلا زيادة ولا
٩٨ نقصان انتهى ؛

ومنهم محمد بن يحيى بن مالك بن يحيى بن عايذ ولدُ ابي زكرياء الراوية
من اهل طرطوشة يكنى ابا بكر تأدّب بقرطبة وسمع بها من قاسم بن اصبغ ومحمد بن
معاوية القرشي واحمد بن سعيد ومنذر بن سعيد وابي علي القالي وغيرهم وكان
حافظا للنحو واللغة والشعر يفوت مَن جاراه على حداثة سنّه شاعرا مجيدا مرسلا
بليغا ورحل مع ابيه الى المشرق سنة ٣٤٩ فسمع بمصر من ابن الورد وابن السكن b
وحمزة الكناني وغيرهم وسمع ايضا بالبصرة وبغداد كثيرا وخرج الى ارض فارس فسمع
هنالك وجمع كتبا عظيمة واقام بها الى ان توفي باصبهان معتبطا مع الستين وثلاثمائة
٩٩ ومولده بطرطوشة صدر ذي القعدة سنة ٣٢٣ ذ ره ابن حيّان رحمه ؛

ومنهم محمد بن عبدون الجبلي العددي c من اهل قرطبة ادبّ بالحساب والهندسة

a) G. L. S. الحكاية.   b) G. سكن.   c) B. العمددي ; G. L. العددي.

ورحل فى سنة ٣٤٧ فدخل مصر والبصرة وعُنِى بعلم الطب فمهر فيه ودبّر مارستان الفسطاط ثم رجع الى الاندلس فى سنة ٣٦٠ فاتّصل بالمستنصر بالله وابنه المؤيّد بالله ولد فى التكسير تاليف حسن رحمه، ١٠٠

ومنهم ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الازدى العراء القرطبى صحب ابا بكر ابن يحيى بن مجاهد واختصّ به ولطف محلّه منه وقرأ عليه القرآن ورحل صُحْبته لاداء فريضة الحجّ وكان رجلا صالحا كثير التلاوة للقرآن والخشوع اذا قرأ بكى ورتّل وبيّن فى مَهْل ويقول ابو بكر علمنى هذه القرآة، وحكى عنه انه سَرَد الصوم ١٣ سنة قبل موت ابن مجاهد مفطرا كلّ الليلة وقت الافطار ثم تمادى على ذلك بعد موته مفطرا عقب العشاء الاخرة لالتزامه الصلاة من المغرب اليها تزيّدا من الخير واجتهادا فى العمل، ١٠١

ومنهم ابو عبد الله محمد بن صالح المعافرى الاندلسى رحل الى المشرق فسمع خيثمة بن سليمان وابا سعيد بن الاعرابى واسمعيل بن محمد الصفار وبكر بن حمّاد التاهرتى وغيرهم روى عنه ابو عبد الله الحاكم وقال اجتمعنا بهمدان سنة ٣٤١ فتوجّه منها الى اصبهان وكان قد سمع فى بلاده وبمصر من اصحاب يونس بالحجاز والشام وبالجزيرة من اصحاب على بن حرب وببغداد وورد نيسابور فى ذى الحجة سنة ٤١ فسمع الكثير ثم خرج الى مَرْو ومنها الى بخارى فتوفى بها فى رجب من سنة ٣٨٣، وروى عنه ايضا ابو القاسم ابن حبيب النيسابورى وغيرهما ذكره ابن عساكر واسند اليه قوله

ودّعت قلبى ساعة التوديعِ واطعتُ قلبى وهو غير مُطيع
إن لم أُشيّعْهم فقد شيّعتُهم بمشيّعَيْن تنفُّسى ودموعى

وذكره ابن الفرضى وقال انّه استوطن بخارى وجعل وفاته بها سنة ٧٨ والاوّل قول الحاكم وهو أصحّ، ١٠٢

ومنهم ابو عبد الله محمد بن احمد الانصارى السرقسطى روى عن الباجى وابن عبد البر ورحل حاجا فقدم دمشق وحدّث بها عن شيوخه الاندلسيّين وعن ابى حفص عمر بن ابى القسم بن ابى زيد القَفْصى وذكره ابن عساكر وقال سمع عنه ابو محمد الأكْفانى وحكى عنه تدليسا ضعفه به وتوفى سنة ٤٧٧،

١٠٣ ومنهم ابو عبد الله محمد بن عيسى بن بقاء الانصارى من بلاد الثغر الشرقى

اخذ القرآآت عن ابى داوود سليمان بن نجاح ورحل حاجا فقدم دمشق واقرأ بها القرآن بالسبع واخذ عنه جماعة من اهلها وكان شيخا فاضلا حافظا للحكايات قليل التكلّف فى اللباس، ذكره ابن عساكر وقال رايتُه وسمعته ينشد قصيدة يوم خرج الناس للمصلّى للاستسقآء على المنبر اوّلها

أستغفرُ الله من ذنبى وان كبرا   وأستقلّ له شكرى وان كثُرا

وكان يسكن دار الحجارة ويقرئ بالمسجد الجامع ولد فى الثانى والعشرين من شعبان سنة ٤٥٤ وتوفى يوم الاربعآء عند صلاة العصر ودفن يوم الخميس لصلاة الظهر الثانى من ذى الحجة سنة ٥١١ ودفن فى مقابر الصحابة بالقرب من قبر ابى الدّردآء رضّه قال وشهدتُّ انا غسله والصلاة عليه ودفنه وذكره السلفى،

١٠٤ ومنهم ابو عبد الله محمد بن طاهر بن على بن عيسى الانصارى الخزرجى من اهل دانية سمع كتاب التقصّى a لابن عبد البرّ ولقى ابا الحسن الحُصْرى ثم خرج حاجا فقدم دمشق سنة ٥٠٤ واقام بها مدّة يقرى العربية وكان شديد الوسْوسة فى الوضوء، ذكره ابن عساكر وقال انشدنى اخى ابو الحسين هبة الله بن الحسن الفقيه قال انشدنا ابن طاهر الاندلسى بدمشق قال انشدنى الحُصْرى لنفسه

يموت مَن فى الانام طُرّا   مِن طيّب كان او خبيثِ
فمستريحٌ ومستراح   منه كما جآء فى الحديث

قال وانشدنا الحُصرى لنفسه

لو كان تحت الارض او فوق الذرى   حُرٌّ أُتيحَ له العدوّ ليؤذَى
فاْحذرْ عدوّك وَهْوَ أهْون هيّن   انّ البَعُوضة أرْدَت النمروذا،

١٠٥ ومنهم محمد بن ابى سعيد الفرج بن عبد الله البزّار b من اهل سرقسطة لقى بدانية الحُصْرى وسمع منه بعض منظومه ورحل حاجا فادى الفريضة ودخل العراق فسمع من جماعة واجازوا له منهم ابنُ خِيرون والحُمَيْدى وابو زكريآء التبريزى والمبارك بن عبد الجبار وثابت بن بندار وهبة الله بن الأكْفانى وغيرهم ونزل الاسكندرية وحدث بها واخذ الناس عنه وتوفى هنالك وانشد للحُصْرى

الناسُ كالارض ومنها هُمُ   من خَشِن اللمْس ومن ليّنِ

a) B. التفصّى. b) S. البزّاز.

فشلّاه تشكّى [b] الرِّجْلَ منه الوَجى   واثمدٌ يُجْعَلُ فى الاعيُنِ

وروى عنه ابن الحضرمى وابن جارة وغيرهما [a]

١٠٦ ومنهم ابو بكر محمد بن الحسين الشهير بالميورقى لانّ اصله منها وسكن غرناطة وروى عن ابى على الصدفى ورحل حاجا فسمع بمكة من ابى الفتح عبد الله بن محمد البيضاوى وابى نصر عبد الملك بن ابى مسلم النهاوندى فى شوال وذى القعدة من سنة ٥١٧ وبالاسكندريّة من ابى عبد الله الرازى وابى الحسن بن مشرف [c] وابى بكر الطرطوشى وغيرهم وعاد الى الاندلس بعد مدّة طويلة فحدّث بغير ما بلد لتجوُّله وكان فقيها ظاهريّا عارفا بالحديث واسمآء الرجال مُتْقنا لما رواه يغلب عليه الزُّهد والصلاح روى عنه ابو عبد الله النميرى الحافظ ويقول فيه الازدى تدليسا لان الانصار من الازد وابو بكر ابن رزق وابو عبد الله ابن عبد الرحيم وابنه عبد المنعم وسواهم وصار اخيرا الى بجاية هاربا من صاحب المغرب حينئذ بعد ان حُمِل اليه هو وابو العبّاس ابن العريف وابو الحكم ابن برجان وحدّث هنالك وسمع منه فى سنة ٥٣٧ رحمه،

١٠٧ ومنهم ابو الحسن محمد بن عبد الرحمن بن الطُّفَيْلى العبدى الاشبيلى ويعرف بابن عَطِيمة اخذ القرآات عن ابى عبد الله السرقسطى وروى عن ابى عبد الله الخولانى وابى عبد الله ابن فرج وابى على الغسّانى وابى داود المقرى وابى جعفر ابن عبد الحق وابى الوليد ابن طريف ورحل حاجا فروى بمكة عن رزين بن مُعاوية وبالاسكندرية عن ابن الحضرمى ابى عبد الله محمد بن منصور وابى الحسن ابن مشرف الانماطى وبالمهدية عن المازرى وكانت رحلته مع ابى على منصور بن الخير الاحدب [d] للقآء ابى معشر الطبرى فبلغهما نعيُه بمصر فلمّا قفلا من حجّهما قعد منصور يقول قرأتُ على ابى معْشر واقتصر ابو الحسن فى تصدره للاقرآء على التحديث عمّن لقى فعرف مكانُه من الصدق والعدالة وولى الصلاة ببلده وتقدّم فى صناعته واشتهر بها وتلاه اهل بيته فيها فاخذ عنهم الناس وله أرْجوزة فى القرآات السبع واخرى فى مخارج الحروف وشرح قصيدة الشُّقْراطيسى [e] وله ايضا كتابُ الفريدة

a) Ce mot manque dans G. L. S.   b) G. وتشكى , L. S. رِتشتكى.   c) B. مشرق.   d) S. الاحدب.   e) Les manuscrits portent الشقراطسى ; voyez Hadji-Khalfa, n°. 9469.

الحمصيّة فى شرح القصيدة الحصريّة واليه والى بنيه بعده كانت الرئاسة فى هذا الشان ومن جملة الرُواة عنه ابو بكر ابن خير قرأ عليه الشهاب للقُضاعىّ واجاز له جميع رواياته وتواليفه فى رجب سنة ٥٣٦ وتوفى فى حدود الاربعين وخمسمائة وروى عنه ابو الضحاك الفزارى،

١٠٨ ومنهم ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابراهيم بن عيسى بن هشام بن جراح الخزرجى من اهل جيان ويعرف بالبغدادى a لطول سكناه اياها وروى عن ابى على الغسانى وابى محمد ابن عتاب ورحل حاجا فلقى ابا الحسن الطبرى المعروف بالكياء b وابا طالب الزينبى وابا بكر الشاشى وغيرهم وكان فقيها مشاورا حدّث عنه ابو عبد الله النُّمَيْرى وابو محمد ابن عبيد الله وابو عبد الله بن حميد وابو القاسم عبد الرحيم بن الملجوم وغير واحد وتوفى بفاس سنة ٥٤٩،

١٠٩ ومنهم ابو عبد الله محمد بن على بن ياسر الانصارى الجيانى ونزل حلب يكنى ابا بكر رحل الى المشرق وادّى الفريضة وقدم دمشق قبل ٥٢٠ وسكن قنطرة سنتين c منها وكان يعلم بالقرآن ويتردّد الى ابى عبد الله نصر الله بن محمد يسمع الحديث منه ثم رحل صحْبةَ ابى القاسم ابن عساكر صاحب تاريخ الشام الى بغداد سنة ٢٠ وكان زميلَه فسمع بها معه من هبة الله بن الحصَين وغيره ثم خرج الى خراسان فسمع بها من حمزة الحسَيْنى وابى عبد الله الفراوى وابى القاسم الشحامى d وغيرهم وسمع ببلخ جماعة منهم ابو محمد الحسن بن على الحسينى وابو النجم مصباح ابن محمد المسكى وغيرهما وبلغ الموصل فاقام بها مدة يُسْمَع منه ويُوخذ عنه ثم انتهى الى حلب فاستوطنها وسُلمت اليه خزانة الكتب النورية واجريت عليه جراية وكان فيه عسْر فى الرواية والاعارة معا ووقف كتُبَه على اصحاب الحديث وله عوالٍ مخرجة من حديثه ساوَى بعض شيوخه البخارى ومسلما وابا داوود والترمذىّ والنِساءى روى عنه ابو حفص الميانشى e وابو المنصور مظفر بن سوار اللخمى وابو محمد عبد الله بن على بن سويدة وابن ابى السِنان وغيرهم، ذكره ابن عساكر فى تاريخه وقال سمعت منه ومات فى جمادى الاولى سنة ٥٦٣ على ما بلغنى، وقال ابن نقطة

---

a) S. بالغدارى. b) Ibn-Khallikān (n°. 441) ajoute الهراسى. c) Les man. portent سنان. d) S. السخامى. e) S. الميانسى. Je suppose qu'il faut lire الميانجى ; voyez *Lobb-al-lobāb*, p. ١٩٤, annot. *u*, et p. ٢٥٩.

حدّث عن جماعة منهمْ ابو القاسم سَهْل بن ابراهيم النيسابورى وابو يعقوب يوسف بن ابراهيم الهمدانى حدّثنا عنه ابو محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الحلبى واخوه ابو العباس احمد وحكى عن الحسن بن هبة الله بن صَصْرَى انه توفى بحلب فى جمادى الاولى سنة ٥٦٣ كما تقدّم وقد بلغ السبعين قاله ابن الأبّار٬

ومنهم ابو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة [a] مرسى سكن شاطبة ودار سَلفه بلنسية سمع ابا على الصدَفى واختصّ به واكثر عنه [b] واليه صارت [c] دواوينه [d] واصوله العتاق وامهات كتبه الصحاح لصِهْر كان بينهما وسمع ايضا ابا محمد ابن ابى جعفر ولازم حضور مجلسه للتفقّه به وحمل ما كان يرويه ورحل الى غرب الاندلس فسمع ابا محمد ابن عتاب وابا بحر الاسَدى وابا الوليد ابن * رشيد وابا عبد الله الخولانى وابا الوليد ابن [e] رُشد وابا عبد الله ابن الحاج وابا بكر ابن العربى وغيرهم وكتب اليه ابو عبد الله الخولانى وابو الوليد ابن طريف وابو الحسن بن عفيف وابو القاسم ابن صواب وابو محمد ابن السيد وغيرهم ثم رحل الى المشرق سنة ٥٢٠ فلقى بالاسكندريّة ابا الحجّاج ابن نادر الميورقى وصحبه وسمع منه واخذ عنه الفقه وعلم الكلام وادّى فريضة الحج فى سنة ٢١ ولقى بمكة ابا الحسن رزين [f] بن معاوية العبدرى امام المالكية بها وابا محمد ابن صدقة المعروف بابن غزال من اصحاب كريمة المروزيّة فسمع منهما واخذ عنهما وروى عن ابى الحسن على بن سند بن عيّاش الغسّانى ما حمل على ابى حامد الغزالى من تصانيفه ثم انصرف الى ديار مصر فصحب ابنَ نادر الى حين وفاته بالاسكندريّة ولقى ابا طاهر ابن عوف وابا عبد الله بن مسلم القرشى وابا طاهر السلفى وابا زكريا الزنانى وغيرهم فاخذ عنهم وكان قد كتب اليه منها ابو بكر الطرطوشى وابو الحسن ابن مشرف الانماطى ولقى فى صدره بالمهدية ابا عبد الله المازرى [g] فسمع منه بعض كتاب المعلم واجاز له باقيه وعاد الى مرسيّة فى سنة ٢٦ وقد حصّل فى رحلته علوما جمّة ورواية فسيحة وكان عارفا بالسنن والآثار مشاركا فى علم القرآن وتفسيره حافظا للفروع بصيرا باللغة والغريب ذا حظ من علم الكلام مايلا الى التصوّف مؤثرا له اديبا بليغا خطيبا فصيحا بنشى الخطب مع الهدى والسمت والوقار والحلم جميل الشارة محافظا على التلاوة بالخشوع ١١٠

---

a) S. سعد. b) B. علبة. c) G. سارت. d) S. روايته. e) Ces mots manquent dans B. G. L. f) S. زرين. g) G. انمازنى.

راتبا على الصوم وولى خطّة الشورى بمرسية مضافة الى الخطبة بجامعها واخذ فى اسماع الحديث وتدريس الفقه ثم ولى القضاء بها بعد انقراض دولة الملثمين ونُقل الى قضاء شاطبة فاتّخذها وطنا وكان يسمع الحديث بها *وبمرسية وبلنسية ويقيم الخطب ايام الجمع فى جوامع هذه الامصار الثلاثة متعاقبا عليها وقد حدّث بالمرية وهناك ابو الحسن ابن موهب وابو محمد الرشاطى وغيرهما وسمع منه ابو الحسن ابن هُذيل جامعَ الترمذى والّف كتابه شجرة الوهم المترقية a الى ذروة الفهم لم يسبق الى مثله وليس له غيره وجمع فهرسة حافلة ووصفه غير واحد بالتفنّن فى المعارف والرسوخ فى الفقه واصوله والمشاركة فى علم الحديث والادب، وقال ابن عيّاد فى حقه انه كان صليبا فى الاحكام مقتفيا للعدل حسن الخَلْق والخُلُق جميل المعاملة ليّن الجانب فَكِه المجالسة ثبتا حسن الخطّ من اهل الاتقان والضبط وحكى انه كانت عنده اصول حِسان بخطّ عمّه مع الصحيحين بخط الصدفى فى سفرَيْن قال ولم يكن *عند شيوخنا b مثل كتُبه فى صحّتها واتقانها وجودتها ولا كان فيهم ما رُزق عند الخاصّة والعامّة من الحظوة والذكر وجلالة القدر ما رزقه وذكره ابو سفيان ايضا وابو عمر ابن عات ورفعوا جميعا بذكره وتوفى بشاطبة مصروفا عن قضائها آخر ذى الحجّة سنة ٥٥٥ c *ودفن اول يوم من سنة ٥٥٦ d بالروضة المنسوبة الى ابى عمر e ابن عبد البر ومولده فى رمضان سنة ٤٩٩،

١١١ ومنهم محمد بن ابراهيم بن وضاح اللخمى من اهل غرناطة ونزل جزيرة شقر يكنى ابا القاسم واخذ القرآة عن ابى الحسن ابن هُذيل وسمع منه كثيرا ورحل حاجا فادّى الفريضة واخذ القرآآت بمكة عن ابى على ابن العَرْجآء فى سنة ٥٤٦ وسنة ٧ بعدها وحجّ ثلاث حجات ودخل بغداد واقام فى رحلته نحوا من ٩ اعوام وقفل الى الاندلس فنزل جزيرة شقر من اعمال بلنسية واقرأ بها القرآن نحوا من ٤٠ سنة لم ياخذ من احد أجرا ولا قبل هديّة وولى الصلاة والخطبة بجامعها وكان رجلا صالحا زاهدا يشار اليه باجابة الدعوة معروفا بالورع والانقباض وتوفى فى صفر سنة ٥٨٧،

١١٢ ومنهم ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبى نزيل تلمسان من اهل لقنت عمل مرسية وسكن ابوه اوريولة رحل الى المشرق فادّى الفريضة واطال الاقامة هنالك

a) S. المترقبة. b) B. عندنا. c) G. et L. ٥٥٦. d) Ces mots ne se trouvent que dans le man. S., où il y a une erreur de date (566). e) S. عمرو.

واستوسع فى الرواية وكتب العلم عن جماعة كثيرة ازيد من مائة وثلاثين من اعيانهم المشرقيين ابو طاهر a السلفى صحبه واختصّ به واكثر عنه وحكى انه لما وقعه فى قفوله الى المغرب سأله عمّا كتب عنه فاخبره انه كتب كثيرا من الأسفار ومئين من الاجزآء فسرّ بذلك وقال له تكون محدّث المغرب ان شاء الله قد حصّلتَ خيرا كثيرا قال ودعا لى بطول العُمر حتى يوخذ عنّى ما اخذت عنه وقد جمع فى اسمآء شيوخه على حروف المعاجم تاليفا مفيدا اكثر فيه من الآثار والحكايات والاخبار وقفل من رحلته وله اربعون حديثا فى المواعظ واخرى فى الفقر وفضله وثالثة فى الحبّ فى الله واربعة فى فضل الصلاة على النبى صلّعم ومسلسلاته فى جزء وكتاب فضائل الاشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان وكتابُ فضل عشر ذى الحجة وكتابُ مناقب السبْطين وكتابُ الفوآئد الكبرى مجلدٌ والفوآئد الصغرى جزوٌ وكتاب الترغيب فى الجهاد خمسون بابا فى مجلد وكتابُ المواعظ والرقآئق اربعون مجلسا سفران وكتاب مشيخة السلفى وغير ذلك مولده بلقنت الصغرى فى نحو ٥٤٠ وتوفى سنة ٦١٠ رحمه،

١١٣ ومنهم الشيخ الاكبر، ذو المحاسن التى تبهر، سيدى مُحيى الدين ابن عربى محمد بن على بن محمد بن احمد بن عبد الله الحاتمى من ولد عبد الله بن حاتم اخى عَدى بن حاتم الصوفى الفقيه المشهور الظاهرى ولد بمرسية يوم الاثنين سابع عشر رمضان سنة ٥٦٠ قرأ القرآن على ابى بكر ابن خلف باشبيلية بالسبع وبكتاب الكافى وحدّثه به عن ابن المؤلف ابى الحسن b شريح بن محمد بن شريح الرعينى عن ابيه وقرأ ايضا السبع بالكتاب المذكور على ابى القاسم الشراط القرطبى وحدّثه به عن ابن المؤلف وسمع على ابى بكر محمد بن ابى جمرة c كتاب التيسير للدانى عن ابيه عن المولف وسمع على ابن زرقون وابى محمد عبد الحق الاشبيلى الازدى وغير واحد من اهل المشرق والمغرب يطول تعدادُهم وكان انتقاله من مرسية لاشبيلية سنة ٥٦٨ فاقام بها الى سنة ٥٩٨ ثم ارتحل الى المشرق واجازه جماعة منهم الحافظ السلفى وابن عساكر وابو الفرج ابن الجوزى ودخل مصر واقام بالحجاز مُدّة ودخل بغداد والموصل وبلاد الروم ومات بدمشق سنة ٦٣٨ d ليلة الجمعة الثامن

a) G. L. الطاهر. b) B. الحسين. c) B. حمزة; S. حمرة. d) L. ٦٣٧.

فى شهر ربيع الآخر ودفن بسفح قاسيون، وانشدنى لنفسه مؤرخا وفاته الشيخ محمد بن سَعْد الكلشنى سنة ١٠٣٧ a حفظه الله

انما الحاتمىّ فى الكون فَرْدٌ وهو غوث وسيّدٌ وامامُ
كم علوم اتى بها من غيوب من بحار التوحيد يا مستهامْ
ان سألتم متى توفى حميدا قلتُ ارّختُ مات قطب هُمامْ

وقال ابن الابّار هو من اهل المرية وقال ابن النجار اقام باشبيلية الى سنة ٥٩٨ ثم دخل بلاد المشرق وقال ابن الابار انه اخذ عن مشيخة بلده ومال الى الآداب وكتب لبعْض الولاة ثم رحل الى المشرق حاجا ولم يعدْ بعدها الى الاندلس، وقال المنذرى ذكر انه سمع بقرطبة من ابى القاسم ابن بشكوال وجماعة سواه وطاف البلاد وسكن بلاد الروم مدة وجمع مجاميع فى الطريقة، وقال ابن الابّار انه لقيه جماعة من العلمآء والمتعبدين واخذوا عنه وقال غيره انه قدم بغداد سنة ٦٠٨ وكان يُومى اليه بالفضل والمعرفة والغالب عليه طُرق اهل الحقيقة وله قدم فى الرياضة والمجاهدة وكلام على لسان اهل التصوف ووصفه غير واحد بالتقدم والمكانة من اهل هذا الشان بالشام والحجاز وله اصحاب واتباع، ومن تاليفه مجموع ضمّنه منامات راى فيها رسول الله صلّعم وما سمع منه ومنامات قد حدّث بها عمّن رآه صلّعم، قال ابن النجار وكان قد صحب الصوفية وارباب القلوب وسلك طريق الفقر وحج وجاور وكتب فى علم القوم وفى اخبار b مشايخ المغرب وزُهّادها وله اشعار حسنة وكلام مليح، اجتمعتُ به فى دمشق فى رحلتى اليها وكتبت عنه شيئا من شعره ونعم الشيخ هو ذكر لى انه دخل بغداد سنة ٦٠١ فاقام بها ١٢ يوما ثم دخلها حاجا ثانيا مع الرد سنة ٦٠٨ وانشدنى لنفسه

ايا حائرًا ما بين علم وشهوة لَيتّصلا ما بين ضدّين من وَصْل
ومن لم يكن يستنشق الريح لم يكن يرى الفضل للمسك الفتيق على الزِبْل

وسألته عن مولده فقال ليلة الاثنين ١٧ رمضان سنة ٥٦٠ c بمرسية من بلاد الاندلس انتهى، وقال ابن مُسدى d انه كان جميل الجملة والتفصيل، محصّلا لفنون العلم اخصّ تحصيل،، وله فى الادب الشأو الذى لا يلحق، والتقدم الذى لا يُسبَق،، سمع

a) S. ١٠٣٨. b) S. اخيار. c) L. S. ٥٦; B. ٩٥٠. d) G. مسوى; L. مسرى.

ببلاده من ابن زرقون والحافظ ابى الجدّ وابى الوليد الحضرمى وبسبتة من ابى محمد ابن عبد الله وقدم عليه اشبيلية ابو محمد عبد المنعم بن محمد الخزرجى فسمع منه وابى جعفر ابن مصلى وذكر انه لقى عبد الحق الاشبيلى وفى ذلك عندى نظرٌ انتهى، قلت لا نظر فى ذلك فانّ سيدى الشيخ محيى الدين ذكر فى اجازته للملك المظفر غازى بن الملك العادل ابى بكر ابن ايوب ما معناه او نصّه ومن شيوخنا الاندلسيّين ابو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الاشبيلى رحه حدّثنى بجميع مصنّفاته فى الحديث وعين لى من اسمآئها تلقين المهتدى والاحكام الكبرى والوسطى والصغرى وكتاب التهجّد a وكتاب العاقبة ونظمه ونثره وحدّثنى بكتب الامام ابى محمد على بن احمد بن حَزْم عن ابى الحسن شريح ابن محمد بن شريح عنه انتهى، وقال ان الحافظ السلفى اجاز له انتهى، قال بعض الحُفّاظ واحسبُها الاجازة العامة وكان ظاهرىَّ المذهب فى العبادات باطنىّ النظر فى الاعتقادات وكان دَفْنه يوم الجمعة بجبل قاسيون واتفق انه لما اقام ببلاد الروم زكّاه ذات يوم الملك فقال هذا تذلّ له الاسود او كلاما هذا معناه فسُئل عن ذلك فقال خدمت بمكة بعض الصلحآء فقال لى يوما الله يُذِل لك اعزّ خَلْقه وامر له ملك الروم مَرّة بدار تساوى مائة الف درهم فلما نزلها واقام بها مرّ به بعض الايام سائل فقال له شىء لله فقال ما لى غير هذه الدار خذها لك فتسلمها السائل وصارت له b، وقال الذهبى فى حقه ان له توسّعا فى الكلام وذكآء وقوّة خاطر وحافظة وتدقيقا فى التصوّف وتواليف جمّة فى العرفان لولا شَطْحُهُ فى كلامه وشعره ولعل ذلك وقع منه حالَ سُكره وغيْبته فيُرْجَى له الخير انتهى، وقال القطب اليونينى فى ذيل مرآة الزمان عن سيدى الشيخ محيى الدين رضه ونفعنا به انه كان يقول انى اعرف اسمَ الله الاعظم واعرف الكيمياء انتهى، وقال ابن شودكين عنه انه كان يقول ينبغى للعبد ان يستعمل همّتَه فى الحضور فى مناماته بحيث يكون حاكما على خياله يصرفه بعقله نوما كما كان يحكم عليه يقظة فاذا حصل للعبد هذا الحضور وصار خُلُقا له وجد ثمرة ذلك فى البرزخ وانتفع به جدّا فليهتم العبد بتحصيل هذا القدر فانه عظيم الفائدة باذن الله، وقال إن الشيطان ليقنع من الانسان بان ينقله

a) S. المتهاجد. b) L. اليه.

[illegible] الى طاعة ليفسخ عزمه بذلك، وقال ينبغى للسالك انه متى حضر له انه يعقد على امر اد a يعاهد الله تعَ عليه ان يترك ذلك الامر الي ان يجىء وقته فان يسّر الله فعْله فَعَله وان لم يُيَسّر الله فعْلَه لَيكون b مخلصا من نكث العهد ولا يكون متّصفا بنقض الميثاق، ومن نظم الشيخ محيى الدين رحَه قوله

بين التذلّل والتدلّل نقطةٌ   فيها يَتيه العالِم النحْريرُ
هى نقطةُ الأكْوان إن جاوزْتَها   كنتَ الحكيم وعِلْمك الاكسيرُ

وقوله
يا دُرّة بيضاء لاهوتيّة   قد رُكّبَتْ صَدَفا من الناسوت
جَهِل البريّة c قدرَها لشقائهم   وتنافسوا فى الدرّ والياقوت

وحكى العماد بن النحاس الاطروشى انه كان فى سفح جبل قاسيون على مستشرف وعنده الشيخ محيى الدين والغيث والسحاب عليهم ودمشق ليس عليها شىء قال فقلت للشيخ اما ترى هذه الحال فقال كنتُ بمراكش وعندى ابن خروف الشاعر يعنى ابا الحسن على بن محمد القرطبى القبذاقى d وقد اتفق الحال مثل هذه قلت له مثل *هذه المقالة e فانشدنى

يطوف السحابُ بمراكش   طوافَ الحجيج ببيت الحَرَمْ
يروم نزولا فلا يستطيع   لسَفك الدمآء وهَتْك الحُرَمْ

انتهى وحكى المقريزى فى ترجمة سيدى عمر بن الفارض افاض الله علينا من انواره ان الشيخ محيى الدين ابن العربى بعث الى سيدى عمر يستاذنه فى شرح التائيّة فقال كتابك المسمّى بالفتوحات المكية شرحٌ لها انتهى، وقال بعض من عرّف به انه لمّا صنّف الفتوحات المكية كان يكتب كل يوم ثلاث كراريس حيث كان وحصلتْ له بدمشق دُنيا كثيرة فما ادّخر منها شيئا وقيل ان صاحب حمص رتّب له كل يوم مائة درهم وابن الزكى كل يوم ٣٠ درهما فكان يتصدق بالجميع واشتغل الناس بمصنّفاته وله f ببلاد اليمن والروم صيت عظيم وهو من عجائب الزمان وكان يقول اعرف الكيميآء بطريق المنازلة لا بطريق الكسب ومن نظمه

حقيقتى هِمْتُ بها وما رآها بصرى ولو رآها لغدا قتيلَ ذاك الحَوَرِ
فعِنْدَما ابصرتُها صِرْتُ بحُكم النَظَرِ فبِتُّ مسحورا بها اهيمُ حتى السَّحَرِ

---

a) S. اذ. b) G. L. S. يكون. c) B. G. S. البسيطة. d) Les man. portent القيدافى.
e) B. ما قلت. f) B. G. L. S. ولها.

ه يا حَذَرِى من حَذَرِى لو كان يُغنى حَذَرِى والله ما قَيَّمنى جمالُ ذاك الخَفَرِ
فى حُسْنِها من ظبية ترعى بذات الحَمَرِ اذا رنتْ او عَطَفَتْ تُسْبِى عقولَ البَشَرِ
كأنّما أنفاسُها أعْرافُ مِسْكٍ عَطِرِ ا كأنّها شمسُ الضُّحَى فى النور او كالقَمَرِ
ان سفرت ابرزها نورُ صباحٍ مُسْفِرِ او سدلتْ غيّبها ظلامُ ذاك الشَعَرِ
يا قمرًا تحت دُجى خُذِى فُؤادى ه وذَرِى عَيْنى لكى ابصركم اذ كان حَظّى نَظَرِى

وقال الخُوَبّى b قال الشيخ سيدى محيى الدين ابن عربى رضّه رايتُ بعض الفقهآء فى النوم فى رويا طويلة فسالنى كيف حالك مع اهلك فانشدتُه

اذا راى اهلُ بيتى الكيس ممتلئًا تبسمت ودنَتْ منى تمازحنى
وان رأته خَليًّا من دراهمه تجهّمت وانثنت عنّى تُقابحنى .

فقال لى صدقتَ كلُّنا ذلك الرجل، وذكر الامام العالم بالله لسان الحقيقه وشيخ الطريقه، صفى الدين حسّين الامام العلامة جمال الدين ابن الحسن على بن الامام مفتى الانام كمال الدين ابى المنصور ظافر الأزدى الانصارى رضّه فى رسالته الفريدة المحتوية على من راى من سادات مشآئخ عصره بعد كلام ما صورته ورايتُ بدمشق الشيخ الامام العارف الوحيد محيى الدين ابن العربى وكان من اكبر علمآء الطريق جمع بين سائر العلوم الكسبيّه، وما وُفر ه له من العلوم الوهبيّه، ومنزلته شهيره، وتصانيفه كثيره، وكان غلب عليه التوحيد عِلْما وخُلُقا وحالا لا يكترث بالوجود مُقْبلا كان او معرضا وله عُلمآء اتباع ارباب مواجيد d وتصانيف وكان بينه وبين سيدى الاستاذ الحرّار إخاء ورفقة فى السياحات، رضّهما فى الآصال والبُكرات، انتهى بلفظه رحّه، ومن نظم سيدى الشيخ محيى الدين e رضّه قوله

من يرانى ولا آراه كم ذا آراه ولا يرانى

قال رحّه قال لى بعض اخوانى لما سمع هذا البيت كيف تقول انه لا يراك وانت تعلم انّه يراك فقلتُ له مرتجلا

يا مَن يرانى مُجْرِمًا ولا اراه آخذا كم ذا اراه مُنْعِمًا ولا يرانى لائذا

قلتُ من هذا وشبهه تعلم انّ كلام الشيخ رحّه مؤوّل وانه لا يقصد ظاهِره وانّما نه

a) G. L. S. فؤادا. b) B. الخوبى ; S. الخو (après ce mot il y a un blanc). Cet auteur est aussi cité par Ibn-Khallikān (n°. 614). c) Les manuscrits portent وفر. d) S. مواحيد. e) S. ajoute ابن العربى.

محامل تليق به وكفاك شاهدًا هذه الجزئيّة الواحدة فاحسن الظنّ به ولا تنتقدْ، بل اعتقدْ،، وللناسْ فى هذا المعنى كلام كثير والتسليم اسلم، والله بكلام اوليائه اعلم،، ومن النظم المنسوب لمحاسن الشيخ سيدى محيى الدين رضه فى ضابط ليلة القدر

وإنّا جميعا ان نصمْ يومَ جمعة ــــ ففى تاسع العشرين خُذْ ليلةَ القَدْرِ
وان كان يوم السبت اولَ صومنا ــــ فحادى وعشرين اعتمدْه بلا عُسْرِ
وان كان يوم الشهر فى احد فخُذْ ــــ ففى سابع العشرين ما شئت فاستقرِ
وان هلّ بالاثنين فاعلمْ بانّه ــــ يوافيك نيل الوعد[a] فى تاسع العشرِ
ويومَ الثلاثا ان بدا الشهر فاعتمدْ ــــ على خامس العشرين فاعمل بها تدرِى
وفى الاربعا ان حلّ يا مَن يرومها ــــ فدونك فاطلبْ وصلها سابعَ العشرِ
ويومَ الخميس ان بدا الشهر فاجتهدْ ــــ ففى ثالث العشرين تظفر بالنصْرِ
وضابطُها بالقول ليلة جمعة ــــ توافيك بعدَ النصف فى ليلة الوَتْرِ

انتهى، قلتُ لستُ على يقين نسبة هذا النظم الى الشيخ رحه فانّ نفسه اعلى من هذا النظم ولكنى ذكرته لِما فيه من الفائدة ولانّ بعض الناس نسبه اليه والله[b] اعلم بحقيقة ذلك، وممّا نسب اليه رحه غير واحد قوله

قَلْبى قُطْبى وقالبى أجْنانى ــــ سرّى خِضْرى وعينه عرفانى
روحى هارون وكليمى موسى ــــ نفسى فرعون والهوى هامانى[c]

وذكر بعضُ الثقاة انّ هذَيْن البيتين يُكتَبان لِمَن به القُولَنْج فى كفّه ويَلْحَسُهما فانّه يبرا باذن الله تعَ قال وهو من المجربات وقد تأوّل بعض العلمآء قول الشيخ رحه الله بايمان فرعون انّ مراده بفرعون النفس بدليل ما سبق وحكى فى ذلك حكاية عن بعض الاوليآء ممن كان ينتصر للشيخ رحه، ووُلد للشيخ محيى الدين رحه ابنه محمد المدعوّ سعد الدين بملطية فى رمضان سنة ٦١٨ وسمع الحديث ودرس وقال الشعر الجيّد وله ديوان شعر مشهور وتوفى بدمشق سنة ٦٥٦ سنة دخل هُولاكو بغداد وقتل الخليفة المستعصم ودُفن المذكور عند والده بسفح قاسيون وكان قدم القاهرة وسكن حلب ومن شعره

لمّا تبدّا عارضاه فى نَمَطْ ــــ قيل ظلامٌ بضياء اختلَطْ

a) B. G. L. الوجد. b) Les manuscrits portent فالله. c) Voyez sour. 28, vs. 38.

وقيل سَطرُ الحسن فى خدّيه خطْ   وقيل نَمْل فوق عاج انبسطْ
وقيل مسْك فوق ورد قد نَقطْ   وقال قوم انّها اللّام. فقطْ

قلتُ تذكرتُ بهذا ما قاله الكاتب ابو عبد الله بن جُزَىّ الاندلسى كاتب سلطان المغرب ابى عِنان حين تنازع الكتّاب ارباب الاقلام والرؤسآء اصحاب السيوف فى تشبيه العِذار وقالت كلُّ فرقة لا نشبّهه الّا بما هو مُناسب لصنعتنا فلمّا فرغوا قال ابن جُزى

اتى اولو الكتْب والسيف الاولى عزموا   مِن بعد سَلْمى على حربى واسلامى
بكلّ معنًى بديع فى العِذار على   ما تقتضى منهم افكار احلامى
فقال ذو الكُتْب لا ارضى المحارب فى   تشبيهه لا وأنفاسى واقلامى
وقال ذو الحرب لا ارضى الكتآئب فى   تشبيهه ومظلّاتى وأعلامى
ه فقلتُ اجمعُ بين المذهبَيْن معًا   باللام فاستحسنوا التشبيه باللام

وهذه الغاية التى لا تدرك مع البديهة ولزوم ما لا يلزَم، رجع ومن نظم سعد الدين قوله

سَهَرى من المحبوب اصبح مُرسَلا   واراه متّصلا بغيض مدامعى
قال الحبيب بأنّ ريقى نافعٌ a   فاْسمعْ روايةَ مالك عن نافعِ

ومن نظمه ايضا قوله

وقالوا قصيرٌ شعْرُ مَن قد هويتُه   فقلتُ دعونى لا ارى منه مخلصا
محيّاه شمسٌ قد علَتْ غصن قدّه   فلا عجب للظلّ أن يتقلّصا

وقوله

وربّ قاضٍ لنا مليح   يُعْرب عن منطق لذيذ
اذا رمانا بسهم لحظ   قلنا له دائم النفوذ

وقوله

لك والله منظر   قلّ فيه المشاركُ   انّ يوما تكون فيـــه لَيَومٌ مُباركُ

ومن نظمه ايضا ما كتب به الى اخيه عماد الدين ابى عبد الله محمد بن الشيخ الاكبر محيى الدين ابن عربى افاض الله علينا من فتوحاته قوله

ما للنوى رقّة يرثى لمكتئبِ   حرّانُ فى قلبه والدمع فى حلب
قد اصبحتْ حَلَبٌ ذاتَ العماد بكم   وجلّق ارَمٌ هذا من العجب

وتوفى الشيخ عماد الدين بالصالحية سنة ٦٦٧ ودفن بسفح قاسيون عند والده بتربة

a) Les man. portent بافع. Je dois avouer que je ne comprends pas ces mots.

القاضى ابن الزكى رحمه وابن الزكى ايضا محيى الدين ومن نظم سعد الدين المذكور فى *وسيم رآه بالزيادة فى دمشق

يا خليلىّ فى الزيادة ظبىٌ سلبت مقلتاه جفنى رقاده
كيف ارجو السلوّ عنه وطرفى ناظرٌ حسنَ وجهه فى الزيادة

وله علقتُ صوفيًّا كبدر الدجى لكنّه فى وصلى الزاهدُ
يشهد وجدى بغرامى له فديتُ صوفيًّا له شاهدُ

وله ايضا صبوتُ الى حريرىّ مليح تكرّر نحو منزله مسيرى
اقول له ألا ترثى لصبّ عديم للمساعد والنصير
اقام ببابكم خمسين شهرا فقال كذا مقامات الحريرى

وله وغزال من اليهود اتانى زايرا من كنيسة او كناسهْ
بتُّ اجنى الشقيق من وجنتيه واشمّ العبيرَ من انفاسهْ
واعتنقنا اذ لم نخف من رقيب وامنّا الوشاةَ من حُرّاسهْ
من رآنى يظنّنى لنحولى واصفرارى علامة فوق راسهْ

وله لى حبيبٌ بالنحو اصبح مغرى فهو منّى بما أُعانيه أدرى
قلتُ ما ذا تقول حين تنادى يا حبيبى المضاف نحوك جهرا
قال لى يا غلام او يا غلامى قلتُ لبّيك ثم لبّيك عشرا

وله ساءلتنى عن لفظة لغويّة فاجبتُ مبتدها بغير تفكّرِ
خاطبتنى متبسّما فرايتُها من نظم ثغرك فى صحاح الجوهرى

وله وعلمتُ ان من الحديد فؤاده لمّا انتضى من مقلتيه مهنّدا
آنستُ من وجدى بجانب خدّه نارًا ولكنْ ما وجدتُّ بها هُدَى

وقال الشيخ محيى الدين افاض الله علينا من انواره، وكسانا بعض حُلَل اسراره،، انه بلغنى فى مكة عن امرأة من اهل بغداد انها تكلمت فىّ بامور عظيمة فقلت هذه قد جعلها الله سببا لخير وصل الىّ فلا كفينها وعقدتُّ فى نفسى أن اجعل جميعَ ما اعتمرتُ فى رجب لها ᵃ ففعلت ذلك فلمّا كان الموسم استدلّ علىّ رجل غريب فسأله الجماعة عن قصده فقال رأيتُ بالينبع فى الليلة التى بتُّ فيها كأنّ آلافا من

a) G. et L. ajoutent وعنها.

الابل اوقارها المسْك والعنبر والجوهر فعجبتُ من كثرته ثم سالتُ لِمَنْ هو فقيل هو لمحمد بن عربى يهديه الى فلانة وسمّى تلك المرأة ثم قال وهو بعضُ ما تستحق يا سيدى ابن عربى فلما سمعتُ الرؤيا واسمَ المرأة ولم يكن احد من خلْق الله علم منّى ذلك علمتُ انه تعريف من جانب الحق وفهمتُ من قوله انّ هذا بعض ما تستحق انها مكذوب عليها فقصدتُ المرأة وقلتُ أصدُقينى وذكرتُ لها ما كان من ذلك فقالت كنتُ قاعدة قبالة البيت وانت تطوف فشكرك الجماعة التى كنتُ فيهم فقلت فى نفسى اللهمّ انّى اشهدك انى قد وهبتُ له ثوابَ ما اعلمه فى يوم الاثنين وفى يوم الخميس وكنتُ اصومهما واتصدّق فيهما قال فعلمتُ انّ الذى وصل منى اليها بعض ما تستحقّه فانها سبقتْ بالجميل والفضل للمتقدم، ومن نظم الشيخ محيى الدين ابن عربى رحمه

يا غاية السُّؤل والمامول يا سَنَدى   شوقى اليك شديدٌ لا الى احَدِ
ذبتُ اشتياقا ووَجْدًا فى محبّتكم   فآهِ من طول شوقى آهِ من كمدى
يدى وضعتُ على قلبى مخافة ان   ينشقّ صَدْرِى لمّا خاننى جَلَدى
ما زال يرفعها طَوْرا ويخفضُها   حتّى وضعتُ يدى الاخرى تشدّ يدى

وحكى سبط ابن الجوزى عن الشيخ محيى الدين انه كان يقول انه يحفظ الاسم الاعظم ويقول انّه يعرف الكيمياء بطريق التنزّل لا بطريق التكسّب انتهى والله اعلم والتسليم اسلم، ومن نظم الشيخ محيى الدين قوله

ما فاز بالتوبة الّا الّذى   قد تاب قِدْما والورى [a] نُوَّمْ
فمن يتبْ ادرك مطلوبَه   من توبة الناس ولا يعلمْ

وله رحمه من المحاسن ما لا يستوفى وانشدنى لنفسه بدمشق صاحبنا الصوفىّ الشيخ محمد بن سعد الكلشنى حفظه الله قوله

شيخُنا الحاتمىّ فى الكون فَرْدٌ   وهو غوث وسيّد وامامْ
كم علوم اتى بها من غيوب   من بحار التوحيد يا مستهام
ان سالتم متى توفى سعيدا   قلت أرّختُ مات قُطْب همام

سنة ٦٣٨   وانشدنى لنفسه

a) S. فانورى.

امولای محیی الدین انت الذی بدت　　علومك فى الآفاق كالغيث مُذ هَمَى
كشفتَ معانى كلّ علم مكتّم　　واوضحتَ بالتحقيق ما كان مُبْهَما

وبالجملة فهو حجّة الله الظاهرة، وآيته الباهرة، ولا يلتفت الى كلام من تكلّم فيه ولله درّ السيوطى الحافظ فانه ألّف تنبيه الغبى عن تنزيه ابن عربى، ومقام هذا الشيخ معلوم والتعريف به يستدعى طُولا وهو اظهر من نور على علم وكان بالمغرب يعرف بابن العربى بالالف واللام واصطلح اهل المشرق على ذكره بغير الف ولام فرقا بينه وبين القاضى ابى بكر ابن العربى، وقال ابن خاتمة فى كتاب مزية المرية ما نصّه محمد بن على بن محمد الطائى الصوفى من اهل اشبيلية واصْله من مرسية يكنى ابا بكر ويعرف بابن العربى وبالحاتمى ايضا اخذ عن مشيخة بلده ومال الى الآداب وكتب لبعض الولاة بالاندلس ثم رحل الى المشرق حاجّا فادّى الفريضة ولم يعُدْ بعدها الى الاندلس وسمع الحديث من ابى القاسم الحرستانى [a] وغيره وسمع صحيح مسلم من الشيخ ابى الحسن بن ابى نصْر فى شوّال سنة ٦٠٦ وكان يحدّث بالاجازة عن ابى طاهر [b] السلفى ويقول بها وبرع فى علم التصوّف وله فى ذلك تواليف كثيرة منها الجمعُ والتفصيل فى حقائق التنزيل، والجذوة المقتبسة والخطرة المختلسة، وكتابُ كشف المعنى فى تفسير الاسمآء الحسنى، وكتابُ المعارف الالهيّة، وكتابُ الاسْرى [c] الى المقام الاسنى، وكتاب مواقع النجوم ومطالع اهِلّة اسرار العلوم، وكتاب عنقآء مُغرب فى صفة ختم الاوليآء وشمس المغرب، وكتاب فى فضائل مشيخة عبد العزيز بن ابى بكر القرشى المهدوى، والرسالة الملقبة بمشاهد الاسرار القدسيّة ومطالع الانوار الالهيّة، فى كتب اخر عديدة، وقدم على المرية من مرسيّة مستهل شهر رمضان سنة ٥٩٥ وبها الف كتابه المرسوم بمواقع النجوم انتهى، ولا خفآء ان مقام الشيخ عظم بعد انتقاله من المغرب وقد ذكر رحه فى بعض كتبه انّ مولده بمرسيّة وفى الكتاب المسمّى بالاغتباط بمعالجة ابن الخياط تاليف شيخ الاسلام قاضى القضاة مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازى الفيروزابادى الصديقى صاحب القاموس قدّس الله روحه الذى الفه بسبب سُؤال سُئل فيه عن الشيخ سيدى محيى الدين ابن عربى الطائى قدس الله سرّه العزيز فى كتبه المنسوبة

a) Les man. portent الخرستانى; mais voyez le *Lobb-al-lobāb*, p. ٧٨. *b*) G. L. الطاهر, S. ظاهر. *c*) B. الاسرى.

اليه ما صورته ما تقول السادة العلمآء شدّ الله بهم ازر الدين ولمّ بهم شعث المسلمين فى الشيخ محيى الدين ابن عربى فى كتبه المنسوبة اليه كالفتوحات المكية والفصوص هل تحل قراءتها واقراؤها ومطالعتها وهل هى الكتب المسموعة المقروة ام لا افتونا مأجورين جوابا شافيا لتحوزوا جميل الثواب من الله الكريم الوهّاب والحمد لله وحده فاجابه ما صورته الحمد لله اللهمّ انطقنا بما فيه رضاك الذى اعتقده فى حال المسئول عنه وادين الله تع به انه كان شيخ الطريقة حالا وعلما، وامام التحقيق حقيقة ورسما، ومحيى رسوم المعارف فعلا واسما،، اذا تغلغل فكر المرء فى طرف من بحره غرقت فيه خواطره عُباب لا تُكَدِّره الدلآء وسحابٌ لا تتقاصر عنه الانوا،، وكانت دعواته تخترق السبع الطباق، وتفترق بركاته فتملأ الآفاق،، وانّى اصفه وهو يقينا فوق ما وصفته، وناطق بما كتبته، وغالب ظنّى انى ما انصفته،،

وما علىّ اذا ما قلتُ معتقدى   دَعِ الجَهول يظنّ العَدْل عُدْوانا
والله والله والله العظيم ومَن   اقامه حجّة للدين بُرْهانا
بأنّ ما قلتُ بعضٌ من مناقبه   ما زدتّ الّا لَعلّى زدتّ نقصانا

وامّا كتبه ومصنّفاته فالبحار الزواخر، التى لجواهرها وكثرتها لا يُعرَف لها اوّل ولا آخر.. ما وضع الواضعون مثلها، وانّما خصّ الله بمعرفة قدرها اهلها،، ومن خواصّ كتبه انه مَن واظب على مطالعتها والنظر فيها، وتأمّل ما فى مبانيها،، انشرح صدره لحلّ المشكلات، وفكّ المعضلات،، وهذا الشان لا يكون الّا لانفاس مَن خصّه الله بالعلوم اللّدُنّيّة الربانية ووقفت على اجازة كتبها للملك المعظم فقال فى آخرها واجزته ايضا ان يروى عنّى مصنّفاتى ومن جملتها كذا وكذا حتى عدّ نيّفا واربعمائة مصنّف منها التفسير الكبير الذى بلغ فيه الى تفسير سورة الكهف عند قوله تع وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا a وتوفى ولم يكمل وهذا التفسير كتب عظيم كلٌّ سفر بحرٌ لا ساحل له ولا غرو فانّه صاحب الولاية العظمى والصديقيّة الكبرى فيما نعتقد وندين الله به وثَمّ طائفة، فى الغىّ حائفة،، يُعَظِّمون عليه النكير، وربّما بلغ بهم الجهل الى حدّ التكفير،، وما ذلك الّا لقصور أفهامهم عن ادراك مقاصد اقواله وافعاله ومعانيها، ولم تصل ايديهم لقصرها الى اقتطاف مجانيها،،

a) Voyez sour. 18, vs. 64.

علىّ نَحْتُ القوافى من معادنها   وما علىّ اذا لم تفهم البقرَ

هذا الذى نعلم ونعتقد وندين الله به فى حقه والله سبحانه وتع اعلم، وصورة استشهاده كتبه محمد الصديقى الملتجى الى حرم الله تع عفا الله عنه انتهى، واما احتجاجه بقول شيخ الاسلام [a] عزّ الدين ابن عبد السلام شيخ مشايخ الشافعيّة فغير صحيح بل كذب وزُور فقد روينا عن شيخ الاسلام صلاح الدين العلآئى عن جماعة من المشايخ كلهم عن خادم الشيخ عز الدين ابن عبد السلام انه قال كُنّا فى مجلس الدرس بين يدى الشيخ عز الدين ابن عبد السلام فجاء فى باب الردّة ذكر لفظة الزنديق فقال بعضهم هل هى عربيّة او عجميّة فقال بعض الفضلآء انما هى فارسيّة معرّبة اصلها زَنْ دين اى على دين المرأة وهو الذى يضمر الكفر ويظهر الايمان فقال بعضهم مثل مَن فقال اخر الى جانب الشيخ مثل ابن عربى بدمشق فلم ينطق الشيخ ولم يردّ عليه، قال الخادم وكنتُ صائما ذلك اليوم فاتفق ان الشيخ دعانى للافطار معه فحضرت ووجدت منه [b] اقبالا ولطفا فقلت له يا سيدى هل تعرف القطب الغوث الفَرِد فى زماننا فقال ما لك ولهذا كُلْ فعرفتُ انه يعرفه فتركت الاكل وقلت له لوجه الله تع عرّفنى به من هو فتبسّم رحمه وقال الشيخ محيى الدين ابن عربى فاطرقت ساكتا متحيّرا فقال ما لك فقلت يا سيدى قد حرتُ قال لِمَ قلت أليس اليوم قال ذلك الرجل الى جانبك ما قال فى ابن عربى وانت ساكت فقال أسكتْ ذلك مجلس الفقهآء هذا الذى رُوى لنا بالسند الصحيح عن شيخ الاسلام عز الدين ابن عبد السلام، واما قول غيره من اضراب الشيخ عز الدين فكثير كان الشيخ كمال [c] الدين الزملكانى من اجلّ مشايخ الشام ايضا يقول ما آجْهل هُؤلاء ينكرون على الشيخ محيى الدين ابن عربى لاجل كلمات وألفاظ وقعتْ فى كتبه قد قصرت افهامُهم عن درك معانيها فليأتونى لأحلّ لهم مشكلَه وأُبيّن لهم مقاصده بحيث يظهر لهم الحق ويزول عنهم الوهم وهذا القطب سعد الدين الحموى سئل عن الشيخ محيى الدين ابن عربى لما رجع من الشام الى بلاده كيف وجدتّ ابن عربى فقال وجدتُّه بحرا زاخرا لا ساحل له وهذا الشيخ صلاح الدين الصفدى له كتاب جليل وضعه فى تاريخ علمآء العالم فى مجلدات كثيرة وهى موجودة فى

a) G. L. الكلام.   b) B. ممه.   c) B. جمال.

خزانة السلطان تنظرْ فى باب الميم ترجمة محمد بن عربى لتعرف مذاهب اهل العلم
الذين باب صدورهم مفتوح لقبول العلوم اللَّدُنيّة والمواهب الربانية وقوله فى شىء من
الكتب المصنّفة كالفصوص وغيره انه صنّفه بامر من الحضرة الشريفة النبويّة وامره
باخراجه الى الناس قال الشيخ محيى الدين الذهبى حافظ الشام ما اظنّ المحيى
يتعمّد الكذبَ اصلا وهو من اعظم المنكرين واشدّهم على طائفة الصوفيّة، ثم ان
الشيخ محيى الدين رضه كان مسكنه ومظهره بدمشق واخرج هذه العلوم اليهم
ولم ينكر عليه احد شيئًا من ذلك وكان قاضى القضاة الشافعيّة فى عصره شمس
الدين احمد الخوبى a يخدمه خدمة العبيد وقاضى القضاة المالكيّة زوّجه بابنته
وترك القضآء بنظرة وقعتْ عليه من الشيخ، واما كراماته ومناقبه فلا تحصرها مجلدات
وقول المنكرين فى حق مثله غُثاء وهَباء لا يُعْبَأ به والحمد لله انتهى ما نقلتُه من
كلام العارف بالله سيدى عبد الوهّاب الشعرانى رضه، وقد حكى الشيخ رضه عن
نفسه فى كتبه ما يبهر b الالباب، وكفى بذلك دليلا على ما منحه الله الذى يفتح
لمن شآء الباب،، وقد اعتنى بتربته بصالحيّة دمشق سلاطين بنى عثمان، نصرهم الله
على توالى الازمان،، وبنا عليها c السلطان المرحوم سليم خان المدرسة العظيمة ورتب
له الاوقاف وقد زرتُ قبْرَه وتبرّكتُ به مرارا ورايتُ لوآئح الانوار عليه ظاهرة ولا يجد
منصِفٌ مَحْيدًا الى انكار ما يُشاهد عند قبره من الاحوال الباهرة وكانت زيارتى له
بشعبان ورمضان واول شوال سنة ١٠٣٧، وقال فى عنوان الدراية ان الشيخ محيى
الدين كان يعرف بالاندلس بابن سُراقة وهو فصيح اللسان، بارع فهم الجنان،، قوى
على الايراد، كلما طلب الزيادة يزاد،، رحل الى العدوة ودخل بجاية فى رمضان سنة
٥٩٧ وبها لقى ابا عبد الله العربى d وجماعة من الافاضل ولما دخل بجاية فى التاريخ
المذكور قال رايتُ ليلة أنّنى انكحتُ نجوم السمآء كلها فما بقى منها نجم الا
انكحته بلذّة عظيمة روحانيّة ثم لما كملت نكاحَ النجوم اعطيتُ البدور e فانكحتها f
وعرضت رؤياى هذه على مَن قصّها على رجل عارف للرؤيا بصير بها وقلت للذى
عرضها عليه لا تذكرْنى فلما ذكر الرؤيا استعظمها وقال هذا هو البحر الذى لا
يُدرَك قعره صاحب هذه الرؤيا يفتح الله g له من العلوم العلويّة وعلوم الاسرار وخواص

a) B. الخوانى ; G. الخوبى. b) B. et S. يبهر. c) Les man. portent عليه. d) S. الغربى.
e) G. L. S. الحروف. f) Les man. portent فنكحتها. g) Ce mot manque dans B. G. L.

الكواكب ما لا يكون فيه احد من اهل زمانه ثم سكت ساعة وقال ان كان صاحب هذه الرؤيا فى هذه المدينة فهو ذاك الشابّ الاندلسى الذى وصل اليها، ثم قال صاحب العنوان ما ملخّصه ان الشيخ محيى الدين رحل الى المشرق واستقرّت به الدار والّف التواليف وفيها ما فيها ان قيض ª الله مَن يُسامح ويتاوّل سهل المرام وان كان ممن ينظر بالظاهر فالامر صعْبٌ وقد نقد عليه اهل الديار المصرية وسعَوْا فى اراقة دمه فتخلصه الله على يد الشيخ ابى الحسن البُجائى فانّه سعى فى خلاصه وتاوّل كلامه ولما وصل اليه بعد خلاصه قال له الشيخ رحّه كيف يُحبَس b مَن حلّ منه اللاهوت فى الناسوت فقال له يا سيدى تلك الشطحات c فى محلّ سكر ولا عتْب على سكران وتوفى الشيخ محيى الدين فى نحو وكان ٦٤٠ يحدّث بالاجازة العامة على السلفى رحّه انتهى، ومن موشحات الشيخ محيى الدين رضّه قوله

سرآئر الاعيانْ   لاحت على الاكوانْ   للناظرينْ
والعاشق الغيرانْ   من ذاك فى حرّانْ   يُبْدِى الانينْ
يقول والوجدُ   أضْناه والبعدُ   قد حيّرهْ
لما دنا البُعْدُ d   لم ادْرِ من بعدُ   مَن غيّرهْ
وَ   والواحد الفردُ   قد خيّرهْ
فى البوح والكتمانْ   والسر والاعلانْ   فى العالَمينْ
انا هو الديّانْ   يا عابد الاوثانْ   . انت الضنينْ
كلّ الهوى صعبُ   على الذى يشكو   ذُلّ الحجابْ
يا من له قلبُ   لو انّه يذكو   عند الشبابْ
قرّبه الربُّ   لكنّه افكُ   فاْتوا المتابْ
وناد يا رحمانْ   يا بَرّ يا منّانْ   انّى حزينْ
أضْناني الهجرانْ e   ولا حبيب دانْ   ولا معينْ
غنيتُ بالله   عمّا تراه العَيْنْ   من كونه
فى موقف الجاه   وصحْتُ أيْن البينْ   فى بينه
فقال يا ساهى   عاينتَ قطّ عينْ   بعينه

a) S. فيض. b) S. يحبس. c) B. L. S. شطحات. d) R. العبد. e) G. البحران.

أمّا ترى غيلانْ . وقيس او مَن كانْ في الغابرينْ
قالوا الهوى سلطانْ ان حلّ بالانسانْ أفناه دينْ
كم مرة قالا أنّا الذي اهوى مَن هو a أنا
فلا ارى حالّا ولا ارى شكوى الّا الغنا
لستُ كما مالا عن الذي يهوى بعد التجنّي
ودان بالسلوانْ هذا هو البُهْتانْ للعارفينْ
سَلوهمُ ما كانْ عن حضرة الرحمنْ والآنكينْ
دخلتُ في بُستانْ الانس والقرب كمكنسةْ
فقام لي الريحانْ يختال من عُجْب b في سُنْدسةْ
انا هو الانسان مطيّب الصبّ في مجلسةْ
جنانُ يا جنّان اجن c من البُستانْ الياسمينْ
وخلّل d الريحانْ لحرمة الرحمنْ للعاشقينْ

وقال الامام الصفي ظافر الازدي في رسالته رايتُ بدمشق الامام العارف الوحيد محيي الدين ابن العربي الخ، وذكر الامام سيدي عبد الله بن سعد اليافعي اليمني في الارشاد انه اجتمع مع الشهاب السُّهْرَوَرْدي فاطرق كل واحد منهما ساعة ثم افترقا من غير كلام فقيل للشيخ ابن عربي ما تقول في السهروردي فقال مملوٌّ سُنّة من قرنه الى قدمه وقيل للسهروردي ما تقول في الشيخ محيي الدين فقال بحر الحقائق، ثم قال اليافعي ما ملخصه ان بعض العارفين كان يقرأ عليه كلام الشيخ وبشرحه فلما حضرتْه الوفاة نهى عن مطالعته وقال انكم لا تفهمون معاني كلامه ثم قال اليافعي وسمعتُ *ان العزّ ابن e عبد السلام كان يطعن عليه ويقول هو زنديق فقال له بعض اصحابه اريدُ ان تريني القطب او قال وليّا فاشار الى ابن العربي فقال له فانت تطعن فيه فقال اصون ظاهر الشرع او كما قال واخبرني بهذه الحكاية غير واحد من ثقاة مصر والشام ثم قال وقد مدحه وعظمه طائفة كالنجم الاصبهاني والتاج ابن عطآء الله وغيرهما وتوقف فيه طائفة وطعن فيه اخرون وليس الطاعن فيه باعلم

a) Prononcez *hou*. b) G. L. R. S. المعجب. c) Les man. portent اجني. d) B. وخلّ لي. e) S. ابن العزيز.

من الخضر عم ان هو احد شيوخه وله معه اجتماع كثير ثم قال وما يُنْسَب الى المشايخ له محامل الاوّل انه لم تصح نسبته اليهم ª، الثانى بعد الصحّة يلتمس له تاويل موافق فان لم يوجد له تاويل فى الظاهر فله تاويل فى الباطن لم نعْلمه وانما يعلمه العارفون، الثالث ان يكون ذلك صَدَر منهم فى حال السكر والغيبة والسكران سُكرا مباحا غير مؤاخذ ولا مكلّف انتهى ملخّصا، وممن ذكر الشيخ محيى الدين الامام شمس الدين محمد بن مُسَدّى ᵇ فى معجمه البديع المحتوى على ثلاث مجلّدات وترجمه ترجمة عظيمة مطوّلة أنكرُ منها انه قال انه كان ظاهرىَّ المذهب فى العبادات، باطنىّ النظر فى الاعتقادات،، خاض بحرَ تلك العبارات، وتحقّق بمحيّا تلك الاشارات،، وتصانيفه تشهد له عند اولى البصر بالتقدّم والاقدام، ومواقف النهايات فى مزالق الأقدام،، ولهذا ما ارتبتُ فى امره، والله تعَ اعلم بسرّه،، انتهى، ونقلتُ من خطّ ابن عُلْوان التونسى رحه وقال الشيخ محيى الدين رحه

بالمال ينقادُ كلُّ صَعْب ... من عالَم الارض والسمآء
يحسبه عالم حجابا ... لم يعرفوا لذّة العطآء
لولا الذى فى النفوس منه ... لم يجب الله فى الدعآء
لا تحسب المالَ ما تراه ... من عسجد مشرق لِرآء
بل هو ما كنتَ يا بُنَىّ ... به غنيًّا عن السوآء
فكُنْ برَبّ العُلى غنيّا ... وعامِل الخلقَ بالوفآء

وقال

نَبِّهْ على السِرّ ولا تُفْشِه ... فالبُوحُ بالسرّ له مَقْتُ
على الذى يُبْدِيه فاصبرْ له ... وٱكتمْه حتى يصل الوقتُ

وقال

قد ثاب غِلْمانُنا علينا ... فما لنا فى الوجود قَدْرْ
أذنابُنا صُيِّرت رُوسًا ... ما لى على ما اراه صَبْرْ
هذا هو الدهر يا خليلى ... فمن يقاسيه ᶜ فهو قَهْرْ

ونظم الشيخ محيى الدين هو البحر الذى لا ساحل له ولنختم ما اورَدْنا منه بقوله

يا حبّذا المسجد من مسجد ... وحبّذا الروضة من مشهد
وحبّذا طيبة من بلدة ... فيها ضريح المصطفى احمد
صلى عليه الله من سيّد ... لولاهُ لم نفلح ولم نهتد

a) B. السيه, voyez pag. ٥٧١, ligne 13. b) B. مَسْدى. c) Selon les règles de la grammaire il faudrait dire يقاسه; mais le mètre exigeant une syllabe longue, le poète a fait usage de l'*ichbā'*.

قد قرن الله به ذكره   فى كل يوم فاعتبر a ترشد
عشر خفيات وعشر اذا   أعلن بالتاذين b فى المسجد
فهذه عشرون مقرونة   بافضل الذكر الى الموعد،

١١٤ ومنهم الصوفى الشهير ابو الحسن على الششترى وهو على بن عبد الله النميرى عروس الفقهاء وامير المتجردين وبركة لابسى الخرقة وهو من قرية ششتر من عمل وادى آش وزقاق الششترى معلوم بها وكان مجودا للقرآن قائما عليه عارفا بمعانيه من اهل العلم والعمل جال الآفاق ولقى المشايخ وحج حجات واثر التجرد والعبادة، وذكره القاضى ابو العباس الغبرينى فى عنوان الدراية فقال الفقيه الصوفى من الطلبة المحصلين والفقراء المنقطعين له علم بالحكمة ومعرفة بطريق الصوفية وتقدم فى النظم والنثر على طريقة التحقيق وأشعاره وموشحاته وازجاله الغاية فى الانطباع اخذ عن القاضى محيى الدين محمد بن ابراهيم بن الحسن بن سراقة الانصارى الشاطبى وغيره من اصحاب السهروردى صاحب عوارف المعارف واجتمع بالنجم ابن اسرائيل الدمشقى سنة ٦٥٠ وخدم ابا محمد ابن سبعين وتلمذ له وكان ابن سبعين دونه فى السن لكن اشتهر باتباعه وعول ما c لديه حتى صار يعبر عن نفسه فى منظوماته وغيرها بعبد ابن سبعين وقال له لما لقيه يريد المشايخ ان كنت تريد الجنة فسر الى ابن مدين وان كنت تريد رب الجنة فهلم الى ولما مات ابو محمد انفرد بعده بالرئاسة والامامة على الفقراء المتجردين فكان يتبعه فى اسفاره ما ينيف على اربعمئة فقير فيتقسمهم الترتيب فى وظائف خدمته صنف كتبا منها كتاب العروة الوثقى فى بيان السنن واحصاء العلوم وما يجب على المسلم أن يعمله ويعتقده الى وفاته وله كتاب المقاليد الوجودية فى أسرار الصوفية، والرسالة القدسية فى توحيد العامة والخاصة والمراتب الايمانية والاسلامية والاحسانية والرسالة العلمية وغير ذلك وله ديوان شعر مشهور ومن نظمه قوله

لقد تهت عجبا بالتجرد والفقر   فلم اندرج تحت الزمان ولا الدهر
وجاءت لقلبى نفحة قدسية   فغبت بها عن عالم الخلق والامر
طويت بساط الكون والطى نشره   وما القصد الا الترك للطى والنشر

a) R. شاعترف.   b) S. بالنادين.   c) Lisez على ما.

وغمّضتُ عينَ القلبِ غيرَ مطلّقٍ ... فالفيتنى ذاك المقلّب بالغيرِ
وصلتُ لِمَن لم تنفصلْ عنه لحظةً ... ونزّهتُ من اغنى a عن الوصل والهجرِ
وما الوَصْفُ الّا دونه غير انّنى ... اريد به التشبيب عن بعض ما أدْرِى
وذلك مثلُ الصوت ايقظ نائما ... فأبصر امرًا جلّ عن ضابط f الحَصْرِ
فقلتُ له الاسماءُ تبغى بيانه ... فكانت له الالفاظ سترًا على سترِ

وقال
مَن لامَنِى لو انّهُ قد ابصرا ... ما ذُقْتُهُ اضحى به متحيّرا
وغدا يقولُ لِصحبِهِ ان انتمُ ... انكرتمُ ما بى اتيتم منكرا
شذّتْ b امور القوم عن عاداتهم ... فلأجْلِ ذاك يُقال سحرٌ c مفترَى

وقال وهى من اشهر ما قال

ارى طالبا منّا الزيادة لا الحُسْنَى ... بفكرٍ رمى سهمًا تعدّى به عَدْنا
وطالُبنا مطلوبنا من وجودنا ... نغيب e به عنّا لدى الصعق ان عنّا

وهى طويلة مشهورة بالشرق والغرب وقد شرحها شيخ شيوخ شيوخنا العارف بالله سيّدى احمد زرّوق نفعنا الله ببركاته، واشار ابن الخطيب فى الاحاطة الى انّها لم تخلُ عن شذوذ من جهة اللسان وضَعْفٍ فى العربيّة ومع ذلك فهى عربيّة المنزع اشار فيها الى مراتب الاعلام من اهل هذه الطريقة وكانها مبنية على كلام شيخه الذى خاطبه به عند لقائه حَسْبَما d قدّمناه اذ الحسنى الجنّة والزيادة مقام النظر، وقوله فيها

واظهر منها الغافقىّ لناء جنى ... وكشف عن اطوارة الغَيْم والدجنا f

هو شيخه ابو محمد بن سبعين لانّه مرسى الاصل غافقيّه ولما وصل الششترى من الشام الى ساحل دمياط وهو مريض مرض موته نزل قرية g بساحل البحر الرومى فقال ما اسم هذه القرية فقيل الطينة فقال حَنّت الطينةُ الى الطينة واوصى ان يدفن بمقبرة دمياط اذ الطينة بمفازة واقرب المدن اليها دمياط فحمله الفقراء على أعْناقهم الى دمياط وكانت وفاته يوم الثلاثا سابع عشر صفر سنة ٦٦٨ فدفن بدمياط رحمه ورضه،

١١٥ ومنهم سيدى ابو الحسن على بن احمد الحرالّى الاندلسى وحَرَالّة قرية من اعمال مرسية غير انّه وُلد بمرّاكش واخذ بالاندلس عن ابى الحسن ابن خروف وغير واحد ورحل الى المشرق واخذ عن ابى عبد الله القرطبى امام الحرم وغيره ولقى جلّة من

a) G. L. اعنى; S. غنى. b) S. شدت. c) S. .. d) Les man. portent جسيما ou جسما. e) G. L. S. لمّا. f) S. الدجى. g) G. بعرية.

المشايخ شرقا وغربا وهو امام ورع زاهد صالح كان بقيّة السلف، وقدوة الخلف، وقد زهد فى الدنيا وتخلّى عنها واقام فى تفسير الفاتحة نحوا من ستّة اشهر يُلقى فى التعليل قوانين تتنزل فى علم التفسير منزلة اصول الفقه من الاحكام حتى منّ الله تعالى ببركات ومواهب لا تحصى وعلى احكام تلك القوانين وضع كتابه مفتاح اللبّ المقفل على فهم القرآن المنزل وهو ممن جمع العلم والعمل وصنف فى كثير من الفنون كالاصلين ª والمنطق والطبيعيات والالهيات وكان يقرئ النجاة لابن سينا فينقضه عُروة عُروة وكان من اعلم الناس بمذهب مالك، ولمّا ظنّ فقهاء عصره انه لا يحسن المذهب لاشتغاله بالمعقولات اقرأ التهذيب وابدا فيه الغرائب وبيّن مخالفته للمدوّنة فى بعض المواضع ووقع بينه وبين الشيخ عزّ الدين ابن عبد السلام شىء وطلب عزّ الدين ان يقف على تفسيره فلما وقف عليه قال اين قول مجاهد اين قول فلان وفلان وكثر القول فى هذا المعنى ثم قال يخرجْ من بلادنا * الى وطنه ᵇ يعنى الشام فلما بلغ كلامه الشيخ قال هو يخرج واقيمُ انا فكان كذلك وله عدة مؤلّفات فى الفنون وقال رحمه اقمتُ ملازما لمجاهدة النفس سبعة اعوام حتى استوى عندى مَن يعطينى دينارا ومَن يزدرينى واصبح رحمه ذات يوم ولا شىء لاهله يغيمون به أودهم وكانت أمّ ولده جارية تسمّى كريمة وكانت سيّئة الخلق فاشتدّت عليه فى الطلب وقالت له انّ الاصاغر لا شىء لهم فقال الآن ياتى من قبل الوكيل ما تنعوت به فبينما هم كذلك واذا بالحمّال يضرب الباب ومعه قمح فقال لها يا كريمة ما اعجلك هذا الوكيل بعث بالقمح فقالت ومن يصنع فامر فتصدّق به وقال لها ياتيك ما هو احسن منه فانتظرت يسيرا وبدا لها وتكلّمت بما لا يليق فبينما هم كذلك واذا بحمّال سميد فقال لها هذا السميد ايسر واسهل من القمح فلم يقنعها ذلك فامر ايضا بصدقته فلما تصدّق به زادت فى المقال واذا برجل على راسه طعام فقال لها يا كريمة قد كفيتِ المؤنة هذا الوكيل قد علم بحالك، ومن كراماته ان بعض طلبته اجتمعوا فى نزهة واخذوا حليًا من زينة النساء فزيّنوا به بعض اصحابهم فلما انقضى ذلك واجتمعوا بمجلس الشيخ صار الذى كان فى يده الحلى يتحدّث ويشير بيده فقال الشيخ يد يجعل فيها الحلى لا يشار بها فى الميعاد، ومنها انه اصاب الناس جدبᶜ

a) Lisez كالاصول. b) G. والى طنه ; B. S. وضنه ; L. وطنه. c) G. L. S. فيها

ببجاية فارسل الى داره مَن يسوق ماء الى الفقرآء فامتنعت كريمة ونهرت رسله فسمع كلامها فقال للرسول قُلْ لها يا كريمة والله لاشربنّ من ماء المطر الساعة فرمق السماء بطرفه ودعا الله تعَ ورفع يدَه به وشرع المؤذن فى الاذان ولم يختم المؤذن اذانه حتى كان المطر كافواه القرب، وتوفى رحه بحماة من بلاد الشام سنة ٦٣٧ انتهى ملخصا من عنوان الدراية للغبريني، ووقع للذهبى فى حقه كلام على عادته فى الحط على هذه الطائفة ثم قال ورايت شيخنا المجد التونسى يتغالى فى تفسيره ورايت غير واحد معظما له وقوما تكلموا فى عقيدته وكان نازلا عند قاضى حماه البارزى وقال لنا شرف الدين البارزى تزوج بحماة وكانت زوجته تشتمه وتؤذيه وهو يتبسّم وانّ رجلا رآهن جماعة على ان يُحرجه فقال لا تقدر فاتاه *a* وهو يعظ وصاح وقال له انت ابوك كان يهوديّا وأسْلَمَ فنزل من الكرسى فاعتقد الرجل انه غضب وانه تمّ له ما رامه حتى وصل اليه فخلع قُرْطِيَه *b* عليه واعطاه ايّاهما *c* وقال له بشرك الله بالخير لانك شهدتّ لابى انه كان مُسْلِما انتهى، وظاهر كلام الغبرينى انّ تفسير الشيخ الحرالى كامل، وقال بعض انه لم يكمل وهو تفسير حسن وعليه نسج *d* البقاعى مناسباته وذكر ان الذى وقف عليه منه من اوّل القرآن الى قوله فى سورة آل عمران كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّاء ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا *e* وكلام الذهبى فى الشيخ بردّه كلام الغبرينى اذ هو اعرف به والله تعَ اعلم، وحكى الغبرينى انه انشد بين يديه الزجل المشهور

جنّان يا جنّانْ　　اجْنِ من البستانْ　　الياسمينْ
وأترك الريحانْ　　بحرمة الرحمٰنْ　　للعاشقينْ

فسأل بعض عن معناه فقال بعض الحاضرين اراد به العذار وقال آخر انّما اشار الى دوام العَهْد لانّ الازهار كلها ينقضى زمانها الا الريحان فانّه دائم فاستحسن الشيخ هذا ووافق عليه،

١١٩ ومنهم ولىّ الله العارف به الشيخ الشهير الكرامات الكبير *f* سيدى ابو العباس المرسى نفعنا الله به وهو من اكابر الاولياء صحب سيّدى الشيخ الفرد القطب الغوث الجامع سيّدى ابا الحسن الشاذلى اعاد الله علينا من بركاته وخلفه بعده وكان

---

a) B. L. فاتى ; G. فاتا. *b*) B. قرطية. *c*) B. اياها. *d*) G. L. نسخ. *e*) Voyez sour. 3, vs. 32. *f*) B. الكثير المقامات.

قدم* من الاندلس من مرسية وقبره بالاسكندريّة مشهور باجابة الدعوات وقد زرته مرارًا كثيرة ودعوت الله عنده بما ارجو قبوله، وقد عرّف به الشيخ العارف بالله عطآء الله فى كتابه لطائف المنن فى مناقب الشيخ سيدى ابى العباس وشيخه سيّدى ابى الحسن رضهما، وقال الصّفدى فى الوافى احمد بن عمر بن محمد الشيخ الزاهد الكبير ابو العباس الانصارى المرسى وارث شيخه الشاذلى تصوّفا الاشعرى معتقدا توفى بالاسكندريّة سنة ٦٨٦ ولاهل مصر * ولاهل الثغر *a* فيه عقيدة كبيرة وقد زرته لمّا كنت بالاسكندريّة سنة ٧٣٨، قال ابن عرام سبط الشاذلى ولو لا قوّة اشتهاره وكراماته لذكرت له ترجمة طويلة كان من الشهود بالثغر انتهى، وكان سيدى ابو العباس يكرم النّاس على نحو رُتبهم عند الله تعَ حتى انّه ربّما دخل عليه مطيع فلا يحتفل به ورُبّما دخل عليه عاصٍ فاكرمه لانّ ذلك الطائعَ اتى وهو متكثّر *b* لعَمله *c* ناظرٌ لفعْله وذلك العاصى دخل بكسْرِ معصيته *d* وذلّة مخالفته وكان شديد الكراهة للوسْواس فى الصّلوة والطهارة ويثقل عليه شهودُ من كان على صفته، وذكر عنده يوما شخص بانّه صاحب علم وصلاح الّا انّه كثير الوسوسة فقال وابن العِلم العلمُ هو الذى ينطبعُ فى القلب كالبياض فى الابيض والسواد فى الاسود، وله كلام بديعٌ فى تفسير القرآن العزيز، فمن ذلك انه قال قال الله سبحانه الحمدُ لله ربّ العالمين عَلِم الله عجز خلقه عن حمده فحمد نفسَه بنفسه فى ازله فلما خلق الخلق اقتضى منهم ان يحمدوه بحمده فقال الحمد لله ربّ العالمين اى الحمد الذى حمد به نفسه بنفسه *e* هو له لا ينبغى ان يكون لغيره فعَلى هذا تكون الالف واللام للعَهْد، وقال فى قوله تعَ إيّاكَ نَعْبُدُ وإيّاكَ نَسْتَعِينُ *f* اياك نعبد شريعة واياك نَستعين حقيقة اياك نعبد اسلامٌ *g* واياك نستعين احسان اياك نعبد عبادة واياك نستعين عبودية اياك نعبد فرق واياك نستعين جمع، وله فى هذا المعنى وغيره كلام نفيس يدلّ على عظيم ما مُنحه الشيخ رضه من العلوم اللدُنيّة، وقال رضه فى قوله تعَ اهْدِنا ٱلصِّرَاطَ ٱلمستقيم *بالتثبيت *h* فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل وهذا الجواب ذكره ابن عطيّة فى تفسيره وبسطه الشيخ رة. فقال عموم المؤمنين يقولون اهدنا الصراط

a) Ces mots manquent dans B. *b*) S. متكبر. *c*) G. بعمله. *d*) B. G. معصية. *e*) Ce mot manque dans G. et L. *f*) Voyez sour. 1, vs. 4. *g*) G. L. S. الاسلام. *h*) S. بالتثبت

المستقيم اى بالتثبيت a لما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل فانهم حصل لهم التوحيد وفاتهم درجات الصالحين والصالحون يقولون اهدنا الصراط المستقيم معناه نسألك التثبيت فيما هو بحاصل والارشاد لما ليس بحاصل لأنّهم حصل لهم الصلاح وفاتهم درجات الشهدآء والشهيد يقول اهدنا الصراط المستقيم اى بالتثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل فانهم حصلت لهم درجة الشهادة وفاتهم درجة الصديقيّة والصديق كذلك يقول اهدنا الصراط المستقيم b اذ حصلت له درجة الصديقيّة وفاتته درجة القطب والقطب كذلك يقول اهدنا الصراط المستقيم فانه حصل له رتبة القطبانيّة وفاتته علمٌ اذا شآء الله ان يُطْلعه أطلعه، وقال رضه الفتوة الايمان قال الله سبحانه وتع إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى c، وقال رضه فى قوله تع حاكيا عن الشيطان ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ الآية d ولم يقل من فوقهم ولا من تحتهم لأنّ فوقهم التوحيد وتحتهم الاسلام، وقال رضه التقوى فى كتاب الله عزّ وجلّ على أقسام تقوى النار قال الله تع وَٱتَّقُوا ٱلنَّارَ e وتقوى اليوم قال الله تع وَٱتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ f وتقوى الربوبيّة قال الله تع يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ g وتقوى الالوهيّة وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ h وتقوى الانيّة وَٱتَّقُونِي يَا أُولِي ٱلْأَلْبَابِ i، وقال رضه فى قول رسول الله صلّعم أنا سيّد ولد آدم ولا فخر اى لا أفتخر بالسيادة وانّما الفخر لى بالعبوديّة لله وكان كثيرا ما ينشد

يا عمرو ناد عبدَ زُهْرآء   يعرفه السّامعُ والرائى
لا تَدْعُنى الّا بيا عبدَها   فانّه اشرف أسمائى

وقال رضه فى قول سمنون j المحبّ   وليس لى فى سواك حَظٌّ، فكيف ما شئتَ فاختبرنى الاولى ان يقول فكيف ما شئت فاعفُ عنى لانّ k طلب العفو اولى من طلب الاختبار، وقال رضه الزاهد جآء من الدنيا الى الاخرة والعارف جاء من الآخرة الى الدنيا، وقال العارف لا دنيا له لانّ دنياه لآخرته وآخرته لربّه، وقال الزاهد غريب فى الدنيا لانّ الآخرة وطنه والعارف غريب فى الآخرة فانّه عند الله، قال بعض العارفين معنى الغربة فى

a) S. بالتثبت. b) Ces mots, à partir de بالتثبيت فيما الخ, manquent dans G. et L. c) Voyez sour. 18, vs. 12. d) Voyez sour. 7, vs. 16. e) Voyez sour. 3, vs. 126. f) Voyez sour. 2, vs. 281. g) Voyez sour. 4, vs. 5. h) Voyez sour. 2, vs. 185. i) Voyez sour. 2, vs. 193. j) S. شمنون. k) G. L. أنّ.

كلام الشيخ رضه انّ الزاهد يكشف له عن ملك الآخرة فتبقى الآخرة موطن قلبه ومعشّش روحه فيكون غريبا فى الدنيا اذ ليست بوطن a لقلبه عاين الآخرة فاخذ قلبه فيما عاين من ثوابها ونوالها وفيما شهد من عقوبتها ونكالها فتغرب فى هذه الدار وامّا العارف فانّه غريب فى الآخرة اذ كُشِف له عن صفات معروفه فاخذ قلبُه فيما هناك فصار غريبا فى الآخرة لانّ سرّه مع الله تع بلا اين فهولآء العباد تصير الحضرة مُعَشّش قلوبهم اليها ياوون وفيها يسكنون فان تنزلوا الى سمآء الحقوق او ارض الخصوص b فبالاذن والتمكين والرسوخ فى اليقين فلم ينزلوا الى الخصوص c لشهوة ولم يصعدوا الى الحقوق بسُوء الادب والغفلة بل كانوا فى ذلك كله بآداب الله وآداب رُسُله وأنبيآئه متادّبين وبما اقتضى منهم مولاهم عاملين رضهم ونفعنا بهم آمين، وكلامُ سيّدى الشيخ ابى العباس رضه بحر لا ساحل له وكراماته كذلك وليراجع كتاب تلميذه ابن عطآء الله فانّ فيه من ذلك ما يشفى ويكفى وما بقى اكثر، ومن كراماته رضه انّه عزم عليه انسان وقدم اليه طعامًا يختبره به فاعرض عنه ولم ياكله ثم التفت الى صاحب الطعام وقال له ان الحارث المحاسبى رضه كان فى اصبُعه عِرْق اذا مدّ يده الى طعام فيه شبْهة تحرّك عليه وانا فى يدى سبعون عِرْقا تتحرك علىّ اذا كان مثل ذلك فاستغفر صاحب الطعام واعتذر الى الشيخ رضه،

ومنهم ابو اسحق الساحلى المعروف بالطويجن بضمّ الطاء المهملة وفتح الواو وسكون الياء التحتية وكسر الجيم وقيل بفتحها العالم المشهور، والصّالح المشكور، والشاعر المذكور،، من اهل غرناطة مِنْ بيت صلاح وثروة وامانة وكان ابوه امين العطارين بغرناطة وكان مع امانته من اهل العلم فقيها متفنّنا وله الباع المديد فى الفرآئض، وابو اسحق هذا كان فى صِغَره موثقا بسماط d شهود غرناطة وارتحل عن الاندلس الى المشرق فحجّ ثم سار الى بلاد السودان فاستوطنها ونال جاها مكينا من سلطانها وبها توفى رحه انتهى ملخصا من كلام الامير ابن الأحمر فى كتابه نثير الجُمان فيمن نظمنى واياه الزمان، وقال ابو المكارم منديل بن اجرّوم حدثنى من يوثق بقوله انّ ابا اسحق الطويجن كانت وفاته يوم الاثنين ٢٧ جمادى الاخيرة سنة ٧٤٧ e بتنبكتو موضع بالصحرآء من عمالة مالى رحه ثم ضبط الطويجن بكسر

a) Les man. portent وطنا. b) B. G. L. الخصوص. c) Même remarque. d) G. L. بشماط. e) B. ٧٩٧.

الجيم قال وبذلك ضبطه بخط يده رحه قال ومن نسبه للساحلى فانه نسبه لجدّه للأمّ انتهى،

١١٨ ومنهم الشيخ الاديب الفاضل المعمّر ضياء الدين ابو الحسن على بن محمد بن يوسف بن عفيف الخزرجى الساعدى من اهل غرناطة ويشهر بالخزرجى مولده ببيغة a رحل عن الاندلس قديما واستقر اخيرا بالاسكندريّة وبها لقيه الحافظ ابن رشيد غير مرّة وقد اطال فى رحلته فى ترجمته الى ان قال وذكره صاحبنا ابو حيّان وهو احد من اخذ عنه ولقيه فقال تلا القرآن بالاندلس على ابى الوليد هشام ابن واقف المقرى وسمع بها من ابى زيد الفازازى العشرينيات وسمع بمكة من شهاب الدين السهروردى صاحب عوارف المعارف وتلا بالاسكندرية على ابى القاسم ابن عيسى ولا يعرف له نظم فى احد من العالم الّا فى مدح رسول الله صلعم، ومن شعره يعارض الحريرى

أهِنْ لاهل البِدَع والهجر والتصنّع ودِنْ بترك الطمع
ولُذ باهل الورع وعَدّ عن كلّ بَذى لم يكترث بالنبذ
والهج ببرّ جهبذ وعالم متّضع واندُبْ زمانا قد سلف
ولم تجد منه خَلَف وابعث بانواع الاسف رسائل التضرّعِ

وهى طويلة فلتراجع ترجمته فى ملء العيبة لابن رشيد رحه،

١١٩ ومنهم الفقيه الجليل العارف النبيل الحاذق الفصيح البارع ابو محمد عبد الحق ابن ابراهيم بن محمد بن نصر الشهير بابن سبعين العكّى المرسى الاندلسى ويلقب من الألقاب المشرقيّة بقطب الدين، قال الشيخ المؤرخ ابن عبد الملك درس العربيّة والآداب بالاندلس ثم انتقل الى سبتة وانتحل التصوّف وعكف بُرهة على مطالعة كتبه والتكلم على معانيها فمالت اليه العامّة ثم رحل الى المشرق وحجّ حججا وشاع ذكره وعظم صيته وكثر اشياعُه وصنّف اوضاعا كثيرة تلقّوها منه ونقلوها عنه ونُرمى بامور الله اعلم بها وبحقيقتها وكان حسن الاخلاق صبورا على الاذى آية فى الايثار انتهى، وقال غير واحد ان اغراض الناس فيه متباينة بعيدة عن الاعتدال فمنهم المُرهِق المكفِر ومنهم المقلِّد المعظِّم الموقر وحصل بهذين الطرفين من الشهرة والاعتقاد والنفرة

a) S. ببيعة.

والانتقاد ما لم يقع لغيره والله اعلم بحقيقة امره ولما ذكر الشريف الغرناطى عنه
انه كان يكتب عن نفسه ابن ○ يعنى الدارة التى هى كالصفر وهى فى بعض طرق
المغاربة فى حسابهم سبعون وشهر لذلك بابن دارة ضمّن فيه البيت المشهور محا
السَّيْفُ ما قال ابنُ دارةَ اجمعا   حسبما ذكره الشريف فى شرح مقصورة حازم وقد
طال عهدى به فليراجعه مَن ظفر به، وقال صاحبُ دُرّة الأسلاك فى سنة ٦٦٩ ما صورته
وفيها توفى الشيخ قطب الدين ابو محمد عبد الحق بن سبعين المرسى صوفى
متفلسف متزهّد متقشّف يتكلم على طريق اصحابه، ويدخل البيت ولكن من غير
ابوابه،، شاع امره واشتهر ذكره،، وله تصانيف وأتباع، واقوال يميل اليها بعض القلوب
وتملّها بعض الاسماع،، وكانت وفاته بمكة المشرفة عن نحو خمسين [a] سنة تغمده
الله برحمته انتهى، وقال بعض الاعلام فى حقّ ابن سبعين انه كان رحمه عزيز النفس
قليل التصنع يتولى خدمة الكثير من الفقرآء والسّفارة اصحاب العبادات والدنافيس [b]
بنفسه ويحقّون به فى السكك ولما توفّرت دواعى النقد عليه من الفقهآء كثر عليه
التاويل ووجهت لألفاظه المعاريض وفُليت [c] موضوعاته وتعاورته الوحشة وجَرت بينه وبين
الكثير من اعلام المشرق والمغرب خُطوب يطول ذكرها، ووقع فى رسالة لبعض تلامذة
ابن سبعين المذكور واظنّ اسمه يحيى بن احمد بن سليمان وسمّاها بالوراثة
المحمديّة والفصول الذاتيّة ما صورته فان قيل ما الدليل على انّ هذا الرجل الذى
هو ابن سبعين هو الوارث المشار اليه قلنا عَدَمُ النظير واحتياج الوقت اليه وظهور
الكلمة المشار اليها عليه ونصيحته لاهل الملّة ورَحْمَتُه المطلقة للعالم المطلق ومحبّتُه
لاعدآئه وقصده لراحتهم مع كونهم يقصدون اذاه وعفوه عنهم مع قدرته عليهم وجذبهم
الى الخير مع كونهم يطلبون هلاكه وهذه كلّها من علامات الوراثة والتبعية المحضة
التى لا يمكن احدا ان يتصف بها الّا بمجد ازلىّ وتخصيص الٰهىّ وها انا اصف
لك بعض مَن اخصّه الله به من الامور التى هى خارقة للعادة ولا نلغى [d] من [e] الامور
الخفيّة التى لا نعلمها ونقصد الامور الظاهرة التى نعلمها والتى لا يمكن احدا ان
يتريب [f] فيها الا من اصمّه [g] الله واعماه ولا يحجدها الّا حسود قد اتعب الله قلبه

a) M. Weijers, dans ses extraits du درة الاسلاك (*Orientalia*, II, 256), dit: „natus circiter 75 annos." b) Ce mot est altéré dans les manuscrits, qui portent الدغافيس ou (S.) الدقاقيس. c) S. وفنيت. d) B. ونلفى. e) Les man. portent عن. f) B. S. يسترِيب, L. يترتب. g) S. اصتمه.

وانسـاه رُشده واعوذ بالله ممّن عـاند مَن الله مساعدُه ومؤيّده وهو مَعَه بنصْره وعَونه فما اتعب معانده وما أسْعَد موادده وما اكبتَ مرادده a فنبدأ بذكرِ ما وعدتُّ فنقول اول ما نذكر فى شرفه واستحقاقه لما ذكرنا كونه خلقه الله من اشرف البيوت التى فى بلاد المغرب وهم بنو سبعين قرشيًّا هاشميًّا علويًّا وابواه وجدوده يشار اليهم ويُعَوَّل فى الرئاسة والحسب والتعيين عليهم والثانى كونُه من بلاد المغرب والنبىّ صلّعم قال لا يزال اهل المغرب ظاهرين *على الحقّ b الى قيام الساعة وما ظهر من بلاد المغرب رجل اظهر منه فهو المشار اليه بالحديث ثم نقول اهل المغرب أهل الحق واحق الناس بالحق واحق المغرب بالحق علمآؤه لكونهم القائمين بالقسْط واحقُّ علمائه بالحقّ محقّقهم وقطبهم الذى يدور الكل عليه ويعَول فى مسآئلهم ونوازلهم السهلة والعويصة عليه فهو حق المغرب والمغرب حق الله والملة حق العالم فهو المشار اليه بالوراثة، ثم نقول اهل المغرب ظاهرون على الحق اى على الدين والحق سرّ الدين والمُحقّق سرّ الحق فالمحقّق سرّ الدين فهو المشار اليه بالوراثة، ثم نقول اهل الله خير العالم واهـل الحق خير اهـل الله والمحقّق خير اهل الحق فالمحقق خير العـالم فهو المشار اليه، ثم نقول انظر فى بدايته وحفظ القديم سبحانه لـه فى صِغَره وضبطه له مـن اللهو واللعب واخراجه مـن اللذة الطبيعيّة التى هى فـى جبلة البشريّة وتركه للرئاسة العرضيّة المعوّل عليها عند العالم مع كونه وجَدَها فى آبـآئه وهى الآن فى اخوته وخروجه عن الاهل والوطن الذى قرنه الحقّ مع قتل الانسان نفسه وانقطاعه الى الحق انقطاعا صحيحا تعلم تخصيصه وخرقه للعادة ثـم أنظرْ فى تاييده وفتحه من الصغر وتاليف كتاب بدء العارف وهو ابن ١٥ سنة وفى جلالة هذا الكتـاب وكونه يحتوى على جميع الصنآئع العلميّة والعمليّة وجميع الامور السُّنّيّة تجده خارقا للعادة وفى نَشْأته فى بلاد الاندلس ولم يعلم له كثرة نظر وظهوره فيها بالعلوم التى لم تسمع قط تعلم انه خارق للعادة وفى تواليفه واشتمالها على العلوم كلها ثم انفرادها وغرابتها وخصوصيّتها بالتحقيق الشاذّ عن افهـام الخلق تعلم بـأنه مؤيّد بروح القدس وفى شجاعته وقوّة توكّله فى عزمه ونصره لصنآئعه وظهور حجّته على خُصمآئه واقامة حقه وبرهانه وفصاحة كلامه وبيان سلطانه تعلم ان ذلك بقوة الٰهيّة وعناية ربّانيّة وفى امتحان

a) G. مواددة. b) Ces mots manquent dans G. L. S.

اهل المغرب له واجتماعهم عليه فى كلّ بلد معتبر للمناظرة ويظهر الله حجّته ويقمع خصمه ويكبت عدوّه ويعجز معارضه ويفحم معترضه وفى غيرة الحق عليه وهلاك من تعرض بالاذى اليه ويعلم العاقل المخصوص انه عند الله مخصوص وفى خلقه وقهره لقواه النزوعيّة والغضبيّة واسلام قرينه وجلالة قوّته الحافظة التى لا تنسى شيئا والمفكرة التى تتصوّر الذوات المجرّدة والمعلومة أشرعين الطبق ٭ وكذلك الذاكرة وسرعة ظهوره وانتشار رايته واستجلاب ثنائه فى الجهات كلّها وبالجملة جميع ما ذكرتُ هو فيه خارق للعادة البشرية ومعجز لمعارضه من كلّ الجهات ولو لا خوف التطويل لكنتُ افصّل كل صفة ذكرت فيها ة بالكلام الصناعى ونقيم الادلّة القطعيّة على تعجيزها ولكن اعطيت الأنموذج وعرفت ان النبيه يمعن فكره ويجد ذلك كما قلته وبالجملة جميع جزئيّاته اذا تومّلت توجد خارقة للعادة وتشهد لها ماهيّة الوجود بالتخصيص فصحّ انه هو المشار اليه والمعوّل فى جملة الامور عليه وانّما اعطيتُ الامر المشهور وتركت ما يعلم منه من خرق العوائد فى ظهور الطعام والشراب والسمن والتمر *واخذ الدراهم من الكون° واخباره عن وقائع قبل وقوعها بسنين كثيرة وظهرت كما اخبر فصحّ انه هو المذكور انتهى ما تعلّق به الغرض ممّا فى الرسالة فى شان الشيخ ابن سبعين وقد ذكر غير واحد من المؤرّخين ومنهم لسان الدين ابن الخطيب فى الاحاطة كما سياتى قريبا ان ابن سبعين عاقه الخوف من امير المدينة عن القدوم اليها فعظم عليه بذلك الحمل وقبحت الاحدوثة عنه انتهى، قال شهاب الدين ابن ابى حجلة التلمسانى الاديب الشهير وهو صاحب كتاب السكردان وديوان الصبابة ومنطق الطير والاعتراض على العارف بالله ابن الفارض ما معناه اخبرنى الشيخ الصالح ابو الحسن ابن برغوش التلمسانى شيخ المجاورين بمكة وكانت له معرفة تامّة بهذا الرجل انه صدّه عن زيارة رسول الله صلّعم انه كان اذا قرب من باب من ابواب مسجد المدينة على ساكنها الصلاة والسلام يهراق منه دم كدم الحيض والله تع اعلم بحقيقة امره انتهى وقال غيره نعم زار النبى صلّعم مستخفيا على طريق المشاة حدّث بذلك اصهاره بمكة انتهى، وقال لسان الدين امّا شهرته ومحلّه من

a) Ce mot manque dans G. L.; S. اشرعين الطيف. b) G. L. S. غيبة. c) Je dois avouer que je ne sais comment expliquer cette phrase. [Le mot كون signifie *le trésor invisible de Dieu*; voyez Ibn-Batoutah, éd. Defrémery et Sanguinetti, II, p. 242. Le sens de la phrase اخذ الدراهم من الكون est donc: *il tira du trésor invisible de Dieu les sommes nécessaires à sa dépense.* R. D.]

الادراك والآرآء والاوضاع والاسمآء والوقوف على الاقوال والتعمق فى الفلسفة والقيام على مذاهب المتكلمين فمّا يقضى منه العَجَب، وقال الشيخ ابو البركات ابن الحاج البلفيقى رحمه حدّثنى بعض اشباخنا من اهل المشرق ان الامير ابا عبد الله ابن هود سالم طاغية النصارى فنكث به ولم يف بشرطه فاضطره ذلك الى مخاطبة القُسّ الاعظم برومية فوكل ابا طالب ابن سبعين اخا ابى محمد عبد الحق بن سبعين فى التكلم ª عنه والاستظهار بين يديه قال فلمّا بلغ ذلك الشخص رومية وهو بلد لا يصل اليه المسلمون ونظر الى ما بيده وسئل عن نفسه فاخبره ᵇ بما ينبغى كلّم ذلك القسّ مَن دنا منه بكلام معجم ترجم لابى طالب بما معناه اعْلَموا ان اخا هذا ليس للمسلمين اليوم اعلم بالله منه انتهى، وقال غير واحد انه اشتهرت عنه اشيآء كثيرة الله اعلم باستحقاقه رُتْبة ما ادّعاه منها، فمنها قوله فيما زعموا وقد جرى ذكر الشيخ ولىّ الله سيّدى ابى مدين نفعنا الله ببركاته شُعَيْب عبد عمل ونحن عبيد حضرة، وممن حكى هذا لسان الدين فى الاحاطة وقد ذكر ابن خلدون فى تاريخه الكبير فى ترجمة السلطان المستنصر بالله ابى عبد الله محمد بن السلطان ابى زكريآء بن عبد الواحد بن ابى حفص ملك افريقية وما اليها ان اهل مكة بايعوه وخطبوا له بعرفة وارسلوا له بيعتهم وهى من انشآء ابن سبعين وسَرَدها ابن خلدون بجملتها وهى طويلة وفيها من البلاغة والتلاعُب ᶜ باطراف الكلام ما لا مطمح ورآءه غير انه يُشير فيها الى ان المستنصر هو المهدى المبشر به فى الاحاديث الذى يحثو المال ولا يعدّه وحمل حديث مسلم وغيره عليه وذلك ما لا يخفى ما فيه فليراجع كلام ابن خلدون فى محلّه، ولابن سبعين من رسالة سلام عليك ورحمة الله وبركاته سلام عليك ثم سلام مناجاتك سلام الله ورحمة الله الممتدّة على عوالمك كلّها السلام عليك يا ايّها النبىّ ورحمة الله وبركاته وصلى الله عليك كصلاة ابراهيم من حيث شريعتك وكصلاة اعزّ ملائكتك من حيث حقيقتك وكصلاته من حيث حقّه ورحمانيّته السلام عليك يا حبيب السلام عليك يا قياس الكمال ومقدّمة العدو ونتيجة الحمد وبرهان المحمود ومَن اذا نظر الذهن اليه قرأ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ᵈ السلام عليك يا مَن هو الشرط فى كمال الاوليآء واسرار مشروطات الاذكيآء الأتقيآء السلام عليك يا مَن جاوز

a) B. الكلام. b) B. فاخبره. c) Ce mot manque dans G. et L. d) Voyez sour. 38, vs. 29.

فى السموات مقام الرسل والانبيآء وزادك رفعة واستعلاء على ذوات الملأ الاعلى ونكر قوله تع سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى *a*، وقال بعضهم عند ايراده جملة من رسآئله التى منها هذه انها تشتمل على ما يشهد بتعظيم النبوّة وايثار الورع انتهى، وقال بعض العلمآء الاكابر عند تعرضه لترجمة الشيخ ابن سبعين المترجَم به ما نصّه ببعض اختصار هو احد المشآيخ المشهورين بسعة العلم وتعدد المعارف وكثرة التصانيف وُلد سنة ٦١٤ ودرس العربيّة والادب بالاندلس ونظر فى العلوم العقلية واخذ عن ابى اسحق ابن دهاق وبرع فى طريقه وجال فى البلاد وقدم القاهرة ثم حج واستوطن مكة وطار صيته بها وعظم امره وكثر أتباعه حتى انه تلمذ له امير مكّة فبلغ من التعظيم الغاية وله كتاب الدرج وكتاب السفر *b* وكتاب الابوبة *d* اليمنية وكتاب الكدّ *e* وكتاب الاحاطة ورسآئل كثيرة فى الاذكار وترتيب السلوك والوصايا والمواعظ والغنآئم ومن شعره

كم ذا تُمَـوّه بالشِّعْبَيْن والعَلَم ... والامر اوضحُ من نار على علم
وكم تعبّر عن سلعٍ وكاظمة ... وعن زَرُود وجيران بذى سَلَمِ
ظللتَ تسأل عن نجد وانت بها ... وعن تهامة هذا فعل متّهَمِ
فى الحىّ حَىّ سوى ليلى فتسأله ... عنها سؤالك وهْمٌ جرّ للعَدَمِ

ونشأ رحمه ترفا مُبَجَّلا فى ظلّ جاهٍ ونعْمة لم تفارق معها نفسه البأْوَ وكان وسيما جميلا ملوكىّ البزّة عزيز النفس قليل التصنّع وكان آية من الآيات فى الايثار والجُود بما فى يده رحمه، وقال فى الاحاطة *للناس فى امره اختلاف بين الولاية وضدّها *f* *ولما وُجّه الى كلامه سهامُ الناقدين *g* قصُر *h* اكثرُهم عن مداه فى الادراك* والخوض فى تلك البحار والاطّلاع *i* وساءت منهم *j* فى الممازجة *k* فى السيرة فانصرفوا عنه مكظومين *l* يبذرون عنه فى الآفاق من سوء الغالة *m* ما لا شىء فوقه وجرت بينه وبين اعلام المشرق خطوب ثم نزل مكة *n* وعاقه الخوف من امير المدينة النبوية عن *الدخول اليها *o* الى ان توفى فعظم بذلك عليه الحمل وقُبِحت الاحدوثة ولما وردت على سبتة

---

a) Voyez sour. 87, vs. 5. *b*) S. وانار. *c*) S. السعى. *d*) S. الابوبة. *e*) B. السكد. *f*) *Iḫāta* (man. de Paris, nº. 867 anc. fonds): واغراض الناس فى هذا الرجل متباينة بعيدة عن الاعتدال. *g*) *Iḫāta*: او لمّا توفرت دواعى النقد عليه. *h*) *Iḫāta*: قصّر. *i*) *Iḫāta*: والاصطلاع والخوض (*sic*) فى بحار تلك الاغراض. *j*) *Iḫāta*: منه لهم. *k*) *Iḫāta*: الملاضعة. *l*) Telle est la leçon de l'*Iḫāta*; al-Makkarī: مكلومين. *m*) *Iḫata*: الغيلة. *n*) Ces mots manquent dans les man. d'al-Makkarī. *o*) *Iḫāta*: القدوم عليها.

المسآئل العقلية وكانت جملة من المسآئل الحكمية وجّهها علمآء الروم تبكيتا للمسلمين انتدب للجواب[a] المقنع عنها على فتآءة[b] من سنه[c] وبديهة من فكرته رحمه انتهى، وقال بعض من عرّف به انه من اهل مرسية وله علم وحكمة ومعرفة ونباهة وبراعة وبلاغة وفصاحة، وقال فى عنوان الدراية رحل الى العدوة وسكن ببجاية مدّة ولقى من اصحابنا ناسا واخذوا عنه وانتفعوا به فى فنون خاصّة له مشاركة فى معقول العلوم ومنقولها وله فصاحة لسان وطلاقة قلم وفهم جنان وهو احد الفضلاء وله اتباع كثيرة من الفقرآء ومن عامّة الناس وله موضوعات كثيرة هى موجودة بايدى اصحابه وله فيها ألغاز واشارات بحروف ابجد وله تسميات مخصوصة فى كتبه هى نوع من الرموز وله تسميات ظاهرة هى كالاسامى المعهودة وله شعر فى التحقيق وفى مرافى اهل الطريق وكتابته مستحسنة فى طريق الادبآء وله من الفضل المزيّة ملازمته لبيت الله الحرام، والتزامه الاعتمار على الدوام، وحجّه مع الحجّاج فى كل عام، وهذه مزيّة لا يعرف قدرها ولا يرام»، ولقد مشى به للمغاربة فى الحرم الشريف لحظ[d] لم يكن لهم فى غير مدّته وكان اصحاب مكة يعتمدون على اقواله ويهتدون بافعاله توفى رحمه يوم الخميس تاسع شوال سنة ٦٦٩ انتهى ببعض اختصار، وذكر رحمه فى ترجمة تلميذه الشيخ ابى الحسن الششترى السابق الذكر ان اكثر الطلبة يرجحونه على شيخه ابى محمد ابن سبعين واذا ذكر له هذا يقول انّما ذلك لعدم اطّلاعهم على حال الشيخ وقصور طباعهم ومن تاليف ابن سبعين الفتح المشترك، ومما حكاه صاحب عنوان الدراية فى ترجمة الششترى ممّا لم نذكره فى ترجمته الماضية ورأينا ذكره هنا تبرّكا ان الششترى كان فى بعض اسفاره فى البرّية وكان رجل من اصحابه قد اسر فسمعه الفقرآء يقول الينا يا احمد فقيل له مَن احمد الذى ناديته يا سيدى فى هذه البرّية فقال لهم مَن تسرّون به غدا ان شآء الله تع فلما كان من الغد ورد الشيخ واصحابه بلد قابس فعند دخولهم اذا بالرجل الماسور فقال الشيخ للفقرآء واصحابه هنيا لنا باقتحام العقبة صافحوا اخاكم المنادى به، ومن مناقبه نفع الله تع به انه لما نزل ببلدة قابس برباط البحر المعروف بالصهريج جاءه الشيخ الصالح ابو اسحق الزرناني[e] نفع الله تع به بجميع اصحابه برسم الزيارة

a) Ihāta: الى الجواب. b) Ihāta: فتا. c) Ihāta: سنه. d) G. حظ. e) G. الزنانى.

فوافق وصوله وصول الشيخ الصالح الفاضل الولىّ ابى عبد الله الصنهاجى نفع الله تعـ به مع جملة اصحابه للزيارة فوجدوا الشيخ ابا الحسن قد خرج الى موضع بخارج المدينة برسم خلوة فجلسوا لانتظاره فلم يكن الّا قليل ان اقبل الشيخ على هيئة معتبر متفكر فلما دخل الرباط سلّم على الواصلين برسم الزيارة وحيّ المسجد واقبل على الفقرآء واثر العبرة على وجنته فقال ائتونى بمداد فلما احضر بين يديه تأوّه تأوّها كاد a ان يحرق بنفسه جليسه وجعل يكتب فى اللّوح b هذه الابيات

لا تلتفتْ بالله يا ناظرى | لأهْيَف كالغُصْن الناضرِ
يا قلب واصْرِفْ عنك وهمَ البقا | وخلّ عن سرب حمَى حاجرِ
ما السربُ والبانُ c وما لعلع d | ما الخيف ما ظَبْىُ بنى عامرِ
جمالُ مَن سمّيته دائر | ما حاجةُ العاقل بالدائرِ
e وانّما مطلبه فى الذى | هام الورى من حُسْنه الباهرِ
افاد للشمس سَنًى كالّذى | اعاره للقمر الزاهرِ
اصبحتُ فيه مغرما حائرًا | للّه دَرّ المغرَم الحائرِ

وكان يوما ببلد مالقة وكثيرا ما يجوّد عليه القرآن العزيز فقرأ طالب قوله تعـ إنَّنى أنَا ٱللّٰهُ لَا إلٰهَ إلَّا انا فَٱعْبُدْنِى e فقال معجلا رضه وفهم من الآية ما لم يُفْهَم، وعلم منها ما لم يعلم،

انظرْ للفظ أنا يا مغرمًا فيه | من حيث نظرتنا لعل تدريه
خلّ ادخارك لا تفخر بعارية | لا يستعير فغير من مواليه
جسوم احرفه للسرّ حاملة | ان شئتَ تعرفه جَرِّبْ معانيه

ودخل عليه شخص ببجاية من اهلها يعرف بابى الحسن ابن علال من اهل الامانة والديانة فوجده يذاكر بعض اهل العلم فاستحسن منه ايراده للعلم واستعماله لمحاضره انعهم فاعتقد شياخيّته f وتقديمه ثم نوى ان يؤثر الفقرآء من ماله بعشرين دينارا شكرا لله تعـ وياتيهم بماكول فلما يسّر جميع ما اهتمّ به اراد ان يقسمه فيطيعه شطره ويدع الشطر الثانى الى حين انصراف الشيخ ليكون للفقرآء زادا فلما كان فى الليل رأى فى منامه النبىّ صلّعم ومعه ابو بكر وعلىّ رضهما قال الرجل فنهضت اليه بسرور

a) G. S. كان. b) G. S. اللوم. c) S. بما البان. d) G. S. العلع. e) Voyez sour. 20, vs. 14. f) B. S. شياختة.

رؤية النبىّ صلّعم وقلت يا رسول الله ادع الله لى فالتفت لابى بكر رضّه وقال يا ابا بكر اعْطِه فاذا به رضّه قسّم رغيفا كان بيده واعطانى نصفه ثم افاق الرجل من منامه فاخذه وجدٌ من هذه الرؤية المباركة فايقظ اهلَه واستعمل نفسه فى العبادة فلما كان من الغد سار واتى الشيخ ببعض الطعام ونصف الدراهم المحتسب بها فلما دفعها للشيخ قال له الشيخ يا على اقْرُبْ فلمّا قرب قال له يا علىّ لو اتيتَ بالاكل لاخذتَ منه الرغيف بكماله انتهى٬

١٢٠ ومنهم ابو عبد الله محمد بن ابراهيم الشهير بابن غصن الاشبيلى من ولد شدّاد ابن اوس الانصارى الجزيرى نسبةً a الى الجزيرة الخضرآء الامام المقرئ الزاهد عرض على الاستاذ ابن ابى الربيع الموطّأ من حفظه واخذ عنه النحو وكان من اوليآء الله الصالحين وعباده b الناصحين آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر قوّالا بالحقّ لا تاخذه فى الله لومة لائم عارفا بمتون الحديث واحكامه فقيها مُتْقنا لمذاهب الائمّة الاربعة والصحابة والتابعين لا يقبل من احد شيًا مخلصا لله يتكلم على المنبر على عادة اهل العلم من تعليم المسآئل الدينيّة واقرأ القرآن بمكة مُدّةً بالقرآآت وبالمدينة وبيت المقدس وممّن قرأ عليه خليل امام المالكيّة بالحرم والشهاب الطبرى امام الحنفيّة بالحرم وله مصنّفات فى القرآآت منها مختصر للكافى وكتاب فى معجزات النبىّ صلّعم ومولده سنة ٦٣١ تخمينا وتوفى بالبيت المقدس اخر سنة ٧٢٣ c رحّه٬

١٢١ ومنهم الفقيه الاستاذ النحوى التاريخى اللغوى ابو جعفر احمد بن يوسف الفهرى اللبلى يكنى ابا العباس وابا جعفر قرأ بالاندلس على مشآيخ من افضلهم الاستاذ ابو على عمر الشلوبين ثم ارتحل الى العَدْوة وسكن بجاية واقرأ بها مدة وارتحل الى المشرق فحجّ ثم رجع الى حضرة تونس واتّخذها وطنا واشتغل بها بالاقرآء الى ان مات كان ينبسط لاقرآء d سائر كتُب العربيّة وله علم جليل باللغة وله تواليف كثيرة منها على الجمل وشرح الفصيح لثعلب ولم يشذ فيه شىء من فصيح كلام العرب٬ قال الغبرينى رحّه ورايتُ له تاليفا فى الاذكار وله عقيدة فى علم الكلام ورايتُ له مجموعا سمّاه الاعلام بحدود قواعد الكلام تكلّم فيه على الكلم الثلاث الاسم والفعل والحرف وله تواليف اخر وكان من اساتيذ افريقية فى وقته وممّن أُخذ عنه واستفيد

a) G. نسبته. b) G. L. وعباد الله. c) B. ٧٢٢. d) Lisez فى اقرآء.

منه انتهى، وذكر الشيخ ابو الطيّب ابن علوان التونسى عن والده احمد التونسى الشهير بالمصرى ان للمذكور تاليفا يسمّى التجنيس وله شرح ابيات الجمل سمّاه وَشْى الحُلل رفعه للملك المستنصر الحفصى بتونس فدفعه المستنصر للاستاذ ابى الحسَن حازم وامره ان يتعقّب عليه ما فيه من خلل وَجَدَه فحكى ابو عبد الله القطان المسفر وكان يخدم حازما قال كنتُ يوما بدار ابى الحسَن ᵃ وبين يديه هذا الكتاب فسمعتُ نقر الباب فخرجتُ فاذا بالفقيه ابى جعفر فرجعتُ واخبرتُ ابا الحسن فقام مبادرا حتى ادخله وبالغ فى برّه واكرامه فرأى الكتابَ بين يديه فقال له يا ابا الحسن قال الشاعر وعين الرضى عن *كل عيب ᵇ كليلة فقال له يا فقيه ابا جعفر انت سيدى واخى ولكن هذا امر الملك لا يمكن فيه الّا قول الحق والعلم لا يحتمل المداهنة فقال له فاخبرنى بما عثرت عليه قال له نعم فاظهر له مواضع فسلمها ابو جعفر وبشرها واصلحها بخطّه، وأصْل هذا اللّبْلى من لَبْلة قرية بالاندلس، اجتمع فى رحلته للمشرق بالقاضى ابن دقيق العيد وكان نحويّا فلما دخل عليه اللبْلى قال له القاضى خير مقدم ثم سأله بعد حين بِمَ انتصب خير مقدم فقال له اللبْلى على المصدر وهو من المصادر التى لا تظهر افعالها وقد ذكره سيبويه ثم سرد عليه البابَ من سيبويه الى آخره فانه كان يحفظ اكثره فاكرمه القاضى وعظمه ثم قال ابن علوان وذكر والدى ايضا رحمه ومن خطّه المبارك نقلت انّ الاستاذ ابا جعفر اللبْلى المذكور رحمه قرئَ عليه يومًا قول امرئ القيس

حَبّى الحمول بجانب العزل   اذ لا يلائم شكلها شكلى

فقال لطلبته العاملُ فى هذا الظرف ما هو يعنى اذ فتسارعوا القول فقال حسبكم قرئَ هذا البيت على استاذنا ابى علىّ الشلوبين فسألنا هذا السؤال وكان ابوه الحسن ابن عُصْفور قد برع واستقل وجلس للتدريس وكان الشلوبين يغُضّ منه فقال لنا اذا خرجتم فاسألوا ذلك الجاهل يعنى ابن عصفور فلما خرجنا سِرْنا اليه باجمعنا ودخلنا المسجد فرايناه قد دارت به حَلْقة كبيرة وهو يتكلم بغرآئب النحو فلم نجسر على سؤاله لهيبته وانصرفْنا ثم جئنا بعد على عادتنا لابى على فنسى حتى قرئَ عليه قول نابغة   فعَدّ عمّا ترى اذ لا ارتجاعَ له   فتذكر وقال ما فعلتم فى سؤال ابن·

a) Le man. B. ajoute: .اذ امره ان يتعقّب عليه ما فيه b) S. عيب مثلى c) S. ابوه.

عصفور فصدّقْنا له الحديث فاقسَمَ ان لا يخبرنا ما العامل فيه ثم قال اللبْلى لطلبته وانا اقول لكم مثل ذلك فانظروا لأنفسكم قالوا فنظرنا فاذا المسئلة مسئلة فحص ونظر كلّما حكمنا بحُكم صدّقْنا عنه قوانين نحويّة حتى مضت مدّة طويلة فوفد علينا بتونس المحروسة احدُ طلبة ابن ابى الربيع وكان ابن ابى الربيع هذا ساكنا بسبتة وهو احدُ طلبة الشلوبين ايضا ومن كبار هذه الطبقة التى نشأت بعده قالوا فتذاكرنا مع هذا الطالب فى مسائل نحويّة فمرّت هذه المسئلة فى قوله تعَ انْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ a فقال الطالبُ b إنّ هذا الظرف وقع موقعَ لام العلّة فعلمنا ان هذا هو الذى اراد الاستاذ ابو علىّ ثم ناقشنا الطالب وقلنا له اذا جعلتَه ظرفا فلا بُدّ من العامل واذا جعلته واقعا موقع الحرف c كان هذا على شذوذ قول الكوفيّين والذى يجوز عكسُه على مذهب الجميع وانّما الاولى أن يقال اذ حرفٌ معناه التعليل تشترك فيه الاسماء والحروف c كما اشتركت فى عَنْ والله اعلم بغيبه انتهى،

١٢٣ ومنهم ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابى بكر بن فَرْح القرطبى، قال الحافظ المقريزى وفرح بسكون الرآء وقال الحافظ عبد الكريم فى حقه انه كان من عباد الله الصالحين والعلمآء العارفين الورعين فى الدنيا المشغولين بما يعنيهم من امور الآخرة فيما بين توجّهٍ وعبادة وتصنيف جمع فى تفسير القرآن كتابا فى ١٥ مجلّدا وشرح اسمآء الله الحسنى فى مجلّدَيْن وله كتاب التذكرة فى امور الآخرة فى مجلّدين وشرح التقصى وله تواليف غير ذلك مفيدة وكان مطرح التكليف d يمشى بثوب واحد وعلى راسه طاقية سمع من الشيخ ابى العباس احمد بن عمر القرطبى صاحب المُفْهِم فى شرح مُسْلِم بعض هذا الشرح وحدّث عن ابى الحسن على بن محمد بن على ابن حفص اليحصبى وعن الحافظ ابى على الحسن بن محمد بن محمد البكرى وغيرهما وتوفى بمُنْية *بنى خصيب e ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة ٦٧١ ودُفن بها رحمه، وفى تاريخ الكتبى فى حقه ما نصّه كان شيخا فاضلا وله تصانيف مفيدة تدلّ على كثرة اطّلاعه ووفور علمه منها تفسير القرآن مليح الى الغاية ١٢ مجلدا انتهى، وكتب بعض تلامذته على الهامش ما صورته قد اجحف المصنف فى ترجمته جدّا وكان متفنّنا متبحّرا فى العلم انتهى، وكتب بعض بازاء هذا الكلام.

a) Voyez sour. 26, vs. 98. b) G. S. الحروف. c) Ce mot ne se trouve que dans le man. B. d) S. التكلف. e) Voyez *Lobb al-lobāb*, s. v. المناوى.

ما نصّه قال الذهبى رحل وكتب وسمع وكان يقظا فهما حسن الحفظ مليح النظم حسن المذاكرة ثقة حافظا انتهى، وكتب اخر اثر ذلك الكلام ما صورته مُشاحّة شيخنا المصنّف a فى هذه العبارة ما لها فآيدة فان الذهبى قال فى تاريخ الاسلام العَلامة ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابى بكر بن فرج الامام القرطبى امام متفنن متبحّر فى العلم له تصانيف مفيدة تدلّ على كثرة اطّلاعه ووفور فضله ثم ذكر موته وقال بعده وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان وله الاسنى فى شرح الاسمآء الحسنى والتذكرة واشيآء تدلّ على امامته وذكآئه وكثرة اطّلاعه انتهى وكتب اخر باثر هذا الكلام ما نصّه غفر الله لك اذا كان الذهبى ترجمه بما ذكرته وهو والله فوق ذلك فكيف تقول ان مشاحّة شيخك لا فايدة فيها وتُسىء الادب معه وتقول ان كلامَه لا فآيدة فيه فالله يستر عليك انتهى،

١٢٣ ومنهم ابو القاسم ابن حاضر الجزيرى الخزرجى محمد بن احمد من جزيرة شقر قدم مصر وسكن قوص بعد ما كان من عدول بلنسية وكان فصيحا عالما التوريق وله نظم لم يحضرنى b الآن شىء منه ومات بالقاهرة سنة ٦٣٩ رحمه،

١٢٤ ومنهم ابو القاسم التجيبى محمد بن احمد من اهل بلش قرأ على ابن مفرج c وابن ابى الأحْوص ورحل فاستوطن القاهرة وكان شيخا فاضلا خيرا له ادب وشعر منه قوله من ابيات

احوى له الجفون رقيب احْوَل ... الشىء فى ادراكه شيئآنِ
يا ليتَه تركَ الذى أنا مُبْصِرٌ ... وهو المخبّر فى الغزال الثانى

وُلد ببلش سنة ٦٢٣ وتوفى بالحسينية خارج القاهرة سلخ المحرّم سنة ٦٩٤ d وممّن روى عنه نحوىّ الزمان اثير الدين ابو حيّان وغيره رحم الله الجميع،

١٢٥ ومنهم ابو بكر الخزرجى محمد بن احمد بن حسن وقيل محمد بن عيسى المالقى المالكى، قال الشريف ابو القاسم انه كان احد الزهاد الورعين وعباد الله المتّقين مشتغلا بنفسه مستخليا عما فى ايدى الناس ياكل من كَسْب يده ولا يقبل لاحد شيئا مع وجد وعمل وفضل وادب ولم يكن فى زمانه مَن اجتمع فيه ما اجتمع له، وقال الحافظ عبد الكريم انه دخل اشبيلية واشتغل بالعربيّة على الشلَوْبين وقرأ القرآات

a) G. L. S. للمصنّف. b) B. G. L. يحضر فى. c) S. مفرح. d) B. ٦٩٥.

السبع ثم قدم مصر واشتغل بمذهب مالك وكان والده نجّارا وكان لا ياكل الّا من كسب يده يخيط الثياب فازدحم الناس عليه تبركا به فترك ذلك وصار يُدقّ القصدير وياكل منه ويتصدّق بما فضل عنه وكان شديد الزهد كثير العبادة لا يسلم يده الى احد ليقبّلها وجآءه شخص قد زيد عليه فى اجرة مسْكنه ليشفع الى صاحب الدار ان لا يقبّل الزايد فمضى الى صاحب الدار واعطاه الزائد مدّة اشهر فعلم بذلك الساكن بعد مدّة فقال له يا سيدى ما سألتُ الا شفاعة وانت تنقد a عنى فقال له رجل له دار ياخذ اجْرتها يجىء اليه الخزرجى يقطع عليه حقه والله ما يدفع هذا الا انا فلم يزل يدفع الزايدَ الى ان انتقل الساكن الى غيرها ومات ليلة الثامن والعشرين من شهر ربيع الاخر سنة ٦٥١ عن ٤٥ سنة ودُفن بالقرافة رحّه ونفعنا به،

١٣٩ ومنهم ابو بكر محمد بن احمد بن خليل بن فرج الهاشمى مولاهم لانّ ولآءه لبنى العباس من اهل قرطبة وُلد فى شهر رمضان سنة ٣٢٣ بقرطبة وسمع بها من وهب بن مسرّة b وخالد بن سعيد وغيره ورحل فحجّ وادرك بمصر ابن الورد وابن رشيق وابا على ابن السكين c ونظرآءهم فى سنة ٣٤٩ وعاد الى بلده وبها مات فى شهر رمضان سنة ٤٠٩، قال ابن بشكوال كان رجلا صالحا فاضلا من اهل الاجتهاد فى العبادة مآئلا الى التقشّف والزهادة قديم الطلب حسن المذهب متّبعا للسُّنن،

ومنهم ابو عبد الله محمد بن احمد بن سلمان d بن احمد بن ابراهيم الزهرى الاندلسى الاشبيلى ولد بمالقة وطاف الاندلس وطلب العلم وحصّل طرفا صالحا من علم الادب ودخل مصر قبل ٥٩٠ فسمع بها الحديث ودخل الشام وبلاد الجزيرة وقدم بغداد سنة ٥٩٠ وعمره ٣٠ سنة واقام بها مُدّة وسمع من شيوخها كأبى الفرج ابن كليب ونحوه وقرأ ونسخ بخطّه وسافر الى اصبهان وبلاد الجبل وكان فاضلا حسن المعرفة بالادب يقول الشعر وينشى المقامات وصنف كتاب البَيان والتبيين فى انساب المحدّثين ٦ أجْزآء وكتابَ البيان فيما ابهم من الاسمآء فى القرآن مجلدٌ وكتاب اقسام البلاغة واحكام الصناعة فى مجلّدين وكتاب شرح الايضاح لابى على الفارسى فى ١٥ مجلدا وكتاب شرح المقامات مجلّد وكتاب شرح اليمينى e فى مجلّد، قال المنذرى توفى شهيدا قتله التتار فى رجب وقال ابن النجّار فى ١٧ رجب سنة ٦١٧ رحّه،

a) G. L. S. تنزن. b) S. ميسرة. c) B. L. السكن. d) B. L. سليمان. e) B. اليمنى.

١٢٨ ومنهم ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الاعلى بن القاسم القرطبى المقرى المعروف بالورشى نسبة الى قرأة وَرْش لاشتهاره بها وهو احد القُرّآء المعروفين، قال الحاكم هو من الصالحين المذكورين بالتقدّم فى علم القرآن سمع بمصر والشام والحجاز والعراقين والجبال واصبهان وورد نيسابور ودخل خراسان فسمع بها على بن المرزبان باصبهان وبالاهواز عبد الواحد ابن خلف الجنديسابورى a وبفارس احمد بن عبد الرحمن بن الجارود الرقى، وقال ابن النجّار قدم بغداد وحدّث بها توفى بسجستان فى ربيع الاول سنة ٣٩٣،

١٢٩ ومنهم ابو عبد الله محمد بن احمد الباجى اللخمى، قال ابن بشكوال مولده فى صفر سنة ٣٥٩ سمع عن جدّه ورحل الى المشرق، وقال ابن غلبون فى مشيخته انه كان من اهل العلم والحديث والرواية والحفظ للمسآئل قائما بها واقفا عليها قاعدا للشروط محسنا لها عارفا وبيتهم بيت عِلْم ونشأ فيهم هو وابوه وجدّه وكان جميعهم فى الفضل والتقدّم على درجاتهم فى السنّة b وعلى منازلهم فى السبق وكانت رحلته مع ابيه وروايتهما واحدة وشاركه فى السماع والرواية عن جدّه وسمع بمصر على ابى الحسَن احمد بنْ عبد الله بن حَميد بن رَزيق المخزومى، وقال ابن بشكوال كان من اجلّ الفقهآء عندنا دراية ورواية بصيرا بالعقود ومتقدّما على اهل الوثآئق عارفا بعللها والّف فيها كتابًا حسنا وكتابا فى السجلّات c الى ما جمع من اقوال الشيوخ المتاخرين مع ما كان عليه من الطريقة المُثْلَى وتوفية العلم حقه من الوقآء والنصوّن d توفى فى المحرّم سنة ٤٣٣ لعشرين بقين منه،

١٣٠ ومنهم ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد العزيز العتبى الاندلسى القرطبى الفقيه المالكى المشهور صاحب العُتْبيّة سمع بالاندلس من يحيى بن يحيى وسعيد ابن حسّان وغيرهما ورحل الى المشرق فسمع من سَحْنون واصبغ بن الفرج وغيرهما وكان حافظا للمسآئل جامعا لها عالما بالنوازل وهو الذى جمع المستخرجة من الاسمعة المسموعة غالبا من مالك بن انس وتعرف بالعُتْبيّة واكثر فيها من الروايت المطروحة والمسآئل الغريبة الشاذّة وكان يوتى بالمسألة الغريبة الشاذّة فاذا سمعها قال ادخلوها فى المستخرجة، ولذا رُوى عن ابن وضاح انه كان يقول المستخرجة فيها

a) Les man. portent الجندسابورى. b) S. السنن. c) G. L. S. السجلات. d) Peut-être faut-il lire والصَوْن.

خطأ كثير كذا قال ولكن الكتاب وقع عليه الاعتماد من اعلام المالكيّة كابن رُشْد وغيره، قال ابن يونس توفى بالاندلس سنة ٢٥٥، والعُتْبىّ نسبة الى عتبة بن ابى سُفْيان بن حرب وقيل الى جَدّ للمذكور يسمّى عُتْبة وقيل الى ولآء عتبة بن ابى يعيش،

١٣١ ومنهم ابو عبد الله محمد بن احمد بن محمد بن زكرياء المعافرى المقرئ القرطبي الاديب وُلد بالاندلس سنة ٥١١ ونشأ ببلنسية واقام بالاسكندريّة وقرأ القرآن على اصحاب ابن هُذَيل ونظم قصيدة فى القرآات على وزن الشاطبية لكنها اكثر ابياتا وصرّح فيها بأسماء القرّآء ولم يرمز كما فعل الشاطبىّ وكانت له يد فى الفرآئض والعروض مع معرفة القرآات والادب، ومن شعره قوله

اذا ما اشترتْ بنتٌ اباها فعِتْقُها بنفس الشرا شرعا عليها تأصّلا
وميراثُه ان مات من غير عاصبٍ ومن غير ذى فَرْض لها قد تأثّلا
لها النصفُ بالميراث والنصف بالولا فان وهب ابنا او شراه تَفَضّلا
فأعتق شرعًا ذاك الابن فمالُها سوى الثلث والثلثان للاخ اصلا
ه وميراثُها فيه اذا مات قبلها كميراثها فى الاب من قبل يجتلا
ومولى ابيها ما لها الدهر فيه من ولآء ولا ارث مع الاب فاعتلا

وهذه المسئلة ذكر الغزالى فى الوسيط انه قضى فيها اربعمائة قاض وغلطوا، وصورتها ابنة اشترت اباها فعتق عليها ثم اشترى الابُ ابنا فعتق عليه ثم اشترى الابُ عبدا فاعتقه ثم مات الابُ فورثه الابنُ والبنت للذكر مثل حظّ الانثيين ثم مات العبدُ المعتق فلمن يكون ولآؤه وفرضها المالكيّة على غير هذا الوجه وهى مشهورة،

١٣٢ ومنهم محمد بن احمد بن محمد بن سهل ابو عبد الله الاموى الاندلسى الطليطلى المعروف بالنقاش نزل مصر وقصد للاقرآء بجامع عمرو بن العاصى واخذ عنه جماعة وتوفى بمصر سنة ٥٢٩،

١٣٣ ومنهم ابو عبد الله محمد بن احمد القيسى [a] القَبْرِىّ القرطبى المؤدّب رحل من الاندلس سنة ٣٤٢ [b] فسمع بمصر من ابى محمد بن الورْد وابى قتيبة مسلم بن الفضل البغدادى وغيره وكان صالحا خيرا مؤدّبا سمع من الناس وتوفى سنة ٣٦٢، والقَبْرى بفتح القاف وسكون البآء الموحدة ثم رآء مهملة نسبة الى قبرة بلد بالاندلس بقرب قرطبة بنحو ثلاثين ميلا،

a) S. القيشى. b) B. ٣٤٣.

ومنهم جمال الدين ابو بكر الوايلى a محمد بن احمد بن محمد بن عبد الله ابن سُجْمان الشريشى المالكى وُلد بشريش سنة ٦٠١ ورحل فسمع بالاسكندرية من ابن عمار الحرّانى وبدمشق من مكرم بن ابى الصقر وبحلب من ابى البقآء يعيش بن على النحوى وسمع باربل وبغداد واقام بالمدرسة الفاضليّة من القاهرة مدّة يفيد الناس فتخرج به جماعة وولى مشيخة المدرسة بالقدس ومشيخة الرباط الناصرى بالجبل واقام بدمشق يُفْتِى ويدرس وكان من العلمآء الزهّاد كثير العبادة والوَرَع والزهد احد الائمّة المبرزين المتبحّرين فى العربيّة والفقه على مذهب الامام مالك والتفسير والاصول وصنف كتابا فى الاشتقاق وشرح الفيّة ابن معطى واخذ عنه الناس وطُلب للقضآء بدمشق فامتنع منه زهدا وورعا وبقى المنصب لاجله شاغرا الى ان مات برجب سنة ٦٨٥ ودُفن بقاسيون، وسُجْمان بسين مهملة مضمومة ثم جيم ساكنة بعدها ميم مفتوحة ونون،

١٣٥ ومنهم ابو عبد الله محمد بن احمد بن يحيى بن مفرج القرطبى المعروف والده بالقنتوريّ كان جدّ ابيه مفرج صاحب الركاب للحكم بن عبد الرحمن الداخل وكان ابوه احمد بن يحيى رجلا صالحا وولد هو سنة ٣١٥ وكان سكناه بقرطبة بغرب عين قنت b اورية c وسمع بقرطبة من قاسم بن اصبغ كثيرا ومن ابن d دليم والخشنى ورحل سنة ٣٣٧ فسمع بمكة من ابن الاعرابى ولزمه حتى مات وسمع بها من جماعة غيره وسمع بجدّة وبالمدينة النبوية على ساكنها الصلاة والسلام ودخل صنعآء وزبيد وعدن وسمع بها من جماعة وسمع بمصر من البرقى صاحب احمد البزّار e وسمع من السّيرافى وجماعة كثيرة وسمع بغزّة وعسقلان وطبرية ودمشق وطرابلس وبيروت وصَيدا والرّملة وصور وقيسارية والقلزم والفرمآء f والاسكندريّة فبلغتْ عدة شيوخه الى ٢٣٠ شيخا، وروى عنه ابو عمر الطلمنكى وجماعة وكتب تاريخ مصر عن g مؤلّفه ابى سعيد ابن يونس وروى عنه ابن يونس وهو من أقرانه وعاد للاندلس من رحلته سنة ٣٤٥ واتصل بالحكم المستنصر وصارت له عنده مكانة والّف له عدة كتب واستقصاه على استجة ثم على المرية ومات برجب سنة ٣٤٨، قال الحميدى هو محدّث حافظ

a) L. الوابلى. b) B. قنتنت. c) S. اورتة; B. G. L. اوربة. d) B. ابى. e) S. البزاز. f) L. والعزمآء. g) G. L. على

جليل صنّف كتبا فى فقه الحديث وفى فقه التابعين فمنها فقه الحسن البصرى فى ٧ مجلّدات وفقه الزهرى فى أجزاء كثيرة وسمع مسند ابن الفرضى وحديث قاسم بن اصبغ، قال ابن الفرضى وكان عالما بالحديث بصيرا برجاله صحيح النقل حافظا جيّد الكتاب على كثرة ما جمع، وقال ابن عفيف فى حقّه انه كان من اعنى [a] الناس بالعلم [b] واحفظهم للحديث وابصرهم بالرجال ما رايت مثله فى هذا الفنّ من اوثق المحدثين بالاندلس واصحّهم كتبا واشدّهم تعبا لروايته واجودهم ضبطا لكتبه واكثرهم تصحيحا لها لا يدع فيه شبهة رحّه،

١٣٣٦ ومنهم ابو عبد الله القيسى الوضاحى محمد بن احمد بن موسى رحل من المغرب وسمع من السلفى وغيره جملة صالحة ثم عاد الى الاندلس بعد الحج وسكن المرية مدّة وبها مات سنة ٦٣٩ه وقيل فى التى بعدها وكان من اظرف الناس واحسنهم ادبا فقيها فاضلا ثقة ذا فرائد جمّة عفيفا معتنيا بالعلم،

١٣٣٧ ومنهم ابو عبد الله محمد بن احمد بن موسى بن هذيل العبدرى البلنسى ولد سنة ٥١٩ وسمع من ابيه وجماعة ورحل حاجّا فسمع من السلفى وابن عرف [c] والحضرمى والتنوخى والعثمانى وغيرهم ورجع بعد الحجّ الى الاندلس فحدّث وكان غاية فى الصّلاح والورع واعمال البرّ وله حظ من علم العبارة ومشاركة فى اللغة وكتب بخطه على ضعفه كثيرا رحّه،

١٣٣٨ ومنهم ابو عبد الله محمد بن احمد بن نوح الاشبيلى ومولده سنة ٦٣١ باشبيلية وجال فى بلاد المغرب والمشرق وقرأ على الشيوخ الفضلآء وحصّل كثيرا فى علم القرآن والادب وله نظم ونثر وكان كثير التلاوة للقرآن جيّد الأدآء له واقام بدمشق حتى مات بها سنة ٦٩٩ رحّه،

١٣٣٩ ومنهم محمد بن أسباط المخزومى القرطبى روى عن يحيى بن يحيى وقدم مصر فسمع من الحارث بن مسكين وكان حافظا للفقه عالما توفى سنة ٢٧٩،

١٣٤٠ ومنهم ابو بكر محمد بن اسحق الشهير بابن الشليم قاضى الجماعة بقرطبة مولده سنة ٣٠٩ روى عن قاسم بن اصبغ وطبقته ورحل سنة ٣٣١[d] فسمع بمكة من ابن الاعرابى وبمصر من ابن الزبير وابن النحاس وغيرهما وعاد الى الاندلس فاقبل على الزهد

a) B. S. اعلى. b) B. فى العلم. c) B. عون. d) G. L. ٣٤٠.

ودراسة العلم وحدّث فسمع منه الناس وكان حافظا للفقه بصيرا بالاختلاف حسن الخط والبلاغة متواضعا وتوفى بجمادى الاولى سنة ٣٦٧، وسَليم بفتح السين مكبّر [a]،

ومنهم موسى بن بهيج المغربى الواعظ اندلسى من اهل المرية نزل مصر يكنى ابا ١٤١
عمران كان من اهل العلم والادب وله فى الزهد وغيره اشعار حُملتْ عنه وحدّث المرشانى عنه بمخمّسه فى الحجّ واعماله كلها ولقيه بمصر وقرأها عليه ولابن بهيج هذا

انّما دنياك ساعهْ فاْجعلِ الساعة طاعهْ وأحذر التقصير فيها
واجتهدْ ما قدر ساعهْ واذا اـ عزا فالتمس عزّ القناعهْ،

ومنهم ابو عمران موسى بن سعادة مولى سعيد بن نصر من اهل مرسيّة سمع صِهْره ١٤٢
ابا على ابن سكّرة الصدفى وكانت بنته عند ابى على ولازمه واكثر عنه وروى عن ابى محمد بن مُفَوّز الشاطبى وابى الحسن ابن شفيع قرأ عليهما الموطّأ ورحل وحجّ وسمع السنن من الطرطوشى وعنى بالرواية وانتسخ صحيحى البخارى ومسلم بخطّه وسمعهما على صهره ابى علىّ وكانا اصلين لا يكاد يوجد فى الصحّة مثلهما، حكى الفقيه ابو محمد عاشر بن محمد انهما سُمعا على ابى علىّ نحو ٦٠ مرّة وكتب ايضا الغريبين للهروى وغير ذلك وكان احد الافاضل الصلحآء والاجواد السمحآء يؤمّ بالناس فى صلاة الفريضة ويتولى القيام بمؤن صهره ابى على وبما يحتاج اليه من دقيق الاشيآء وجليلها واليه اوصى عند توجّهه الى غزوة كتندة التى فُقد فيها سنة ٥١٤ وكانت له مشاركة فى علم اللغة والادب وقد حدّث عنه ابن اخيه القاضى ابو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة بكتاب ادب الكتاب لابن قتيبة وبفصيح ثعلب،

ومنهم ابو محمد عبد الله بن طاهر الازدى من اهل وادى آش له رحلة الى ١٤٣
المشرق ادّى فيها الفريضة وسمع بدمشق من ابى طاهر الخشوعى مقامات الحريرى وابن عساكر وغيرهما ثم قفل الى بلده انتهى ملخصا من ابن الابّار، وحكى الصفدى ان ابن المستكفى اجتمع بالمتنبّى بمصر وروى عنه شيأ من شعره ومما روى عنه انه قال انشدنى المتنبّى لنفسه

لاعبْتُ بالخاتم انسانةً كمثل بدر فى الدجى الفاحمِ
وكلّما حاولتُ أخْذى له من البنان المترف [b] الناعمِ

a) G. L. مكبّرا. b) S. المشرق.

القَتْه فى فيها نقلتُ أنظروا   قد خُبِّىَ a الخاتم فى الخاتم،

١٤٤ ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق ابو عبد الله ابن مالك صاحب التسهيل والالفيّة وهو جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الامام العلامة الاوحد الطائىّ الجيّانى المالكى حين كان بالمغرب الشافعىّ حين انتقل الى المشرق النحوى نزيل دمشق وُلد سنة ٦٠٠ او فى التى بعدها وسمع بدمشق من مكرم وابى صادق الحسن بن صبّاح وابى الحسن السخاوى b وغيرهم واخذ العربيّة عن غير واحد فممّن اخذ عنه بجيّان ابو المظفر وقيل ابو الحسن ثابت بن خيّاره وعرف بابن الطيلسان وابى رزين بن ثابت بن محمد بن يوسف بن خيار الكلاعى من اهل لَبْلة واخذ القرآآت عن ابى العباس احمد بن نوار وقرأ كتاب سيبويه على ابى عبد الله ابن مالك المرشانى وجالس يعيش وتلميذه ابن عمرون وغيره بحلب وتصدّر بها لاقرآء العربيّة وصرف همّته الى اتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية واربى على المتقدّمين وكان اماما فى القرآآت وعالما بها وصنّف فيها قصيدة دالية مرموزة فى قدر الشاطبيّة وامّا اللغة فكان اليه المنتهى فيها، قال الصَّفَدى اخبرنى ابو الثناء محمود قال ذكر ابن مالك يوما ما انفرد به صاحب المحكم عن الازهرى فى اللغة، قال الصَّفَدى وهذا امر يُعْجز لانّه يحتاج الى جميع معرفة ما فى الكتابَيْن، واخبرنى عنه انّه كان اذا صلّى فى العادليّة لانه كان امام المدرسة يشيّعه قاضى القضاة شمس الدين ابن خلّكان الى بيته تعظيما له، وقد روى عنه الالفية شهاب الدين محمود المذكور ورواها الصفدى خليل عن شهاب الدين محمود قرآءة ورواها اجازة عن ناصر الدين شافع بن عبد الظاهر وعن شهاب الدين ابن غانم بالاجازة عنهما عنه، وامّا النحو والتصريف فكان فيهما ابن مالك بحرا لا يشقّ لجّه، وامّا اطّلاعه على اشعار العرب التى يستشهد بها على النحو واللغة فكان امرا عجيبا وكان الائمة الاعلام يتحيّرون فى امره وامّا الاطّلاع على الحديث فكان فيه آيةً لان اكثر ما يستشهد بالقرآن فان لم يكن فيه شاهدٌ عدل الى الحديث وان لم يكن فيه شاهد d عدل الى اشعار العرب هذا مع ما هو عليه من الدين والعبارة وصِدْق اللهجة وكثرة النوافل وحسن السمت وكمال العقل، واقام بدمشق مُدّة يصنّف ويشتغل بالجامع وبالتربة العادلية

a) Les man. portent (G.) خبات ou (B. L. S.) خبّيت. b) Telle est la leçon de B.; les autres man. portent البخارى. c) S. حيان. d) B. G. L. شىء.

وتخرج به جماعة وكان نظمُ الشعر عليه سهلا رجزه وطويله وبسيطه وصنف كتابَ تسهيل الفوائد ' قال الصفدى ومدحه سعد الدين محمد بن عربى بابيات مليحة الى الغاية وهى

ان الامام جمال الدين جَمّله   رَبُّ العُلى ولنشر العلم اهّله
املا كتابا له يسمى الفوائد لم   يزل مفيدا لذى لُبّ تأمّله
وكلّ مسئلة فى النحو يجمعها   انّ الفوائد جمعٌ لا نظير له

قال وفى هذه الابيات مع حُسن التورية فيها ما لا يخلو من ايراد ذكرته فى كتابى فض الخاتم انتهى ' قلت اجاب العجيسى عن ذلك بأنّ الابيات ليست فى التسهيل وانما هى فى كتاب له يسمى الفوائد وهو الذى لخّصه فى التسهيل فقوله فى اسم التسهيل تسهيل الفوائد معناه تسهيل هذا الكتاب وذكر ايضا انه مثل التسهيل فى القدر على ما ذكره مَن وقف عليه وقال واليه يشير سعد الدين محمد بن عربى بقوله انّ الامام جمال الدين جمّله الخ وسَعْد الدين ابن الشيخ محيى الدين صاحب الفصوص وغيرها ' ثمّ قال العجيسى وذكر غير واحد من اصحابنا أنّ له كتابا اخر سمّاه بالمقاصد وضمّنهما تسهيله فسمّاه لذلك تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد فعلى هذا لا يصحّ قولُ الصفدى أنّ المدح المذكور فى التسهيل ألّا بارتكاب ضرب من التاويل انتهى كلام العجيسى ' قلت وذكر غيره أنّ قوله فى الالفيّة مقاصدُ النَّحْو بها مَحْوِيّه a اشارة لكتاب المقاصد وتعقب بقوله محويّه فانّه لو كان كما ذكر لقال محوىّ واجاب بعضهم بأنه من باب الاستخدام وفيه تعسّف ' رجع ومن تصانيف ابن مالك الموصّل فى نظم المفصّل وقد حل هذا النظم فسمّاه سَبْك المنظوم وفَكّ المختوم ومن قال انّ اسمه فَكّ المنظوم وسبك المختوم فقد خالف النقل والعقل ' ومن كتب ابن مالك الكافية الشافية ثلاثة آلاف بيت وشرحها والخلاصة وهى مختصر الشافية ' واكمال الاعلام بمثلّث الكلام وهو مجلّد كبير كثير الفوائد يدل على اطّلاع عظيم ' ولاميّة الافعال وشرحها ' وفعل وافعل ' والمقدّمة الاسدية وضعها باسم ولده الاسد ' وعُدّة اللافظ وعُمْدة الحافظ ' والنظم الأَوْجَز فيما يُهْمَز ' والاعتضاد فى الظآء والضاد مجلد ' واعراب مشكل البخارى ' وتحفة المودود فى المقصور والممدود ' وغير ذلك كشرح التسهيل ' وروى عنه ولده بدر الدين محمد وشمس الدين ابن جعوان b

a) Voyez l'*Alfiya*, vs. 3.   b) Voyez *Orientalia*, II, 271, note; B. جعران.

77

وشمس الدين ابن ابى الفتح وابن العطار وزين الدين ابو بكر المزى[a] والشيخ ابو الحسين اليونينى[b] وابو عبد الله الصيرفى وقاضى القضاة بدر الدين ابن جماعة وشهاب الدين محمود وشهاب الدين ابن غانم وناصر الدين ابن شائع وخلق سواهم، ومن نظمه فى الحَلْبة

خَيْلُ السباق المجلّى يقتفيه مُصَـــلِّ والمسلّى وقال قبل مرتاح
وعَاطِف وحَظِىّ والمؤمَّل والــلَّطيم والفِسْكل السُّكَيْت يا صاح

وله من هذه الضوابط شىء كثير، وكان يقول عن الشيخ ابن الحاجب انه اخذ نحوه من صاحب المفصّل وصاحب المفصّل نحوه صُغَيرات وناهيك بمن يقول هذا فى حق الزمخشرى وكان الشيخ رُكن الدين ابن القَوْبَع[d] يقول ان ابن مالك ما خلّى للنحو حُرمة وحكى عنه انه كان يوما فى الحمام قد اعتزل فى مكان يستعمل فيه الموسى فهجم عليه فتى فقال ما تصنع فقال اكنُس لك الموضع للقعود قال بعضهم وهذا ممّا يستبعد على[e] دين ابن مالك والعُهْدة[f] على ناقله، قال الصفدى ولا يستبعد ذلك من لطف النحاة وطباع اهل الاندلس، وتوفى ابن مالك بدمشق سنة ٦٧٢ وقال بعضهم من احسن شعر ابن مالك قوله

اذا رمَدَتْ عينى تـداوَيْتُ منكم   بنظرة حُسْنٍ او بسَمْع كلام
فان لم اجِدْ مآءَ تَيَمّمْتُ باسمكم   وصلّيت فرضى والديار امامى
واخلصتُ تكبيرى عن الغير مُعرِضا   وقـابَلْتُ أعلام السُّرى بسلام
ولـم ار الّا نـورَ ذاتـك لاثـحـا   فهل تدع الشمس ٱمتداد ظلام

وقدم رحمه القاهرة ثم رحل الى دمشق وبها مات كما علم، وقال الشرف الحصنى يرثيه[g]

يـا شـتـاتَ الأسمآء والأفـعـال   بعد موت ابن مـالك المفضال
وٱنحراف الحروف من بعد ضَبْط   منه فى الانفصال والاتّصال
مَـصْـدرًا كـان للعلوم بـإذن   ٱلله مـن غـيـر شبهة ومُحَال
عـدم الـنـحـوُ والتعطُّف والـتّـو   كيد مستبدلا من الابـدال
الـسـمُّ اعـتـراه اسـكـن مـنـه   حركات كانت بغير ٱعتلال

a) B. المزنى. b) Telle est la leçon du man. B.; les autres man. portent البونينى. Voyez la note de M. Weijers, *Orient.*, II, 240; et *ibid.*, p. 246, l. 1. ss. c) Voyez sur ces mots le commentaire de Tibrîzî sur la *Ḥamāsa*, p. ٤٩. d) B. القريع; L. القوبع; voyez. *Orient.*, II, 369. e) Lisez عن. f) B. العمدة. g) Ce poème se trouve dans le *Dictionnaire biographique des grammairiens*, par Soyoutî (man. de M. Lee, fol. 22 r.).

يا لها سَكْتة لهمزٍ[a] قضاه   اورثته طول مُدّة الانفصال
رفعوه فى نعْشه فانتصبنا   نَصْبَ تمييز كيف سير الجبال
فتحموه عند الصلاة بدَلّ   فأُميلت أسْراره للدلال[b]
حرفوه يا عُظْم ما فعلوه   وهو عَدْل مُعرّف بالجمال
ادْغموه فى الترب من غير مثل   سالِمًا من تغيّر الانتقال
وقفوا عند قبره ساعةَ الدفْـــنِ وقوفا[c] ضرورة الامتثال
ومدّدْنا الاكفّ نطلب قَصْرا   مسكنا للنزيل من ذى الجلال
*آخرِ الآيِ مّن سبا حظّنا منه[d]   حظه جاء اوّل الأنفال
يا لسان[e] الاعراب يا جامع آلاعْـــراب يا مُفْهما لكل مقال
يا فريد الزمان فى النظم والنّثْـــرِ وفى نَقْل مسندات العوالى
كم علوم بثثتّها فى أُناس   عَلموا ما ثنيت عند الزوال

انتهت ملخّصة، قال الصفدى وما رايتُ مرثية فى نحوىّ احسن منها على طولها انتهى، ودُفن ابن مالك بسفح قاسيون بتربة القاضى عزّ الدين ابن الصائغ، وقال العجيسى بتربة ابن جعوان ورثاه الشيخ بها الدين ابن النحاس بقوله

قُلْ لِابن مالكَ ان جرت بك أدْمُعى   حمرا يحاكيها[f] النجيع القانى
فلقد جرحتَ القلبَ حين نُعيتَ لى   وتدفّقتْ بدمآئه اجفانى
لكن يهوّن[g] ما اجنّ من الاسى   علمى بنُقْلَتِه الى رضوان
فسقى ضريحا ضمّه صوبُ[h] الحيا   يهمى به بالريح[i] والريحان

وابن النحاس المذكور احد تلامذة ابن مالك وهو القائل يخاطب رضى الدين الشاطبى الاندلسى وقد كلّفه ان يشترى له قِطْرا

ايّها الاوحد الرضىّ الذى طا   ل علاء وطاب فى الناس نشرا
انت بحر لا غرو ان نحن وافيْـــناك راجين من نداك القِطْرا

وابن النحاس المذكور له نظم كثير مشهور بين الناس وهو بهآء الدين ابو عبد

---

a) Soyouti بهمز. b) Soyouti بالدلال. c) B. وقوفَ. d) Telle est la leçon que donne Soyouti; al-Makk. آخرِ الآى من سبا الحظّنا منه. Je suppose qu'il faut lire مّن au lieu de منه - mot qui dérangerait le mètre. e) Telle est la leçon de Soyouti; al-Makk. بالبيان. f) Soyouti بحكيها. g) G. L. S. تهوّن. h) L. ثوب. i) B. L. بالروح.

الله محمد بن ابرهيم بن محمد بن نصر الحلبىّ الاصل المعروف بابن النحاس وهو شيخ ابى حيان ولم ياخذ ابو حيّان عن ابن مالك وان عاصره بنحو ٣٠ سنة، وقال بعض من عرف بابن مالك انّه تصدّر بحلب مدّة وامّ بالسلطانيّة تحوّل الى دمشق وتكاثر عليه الطلبة a وحاز قصب السبق وصار يضرب به المثل فى دقائق النحو وغوامض الصرف وغريب اللغات واشعار العرب مع الحفظ والذكآء والورع والديانة وحسن السمت والصيانة والتحرّى لما ينقله والتحرير فيه وكان ذا عقل راجح حسن الاخلاق مهذّبا ذا رزانة وحيآء ووقار وانتصاب للافادة وصبر على المطالعة الكثيرة تخرج به ائمّة ذلك الزمان كابن المنجى وغيره وسارت بتصانيفه الركبان وخضع لها العلمآء الاعيان وكان حريصا على العلم حتى انه حفظ يوم موته ثمانية شواهد، وقال بعض الحفّاظ حين عرّف بابن مالك يقال انّ ابا عبد الله مذكور فى نسبه مرّتين متواليتين وبعض يقول مرّة واحدة b وهو الموجود بخطّه اوّل شرحه لعمدته وهو الذى اعتمده الصفدىّ وابن خطيب داريا محمد بن احمد بن سليمان الانصارى وعلى كل حال فهو مشهور بجدّه فى المشرق والمغرب وحكى بعضهم ان ولادته سنة ٥٩٨ وعليه عوّل شيخ شيوخ شيوخنا ابن غازى فى قوله

قد خُبع ابن مالك فى خَبْعَا   وهو ابنُ عَهْ كذا وعى ة من قد وَعَى

وقيل كما تقدّم ان مولده سنة ٦٠٠ او بعدها بجَيّان الحرير مدينة من مُدن الاندلس جبر الله كسْرها وهى مفتوحة الجيم ويآؤها مشدّدة تحتانية، وتصدّر ابن مالك بحماة مدّة وانتقد بعضهم على ابن خلكان إسقاطه من تاريخه مع كونه كان يُعَظّمه الى الغاية وقدّم رحمه لصاحب دمشق قصّة يقول فيها عن نفسه انه اعلم الناس بالعربيّة والحديث ويكفيه شرفا ان من تلامذته الشيخ النورى والعلم الفارقى والشمس البعلى والزين المزّى c وغيرهم ممّن لا يُحْصَى وكان رحمه كثير المطالعة سريع المراجعة لا يكتب شيئًا من محفوظه حتى يراجعه فى محلّه وهذه حالة المشائخ الثقاة والعلمآء الاثبات ولا يُرى الّا وهو يُصَلّى او يتلو او يصنّف او يُقرئ وكذا كان الشيخ ابو حيّان ولكن كان جدّه فى التصنيف والاقراء، وحكى انه توجّه يومًا مع اصحابه للفُرْجة بدمشق فلمّا بلغوا الموضع الذى ارادوه غفلوا عنه بسُوَيعة فطلبوه فلم يجدوه ثم فحصوا

---

a) S. الطبقة.   b) B. حكى.   c) S. المزنى.

عنه فوجدوه منكبّا على اوراق، واغربُ من هذا فى اعتنائه بالعلم ما مرّ انه حفظ يومَ موته عدّة ابيات حدّها بعضهم بثمانية وفى عبارة بعض او نحوها لقّنه ابنه ايّاها وهذا ممّا يصدّق ما قيل بقدر ما تتعنّى تنال ما تتمنّى فجزاه الله خيرا عن هذه الهمّة العليّة، ونكرَ ابو حيّان فى الجوازم من تذييله وتكميله انه لم يصحب من له البراعة فى علم اللسان ولذا تضعف استنباطاته[a] وتعقّباته على اهل هذا الشان وينفر من المنازعة والمباحثة والمراجعة، قال وهذا شانُ مَن يقرأ بنفسه ويأخذ العلم من الصحف بفهمه ولقد طال فحصى[b] وتنقيرى عمّن قرأ عليه واستند فى العلم اليه فلم اجد مَن يذكر لى شيئًا من ذلك ولقد جرى يوما مع صاحبنا تلميذه عَلَم الدين سليمان بن ابى حرب الفارقى الحنفى فقال ذكر لنا انّه قرأ على ثابت بن الخيار[c] من اهل بلده جيّان وانه جلس فى حَلْقة الاستاذ ابى على الشلَوْبين نحوا من ٣ يوما وثابت بن الخيار ليس من اهل الجلالة والشهرة فى هذا الشان وانما جلالته وشهرتُه فى اقرآء القرآن هذا حاصل ما ذكره ابو حيّان، قال بعض المحقّقين وهو العلامة يحيى العجيسى وليس ذلك منه بانصاف ولا يحمل على مثله الا هوى النفس وسُرعة الانحراف فنَفْيُه المسند عنه والمتبع، شهادةُ نفى فلا تنفع ولا تسمع،، ويكفى ما سطر فى حقه قوله فى اثنائه نظم فى هذا العلم كثيرا او نثر وجمع باعتكاف على الاشتغال به والشغل به ومراجعة الكتب ومطالعة الدواوين العربيّة وطول السنّ من هذا العلم غرآئب وحوت مصنفاته منها نوادر وعجآئب وانّ منها كثيرا استخرجه من اشعار العرب وكتب اللغة اذ هى مرتبة الاكابر النُقّاد، وارباب النظر والاجتهاد،، وقوله فى موضع اخر من تذييله لا يكون تحت السمآء أنْحَى ممن[d] عرف ما فى تسهيله وثوته فى بحره بمصنّف سيبويه فما ينبغى له ان يغمضه ولا ان يحطّ عليه ولا أن يقع فيما وقع فيه فانه يجرى على امثاله الغبى والنبيه، والحليم والسفيه،، وما هذا جزآء السلف من الخلف، والدرر من الصدَف، والجيّد من الحشف،، او ما ينظر الى شيخه ابى عبد الله ابن النحاس، فانه لا يذكره الّا باحسن ذكر كما هو ادب خيار الناس،، ومن كلامه فى نقله عنه وهو الثقة فيما ينقل والفاضل حين يقول والى تلميذه ابى البقآء المصرى حيث يقول فيه اعنى فى ابى حيّان

a) Les man. portent استنباطاته. b) Les man. portent نصحى. c) Les man. portent خيار.
d) B. منه ممّا.

هو الأوحد الفردُ الذى تمّ علمُه   وسار مسيرَ الشمس فى الشرق والغربِ
ومن غاية الاحسان مَبْدأ فصله   فلا غرو ان يسمو على العُجْم والعربِ

ومن غاية الاحسان، فى هذا الشان، من التصانيف التى سارت به الركبان، فى جميع الاوطان، واعترف بحُسنها الحاضر والبادى والدانى والقاصى والصديق والعَدُو فتلقاه بالقبول والاذعان، فسامح الله ابا حيّان، فان كلامه يحقّق قول القائل كما تَدين تُدان،، ورحم الله ابن مالك فلقد احيى من العلم رسوما دارسه، وبيّن معالم طامسه،، وجمع من ذلك ما تفرّق، وحقق ما لم يكن تبيّن منه ولا تحقق،، ورحم شيخه ثابت بن الخيار، فانه كان من الثقات الاخيار،، وهو ابو المظفر ثابت بن محمد ابن يوسف بن الخيار الكُلاعى بضم الكاف على ما كان يضبط بيده فيما حكاه ابن الخطيب فى الاحاطة واصله من لبْلة ويعدّ فى اهل جيّان وتوفى بغرناطة سنة ٦٢٨ وكان ابو حيان يغضّ من هذا الكتاب ويقول ما فيه من الضوابط والقواعد حائد عن بيع [a] الصواب والسداد، وكثيرا ما يشير الى ذلك فى شرحه المسمّى بمَنْهَج السالك، ومن غضّه منه بالنظم فى مَلَا من الناس، من جملتهم شيخه بهآء الدين ابن النحاس، والاقسرانى يجاريه مقتفيا له ومتآسيا فى تسويد القرطاس،، ألفية ابن مالك، مطموسة المسالك، وكم بها من مشغل اوقع فى المهالك،، ولا تغترّ انت بهذا الغرر، فانه ما كلّ سحاب ابرق مطر، ولا كلّ عُود اورق ثمر،، وقيل معارضة للقوم، وتنبيها لهم ممّا هم فيه من النوم،، * الفيةُ ابن مالك، مشرقة المسالك،، وكم بها من مشغل علا على الارآئك،، وما احسن قول ابن الوردى فى هذا المعنى

يا عائبا الفيّة ابن مالك   وغائبا عن حفظها وفهمها
اما تراها قد حوَتْ فضائلا   كثيرة فلا تجرْ فى ظُلْمها
وازْجُرْ لمن جادل مَن يحفظها   برابع وخامس من اسمها

يعنى صَهِ فانه عند الاستقلال بمعنى اسكتْ انتهى ملخصا، وقال ايضا عند ذكره مصنّفات ابن مالك وهى كما قيل عزيزة المسآئل، ولكنّها على الناظر بعيدة الوسآئل،، وهى مع ذلك كثيرة الافاده، موسومة بالاجاده،، وليست لمَن هو فى هذا الفن فى درجة ابتداآئه، بل للمتوسّط يترقى بها درجة انتهآئه،، انتهى، واعْلَمْ ان الالفيّة مختصرة

a) B. مبيع.

الكافية كما تقدّم وكثير من ابياتها فيها بلفظها ومتبوعُه فيها ابن مُعْطى ونظمه اجمع واوعب، ونظم ابن مُعْطى اَسْلَس واعذب،، وذكر الصفدى عن الذهبى ان ابن مالك صنف الالفيّة لولده تقى الدين محمد المدعوّ بالاسد واعترضه العلامة العجيسى بأن الذى صنّفه له عن تحقيق المقدّمة الاسدية، قال وامّا هذه يعنى الالفيّة فذكر لى مَن اثق بقوله انه صنّفها برسْم القاضى شرف الدين هبة الله بن نجم الدين عبد الرحيم بن شمس الدين بن ابراهيم بن عفيف الدين بن هبة الله بن مسلم بن هبة الله بن حسّان الجهنى الحموى الشافعى الشهير بابن البارزى ويقال أنّ هذه النسبة الى باب أبْرَز احد ابواب بغداد ولكن خفف لكثرة دوره على الالسنة انتهى مختصرا، وقال بعض من عرف بابن مالك هو مقيم أَوَد، وقاطع لَدَد،، ومزيّن سمآء موّهت a الاصآئل ديباجتها، وشعشعت انْبُكَر زجاجتها،، وجاءت ايّامه صافية من الكدر، ولياليه وما بها شائبة من الكبر،، قد خلقها العشآء بِرَدْعه، وخلفها الصباح برَبْعه،، فكان كلّ متعيّن حول مساجده، وكل عين فاخرة بعساجده،، هذا وزُمَر الطلاب، وطلبة الاجلاب،، لا تزال تُزْجى اليه القِلاص، وتكثر من سِرْبه الاقتناص b،، كان اوحد وقته فى علم النحو واللغة مع كثرة الديانة والصلاح انتهى، قال بعض المغاربة

لقد مزّقت قلبى سهامُ جفونها	كما مزّق اللخمىّ c مذهب مالك
وصال على الأوصال بالقدّ قَدُّها	فاضحت كابيات بتقطيع مالك
وقلّدتُ اذذاك الهوى لمرادها	كتقليد اعلام النحاة ابن مالك
وملّكتُها رقّى لرقّة لفظها	وان كنتُ لا ارضاه مِلْكا لمالك
ونادَيتها يا منيتى بذْلُ مهجتى	وما لى قليل فى بديع جمالك

ويعنى بقوله بتقطيع مالك مالك بن المرحّل السبتى رحه، ولمّا سئل ابن مالك عن قول النبى صلعم الحور بعد الكور هل بالرآء او بالنون انكر النون فقيل له انّ فى الغريبين d للهروى رواية بالنون فرجع عن قوله الاوّل وقال انّما هو بالنون انتهى، وقد ذكر فى المشارق النون والرآء فقال الحور بعد الكور بالرآء رواه العُذْرى وابن الحذّا وللباقين بالنون معناه النقصان بعد الزيادة وقيل من الشذوذ بعد الجماعة وقيل

a) G. L. S. موهت. b) B. G. الافتتاص. c) Ibn-'Akîl (dans son *Commentaire sur l'Alfiya*, éd. Dieterici, p. 235) fait mention de ce grammairien. d) B. الغريب.

من الفساد بعد الصلاح وقيل القلة بعد الكثرة كار عمامته اذا لفها على راسه واجتمعت وحارها اذا نقضها فافترقت، ويقال حار اذا رجع عن امر كان عليه ووهم بعضهم رواية النون وقيل معناها رجع الى الفساد بعد النقص اى بعد ان كان على خير مما رجع اليه، وقال عياض فى موضع اخر الحور بعد الكور كذا للعذرى والكون للفارسى والشَّجَرى a وابن ماهان وقول عاصم فى تفسيره حار بعد ما كار وهى روايته ويقال ان عاصما وهم فيه انتهى، والسائل لابن مالك عن اللفظة هو ابن خلكان لان ابن الاثير سال ابن خلكان عنها فسأل هو ابن مالك رحم الله الجميع، وقد عرّف الحافظ الذهبى بابن مالك فى تاريخ الاسلام وذكر فيه ترجمة ولده بدر الدين محمد وانه كان حادّ الذهن ذكيّا اماما فى النحو وعلم المعانى والمنطق جيّد المشاركة فى الفقه والتدريس وانه تصدّر بعد والده للتدريس ومات شابّا قبل الكهولة سنة ٦٨٩ ومن اجلّ تصانيفه شرحه على الفيّة والده وهو كتاب فى غاية الاغلاق b ويقال انه نظير الرضى فى شرح الكافية وللناس عليه حواش كثيرة،

١٤٥ ومنهم ابو عبد الله محمد بن طاهر القيسى التدميرى ويُعرف بالشهيد كان عظيم القدر جدّا بالاندلس بعيد الاثر فى الخير والصلاح والعلم والنُّسك والانقطاع الى الله تعَ وكان من وجوه اهل كورة تدمير ذوى البيوت الرفيعة وبرع بخصاله المحمودة فكان فى نفسه فقيها عالما زاهدا خيّرا ناسكا متبتّلا نشأ على الاستقامة والصلاح والاهتدآء والدعة وطلب العلم فى حدثان سنّه ورحل الى قرطبة فروى الحديث وتفقّه وناظر واخذ بحظّ وافر من علم المسئلة والجواب وكان اكثر علمه وعمله الوَرع والتشدّد فيه والتحفّظ بدينه ومكسَبه ورسخ فى علم السنّة ثم ارتحل الى المشرق فمرّ بمصر حاجّا فاقام بالحَرَمَيْن ٨ اعوام يتعيّش فيها من عمل يده بالنسْخ ثم سافر الى العراق فلقى ابا بُكر الابهرى واخذ عنه واكثر من لقآء الصالحين واهل العلم ولبس الصوف وقنع وتورّع جدّا واعرض عن الشهوات وكان اذا سَئم من النسخ الذى جعل قوته منه آجَر نفسه فى الخدمة رياضة لها فاصبح عابدا متقشّفا مُنيبا مُخْبِتا عالما عامِلا منقطع القرين قد جرت منه دعوات مجابة وحُفظت له كرامات

a) Telle est la leçon de S.; B. السخرى ; G. السجرى ; L. السجزى. Je ne sais si c'est le même qu'Abou'ssa'ādāt Hibat allāh b. al-Chadjarī dont Ibn 'Akīl (p. 62 etc.) fait mention. b) Ce mot paraît altéré; je crois qu'il faut lire الانغلاق (*obscurité*; voyez Baiḍāwī, I, p. 2, l. 5.).

ثم عاد الى بلده تدمير سنة ٩ او ٣٧٧ وبها ابوه ابو الحسام طاهر حيّا فنزل خارج مدينة مرسيّة تورّعا عن سُكناه وعن الصلاة فى جامعها واتخذ له بيتا سقفه من حطب الشعْرآء يأوى اليه واعتمر ᵃ جُنَيْنة بيده يقتات منها وصار يغزو مع المنصور محمد بن ابى عامر ثم تحوّل من قريته بعد عامَيْن الى الثغر وواصل الرباط ونزل مدينة طلبيرة وكان يدخل منها فى السرايا الى بلد العدوّ فيغزو ويتقوّت من سُهمانه ويعول على فرس له ارتبطه لذلك وكان له بأس وشدّة وشجاعة وثقافة يحدّث عنه فيها بحكايات عجيبة الى ان استشهد مقبلا غير مُدبر سنة ٣٧٩ او فى التى قبلها عن ٤٢ سنة وابوه حىّ رحمه

١٤٦ ومنهم ابو عبد الله القيجاطى محمد بن عبد الجليل بن عبد الله بن جهور مولده سنة ٥٩٠ بقيجاطة وكتب عنه الحافظ المنذرى ومن شعره قوله

اذا كنت تهوى مَن نأتْ عنك داره ... فحسبُكَ ما تلقى من الشوق والبُعْدِ
فيا وَيْحَ صَبٍّ قد تصرّم نارُه ... ووا حَرّ قَلْبٍ ذابَ من شدّة الوجدِ

١٤٧ ومنهم ابو عبد الله ويقال ابو حامد محمد بن عبد الرحيم المازنى القيسى الغرناطى وُلد سنة ٤٧٣ ورحل الاسكندرية سنة ٥٠٨ وسمع بها من ابى عبد الله الرازى وبمصر من ابى صادق مرشد بن يحيى المدينى وابى الحسَن الفرّاء الموصلى وابى عبد الله محمد بن بركات بن هلال النحوى وغيرهم وحدث بدمشق وسمع ايضا بها وببغداد وقدمها سنة ٥٥٦ ودخل خراسان واقام بها مدّة ثم رجع الى الشام واقام بحلب سِنين وسكن دمشق وكان يذكر انه رأى عجآئب فى بلاد شتّى ونَسَبَه بعض الناس بسبب ذلك الى ما لا يليق وصنف فى ذلك كتابا سمّاه تحفة الالباب وكان حافظا عالما اديبا وتكلم فيه الحافظ ابن عساكر ورمّه بالكذب وقال ابن النجار ما علمتُه الا امينا ومن شعره قوله

تكتب العلم وتُلقى فى سَقَطْ ... ثم لا تحفظ لا تُفلح قطْ
انّما يُفْلح من يحفظه ... بعد فهم وتوقٍّ من غَلَطْ

وقوله العلم فى القلب ليس العلم فى الكُتُبِ ... فلا تَكُنْ مُغْرَما باللّهْو واللَّعِبِ

a) Voyez sur la signification de ce mot (*cultiver*) Dozy, *Script. Arab. loci de Abbad.*, I, 243, l. 7. b) B. حينئذ.

فاحفظه وافهمه واعمل كى تفوز به   فالعلم لا يُجتنَى الّا مع التَّعَبِ

توفى بدمشق فى صفر سنة ٥٩٥،

١٤٨ ومنهم ابو عبد الله محمد بن عبد السلام القرطبى من ذرية ابى ثعلبة الخشنى صاحب رسول الله صلّعم رحل قبل ٢٤٠ فحج وسمع بالبصرة من محمد بن بشّار وابى موسى الزمن ونصر بن على الجَهْضَمى ولقى ابا حاتم السجستانى والعبّاس بن الفرج الرياشى وسمع ببغداد من ابى عبيد القاسم بن سلام وبمكة من محمد بن يحيى العدنى وبمصر من سلمة بن شبيب صاحب عبد الرزاق والبرقى a وغيرهما وادخل الاندلس علما كثيرا من الحديث واللغة والشعر وكان فصيحا جزل المنطق صارما أنوفا منقبضا عن السلطان اراده على القضآء فابى وقال اباية اشفاق لا اباية عِصْيان فاعفاه وكان ثقة مامونا توفى برمضان سنة ٢٨٩ عن ٦٨ سنة رحه،

١٤٩ ومنهم ابو عبد الله محمد بن عبد الملك بن ايمن بن فرج القرطبى سمع من محمد بن وضاح واكثر عنه واخذ عن محمد الخشنى وقاسم بن اصبغ وابراهيم ابن قاسم بن هلال ورحل سنة ٢٧٤ b فسمع بمصر من المطلب بن شعيب والمقدام بن داود الرعينى وادرك بالعراق اسمعيل القاضى وعبد الله بن احمد بن حنبل، قال الحميدى حدّث بالمشرق والمغرب وصنّف السنن وممن روى عنه خالد بن سعد c وقال لنا ابو محمد بن حزم مصنّف ابنِ ايمن مصنّف رفيع احتوى من صحيح الحديث وغريبه على ما ليس فى كثير من المصنّفات وتوفى فى ذى القعدة سنة ٣٣٠ بقرطبة رحه،

١٥٠ ومنهم ابو عبد الله محمد بن عبد الملك بن ضيفون اللخمى الرصافى القرطبى الحداد وسمع بقرطبة من عبد الله بن يونس وقاسم بن اصبغ وحج سنة ردّ القرامطة سنة ٣٣٩ الحجر الاسود الى مكانه وسمع بمكة من ابن الاعرابى وبمصر من ابى الورد وابى على ابن السكن وعبد الكريم النسآءى وسمع بأطْرابُلُس والقيروان من جماعة وكان رجلا صالحا عدلا حدّث وكتب عنه الناس وعلت سنّه وتوفى فى شوال سنة ٣٩٤ وولد فيما اظنّ سنة ٣٠٢ وكانت وفاته بقرطبة وقد اضطرب فى اشيآء قُرئت عليه وممّن اخذ عنه الحافظ ابو عمر ابن عبد البرّ رحم الله الجميع،

١٥١ ومنهم ابو عبد الله محمد بن عبد الملك الخزرجى السعدى القرطبى روى عن

a) G. L. والبوقى. b) B. ٢٦٤. c) S. سعيد.

ابى الحسن على بن هشام وروى عنه ابو القاسم ابن بشكوال وقدم مصر وحدّث بها وممّن سمع منه بهآء ابن وردان وابو الرضى القيسرانى فى آخرين واستوطن مصر وتوفى سنة ٥٨٨ ؛

١٥٢ ومنهم ابو بكر ابن السرّاج النحوى بتشديد الرآء وهو محمد بن عبد الملك بن محمد بن السرّاج الشنتمرى احد ائمّة العربيّة المبرزين فيهما ويكفيه فخرا انه استاذ ابى محمد عبد الله بن برى المصرى اللغوى النحوى وحدّث عن ابى القاسم عبد الرحمن[a] بن محمد النفطى وقرأ العربيّة بالاندلس على ابن ابى العاقبة[b] وابن الاخضر وقدم مصر سنة ٥١٥ واقام بها واقرأ الناس العربيّة ثم انتقل الى اليمن روى عنه ابو حفص عمر بن اسمعيل وابو الحسن على والد الرشيد العطار وله تواليف منها كتاب تنبيه الالباب فى فضآئل الاعراب، وكتاب فى العروض، وكتاب مختصر العمدة لابن رشيق وتنبيه اغلاطه ؛ قالَ السِّلفى كان من اهل الفضل الوافر والصلاح الظاهر وكانت له حلقة فى جامع مِصْر لاقرآء النحو وكثيرا ما كان يحضر عندى رحمه مدّة مقامى بالفسطاط توفى بمصر سنة ٥٤٩ وقيل سنة ٤٥ وقيل ٥٥٠ برمضان والاول اثبت ؛

١٥٣ ومنهم ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن احمد بن على بن سعيد العنسى ويكنى ايضا ابا القاسم الاغرناطى سمع من الجلّة بمصر والاسكندريّة ودمشق وبغداد منهم الحرّانى ابو عبد الله وابو محمد عبد الصمد بن داود بدمشق وكتب الحديث بالرواية اتمّ رواية وفقد باصبهان حين استولى عليها الططر قبل ٦٣٠ ؛

١٥٤ ومنهم ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن الدفّاع بالدال المهملة وقيل بالرآء قرطبى سمع عبد الملك بن حبيب ورحل فسمع بمصر من الحارث بن مسكين وغيره وكان زاهدا فاضلا وتوفى سنة ٢٨١ رحمه ؛

١٥٥ ومنهم ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عابد المعافرى القرطبى وُلد بقرطبة سنة ٣٥٨ ودخل مصر فسمع من ابى بكر ابن المهندس[c] وابى بكر البصرى وروى عن ابى عبد الله ابن مفرج[d] وابى محمد الاصيلى وجماعة ولقى الشيخ ابا محمد ابن ابى زيد فى رحلته سنة ٣٨١ فسمع منه رسالته فى الفقه وغيرها وحج من عامه ثم عاد من مصر الى المغرب سنة ٣٨٢ وكان معتنيا بالاخبار والآثار ثقة فيما رواه وعُنى به خبيرا فاضلا ديّنا متواضعا متصاونا مقبلا على ما يعنيه صاحب حظّ من

a) S. الرحيم. b) S. العاقبه. c) B. المهندسى. d) G. S. مفرج.

الفقه وبصر بالمسآئل ودُعى الى الشورى بقرطبة فابى ومات سنة ٤٣٩، وعابد جدّه
بالبآء الموحدة رحم الله الجميع،

١٥٦ ومنهم ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن سليمان بن عثمان بن هاجر الانصارى
البلنسى اخذ القرآات عن جماعة من اهل بلده وخرج حاجا سنة ٥٧١ فجاور بمكة
وسمع بها وبالاسكندرية من السِّلفى وعاد الى بلده سنة ٥٩٩ وحدث وكان من اهل
الصلاح والفضل والورع كثير البرّ ومُفاداة الاسْرى ويحترف بالتجارة ومولده بعد سنة
٥٢٠ [a] ومات سنة ٥٩٨ بمرسية رحمه،

١٥٧ ومنهم ابو الوليد محمد بن عبد الله بن محمد بن خيرة القرطبى المالكى
الحافظ وُلد سنة ٤٧٩ [b] واخذ الفقه عن القاضى ابى الوليد ابن رشد والحديث عن
ابن عتّاب وروى الموطّأ عن ابى بحر سفيان بن العاصى بن سفيان واخذ الادب عن
مولانا ابى الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج الاموى وعن مالك بن عبد الله
العُتْبى وخرج من قرطبة فى الفتنة بعد ما درّس بها وانتفع الناس به فى فروع الفقه
واصوله واقام بالاسكندرية خوفا من بنى عبد المؤمن بن على ثم قال كأنّى والله
بمراكبهم قد وصلَتْ الى الاسكندرية ثم سافر الى مصر بعد ما روى عنه السلفى واقام
بها مدّة ثم قال والله ما مصر والاسكندريّة بمتباعد فسافر الى الصعيد وحدث فى قوص
بالموطّأ ثم قال والله ما يصلون الى مصر ويتاخرون عن هذه البلاد فمضى الى مكة
واقام بها ثم قال وتَصِل الى هذه البلاد ولا تحتجّ ما انا الّا هربت منه اليه ثم دخل
اليمن فلما رآها قال هذه ارض لا يتركها بنو عبد المؤمن فتوجّه الى الهند فادركتْه
وفته بها سنة ٥٥١، وقيل بل مات بزبيد من مُدُن اليمن، وكان من جلّة العلمآء
الحفاظ مُتْقِنا متفنّنا فى المعارف كلّها جامعا لها كثير الرواية واسع المعرفة حافل
الادب من كبار فقهآء المالكيّة يتصرّف فى علوم شتّى حافظا [c] للآداب عارفا بشعرآء
الاندلس وكان علمه اوفر من منطقه ولم يرزق فصاحة ولا حُسْن ايراد، قال ابن نقطة
خِيَرة بكسر الخآء المعجمة وفتح اليآء المنقوطة من تحتها باثنتين،

١٥٨ ومنهم ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابى الفضل السلمى المرسى
قال ابن النجّار ولد بمرسيّة سنة ٥٧٠ وقال غيره فى التى قبلها، وخرج من بلاد المغرب

a) S. ٥٣٠. b) B. S. ٤٨٩. c) Les man. portent حفظة.

سنة ٩٠٧ ودخل مصر وسار الى الحجاز ودخل مع قافلة الحجّاج الى بغداد واقام بها يسمع ويقرأ الفقه والخلاف والاصلين بالنظامية ثم سافر خراسان وسمع بنيسابور وهراة ومرو وعاد الى بغداد وحدّث بكتاب السنن الكبير للبيهقى عن منصور بن عبد المنعم الفراوى وبكتاب غريب الحديث للخطابى وقدم الى مصر فحدّث بالكثير عن جماعة منهم أمّ المويّد زينب وابى الحسن a المويّد الطوسى وخرج من مصر يُريد الشام فمات بين الزعقة والعريش من منازل الرمل فى ربيع الاول سنة ٩٥٥ ودفن بتل الزعقة وكان من الائمة الفضلآء فى جمع فنون العلم من علوم القرآن والحديث والفقه والخلاف والاصلين والنحو واللغة وله فهم ثاقب وتدقيق فى المعانى مع النظم والنثر المليح وكان زاهدا متورّعا حسن الطريقة متديّنا كثير العبادة فقيها مجردا متعفّفا نزه النفس قليل المخالطة لاوقاته طيّب الاخلاق متوددا كريم النفس، قال ابن النجار ما رايت فى فنّه مثله وكان شافعىّ المذهب وله كتاب تفسير القرآن سمّاه رِىّ الظمآن كبير جدّا، وكتاب الضوابط الكلّيّة فى النحو وتعليق على الموطّأ وكان مكثرا شيوخا وسماعا وحدّث بالكثير بمصر والشام والعراق والحجاز وكانت له كتب فى البلاد التى ينتقل اليها بحيث انه لا يستصحب كتابا b فى سفره اكتفآء بما له من الكتب فى البلد الذى يسافر اليه وكان كريما، قال ابو حيّان اخبرنى الشرف الجزائى بتونس انه كان على رحلة وكان ضعيفا فقال له خذ ما تحت هذه السجادة او البساط فرفعتُ ذلك فوجدتُّ تحته نحوا من ٤٠ دينارا ذهبا فاخذتُها، وقال الجمال اليغمورى انشدنى لنفسه بالقاهرة

قالوا فُلانٌ c قد ازال بهآءه ... ذاك العِذارُ وكان بدر تمامِ
فاجبتُهم بل زاد نور بهآئه ... ولذا تضاعف فيه فَرْطُ غُرامى
استقصرتْ ألحاظُه فتكاتها ... فاتى العِذارُ يمدّها بسهامِ

ومن شعره
من كان يرغب فى النجاة فما له ... غير اتّباع المصطفى فيما اتى
ذاك السبيلُ المستقيم وغيره ... سُبُل الغواية والضلالة والرّدى
فاتبعْ كتابَ الله والسُّنَنَ التى ... صحّت فذاك اذا تبعتَ هو الهُدى d
ودَعِ السُّؤال بكم وكيف فانّه ... باب يجرّ ذوى البصيرة للعَمَى

a) B. الحسين. b) G. L. S. كتبا. c) O. فلانا. d) O. الهوى.

ه الدينُ ما قال النبيُّ وصحْبُه   والتابعون ومَن مناهجَهم قَفا،

١٥٩ ومنهم ابو بكر محمد بن عبد الله البُنْتى الاندلسى الانصارى قدم مصر واقام بالقرافة مُدّة وكان شيخا صالحا زاهدا فاضلا وتوجّه الى الشام فهلك، قال الرشيد العطار كان من الفضلآء الاندلسيين ونبهآئهم ساح فى الارض ودخل بلاد العجم وغيرها من البلاد البعيدة وكان يتكلّم بألسنة شتّى، ومن شعره قوله

.. اذا قلّ منك السّعْىُ فالعزم a ناشد   وكل مكان فى مرآتك واحدُ

توجّهْ بصدق واتّقِ المين واقتصدْ   تجبْك b رهينات النجاح المقاصد

والبُنْتى بضمّ البآء وسكون النون نسبة الى بُنْت حصن بالاندلس ويقال بونت بزيادة الواو،

١٦٠ ومنهم ابو عبد الله محمد بن عبد الله الخولانى الباجى ثم الاشبيلى المعروف بابن القوق c سمع بقرطبة من جماعة ورحل الى المشرق سنة ٢٩٩ فسمع d بمكة من على ابن عبد العزيز وغيره وبمصر من محمد بن عبد الحكم ومن اخيه سَعْد وكان فقيها فى الرأى حافظا له عاقدا للشروط، قال ابن الفرضى كان رجلا صالحا ورعا ثقة وكان خالد بن سعيد قد رحل اليه وسمع منه وكان يقول اذا حدّث عنه كان من معادن الصدق توفى سنة ٣٠٨،

١٦١ ومنهم ابو عبد الله محمد بن عبد الله اللوشى الطبيب اشتغل بالطبّ وبرع فيه واقام بمصر مُدّة وبها مات فى عشر الستين وستمائة،

١٦٢ ومنهم ابو عبد الله محمد بن عبدون العذرى القرطبى رحل سنة ٣٣٧ فدخل مصر والبصرة وعُنى بعلم الطبّ ودبّر مارستان مصر ثم رجع d الى الاندلس سنة ٣٦٠ واتصل بالحكم المستنصر وابنه المؤيّد وله فى التكسير كتاب حسن، قال صاعد تمهّر بالطبّ ونبل e فيه وأحكم كثيرا من اصوله وعانى صنعة المنطق معاناة f صحيحة وكان شيخه فيه ابو سليمان محمد بن محمد بن طاهر بن بهرام السجستانى البغدادى وكان قبل ان يتطبّب مؤدّبا للحساب والهندسة واخبرنى ابو عثمان سعيد الطليطلى انه لم يلقَ فى قرطبة من يلحق محمد بن عبدون فى صناعة الطب ولا يجاريه فى ضبطها وحُسْن دُرْبَته فيها واحكامه لغوامضها،

١٦٣ ومن الراحلين الى المشرق من اهل الاندلس ابو مروان عبد الملك بن ابى بكر

---

a) L. S. فالعزم. b) B. تحبْك; G. L. تحيك. c) B. القوف; S. الفوق. d) S. ajoute بمن مصر e) B. وبرع. f) B. صناعة.

ابن محمد بن مروان بن زهر a الايادى الاندلسى صاحب البيت الشهير بالاندلس رحل المذكور الى المشرق وتطبّب به زمانا وتولى رئاسة الطبّ ببغداد ثم بمصر ثم القيروان ثم استوطن مدينة دانية وطار ذكره فيها الى أقطار الاندلس والمغرب واشتهر بالتقدّم فى علم الطبّ حتّى بذّ اهل زمانه ومات فى مدينة دانية رحمه، وولده محمد ابن مروان كان عالما بالرأى حافظا للادب فقيها حاذقا بالفتوى مقدّمـا فيها متقنا للعلوم فاضلا جامعا للدّراية والرّواية وتوفى بطلبيرة سنة ٤٢٢ وهو ابن ٨٦ سنة، حدّث عنه جماعة من علماء الاندلس ووصفوه بالدين والفضل والجود والبذل رحمه، وامّا ابو العلى زهر b بن عبد الملك المذكور فقال ابن دحية فيه انه كان وزير ذلك الدهر وعظيمه، وفيلسوف ذلك العصر وحكيمه،، وتوفى ممتحنا من نغلة بين كتفيه سنة ٥٢٥ بمدينة قرطبة انتهى، وكانت بينه وبين الفتح صاحب القلائد عداوة ولذلك كتب فى شانه الى امير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين ما صورته اطال الله بقآء الامير الاجلّ سامعا للندا، رافعا للتطاول والاعتدا،، لم ينظم الله الملك بلبّتك عقدا، وجعل لك حلّا للامور وعقدا،، وأوطأ لك عقبا، واصار من الناس لعونك منتظرا ومرتقبا،، الّا ان تكون للبريّة حائطا، وللعدل فيهم باسطا،، حتى لا يكون منهم من يضام، ولا ينال احدهم اهتضام، ولتقصر يد كلّ معتد فى الظلام،، وهذا ابن زهر الذى اجرته رسنا، واوضحت له الى الاستطالة سننا،، لم يتعدّ من الاضرار الّا حيث انهيته c ولا تمادى على غيّه الا حيث d لم تنهه او نهيته،، ولما علم انك لا تنكر عليه نكرا، ولا تغيّر له متى ما مكر فى عباد الله مكرا،، جرى فى ميدان الاذيّة ملأ عنانه، وسرى الى ما شآء بعدوانه،، ولم يراقب الذى خلقه، وامدّ فى الخطوة عندك طلقه،، وانت بذلك مرتهن عند الله لأنه مكّنك لئلّا يتمكن الجور، ولتسكن بك الفلاة والغور،، فكيف ارسلت زمامه حتى جرى من الباطل فى كل طريق، واخفق به كل فريق،، وقد علمت ان خالقك الباطش الشديد يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وما يخفى عليه نجواك، ولا يستتر عنه تقلّبك ومثواك،، وستقف بين يدى عدل حاكم، ياخذ بيد كل مظلوم من ظالم،، قد علم كل قضيّة قصاها لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الّا احصاها، فيم تحتجّ معى لديه، *اذ قد e وقفت انا وانت بين يديه،، اترى ابن

a) S. الزهير. b) S. زهير. c) L. الهبته; S. انتهيته. d) G. L. S. حين. e) L. B. S. اذا ✿

وهو ينجيك فى هذا المقام، او يحميك من الانتقام،، قد اوضحتُ لك المحجّه، لتقوم عليك الحجّه،، والله النصير، وهو بكل خلق بصير،، لا ربّ غيره والسلام انتهى،
وتذكرت هنا بذكر الفتح ما كتبه وقد مات بعض اخوانه غريقا

لقلقى وتَرْحلى بالعراق عشيّة ... ورحلُ المطايا قد قطعن بنا نجدا
نَعِىٌّ اطار القلب عن مستقرّه ... وكنتُ على قَصْد فاغلطنى القصدا

نَعَوْا والله بأَسْوَأَ الأخلاق لا يُخْلف، ورموا قلبى بِسَهم اصاب صميمَه فما أُخلف،، لقد سالم الردىّ منه حسنا ووسامه، وطوى بطيّه نجدا وتهامه،، فعطل منه الندى والندىّ، واثكل فيه الهدى والهدِى،، كم فلّ السيوفَ طولُ قِراعه، ودلّ عليه الضيوف موقد ناره ببَقاعه،، وكم تشوّف اليه السرير والمنبر، وتصرف فيه الثنآء المحبَّر،، وكم راع البدر ليلة ابداره، وروّع العدوّ فى عَقْر داره،، واىّ فتى غدا له البَحر ضريحا، واعدى عليه الحينُ مآء وريحا،، فبدّل ظلّ عُلًا ومفاخر، بقعر بحر طامى اللجج زاخر،، وبدّل من صهوات الخيل بلهوات اللجج والسيل a، غريق حكى مقلتى فى دمعها، وأضآءة نفسى فى سمعها،، ومن حزن لا استسقى له الغمام، فما له قبر تجوده، ولا ثرى تروى به تمائمه ونجوده،، وقد آليتُ أن لا أُودِع الريح تحيّه، ولا يورثنى هبوبها b اريحيّه d،، فهى التى اثارت من الموج حَنقا ومشت عليه خَببا وعَنقا حتى اعادته e كالكثبان، واودعته قضيب بان،، فيا أَسَفى لزلال غاص فى أُجلج، ولسلسال فاض عليه بحر عجّاج،، وما كان الا جوهر أُذْهِب f الى عنصره، وصدفا بان عن عين مبصره،، لقد آن للحسام، ان يغمد فلا يشام، وللحمام، ان تبكيه بكل اراكة وبشام، وللعذارى ان لا يحجبهنّ الخفر والاحتشام،، ينحن فتى ما ذرّت الشمس الاضر او نفع، ويبكين من لم يدع فقده فى العيش من منفع g،، فكم نعمنا بدُنُوّه، ونسمنا نسيم الانس فى رواحه وغدوه،، واقمنا بروضة موشيّه، ووقفنا بالمسرّات عشيّه،، وادَرْناها ذهبا سائله، ونظرناها وهى شائله،، لم نرِم السهر، ولم نشم برقا الا الكاس والزهر،، ولو غير الحمام زحف اليه جيشه، او غير البحر رجف به ارتجاجه وطيشه،، لفداه من اسرته h كل أَرْوَع ان عاجله المكروه تثبطه، او جاءه الشر تابّطه،، ولكنّها المنايا لا

---

a) G. L. S. والليل. b) S. واصاب. c) B. ريحها. d) S. ان يحيه. e) S. غادرته.
f) B. G. L. آداب ; B. ajoute ةآ. g) G. L. S. منتفع. h) G. S. اشرته.

تردّها الصوارم والاسَل، ولا تفوتها بتلبُ الغصا العُسّل»، قد فرقت a بين ملك وعقيل، واشرقت بعدهما جُذَيْمة بالحُسام الصقيل»، انتهى، وقد عرّفنا بالفتح فى غير هذا الموضع فليراجع، رجع الى بيت بنى زُهْر رحمهم الله وامّا ابو بكر محمد بن ابى مروان عبد الملك بن ابى العُلا زُهر المذكور فهو عين ذلك البيت وان كانوا كلهم اعيانا عُلماء روساء حكماء وزرآء وقد نالوا المراتب العليّة وتقدّموا عند الملوك ونُفّذت اوامرهم، قال الحافظ ابو الخطاب ابن دحية فى المطرب من اشعار اهل المغرب كان شيخنا الوزير ابو بكر ابن زُهر بمكان من اللغة مكين، ومورد من *الطلب عذب b مَعين»، وكان يحفظ شعْر ذى الرُمّة وهو ثُلْث لغة العرب، مع الاشراف على جميع اقوال اهل الطب، والمنزلة العُلْيا عند اصحاب المغرب مع سموّ النسَب، وكثرة الاموال والنشب»، صحبْتُه زمانا طويلا، واستفدتُ منه ادبا جليلا»، وانشد من شعره المشهور قوله

وموسّدين على الاكُف خدودَهم ... قد غالّهم نوم c الصباح وغالنى
ما زلتُ أسقيهم وأشرب فضلهم ... حتى سكرت ونالهم ما نالنى
والخمرُ تعلم كيف تاخذ ثارها ... انّى املتُ اناءها فامالنى

ثمّ قال ابن دحية وسالتُ عن مولده فقال ولدتُ سنة ٥٠٧ قال وبلغتنى وفاته اخر سنة ٥٩٥ رحّه انتهى، وزعم ابن خلكان ان ابن زهر الم فى الابيات المذكورة بقول الرئيس ابى غالب عُبَيد الله بن هبة الله d

عاقرتُهم e مشمولة لو سالمت ... شرابها ما سميتْ بعُقارِ
ذكرت حقائدها القديمة اذ غدت ... صَرْعى تُداسُ بأرجُل العَصّارِ
لانت لهم حتى انتشوا وتمكّنت ... منهم وصاحت فيهم بالثارِ

ومن المنسوب الى ابى بكر ابن زهر قوله فى كتاب جالينوس المسمّى بحيلة البرْء

حيلةُ البرْء صنعت f لعليل ... يترجى الحياة او لعليله g
فاذا جاءت المنيّةُ قالت ... حيلة البُرء ليس فى البرْء حيله

ومن شعره رحّه يتشوّق ولدا له صغيرا باشبيلية وهو بمراكش

وَلِى واحدٌ مثل فَرْخِ القَطاة ... صغيرٌ تخلّفتُ h قلبى لدَيْهْ

---

a) G. L. S. فرغت. b) Ibn-Khallikān (n°. 683) الطب. c) Ibn-Kh. بيوم. d) Ibn-Kh. ajoute الاصبعى. e) Ibn-Kh. عقرتهم. f) Ibn-Kh. صنفت. g) Ibn-Kh. تعليله, ce qui ne convient point au mètre. h) R. تخلّف.

وافردتْ عنه فيا وَحْشتيَ a لذاك الشخيص وذاك الوُجَيْه

تشوّقنى وتشوّقتُه فيبكى علىّ وأبكى عليهْ

وخدّ b تعب الشوق ما بيننا فمنه الىّ ومنّى اليهْ

واخبرنى الطبيب الماهر الثقة الصالح العلامة سيدى ابو القاسم ابن محمد الوزير الغسّانى الاندلسى الاصل الفاسى المولد والنشْأة حكيم حضرة السلطان المنصور بالله الحسَنىّ صاحب المغرب رضه أنّ ابن زهر لما قال هذه الابيات وسمعها امير المؤمنين يعقوب المنصور سلطان المغرب والاندلس اواخر المائة السادسة ارسل المهندسين الى اشبيليّة وامرهم ان يحتاطوا عَلَما ببيوت ابن زهر وحارَته ثم يبنوا مثلها بحضرة مرّاكش ففعلوا ما امرهم فى اقرب مدّة وفرّشها بمثل فرشه وجعل فيها مثل آلاته ثم امر بنقل عيال ابن زهر واولاده وحَشَمه وأسْبابه الى تلك الدار ثم احتال عليه حتى جاء ذلك الموضع فرآه اشبه شىء ببيته وحارته فحار لذلك وظنّ انه نائم وأنّ ذلك احلام فقيل له أدْخُل البيت الذى يشبه بيتك فدخله فاذا ولده الذى تشوق اليه يَلْعب فى البيت فحصل له من السرور ما لا يعبّر عنه هكذا هكذا والّا فلا لا c ومن نظم ابن زهر المذكور حين شاخ وغلب عليه الشيب

انّى نظرت الى المرآة قد d جُليتْ فانكرتْ مقلتاى كلما رأتا

رأيتُ فيها شُوَيْخا e لستُ اعرفه وكنتُ اعْهَدُه من قبل ذاك فتى f

فقلتُ اين الذى بالامس كان هنا متى ترحّل عن هذا المكان متى

فاستضحكتْ ثم قالت وهى معجبة انّ الذى انكرتْه مقلتاك اتى

كانت سُلَيْمى تنادى يا أُخىّ وقد صارت سليمى تنادى اليوم يا ابتا

والبيت الاخير ينظر الى قول الاخطل

واذا دعَوْنك عمّهنّ فانّه نَسَبٌ يزيدك عندهنّ خبالا g

واذا دعَوْنك يا أُخَىّ فانّه أدْنى واقرب خُلّة ووصالا

وقال ابن دحية فى حقّه ايضا والذى انفرد به شيخنا وانقادت اليه h طباعه وصارت

a) G. L. S. وحشتا. b) Ibn-Khall. لغد. c) Ces mêmes vers se trouvent aussi chez 'Abd-al-wāhid, p. 63, et chez Ibn-Khall. l. l. d) Ibn-Khall. et 'Abd-al-wāh. اذ. e) 'Abd-al-w. شنيخا. f) 'Abd-al-w. وكنت اعرف فيها ذاك فتا. g) B. L. S. et Ibn-Khall. l. l. (p. ٩٧) خبالا. h) G. L. S. لتخلية (lis. لتخليه); Ibn-Khall. لتحيله.

النبهآء فيه خَوله a وأتباعُه،، b الموشحات وهى زبدة الشعر ونخبته c، وخُلاصة c جوهره وصفوته،، وهى من الفنون التى اغرب d فيها e اهل المغرب على اهل المشرق، وظهروا فيها كالشمس الطالعة الضيآء المُشرق،، انتهى، ومن مشهور موشحات ابن زهر قوله

ما للمُولَه من سُكره لا يفيق وهذا مطلع موشح يستعمله اهل المغرب الى الآن ويرون انه من احسن الموشحات، ومن موشحاته قوله

سَلِّم الامــر للقضا فهـو للنفس انفَـعُ
وٱغتنمْ حين اقبلا وجــه بــدر تهـلّـلا لا تَـقُـلْ بـالهـموم لا
كلّما فـاض وانقضا ليس بالحُزْن f يرجعُ
واصطبحْ بـٱبنة الكرومْ من يدَىْ شادن رَخيمْ حين يفترّ عـن نظيمْ
فيه برقٌ قـد أومضا ورحيقٌ مشَـعْشَـعْ
أنـا أفْديه مـن رُشـا أهْيَف الـقـدّ والحشـا سُقِى الحسن فٱنتشا
مـذ تولّـى واعرضـا فـفـؤادى يُـقَـطَّـعُ
مَن لصبّ غدا مشوقْ ظـلّ فـى دمعه غريقْ حين أمّوا حِمَا العقيقْ
واستقلّوا بذى الغضا اسَـفـى يـومَ ودّعـوا
مـا ترى حين اظعنا g وسرى الركبُ موهِنـا واكتسا الليلُ بالسَّنا
نورهم ذا الذى أضا ام مع الركب يُوشَعْ

ورايتُ مع هذا موشحا آخر لا أدرى هل هو لابن زُهْر ام لا وهو هذا

فُتق المسك بكافور الصباحْ ووشت بـالروض أعْراف الريـاحْ
فاسقنيها قبل نور الفلقِ وغنـآء الوُرْق بين الوَرَقِ كاحمرار الشمس عند الشفقِ
نسج المَزْج h عليها حين لاح فلك اللهو وشـمـس الاصطباحْ
وغـزال سـامنى بـالمَلَقِ وبرى جسمى وأذْكى حَرَقى اهيف مذ i سلّ سيف j الحَدَقِ
قَصُرتْ عـنـه انـابيبُ الرمـاحْ وثنى الذعر مشاهيرَ الصِفاحْ
صار بالذلّ k فؤادى كَلِفا وجفون سـاحرات وطَـفـا كلما قلت جوى الحبّ آنطفا

a) B. S. et Ibn-Khall. حوله. b) Al-Makk. ونسبته. c) Ibn-Khall. وخالصة. d) Ibn-Khall. اغربت. e) G. L. بها ; Ibn-Khall. به. f) G. L. S. بالحسن. g) B. اظعنوا. h) B. المزج ; G. L. S. المرج. i) Ce mot manque dans G. B. j) G. B. سيوف. k) G. S. بالذل.

أمْرَضَ القلب بأجفانٍ صحاحْ   وسَبَى العقلَ بجدٍّ ومَزاحْ
يوسفيّ الحسن عذب المبسم   قمريّ الوجه ليلى اللِمَم   عَنْتَريّ الباس عِلْوى الهِمَم
غُصْنيّ القدّ مهضوم الوشاح   مادِرِيّ [a] الوَصْل صابِيّ السماح
قدّ بالقدّ فؤادى هيَفا   وسبى عقلِى لمّا أنعطفا   ليته بالوصل أحْيى دَنِفا
مستطار العقل مقصوص الجَناحْ   ما عليه فى هَوَاه من جُناحْ
يا علىّ انت نور المُقَل   جُدْ بوَصْل منك لى يا أمَلى   كم اغنّيك اذا ما لُحْتَ لى
طرقْتْ والليل ممدود الجَناحْ   مَرْحَبا بالشمس من غير صباحْ

٣٩٤ ومنهم ابو الحجاج الساحلى يوسف بن ابراهيم بن محمد بن قاسم بن على الفهرى الغرناطى، قال فى الاحاطة صدر من صدور حملة القرآن على وتيرة [b] الفضلاء وسُنن [c] الصالحين حج ولقى الاشياخ بعد ان قرأ على الاستاذ ابى جعفر ابن الزبير وطبقته، ومن نظمه يخاطب الوزير ابن الحكيم وقد اصابته حُمّى تركتْ على شفته بُثورا

حاشاك أن تمرض حاشاكا   قد اشتكى قلبى لشَكْواكا
ان كنتَ محموما ضعيف القوى   فانّنى احسُد حُمّاكا
ما رضِيَتْ حُمّاك اذ باشرت   جِسْمَك حتّى قبّلتْ فاكا

قال ابو الحجّاج رحمه وكتب الىّ شيخنا محمد بن محمد بن عتيق بن رشيق فى الاستدعاء الذى اجازنى فيه [d] ولمن ذكر معى

اجزتُ لهم أبقاهُمُ اللهُ كلَّ ما   رويتُ عن الاشياخ فى سالف الدَّهْر
وما سمعَتْ أذناى من [e] كل عالِم   وما جاد من نظمى وما راق من نثرى
على شرط اصحاب الحديث وضَبْطِهم   بَرِىءٌ من التصحيف عارٍ من [f] النكر
كتبتُ لهم خطّى واسمى محمّد   ابو القاسم المَكْنىّ ما فيه من نكر
وجدّى رشيق شاع فى الغرب ذكره   وفى الشرق ايضًا فادْرِ ان كنتَ لا تدرى
ولى مولد من بعد عشرين حجّة   ثمان على الستّ المئين ابتدا عمرى
وبالله توفيقى عليه توكّلى   له الحمد فى الحالَيْن فى العُسْر واليُسْر

ومولد ابى الحجاج المذكور سنة ٦٦٣ [g] وتوفى سنة ٧٠٣ [h] رحمه انتهى باختصار،

a) Voyez Harīrī, p. ٥١٧, et le Commentaire de M. de Sacy. b) *Ihāta* (man. de Paris) ونثرة. c) Ce mot manque dans les manuscrits d'al-Makkarī. d) Ce mot manque dans le manuscrit de l'*Ihāta*. e) *Ihāta* عن. f) Les man. portent عن. g) *Ihāta* ٦٦٧. h) *Ihāta* ٧٥٣.

ومن ارتحل من الاندلس الى المشرق شاعر الاندلس يحيى بن الحكم البكرى ١٩٥
الجيانى الملقب بالغزال لجماله وهو فى المائة الثالثة من بنى بكر بن وائل قال
ابن حيان فى المقتبس كان الغزال حكيم الاندلس وشاعرها وعرافها عُمِّر ٩٤ a سنة
ولحق b اعصار خمسة من الخلفاء المروانيّة بالاندلس اوّلهم عبد الرحمن بن معاوية
وآخرهم الامير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ومن شعره

ادركتُ بالمصر ملوكا اربعهْ   وخامسًا هذا الذى نحنُ معَهْ

وله على أُسْلوب ابن ابى حكيمة راشد بن اسحق الكاتب

خرجَتْ اليك وثوبها مقلوبُ   ولقلبها ضَرَبًا اليك وجيبُ
وكأنّها فى الدار حين تعرّضت   ظَبْى تَعلّل بالفلا مَرْعوبُ
وتبسّمَتْ فأتَتْك حين تبسّمت   بجُمان دُرٍّ لم يُشِنْه ثقوبُ
ودعَتْك داعيةُ الصِّبى فتطرّبتْ   نفسٌ الى داعى الضلال طَروبُ
حسبَتْك فى حال الغلام c كعهدها   فى الدار اذ غُصْن الشباب رطيبُ
وعرفت ما فى نفسها فضممتها   فتساقطَتْ بهَنانة رعبوبُ
وقبضتّ ذاك الشىء قبضة شاهن   فنزا d الىّ غصنك e صلبوبُ
بيدى الشمال ولا شمال لطاقة   ليست لاخرى والاديب أريبُ
فاصاب كفّى منه حين لمَسْتُهُ   بَلَلٌ كماء الورد حين يسيبُ
وتحلّلتْ نفسى للذّة رَشْحه   حتى خَشيت على الفؤاد يذوبُ
فتقاعس الملعون عنه وربّما   نادَيْته خيرا فليس يُجيبُ
وابا فحقّق فى الاباء كانّه   جبانٌ f يقاد الى الردى مكروبُ
وتغصّنت g جنباته فكانّه   كيرٌ تقادم عهْده مثقوبُ
حتّى اذا ما الصّبح لاح عموده   قَبَسا وحان من الظلام ذهوبُ
ساءلْتُها خجلا اما لك حاجة   عندى فقالت ساخرٌ خَرُوبُ h
قالت حَرامك i اذ اردتّ وداعها   قرن وفيه عوارض وشعوبُ

وذكرها ابن دحية بمخالفة لما سردناه قال عُتْبة التاجر وجّهنى الامير الحكم وابنه

a) O. ٧٤.   b) O. ولعى.   c) O. الغرام.   d) B. G. فنزا.   e) O. كعصة. Je suppose qu'il faut lire كعصنها.   f) O. جاد.   g) O. وتغصّصت.   h) S. حروب.   i) B. G. L. حرمك ; S.

عبد الرحمن الى المشرق وعبد الله بن طاهر امير مصر من قِبَل المامون فلقيته فسألنى عن هذه القصيدة هل احفظها للغزال قلتُ نعم فاستنشدنيها فانشدتُه ايّاها فسُرّ بها وكتبها، قال عُتْبة ونلتُ بها حظّا عنده والبَهْنانة المرأة الطيّبة النفس والارج كما فى الصحاح وقيل الليّنة فى منطقها وعلمها وقيل الضحاكة المتهلّلة a والرعبوب الشَّطة البيضآء والسَّبطة الطويلة، وقال سامَحه الله

سألتُ فى النَّوم ابى آدم فقلتُ والقلبُ به وامقُ
ابنُكَ بالله ابو حازم صلّى عليك الملك الخالق
فقال لى أن كان منّى ومن نَسْلى فحوّى امُّكم طالقُ

وقال اری اهلَ اليسار اذا تُوُفُّوا بَنوا تلك المقابرَ بالصُّخورِ
أبَوا الّا مباهاةً وفخْرا على الفقرآء حتى فى القُبورِ
فإن يكن التفاضل فى ذُراها فانّ العدل فيها فى القُعورِ
رضيتُ بمن تأنّق فى بنآء فبالغ فيه تصريف الدهورِ
أَلَمّا يبصروا ما خرّبتْه الـ ـمن المدآئن والقصورِ
لعمر ابيهم لو ابصروهم لما عُرف الغنىُّ من الفقيرِ
ولا عرفوا العبيد من الموالى ولا عرفوا الاناث من الذكورِ
ولا من كان يلبس ثوب صوف من البدنُ المباشر للحريرِ
اذا اكل الثرى هذا وهذا فما فضلُ الكبير على الحقيرِ b

وقال لا ومَن أُعملَ المطايا اليه كلُّ مَن يرتجى لديه نصيبا
لا ارى هٰهنا من الناس الّا ثَعْلبا يطلب الدجاج وذئبا
او شبيها بالقطّ الفى بعينَيْـ ـه الى فارة تُريد الوثوبا c

وقال قالت احبّك قلتُ كاذبة غُرّى بذا مَن ليس ينتقدُ
هذا كلامٌ لستُ اقبله الشيخ ليس يُحبّه احدُ
سِيّان قولك ذا وقولك ا نّ الريح نعقدُها فتنعقدُ
او أن تقولى النارُ باردة او أن تقولى المآء يتّقدُ

وحكى ابو الخطاب ابن دحية فى كتاب المطرب ان الغزال أُرسل الى بلاد المجوس

---

a) Les man. portent (B. G. L.) المتهالة ou (S.) المستهالة. b) O. الغقيبر ; L. الصغير.
c) Ce vers manque dans le man. O.

وقد قارب الخمسين وقد وخطه الشيب ولكنّه كان مجتمع الأشُدّ فسألتْه زوجةُ الملك يوما عن سِنّه فقال مداعبا لها ٢٠ سنة فقالت وما هذا الشيب فقال وما تنكرين من هذا الم ترىْ قطّ مُهْرَة تنتج *وهى شَهْبآءa فاعجبت بقوله فقال فى ذلك *واسم الملكة تُودَ b

كلّفتَ يا قلبى هوى مُتْعِبـا   غالبتَ c منه الضيغم الأَغْلَبـا

انّـى تعـلّـقـتُ مـجـوسـيّـةً   تابى لشمس الحُسْن أن تغربا

أقصى بلاد الله فى حيث لا   يُلْفِى اليـه ذاهـبٌ مذهبـا

يا تُودَd يا رُود الشباب التى   تطلع من آزرارهـا الكوكبا

يا بأبى الشخص الذى لا ارى   أَحْـلـى على قلبى ولا أَعْذَبـا

ان قلتُ يومـا انّ عينى رأتْ   مشبهه لـم اعـدُ ان اكذبـا

قـالـت ارى فَوْدَيْه قـد نـوّرا   دُعـابـةً تـوجـب ان اُدْعَبـا

قـلـت لـهـا مـا بالـه اِنّه   قـد ينتج المَهْر كذا أَشْهَبـا

فاستضحكتْ عُجْبا بقولى لها   وانّمـا قلتُ لكَيْ تعْجَـبـا

قال ولمّا فهمها الترجمـان شعر الغزال ضحكتْ وامرَتْه بالخضـاب فغدا عليها وقد اختضب وقال

بكَرَتْ تُحَسّن لى سَوادَ خضـابى   فكأنّ ذاك أعـادنى لشبـابى

ما الشيبُ عندى والخضابُ الواصفُ   الّا كشمس جُلّلَتْ بضبـاب

تخفى قليلا ثم يقشعها الـصبـا   فيصيرf ما سترتْ بـه لذهاب

لا تُنْكِرى وَضَحِ المشيب فـانّمـا   هـو زَهْرةُ الأفـهـام والألْبَـابِ

فلدىّ مـا تهْوَيْن من g شان الصِبَى   وطـلاوة الأخـلاق والآداب

انتهى، وحكى ابن حيّان فى المقتبس ان الامير عبد الرحمن بن الحكم المروانى وجّه شاعِرَه الغزال الى ملك الروم فاعجبه حديثه وخفّ على قلبه وطلب منه ان ينادمه فامتنع من ذلك واعتذر بتحريم الخمر وكانh يوما جالسا عنده واذا بزوجة الملك قد خرجت وعليها زينتها وهى كالشمس الطالعة حُسْنا فجعل الغزال لا يُميل طرْفَه عنها وجعل الملك يحدّثه وهو لاهٍ عن حديثه فأنكر ذلك عليه وامر الترجمانَ بسواله

a) Les man. portent وهو اشهب. b) Ces mots ne se trouvent que dans B. et S., qui portent نود au lieu de نُودَ. c) S. عاليت. d) B. G. L. S. نود. e) Les man. portent الذى. f) O. فيسير. g) O. مما. h) Lb. فكان.

فقال له عرّفه انّى قد بهرنىْ من حُسْن هذه الملكة ما قطعنى عن حديثه فانّى لم ار قطّ مثلها واخذ فى وَصْفها والتعجّب من جمالها وانها شوّقتْه الى الحُور العِين a فلمّا ذكر الترجمان ذلك للملك تزايدت حِظْوَتُه عنده وسُرّت الملكة بقوله وامرت الترجمان ان يسأله عن السبب الذى دعا المسلمين الى الخِتان وتجشُّم b المكروه فيه وتغيّر خلق الله مع خلوّه عن الفآئدة فقال للترجمان عرِّفْها انّ فيه اكبر فآئدة وذلك ان الغصن اذا زُبر قوى واشتدّ وغلظ وما دام لا يُفعَل به ذلك لا يزال رقيقا ضعيفا فضحكت وفطنتْ لتعريضه انتهى' ومن شعر الغزال قوله

يا راجيا ودّ الغوانى ضُلّة c   وفؤاده كَلِفٌ بهنّ موكّل
اِنّ النسآء لكالسروج حقيقةً   فالسّرج سَرجك ريثما لا تنزلُ
فاذا نزلتَ فانّ غيرك نازل   ذاك المكان وفاعلٌ ما تفعلُ
او منزل المجتاز اصبح غاديا   عنه وينزل بعده من ينزلُ
او كالثمار مُباحة اغصانها   تَدنو لاوّل من يَمُرّ فياكلُ
اعط الشبيبة d لا ابا لك حقّها   منها فانّ نعيمها متحوّلُ
واذا سلبْتَ ثيابَها e لم تنتفع   عند النسآء بكل ما تستبدلُ

وقال

قال لى يحيى وصرنا   بين مَوْج كالجبال
وتولّتنا   من دَبُور وشمال
شقّت القِلْعَين فانْبتّتْ f عُرَى تلك الحبال
وتمطّى مَلَكُ المو   تِ الينا عن حِبال
فرأينا الموت رَأْىَ الـ   بين حالا بعد حال
لم يكن للقوم فينا   يا رفيقى رأسُ مال

ومنها

وسُلَيْمى ذاتُ زُهْد   فى زهيد فى g وصال
كلّما قلتُ صِلِينى   حاسبتنى بالخيال h
والكَرَى قد منعَتْه   مُقلتى اخرى الليالى
وهى ادرَى فلماء ذا   دافعَتْنى بمحالِ i * اترى أنّا k اقتضينا
بعد شيئًا من نوال

a) Voyez le *Korān*, sour. 56, vs. 22. b) O. تجسم. c) Lb. ظلّة. d) O. الشبيبة; Lb. الشبابة. e) Telle est la leçon de O. La.; B. G. L. Lb. S. شبابها. f) B. G. وانبتت, L. وانبتّ. g) B. G. L. S. من. h) O. بالخبال. i) La. كلّما. j) O. بالمحال. k) Telle est la leçon du man. O.; les autres man. portent اترانى.

ولهٗ

مَن ظنّ أنّ الدهر ليس يُصيبه   بالحادثات فانّه مغرورُ

فالْقَ الزمان مهوّنا لخطوبه   وٱنجرّ حيث يجرّك المقدورُ

واذا تقلّبت الامور ولم تدم   فسوآءٌ ٱلمحزون والمسرورُ

وعاش الغزال ٩٤ سنة وتوفى فى حدود سنة ٢٥٠ سامحه الله، وكان الغزال افذع فى هجآء على بن نافع المعروف بزرياب فذكر ذلك لعبد الرحمن فامر بنفيه فدخل العراق وذلك بعد موت ابى نواس بمدّة يسيرة فوجدهم يلهجون بذكره ولا يُساوون شعر أحد بشعره فجلس يوما مع *جماعة منهم [a] فازْرَوا باهل الاندلس واستهجنوا اشعارهم فتركهم حتى وقعوا فى ذكر ابى نواس فقال لهم مَن يحفظ منكم قوله

ولما رايت الشربَ اكدت سمآؤهم [b]   تأبّطتّ زقّى [c] واحتبستُ [d] غنائى [e]

فلمّا اتيت [f] الحان ناديتَ ربّه   فثاب [g] خفيفَ الرّوح نحوَ نِدَآئى

قليلاً هجوع العين الّا تعلّة   على وجل منّى ومن نظرآئى

فقلتُ أذقْنيها فلما اذاقها   طرحتُ اليه رَيْطتى ورِدَآئى

وقلتُ اعِرْنى بِذْلة استترْ بها   بذلتُ [h] له [i] فيها طلاقَ [j] نسآئى

فوالله ما برّت يمينى ولا وفت   له غير أنّى ضامنٌ بوفآئى

فأُبتُ [k] الى صحبى ولم اك آئبا   فكلّ يفدّينى وحُقّ فدآئى

فاعجبوا بالشعر وذهبوا فى مدحهم له فلمّا افرطوا قال لهم خَفّضوا عليكم فانّه لى فندموا ذلك فانشدهم قصيدته التى اوّلها

تداركتُ فى شرب النبيذ خطآئى   وفارقتُ فيه شيمتى وحيآئى

فلما اتمّ القصيدة بالانشاد خجلوا وافترقوا عنه، وحكى ان يحيى الغزال اراد ان يعارض سورة قُلْ هُوَ ٱللّٰهُ أَحَدٌ [l] فلما رام ذلك اخذته هيبة وحالة لم يعرفها فاناب الى الله فعاد الى حاله، وحكى ان عبّاس بن ناصح الثقفى قاضى الجزيرة الخضرآء كان يَفِد على قرطبة وياخذ عنه أدبآؤها ومرّت عليهم قصيدته التى اوّلها

لعمرك ما البلوى بعارٍ ولا العَدَمْ   اذا المرء لم يعدم تُقى الله والكرمْ

a) B. جماعتهم. b) B. سمآءهم. c) B. O. رقى. d) B. G. La. Lb. L. S. واحتسبت. e) B. G. L. La. S. عندئى ; L. غذائى. f) Lb. اتبنا. g) S. نتاب. h) B. G. L. Lb. بذلت. i) Lb. لهم. j) Lb. انواف. k) B. G. L. Lb. S. وابت. l) Voyez sour. 112, vs. 1.

حتى انتهى القارئ الى قوله

تجافَ عن الدنيا فما لمعجز ولا عاجز الّا الذى خطّ بالقلمْ

فقال لـه الغزال وكان فى الحلقة وهـو اذذاك حـدث نظـام متادّب ذكـى القريحة ايّها الشيخ وما الذى يصنع مُفْعَل مع فاعل فقال له كيف تقول فقال كنت اقول فليس لعاجز ولا حازم فقال له عبّاس والله يا بُنىّ لقد طلبها عمّك فما وجدها وانشد يوما قوله من قصيدة

بقرتُ بطون الشعر فأستُفرغ الحشا بكفّىَ حتى آب خاوِيَه بَقْرِى

فقال له بكر بن عيسى الشاعر اما والله يا ابا العلى لئن كنتَ بقرت a الحشا لقد وَسّخت يديك ببَقْره b ومـلأْتها بـدمه وخبثت نفسك بنَتْنه وخشمت انفـك بعرفه فاستحيى عباس وأُفْحِم عن جوابه،

١٣٩ ومنهم الشهير بالمغارب والمشارق، المحلّى بجواهره صدورَ المهارق،، ابو الحسن على ابن موسى بن سعيد العنسى متمّم كتاب المُغْرِب فى اخبـار المَغرب، قـال فيه وانا اعتذر فى ابراد ترجمتى هنا بما اعتذر به ابن الامام فى كتاب سمط الجمان وبما اعتذر به الحجارى فى كتاب المسْهب وابن القطّاع فى الدرّة الخطيرة وغيرهم من العلمآء فمن نظمه عند ما ورد الديار المصريّة

اصبحتُ اعترض الوجوه ولا ارى ما بينها وجهًا لمن ادريه

عَـوْدى على بَدْئى ضلالا بينهم حتى كأنّى من بقايا التيه

ويـح الغريب توحشتْ ألحـاظه فى عـالم ليسوا له بشبيه

ان عاد لى وطنى أعترفتُ بحقه انّ التغرب ضاعَ عمرى فيه

وله من قصيدة يمدح ملك افريقية ابا زكريا يحيى بن عبد الواحد بن ابى حفص

الأُفـق طَـلْـق والنسيم رُخـآء والـروض وشّتْ بُـرْدَه الأنـدآء

والنهر قد مالت عـليـه غصونه فـكأنّـمـا هـو مقـلـة وَطْـفـآء

وبـدا نـثـارَ الجُلّنـار بصفحه فكانّما هـو حيّـة رَقْـطـآء

والشمس قـد رقمت طرازًا فوقه فـكـانّـمـا هـو حُـلّـة زَرْقـآء

٥ فأدِرْ كـؤوسك كى يتم لك المنَى وٱسمعْ الى مـا قالت الورقآء

a) L. استفرغت. b) Les man. portent بقرته.

تدعوك حيّ على الصبوح فلا تنَمْ   فعلَى المنام لذَى الصباح عَفَآء

ولَهُ ايضًا   كم جفانى ورُمْت ادعو عليه   فتوقفت ثم ناديتُ قائلْ

لا شفا اللهُ لحظَه من سقام   واراني عِذارَه وهو سائلْ

وقولَه من قصيدة كتب بها الى ملك سبتة الموفق ابى العباس احمد بن ابى الفضل النيشتى شافعا لشخص رغب فى خدمته

بالعدل قمتَ وبالسّماح فدنَ وجَدَ   لا فارَقَتْك كفاية وعطآء

ما كلُّ مَن طلب السعادة نالها   وطلاب ما يابى القضآء شقآء

ومنها   وقد استطار بأسْطُرى نحو النّدى   مَن أنهضَتْه لنحوك العليآء

طلب النباهة فى ذراك فما له   الّا لديك تأمُّل ورجآء

وهو الذى بعد التجارِب أُحمدت   احواله وجرى عليه ثنآء

لا يقرب الدنسَ المَريب كواصل   هجرته خوفا أن يشان الرآء a

وعلاك تقضى ان يسود بافقها   لا غرو ان تعلى الشهاب بهآء

وقوله من قصيدة

الف التغرّبَ والتوحّش مثل ما   الف التوحّش والنفورَ ظبآء

حجّابه الفوا التجهّم والجفا   فهُمُ لكلّ اخى هُدًى أعْدآء

مَهْما يرم طِلْبٌ اليه تقرُّبا   بعدَت بذاك البدر عنه سمآء

لكننى ما زلت اخدع حاجبا   ومراقبا حتى ألآن حبآء

والارض لم تظهر محجَّبَ نبتها   حتى حبَتْها الديمة الوطفآء

قيل وهذا معنًى لم يسمع من غيره وقوله فى خسوف البدر

شان الخسوفُ البدرَ بعد جماله   فكأنّه ماءٌ عليه عشآء

او مثلُ مرآةٍ لِخَوْدٍ قد قصت   نظرا بها فَعَلا الجلاء غشآء

وقوله من قصيدة عتاب

ولقد كسبتُ بكم عُلًى لكنّها   صارت باقوال الوشاة هَبآء

فغدوتُ ما بين الصحابة اجربا   كلّ يحاذر منّى الاعدآء

ولقد ارى ان النجوم تقلّ لى   حجبا واصغر ان احلّ سمآء

a) Après ce vers le man. S. ajoute: قد مارس الحرب الذبون زمانه   وجرت عليه شدة ورخآء.

فليهجروا [illegible] لذره ... ويساعدوا الزمنَ الخؤون جَفاء
فلقد [illegible] لهم اصالةَ وُدّهم ... ان لم اكن ارضى بهم خدمآء
[illegible] فذكرهمْ افلّ وانّما ... اومى اليك فتفهم الايمآء
[illegible] لم يكن فيدٌ لما فتكتْ ظُبى ... انت الذى صيّرتهم اعدآء
ولَو انّنى ارجو ارتجاعك لم اطل ... شكوى ولم أستبعد الاغضاء
لكن رايتُك لا تميل سجيّة[a] ... نحوى ولا تتكلف الاصغآء
ان[b] لم يكن عطْفٌ فمنّوا بالنّوى ... ان الكريم اذا أهين تنآى

وقوله

ولكم سرينا[c] فى مُتون ضوامر ... تثنى اعنّتها من الخيلاء
من ادهم كالليل حجّل بالضّحى ... فنشقّ غرّته من ابن ذكآء
او أشْهَب يحكى غدآئرَ اشيب ... خلعَتْ عليه الشُّهب فضلَ ردآء
او أشْقر قد نمقته ... كالمزْج نار بصفحة الصّهْبآء
او اد ر قد زيّنَ ... حتى بدا كالشّمْعة الصّفْرآء
طارت ولكن لا يهاض جناحُها ... هبّت ولكن لم تكن بِرُخآء

وقوله من ابيات فى اقتصاص بكر

وخريدة ما ان رايتُ مثالَها ... من الألحاظ بالايمآء
فسالتُها سمع الشكاة فأفهمت ... أن الرقيب جُهَيْنة الانبآء
وتبعتُها وسألتُ منها قُبْلة ... فى خلوة من أعْيُن الرقبآء
فثنت علىّ قوامَها بتعانُق ... احيى فؤادا مات بالبُرَحآء
ووجدتُّها لما ملكت عنانَها ... عذرآء مثل الدرّة العذرآء
جاءتْ الىّ كوردة حمرآء ... فتركتها كعراره صفرآء
وسلبتها ما احمرّ منها صفوه ... فجرى مذابا منجحا لرجآء

وقوله من ابيات

احبابنا عودوا علينا عَودة ... ما منكمُ بعد التفرّق مرغبُ
كم ذا اداريكم بنفسى جاهدا ... وكانّما ارضيكمُ كى تغضبوا
وازيد بُعْدا ما اقتربتُ اليكم ... كالسّهم بعْده[d] ما يُرى اذ يقربُ

a) B. G. سحيبة. b) L. اذ. c) B. G. شرينا. d) S. ابعد.

واجوب نحوكم المنازل جاهدا ومع اجتهادى فاتنى ما اطلبُ
كالبدر اقطع منزلاً فى منزل فاذا انتهيتُ الى ذراكم اغربُ

وقوله من ابيات

سألتك يا من بستلان فيصعُبُ ومن يترضى بالحياة فيغضب
اما خدّك البدر المنير فلمْ غدَتْ تحلّ به ضدّ القضية ª عقرب

وقوله وقد داعبه احد الفقهاء وسرق سكينه من حرز

انا سارقا ملكا مصونا ولم يجب على يده قطع وفيه نصاب
ستندبه الاقلام عند عشارها ويبكيه ان يعدْ الصوان كتابُ

وقوله فى تفاحة عنبر اهديت للملك الصالح نجم الدين ايوب

انا لون الشباب والخال اهد يتُ لمن قد كسا الزمان شبابا
ملك العالمين نجم بنى أ يوب لا زال فى المعالى شهابا ᵇ
جئتُ ملّآى من الثناء عليه من شكور احسانه والثوابا
لست ممن له خطاب ولكن قد كسانى أريجُ عَرفى خطابا

وقوله من قصيدة فالحمد لله على ساعة قد قربتنى من على الصا
وليعذر المولى على اننى قد كنت عن عليائه فى جانبِ
كمن انى نافلةً اوّلا ثم اتى من بعد ᶜ بالواجبِ

وقوله من ابيات

فان كنت فى ارض التغرب غاربا فسوف ترانى طالعا فوق غاربِ
فصمصام عمرو حين فارق كفه رموه ولا ذنب لعجز المضاربِ
وما عزه الضرغام الّا عرينه ᵈ ومن مكة سادت لُوىّ ابن غالبِ

وقوله فى فرس اصفر اغرّ اكحل الحلّية

*واجد ᵉ تبريّ انرت به السرى وللفجر فى خصر ᶠ الظلام وشاح
له لون ذى عشق وحسن معشق لذلك فيه لذة ᵍ ومراح
عجبت له وهو الاصيل بعرفه ظلام وبين الناظرين صباح
يقدّ ضبر اللحظ والوحش عندما يطير به نحو النجاح جناح

ᵃ) S. النصيبة. ᵇ) B. G. L. S. مهابا. ᶜ) S. بعده. ᵈ) S. عرينه. ᵉ) L. واجرت ; je crois qu'il faut lire وأَجْرَدَ. ᶠ) S. خصر. ᵍ) B. G. L. ذلة.

وقوله من ابيات

اذا ما غراب البين صاح فقل له   ترفّق رماك الله يا طير بالبُعْد
لانت على العُشّاق اقبح منظرا   واكره فى الابصار من طلعة اللّحْد
تصيح بنوح ثم تعثر ماشيا   وتبرز فى ثوب من الحزن مسْوَدّ
متى لحتَ صحّ البينُ وانقطع الرجا   كانّك من وُشْك a الفراق على وَعْد

وقوله فى غلام جميل الصورة اهدى تفاحة

ناب ما اهديتَ عن عُرْ   فٍ وعن ريقٍ وخدِّ
حبّذا تفاحة قد   اشبهَتْ اوصافَ نَهْدِى b
فكأنْ قد بتّ عندى   بتُّ منها فى سرور

وقوله من قصيدة

هذا الذى يهب الدنيا باجمعها   وبعد ذلك يلقى c وهو يعتذرُ
ان هزّه المدح فالاموال فى بِدَر   والغصن ما هُزّ الّا بُدّد الثمرُ
مَتّع لحاظك فى وجه بلا ضرر   ان كان شمسا بداه تحتها مطرُ

وقوله من ابيات

لى جيرة ظنّوا d علىّ وجاروا   فنبَتْ بِى الاوطانُ والاوطارُ
ومن العجائب انّنى مع جورهم   ما قرّ لى بعد الفراق قرارُ

وقوله

انا شاعر اهوى التخلّى دون ما   زوجٍ لكيما تخلص الافكارَ
لو كنت ذا زَوْج لكنت منغّصا   فى كل حين رزقها امتارَ
دعنى ارح طول التغرّب خاطرى   حتى اعود ويستقرّ قرارُ
كم قائل لى ضاع شرخ شبابه   ما ضيّعتْه بطالةٌ وعقارُ
ه اذ لم ازل فى العلم اجهد دائما   حتى تأتّتْ هذه الابكارُ
مهمى ارم من دون زوج لم اكن   كلا ورزقى دائما مدرارَ
واذا خرجتْ لفُرْجة هُنيّتُها   لا صنعة ضاعت ولا تذكار

وقوله من قصيدة

ما كنتُ احسبُ ان اصبح وانت فى الد   نيا وان امسى غريبا مُعْسِرا
انا مثل سهم سوف يرجع بعدما   اقصاه راميه الماجيد ليخبرا

---

a) B. G. S. وشى. b) B. G. L. مهدى. c) B. G. L. يلغى. d) L. S. ضنّوا.

وقوله   وافى علىّ لنا بسيف a   والبين قد حان والوداعُ
فقال شبّهْ فقلتُ شمسٌ   قد مُدّ من نورها شُعاعُ

وقوله من قصيدة فى ملك اشبيلية الباجى وقد هزم ابن هود

لـلـه فرسانٌ غـدت رأيـاتـهـم   مثل الطيور على عداك تُحلّق
الشمس تنقط ما تُسطّر بيضهم   والـنـقـع يشْـرب والدمآء تخلّـق

وقال ارتجالا بمَحْضَر زكى الدين ابن ابى الاصبع وجمال الدين ابن الحسين الجزار المصرى الشاعر ونجم الدين ابن اسرآئل الدمشقى بظاهر القاهرة وقد مشى احدهم على بساط b نرجس   يا واطئ النرجس مـا تستحى   ان تطأ الأعْيُنَ بالارجُلِ

فتهافتوا بهذا البيت وراموا اجازته فقال ابن ابى الاصبع مجيزا

فقلتُ c دعنى لم ازل محرجاه   على لحاظ الرشأ الاكحل

وكان امثل ما حضرهم ثم ابوا ان يجيزه غيره فقال

قابلْ جفونا بجفون ولا   تُبـدّل d الارفع بالأسْفَل

وقوله فى الجزيرة الصالحية بمصر وهى الشهيرة الآن بالروضة

تـأمّـلْ لحسن الصـالحيّة اذ بدت   مـنـاظرهـا مثل النجوم تـلألا
وللقلعة الـغـرّاء كـالـبـدر طـالعـا   تفجّر صـدر الـمـآء عنه هلالاً
ووافـى اليهـا النيل من بعد غـايةٍ e   كما زار مشغوف يـروم وصـالا
وعـانقهـا مـن فرط شـوق بحسنهام f   فمدّ يـمـيـنـا نحوها وشمالا
جرى قادمًا بالسّعد فاختطّ حولها   من السّعْد اعلاما بذلك دالّا

وقوله من ابيات فى ملك افريقيّة وقد جهّز ولدَه الامير ابا يحيى بعَسْكر

وقد ارسلتَه نحوَ الاعادى   كما جرّدتّ من غِمْد حساما

وقوله فى قوس g

انـا مثل الهلال h فى ظُلَم النّقْـــــعِ سهامى تُنْقض مثل النجوم
تقصر القُضْب والقَنا عن مجالى   عـنـد رجمى بها لكل رجيم
قد كستها الطيور لمّـا راتهـا   كـافـلات لـهـا برزق عـمـيم

a) B. G. L. بسيطا. b) Ce distique se trouve aussi dans l'*Ihāta*, qui porte نعل. c) Al-Makkarı (plus loin) et *al-Ihāta* محنقا. d) B. G. L. تبتذل ; S. تنبدل ; *al-Ihata* تبتدل. e) S. عـابة. Je crois qu'il faut lire غيبة. f) L. نحسنها. g) L. قوس. h) S. الحسلم.

وقوله من ابيات

وأشقر مثل البرق لونا وسرعة   قصدت عليه عارض الجوّ فانهمى

ولنذكر ترجمته من الاحاطة ملخصة فنقول قال لسان الدين على بن موسى بن عبد الملك بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر بن كنانة بن قيس بن الحصين العَنسى المدلجى من اهل قلعة يحصب غرناطى قلعى. سكن تونس ابو الحسن بن سعيد هذا الرجل وسطى عِقْد بيته وعَلَمُ اهله ودرة قومه المصنّف الاديب الرّحّال الطُّرْفة الاخبارى العجيب الشان فى التجول فى الاقطار ومداخلة الاعيان التمتّع بالخزآئن العلميّة وتقييد الفوآئد المشرقيّة والمغربيّة اخذ عن اعلام اشبيليّة كابى على الشلوبين وابى الحسن الدباج وابن عصفور وغيرهم وتواليفه كثيرة منها المرقصات والمطربات والمقتطف من ازاهر الطرف والطالع a السعيد فى تاريخ *بنى سعيد تاريخ بيته وبلده b والموضوعان الغريبان المتعدّده الاسفار وهما c المُغْرِب فى حلى المَغْرب والمُشْرِق فى حلى المشرق وغير ذلك مما لم يتصل الينا d فلقد حدّثنى الوزير ابو بكر ابن الحكيم انه تخلف كتابا يسمّى المرزمة يشتمل على وقر بعير من رزم الكراريس لا يعلم ما فيه من الفوآئد الادبيّة والاخبارية e الا الله تعالى وتعاطى نظم الشعر فى حدّ من الشبيبة يعجب فيه من f مثله فيذكر انه خرج مع ابيه الى اشبيلية وفى صحبته g سهل بن مالك فجعل سهل بن مالك يباحثه عن نظمه الى ان انشده فى صفة نهر والنسيم يردّده والغصون تميل عليه

كأنّما النهر صفحة كُتبتْ   أَسْطرها والنسيم يُنْشئها

لمّا ابانت عن حسن منظرها   مالت عليها الغصون تَقْرؤها

فطرب واثنى عليه ثم ناب عن ابيه فى اعمال الجزيرة ومارج الادبآء ودوّن كثيرا من نظمه ودخل القاهرة فصنع له ادبآؤها صنيعا فى ظاهرها وانتهت بهم الفرجة الى روض h نرجس وكان فيهم ابو الحسن الجزار فجعل يدوس النرجس برجْله فقال ابو الحسن   يا واطئ النرجس البيت i   فتهافتوا بهذا البيت وراموا اجازته فقال

---

a) S. المطلع. b) *Al-Ihāta* (man. de Paris) بيته وبلده. c) B. G. المتعرط. d) *Al-Ihāta* هو. e) Les man. portent واخبارية. f) S. لعاجز عن. g) Al-Makk. صحبة. h) Al-Makkarī ضوا. i) Voyez p. ٩٣٩.

ابن ابى الاصبع فقلت شعلى البيت a وكان امثل ما حضرهم ثم ابوا ان يجيزه غيره فقال قابلْ جفوننا البيض b ثم استدعاه سيف الدين ابن سابق الى مجلس c بضفّة النيل مبسوط بالورد وقد قامت حوله شمّامات نرجس فقال فى ذلك

مَن فضّل النرجسَ فهو الذى يرضى بحكم الوَرْد اذ يرأسْ
اما ترى الوَرْد غدا قاعدا وقام فى خدمته النرجسْ

ووافق ذلك مماليك الترك وقوفا فى الخدمة على عادة المشارفة فطرب الحاضرون ولقى بمصر ايدمر التركى والبهآء زهيرا وجمالَ الدين ابن مطروح وابن يغمور وغيرهم ورحل صحبة كمال الدين ابن العديم الى حلب فدخل على الناصر صاحب حلب فانشده قصيدة اوّلها

جُدْ لى بما القى الخيال من الكرَى لا بُدّ للضيف d المُلِمّ من القِرَى

فقال كمال الدين هذا رجل عارف وَرِق e بمقصوده من اوّل كلمة وهى قصيدة طويلة فاستجلسه السلطان وسأله عن بلاده ومقصده بالرحلة فاخبره انه جمع كتابا فى الحُلى البلادية والعُلَى f العبادية المختصّة بالمشرق واخبره انه سمّاه المُشْرِق فى حُلى المَشْرِق وجمع مثله فسمّاه المُغْرِب فى حلى المَغْرِب فقال نعينك g بما عندنا من الخزائن ونوصّلك الى ما ليس h عندنا كخزآئن الموصل وبغداد وتصنّف لنا المغربة فخدم على عادتهم وقال امرُ مولاى بذلك انعامٌ وتانيس ثم قال له السلطان مداعبا ان شعرآءنا ملقّبون بأسمآء الطيور وقد اخترتُ لك لقبا يليق بحسن صوتك وايرادك بالشعر i فان كنت ترضى به والّا لم يعلمه غيرُنا وهو البُلْبُل فقال قد رضى المملوك يا خوند فتبسّم السلطان وقال له ايضا يداعبه اخترْ واحدةً من ثلاث امّا الضيافة التى ذكرتَها اوّل شعرك وامّا جائزة القصيدة وامّا حقّ الاسم فقال يا خوند المملوك ممن لا يختنق بعشر لُقَم j فكيف بثلاث فطرب السلطان وقال هذا مغربى ظريف ثم تبعه من الدنانير والخلع الملوكيّة والتواقيع بالارزاق ما لا يوصَف ولقى بحضرته عون الدين العجمى وهو بحرٌ لا تنزفه الدلآء والشهاب التلعفرى والتاج ابن شقير وابن نجيم الموصلى والشرف ابن سليمان الأَرْبلى وطآئفة من بنى الصاحب ثم تحوّل الى دمشق ودخل

a) Voyez p. ٩٠٩. b) Voyez p. ٩٣٩. c) *Al-Iḥāta* مجلسه. d) *Al-Iḥāta* للحليف. e) *Al-Iḥata* وانحل. f) Al-Makk. B. G. L. تغنيك. g) *Al-Iḥāta* لا. h) Ce mot manque dans les man. d'al-Makk. i) *Al-Iḥata* الشعر. j) Al-Makk. ajoute لانه مغربى اكول.

الموصل وبغداد ودخل مجلس السلطان المعظم *ابن الملك الصالح *a* بدمشق وحضر مجلس خلوته وكان ارتحاله الى بغداد فى عقب سنة ٦٤٨ فى رحلته الاولى اليها ثم رحل الى البصرة ودخل أرّجان وحج ثم عاد الى المغرب وقد صنف فى رحلته مجموعا سمّاه بالنفحة المسْكيّة فى الرحلة المكّية وكان نزوله بساحل *b* مدينة أقْليبية *c* من افريقية فى احدى جمادَىْ *d* سنة ٦٥٢ واتصل بخدمة الامير ابى عبد الله المستنصر فنال الدرجة الرفيعة من حظوته، حدثنى شيخنا الوزير ابو بكر ابن الحكيم أن المستنصر جفاه فى آخر عمره وقد اسنّ لجرآء خدمة مالية أسْندها اليه وقد كان بلآء منه قبل *e* جفوة اعقبها انتشال وعناية فكتب اليه بنظم من جملته

لا ترعنى بالجفا ثانية   فرقّ له وعاد الى حُسْن النظر فيه الى ان توفى تحت برّ ورعاية *f* مولده بغرناطة ليلة الفطر سنة ٦١٥ *g* ووفاته بتونس فى حدود *h* ٦٨٥ انتهى باختصار، وذكرت *i* حكاية اجازته *j* فى النرجس وان تقدّمت *k* لاتصال الكلام، قلت قد كنت وقفت على بعض ديوان شعره المتعدّد الاسفار ونقلت منه قوله من قصيدة يهنّئ ابنَ عمّه الرئيس ابا عبد الله بن الحسين بقدومه من حركة هوّارة

امـا واجـب ألّا يـحـولَ وجـيـبُ *l*   وقـد بعدت دار وخـان حبيبُ
وليس الـيـف غـيـر ذكر وحَسْرة   ودمـع على مَن لا برقّ صبيبُ
وخفْق فؤادٍ ان هفا *m* البرقُ خافقا   وشوق كما شآء الهوى ونحيبُ
وبعذلنى من ليس يعرف *ما الهوى *n*   وعذلُ مشوقٍ فى البكآء *o* عجيبُ *p*
الا تعس *q* اللوّام فى الحب قد عموا   وصمّوا ودآئى ليس منه طبيبُ
يرومون ان يثنى الملام *r* صبابتى   وليس الى داعى الملام اجيب
وشأنى اذا مـا غبتُ عنكم مجدّدٌ   وغيرِىَ ذو غـدر *s* أوانَ بغيب *t*
ولو لـم يكن منّى الوفآء سجيّة   لكنتُ لغير ابن الحسين أُنيبُ
سَمَوْءلُ هـذا العصر حـاتم جوده   مُـهَـلّـبُـه مـا مـارسَـتْـه حـروبُ

a) Ces mots manquent dans les man. d'al-Makkarī. *b*) S. بساحة. *c*) Al-Makk. اقليبة. *d*) *Iḥāta* جمادين. *e*) Al-Makk. B. G. L. بلا. *f*) Al-Makk. وعناية. *g*) Al-Makk. ٦١٠. *h*) *Iḥāta* احواز. *i*) S. وحكى. *j*) B. G. L. S. ajoutent بنته. *k*) B. G. تقلّصت. *l*) O. رجيب ; Lb. حبيب. *m*) La. بدا ; Lb. خفا. *n*) Lb. بالهوى. *o*) La. O. الغرام. *p*) S. غريب. *q*) B. G. L. La. Lb. نفس. *r*) B. G. L. Lb. S. الغرام. *s*) O. S. عذر. *t*) G. Lb. يعيب

فتى سيّر الامداح شرقا ومغربا … ابو دَلَف من دونه وخصيبُ
اذا رقّم القرطاسَ قلتُ ابن مُقْلة … وان نظم الاشعار قلت حبيبُ
وان نثر الاسجاع قلت سميه a … وان سرد التاريخ قلت عريبُ b
وما احرز الصوليّ آدابَه التى … اذا ما تلاها لم يجبه اديبُ c

ومنها

وأمّا اذا ما الحرب اخمد نارها … ففيه تلظّ مارج ولهيبُ
فكم قارعِ الأبطال فى كلّ وجهة … نحاها وكم لقّت عليه حروبُ
كَأيّنْ d له بالغرب من موقف له … حديث اذا يتلى تطير قلوبُ
بمرّاكش سلْ عنه تعلمْ غناءه e … وقد ساءه f يوم هناك عصيبُ
اذا ما ثنى الرمح الطويل كأنّه … مدبر لغصن الخيزران لَعوبُ
وان جرّه ابصرتَ نجما مجرّرا g … ذُؤابتَه منه الكُماةُ تذوبُ
بهيم h به ما ان يزال معانقا … له ركعات i ما تحوز كعوبُ
محمدُ لا تبدى j الذى انت قادر … عليه وخفْ عينا علاك تصيبُ
نفوذُ k سهام العين اودى بمصعَب … وطاح به بعد الشبوب شبيبُ
الا فهنيئا l ان رجعت لتونس … فاطلعت شمسا والشفار m غروبُ
كواكبها تبدو اذا ما تركتَها … وقد جَعلت مهما حضرتَ تغيبُ
اذا سُدتَّ فى ارض فغيرك تابع … علاك ومهما ساد فهو مُرِيبُ n

ومنها

كفانىَ أنّى أستظل بظلّكم … ومن هاب ذاك المجدَ فهو مهيبُ
فاصْلُك اصلى والفروعُ تباينت … بعيد على من رامه وقريبُ
وحَسْبىَ فخرا ان اقول o محمد … نسيب علىّ جلّ p منه نصيبُ
تركت جميع الاقربين لقصده … على حينِ حنت فتنةٌ وخطوبُ
رابتْ به جنّات عدن فلم ابل … اذا اوصلَتْنا للخلود q شعوبُ
فقبّلتُ كفّا لا أُعابُ بلثمها … واسدى الايادى لَثْمُهنّ وجوبُ

a) B. G. L. La. سميّة. Je crois qu'il faut lire سمىّ. b) La. Lb. O. غريب. c) Lb.. d) Les man. portent وكأيّن e) La. عماءه; Lb. عناءه; O. عناءه. f) G. L. La. Lb. S. ساءهم g) O. محررا. h) Lb. بيهمّ. i) La. O. راكعات. Je dois avouer que je ne comprends pas le sens de ces mots. j) G. L. تبد. k) O. نعود; Lb. حمل. l) L. ترصب. m) La. والسفور; S. والسدر. n) La. غريب. o) S حول. p) La. جد. q) La. O. للحنوب.

ولو كان قدرى [illegible] العلّى … لحقّ بأن يعلو الشبابَ مشيبُ [a]
وكيف [illegible] كالرجْل فرقتْ … شيَات [b] لعمرى بيننا وضروبُ
ولو لا [illegible] من مكرِ حاسدٍ … اتاك بقول وهو فيه كذوبُ
[illegible] محتاجا لقولى آنفا … تخلّيت من ذنب وجئتُ اتوبُ
اذا كنتُ ذا طوع وشكرٍ وغبْطة … فمن اين لى يا ابن الكرام ذنوبُ
لقد كنت معتادا ببشرٍ فما الذى … تقلّدته حتى يزال قُطوبُ
ءأن رفع السلطان سَعْيِى [e] بقدركم [f] … اخلّاء عن ورد لكم واخيبُ
فاحسب ذنبى ذنب صَخْرٍ بدارها … أَلِي البرُّ عند الخابرين مغيبُ
وحاشاك من جَوْرٍ علىّ وانّما … اخاطب من أُصْفِى [g] له فيشوبُ [h]
صحاب هم الداء الدَّفين فليتنى … ولم ادن منهم للذئاب [i] صحوبُ
كلامُهمْ شَهْد ولكنّ فعلهم … كسْمٍ [j] له بين الضلوع دبيبُ [k]
سأرحل عنهم والتجاربُ لم تدع … بقلبى لهم شيئا عليه أثيبُ
اذا اغترب الانسان عمّن يسوءه … فما هو فى الابعاد عنه غريبُ
فداركْ برأْيٍ [l] منك ما قد خرقته … ليحسُن منى مشهد ومغيب
ولا تستمعْ قولَ الوُشاة فانّما … عدوهم بين الانام [m]
فيا ليت انى لم اكن متأدّبا … ولم يك اصل لى هناك رسوبُ
وكنتُ لبعض الجاهلين محبّبا [n] … فها انا لهمّ المُلمّ حبيب [o]
وما ان ضربت الدهر زيدا بعمره … ولم يك لى بين الكرام [p] ضريب
أأشكوك ام اشكو اليك فما عدت … عداتىَ حتى حان [q] منك ونوبُ
سأشكر ما اولى [r] واصبر للذى … توالى على انّ العزاء سليبُ
فدُمْ فى سرور ما بقيتَ فاننى … وحقّك مذ دبّ الوشاةُ كئيبُ

قال وكان سبب التغيّر بينى وبين ابن عمّى الرائس المذكور انّ ملك افريقية

a) S. شبيب. b) O. فكيف. c) L. شتات. d) La. تلقانى. e) La. شعبى. f) Lb. بقربكم g) La. O. اصغو. h) O. La. فيسوب. Cf. Harîrî (2e éd.), p. 280. i) La. للديار. j) S. كسهم. k) G. L. دنيب. l) B. G. L. S. براب. m) La. يخيب. n) G. L. Lb. S. مجنّبا. o) L. S. جنيب; G. خبيب. p) La. O. الانام. q) G. L. Lb. S. كان. r) G. L. S. ولى

استوزر لاشغال الموحّدين ابا العُلى ادريس بن على بن ابى العُلى بن جامع فاشتمل علىّ واولانى من البرّ ما فيّدنى واملا قلبى اليه مع تاكيد ما بينه وبين ابن عمّى من الصحبة فلم يزل ينهض بى ويرفع امداحى للملك ويوصل اليه رسآئلى منبّها على ذلك مرشحا الى ان قبض الملك على كاتب عسكره وكان يقرأ بين يديه كتب المظالم فاحتيج الى من يخلفه فى ذلك فنبّه الوزير علىّ وارتهن فىَّ مع أنّى كنت من كُتّاب الملك فقلّدنى قراءةَ المظالم وسغر لى الوزير عنده فى دار الكاتب المؤخّر فانعم بها فوجد الوشاةُ مكانا متّسعا للقول فقالوا وزوّروا من الاقاويل المختلفة ما مال بها حيث مالوا وظهر منه مخآئل التغيير فجعلتُ أُداريه وأستعطفه فلم ينفع فيه قليل ولا كثير الى ان سعى فى تاخير والدى عن الكتب للامير الاسعد ابى يحيى ابن ملك افريقية ثم سعى فى تاخيرى فأُخِّرتُ عن الكتابة وعن كتابة المظالم فانفردتُ بالكتابة للوزير المذكور وفوّض الىّ جميعَ اموره واولانى من التأنيس ما أنْسانى تلك الوَحْشة ومن العزّ ما أنْقذنى من تلك الذلّة

فردّ علىَّ العيشَ بعد ذهابه وآنسنى بعد آنفرادى من الاهلِ
فقال اذا ما الوَبْل فاتك فاْقتنعْ بما قد تسنّى عندىَ الآنَ من طَلِّ
ووالله ما نعْماه طَلٌّ وانّما تسادّبه غيث يجُود على الكلِّ
رآنِىَ أَظْمَى فى الهجيرة صاحيا فرقّ وآوانى الى المآء والظلِّ

ولم ازل عنده فى اسَرِّ حال ما لها تكدير الّا ما يبلغنى من ان ابن عمّى لا يزال يسعى فى حقى بما اخشى مَغَبّته وخفت ان يطول ذلك فيُسمع منه ولا ينفع دفاع الوزير المذكور عنى فرغبت له فى ان يرفع للملك أنّى راغب فى السّراح الى المشرق برسم الحجّ ومن بَلّهُ الغيث فى بطن وادِ وبات فلا يأمَنَنّ السيولا
فلم يسعفنى فى ذلك ولامنى على تخوّفى وقلّة ثقتى بحمايته فرفعْت له هذه القصيدة

هل الهجر الّا ان يطول التجنّبُ ويبعد من قد كان منه التقرّبُ
وتقطع رُسْل بيننا ورسآئل ويمنع لعينانا نَوًى وتجنّبُ [b]
ونو سى ادرى لنفسىَ زلّةً جعلتُ لكم عُذْرا ولم اكُ أُعْتَبُ
ولكنّكم لمّا مللتم ٥ هجرتُم وذنّبتمُ فى الحبّ مَن ليس يُذْنِبُ

a) G. البحر. b) G. L. Lb. S. وذنبكم O. La. ماكنتم.

الى الله اشكو [illegible] وملالة   وقلبا له ذاك التعذّب يُعْذَبُ
فلو انّه [illegible]   لكان له عنكم مراد ومَطْلَبُ a
ولكن ابى[illegible] ان لا يحنّ لغيركم   وَانِ لا يُرى عنكم مَدَى الدهر مُذْهِبُ
فهلّا رُعيتم انه فى ذَراكمُ   غريب وليس الموتُ الّا التغرُّبُ
لزمتك لمّا ان رايتك كاملا   جمالا واجمالا وذاك يحبّبُ b
وإنّى لأُخشى ان يطول اشتكاؤه   لمن ان اتى مكرا فليس يثرّبُ
ولم اسْعَ الّا لارتياحٍ وراحةٍ   وغيرى وقد آواه غيرك يتعبُ
فانت الذى آويتنى ورحمتنى   وذو الرحم فى c الدنيا لنارىَ يَحْطُبُ
فما مرّ يوم لا يدير مضيبةً   عليك وبالتدبير منك يحبّبُ
وهَبْه ثبوتا لا يحيل d اما ترى   مَجَرّ الحبال e فى الحجارة يرسبُ
وهَبْهُ f له سُدّا فكم انت حاضر   أُحاذِرُ خُرْقا منه ان يتسبّبوا
وما ان ارى الّا الفرارَ مخلّصا   وما راغب فى الضَّيْم مَن عنه يرغبُ
فانّه الى الامر العَلِىّ شكيّتى   وانّ خطوب الدهر نحوىَ تخطبُ
ولا تُطْمِعونى فى الذى لَسْتُ نائلا   فلا أنا عُرْقوبٌ g ولا انا أشْعَبُ h
الا فَلْتَمنُّوا بالسَّراح فانّه   لِراحةِ مَن يَشْقى لديكم وينْصَبُ
سلوا الكاس عنّى اذ تدار فاننى   لاتركها هَمّا ودمعىَ اشربُ
ولا اسمع الالحانَ حين تَهُزّنى   ولو كان نَوْحا كنتُ أُصْغى وأُطْرَبُ
فديتُكمُ كم ذا أُقُونُ بارضكم   أهذا جزآء للذى يتغرّبُ
أيَبْخَلُ *على i ان ماء سواك يصيخ لى   فهَلْ لىَ ممّا كدّر العيش مَهْرَبُ
تقلّص عَنّى كلُّ ظِلّ ولم أجد   كما كنت اكفى من أُودّ واصحَبُ
أذو طمع فى العيش يبقى وحوله   مَدى الدهر أَفْعى لا تزال وعَقْرَبُ
أجِرْنىَ j أنْجِزْ k بالفرار فانّه   وَحقِّك من نعماك عندى يُحْسَبُ

---

a) L. S. مراد ومذهب.   b) Lb. نحبب; O. يجبب.   c) Ce mot ne se trouve que dans Lb.
d) La. يحلّ.   e) G. الجبال; Lb. O. حبال.   f) Lb. وهَبْك.   g) Cf. Harîrî, p. 160. O. sur la marge: فى الوعد.   h) O. sur la marge فى الطمع.   i) G. L. Lb. S. علىّ ما.   j) S. اجزنى.   k) S. انجو.

فلا زلت يا خير الكرام مُهَنّئا فعيشىَ منه الموت اشهى وأطْيَبُ
وصانك من قد صنتُ فى حقّه دمى وغيرك من ثوب المرُوءة يُسْلَبُ

ولم يزل الوزير لا ازال اللهُ عنه رضاه يحمى a جانبى الى ان اصابتنى فيه العَيْن فاصابه الحَيْن فقلت فى ذلك

وطيّب نفسى انه مات عندما تناهى ولم يَشمَت به كلّ حاسد
ويحكمْ عليه كلُّ مَن كان حاكما عليه ويعطى الثأْر كلّ معاند

وقلتُ ارثيه

بَكت لك حتّى الهاطلاتُ السواكبُ وشقّت جُيوبًا فيك حتّى السحآئبُ
فكيف بِمَن دافعْتُ عنه ومن به أحاطت وقد بوعدتْ عنه المصايبُ
ألا فآنظروا دمعى فأكثره دَمٌ ولا تذهبوا عنّى فانّىَ ذاهبُ
وقولوا لمن قد ظلّ يندب بعده وفآوك لو قامت عليك النوآئبُ b
لعمرك ما فى الارض وافٍ بذمّة أيَضْمَنُ ادريس ومثلى يخاطب
دعوتك يا من لا اقوم بشكره فهل انت لى بَعْدَ الدعآء تجاوبُ c
ايا سيّدا قد حال بينى وبينه تراب حوتْ ذكراك منه الترآئبُ
لِمَنْ أشتكى ان جار بعدك ظالم علىّ وان نابت جنابى النوآئبُ
لِمَن أشتكى d عند الامير بمنطق تحفّ به حولى المنى والمواهبُ

وهى طويلة ومنها قُبَيل الختم

وقد كنتُ أختار الترحّل قبل ان يصيبك سهم للمنيّة صآئبُ
ولكنْ قضآء اللهِ مَن ذا يردّه فصبرا فقد يرضى الزمانُ المغاضبُ e

ومنها وهو آخرها

وإنّى لادرى أنّ فى الصّبْر راحةً اذا لم تكن فيه علىّ مَثالبُ
وان لم يَؤُب مَن كنت ارجو آنتصارَه عليك فلُطْفُ الله نحوىَ آئبُ

قال رحمه ولمّا قدمتُ مصر والقاهرة ادركتنى فيهما وَحْشة واثار لى تذكُّرُ ما كنت اعهد بجزيرة الاندلس من المواضع المُبْهِجة التى قطعتُ بها العيش غضّ خصيبا وصحبتُ الزمان غلاما ولبست الشبابَ قشيبا ، فقلتُ

a) La. يحمى. b) G. L. La. Lb. O. النوادب. c) G. L. La. Lb. S. مجاوب. d) G. L. Lb. S. ارتجى. e) G. S. المغاضب.

هذه مصر فقلبى المعذبُ   مُذ نأى عنّى دموعى تسكبُ
فارقتْه النفسُ جهلا انّما   يُعْرَف الشىء اذا ما يذهَبُ
أين حمْصُ اين ايامى بها   بعدها لم آلَف شيئًا يعجبُ
* كم تقضّى لى بها *a* من لذّة   حيث للنهر هرير *b* مطربُ
وحمام الأيْك تشدو حولنا   والمثانى فى ذراها تصخبُ *c*
اىّ عيش قد قطعناه بها   ذكره من كل نُعْمى أطْيَبُ
ولكم بالمرْج *d* لى من لذّة   بعدها ما العيش عندى يعذبُ
والنواعيرُ *e* التى تذكارها   بالنوى عن مُهْجتى لا تُسْلَبُ
ولكم فى شنتبوس *f* من منى   قد قضيناها ولا من يعتبُ *g*
وغناء كلّ ذى فقر له   سامع غَضْبًا *h* ولا من يغضبُ *i*
بلدةٌ طابت وربّ غافر   ليتنى ما زلت *j* فيها اذنبُ
آين حسنَ النيل مِن نهو بها   كلُّ نغمات لديه تطربُ
كم به من زَوْرق قد حلّه   قَمَرٌ ساقٍ وعود يُضرَبُ
لذّة الناظر والسّمع على   شمّ زهر وكُئوس تُشرَبُ
كم ركبناها فلم تجمح بنا   ولكم من جامح ان يُركَب
طوعُنا حيث آتّجهْنا لم نجد   تَعَبًا منها اذا لم *k* نُتعَبُ
قد اثارت عِثْيَرا يشبهه   نَثْرُ سلْك فوق بُسْط يُنْهَب
كلّما رِشْنا لها اجنحة   من قِلاع طِلْنَ *l* منها تعجب
كطيور لم تجد ريّا لها   فبدا للعين منها مَشْرب
بل على الخضرآء لا أنْعَمَ من   زِفرة فى كلّ حين تلهب
حيث للبحر زئير حولها   تبصر الاغصان منه تَرْهَب *m*
كم قطعنا الليل فيها مشرقا *n*   ومُدام يس

---

a) Telle est la leçon du man. La ; G. Lb. كم بعيش لنا ; L. كم بعيش نالنا ; O. كم بعكيس لنا.
b) La. هزير ; Lb. خرير. *c*) L. La. S. تصحب. *d*) G. O. بالمزج. *e*) G. O. التواعير.
f) La. شنبوش ; O. سنتبوش ; S. سنتبوس. *g*) S. ajoute :

حيث هانيك الشراحيب التى   كم بها من حسن بدر مغصب

h) La. غضبا. *i*) O. يغصب. *j*) La. O. كنت. *k*) G. L. La. Lb. S. ما. *l*) O. حلت.
m) La. S. تهرب. *n*) G. L. مشرفا.

وكأنّ البحر ثوب أزرق   فيه للبدر طراز مُذْهَبٌ
والى الحوز حنينى دائما   وعلى شنْيَل[a] دمعى صبَبٌ
حيث سلّ النهر عضْبا وانثنت   فوقه القَضْب وعنى[b] الربربُ
وتشقت اعيُنُ العُشّاق من   جور عين بالمواضى تُحْتَجَبْ
مَلْعَب للّهو مُذ فارقتُه   ما ثنانى نحو لهو مَلْعَبْ
والى مالقة يهفو هوى   قلبُ صَبّ بالنوى لا يُغْلَبُ
اين أبراج بها قد طالما   حثّ كاسى فى ذراها كوكبُ
حفّتِ الاشجار عشقا[c] حولنا   تارة تَنْأى وطورًا تَقْرَبْ
جاءتِ الريح بها ثم انثنت   أتَراها حذّرت من ترقب[d]
وعلى مرسيّة ابكى دما   منزل فيه نعيم مُعْشِبُ
مع شمس طلعت فى ناظرى   ثم صارت[e] فى فؤادى تغربُ
هذه حال وأمّا حالتى   فى ذرى مصر ففكر مُتْعَبُ
اسمعتْ اذنى محالا ليتها   لم تصدّق ويحها من يكذبُ
وكذا الشىء اذا غاب انتهوا   فيه وَصْفا كى يميل الغُيَّبُ
ها انا فيها فريد مُهْمَل   وكلامى ولسانى مُعْرِبُ
وارى الألحاظ تنبو عندما   اكتُبُ[f] الطرسَ أفيه عَقْرَبُ
واذا احسبتُ[g] فى الديوان لم   يدر كُتّابُهُمْ ما احسَبُ
وانادَى مغربيّ   لم اكن للغرب يومًا انسَبُ
نسب يشركه فيه خامل   يمن   انمغرب
اترانى ليس لى جدّ له[h]   شهرة او ليس يدرى لى أبُ
سوف انئى راجعا لا غرّنى   بعد ما جرّبتُ برق خُلّبُ

وقال بقرمونة متشوقا الى غرناطة

أغنّنى اذا غنّى الحمامُ المطرّبُ   بكأس بها وسواس فكرى يُنْهَبُ
ومِلْ ميلة حتى اعانق ايكة   وألثم ثغرا فيه للصبّ مشربُ

a) Lb. وعليه سبل ; S. وعلى تسبيبل. b) L. La. Lb. وغنى. c) Lb. شوقا. d) O. دعرب ; La. سعرب ; Lb. نغرب. e) La. O. سارت. f) La. O. S. كتب. g) G. L. La. O. S. حسب'. h) O. نى.

وَلَمْ ار مَرْجانًا [illegible] بسلافه … يطيف به ورد من الشَّهْد أَعْذَبُ
فديتُك من [illegible] تُحيِّله نُقًى … تطلّع اعلاه صباحٌ وغَيْهَبُ
وجنّتهِ جنّاتُ عدن وفى لَظَى … فؤادى ومالى من ذنوب تُعَذَّبُ
ويعذلنى العُذّال فيه وانّنى … لأَعْصِى عليه من يلوم ويعتب
لقد جهلوا هل عن حياتىَ أُنثنى … اذا نمّقوا اقوالَهم وتألّبوا
يقولون لى قد صار ذكرك مُخْلَقا … وأَصْبح كلٌّ فى هواه يؤنّب
وعِرْضُك مبذول وعقلُك تالف … وجسْمك مسلوب ومالُك ينهَبُ
فقلتُ لهم عرضى وعَقْلِىَ والعُلَى … وفخرِىَ لا ارضى بها حين يغضبُ
جنونٌ ابت ألّا تلين لعازم … بسِحْر بآيات الرُّقى ليس يذهب
فقالوا ألا قد خان عَهْدَك قلت لم … يخن مَن اذا قربته يتقرّب
وكم دونه من صارم ومُثَقَّف … فيا من راى بدرا بهذين يحجب
على انّه يستسهل الصّعبَ عندما … يزور فلا يجدى حمًى وترقّب
وكم حيلة تترى على أَثْرِ حالة … وذو الودّ من يحتال او يتسبّب
على انّه لو خان عَهْدِىَ لم ازل … له راعيا والرعى للصبّ اوجب
فأين زمان لم يَخُنِّى ساعةً … به وهو منّى فى التنعّم ارغبُ
ولا فيه من بَخْل ولا بى قناعة … كلانا بلذّات التواصل مُعْجَب
ويا ربّ يوم لا اقوم بشكره … على أنّنى ما زلت اثنى واطنب
على نهر شِنْيَل وللقصب حولنا … مَنابِرُ ما زالت بها الطيرُ تخطب
وقد قرّعت منه سنابكُ فضّة … خِلَالَ رياض بالاصيل تذهّب
شربنا عليها قهوةً ᶻ ذهبيّة … غدت تُشْرِبُ الالبابَ ايّان تشرَب
كأنّ ياسمينا وسطَ ورد تفتحت … ازاهرُه ايّان فى الكاس تسكبُ
اذا ما شرِبناها لنَيْل مَسَرّة … تبسّم عن دُرّ لها فتقطّب
اتت دونها الأحقاب حتى تخالها … سرابا بآفاق الزجاجة يَلْعب
نعمنا بها واليوم قد رقّ بُرْدُه … الى ان راينا الشمسَ عنا تغرّب
فقالوا الا هاتوا السراج فكلّ من … درى قدر ما فى الكاس اقبل يعجبُ

z) G. قروة.

وقال ألا تدرون ما فى كؤوسكم　　فلا كأس الّا وهو فى الليل كوكبُ
كواكب امست بين شرب ولم تحل　　بأن النجوم الزهر تدنو وتغربُ
ظللنا عليها عاكفين وليلنا　　نهارٌ الى ان صاح بالايك مُطْرِبُ
فلم نثن عن دين الصّبوح عناننا　　الى ان غدا من ليس يعرف يندب
صرعنا فأمسى يحسب [a] السكر قد قضى　　علينا وذاك السكر أشْهى وأعْجَب
وكم ليلة فى اثر يوم وعُذّلى　　وعُذّلُ مَن يَصْغى لقولِى خُيَّب
فيا ليت ما ولّى معاد نعيمه　　واىّ نعيم عند مَن يتغرّب

قال وقلتُ باشبيلية ذاكرا لوادى الطلح وهو بشرق اشبيليّة ملتفّ الاشجار، كثير مترنّم الأطيار، وكان المعتمد بن عبّاد كثيرا ما ينتابه مع رُمَيْكيته، وأولى انسه ومسرّته،

سائلْ بوادى الطلح ريحَ الصّبا　　هل سُخِّرتْ لى فى زمان الصِبَى　الخ [b]

قال وقلت باقتراح الملك الصالح نور الدين صاحب حمص ان اكتب بالذهب على نفاحة عنبر قدمها لابن عمه الملك الصالح ملك الديار المصريّة

انا لون الشباب والخال اهدّ　　يتُ لمن قد كسا الزمان شبابا　الخ [c]

قال ولمّا انشد ابو عبد الله ابن الابّار كاتب ملك افريقية لنفسه

دولابٌ يدور كأنّه　　فلك ولكن ما ارتقاه كوكبُ
هامت به الأحداقُ لمّا نادمتْ　　منه الحديقة ساقيا لا يشربُ
نصبتْه فوق النهر ايدٍ قدّرت　　تَرويحَه الارواح ساعة ينصب
فكأنّه وهو الطليق مقيّدٌ　　وكأنّه وهو الحبيس مسيّبُ
للماء فيه تصعّدٌ وتحدّرٌ　　كالمُزْن يستسقى البحارَ ويسكبُ

حلف ابو عبد الله ابن ابى الحسين بن عمّى ان يصنع فى ذلك شيعا فقال

ومَحْنية الأصلاب تحنو على الثرى　　وتسقى نبات الترب دَرّ الترائبِ .

a) S. نحسب. b) Voyez cette Kaçida plus haut, p. ٤٥٩. Variantes: vs. 3b, G. L. S. استأمنوا. Vs. 5 manque dans G. L. Vs. 6a, والهمّ au lieu de واليَمّ. Vs. 9b, G. S. بحب au lieu de ببث. Vs. 11b, G. L. S. يصحبا au lieu de يسلبا. Vs. 27b, G. L. O. أبأس بُحْتُ au lieu de آيس بُحْتى. Vs. 29a, S. O. هالّه au lieu de هالة. Vs. 31a, G. L. ثقلت au lieu de ثقل. c) Voyez p. ٩٣٧.

تُعَدّ من الأفلاك انّ مياهها   نجوم لرجم المَحْل ذات ذوآئبِ
واعجبها رقص الغصون ذوابلا   فدارت بأمثال السيوف القواضب
وتحسبها والروض ساقٍ وقينة   فما برحا ما بين شادٍ وشاربِ
وما جلتها تشكو بتحنانها الصّدا   ومن فوق مَتْنَيها أطّراد المَذانبِ
فخُذْ من بحارِيها a وذُهْمة لونها   بياضَ العطايا فى سواد المطالبِ

ثم كلفتُ فى ان اقول فى ذلك وانا اعتذر بأنّ هذين لم يتركا لى ما اقول

وذات حنين لا تزال مُطيفةً   تَئِنّ وتبكى بالدموع السواكبِ
كأنّ اليفا بان عنها فاصبحت   بمربعه كالصبّ بعد الحبآئبِ
اذا ٱبْتسمَتْ فيها الرياضُ شماتةً   ترعْها بأمثال السيوف القواضبِ
فكَمْ رقصت اغصانُها فرمت لها   نُثارا كما بددتّ حلى الكواعبِ
لقد سَخطت منها الثغور وأرضَتِ   ٱلقدود ولم تحفل بتثريب عاتبِ
شربت على تحنانها ذهبيّةً   ذخيرة كسْرَى فى العصور الذواهبِ
فهاجت لى الكاسُ ادّكارَ مَغاضِب   فحاكيتها وجدا بذاك المُغاضبِ
فلا تدع التبريز فى كثرة b الهوى   فلولاه c كانت فيه احدى العجآئبِ

قال وقلت بغرناطة

باكِر اللهْوَ ومن شآء عتبْ   لا يلذّ العيش الّا بالطَّرَبْ
ما تَوانى من رأَى الزهرَ زها   والصّبا تَمْرَح فى الروض خَببْ
وشذاه d صانه حتّى اغتدى   بين ايدى الريح غصبًا ينتهَبْ
يا نسيما عطّر الارجاء هل   بعثوا ضِمْنَك ما يشفى الكربْ
هُم أعَلّوه وهم يشفونه   لا شفاه الله عَن ذاك الوصَبْ
خلع الروض عليه زهرَه   حين وافى من ذراكم فعلُ صبْ
فابى الّا شذاه فانثنى   حاملا عن عرفه ما قد غصبْ
لستُ ذا نكر لان يشبهكم   من بعثتم غيم ذا منه العجَبْ
غالب الاغصان فى بَدانِه   ثم لمّا زاد اعطتْه الغَلَبْ
فبكى الطلّ عليها رحمة   او بكى من وَعْظ طير قد خطب

a) R. مجاريها ; S. محاربها.   b) L. كثرة.   c) G. R. S. فلولاى.   d) G. S. وشراه.

كلّ هذا قد دهانى للّتى   ملكت رقّى على مرّ الحقب
قهوة ابسم من عجب لها   عند ما تبسم عجبا عن حبب
حاكت الخمر فلما شعشعت   قلت *مآء الخمر^a بالمآء التهب
وبدت من كاسها لى فضّة   ملئت ان خمدت^b ذوبَ الذهب
من يدع مشبهها   بالذى يحويه طرفٌ وشنبْ
لا جعلت الدهرَ نقلى غير ما   لذّ لى من ريق ثغر كالضربْ
لا جعلت الدهرَ ريحانى سوى   ما بخدّيه من الورد انتخبْ
لم ازل اقطعُ دهرى هكذا   وكذا اقطع منه المرتقبْ
حبّذا عيش قطعناه لدى   معطف الخابور^c ما فيه نصَبْ
مع من لم يدر يوما ما الجفا   من اراح الصبّ فيه من تعَبْ
كلّ ما يصدر منه حسَن   لم يذقنى فى الهوى مرّ الغضبْ
اىّ عيش سمح الدهر به   كل نعمى ذهبت لمّا ذهبْ

قال ودخلت بتونس مع ابى العبّاس الغسّانى حمّاما فنظرنا الى غلمان فى نهاية الحُسن ونعمة الأبْدان فقلت مخاطبا له

دخلت حماما وقصدى به   تنعيمُ جسم غدا لى عَذابْ
فلت لَظًى فاعترضت حورةٌ   وقلت عدن فنهانى التهابْ
وانت فى الفضل امام فكُن   فى الحكم ممّن حاز فصلَ الخطابْ

فقال

لا تامن الحلم فى فعله   فليس ما ياتيه عندى صَوابْ
ارى اخدعَ   ولا   اكذبَ الّا ان يكون السّرابْ
يبدى لك الغيد كحُور الدُّمَى   ويلبس الشيخ بُرودَ الشبابْ
ظنّ به النار فلا جنّة   للحسن الا ما حوتْه الثيابْ

ومن فوآئده اعنى ابن سعيد رحمه فى كتابه المحلّى بالاشعار نقلا عن القرطبىّ قصيةُ بنآء الهودج بروضة مصر وهو من منتزهات الخلفآء الفاطميّين العظيمة العجيبة البنآء البديعة وذلك انّه يقال ان البانى له الخليفة الآمر باحكام الله للبدوية التى غلب عليه حبّها بجوار البستان المختار وكان يتردّد اليه كثيرا وقتل وهو متوجّه اليه وما

a) G. L. مـ نالخمر. b) G. حمدت ; L. جمدت c) S. الحابور.

زال منتزها للخلفاء من بعده. وقد اكثر الناس فى حديث البدويّة وابن ميّاح من بنى عمّها وما يتعلّق بذلك من ذكر الآمر حتى صارت رواياتهم فى هذا الشأن كحديث البطّال والف ليلة وليلة وما اشبه ذلك والاختصار منه ان يقال انّ الآمر قد كان بُلِى بعشق الجوارى العربيّات وصارت له عُيون فى البوادى فبلغه انّ بالصعيد جارية من اكمل العرب واظرفهم شاعرة جميلة فيقال انه تزيّى بزىّ بُدَاة الاعراب وكان يجول فى الأحْيآء الى ان انتهى الى حيّها وبات هنالك وتحيّل حتى عاينها هناك فأمْلك صَبْرَه ورجع الى مَقرّ ملكه وارسل الى اهلها يخطبها وتزوّجها فلمّا وصلت اليه صعُب عليها مفارقةُ ما اعتادت واحبّت ان تُسْرِح طرفَها فى الفَضاء ولا تنقبض نفسها تحت حِيطان المدينة فبنى لها البنآء المشهور فى جزيرة الفسطاط المعروف بالهودج وكان غريب الشكل على شطّ النيل وبقيت متعلّقة الخاطر بابن عمٍّ لها ربيت معه يعرف بابن ميّاح فكتبت اليه من قصر الآمر

يا ٱبنَ ميّاح اليك المشتكى　　مالكٌ من بعدكم قد ملكا
كنت فى حيّى طليقا آمِرا　　نائلا ما شئتَ منكم مدركا
فانا الآنَ بقصر مُوصَد　　لا ارى الّا خبيثا a ممسكا
كم تثنّينا كاغصان اللِّوى　　ث لا يخشى علينا دَرَكا

فاجابها بقوله

بِنْتَ عمّى والتى b غذّيتُها　　بالهوى حتّى علا وٱحتبكا
بُحتِ بالشكوى وعندى ضعفها　　لو غدا ينفع منّا المشتكَى
مالكُ الامر اليه يشتكى　　هالِكٌ وهو الذى قد أَفْلَكا c

قال وللناس فى طلب ابن ميّاح واختفائه أخبار تطول وكان من عرب طىّ فى عصر الآمر طراد بن مهلهل فقال وقد بلغته هذه الابيات

ألا بلّغوا الآمرَ المصطفى　　مقالَ طراد ونِعْمَ المقالْ
قطعتَ الاليفين عن أُكْفةٍ　　بها سمر الحىُّ حول الرحالْ d
كذا كان آبآؤك الاكرمونْ　　سالتُ فقُلْ لى جوابَ السؤالْ

فقال الخليفة الآمر لما بلغته الابيات جوابُ سؤاله قطعُ لسانه على فضوله فطُلب فى أحيآء العرب فلم يوجَد فقيل ما اخسر صَفْقة طراد باع عدّة ابيات بثلاثة ابيات وكان

a) S. حبيبًا. b) L. S. والذى. c) G. L. هلكا. d) S. الرجال.

بالاسكندرية مكين الدولة ابو طالب احمد بن عبد المجيد بن احمد بن الحسن بن
حديد له مروءة عظيمة ويحتذى افعال البرامكة وللشعرآء فيه أمداح كثيرة مدحه ظافر
الحدّاد واميّة ابو الصّلت وغيرهما وكان له بستان يتفرّج فيه به جُرْن a كبير من
رخام وهو قطعة واحدة ينحدر فيه المآء فيبقى كالبِرْكة من كبره وكان يجد فى
نفسه بمروءته زيادةً على اهل التنعّم والمباهاة فى عصره فوشى به للبدوية محبوبة الآمر
فسألت الآمر فى حمل الجرن اليها فارسل الى ابن حديد فى إحضار الجُرن b فلم
يجد بُدًّا من حمله من البستان فلما صار الى الآمر امر بعَمله فى الهودج فعلق ابن
حديد وصارت فى قلبه حرارة c من اخذ الجرن فاخذ يخدم البدوية وجميعَ مَن
يلوذ بها بأنواع الخدم العظيمة الخارجة عن الحدّ فى الكثرة حتى قالت البدوية
هذا الرجل خجلنا بكثرة تحفه ولم يكلّفنا قطّ امرا نقدر عليه عند الخليفة مولانا
فلمّا قيل له عنها هذا القول قال ما لى حاجة بعد الدعآء لله بحفظ مكانها وطول
حياتها فى عزٍّ غير ردّ السّقية d التى قُلعت من دارى التى بنيتها فى ايّامهم من
نعمتهم تردّ الى مكانها فتعجّبت e من ذلك وردّتها f عليه فقيل له حصلتَ له فى
حدّ ان خيّرتك البدوية فى جميع المطالب فنزلتْ همّتك الى قطعة حجر فقال انا
اعرف بنفسى ما كان لها امل سُوى g ألّا تُغلَب فى اخذ ذلك الحجر من مكانه
وقد بلّغها الله املَها وكان هذا المكين متولّى قضآء الاسكندرية ونظرها فى ايّام
الآمر وبلغ من علوّ h همته وعظيم مروءته ان سلطان الملوك حَيْدرة اخا الوزير المأمون
ابن البطائحى لمّا قلّده الآمر ولاية ثغر الاسكندرية سنة ٥١٧ واضاف اليها الاعمال البحرية
ووصل الى الثغر وصف له الطبيب دُهْن الشمع بحضرة القاضى المذكور فامر فى الحال
بعض غلمانه بالمُضىّ الى داره لاحضار دُهن الشمع فما كان اكثر من مسافة الطريق
الّا وقد احضر حُقًّا مختوما ففكّ عنه فوجد فيه منْديلا لطيفا مُذهَبا على مَداف i بلّور
فيه ثلاثة بيوت كلّ بيت عليه قُبّة ذهب مُشبّكة مرصّعة بياقوت وجوهر بيت دهن
ممسّك وبيت دهن بكافور وبيت دُهن بعنبر طيّب ولم يكن فيه شىء مصنوع لوقته

a) S. حُون.   b) S. ajoute : فاخذ يخدم البدوية.   c) G. L. حرارة.   d) Lisez السّعاية.
e) S. فتعجب.   f) S. وردّى.   g) L. سىّ.   h) Telle est la leçon du man. L. ; les autres man. portent علء.   i) G. مداف ; L. مذاف.

فعندما احضره الرسول تعجب المؤتمن والحاضرون من علوّ همته فعند ما شاهد القاضى
ذلك بالغ فى [illegible] وحلف بالحرام ان عاد الى ملكه وكان جواب المؤتمن قد
قبلته مسك[illegible]لا لحاجة اليه ولا نظرٍ فى قيمته بل لاظهار هذه الهِمّة واذاعتها وذكر أنّ
قيمة هذا المداق[a] وما عليه ٥٠٠ دينارا فانظر رحمك الله الى من يكون دُهن الشمع
عنده فى اناء قيمتُه ٥٠٠ دينار ودهن الشمع لا يكاد اكثرُ الناس يحتاج اليه فما ذا
تكون ثيابه وحلى نسآئه وفرش داره وغير ذلك من التجملات وهذا انّما هو حال
قاضى الاسكندرية ومن قاضى الاسكندرية بالنسبة الى اعيان الدولة بالحضرة وما نسبة
اعيان الدولة وان عظمت احوالهم الى امر الخلافة وأُبّهتها الّا يسير حقير وما زال
الخليفة الآمر يتردّد الى الهودج المذكور الى ان ركب يومَ الثلاثا رابع ذى القعدة سنة
٥٢٤ يريد الهودج وقد كمن له عِدّة من النزارية[b] عند راس الجسر من ناحية الروضة
فوثبوا عليه واثخنوه بالجراحة وحمل فى العُشارىّ الى اللؤلؤة فمات بها وقيل قبل
ان يقبل اليها وقد خرب هذا الهودج وجهل مكانُه من الروضة ولله عاقبة الامور نقل
ذلك كله الحافظ المقريزى رحمه قال النور ابن سعيد ومن خطّه نقلت لما نزلنا
بتلعفر حين خرجنا من سنجار الى الموصل سألتُ احد شيوخنا عن والد شهاب
الدين التلعفرى فقال انا ادركتُه وكان كثير التجوّل وانشدنى لنفسه فى عيد
ادركه[c] فى غير بلده

بتنتهج الناس اذا عيّدوا   وعند سَرّآتهم[d] اكمدُ
لانّنى ابصر احبابَهم   ومقلتى محبوبَها تفقدُ

قال وخرج ابنه الشهاب أجْول منه شخصا وشعرا وصدق فيما قاله وانشد ابن سعيد
للشهاب التلعفرى

لك ثغر كلؤلؤ فى عقيقِ   ورُضاب كالشَّهْدِ او كالرحيقِ
وجفونٌ لم يمتشق سيفُها ا   لّا لمُغْرًى بقدّك الممشوقِ
تُهتَ عُجبا بكل فنّ مِنَ الحُسْـــــنِ جليل وكل معنى دقيقِ

a) G. L. المذاف ; S. المذاق. b) Les man. portent التزارية. Voyez sur ce nom des Ismailiens, Weil, *Geschichte der Chalifen*, III, 206 ; Abou'l-fidā (*Ann. Moslem.* III, 438) donne الباطنيّة (voyez *Chahrastānī*, éd. *Cureton*, I, 147.) c) G. L. ادركته. d) R. S. سراهم اذا ✿

وتفرّدتَّ بالجمال الذي خلاك مستوحشا بغير رفيق
باللّحاظ ألّتي لها لم تزل تُرْ شق قلبي وبالقوام الرشيق
لا تغرْ بالغُوَير ان تنثنّى فيه أعطاف كلّ غصن وريق
وأتنِ محمّر ورد خدّيك وأستُرْ هُ والّا ينشقّ قلب الشقيق

قال ابن سعيد وحظي الشهاب التلعفري بمنادمة الملوك وكونهم يقدّمونه ويقبلون على شعره وعهدي به لا ينشد احد قبله في مجلس الملك الناصر على كثرة الشعرآء وكثرة من يعتني بهم، ولما جمعتُ للملك الناصر كتابَ ملوك الشعر جعلتُ ملك شعر الشهاب البيت الرابع من المقطوعة المتقدمة فانه كان كثيرا ما ينشده وينوّه به والتشفّي من ذكر الشهاب ومحاسن شعره له مكان بكتاب الغرّة الطالعة في فضلآء المائة السابعة وهو الآن عند الملك المنصور صاحب حماه قد علت سنه وما فارقه غرامه ودنّه انتهى، ولمّا اجرى ابن سعيد في بعض مصنّفاته ذكر الملك العادل ابن ايّوب قال ما نصّه وكان من اعظم السلاطين دهآء وحزمًا وكان يضرَب به المثل في افساد القلوب على اعدآئه واصلاحها له، ويحكى انه بشره شخص بأن اميرا من امرآء الافضل بن صلاح الدين فسد عليه فاعطاه مالا جزيلا وارسل مستخفيا الى المذكور يزيده بصيرة في الانحراف عن الافضل ويَعِدُه بما يفسد الصالح فكيف الفاسد قال وكان يمنع حتى يوصَف بالبخل ويجود في مواضع الجود حتى يوصَف بالسّماح وكان صلاح الدين وهو السلطان يأخذ برأيه وقدم له احد المصنّفين كتابا مصوّرا في مكآئد الحروب ومُنازَلة المُدن وهو حينئذ على عكّا محاصرا للفرنج فقال ما نحتاج الى هذا الكتاب ومعنا اخونا ابو بكر وكان كثير المداراة والحزم، ومن حكاياته في ذلك ان احد الاشياخ من خواصّه قال له يوما وهو على سماطه ياكل يا خوند ما وفيتَ معي ولا رعيتَ سابق خدمتي وكلمه بدالّة السنّ وقدم الصحبه قبل الملك فقال لمماليكه أنظروا وسطه فجسّوا الكَمَرانَ وقال خذوا الصّرّه التي فيه فوجدوا صره فقال آفتحوها ففتحوها فاذا فيها ذَرور فقال العادل كُلْ من هذا الذرور فتوقف وعلم انه مُطْلَع على انّه سمّ فقال كيف نسبتَني الى قلّة الوفآء وانا منذ سنين اعلم انك تريد ان تسمّني بهذا السمّ وقد جعل لك الملك الفلانيّ على ذلك عشرة آلاف دينار فلا انا امكنتك من نفسي ولا اشعرتك لئلّا يكون في ذلك ما لا خفآء به وتركتك على حالك وانا مع هذا لا اغير عليك نعمة ثم قال رُدّوا سمّه الى كمرانه لا ابقي

الله عليه ان قدر وابقى علىّ فجعل يقبّل الارض ويقول هكذا والله كان وانا تائب لله ثم انّ الشيخ جدّد توبة واستأنف ادبا آخر وخدمة اخرى وكانت هذه الفعْلة من احدى عجائب العادل، قال وكان كثير المصايغات حتى انه ليصوغ الحلى الذى يصلح لنسآء *a* الفرنج ويوجهه فى الخفية اليهنّ حتى يمسكن ازواجهن عن الحركة وله فى ذلك مع ملوك الاسلام ما يطول ذكره ولما خرج ابن اخيه المعز اسماعيل بن طغركين *b* باليمن وخطب لنفسه بالخلافة وكتب اليه ان يبايعه ويخطب له فى بلاده كان فى الجماعة مَن اشار الى النظر فى توجيه عسكر له فى البرّ والبحر وانفاق الاموال قبل ان يتفاقم امره فضحك وقال من يكون عقله هذا العقل لا يحوج خصمه الى كبير مؤنة انا اعرف كيف افسد عليه حالَه فى بلاده فضلا عن ان يطرق فساده لبلادى ثم انّه وجّه فى السر لاصحاب دولته بالوعد والوعيد وقال لهم انتم تعلمون بعقولكم ان هذا لا يسوغ لى فكيف له وقد ادخل نفسَه فى امر لا يخرج منه الّا بهلاكه فاحذروا ان تهلكوا معه واتّعظوا بالآية ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ *c* وما لهذا عقل يدبّر به نفسَه فكيف يفضل عن تدبير خاصّته اليكم ولتعلمُنّ نبأه بعد حين فعند ما وعَت اسماعُهم هذا وتدبّروه بعقولهم قبضوا عليه وقتلوه وعادت البلاد للعادل وقال للمشيرين عليه فى اوّل الامر بتجهيز العسكر قد كفينا المؤنة بأيسر شىء من المال ولو حاولناه بما اشرتم به لم تقم خزآئن ملكنا بالبلوغ الى غايته وكان على ما بلغه من عظمة السلطان واتّساع الممالك يحكى ما جرى له فى زمان خلوه من ذلك ويحبّ الاستمتاع بنوادر أنذال *d* العالم واشتهر فى خدمته مساخر اشهرهم خضير صاحب البستان المشهور عند الربوة بغُوطة دمشق، ومن نوادره الحارّة معه انه سمعه يوما وهو يقول فى وُضوئه اللهُمّ حاسبنى حسابا يسيرا ولا تحاسبنى حسابا عسيرا فقال يا خوند على اىّ شىء يحاسبك حسابا عسيرا اذا قال لك اين اموال الخلق التى اخذتها قُلْ له تراها بامانتها فى الكرك وكان قد صنع بهذا المَعْقِل الحَسَرات سمّيت بذلك لانّ مَن رآها يتحسّر اذا نظرها ولا يستطيع على شىء منها بحيلة وهى خواب مفروغة *e* من ذهب وفضة تركت بمراى من الناظرين ليشتهر ذلك فى الآفاق، وقال العادل مرة وقد جرى ذكر البرامكة وامثالهم ممّن ذكر فى

---

a) Les man. portent انتسآء. *b*) G. ضغركبن ; S. طغركين. *c*) Voyez sour. 15, vs. 115.
d) S. انزال. *e*) S. مفرعة

كتاب المستجاد فى حكايات الاجواد انما هذا كذب مختلف من الورّاقين والمؤرّخين يقصدون بذلك ان يحركوا الملوك والاكابر للسخآء وتبذير الاموال فقال خصيبر يا خوند ولأىّ a شىء ما يكذبون b عليك، قال ابن سعيد من وقف على حكايات ابى العينآء مع عبيد الله بن سليمان يجد مثل هذه الحكاية، قال ابن سعيد ووجدتُ الشهاب القوصى c قد ذكر السلطان العادل فى كتاب المعاجم وابتدأ الكتاب المذكور بمحاسنه والثنآء عليه وخرج عنه الحديث النبوى عن الحافظ السلفى وتمثل فيه عند وفاته

أُلامُ على بكآئى خيرَ ملك — وقلّ له بكآئى بالنجيع
به كان الشبابُ جميع عمرى — ودهرى كلّه زمن الربيع
ففرّق بيننا زمن خؤون — له شغف بتفريق الجميع

قال ابن سعيد ودفن العادل بالمدرسة العادلية بدمشق وكان انشأها للشافعيّة وهى فى نهاية الحسن وبها خزانة كُتُب فيها تاريخ ابن عساكر وذيل هذا التاريخ واختصره ابو شامة سمعت عليه منه هنالك ما تيسّر ايّام اقامتى بدمشق واولاد العادل ملوك البلاد فى صدر هذه المائة السابعة منهم الكامل والمعظم والاشرف وهؤلآء الثلاثة شهروا بالفضل وحبّ الفضلآء وقول الشعرآء انتهى، وقال ابن سعيد فى ترجمة الرئيس صفىّ الدين احمد بن سعد المرنغانى d وهو من بيت وزارة ورئاسة بدمشق ان من شعره قوله

كيف طابت نفوسكم بفراقى — وفراق الاحباب مرُّ المذاق
لو علمتم بلوعتى وصبابا — تى ووجدى وزفْرتى واحتراقى
لرثيتم للمستهام المعنّى — ووفيتم بالعَهْد والميثاق

قال ابن سعيد وقفت على ذكر هذا الرئيس فى كتاب تاج المعاجم ووجدتُ صاحبَه الشهاب القوصى قد قال اخبرنى بدمشق انه قد كان عزم على السفر منها الى مصر لامر ضاق به صدرُه فهتف به هاتف فى النوم وانشده

يا احمد اْقنعْ بالذى أُعْطيتَه — ان كنتَ لا ترضى لنفسك ذلّها
ودع التكاثر فى الغنا لمَعاشر — اضحوا على جمع الدراهم وُلّها
واعلم بانّ الله جل جلاله — لم يخلق الدنيا لاجلك كلّها

فثنى عزمه عن الحركة ثم بلغ ما امّله دون سفر، وقال ابن سعيد فى ترجمة

a) S. ولا. b) S. يكون. c) G. القوصى. d) G. المزدغانى; S. المردغانى.

المنتخب احمد بن عبد الكريم الدمشقى المعروف بدفترخوان وهو الذى يقرأ الدفاتر بين ايدى الملوك والاكابر انه كان يقرأ الدفاتر بين يدى العادل بن ايوب وكان يكتب له بالاشعار فى المواسم والفصول فينال من خيره، وكتب له مرّة وقد اطلّ a الشتآء فى دمشق

مولاى جآء الشتآء والكيس منها خلآء لا زال يجرى بما تر
تضى علاك القضآء b وكلّ كاف اليه يحتاج فيه ٱلتوآء

فقال له العادل هذا الضمير الذى فى البيت الاوّل على ما ذا يعود قال بحسب مكارم السلطان ان شئت على الدراهم وان شئت على الدنانير فضحك وقال هات كيسك فاخرج له كيسًا يسع قدرَ مائة دينار فملاه له، وقال اظنه كان معدًّا عندك فقال مثل السلطان مَن يكون جودُه مظنونا وكتب اليه مرة وقد املق

ٱنظرْ الىّ بعينِ جودِك مرّة فلعلّ محروم المطالب يرزق
طير الرجآء على علاك مُحلّق واظنّه سيعود وهو مُخَلّق

فاعطاه جملة دنانير وقال له اشتر بهذه ما تخلق به طير رجآئك انتهى، وانشد ابن سعيد رحمه لبعض المغاربة وهو ابو الحسن على بن مروان الزناطى c الكاتب

انس اخى الفضل كتابٌ انيق وصاحب d يعنى بودّ وثيق
فان تعرْه دون رهن به تخسرْه او تُخسَرْ وداد الصديق
وربّما تخسر هذا وذا فٱسمعْ رعاك الله نصحَ الشقيق e

قال واجابه المخاطب بهذه الابيات وهو ابن الربيب بنثر نصّه مثلك بقيد تجربة قد نفق عليها عُمر f، وصلّ عن فوآئدها عزّ غُمْر، وقد انفذت رهنا لا يسمح باخراجه من اليد الا ليدك، فتفضل بتوجيه الجزء الاوّل فانى g اعلم انه عندك مثل ولدك،، قال فوجّهه ومعه بطاقة صغيرة فيها يا اخى ان عرضت بولدى فكذلك كنت مع والدى وقد توارثْنا العُقوق كابرًا عن كابر، فكُنْ شاكرا فانّى صابر،، ثمّ قال ابن سعيد وتفاقم امر ولده فقيّده بقيد حديد وقال فيه

لى ولدٌ يا ليته لم يك عندى يُخْلَقُ
يجهد فى كلّ الذى يرغم وهو يعشقُ
وان اكن قيّدتُه دمعى عليه مُطْلَقُ

---

a) L. اظل ; S. اطال. b) Dans le man. S. ce distique est placé après وكل الخ. c) S. الرباطى. d) G. L. او صاحب. e) G. الشفيق. f) G. S. غمر. g) G. L. فانا.

وذكر ابن سعيد ان الكاتب ابا الحسن المذكور كان كثيرا ما يستعير الكتب فاذا طُلبتْ منه فكانها ما كانت فذكر لبعض اصحابه وهو ابن الربيب المؤرّخ ان عنده نسخة جليلة من تاريخ عَريب الذى لخّص فيه تأريخ الطبرى واستدرك عليه ما هو من شرطه وذيّل ما حدث بعده فارسل اليه فى استعارتها فكتب اليه يا اخى سدّد الله آراءك وجعل عقلك امامك لا وراءك ما يلزمنى من كونك مُضيعا ان اكون كذلك والنسخة التى رُمتَ اعارتَها هى مؤنسى اذا اوحشنى الناسُ وكاتمُ سرّى اذا خانونى فما اعيرها الّا بشىء اعلم انك تتأذّى بفقده اذا فقد جزء من النسخة وانا الذى اقول انسْ اخى الفضل كتاب انيق الى اخر الابيات وانشد للكاتب ابى الحسن المذكور

انّ ذاك العذار قام بعذرى وفشا فيه للعوائل سرّى
ما راينا من قبل ذلك مسكا صاغ منه الالـه هالةَ بَدْرِ
اىّ آسٍ من خول جنّة ورد ليس منه آس مَدَى الدهر يُبْرِى

ولمّا اشتدّ مرضه بين تلمسان وفاس قال هذه الابيات واوصى ان تكتب على قبره

الا رَحِم الله حيّا دعا لميت قضى بالفلا نَحْبَهُ
تَمرّ السوافى على قبره فتهدى لاحبابه تربَةُ
وليس له عمَل يُرتَجى ولكنّه يرتجى ربَّهُ

انتهى

رجع الى نظم ابن سعيد المترجم به فنقول وقال لما سار المعظم من حصن [a] كيفا وآل امره [b] الى الملك ثم القتل والهلك

ليت المعظّم لم يسر من حصنه يوما ولا وافى الى املاكه
انّ العناصر اذ [b] رأته مُكمّلا حسدته فاجتمعت على اهلاكه

ومما نقلت من ديوانه الذى رتبه على حروف المعجم قوله رحمه وقلته بالقاهرة على لسان من كلفنى ذلك

شَرَف الدين أَبِنْ لى ما السَّبَبْ فى انقلاب الدهر لى عند الغضبْ
فاندم غضبان اظفرْ بالمنى ليس لى فى غير هذا من أرَبْ
انّما ضيرك عندى قبلة ووضوئى [c] الدهر من ذاك الشَنَبْ

a) S. كتفاوة الزاهرة. b) Les man. portent اذا. c) L. الدهر.

واستغفر الله من قول الكذب، قال وقلت باشبيليّة

قد جآء نصرُ الله والفتحْ　　والصبحُ لما رضيتْ صبحْ
فهنّئونى بارتجاع المُنى　　لولا الرضَى ما برح البرحْ
يا اورقا يا غصنا يا نقى　　يا ظبيةً بالليل يا صَبْحَ
يصحو جميع الناس من سكره　　ولستُ من سكركُمُ اصحُو
بلغتَ فيه غايةً لم يبن　　غايتها التفسير والشرحْ
وينصح العُذّال من لى بأن　　يعذلنى عن غيّك النصحْ

وقلت باشبيلية

وضح الصبح فأين القدحُ　　يعرف اللذات مَن يصطبحْ
ما ترى الليل كطرف ادهم　　وضيآء الفجر فيه وَضَحْ
والثرى دبّجه دُرّ الندى　　وعلى الاغصان منه وُشُحْ
ومدير الخمر لم يُعْدِ المُنى　　كلُّ ما يأتى به مُقْتَرِحْ
فى بطاح المرج قد نادمنى　　رَشأٌ من سكره ينبطحْ
جعل المسواك سترا للمنى　　فكأنْ قبّل فاه قُزَحْ
كلّما شئتُ الذى قد شآءه　　فحشانى كاسَه أفتتحْ
ما ابالى ان رآنى كاشح　　ام رآنى من لديه نصحْ
هكذا العيش ودعْ عيشَ الذى　　خاف من نقد اذا يفتضحْ

وقلت بشريش

طاب الزمان لمعشر　　سلبوا المروءة فاستراحوا　　لا يعـ　سون
السكر عندهُمُ مُباحْ　　يتنهتكون [a] لدى المَنى　　وفسادهم فيها صلاحْ
ـم متبذّل　　هل يمنع المآء القراحْ　　غصن يميل به الصبا
ردّنه طوع الروح راحْ　　طوع الامانى كلّ ما　　ياتى به فهو اقتراحَ
ما ان نبالى ان بدا　　ان لا يلوح لنا الصباحْ　　ما زلت ارشف ثغره
وعليه من عَضْدى وُشاحْ　　والقلب يهفو طايرا　　ولَعًا ولا يُخشَى افتضاحْ
ولوَ آتّنا نخشاه كا　　ن لنا من الظلما جناحْ　　لكنّنا فى
ما فى تهتّكهم جُناح　　لا ينكرون سوى ثقيـ　　ـل لا يميل به مُزَاحْ

a) Les man. portent متنهتكون.

افنى الذى قد جمعو ٥ الكلس والقدّح الملاحُ

*

وقلت بأركش

قُمْ هاتها لاح الصباحُ ما العيشُ الّا الاصطباحُ مع فتية ما دابهم
الّا المروءة والسماحُ جرّبتهم فوجدتهم ما للمنى عنهم بَراحُ
بنبيهمْ نحو الصّبا تقر المثانى والمراحُ ما نادموا شخصا فكا
ن لهم بخدمته استراحُ بل يعرفون مكانه فله اذا شآء افتراحُ
هم ينعبون وضيفهم a ما دام عندهم يراحُ b ما ان يملّون النز
لَ وبالرضى منه السراحُ يدعونه باجلّ ما يدعى به الحرّ الصّراح
حتّى اذا ما بان نر عيشهم منه انتزاحُ فعلى منالهم ينا
حُ c لِىَ المدامع والنّواحُ كرها فقدتُّهم فحا لِىَ بعد بُعدهم ارتياحُ
ثله شوقى ان هفت من نحو ارضهم الرياحُ فهناك قلبى طاير
لهم ومن شوقى جناح

قال وقلت بمدينة ابن السليم فى وصف كلب صيد اسود فى عنقه بياض

وادهم دون حلي ظلّ حالى كأنّ ليلا يقلّده صباحُ
بطير وما له ريش ولكن متى يهفو فأربعه جناحُ
تُكَلّ الطيرُ مهمى نازعته وتحسده اذا مرق الرياحُ
له الالحاظ منها جآء سلكه d ومهمى ثار فهى e له وشاحُ

وقلت بنيل مصر يا نيلَ مصر اين حِمْصُ ونهرُها حيث المناظر f انجم تلتاحُ
فى كلّ شطّ للنواظر مسرح ندعو اليه منازح وبطاحُ
واذا سبحتُ فلستُ اسبح خائفا ما فيه تيّار ولا تمساحُ

قال وقلت وقد حضرت مع اخوان لى بموضع يعرف بالسلطانية على نهر اشبيلية وقد مالت الشمس للغروب

رقّ الاصيل فواصلِ الأقداحا واشرب الى وقت الصباح صباحا
وانظرْ لشمس الافق صايرة وقد القتْ على صفح الخليج جناحا
فاشعرْ بصفو الافق قبل غروبها واستخلف المثنى وحثّ الرا

a) G. L. وتعقبهم. b) G. L. براح. c) G. L. تباح. d) S. ملكه. e) S. تبه. f) S. المتدرك.

مَتِّعْ جفونَكَ فى الحديقة قبل ان ... يكسو الظلام جمالَها أَمساحا

وقلت بمرسية

أقلقه وجدُه فباحا ... وزاد تبريحه فناحا
ورام يثنى الدموع لمّا ... جرت فزادت له جماحا
يا من جفا فارقَنْ عليه ... مستعبَدًا لا يرى السّراحا
يكابد الموت كلّ حين ... لو انّه مات لآستراحا
٥ ينزو اذا ما الرياح هبّتْ ... كانّه يعشق الرياحا
يسألها عن ربوع حِمْص ... لمّا نما عَرفُها وفاحا
كم قد بكى للحمام كيما ... يعيره نحوها جناحا

*قال وخرجتُ مرّة ᵃ مع ابى اسحق ابراهيم بن سهل الاسرائلى الى مرج الفضة بنهر اشبيلية فتشاركنا فى هذا الشعر

غيرى يميل الى كلام اللاحى ... ويمدّ راحته لغير الراحِ
لا سيّما والغصن يزهر زهره ... ويميل عطفُ الشارب المرتاحِ
وقد استطار القلبَ ساجعُ ايكة ... من كلّ ما اشكوه ليس بصاحِ
قد بان عنه جناحه عجبا له ... من جانح للعجز خَلْفَ جناحِ
٥ بين الرياض وقد غدا فى مَأْتم ᵇ ... وتخاله قد ظلّ فى افراحِ
الغصن يَمْرح تحته والنهرُ فى ... قصف تنزّه يدَ الارواحِ
وكانّما الأنسام فوق جنانه ... اعلام خَزّ ᶜ فوق سُمْر رماحِ
لا غرو ان قامت عليه اسطُرٌ ... لمّا رآته مُدَّرِعا لكفاحِ
فاذا تتابعَ مَوْجُه ادفاعه ... مالت عليه فظلّ خَلْفَ ᵈ صياحِ

قال وقلت بمالقة متشوّقا الى الجزيرة الخضراء

يا نسيما من نحو تلك النواحى ... كيف باللّه نور تلك البطاحِ
أَسَقَتْها الغَمامُ ربّا فلاحت ... فى رِداء ومِئْزَر ووشاحِ
ام جفتْه فصيّرتْه هَشيما ... تركته تَذْروه هوجُ الرياحِ
يا زمانى بالحاجبيّة انّى ... لست عن سُكر ما سُقيتُ بصاحِ
٥ آه ممّا لقيت بعدَك من هَمّ ... وشوق وغربة وانتزاحِ
اين قومٌ الفتُهم فيك لمّا ... قرب الدهر اذ نوى بالرواحِ

a) L. وقال ذهبنا مرّة. b) L. S. مأتم. c) S. حَزّ. d) Les man. portent حلف.

تركونى أسيرَ وجدٍ وشوقٍ ما لقلبى من الجوى من سراحِ
أسلمونى للويل حتى تولّوا واصاخوا ظُلما لقول اللواحى
اعرضوا ثم عرّضوا بى لشوقٍ ترك القلبَ مُثْخَنا بجراحِ
أسهر الليل لستُ أُغْضِى[a] لصُبْحٍ اشترى النوم ذاهبا بالصباحِ
قد بدا يظهر النجومَ حُلِيّا وهو من لِبْسة[b] الصّبا فى بَراح
مُسْبلا سترَه منعَّمَ بالٍ وجفونى من سُهْده[c] فى كفاح
ايّها الليلُ لا تؤمّلْ[d] خلودا عن قريب يمحو ظلامك ماحِ
ويلوح الصباح مشرِقَ نور فيه للمستهلم بدوُ نجاح
ان يوم الفراق بدّد شَمْلى طايرا ليته بغير جناح
حالك اللون شبه لونك فاعْرِفْ عن عيانى يا شبهَ طيرِ التراحِ[e]
واذا ما بدا الصباح فما يُشـــبِهُ الّا لون الخدود الملاح

وقلت بالجزيرة الخضرآء

قد رُفعت رايةُ الصباح تدعو الندامَى لِلاصطباحِ
بادروا للصبوح انّى قد بعتُ فى غيّه صلاحى
ولا تميلوا عن رَشْفِ ثغر وسمعِ شَدْوٍ وشرب راح
وانت يا من يروم نُصْحى قد يَئِسَ القومُ من فلاحى
فلست اصغى الى نصيحٍ ما نهضت بالكؤس راحى

قال وقلت امدح ملك افريقية واهنّيه بقتل ثائر من زناتة يدعى، انه من نسْل يعقوب المنصور

برّح بى من ليس عنه بَراحْ ومن راى قتلى حلالا مُباحْ
من *صرح الدمعَ[f] بحبّى له وما لقلبى عن هواه سراحْ
شبى عدمتُ الصبح مذ صدّنى وكيف لا يعدم وهو الصباحْ
مورّد الخدّ شهىّ اللّمَى منعّم الرِّدْف جديبُ الوشاحْ
تسطته من قلبه جَلْمَدا ومنه للمآء بحعنى انسياحْ
تردفه اضعف من صَبّه ولم ارل من لحظه فى كفاحْ
نشوانَ من ريقته عَرْبدتْ اجفانُه بالمرهفات الصفاحْ

a) Voyez sur la signification de ce verbe, Harīrī, p. 69; S. اصغى. b) S. نبسة. c) S. شهده. d) S. نروم. e) S. النزاح. f) S. صرح القلب.

ثها انينى خافتّ مثل ما — انسا ا، سرٌ مُثْخَن بالجراحْ a

من ذا الذى يبخل فى تونس — والملْح فيها صار عذبا قراحْ

واصبحت ارج وها — مبيضة الابراج حضرَ البطاحْ

لولا ندى يحيى وتـ — ما برحت تغير منها النواحْ

لكنْ يداه سُحُبٌ كلّما — حلّت بارضٍ حلّ فيها النجاحْ

هذا وقد آمن مَن حلّها — وحقّها مِن غربة وانتزاحْ

كم شنتوا من قبل تأميره — وحُكّمت فيه عوالى الرماحْ

يا سايرا يرجو بلوغَ المُنى — باكِرْ ذَرى يحيى وقِلْ لا رواحْ

وحيّهِ بالمدح فهو الذى — يهتزّ كالهندىّ حين امتداحْ

بالشرق والغرب غدا ذكره — يحثّ من حمد وشكر جناحْ

ساعدَه السّعدُ واضحت له — الآمال لا تجرى بغير اقتراحْ

وبشّر الله له ملكه — من غير ان يشهر فيه السّلاحْ

وكلّ من كان على غيره — ذا منْعة امسى به مستباحْ

وكم جَموح عند ما قام بأ — لأمر رأى القهر فخلّى الجماح

* كَفّ بكفّ b للندى والرّدى — بها معانٍ c وهى *خُرْس فِصاحْ d

حتى لقد احشن من سَعدِه — تجرى على ما يرتضيه الرياحْ

قولوا ليعقوبَ فما ذا جنا — وابن ابى حمزة ما ذا استباحْ

قد اصْبَحا من فوق جِذْعين لا — يؤنسهم غير هبوب الرياح

وأسألْ عن الداعى الدعىّ الذى — حاول امرا كان عنه الصِّراح

اكان مَن صيّره والدا — بزعمه امّل فيه فلاح

شكرا لِسَعد لم يدع فرقة — قد صيّر الملْك كضرب القِداح

راموا بلا ناه ولا محتَد — ما حُزْتَ e بالحق فكان افتضاح

زناتة يُهنّيكم فعلَكم — عاجلكم f ثائرُكم باجتياح

---

a) S. ajoute: يا قاتلى صدًا اما تستحى — ان تلزم البخل بارض السماح. b) S. كيف يكف. c) S. مُغاث. d) Ces mots sont probablement altérés. e) G. جزت. f) L. عاملكم ☆

كفر[a] ما قدمتمُ آخر[b]   والخيرُ لن يبرح للشرّ هـاء
عهدى به فى مود ، المَلك ما   بينكمْ نشوان من غير راح
ملك له   درو   ملك لسُمر الرماء
غدا بعزّ المُلك لكنّه   أهون مملوك على الارض راح
جاوا به يمرح فى عزّه   وهم ازالوا عنه ذاك المَراح
توقعوا فى القرب منه الردّى   من صُحْبَته[c] الأجرب يَخشى الصِحاح
فأسْرعوا نحوك يبغون ما   عوّدتّهم من عطفة والتماح
فغادروه ج انا غدرة   لطاير البين عليه نياح
فالحمد لله على كلّ ما   لك السعد بِرغم اللواح
مثلك لا ينفذ ما شآءه   فلستَ تاتى[d] الدهر الّا صلاح
لا زلتَ فى عزّ وفى مُكْنة   سى رور دائم واّد ح

قال وقلت ببنيونش موضع الفرجة بسبتة

اشربْ على بنيونش   بين الشوانى والبطاحْ   مع فتية مثل النجو
م لهم اذا مَرّوا جِماحْ   ساقيهِم متبذّل   لا يمنع المآء القَراحْ
كلٌّ يمد يمينَه   ما فى الذى ياتى جُناحْ   هبوا عليه كلّما
هبّت على الروض الرياحْ   طوع الامانى كلّما   ياتى به فهو اقتراحْ
عانقتُه حتى تب ت

وقلت باشبيلية

أَوَجْهُ صُبحٍ أمِ الصباحْ   ولحظها ام ظُبَى الصِفاحِ   وثغرها ام نظيم دَرّ
ام سلافُ، راحِ   وقدّها ام قوام غصن
يا حبّذا زورة   منها على غفلة اللواحى   فلم اصدّقْ بها سرورا
وظلتُ نشوانَ دون راحِ   اما مُنعتُ السلام دهرًا   ولا رسول سوى الرياحِ
قلت الا فأنس ما تقضّى   فمن يدعْ ما مضى استراحَ[f]   يا حبّذاها وقد تأتّت
من دون وعدٍ ولا اقتراح   زارت ومن نورها دليل   والليل قد اسبل الجناح

---

a) G. L. كفى. b) L. اخرا. c) G. L. صحبه. d) Lisez تؤتِى. e) G. يحصره.

f) Voyez sur l'ikwā (içrāf Ewald, *de metris carm. ar.*, p. 108, 113, 134) Freytag, *Darstellung d. arab. Verskunst*, p. 238.

اخفقت سُراها فباحهتني ، لهنّه بعرف فَشا وفاحَ   وافت فامسى فمى مُداما
وساعدَاى لهنة وشلح   كانّما بتٌّ بين روض   والغصن والورد والأقاح
فبينما الشّمْل [a] فى انتظام   اذ سمعتْ داعىَ الفلاح   فغادرتْنى فقلت غَدْرا
قالت اما تحذر افتضاحَ   وَلّتْ وما خلتُ من صباح   يبدو على اثره صباحُ

قال وقلت بتونس

لا مرحبا بالتِّين لما بدا   يُسْحَب من ليل عليه الوُشاحْ
ممزّق الجلباب يحكى ضُبْحى   هامةَ زنجىّ عليها جراحْ
وان تُصَحِّفْه فلا حبّذا   ما قد اتى تصحيفُه بانتزاحْ

وقلت بالجزيرة الخضرآء وقد كلفتُ

غرامى بأقوال العدى كيف ينسخ   وعهدى وقد احكمته كيف يفسخُ
كلامكمُ لا يدخل السمع نصْحُه   ولكن اذا حرضْتم فهو يرسخ
وبى بدر تم قد ذللت لحسنه   فمن ذا الذى فيما أتيتُ يوبّخ
اذا خاصمونى فى هواه خصمتُهم   ويبغون تنقيصى بذاك فاشمخُ
ارى انّ لى فضلا على كلّ عاشق   فقصّتُنا فى الدهر ممّا يؤرّخ
فما بشرٌ مثلٌ له فى جماله   ووجدى به فى العشق ليس له أَخُ

وقلت بالاسكندريّة وقد تعذّر علىّ الحج عند وصولى اليها سنة ٦٣٩

قرب المزارُ ولا زمان يُسعِد   كم ذا أُقرّبُ ما اراه
وا رحمة لمتيّم ذى غربة   ومع التغرّب فاته ما يقصد
قد سار من اقصى المغارب قاصدا   مَن لذّ فيه مسيره اذ يجهد
فلكم بحار من قِفار جبتُها   يلفى بها الصمصام أذعر [b] يرعدُ
كابدتُها عربا وروما   اذ جُزتُ صعبَ صراطها لا اطرّدُ
يا سايرين ليثرب بُلّغتمْ   قد عاقنى عنها الزمان الانكَدُ
أعَلمتمْ ان طرت دون محلّها   سبقا وها انا اذ تدانى مقعَد
يا عاذلى فيما اكابِد قلّ فى   ما ابتغيه صبابة وتسهّد
لم تلف ما لاقيتُه فعذلتنى   لا تعذره [c] المشتاق الا مكمَدُ

a) S. فيبعد. b) S. داعر. c) S. بعذر.

لو كنتَ تعلم من * اروم ثنوه a   ما كنتَ فى هذا الغرام تفنّدُ
لا تلاب عيشىٌ او أحلّ بطيبة   افق بـه b خيـر الانام محمّدُ
صلّى عليه من براه خيرة   من خلقه فهو الجميع المفرد
يا ليتنى بُلِّغتُ لثمَ ترابه   فيزاد سعدا من بنعمى يسعد
فهناك لو اعطى مناى محلّة c   من دونها حلّ السُّهى والفرقد
عينى شكت رمدا وانت شفآؤها   من دآئها ذاك الثرى لا الأثمَدُ
يا خير خلق الله مهمى غبتُ عن   عليا مشاهدها فقلبى يشهدُ
ما باختيار العلب يترك جسمه   غير الزمان له بذلك تشهد
يا جنة الخلد التى قد جئتَها   من دون بابك للجحيم توقُّد
صَرمَ التواصلَ ذُبَّل وصوارم   ما للجليد على تقحّمها يَدُ
فلئن حرمتُ بلوغَ ما امّلته   فلدىّ ذكرى لا تزال تُردَّد
فلتنعشوا منّى الذمآء d بذكره   ما دمتُ عن مَلك المعالم ابعد
لولاه ما بقيتْ حياتِى ساعة   هو لى متى متُّ اشتياقٌ مولِدُ
ذكر يليه من الثنآء سحآئب   ابدا على مرّ الزمان يجدّد
من ذا الذى نرجوه لليوم الذى   يقضى الظمآء به ويُحْمَى المورد
يا لَهْفَ من واثى هناك وماله   من حبّه ذُخْرٌ به يتزوّد
* ما ارتجى عملا ولكن ارتجى   نعتى به ولحسب من يتزوّد e
ما صحّ ايمانٌ خلا من حبّه   أبلا رسَاس يُستعَدّ مهنّدُ
عن ذكره لا حلتُ عنه لحظةً   ومدايحه فى كلّ حَفْل انْشُدُ
يا مادحا يبغى ثوابا زائلا   فثوابُ مدحى فى الجنان اخلدُ
لولا رسول الله لم ندر الهدى   وبه غد f نرجو النجاة ونسعد
يا رحمة للمومنين بُعثتَ والـــدُّنيا بجُنْح الكفر ليلٌ اربَدُ
أطلعتَ صبحا ساطعا فهديتَ لـــلايمان الّا مَن يحيد ويجحد
ثما تخفْ فى الله لومَةَ لائم   حتى أقرّ به الكفور الملحد
ونصرتَ دين الله غير محاذر   ودعوت فى اخرى الاولى قد اصعدوا

---

a) S. لما. b) G. بيبا. c) S. محلة. d) S. الدمآء. e) Ce distique manque dans le man. G.
f) Lisez غدًا.

ولقيتَ من حربِ الاعادى شدّة   لو كابدوها ساعة لتبدّدوا

ايانَ لا احد عليهم عاضِد   الا الالـه ولم يخنْ من يعضد

فحماك بالغار الذى هو من ادّ   لّ المعجزات وخاب [a] من يترصّد

ووقاك من سُمّ الذِراع بلطفه   كيما يغاظ بك العدَى والحسّد

والجِذْع حنّ اليك والماء آنهمى   ما بين خمسك والصحابة شُهّد [b]

والذئبُ انطق للذى اضحى به   يهدى الى سبُل النجاح [c] ويرشد

الاسْرَا حباك وسِمى   الصديق من اضحى لقولك يُسْعِد

وحباك بالخلق العظيم ومعجز   الكلم الذى يهدى به اذ يورد

وبُعثتّ بالقرآن معارض   فيه وامسى من نحاه يعرّد [d]

فتوالت الاحقاب وهو   من ان يكون له مثال يوجَد

ولكم بلبغ جال فصل خطابه   والسُّرْج فى ضوء الغزالة تهمد [e]

زُويَت لك الارض التى لا زال حَ   الحَشْرِ ربُّك فى ذراها يُعْبَد

ونصرتَ بالرعب الذى لما يزل   يترى كأنْ ما عين شخصك تفقد

فمتى يعرّض طاعِن او حاد من   حرم الهداية فالحسام مجرّد

يا من تَخَيّر من ذوَابة هاشم   نعم الفخارُ لها ونعْم المَحْتِد

لسناك حين بدا بآدم اقبلت   رعيا لاخراه الملآئك تسجُد

لم استطع حَصْرا لِما أُعطيتَه   فذكرت بعضا واعتذارى مُنشد

ما ذا اقول لو وصفتُ محمّدا   نَفِد الكلام ووصفُه لا يَنفَد

فعليك يا خير الخلآئق كلّها   منّى التحيّة والسلام السّرْمَدُ

قال وقلت باشبيلية

هل تمنع النهودُ   ما ابدَتِ الخدودُ   نعم وكم طعين   بطعنها شهيدَ

يا ربّةَ المحبّا   حُقّت به السعودُ   لم تسكر الحميّا   بل ريقُك البَرودُ

لله يا عَذولى   ما يكتم [f] البرود   ما زلتُ فيه افنى   والوَجْدُ مستزيد

يا هل ترى زمانا   مضي لنا يعودُ   لدَى العروس سقّت   جنابَها العُهودُ

a) Lisez خاف. b) Voyez sour. 19, vs. 23 s. c) L. النجاة. d) L. يعدّد. Je suppose qu'il faut lire يعوّد. e) S. تخمد. f) G. L. تكتم.

الغصون مالت كأنّها قدودُ وزهرُها نظيم كأنّه عقودُ
حمامها تغنّى اعطافُها تميدُ وبالنسيم شقّت لنهرها بُرودُ
فروعه سيوف وسورُه بنودُ هناك كم دعتني الى *الورود رُودُ *a*
فنلت كل سُول يفني به الحسودُ قضيتُ فيه عيشا ما بعده مزيد
اضحى به وامسى مُرتّحا أميدُ كأنّني يزيد كانّني الوليدُ
يجرى الزمان طوعى بكلّ ما اريد الخمر ملّكتني فالخلق لى عبيدُ
يَحُق لى اذا ما ابصرتُها سجودُ فها انا اذا ما فقدتُها فقيدُ
يا من يلوم بَغيا العذلُ لا يفيدُ اذا عدمتُ كاسى فليس لى وجودُ

وقال وقلت باشبيلية

أوَما نظرتَ الى الحمامة تُنشد والغصنِ من طرب بها يتأوّدُ
ونثاره *القاه جائزةً *b* لها لمّا بزلْ بيد النسيم يبدّدُ
الفى عليها الطلُّ بردًا سابغا فثناؤه طول الزمان يردّد
اترى الحمامة من محبٍّ مخلص اولى بشكر حين تغمره يدُ
فلأُثنيَنّ عليك ما أثْنَى بِآءْ الغصن حنّانُ الهديل مُغرّدُ
كم نعمة لى فى جنابك كم أُكا بد جهدَها ايانَ برّك يجهدُ

وقال ارى العين منّى تحسد الاذنَ كلّما جرتْ مدحة للعلم والفضل والمجد
أحقّق انباءً ولم *c* ار صورةً كتحقيقي *d* الاخبار عن جنّة الخلد
فمنّ على عيني بلقياك أنّني اخذتُ نيا أمْنا بذاك من الشّهد

وقال وقلت امدح ابن عمّى واشكوه على ما اذكر

آهِ ممّا بكتْ فيك الجوانحْ ودموع على نَواهُ سوافحْ
واستفاء من العدوّ ببين كدّر العيش اىّ عيش النازحْ
يا اتمّ الانام حُسنا اما يحـ سن حتى يتمّ اطراء مادحْ
يا زمان الوصال عودًا فانّى نوّحتْ بى لما غُدِرتُ الطوائحْ
اين *e* عيش العروس اذ ننحّى سِرّ حبيبى ما بين تلك الاباطحْ

a) S. ورود الورد. b) G. L. القاه جمائره. c) Les man. portent وكم. d) S. تحقيقى
e) L. اى

والامانى تتشوّى ولا ا يد — صح اذ لا يُصغَى الى قول ناصحْ
وزمان السرور سَمْح مُطيع — ورسول الحبيب غادٍ ورائحْ
ولكم ليلة اتانى بلا طيب — ولكن يزرى بأذكى الروائح
هو ظبى فليس يحتاج طيبا — قد كفاه عَرْف من المسك فائح
مثل عليا محمد لم تكن — سبا وما لا يكون فى الطبع فاضح
يا كريما اتى من الجود ما لا — كان يدرى فوجّدتْه المدائح
وعلا كلّ ذى عُلاء واضحى — نحو ما لا يرومه الناس طامحْ
قد اتانى إحسانُك الغُمْر فى أنْ — ـرِ سواه فكنتُ اكمل مادح
فاض بحر النوال منك ولا سا — حل يبدو ولم ازل فيه سابح
حُلَل مثل ما كسوتك فى المد — ح تُبيت العدا ومال وسايح
اورد الوردَ منطقى كلّ شكر — حين اضحى طوع البَنان مسامح
لون خدّ الحبيب حين كسوه — حُلّة الحسن بالعيون اللوامح
شَفَقٌ سال بين عينيه صبح — حسنه قيّد اللحاظ السوارح
لم اجد فيه من جَماح ولكـنّ — ثنآئى عليه ما زال جامح
لك يا ابن الحسين ذكر جميل — الكل نحو بابك جانح
قد هدى نحوك الثناء كما ي — الى الروض باسمات النوافح
فآعذرِ الناس ان اتوا لك افوا — جًا فكلٌّ بقصد فضلك رابحْ a
ما هدَتْهم اليك الّا الامانى — لم تحلهم الا عليك القرآئح
قَلْ لذى المفخر الحديث تاَخّرْ — لبس مهر فى شأْوه مثل قارح b
آىّ اصل وآىّ افاما — شرفا ظلّ للنجوم يناطح
قد حوت مذحج من الفخر لمّا — كنت منها ما ليس يحويه c شارح
أفق مجد قد زانه منك بدر — فى ظلام الخطوب ما زال لائح
بدر تمّ حفّتْ به هالة من — بيت مجد علاؤها الدهر واضح
يا سماكا بملكه القلم الاعـلَى بدا بين انجم الملك رامح
رفع الله للكتابة قدرا — بعدَ ما كابدَتْ توالى الفضائح

S. .رائح b) L. فادح c) L. تحوبه.

يا اعزّ الانام نفسا واعلا   هُم محلّا لا زال امرك راجحْ
اين اعدآؤك الذين رعى سَيْـــــفُك فيهم فاشبهوا قومَ صالحْ
أفسَد الدهرُ حالَهم ليُرى حا   لُك رغما بمن يناويك صايحْ
دمتَ فى عزّة وسعد مدى الدهـــــر ولا زال للسماير منك سابحْ

وابن عمّه المذكور قالَ فى حقّه فى المغرب ما ملخصه انه الرئيس الاعلى ذو الفضائل الناجمة ابو عبد الله محمد بن الحسَين بن ابى الحسَين سعيد بن الحسين بن سعيد بن خلف بن سعيد قال واجتماع نسبنا مع هذا الرئيس فى سعيد بن خلف وهو الآن قد اشتمل عليه ملك افريقية اشتمال المُقْلة على انسانها، وقدمه فى مملكته تقديم الصَّعدة لسنانها، واقام لنفسه مدينة حِذآ حضرة تونس واعتزل فيها بعسكر الاندلس الذين صيّرهم الملك المنصور الى نظره وهو كما قال الفتح صاحب القلائد بعد جآء اخرهم، فجدّد مفاخرهم، ومن نظمه وقد نزل على من قدّم له منثورا اسود اللون غليظا وخرّوبا وزبيبا اسود وزبيبا كثير الغضون جاءت به عجوز فى نَيّف فقال

ويومٍ نزلنا بعبد العزيزْ   فلا قدّس الله عبدَ العزيزْ
سقانا شرابا كلَوْن القَفا   وأشغلنا بقرون العنوزْ
وجاءتْ عجوز فاهدَت لنا   زبيبا كخيلان خدّ العَجوزْ

انتهى ونزل السلطان ابو يحيى فى بعض حركاته لموضع فيه نهر وعلى سنّه ...، فقال الرئيس ابو عبد الله ابن الحسين يصفه او امر بذلك

ونهرٍ تَرِقّ النَّورُ فى جنباته   ويثنى النسيمُ متنه ...
يسيل كما عَنّ الصباح بأفقه   والا كما سِيم الحسامُ المجوهرُ
عليه ليحيى قُبَّةٌ هل سمعتمُ   بقُرْصة شمس حل ... غضنفرُ
فان قلت هذى قبّة لعُفاتها   فهل ذلك الوادى الذى ساله كوثرُ

قال ابو عمرو احمد بن مالك بن سيّد اللخمى الشبى فى ذلك

وارض من الحصْباء بيضاء قد جرت   جداولُ ماء فوقها تتفجّرُ
كما سبحت تبغى الحياة اراقمٌ   على روضة فيها الأقاح المنوّرُ
والّا كما شقت سبآئك فضّة   بساطًا على حافاته الدرّ ...

a) S. الندى. b) S. جمتره. c) G. النهر ; S. المرعز. d) L. S. فضته. e) L. هو.

وقال ابو علي يونس

انظرْ الى منظر يسبيك منظرُه   ويزدهيك باذن الله مخبرُه

ومُعجِب مُعجَب لا شيء يشبهه   خريرُ مآء مَعين ثم منهره

كانّما فُرِّشت بالدُّرّ صفحتُه   فالمآء ينظمه طورا وينثره

كأنّ خُلْجانه قدّت على قدر   بمآئها قَسَم يجرى مفجّره

أحلّ سيّدُنا الميمون قبّته   بحوزه فغدا يزدان جعفرُه «»

رجع الى ما كُنّا فيه من اخبار الرئيس ابن الحسين فنقول رايت بالمغرب آخرَ كتاب روح الشجر من نسخة ملوكيّة كُتبتْ له ابياتا علق بحفظى الآن منها ما نصّه

تمّ روح الشجر نسخا فأتى   مُصحبا باليمن والفخر البعيدْ

لأبى عبد الاله المرتقى   فى ذرى المجد الرئيس ابن سعيدْ

ولم احفظ تمام الابيات وقال ابو الحسن a على بن سعيد كتبتُ اليه من ابيات بحضرة تونس وقد نقل اليه بعض الحسّاد ما اوجب تغيّره

ومن بعد هذا قد اتيتُ بزلّة   اما حسَن أن لا تُضيق به صدرا

وعلمُك حسبى بالامور فانّنى   عَهدتك تدرى سِرّ امرئ والجهْرا

وقد اصْلح الله الامور بسعيكم   ونيّتكم صلحا على البشر والبُشْرى

ولم يبق لى الّا رضاك فانْ به   كتبتَ ولو حرفا اطبتَ لى العمرا

فبقّيتَ كهفا للجميع ومَوْئلا   ولا زلتَ ما دام الزمان لنا سترا

فكتب الىّ هذه الابيات وكان متمرضا وبعث لى بما يذكر

أكفّ الصّبا حقّت جَنى زهر الرُّبى   سؤالُك عن نِضوة يسامى بك الزهرا

بعثتَ بمثل الزهر فى مثل صفحة   لذلك ما قلدتّها الشذْر والدّرّا

مَعانٍ لها أعنو وأعنى بها فكم   وقفتُ عليها العين والسمع والفكرا

فلو عُرضتْ للبحر لم يَلْفُظ الدرّا   ولو عارضتْ هاروتَ لم ينفث السحرا

ابا حسَن هنّئت ما قد منحتَه   ضروبا من الآداب تُحلى بها الدهرا

ودونك بحرًا من ودادى تلاطمتْ   به زاخرات المَدّ لا يعرف الجَزْرا

فان خطرتْ فى جانب منك هفوة   فلا تحسبَنْ انّى اضيق بهاه صدرا

a) G. L. الحسين. b) G. S. مصو. c) L. لها.

يذلّ الجواد عند ما يبلغ المدى ... ويَعثُر بالرِمث النسيمُ اذا أَسْرى
فدعْ ذا وخُذْها شايبات قرونها ... عروبا لعوبا حائرا حكمها بكرا
ولو غادرتْ اوصافها مترجما ... لشنّفتَ من اشعارها اذُنَ الشعرى
الا فاحجبَنْها عن صديق معمّم ... فانّ قصار الغمّ أن يبكى العَمرا
ومن كان ذا حَجْر ونُبْل ورقة ... فلا يخلُوَنْ الّا على الخمرة الخمرا
قرنتُ بها صعوآء لم تعرف الهوى ... ولا الفتْ وصلا ولا عرفت هجرا
ولا صمخت نصخ العبير وان غدت ... توخّره لونا وتفضحه نشرا
فان خلتها بنتَ الظليم اظلّها ... فقد فرّش الانخر من تحتها تبْرا
لها نسَب بين الثريّا او الثرى ... وسلْ بابيها المزنَ والغصن النضرا
فشربًا دهاقا وانتشاقا ولا ترِمْ[a] ... عن البيت فترا او تقيم به شهرا

وله فى الخشكلان

هو الاهلّة لكن   تدعونه حشكلانا   فانْ تفاعلتَ صَحّفْ   تجدْ حبيبك لانا

انتهى باختصار، وحظى المذكور جدّا عند سلطان افريقيّة ابى زكريا يحيى بن عبد الواحد بن ابى حفص ولمّا مات السلطان المذكور وحدثت فتنة بموته اختلاف ثم استقرّت الدولة لابنه الشهير الكبير القدر ابى عبد الله المستنصر ممدوح حازم المعصوره وقاتل ابن الابّار القضاعيّ سخط على الرئيس ابن الحسين المذكور وقبض على دياره واموانه وصيّره كالمحبوس فكتب اليه رقعة يطلب الاجتماع به فى مصلحة للدولة فاحضره وسأله فاخبره بأنّ اباه صنع دارا عظيمة تحت الارض واودع فيها من انواع المال والسّلاح ما جعله عُدة وذخيرة لسلطنته ولم تدر على وجه الارض مَن له علم بهذا الموضع الذى اودعه نفائس امواله غيرى واوصانى انه اذا انتقل الى جوار ربّه اذ توقّع ان تقع فتنة بين اقاربه انه ان انقضتْ سنة واستقر الامر لاحد من ولدى او من تتيقّن انه يصلح لامور المسلمين فاطلعه على هذه الذخائر فربّما فنيت الاموال بالفتنة فلا يجد القائم بالامر ما يُصلح به الدولة اذا تفرّغ للتدبير والسياسة فعرج السلطان وبادر الى تلك الدار فرآها ملأ عينه وسرّ قلبه وخرج الرئيس ابن الحسين وانخمل تحجب امامه وبدّد[b] الاموال بين يديه واعده الى احسن احواله وجعله وزيرا

a) S. ترى.   b) S. ويبذر.

لديه كما كان ابوه مفوضا امره اليه فقال السلطان انّ من اوجب شكر الله علىّ ان افتتح المال بان اوجه منه للرعية الذين نُهبت دورهم واحترقت فى الفتنة التى كانت بينى وبين اقاربى ما خسروه وامر بالندآء فيهم واحضرهم وكلّ من حلف على شىء قبضه وانصرف وكان السلطان المستنصر المذكور فى بعض متصيّداته فكتب لابى عبد الله الرئيس المذكور يامره باحصار الاجناد لاخذ ارزاقهم بقوله

ليحضر كلُّ ليث ذو منال زكَا فرعا لاسدآء النوالِ
غدا يوم الخميس فما شغلنا باسد a) الوحش عن أُسْد الرجالِ

وحكى ان السلطان المذكور عرض مرّة اجناده وقبيل بل سلّم عليه الموحّدون يوم عيد بتونس وفيهم شاب مليح وسيم اسم جدّه النعمان فسأله السلطان عن اسمه واعجبه حسنه فتخجل واحمر وجهه وازداد حسنا فقال السلطان · كلّمتُه فكَلّمتْ صفحةَ خدّه وسأل من الحاضرين الاجازة فلم ياتوا بشىء فقال السلطان مجيزا شطره فتفتّحتْ فيها شقآئقُ جدّه وهذا من البدآئع مع ما فيه من التّوْرِية والتجنيس ومما نسبه له ابو حيّان بسنده اليه

ما لى عليك سوى الدموع معين ان كنت تغدر فى الهوى وتخون
مَن مُنجِدى غير الدموع وانّها لمُغيثة مهما استغاث حزين
اللهُ يعلم انّ ما حمّلتنى صَعْب ولكن فى رضاك يهون

وكان للسلطان المذكور سَعْد يُضرَب به المثل حتى انه كتب له صاحب مكة البيعة من انشآء ابن سبعين المتصوّف كما ذكر ذلك ابن خلدون فى تاريخه الكبير وسرد نصّها وهى من الغرائب ومن سَعده ان الفرنسيس الذى كان اسر بمصر وجعل فى دار ابن لقمان والطواشى صبيح يحرسه لما سرح جاء من امم النصرانيّة لبلاد المسلمين بما لم يجتمع قط مثله حتى قيل انهم كانوا الف الف فكتب اليه اهل مصر من نظم ابن مطروح القصيدة المشهورة التى منها

قلْ للفرنسيس اذا جئتَه مقالةً من ذى لسان فصيحْ

الى ان قال دار ابن لقمان على حالها ومصر مصر والطواشى صبيحْ

والقصيدة مشهورة فلذلك لم اسردها فصرف الفرنسيس جيوشه الى تونس فكتب اليه

a) S. باسدآء.

بعض ادبآء دولة المستنصر
افرنسيس تونس اخت مصر   فتاهبْ لما اليه تصيرُ
لك فيها دار ابن لقمان قبر   وطواشيك مُنْكَر ونكيرُ

فقضى الله انه مات فى حركته لتونس وغنم المستنصر غنيمة ما سُمع بمثلها قط ويقال انه دسّ اليه سيفا مسموما مَن سلّه اثر فيه سُمّه وقلده رسولا اليه بعد ان جعل عليه من الجواهر النفيسة ما لم يُر مثله عند غيره وقال للرسول ان الفرنسيس رجل دنس الطمع ولو لا ذلك ما عاود بلادَ المسلمين بعد اسره وانه سَيَرى السيف ويكثر النظر اليه فاذا رايته فعل ذلك فأنزعْه من عنقك وقبّلْه وقلْ له هذا هديّة مني اليك لأنّ من آدابنا مع ملوكنا أنّ كلّ ما وقع نظرُ الملك عليه وعاود النظر اليه بقصد فلا بُدّ ان يكون له ويُحرَم علينا ان نمسكه لأنّ ما احبّه المولى على العبيد حرامٌ وتكراره النظر اليه دليل على حُبّه له ففرح النصرانيّ بذلك واسرع الرسول العود الى سلطانه فسلّ النصرانيّ السيف فتمكن فيه السمّ بالنظر فمات فى الحين وفرّج الله تعالى عن المسلمين، رجع الى اخبار ابى الحسن على بن سعيد قال ابن العديم في تاريخ حلب انشدنى شرف الدين ابو العباسa احمد بن يوسف التيفاشى بالقاهرة فى ابى الحسن على بن موسى بن سعيد الغرناطى يشير الى كتاب ابى الحسن الذى جمعه فى محسن المَغرب وسمّاه المُغرب

سعد الغرب وازدهى الشرق عجبا   وابتهاجا بمُغرِب ابن سعيد
طلعت شمسه من الغرب تجلى   فاقامت قيامة التعبيد
ثم بدع للمؤرّخين مقالا   لا ولا للرواة بيت نشيد
ان تلاه على الحمام تغنّت   ما على ذا فى حسنه من مزيد

وانشدنى ابو العباس التيفاشى لنفسه فيه

يا طيّب الاصل والفرع الزكيّ كما   يبدو جَنَى ثمر من اطيب الشجرِ
ومن خلائقه مثل النسيم اذا   يهفو على الزهر حول النهر فى السَّحَر
ومن محاسنه والله الشهيدُ اذا   يبدو الى بَصَرى ابهى من القمر
اعملتَ فكرى بسرّ لا اقوم به   كنت اتلوه قرآنا مع السُّوَر
اهديت فى الغربَ مجموعا بعلمه   فى قاب قوسين بين السمع والبصر

a) S. الحسن.

كأنّنى الآن اجمعه بكل مَن فيه من بَدْو ومن حضر

نعم ولاقيتُ اهلَ الفضل كلّهمُ في مدّتي هذه والاعصر الاخر

ان كنتُ لم أرَهم فى الصدر من عمرى فقد رددتُ علىّ الصّدر من عمرى

وكنتَ لى واحدا فيهم جميعَهمُ ما يعجز اللهَ جمعُ الخلق فى بشرِ

ا جُزيتُ افضل ما يَجزى به بشر مفيد عمر جديد الفضل مُبتكَر

انتهى ومن نظم ابى الحسن بن سعيد قوله

وعشيّة بَلغتْ بنا ايدى النوى منها محاسن جامعات للنخبْ

فحدآئق ما بينه *من جدول a وبلابل b فوق الغصون لها طربْ

والنخل امثال العرآئس لبسها خَزٌّ وحِلْيتها قلآئد من ذهبْ

ومن نظمه رحمه الله فى حلب قوله

حادىَ العيس كم تُنيخ المطايا سُقْ فروحى من بعدهم فى سياق

حلب انّها مقرُّ غرامى ومرامى وقبلة الاشواق

لا خلا جوسق وبطياسُ والسعدآء من كلّ وابل غيداق

كم بها مَرْتع لطرف وقلب فيه يسقى المُنى بكاس دهاق

ه وتغنّى وتثنّى عصفيه للعناق

وعُلوّ الشهبآء استدارت انجم الافق حولها كالنطاق

وقوله ايضا فى حماة

حمى الله عن شطّى حماة مَناظرا وقفتُ عليها السمعَ والفكر والطرفا

تغنّى حمام او تميل خمائلَ وتزهى مبان تمنح الواصفَ الوصفا

يلومونني أن اعصى الصون والنهى بها واطيع الكاس واللهو والقصفا

اذا كان فيها النهر عاص فكيف لا احاكيه عصيانا واشربها صِرْفا

ه واشدو لدى تلك النواعير شدوها واغلبها رَقْصا واشبهها غَرْفا

تَئِنّ وتُذرى دمعها فكانّها تهيم بمرآها وتسْألها العطفا c

وقوله فى وداع ابن عمّه وكتب بهما اليه

وداع كما ودعت فصْل ربيع يفضّ ضلوعى او يفيض دموعى

a) S. وجداول. b) S. وبلابل. c) R. عطفا ; S. العطفا.

لئن قيل فى بعض يفارق بعضه   فانّى قد فارقت منك جميعى

قال فارسل لى احسانا واعتذر ولسان الحال ينشد عنه

احبّك فى البَتول وفى ابيها   ولكنّى احبّك من بعيد

وقوله وقد أُفلت المركب الذى كان فيه من العدوّ

انظرْ الى مركبنا مُنقَذا   من العدى من بعد احراز

افلتْ منهم فغدا طايرا   كطاير أُفلت من باز

وقال رحمه لما خرج من حدود افريقيه

رفيقىَ جاوزْنا حدود مواطن   صحبنا بها الايّام طَلْقا مُحَيّاها

وما ان تركناها لجهل بقدرها   ولكنْ ثنت عنّا اعنّة سفياها

فسرنا نحثّ السير عنها لغيرها   الى ان يمنّ الله يوما بلقياها

وكان وصوله الاسكندرية فى السابع والعشرين من ربيع الاوّل سنة ٩٣٩، وقال رحمه اخذتّ مع والدى يوما فى اختلاف الناس وانهم لا يسلمون لاحد فى اختياره فقال متى طلبت ان يسلم لك احد فى هذا التاليف اعنى المغرب ولا تُعترَض أتبعتَ نفسك باطلا وطلبت غاية لا تدرَك وانا اضرب لك مثلا، يحكى ان رجلا من عقلاء الناس كان له ولد فقال يوما يا ابى ما للناس ينتقدون عليك اشيآء وانت عاقل ولو سعيت فى مجانبتها سلمت من نقدهم فقال له يا بُنىّ انّك غِرٌّ لم تجرب الامور وانّ رِضى الناس غاية لا تدرك وانا اوقفك على حقيقة ذلك وكان عنده حمار فقال له اركبْ هذا الحمار وانا اتبعُك ماشيا فبينما هما كذلك اذا قال شخص انظرْ ما اقلّ a هذا الغلام بادب b يركب ويمشى ابوه وانظرْ ما اشدّ تخلف والده لكونه يتركه لهذا فقال له انزلْ اركبُ انا وامش انت خلفى فقال شخص آخر انظرْ هذا الشخص ما اقله بشفقة ركب وترك ابنه يمشى فقال له اركبْ معى فقال شخص اشقهما الله انظر كيف ركبا على الحمار وكان فى واحد منهما كفية فقال له انزل بنا وقدماه وليس عليه راكب فقال شخص لا خفّف الله عنهما انظر كيف تركا الحمار فارغا وجعلا يمشيان خلفَه فقال يا بنىّ سمعتَ كلامَهم وعلمت انّ احدا لا يسلم من اعتراض الناس على اىّ حالة كان، وقال فى انشآء خطبة المغرب ما نصّه والحمد لله الذى

a) S. ajoute ادب.   b) Ce mot manque dans S.

جمل الادب، افضل ما انتخب، وافضل ما انتخب،، ان هو ذخر لا يخاف كساده،
وكنز لا يخشى انتقاصه وان كثر مرتاده،، ولله درّ القائل حيث قال

رايتُ جميع الكسب *a* يفقده الفتى ... وتبقى له اخلاقه *b* والتادّبُ
اذا حلّ فى ارض اقام لنفسه ... بآدابه قدرا به يتكسّبُ
وأَمّا كلُّ نحوه ولعلّه ... الى غير اهلٍ للنباهة ينسَبُ

وقال فى اثناء الكلام لبعض المغاربة

لأثبتّ فى كلّ الخواطر همّةً ... الى طلب العلم الذى كان مُطرح
وصيّرت من قد كان بالنظم جاهلا ... يحاوله كيما يجود لك المدح

وقال ايضا فى الخطبة وبعد فهذا كتابٌ راحة قد تعبت فى الاسماع والابصار والافكار
وكلّ عناء *c* سَهْلٌ اذا انجح القصد وقد بدأ فيه من سنة ٥٣٠ ومنتهاه الى غُرّة
سنة ٦٤١، قال واوّل من كان السبب فى ابتدآء هذا الكتاب جدٌّ والدى عبد الملك
ابن سعيد وهو اذذاك صاحب قلعة بنى سعيد تحت طاعة على بن يوسف بن
تاشفين امير المسلمين ملك البربر الى ان استبدّ بها سنة ٥٣٩ وقصده فى سنة ٥٣٠
حافظ الاندلس ابو محمد عبد الله بن ابراهيم بن الحجارى وصنّف له كتاب المسهب
فى غرآئب المغرب فى نحو ستة اسفار وابتدأ فيه من فتح الاندلس الى التاريخ
الذى ابتداه فيه وهو سنة ٥٣٠ ثم ثار فى خاطر عبد الملك ان يضيف اليه ما اغفله
الحجارى وتولّع بمطالعته ابناه ابو جعفر ومحمد واضافا له ما استفاداه ولم يزل يزيد
الى ان استبدّ به محمد فاعتنى به اشدّ اعتنآء ثم استبدّ به والدى وكان اعلمهم
بهذا الشان وبلغ من اجتهاده فى هذا الكتاب اننى اذكره يوما وقد نوّه به ابن
هود وهو ملك الاندلس وولّاه الجزيرة الخضرآء فاعلمه شخص ان عند احد المنسوبين
الى بيت نباهة كراريس من شعر شعرآئها واخبار رؤسآئها الذين تحتوى عليهم دولةُ
بنى عبد المؤمن فارسل اليه راغبا فى استعارتها فابى وقال علىّ يمين الّا يخرج عن
منزلى وقال ان كانت له حاجة ياتى على راسه وكان جاهلا فلما سمع والدى
ضحك *وقال سِر معى اليه فقلت له ومن يكون هذا حتى نمشى له على هذه الصورة *d*
فقال انى لا *e* امشى له ولكن امشى للفضلاء الذين تضمنت الكراريس اشعارَهم واخبارَهم

a) L. الكتب. *b*) G. خلافه. *c*) Les man. portent عَنًى. *d*) Ces mots ne se trouvent que dans le man. S. *e*) Même remarque.

اتراهم لو كانوا احيآء مجتمعين فى موضع انفت ان امشى اليهم قلت لا قال فان الاثر ينوب عن العين فمشينا الى منزل الرجل فوالله ما انصفنا فى اللقآء فلما قضينا منها الغرض صرفها والذى اليه وشكره وقال هذه فائدة لم اجدها عند غيرك فجزاك الله خيرا ثم انفصل وقال الم تعلم يا بنىّ انى سررت بهذه الفائدة اكثر من الولاية وان هذا والله اول السعادة وعنوان ª نجاحها والقلعة التى كان بها بنو سعيد تعرف بهم فيقال لها قلعة بنى سعيد وكانت تعرف قبل بقلعة استطلير b وهو عين لها وقال الملاحى فى تاريخه انها تعرف بقلعة يَحْصُب قبيل من اليمن نزل بها عند فتح الاندلس وبها كما مرّ صنف الحجارى كتابه المسهب لصاحبها عبد الملك بن سعيد وفى بنى سعيد يقول الحجارى

قوم لهم فى فخرهم شرف الحديث مع القديمْ ورثوا الندى والباسَ وال
عليا كريما عن كريمْ من كل وضّاح به يجلى دجى الليل البهيمْ

وكان اوّل من دخل الاندلس من ولد عَمّار بن ياسر رضّه عبد الله بن سعد بن عمان وقد ذكره ابن حيان فى مقتبسه واخبر ان يوسف بن عبد الرحمن الفهرى صاحب الاندلس آخر دولة بنى امية بالمشرق كتب اليه ان يدافع عبد الرحمن بن معاوية المروانى الداخل للاندلس وكان اذذاك اميرا على اليمانية من جند دمشق وانما ركن اليه فى محاربة عبد الرحمن لما بين بنى عَمّار وبين بنى امية من الثار بسبب قتل عمار بصفّين على يد عسكر معاوية رضّه وكان عمار من شيعة علىّ رضّهما ، وقال الحجارى انشدنى ابو بكر محمد بن سعيد صاحب اعمال غرناطة فى مدة الملثمين لنفسه فيما يليق بجنسه

ان لم اكن للعلآء اهلا بما تراه فمن يكونْ
فكلّ ما أبتغيه دونى ولى على همّتى ديونْ
ومَنْ يَرُمْ ما يَقِلُّ عنه فذاك من فعله جنونْ
فرْعٌ بأفْق السمآء سامٍ وأَصْلُه راسخٌ مكينْ
ومن نظمه قوله ابضا
الله يعلم ª انّى ا ب كسبَ ى ر أنسوا ى
عنها لسُوء المآل تحتاج للكدّ والبَدّ ل واصطناع d الرجال

a) G. L. وعنى. b) S. اسطلير. c) G. L. Lb. S. اعلم. d) G. L. O. ; La. واصطنعن ; S. واصطلعن.

تعْ كلُّ من [illegible] يسمو لها بكل احتيال ، فحالهم بانعكاس a
فيها وحالى حالى

ولما ذكر ابن سعيد فى المغرب ترجمة الرئيس الكاتب الماجد ابى العبّاس احمد الغسّانى كاتب ملك افريقية قال بما ذا اصفه ولو ان النجوم تصير لى نثرا لما كنت انصفه وكفاك أنّى اختبرت الفضلآء من البحر المحيط الى حضرة القاهرة فما رايتُ احسَن ولا افضل عِشرة منه ولما فارقته لم اشعر الّا برسالته قد وافتنى بالاسكندريّة من تونس وفيها قصيدة فريدة منها

ابه ابا الحَسَن أستمعْ شدوى فقد يصغى الحمام اذا الحمام ترنّما

ثم سرد بعضا من القصيدة وستاتى قريبا ان شآء الله تعَ بزيادة على ما ذكر منها فى المغرب، رجع وجد بخطّه رحه آخرَ الجزء من كتاب المغرب ما نصّه اجزتُ الشيخ القاضى الاجلّ ابا الفضل احمد بن الشيخ القاضى ابى يعقوب التيفاشى ان يَروى عنى مصنفى هذا وهو المُغرب فى محاسن المغرب ويرويه من شآء ثقةً بفهمه واستنامة الى علمه ه وكذلك اجزت لفتاه النبيه جمال الدين ابى عبد الله محمد ابن ابى بكر بن خطلخ الفارسى الارموى ان يرويه عنى ويُرويه مَن شآء وكتب مصنفه على بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد فى تاريخ الفراغ من نسخ هذا السفر انتهى، وقال b فى وسيم من ابنآء العاجم صحبه فى الطريق من حلب الى بغداد فمات وكان ظريفا اديبا

لَهْفِى على غصن ذوِى انقدتُه لما استوَى ريّان من مآء الصِّبى
ومن المدامع ما ارتوى لا تعذلونى ان نطقـتُ الدهرَ فيه عن الهوى
كم ضلّ صاحبه بسحـر اللفظ منه وكم غوى ه انا لا أُفيق الدهرَ فيـ
ـه من الصبابة والجوَى انّ الهوى حيّا وميتا لا يزال به سوى
كم قد نويت به النعيـم فقدّر الله النوى دار السلام حويتِ مَن
كلَّ المحاسن قد حوى مجموعُ حسن قد تَوى فى جنّة وبها ثوى

وولد ابو الحسن بن موسى يوم الثلاثا الثانى والعشرين من شهر رمضان عام ٦١٠ وهو على بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد

a) O. بانعكال. Dans le VIIe Livre: فحالهم فى انعكاس بها وحالىَ حالى b) G. S. عمله.

ابن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعد بن عمّار بن ياسر رضه، وقال في المغرب لما عرّف بوالده الكاتب الشهير ابى عمران موسى ابن محمد بن عبد الملك بن سعيد ما محصّله لولا انه والدى لأطنبتُ فى ذكره ووفيته من الوصف حقّ قدره، لكن كفاه وصفا ما اثبته له فى هذه الترجمة وما مرّ له ويمرّ فى اثناء هذا الكتاب وكون كلّ من اشتغل بهذا التاليف نيرا وهو بحر واشتهاره فى حفظه التاريخ والاعتناء بالآداب، فى بلاده بحيث لا يحتاج الى تنبيه ولا انتناب، وله من النظم والنثر ما تضح الاقلام من كثرته، وتستمدّ القطْرة من درّته، ومما شاهدت من عجائبه انه عاش ٦٧ سنة ولم اره يوما بتخلّى[c] من مطالعة كتاب او كتب ما يخلّده حتى ان ايام الاعياد لا يخليها من ذلك ولقد دخلتُ عليه فى يوم عيد وهو فى جهد عظيم من الكتب فقلت له يا سيدى أفى هذا اليوم لا تستريح فنظر الىّ كالمغضب وقال اظنّك لا تفلح ابدا اترى الراحة فى غير هذا والله لا احسب راحة[d] تبلغ مبلغها ولوددت ان الله يضاعف عمرى حتى اتم كتاب المغرب على غرضى فيه قال فثار ذلك فى خاطرى ان صرت مثله لا التذّ بنعيم غير ما التذّ به من هذا الشان ولولا ذلك ما بلغ هذا التاليف الى ما تراه، وكان اولع الناس بالتجوّل فى البلدان ومشاهدة الفضلاء واستفادة ما يرى وما يسمع وفى تولّعه بالتقييد والمطالعة للكتب يقول

يا مُفْنيا عمرَه فى الكاس والوترِ ... وراعيا فى الدجى للانجم الزهُرِ

يبكى حبيبا جفاه او يندم من ... يهفو لديه[e] كغصن باسم الزهر

لذات ... ـها ... ولا بخلد من فخ

وعاذلا لىَ ... لتُ اكتبه ... يبدى التعجّب من صبرى ومن فكرى

يقول ما لك قد افنيت عمرك فى ... حبْرٍ ونَقْسٍ عن الاغصان والحِبَرِ[f]

وظلت تسهر طولَ الليل فى تعب ... ولا ... ى ابدَ الايام فى ضجَر

اقصرْ فانّىَ ادرى بالذى طمحتْ ... لأجله همّتى وآسال عن الاثر[g]

واسمعْ نقول الذى تتلى محاسنه ... من بعد ما صار مثل التُرب كالسُّوَرِ

حمد ذى الارض كانوا فى الحياة وهم ... بعد الممات جمال الكتب والسِّيَرِ

a) L. تبيته. b) S. تعدّى. c) Les manuscrits portent يتخلى. d) L. الراحة. e) L. S. لديه. f) S. التحرير. g) L. الخبر. h) G. L. سر

انتهى، وولد ابو عمران موسى بن محمد فى الخامس من رجب عام ٥٧٣ وتوفى بثغر الاسكندرية يوم الاثنين الثامن من شوال عام ٦٤٠ وولد ابوه محمد بن عبد الملك صاحب اعمال غرناطة واعمال اشبيلية عام ٥١٤ وتوفى بشعبان عام ٥٨٩ بغرناطة وكان محمد بن عبد الملك وزيرا جليلا بعيد الصيت عالى الذكر رفيع الهمة كثير الاموال وذكره ابن صاحب الصلاة فى كتابه تاريخ الموحّدين ونبّه على مكانته منهم فى الحظوة والاخذ فى امور الناس واثنى عليه وذكره السهيلى فى شرح السيرة الشريفة حيث ذكر الكتاب الموجّه من رسول الله صلّعم الى هرقل وان محمد بن عبد الملك عاينه عند اذفونش مكرما مفتخرا به والقصيّة مشهورة ومدحه الرصافى بقصيدة اولها

ما ذا عسى يثنى على عَلَم النّدى   ذهنا بقيض وخاطرا متوقّدا

ولمّا انشده قصيدته التى اوّلها

لَمحلّك الترفيع والتعظيم   ولوجهك التقديس والتكريم

حلف لا يسمعها وقال علىّ اجازتك ولكن طباعى لا تحمل مثل هذا فقال له الرصافى ومن منلك يستحق هذا فى الوقت غيرك فقال له دعنى من خداعك انا وما اعلمه من قلبى وانشد له فى الطالع السعيد

فلا تظهرنْ ما كان فى الصّدر كامنا   تركبن بالغيظ فى مركب وَعْرِ

ولا تبحثنْ فى عذر مَن جآء تائبا   فليس كريما مَن يباحث فى العُذْرِ

وولى للموحّدين اعمالا كثيرة بمراكش وسَلا واشبيلية وغرناطة واتصلت ولايته على اعمال غرناطة وكان من شيوخها واعيانها وكتب عليه عقد ان فى داره من الحلى واصنافه ما لا يكن الّا فى دار الملك وانه اذا ركب فى صلاة الصبح شوش . .

. . . .

. . . . a) ونباح الكلاب فامر المنصور بالقبض عليه وعلى ابن عمّه صاحب اعمال افريقية ابى الحسن b) سنة ٥٩٣ ثم رضى عنهما وامر محمد بن عبد الملك ان يكتب بخطّه كلّما اخذ له فصرفه عليه ولم ينقص منه شيئا وغرم له ما فات منه وهذا مما يدلّ على قوة سعد c) محمد بن عبد الملك المذكور ونباهة قدره وحسبه من الفخر

a) Il y a ici un blanc dans tous les man.; G. porte en marge: هذا سطر بخط المؤلف رحّه ما قدرنا على استخراجه جبره الله تعّ. b) Les man. portent الحسين. c) S. سعيد بن.

مدحَ اديب الاندلس وشاعرها ابى عبد الله الرصافى له وهو ممن يمدح الخلفآء فى ذلك العصر رحمه وولد ابوه عبد الملك بن سعيد عام ٤٩٦ وتوفى بحضرة مراكش عام ٥٩٢، قال الحجارى لما مات يحيى بن غانية المُلثّم ملك الاندلس بحضرة غرناطة وكان وزيره ومدبّر دولته عبد الملك بن سعيد بادر الفرار لغرناطة عند ما سمع بموته الى قلعته وثار بها وتلبه خليفة يحيى بن غانية a بن العنبر فوجده قد مات b وقد قدّمنا ان عبد الملك هذا هو السبب فى تاليف كتاب المُغْرِب فى اخبار المغرب ثم نمّمه ابنه محمد بن عبد الملك ثم تمّم ما بقى ابنه موسى بن محمد ثم ارسى على الكل فى اتمامه ابو الحسن على بن موسى الذى قصدناه بالترجمة فى هذا الكتاب وقد ذكرنا من احواله جملة كافية، ومن فوآئد ابن سعيد ابى الحسن ما حكاه عن صاحب كتاب الكمآئم وهو وامّا فسطاط مصر فانّ مبانيها كانت فى القديم متصلة بمبانى مدينة عين شمس وجاء الاسلام وبها بنآء يعرف بالقصر حوله مساكن وعليه نزل عمرو بن العاص وضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب اليه ثم لمّا فتحها قسم المنازل على القبآئل ونسب المدينة اليه فقيل فسطاط عمرو وتداولت عليها ولاة مصر فاتخذوها سرير السلطنة وتضاعفت عمارتها فاقبل الناس من كل جانب اليها وقصروا أمانيهم عليها الى ان رسخت بها دولة بنى طولون فبنوا الى جانبها القطائع المعروفة بالقطائع وبها كان مسجد ابن طولون الذى هو الآن الى جانب القاهرة وهى مدينة مستطيلة يمرّ النيل مع طولها وتحطّ فى ساحلها المراكب الآتية من شمال النيل وجنوبه بانواع الفوآئد وبها منتزهات وهى فى الاقليم الثالث ولا يمرّ فيها مطر الّا فى النادر وترابها ينتّن الارجل وهو قبيح اللون تستكدر منه أرجآؤها وتسوء بسببه هوآؤها ولها اسواق ضخمة الّا انها ضيقة ومبانيها بالقصب والطوب طبقة على طبقة ومذ بنيت القاهرة ضعفت مدينة الفسطاط، وفرّط فى الاعتنآء بها بعد الافراط .، وبينهما نحو ميلين وانشدت فيها للشريف العقيلى

احنّ الى الفسطاط شوقا واننى لأدعو لها الّا يحلّ بها القطرُ
وهل فى الحيا من حاجة لجنابها وفى كل قطر من جوانبها نهرُ
تبدت عروسا والمقطم تاجها ومن نيلها عقد كما انتظم الدرُّ

a) S. ajoute ساكنة. b) G. S. سنة.

وقال عن كتاب اجار والفسطاط هو قصبة مصر والجبل المقطم شرقيها وهو متصل بجبل الزُمُرُّد ، وقال عن كتاب ابن حوقل الفسطاط مدينة حسنة ينقسم النيل لديها وهى كبيرة ومقدارها نحو فرسخ على غاية العمارة والطيب واللذة ذات رحاب فى محالها واسواق عظام، فيها ضيق ومتاجر ضخام « ولها ظاهر انيق وبساتين نضرة ومنتزهات على ممرّ الايام خضرة وفى الفسطاط قبائل وخطط للعرب تنسب اليها كالكوفة والبصرة الا انها اقل من ذلك وهى سبخة الارض غير نقيّة التربة وتكون الدار بها سبعَ طبقات وخمسا وستا وربّما يسكن فى الدار المائتان من الناس ومعظم بنيانهم بالطوب واسفل دورهم غير مسكون وبها مسجدان للجمعة بنى احدَهما عمرو بن العاص فى وسط الفسطاط والآخر على المَوْقف بناه ابن طولون وكان خارج الفسطاط ابنية بناها احمد بن طولون ميلا فى ميل يسكنها جنده وتعرف بالقطآئع كما بنى بنو الاغلب خارج القيروان رقّادة وقد خربتا فى وقتنا هذا واخلف الله بدل القطائع بظاهر مدينة الفسطاط القاهرة، قال ابن سعيد ولما استقررت بالقاهرة تشوقت الى معاينة الفسطاط فسار معى اليها احد اصحاب القرية فرايت عند باب زويلة من الحمير المُعَدّة لركوب من يسير الى الفسطاط جملة عظيمة لا عهد لى بمثلها فى بلد فركب منها حمارا واشار الىّ ان اركب حمارا آخر فانفت من ذلك جريا على عادة ما خلفته من بلاد المغرب فاخبرنى انه غير معيب على اعيان مصر وعاينت الفقهآء واصحاب البزّة والشارة الظاهرة يركبونها فركبت وعندما استويت راكبا اشار المكارى الى الحمار فطار بى واثار من الغُبار الاسود ما اعمى عينى ودنس ثيابىْ وعاينت ما كرهته ولقلة معرفتى بركوب الحمار وشدّة عدْوه على قانون لم اعهده وقلة رفق المكارى وقعت فى تلك الطلمة المثارة من ذلك العجاج فقلت

لقيت بمصر اشدّ البَوارْ ... ركوبَ الحمار وكحل الغبارْ

وخلفى مكارى يفوق الريا ... حَ لا يعرف الرفق مهما استطارْ

اناديه مهلا فلا يرعوى ... الى ان سجدتّ سجودَ العَثارْ

وقد مدّ فوقى رواق الثرى ... والحد فيها ضيآء النهارْ

فدفعت الى المكارى اجرته وقلت له احسانك ان تتركنى امشى على رجلى ومشيت

1) D. فالحمار. 2) D. النزوة.

الى ان بلغتها وقدرت فى الطريق بين الفسطاط والقاهرة وحققته بعد ذلك نحو ميلين ولما اقبلت على الفسطاط اذهرت عنى المسرة وتاملت اسوارا مثلمة سودآء وافافا مغبرة ودخلت من بابها وهو دون غلق يفضى الى خراب معمور بمبان متشتتة الوضع غير مستقيمة الشوارع قد بنيت من الطوب الادكن والقصب والنخيل شبقة على طبقة وحول ابوابها من التراب الاسود والازبال ما يقبض نفس النظيف ويغض طرف الظريف،، فسرت وانا معاين لاستصحاب تلك الحال الى ان سرت فى اسواقها الضيقة فقاسيت من ازدحام الناس فيها لحوآئج السوق والروايا التى على الجمال ما لا تفى به الا مشاهدته ومقاساته الى ان انتهيت الى المسجد الجامع فعاينت من ضيق الاسواق التى حوله ما ذكرت به ضده فى جامع اشبيلية وجامع مراكش، ثم دخلت اليه فعاينت جامعا كبيرا قديم البنآء غير مزخرف ولا محتفل فى حصره التى تدور مع بعض حيطانه وتنبسط فيه وابصرت العامة رجالا ونسآء قد جعلوه معبرا باوحلة اقدامهم يجوزون فيه من باب الى باب ليقرب عليهم الطريق والبيّاعون يبيعون فيه اصناف المكسرات والكعك وما سوى ذلك والناس ياكلون فى عدة امكنة منه غير محتشمين لجرى العادة عندهم بذلك وعدة صبيان بأوانى ماء يطوفون على كل من ياكل قد جعلوا ما يحصل لهم منه رزقا وفضلات ماكلهم مطروحة فى صحن الجامع وفى زواياه العنكبوت قد عظم نسجه فى السقف والاركان والحيطان والصبيان يلعبون فى صحنه وحيطانه مكتوبة بالفحم والحمرة بخطوط قبيحة مختلفة من كتب فقرآء العامة الا ان مع ذلك على الجامع المذكور من الرونق وحسن الهول وانبساط النفس ما لا تجده فى جامع اشبيلية مع زخرفته والبستان الذى فى صحنه وبعد تاملت ما وجدت فيه من الارتياح والانس دون منظر يوجب ذلك فعلمت ان ذلك سر مودع وقفوف الصحابة رضيهم فى ساحته عند بنآئه واستحسنت ما ابصرته من حلق a المتصدرين لاقرآء القرآن والفقه والنحو فى عدة اماكن وسألت عن مواد ارزاقهم فاخبرت انها من فروض الزكاة وما اشبه ذلك ثم اخبرت ان اقتضآء ذلك يصعب الا بالجاه والتعب ثم انفصلنا من هناك الى ساحل النيل فرايت ساحلا كدر التربة غير نظيف ولا متسع الساحة ولا مستقيم الاستطالة ولا عليه سور ابيض الا انه مع ذلك كثير العمارة

a) S. حلف.

بالمراكب واصناف الانواع التى تصل من جميع اقطار النيل ولئن قلت انى لم ابصر على نهر ما ابصرته على فلك الساحل فانى اقول حقا والنيل هنالك اضيق لكون الجزيرة التى بنى فيها سلطان الديار المصرية الآن قلعته قد توسطت المآء ومالت الى جهة الفسطاط وبحسن سورها المبيض الشامخ حسن منظر الفرجة فى ذلك الساحل، وقد ذكر ابن حوقل الجسر الذى يكون ممتدا من الفسطاط الى الجزيرة وهو غير طويل ومن الجانب الآخر الى البرّ الغربى المعروف ببرّ الجزيرة جسر آخر من الجزيرة اليه واكثر جواز الناس بانفسهم ودوابّهم فى المراكب لان هذين الجسرين قد احترما لحصولهما فى حيز قلعة السلطان ولا يجوز احد على الجسر الذى بين الفسطاط والجزيرة راكبا احتراما لموضع السلطان وبتنا فى ليلة ذلك اليوم بطيّارة مرتفعة على جانب النيل فقلت

* نزلنا من الفسطاط احسن منزل بحيث امتداد النيل قد دار كالعقد
وقد جمعت فيه المراكب سُحرةً كسرب قطا اضحى يرق على ورد
واصبح يطفو الموج فيه ويرتمى ويطرب احيانا ويلعب بالنرد
حلا مآؤه كالريق ممن احبّه نمدت عليه حلّة من حُلى الخدّ
وقد كان مثل النهر من قبل مدّه فاصبح لما زاده المدّ كالورد

وقلت هذا لانى لم اذق فى المياه أحلى من مآئه وانه يكون قبل المدّ الذى *يزيد به[a] ويفيض على اقطاره ابيض فاذا كان عُباب النيل صار احمر، وانشدنى علم الدين فخر الترك ايدُمر عتيق وزير الجزيرة فى مدح الفسطاط

حبّذا الفسطاط من والدة جنبت اولادها دار الجفا
يرد النيل اليها كدرًا فاذا مازج اهليها صفا
لطفوا فالمزن لا تالفهم خجلا لما راتهم ألطفا

ولم ار فى اهل البلاد الطف من اهل الفسطاط حتى انهم الطف من اهل القاهرة وبينهما نحو ميلين والحال انّ اهل الفسطاط فى نهاية اللطافة واللين فى الكلام وتحت ذلك من الملق وقلة المبالاة برعاية قدر الصحبة وكثرة الممازجة والالفة ما يطول ذكره، وامّا ما يرد على الفسطاط من متاجر البحر الاسكندرانى والبحر الحجازى

---

a) S. يريده

فانه فوق ما يوصف وبه مجتمعٌ a ذلك لا بالقاهرة ومنها يجهّز الى القاهرة وسائر البلاد وبالفسطاط مطابخ السكّر والصابون ومعظم ما يجرى هذا المجرى لانّ القاهرة بُنيت للاختصاص بالجند كما انّ جميع زى الجند بالقاهرة اعظم منه بالفسطاط وكذلك ما ينسج ويصاغ وسائر ما يُعمَل من الاشياء الرفيعة السلطانيّة والخرابُ فى الفسطاط كثير والقاهرة اجدّ واعمر واكثر زَحْمة باعتبار انتقال السلطان اليها وسكنى الاجناد فيها وقد نفخ روح الاعتناء والنموّ فى مدينة الفسطاط الآن لمجاورتها للجزيرة الصالحيّة وكثير من الجند قد انتقل اليها للقرب من الخدمة وبَنى على سورها جماعة منهم مناظرَ تبهج الناظرَ انتهى، قال المقريزى يعنى ابن سعيد ما بنى على شطّ مصر b من جهة النيل انتهى، وقال ابن سعيد المذكور فى المغرب فى حلى المغرب ما ملخّصه الروضة أمامَ الفسطاط فيما بينها وبين مناظر الجيزة وبها مقياس النيل وكانت متنزها لاهل مصر فاختارها الملك الصالح ابن الملك الكامل سريرا لسلطنته وبنى فيها قلعة مسوّرة بسور ساطع اللون محكم البناء عالى السَمْك لم تر عينى احسن منه وفى هذه الجزيرة كان الهودج الذى بناه الخليفة الآمر لزوجته البدويّة التى هام فى حبّها والمختار بستان الأخشيد وقصره وله ذكر فى شعر تميم ابن المعز وغيره ولشعراء مصر فى هذه الجزيرة اشعار منها قول ابى الفتح ابن قادوس الدمياطى

اری سُرُجَ الجزيرة من بعيد ... كأحداق تغازل c فى المغازلْ

كأنّ مجرّة الجوزاء خطّت ... وانبتت المنازل فى المنازلْ

قال وكنت ابيت بعض الليالى بالفسطاط فيزدهينى ضحك البدر فى وجه النيل مع سور هذه الجزيرة الدرّى اللون ولم انفصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة وفى داخله من الدور السلطانيّة ما ارتفعت اليه همّةُ بانيها وهو من اعظم السلاطين فى البناء وابصرت فى هذه الجزيرة ايوانا لجلوسه لم تر عينى مثاله ولا بقدر ما انفق عليه وفيه من صفائح الذهب والرخام الابنوسى والكافورى والمجزع ما يذهل الافكار ويستوقف الابصار ويفضل عمّا احاط به السور ارض طويلة فى بعضها حاظر خظر a فيه اصناف الوحوش التى يتفرج عليها السلطان وبعدها مروج ينقطع فيها مياه النيل فتنظر فيها احسن منظر، قال وقد تفرجت كثيرا فى طرف هذه الجزيرة مما

a) L. مجمع. b) L. المنبر. c) G. حدس ; L. خدس.

يلى اثر الفسطاط القطيعة عشيّات مُذهّبات لم تزل لاحزان الغربة مُذهبات واذا زاد النيل فصل [a] برّهما عن برّ الفسطاط من جهة خليج القاهرة ويبقى [b] موضع الجسر تكون فيه المراكب انتهى، واورد الصفدى فى تذكرته لابن سعيد المذكور فى هذه الجزيرة

انظرْ الى سور الجزيرة فى الدجى　　والبدر يلثم منه ثغرا اشنبا
تتضاحك الانوار فى جنباته　　فتُريك فوق النيل امرا معجبا
بينا تراه مفضّضا فى جانب　　ابصرت منه فى سواه مذهّبا
لله مرأى ما رآه ناظرى　　الا خلعت له المقام تطرّبا

وقال فى المغرب نقلا عن بعضهم ما صورته واما مدينة القاهرة، فهى الحالية الباهرة، التى تفنن فيها الفاطميّون وابدعوا فى بنآئها، واتخذوها قطبا لخلافتهم ومركزا لارجآئها، فنسى الفسطاط، وزهد فيه بعد الاغتباط،، وسمّيت القاهرة لانها تقهر من شذّ ورام مخالفة اميرها انتهى، قال ابن سعيد هذه المدينة اسمها اعظم منها وكان ينبغى ان تكون فى ترتيبها ومبانيها على خلاف ما عاينته لانها مدينة بناها المعز اعظم خلفآء العبيديين وكان سلطانه قد عمّ جميع طول المغرب من اول الديار المصريّة الى البحر المحيط

وسارت مسير الشمس فى كل بلدة　　وهبّت هبوب الريح فى البر والبحر

لا سيّما وقد عاين مبانى ابيه * المنصور فى المدينة المنصوريّة [c] الى جانب القيروان وعاين المهديّة مدينة جدّه عبيد الله المهدى لكن الهمة السلطانيّة ظاهرة على قصور الخلفآء بالقاهرة وهى ناطقة الى الآن بألسُن الآثار، ولله درّ القائل [d]

همُ الملوك اذا ارادوا ذكرها　　من بعدهم فبألسُن البُنيان
انّ البنآء اذا تعاظم شانه　　اضحى يدلّ على عظيم الشان

وتهمّم من بعده الخلفآء المصريّون فى الزيادة فى تلك القصور وقد عاينت فيها ايوانا يقولون بنى قدرَ ايوان كسرى الذى بالمدآين وكان يجلس فيها خلفآؤهم ولهم على الخليج الذى بين الفسطاط والقاهرة مبانى عظيمة جليلة الآثار وابصرت فى قصورهم حيطانا عليها طاقات عديدة من الكلس والجبس ذكر لى انهم كانوا يجدّدون

a) S. فصل. b) S. ajoute شى. c) Ces mots manquent dans G. L.; S. porte مدينة au lieu de المدينة. d) S. ajoute حيث قال.

تبييضها فى كل سنة والمكان المعروف فى القاهرة بين القصرين هو من الترتيب السلطانى لان هناك ساحة متسعة للعسكر والمتفرجين ما بين القصرين ولو كانت القاهرة كلها كذلك كانت عظيمة القدر كاملة الهمّة السلطانيّة ولكن ذلك امد قليل ثم تسير منه الى امد ضيق وتمرّ فى ممرّ كدر حرج بين الدكاكين اذا ازدحمت فيه الخيل مع الرجالة كان ممّا تضيق به الصدور وتسخن ª منه العيون ولقد عاينت يوما وزير الدولة وبين يديه الامرآء وهو موكب جليل وقد ᵇ لقى فى طريقه عجلة بقر تحمل حجارة وقد سدّت جميع الطرق بين يدى الدكاكين ووقف الوزير وعظم الازدحام وكان فى موضع طبّاخين ᶜ والدخان فى وجه الوزير وعلى ثيابه وقد كاد يهلك المشاة وكدتُّ اهلك فى جملتهم واكثر دروب القاهرة ضيقة مظلمة كثيرة التراب والازبال والمبانى عليها من قصب ونبين مرتفعة قد ضيقت مسلك الهوآء والضوء بينها ولم ار فى جميع بلاد المغرب اسْوء منها حالا فى ذلك ولقد ᵈ كنت اذا مشيت فيها تضيق صدرى وتدركنى وحشة عظيمة حتى اخرج الى بين القصرين ᶠ ومن عيوب القاهرة انها فى ارض النيل الاعظم ويموت الانسان فيها عطشا لبُعدها عن مجرى النيل لئلا يصادرها وياكل ديارها واذا احتاج الانسان الى فرجة فى نيلها مشى فى مسافة بعيدة بظاهرها بين المبانى التى خارج السور الى موضع يعرف بالمقس وجوّها لا يبرح كدرا بما تثيره الارض من التراب الاسود ᶠ وقد قلت فيها حين اكثر علىّ رفاقى من الحضّ على العود فيها

يقولون سافرْ الى القاهرهْ ... وما لى بها راحة ظاهرهْ
زحام وضيق وكرب وما ... تثير بها ارجل سائرهْ

وعند ما يقبل المسافر عليها يرى سورا اسود كدرا وجوّا مغبرّا ᵉ فتنقبض نفسه ويفرّ انسه واحسن موضع فى ظواهرها للفرجة ارض الطبّالة ᶠ لا سيّما ارض القُرط والكتّان وقلت

سقى الله ارضا كلما زرت روضها ... كساها وحلاها بزينته القُرْط
تجلّتْ عروسا والمياهُ عقودها ... وفى كل دنر من جوانبها قرْط

وبها خليج لا يزال يضعف بين خضرتها حتى يصير كما قال الرّصافى

ما زال يَ الامحال تخذه ... حتى غدا كذؤابة النجم

a) S. تسحر. b) G. L. ولعد. c) Lisez الطباخين. d) S. وان. e) L. متعبّرا ; S. مغبّرا.
f) Voyez al-Makrizi dans la Chrest. ar. de M. de Sacy, I, p. 70 et suiv.

وقلت فى نور الكتّان على جانبى الخليج

انظرْ الى النهر والكتان ترمقه ‌ ‌ ‌ من جانبَيْه باجفان لها حَدَقُ

راته سيفا عليه للصبا شَطَب ‌ ‌ ‌ فقابلته باحداق بها ارقُ

واصبحت فى يد الارواح تنسجها ‌ ‌ ‌ حتى غدت حَلَقا من فوقها حَلَقُ

فلم تزرها ووجه الارض مصطبح ‌ ‌ ‌ او عند صفوته ان كنت تغتبقُ

واعجبنى فى ظاهرها بركة الفيل لانها دائرة كالبدر والمناظر فوقها كالنجوم وعادة السلطان ان يركب فيها بالليل وتسرج اصحاب المناظر على قدر همتهم وقدرتهم فيكون لها بذلك منظر عجيب وفى ذلك قيل

انظرْ الى بركة الفيل التى اكتُنِفت ‌ ‌ ‌ بها المناظر كالاهداب للبَصَرِ

كأنما هى والابصار ترمقها ‌ ‌ ‌ كواكب قد اداروها على القمر

ونظرت اليها وقد قابلتها الشمس بالغدو فقلت

انظر الى بركة الفيل التى فجرت ‌ ‌ ‌ لها الغزالة فجرا من مطالعها

وخلِّ طرفك مجنونا ببهجتها ‌ ‌ ‌ يهيم وجدا وحبّا فى بدآيعها[a]

والفسطاط اكثر ارزاقا وارخص أسعارا من القاهرة لقرب النيل من الفسطاط والمراكب التى تصل بالخيرات تحط هناك ويباع ما يصل فيها بالقرب منها وليس يتفق ذلك فى ساحل القاهرة لانه يبعد عن المدينة والقاهرة هى اكثر عمارةً واحتراما وحشمة من الفسطاط لانها اجلّ مدارس واضخم خانات واعظم ديارا لسكنى الامرآء فيها لانها المخصوصة بالسلطنة لقرب قلعة الجبل منها فأمور السلطنة كلها فيها ايسر واكثر[b] وبها الطِراز وسآير الاشيآء التى يتزيّن بها الرجال والنسآء الّا ان فى هذا الوقت لما اعتنى السلطان ببنآء قلعة الجزيرة التى أمامَ الفسطاط وصيّرها سرير السلطنة عظمت عمارة الفسطاط وانتقل اليها كثير من الامرآء وضخمت اسواقها وبنى فيها السلطان امام الجسر الذى للجزيرة قيساريّةً عظيمة نقل اليها من القاهرة سوق الاجناد التى يباع فيها الفِرآء والجوخ وما اشبه ذلك الى ان قال وهى الآن عظيمة آهلة[c] يُجْبَى[d] اليها من المشرق والغرب والجنوب والشمال ما لا يحيَط بجملته وتفسيره الّا خالق الكلّ

a) S. بدايعتها. b) Ce mot manque dans G. et L. c) Ce mot ne se trouve que dans L.
d) S. يجبى.

جلّ وعلا وهى مستحسنة للفقير الذى لا يخاف طلب زكاة ولا فرسهما وحذايا ولا يطالب برفيق له اذا مات فيقال له ترك عندك مالا فربما سُجن فى شانه او ضرب او عصر والفقير المجرّد فيها يستريح بجهة رخص الخبز وكثرته ووجود السماحات والفرج فى ظواهرها ودواخلها وقلة الاعتراض عليه فيما تذهب اليه نفسه يحكم فيها كيف شآء من رقص فى وسط السوق او تجريد او سُكر من حشيشة او صحبة مردان وما اشبه ذلك بخلاف غيرها من بلاد المغرب وساير الفقرآء لا يتعرضون اليهم بالقبض للاسطول الا المغاربة فذلك وقف عليهم لمعرفتهم بمعاناة البحر وقد عمّ ذلك من يعرف معاناة البحر منهم ومن لا يعرف وهم فى القدوم عليها بين حالين ان كان المغربىّ غنيّا طولب بالزكاة وضيقت عليه السعاة وان كان مجردا فقيرا حُمل الى السجن حتى يحين وقت الاسطول، وفى القاهرة ازاهر كثيرة غير منقطعة الاتصال وهذا الشان فى الديار المصريّة يعضل كثيرا من البلاد، وفى اجتماع النرجس والورد فيها اقول

من فضّل النرجس وهو الذى ... يرضى بحكم الورد اذ يرأسْ

اما ترى الورد غدا قاعدا ... وقام فى خدمته النرجسْ

واكثر ما فيها من الثمرات والفواكه الرمّان والمَوْز امّا التفاح والاجّاص فقليل غال وكذلك الخَوْخ وفيها الورد والنرجس والنسرين والنيلوفر والبنفسج والياسمين والليمون الاخضر والاصفر وامّا العنب والتين فقليل غال ولكثرة ما يعصرون العنب فى ارياف النيل لا يصل منه الا القليل ومع هذا فشرابه عندهم فى غاية الغلآء وعامّتها يشربون المِزر الابيض المتخذ من الحنطة حتى ان الحنطة بطلع سعرها بسببه فينادى المنادى من قبل الوالى بقطعه وكسر اوانيه ولا ينكر فيها اظهار اوانى الخمر ولا آلات الطرب ذوات الاوتار ولا تبرّج النسآء العواهر ولا غير ذلك مما ينكر فى غيرها من بلاد المغرب وقد دخلت فى الخليج الذى بين القاهرة ومصر وتعظم عمارته فيما يلى القاهرة فرايت فيه من ذلك العجآئب وربّما وقع فيه قتل بسبب السكر فيمنع فيه الشرب وذلك فى بعض الاحيان وهو ضيق عليه من الجهتين مناظر كثيرة العمارة بعالم التهكم والطرب والمخالفة حتى ان المحتشمين والرؤسآء لا يجيزون العبور به فى مركب وتسرج فى جانبيه بالليل منظر وكثيرا ما يتفرج فيه اهل الستر *فى الليل* وفى ذلك اقول

a) L بالليل.

لا تركبنّ فى خليج مصر، الا اذا اسدل الظلامُ   فقد علمت الذى عليه
من عالم كلهم مطغام   صنفان للحرب قد اظلّا   سلاح ما بينهم كلامُ
يا سيّدى لا تسر اليه   الّا اذا هوّم النيامُ ٥ والليل سترٌ على التصابى
عليه منه فضله لثامُ   والسرج قد بدّدت عليه   منها دنانير لا ترامُ
وهو قد امتدّ والمبانى   عليه فى خدمة قيامُ   لله كم دوحة جنَيْنا
هناك اثمارها الاثامُ .

انتهى قال المقريزى وفيه تحامُل كثير انتهى، ومَن نظر بعين الانصاف علم ان التحامل فى نسبة التحامل اليه والله الموفق قال ابن سعيد ومعاملة الفسطاط والقاهرة بالدراهم المعروفة بالسودآء كل درهم منها ثلاث من الدرهم الناصرى وفى المعاملة بها شدة وخسارة فى البيع والشرآء ومخاصمة بين الفريقين وكان بها قديما الفلوس فقطعها الملك الكامل فبقيت الآن مقطوعة منها وهى فى الاقليم الثالث وهوآؤها ردىّ لا سيّما اذا هبّ المريسىّ من جهة القبلة وايضا فرمد العين فيها كثير والمعايش فيها متعذرة نزرة لا سيّما أصناف الفضلآء وجوامك المدارس قليلة كدرة واكثر ما بتعيش بها اليهود والنصارى فى كتابة الطب والخراج والنصارى بها يمتازون بالزنار فى اوساطهم واليهود بعمآئم صفر ويركبون البغال ويلبسون الملابس الجليلة وياكل اهل القاهرة البطارخ a ولا تصنع حلاوة القمح الا بها وبغيرها من الديار المصريّة وفيها جوار طباخات اصل تعليمهن من قصور الخلفآء الفاطميين لهن فى الطبخ صنآئع عجيبة ورئاسة متقدمة ومطابخ السكر والمواضع التى يصنع بها الورق المنصورى مخصوصة بالفسطاط دون القاهرة انتهى المقصود من هذا الموضع من كلام ابى الحسن النور ابن سعيد رحه، وقال رحه

كم ذا تقيم بمصر   معذباة b بذوبها   وكيف ترجو نداهم   والسحب تبخل فيها

وقال

لابن الزبير مكارم اضحت بها   طيرُ المدآئح فى البلاد تغرد
ان قيّدوه وبالغوافى عصْره   فالكرم بعصر والجواد يعقد

ولنذكر بعض اخبار والده فانه ممن رحل الى المشرق وتوفى بالاسكندريّة وقد ذكر ابنه ابو الحسن فى المغرب وغيره من اخباره العجآئب، ولا باس بأن نلمّ بشىء من ذلك سوى ما تقدم، فنقول من اخباره انه لمّا اجتاز بمالقة ومشرفها انذاك ابو على

a) Lisez البطآئخ. Voyez Ibn-Baitār, trad. Sontheimer, I, p. 151 (بطيخ). *b*) L. معذوبا.

ابن مبقى وجّه اليه مَن نقل اسبابَه الى داره واقبل عليه منشدا

اكذا يجوز القطر لا يثنى على — ارض توالى جذبها من بعده
الله يعلم انها ما انبتت — زهرا ولا ثمرا بمدّة فقده
عرّجْ عليها ساعة يا مَن له — حسبٌ يفوق العالمين بمجده
وانثرْ عليها من ازاهرك التى — تشفى المتيّم من لواعج وجده
والله ما ذاكرتُ فكرك ساعة — الّا واقبس خاطرى من زنده

قال موسى فارتجلت للحين

انت الذى تعرف كيف العُلى — [illegible]
بدات بالفضل المنير الذى — اكمل بدر الشكر والحمد
والله ما ابصرتكم ساعة — الّا بدا لى طائع السعد

وانصرفت معه الى منزله فلم ازل فى كرامه، ليست كظلّ الغمامه،، ولما كان ابو عمران موسى بن سعيد بالجزيرة الخضرآء مقدما على اعمالها من قبل ابن هود وصل كتب من الفقيه القاضى ابى عبد الله محمد بن عسكر قاضى مالقة مع احد الادبآء مد

أشاتج مَن قلبى بعلياه واثق — وان كانت الابصار لم تنسخ a الودّا
ونعتُ بما لى من ذمام تشيّعى — بآل سعيد فابتغيتُ به السَّعدا
وبالحبّ يدنو كلُّ من افصت النوى — برغم حجاب للنوى بيننا مُدّا

يا سيّدى الذى حملنى ما امل اسماعى من الثنآء عليه، ان اهجم على ممدحته b سائغا فى موصلها اليه،، وانما بالفرع نعلم الاصل، مؤمّلا للاتصال بتحقيق الفصل.. ان لم تقض باجتماع بيننا الايام، فلا تجرى c من المسابة بيننا السن الاقلام ■ ويوحى — الى بعض بسُور الوداد والحمد لله الذى اطلعك فى ذلك الافق بدرا، ادناه من هذه الدار d فصرنا لقرب من يرد عنك لا نعدم لك ذكرا.. فقد بثنى بالذى علمت سعد، وبصف من خلالك ما يقضى لك الحمد.. ولما كان احسانك يبثه به الصادر والوارد، ويحرّص عليه الغايب والشاهد.. مدّ امله موصل هذه المعذى وليس له وسيلة ولا بضاعة الّا الادب وهى عند بيتك الكريم رابحة،، وهو من سنت خطوب هذا الزمان شمله، وابدت نوآئبه صبره وفصله.. وما لمح ببصره الا انى اتقد :

a) S. الدبر. b) ... تجمعى. c) ... تجرى. d) S. ممدحته. e) ... المسبة.

ولا وجّه رجآءه الا نحو سلطكه والرجآء من فضلك ان يعود وقد اثنت a حقآئبه، واعتقت من الحمد ركآئبه بهجت غرّة فى الزمان البهيم، مخصوصا بافضل التحيّة والتسليم »، انتهى، وابن عسكر المذكور عالم بالتاريخ متبحر فى العلوم وله كتاب فى انساب بنى سعيد نقص به هذه الترجمة ومن شعره

أهواك يا بدر واهوى الذى ... يعذلنى فيك واهوى الرقيبْ
والجارَ والدارَ ومن حلّها ... وكلّ مَن مَرّ بها من قريبْ
وكلّ مبدٍ شبهًا منكمُ ... وكلّ مَن يلفظ بأسم الحبيبْ.

رجع قال ابنه علىّ لما اردتُ النهوض من ثغر الاسكندريّة الى القاهرة اوّل وصولى الى الاسكندريّة راى ان يكتب لى وصيّة اجعلها اماما فى الغربة فبقى فيها اياما الى ان كتبتها عنه وهى هذه وكفى بها دليلا على ما اختبر وعلم

أودعك الرحمن فى غربتك ... مرتقبا رحماه فى اوبتك
وما اختيارى كان طوع النوى ... لكنّنى اجرى على بغيتك
فلا تُطِلْ حبلَ النوى اننى ... والله أشتاق الى طلعتك
من كان مفتونا بابنآئه ... فانّنى امعنت فى خبرتك
فأختصرِ التوديع اخذا فما ... لى ناظر يقوى على فرقتك
واجعلْ وصاتِىَ نَصْبَ عين ولا ... تبرحْ مدَى الايّام من فكرتك
خلاصةُ العمر التى ... فى ساعة رَقَّتْ b الى فطنتك
ملك امور اذا ... طالعتَها تشحذ من غفلتك
فلا تنم عن وعيها ساعة ... فانّها عون الى يقظتك
وكلما كابدته فى النوى ... ايّاك ان يكسر من همّتك
فليس يدرى اصل ذى غربة ... وانّما تعرف من شيمتك
وكلما يفضى لغدر فلا ... تجعلْه فى الغربة من اربتك
ولا تجالسْ مَن فشا جهلُه ... واقصدْ لمن يرغب فى صنعتك
ولا تجادلْ ابدا حاسدا ... فانّه ادعى الى هيبتك
وأمشِ الهُوَينا مُظهِرا عِفّة ... وأبغ رضَى الاعيُن عن هيأتك

a) Lisez اثنيت. b) G. زفت ; S. رصت.

افشِ التحيات الى اهلها ... ونبّه الناس على رتبتك
وانطق بحيث العيّ مستقبح ... واصمت بحيث الخير في سكتتك
ولا تزل مجتمعا طالبا ... من دهرك الفرصة في ونبتك
وكلما ابصرتها امكنت ... ثب واثقا بالله في مكنتك
٢٠ ولج على رزقك من بابه ... واقصد له ما عشت في بكرتك
وابن من الودّ لدى حاسد ... ضدّ ونافسه على خلّتك
ووقّر المجهد فمن قصده ... قصدك لا تعتبه في بغضتك
ووفّ كلّا حقّه ولتكن ... تكسر عند الفخر من حدّتك
ولا تكن تحقر ذا رتبة ... فانه انفع في غربتك
٢ وحيثما خيّمت فاقصد الى ... صحبة من ترجوه في نصرتك
وللرزايا وثبة ما لها ... الا الذى تدخر من عدّتك
ولا تقل اسلم لى وحدتى ... فقد تُقاسى الذلّ في وحدتك
ولتزن الاحوال وزنا ولا ... ترجع الى ما قلم في شهوتك *
ولتجعل العقل محكّا a وخذ ... كلا بما يظهر في نقدتك
٣٠ واعتبر الناس بالفاظهم ... واصحب اخا يرغب في صحبتك
بعد اختبار منك يفضى بما ... يحسن في الاخدان من خلّتك
كم من صديق مظهر نصحه ... وفكره وقف على عثرتك
اتاك ان تعرفه انّه ... عون مع الدهر على كربتك
واقنع اذا ما لم تجد مطمعا ... واسمع اذا تعسف من عسرتك
وانم نموّ النبت قد زاره ... غيث الندى واسم الى قدرتك
وان نبا دهر فوطّن له ... جاشك واصبر الى مدّتك
فكل ذى امر له دولة ... سوف c ما وافاك في دولتك
ولا تضيّع زمنا ممكنا ... تذكره تذكى لظى حسرتك
وانشر مهما استنعت لا تاته ... ثقه حرز على مهد

بقى الذى لا ناصح له مثلى ولا مصروح لى مثله فدمت لك فى هذا النعم

a) L. سيرتك. b) Voyez les seances de Hariri (2e éd.) p. 65. c) S. شوى.

ان اخطرتَه بخاطرك فى كل اوانٍ رجوتُ لك حسنَ العاقبة ان شآء الله، وانّ اخفّ منه للحفظ واعلق بالفكر واحقّ بالتقدّم قول الاوّل

يزينُ الغريبَ اذا ما اغتربْ　　ثلاثٌ فمنهنّ حسن الادبْ
وثانيةٌ (a) حسنُ اخلاقه　　وثالثه اجتنابُ الرِيَبْ

واذا اعتبرتَ هذه الثلاثة ولزمتها فى الغربة رايتها جامعة نافعة لا يلحقك ان شآء الله مع استعمالها ندم، ولا يفارقك برّ ولا كرم، ولله درّ القآئل

يُعَدّ رفيعَ القوم من كان عاقلا　　وان لم يكن فى قومه بحسيبِ
اذا حلّ ارضا عاش فيها بعقله　　وما عاقل فى بلدة بغريبِ

وما قصّر القائل حيث قال

واصبرْ على خلقِ مَن تعاشره　　ودارِه فاللبيب مَن دارا
واتّخذ الناسَ كلّهم سكنا　　ومَثّل الارض كلّها دارا

واصنعْ يا بنىّ الى البيت الذى هو يتيمة الدهر، وسُلّم الكرم والصبر، ولو (b) ان اوطان الديار نَبَتْ بكم لسكنتم الاخلاق والآدابَ اذ حسن الخلق اكرمُ نزيل والآداب ارحبُ منزل ولتكن كما قال احدهم فى اديب متغرب وكان كلّما طرأ على مَلِك فكأنّه معه وُلِد واليه قصد غير مسترِيب بدهره، ولا منكر شيـًّا من امره، واذا دعاك قلبك الى صحبة من اخذ بمجامع هواه فأجعلِ التكلّف له سُلّما وهبّ فى روض اخلاقه هبوبَ النسيم، وحلّ بطرفه محلّ الوسن، وأنزل بقلبه نزولَ المسرّة حتى يتمكن لك ودادُه (c)، ويخلص فيك اعتقاده (d)، وطهّرْ من الوقوع لسانك، واغلقْ سمعك ولا ترخص فى جانبه لحسود لك منه يريد ابعادك عنه لمنفعته، او حسودا له يغار لتجمله بصحبتك، ومع هذا فلا تغترّ بطول صحبته، ولا تتمهّد بدوام رقدته، فقد ينبهه (e) الزمان، ويغير منه القلب (f) واللسان، ولذلك قيل اذا احببت فاحبب هَوْنًا مّا (g) ففى الممكن ان ينقلب الصديق عدوّا والعدوّ صديقا، وانما العاقل من جعل عقلَه معيارا، وكان كالمرآة يلقى كل وجه بمثاله، وجعل نَصْبَ ناظره قول ابى الطيّب

ولما صار ودّ الناس خِبّا (h)　　جزيت على ٱبتسامٍ بٱبتسامِ

---

a) S. وثانيه.　b) S. وهو لو.　c) L. وداد.　d) L. اعتقاد.　e) S. نبهه.　f) G. القلوب.
g) S. هو تامّا.　h) L. حبا.

وفى امثال العامّة مَن سبقك بيوم فقد سبقك يعقل فاحتذى a مثله من جرب واستمع الى ما خلّد الماضون بعد جهدهم وتعبهم من الاقوال فانّها خلاصة عمرهم وزبدة حياتهم b ولا تتّكلْ على عقلك فان النظر فيما تعب فيه الناس طول اعمارهم وابتاعوه غاليا بتجاربهم يربحك ويقع عليك رخيصاً وان رايت مَن له مروءة وعقل وتجربة فاستفدْ منه ولا تضيّعْ فعله ولا قوله فان فيما تلتقاه تلقيح لعقلك، وحتّ c لك واهتدآء واياك ان تعمل بهذا البيت فى كل موضع، والحرّ يخدع بالكلام الطيّب فقد قال احدهم ماء قيل ليس d اضرّ من هذا البيت على اهل التجمل وليس كلّ ما تسمع من اقوال الشعرآء يحسن بك ان تتبعه حتى تتدبّره فان كان مُوافقا لعقلك مصلحا لحالك قواه ذلك عندك والّا فانبذه نبذ النواة فليس لكل احد يتبسم ولا كل شخص يكلّم ولا الجود ممّا يعمّ e به ولا حسن الظن وطيب النفس مما يعامل به كل احد ولله درّ القائل

وما لِىَ لا اوفى البريّة قسطها   على قدر ما يعطى وعقلِىَ ميزانُ

واياك أن تعطى من نفسك الا بقدر فلا تعامل الدون بمعاملة f الكفا ولا الكفا بمعاملة f الاعلى ولا تضيع g عمرك فيمن يملكك بالمطامع ويثنيك عن مصلحة حاضرة عاجله بغايبة آجلة واسمع قول الاول   وبعْ آجلا منك بالعاجل   واقلل من زيارة الناس ما استطعت ولا تجْفِهم بالجملة .ولكن يكون ذلك بحيث لا يلحق منه ملل، ولا ضَجَرْ جفًا ولا تقل ايضا اقعُد فى كسر بيتى ولا ارى احدا واستريح من الناس فانّ ذلك كسَل داع للذلّ والمهانة واذا علم عدوّ لك او صديق منك ذلك عامَلاك بحسبه فازدراك الصديق وجسر عليك العدوّ واياك ان يغرّك صاحبٌ واحدٌ عن ان تدخر h غيره للزمان وتطيعه فى عداوة سواه ففى الممكن ان يتغير عليك فتطلب اعانة عليه او استغنآء عنه فلا تجد ذخيرة قدمتها وكان هو فى اوسع حال واعلى رأى بما دبّره بحيلته فى انقطاعك عن غيره فلو اتفق لك ان تصحب من كل صناعة وكل رئاسة من يكون لك عُدّة لكان ذلك أوْلى واصْوَب وسلنى فانى خبير طال والله ما صحبتُ الشخص اكثرّ عمرى لا اعتمد على سواه ولا اعتدّ الا ايّاه متخدعا بسرابه موثوقاً فى حبآئل خطابه الى ان لا يحصل لى منه غير العضّ على البنان وقول لو كان

a) L. تجتذى ما. b) G. تحابيهم ; L. تخابيهم. c) S. من. d) Ce mot ne se trouve que dans S. e) S. يعلم. f) G. بمعانقة. g) G. S. تصيع. h) L. تدخره.

*ولو كان ° ولا يحملك [illegible] القول ان تظنّه فى كل احد وتعجّل المكافاة وليكن خسن الظنّ [illegible] والصبر بقدر مّا والفطن لا· تخفى عليه مخآيل الاحوال وفى الوجوه دلالات وعلامات وأصغ الى القائل

ليس لها وجه مَن يضيف ولا يَقْــــــرى ولا يدفع الاذى عن حريم

فمن يكون له وجه مثل هذا الوجه فولّ وجهك عنه قبلة ترضاها ولتحرص جهدك على انْ لا تصحب او تخدم الا ربّ حشمة ونعمة ومَن نشا فى رفاهيّة ومروءة فانك تنام معه فى مَهاد العافية وان الجياد على اعراقها تجرى واهل الاحساب والمروّات يتركون منافعهم متى كانت عليهم فيها وصمة وقد قيل فى مجلس عبد الملك بن مروان اشرب مصعب الخمر فقال عبد الملك وهو عدوّ له محارب على الملك لو علم مصعَب انّ المآء يفسد مروّته ما شربه والفصل ما شهدت به الاعدآء، وسا بنى وقد علمت ان الدنيا دار مفارقة وتغيّر وقد قيل اصحبْ من شئتَ فانك مفارقه فمتى فارقت احدا فعلى حسْنى فى القول والفعل فانك لا تدرى هل انت راجع اليه فلذلك ما قال الاوّل

ولمّا مضى سلْمٌ بكيت على سلم وايّاك والبيت السايِر

وكنتُ اذا حللت بدار قوم رحلتُ بخزية وتركتُ عارا

واحرصْ على ما جمع قول القائل ثلاثة تُبقى لك الودّ فى صدر اخيك ان تبدأه بالسلام وتوسّع له فى المجلس وتدعوه باحبّ الاسمآء اليه واحذرْ على ما كل ما بيّنه لك القائل كلّ ما تغرسه تُجْنيه الا ابن آدم فانك اذا اغرسته يقلعك وقول آخر ابن آدم يتمسكنّ حتى يتمكن وقول آخر ابن آدم ذئبٌ مع الضعف اسدٌ مع القوة، واياك ان تنبت على صحبة احد قبل ان تطيل اختباره، فيحكى ان ابن المقفع خطب من الخليل صحبته فجاوبه ان الصحبة رقٌّ ولا أضع رقى فى يدك حتى اعرف كيف ملكتك واستملْ من عين مَن تعاشره وتفقد فى فلتات الالسن وصفحات الاوجه ولا يحملك الحيآء عن السكوت عمّا يضرّك الا تُبيّنه ° فان الكلام سلاح السَلم وبالانين يعرف الم الجرح واجعلْ لكل امر اخذت فيه غاية تجعلها نهاية لك وآكد ما اوصيك به ان تطرح الافكار وتسلم للاقدار

واقبل من الدهر ما اتاك به مَن قرّ عينا بعيشه نَفعهْ

---

a) Ces mots manquent dans S. b) Ce mot manque dans G. et L. c) S. تتبيّنه.

إن الافكار تجلب الهموم، وتضاعف الغموم، وملازمة القطوب، عنوان المصائب والخطوب، يستريب به الصاحب، يشمت العدوّ المجانب، ولا تصرّ بالوساوس الا نفسك لانك تنصر بها الدهر عليك ولله درّ القائل

اذا ما كنت للاحزان عونا ٭ عليك مع الزمان فمن تلوم

مع انه لا برد عليك الغايب الحزن، ولا يرعوى [a] بطول عتبك الزمن، ولقد شاهدت بغرناطة شخصا قد الفته الهموم، وعشقته الغموم، من صغره الى كبره لا تراه ابدا خليا من فكرة [b] حتى لقب بصدر الهمّ، ومن اعاجب ما رايته منه انه يتنكد فى الشدّة ولا يتعلل بان يكون بعدها فرج ويتنكد [c] فى الرخاء خوفا من ان لا يدوم وينشد ٭ توقّع زوالا اذا قيل تم وينشد وعند التناهى يقصر المتطاول

وله من الحكايات فى هذا الشان عجائب ومثل هذا عمره مخسور يمرّ ضياعا، ومتى رفعك الزمان الى قوم يذمّون من العلم ما تُحْسِنه حسدا لك وقصدا لتصغير قدرك عندك وتزهيدا لك فيه فلا يحملك ذلك على ان تزهد فى علمك وتركن الى العلم الذى مدحوه فتكون مثل الغراب الذى اعجبه مشى الحَجَلة فرام ان يتعلمه فصعب عليه ثم اراد ان يرجع الى مشيه فنسيه فبقى مخبّل المشى ولا يفسد خاطرك من جعل يذمّ الزمانَ واهلَه ويقول ما بقى فى الدنيا كريم ولا فاضل ولا مكان يستراح فيه فان الذين تراهم على هذه الصفة اكثر ما يكونون ٭ ممن صحبه [d] الحرمان واستحقت طلعته للهوان وابرموا على الناس بالسّؤال فمقتوهم وعجزوا عن طلب الامور من وجوهها فاستراحوا الى الوقوع فى الناس واقامة الاعذار لانفسهم بقطع اسبابهم وتعذبر امورهم ولا تُزِلْ هذين البيتين من فكرك

لِنْ اذا ما نلتَ عزًّا فاخو العزّ يلينُ فاذا نابَكَ دهرٌ فكما كنتَ تكونُ

ولا قولَ الاخر تـهْ وارتـفـعْ ان قيـل اَقْتِر وأنخفضْ ان قيل أَثرى

كالغصن يسفل ما اكتسى ثـمـرا ويعلو مـا تعرّى

ولا قول الآخر الخير يبقى وان طال الزمان به والشرّ أَخبثُ ما اوعيتَ من زاد

واعتقدْ فى الناس ما قاله القائل

ومن يَلْقَ خيرا يحمد الناسُ امرَه ومن يَغْوِ لا يعدم على الغىّ لائما

---

a) S. يرعى. b) G. فكرة. c) G. L. وينتكد ; S. ويتكدر. d) S. من صحبه.

وتحقّقْ بما تضمنه قولُ الآخرِ

ومَنْ دعا الناسَ الى ذمّه دمّوه بالحق وبالباطلِ

ولله درّ القائلّ ،، ما كلّ ما فوق البسيطة كافيا فاذا اقتنعتَ فكلُّ شيء كافى

والامثال يضربها لذى اللبّ الحكيم، وذو البصر يمشى على الصّراط المستقيم،، والفَطِن يقنع بالقليل ويستدل باليسير والله خليفتى عليك لا رَبّ سواه، نَجزت الوصيّةُ وتكفيك عنوانا على طبقته فى النثر، وله رسالة كتب بها الى ملك المغرب ابى محمد عبد الواحد بن ابى يعقوب بن عبد المؤمن مهنّئا له بالخلافة حين بويع بها بمراكش وكان اذذاك باشبيلية وكان قبل ذلك كاتبا له ومختصّا به وهى الحضرة العليّه، السامية السنيّه، الظاهرةa القدسيّه،، حضرة الامامه، وجنّة دار الاقامه،، مدّ الله على الاسلام ظلالَها، وانمى فى سماء السعادة تمامها وكمالها،، وهنأ المؤمنين باستقبال امارتها، وادام لهم بركة خلافتها،، عبد اياديها، وخديم ناديها،، المتوسّل بقديم الخدمه، المتوصّل بعميم النعمه،، وكريم الحُرْمة المنشد بلسان المسرّه، حين اطلع الزمان هذه الغره،،

اتتْه الخلافة منقادة اليه تجرّر اذيالها

فلم تك تصلح الّا له ولم يك يصلح الّا لها

موسى بن محمد بن سعيد لا زال هذا الامر العلى محمودا سعيدا، ولا برح يتزيدb ترقّيا وصُعودا،، يا نعمة الله زيد، ان كان فيك مزيد،، سلام الله الكريم، يخصc حضرةd الاجلال والتقديس والتعظيم،، ورحمة الله وبركاته، وبعد حمد الله الذى بلّغ الاسلام بهذه الخلافة آماله، وجلىe بهذه الولاية السعيدة احواله،، والصلاة على سيّدنا محمد نبيّه الكريم، الذى دحض الله بنبوّته الكفر وضلاله،، على آله وصحبه الطاهرين الذين سمعوا اقواله، وامتثلوا افعاله،، والرضى عن الامام المهدى المعلوم الذى افاء الله به على الدين الحنيفىّ ظلاله، واذهب عنه طواغيته وضلاله،، والدعاء للمقام العالى الكريم، بالسعد المتوالى والنصر الجسيم،، وكتب العبد وقد ملأت هذه البشرى المسرةُ افقَه، ووسعت عليه هذه المرتبة العليّة طرقَه،، فهذه رتبة ما زلت ارقبها فاليوم ابسط آمالى واحتكم ولا اقنعf منى ان اقتصرت على السماء دارا، والهلال للبشير سوارا،، والنجم عقدا، والصباح بندا،، حتى اسر كل احد بشكله، واقابل كل

a) L. الطاهرة. b) S. يستزيد. c) S. يحفر. d) Les man. portent حضرت. e) G. S. وحلى. f) L. فنع.

شخص بمثله ،، ومن خدم الاقوام يرجو نوالَهم ، فانى لم اخدمك الّا لأُخْدَما ، وما بعد الخلافة رتبه ، ودون نبير تنحطّ كلّ هضبه ،، فالحمدُ لله ربّ العالمين ، وهنيأً لعباده المؤمنين ،، حين نظر لهم نظر رحمه ، فاسبل عليهم ستر هذه النعمه ،، ولقد علمت بِأن ذلك معصَم ما كان يتركه بغير سوار والله اعلم حيث يجعل رسالاته ، والى من يشير بآياته ،، فلله صباح ذلك اليوم السعيد وليلته لقد سفر عن وجه من البشرى اضاءت الآفاق شرقا وغربا غرته ولقد اجتمعت آرآء السداد ، حتى اتت الاسلام بالمراد ،، فاخذ القوس باريها ، وحلّ بالدار بانيها ،، هنيأً زادك الرحمن خيرا ، ولا برحت المسرات تسير اليك سَيرا ،، وهل يصلح النور الا للمقل ، وهل يليق بالحسن الا الحلل ،، فالآن مهّد الله البَرّين ، وافاض العدل على العَدْوتَين ،، وقدم للنظر من لا نغرب عن حفظه مكان ، ولا يختصّ بحفظه انسان ، دون انسان ،، خليفة له النفس العَمْريّة ، والآرآء العُمَريّه[a] ، والفراسة الاياسيّه ،، ولا يُنبِئك مثل خبير ، فلقد شاهد العبد ما لا يحصره[b] تفسير ،، ولعمرى لقد عاد الصباح فى اشراق النهار ، ولم يخْف عنا ما زاد الدنيا من البهجة[c] والمسار ،، وشملت الناس هذه البشائر ، وعمّت كلّ باد وحاضر ،، واصاخوا[d] لتاليها اصاخة المجدبين لمرتادهم ، واهطعوا له مهللين مكبرين اهطاع الناس لاعيادهم ،. وامّا العبد فقد اخذ بحظه ، حتى خاف ان يغلب السرور على قلبه ولحظه ،، ومن فرح النفس ما يقتل وهذه نعمة يقصر عنها النثر والنظم ، ويحسد عليها الهلال والنجم ،، بل يسلمان لِما استحقته من المراتب ، ويخضعان خضوع المفترض الواجب .، اقرّ الله بها عيون المسلمين ، وافاض سحبها على الناس اجمعين .، وحفظها بعينه التى لا تنام ، ووقف على خدمتها الليالى والايام ،، ولمّا قدم من الاندلس على تونس مدح سلطانها ابا زكريا بقوله

بُشْرى ويسرى قد انار المُظْلِم نجم وقد وضح الصباح المعلَم
ورنت عيون الامْن وهى قريرة وبدتْ ثغور السعد وهى تبسَّمُ
فارحلْ لتونس واعتقدْ اعلام مَن قوى الضعيف به وأثرى المُعْدِمُ
حيث المعالى والمعانى والندَى والفضل والقوم الذين هُمُ هُمُ
اجروا الى الغايات ملأ عنانهم سبعا وبَذّهم الجوادُ المنعمُ

a) G. الغمرية. b) S. يحضره. c) G. L. البهجات. d) G. واصغوا.

ساد الامام الملك يحيى سادة اعطى الورى لهمْ القيادَ وسلموا
انّ الامامة بعدَ غدا يقتادها يقظى واجفان الحوادث نُوَّمَ
للهِ مَلِكٌ مبارك ذو فطنة بزغت فاحجم عندها من يقدمُ
يقظان لا وانٍ ولا متقاعِس كالدهر يبنى ما يشاء ويهدمُ
ان صال فالليث a) الهَصور المقدم او سال فالغيث المعين المثجمُ
اعلى منارَ الحق حين اماله قومٌ تبرأت المنابرة b) منهمُ
أعلى الالهُ مكانَه وزمانَه والنصر يقدم والسعادة تخدمُ

وقال يخاطب ملك المغرب مامون بنى عبد المؤمن حين اخذ البيعة لنفسه باشبيلية وكان المذكور بمراكش ولبنى سعيد بهذا الملك اختصاص قديم

الحزم والعزم موجودان والنَّظَرُ واليمن والسعد مضمونان والظَّفَرُ
والنور فاض على ارجآء اندلس والزور ليس له عين ولا اثرُ
حثّ الركابُ الى هذا الجناب فقد ضلوا فما تنفع الآيات والنذرُ
وٱعزمْ كما عزم المامون اذ نشرت c) ارضُ العراق فزال البوس والضررُ

ولما قدم العادل القائم بمرسية المتولى على مملكة البَرّين الى اشبيليّة كان فى جملة من خرج للقائه ورفع له قصيدة منها

لِقآءٌ به للبِرّ والشكر مجمَعُ الى يومه كُنّا نَخُبّ ونُوضِعُ
لقد يسّر الرحمن صَعبَ مرامه فابصرتُ اضعافَ الذى كنت اسمعُ

وله ايضا

يا منعما قد جآءنى بِرُّه من غير ان اجرى له ذَكِرا
انّى احبّ الخير ما جآءنى عَفْوًا ولم اعمر به بكرا

وله فى غلام واعظ وهو من حسناته

وشادنٍ ظلّ للوعظ تاليا بين جمعٍ متّعتُ طرفى بمرآ هُ فى خفارة سمعى

وله من ابيات

ومن عجب انّ الليالى تغيّرتْ ولكنّها ما غيّرت منّىَ العَهْدَا

ومن الفضلآء الذين ادركهم واخذ عنهم الحافظ ابو بكر ابن الجدّ وابو بكر ابن زهر وغيرهما وحضر حصار طُلَيْطلة مع بنصور منى عبد المومن وكتب لملك d) البرين ابى محمد عبد الواحد وكتب ايضا عن مامون بنى عبد المومن وكتب اخيرا

a) S. والليث. b) S. المنابر. c) G. نشزت. d) Les man. portent الملك.

عن ملك بجاية والغرب الاوسط الامير ابى يحيى ابن ملك افريقية رحم الله الجميع[a]
رجع الى ابى الحسن ابن سعيد قال رحه حضرت ليلة انس مع كاتب ملك افريقية
ابى العباس احمد الغسانى فاحتاجت الشمعة الى ان تُقَطّ[b] فتناول قطّها[c] غلام ببنانه

فقلت ورخص البنان تصدّى لان يقطّ السراج بمثل العَنَمْ
فقال ولم يهب النار فى لمسه ولا احتاج فى فعله للجلمْ
فقلت وما ذاك الّا لسُكناهُ فى فوادى على ما حوى من ضرمْ
فقال تعوّد حرّ لهيب به فليس به من أُوار الــمْ[d]

وانشد فى المغرب للغسانى المذكور فى خسوف القمر مما قاله ارتجالا

كأنّ البدر لما ان علاه خسوف لم يكن يعتادُ غيرَهْ
سجنجلُ غادة قلبته لما اراها شبهها[e] حسدا وغيرَهْ

وخاطبه المذكور برسالة يقول فى آخرها وعند حامل هذه الاحرف سلّمه الله كُنْهُ خبرى، واستيعابُ ما قصر عنه قلمى، فصاقت بجُملة[f] اسطرى، لتعلم ما اجده وافقده من تشوّقى وتصبّرى، وانى لا ازال انشد حيث تذكّرى وتفكرى،

يا نائيا[g] قد نأى عنى بمصطبرى وثاويا فى سواد القلب والبصرِ
اذا تناسيتَ عهدا من اخى ثقة فاذكرْ عهودى فما اخليك من ذكرى
وأرددْ التّى تحيّاتى باحسنها تردد علىّ حياتى آخرَ العُمْرى

ولنمسك العنان عن الجرى فى ميدان اخبار ابن سعيد فانّها لا يشقّ غبارها، ومنها قوله رحه سمعت كثيرا من السماع المشرقى فلم يهزنى مثل قول الشريف الشمس المكى

مُقلة[h] بالدمع غَرْقَى وفؤاد طار خفقا
شق جيب الصبر شقّا يا ثقاتى خبّرونى عن حديث اليوم حقّا
اكذا كلّ محبّ فارق الاحباب يشقَى لا وعيش قد تقضّى
وغرام قد تبقّى ونعيم فى ذراكم قد صفا دهرا ورقّا
ونسيم من حماكم حمل الوجدَ فرقّا برسالات صبابا
تِ على المشتاق تُلقَى وغصون ناعمات بمياه الدّنِ تُسقَى

a) R. ajoute الى. b) S. تقطع. c) S. قطعها. d) L. entre les lignes: حرارة النار. e) S. مشبها. f) L. تحمله. g) S. بابينا. h) L. مقلة.

ما وجوه فضّ حسنها ... فملأن الارض عشقا   لو رضيتم بىّ عبدا
ما رضيتُ الدهر عِتْقا

وقال ما سمعت ولا وقفت على شىء ابدع من قول الجزّار وقد تردّد الى جمال الدين ابن يغمور رئيس الديار المصريّة فلم يقدر له الاجتماع به فقال

أسألُ الله ان يديم لك العـــزّ ويبقيك ما اردتّ البَقاء
كلّ يوم ارجو النعيمَ بلقْيا   ك فالقى بالبعد عنك شقاء
علم الدهرُ أنّنى أشتكيه   لك اذ نلتقى فعاق اللقاء

فبعث له بما اصلح حاله من الاحسان وكتب فى حقه الى ولاة الصعيد كتبا اغنته مدّة عن شكوى الزمان انتهى، وقال ايضا لم اسمع فى وضع الشىء موضعه احسن من قول المتنبّى

واصبح شعرى مُنْهما a فى مكانه   وفى عنق الحسناء يستحسَن العقدُ

ولم اسمع فى وضع الشىء غير موضعه احسن من قول ابى الفرج

مرّ مدحى ضايعا فى لومه   كضياع السيف فى كفّ الجبانْ

ومن تاليف النور ابن سعيد كتاب عدّة المستنجز b وغفلة c المستوفز d وذكر فيه انه ارتحل من تونس الى المشرق رحلته الثانية سنة ٦٩٩ واورد فى هذا الكتاب غرائب وبدائع وذكر فيه انّه لما دخل الاسكندريّة لم يكن عنده أَكَدُّ من السوال عن الملك الناصر فأُخْبِر بحاله وما جرى له من الططر حتى قتلوه بعد الامان ثم ساق فيه دخول هولاكو حلبَ فقال بعد كلام وارتكب فى اهل حلب الططر المرتدّون ونصارى الارمن ما تصمّ عنه الاسماع وكان فيمن قُتل بتلك الكائنة البدر ابن العديم الذى صدر عنه *من الطبقة e العالية فى الشعر مثلُ قوله

واهـا لعقرب صدغه   لو لم تكن للماء تُحْمى
ولغُفْل f خطّ عذاره   لو بتُّ اعجبُه بلثمى

وابن عمّه الافتخار ابن العديم الذى وقع له مثل قوله

والغصن فيه الماء مُطّرد   والماء فيه الغصن منعَكِسْ

ثم ذكر احوال الناصر بعد استيلاء الططر على بلاد g حلب والشام وما اليهما ما نصه

---

a) S. بهما. b) G. S. المستنحر. c) G. S. وعقلة. d) G. S. المستوفر. e) S. بالطبقة.
f) L. ولغفيل; S. ولنعل. g) G. L. بلاده.

قال من دخل على الملك الناصر وقد نزل بميدان دمشق قبّلت يده وجعلت ادعو
له واظهر تعزيته على ما جرى من تلك المصائب العظيمة فاضرب عن ذلك وقال لى
فيما تتغزل a اليوم ثم انشدنى قوله فى مملوك فقده فى هذه الكائنة

والله ما ابكى لمُلْك مضى ولا لِحال b ظاعن او مقيمْ وانما ابكى وقد حقّ لى
لفقدِ مَن كنتُ به فى نعيمْ يطلع بدرا ينثنى بانةً يمرّ فيما رمتُه كالنسيمْ
فى خاطرى ابصره خاطرا فألتوى مثل ٱلتوآء السليم يا عاذلى دَعْنى وما حلّ بى
فما سوى الله بحالى عليمْ ان مُتُّ من حزنٍ له أسترحْ وان اعشْ عشتُ بهمّ عظيمْ

ثم انه سار نحو هولاكو c فلما مرّ بحلب ونظر الى معاهده على غير ما يعهد d قال

مررتُ بجَرْعآء الحمى فتلفّتت لحاظى الى الدار التى رحلوا عنها
ولو كان عندى ألْف عين وقمت فى معالمها عُمرى لَمّا اشبعتْ منها

وصنع فى نعيها اشعارا يغنى بها المسمعون ثم رحل الى صحرآء بوش d فى جهة
تبريز ارمينية فوجد هولاكو هنالك فى تلك المروج المشهورة بالخِصْب فانزله واقام
يشرب معه الى ان وصل الخبر بوقعة عين جالوت على الطظر للملك المظفّر قطز e
صاحب مصر سنة ٦٥٨ f فقتلوه وخلعوا عظم كتفه وجعلوه فى احد الاعلام على عادته
فى اكتاف الملوك انتهى باختصار٬

رجع ومن الوافدين من الاندلس على المشرق الاديب الحسيب عبد الرحمن ١٦١
ابن محمد بن عبد الملك بن سعيد وكان صعب الخلق شديد الانفة جرى بينه
وبين اقاربه ما اوجب خروجه الى اقصى المشرق٬ وفى ذلك يقول وكتب به اليهم

من لصَبّ يرعى النجوم صبابهْ ضيّع السير فى الهموم شبابَهْ
ردّت بُعْدا فبدت فيه اقترابا بودادى فذاك g حكمَ الغرابهْ
منزلى الآن سَمَرْقَنْد وبالقلعة ربعٌ ونشد نقلا ترابَهْ
شذّه h ما ابعد الفراق انتزاحى هكذا الليث ليس يدرى اغترابَهْ
لا ولا ارتجى الايابَ لامر ان يكن يرتجى غريب ايابهْ
ب نبهم من بخارى

a) G. L. تتغزل. b) S. لحظ. c) G. هلاوك ; S. هلاون. d) Ce mot manque dans S.
e) Les man. portent قطن. f) Les man. portent ٥٨٠. Voyez Abou-'l-fidâ, IV, 596 sq.
g) G. L. La. Lb. S. كذاك. h) Telle est la leçon du man. O.; G. L. S. La. Lb. شذّ.

اذا هبّت رياح الغرب طارت | اليها مهجتى نحو التلاقى
واحسب من تركت بها [a] يلاقى | اذا هبّت صباها ما الاقى
فيا ليت التفرّق كان عدلا | فحمّل ما نطيق من اشتياقى
وليت العمر لم يَبرحْ وصالا | ولم يختم علينا بالفراقِ

اذا كان الشوق فوق كلّ صفهْ، فكيف تعبّر عنه الشفه،، لكن العنوان دلالة على بعض ما فى الصحيفه، والحاجب قد ينوب فى بعض الامور منابَ الخليفه،، وما ظنّكم بشوق طريح، فى يد الاشواق طليح،، يقطع مسافات الآفاق يتقلب تقلّب الافياء، ويتلوّن تلوّن الحِرْبا،، حتى كأنّه يخبر مساحات الارض، ذات الطول والعرض،، ويجوب اهوية الاقاليم السبع، خارجا بما ادخله فيما اللجاج عن الشرع،، فكان [b] خليفة الاسكندر، لكن ما يجيش من هموم الغربة بفكرى قائمة مقام الجيش والعسكر، جزت الى بَرّ العَدْوة من الغرب الاقصى فطمحت نفسى الى مشاهدة الغرب الاوسط فلاقيت فيما بينهما من المسافة من المشاق ما لا يُحصَر،، ثم تشوّقت الى افريقية درب بلاد الشرق، فاستشعرت من هنالك ما بينها وبين بلادى من الفرق [c]،، واختطفت من عينى تلك الطلاوه، وانتزعت من قلبى تلك الحلاوه،،

فلله عين لم تر العين مثلها | ولا تلتقى الا بجنات رضوان

ثم نازعتنى النفس التوّاقة الى الديار المصريّه، فكابدتُ فى البحر [d] ما لا يفى بوصفه الّا المشافهة الى ان ابصرت منار الاسكندريّه،، فيا لك من استئناف عمر جديد، بعد اليأس من الحياة بما لقينا من الهول [e] والتنكيد،، ثم صعدتُ الى القاهرة قاعدة الديار المصريّه، لمعاينة الهَرَمَين وما فيها من المعالم الازليّه،، وعاينتُ القاهرة المعزيه، وما فيها من الهمم الملوكيّه،، غير انى انكرت مبانيها الواهيه، على ما حَوَت من اولى الهمم العاليه،، وكونها حاضرة العسكر الجرّار، وكرسى الملك العظيم المقدار،، وقلت اصداف فيها جواهر، وشوك [f] مُحْدِق [g] بازاهر،، ثم ركبت النيل وعاينت تماسيحه، وجزت بحر جدّة وذقت تباريحه،، وقضيت الحجّ والزياره، وملت الى حاضرة الشام دمشق والنفس بالسّوء أمّاره [h]،، فهنالك بعتُ الزيارة بالاوزار، وآلت تلك التجارة الى ما حكمتْ به الاقدار،، اذ هى كما قال احد من عاينها

---

a) G. L. La. Lb. S. به. b) S. وكان. c) S. العرق. d) S. ajoute الى. e) S. الهوان.
f) L. وشرك. g) S. محفوف. h) Voyez sour. 12, vs. 53.

امّا دمشق فجنّة مُعجَّلة   للطالبين بها الولدان والحورُ a

فلله ما تضمّن داخلها من الحور والولدان، وما زُيّن b به خارجها من الانهار والجنان، وبالجملة فانها حِمًى تتقاصر عن ادراكها اعناق الفصاحه، وتقصر عن منازلتها فى ميدان الاوصاف كلّ راحه، ولم ازل اسمع عن حلب، انها دار الكرم والادب، فاردت ان يحظى بَصَرى بما حظى c به سمعى، ورحلتُ اليها واقمت جابرا بالمذاكرة والمطايبة d صدعى، ثم رحلت الى الموصل فالفيت مدينة عليها رونق الاندلس، وفيها لطافة وفى مبانيها طلاوة e ترتاح لها الانفس، ثم دخلت الى مَقرّ الخلافة بغداد، فعاينت من العظم والضخامة ما لا يفى به الكتب ولو انّ البحر مداد، ثم تغلغلتُ فى بلاد العجم بلدا بلدا، غير مقتنع بغاية ولا قاصدا امدا، الى ان حللت ببخارى قبّة الاسلام، ومجمع الانام، فالقيت بها عصا التسيار، وعكفت على طلب العلم واصلا فى اجتهاده سوادَ الليل وبياض النهار، انتهى، وكتب اليهم ايضا من f هذه الرسالة كتبت وقد حصّلتنى السعاده، وحط الأمل والاراده، بحضرة بخارى قبّة الاسلام، واجابه g اهله h من الغرب بكلام، من جملته وان كنت تحصّنتَ i بقبة الاسلام، فقد نعجلت لنا ولك الفقد قبل وقت الحمام، واتبعوا ذلك بما دعاه لان خاطبهم بشعر منه

عتبتم j على حتّى k المطايا l وقلتمْ   تعجلتَ فقدا قبل وقت الحِمامِ m

اذا لم يكن حالى مُهِمّا لديكم   سواء عليكم رحلتى ومقامى

وقُتل المذكور ببخارى حين دخلها التتر وهو عمّ علىّ بن سعيد الشهير وكان لعبد الرحمن المذكور اخٌ يسمّى يحيى قد عانى الجندية فلما بلغه انّ ابا القاسم عبد الرحمن قتل ببخارى قال لا اله الا الله ابدا يسفّه راى n فى الجندية ويقول لو تبعتَ طريق النجاة كما صنعت انا لكان خيرا لك فها هو ربٌّ قلم قد قُتل شرّ قتلة بحيث لا ينتصر وسلب سلاحه وانا ما زلت اغازى فى عبّاد الصليب واخلص مما يعدر احد يُحسن لنفسه عاقبة انتهى، قال ابو الحسن علىّ بن سعيد ثم ان

a) Voyez ce distique d'Arkala al-dimichki dans le voyage d'Ibn-Batouta, I, 192. b) S. نرتن. c) L. بحظى. d) L. والمنشالعة. e) S. حلاوة. f) Lisez حتى. g) S. نعد h) S. ناهله. i) G. L. تحصّلت. j) G. L. عتبت. k) S. نت l) G. S. المعلّى. m) G. S. حمم. n) Lisez رابه.

يحيى المذكور بعد جلالته فى الحروب صرعه فى طريق غلام كان يخدمه فذبحه على نزرٍ من المال أُقلّت به فانظر a تقلّب الاحوال كيف يجرى فى انواع الامور لا على تقدير ولا احتياط انتهى، ومن شعر ابى القاسم عبد الرحمن المذكور ما خاطب به نقيب الأشراف ببخارى وقد اهدى اليه فاختا مع زوجه

ايا سيّد الاشراف لا زلت عاليا — معاليك تنبو الدهر عن كل ناعتِ
من الفضل اقبال على ما بعثتُه — لمغناك من شادٍ دعوه بفاختِ
لئن فاتنى منه الانيس فكلّ ما — يحلّ لدى علياك ليس بفائتِ
الا حبّذا من فاخت سادb جنسه — واصبح مقرونا بست الفواختِ

١٦٨ ومنهم الشيخ الصالح الزاهد ابو الحسن على بن عبد الله بن يوسف بن حمزة القرطبى الانصارى المعروف بابن العابد نزيل رباط الصّاحب الصفىّ بن شكر قال بعض المشارقة عنه انما سمّيت الخمر بالعجوز لانها بنت ثمانين يعنى عَدَد حدّها وانشد له

عذلنا فلانا على فعله — ولمناه فى شربه للعَجوزْ
فقال دَعونى من اجلها — أنالُ انا واخى والعَجوزْ

١٦٩ ومنهم الفاضل المتفنن ابو عبد الله محمد بن على بن يوسف بن محمد بن يوسف الانصارى الشاطبىّ الاصل البلنسىّ المولد فى احد ربيعَى سنة ٦٠١ ولقّبه المشارقة برضى الدين وتوفى بالقاهرة فى جمادى الاولى سنة ٦٨٤ رحمه، ومن نظمه لما حضر اجله وقد امر خادمه ان ينظف له بيته وان يغلق عليه الباب ويفتقده بعد زمان ففعل ذلك فلما دخل عليه وجده ميتا وقد كتب فى رقعة

حان الرحيل فودّع الدارَ التى — ما كان ساكنها بها بمخلّدِ
واْضرعْ الى الملك الجواد وقل له — عبد بباب الجود اصبح يجتدى c
لم يرض غير الله معبودا ولا — دينا سوى دين النبىّ محمّدِ

ومن نظمه ايضا رحمه

اقول لنفسى حين قابلها الردى — فراغت فرارا منه يُسرَى الى يُمنَى
قِوى تحملى بعض الذى تكرهينه — فقد طالما اْعتَدتِ الفرار الى الأهْنَى d

a) S. فانظره. b) L. فاق. c) G. L. يحتذى. d) Ces mots sont sans doute altérés. Je crois qu'il faut lire: أعتَدُّ الفرارُ الى الأمْنَا.

انشده تلميذه ابو حيّان امام عصره فى اللغة حدث عن ابن المنير وغيره واشتغل الناس عليه بالقاهرة وله تصانيف مفيدة وسمع من الحافظ ابى الربيع ابن سالم وكتب على صحاح الجوهرى وغيره حواشى فى مجلدات واثنى عليه تلميذه ابو حيّان رحم الله الجميع، ومن فوآئده قوله نقلت من خط ابى الوليد ابن خِيَرة الحافظ القرطبى فى فهرست ابى بكر ابن مفوّز وقد ادركته يسنى a ولم اخذ عنه واجتمعت به انشدنى له ابو القاسم ابن الابرش يخاطب بعض اكابر اصحاب ابن حزم والاشارة لابن حزم الظاهرى   يا من تعانى امورا لن تعانيها   خَلِّ التعانى وأَعط القوس باريها البيت b وقد سبق فى ترجمة القاضى ابى الوليد الباجى ذكرُ هذَيْن البيتين عند ما اجرينا ذكر ابن حزم، قال وانما قال هذا الشعر فى ذكر رواية أُدعِيَت على قول النبىّ صلعم إنّ خالدا قد احتبس ادراعَه وأَعْتُدَه فى سبيل الله وصحّح روايه مَن روى أَعْبُدَه جمع عبد وعلّل رواية من روى اعتده بالتآء مثناه باثنتين من فوق جمع عَتَد وهو الفرس، قال ابن خيرة الاحاطة ممتنعة وهذه الرواية قد رواها جماعة من الادباء والعُلمآء المحدّثين فهو انكار غير معروف والله اعلم، ومن فوآئده ما نقله تلميذه ابو حيان النحوى عنه قال انشدنا للمُقْرِى ونقلته من خطّه

اذا ما شئت معرفة   بما حار الورى فيه   فخذ خمسا لاربعة   ودَعْ للنوب رابعه

وهو لغز فى ورد، قال وانشدنا لبعضهم

لا رعى الله عزمةً ضمنت لى   سَلوةَ الصبر والتصبّر عنه
ما وفت غير ساعة ثم عادت   مثل قلبى تقول لا بُدّ منه

قال وانشدنا لغيره

وكان غريب الحسن قبل آلتحائه   فلمّا التحى صار الغريب مُصَنَّفا c

وانشد لغيره   تُبْ على الوحدة نفسا   وآرض بالوحشة انسا
ما عليها مَن يساوى   حين يستخبره d فلسا

وقرا الرضى ببلده على ابن صاحب الصلاة آخر اصحاب ابن هذيل وسمع منه التلخيص للوائلى وسمع بمصر من ابن المغيرى e جماعة وروى عنه الحافظ الدمي

a) G. L. سنى. Je crois devoir lire بُسِنّ. b) Voyez ce distique p. ٦١٩. c) Les man. portent المصنف. d) O. تستخبر. e) Telle est la leçon des man. Je crois qu'il faut lire المُقَيِّر. Voyez *Orientalia* II, p. 186. l. 1.

واليونينى والظاهرى، وانتهت اليه معرفة اللغة وغريبها، وكان يقول اعرف اللغة على قسمين قسم اعرف معناه وشواهده وقسم اعرف كيف انطق به فقط رحمه، ومن فوائد الرضى الشاطبى المذكور ما ذكره ابو حيّان فى البحر وهو من غريب ما انشدنا الامام اللغوى رضى الدين ابو عبد الله محمد بن على بن يوسف الانصارى الشاطبى لزينب بنت اسحق النصرانى الرسغينى a

عدا وبنتم لا احاول ذكرهم ... بسوء ولكنّى محبّ لهاشم
وما يعتريني فى علىّ ورهطه ... اذا ذكروا فى الله لومةُ لائم
يقولون ما بالُ النصارى تحبّهم b ... واهل النُّهى من اعرب واعاجم
فقلت لهم انى لاحسب حبّهم ... سَرَى فى قلوب الخلق حتى البهائم

ومن نظم الرضى المذكور

منغّصُ العيش لا ياوى الى دعة ... ان c كان ذا بلد او كان ذا ولد
والساكنُ النفس مَن لم ترض همّته ... سكنى بلاد ولم يسكن الى احد

وله ايضا

لولا بناتى وسيّآتى ... لطرت شوقا الى الممات
لاننى فى جوار قوم ... بغّضنى قربهم حياتى

وقرأ عليه ابو حيّان كتاب التيسير واثنى عليه ولما توفى انشد ارتجالا

نعى لِى الرضىّ فقلت لقد ... نعى لىَ شيخ العُلى والادبْ
فمَن للُّغات ومن للثقات ... ومن للنحاة ومن للنسَبْ
لقد كان للعلم بحرا فغارْ ... وانّ غيوره d البحار العجبْ
فقدس من عالم عامل ... اثار لشجوىَ e لمّا ذهبْ

وتحاكم الى رضى الدين المذكور الجزّار والسراج الورّاق ايهما أشعَر وارسل اليه الجزار شيئًا فقال هذا شعر جزل من نمط شعر العرب فبلغ ذلك الورّاق فارسل اليه شيئًا فقال هذا شعر سَلس وآخر الامر قال ما احكم بينكما رحمه، قلت رايت بخطه كتبا كثيرة بمصر وحواشى مفيدة فى اللغة وعلى دواوين العرب رحمه الله،

١٧٠ ومنهم حميد الزاهد وهو الاديب الفاضل الزاهد ابو بكر حميد بن ابى محمد عبد

a) Je ne sais si ce nisba est correctement écrit. Peut-être faut-il lire الرسعنى. b) S. بحبّهم.
c) L. O. مَن. d) G. L. S. فى. e) Lisez غيور.

الله بن الحسن بن احمد بن يحيى بن عبد الله الانصارى القرطبى نزيل مالقة، قال الرضى الشاطبى المذكور قريبا انشدنى حُمَيْد بالقاهرة لابيه ابى محمد وقد تاخر شيبه مع علوّ سنّه

وهل نافعى ان اخطأه الشيب مفرقى ‎a‎ وقد شاب اترابى وشاب لِدانى
اذا كان خطب الشيب يوجَد عينُه بغيرى فمعناه بعوم بذاتى

واللِدات مَن وُلد معه فى زمان واحد انتهى، وفى تذكرى انه قال هذين البيتين لما قال له القاضى عياض شبْنا ولم تَشب، وقال الرضى ايضا انشدنى حُمَيْد لابيه فيمن يكتب فى الورق بالمِقَصّ ‎c‎ وهو غريب

وكاتبُ وَشْىُ طِرْسِه حِبْرٌ ‎d‎ لم يَشِها ‎e‎ حِبْرُه ولا قَلَمُهْ
لكنْ بمقراضه ينمنمها نمنمةَ الروض جادَه رَقَمُهْ
يُوجِد بالقطع احرفًا عدمتْ فاعجبْ لشىء وجودُه عدمُهْ

والرهم المطر، قال وتوفى حميد هذا الزاهد بمصر قبيل الظهر من يوم الثلاثا وصُلّى عليه خارج مصر بجامع راشدة بعد صلاة العصر من يوم الثلاثا المذكور ودفن بسفح المقطم بتربة الشيخ الفاضل الزاهد ابى بكر محمد الخزرجى الذى بدفن الرصاص حذآء رجْلَيه فى الثالث والعشرين من ربيع الاوّل سنة ٦٥٢ ومولده سنة ٩٠٩ انتهى،

١٧١ ومنهم اليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله بن اليسع بن عبد الله الغافقى من اهل بلنسية واصله من جيّان وسكن المرية ثم مالقة يكنى ابا يحيى كتب لبعض الامرآء بشرقى الاندلس ‎e‎ وله تاليف سمّاه المُغْرِب فى اخبار محاسن المغرب جمعه للسلطان صلاح الدين يوسف بن ايّوب بالديار المصرية بعد ان رحل اليه من الاندلس سنة ٥٦٠ وبها توفى يوم الخميس التاسع عشر من رجب سنه ٥٧٥ رحمه،

١٧٢ ومنهم محمد بن عبد الرحمن بن على ‎f‎ التجيبى يكنى ابا عبد الله من اهل اشبيلية تجوّل فى بلاد الاندلس طالبا للعلم ثم حجّ ولقى الحافظ السلفى وغيره واستوطن تلمسان وبها توفى فى جمادى الاولى سنة ٦١٠ وله تواليف كثيرة،

١٧٣ ومنهم ابو مروان محمد بن احمد بن عبد الملك اللخمى الباجى من اهل اشبيلية ولى القضآء بها واصله من باجة افريقية دخل المشرق لادآء الفريضة فحجّ وتوفى

a) S. ‏فى الحسب‎. b) S. ‏بمفرقى‎. c) Les man. portent ‏بالنقش‎. d) Les man. portent ‏يسفها‎. e) S. ajoute ‏بشرقى الاندلس‎. f) S. ajoute ‏ابن محمد‎.

بعد ما دخل الشلم في اليوم الثامن والعشرين من ربيع الأوّل سنة ٦٣٥ ومولده عام ٥٦٤ وكانت رحلته من المغرب اوّل يوم من المحرّم عام ٦٣٤،

٧٤ ومنهم وليد بن بكر بن مخلد بن زياد الغمرى من اهل سرقسطة يكنى ابا العباس له كتاب سمّاه الوجازة فى صحّة القول بالاجازة وله رحلة لقى فيها الفَ شيخ ومحدّث وفقيه توفى بالدينور سنة ٣٩٢ يروى عنه ابو ذرّ الهروى وعبد الغنى الحافظ وكفاه فخرا بهذين الامامَين العظيمين رحم الله الجميع،

١٠٥ ومنهم عيسى بن سليمان بن عبد الملك بن عبد الله بن محمد الرعينى الرندى يكنىٰ ابا محمد استوطن مالقة ورحل الى المشرق وحجّ ولقى جماعة من العلمآء وقفل الى المغرب اواخر عام ٦٣١ وولى الامامة بالمسجد الجامع بمالقة وبها توفى فى ربيع الأوّل سنة ٦٣٢ ولقّب فى المشرق برشيد الدين وولد فى ربيع الأوّل سنة ٥٨١ بقرية من قرى الاندلس يقال لها يلماتين a كورة بشتغير ذكر ذلك المستوفى فى تاريخ اربل،

١٠٦ ومنهم ابو الربيع سليمان b بن احمد الينيبى من اهل الاندلس استوطن المشرق ومدح الملك الكامل، ومن شعره قوله

لو لا تُحدّيه بآية سحره ... ما كنت ممتثلا شريعةَ امره
رشآء أصْدُغه وكاذب وعده ... يُبْدى لعاشقه ادلّةَ عُذره
ظهرت بنوّة حسنه فى فَتْرة ... من جفنه وضلالة من شعره

١٠٧ ومنهم ابو جعفر احمد بن يحيى الضبى رحل حاجّا فلقى ببجاية عبد الحق الاشبيلى وبالاسكندريّة ابا الطاهر ابن عوف ولقى غير واحد فى رحلته كالعرْبوى c وابن برّ وابى الثنآء الحرّانى وابى الحسين الحريثى d وللحريثى احاديث ساوى بها البخارىّ ومسلما ولقى جماعة ممن شارك السلفى فى شيوخه،

١ ومنهم ابو الحسين محمد بن احمد بن جبير الكنانى صاحب الرحلة وهو من ولد ضمرة بن بكر بن عبد مناة من كنانة اندلسىّ شاطبىّ بلنسى مولده ليلة السبت عاشر ربيع الاول سنة ٥٤٠ ببلنسية وقيل فى مولده غير ذلك وسمع من ابيه بشاطبة ومن ابى عبد الله الاصيلى وابى الحسن ابن ابى العيش واخذ عنه القرآات وعنى بالادب فبلغ الغاية فيه وتقدم فى صناعة القريض والكتابة، ومن شعره قوله وقد دخل

a) S. بلمالس. b) L. سليم. c) S. كالغدنورى. d) L. الحريثى.

الى بغداد فاقتطع غصنا نضيرا من احد بساتينها فذوى فى يده

لا تغتربْ عن وطن　　واذكُرْ تصاريف النوى
أمَا ترى الغصنَ اذا　　ما فارق الاصلَ ذوَى

وقال رحمه يخاطب الصدر الخُجَنْدى

يا مَن حواه الدينُ فى عَصْره　　صدرا يحلّ a العلم فيه فوَادْ
ما ذا يرى سيّدنا المرتضى　　فى زائر يخطب منه الودادْ
لا يبتغى منه سوى أحرف　　يعتدّها اشرفَ ذُخْر يُفادْ
ترسمها انمله مثل ما　　تمّق زهوَ الروض كفُّ العهادْ
٥ فى رقعة كالصّبح أهْدَى لها　　يدُ المعالى مسكَ ليل المدادْ
اجازة يورثنيها العُلى　　جائزة تبقى وتفنى البلادْ
يستصحب الشكرَ خديما لها　　والشكر للأمجاد أسْنى عتادْ

فاجابه الصدر الخجندى

لك الله من خاطب خلّتى　　ومن قابس يجتدى سقْطَ زندى
اجزتَ له ما اجازوه لى　　وما حدّثوه وما صحّ عندى
وكاتبُ هذى السطور التى　　تراهنّ عبدُ اللطيف الخجندى

ورافق ابنَ جُبَير فى هذه الرحلة ابو جعفر احمد بن الحسن b بن احمد بن الحسن القضاعى واصله من أنْدة من عمل بلنسية رحل معه فاديا الفريضة وسمعا بدمشق من ابى الطاهر الخُشوعى واجاز لهما ابو محمد c ابن ابى عصرون وابو محمد القاسم ابن عساكر وغيرهما ودخلا بغداد وتجوّلا مدّة ثم قفلا جميعا الى المغرب فسُمِع منهما به بعضُ ما كان عندهما، وكان ابو جعفر هذا متحققا بعلم الطب وله فيه تقييد مفيد مع المشاركة الكاملة فى فنون العلم *وكتب عن d السيّد ابى سعيد ابن عبد المؤمن وجدّه لامّه القاضى ابو محمد عبد الحق بن عطية وتوفى ابو جعفر هذا بمراكش سنة ٨ او ٥٩٩ ولم يبلغ الخمسين فى سنّه رحمه، رجع الى ابن جبير قال لسان الدين فى حقه انه من علماء الاندلس بالفقه والحديث والمشاركة فى

a) L. يحلّى.　b) Lisez حسّان. Voyez la note de M. Wright, *Ibn-Djobair*, p. ١١.
c) M. Wright سعيد.　d) G. S. ومنهم.

الآداب وله الرحلة المشهورة والمشهرة فى السلطان الناصر صلاح الدين ابن ايوب له قصيدتان احداهما اولها .

، ، اطلّت على افقك الزاهر ... سعودٌ من الفَلَك الدائر

ومنها قوله

رفعتَ مغارم مكس الحجازْ ... بانعامك الشامل الغامرِ
وآمنتَ اكناف تلك البلاد ... فهانَ السبيل على العابر
وسُحْبُ اياديك فيّاضة ... على وارد وعلى صادره
فكم لك بالشرق من حامد ... وكم لك بالغرب من شاكر .

والاخرى منها فى الشكوى بابن شكر الذى كان آخذ المكس من الناس فى الحجاز

وما نال الحجاز بكم صلاحا ... وقد نالتْه مصر والشآم

ومن شعره

أخِلّاء هذا الزمان الخُئونْ ... توالت عليهم حروف العلَلْ
قصيتُ التعجّب من بابهم ... فصرتُ اطالع بابَ البَدَلْ

وقوله

غريب تذكّر اوطانه ... فهيّج بالذكر اشجانَه
يحلّ عُرَى صبره بالأَسَى ... ويعقد بالنجم اجفانَه

وقال رحه لما راى البيت الحرام زاده الله شرفا

بدتْ لىَ اعلامُ بيت الهُدى ... بمكة والنورُ باد عليهْ
فاحرمتُ ᵇ شوقا له بالهوى ... واهديت قلبى هَديًّا اليهْ

وقوله يخاطب من اهدى له مَوْزا

يا مُهْدِىَ الموز تبغى ... ومِيمُه لك فآهْ وزايُه عن قريب ... لمن يعاديك تآهْ

وقال رحه

قد ظهرت ᶜ فى عصرنا فرقةٌ ... ظهورها شؤم على العصرِ
لا تقتدى فى الدين الّا بما ... سَنّ ابن سينا وابو نَصْرِ

وقال

يا وحشة الاسلام من فرقة ... شاغلة انفسَها بالسَّفَهْ
قد نبذت دين الهدى خلفها ... وادّعتْ الحكمة والفلْسَفَهْ

وقال

ضلّت بأفعالها الشنيعَهْ ... طائفة عن هدى الشريعَهْ
ليست ترى فاعلا حكيما ... يفعل شيئًا سوى الطبيعَهْ

وقال انفصاله رحه من غرناطة بقصد الرحلة المشرقيّة اول ساعة من يوم الخميس الثامن

a) Telle est la leçon de R.; G. L. حادر ; S. حاذر b) L. فاحرقت. c) S. اظهرت.

لشوال سنة ٥٧٨ ووصل الاسكندرية يوم السبت التاسع والعشرين من القعدة الحرام من السنة فكانت اقامته على مَتن البحر من الاندلس الى الاسكندرية ٣٠ يوما ونزل البرّ الاسكندرانيّ فى الحادى والثلاثين a وحجّ رحمه وتجوّل فى البلاد ودخل الشام والعراق والجزيرة وغيرها، وكان رحمه كما قال ابن الرقيق من اعلام العلمآء العارفين بالله كتب فى اول امره عن السيّد ابى سعيد ابن عبد المؤمن صاحب غرناطة فستدعاه لان يكتب عنه كتابا وهو على شرابه فمدّ يده اليه بكاس فاظهر الانقباض وقال يا سيدى ما شربتها قطّ فقال والله لتشربن منها سبعا فلما راى العزيمة شرب سبع اكوس فملأ له السيّد الكاسّ من دنانير سبع مرّات وصبّ ذلك فى حجره فحمله الى منزله واضمر ان يجعل كفارة شربه الحجّ بتلك الدنانير ثم رغب b للسيّد واعلمه انه حلف بأيمان c لا خروجَ له عنها انه يحجّ فى تلك السنة فاسعفه وباع مُلكا له تزوّد به وانفق تلك الدنانير فى سبيل البرّ، ومن شعره فى جارية تركها بغرناطة

طولُ اغترابٍ وبَرْحُ شوقٍ d ... لا صبر والله لى عليه
اليك اشكو الذى ألاقى ... يا خيرَ مَن يشتكى اليه
ولى بغرناطة حبيب ... *قد غلقَ e الرهنُ f فى يديه
ودّعته وهو بأرتحاضٍ g ... يُظْهِر لى بعض ما لديه
فلو ترى طَلّ h نرجسَيْه ... ينهلّ فى ورد وَجْنَتيه
ابصرتَ درًّا على عقيقٍ ... من دمعه i فوق صفحتيه

وله رحلة مشهورة بايدى الناس ولمّا وصل بغداد تذكّر بلده

سقى الله *بابَ الطاق صوبَ j غمامة ... وردّ الى الاوطان كلّ غريب k

انتهى وقال فى رحلته فى حق دمشق l جنّة المشرق، ومطلع حسنه المونق المشرق، وهى خاتمة بلاد الاسلام التى استقريناها، وعروس المدن التى اجتليناها، قد تحلّت بأزاهير m الرياحين، وتجلّت فى حُلَل سندسيّة *من البساتين n، وحلّت من موضع الحسن *بالمكان المكين o، وتزيّنت فى مَنَصّتها p اجمل تزيين، وتشرّفت بأن آوى

a) S. ajoute الى اسكندرية. b) S. جاء. c) S. بالايمان. d) R. سوقى. e) Les man. portent علق. f) S. علبى واحشاى. g) S. تبى دلال. h) S. دمع. i) S. رجعه. j) S. ارض الغرب كلّ. k) Voyez l'éd. d'*Ibn-Djobair*, par M. Wright, p. 218, l. 11. l) Voyez *ibid.*, p. 262, l. 2 et suiv.. m) Al-Makk. بزاهر. n) Ces mots manquent dans les man. d'al-Makk. o) Al-Makk. بمكن مكين. p) Al-Makk. منصبها.

الله تعَ المسيحَ وامّه صلّعما منها الى ربوة ذاتِ قرارٍ ومعين،، ظلّ ظليل، وماء سلسبيل،، تنساب مذانبه a انسيابَ الاراقم بكلّ سبيل، ورياض يُحْيِى النفوسَ نسيمُها العليل،، تتبرّج لناظريها بمجتلى صقيل، وتناديهم هَلُمّوا الى معرّس للحسن ومقيل،، قد سئمت ارضُها كثرةَ الما، حتى اشتاقت الى الظما،، فتكاد تناديك بها الصمّ الصِلاب، أُرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَاب b،، قد احدقت البساتين بها احداقَ الهالة بالقمر، واكتنفتْها اكتناف الكمامة للزهر،، وامتدّت بشرقيها غوطتُها الخضرآء امتدادَ البصر، فكلّ موقع لحظة بجهاتها الاربع نضرته اليانعة قيد النظر،، ولله صِدْق القآئلين فيها c، ان كانت الجنة فى الارض فدمشق لا شكّ فيها وان كانت فى السمآء فهى بحيث تسامِيها وتحاذيها،، قالَ العلامة ابن جابر الوادى آشىّ بعد ذكره وَصْفَ ابن جُبَير لدمشق ما نصّه ولقد احسن فيما وصف منها واجاد، وتوّق الانفس للتطلّع على صورتها بما افاد،، هذا ولم تكن له بها اقامَة، فيعرب عنها بحقيقة علامه،، وما وصف ذهبيّات اصيلها وقد حان من الشمس غروب ولا ازمانَ d فصولها المنوّعات، ولا اوقات سرورها المهنّآت،، وقد اختصر من قال الفيتُها كما تصف الالسُن، وفيها ما تشتهيه الانفُس وتلذّ الاعيُن،، انتهى، رجعَ الى كلام ابن جبير فنقول ثم ذكر فى وصف الجامع e انه من اشهر جوامع الاسلام حسنًا واتقانَ بنآء وغرابةَ صنعةٍ واحتفالَ تنميق وتزيين وشهرته المتعارفة فى ذلك تغنى عن استغراق الوصف فيه، ومن عجيب شانه انه لا تنسج به العنكبوت ولا تدخله ولا تلمّ به الطير المعروفة بالخُطّاف، ثم مدّ النفس فى وصف الجامع وما من العجآئب ثم قال بعد عدّة اوراق ما نصّه f وعن يمين الخارج من باب جَيْرُون فى جدار البَلاط الذى امامه غُرْفة ولها هيئة طاق كبير مستدير فيه طِيقان صُفر قد فتحت ابوابا صِغارا على عَدَد ساعات النهار دُبّرت g تدبيرا هندسيّا فعند انقضآء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من فَمَىْ بازِيَيْن مصوَّرين من صفر قائمين على *طاستين من صفر h تحت كل واحد منهما احدهما تحت اول باب من تلك الابواب والثانى تحت آخرها والطاستان مثقوبتان فعند وقوع البندقتين فيهما تعودان داخل الجدار الى الغرفة وتبصر البازيين يمدّان اعناقهما بالبندقتين *الى

a) S. مدايند. b) Voyez Sour. 38, vs. 41. c) *Ibn-Djobair* عنها. d) S. ajoute من قال.
e) Voyez *Ibn-Djobair*, p. 262, dern. ligne. f) Voyez *Ibn-Djobair*, p. 271, l. 3 infr.
g) *Ibn-Djobair* ودبرت. h) Al-Makkarī طاسى صفر.

الطاستين ويقذفانهما بسرعة بتدبير عجيب تتخيّله الاوهام سحرا وعند وقوع البندقتين [a] في الطاستين يُسْمَع لهما دويّ وينغلق الباب الذي هو لتلك الساعة للحين بلوح من الصفر لا يزال كذلك عند * انقضآء كلّ [b] ساعة من النهار حتى تنغلق الابواب كلها وتنقضي الساعات ثم تعود الى حالها الاول ولها بالليل تدبير آخر وذلك ان في القوس المنعطف على تلك الطيقان المذكورة ١٢ دائرة من النحاس مخرّمة وتعترض في كلّ دائرة زجاجة من داخل الجدار في الغرفة مدبّرة ذلك كلّه منها خلف الطيقان المذكورة وخلف الزجاجة مصباح يدور به المآء على ترتيب مقدار الساعة فاذا انقضت عمّ الزجاجةَ ضوء المصباح وفاض على الدائرة امامها شعاعُها فلاحت للابصار دائرة محمرّة ثم انتقل ذلك الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل وتحمرّ الدوآئر كلها وقد وُكّل بها في الغرفة متفقّدٌ لحالها دَرِبٌ بشانها وانتقالها يُعيد فتح الابواب وصرْف الصنج الى موضعها وهي التي يسمّيها الناس المنجانة انتهى المقصود منه، قلت كلما ذكر رحمه في وصف دمشق الشام واهلها فهو في نفس الامر يسير، ومن ذا يروم عدّ محاسنها التي اذا رجع البصر فيها انقلب وهو حسير،، وقد اطنب الناس فيها وما بقي اكثر مما ذكروه وقد دخلتها اواخر شعبان من سنة ١٠٣٧ للهجرة واقمت بها الى اوآئل شوال من السنة وارتحلت عنها الى مصر وقد تركت القلب ببينها [c] رهنا، وملك هواها منّي فكرا وذِهنا،، فكأنّها بلدي التي بها رَبّيْت، وقراري الذي لي به اهل وبيت،، لانّ اهلها عامَلوني بما ليس بشكره يدان، وها انا الى هذا التاريخ لا ارتاح الى غيرها من البُلدان،، ولا يشوقني ذكر ارض بابل ولا بَغْدان، فالله سبحانه يعطّر منها بالعافية الاردان،، وقد عنّ لي ان اذكر جملة ممّا قيل فيه من الامداح الرائقة، واسرد ما خاطبني به اهلها من القصآئد الفائقة،. فنقول قال البدر بن حبيب

يمِّمْ دمشق ومِل الى غربيّها ... والمح محاسن حسن جامع يِلّبغ

مَن قال من حسدٍ رايتُ نظيره ... بين الجوامع في البلاد فقد لغ

وقال رحمه

لله ما احلى محاسن جِلّق ... وجهاتها اللاتي تروق وتعذبُ

بيزيد ربوتها الفرات وجُنكها ... يا صاح كم كنا نخوض ونلعبُ [d]

وقال في كتب شنف السامع · بوصف الجامع

a) Ces mots manquent dans les man. d'al-Makk. b) *Ibn-Dj.* كل انقضآ. c) G. ببنيها; R. ببيه.. d) Ce distique manque dans les man. G. et L.

لله ما اجمل وَصْف جلّق   وما حوى جامعُها المنفرد
قد أُطرِب الناسُ بصوت صيته   وكيف لا يطرب وهو معبد

وقال فى ذكر باب الجامع المعروف بالزيادة

يا راغبا فى غير جامع جلّق   هل يستوى الممنوع والممنوحُ
اقصرْ عناك وفى غلوّك لا تزد   انّ الزيادة بابها مفتوح

وقال فى منارته المعروفة بالعروس

معبَدُ الشام يجمع الناس طرّا   واليه شوقا تميل النفوسَ
كيف لا يجمَعُ الورى وهو بيت   فيه تجلى على الدّوام العروسُ

ومنه فى ذكر بانيه الوليد

تالله ما كان الوليد عابثا   فى صرفه المال وبذل جهْده
لكنّه أحرز ملك معْبَد   لا ينبغى لاحد من بعده

ومن ابيات فى آخره

بجامعِ جلّق ربّ الزعامهْ   أقِمْ تلقَ العنايةَ والكرامهْ
ويمّمْ نحوه فى كلّ وقت   وصلِّ به تصلْ دارَ الاقامهْ
مُصلّى فيه للرحمٰن سِرّ   ومثوى للقبول به علامهْ
محلّ كمّل البارى حُلاه   وبيت ابدع البانى نظامهْ
دمشق لم تزل للشام وجها   ومساجدها لوجه الشام شامَهْ
وبين معابد الآفاق طُرّا   له امَرَ الامارةِ والامامهْ
ادام الله بهجته وابقى   محاسنه الى يوم القيامهْ

انتهى، ولم اقف على كل هذا الكتاب المذكور بل على بعضه فقط ومن قصيدة القاضى المهذّب ابن الزبير

بالله يا ريح الشما   ل اذا اشتملْتِ الروح[a] بردا   وحملتِ من عُرف الخزا
مَى ما اغتدى[b] للنّد ندّا   ونسجتِ ما بين الغصو   نِ اذا اعتنقن هوًى وودّا
وهززتِ عند الصبح من   اعطافها قدًّا فقدّا   ونثرت فوق الماء من
أجيادها للزهر عقدا   فملأتِ صفحةَ وجهه   حتى اكتسى آسا وودا

a) R. en marge: لعلّه الرند. b) S. اعتدى.

وكـأنّـما الـقيـت فيــــه منهما صُدْغا وخدّا   مرّى على بَرَدَى عسا
هُ يزيد فى مَسْرَاك بَرْدا   تهر كنَصْل السيف تـ   متنَه الازهارُ عَمْدا
صقلـتـه انفاسُ النسيـــــم بمرّهنّ فليس يَصْدَا

ومنها
أَحْبابنا مـا بالكم   فيـنـا مـن الاعـدآء أَعْـدا
وحياةِ حبّكمُ وحُرْ   مة اصلكم [a] ما خُنْتُ عَهْدا

وقال الكمال الشريشىّ [b]

يا جيرةَ الشام هل من نحوكم خبرُه   فـانّ قلبى بنـار الشوق يستعرُ [d]
بَعُـدتُّ عنكم فلا واللهِ بعدكمُ   مـا لـذّ للعين لا نـوم ولا سَهَرُ
اذا تذكرتُ أَوقاتـا نـأتْ ومضت   بقربكم كادت الأَحشـآء تنفطرُ
كانّنى لم اكن * بالنيّرِ بين [e] ضُحًى   والغيم يبكى ومنه يضحك الزهرُ
والـورق تـنـشـدّ والاغصـان راقصة   والـدّوح تطرب بالتصفيق والنهرُ [f]
والسفح اين عشيّاتى التى ذهبت [g]   لى فيه فهى لعمرى عندى العُمُرُ
سقاك بالسفح [h] سفحُ الدمع منهملا [i]   وقَـلّ ذاك لـه ان اعْـوَز المطرُ

وحكى ابن سعيد وغيره انّ غرناطة تسمى دمشق الاندلس لسُكْنى اهل دمشق الشام بها عند دخولهم الاندلس وقد شبّهوها بها لما رأوها كثيرة المياه والاشجار وقد اطلّ عليها جبل الثلج وفى ذلك يقول ابن جبير صاحب الرحلة

يـا دمشقَ الغرب هاتيـــــك لقد زدتِّ عليها
تحتكِ الانهـارُ تجرى   وهـى تنصبّ اليها

قال ابن سعيد اشار ابنُ جبير الى انّ غرناطة فى مكان مشرف وغوطتها تحتها تجرى فيها الانهار ودمشق فى وهدة تنصبّ اليها الانهار وقد قال الله تعّ فى وصف الجنة تَجْرِى من تحتها الانهـارُ [j] انتهى، وقال الشيخ الصفدى فى تـذكرتـه انشدنى المولى الفاضل البارع شمس الدين محمد بن يوسف بن عبـد الله الخيّـاط بقلعة الجبل من الديار المصريّة حرسها الله تعّ لنفسه فى شعبان سنة ٧٣٢

a) L. عهدكم. b) Ce poëme se trouve dans le *Dorrat al-aslāk* par Ibn-Habib (man. de Leyde, n°. 425, p. 260). c) Ibn-Hab. حبر. d) Ibn-Hab. تستعر. e) S. بالنيّرين. f) Ibn-Hab. والزهرُ. g) Ibn-Hab. سلفت. h) R. et Ibn-Hab. بيا سفح. i) Al-Makk. منهمل. j) Voyez sour. 3, vs. 13.

قصدتُ مِصرًا مِن رُبى جلّق   بهمّة تنجرى بتجريبى
فلم أرَ الطُّرّة حتى جرتْ   دموع عينى بالمرازبى [a]

وانشدنى لنفسه ايضا   خلفتُ بالشام حبيبى وقد   يممت مصرا لعُنّى طارِقِ
والارض قد طالت فلا تبعدى   بالله يا مصر على العاشقِ

وانشدنى لنفسه ايضا   يا اهل مصر انتمْ للعُلى   كواكب الاحسان والفضل
لو لم تكونوا لى سُعودًا لَمَا   وافيتُكم اضرب فى الرملِ

انتهى، وذكرته برمّته لحسن معزاه [b]، وقال الشيخ مجد الدين محمد بن احمد المعروف بابن الظهير [c] الحنفى الاربلى [d]

لعلّ سنا برقِ الحمى يتألّق   على النأيِ او طيفا لاسمآء يطرق
فلا نارها تبدو لـ سرحب ولا   وعودُ الامانىَ الكواذب تصدق
لعل الرياح الهوج تدنى لنازح   من الشام عُرفا كاللطيمة تعبق
ديار قضينا العيش فيها منعّما   وايامنا تحنو علينا وتشفق
سحبنا بها بُردَ الشباب وشربُنا   لدينا [e] كما شئنا لذيذٌ مُروّق
مواطن منها السهم سهمى وظلّه   تخبّ مطايا اللهو فيه وتعنق
جلا جانبَيْه معلمٌ متجعّد   من المآء فى اطلاله يتدفّق
اذا الشمسُ حلّت متنَه فهو مُذْهَب   وان حجبتها دَوْحة [f] فهو ازرقُ
وان فرج الاوراق جادت بنَوْرها   فرقمٌ اجادته الاكفّ منمّق
يطل عليه قاسيون كأنّه   غمام معلّى او نعام مُعَلّق
تسافر عنه الشمس قبل غروبها   وتزحف [g] اجلالا له حين تشرق
وتصفر من قبل الاصيل كانّها   محبّ من البين المشتّت مشفق
وفى النيرب الميمون للّبّ سالب   من المنظر الزاهى [h] وللطرف مومق
بدائع من صنع القديم ومحدث   تَأنّق فيها المحدث المتأنّق
رياض *كَوْشى للبرود [i] يشقّقها [j]   جداولها فالنور بالمآء يشرق
فمن نرجس يخشى فراقَ فريقه [k]   ترى الدمع فى اجفانه يترقرق

---

a) Les man. portent بالمزيريبى. b) S. تعزاه. c) Les man. portent الطهر. Voyez *Orientalia*, II, 264. d) Les man. portent الازبكى. e) Lisez لديها. f) L. دوحة. g) S. حبآء. h) R. الباعى. i) R. مكوشى البرود. j) R. يشبقها. k) S. ضربعه.

ومن كل ريحان مقيم وزائر يصافح ريّاه الرياض فيعبق
كأنّ قدود السرو a فيه موائسا قدود عذارى لهـا مترفق
اذا ما تداعت للشقائق صدّها عيون من النّور المفتّح ترمُق
وقصر بكلّ الطرف عنه كأنّه الى النسر نسرٌ فى السمآء مُعلّق
وكم جدول جارٍ يطاول b جدولا وكم جوسق عالٍ يوازيه جوسق
وكم بركة فيها تضاحك بركة وكم قسطل للمآء فيه تدفّق
وكم منزل يُغْشى العيون كأنّما تألّق فيها بارق يتألّق
وفى الربوة الفيحآء للقلب جانب وللهمّ مسلاة c وللعين مرْمَق
عروس جلاها الدهرُ فوق منصّة من الدهب والابصار ترمي وترمق
فهام بها الوادى ففاضت عيونه فكلّ قرار منه بالدمع يشرق
تكفّل من دون الجداول شربها يزيد ّ ة لها ويُروّق

وقال ابو تمّام فى دمشق d

لو لا حدآئقها e وانى لا ارى عَرشا * لها لظنّنتها f بلقيسا
وارى الزمان غدا عليك بوجهه جذلان g بسّاما وكان عبوسا
قد بوركت h تلك البطون i وقد سمتْ تلك الظهور بقربه j تقديسا

وقال البحترى k

امّا دمشق فقد أبْدَتْ مَحاسنَها وقد * وَفى لك مُطْريها l بما وَعَدا
اذا اردتّ ملأتَ العين من بلد مستحسنٍ وزمان يُشْبه البَلَدا
يمسى m السحابُ على أجْبالها فرقا ويصبح النور n فى صحرآتها بَدَدا
فلستَ o تبصر الا واكفا خَضلا او p يانعا خَضرا او طائرا غَرِدا
كأنّما القَيْظ ولّى بعد جيأته q اوِ الربيعُ دنا من بعد ما بَعُدا

a) G. السرور ; S. السر. b) G. L. يطارد. c) L. مسراة. d) Ces vers se trouvent dans le Dīwān d'Abou-Tammām, man. de Leyde (A.) 899 et (B.) 403. e) Abou-T. A. شقاى ; B. حدائنتها ; بها. f) Al-Makk. هناك طننتها. g) Abou-T. B. جدلان. h) Al-Makk. نورت. i) Abou-T. A. الظعون. j) Al-Makk. وقدّست. k) Voyez ces vers dans le commentaire de M. de Sacy sur les séances de Harīrī p. 135 (114). l) S. وافاك منظرها. m) Telle est la leçon que donne M. de Sacy. Al-Makk. تمشى. n) De Sacy النبت. o) S. طننت. p) De Sacy و. q) De Sacy وَجْدَته.

وفى دمشق يقول بعضهم

برزت دمشق لزائرى اوطانها   من كلّ ناحية بوجه ازهر
لو أنّ انسانا تعمّد ان يرى   مَغْنى خلا من نزهة لم يقدر

وقال القيراطىّ a من قصيدته التى اوّلها

للصبّ بعدك حالة لا تصحب[b]   c
لله ليل   بالوصل لا اخشى به ما يُرْقَبُ
وركبت منه الى التصابىّ ادهمَ   من قبل ان يبدو لصبح اشهبُ
ايام * لا مآء d الخدود يشوبه   كدرُ العذار ولا عذارى اشيَبُ
كم فى مجال اللّهو لى من جولة   اضحت ترقّص بالسماع وتطرب
واقمت للندمآء سوق خلاعة   تجبَى e المجون التى فيه وتجلَبُ
وذكرت فى مغنى f دمشق معشرا   أمّ الزمان بمثلهم لا تجنب g
لا يسأل القصّادُ عن ناديهمُ   لكن يدلّهمُ الثنآء الطيّب
قوم بحسن صفاتهم وفعالهم   قد جاء يعتذر الزمان المذنب
يا من لحرّان الفؤاد وطرفه   بدمشق ادمعه غدت تتحلّب
أشتاقُ فى وادى دمشق مَعْهَدا   كلّ الجمال الى حماه يُنْسَب
ما فيه الّا روضة او جوسق   ول او
وكأنّ ذاك النهر فيه معْصَم   بيد النسيم منقّش ومكتّب
واذا تكـ ـر ماؤه   فى الحال بين رياضه يتشعّبُ
وشدَت على العيدان وُرْقٌ اطربَ   بغنآئها مَن غاب عنه المطربُ
فالوُرْق تنشد والنسيم مشبّب   والنهر يسقى والحدآئق تشرب
وضياعُها ضاع النسيم بها فكم   اضحى له من بين رَوْض مَطلبُ
وحلَتْ بقلبى من عساكر h جنّة i   فيها لارباب j الخلاعة مَ
ولكم رقصتُ على السماع بجُنْكها   وغدا . ر وتها اللسان ذ
ـى ازور معـ ـا ابوابها   ـها كُتُبُ السماح

a) R. القرطبى. Voyez *Orientalia*, II, 449. b) L. تعاجب. c) Dans tous les manuscrits il y a ici un blanc. d) S. كالمآء. e) S. تحيى. f) G. S. معنى. g) L. تناجب. h) L. عسال. i) L. جبّة. j) Les man. portent الارباب.

وقال الصفيّ الحلّيّ عند نزوله بدمشق مسمّطا لقصيدة السَّمَوْءل بالحماسة a

قبيحٌ بِمَن ضاقت عن الرزق ارضه   وطولُ الفلا رحبٌ لديه وعرضُه
ولم يَبْلَ سِربالُ الدّجى فيه ركضُه   اذا المرءُ لم يَدْنَس من اللّؤم عِرضُه
فكلُّ رداءٍ يرتديه جميلُ

اذا المرءُ لم يحجب عن العين نومَها   ويُغْلِ b من النفس النفيسة سَوْمَها
أُضيعَ ولم تامن معاليه يومها   وانْ هو لم يحمل على النفس ضَيْمَها
فليس الى حسن الثناء سبيلُ   ومنها

رفعنا على هام السماك مَحَلّنا   فلا ملك الّا تغشّاه ظلُّنا
لقد هابَ جيش الاكثرين اقلّنا   ولا قلّ من كانت بقاياه مِثْلَنا
شَبابٌ تَسامَى للعُلى وكهولُ

يوازى الجبالَ الراسيات وقارُنا   وتبنى على هام المجرّة دارُنا
ويامن من صرف الزمان جوارُنا   وما ضرّنا أنّا قليل وَجارُنا
عزيزٌ وجار الاكثرين ذليلُ

ولما حللنا الشامَ تمّتْ امورُه   لنا وحبانا ملكه واميره
وبالنيرب الاعلى الذى عزّ c طُوره   لنا جبلٌ يَحتَلُّه مَن نُجيره
مَنيعٌ يردّ الطرف وهو كليلُ

يُريك الثريّا من خلال شعابه   وتحدق شُهْب الافق حول هضابه
ويقصر خطو السحب دون ارتكابه   رسا اصلُه تحت الثّرى وسما به
الى النجم فرع لا ينال طويلُ

وقصر على الشقرآء قد فاض نهره   وفاق على فخر الكواكب فخره
وقد شاع ما بين البريّة شكره   هو الأبْلَق الفردُ الذى سار ذكره
يعزّ على مَن رامه ويطولُ

اذا ما غضبنا فى رضى المجد غضبة   لندركَ ثارا او لنبلغ رُتْبَه
تزيد d غداة الكرّ فى الموت رغبة   وانّا لقوم لا نرى الموت سُبّه
اذا ما رأتْه عامرٌ وسلولُ

a) Voyez *Hamāsa*, p.٤٩ et suiv. b) L. ويغلى. c) G. عنّ. d) G. S. تريد.

وكتب الشيخ محبّ الدين الحموى * فى ترجمة الشيخ a اسمعيل النابلسى شيخ الاسلام من مصر

لـوآء b الـتـهـانى بالمسرّة يـخـفـقُ — وشمسُ المعالى فى سَمَا الفضل تشرقُ
وسـعـدٌ واقـبـال ومـجـد مـخـيَّـم — وايـام عـزٍّ بـالـوفـا تـتـخـلّـق
فيا ايّها الـمـولـى الـذى جـلّ قدرُه — ويـا ايّـهـا الحبر اللبيب الـمـدقّقُ
ارى الـشـام مُـذ فارقتها زال نـورها — وثـوبُ بـهـاهـا والنضارة تُـخْـلَـق
اذا غبت عـنـهـا غـاب عنـهـا جمالُها — ونـفـسٌ بـدُون الـروح لا تتحـقّـق
وان عـدتَ فيها عـاد فـيـهـا كمالُها — وصـار عـلـيـهـا مـن بهآئك رَونَقُ
فيـا ساكنى وادى دمشق مزارُكم — بعيـدٌ وبـابُ الـوصـل دونى مغلّق
وليس على هـذا الـنـوى لِـىَ طـاقة — فهـل مـن قيود البين والبُعد أُطْلَقُ
وانّـى الـى أخـبـاركم مـتـشـوّف — وانـى الـى لـقـيـاكـمُ مـتـشـوّقُ
اودُّ اذا هـبّ الـنـسـيـم لنحوكم — بـأنّـىَ فـى أذيـالـه أتـعـلّـق
وأصْبو لذكراكم اذا هبّت الصّبا — لعلّـىَ مـن c اخـبـاركم اتنَشّق
وَلِـى أنّة أودَت بـجـسـمـى ولـوعـةٌ — ونـارُ جـوًى مـن حـرّهـا اتـفـلّق
فحنّوا على المُضْنَى الذى ثوبُ صبرِه — اذا مـسّـه نـيـل الـهـوى يـتـمـزّق
غريب بأقصى مـصـر اضحت دياره — ولكنّ قـلـبـى بـالـشّـآم مـعـلّـق
وقـد نسخ التبريحُ جسمى فهل الى — غـبـارِ ثرى اعتاب وصـلٌ محقّق
فيـا لـيـت شعرى هـل افوز بروضة — وفيها عيون النرجس الغُصْنَ d تحدقُ
* وأنـظـرُ وادبـهـا وآوِى نـربـوة — ومـاء معينٍ حـولـهـا يـتـدفّـق
ويـحـلـو لِىَ العيش الـذى مرّ صفوُه — وهـل عـائـدٌ ذاك الـنـعـيـم المروّق
وأنـظـرُ ذاك الـجـامـع الـفـرد مـرّةً — وفـى صَحنه تلك الحلاوة تشرق
واصـحـابُـنـا فـيـه نـجـوم زواهـر — ونـورُ مُـحـيّـا وجـهـهـم يـتـألّـق
فـلا بـرحـوا فـى نـعـمـة وسـعـاده — وعـزٍّ ومجد شأوُه ليس يلحَق

وقال ابن عُنَين

ما ذا على طيف الاحبّة لو سَرَى — وعليهمُ لو ساعدونىَ بالكَرَى

a) Les man. portent ترجمة للشيخ. b) G. لولا. c) Les man. portent عن. d) Les man. portent العصن.

جنحوا الى قول الوشاة واعرضوا   والله يعلم أنّ ذلك مفترى
* يا من نآى a عنى لغير جناية   الّا لما نقل العذول وزورا
هَبْنى أسَأتُ كما تقول وتفترى   واتيتُ فى حبّيك شيئًا منكَرا
ما بعدَ بُعدك والصّدود عقوبة   يا هاجرى ما آن لى ان تغفرا
لا تجمعَنّ علىّ عتبك والنوى   حسْبُ المحبّ عقوبةً أن يهجرا
عِبْأُ الصّدود أخفّ من عبأ النوى   لو كان لى فى الحبّ ان اتخيّرا
فسقى دمشق وواديَيْها والحِمَى   متواصل الادغام منفصمَ العُرى
حتّى ترى b وجهَ الرياض بعارض   احوى وفودَ الدوح ازهَرَ نيّرا
تلك المنازل لا مَلاعب c عالج   ورمال d كاظمة ولا وادى الغرى e
ارض اذا مرّت بها ريح الصّبا   حملتْ على الاغصان مسكًا أذفرا
فارقتُها لا عن رضى وهجرتُها   لا عن قِلًى ورحلتُ لا متخيّرا
اسعى لرزق فى البلاد مشتّت   ومن العجآئب أن يكونَ مقتّرا

وابن عنين كان هَجّآء وهو صاحبُ مقراض الاعراض تجاوز الله عنه فمن ذلك قوله

أرحْ من نَزْحِ مآء البِرْج يوما   فقد اضحى الى تَعَب وعَيِّ
مُرِ القاضى بوضع يديه فيه   وقد اضحى كراس الدولعيّ .

يعنى أَقْرَع وسببُ قوله البيتين ان المعظم امر بنزح مآء بقلعة دمشف فاعياهم ذلك، ومن هجوه قوله

شكا شِعْرِى الىّ وقال تهجو   بمثلى عرضَ ذا الكلب اللّئيم
فقلت له تُسَلَّ فرُبّ نجم   هوى فى اثر شيطان رجيم

وقال فيمن خرج حاجًا فسقط عن الهَجين فتخلّف

اذا ما ذمّ فعلُ النّوق يوما   فانّى شاكر فعل النياق
اراد الله بالحجّاج خيرا   فثبّط عنهمُ اهل النفاق

وقال

وراحل f سِرْت * فى ركب g اودّعه   تبارك الله ما اشهى h * بلاجينا i
جئنا الى بابه j لاجّين نسأله   فليتنا عافنا موت ولا جئنا

---

a) G. L. بيا معرضا. b) L. فرى. c) S. اعقّة. d) L. ورحال. e) G. L. زبير رتعى.
f) S. وراجل. g) S. كى. h) S. اسقى. i) S. الماكينا. j) G. S. باب.

راجين نسآل ميتنا لا حَراك به   مثل النصارى الى الآصنام لاجينا
وصلَتْ منك رُقعة أسأتنى   وقتَتْ صبرِىَ الجميل قليلا
كنهار المصيف حرّا وكربا   وكليلِ الشتآء بردا وطولا

واول مقراض الاعراض قوله

أضالعُ تنطوى على كربِ   ومقلةٌ مستهلّةُ الغَرْبِ
شوقا الى ساكنى دمشق فلا   عدَتْ رباها مواطرُ السحبِ
منازل ما دعا تذكّرُها   الّا ولبّى بذلها a لَبّى

ثم ذكر من الهجو ما تصمّ عنه الاذان وهو القائل فى دمشق

الا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلةً   وظلّك يا مُقْرى علىّ ظليل
وهل b ارينى بعد ما شطّت النوى   ولى فى ذرى روض هناك مقيلُ

ومنها   دمشق بنا شوق اليك مُبرّحٌ   وان لجّ واش او الحّ عَذولُ   الابيات c

وقد تقدم التمثيل بهذه الابيات الثلاثة فى خطبة هذا الكتاب ومن هذه القصيدة

وكيف اخاف الفقر او احرم الغنا   ورآئى ظهير الدين فىّ جميلُ
من القوم امّا أحْنَفٌ فمُسَفَّهٌ   لديهم وامّا حاتم فبخيلُ
فتى المجد امّا جاره فممتَّعٌ   عزيز وامّا ضدّه فذليلُ
وامّا عطايا كفّه *فمباحة   الينا d وامّا ظلّه فظليلُ

وظهير الدين الممدوح هو طُغتكين e بن ايّوب اخو السلطان صلاح الدين وكان مَلِك اليمن واحسن الى ابن عُنَين احسانا كثيرا وافرا وخرج ابن عنين من اليمن بمال جمّ وطغتكين بضمّ الطآء المهملة وبعدها غين معجمة ثم تآء f مثناة من فوقها g مكسورة ثم كاف مكسورة ايضا ثم يآء تحتيّة ثم نون وكان يلقب بالملك العزيز ولذلك قال ابن عنين لما رجع من عنده الى مصر ايام العزيز عثمان بن صلاح الدين فالزم ارباب الديوان ابن عنين بدفع الزكاة من المتاجر التى وصلت صحبته

ما كلُّ مَن يتسمّى بالعزيز له h   أهْلٌ وما كلُّ برّ سحبُه غدقةْ
بين العزيزين بَوْنٌ فى فعالهما   هذاك يُعْطى وهذا ياخذ الصّدقةْ

ومن هجو ابن عُنين قوله فى فقيهين يلقب احدهما بالبغل والآخر بالجاموس i

---

a) Les man. portent بذل لها. b) Lisez وهلّا. c) Voyez al-Makkarī I, p. 64, l. 8 et suiv. d) S. شوابغ عذاب. e) S. طغيكين. f) S. بياء. g) Les man. portent تحتها. h) Les man. portent لها. i) On trouve ces mêmes vers dans l'ouvrage d'Ibn-Khallikān, n°. 745.

البغل والجاموس فى حاليهما a قد اصبحا مثلا b لكلّ مُناظِرِ
* فعدا عشيةَ يومِنا فتناظرا c هذا بقرنيه وذا بالحافرِ
ما أحكما d غير الصياح e كانّما لقيا جدال المرتضى ابن عساكرِ
جلفان f ما لهما شبيهٌ ثالث الّا رفاعة g مدلّوية الشاعرِ
ه لغظ h طويل تحت معنى قاصر كالعقل فى عبد اللطيف الناظرِ

رجع الى دمشق وقال العزّ الموصلى

اليكِ حياض حمّامات مصر ولا تتكثّرى عندى بمَيْنِ
حياض الشام احلى منكِ ماءً واطهر i وهى دون القُلّتيْن

وهذان البيتان جواب منه عن قول ابن نباتة

احواضَ حمّام الشآمِ اسْتمعى لى كَلْمتَيْن
لا تذكرى احواضَ مصر فانت دون القُلّتيْن

وامّا قول النواجى مصر قالت دمشق لا j تفتخرْ قطّ باسمها
لو رأتْ قوسَ روضتى منه راحت بسَهْمها

فهو من باب تفضيل الوطن من حبّه ومنه قول الوداعى

رَوِّ بمصر وبسكانها شوقى وجدّدْ عهدى الخالى
وآرو لنا يا سعدُ عن نيلها حديثَ صفوان بن عسّال
فهو مرادى لا يزيد ولا ثَوْرًا وان رقّا ورقّا لى

ومن ذلك النمط قول الشهاب الحجازى

قالوا دمشق قد زهت لزهوها k فامص وشاهد لَوْزها وجوزها
فقلت لا أُبْدِل بلدتى بها ولستُ ارضى زهرها ولوزها

وقول اخر قد قال وادى جلق للنيل اذ كسروه أعْين جبهتى لك ترفعُ
فاجاب بحرُ النيل لما ان طغى عندى مقابلُ كلّ عين أصبعُ

وقد تذكرت هنا قول بعضهم

a) Ibn-Kh. جدليهما. b) Ibn-Kh. عظة. c) Ibn-Kh. برزا عشية ليلة فتباحثا. d) Ibn-Kh. اتعنا. e) S. et Ibn-Kh. الصباح. f) Ibn-Kh. اثنان. g) Al-Makk. اخادع. h) G. L. لغط. i) G. S. واظهر. j) G. L. فى. k) G. لزهاها; L. لزهوها.

ما ذا يفيد المعنّى من الأذى المتتابعْ بمصر ذات الايادى ونيلها ذى الاصابعْ

وقد شاع الخلاف قديما وحديثا فى المفاضلة بين مصر والشام وقد قال بعض

فى حلب وشامنا a ومصر طال اللغطْ فقلت قولَ مُنْصِف خير الامور الوسَطْ

واما قول بعضهم تجنّبْ دمشقَ ولا تأتِها وان راقك الجامعُ الجامعُ

فَسُوق الفُسوق بها قائم وفجر الفجور بها طالعُ

فلا يلتفت اليه، لا يعوّل عليه، اذ هو مجرد دعوى خالية عن الدليل، وهى من نزعات بعض الهجّائين الذين يعمدون الى تقبيح الحَسن الجميل الجليل، وما زالت الاشراف تهجى وتمدح، ولا يقابل الف مُثنٍ عُدولا b بفاسق يقدح،

وفى تعب مَن يحسد الشمس نورَها ويامل ان ياتى لها بضريب

واخف من هذا قول بعض الاندلسيّين وهو الكاتب ابو بكر محمد بن قاسم

دمشق جَنّة الدنيا حقيقا ولكن ليس تصلح للغريب

بها قوم لهم عدد ومجد وصحبتهم تؤول الى حروب c

ترى انهارَهم d ذات ابتسام واوجههم تَوَلَّعُ بالقطوب

اقمتُ بدارهم ستّين يوما فلم اظفر بها بفتًى اديب

والجواب واحد، ولا يضرّ الحق الثابت انكار الجاحد، واخف من الجميع قول العارف بالله سيدى عمر بن الفارض رضه e

جِلّقٌ جنّةٌ مَن تاهَ وباها ورُبَاها أَرَبى f لولا وَبَاها

قال غالٍ بَرَدَا كوثرُها قلت غالٍ بَرَدَاها بِرَدَاها

وَطَنى مصر وفيها وطرى ولنفسىْ مشتهاها مشتهاها

ولعينى غيرُها ان سكنَتْ يا خليلَىَّ سَلَاها ما سَلَاها

واخف منه قول ابن عبد الظاهر

لا تلوموا دمشق ان جئتموها فهى قد اوضحتْ لكم ما لديها

انّها فى الوجوه تضحك بالزهـــر لمن جآء فى الربيع اليها

وتراها بالثلج g تبصق فى لـــحية مَن مرّ فى الشتآء عليها

a) S. وجلف. b) Les man. portent عدول. c) On trouve ces vers dans la biographie de Mohammed Ibn-Kāsim, p. ٥٢٣. d) Je crois qu'il faut lire افواههم. e) Ces vers se trouvent dans le Dīwān d'Omar b. Fārid (man. de Gotha). f) Dīwān: متبتى. g) L. فى الثلج.

وقول ابن نباتة وهو بالشام يتشوّق الى المقياس والنيل

أرِقْ له بالشام نيلُ مدامع ... يُجريه ذكرُ منازل المقياس
سقيا لمصر منازلا معمورة ... بنجومِ افقٍ او ظباءِ كناسِ
وطنى سهرتُ له وشابت لمّتى ... ونعمْ على عينى هواه وراسى
مَن لى به والحال ليس بآنس ... كدرا وعطف الدهر ليس بقاسى
والطرف يستجلى غزالا آنسا ... بالنيل لم يعتد على بانا س[a]

رجع الى مدح دمشق وقال الناصر داود بن المعظم عيسى

اذا عاينتْ عيناك اعلامَ جِلّق ... وبان من القصْر المشيد قبابُه
تيقّنتَ ان البينَ قد بان والنوى ... نأى شخصه والعيش عاد شبابُه

وقال ايضا رحمه

يا راكبا من اعالى الشام يجذبه[b] ... الى العراقيين اِدلاجٌ واسحارُ
حدّثتّنى عن ربوع طالما قضيتْ ... للنفس فيها لُبانات واوطارُ
لدى رياض سقاها المُزْن ديمتَه ... وزا ا ر رّ غصّ ود
شحّ الندى أن يسقّيها بحاجته ... فجادها منْعَم * الشوب ومدرارُ[c]
بكتْ عليها فؤادى[d] وهى ضاحكة ... وراحت الريح فيها وهى معْطارُ
يا حسنها حين زانتها جواسقها ... وأينعت فى أعالى الدوح أثمارُ
فهى السماءُ اخضرارا فى جوانبها ... كواكب زهر تبدو وأقمارُ
حدّثتّنى وانا الظامى الى نَبَأ ... لا فضّ فوك فمنّى الرىّ تمتارُ
فهو الزلال الذى طابت مَشاربُه ... واكدارُ
كرّرْ على نازح شطّ المزار به ... حديثك العذب لا شطّت بك الدارُ
وعلّل النفسَ عنهم بالحديث بهم ... انّ الحديثَ عن الاحباب اسمارُ

وهذا الملك الناصر له ترجمة كبيرة وهو ممن ادركته الحرفة الادبيّه ، ومنع حقه بالحمية والعَصَبيّه ، وانكرت حقوقه ، واظهر عقوقه ، حتى قضى نَحْبَه ، ولقى ربّه ، رجع

وقال سيف الدين المشدّ[e] رحمه

a) Les man. portent ou باباس ou بان ياس. Voyez Edrisi, par Jaubert, I, 350. b) Les man. portent يجدبه. c) Les man. portent ou الشوبو مدرار (G.), ou الشبوبوب مدرار (L.), ou الشوبز مدرار (S.). d) Les man. portent الغوّادى. e) S. ابن المذرح. Voyez *Orientalia*, II, 243.

بُشْرى لاهل الهَوى عاشوا به سُعَدَا   وان يموتوا فهم من جملة الشّهَدا
شعارهم رقّة الشكوى ومذهبُهم   ان الضلالة فيها فى الغرام هدَى
عيونهم فى ظلام الليل ساهرة   عُبْرًا وانفاسهم تحت الدجا صعَدا
تجرّعوا كأس خمر الحبّ مُتْرَعة   ضلوا a سكارى وظنّوا غيّهم رشدا
وعاسّل القدّ معسول مقبّله   كالغصن لما انثنى والبدر حين بدا
رقيمُ عارضه كهفٌ لعاشقه b   يأوى اليه فكم فى حبّه شهدا
نادمته وثغور البرق باسمة   والغيث ينزل منحلّا ومنعقدا
كأنّ جلّق حيّى الله ساكنَها   اهدَت الى الغور من ازهارها مددا
فاسترسل الجود مُنْهَلّاه c يزيد على   ثَوْرا ويعقد محلول الندا بَرَدا

وقال ايضا

فؤادى الى بانات جلق مايل   ودمعى على انهارها يتحدّر
يرنّحنى لوز ابن كلّاب مزهرا   وتهتزنى اغصانه وهو مُثْمر
وانى الى زهر السفرجل شيّق   اذا ما بدا مثل الدراهم ينثر
غياض يغيض الماء فى عرصاتها   فتزهوا جمالا عند ذاك وتزهر
ترى بَرَدا فيها يجول كأنّه   وخضْبَاءه سيف صقيل مجوهر
وبى احور لاح الغذار بخدّه   يسامح قلبى فى هواه ويُعْذِر
يحاورنى فيه على الصبر صاحبى   وكيف اطيق الصبر والطرف احور
اذا اشتقتَ وادى النيربين d لَمحته   فأنظرْ مُعَنّاها به وهو أنضر
حوى الشرَف الاعلى من الحسن خدّه   على أنّ ميدان العوارض أخضرُ

وما احسن قوله رحمه

وادٍ به اهل الحبيب نزول   حيٌّ معاهده الحَيا والنيلُ
واد يفوح المسك من جنباته   ويصحّ فيه للنسيم عليلُ
يشتاقه ويودّ لثم ترابه   شوقا ولكن ما اليه سبيل
متقلقلُ الأحشاء مسلوبُ الكرى   طلق الدموع فؤاده متبول

a) L. ظَلّوا. b) Allusion au 8e verset de la 18e Soura du *Korān*. c) L. منهملا ; S. منها لا.
d) S. النبّيرين.

يصبو الى الأثلات من وادى الغضا   ويحنّ ان خطرت هناك شمولُ
قالوا تُبدِّلْ قلتُ يا اهل الهوى   والناسُ فيهم عاذل وجَهول
هل بعد قطع الاربعين مسافة   للعُمر فيها يحسن التبديلُ
ولقد هفا بى فى دمشق مهفهفٌ   يسبى العقول رُضابُه المعسول
يهتزّ ان مرّ النسيم بقدّه   ويحنّ ان خطرت هناك شَمولُ
ابدى لنا بردا تبسُّمَ ثغره   واذا انثنى قوامُه المَجْدولُ
لرم التسلسُل مَدمعى وعذاره   فأنظر الى المهجات كيف تسيل
وسقِمْتُ من سَقَم الجفون لأنّها   هى علة وفؤادىَ المعلول
لا تعجبوا ان راعنى بذوائب   فالليل هَوْل والمحبّ ذليل
ما صحّ لى ان الذؤابة حيّة   حتى سعت فى الارض وهى تجولُ

وقال ناظر الجيش عون الدين ابن العجمى a

يا سائقا يقطع البيداء مُعتسفا   بضامر لم يكن فى سيره وانى
ان جزتَ بالشام شِمْ تلك البروق b ولا   تعدلْ بلغت المنى عن دير مرّانِ
واقصدْ اعالى قلاليه فانّ بها   ما تشتهى النفسُ من حور وولدان
من كلّ بيضاء هَيْفاء القوام اذا   ماست فوا خجل المرّان والبان
وكلّ أسْمَر قد دان الجمال له   وكمل الحسن فيه فرط احسان
وربّ صُدغ بدا فى خدّ مرسله   فى فترة فتنت من سحر أجفان
فليت ريقته وردى ووجنته   وردى ومن صُدغه آسى وريحانى
وعُجْ على دَيْر مَتّى ثم حىّ به   ألربّان بطرس c فالربّان ربّانى
تهمت منه اشارات فهمتُ بها   وصُنت d منشورها فى طىّ كتمان
واعبر بدَير حنينا وانتهز فُرَصَ   اللذات ما بين قسّيس ومطران
واستجل راحا بها تحيى النفوس اذا   دارت براح شماميس ورهبان
حمراء صفراء بعد المزج كم قذفت   بشُهْبها من همومى كلّ شيطان
كم رُحْت فى الليل اسقيها واشربها   حتى انقضى ونديمى غير ندمان
سألتُ توماس عمّن كان عاصرها   اجاب رمزا ولم يسمح بتبيان

a) Voyez *Orientalia*, II, 242. b) R. S. البروق. c) G. L. نطرس. d) S. وصبيت.

وقال اخبرنى شمعون ينقله … عن ابن مريم عن موسى بن عمران
بأنّها سفرت بالطور مشرقة … انوارها فكُنُوا عنها بنيران
وهى المدام التى كانت معتّقة … من عهد هرمس من قبل ابن كنعان
وهى التى عبدتها فارسٌ فكُنى … عنها بشمس الضحى فى قومه مانى
سَكرت منها فلا صَحْو وجدت بها … على الندامى وليس الشحّ من شانى
وسوف امنحها اهلا وانشده … ما قيل فيها بترجيع والحان
حتى تميل لها أعطافه طَرَبا … وينثنى الكون من أوصاف نَشْوان .

وهذه وان لم تكن فى دمشق على الخصوص فلا نخرج عمّا نحن بصدده والأعمالُ بالنيّات وديباجة هذه القصيدة على نَسْج طائفة من الصوفيّة، وممّن حاك هذه البرود الشيخ الاكبر رحه وقيل انه الشيخ شعبان النحوى، رجع وقال بعضهم

شوقى يزيد وقلب الصبّ ما بَرِدا … وبان يَأُسى من المعشوق حين غدا
ومدمعى قنوات والعَذول حكا … ثَوْرًا يلوم الفتى فى عشقه حَسَدا
على مُغَنّيَة بالجنك جاوبَها … شبابة كم بها من عاسق [a] سَهِدا
فالبدرُ جبهتها والرِدْف رَبوتها … وخُلْها مات فى خلخالها كَمَدا

ولنذكر نبذة ممّا خوطبتُ به من عُلمآء الشام وأُدبآئه حفظ الله كمالهم، وبلغ آمالهم،، فمن ذلك قول شيخ الاسلام، مفتى الانام،، سيّدى الشيخ عبد الرحمن العمادى الحنفى حفظه الله وكتبه لى بخطّه

شمسُ الهُدَى أطْلعها المغربُ … وطار عَنْقآء بها مُغْرِبُ
فاشرقت فى الشام أنوارَها … وليتها فى الدهر لا تغرب
أعْنِى الامام العالم المقرى … احمدَ من يكتب او يخطب
شهابُ علم ثاقب فضله … ينظم عقدا [b] وهو لا يُثْقَبُ
فرعُ علوم بالهدى مُثْمِر … وروض فضل بالندى مُعْشِب
قد ارتدى ثوبَ عُلى وامتطى … غاربَ مجد فرها المركب
درسٌ غريب كلّ يوم له … يُمْلَى ولكن حفظه اغرب
مُحاضَراتُ مُسْكِر لفظها … بكاس سَمع راحها تشرب

a) L. عاشق. b) L. عقد.

رياض آداب سَقاها الحيا   فغاح مسكا نشرها الاطيَبُ
فضائل   وطمت فقد   قصر فيها a كلّ مَن يطلبَ
قلوبَنا قد جَذبت نحوه   والحبّ من عاداته يجذبُ
ان بَعُدت عن غربه شرقُنا   فالفصل فينا نسَبٌ اقرب
كم طلبت تشريقهً b شامُنا   بُشرَى لها فليهنها المطلب
قد سبقت لى معه صُحبة   فى حَرَم يُومن مَن يرهَبُ
أُخوّة فى الله من زمْزم   رضاعها طاب لها المشرب
أنهلنى ثم ودادًا فلى   بالشام منه عَلَل اعذَبُ
اهديت ذا النظم امتثالًا له   وقد هجرتُ الشعرَ مذ احقُبُ
نَشّط قلبى لطفُه فانثنى   والقلب فى اهل الهوى قُلَّبُ
ضاء دُجَا العلم به للوَرى   ما نار فى جِنْحِ الدجا كوكَبُ

تحيّة c الفقير الداعى عبد الرحمن العمادى انتهى، واجبته بما نصّه

ما تبر راح كاسُها مُذهَبُ   ما للنُّهى عن حسنها مَذهَبُ
تستدفع الاكدار من صَفْوها   وتنهل الافراح او تنهبُ
تسعى بها هيفآء من ثغرها   او d شعرها النور أَوِ الغيهب
فتّانة الاعطاف نقّانة   سِحْرًا بِألباب الورى تلْعَبُ
فى روضة قد كُلّلتْ بالندى   والزهر راس الغصن اذ يعصب
برودُها بالنور قد نُمْنمتْ   كالوشى من صنعآء بل اعجَبُ
والمآء يجرى تحت جَنّاتها   والنار من نارنجها تلهب
والظلّ ضافٍ والنسيم انبرى   والجوّ ذاكى العُرف مستعذب
والطير للعشاق بالعُود قد   غنتْ فهاجت شوقَ مَن تُطرِبُ e
أبْهَى ولا ابهجُ فى منظرٍ   من نظم مَن تفديه الاصوَبُ
مفتى دمشق الشام صدرُ الوَرى   مَن فى العُلى تمّ به المطلبُ
علّامة الدهر ولا مُريْة   لا ملجأ الفضل ولا مَهْرَبُ
لله ما امتاز   من حلًى   بغير مَنّ الله لا تُكسَب

a) L. عنها. b) L. تشريفه. c) S. تحفة. d) R. S. و. e) R. S. يطرب.

ابدى بهاء الرحمن فى عبده … مظاهر المنح التى تحسب
جود بلا مَنّ وعلم بلا … دعوى به التحقيق يُستجْلب
وبيتُ مجد مسند ركنه … الى عماد الدين اذ يُنسب
فبرقه الشامى من شامه … نال مراما والسوى خُلَّبُ
وما عسى أُبْديه فى مدحه … او وصف ابنآء له انجبوا
تسابقوا للمجد حتى حووْا … سَبْقا لما فى مثله يرغَبُ
اعيذهم بالله من شرّ ما … يخشى من الاغيار او يُرهَبُ
وأسْألُ الله لهم عزّةً … بادية الاضوآء لا تُحْجَبُ

ولمّا حللتُ دمشقَ المحروسه، وطلبتُ موضعا للسُّكْنى يكون قريبا من الجامع الاموى الذى يُعْجز البليغَ وصفُه وان ملأ طُروسَه،، ارسل الىّ اديب الشام فرد الموالى المدرسين، ساحبُ اذيال الفخار المولى احمد الشاهينى حفظه الله بمفتاح المدرسة الجَقْمَقيّة وكتب لى معه ما نصّه

كنفُ المقّرىّ شيخُ مَقَرّى … واليه من الزمان مَفَرّى
كنفٌ مثل صدره فى اتّساع … وعلومٌ كالدرّ فى ضمن بحرِ
اىّ بدر قد اطلع الغرب منه … ملأ الشوقَ نوره اىّ بدرِ
احمد سيّدى وشيخى وذُخْرى … وسَمِيّى وفوق ذاك وفخرى
لو بغير الأقدام يسعى مَشوقٌ … جئته زائرا على وجه شكرى

العبد الحقير المستعين المخلص احمد بن شاهين انتهى، فاجبته بقولى

اىّ نظم فى حسنه حار فكرى … وتحلّى بدُرّه صدرُ ذكرى
طائر الصيت لابن شاهين ينمى … *مَن له فى روضْ النّدى خير وَكْرِ [b]
احمدَ * المنتطين ذروةَ [c] مجد … لعوان من المعالى وبكرِ
حلّ مفتاحُ فصله [d] بابَ وَصْلٍ … من معانى تعريفه دُون نكرِ
يا بديعَ الزمان دُمْ فى آزديادٍ … بالعُلى وازدياد تجنيس شكرى

وكتب الىّ لما وقف على كتابى فتح المتعال، فى مدح النعال،، بما نصّه لكاتبه الحقير احمد بن شاهين الشامى فى تقريظ تآليف سيّدى ومولاى وقبلتى ومُعْتَقَدى

a) S. به. b) L. من بروض الندى له خير وكر. c) S. المنتطى لذروة. d) G. وصله.

شيخ الدنيا والدين، وبركة الاسلام والمسلمين،، حفظ الله وجوده امين

أأحمد فخرا يا ابن شاهين ساميا ... باحمد ذاك المقرىّ المسدّد
بمَن راح خدّاما لنعل محمد ... وناهيك فى العليا بارفع سُودَد
فانْ انا اخدمْ a نعله فلَطالَما ... غدا خادما نعلَ النبىّ المَمَجّد
بتاليفه فى وصف نعل تكرَّمَتْ ... كتابًا حوى اجلال كلّ موحّد
ويكفيك فخرا يا ابن شاهين أن ترى ... خُدوما لخدّام لِنعل محمّد
فقلت له طوبى بخدمة احمد ... فقال كذا طوبى بخدمة احمَد
فلا زال يرقى للمعالى مكرّما ... وينتعل العيّوقَ فى رغم فَرْقَد

فاجبته بقولى

أأحمد وصف بالعوارف يرتدى ... واشرف مولى للمعارف يهتدى
نجومُك b اذ انت الخليل توقّدت ... فانى اجاريها بنحو المبرّد
اتانى نظام منك حيّر فكرتى ... على انه اعلى مرامى ومقصدى
فانت ابن شاهين الذى طار صيته ... بحقّ العُلى والضدّ ضلّ بفرقد
فبرّكَ موصول وشانيك منكر ... وقدرك مرفوع على رغم حُسّد
وعنك حديث الفضل اسند عاليا ... بشام فهم يروون مسنَد احمد
فوجهك عن بشر ويُمْناك عن عطا ... وفكرك يروى فى الهدى عن مسدّد
فلا زلتَ ترقى اوجَ سَعْدٍ ورفعة ... ودمتَ بتوفيق وعزّ مخلّد

ولمّا خاطبته بقولى

يصيد إبن شاهين بجوّ بلاغة ... سوانح فى وكر البدآئع تفرخ
وما كان ديك الجنّ مدركًا نيلها ... اذا صرصر البازى فلا ديك يصرخ
ولو جاد فكر البحترىّ بمثلها c ... لكان على الطآئىّ بالانف يشمخ
ولو أنّ نظم ابن الحسين أُتيحَها ... لفاز بسبق حكمه ليس ينسخ
فلا زال ملحوظا بعين عناية ... وكتب التهانى عن علاه تؤرّخ

اجابنى بما نصّه

أأنفاسُ عيسى ما بروعِىَ ينفخ ... لم الطرسُ اضحى بالعبير يضمَّخ

a) G. S. خدم. b) L. نجومك. c) G. بمثله.

وهاذى قواف ام هى الشمس انّتى　　اراها على الجوزآء بالانف تشمخ
بلى هى نصّ من ودادك محكم　　تنزول الرواسى وهى لم تك تنسخ
اتتنى بمدح مُخْجِل فكأنّها　　لغرط حيآئى قد اتتنى توبّخ
وهل انا الّا خادمٌ نعل سيّدى　　وبينى وبين المدح فى الحق بَرزَخُ
وما هى الّا غُرّة حزت فخرها　　وانّى بهاه بأدى المحاسن اشرخ ه
فلا دَرّ دَرّى وانحرفت عن العلى　　اذا كان ودّى عن معاليك يفسخ
وجبّك مهمى طار شرقا ومغربا　　بوكر ابن شاهين الوفىّ يفرّخ
وانّى وان ارّخت مجدا لماجد　　فانّىَ باسم المقّرىّ أورّخ
سمبّى ومولاى الذى راح مدحه　　لراس الاعادى بالمعاريض يرضخ
ودُمْ يا نظير البدر ترقى بأوجه　　ولا زلت فى طرفى وقلبىَ تَرْسخُ

وكنتُ يوما اروم الصُّعود لموضع عالٍ فوقعت فانفكّت رجلى وألمت فكتب الىّ

لا ألمتْ رجلك يا سيّدى　　وصانها الله من الشَّيْنِ　　ما هى الّا قدَم للعُلى
لا آحتاج ذاك النصلُ للقَيْنِ　　زانت دمشق الشام فى حلّها　　فلا رأت فيها سوَى الزَيْن
بانت عن الاهل بتشريفنا　　لا جمعت اينا الىٰ بَيْن　　عجبتُ من راسخة فى العُلى
والعلم اذ زاغت من العَيْن　　إنّى اعاف المين بين الورى　　ولستُ والله اخا مَيْن
للمقّرىّ المجتبى احمَد　　دَيْن الهوى والمدح كالدَّيْن　　*واحمد الله على أنّنى
رايته حاز الفريقَيْن ه　　فلا اراه الله فى عُمْره　　بينا يؤديه الى أيْنِ

تعويذ العبد الحقير الداعى احمد بن شاهين انتهى واهدَيت اليه حفظه الله سُبْحة وخاتما وكتبت اليه

يا نَجْلَ شاهين الذى　　احيَى المعالى والمعالمْ　　يا مَن به ريشت من الـ
ـمجد الخوافى والقوادمْ　　يا من دمشق بطيب ما　　يبديه عاطرة النواسمْ
فالنهر منها ذو صفا　　والزهر مفترّ البواسمْ　　والغصن يثنى عطفه
طربا لتغريد الحمآئمْ　　يا احمد الاوصاف يا　　مَن حاز أنواع المكارمْ
انت الذى طوّقتنى　　. مننا لها تعنو الاعاظمْ　　فمتى أوّدى شكرها
والعَجْزُ لى وصفٌ ملازمْ　　والعُذر بادٍ ان بعثـتُ اليك مِن جنس الرتائم

a) S. لها.　b) L. اسرخ.　c) Ce distique manque dans G. et L.

بنتيجة الذكر التى   جاءت بتصحيف ملائمْ   وبخاتمه صاد الى
فيض الندى من كفّ حاتم   فامْدُدْ على جهد المقـــلّ رواق صفح ذا دعآئمْ
واقبل عقيلة فكر مَن   هو فى بحار العىّ عائم   لا زلتَ سابق غاية
بين الاعارب والاعاجمْ

فاجابنى بما صورته

يا سيّدا شعرى له   ما آن يقاوى او يقاومَ   كلّا ولا قدرى له
يومًا يساوى او يساومْ   يا مَن رأيتُ عطاردا   منه بدا فى شخص عالمْ
يا من بنفحة خلقه   وبنظمه السامى الملائمْ   اضحى يرينى b) معجزا
سن من النواسم والمباسم   ما زلتُ ابصر منهما   حسن النعامى والنعآئمْ
بهما زمانى حاسدا   اضحى وبالتنغيص حاسمْ   فلمى وقلبى بين ها
م فى الثنآء له وهآئمْ   حَسْبى لأحمد سيّدى   شيخ الورى فرضٌ ملازمْ
الـ قرىّ المعتلى   شرف المعالى والمعالمْ   ما لى اليه وسيلة
الّا هوى فى القلب دائمْ   قد جاء ما شرّفتنى   بخصوصه دون الاعاظمْ
من خاتم كفّى به   ورثتْ سليمانَ العزآئمْ   وجعلتنى لا احسب آلـ
ـعيّوق لى c) فى فصّ خاتمْ d)   وبسُبْحة شبّهتها   بالشهب فى آسلاك ناظمْ
فلتحسد الجوزآء ما   احرزتُ من تلك المكارم   هى آلة للذكر لـ
ـكن ليس ذكرا فى الحيازمْ   فهواك فى قلبى وما   فى القلب جلّ عن الرتآئم
ماذى رتآئمُ سيّدى   بل انّها عندى تمآئم   لو آنها من جنس ما
يُطوى غدت فوق العمآئم   لكنّها قد زيّنت   كفّى وازرت بالخواتم
يا من يريش e) اذا رمى   نسر السمآء بلحظ حازم   انّ ابن شاهين حوى f)
منك الخوافى والقوادمْ   هاذى نوافل يا اما   مَ الدهر ليست باللوازم
العذر عنها مخجل   عبدا لنعلك جدّ خادمْ   بل انت فوق العذر قد
اصبحت للشعرَى تنادمْ   لا زال دهرك سيّدى   يلقاك منه ثغرٌ باسمْ
يهدى اليك من المرا   حمِ والمكارم والغنآئم   ما لا يساوم مثله
ذو الحظّ فى اسنى المواسمْ

---

a) O. وخاتم. b) L. يريك. c) Ce mot manque dans G. L. O. R. d) G. S. لخاتم.
e) O. يبرش. f) S. جوى.

العبد الحقير الداعى لاستاذه مولاى الاجل بالتمكين احمد بن شاهين حامدا مُصَلّيا مسلّما انتهى وقال مستجيزا

الشيخ يشرب مآء   ونحن نشرب قَهْوَةْ

فقلت   لانّه ذو قصور   فغطّ بالعُذر سَهْوَةْ

ولما أزْمعت على العود الى مصر اوآئل شهر شوّال سنة ١٠٣٧ خاطبنى بقوله حفظه الله

ابدا اليك تشوّقى وحنينى   والى جنابك ما علمتَ سكونى
ولديك قلبى لا يزال رهينةً   علقت a وتعلم ذمّة المرهون
وعليك قد حُبست شواردُ مدحتى   لما رايتك فوق كلّ قرين
قلبى كقلبك فى المحبّة والهوى   اذ كان فى الأشواق دينك دينى
ولّيتَه بهواك ارفع رتبة   وغدوت تعزل عنه كل خدين
فاطاع امرك فى الوداد فلو اشى   منه وحاشا سلوة يعصينى
ما كنت أحسب قبل طبعك ان ارى   يوما عطارد نساطقا بفنون
حتى رايتك فاستبنت b بانّه   يروى احاديث العُلى بشجون
ويفيد سمعىَ معجزا بَهْرُ النُّهَى   ويرى عيونىَ آيةَ التكوين
يا من غدا يُحْيِى القلوبَ بلفظه   ويردّد الأنفاس عن جَبْرِين
أحييتَ بالوحى المبين قلوبَنا   وحَلى لعمر الله جدٌّ مبين
هٰذى دمشق لعمر خلقك روضة   قد جاد طبعُك دوحها c بمعين
قد زارها غيث الندى فبهارها   اضحى يلوح بحُلّة النِّسْرِين
لو لم تكن بدرا لما احرزت ما   قد خصّ فى الانوار بالتلوين
حقّقتَ ما قد قيل حين حللتها   انّ المكان مشرّف بمكين
هى غادة حليتها فتزيّنت   ما كان احوجها الى التزيين
مولاى احمد يا سليلَ بنى العُلى   يا d فوق مدحى فيك او تحسينى
اغنى وجودك وهو عين الدين عن   علامة الدنيا لسان الدين
انظرْه تستغنى به عن غيره   والى العيان ارْغَبْ عن المظنون
تلقى علوم الناس فى اوراقهم   وعلومه فى صدره المشحون

a) G. غلقت. b) Les man. portent فاستنبت. c) G. وحها ; S. روحها. d) S. ما.

ـلمه أعبر كلّ بحر زاخر   وبفهمه أسبر غامض المخزون
وبحلمه أرغب عن تحلّم احنف   وبعزمه أصحب باس ليث عرين
لما رايتك فاستقمت لقبلتى   ادعو واشكر واردات شُؤُونى
الغيث قطرك يمنتى فافادنى   فصل اليمين على اليسار يقينى
فسقى الحيا للمقرّى اخى العُلى   بلدا بأقصى الغرب جدّ هتونِ
بلدًا تبيّنَتِ الهلال بافقه   ورأيت منه a قرّة لعيونى
لولا هلال الغربِ نوّر شرقَنا   بتنا بليل الحَدْس والتخمين
يا راحلا رحل الفؤاد بعزمه   رفقا بقلب بالوفآء ضمين
استودع الله العظيم واتّنى   مستودع منه اجلّ أمين
انّى اودّع يومَ بينِك مهجتى   وشبيبتى وتصبّرى وسكونى
واعود b من توديع وجهك عَودة   خلطت يقينى فى الهوى بظنونى
حتّى كأنّى قد فقدتُ تمآئم   تفضى علىّ بحالة المجنون
وتودّ نفسى أنّها لو حرمت   ابدا سكونى للهوى وركونى
اوشكت اقتل بين معترك الهوى   نفسى ومعترك النوى بيمينى
ولقد وددت بأنّنى متجمّل   تلك الخُطى بمحاجرى وجفونى
كيف السبيل الى الحياة ومهجتى   فى قبضة الاشواق كالمسجون
ما انت الّا البدر c لاح بافقنا   شهرا وكان ضيآؤه يهدينى
واليكها يا شيخ دهرى غادة   غنيت d عن التحسين والتزيين
جاءتك تعرض فى الوداد كمالها   واذا لحظتَ جمالها يكفينى
هى بنتُ لحظتك التى تاوى النهى   لا بنت ليلتى التى تُؤوينى e
ما الفخر فى دعوى البديهة عندها   ألفخر قولك انّها ترضينى
حسبى ابا العبّاس منك اصاخةٌ   تقضى بموت عِداىَ او تحيينى
يا لهف نفسى كيف ابلغ مدحةً   اضمرتها فى سرّىَ المكنونِ
فلسانُ حبّى بالغ اقصى المدَى   ولسان مدحى فى القصور يلبينى
ما الشعر يستوفى حقوقك لى ولو   اهديت فى نظمى عقودَ سَنينى

a) S. فيه.   b) S. واعون.   c) S. البرق.   d) Les man. portent عنيت.   e) S. تاوينى.

حلّقتُ أصطادُ النجوم وانّها   تزهى بعِقد فى علاك ثمين
فرأيتَ فى العيّوق طبعَك سيّدى   نسرا اسفّ لعَجزه شاهين
قد خفّ شعرى من قصور طبيعتى   ولربّما قد كان جدّ ركين
يكفيك احمد يا ابن شاهين بأن   احرزتَ خصل السبق دون الدون
واذا عجزتُ عن الفرآئض جاهدا   فاذأبْ عساك تفوز بالمسنون
هو قبلتى فلأغتدى متمسّكا   منه بحبل فى النجاة متين
وأسلمْ فديتك زائرا ومشرّفا   أغدى مواطئً نعله بجبينى
وكذاك عمرى فى هواك مقسّمٌ   بين الدعآء المجدّ والتأمين

وقال حفظه الله تعالى ايضا فى ذلك

حَنانَيك انّ الدمع بالودّ مُعْرِبُ   وانّى فى شرق وانت مغرِّبُ
وزُخماك بى انّى قتيل صبابة   بمن هو أوفى فى الفؤاد واحْجَبُ
ووعدك لى بالعود انّى معَلّل   به مُهجة قد اوشكتْ تتصوّبُ
وهبتك قلبى ما حييتُ ولم اقل   ولكن من الأشيآء ما ليس يُوهَبُ
فلو كنت شيخا واحدا *مُدّ صدرُه [a]   فكيف بشيخ لم يكن مثلَه أبُ
وانّا بحمد الله لمّا خصَصْتنا   بزَورة ذى ودّ دعاهُ التحبّبُ
فرشنا له منّا الخدود مواطئا   وعُدْنا به شوقا نَجىء ونذهب
وقلنا دمشقُ انت فيها محكّم   واشرافها ودّوا وجدّوا ورحّبوا
وانت لها روح ومولنى ومفخر [b]   وقد زنتَ شرفا مثل ما ازدان معربُ
وفخرا عظيما يا ابن شاهين انه   غدا   نا نسر السما فيه يرغب
فنحن ونحن الناسُ خدّام نعله   فلا غرو ان يقلى الغضنفر اكلب
وما نفموا منه سوى انّه أمرؤٌ   ليأكل فيما قدروه ويشرب
هو الشيخ شيخ الدهر احمد مَن غدت   دمشق ومَن فيها بعُلياه تُخطَبُ
هو المقّرىّ العالم العَلم الذى   اليه تناهى الفضل والمجد ينسَبُ
وما هو الّا الشمس ازمع رحلةً   وانّى لفى ليل اذا هى تغرب
او الغيث قد وافى فامرعَتِ النهى   به وانثنى والصدرُ بالودّ مُعْشِب

a) G. L. S. هدّ صدّه.   b) S. ومعاجز.

او الطاير العنقآء جاء مشرّقا — فاغرب والعنقآء فى الطير مَغرِب a
وانك بالتحقيق فى كلّ حالة — لأسنى وانّدى ثم اوفى واغرَبْ
رعى الله وجها رُحت ترغب نحوه — واىّ اخى جدّ له انت ترغب
وحيّى الحيا ارضا وطئتَ ترابها — فاصبح مسكا وهى بالمجد تخصَبْ
ولا فارقت يوما علاك كلاءة — من الله أنّى كنتَ واللهُ اغلب
مَدَى الدهر ما حنّت جوارح والهٍ — مشوقٍ فامسى للحقيقة يطرب

ولمّا قرأ علىّ ادام الله عزّته وحرس حوزته، عقيدتى b المسمّاة باضاءة الدجنة فى عقائد اهل السنّة سأل منى ان أُجيزه فيها وفى غيرها فكتبت له بما نصّه

احمدُ مَن اطار فى جوّ العُلى — صيتَ ابن شاهين الذى زان الحلى
وراش للمعالى اجنُحَهْ — نال بها فصلا غدا مستمنَحهْ
واسكن البيانَ من اوكارِ — افهامه بقيّة c الافكارِ
فاصطاد كلّ شارد بمخلبِ — ابحاثه ومن يعارض يَغلبِ
والصقرُ لا يقاس بالبغاثِ — والحق ممتازٌ عن الأضغاثِ
نشكر مَن بلّغه مناهُ — على نواله الذى سنّاهُ
ونتنحى نهجَ صلاة بادئا — لخيرِ مَن جاء الانامَ هاديا
مبيّنا دلآئلَ التوحيدِ — ومُوضحا طرآئق التسديدِ
محمّدٍ خير البرايا المنتقى — اجلّ مَن خاف الاله واتّقى
صلّى عليه الله مَعْ اصحابه — وآله الراوين عن سحابه
ما اعترف العبد الفقيرُ ذو العدمْ — للربّ باستغنائه وبالقدَمْ
وبعد فالعلوم والمعارفْ — مَن أمّها يأوى لظلّ وارفْ
وروضة ازهارها تنوعت — لانّها افنانها تنوعت
ولبس يحتاط بها نبيل — اذ ذاك امر مّا له
فليصرف القول الى ما ينفعهْ — دينا وفى اوج الاجور يرفعه
وانّ فى علمِ اصول الدينِ — هدًى وخيرا جلّ عن تبيينِ
لانّه اصل يعمّ النفعُ — به وكلّ ما سواه فرعُ

a) S. ajoute: وانك للخل الوفى وانه هو الواحد المطلوب انِ مطلب (sic)
b) Les man. portent وعقيدتى c) G. L. S. بفنه.

وكيف يعبُدُ الالهَ مَن لَا … يعرفه وهن رشاد ضلّا
فهو الذى لا تُقبَل الأعمالُ … الا به وتنتجع الآمالُ
واتّنى كنتُ نظمت فيه … لطالب عقيدة ك ..
ـا اضاءةَ الدُّجُنّه … وقد رجوتُ ان تكون جُنّه
وبعد ان اقراتُها بمصر … ومكة بعضا من اهل العصر
درستها لمّا دخلت الشاما … بجامع فى الحسن لا يسامَى
وكان فى المجلس جمعٌ وافرُ … من جلّة بدورُهم سوافرُ
منهم فريدُ الدهر ذو a المعالى … فخر دمشق الطيّب b الفعال
احمد مَن راح لعلم واغتدى … وشامَ انوارا لفهم فاهتدى
العالمُ الصدر الاجلّ المولى … مَن وصفُه الممدوحُ يُعْيِى c القولا
وهو ابن شاهين * وما أدْراكا d … مَن بَذَّ جنس العرب والاتراكا
ورام من مثلى بحسن الظنّ … اجازةً فيما رواهُ عنّى
فحِرتُ فى امرين قد تناقضا … بالنفى والاثبات اذ تعارضا
تركِ الاجابة لوصفى بالخطل … وبالخطا والجيدُ من دُرّه عَطَلْ
وكم فرأتص بعجز تسقط … فكيف غيرها وهذا احوطُ
او فعلِها بحسَب الامكانِ … رعيا لودّ محكَم الاركان
منه وما له من الحقوق … ولا يجازَى البرّ بالعقوق
وبعد ما مرّ من الترداد … ـه بمقتضى السوداد
وسِرت فى طرق من التساهُل … معترفا بالجهل لا التجاهُل
معْ أنّه اهلٌ لأن يُجيزا … لا ان يُجازَ اذ حوَى التبريزا
ومن رأى عيبى بعين للرضَى … لم يقفُ نهجَ مَن غدا معترضا
فليروِ عنّى كلَّ ما اسمعتُه … اياه بالشرط وما جمعتُه
مع القصور راجيا للاجر … من الفنون نظمها والنثر
كهذه القصيدة f السديده … والنعل ذات المِدَح العديده
كذاك ما الفت فى عمامه … مَن خُصّ بالاسراء والامامه

a) S. و au lieu de ذو. b) L. طبيب. c) Les man. portent يعنى. d) Voyez sur cette phrase Dieterici, *Mutanabbi und Seifaddaula*, p. 148. e) G. O. S. ذو. f) G. O. S. العقيدة.

والفقه a والحديث والنحو وفى   آسرار وَفْق وهو بالقصد وفىّ
وغيرها ممّا به الوهّاب مَنْ   على فقير عاجز فى غير فَنْ
وما اخذتُ فى بلاد المغرب   عن كلّ فذّ فى العلوم مُغْرِب
ولى اسانيدُ اذا سردتُّها   طالت وفى كتبىَ قد اوردتُّها
وقد اخذت الجامع الصحيحا   وغيره عمّن حوى الترجيحا
عمّى سعيد عن سُقَين وهو عَنْ   ألقلقشندىّ عن الواعى السننْ
والعسقلانىّ الشهاب بن حجَرْ   بما له من الروايات اشتهرْ
وقد اجزته بكل ما لى   يصحّ من ذاك بلا احتمال
على شروط قرّروها كافيهْ   ليست على أفكاره بخافيهْ
وقال هذا المقرىّ الخطّا   والغىّ b عمّ لفظه والخطّا
عام ثلاثين والف بعدها   سبع اتمّت فى السنين عدّها
وكان ذا فى رمضان السامى   بحضرة السّعْد دمشق الشام
والله نرجو ان يتيح الختْما   بالخير كى نعطى القبول حتما
بجاه خير العالمين احمدا   صلّى عليه الله ما طال المدَى
وآله وصحبه ومن زكا   فنال من حسن الختام المدرَكا c

وتذكّرت بهذه الاجازة نظيرتها التى سالنى فيها مولانا عين الاعيان مفتى الانام فى مذهب النعمان مولانا الشيخ عبد الرحمن العمادى مفتى الشام حفظه الله لاولاده الثلاثة وكتب الىّ d اصغرُهم سِنًّا استدعاء لذلك .

أحْمد من شَيّد بالاسناد   بيتَ العلوم السامىَ العمادى
وعمّ من خُصّص بالروايه e   بنورها النافى دُجى الغوايه f
وزان صدر النّبَها كلّ زمنْ   بجوهر الاجازة الغالى الثمنْ
نحمده سبحانه ان عرّفا   من الحديث ما به قد شرّفا
ونسأل المزيد من صَلاته   لمن اتيح القصدَ من صِلاته
مَلجأنا المعصوم اعلى سند   لنا برغم جاحد مفنّد

a) Je crois qu'il faut lire فى الفقه. b) G. L. O. والعىّ. c) G. O. S. مدركا. d) G. S. لى. e) S. الروائد. f) S. الغوآئد.

كهف الضعيف والقوىّ المرتجى — بباب الهدايات وليس مرتجا
مَن جآءنا بالجامع الصحيح من — كلامه الهادى الى نهجٍ امِنْ
مَن فضله ما شكّ فيه مسلمْ — مَن حُبُّه بكل خير معلَمْ
نبيّنا المرسل ذو الخلق الحسَنْ — والمعجز المُفْحِم اربابَ اللسَنْ
محمّد المرفوعُ قدرُه على — سآئر خلق الله جلّ وعلا
صلى عليه ربّنا وسلّما — ازكى صلاة ننتحيها مَعْلَما
مع آله وصحبه ومَن روى — آثاره عن صحّة وما غوى
وبعدُ فالعلم عظيم القدرِ — وليس مَن يدرى كمَن لا يدرى
ولم تزل همّة اهل المجد — مَنوطةً بنيل علم مُنْجِدى
ومنه علم السنّة الشريفه — لانّ ظلاله وريفه
فمَن درى الأخبار والشمآئلْ — لم يكن عن صَوب الهدى بمائلْ
وكم سمَيْدع لاجله رفَضْ — اوطانه وثوبَ ترحال نَفَضْ
وكيف لا وهو اجلّ ما طلَب — موقف يروم حسن المنقلَبْ
لانّه وسيلة السعادهْ — والعزّ فى الابدآء والاعادهْ
وانّنى لمّا انتحيت المَشرِقا — ميمّما بدر اهتدآء مُشرِقا
القيتُ فى مصر عصا التسيار — بعدَ بلوغى اشرف الديارِ
وبعد ذا جئتُ دمشقَ الشام — مسكنَ مَن يزدان باحتشام
فشاهدتْ عيناى فيها ما مَلا — قلبى سُروراً [a] اذ بلغتُ مأمَلا
مدينة فيّاضة الانهار — فضفاضة الاثواب بالازهار
ارجآؤها زاكية العَبير — ومَدحها يجلّ عن تعبيرى
وجُلُّ اهليها بحبّى دانوا — مَعَ أنّ مثلى منهم يزدانُ [b]
فلا حظوا بالاعيُن الكليله — عبدًا غدا تقصيره دليله
وقابلوا عينى بما اقتضاه — فضلٌ لهم ربُّ الورى ارتضاه
خصوصا المولى الكبير المعتبَرْ — قرّةُ عينِ مَن رآه واختبرْ
مفتى الورى فى مذهب النعمانِ — بها الوجيهُ عابدُ الرحمٰنِ

a) S. وعينى. b) S. يزدانوا.

ابنَ عماد الدين مَن تَعْيِى القلمْ　　اوصافه التى كَنورٍ a) فى عَلَمْ
حاوى طِرافُ الماجد والتلادِ　　نال المنَى فى النفس والاولادْ
وكنت فى مكّةَ قد ابصرتُ　　منه عُلًى عن مدحه قصّرتُ
جلالةً ومَحْتِدا وعِلْما　　ورفعةً وسوددا وحِلْمَا
مع التواضع الذى قد زانَه　　حسنُ اعتقادٍ متفلٍ ميزانَه
فحثَّ مَن فى الشام من أخيار　　لم يسلكوا مناهجَ الأغيارِ
ان ياخذوا بعضَ الفنون عنّى　　بما اقتضاه منه حسنُ الظنِّ
معْ انّنى واللهِ لستُ أهْلا　　لذاك والتصديرُ ليس سهلا
وكان من جملتهم أبناؤه　　عمادَ دينٍ قد علا بناؤه
وصنْوُه الشهابُ من توقّدا　　تَهْما وابراهيمُ سبّاق المدَى
وهو الذى قد ابتغى الاجازه　　لهم بوعد طالبًا انجازَهْ
وكتّب القصيدة الطنّانه　　فى ذاك لى مهتصرًا أفنانه
وانّهم كحلقةٍ قد افرغت　　دامت لهم آلاءُ فيضٍ سُوّغتْ
فلم اجد بُدّا من الاجابه　　معْ كون جهلى سادلًا حجابَهْ
فقد اجزتهم بما رَوَيْتُه　　طُرًّا وما ارتجلتُ او روّيتُه
وكلِّ ما صنفت فى الفنون　　مؤمّل التحقيق للظنون
وما اخذتُّ عن شيوخ المغرب　　وغيرهم من كلّ حَبْرٍ مُغْرِبِ
ولى اسانيد يطول شرحها　　شيد b) على تقوى الالهِ صَرْحُها
ولو سردت كلَّ مَرْوٍ ياتى　　هُنا لطال القول فى الابيات
وكلّ طول غالبا مملولُ　　وجَدَّ مَن يُعنَى c) به معلولُ
فلنقتصرْ اذًا على القليل　　ا بالمطلب الجليل
وقد اخذت جامعَ البخارى　　عن عيسَى الحايز للفخارِ
المقرى سعيدِ الامامِ عن　　محمد يدعى خروفا حين عَن
التونسىّ الطيّب الانفاس　　نزيل حضرة الملوك فاس

a) G. كور ; S. كورى. b) Voyez sur ce mot (= رفع) le comment. de M. de Sacy sur les séances de Harîri I, 5., et le comment. sur la mo'allaka d'Imro'l-kais (éd. Arnold) v. ٧٩. c) O. يعبى.

عن الكمال القادرىّ المرتضى   عن الحجازى عن للحبر الرضى
نجلِ ابى الماجد عن الحجّار   عن الزبيدىّ بنقل جارى
عن مسند الاسلام عبد الاوّلِ   عن الشهير الداودىّ المعتلى
عن السرخسىّ عن الفَرَبْرِى   عن البخارىّ الامام الحَبْرِ
وفضله اظهَرُ من ان يُذكَرْ   وعِلْمُه المعروفُ غيرُ منكَرْ[a]
ومسلم[b] به السى[c] الكمال   عن عَلَم الدين اخى الجلالِ
منسوبه[d] ببلفينى[e] عن التنوخى   عن ابن حمزة عن الشيوخ
كابن المقيّر عن ابن ناصرِ   عن ابن مندة . . . [f] الفاصرِ
عن جوزقىّ قد روى عن مكّى   عن مُسْلِم نافى دياجى الشكّ
فليخبروا عنّى بذا والباقى   من ستّة[g] حائزة السبّاقِ
كذا موطّأ الامام مالك   امامنا منير كلّ حالك
ومُسْنَد الفذّ المرضى ابن حنبل   والدارمىّ ذى الثناء الاجمل
والطّبَرانىّ وما أَرْويه   من المعاجم بما تحويه
كلّها تش   الاجازه   بشرطها عند الذى أجازَهْ
فلتقبلوها فهى من جهد المقلّ   اذ لست بالمطلوب منّى أستقلّ
ومن اسانيدى عن القصّار   مفتى الانام بهجة الاعصار
عن شيخه خروف[h] الراقى الدرجْ   عن الشريف الطحطحآئى فرجْ
قال سمعتُ المصطفى فى النومِ   صلى عليه الله كلّ يومِ
يقول مَن اصبح يعنى آمِنا   فى سربه الحديثَ فاعرفْ كامنا
ولنمسك العنان فى هذا الاربْ   مصلّيا على الذى زان العربْ
وآله وصحبه الاعلامِ   ومن تلا من انجم الاسلام
وخطّ هذا المقّرىّ العاصى   اجيرُ يومِ الاخذِ بالنواصى

a) Les man. portent المنكر. b) C'est à dire واخذت جامعَ مسلم. c) L. آل. d) Al Makk. a péché ici contre le mètre. e) G. O. S. بلقينى; je crois qu'il faut lire بالبلقينى, ou plutôt عن البلعينىّ au lieu de منسوب ببلقينى. f) Il y a ici un blanc dans G. S. et O.; L. وهو, ce qui ne convient point au mètre. g) S. سنة. h) O. حروف. i) Voyez Sour. 55, vs. 41.

فى سنة سبع ثلاثين تلت   الفًا لهجرة بيَاسين a عَلَتْ

عليه ازكى صلوات تستتم   نرجو بها الزُّلْفَى وحسن المختتمْ

ونصّ الاستدعآء المشار اليه

فازت دمشق الشام بالمقْرِى   الالمعىّ اللوذعىّ العَبْقرِى

علامة العصر بلا مفتَرى   وواحد الدهر بلا ممترَى

كم سُمِعت اخبارُ أُوصافه   تقصّر المَخْبَر عن منظرِ

جامعِ علم بثّ املآءه   بالشام ملْأً الجامع الاد

بقرى فتفرى السمعَ أنفاسُه   أنفَسَ ما يُقْرَى وما قد فُرِى

مولاى يا مَن دُرّ الفاظه   صحاحُها يُزْرِى على الجوهر

اجازة نرفل من فضلها   فى ثوب عزّ وَرِدًا مفخرِ

مسبلة b الذيل على اكبر   واوسَط الاخوة والاصغرِ

أطِلْ لنا انشآءها بل اطبْ   وأنظم لنا من دُرّها وأنثرِ

لا زلتَ فى نفع الورى دآئبا   تجود جَودَ العارض المُمْطِرِ

العبد الداعى ابن ابراهيم العمادى انتهى، ومن الاجازات التى قلتُها بدمشق ما كتبته للاديب الحسيب سيدى يحيى المحاسنى حفظه الله وهى

احمد مَن زيّن بالمحاسن   دمشقَ ذات المآء غيرِ الآسن

وأَطلعَ النجوم من اعيانِ   بافقها السامى مدى الاحيان

فكلّ ايّامهم مواسمُ   من الصفا تغورها بواسمْ

وذكرهم قد شاع بين الأَجْيا   اذ قطرهم به الكمال يحيَى

وبشرهم حديثه لا ينكَرُ   ومسنَد الجامع عنهم يذكَرُ

وقد حكت جوارح الذى ارتحلْ   اليهمْ صحيحَ ما لَه انتحلْ

فسمّعْه عن جابر والعين عن   قرّةَ تروى واللسان عن حسَن

فجلّ مَن اتاحهم آلآءه   حتى ابان نورَهم لألآءه

نحمده سبحانه ان آسْدى   من الامانى ما انال القَصْدا

ونتنحى صوبَ صلاة باهره   الى الرسول ذى السجايا الطاهره

a) L. لبياسين. Voyez Sour. 36, vs. 1 et le comm. de Baiçâwî sur ce mot. b) S. مسبلة.

اجلّ مَن خاف الالهَ واتّقى   محمد الهادى الرسول المنتقى
صلّى عليه اللهُ طولَ الابَدِ   معْ آله وصحبه المقتدى
وبعدُ فالعلمُ اساسُ الخير   وكيف لا وهو مُزيحُ الضَّيْرِ .
وهو موصّل a الى منهاجِ   هدى ورشدٍ ما له من هاجى
وما بغير العلم يبدو العَلَمْ   وليس من يدرى كمَن لا يعلَمْ
خصوصا الحديث عن خير البشرْ   فانّ فضله على الكلّ انتشرْ
ولم يزل يَعنى به كلَّ زمنْ   من الرواة كلُّ صدر مؤتمنْ
واتّنى عند دخول الشام   لقيتُ مَن فيها من الاعلام
وشاهدت عيناى من انصافهم   ما حقّق المحكىَّ عن اوصافهم
وانّ من جِلّتهم b اوج الذكا   والنيّر المُذْرِى سناه بذكا
ابن المحاسن الذى قد طابَقا   منه المسمّى الاسمُ ان c تسابقا
اللوذعىّ الالمعىّ يَحيى   لا زال رسمُ المَجْد منه يُحْيَى
وهو الذى اغراه حسن الظنّ   على انتمائه لاخذ عَنّى
فكان قارئَ الحديث النبوى   لدىّ فى الجامع اعنى الاموى
بمحضر الجمع العزيز الوافر   ممّن d وجوه فضلهم سوافر
وبعد ذاك استمطر الاجازه   من نوء وعدى واقتضى انتجازه
فلم اجد بُدّا من الاجابه   معْ انّنى لست بذى النجابه
وان اكن اجبت امرا يُمتثَل   منه ففى ذلك تصديق المثل e
فيمن درى شيئًا وغابت اشيا   عنه ومن أهدى بِصَنْعَا وَشْيا
فليرو عنّى كلّ ما يصحّ لى   بشرطه الذى يزين كالحُلى
وقد اخذت جامع البخارى   عن عمّى الامام ذى الفخار
سعيد الذى نأى عن دنس   عن شيخه الحبر الشهير التنسى
اعنى ابا عبد الاله وهو عن   والده محمد راوى السنن
عن ابن مرزوق محمد الرضى   عن جدّه الخطيب عن بدر أضا
الغارفىّ عن امام يُدْعَى   بابن عساكر الجميل المَسْعَى

a) G. L. الموصل. b) L. جملتهم. c) Les man. portent اذا. d) S. بمن. e) Cet hémistiche se trouve dans L. après l'hémistiche فيمن درى الخ.

بما لـه من الروايات التى   على علوّ قدره قد دَلّتِ
وليرو عنّى ما انتمى [a] للنووى   بذا[b] الى السّابق ذى النهج السوى
اعنى ابن مرزوق الخطيب الراوى   عن شيخه يحيى الرضى المغراوى
وهو روى عن صاحب التمكين   النووى الشيخ محيى الدين
وخطّ هذا احمد البادى[c] الوجَل   المقّرى المالكىّ الذى ارتجل
فى عام الف وثلاثين خلت   من هجرة الهادى وسبعة تلت
ألبسَه الله البرود الضافيه   من منّه وعفوه والعافيه
بجاه سيّد البرايا طُرّا   مَلْجَأ مَن الى الكروب اضطّرا
عليه اسنى صلوات تسدى   حسْنَ الختام ببلوغ القصد

انتهى وسال منى بعض ساكنى دمشق المحروسة ان اقرظ له على شرحه لرسالة العارف بالله سيّدى الشيخ ارسلان فكتبت ما صورته

احمد مَن خصّص بالاسرار   قدمًا من الصوفيّة الابرار
اتاحهم عوارف المعارف   والحِكَم السابغة المطارف[d]
فهُمْ بهم تستمطر الانوآء   وتظهَرُ الانوارُ والاضوآء
ومن اجلّهم سنآء وسَنَى   مَن زاد عن عين المعالى الوسَنا
شيخ الشيوخ العارف الكبير   الشيخ ارسلان آلشهير
فكم اشارات له ابانا   بها علوما من حلاها ازدانا
وكم عبارات تلا آياتها   تُعْيِى الفحول عن مدَى غاياتها
ومن رآى رسالة التوحيد   له انتحى مناهجْ التسديد
فهى تنادى من ابى ان يسلكا   يا معرضًا شرك خفىّ كلّكا[e]
ومَن اضلّ القصدَ فى مهامه   هدَته للخروج عن اوهامه
وكم بها من باب معنًى مغلَق   عمّن يقيّد الوجود المطلق
فما بغير الفتح يدرى الباطنَ   وواردُ الفيض له مواطِنُ
وقد رايت فى دمشق الشام   شرحا لها *أنبآء عن الهمام[f]

a) G. انتهى.   b) G. بدا ; S. ندا.   c) G. S. النادى.   d) L. المعارف.   e) Je crois qu'il faut lire أَهْلَكا.   f) Lisez أَنْبَا عن الالهام.

للكلشنىّ ذى الوفا بالوعد   شمس العلى محمد بن سعد
لا زال فى اوج التجلى (a) صاعدا   وعون ربّنا له مساعدا
ومذ اجّلت ناظرى فى حسنه   الفيته مستبدعا فى فنّه
ودقّ ما ابداه من معانى   علىّ شهود بالهدى معانى
لانّه اجاد فى تقريبر   ما اعتاص بالاتقان والتحرير
وابرز الأبكار من اور   أفكاره حاليةَ الصدور
فالله يجزيه الجزاء الأوفى   فى يوم تُبْدى الانبياء (b) الخوفا
وخطّ هذا المقرى من وجلْ   مرتجيا من ربّه عزّ وجلّ
كشف كروب عقد صبر حلّت   منه وغفران ذنوب جلّت
بجاه طه (c) الهاشمىّ احمدا   عليه ازكى صلوات سرمدا
عاطرة النشر بلا اكتتام   تأرّجت بالمسك فى الختام

وخاطبنى السرى الحسيب الماجد فخر المدرسين الاعيان مولانا الشمس محمد بن الكبير الشهير مولانا يوسف بن كريم الدين الدمشقى حفظه الله بقوله

شمس المحاسن شرقى او غربى   سعدت منازلنا بشمس المغرب
شمس لنا منها شموس فضائل   وسنى هدًى قد راح غير محجّب
المقرىّ العالم النّدْب الذى   لسوى اسمه دَرْجُ الحجى لم يُكْتَب
بدرٌ ولم تبدُ البدور بمشرق   الّا بدت من قبل ذاك بمغرب
لسوى اكتساب سناه لم تغرب ذكا   فلوَ انّها شعرت به لم تغرب
علّامة ملأ البلاد بفضله   وافاده لمشرّق ومغرّب
عمرى هو البحر المحيط فضائلا   ان قيس بالعذب الذى لم يعذب
سولى له سند قوىّ فى العلى   فعن الجدود روى العُلى وعن الاب
نسبٌ له المجد المؤثّل فى الورى   والمجد لم يُكسَب اذا لم يوهب
هو فى جبين الفضل اضحى غرّة   يجلى بها للجهل ظُلْمةُ غيهب
أما لنا قطعتْ ببشر جبينه   الا ترى للدهر وجهَ مقطّب
بدر به زهيت دمشق واهلها   احببْ ببدر حيث حلّ محبّب

a) L. التحلى. b) L. الانبياء. c) Voyez ce même nom طه, qui manque dans nos dictionnaires, *Orientalia*, II, 264. l. 5. infr.

حَلوِدُ الفضآئل باكرت أُرجآءه *a* ديَمُ الحجى فغدا كروض مُخْصِبِ
بحر الهدى والعلم الّا آنّه صَفو من الأكدار عذب المشربِ
هو قطبُ دائرة الفضآئل فى الورى فيكاد يخبرنا بكلّ مغيَّبِ
فى الفضل ما جاولت يومًا مثلَه كُلَّا ولا قستُ البدور بكوكبِ •
أنّى يجارَى فى الفضآئل مَن له آنقاد الزمان بادهم وبأشهب
سنن لمدح الغير تسقط عندنا فله العُلَى يقضى بفرض اوجبِ
ما روضة حَلى ازاهرها الحَيَا فافترّ فيها كلّ ثغر اشنبِ
ومشت بها خودُ الصبا فتعطرت اذيالها من كلّ عُرف طيّبِ
للنور فيها جدول اخذتْ به شُهُبَ المجرّة حيرةُ المتعجّبِ
باتت تناشدنى بها ذكرَ الهوى ورُقُ الأراك بكلّ صوت مطربِ
تشكو السّىّ بمثل ما اشكو لها شكوى المعَذَّب فى الهوى لمعذِّبِ *b*
فعلمت ما قد حلّ من وجدٍ بها وجهلن وهو الفرق ما قد حلّ بى
لم تلق فيها من عليل يشتكى الا النسيمَ وذا *c* الهوى إن تطلبِ
بأغصّ *d* حسنا من رُبَى آداب *e* من حبى *f* رياض حجاهُ الطف صيّبِ
طبعٌ *g* أرقّ من النسيم ومنطق مستعذب وكذاك كلّ مهذّبِ
لو جاد صوبُ حجاهُ قَفْرا مُجْدِبا لنعمت منه بكلّ روض مُعْشِبِ
مولاى عُذْرًا فالزمانُ يعوقنى عن مطلبى والآن مدحُك مطلبى
عفوًا اذا اخرتُ مدحَك سيّدى فعوآئق الايّام عُذرُ المُذْنِبِ
وكذاك يفعل بالاديب زمانُه فلذا يطول على الزمان تعتّبى
لم القَ يوما من يديه مهربا الّا ثناك وحبّذا من مَهرَبِ
لولاك ما جال القريض بخاطرى فالدهر يوجب للقريض تجنّبى
لولاك لم ينهض جوادُ قريحتى من *h* كلّ واد للضلالة مُتْعبِ
فاسمعْ ولستَ بآمرٍ نظما غدا فى عَقْد مدحك لؤلؤًا لم يُثقَبِ
كالراح يلعب بالعقول للطفه لكنْ بغير مسامع لم يُشرَبِ

a) L. S. أُرجآؤه. *b*) Les man. portent المعذب. *c*) Les man. portent وذو. *d*) Telle est la leçon de S. R. O.; G. باعصر; L. بيا غصن. Je crois que ces mots sont alterés. *e*) O. اذاب. *f*) O. حتى. *g*) L. طبق. *h*) O. فى.

من كلّ قافية [illegible] حسنها — لغيرك فى العلى لم يضرب
خَوْدٌ تقلّد من ثناك قلائدا — بكر لغيرك فى الورى لم تخطب
غنيّة بمديحك زينةً ولربّما — بغنى الجمال عن الوشاح المُذْهَب
هى بعض اوصاف لذاتك قد غدت — كالبحر عذبا مآؤه لم ينضب
جآءتك تسألك القبول وحَسْبُها — فخرا قبولُك وهو جُلّ المطلب
وتروم منك اجازة فاقت بما — ترويه بالسنَد القوىّ عن النبى
حسبى الاجارة منك جائزةً ولم — أكُ قبلُ غيرَ الفضل بالمتطلّب
لا بِدْع والاطنابُ ايجازا غدا — فى مدحه ان لم اطل او اسهب
هيهاتَ لا تُحصَى مآثرُ فضله — بالمدح ان اطنب وان لم اطنب

خدمة الداعى محمد بن يوسف الكريمى انتهى، فأجزتُه بما صورته ونصّه

احمدُ مَن اطلع شمسَ الدين — فى افق الرواية المبين
وخصّ فضلا منه بالاسناد — أمّةَ طه مُنْهِبِ العناد
فلم يكن عصر من الاعصار — الّا وفيه اهل الاستبصار
يَنفون عن حوزة دين الله ما — يروم من عليه رشدا بهما
وأنتحى سُبْلَ صلاة كاملةْ — على الذى له العطايا الشاملة
محمّد المرسل بالشرع الحسَنْ — ذى[a] المعجز المفهم اربابَ اللَسَنْ
مع حِزْبه من صحبه وعترته — ومَن تلا مؤمّلا لأُثرته
وبعدُ فالعلم اجلّ ما اعتمد — موفّق من فيض مولاه استمد
خصوصا الحديث عن خير الورى — صلّى عليه الله ما زَنْدٌ وَرَى
ولم يزل ذووا النهى يسعَون فى — تحصيله اذ فضله غير خَفى
وإنّ مولانا الشهير السامى — الماجد المولى نبيه الشام
سالك نهج السنّة القويم — محمد بن يوسف الكريمى
لا زال فى عزّ وفى أمانِ — مبلّغا من قصده الامانى
وَجّه لى لمّا حللت الشاما — وبرقُ حُسْن الظنّ منّى شاما
قصيدةً بليغة مستعذبه — غريبة فى فنّها مهذّبه

a) Les man. portent ذو.

يسآل من مثلى بها الاجازهّ　　بشرطها عـنـد الذى أجازهّ
مستمسكًا بعُروة الصواب　　ولم اجد بُدًّا من الجَواب
فَلْيروِ عنّى ما سمعتُ كلّه　　وما جمعت فى الفنون جمله
على شروط قُرّرتْ فى الفنّ　　مرتجيا حصولَ كلِّ مَنّ
وصِنْوُه الاكمل قدْ أبحتُه　　ذاك على الوجه الذى شرحته
وان اكن فيما ٱبتغى مقصّرا　　فَذُو الرضَى ليس لِعَيْب مُبْصِرا
ولى اسانيد أَبَى وَقتِىَ عن　　تفصيلها لما من الرحلة عَنّ
والعُذْرُ بادٍ والكريم بقبلُ　　والصّفْحُ [a] نهْجٌ يقتفيه الانبلُ
وخطّ هذا المقرىّ الجانى　　آمنَه اللهَ من الاَشجان
فى عام الفٍ وثلاثين قفَا　　سبعًا لهجرة النبىّ المصطفى
عليه ازكى صلوات تغتنمّ　　يزكو بها مبتدأً ومختتمّ

وكتب السىّ العاضل الخطيب الفهامة الاديب وارث الفضل عن الاعلام ذوى اللسن سيّدى الشمس محمد المحاسنى سبط شيخ الاسلام مولانا البوربنى حسّن حفظه الله بقوله

يا سيّدى ومَلاذى　　وعالِم الثقلَيْنِ　　ومن غدا بمكانٍ
على اعلى النيّرَيْنِ　　اجزتَ بالدرس قوما　　فاقوا به الفرقدَيْنِ
فزيّنِ العبد ايضا　　مِن مثل ذاك بزَيْنِ　　وان يكن فى ختامٍ
فذاك قرّة عَيْنِ

رتَه بما نصّه

احمد من اطلعَ من مَحاسن　　دمشق ما آربى على المَحاسن
وزانها بالجِلّة الاعيان　　الرافلين فى حُلى التبيانِ
الراغبين فى الحديث النّبوىْ　　السالكين فى الهدى النهجَ السوىْ
وبعدُ فالعلمُ اجلّ زينَهْ　　وسَبله فى الرشد
وانّ علم السنّة الشريفه　　ظلاله ضافية وريعه
لذاك كان بٱعتناه اجدرا　　من كل ما يُميل [b] مَن تصدّرا
وانّ ذا الفضل الاديب البارع　　سابقُ ميدان الذكا المسارع

a) Voyez ce mot, qui manque dans nos dictionnaires, *Hamāsa*, p. 503, l. 4.　　b) Les man. portent يميله.

الماجد المبجّل السامى الحسبْ … محمد مَن للمحاسن انتسبْ
ابن الشهير الصدر تاج الدين … لا زال فى عزّ وفى تمكين
وجدّه لأمّه الشيخ الحسن … وذاك بورينيهمْ معطى اللسن
يسألنى اجازة بكلّ ما … أرويه عنوانا بحالى معلما
وها انا اجبته غير بطلْ … مستغفرًا من خطأٍ ومن خطلْ
فليرو عنّى كلّ ما يصحّ … على شروط عيّنها يسحّ
وهى عن المشروط لن تريما … وليس يخفى علمه الكريما
كلّما الّفت او جمعت … نظما ونثرا مثلما اسمعت
ولى اسانيد بضيق الوقت … عن سَرْدها وبعضها قد سُقت
فى غير هذا فليحقق ذلك … مقتفيا لاوضح المسالك
وقد اخذت جامعَ البخارى … ومسلم عن حايز الفخارِ
عمّى سعيد وهو عمّن يُدْعَى … بالتنسىّ قد افاد الجَمْعا
عن حافظ الغرب a الرضى ابيه … عن ابن مرزوق عن النبيه
الحافظ المبجّل العرافى … وقد سما فى سُلّمِ المراقى
وما له من الروايات علِمْ … من كُتبه التى حوت خير الكلمْ
وخطّ هذا المقرىّ عن عجل … مؤمّلا من ربّه عزّ وجل
غفرانَ ما جنى من الذنوب … والصفح عن مَعرّة العيوب
ِ العالَمين احمدا … صلّى عليه الله دَأبا سرمدا
وآله وصحبه الأخيار … ومَن تلا لآخِر الأعْصار

ولمّا سألنى فى الاجازة الفاضل الاريب سيّدى محمد بن على بن مولانا عالم الشام الشهير الذكر شيخ الاسلام سيّدى ومولاى الشيخ عمر القارىُّ حفظه الله وانا مستوفز للسفر كتبت له عن عجل ما صورته

احمدُ مَن زيّن بالآثار … جيدا من الراوى النبيه القارى
وشاد للعلياء فى اوج السَّنَد … منازلا لم يُبْلها طول الامَد
وميّز الواعين للحديث … بالفضل فى القديم والحديث

a) G. L. سالنى b) L. العرب.

وزان منهم سمآه الدين   فاشرقت بالحفظ والنبه
منهم a بها للمهتدى b نجومْ   واذّ للمعتدى رجومْ
فكم ازاحوا عن حديث المجتبى   صلّى عليه الله ما هبّت صبا
تحريفَ ذى غِلّ مُضِلّ غالى   شان لمنهاج الرشاد قالى
وبه   فالاسنادُ للروايةْ   وسيلةٌ تزحزح الغوايه
والله قد خصّص هذى الامّه   به أمتننا وازاح الغمّه
هذا ولولا ذاك قال مَن شا   ما شاءه فهو بحق مُنْشا
فلم يزل اهل النهى كلّ زمن   يسعون فى تحصيله عن مؤتمَن
وإنّ مِن جملة مَن تحرّى   *ومن يسبق c للعلوم غُرّا d
الفاضل المسدّد النجيب   الواصل الماجد الاريب
محمّد سليل ذى المجد على   ابن الامام العالم الحبر الولى
عُمَرَ الشيخ الشهير القارى   طودُ السكون هضبة الوقار
شيخُ الشيوخ فى دمشق الشام   لا زال محفوفا بعزٍّ سامى
فكان من جملة مَن عنّى روى   بعض الصحيح ظافرا بما نوى
وبعد ذاك اقترح الاجازه   منّى ووعدُها اقتضى انجازه
فأنعجمتْ نفسى عن الاجابه   اذ لستُ فى ذا الامر ذا نجابه
مع أنّنى مقصّر ذو عىّ   فى مثل هذا المطلب المرعىّ
وخفتُ أن آتيَها e شنعاءَ f   بحملى الوَشْىَ الى صنعاء
وبعد ذا اجزت قصد الاجر   مرتجيا بذاك ربْح التجر
وقد أجبتُه وانّى اعلَمْ   أنّىَ من خوف الخطا لا اسلَمْ
فليروها ببالغ التمنّى   جميعَ ما يصحّ لى وعنّى
من ذلك الجامعُ للبخارى   عن عمّىَ الشهير ذى الفخار
سعيد الآخذ عن سُقَيْنِ   عن قلقشندىّ مُزِيح المَيْنِ

a) G. S. فهم. b) G. المهتدى. c) Ces mots ne se trouvent que dans le man. L.; dans les autres il y a ici un blanc. d) L. عُدّا; G. عزّا; غرّ » impulit aliquem ad rem" c. a. p. et ب r. Voyez Baiḍāwī I, 147, l. 3. e) O. اتيتها. f) O. سنعآء.

عن حافظ [illegible] ابن حجر — بما له من الروايات اشتهر
وبعضها فى صدر فتح البارى — لطالـ الآخبار
ولى اسانيد يطول شرحها — والروضة الغناء يكفى نصحها
ومن رواياتى عن القصّار — مفتى البرايا بهجة الاعصار
حدّثنا خروف الزاكى الارجْ — عن الشريف الطحطحائى فَرَجْ
سمعتُ فى المنام طه يملى — حديثَ مَن اصبح وفق النّقل
اى آمنا فى سرْبه مُعافى — فى جسمه معْ قوت يوم وافى
وكلّما الفتُ فى الفنون — ارجو به التحقيق للظنون
فليروه عنّى بشرط معتبر — ورد يصدّق الخُبْرُ الخَبَر
ولى تآليف على العشرينا — زادت ثمانيا ـت تعيينا
فليروها إن شا بلا آستثناء — والله ارجو نيل قصد ناءى
بجاه مَن شُرّف بالادناء — صلّى عليه الله فى الآناء
احمدُ خيرَ المرسلين الهادى — غوثَ البرايا ملجأ الاشهاد
عليه اسنى صلوات زاكيه — معْ صحبه ذوى المزايا الزاكيه
ومَن تلا ممّن اطاب عمله — فنال من رجائه ما أمّلهْ
وشمّ من عرف قبول ارَجا — فنال من حسن الختام ما رجى

وخاطبنى من اهلها ايضا خادم الشيخ الاكبر ابن عربى محيى الدين وهو الشيخ الاكرمى سيّدى ابراهيم سلك الله بى وبه سُبُلَ المهتدين بقوله

فكرتُ فى فضل الامام — المقّرِى الحبرِ حينا — فوجدتّه بكرَ الزما
ن وواحدَ الدنيا يقينا — ما ان را — ـت بمثله فى العالمينا
وافى دمشقا زائرا — أَلَوَ انّه اضحى قطينا — ه واتى عجيب الاتّفا
ق بفطر شهر الصائمينا — فكأنّ غرّته الهلا — ل ونحن كنّا ناظرينا
والعلم قال مؤرّخا — ادّى بها فصلا مبينا

وخاطبنى منهم ايضا الفقيه النبيه سيدى مصطفى بن محبّ الدين حفظه الله تع بقوله

فضائلُ قطب الغرب فى العلم والفضل — هو المقّرى الاصل حائزة الخَصْل
حوى كُلّ علم كَلّ عن بعضه السوى — فلا غرو ان اضحى فريدا[a] بلا مثل

a) O. غريبا.

وحاز فنونا من ضروب معارف[a] ... ومن فصل تحقيق ومن منطق فصل[b]

توخّى دمشق الشام فافترّ ثغرُها ... سرورا به وأُزْيِنَتْ من حلى الفضل

وشرّف مصرا قبلها فاكتست به ... ملابس فخر زانها كرمُ الاصل

لقد اشرقت من افق غرب شموسه ... وناهيك افقا نوره قدره مَعْلى

نفاسته فيها تنافست الورى ... بما قد غدا من دُرّ ألفاظه يُملى

مليّ من التحقيق ان عَنّ مُشكلٌ ... تكفّل بالتبيان والشرح والحلّ

اذا ما ادار الدرّ من كاس لفظه ... سقانا عُقارَ الفضل عَلّا على نَهْل

نظام له يحكى فلآئدَ عسجد ... وثغر مليح فائق الحسن والدَّلّ

وأسجاعُه ان حاك وشىَ نسيجها ... حكتْ حِبَرا حيكت نمارقَ من غَزْل

له العَلَمُ [c] الاعلى بشرق ومغرب ... له الموضع الاسمَى على الكلّ فى الكُلّ

فيا سيّدا حاز المفاخر والعُلَى ... وفاقت حُلَى الآداب منه على الحلى

اليك من العبد الحقير تحيّة ... لقد نشأت عن خالص الودّ من خِلّ

مُوالٍ يوالى الحبّ والقربَ منكم ... بظاهر غيب لا يحيد عن الوَصْل

فلا زلت مَحْبُوّا بسابغ نعمة ... وفضل نعيم وافر وارف الظلّ

ودمت لدى الاسفار فى نُجْح اوبة ... وجمعِ لشملٍ بالمواطن والاهل

وخاطبنى الشيخ سيدى محمد بن سعد الكلشنى حفظه الله بقوله

شهر شعبان جاءنا ليهنّى ... بقدوم الاستاذ كنز الفضائل

بهجة الكون روض علم وحلم ... وهو مُغنى اللبيب ان جآء سائل

بمصابيح فضله قد اضاءت ... ساحة الجامع الكبير لآمل[d]

وبمختار لفظه صار يحوى ... لحديث مسلسل عن افاضل

ومن الغرب حين وافى لشرق ... فاق بدر التمام وسطَ المنازل

حلّ منّى فى القلب والطرف لمّا ... لاح سَعْد السعود لى غير آفل

وغدا بالامان والسعد ارّخ ... احمد المقرىّ بالشام قابل[e]

وقال ايضا شكر الله نيّته وبلّغه امنيّته

اتاك دمشق الشام اكرمُ واردِ ... فقرّى به عينا وللحسن شاهدى

a) O. محاسن. b) O. جزل. c) G. L. O. القلم. d) G. L. O. الامل. e) S. قابل.

وهزّى دلالا روضة   معاطف لين كالغصون الا مالد
لكن البشر بها عيتى طفرت بأمجد   رفيع الذُرَى من فوق فرق الفرافد
لقد شاع بين الناس واسعَ فضله   فكم قاصد يسعَى لنيل الفوآئد
من العالم الفرد المفيد الذى له   اياد سمت بالجود تولى لقاصد
وذاك ابو العبّاس احمد من صفت   مناهلُه دوما الى كلّ وارد
تراه اذا وافيتَه متهلّلا   ويبسم حُبّا فى وجوه الاماجد
امام سَمَى قدرا على النجم رفعة   أَرَى وصفَه فى بيت نظم مشاهَد
لديه ارتفاعُ المشترى وسعوده   وسَطْوةُ بهرام وظرف عطارد
شهدتّ بِأَنّ الله اولاه منحة   بنقل حديث فى جميع المساجد
ومُذ حلّ فى وادى دمشق ركابه   وسُودده وافى باعدل شاهد
حوى كلّ افضالٍ وكلّ فضيلة   بها يهتدى حقّا لنيل مقاصد
وما ذا عسى فى مدحه انا قائل   ولو جئت فيه مُطْنبا بالقصآئد
اذا رمتَ ان تلقى نظيرا لمثله   عجزتَ وَربِّ الناس عن عَدّ واحد
فكم من مَعانٍ حازها ببيانه   وفكرته قد قيّدت للشوارد
ومنطقُه حاوى *الشفا بجواهر[a]   صحاحٍ بها يزدان عقدُ القلآئد
من الغرب وافى نحو شرق فاشرقت   شموسُ علوم أُسفرت عن محامد
فناديتُهُ يا سيّدى مَن بفضله   تواترت الأخبار عن غير[b] واحد
عسى عطفة منكم علىّ بنظرة   فانت لموصول الجِدّى خير عائد
وانت على رَيْب الزمان مُساعدى   وانت يمينى للحسود وساعدى
فلا زلتَ تُولى كلّ مَن هو آمل   لبغيته من صادر ثم وارد
وتَبقى مدى الأيّام فى المجد رافلا   بثوب الهنا تُكْفَى شرورَ[c] الحواسد
وهاكَ عروسا تجتلى فى حُليّها   اليك اتت فى زىّ عذرآء ناهد
تهنّى بعيد الفطر من بعد صومكم   بخير جزيل من لذيذ الموآئد
ونرجو جميل الستر ان هى مُثلت   بحضرتك العليا ايا خير ماجد
وعش فى امان الله بالعزّ دآئما   مَدَى الدهر ما سحّ الحيا فى الفدافد

a) S. الشفاء بجوهر. b) S. غبير. c) L. شرود.

وما دارت الافلاك من نحو قطبها   وما بزغت شمسُ الضُّحى للمشاهدِ

وقال ايضا زاده الله من فضله

ظبيٌ بوَسْط الفؤاد قايلْ   اعجز بالوصف كلّ قائلْ
ظبى بأجفانه سباني   وسحرها ينتمى لبابل
يرمى بسهم اللحاظ لمّا   يرنو فيصمى الفؤاد عاجلْ
قد فتن العقل *من تجنٍّ[a]   علىّ حتّى غدوت ذاهل
له قوام كخوطِ بانٍ   او كالفنى السمهرىّ عادل
بدر بدا كامل المعانى   فى القلب والطرف عاد نازل
قد اسَر القلبَ فى هواه   بقيد حسن وفَرْعٍ سابل
وما بقَى منه لى خلاص   سوَى مديح رضى الافاضل
اعنى به المقّرىَّ مَن قد   سما على البدر فى المنازل
احمد مولى له اياد   كالغيث يغنى لكل سائل
علامة حاز كلَّ فضل   سبقا ومَن بالعلوم عامل
مَن قد مشى فى العلوم طرًّا   وحاز علم البيان كامل
طويلُ باعٍ بسيطُ فضل   مديدُ جود لكلّ آمل
ووافرُ العقل راح يهدى   سريع فضل لكلّ فاضل
وجامع العلم فى ابتهاج[b]   بمنطق فى الاصول حافل
وهكذا فى الكلام مهما   افادَه فى الدروس شامل
بروى صحيح الحديث دأْبا   بالسند الواصل الدّلائل
وكم علوم افاد مَن قد   اتاه فى مشكل المسائل
وحلّ ابهامَ كل شكل   من فنّ وفقة الى الوسائل
وغاص فى لُجّة المعانى   واستخرج الدرّ فى المحافل
وفى فنون البديع اضحى   جِنَاسُه قد حوى رسائل
وكم دليل افام لما   بُرهانه أبهت المعازل
ان كان وافى لنا اخير   فهو الذى فاخر الأوائل

a) G. O. S. .مَن تجنّى   b) رسالة فى الوفق المخمس الخالى الوسط est le titre d'un ouvrage d'al-Makkari.

بحرٌ محيط يفيض منه   على رياض بكلّ ساحل a)
وافى من الغرب نحو شرق   يجوب من فوق مَتن بازل
فى مَهْمَهٍ صَحْصحٍ مهولٍ   وحَزنه كم به غوآئل
وحثّ فيه المسيرَ حتى   خلّفه من ورآء كاهل
وجآء باليُمْن فى امانٍ   وصحّة الجسم والشمآئل
وحلّ فى الشام عند قوم   من اكرم الناس فى القبآئل
ذاك ابن شاهين ذو المعالى   ربّ الندى للالوف باذل
كأنّه الشمس جآء يهدى   للبدر نورا وليس آفل
بل كان غيثا لهم وكانوا   روضا اريضا لشكر وابل
فبجّلوه وعظّموه   وادّخروا عاجلا وآجل
جزاهُمُ الله كلّ خير   وصانهم من جِدال جاهل
واحمد دام فى امان   المقّرىّ الرضى المُعامل
لربّه فى دُجَى الليالى   ومرشد الناس فى الاصائل
لا زال فى نعمة وخير   وفى امان يعود عاجل

وخاطبنى الاديب الفاضل الشيخ ابو بكر العُمرى شيخ الادبآء بدمشق حفظه الله تع بقوله

تاهت تلمسان على مدن الدُّنَا   بعالم فى العالَمين يُحمَدُ
المقّرىّ احمد ربّ الحجا   الكامل البحر الخِضَمّ المزبدُ
مالكُ هذا العصر شافعيّه   احمدُهُ نعمانه المسدّدُ
مذ حلّ مصرا ان عنت اعلامُها   لفضله وبجّلوا ومجّدوا
وفى دمشق الشام دام سعدها   كان له بها المقام الأسعدُ
العلمآء اجمعوا جميعَهم   على معاليه التى لا تجحد
اقام شهرا او يزيد واننثنى   وفى الحشا منه المقيم المَقْعَدُ
سالت على فراقه دموعُنا   وفى القلوب زفرة لا تخمَدُ
لو قيل من يحمد فى تاريخه   ما قلت الا المقّرىّ احمَدُ
لا برحت اوقاته مفيدة   ما صاح فوق عوده مُغرِّدُ

a) L. ساجل.

قلت ونكرى لكلام اعيان دمشق حفظهم الله ومديحهم لى ليس علمَ الله لاعتقادى فى نفسى فضلا بل اتيتُ به دلالة على فضلهم الباهر حيث عاملوا مثلى من القاصرين بهذه المعامله، وكسوه حُلَل تلك المجامله،، مع كونى لست فى الحقيقة له بِأهْل، لِما انا عليه من الخطأ والخطل والجهل،، ولقد خاطبت من مصر مفتى الشام صدرَ الاكابر، وارث المجد كابرا عن كابر،، ساحب أذيال الكمال، صاحب الخلال المبلغة الآمال،، مولانا شيخ الاسلام الشيخ عبد الرحمن العمادى الحنفى بكتاب لم يحضرنى منه الآن غير بيتين فى اوّله وهما

يا حادى الاظعان نحو الشآمْ   ابلغ تحياتى لتلك[a] الخيامْ[b]
وأبْدَأْ بمفتيها العماد الرضَى   دام به شمل الهوى[c] فى التئام

فاجابنى بما نصّه

الى اهالى مصر اهدى السلام   مبتدئا بالمقرئ الهُمامْ
من ضاع نشر العلم من عُرفه   ولم يَضَعْ منه الوفا للذِمامْ

اهدى تحف التحيّه، الى حضرته العليّه،، وذاته ذات الفضائل السّنيّة الاحمديّه، التى من صحبها لم يزل موصولا بطرائف الصِلات والعوائد الاحديّه[d]،، الجامعة التى لها منها عليها شواهد

وليس لله[e] بمستنكر   ان يجمع العالم فى واحدِ

فيا مَن جذب قلوبَ اهل عصره، * الى مصره[f]،، وأَعجز عن وصف فضله كلَّ بليغ، ولو وصل الى النثر بنثرِه، او الى الشعرى بشعره،، ومن زرع حَبّ حُبّه فى القلوب فاستَوَى على سُوقه، وكاد كلُّ قلب يذوب بَعد بُعْدِ بُعْدِه من حرّ شوقه،، وظهرت شمسُ فضله من الجانب الغربى فبهرت بالشروق، واصبح كلّ صَبّ وهو الى بهجتها مشوق،، زار الشام ثم ما سلم حتى ودع، بعد ان قرع بروضها افنان الفنون فابدع،، واسهم لكلّ من اهلها نصيبا من وداده، فكان اوفرهم سهمًا هذا المحبُّ الذى رفع بصحبته[g] سمكَ عماده، وعلق بمحبته[h] شغاف فؤاده[i]،، فانه دنى من قلبه فتَدلّى، وفار من حبّه بالسهم المعلّى،، ادام الله لك البقا، واحسن لنا بك الملتقَى، ومَنّ علينا منك بنعمةِ قرب اللقا،، آمين بمنّه ويُمنه، هذا وقد وصل من ذلك الخل

a) Les man. portent لتكى. b) G. L. O. الشهام. c) G. L. O. الهنا. d) G. L. O. الا e) L. على الله. f) R. لمصره. g) G. L. O. بصحبة. h) G. لمحبته. i) R. وكرمه. وجدته.

الوفى، كتابٌ كريم هو اللطف الخفى a،، بل هو من عزيز مصر القميص اليوسفى، جآء به البشير ذو الفضل السنى، الخل الاعزّ الخل b الاجلّ التاج المحاسنى،، مشتملا على عقود الجواهر، بل النجوم الزواهر، *بل الآيات البواهر،، تكاد تقطر البلاغة من حوايته c، ويشهد بالوصول الى طرفها الاعلى لمّواشيه،، فليت شعرى بأىّ لسان اثنى على فصوله الحسان، العالية الشان،، الغالية الاثمان، التى هى انفس من قلائد العقيان، وابدع من مقامات بديع الزمان،، فطفقتُ ارتع من معانيها فى امتع رياض، واقطع بأنّ فى منشئها اعتياضا لهذا العصر عن عياض،،

ليت d الكواكبَ تدنوا لى فأنظمها   عقودَ مدح فلا ارضى لها كَلِمى e

ولا سيّما فصل التعزية والتسليه، المشتمل على عقيد التحليه،، بل عقود التحليه لتلميذكم الولد ابراهيم، فانّه كان له كرْقية السّليم، بعد ان كاد يهيم،، فجاء ولله درّه فى احسن المحال، ووقع الموقع حتى كان الولد انشط بيركته من عقال،،

واذا الشىء اتى فى وقته   زاد فى العين جمالا لجمالْ

فجزاكم الله عنا احسن الجزا، ثم احسن لكم جميل العزا،، فيمن ذكرتم من كريمتى f الاصل والفرع، وابقى g منكم ماكنّا h فى الارض مَن i به للناس اعم النفع،، وامّا مصيبةُ مَن كان وليّى وسميّى ومنجدى، الشهيد السعيد المرحوم j الشيخ عبد الرحمن المرشدى k،، فانّها وان اصابت منا ومنكم الاخوَيْن، فقد عمّت الحرمَين، بل طمّت الثّقلَين،، ولقد عُدّ l مُصابه فى الاسلام ثلمه، وفقد به فى حرَم الله من كان يدعى للملمّه،، ولم يبق بعده الا m من يدعى اذا بحاس n الحيس، واستحق o ان ينشد فى حقه وان لم يقس به قيس،،

وما كان قيسٌ هلكه هلكُ واحد   ولكنّه بُنيان قوم تَهدّما

فالله تع يرفع درجاته فى عليّين، ويُبقى وجودَكم للاسلام والمسلمين،، وتلامذتكم الاولاد، يرجون من بركات ادعيتكم اعظم الامداد،، ويهدون اكمل التحيّه، الى حضرتكم العليّه،، ونُبلغكم دعآء صاحب السعاده، ادام الله اسعادكم واسعادَه،، ونحن

---

a) G. الحقى. b) L. الجل. c) Ces mots manquent dans G. et L. Lisez حواشيه au lieu de حوايته. d) R. S. كى. e) S. كلم. f) O. كريمى. g) O. وبقى. h) L. ماكنا. i) O. يعم النفع. j) Ce mot manque dans O. k) S. المرشد. l) O. عمد. m) Ce mot manque dans O. n) L. احاس; S. انحاس. Lisez أُحيس. o) L. واستحسن.

من صحبته الشهيّه، فى رياض فنون ادبيّه،، أبهاها لمعات محاضره فى ذكر شمآئلكم الجميلة تنوّر المَجالس، وأشهاها نسمات محاورة بنشر فضآئلكم الجليلة تعطر المُجالس،، وسلام جملة الاصحاب من اهل الشام، وعامّة الخواص والعوام والدعآء على الدوام،، المخلص الداعى عبد الرحمن العمادى مفتى الحنفيّه، بدمشق المحميّه،، انتهى،

ووردتْ علىّ مع المكتوب المذكور مكاتبات لجماعة من اعيان الشام حفظهم الله فمنها من الصديق الحَميم، الرافل فى حلل المجد الصميم،، الخطيب الاريب سيّدى الشيخ المحاسنى يحيى، أسْمى الله قدره فى الدين والدنيا،، كتابان *a* نصّ اوّلهما باسمه سبحانه

لَئن حكمت ايدى النوى وتَعرّضتْ عوارضُ تَبْنِ بيننا وتفرّقُ
فطرفى الى رؤياكُم متشوّقٌ وقلبى الى لقياكمْ متشوّقُ

يقبّل الارض الشريفة لا زالت مَركزًا لِدآئرة التهانى، وقطبا لفلك تجرى المجرّة فى حاجرته على الدقائق والتّوانى،، ولا برحت ألسُنُ البلاغة عن تمييز براعة يراعه *b* حامى حماها مُعْرِبه، وبلابل الآداب على الاغصان فى رياض فضله بمثانى الثنآء صادحه وبِألحان سَجْعها مُطْرِبَه،،

ارض بها فلكُ المعالى دائرٌ والشمسُ تشرق والبدور تحومُ
ولها من الزهر المنضّد أنجم ولها على افق السمآء نجومُ

عمّر اللهُ بالمسرّات محلّها، وعمّ بالخيرات مَن حلّها،، ويبتدأ بسلام يخبر عن صحيح وُدّه السالم، ومزيد غرام يؤكد *c* حبّه الذى هو للولآء جازم *d*،، وبنعت شوقا يحرّك ما سكن صميم الضمير، من صدق حبّ سلم جمعه من التكسير،، ويؤكد السلام بتوابع المدح والثنا، ويعرب عن محبّة مشيّدة البنا،، وينهى ان السبب فى تسطيرها والباعث على تحريرها اشواق اضرم نارها فى الفؤاد، ومحبّة لو تجسّمت لملأت البلاد،، واقول *e*

شوقى لذاتك شوق لا ازالُ ارى اجدّه *f* يا امام العصر اقدمَهُ
ولى فم كاد ذكر السوق يحرقه لو كان مَن قال نار احرقت فمَهُ

هذا وان تفضل المولى بالسؤال عن حال هذا العبد فهو باق على ما تشهد الذات العليّه، من صدق المحبّة ورقّ العُبوديّه،، ولم يزل بزيّن افق المجالس بذكركم، ولا يقتطف عند المحاضرة الا من زهركم،، ولم ينسَ حلاوة العيش فى تلك الاوقات

---

a) Les man. portent كتابين. *b*) Ce mot ne se trouve que dans S. *c*) S. مؤكد. *d*) Ce mot me paraît altéré. *e*) Ces mots ne se trouvent que dans le man. S. *f*) S. ajoute لى.

التى مضت فى خدمتكم المحروسة بعنـاية الملك المتعال، وليالى الانـس التى فيها وكانت. بالعراق لنا ليال،،

واها لها من ليال هـل تعودكما　　كانت وايّ ليال عـاد ماضيها

لم انسها مذ نأت عنّى ببهجتها　　وايّ انس من الايّـام ينسيها

فنسـأل الله تعـ ان يمنّ بالتلاق، ويفصل مـانعة الجمع بطىّ شقة الفراق،، انّ ذلك على الله يسير، وهو على جمعهم اذا يشآء قدير،، وبعد فالمعروض على مسامع سيّدى الكريمه، لا زالت من كُلّ سُوء سليمه،، انه وصلّنا مكتوبكم الكريم، صحبة العَمّ المحبّ القديم،، فحصل لهذا العبد به جبر عظيم، وانس جسيم، كمـا شهد بذلك السميع العليم،، فعزمتُ على تـرك الاجابه، لعدم الاجاده،، ومتى تبلغ الالفاظ المذمومة مـا بلغته الالفاظ المقربّه، واين يصل صاحب الزمر كما قيل الى الدقّات الخليليّه،، ولكنّى خشيت من ترك الاجابة توهّم نقض مـا ابنيه من رقّ العبوديّة وصحّة الـوداد، ومن انقطاع برق شيخى الذى هو لبيت شرفى العمدة والعماد،، فلزم من ذلك ان كتبت لجنابه الشريف الجواب، وان كان خطآؤه اكثر من الصواب،، وارسلته قبـل ذلك بعشرة ايام ومكتوب هـذا العبد صحبته مكتوبان احدهما من محبّكم شيخ الاسلام، المفتى العمادى والاخر مـن محبّكم احمد افندى الشاهينى وهمـا بقيّة اكابر البلدة واعيانها يبلغونكم السلام التام،، ولا تؤاخذونا فى هذا المكتوب فانّى كتبته عجلا، ومن جنابكم خـجـلا،، دام خيركم على الدوام، والى قيام السـاعة وساعة القيام،، وحـرر يـوم الاثنين ١١ جمادى ٢ سنة ١٠٣٨ الفقير الداعـى يحيى المحـاسبى انتهى،

ونص المكتوب الثانى من المذكور اسماه الله باسمه سبحانه مخلصك الذى محض لك وداده، ومحبّك الـذى اسلم لمحبّتك قياده،، بـل عبدك الذى لا يروم الخروج عن رقّك وتلميذك الذى لم يزل مغترفا، من فيض علومك معترفا،، بحقك من اسكنك لبّه، واخلص لك حبّه،، واتّخذك من بين الانام ذخرا نافعا، وكهفا مـانعا، ومولى رفيعا وشهابـا ساطعا،، وتشبّث بـاسبـاب علومـك وتمسّك، يهدى اليك سلاما كانما تعطر a بمسك ثنائك وتمسّك،، واكتسب من لطف طبعك الرقّه، واستعـار من سنآء وجهك حلة مستحقّه،، وتحيّة لـم يكن مُنـاه الا ان تكون بالمواجهة والمشافهة

a) Les man. portent ou نعطر ou نفطر.

والمحاضرة على ان فؤاده لم يبرح لك سكنا ، واحشاءه لك موطنا a ،، ويبدى دعوات تحقق العقل انها من القضايا المنتجه ، وانّ ابواب القبول لها غير مرتّجه ،، مقبلا اياديك التى وكفت بوابل جودها ، وكفت المهمّ بنتآئج سعودها ،، وحاكت الوشى المرقوم ، وسلكت الدرّ المنظوم ،، فهذا يرفل فى حللها ، وهذا يتحلى بعقودها ،،

فهى التى تعنو الرياض لرقمها وبغار منها الدرّ فى تنضيدها
ويحار ارباب البيان لنظمها فهُمُ بحضرتها كبعض عبيدها

متمسكا من ولائك بوثيـق العرى ، متمسكا من ثنائك الذى لا يزال الكون منه معنبرا ،، متشوّقا للقائك الذى بالمُهَج يستام وبالنفوس يشترى ، متشوّقا الى ما برد من انبآئك التى تسرّ خبرا ، وتحمد اثرا ،، اعنى بذلك المولى الذى اقام بفنآء الفسطاط مخيّما ، وانتجع حماه رائد الفضل ميمّما ،، وشُدّت لفضآئله الرحال ، ووقفت عندها بل دونها فحول الرجال ،، وطلعت شموس علومه فى سمآء القاهره ، فاختفت نجوم فضآئلها والاشعّة باهره ،،

هو الشمس علما والجميع كواكب اذا ظهرت لم يبد منهنّ كوكب

فهو العالم الذى سرى ذكره فى الآفاق ، مسيرَ الصبا جاذب نيلها النسيم الخفّاق ،، الذى اطلع شمس التحقيق من افق بيانه ، واظهر بدر التدقيق من تبيانه ،، فلهذا عقدت عليه الخناصر بين علمآء عصره ، وانقطعت b اليه c الاواصر من فضلآء مصره ،، فلا يضاهيه فى ذلك احد فى زمانه ، وينسق ما نسقه من دُرّه ومرجانه ،، فهو المعوّل عليه فى مشكلات d العلوم ، معقولها ومنقولها والمنطوق والمفهوم ،، الذى لم تسمح بمثله الازمان والعصور ، ولم يات بنظيره تتابع الاعصار والدهور ،، من عجز لسان القلم ، عن التصريح باسمه الشريف فى هذا الرقم ،، لا زالت المدارس مشرفة بالقائه فيها الدروس ، ولا برحت البقع عامرة بوجوده بعد الدروس ،، ما سُطرت آيات الاشواق فى الصحآئف والطروس ، وارسلت من تلميذ الى استاذ بسبب نسبته e اليه فحصل على المطلوب من شرف النفوس ،، هذا والذى يبدى لحضرتكم ، وينهى لطلعتكم انّ الراقمَ لهذه الصحيفه ، المشرفة ببعض اوصافكم اللطيفه ، المرسلة لساحة فضآئلكم المنيفه ،، هو تلميذكم من تشرف بدرسكم ، وافتخر باجازتكم ،، يبدى لكم تلهفه لنيران * اشواقه

a) S. وطنا. b) G. L. وانعطفت. c) S. عليه. d) S. المشكلات من. e) S. نسبه.

التى التهبت، وتاسفه على الايام السالفة مذهبة فى خدمته التى*a لا ذهبت، وتوجّهه لهذه الازمان التى استرجعت بالبعد عنه من نمّته ما وهبت، وتطلعه الى ما يشنّف به الاسماع من فضائله التى سلبتها العقول والقلوب وانتهبت،، فلم يزل يسأل الرواة عنها ليلتقط b منها، وقد تحقق ان فرآئدها لا يلفى لها نظيرا ولا يدرك كنهها c،، وكيف لا ومنها يتعلم الفاضل اللبيب، ويتودّد حبيب،، واليها يفتقر السعيد، وعليها يعتمد ابن العميد،، ولم تنفك راقية فى درج المزيد، وعبد الحميد عبد الحميد،، وعلمُ شهاخى محيط بصدق محبّتى واخلاصها، وشدّة حرصى على تحصيل فوآئد مولانا واقتناصها،، واننى لا ازال ذاكرا لمحاسنه التى ليست فى غيره مجموعة، ومتطفلا على ثمار افكاره التى هى لا مقطوعة ولا ممنوعة،، وخاطره الشريف على الحقيقة يشهد بذلك، فلا يحتاج هذا العبد الى بيّنة d لدى مولانا الاستاذ المالك،، وحقيق على مَن فارق تلك الاخلاق الغُر، والشمآئل الزهر،، والعشرة المعشوقة، والسجايا الموموقة،، والفضآئل الموفورة، والمآثر المشهورة،، ان * يشق جيب e الصبر، ويجعَل النار حشو الصدر،،

وانّى لتعرونى لذكراك هزّة كما انتفض العُصفور بلّله القطرُ

فلو f ملكت مُرادى، لما اخصم الّا فى ذراه g مَرادى،، بل لو دار الفلك على اختيارى، لما نصبوت الا عنده ليلى ونهارى،، ولو نعطى الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الزمان وتحت ضلوعى لوعة لو كتمتها لخفتُ على الاحشآء ان تتضرّما h

ولو بحت فى كتبى بما فى جوانحى لأنطقتها نارا وابكيتها دما

وانا لا اقترح على الدهر الا لقياه، ولا اقطع حاضر الوقت الا بذكراه،، ومما اعُدّ ايّامى التى سعدتُ فيها بلقآئه الا مفاتح السرور، ومطالع السعود والحبور،، ولست اعيبها الّا بقلّة البقاء، وسرعة الانقضا،، وكذلك عمر السرور قصير، والدهر بتفريق الاحبّة بصير،، وربّما اهتزّ العُود بعد الذبول، وطلع النجم بعد الافول،، وادِيل i الوصال من الفراق، وعاد العيش المرُّ حُلوَ المذاقِ،،

وما انا من ان يجمع الله شملنا كاحسن ما كُنّا عليه بآيس

فامّا الآن فلا ارجى الوقت الّا بقلب شديد الاضراب، وجوانح لا تفيق من التوقد والالتهاب،، وكيف لا وحالى حالُ مَن ودّع صفوة الحياة يوم وداعه، وانقطع عنه الانس

---

a) Ces mots ne se trouvent que dans le man. S. b) L. ليلعط. c) G. S. كنها. d) G. ببيّنه. e) L. ويستوجب. f) G. L. S. ولو. g) S. داره. h) G. نتتصرما. i) S. وابدل.

ساعة انقطاعه،، وطوى الشوق جوانحه على غليل، وحشّ اضلاعه على كمد دخيل،، واغرى بى فلزمنى ولزمته، والف بينى وبين الوجد فالغنى والفته،، فلا اسلك للعزآء طريقا الّا وجدته مسدودا، ولا اقصد للصبر بابا الا الفيته مردودا،، ولا أُعدّ اليوم بعد فراق سيّدى الّا شهرا، والشهر دون لقآئه الّا دهرا،، ولسْت بناس ايامنا التى هى تاريخ زمانى، وعنوان الامانى،، اذ مآء الاجتماع عذب، وغصن الاردباد رطب،، واعين الحواسد راقده، واسواق صروف الدهر كاسده،، فما كانت الّا لمحة الطّرف، ووثبة الطرف،، ولمعة البرق الخاطف، وزورة الخيال الطائف،، وما تذكر تلك الايام فى اكناف فضآئله ونضرتها، ورياض علومه فى ظلّه وخضرتها،، الا واوجب [a] على عينه ان تدمع، وانثنى على كبده خشية ان يُصْدَع،، ثم لما ورد على عبدكم مكتوبكم الكريم، صحبة حضرة العم المحبّ القديم، فكان كالعافية للصبّ السقيم، كما يشهد بذلك السميع العليم،، فوقف له منتصبا، وخفف عنه برؤيته وصبا،، وذكر ايام الجمع فهام وجدا وبها صباة [b]، فاستخفّه الاعجاب طربا، وشاهد سطوره فقال هكذا تكون الرياض وعاين لطفه فقال هكذا يكون الصبا،، وقبّل كل حرف منه ووضعه على الراس، وحصل له بعد ترقبه غاية المجاورة [c] والاستيناس، فعند ذلك انشد قول بعض الناس،،

وَرَدَ الكتابُ فكان عند وروده	عيدا ولكن هيّج الاشواقا
أَلِفاته قد عانقت صاداته	كعناق مشتاق يخاف فراقا
فكانّما النونات فيه أهلّة	وكانما صاداته أحداقا
فعسى الالهُ كما قضى بفراقنا	يقضى لنا يوما بأن نتلاقى

فجعلته نصبَ عينى اتسلّا به عند استيلآء الشوق على قلبى، وأُطفِئُ بتأمّله نيرانَ وجدى اذا التهبت فى صدرى،، وسُررت به سرورَ مَن وجد ضالّة عمره، وادرك جميع امانيه من دهره،، وانست بتصفّحه انس الرياض بانهلال القطر، والسارى بطلوع البدر، والمسافر بتعريس الفجر،، وكيف لا وقد اصبح فى وجه الامانى خدّا، بل فى خدّها وردا، وصار حسنة من حسنات دهرى، لا يمحو مرور الايام موضعها من صدرى،، وطلعت طوالع السرور وكانت آفله، واهتزت غصون الفرح وكانت ذابله،، لا سيّما لما تضمن من البشارة السارّة بصحّة المولى وسلامته، وحلوله فى منازل عزّه وكرامته،، وموعده

---

a) Les man. portent اوجب. b) O. وصبا. c) Les man. portent ou (G. L. O.) المجابرة ou (S.) المجابزه.

الكريم بعوده الى دمشق الشام، سقاها صوبَ الغمام،، مرّة ثانيه، ويتم افتخارها على غيرها فلا تزال مفاخرة مباهيه،، نسأل الله تعـ ان يحقق ذلك، وان يسلك بسيّدى احسن المسالك،، انه سبحانه وتعـ سامع الاصوات، ومجيب الدعوات،، فان عودكم يا سيّدى والله مرّة اخرى هو الحياة الشهيّه، والامنيّة التى تترجى النفس بلوغها قبل المنيّه، وما انا من الله بآيس ان يتيح سببا يُعيد المزار مقتربا والشمل مجتمعا، وحبل البين منقطعا،، ثم ليعرض على مسامع سيّدى الكريمه، لا زالت من كل سُوء سليمه،، انّا اوصلنا مكاتيبكم كما امرتم لاربابها لا سيّما مكتوب شيخ الاسلام، عبد الرحمن افندى المفتى بالشام،، ومكتوب المولى الاعظم، والهمام الافخم، احمد افندى الشاهينى اعزّه الله تعـ فانه وقع عنده الموقع العظيم، وحصل له به السرور المقيم،، كما يدلّ على ذلك جوابه الكريم، المحفوف بالتعظيم والتكريم،، غير انه قد ساءنا ما اتصل بمولانا من نفوذ قضاء الله الذى يَعُم، فى البنت والام،، فجعل الله فى عمر سيدى البركه، وكان له فى السكون والحركه،، وما عسى ان يُذكر لجنابكم فى امر التعزية ويقرّر، ومنكم يستفاد مثله *a* ويحرّر،، والاستاذ ادرى بصروف الدهر وتفنّنها، واحوال الزمان وتلوّنها،، واعرف بأنّ الدنيا دار، بها لسكانها مدار،، وانّ الحياة ثوب مستعار، ونعيم الدنيا *b* وبؤسها ما لواحد منهما فيها قرار،، وانّ لكل طالع افولا، ولكل ناضر ذبولا، ووراء كلّ ضياء ظلاما، ولكلّ عروة من عُرى الدنيا انفصاما،، فهو محلّ لان يقوى فى العزاء عزائمه، ويصغر فى عينه نوائب الدهر وعظائمه،، ويغنيه عن عظة تجدّد له مقالا، وتحلّ عن عقله عقالا،، وهو يتلقى المصايب، بفكر داقب، وفهم صائب،، وصبر يقصر عنه الطود الاشمّ، وعزم ينفلق *c* دونه الصخر الاصم،، وحلم يرجح اذا طاشت الاحلام، وقدم تثبت اذا زلت الاقدام،، ومدّ المقال فى ضرب الامثال، الى جنابكم الشريف نوع من تجاوز حدّ الاجلال،، وانا اسأل الله تعـ أن يجعل هذه المصيبة خاتمه، ولا يُريه بعدها الا دولةً قائمه، ونعمة دائمه،، وان يحرسه من غِيَر الليل والنهار، ويجعله وارث الاعمار،، بجاه نبيّنا المختار، صلعم وعلى آله وصحبه الاطهار،، بمنّه وكرمه، ثم *d* ابلغ سيّدى اطال الله عمره، وشرح صدره، ونشر بالخير ذكره،، السلام التام، المقرون بالف تحيّة واكرام،، من اهل البلدة جميعا

a) S. ajoute وعنكم. b) O. S. ajoutent دار. c) L. ينغلف. d) S. ajoute ان.

لا سيّما من مفتيها العمادى، حرس الله ذاته التى هى مَنهَل للصادى والغادى ،، واولاده الكرام، المستحقّين للاعزاز والاكرام ،، ومن كبيرها ومدبّرها ومشيرها احمد افندى الشاهينى اعزه الله بعزّه ، وجعله تحت كنفه وحرزه ،، ومن خطيبها مولانا الشيخ احمد البهنسى ونقيب اشرافها مولانا السيّد كمال الدين وجميع المحبين الداعين لذالكم الجناب، والمتمسكين بتراب تلكم الاعتاب ،، ومن الوالد والعم والله يا سيدى انه ناشر لوآء الثنآء والمحامد ، وداعٍ لذلك الجناب الكاسب للمفاخر والمحامد ،. وحضرة شيخنا شيخ الاسلام، وبركة الشام ،، مولانا وسيّدنا الشيخ عمر الفارى ابقى الله وجوده، وضاعف علينا احسانه وجوده ،، واولاده يسلمون عليكم السلام الوافر، وينهون لكم الشوق المتكاثر ،، وحرر *a* فى ٢ جمادى ٢ سنة ١٠٣٨ المحب الداعى يحيى المحاسبى انتهى،

وكتب الىّ عمه الفاضل الاسمى ما صورته بأسمه سبحانه

وانّى لمشتاق الى وجهك الذى   تهلّلُه اهدى السنآء *b* الى البدرِ
واخلاقك الغرّ اللواتى كأنّها   تساقط انداء الغمام على الزهرِ

سيّدى الذى عبوديتى اليه مصروفة، ودواعى محبّتى اليه موفورة وعليه موقوفة ،، علم الله سبحانه اننى لا ازجّى اوقاتى الّا بذكراه، ولا ارجى اليمن من ساعاتى الا باستنشاق نسيم ربّاه ،، وأنّنى الى طلعته أشْوَقُ من الصادى الى مآء صدا، ومن كثير عزة الى نوى *b* تيما ،،

برّحنى اليك الشوق حتى   اميل من اليمين الى الشمال
وياخذنى لذكراك اهتزاز   كما نشط الاسير من العقال

ولى على صدق هذه الدعوى من نباهة لبّه شاهد معدّل، ومن نزاهة قلبه مُزَكٍّ غير ملوم ولا معذل ،، كيف لا ومطالع البيان مشرقها من افلاك فهومه، وجواهرُ البنان مقذفها من بحار علومه ،، وهو بحر العلم *c* الذى لا يقتحم بسُفن الافكار، *وجبل الحلم *d* الذى رسخ بالهيبة والوقار ،،

لو اقتسمتْ اخلاقه الغرّ لم تجد   معيبا ولا خلقا من الناس عايبا

وما ذا عسى اصف به مولاى وقد عجز عن وصفه لسان كل واصف، وحار فى بث

a) Ces mots ne se trouvent que dans le man. S. *b*) O. نور. *c*) S. العلوم. *d*) S. والحبل.

فضآئله ارباب المعارف والعوارف،،

فلو نظمتُ الثريّا والشعريين قريضا وكاهل الارض ضربا
وشعبَ ضَوْوِ عروضا وصغت للدرّ ضدا وللهوآء نقيضا

ولكنّنى اقول الثنآء منجح أنّى سلك، والسخى جوده بمالك،، وان لم يكن خمر فخل، وان لم يصبها وابل فطل،، هذا وقد اوصلنا مكاتيبكم الشريفة لاربابها فكانت لديهم اكرم قادم، واشرف منادم،، وقد تداولتها الافاضل a وشهدوا انها من بنات الافكار، التى يكشف عنها لغير سيّدى حجب الاستار،، وقد وجدنا كلّا منهم ملتهبا بجمرات الشوق، متجاوزا حدّ الصبابة والتوق،، ليس لهم شغل الا ذكر اوصافكم الحميده، وبثّ ما ابديتموه بدروسكم المفيده،، وما منهم الّا ويرجو بَلّ الصدا، ونقع الظّما،، برؤية ذلك المحيّا، والتملّى بتلك الطلعة العليا،، وان سال سيّدى عن اخبار دمشق المحروسه، دامت ربوعها المانوسه،، فهى ولله الحمد منتظمة الاحوال، آمنها الله من الشرور والاهوال،، ولم يتجدّد من الاخبار ما نعلم به ذلك b الجناب، لا زال ملحوظا بعين عناية ربّ الارباب،، وانا اسال الله تعّ ان يصون جوهر تلك الذات من عوارض الحدثان، وأن يحمى تلك الحضرة العليّة من طوارق حكم الدوران،،

آمين آمين لا ارضى بواحدة * حتى اضيف اليها الف آمينا *

وهذا دعآء للبريّة شامل، العبد الداعى، بجميع البواعث والدواعى،، تاج الدين المحاسنى عفى الله عنه انتهى، وبالهامش ما صورته وكاتب الاحرف العبد الداعى محمد المحاسنى يقبل يدكم الشريفة ويخصكم بالسلام الوافر، ويبث لديكم الشوق المتكاثر،، غير انه قد نازعته نفسه فى ترك المعاتبه، لسيّده الذى لم يُسعد عبده منه بالمكاتبه،، على انها مكاتبة تحكم عقد العبوديّه، ولا تخرج رقبته من طوق الرقّيه،، والمطلوب ان يخصّه سيّده وشيخه بدعواته المستطابه، التى لا شك انها مستجابه،، كما هو عليه فى سائر اوقاته، وحسبان ساعاته،، ودمتم وفى رابع جمادى ٢ سنة ١٠٣٨ انتهى، وكتب c سيّدى التاج المذكور فى d ضمن رسالة من بعض الاصحاب الىّ ما صورته

يا فاضل العصر يا مَن للشرق والغرب مشرِقٌ يا احمد الناس طرّا

a) S. ajoute وشاهدوها. b) L. ذلكم. c) Ces mots ne se trouvent que dans le man. O.
d) Les man. portent لى.

فى كلّ ما يتصرّف يهدى اليك محبّ دموعه تتدرّف
شوقا وودّا قديما منكّرا يتعرّف

ولنختم مخاطبات اهل دمشق لى بما كتبه لى اوحد الموالى الكبرآء السرى عين الاعيان، صدر ارباب البلاغة والبيان،، مولانا احمد الشاهينى السابق الذكر فى هذا التاليف مرّات، ضاعف الله لديه انواع المبرّات والمسرّات،، آمين ليكون مسكا للختام، ان محاسنه ليس بها خفآء ولا لها انكتام a،، ونصّ محلّ الحاجة منه هو الفيّاض

يا سيّدا احرز خصل العُلى بالبأس والرأى السديد الشديدْ
ومَن على اهل النهى قد علا بطبعه السامى المَجيد المُجيدْ
ومن يزين الدهر منه حُلى قولٍ نظيم كالفريد النضيدْ
ومن *بصدق الفكر b منه جَلاء c نظم له القلب عميد حميدْ
٥ ومن له من يوم قالوا بَلى فى مهجتى حبّ جديد مزيدْ
ومن غدا بين جميع الملا بالعلم والحلم الوحيد الفريدْ
افديك بالنفس مع الاهل لا بالمال والمال عتيد عديدْ

اقسم بالله الذى علت كلمته، وعمّت رحمته، وسحرت القلوبَ والعقول رأفته ومحبّته،. وجعل الارواح جنودا مجنّدة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف،، اننى أشْوَق الى تقبيل اقدام شيخى من الظمآن للماء، ومن السارى لطلعة ذُكا،، وليس تقبيل الاقدام، مما يدفع من المشوق الأُوام،، وقد كانت الحالة هذه وليس بينى وبينه حاجز الا الجدار، اذ كان حفظه الله تعٓ جار الدار،، فكيف الآن بالغرام، وهو حفظه الله تعٓ بمصر وانا بالشام،، وليس غيبة مولانا الاستاذ عنّا الّا غيبة العافية عن الجسم المضنى بل غيبة الروح، عن الجسد البالى المطروح،، ولا العيشة بعد فراقه، وهجرِ احبابه ورِفاقه،، الّا كما قال بديع الزمان عيشة الحوت فى البرّ، والثلج فى الحرّ،، وليس الشوق اليه بشوق وانما هو العظم الكسير، والنزع العسير،، والسم يسرى وبسير، وليس الصبر عنه بصبر وانما هو المُصاب، والكبد فى يد القصّاب، والنفس رهينة الاوصاب، والحين الحاين واين يصاب،، ولا اعرف كيف اصف شرف الوقت الذى ورد فيه كتاب شيخى بخطّه، مزينا بضبطه،، بلى قد كان شرف عطارد، حتى

a) O. اكتنام. b) G. L. صدى فكرى. c) G. L. S. جلا.

اجتمع من انواع البلاغة عندى كلّ شارد،، وامّا خطّه فكما قال الصّاحب ابن عبّاد اهذا خطّ قابوس، ام جناح الطاووس،، او كما قال ابو الطّيّب

بمن خطّه فى كل قلب شهوة حتّى كأنّ مداده الاهوآء

وانا اقول ما هو ابدع وابرع، وفى هذا الباب انفع واجمع،، بل هو خطّ الامان من الزمان، والبراءة من طوارق الحدثان،، والحرز الحريز، والكلام الحرّ الابريز، والجوهر النفيس العزيز،، وامّا الكتاب نفسه فقد حسدنى عليه اخوانى، واستبشر به اهلى وخُلّانى،، وكان تقبيلى لاماليه، اكثر من نظرى فيه،، شوقا الى تقبيل يد وشّته وحسّنته، واعتيادا للثم انامل حبسته a ومسّته،، وامّا البراعه، فلا شكّ انها ينبوع البراعه،، حتى جرى من سحر البلاغة منها ما جرى، فجآء الكتاب كسحر العيون بما راح يسبى عقول الورى، وينادى باحراز خصل سحر البيان من الثريّا الى الثرى،، ولم ار كتابا قبل تكون محاسنه متداخلة مترادفه، ولطآئفه وبدآئعه متضاعفة متراصفه،، وذلك لانّه سرد من غرر دررِ الاحاسن، وورد على *يد راس b احبابنا تاج بنى محاسن،،

اولآئك قوم احرزوا الحسن كلّه فما منهمُ الّا فتى فاق فى الحسن

وكما قلت فيهم ايضا

فبنوا المحاسن بيننا كبنى المحاسن فى النجابه فهمُ القرابة ان عدمـ

ـتَ من الانام هوى القرابه فيهم محاسن جمّة منها الخطابة والكتابه

ثم لم يكتف سيدى وشيخى بما انعم به، واحسن بكتبه،، من كتابه المزيّن، بخطّه المبيّن،، بضبطه المسمّى بين اهل الوفا، *بكتاب الاصفياء c، حتى اضاف اليه كتاب الشفا، فى بديع الاكتفا، كانه لم يرض طبعه الشريف المفرد المستثنَى، الا ان تكون حسناته لدى احبابه مثنى مَثنَى،، حتى كان مُراده بتضعيف هذا الاكرام والاحسان، تعجيز العبد عن ادآء خدمة d الحمد بحصر البيان، وعقد اللسان،، اذ لست ذا لسانَين، حتى أودى شكر احسانَين،، وغاية البليغ فى هذا المضمار الخطير، أن يعترف بالقصور، ويلتزم بالتقصير،، ومن فصول هذا الكتاب ما نصّه ومن باب ادخال السرور على سيّدى وشيخى وبركتى خبر المدرسة الداخليّة التى تصدّى لها ذلك المولى العظيم، والسيّد الحكيم،، صدر الموالى، ورونق الايّام والليالى،، سيّدى وسندى،

a) S. حسنته.* b) S. مدراس. c) S. بكتاب الاصطفا. d) G. L. خدمته.

وعمادى ومعتمدى ،، الفهّامة شيخى افندى المعروف بالعلامة حفظه الله ووقاه وابقاه الذى صدق عليه وعلىّ قول الاوّل

ولى صديق ما مسّنى عدم — مذ وقعتْ عينُه على عدمى
اغنى واقنى فما يكلّفنى — تقبيل كفّ له ولا قدمِ
قام بامرى لما قعدتُ به — ونمتُ عن حاجتى ولم ينمِ

وقول الثانى

صديق لى له ادبُ — صداقةُ مثله نسبُ
رعى لى فوق ما يرعى — واوجب فوق ما يجبُ
فلو نقدت خلائقه — لبُهرجَ عندها الذهبُ

ولعمرى انه كذلك قد تصدّى لحاجتى فقضاها ، ولحاجّتى فامضاها ، ولم يكن لى فى الروم سواه وسواها ،، وما اصنع بالروم ، اذا تخلّف عنى ما اروم ،، ابى الله الّا ان ينفعنى ذلك الحرّ الكريم بنهيه وامره ، وان يكون بيانى وبنانى مرتبطين بحمده وشكره ،، وهذه حاجة فى نفسى قضيتها ، وامنية رضيت بها وارضيتها ،، ولله الحمد ولست احصى ولا استقصى يا سيّدى ومولاى شوق اخيكم سيّدى ومولاى المفتى العمادى حفظه الله تعَ واياكم وقد بلغ به شوقه وغرامه ، وتعطشه واوامه ،، ان افرد لجناب مولانا كتابا ، يستجلب مفخرا وجوابا ،، ان الشام كما رايتم عبارة عن وجوده الشريف والسلام ، وكذلك اولاده الكرام ، تلامذتكم يقبّلون الاقدام ، وامّا محبّكم وصديقكم الشيخ البركة شيخ الاسلام ،، مولانا عمر القارى فقد بلغته سلامَ سيدى فكان جوابه الدعآء والثنآء مع العزيمة علىّ بأنْ ابالغ لجنابكم الكريم فى تادية سلامه ، وتبليغ ما يتضمنه من المحبّة الخالصة فصيح كلامه ،، وامّا الكريميّان ولدكم محمد افندى واخوه سيّدى اكمل الدين ، فهما لتقبيل اقدامكم من المستعدّين ،، وكذلك لا احصى ما هما عليه من الثنآء والدعآء للجناب الكريم العالى تلميذاكم بل عبداكم ولدنا الشيخ يحيى بن سيّدى ابى الصفآء وولدنا الشيخ محمد بن سيّدى تاج الدين المحاسنيان ، وامّا عبداكم وتلميذاكم ولداى الشيخان الداعيان ، الاخوان الشيخ عبد السلام والقاضى نعمان ،، فليس لهما وظيفة الا الدعآء والثناء فى كلّ صبح ومسا ،، لانّ كلّا منهما خليفتى ، والاشتغال بدعآء سيدى وظيفتى ،، ولا يقنعان بتقبيل اليدَين الكريمتَيْن ، ولا بُدّ من تقبيل القدمين المباركتَيْن ،، وبعد فلا ينقضى عجبى من بلاغة كتابكم الشريف الوارد لجناب اخيكمَ المفتى العمادى حفظكم الله

وإياه، ولا كان من [illegible] وصاحبة به اعظم واكبر، اذ هو حفظه الله بفهم كلام سيدى احق واجدر،، فلا عدمنا تلك الانفاس الملكيّة الفلكيّة من كل منكما اذ هى والله [illegible] والامنيّه،، كما قلت

ليس فخرى ولا اعتدادى بدهر   غير دهر اراكما من بنيه

اللهمّ اختم هذا الكلام، للقبول التام،، بالصلاة على سيّدنا محمد وآله الطيّبين الطاهرين ومن فصول هذا الكتاب ما صورته اطال الله يا سيّدى بقاءك، ولا كان من يكره لقاءك،، ورعاك بعين عنايته ووقاك، وادامك وابقاك،، وضمن لك جزاء الصبر، وعوّضك عن مصابك الخير والاجر،، ولقد كنت على ان اجعل فى مصاب سيّدى بامّه، متعه الله بعُمره وحلمه، ودفع عنه سَوْرة همّه وغمّه،، قصيدةً تكون مرثيه، تتضمّن تعزية وتسليه،، فنظرت فى مرثية ابى الطيّب المتنبّى لامّه واكتفيت بنظمها ونثرها وعقدها وحلّها وانتخبت قوله منها

لكِ الله من مفجوعة بحبيبها   قتيلة شوق غير مكسبها وَصْما

ومنها ولو لم تكونى بنتَ اكرم والد   لكان اباكِ الضخمَ كونُكِ لى أُمّا

لئن لذّ يوم الشامتين بيومها   لقد ولدت منى لانفهم رغما

فقلت هذه حال مولانا الراغم لأُنوف الأعداء، المجدّد لاسلافه حمدا ومجدا، القاتل بشوقه لا خطا ولا عمدا،، ثم اننى لما رايت قوله فى مرثية اخت سيف الدولة

ان يكن صبر ذى الرزية فضلا   تكن الافضل الاعزّ الاجلّا

انت يا فوق ان يعزّى عن الأحْـباب فوق الذى يعزّيك عقلا

وبألفاظك اهتدى فاذا عـزّاك قال الذى له قلتَ قبلا

قد بلوتَ الخطوب حلوًا ومُرّا   وسلكتَ الايّام حزنا وسَهْلا

وقتلتَ الزمان علما فما يغـرب قولا وما يجدّد فعلا

قلت هذه والله حلى مولانا الاستاذ الذى عرف للزمان فعله، وفهم قوله، قد استعارها ابو الطيّب وحلى بها مخدومه سيف الدوله،، وكيف استطيع ارشاد شيخى لطريق الصبر، واذكره بالثواب والاجر،، وكيف وانا الذى استقيت من ديَمه، واهتديت الى سبيل المعروف بشيَمه،، وسلكت جادّةَ البراعة بهداية ألفاظه، وارتقيت الى سماء البلاغة برعاية ألحاظه،، وهل يكون التلميذ مُعلما، وهل يرشد الفرخ قشعما،، وكيف يعضد الشبل الاسد، وهو ضعيف المُنّة والمدَد،، ومن يعلّم الثغر الابتسام، والصدر

الالتزام،، ويختبر الحسام، وهو مجرّب صمصام،، وهل تفتقر الشمس فى الهداية الى مصباح، وهل يحتاج البدر فى سُراه الى دلالة الصباح، وذلك مثل شيخى ومثل مَن يرشده الى فلاح او نجاح،، وانما ياخذه[a] عنه ما ورد فى ذلك من الكتاب والسنّة، ويحذو[b] حذوَه فى الطريق الموصّلة الى الجنّة،، ثم لمّا وصلت فى هذه القصيدة الى قول ابى الطيّب

ان خبر الدموع عينا لدمعٍ · بعثته رعاية فاستهلّا

رأيته قد ابدع كلّ الابداع، ونظم ما يكاد يُجرى الدمع من طريق السماع، فقلت انّا لله واكثرت الاسترجاع،، وقلت فى نفسى ان ذلك الدمع الذى بعثته رعاية الحقوق، هو دمع شيخى الذى حمى الله قلبه الشفوق، من العقوق،، للمصيبة فى الام، التى حزنها يغم، ومصابها يعم،، وكيف لا يعمنا مصابها، وقد كمل للمصيبة كفاها الله بموتها نصابها،، هذا مع الفقد للسّليلة الجليلة، والكريمة الخليلة،، واىّ دمع لم تبعثه تلك الرعاية، واىّ نفس لا تتمنّى ان تكون لسيّدنا من كلّ ما يُكْرَه وقاية،، واىّ كبد قاسية، لم تكن لاحبابها مُواسية،، وأنّى يتسنى للعبد المعَنى تسلية شيخى وهو الصبور الشكور، العارف بالامور، العالم بتصاريف الدهور،، وما ظننت ان بنانى، تساعدنى على تحرير بيانى،، لتعزية شيخى حفظه الله تعَ فى اصله وفرعه، وضرعه وزرعه،، وعرقه ونبته، وامّه[c] وبنته،، امّا الوالدة الماجدة فانّى ان امسكت عن بيان كرم اصلها، يسمو بها كرمُ فرعها ونسلها،، فرحم الله سلفها، وابقى خلفها،، ولا حرم سيّدى ثمرة رضاها، ورضى[c] عنها وارضاها،، وامّا المخدرة الصغيرة، فالمصيبة فيها كبيرة،، اذ العمومة مقرّبة، والخئولة وفاتية،، فهى ذات التجارب، وحائرة الفخاربن،، كان سيّدى اعزّه الله تعَ لم يرض لها كفوا ومهرا، فاختار القبر ان يكون له صهرا،، وخطبة الحِمام لا يمكن ردّها، وسطوة الايّام لا يستطاع صدّها،، كما قال ابو الطيّب ايضا

* إنّ خُطْبَ[d] الحِمام ليس لها رَ · دٌّ وان كانت المسمّاة ثكلا
واذا لم تجد من الناس كفوا · ذاتُ خدر ارادت الموتَ بَعْلا

اسال الله تعَ ان تكون هذه الخطبة قافية الخطوب، وهذا النحْب المبرّح اخر

a) S. ناخذ. b) S. ونحذو. c) L. ajoute الله. d) G. L. خطبة.

المندوب» وأن يعوض سيّدى [illegible] حبيبه المبرقع المقنع، حبيبا معمّا تتحرّى النجابة منه المصنع»، وأن [illegible] عن ذات للخمار والخضاب، بمن يصول بالحراب، ويسطو باليراع ويشتغل بالكتاب، وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال اللهمّ يا ارحم الراحمين، انّى اتوسّل اليك نبيّك محمد صلعم وآله الطيبين الطاهرين، ان تاخذ بيدى عبدك شيخى المقرّى فى كل وقت وحين آمين».

ومن فصول هذا الكتاب ما صورته ولمّا وصلنى سيّدى بهديّته التى احسن بها من كتاب الاكتفاء، داخل طلعى الصفا»، ونشطت الى نظم بيتين فيهما التزام عجيب لم ار مثله وهو ان يكون اللفظ المكتفى به بمعنى اللفظ المكتفى منه فانّ الاحتفاء والاحتفال بمعنى الاعتنا كما افاده شيخى فيكون على هذا الاكتفاء وعدمه على حدّ سوا اذ لو قطع النظر عن لفظ الاحتفال لا غنى عنه لفظ الاحتفاء مع تسمية النوع فيهما وهما

انّ احتفال المرء بالمرء لا ... احسبه الّا مع الاكتفا
مبالغات الناس مذمومة ... فاسلك سبيل القصد فى الاحتفا

ولقد انقطع الثلج ايام الخريف وكانت الحاجة اليه شديدة بعد غيبة سيّدى حفظه الله عن دمشق فتذكرت شغف شيخى به فزاد على فقده غرامى، وفاض عليه تعطّشى واوامى[a]»، فجعلت فى ذلك عدّة مقاطيع واحببت عرضها على سيّدى اوّلها

ثلج يا ثلج يا عظيم الصفات ... انت عندى من اعظم الحسنات
ما بياض بدا بوجهك الّا ... كبياض بدا بوجه الحياة

ثانيها

قد قلت لما ظلّ[b] عنّى[c] رشدى ... وما رايت الثلج يوما عندى
لا تقطع اللهمّ عن ذا العبد ... اعظمَ اسباب الثنا والحمد

ثالثها

ثلج يا ثلج انت ماء الحياة ... ضلّ مَن قال ضرّ ذاك لهاتى
ما بياض بدا بوجهك الا ... كبياض قد لاح فى المرآة
قد راى الناس وجههم فى المرايا ... فانا فيلا شمت وجه حياتى

وما عللت سيدى هذا التعليل، الا لاشوّقه الى نسيم دمشق الذى خلفه سيّدى حفظه الله عليلا وهو على الصحّة غير عليل، ولم يشف اعزّه الله منه الغليل»، ولسيّدى الدعا، بطول البقاء والارتقا»، وهذه ابيات احدثها العبد فى وصف القهوة،

a) S. وهيامى. b) L. S. ضلّ. c) S. عندى.

طالبا من سيّده [a] ان يغفر خطآءه فيها وسهوه،،

وقهوة كالعنبر السحيق　　سودآء مثل مقلة المعشوق
اتت كمسك فائح فتيق　　شبّهتها فى الطعم بالرحيق
تدنى الصديق من هوى الصديق　　وتربط الودّ مع الرفيق
فلا عدمت مزجها بريقى

وما زلتُ ألهج بما افادنيه، شيخى من اماليه، واتصفح الدهر الذى جمعته عنه من اسافله الى اعاليه،، واستشكل على الاحباب والاصحاب فى اثنآء المسامره، ما افادنيه سيّدى من تسمية المرحوم القاضى التنوخى كتابه نشوار المحاضره،، حتى ظفرت باصلها فى القاموس فى مادة نشر، فاذا هى عربيّة محضة فانّه قال ونشورت الدابّة نشوارا ابقت من علفها، ولقد تعجّبت من بلاغة هذه التسمية وعذوبتها، وحسن المجاز فيها مع سلاستها وسُهولتها،، واحببت عرضها على شيخى حفظه الله تعَ ليفرح لى بين تلامذته، كما فرح طبعى به حفظه الله بين اساتذته،، ليعلم انى لم انس ما افادنيه فى خلال المحاوره، ايام المؤانسة والمجاوره،، فوالله انّه سميرى، فى ضميرى،، وكليمى، ما بين عظمى واديمى،،

يديروننى عن سالم واديرُهم　　وجلدة بين العين والانف سالمُ
الطرسُ طما وما مضت قصّتنا　　لا ذنبَ لنا حديثنا لذّ فطالْ

وحرّر يوم السبت المبارك غرّة جمادى الاخرة من شهور سنة ١٠٣٨ احسن الله ختامها بحرمة محمد وآل محمد الطيّبين الطاهرين وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعمَ النصير والحمد لله وحده عبده الفقير الحقير المشتاق، المذنب المقصّر لسيّده عن اللحاق،، الذى لم يبرح عن العهد المتين، احمد بن شاهين،، الشامى انتهى، ولو تتبعت ما له حفظه الله من النظم والنثر، اللذين غلب فيهما بلغآء اهل العصر،، بالشام ومصر وغيرهما من الاقطار لا زال مقامه مقصى الاوطار، لاستوعبت الاسفار،، وفى الاشارات ما يغنى عن الكلم وقد تقدم فى خطبة هذا التصنيف، ذكر شىء من نظمه ونثره وانه هو السبب الداعى الى جمع هذا التاليف،، والله يديم جنابه السرى الشريف، ويبوّئه من العز الظل الوريف،، فلقد اولى من الحقوق، ما لا نؤدّى بعضه

a) S. سيدى.

[illegible] عن كلّه، و[illegible]بنا من كلامه دليلا على شرفه وفضله،، ورسالته هذه التى* كانت جوا[illegible]ب كتبته اليه من جملته

يا [illegible] طاير صيت علا | فى الجوّ فاصطاد الشريد الشديد
يا نجل شاهين البديع الحُلَى | تسمّ بالعزّ الطويل المديد
وفزْ بخصْل a السبق بين الملا | وسرْ بنهج للمعالى سديد
وردْ مع الاحباب عذبا حَلا | منتظما من الامانى البديد
وارفلْ على طول المدَى فى مَلا | مسرّة راقت وعزٍّ جديد
والوالد المحروس بالله لا | بعدّة الخلق ولا بالعديد

ومن نثرها سيّدى الذى فى الاجياد من عوارفه اطواق، وفى البلاد من معارفه ما تشهد به الفطرة السليمة والاذواق،، وتشتدّ الى مجده المطنب الذى لا يحطّ b له رواق الاشواق، وتُغْمَر بفوآئده وفرآئده من الآداب الاسواق،، وتنقطع دون نداه السحب السواكب، وتقصر عن مداه فى السموّ الكواكب،، والله سبحانه له واق، المولى الذى القت اليه البلاغة افلاذها، واتخذت البراعة طاعته عِصْمتَها وملاذها،، ان بدا فِرادها، وافذاذها،، وامطرت سمآء افكاره، على كلّ محب اوكاره، طاير فى جوّ او مستقرّ فى اوكاره،، صيّبها c ورذاذها، وفاخرت دمشق بقلاه وحُلاه اقطار البسيطة وبغذاذها،، ومنها ابقاه الله وحقيقة وُعوده ينمقها النجاز، وحقيقة سُعوده لا يطرقها المجاز،، ومنها فانت الذى نفستَ عنّى مخنقا، واصفيت مشربى وكان مرنقا،، وكانتَ بما به اثرت، وما استاثرت،، رمل النقى فلو رآك المامون بن الرشيد، لعَلِم أنّك المتمنى ببيتى الغنآء الذى غنى به والنشيد،،

وإنّى لمشتاق الى قرب صاحب | يروق ويصفو ان كدرتُ لدَيْه
وعذرى من الانسان لا ان جفوتُه | صفا لى ولا ان كنتُ طوعَ يدَيْه

ولم يقل اعطنى هذا الصديق وخذ منّى الخلافه، وانا اقول قد ظفرنا به بحمد الله ولم اجد فى دهره وافق الغرض فلم نر خلافه،، ومنها فهذه يا ابن شاهين ايا ديك البيض، وتفرخ لك الشكر وتبيض،، فلا دليل على ولآئى كأملآئى، ولا شاهد لما فى أحنآئى d كثنآئى،، ولا حجّة على ودادى، كتكرارى ذكرك وتردادى،، وهى طويلة لم

a) S. بخصل. b) Les man. portent يحط. c) S. صبيها. d) Les man. portent اخنآئى.

يحضرنى الآن منها سوى ما ذكرته ولنقتصر من مكاتبات اعيان العصر من اهل دمشق المحروسة على هذا المقدار، ونسأل الله ان يحفظهم جميعا فى الايراد والاصدار، وفى تاريخ ورود هذه المكاتيب الشامية السابقة علىّ، اتفق ورود كتب من المغرب وجّهتها جماعة من اعيانه الىّ، فمن ذلك كتاب كتبه لى الاستاذ المجوّد الاديب الفهامة معلم الملوك سيّدى الشيخ محمد بن يوسف المراكشى التاملى نصّه الحمد لله تعالى، والصلاة والسلام على مولانا محمد تتوالى، من المحب المخلص المشتاق، الى السيّد الذى وقع على محبّته الاتفاق، وطلعت شموس معارفه فى غاية الاشراق، وصار له فى ميدان الكمال حسن الاستباق، الصدر الكامل، والعالم العامل، الفقيه الذى تهتدى الفقهآء بعلمه وعمله، البليغ الذى تقتدى البلغآء ببراعة قلمه، ناشر ألوية المعارف، ومُسْدى انواع العوارف، العلامة امام العصر، بجميع ادوات الحصر، سيدى احمد بن محمد المقرى قدس الله السلف، كما بارك فى الخلف، سلام من النسيم أرَق، وألطف من الزهر اذا عبق، وبعدُ فانّ اخباركم دائما تَرِد علينا، وتصل الينا، بما يسُرّ الخاطر، ويقرّ الناظر، مع كل وارد وصادر، والعبد يحمد الله على ذلك، ويدعو الله بالاجتماع معكم هنالك، ويرحم الله عبدا قال امينا كتبته اليكم ايها السيّد من الحضرة المرّاكشيّة مع كثرة اشواق، لا تسعها اوراق، كتبكم الله فيمن عنده، كما جعلكم ممن اخلص فى موالاة الحق قصدَه، وودّى اليكم *غصّ الحدآئق a، مستنجل فى مطلع الوفا بمنظر رائق، لا يُحيله عن مركز الثبوت عائق، وحقيق بمودّة ارتبطت فى الحق وللحق معاهدُها، وأُسّست على المحبّة فى الله قواعدُها، ان يزيد عقدها على مرّ الايّام شدّه، وعهدها وان شطّ المزار جِدّه، وان تدخر للاخرى عده، وانّى وبعلم الله ممّن b يعتقد محبّتكم وموالاتكم عملا صالحا بقرب من الله ويُزْلف اليه، c وبعلم وزرا يُعوّل فى الآخرة يوم لا ظلّ الّا ظلّه عليه، فانّكم والبيتم فأخلصتم فى الوَلا، وعرفتم الله فقمتم بحقوق الصحبة على الوَلا، معرضين فى تلكم الاخوة عن غرض الدنيا وعرضها، موفين بشروطها d نفلها ومفترضها، الى ان قضى الله بافتراقنا، وحقوقكم المتأكدة دَيْن علينا، والايّام تمطل بقضآئها عنّا، وتوجه الملام الينا، فآونةً اعف واقرع e السنّ على التقصير ندما، وآونة

---

a) S. غصن الحقآئق. b) S. لممن. c) S. ويعتمدها. d) S. بشروط. e) G. L. فاقرع.

تستنيم الى فضلهم [illegible] وفى اثناء هذا لا يخطر بالبال حق لكم سابق ، الا وقد كرّ عليه [illegible]ه لاحق ،، حتى وقفتُ موقفَ العجز ، وضاقت علىّ العبارة عن حقيقة مقامكم فى النفس فكدت لا اتكلم الا بالرمز ،، اجلالا لحقكم الرفيع ، واشفاقا من التقصير البطيع ،، وقد كنت كتبت اعزّكم الله اليكم قبل هذا بكتب اربعة او خمسة فيها عجالة قصائد كالعصائد ، لا كالثريد من الكلام ككلامكم السّلس الكثير الفوائد ،، فعذرا فمن كان أخرس من سمكه ، وأشدّ تخبّطا من طائر فى شبكه ،، فما عرفت اوصل شىء من ذلك ، ام حصل فى ايدى المعاطب والمهالك ،، وما رايت غير رجُل من صعاليك الحجاج التقيت به يوما بالحضرة المراكشية فقال لى الشيخ الامام المقرى يسأل عنك وقد ارسل معى كتابا اليك فوقع فى البحر مع جملة ما وقع فقلت له لا غرابة فى ذلك فقد رجع الى اصله ومن ظلمة البحار تستخرج الدرر ، وقد جآنى كتاب من بعض الاخلا الصديقين وهو الحاج الصالح السيد ابو بكر من مكة شرفها الله وذكر لى فيه ايضا انه متّعه الله بلقآئكم واخبرنى بسؤالكم عنى كثيرا والى الان يا نعم السيّد انما عرفته بما كتبته لسيادتكم تعريف تذكر لا تعريف منّه ، فانصفونا فى الحكم عليكم فى عدم الجواب بما الفته الادبآء شريعة وسنّة ،، وبالجملة ففؤادى لمجدكم صحيح لا سقيم ، واعتقادى بودّكم منتج غير عقيم ،، والله تعـ يجعل الحبّ فى ذاته الكريمه ، ويقضى عن المحبّة دَين المحبّة فيوفى كلّ غريم غريمه ،، ويصلكم ان شآء الله تعـ هذا المرقوم ، وبه سؤال منظوم ،، لتتفضلوا بالجواب عنه بعد حمد الله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله صلعم

الى المقرىّ الحبر صدر الائمّة   من المخلص الوداد ازكى تحيّت
فذلك يا صدر الصدور عجالة   لتسمح a بالجواب عمّا اكنّت
فتى قد راى عند العذارى b فتيّة   محرّمة عند الزوال فحلّت
وعادت حراما عند عصر فعند ما   عشآء اتى عادت حلالا تجلّت
وفى صبح ثانى اليوم عادت محرّما   وزالت زوالا منه فى غير مُريت
وفى ظهره حلّت وطابت قريرة   وفى عصره محرّما قد تبدّت
وعند العشآء بالضرورة حلّلت   وذلك بعد غرم مال كفديَت c

a) G. L. O. تسمح. b) Les manuscrits portent عذالى. c) S. لفدية.

وفى صبحه عادت حراما ترى به ... بروق سيوف لامعات بسُنّت
وكان يضيق حسرة وتأسّفا ... وحلّت له وقت العشآء وتمّت
وعن أمة ايضا يموت سريّها ... قد اولدها فى ملكه بعد وطأت
وعادت لمملوك السرىّ حليلةً ... بعقد نكاح بعد من غير شبهت
فجآت ببنت هل لها مَن تزوّج ... بنجل السرىّ بيّنوا لى قصّتى
فانّ السيورى مانع من تزوّج ... له بابنة منها بتلك القضيّت
وما الفرق بينها وبين التى اتى ... بها ابن ابى زيد باوضح حجّت
وعن مشتر مملوكة غير محرَم ... ومسلمة شرأً صحيحا بشرعت
وليس بملكه له وطأها يرى ... جوازا على التابيد يا خير جلّت
وما طالق من عدة خرجت ولا ... يجوز على التابيد فى خير ملّت
نكاح لها من واحد ومطلّق ... لها غير معصوم ترى فى الشريعت
وتمّت بحمد الله مبديه لكم ... سلاما كما ابدته فى صدر طلعت

وتقرير السؤال الثانى أمة اولدها سيدها فصارت حرّة فمات عنها السيّد ثم تزوّجها عبد سيّدها فاتت ببنت أمّا لولد سيّدها أن يتزوّج هذه البنت فانّ الرجل له أن يتزوّج بنت زوجة ابيه من رجل غيره وهذه سُرّية ابيه فانّ الامام السيُورى يمنع هذه المسئلة وما الفرق بينهما وتصلكم ايضا ان شآء الله تعٓ عجالة رجزيّه، فى مآثركم السنيّه، ضمّنتُها اشطارا من الالفيّه،، فتفضلو بالاغضاء[a]، وحسن الدعاء،، أن يجمع الله شملنا بكم فى تلك الاماكن المشرفة ثم المامول من سيّدنا ومولانا أن يتفضّل علينا بكتاب طبقات القُرّآء للامام الحافظ الدانى اذ ليس عندنا منه نسخة، وأمّا تأليفكم الكثير الفوآئد المسمّى بأزهار الرياض فى أخبار عياض، وما يناسبها ممّا يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض،، فقد انتشر بهذه الاقطار المرّاكشية وانتسخت منه نسخ عديدة من نسخة المرحوم سيّدى احمد بن عبد العزيز بن الولى سيدى ابى عمر وكسا الله تاليفكم المذكور جلباب القلوب فما رآه احد الا نسخه وعندى النسخة التى كتبها بخطّه السيّد احمد المذكور بخط حسن وعلى هامشها فى بعض الاماكن خطّكم الرآئق، وبعض التنبيهات من كلامكم الفائق،، واعلمونا بتأليفكم الذى سمّيتموه

a) G. L. O. بالاعصا.

قطف المهتصر، من افنان المختصر،، هل خرج من المبيضة ام لا وودنا لو اتصلنا منه بنسخة وقد اشتاق فقهآء هذا الاقليم اليه غاية كالفقيه قاضى القضاة محبكم سيدى عيسى وغيره من اخلآء خليل، فى كل محفل جليل،، الى ان قال وانا اتمثل بكلام مولانا على كرم الله وجهه حيث يقول تبركا به

رضيت بما قسم الله لى وفوضت امرى الى خالقى
كما احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقى

ولى حفظكم الله تخميس على البيتين وذلك انه نزلت بى شدة لا يمكن الخلاص منها عادة فما فرغت من تخميسهما الا وجآء الفرج فى الحين ونصه

اذا ازمة نزلت قبلى وضقت وضاعت بها حيلى
تذكرت بيت الامام على رضيت بما قسم الله لى
وفوضت امرى الى خالقى لان الاله اللطيف قضى
على خلقه حكمه المرتضى فسلم وقل قول من فوضا
٥ كما احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقى

فعذرا اعزكم الله ونفع باخآئكم عن اغباب المراسلة بالمكاتبة عذرا، وصبرا على بعد اللقآء صبرا،، فان يقدر فى هذه الدار نلنا فيها ما نتمنى، والا فلن نعدم بفضل الله جزآء الحسنى،، ولقآء لا يبيد ولا يغنى مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين، والشهدآء والصالحين،، وحسن اولئك رفيقا، ايقانا بالوعد وتحقيقا،، فمن اوجب له محبته، ادخله جنته،، واحضره مأدبته، وكمل له امنيته،، جعلنا الله من المتحابين فى جلاله، بكرمه وافضاله،، وكتب محبكم ومعظمكم، الواصل حبل وده بودكم،، المشرف لعهدكم، المنوه بفخركم ومجدكم،، العبد الحقير الفقير، المشفق على نفسه من التقصير، والذنب الكبير،، محمد بن يوسف التاملى غفر الله ذنبه، وستر عيبه،، وجبر قلبه، وجمعه بما احبه،، بالنبى صلعم فى عاشورآء المحرم فاتح ثمانية وثلاثين والف انتهى، وصحبة هذا المكتوب ورقة نصها بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

لله در العالم الجيانى كأنما ينظر بالعيان
للمقرى العالم المفضال منظرا باحسن المثال
وعالم باننى من بعده اشير فى نظامنا لقصده

وها انا بالله آستعينُ — مضمّنا وربّنا المعينُ

بالشطر من الفية ابن مالكْ — ايّدنا الله لنسج ذلكْ

قال محمد عبيد المالكْ — وسالك الاحسن من مسالكْ

نشير بالتضمين للنحريرِ — ألمقّرىّ الفاضل الشهير

ذاك الامام ذو العلآء والهممْ — كعلَم الاشخاص لفظا وهو عَمْ

فلن نرى a فى علمه مثيلا — مستوجبا ثنآئىَ الجميلا

ومدحه عندىَ لازم اتى — فى النظم والنثر الصحيح مثبَتا b

أوصافُ سيّدى بهذا الرجزِ — تُقرّب الاقصَى بلفظ موجَزِ

فهو الذى له المعانى تعتَزِى — وتبسط البَذل بوعد منجَزِ

رتبتُه فوق العُلى يا من فهِمْ — كلامُنا لفظٌ مفيدٌ كآستقمْ

وكم افاد دهرَه من تُحَفِ — مبدى تأوّلٍ بلا تكلُّفِ

لقد رقى على المقام الطاهرِ c — كطاهر القلب جميلِ الظاهرِ

وفضله للط يبن وُجدا — على الذى فى رفعه قد عُهِدا

قد حصّل العلم وحرّر السِيَرْ — وما بالّا وبانّما انحصرْ

فى كلّ فنّ ماهر صِفْه ولا — يكون الّا غاية الذى تلا

سيرَتُه جرتْ على نهج الهدى — ولا يلى الّا اختيارا ابدا

وعلمُه وفضله لا ينكرُ — ممّا d به عنه مبينا يُخبَرُ

يقول دائما بصدر انشرحْ — اعرفْ بنا فاننا نلنا المنَحْ

بقول مرحبًا لقاصديه مَن — يصلْ الينا يستعن بنا يُعَنْ

صَدِّق مقالاتى وكن متبعا — ولم يكن تصريفه ممتنعا

وانهض اليه فهو بالمشاعدةْ — الخبرُ الجزء المتمّ الفائدةْ

وآلزمْ جنابَه وايّاك الملَلْ — ان يستطل وصل وان لم يستطلْ

وآقصد جنابَه ترى مآثره — والله يقضى بهبات وافره

وانسبْ له فانه ابن معطى — ويقتضى رضًا بغير سخطِ

وآجعلْه نصب العين والقلب ولا — تعدلْ به فهو يضاهى المثلا

a) G. O. S. ترى. b) L. ثبتنا ; S. اثبتا. c) O. الظاهر. d) O. فما.

قد طالما أفاده علم مالك   أحمد ربّى الله خير مالك
وحاسد له ومبغض زمن   وهالك ومَيّت به قَمِن
وليس يشفى مبغض له أعل   معيّنا فى مثل هراوة جعل
يقول عبد ربّه محمدُ   فى نحو خير القول انّى احمدُ
وهو بدهره عظيم الامل   مروّع القلب قليل الحيَل
فادع له وسادة قد حضروا   وافعل اوافق تغتبط a ان تشكر
واجبره بالدعا عساه يغتنم   فجبره وفتح عينه التزم
انشدتُ فيكم ذا وقال قائلُ   فى نحو نعم ما يقول الفاضلُ
أدعو لكم بالستر فى كلّ زمن   لكونه بمضمر الرفع اقترن
مآثر لكم كثيرة سِوَى   ما مرّ فاقبل منه ما عدل رَوَى
قد انتهى تعريف ذا المعرف   وذو تمام ما برفع يكتفى
لانه ناج الائمة الأوّل   وما بجمعه عنيت قد كمل
فالله يبقيكم لدينا وكفى   مصلّيا على الرسول المصطفى
تترى عليه دائما منعطفا   وآله المستكملين الشرفا

انتهى، ومن ذلك ما كتبه لى بعض الاصحاب ممن كان يقرأ علىّ بالمغرب وصورته سيّدنا وسيّد اهل الاسلام، حامل رأية علوم الامّة الاحمديّة على صاحبها الصلاة والسلام،، آية الله فى المعانى والمعالى، وحسنة الايام والليالى، وواسطة عقود الجواهر واللآلى،، امامُ مذهب مالك والاشعرى والبخارى والواقدى والخليل، العلامة القدوة السيّد الكبير الشهير الجليل،، ذو الاخلاق، العذبة المذاق، والشمائل المفصحة عن طيب الاصول والاعراق،، كبير زمانه دون منازع، وعالم اوانه من غير منكر ولا مدافع،، شيخنا ومعلّمنا ومفيدنا وحبيب قلوبنا مولانا شيخ الشيوخ ابو العباس احمد بن محمد المقّرى المغربى التلمسانى نزيل فاس ثم الديار المصريّة حفظه الله فى مواطن استقراره، ورفع درجته باشادة فخاره على مناره،، عن شوق يودّ له الكاتب ان لو كان فى طىّ كتابه، وتوق الى مشاهدتكم هو الغاية فى بابه،، بعد اهدآء السلام المحفوف بأنواع التحيّات والكرامات والبركات، الدائم ما دامت فى الوجود السكنات والحركات،،

a) G. L. O. تغتبط.

لمقامكم الاكبر، ومحفلكم الاشهر،، ومَن تعلق بأذيالكم، او كان مستمطرا لنوالكم، او ضبّت عليه شآبيب افضالكم،، من اهل ومحبّ وصاحب وخديم، هذا وانه ينهى الى الوداد القديم،، ان اهل المغرب الادنى والاقصى حاضرة وبادية كلهم يتفكهون بل يتقوتون بذكركم، ويشتاقون لرؤية وجوهكم، ويتلذذون بطيب اخباركم،، وان كان المغرب الآن فى تفاقم احوال، وتراكم اهوال،، فى الغاية مدآئن وبوادى سيّما مدينة فاس، فانّها فى شرّ عظيم واميرها مولاى عبد الملك مات فى السنة السابعة والثلاثين بل فى ذى الحجّة قبلها وفى المحرّم من سنة ٣٧ توفى ملك المغرب السلطان ابو المعالى زيدان وبويع من بعده ابنه مولاى عبد الملك وتقاتل مع اخويه الاميرين الوليد واحمد وهزمهما والى الله عاقبة الامور واهل داركم بفاس بخير وعافية، ونعم ضافية،، سوى ما ادركهم من طول الغيبة، نسأل الله ان يملأ بقدومكم العيبة،، ومحبّكم الاكبر، ووليّكم الاصغر،، سيّد اهل المغرب اليوم وشيخ الطريقة، والمُزْنى a فى سلوك اهل الحقيقة،، العارف بالله الشيخ الربّانى ذو الكرامات والمقامات سيّدى محمد بن ابى بكر الدلآئىّ يحبّكم، ويعظم قدركم،، ولسانُه لكم ذاكر، ناشر شاكر،، وهو على خير وقد اجتمعت على من بركتكم فى مدينة سلا جماعة من طلاب العلم وفتح الله علىّ بتآليف عديدة منها كفاية الطالب النبيل، فى حلّ ألفاظ مختصر خليل،، ومنها شرح على المنهج المنتخب للزقاق فى قواعد مالك، ومنظومة فى اكثر من الف بيت فى السيرِ والشمآئل، ومنها فى رجال البخارى ولا كنسخ b الكلاباذى، ومنها خطب وغير ذلك والكل من بركتكم ونسبته اليكم فى صحيفتكم والسلام من ولدكم المقرّ بفضلكم ترابَ نعالكم على بن عبد الواحد الانصارى عن قلق لطف الله به وحاماه كبير كبرآء قومه ممّن يحبّكم ويعرفكم وما تفعلوا معه من خير فلن تُكفَروه والسلام انتهى، ومنها كتاب وافانى من عالم قسمطينة وصالحها وكبيرها ومفتيها سُلالة العلمآء الاكابر، وارث المجد كابرا عن كابر،، المؤلف العلامة سيّدى الشيخ عبد الكريم الفكّون c حفظه الله ونصّه بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على d من انزل عليه وَاِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ e، وآله وصحبه وسلم افضل التسليم،،

a) L. المربى. b) Telle est la leçon de L.; les autres man. portent كنسج. c) S. العكون.
d) S. ajoute سيّدنا محمد. e) Voyez Sour. 68, vs. 4.

من مدنّس الازار، المتسربل بسرابيل الخطايا والاوزار،، الراجى للتنصّل منه رحمة العزيز الغفار،، عبد الله سبحانه عبد الكريم ابن محمد الفكون اصلح الله بالتقوى حالَه، وبلغه من متابعة السنّة المصطفية آماله،، الى الشيخ الشهير الصدر النحرير ذى الفهم الثاقب والحفظ العزيز الاحبّ فى الله المواخى من اجله سيّدى ابو العبّاس احمد المقّرى احمد الله عاقبتى وعاقبته، واسبل على الجميع عافيته،، امّا بعد فانى احمد الله اليك وأُصلّى على نبيّه سيّدنا محمد ولا زايد الّا صالح الدعآء وطلبه منكم فانّى احوج الناس اليه، واشدّهم فى ظنّى الحاحا عليه،، لما تحققت من احوال نفسى الامّاره، واستبطنت من دُخَيلاتها المثابرة على حبّ الدنيا الغرّاره،، كأنّها عميت عن الاهوال، التى اشابت رءوس الأطفال، وقطعت اعناق كمل الرجال،، فتراها فى لحج[a] هواها خائضه، وفى ميدان شهواتها راكضه،، طغت فى غيّها وما لانت، واجمحت فما انقادت ولا استقامت،، فويلى ثم ويلى من يوم تبرز فيه القبآئح، وتنشر فيه الفضآئح،، ومنادى العدل قائم بين العالمين، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ[b] اتينا بها وكفى بنا حاسبين،، فالله اسأل حسن الالطاف، والستر عمّا ارتكبناه من التعدّى والاسراف،، وان يجعلنا من اهل الحمَى العظيم، وممن يحشر تحت لوآء خلاصته الكريم، سيّدنا ومولانا وشفيعنا النبىّ الرؤوف الرحيم،، ولنكف من القلم عنانه، لما ارجو من اجله ثواب الله سبحانه،، وقد اتصل بيدى جوابكم، اطال الله فى القلم بقاءكم،، فرايت من عذوبة ألفاظكم، وبلاغة خطابكم،، ما يذهل من العلمآء فحولها، ونبيلها لدى الجثو لسماعه سؤلها ومامولها،، بيد ما فيه من اوصاف مَن امره قاصر، وعن الطاعة والاجتهاد فاتر،، واصدق قولٍ فيه عنده مخبره ومرآه، أن تسمع بالمعَيْدى خير مِن أن تراه،، لكن يجازيكم المولى بحسن النيّه، البلوغ فى بحبوحة الجنان غاية الامنيّه،، وقد ذيّلتم ذلك بابيات انا اقلّ من ان أُوصَف بمثلها، على انى غير فاتم بغرضها ونقلها،، فالله تعَ يمدّكم بمعونته، ويجعلكم من اهل مناجاته فى حضرته، ويسقينا من كاسات القرب ما نتمتع منه بلذيذ منادمته،، وقد ساعد البنانُ الجنان، فى اجابتكم بوزنها وقافيتها والعذر الى اننى لست من اهل هذا الشان، والاعتراف بانى جبان واىّ جبان،، والكمال لكم فى الرضى والقبول، والكريم[c] يغضى عن عورات

a) G. الحجج ; L. لحج. b) Voyez Sour. 21, vs. 48. c) S. العلم

الاحمق والمجهول،، وظننا لكم حققه الله ان نجعل على منظومتكم الكلاميّة يعنى اضاءة الدجنّة تقييدا، ارجو من الله توفيقا وتسديدا،، بحسب قدرى لا على قدركم، وعلى مثل فكرى القاصر لا على عظيم فكركم a،، وان ساعد الاوان، وقضى بتيسيره ربّ الزمان،، فاتى به ان شآء الله الاجلّ معى لاننى بالاشواق، الى حضرة راكب البُراق، ومخترق السبع الطباق،، وكنت عازما على ان ابعث لكم من الابيات اكثر من الواقع الّا أنّ الرفقة اعجلت وصادفتنى ايام موت قعيدة البيت فلم يتيسّر عاجلا الا ما ذكر عاجلا وعلى الله قصد السبيل، وهو حسبى ونعم الوكيل،،

يا نخبة الدهر فى الدرايه   علما تعاضده الروايه
لا زلتَ بحرا بكلّ فنّ   يروى به الطالبون غايه
لقد تصدّرت فى المعالى   كما تعاليت فى العنايه
من فيك تستنظم b المعانى   بلغت فى حسنها النهايه
رقاك مولاك كلّ مرقى   تحوى به القرب والولايه
اعجوبة ما لها نظير   فى الحفظ والفهم والهدايه
يا احمد المقّرىّ دامت   بشراك تصحبها الرعايه
بجاه خير العباد طرّا   والآل والصحب والنقايه
* صلاة ربّى عليه تترى c   يكفى بها الشرّ والغوايه

واختم كتابى بالصلاة والسلام على سيّدنا رسول الله صلّعم وكتب بغاية عجلة يوم السبت سابع او ثامن رجب من عام ١٠٣٨ للهجرة على صاحبها افضل الصلاة والسلام انتهى، والمذكور عالم الغرب الاوسط غير مدافع، وله سلف علمآء ذوو شهرة ولهم فى الادب الباع المديد غير أنّ المذكور مايلا الى التصوّف ونعم ما فعل تقبّل الله عملى وعمله، وبلّغ كلّا منا امله،، ولأشهر اسلافه العلامة الشيخ حسن بن على بن عمر الفكون القسطينى احد اشياخ العبدرى صاحب الرحلة قصيدة مشهورة عند العلمآء بالمغرب وهى من درّ النظام، وحرّ الكلام،، وقد ضمنها ذكر البلاد التى رآها فى ارتحاله من قسطينة الى مراكش واوّلها *

ألا قُلْ للسرىّ بن السرىّ   ابى البدر الجواد الأرْيَحىّ

a) G. L. O. قدركم. b) G. S. تنتظم. c) G. S. صلى الاله عليه تترى.

ومنها

وكنت اظنّ أنّ الناس طرّا … سوى زيد وعمرو غير شيِّ
فلمّا جئت ببلةَ خير دار … امالتنى بكلّ رَشا أبيِّ
وكم اورتْ ظباءٓ بنى ورارِ … اوارَ الشوق بالريق الشهيِّ
وجئتُ بجايةً فجلتْ بدورا … يضيق بوصفها حرف الرويِّ
وفى ارض الجزآئر هام قلبى … بمعسول المراشف كوثريِّ
وفى مليانة قد ذبتُ شوقا … بلين العطف والقلب القسيِّ
وفى تُنس نسيت جميل صبرى … وهمت بكلّ ذى وجه وضيِّ[a]
وفى مازونة ما زلتُ صَبّا … بوَسْنان المحاجر لَوْذعيِّ
وفى وَهْران قد امسيت رهنا … بظامى الخصر ذى ردف روىّ
وابدت لى تلمسان بدورا … جلبن الشوق للقلب الخلىّ
ولما جئت وجدة همت وجدا … بمنخنث المعاطف معنوىّ
وحلّ رشا الرباط رشا رباطى … وتيّمنى بطرف بابلىِّ
واطلع قطر فاس لى شموسا … مغاربهنّ فى قلب الشجىِّ
وما مكناسة الا كناس … لأحْوى الطرف ذى حسنٍ سنىِّ
وان تسأل عن أرض سلا ففيها … ظباءٓ كاسرات للكمىِّ
وفى مراكش يا ويح قلبى … اتى الوادى فطمّ على القُرىِّ[b]
بدور بل شموس بل صباح … بهىّ فى بَهىّ فى بُهىِّ
ابحن مصارعَ العشاق لمّا … سعين به فكم مَيْت وحىِّ
بقامة كلّ أسْمر سمهرىّ … ومقلة كلّ ابيضَ مشرفىِّ
اذا أنسيننى حسننا فانّى … أُنَسّيهم هوَى غيلان مَىِّ
فها انا قد تخذت الغرب دارا … وأُدعَى اليوم بالمرّاكشىِّ
على أنّ اشتياقى نحو زيد … كشوقك نحو عمرو بالسوىّ
تقسّمنى الهوى شرقا وغربا … فيا للمشرقىّ المغربىِّ
فلى قلب بارض الشرق عانٍ … وجسم حلّ بالغرب القصىِّ
فهذا بالغدوّ يهيم غربا … وذاك يهيم شرقا بالعشىِّ

a) O. رضىّ. b) = القرى.

ولولا الله منّ هوى وشوقا وكم لله من لطف خفيّ

وقد خرجنا بالاستطراد الى الطول وذلك منّا استرسال مع جاذب الادب فلنمسك العنان، والله المستعان ،، وما عددناه من القصائد والمقطعات فى مدح دمشق الشام فهو غيض من فيض وفى نيّتى ان اجمع فى ذلك كتابا حافلا اسمّيه نشق عرف دمشق او مشق قلم المدح لدمشق ولسان حالى الآن ينشد قول بعض الاكابر

نحن فى مصر رهنُ شوق اليكم هل لديكم بالشام شوق الينا
فعجزنا عن ان تروفا لديكم وابيتم عن ان نراكم لدينا
حفظ الله عهدَ مَن حفظ العهد ووفّى به كما قد وفينا

وقول ابن الصايغ ودِدتُّ لو انّ عينى مكان كتبى اليكم
حتى اراكم واملى اخبارَ شوقى عليكم

رجع الى ابن جُبَير رحمه الله ومن شعره قوله

اِيّاك والشهوةَ فى ملبس وٱلبسْ من الاثواب أَسْمالها
تواضُع الانسان فى نفسه أشرَف للنفس وأَسْمى لها

وقال تنزّهْ عن العوراء مهمى سمعتَها صيانةَ نفس فهو بالحُرّ اشبهُ
اذا انت جاوبتَ السفيه مشاتما فمَن يتلقّى الشتم بالشتم اسفَهُ

وقال a اقول وقد حان الوداع واسلمتْ قلوب الى حكم الاسى ومدامعُ
ايا ربّ اهلى فى يديك وديعة وما عدمت صونا لديك الودآئعُ

وقال ابو عبد الله ابن الحاج المعروف بمدغليس صاحب الموشحات يمدح ابن جبير المذكور

لابى الحسين مكارم لو أنّها عُدّتْ لَما فرغت ليوم المحشرِ
وله علىّ فضآئل قد قصّرت عن بعض نعمها عظامُ الابحرِ .

وقال ابن جُبَير من قصيدة مطلعها

يا وفود الله فزتم بالمنى . فهنيئا لكمُ اهلَ مِنَى
قد عرفنا عرفات بعدكم فلهذا برّح الشوقُ بنا
نحن فى الغرب ويجرى ذكركم بغروب الدمع يجرى فُتّنا

a) Ces vers ne se trouvent que dans le man. S.

ومنها

فيناديه على شحط النوى من لنا يوما فقلت ملّنا

سر بنا يا حادى الركب عسى أن تلاقى يوم جمع سرّ بنا

ما دعا داعى النوى لمّا دعا غير صبّ شقّه برح العنا

شم لنا البرق اذا لاح وقل جمّع الله بجمع شملنا

علّنا نلقى خيالا منكم بلذيذ الذكر وهنا علّنا

لو حنا الدهر علينا لقضى باجتماع بكم بالمنحنى

لاح برق موهنا من نحوكم فلعمرى ما هنا العيش هنا

انتم الاحباب نشكو بعدكم هل شكوتم بعدنا من بعدنا

وله رحمه قصيدة مطوّلة

لعلّ بشير الرضى والقبول يعلّل بالوصل قلبَ الخليل

وله اخرى انشدها عند استقباله المدينة المشرفة على صاحبها الصلاة واتمّ السلام وهى ٣٣ بيتا من الغرّ اوّلها

اقول وآنست بالليل نارا لعلّ سراج الهدى قد انارا

والّا فما بال افق الدجى كأنّ سنى البرق فيه استطارا

ونحن من الليل فى حندس فما باله قد تجلّى نهارا

وكان ابو الحسين ابن جبير المترجم به قد نال بالادب دنيا عريضة ثم رفضها وزهد فيها، وقال صاحب الملتمس فى حقّه الفقيه الكاتب ابو الحسين ابن جبير ممن لقيتُه وجالستُه كثيرا ورويت عنه واصله من شاطبة وكان ابوه ابو جعفر من كُتّابها ورؤسائها ذكره ابن *a* اليسع فى تاريخه ونشأ ابو الحسين على طريقة ابيه وتولّع بغرناطة فسكن بها، قال وممّا انشدنيه لنفسه قوله يخاطب ابا عمران الزاهد باشبيلية

ابا عمران قد خلفت قلبى لديك وانت اهل للوديعة

صحبت بك الزمان اخا وفاء فها هو قد تنمّر للقطيعة

قال وكان من اهل المروءات عاشقا فى قضاء الحوائج والسعى فى حقوق الاخوان والمبادرة لائتناس الغرباء وفى ذلك يقول

يحسب النّاس بأنّى متعب فى الشفاعات وتكليف الورى

a) Les manuscrits portent ابو.

والذى يُتعبهم من ذاك لى   راحة فى غيرها لن اكرا
وبوُدّى لو اقضّى العمرَ فى   خدمة الطُّلاب حتى فى الكرَى

قال ومن ابدع ما انشده رحمه اول رحلته

طال شوقى الى بقاع ثلاث   لا تُشَدّ الرحال الّا اليها
انّ للنفس فى سمآء الامانى   طايرا لا يحوم الّا عليها
قصّ منه الجناح فهو مَهيض   كلّ يوم يرجو الوقوع لديها

وقال   اذا بلغ العبدُ ارض الحجازْ   فقد نال افضل ما امّ لَهْ
فان زار قبر نبىّ الهدَى   فقد اكمل الله ما امّلَهْ

وعاد رحمه الى الاندلس بعد رحلته الاولى التى حلّ فيها دمشق والموصل وبغداد وركب الى المغرب من عكّا مع الافرنج فعطب فى خليج صقلية الضيق وقاسى شدائد الى ان وصل الاندلس سنة ٥٨١ ثم اعاد المسير الى المشرق بعد مُدّة الى ان مات بالاسكندريّة كما تقدّم، ومن شعره ايضا

لى صديق خسرت فيه ودادى   حين صارت سلامتى منه رِبْحا
حَسَن القول سىّء الفعل كالجَـــزّار سَمّى واتبع القول ذبحا

وحدّث رحمه بكتاب الشفآء عن ابى عبد الله محمد بن عيسى التميمى عن القاضى عياض ولمّا قدم مصر سمع منه الحافظان ابو محمد المنذرى وابو الحسين يحيى ابن على القرشىّ، وتوفى ابن جبير بالاسكندرية يوم الاربعاء *السابع والعشرين [a] من شعبان سنة ٦١٤ والدعآء عند قبره مستجاب قاله ابن الرقيق رحمه، وقال ابن الرقيق فى السنة بعدها، وقال ابو الربيع ابن سالم انشدنى ابو محمد عبد الله بن التميمى البجائى ويعرف بابن الخطيب لابى الحسين ابن جبير وقال وهو ممّا كتب به الىّ من الديار المصريّة فى رحلته الاخيرة لمّا بلغه ولايتى قضآء سبتة وكان ابو الحسين سكنها قبل ذلك وتوفّيت هنالك زوجته بنت ابى جعفر الوَقَّشى فدفنها بها

بسبتة لى سكنٌ فى الثرى   وخلّ كريم اليها اتى
فلو استطيع ركبتُ الهوى   فزرتُ بها الحىَّ والميّتا

a) S. ٣٨٠.

وانشد ابن جُبير رحمه لنفسه عند صدوره عن الرحلة الاولى الى غرناطة وفى طريقها قوله

لى نحو ارض المنى من شرق اندلس   شوق يؤلّف بين المآء والقبس   الخ

ومن شعره قوله   يا خيرَ مولى دعاه عبدٌ   اعمل فى الباطل اجتهادَهْ
هَبْ لِىَ ما قد علمتَ منّى   يا عالمَ الغيب والشهادهْ

وقال رحمه   وانّى لأُوثر من اصطفى   واغضى على زلّة العاثر
واهوى الزيارة ممّن احبّ   لاعتقد الفضل للزائر

وقال رحمه   عجبتُ للمرء فى دنياه تُطْمعه   فى العيش والاجل المحتوم يقطعه
يمسى ويُصْبح فى عشوآء يخبطها   أَعْمَى البصيرة والآمال تخدَعُه
يغترّ بالدهر مسرورا a بصحبته   وقد تيقّن أنّ الدهر يصرعه
ويجمع المال حِرْصا لا يفارقه   وقد درى انّه للغير يجمعه
تراه يشفق من تضييع درهمه   وليس يشفق من دين يضيّعه
وأَسْوَءُ الناس تدبيرا لعاقبة   مَن انفق العُمر فيما ليس ينفعه

وقال   صبرتُ على غدر الزمان وجعده   وشاب لِىَ السّمّ الذُّعاف بشهده
وجرّبتُ اخوان الزمان فلم اجدْ   صديقا جميل الغيب فى حال بُعْده
وكم صاحب عاشرتُه والفته   فما دام لى يوما على حسن عهده
وكم غرّنى تحسينُ ظنّى به فلم   يضئ لى على طول اقتداحى لزنده
واغربُ من عنقآء فى الدهر مُغْرِبٍ   اخو ثقة يسقيك صافى وُدّه
بنفسك صادمْ كلّ امرٍ تريده   فليس مضآء السيف الّا بحدّه
وعَزْمَك جَرِّدْ عند كلّ مهمّة   فما نافع مُكثُ الحسام بغمده
وشاهدتُ فى الاسفار كلّ عجيبة   فلم أَرَ من قد نال جدّا بجدّه
فكُنْ ذا اقتصاد فى امورك كلّها   فأحسنُ احوال الفتى حُسنُ قصده
وما يُحْرَم الانسان رزقا لعجزه   كما لا ينال الرزق يوما بكدّه
حظوظ الفتى من شقوة وسعادة   جرتْ بقضآء لا سبيل لردّه

وقال رحمه   الناسُ مثل ظروف حشوُها صَبِرٌ   وفوق افواهها شىء من العَسَلِ
تغرّ ذائقها حتى اذا كُشفتْ   له تبيّن ما تحويه من دَخَلِ

a) S. مغرورا.   b) S. وحقده.

وقال رحمه تغيّر اخوانُ هذا الزمانْ وكلُّ صديق عراه الخَلَلْ
وكانوا قديما على صحّة فقد داخلتْهم حروف العلَلْ
قضيتُ التعجّب من امرهم فصرتُ اطالع بابَ البَدَلْ

وقد تقدّم بيتان من هذه الثلاثة على وجه آخر اول ترجمة المذكور ورايت بخطّ ابن سعيد البيتين على وجه اخر وهو قوله

ثكلتُ اخلّاء هذا الزمان فعندىَ ممّا جنوه خللْ
قضيت التعجّب من شانهم فصرت اطالع باب البدلْ

انتهى. ولابن جُبَير رحمه

من الله فاسْأَلْ كلَّ امرٍ تريده فما يملك الانسان نفعا ولا ضرّا
ولا تتواضعْ للولاة فانّهم من الكبر فى حال تموج بهم سُكرا
وايّاك ان ترضى بتقبيل راحة فقد قيل عنها انها السجدة الصغرا

وهو نحو قول القائل a

ايّها المستطيل بالبغى أَقْصِرْ ربّما طأطأ الزمان الرؤوسا
وتذكَّرْ قول الاله تعالى انّ قارون كان من قوم موسى b

وقال وقد شهد العيد بطَنْدَتة من قرى مصر

شهدْنا صلاة العيد فى ارض غربة بأحواز مصر والاحبّة قد بانوا
فقلت لخلّى فى النوى جُدْ بمَدْمع فليس لنا الّا المدامعُ قربانُ

وقال ابن جُبَير قد احدث الناسُ امورا فلا تعملْ بها انّى آمرؤ ناصحُ
فما جماع الخير الّا الذى كان عليه السَّلَفُ الصالحُ

وقال ربِّ ان لم تؤتنى سعةً فأطوِ عنّى فضلة العُمُرِ
لا احبُّ اللبث فى زمن حاجتى فيه الى البَشَرِ
فهم كسر ما هُمُ جَبْر لمنكسر

ولمّا وصل ابن جبير رحه مكة ١٣ c ربيع الآخر سنة ٥٧٩ انشد قصيدته التى اوّلها

بلغتَ المنى وحللتَ الحرمْ فعاد شبابك بعد الهرمْ

a) S. ajoute: قُلْ لنصر والمرء فى دولة السلطان اعمى ما دام يدعى اميرا فاذا زالت الولاية عنه واستوى والرجال عاد بصيرا وقال ابن جبير
b) Voyez Sour. 28, vs. 76. c) S. ١٢.

فأهلا بمكّة اهلا بها   وشكرا لمَن شكرُه يلتزمْ

وهى طويلة وسيأتى بعضها، وقال رحمه عند تحرّكه للرحلة الحجازيّة

إقولُ وقد دعا للخير داعٍ   حننتُ له حنينَ المستهامِ
حرام أن يلذّ لِيَ اغتماض   ولم ارحل الى البيت الحرام
ولا طافت بِيَ الآمال ان لم   أطُفْ ما بين زَمْزَم والمقام
ولا طابت حياة لى اذا لم   أزُرْ فى طيبةٍ خيرَ الأنامِ
وأُهْدِيه السلام وأقتضيه   رضًى يُدْنى[a] الى دار السلامِ

وقال رحمه   هنيئًا لمَن حجّ بيت الهُدَى   وحطّ عن النفس اوزارها
وإنّ ا   ادة   سمونة[b]   لمن حجّ طيبة اوزارها

ولنختم ترجمته بقوله

احبّ النبىّ المصطفى وابن عمّه   عليّا وسِبْطَيْه وفاطمة الزّهْرا
همُ اهل بيت اذهب الرجس عنهم   واطلعهم افقُ الهدى انجما زهرا
موالاتُهم فرض على كلّ مسلم   وحبّهم أسْنى الذخائر للاخرى
وما انا للصحب الكرام بمبغض   فانّى أرى البغضآء فى حقّهم كفرا
همُ جاهدوا فى الله حقّ جهاده   وهم نصروا دين الهُدى بالظُّبى نصرا
عليهم سلامُ اللهِ ما دام ذكرهم   لدى الملأِ الاعلى وأكرِمْ به ذكرا

وقوله فى آخر الميميّة

فيومَ التنادى به يُعتصَمْ
عسى أن تَجاب لنا دعوة   لديه فنُكفَى بها ما اهَمْ
ويرعى لزُوّاره قلب غد   ذماما فما زال يرعى الذمم
عليه السلام وطوبى لمن   ألمّ بتربته فاستلمْ
اخى كم نتابع أهْوآءنا   ونخبط عشوآءها فى الظُّلم
رويدك جُرْتَ[c] فعُجْ واقتصدْ   امامك نهج الطريق الأغم
وبِتْ قبل عضّ بنان الأسَى   ومن قبل قرعك سِنّ الندمْ
ومنها
وقُلْ ربّ هب رحمة فى غدٍ   لعبد بسيمَى العُصاة اتّسَم

a) L. يهدى. b) G. مضمومة. c) L. حرت.

جرى فى ميادين عصيانه مسيئًا ودان بكفر النعم
فيا ربّ صفحك عمّا جنى ويا ربّ عفوك عمّا اجترم،

١٧٩ ومن الراحلين الى المشرق من الاندلس الاديب ابو عامر ابن عيشون، قال الفتح رجل حلّ المسيّدات والبلاقع، وحكى النسرين الطاير والواقع، واستدرّ خلفى البوس والنعيم، وقعد مقعد البائس والزعيم، فآونة فى سماط، واخرى بين درانك وأنماط، ويوما فى ناووس، وآخر فى مجلس مأنوس، رحل الى المشرق فلم يحمد رحلته، ولم يعلق بأمل نحلته، فارتدّ على عقبه، وردّ من حبالة الفوت الى منتظره ومرتقبه، ومع هذا فله تحقق بالادب، وتدفّق طبع اذا مدح او نسب، وقد اثبت له ما تعلم به حقيقة نفاذه، وترى سرعة وخده فى طريق الاحسان واغذاذه، ثم قال واخبرنى انه دخل[a] مصر وهو سار فى ظُلم البوس، وعار من كلّ لبوس، قد خلا من النقد كيسه، وتخلّى عنه الا تعذيره وتنكيسه، فنزل باحد شوارعها لا يفترش الّا نكده، ولا يتوسّد الا عضده، وبات بليلة ابن عبدل، تهبّ عليه صرصر لا ينفح منها عنبر ولا مَنْدَل، فلمّا كان من السَّحَر دخل عليه ابن الطوقان فاشفق لحاله، وفرّط امْحالهٖ[b]، واعلمه ان الافضل بن امير الجيوش استدعاه، ولو ارتاد جوده بقطعة يغنيها له لا خصب مرعاه، فصنع له فى حينه

قل للملوك وان كانت لهم همم تاوى[c] اليها الامانى غير متّئد
اذا وصلتُ بشاهنشاه لى سببا فلن ابالى بمن منهم نفضتُ يدى
مَن واجَه[d] الشمس لم يعدل بها قمرا يعشو الى ضُوئه لو كان ذا رمد

فلما كان من الغد واتاه فدفع اليه ٥٠ مثقالا مصريّة وكسوة واعلمه انه غناه، وجوّد الاظهار للفظه ومعناه، وكرّره حتى اثبته فى سمعه ووقره فسأله عن قائله فاعلمه بقلته، وكلّمه فى رفع خلته، فامر له بذلك وله ايضا رحمه

قصدتُ على أنّ الزيارة سُنّة يؤكّدها فرض من الود واجبُ
فالفيت بابا سهّل الله اذنه ولكن عليه من عبوسك حاجبُ
مرضت ومرّضت الكلام تثاقلا الىّ الى ان خلت انك عاتبُ
فلا تتكلّف للعبوس مشقّة سارضيك بالهجران اذ انت غاضبُ

a) G. et *Kalāyid* (man. de Gotha) رحل. b) Les man. d'al-Makk. portent محاله
c) *Kalāyid* تهدى. d) *Kalāyid* ابصر.

فما الارض تدمير ولا انت اهلها   ولا الرزق ان اعرضتَ عنّىَ جانبُ

وله يستعتبنى

كتبت ولو وفيت برّك [a] حقّه   لما اقتصرتْ كفّى على رقم قرطاسِ

ونابت عن الخطّ الخطا وتبادرت   فَطورا على عينى فطورا على راسى

سلِ الكاس عنى هل اديرت فلم اصغْ [b]   مديحك الحانا يسوغ بها كاسى

وهل نافح الآس الندامى فلم انِعْ   ثناءَكَ ازكى من منافحة الآسِ

١٨٠ ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق ابو مروان الطُّبُنى [c] وهو عبد الملك بن زيادة الله، قال فى الذخيرة كان ابو مروان هذا احد حُماة سرح الكلام، وحملةِ ألوية الاقلام،، من اهل بيت اشتهروا بالشعر اشتهار المنازل بالبدر اراهم طرءوا على قرطبة قبل افتراق الجماعة، وانتشار شمل الطاعة،، واناخوا فى ظلها، ولحقوا بسروات اهلها،، وابو مضر أبوه زيادة الله بن على التميمى الطُّبُنى هو اوّل مَن بنى بيت شرفهم، ورفع فى الاندلس صوته بنباهة سلفهم،، قال ابن حيان وكان ابو مضر نديم محمد بن ابى عامر امتع الناس حديثا ومشاهدة وانصفهم ظرفا واحذقهم بأبواب الشحذ والملاطفة وآخذهم بقلوب الملوك والجلّة وانظمهم لشمل افادة ونجعة انتهى المقصود منه، ثم قال فى الذخيرة فامّا ابنه ابو مروان هذا فكان من اهل الحديث والرواية ورحل الى المشرق وسمع من جماعة من المحدّثين بمصر والحجاز وقتل بقرطبة سنة ٤٥٧ انتهى وقد ذكر قصّة قتله المستبشعة، واتّهم باغتياله ابنه، ومن نظم ابى مروان الطُّبُنى المذكور ما وجده صاحب الذخيرة فى بعض التعاليق بخطّ بعض ادبآء قرطبة قال لما عدا ابو عامر احمد بن محمد بن ابى عامر على الحَذْلَمى فى مجلسه وضربه ضربا مُوجعا واقرّ بذلك اعين مطالبيه قال ابو مروان الطبنى فيه

شكرتُ للعامرىّ ما صنعا   ولم اقل للحُذَيلمىّ لعا

ليثُ عرين عدا بعزّته   مفترسا فى وجاره ضبعا

لا   ت كفّه ممكّنة   من الامانى فنعم ما صنعا

وددتُّ لو كنت شاهدا لهما   حتى ترى العين ذلّ ما خضعا

ان طال منه سجوده فلقد   طال لغيرِ السجود ما ركعا

قال ابن بسّام وابن رشيق القائل قبله

---

a) *Kalāyid* قدرك. b) R. S. et *Kal.* اضع. c) Telle est la leçon des man. d'al-Makkarī et de B. du *Maimah*; *Maim.* A. الطبى ; R. الطينى.

كم ركعة ركع الصيعان تحت يدى ولم يقل سمع اللهُ لمن حمدَهْ

ثم قال ابن بسّام فى الذخيرة ما نصه والعرب تقول فلان يركع لغير صلاة اذا كنوا عن عهْر الخلوة، ومن مليح الكناية لبعض المتقدمين يخاطب امرأته

قلتِ التشيّع حبّ أصلع هاشم فترقّصى *a* ان شئتِ او فتشيّعى

قالت اصيلع هاشم وتنفسّت بابى وامّى كلّ شىء اصلعى

ولما صُنت كتابى هذا من شَيْن الهجا، وكبرته ان يكون ميدانا للسفها، اجريت هاهنا طلقا من مليح التعريض، فى ايجاز القريض،، ممّا لا ادب على قائليه، ولا وصمة عظمى على من قيل فيه،، والهجآء ينقسم قسمَيْن فقسم يسمّونه هجو الاشراف وهو ما لم يبلغ أن يكون سِبابا مُقْذِعا، ولا هجوا مستبشعا،، وهو طأطأ قديما من الاوآئل، وثل عرش القبآئل،، انّما هو توبيخ وتغيير، وتقديم وتاخير،، كقول النجاشى فى بنى العجلان وشهرة شعره، منعتْنى عن ذكره،، واستعدّوا عليه عمر بن الخطاب رضّه وانشدوه قول النجاشى فيهم فدرأ الحدّ بالشبهات، وفعل ذلك بالزبرقان حين شكا بالحطئات،، وسأله ان ينشد ما قال فيه فانشده قوله

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانّك انت الطاعم الكاسى

فسأل عن ذلك كعب بن زهير فقال والله ما اردّ بمآ قال له حُمر النعَم، وقال حسّان لم يهجه ولكن سلح عليه بعد ان اكل الشُبْرم فهمّ عمر رضّه بعقابه ثم استعطفه بشعره المشهور، وقال عبد الملك بن مروان يومًا *أحسابكم *b* يا بنى اميّة فما اودّ ان يكون لى ما طلعت عليه الشمس وان الاعشى قال فىّ

تبيتون فى المشتى ملآء بطونكم وجاراتكم غرْثى يبتن خمآئصا

ولمّا سمع علقمة بن عُلاثة هذا البيت بكى وقال انحن نفعل هذا بجاراتنا ودعا عليه فما ظنّك بشىء يُبْكى علقمة بن عُلاثة وقد كان عندهم لو ضرب بالسيف ما قال حَسّ *c* وقد كان الراعى يقول هجوت جماعة من الشعرآء وما قلت فيهم ما تستحيى العَذرآء ان تنشدْه فى خدرها، ولما قال جرير

فغضّ الطرف انّك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

اطفأ مصباحَه ونام وقد كان بات ليلته يتململ لانّه رأى انّه قد بلغ حاجته وشفى

a) G. فترقصى. *b*) S. احتسابكم. Ce mot me semble altéré. *c*) S. حسن.

غيظه قال الراعى فخرجنا من البصرة فما وردْنا مآء من مياه العرب الّا وسمعنا البيت قد سبقنا اليه حتى اتينا حاضرَ بنى نُمَير فخرج الينا النسآء والصبيان يقولون قبحكم الله وقبح ما جئتمونا به، والقسم الثانى هو السِّباب الذى احدثه جرير ايضا وطبقتُه وكان يقول اذا هجوتم فاضحكوا وهذا النوع منه لم يهدم قطّ بيتا ولا عُيّرت به قبيلة وهو الذى ضَنّا هذا المجموع عنه واعفيناه ان يكون فيه شىء منه فان ابا منصور الثعالبىّ كتب منه فى يتيمته ما شانه اسمُه، وبقى عليه اثمُه،، ومن مليح التعريض لاهل افقنا قولُ بعضهم فى غلام كان يصحب رجلا يسمّى بالبعوضة

اقول لشادنكم قولةً   ولكنها رمزة غامضه   لزوم البَعوض له دائما   يدلّ على انها حامضه

وانشدت فى مثله لبعض اهل الوقت

بينى وبينك سرّ لا ابوح به   الكلُّ يعلمه والله غافره

وحكى ابو عامر بن شهيد عن نفسه قال عاتبت بعض الاخوان عتابا شديدا عن إمر أُوجع فيه قلبى وكان آخر الشعر الذى خاطبتُه به هذا البيت

وانّى على ما هاج صدرى وغاظنى   ليامننى من كان عندى له سرُّ

فكان هذا البيت اشدّ عليه من عضّ الحديد ولم يزل يقلق به حتى بكى الىّ منه بالدموع وهذا الباب، ممتدّ الأطناب، ويكفى ما مرّ ويمرّ منه فى اضعاف هذا الكتاب،، انتهى كلام ابن بسّام فى الذخيرة بلفظه، ولا خفآء انه عارض بالذخيرة يتيمة الثعالبى، ولذا قال فى خطبة الذخيرة امّا بعد حمد الله ولى الحمد واهله، والصلاة على سيّدنا محمد خاتم رسُله،، فانّ ثمرة هذا الادب، العالى الرتبة رسالة تنثر وترسل، وابيات تنظم وتفصل a،، تنثال تلك انثيال القطار، على صفحات الازهار،، وتتصل هذه اتصال القلآئد، على نحور الخرآئد،، وما زال فى افقنا هذا الاندلسى القصى الى وقتنا هذا من فرسان الفنّين، وائمّة النوعين،، قومٌ هم ما هم طيب مكاسر، وصفآء جواهر، وعذوبة موارد ومصادر،، لعبوا باطراف الكلام المشقّق، لعبَ الدجىٰ بجفون المؤرّق،، وجدّوا بفنون السحر المنمّق، جدّ الأعشى ببنات المحلّق،، فصبّوا على قوالب النجوم، غرآئب المنثور والمنظوم،، وباهوا غُرَر الضحى والاصآئل، بعجآئب الاشعار والرسآئل،، نثر لو رآه البديع لنسى اسمَه، او اجتلاه ابن هلال لَولّاه

a) G. S. تفصل.

حكمه،، ونظم لو سمعه كثير ما نسب ولا مدح، وتتبّعه جَرْوَل ما عوى ولا نبح،، الّا انّ اهل هذا الافق، ابوا الا متابعة اهل الشرق،، يرجعون الى اخبارهم a المعاده، رجوع الحديث الى قتاده، حتى لو نعق بتلك الافاق غراب، او طنّ باقصى الشام والعراق ذباب،، لحنوا b على هذا صنما c وتلوا ذلك كتابا محكما،، واخبارهم الباهره، واشعارهم السائره،، مَرْمى القصيّه، ومناخ الرديّه d،، لا يعمر e بها جنان ولا خلد، ولا يصرف فيها لسان ولا يد،، فغاظنى منهم ذلك، وانفت مما هنالك،، واخذت نفسى بجمع f ما وجدت من حسنات دهرى، وتتبّع محاسن اهل بلدى وعصرى،، غيرةً لهذا الافق الغريب أن تعودَ بُدورُه اهلّه، وتصبح بحوره ثمادا مضمحلّه،، مع كثرة ادبآئه، ووفور علمآئه،، وقديما ضيّعوا العِلم واهلَه، ويا رُبّ محسنٍ مات احسانُه قبلَه،، وليت شعرى من قصر العلم على بعض الزمان، وخصّ اهل المشرق بالاحسان،، وقد كتبت لارباب هذا الشان، من اهل الوقت والزمان،، محاسن تبهر الالباب، وتسحر الشعرآء والكُتّاب،، ولم * اعرض لشىء g من اشعار الدولة المروانيّه، ولا المدآئح العامريّه،، اذ كان ابن فرج الجيّانى قد راى رأيى فى النَّصَفه، وذهب مذهبى من الأَنَفه،، فاملى فى محاسن اهل زمانه، كتاب الحدآئق مُعارِضا لكتاب الزهر h للاصفهانىّ فاضربت انا عما الّف، ولم اعرض لشىء ممّا صنّف،، ولا تعدّيت اهل عصرى ممّا شاهدته بعمرى i، او لحقه اهل دهرى،، اذ كلّ مردّد j ثقيل، وكل متكرّر مملول،، وقد مَجّت الاسماعُ   يا دار ميّة بالعَلياء فالسَّنَدِ   الى ان قال بعد ذكره انه يسوق جملة من المشارقة مثل الشريف المرتضى والقاضى عبد الوهّاب والوزير ابن المغربى k وغيرهم ممن يطول l ما صورته وانّما ذكرت هؤلآء ائتسآء بابى منصور، فى تاليفه المشهور،، المترجم بيتيمة الدهر، فى محاسن اهل العصر،، انتهى المقصود منه، قلتُ وتذكرت ما انشده فى الهجآء قولَ الباقعة الشاعر المشهور ابى العباس احمد الغَفْجُومى الشهير بالجَوَارى m وعامّة المغرب يقولون الجراوى يهجو قومَه بنى غفجوم، وهم بربر تبادلا متوصّلا بذلك الى هجو اصلآء فاس بنى الملجوم، ومستطردا فى ذلك ما هو فى

a) O. اخباركم. b) O. لحنّوا. c) Ce mot me parait altéré. d) O. المرذية. e) G. L. O. يعمرها. f) O. بجميع. g) O. ارض شيا. h) O. S. الزهرة. i) O. فى عمرى. j) O. مردود. k) O. العربى. l) Ajoutez ذكرهم. m) G. O. الجوراى.

اطراده كالمآء السّاجوم،، وهو قوله

يا ابن السبيل اذا مررتَ تبـاذُلا   لا تنزلنّ عـلـى بنى غفاجوم
ارض اغار بهـا العدوّ فلن ترى   الا مـجـاوبـة الصّدى للبَومِ
قوم طَوَوْا ذكر السّماحة بينهم   لكنهم نشـروا لـوآء الـلـومِ
لا حـظّ فـى امـوالهم ونـوالهم   للسّائـل العـافى ولا المحرومِ
لا يملكون اذا استبيح حريمُهم   الّا الـصُّراخ بـدعـوة المظلومِ
يا ليتنى من غيرهم ولـوَ انّنى   من ارض فاسٍ من بنى الملجومِ .

وقد ر غير واحد من المؤرّخين أن احد بنى الملجوم قضاة فاس واصلاتها بيد اوراق كتبه التى هى غير مجلّدة بل متفرّقة بستّة آلاف دينار ويكفيك ذلك فى معرفة قدر القوم ومع ذلك هجاهم بهذا والله يغفر الزلات،

رجع الى ما كنا فيه من ذكر من ارتحل من علمآء الاندلس الى البلاد المشرقية المحروسة فنقول

١٨١ ومنهم حبيب بن الوليد بن الداخـل الى الاندلس بن عبد الملك * بن عمر بن الوليد بن عبد الملك *a* بن مروان من اهل قرطبة ويعرف بدَحُون رحل الى المشرق *b* ايّام عبد الرحمن بن الحكم وحجّ ولقى اهل الحديث فكتب عنهم وقفل بعلم كبير وكانت له حلقة بجامع قرطبة يسمع الناس فيها وهو يلبس الوشىَ الشامىّ الى ان اوصى له الامير عبد الرحمن بترك ذلك فتركه وتوفّى بعد المائتين ومن شعره

قال العَذول وابن قلبك كلّمـا   رمتُ اهتداءك لم يزل متحيّرا
قلتُ اتّئدْ فالقلب اوّلُ خائن   لـمّا تغيّر مَـن هـويـت تـغيّرا
ونأى فبان الصبر عنى جملة   وبقيت مسلوبَ العزآء كما ترَى

ومن ولده سعيد بن هشام وكان اديبا عالما فقيها رحم الله الجميع ودخل دمشق وطنهم الاقدم وعاملُها يومئذ للمعتصم بن الرشيد عمرُ بن فرج الرُّخَّجىّ فوافق دخولُه اباها غـلآءً شديدا ومجاعة اشكتْ اهْلَهـا فضجّوا الى الرُّخَّجىّ أن يخرج عنهم من عندهم من الغربآء القادمين عليهم من البلاد فامر بالندآء فى المدينة على كلّ مَن بها من طارىً وابن سبيل ليخرجوا عنها وضرب لهم اجلًا ثلاثة ايام اوعد مَن تخلّف

---

a) Ces mots ne se trouvent que dans L. S.   *b*) S. ajoute: وكان فقيها عالما اديبا شاعرا ورحل الى المشرق.   *c*) G. O. S. وقدم. ممتحنا (مُمْتَحِنا l.).

منهم بعدها بالعقاب فابتدر الغربآء الخروج عنها واقام دَحْون لم يتحرّك فجىء به الى الرُّخَّجِى بعد الاجل فقال له ما بالُك عصيتَ امرى او ما سمعت ندآئى فقال له دحون ذلك النداء الذى وقفنى فقال له ‹وكيف فانتمى له فقال الرخجى صدقتَ والله أنّك لاحق بالاقامة فيها منّا فاقمْ ما احببتَ‹a› وانصرفْ اذا شئتَ وكان لدحون هذا ابنٌ يقال له بشر بن حبيب ويعرف بالحبيبىّ وهو من المشهورين بقرطبة وأُمّه المدنيّة الراوية عن مالك بن انس رضّه وبنته عبدة بنت بشر مشهورة ولها رواية عنه رحم الله الجميع،

١٨٢ ومنهم بهلول بن فتح من اهل اقليش له رحلة حجّ فيها وكان رجُلا صالحا خيّرا حكى عن نفسه أنّهُ راى فى منامه بعد قدومه من الحجّ كانّه بمكة وقائل يقول انطلقْ بنا نصل مع النبىّ صلّعم قال فكنت اقول لرجل من جيرانى باقليش يا ابا فلان انطلقْ بنا نصل مع النبى صلّعم فيقول لى لست اجد الى ذلك سبيلا فكنت اتوجّه واصلّى مع الناس والنبىّ صلّعم امامنا فلمّا سلّم من الصلاة رجع الىّ وقال لى من اين انت قلت له من الاندلس فكان يقول من اىّ موضع فكنت اقول من مدينة اقليش فيقول لى اتعرف ابا اسحق البوّانىّ فكنت اقول هو جارى وكيف لا اعرفه فيقول لى اقريه منى السلام،

١٨٣ ومنهم ابو الحسن ثابت بن احمد بن عبد الولى الشاطبى روى عن ابى زيد عبد الرحمن بن يعيش المهرى ورحل حاجا فسمع منه بالاسكندرية ابو الحسن بن المفضّل المقدسى وحدّث عنهُ بالحديث المسلسل فى الاخذ باليد عن ابن يعيش المذكور عن ابى محمد عبد العزيز بن عبد الله بن سعيد بن خلف الانصارى عن ابى الحسن طاهر بن مفوز وعليه مداره بالاندلس عن نصر السمرقندى باسناده وفيه بُعْد، قال الحافظ ابن الابّار وقد رويته مسلسلا من طرق بعضها عن ابن المفضّل وانبانى به ابن ابى جمرة‹b› عن ابى بحر الاسدى عن نصر السمرقندى فصار ابن المفضّل بمنزلة مَن سمعه ممّن سمعه منّى والحمد لله انتهى،

١٨٤ ومنهم ابو احمد جعفر بن لب بن محمد بن عبد الرحمن بن يونس بن مَيْمون اليحصبى سكن شاطبة واصله من انشيان عملها ويكنى ابا الفضل ايضا حجّ وسمع ابا

a) G.   b) G. S. جمرة.

طاهر ابن a عوف والحافظ السلفى وابا عبد الله ابن الحضرمى وابا الثناء الحرّانى وبدر بن عبد الله الحبشى وابا الحسن ابن المفضّل وغيرهم وكان من اهل العناية بالرواية مع الصلاح والعدالة حسن الخطّ جيّد الضبط سمّاه التجيبى فى معجم مشيخته b وهو فى عداد اصحابه لاشتراكهما فى السماع باسكندريّة وتركه هنالك ثم قدم عليه تلمسانَ من شاطبة فى اضحى سنة ٥٨٦ وحكى ممّا c افاده عن ابن المفضّل ان ابا عبد الله الكيزانىّ d وكان شاعرا مجيدا اتته امرأة مات ولدها فسألته ان يرثيه فقال

تبكى عليه بشجو فقلتُ لا تَنْدُبيه

هذا زمان عجيب قد عاش من مات فيه

واخذ عنه الحافظ ابو الربيع ابن سالم وقال انه توفى بعد ٥٩٠ رحمه،

١٨٥ ومنهم ابو احمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيدبونه الخزاعى العابد من اهل قسطنطانية عمل دانية اخذ القرآآت عن ابن هذيل وسمع منه ومن ابن النعمة ببلنسية ورحل حاجّا فادّى الفريضة ودخل الاسكندريّة مرافقا لمن سمع من السلفى ولم يسمع هو منه شيئا، قال ابن الابّار فيما علمت وقفل الى بلده مايلا الى الزهد والاعراض عن الدنيا وكان شيخ المتصوّفة فى وقته وعلا ذكره وبعد صيته فى العبادة الا انه كانت فيه غفلة، قال ابن الابّار ورايته اذ قدم بلنسية لاحياء ليلة النصف من شعبان سنة ٦١١ وتوفى عن سنّ عالية تُقارب المائة منتصف ذى القعدة سنة ٦٢٤ وشهد جنازته بشر كثير من جهات شتّى وانتاب الناسُ قبره دهرا طويلا يتبركون بزيارته الى حين اجلاء الروم من كان يشاركهم من المسلمين ببلاد شرق الاندلس التى تغلّبوا عليها وذلك فى شهر رمضان سنة ٦٤٥،

١٨٦ ومنهم ابو جعفر النحوى الاندلسى نزل مصر وكان من رؤساء اهل العلم بالنحو وممن له حال جليلة ذكره الطُّبنىّ فيما حكاه ابن الابّار،

١٨٧ ومنهم ابو الحسن جابر بن احمد بن عبد الله الخزرجى القرطبى وكناه بعضهم ابا الفضل سمع ببلده من ابى محمد بن عتاب وغيره ورحل حاجا فادّى الفريضة وكان اديبا ناظما كتب عنه ابو محمد العثمانى بالاسكندرية بعض شعره،

١٨٨ ومنهم ابو الحسن جهور بن خلف بن ابى عمر بن قاسم بن ثابت المعافرى رحل

a) S. عن au lieu de ابن. b) L. شيخه. c) L. ما. d) Lisez ابن الكيزانى. Voyez Ibn-Khallikān, n°. 689.

حاجا الى المشرق فأدّى الفريضة وسمع بالاسكندرية من ابى طاهر السلفى سنة ٥٣٩ه
وسمع ايضا من غيره وطال مكثه هنالك وهو فيما رجحه بعضهم من اهل غرب الاندلس،

١٨٩ ومنهم ابو على الحسن بن حفص بن الحسن البهرانى الاندلسىّ رحل وتجوّل
ببلاد المشرق فسمع ابا محمد عبد الله بن حمويه وابا حامد احمد بن محمد
ابن رجآء بسرخس وابا محمد ابن ابى شريح بهراة وابا عبد الله الحسين بن عبد
الله المفلحى بالاهواز وابا بكر احمد بن جعفر البغدادى وابا حامد احمد بن الخليل
وابا حاتم حامد بن العباس وابا محمد الحسن بن رشيق بمصر وقدم دمشق فروى
عروة عنه من اهلها تمام بن محمد وبنيسابور احمد بن منصور بن خلف المغربى،
وذكره ابن عساكر وقال اخبرنا ابو عبد الله الحسين بن احمد بن على بن فطيمة
وابو القاسم زاهر بن طاهر قالا اخبرنا ابو بكر احمد بن منصور اخبرنا ابو على الحسن
ابن جعفر القضاعى اخبرنا الحسن بن رشيق بمصر اخبرنا المفضل بن محمد الجندى
اخبرنا ابو مصعب احمد بن ابى بكر الزهرى قال سمعت مالك بن انس يقول لا يحمل
العلم عن اهل البدع كلّهم ولا يحمل العلم عمّن لم يعرف بالطلب ومجالسة اهل العلم
ولا يحمل عمّن يكذب فى حديث الناس وان كان فى حديث رسول الله صلّعم صادقا
لانّ الحديث والعلم اذا سمع من العالم فقد جعل حجّة بين الذى سمعه وبين الله
تبارك وتعالى وانما قال فيه القُضاعىّ لانّ بَهْرَآء من قُضاعة،

١٩٠ ومنهم ابو على الحسن بن خلف بن يحيى بن ابراهيم بن محمد الاموى من
اهل دانية ويُعرف بابن بَرَنْجال سمع من ابى بكر ابن صاحب الاحباس وابى عثمان
طاهر بن هشام وغيرهما وله رحلة حجّ فيها وسمع من ابى اسحق ابراهيم بن صالح
القروى وببيت المقدس من ابى الفتح نصر بن ابراهيم سنة ٤٦٥ وبعسقلان من ابى
عبد الله محمد بن الحسن بن سعيد التجيبى واخذ عنه كتاب الوقف والابتدآء
لابن الانبارى بسماعه من عبد العزيز الشعيرى عن مؤلّفه وكان فقيها على مذهب
مالك وولى الاحكام ببلده وحدّث واخذ عنه وسمع الناس منه بالاسكندرية سنة ٩٩ ثم
بدانية سنة ٤٧٣ وتوفى فى نحو ٥٠٠ رحمه،

١٩١ ومنهم ابو على الحسن بن ابراهيم بن محمد بن تعى a الجذامى المالقى روى

a) S. ajoute الدبين.

بقرطبة عن ابى محمد ابن عتاب وعن ابى سُكّرة الصدفى بمرسية سنة ٥٠٨ وصحب ابا مروان ابن مَسرّة وكان من اهل الرواية والتقييد وكان له رحلة سمع فيها من ابى الطاهر السلفى مجالسه التى املاها بسلماس برجب سنة ٥١٥ حسبما الفى بخطّه السلفى وفى رحلته لقيه ابو على الحسن ابن على البطليوسى نزيل مكّة وحدث عنه ابو طالب احمد بن مسلم المعروف بالتنوخى من اهل الاسكندرية بكتاب الاستيعاب لابن عبد البرّ واجاز له اجازة عامّة فى السنة السابقة، وقال ابن عساكر فى تاريخه وذكر ابو ذرّ الهروىّ سمعت ابا الحسن علىّ بن سليمان المرادى الحافظ الاندلسى بنيسابور يقول سمعت ابا على الحسن بن على الانصارى البطليوسى، قال ابن عساكر وقد لقيته ولم اسمعها منه قال سمعت ابا على الحسن بن ابراهيم بن تقى الجُذامى المالقى يقول سمعت بعض الشيوخ يقول قيل لابى ذرّ الهروى انت من هراة فمن اين تمذهبت لمالك والاشعرى فقال انى قدمت بغداد اطلب الحديث فلزمت الدارقطنى فلما كان فى بعض الايام كنت معه فاجتاز به القاضى ابو بكر ابن الطيب فاظهر الدارقطنى من اكرامه ما تعجّبت منه فلما فارقه قلت ايّها الشيخ الامام مَن هذا الذى اظهرت من اكرامه ما رايت فقال وما تعرفه قلت لا قال هذا سيف السنّة ابو بكر الاشعرى فلزمت القاضى منذ ذلك واقتديت به فى مذهبه انتهى،

١٩٣ ومنهم ابو على الحسن بن على بن الحسن بن عمر الانصارى البطليوسى رحل الى المشرق فادّى الفريضة وتجوّل هناك ولقى ابا الحسن ابن المفرج الصِّقلى وابا عبد الله الفراوى وسمع منهما الصحيحين بعلوّ وسمع من ابى الفتح ناصر بن ابى على الطوسى سُنَن ابى داود وحدّث بالموطأ عن ابى بكر الطرطوشى وله ايضا رواية عن زاهر ابن طاهر الشحّامى a وعبد المنعم بن عبد الكريم القشيرى وابى محمد الحريرى سمع منه مقاماته الخمسين يشتأنه b من بغداد ونزل بمكّة وجاور بها وحدّث فيها وفى غيرها واسنّ وكان ثقة مُسْنِدا يروى عنه ابو عبد الله ابن ابى الصيف اليمنى وابو جعفر ابن شراحيل الاندلسى وابو عبد الله محمد بن ابراهيم الاربلى وسمع منه فى صفر سنة ٥٦٩ وقد لقيه ابو القاسم ابن عساكر الحافظ وروى عنه،

١٩٤ ومنهم ابو على الحسين c بن محمد بن الحسن الانصارى من اهل المرية عمل

a) L. السحامى. b) Les man. portent يستانة. c) G. S. الحسن.

بلنسية ويعرف بـابن الرُّهَيبِل a سمع من ابى الحسن ابن النعمة كثيرا واختصّ به وعنه اخذ القرآآت وسمع من ابن هذيل ايضا ثم رحل حاجا فلقى بالاسكندرية سنة ٥٧٣ ابا طاهر السلفى وابا عبد الله ابن الحضرمى وسمع منهما وجاور بمكّة واخذ بها عن ابى الحسن على بن حميد الطرابلسى صحيح البخارى وكان يرويه عن ابى مكتوم عيسى بن ابى ذرّ الهروى عن ابيه وسمع ايضا من ابى محمد المبارك بن الطباخ البغدادى واجاز له ابو المفاخر سعيد بن الحسين الهاشمى وابو محمد عبد الحق ابن عبد الرحمن الاشبيلى ببجاية عند صدوره فى ربيع الاول سنة ٧٧ وقفل الى بلده فلزم الانقطاع والانقباض عن الناس والاقبال على ما يعنيه وكان قد خطب به قبل رحلته وحكى التجيبى *ان طلبة b الاسكندرية تزاحموا عليه لسماع التيسير c لابى عمرو المقرئ منه بزاويته عن ابن هذيل سماعا فى سنة ٥٣ وصارت له بذلك عندهم وجاهة وبعد قفوله اصابه خَدَر منعه من التصرّف وكان الصلاح غالبا عليه وتوفى غدوة الجمعة لثمان خلون من شعبان سنة ٥٨٥ وكانت جنازته مشهورة رحمه٬

١٩٤ ومنهم الحسين بن احمد بن الحسين بن حَىّ التجيبى القرطبى اخذ علم العَدَد والهندسة عن ابى عبد الله محمد بن عمر المعروف بابن برغوث d وكان كلفا بصناعة التعديل وله زِيج مختصر ذكره القاضى صاعد ونسبه وحكى انه خرج من الاندلس فى سنة ٤٤٢ بعد ان نالته بها وبالبحر مِحَن شداد ولحق بمصر ثم رحل عنها الى اليمن واتصل باميرها فحظى عنده وبعثه رسولا الى القائم بامر الله الخليفة ببغداد ونال هنالك دُنيا عريضة وتوفى باليمن بعد انصرافه من بغداد سنة ٤٥٦ رحمه٬

١٩٥ ومنهم ابو يوسف حماد بن الوليد الكلاعى اخذ بقرطبة عن ابى المطرف القنازعى وغيره ورحل الى المشرق وحدّث بالاسكندرية فسمع منه بها يحيى بن ابراهيم بن عثمان بن شِبْل شرح الاعتقاد من تاليفه ورسالة قَمْع الحرص وقصر الامل والحث على العمل وذلك فى سنة ٤٤٧ ولقيه هنالك ابو مروان الطبنى فسمع منه بعض فوآئده٬

١٩٦ ومنهم ابو القاسم خلف بن فتح بن عبد الله بن جبير من اهل طرطوشة يعرف بالجبيرى وهو والد ابى عبيد القاسم بن خلف الجُبَيرى الفقيه وكانت له رحلة الى المشرق ومعه رحل ابنه وهو صغير وكان من اهل العِلم والنزاهة وعليه نزل القاضى

a) G. الرهيبل; S. الرهيبل. b) S. بن طلبة ان اهل. c) S. التبيين. d) S. برغوث.

منذر بن سعيد بطرطوشة فى ولايته قضآء الثغور الشرقيّة، قال ابو عبيد نزل القاضى منذر بن سعيد علىّ ابى بطرطوشة وهو يومئذ يتولّى القضآء فى الثغور الشرقيّة قبل ان يلى قضآء الجماعة بقرطبة فانزله فى بيته الذى كان يسكنه فكان اذا تفرغ نظر فى كتب ابى فمرّ على يديه كتاب فيه ارجوزة ابن عبد ربّه يذكر فيه الخلفآء ويجعل معاوية رابعهم ولم يذكر عليًّا فيهم ثم وصل ذلك بذكر الخلفآء من بنى مروان الى عبد الرحمن بن محمد فلمّا راى ذلك منذر غضب وسبّ ابن عبد ربّه وكتب فى حاشية الكتاب

اوما *a* علىٌّ لا برحتَ ملعّنا — يا ابن الخبيثة عندكم بامامِ
ربّ الكسآء وخير آل محمّد — دانى *b* الولآء مقدّم الاسلامِ

قال ابو عُبَيد والابيات بخطّه فى حاشية كتاب ابى الى الساعة وكانت ولاية منذر للثغور مع الاشراف على العُمال بها والنظر فى المختلفين من بلاد الافرنج اليها سنة ٣٣٠،

١٩٧ ومنهم ابو القاسم خلف بن محمد بن خلف الغرناطى له رحلة روى فيها بالاسكندرية عن مهدى بن يوسف الورّاق حدّث عنه ابو العبّاس ابن عيسى الدانى بالتلقين للقاضى عبد الوهّاب،

١٩٨ ومنهم ابو القاسم خلف بن فرج بن خلف بن عامر بن فلحون *c* القنطرى من قنطرة السيف وسكن بطليوس ويعرف بابن الروية رحل حاجا فأدّى الفريضة ولقى بمكة رزين بن معاوية الاندلسى فحمل عنه كتابه فى تجريد الصحاح سنة ٥٠٥ وفيها حجّ وقفل الى بلده بعد ذلك وكان فقيها مشاورا حدّث عنه ابن خير فى كتابه اليه من بطليوس فى نحو ٥٣٠،

١٩٩ ومنهم زرارة بن محمد بن زرارة الاندلسىّ رحل حاجا الى المشرق وسمع بمصر ابا محمد الحسن بن رشيق سنة ٣٦٧ وابا بكر مسرّة بن مسلم الصدفى حدّث واخذ عنه،

٢٠٠ ومنهم طاهر الاندلسى من اهل مالقة يكنى ابا الحسين *d* رحل الى قرطبة وخرج منها لمّا دخلها البرابر عُنوةً سنة ٤٠٣ فلم يزل بمكة الى حدود ٤٥٠ وكان من اصحاب ابى عمر الطلمنكى *e* وملازميه لقرآءة القرآن وطلب العلم مع ابى محمد الشنتجالى

---

a) L. اما و. *b*) S. والى. *c*) G. S. فحلون. J'ignore si ce nom est correctement écrit et s'il ne faut pas lire فُلْحُوم. *d*) L. الحسن. *e*) L. الطلبنكى.

وابى ايوب الزاهد امام مسجد الكوّابيين a بقرطبة وجاور بمكة طويلا واقرأ على مَقْبرة من باب الصفا وكان الشَّيْبيّون b يكرمونه ويفرجون له لضعفه عند دخول البيت الحرام ذكره الطبنى، قال ابن الأبّار واحسبه المذكور فى بَرْنامج الخولانى والذى قرأ لهم اكثر المدوّنة على ابى احمد ابن محمد الزيّات انتهى،

٢٠١ ومنهم ابو الطاهر الاندلسى من اهل لبلة نزل مصر وكانت له حلقة بجامع عمرو ابن العاصى وكان نحويّا له شعر وترسيل وتعلق بالملوك للتاديب بالنحو ثم ترك ذلك،

٢٠٢ ومنهم ابو محمد طارق بن موسى بن يعيش المنصفى المخزومى والمَنْصَفى نسبة الى قرية بغربى بلنسية ويكنى ايضا ابا الحسن رحل قبل ٥٢٠ فأدّى الفريضة وجاور بمكة وسمع بها من ابى عبد الله الحسين بن على الطبرى ومن الشريف ابى محمد عبد الباقى الزهرى المعروف بشقران اخذ عنه كتاب الاحياء للغزالى لمؤلفه وسمع بالاسكندريّة من ابى بكر الطرطوشى وابى الحسن ابن مشرف وابى عبد الله الرازى وابى طاهر السلفى وغيرهم ثم قفل الى بلده فحدّث واخذ الناس عنه وسمعوا منه وكان شيخا صالحا عالى الرواية ثقة، قال ابن عيّاد لم الق افضل منه وكان مجاب الدعوة حدّث عنه بالسماع والاجازة جلة منهم ابو الحسن ابن هذيل وابو محمد القلنى (?) وابو مروان ابن الصيقل c وابو العباس الاقليشى وابو بكر ابن خير وابن سَعْد الخير وابو محمد عبد الحق الاشبيلى وابو بكر ابن جزى وغيرهم ثم رحل ثانية الى المشرق مع صهره ابى العبّاس الاقليشى وابى الوليد ابن خيرة الحافظ سنة ٥٤٣ وقد نيف على السبعين فاقام بمكة مجاورا الى ان توفى بها عن سنّ عالية رحمه سنة ٥٤٩،

٢٠٣ ومنهم محمد بن ابراهيم بن مزين الاودى من اهل اكْشُونبة غربى الاندلس يكنى ابا مُضَر ولّاه عبد الرحمن بن معاوية قضاء الجماعة بقرطبة وذلك فى المحرم سنة ١٧٠ واقام شهرا d ثم استعفى فاعفاه ورحل حاجا فادّى الفريضة وسمع فى رحلته امامنا مالك ابن انس وانصرف ومات عن سن عالية سنة ١٨٣، وذكره ابن شعبان فى الرواة عن مالك وحكى انه روى عنه مَن قطع لسانَه أُستُونى به عاما وأن مالكا قال له قد بلغنى ان بالاندلس من نبت لسانه فان لم ينبت أُقيد انتهى،

a) L. الكوابيين. Je ne sais si ce mot est correct. b) S السبتيون. Voyez *Lobb-al-lobāb*, éd. Veth, *in voce*. c) G. S. الصقيل. d) L. اشهرا

٢٠٤ ومنهم ابو عبد الله محمد بن احمد حياز الشاطبی الأوسی a قدم مصر وكان قد اخذ عن ابن بريطلة وابن البرآء وغيره وعمل فهرسة شيوخه على حروف المعجم وحجّ وعاد الى بلده ومات يوم الجمعة ١١ b رجب سنة ٧١٨ رحمه وغفر له،

٢٠٥ ومنهم القاضی ابو مروان محمد بن احمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن احمد بن عبد الله بن محمد بن علی بن شريعة بن رفاعة بن صخر بن سماعة اللخمی الاندلسی الاشبيلی، قال ابو شامة هو من بيت كبير بالاندلس يعرف ببنی الباجی مشهور كثير العلمآء والفضلآء واصلهم من باجة القيروان وليس منهم القاضی ابو الوليد الباجی الفقيه فانه من بيت آخر من باجة الاندلس وقدم ابو مروان حاجا من بلاده فی البحر الى عكا من ساحل دمشق ثم دخل دمشق سادس شهر رمضان سنة ٦٣٤ ونزل عندنا بالمدرسة العادليّة وجدّه الاعلى احمد بن عبد الله ابن محمد بن علی قدم الى الديار المصريّة وحجّ منها ومعه ولده محمد اخو عبد الملك ويُعرف بصاحب الوثائق وسمعا بها من جماعة من العلمآء، وذكر ابو عبد الله الحُمَيْدی احمد بن عبد الله هذا فی المقتبس وكناه ابا عمر c وذكر انه سكن اشبيلية واثنى عليه كثيرا وقال مات فی حدود الاربعمائة وروى عنه ابن عبد البرّ وغيره وابوه عبد الله بن محمد بن علی يعرف بالرواية ذكره الحميدی ايضا، وذكر ابن بشكوال فی الصلة عبد الملك بن عبد العزيز جدّ هذا الشيخ القادم واثنى عليه وقال توفی سنة ٥٣٣ وكان هذا الشيخ ابو مروان حسن الاخلاق فاضلا متواضعا محسنا وسمعته يقول وقد سُئل اعارة شیء فبادر اليه ثم قال عندی فی قوله تعَ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ d هو كلّ شیء واستفدنا من هذا الشيخ فائدة جليلة وهی معاينة قدر مُدّ النبیّ صلّعم وهو عندهم متوارث وقد اخبر عن ذلك ابو محمد ابن حزم فی كتابه المحلی وعايرت بذلك المدّ المُدّ الذی لنا بدمشق حينئذ وهو الكَيْل الكبير فوجدتُ مُدّنا يسع صاعَيْن الّا يسيرا ووجدتُه ممسوحا يسع صاعا *ونصف صاع e وشيئا فيكون مُدّان ممسوحان ٣ أصْوُع f زايدة، وقرات فی كتاب المحلی لابن حزم قال ابو محمد وخرط g لی مُدّ على تحقيق المدّ المتوارث عند آل عبد الله بن

a) L. الاندلسی. b) S. ١٠. c) S. عمرو. d) Voyez Sour. 107, vs. 7. e) S. ونصفا.
f) Les man. portent آصُع. g) Telle est la leçon des man. Je suppose qu'il faut lire وخرج.

على الباجى وهو عند اكثرهم لا يفارق دارَه اخرجه الى نقتى الذى كلفته ذلك على ابن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن على المذكور وذكر انه مُدّ ابيه وأنّ جَدّه اخذه وخرجه a على مدّ احمد بن خالد واخبره احمد بن خالد انه خرجه b على مدّ يحيى بن يحيى على مدّ مالك، قال ابو محمد ولا اشكّ ان احمد بن خالد صَحّحه ايضا على مدّ محمد بن وضّاح الذى صحّحه ابن وضاح بالمدينة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام قال ابو محمد ثم كِلْتُه بالقمح الطيّب ثم وزنته فوجدتُه رَطْلا ونصف رطل بالعلفلى لا يزيد حبّة وكلته بالشعير الّا انه لم يكن بالطيب فوجدته رطلا واحدا ونصف أُوقيّة وسألت عن الرطل الفُلْفلى فقيل لى هو ١٦ اوقيّة كلّ اوقية ١٠ دراهم وفى تقرير ابن حزم نَظَرٌ ثم توفى هذا الشيخ بالقاهرة سنة ٦٣٥ بعد رجوعه من الحجّ. رحمه انتهى كلام ابن شامة وبعضه بالمعنى،

٢٠٦ ومنهم ابو العباس احمد بن محمد الواعظ الاشبيلى ثم المصرى فاضل شرح الصدور بلفظه، ومتكلّم احيى القلوب بوعظه،، احواله مشهوره، ومجالسه بالذكر معموره،، له معرفة بالادب، وخبرة بالشعر والخطب،، وكلام وجهُه حسن، ونظمٌ يمتاز به على كثير من ارباب اللسن،، قاله ابن حبيب الحلبى قال وهو القائل

مَن انت محبوبُه مَن ذا يعيّره ... ومن صفوتَ له من ذا يكدّره
هيهات عنك ملاح الكون تشغلنى ... والكلّ اعراض حسن انت جوهره

وقال

اكشف البُرقع عن بكر العُقار ... واخل فى ليلك معْ شمس النهار
انهب العيش ودعه غلطا ... بنقضى ما بين هُتْكك واستتار
ان تكن شيخ خلاعات الصِّبى ... فألبس الصبوة فى خلع العذار
وارض بالعار وقلْ قد آن لى ... فى هوى خمّار كاسى لُبس c عارى

وقال

حثّوا الى نجد نياق الهوى ... فثَمّ وادٍ d جُوّه مُعْشِب
وانتظروا حتى يلوح الحِمَى ... فالعيش فيه طيّب طَيِّبُ e

وتوفى سنة ٦٨٤ هكذا ذكر ترجمته ابن حبيب ثم بعد كتبها حصل لى شكّ هل هو ممن ارتحل بنفسه *من الاندلس f او ولد بمصر وانما ارتحل اليها بعض سلفه

a) G. S. وخرطه. b) Même remarque. c) O. S. لبيس. d) S. وزاد. e) S. اطيب.
f) Ces mots ne se trouvent que dans S.

والله أعلم، وكذا نكر اخره ª بقوله فى سنة ٦٨٧ وفيها توفى الامام زكىّ الدين ابو اسحٰق ابراهيم بن عبد العزيز بن يحيى بن على الاشبيلى المالكى محدّث عالم، زاهد فيما ليس بدائم، كثير الخير، جزيل المَيْر، كان حسن المناهج، قاضيا للحوائج، محسنا الى الصامت والمُعْرِب، مقصدا لمن يردّ من الحجاز والمغرب، سمع بمصر ودمشق وحلب، وافتى ودرّس مفيدا لذوى الطلَب، ولم يبرح يعين باياديه ويغيث، وهو اوّل مَن باشر بظاهرة دمشق مشيخة الحديث، وكانت وفاته بدمشق عن نيف وسبعين سنة انتهى،

٢٠٧ ومنهم الاحقّ بالسبق والتقدّم بقى بن مخلد بن يزيد ابو عبد الرحمن القرطبى الاندلسى الحافظ احد الاعلام وصاحب التفسير والمسند اخذ عن يحيى بن يحيى الليثى ومحمد بن عيسى الاعشى وارتحل الى المشرق ولقى الكبار وسمع بالحجاز مصعبا الزهرىّ وابراهيم بن المنذر وطبقتهما وبمصر يحيى بن بكير وزهير بن عبّاد وطايفة وبدمشق ابراهيم بن ابراهيم ᵇ الغسّانى وصفوان بن صالح وهشام بن عمّار وجماعة وببغداد احمد بن حنبل وطبقته وبالكوفة يحيى بن عبد الحميد الحمّانى ومحمد بن عبد الله بن نمير وابا بكر بن ابى شيبة وطائفة وبالبصرة اصحاب حمّاد ابن زيد وعنى بالاثر عناية عظيمة لا مزيد عليها وعدد شيوخه ٢٣٤ رجلا وكان اماما زاعدا صوّاما صادقا كثير التهجّد مجاب الدعوة قليل المثل مجتهدا لا يقلد بل يفتى بالاثر ولد فى رمضان سنة ٢٠١ وتوفى فى جمادى الآخرة سنة ٢٧٩، قال ابن حزم أقطعُ انه لم يؤلّف فى الاسلام مثلُ تفسيره لا تفسير محمد بن جرير ولا غيره وكان محمد بن عبد الرحمن الاموى صاحب الاندلس محبّا للعلوم عارفا بها فلمّا دخل بقى بن مخلد الاندلس بمصنف ابن ابى شيبة قرأ عليه انكر جماعة من اهل الرأى ما فيه من الخلاف واستبشعوه وقام جماعة من العامّة عليه ومنعوه ᶜ من قرآءته فاستحضره الامير محمد واياهم وتصفّح الكتاب جزءًا جزءًا حتى اتى على آخره ثم قال لخازن كتبه هذا الكتاب لا يستغنى خزانتنا عنه فأنظرْ فى نسخة لنا وقال لبقى ᵈ انشر علمك وارو ما عندك ونهاهم ان يتعرّضوا له، قال ابن حزم مسند بقى روى فيه عن الف وثلاثمائة صاحب ونيّف ورتّب حديث كلّ صاحب على ابواب الفقه فهو

a) Voyez les extraits du *Dorrat-al-aslāk*, par M. Weijers, *Orientalia*, II, 278. b) S. عشام
c) G. L. ومنعه. d) S. لتقى.

مسند ومصنّف وما اعلم هذه الرتبة لاحد قبله مع ثقته وضبطه واتقانه واحتفاله فى الحديث وله مصنف فى فتاوى الصحابة والتابعين فيمن ذكرهم الذى اربى فيه على مصنف ابى بكر بن ابى شيبة وعلى مصنف عبد الرزاق وعلى مصنف سعيد بن منصور ثم ذكر تفسيره فقال فصارت تصانيف هذا الامام الفاضل قواعد الاسلام لا نظير لها وكان مستخيرا لا يقلّد احدا وكان جاريا فى مضمار البخارى ومُسْلم والنسآئىّ وذكر القشيرى ان امرأة جاءته فقالت له انّ ابنى قد اسرتْه الفرنج وانّى لا انام الليل من شوقى اليه ولى دُوَيرة اريد ان ابيعها لافتكّه بها فانْ رايت a تشير الى مَن ياخذها ويسعى فى فكاكه فليس لى ليل ولا نهار٬ ولا صبر ولا قرار، فقال نعم انصرفى حتى ننظر فى ذلك ان شآء الله واطرق الشيخ وحرك شفتيه يدعو الله عزّ وجلّ لولدها بالخلاص فذهبتْ فما كان غير قليل حتى جاءت وابنها معها فقالت آسمعْ خبره يرحمك الله فقال كيف كان امرك فقال انّى كنت فيمن يخدم الملك ونحن فى القيود فبينا انا ذاتَ يوم امشى اذ سقط القيد من رجْلى فاقبل علىّ الموكّل بى فشتمنى b وقال فككتَ القيد من رجليك فقلت لا والله ولكن سقط ولم اشعر فجاءوا بالحدّاد فاعاده وسمّر مسماره وايّده ثم قمت فسقط ايضا فسألوا رهبانهم فقالوا ألك والدة فقلت نعم فقالوا انه قد استجيب دعاؤها له اطلقوه فاطلقونى وخفرونى الى ان وصلت الى بلاد الاسلام .فسأله بقى عن الساعة التى سقط القيد من رجليه فيها فاذا هى الساعة التى دعا له فيها٬

ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق يوسف بن يحيى بن يوسف الازدى المعروف بالمغامى c من اهل قرطبة واصله من طليطلة وهو من ذرية ابى هريرة رضه سمع من يحيى بن يحيى وسعيد بن حسّان وروى عن عبد الملك بن حبيب مصنفاته وارتحل الى مصر وسمع من يوسف بن يزيد القراطيسى وعاد الى الاندلس وكان فقيها نبيلا فصيحا d بالعربية ثم بعد عوده من مصر اقام بقرطبة اعواما ثم عاد الى مصر واقام بها وسمع الناس منه وعظم امره بالبلاد المشرقيّة ثم انه عاد الى المغرب فتوفى

a) G. S. ajoute ان. b) G. S. فتشتمنى. c) G. بالمغامى ; S. بالغامى ; L. المغاجى. J'ai corrigé ce mot d'après Casiri (II, 139, c. 2) et le *Marāçid*, éd. Juynboll, III, 126. d) S. ajoute بصيرا.

بالقيروان سنة ٢٨٨ a *وبنى مصرة الواضحة لابن حبيب وصنّف شيئًا فى الردّ على الشافعيّة فى ١٠ اجزآء وألّف كتاب فضآئل مالك رضّه والذى يرتضى انّ مَن قلّد اماما من المجتهدين لا ينبغى له أن يغض من قدر غيره وان كان ولا بُدّ من الانتصار لمذهبه وتقوية حجّته فليكن ذلك بحسن ادب مع الائمة رضّهم فانهم على هدًى من ربّهم وقد ضلّ بعض الناس فحمله التعصّب لمذهبه على التصريح بما لا يجوز فى حقّ العلمآء الذين هم نجوم الملّة ولا حول ولا قوة الا بالله، وقد حكى ابو عبد الله الوادى آشى حسبما رايته بخطّه ان القاضى عبد الوهّاب بن نصر البغدادى المالكى الف كتابا لنصرة مذهب مالك على غيره من المذاهب فى مائة جزء وسمّاه النصرة لمذهب امام دار الهجرة فوقع الكتاب بخطّه بيد بعض قضاة الشافعيّة بمصر فغرقه فى النيل فقضى الله ان السلطان فرج بن برقوق سافر الى الشام ومعه القضاة الاربعة وغيرهم من الاعيان لدفع تمرلنك عن البلاد فلم يصنع شيئًا وهزم الى مصر وتفرقت العساكر وأُخذ القضاة والعلمآء اسارى ومن جملتهم ذلك القاضى فبقى فى اسر تمرلنك الى ان ارتحل عن الشام فاخذه معه اسيرا الى ان وصل الى الفرات فغرق فيه اعنى القاضى فراى بعض الناس ان ذلك بسبب تغريقه الكتاب المذكور والجزآء من جنس العمل والله اعلم، وقد نجّى الله من هذه الورطة قاضى القضاة ابا زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى المالكى صاحب كتاب العبَر وديوان المبتدآء والخبَر فى تاريخ العرب والعجم والبربر ومَن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر فانه كان من جملة القضاة الحاضرين فى الهزيمة فلما أُدخلوا على تمرلنك قال لهم ابن خلدون قدّمونى للكلام تنجون ان شاء الله تعَ والّا فانتم اخبر فقدّموه وعليه زى المغاربة فلمّا رآه تمرلنك قال له ما انت من هذه البلاد وتكلّم معه فخلبه ابن خلدون بلسانه وكان آية الله الباهرة ثم قال لتمرلنك انّى الفت كتابا فى تاريخ العالم وحليته بذكرك او كما قال ويقال ان تمرلنك هو الذى قال له بلغنى أنّك الفت كتابا فى تاريخ العالم ثم قال له تمرلنك كيف ساغ لك ان تذكرنى فيه وتذكر بخت نصر مع انّا خربنا العالم فقال له ابن خلدون أفعالكما العظيمة الحقتْكما بالذكر مع ذوى المراتب

a) L. ثمان وثمانين وستمائة. b) Ces mots sont probablement altérés. Je crois qu'il faut lire : وبيّن بمصر.

الجسيمة او نحو هذا من العبارات فاعجبه ذلك وقيل انه لما انس بابن خلدون قال له يا خوند ما أسفى الّا على كتاب الفتُه فى التاريخ وانفقت فيه ايام عمرى وقد تركتُه بمصر وان عمرى الماضى ذهب ضياعا حيث لم يكن فى خدمتك وتحت ظلّ دولتك والآن اذهبُ فآتى بهذا الكتاب وارجعُ سريعا حتى اموت فى خدمتك ونحو هذا من الكلام فاذن له فذهب ولم يعد اليه وقال بعض العلمآء انه لم ينج من يد ذلك الجبّار احد من العلمآء غير ابن خلدون ورجل آخر وقد ذكر ذلك ابن عرب شاه a فى عجائب المقدور وقد طال عهدى به فليراجع، وحكى غير واحد ان تمرلنك لمّا اخذ حلب على الوجه المشهور فى كتب التاريخ جمع العلمآء فقال لهم على عادته فى التعنّت قُتل منّا ومنكم جماعة فمَن الذى فى الجنّة قتلانا او قتلاكم وكان مراده ابرازُ سبب لقتلهم لانهم ان قالوا احد الامرين هلكوا فقال بعض العلمآء واظنّه ابن الشحنة دَعونى أُجيبه والّا هلكتم فتركوه فقال له يا خوند هذا السؤال اجاب عنه رسول الله صلّعم حين سُئل عنه فغضب تمرلنك b وقال كيف يمكن ان يجيب عن هذا رسول الله صلّعم ونحن لم نكن فى زمانه او كلاما هذا معناه فقال العالم المذكور روينا فى الصحيح ان النبىّ صلّعم سُئل عن الرجُل يقاتل شجاعة ويقاتل حميّةً ويقاتل ليُذكَر ويُرى مكانُه فمَن الذى فى الجنّة فقال النبىّ صلّعم مَن قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو الذى فى الجنّة او كما قال صلّعم فتعجّب تمرلنك من هذا الجواب المفحم المسْكِت وحق له ان يتعجّب منه فان هذا من الاجوبة التى يقلّ نظيرها وفيها المخلص على كل حال بالانصاف وقد وفق الله هذا العالم لهذا الجواب حتى يتخلص c على يده اولٰئك الاقوام من الطاغية الجبّار العنيد الذى جعل الله فتنته فى الاسلام وفتنة جنكزخان واولاده من اعظم الفتن التى وهى بها المسلمون، وذكر بعض العُلمآء ان ابن خلدون لما اقبل على تمرلنك قال له دعْنى اقبّل يدك فقال ولِمَ فقال لانها مفتاح الاقاليم يشير الى انه فتح خمسة اقاليم واصابع يده خمسة فلكل اصبع اقليم وهذا ايضا من دَهآء ابن خلدون وقد كدنا نخرج عن المقصود فى هذه الترجمة فلنصرف العنان، والله سبحانه المستعان،،

ومن الراحلين من الاندلس الامام الحافظ ابو بكر ابن عطية رحمه تع، قال الفتح ٣٠٩

a) Voyez la vie de Timour, par Aḥmed ibn-'Arab-chāh, éd. Manger, II, 63. b) Ce mot ne se trouve que dans le man. S. c) L. تتخلص.

شيخ العلم وحامل لوآئه، وحافظ حديث النبيّ صلّعم وكوكب سمآئه،، شرح الله لتحفظه a صدرَه، وطاول به عمرَه،، مع كونه فى كل علم وافر النصيب، مياسرا بالعلىّ والرقيب،، رحل الى المشرق لادآء الفرض، لابس برد من العمر الغضّ،، فروى وقيّد، ولقى العلمآء واسند، وابقى تلك المآثر وخلّد،، نشأ فى بيتةٍ b كريمة، وأُرومةٍ من الشرف غير مرومة،، لم يزلْ فيها على وجه الزمان اعلام علم، وارباب مجد ضخم،، قد قيّدت مآثرهم الكتب، واطلعتْهم التواريخ كالشهب،، وما برح الفقيه ابو بكر يتسنّم كواهل المعارف وغواربها، ويقيد شوارد المعانى وغرآئبها،، لاستضلاعه بالادب الذى احكم اصولَه وفروعَه، وعمر بُرْهَةً من شبيبة ربوعه،، وبرّز فيه تبريز الجواد المستولى على الامَد، وجلى عن نفسه به كما جلى الصّقّال عن النصل الفرد،، وشاهدُ ذلك ما اثبتُّه من نظمه الذى يروق جملةً وتفصيلا، ويقوم على قوة العارضة دليلا،، فمن ذلك قوله يحذر من خُلطآء الزمان، وينبّه على التحفّظ من الانسان،،

كن بذئب صائد مستأنسا   واذا ابصـ

انما الانسان بحر ما له   ساحل فاحذرْه ايّاك الغَمَرْ

وٱجعلِ الناس كشخصٍ واحدٍ   ثم كنْ من ذلك الشخص حذِرْ

ولَه فى الزهد

ايّها المطرود من باب الرضَى   كم يراك الله تلهو مُعرِضا

كم الى كم انت فى جهل الصبَى   قد مضى عمرُ الصبَى وانقرضى

قم اذا الليل دجت ظلمتُه   واستلذّ الجفن ان يغتمضا

فضع d الخدّ على الارض ونح   واقرع السنّ على ما قد مضَى

وله فى هذا المعنى

قلبىَ يا قلبىَ المعنّى   كم انا ادعى فلا اجيبَ

كم اتمادى على ضلالٍ   لا أَرْعَوِى لا ولا أنيبُ

وبلاهُ من سُوء ما دهانى   يتوب غيرى ولا اتوبُ

وا أَسَفِى كيف برءُ دآئى   دآئى كما شاءه الطبيبُ

لو كنت ادنو لكنتُ اشكو   ما انا من بابه قريبُ

ابعدنى منه سُوءُ فعلى   وهٰكذا يُبْعَد المريبُ

ما لى قدرٌ c واىُّ قدر   لِمَن أُحِلّت به الذنوبُ

---

a) S. لتحفظه. b) L. S. بنية. c) Telle est la leçon du man. (Goth.) du *Kalāyid*. Ceux d'al-Makkarī portent البرد. d) *Kalāyid* فدع.

ولهٗ في المعنى ايضا لا تجعلنْ رمضان شهرَ فكاهةٍ تُلْهيك فيه من القبيح فنونُهُ
وٱعلمْ بأنّك لا تنال قبولهُ حتى تكون تصومه وتصونُهُ

وله في مثل ذلك

اذا لم يكن في السمع منّى تصاوُن وفى بصرى غَضٌّ وفى مِقْوَلى صَمْتُ
فحظّى اذًا من صومى الجوع والظما وان قلت انى صمتُ يوما فما صمتُ

وله في المعنى الأوّل

جفوتُ اناسا كنت أَأْلَفُ وصلَهم وما في الجفا عند الضرورة من باس
بلوت فلم احمد واصبحتُ آيسا ولا شىء أشفَى للنفوس من اليأس
فلا تعذلونى في انقباضى فإنّنى رايت جميع الشرّ في خلطة الناسِ

وله يعاتب بعض اخوانه ·

وكنت اظنّ أنّ جبال رضوى تزول وأنّ وُدّك لا يزولُ
ولكنّ الامور لها اضطراب واحوال ابن آدم تستحيلُ
فانْ يكُ بيننا وصْل جميل والّا فليكن هجرٌ طويلُ

وامّا شعره الذى امتدحه من مَرْخ الشباب وعَفاره، وكلامه الذى وشحه بمآرب الغزل وأوطاره،، فانه نسى الى ما تناساه، وتركه حين كساه العلم والورع من ملابسه ما كساه،، فمن ما وقع من ذلك قوله

كيف السلوك ولى حبيب هاجرٌ قاسى الفؤاد يسومنى تعذيبا
لمّا درى أنّ الخيال مواصلى جعل السُّهادَ على الجفون رقيبا

وله ايضا يا من عهودى لديه ترعى انا على عهدك الوثيق
ان شئتِ ان تسمعى غرامى من مخبر عالم صدوقِ
فاستخبرى قلبكِ المعنّى يخبركِ عن قلبى المشوقِ

انتهى كلام الفتح، وابو بكر ابن عطيّة المذكور هو والد الحافظ القاضى ابى محمد عبد الحق بن عطيّة صاحب التفسير الشهير رحم الله الجميع، قال في الاحاطة في حقه ما ملخصه هو الشيخ الامام المفسّر عبد الحق بن غالب بن عطيّة المحاربى فقيه عالم بالتفسير والاحكام والحديث والفقه والنحو واللغة والادب حسَن التقييد له نظم ونثر ولى قضاء المرية سنة ٥٢٩ﻫ في محرّم وكان غاية في الذكاء والدهاء والتهمّم بالعلم سرى الهمّة في اقتناء الكتب توخّى الحق وعدل في الحكم واعزّ الخطّة روى

عن ابيه وابوى على الغسّانى والصدفى وطبقتهما والّف كتابه الوجيز فى التفسير فاحسن فيه وابدع وطار بحُسن نيّته كلّ مطار وبرنامجا ضمّنه مرويّاته واسمآء شيوخه فحرّر واجاد، ومن نظمه يندب عهد شبابه

سَقْيًا لعهد شباب ظلت امرح فى … رَيعانه وليالى العيش أسحارُ
ايام رَوْض الصبى لم تَذْو اغصنه … ورَوْنق العُمْر غضّ والهوى جارُ[a]
والنفس تركض فى تصمير شرّتها … طرفا له فى زمان اللّهو أحصارُ
عهدا كريما لبسنا فيه اردية … كانت عيانا ومحّتْ فهى آثارُ
مضى وابقى بقلبى منه نارَ اسًى … كونى سلاما وبَردا فيه يا نارُ
أبَعْد ان نعمتْ نفسى واصبح فى … ليل الشباب لصُبْح الشيب أسفارُ
وقارعَتْنى الليالى فانثنت كسَرا … عن ضيغم ما له نابٌ وأظفارُ
الا سلاح خلال اخلصت فلها … فى مَنْهل المجد ايراد واصْدارُ
اصبو الى روض عيش روضه خَضِل … او ينثنى بى عن العليآء اقصارُ
اذًا فعطّلتُ كفى من شبا قلم … آثاره فى رياض العلم أزهارُ

مولده سنة ٤٨١ وتوفى ٢٥ رمضان سنة ٥٤٩ بلورقة قصد ميورقة يتولّى قضاءها فصُدّ عن دخولها وصُرف منها الى لورقة اعتدآء عليه رحمه انتهى، وقال الفتح فى حقّه ما نصّه فتى العمر كهل العُلا، حديث السنّ قديم السّنا،، لبس الجلالة بُردا ضافيا، وورد مآء الاصالة صافيا، واوضح للفضل رسما عافيا،، وشنى من ذهنه للاغراض فننا فصدّا، وجعل فهمه شهابا رصدا،، سما الى رتب الكهول صغيرا، وشنّ كتيبة ذهنه على العلوم مغيرا،، فسباها معنى وفصْلا، وحواها فرعا واصلا،، وله ادب يسيل رضراضا، ويستحيل الفاظا مبتدعة واغراضا،، وقال فيه ايضا نبعة دوح العُلا، ومحرز ملابس الثنا،، فذّ الجلاله، واوحد العصر والاصاله،، وقارٌ كما رسى الهضْب، وادب كما اطرد السلسل العذْب،، وشيم تتصاعل لها قطع الرياض، وتبادرُ الظنّ به الى شريف الاغراض،، سابق الامجاد فاستولى على الامد بعُبابه، ولم ينض ثوبُ شبابه،، ادمن التعب فى السّودد جاهدا، فتى تناول الكواكب قاعدا،، وما اتكل على اوآئله، ولا سكن الى راحات[b] بكره واصآئله،، اثره فى كل معرفة علم فى راسه نار، وطوالعه فى آفاقها صُبْح او منار،،

a) S. حارّ. b) *Kalāyid* راحة.

وقد اثبت من نظمه المستبدع ما ينفح عبيرا، ويتّضح منيرا،، فمن ذلك قوله من قصيدة

وليلة جُبتُ فيها الجِزْع مرتديا بالسيف اسحبُ أذيالا من الظُّلَمِ
والنجم حَيْران فى بحر الدجى غرق والبرق فى طَيْلسان الليل كالعَلَمِ
كأنما الليل زنجىّ بكاهله جَرْح فينعب a احيانا له بدَمِ

انتهى المقصود منه وهو أَعْنى ابا بكر احد مشايخ عياض، حسبما المعت به فى ازهار الرياض،،

٣١٠ ومنهم شهاب الدين ابو العباس احمد بن فَرَح بالحاء المهملة بن احمد بن محمد الامام الحافظ الزاهد بقيّة السلف اللخمى الاشبيلى الشافعىّ اسره الافرنج سنة ٦٤٦ وخلص وقدم مصر سنة بضع وخمسين وقيل انه تمذهب للشافعىّ وتفقّه على الشيخ عزّ الدين ابن عبد السلام قليلا وسمع من شيخ الشيوخ شرف الدين الانصارى الحموى والمعين احمد بن زين الدين واسمعيل بن عزوز والنجيب بن الصيقل وابن علاف وبدمشق عن ابن عبد الدائم وخلق وعنى بالحديث واتقن الفاظه، وعرف رُواته وحُفّاظه،، وفهم معانيه، وانتقى لئاليه، قال الصفدىّ وكان من كبار ائمة هذا الشان، وممّن يجرى فيه وهو طلق اللسان،، هذا الى ما فيه من ديانة، وورع وصيانة،، وكانت له حَلقةُ اشتغالُ b بكرة بالجامع الاموى يلازمها، ويحوم عليه من الطلب c حوآئمها،، سمع عليه الشيخ شمس الدين الذهبىّ واستفاد منه، وروى فى تصانيفه عنه،، وعُرضت عليه مشيخة دار الحديث النوريّة فاباها، ولم يقبل حُباها،، وكان بزىّ الصوفيّه، ومعه فقاهة بالشافعيّه،، ولم يزل على حالة حتى احزن الناس ابنُ فَرَح، وتقدم الى الله تَعَ وسرح،، وشيّع الخلقُ جنازتَه، وتولّوا وضعَه فى القبر وجنازته d،، وتوفى رحمه ٩ e جمادى الآخرة سنة ٦٩٩ ومولده سنة ٦٢٥ وله قصيدة غزليّة فى القاب الحديث سمعها منه الدمياطى واليونينى وسمع منه البرزالى والمقاتلى والنابلسى f وابو محمد ابن الوليد ومات بتربة أُمّ الصالح بالاسهال والقصيدة المذكورة هى هذه

غرامى صحيح والرجا فيكَ مُعْضلُ وحُزنى ودمعى مطلق ومسلسلُ
وصبرِىَ عنكم يشهد العقل انه ضعيف ومتروك وذلّىَ اجملُ

a) *Kalāyid* et al-Makkari G. R. فيثعب. b) G. O. S. اشغال. c) O. الطلاب. d) G. L. O. حيازته. Je crois que ce mot est altéré et qu'il faut lire نياحته. e) S. ٧. f) Telle est la leçon du man. O.; G. النابنسى ; L. S. النابسى.

ولا حسنٌ الّا سَمَاعُ حديثكم ، مشافهةً يُملَى هلىّ فانقلُ
وامرِىَ موقوف عليك وليس لى على احد الّا عليك المعوّلُ
ولو كان مرفوعا اليك لكنتَ لى على رغم عُذّالى ترقّ وتعدلُ
وعذل عذولى منكَرٌ لا أُسيغه وزور وتدليس يُرَدّ ويُهْمَلُ
أُقَضّى زمانى فيك متّصلَ الاسى ومنقطعا عمّا به اتوصّلُ
وها أنا فى اكناف[a] هجرك مُدْرَج تُكلّفنى ما لا اطيق فاحملُ
واجرَيت دمعى بالدمآء مُدَبَّجا وما هو الّا مهجتى تتحلّلُ
فمتّفق جفنى وسُهْدى وعبرتى ومفترق صبرى وقلبى المبَلْبَلُ
ومؤتلف شجوى ووجدى ولوعتى ومختلف حظّى وما منك آملُ
خُذ الوجدَ عنّى مسندًا ومعنعنا فغيرى موضوع الهوى يتحيّلُ ،
وذى نبَذ من مُبْهَم الحبّ فاعتبر وغامضَه ان رُمْتَ شرحا احوّلُ
عزيز بكم صَبّ ذليل لغيركم ومشهورُ اوصاف المحبّ التذلّلُ
*غريب يقاسى البعد عنك وما له وحقّ الهوى عن داره متحوّلُ
فرِقُا بمقطوع الوسآئل ما له اليك سبيل لا ولا عنك معدلُ[b]
فلا زلتَ فى عزّ منيع ورفعة وما زلت تعلو بالتجنّى فانزِلُ
أُورّى بسُعْدى والرباب وزينب وانت الذى تعنى وانت المؤمَّلُ
فخذ اوّلا من آخرٍ ثمّ اوّلا من النصف منه فهو فيه مكمَّلُ
أبرّ اذا اقسمتَ انّى بحبّه[c] أهيم وقلبى بالصبابة يَشعَلُ

وقد ذكرت شرحها فى الجزء الثلاثين من تذكرتى انتهى كلام الصفدى، وظاهر كلامه انه ابن فَرح بفتح الرآء والذى تلقيناه عن شيوخنا انّه بسكون الرآء وقد شرح هذه القصيدة جماعة من اهل المشرق والمغرب يطول تعدادهم وهى وحدها دالّة على تمكّن الرجل رحمه،

a) Telle est la leçon du man. O.; G. L. S. portent اكفان. b) S.

بقاسى البعد عنك وما له اليك سبيل لا ولا عنك معدلُ
فرقنا بمقطوع الوسآئل ما له وحقّ الهوى عن داره متحوّلُ

c) L. احبّه.

٢١١ ومنهم عبد العزيز بن عبد الملك بن نصر ابو الاصبغ الاموى الاندلسى سمع بمكة وبدمشق ومصر وغيرها وحدّث عن سليمان بن احمد بن يحيى بسنده الى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلّعم انّ لكلّ بنى اب عصَبةً ينتمون اليها الّا ولد فاطمة فأنا وليّهم وأنا عصبتهم وهم عترتى خلقوا من طينتى ويل للمكذّبين بفضلهم مَن أحَبّهم احبّه الله ومَن أبغضهم ابغضه الله، وحدّث عن ابى العبّاس احمد بن محمد البَرْذعىّ بسنده الى عبد الله بن المبارك قال كنت عند مالك بن انس وهو يحدّثنا فجآءت عقرب فلدغتة ١٦ مرّة ومالك يتغيّر لونه ويتصبّر ولا يقطع حديث رسول الله صلّعم فلمّا فرغ من المجلس وتفرّق الناس عنه قلت له يا ابا عبد الله قد رايت منك عجبا قال نعم انا صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلّعم، وُلد ابو الاصبغ المذكور بقرطبة وتوفى ببخارى سنة ٣٦٥، قال الحاكم ابو عبد الله رايت ابا الاصبغ فى المنام فى بستان فيه خضرة ومياه جارية وفُرش كثيرة وكأنى اقول انها له فقلت يا ابا الاصبغ بما ذا وصلتَ اليه أبالحديث فقال اى والله وهل نجوتُ الّا بالحديث، قال ورايته ايضا وهو يمشى بزىّ احسن ما يكون فقلت أأنت ابو الاصبغ قال نعم قلت أدْعُ الله ان يجمعنى وايّاك فى الجنّة فقال انّ أمام الجنة اهوالا ثم رفع يديه فقال اللهمّ اجعلْه معى فى الجنة بعد عمر طويل انتهى،

٢١٢ ومنهم القاضى ابو البقاء خالد البَلَوىّ الاندلسى رحمه وهو خالد بن عيسى بن احمد بن ابراهيم بن ابى خالد البلوى ووصفه الشاطبى بانه الشيخ الفقيه القاضى الاعدل انتهى، وهو صاحب الرحلة المسمّاة تاج المفرق فى تحلية اهل المشرق، ومما انشده رحمه فيها لنفسه

ولقد جرى يومَ النوى دمعى دما ... حتى اشاع الناس أنّك فانى
والله ان عاد الزمان بقربنا ... لكففت عن ذكر النوى وكفانى

وهذه الرحلة المسمّاة بتاج المفرق مشحونة بالفوآئد والفرآئد، وفيها من العلوم والآداب ما لا يتجاوره الزائد،، وقد قال رحمه فيها فى ترجمة الولى نجم الدين الحجازى رضه ما نصّه وذكر لى رضه قال ممّا وصّى به الجدّ الاكبر ابو الحجاج يوسف المذكور يعنى سيدى ابا الحجاج يوسف بن عبد الرحيم الاقصرى القطب الغوث رضه واعاد علينا من بركاته خواصّه واصدقآوه قال اذا ادركتكم الضرورة والفاقة فقولوا حسبى الله ربّى الله يعلم اننى فى ضيق، قال وذكر لى ايضا رضه قال رأى هذا الجدّ يوسف المذكور النبى

صلّعم في النوم بعد ان سأل الله تع ذلك وقد كانت اصابَتْه فاقة فشكا الى النبيّ صلّعم فقال له رسول الله صلّعم قُلْ يا بَرّ يا رحيم الطُف بي في قضآئك ولا تولِ امرى احدًا سواك حتى القاك فلما قالها أذهب الله تع فاقته قال فكان رحه يوصى بها اصحابَه واحبابه انتهى ونسب بعضهم القاضى خالد المذكور الى انتحال كلام العماد في البرق الشامى لانّ خالد اكثر في رحلته من الاسجاع التى للعماد، فلذا قال لسان الدين ابن الخطيب فيه

خليليّ إن يقض a اجتماع بخالد   فقُولا له قولا ولن تعدوا b الحقّا
سرقتَ العماد الاصبهانيّ بَرْقَه   وكيف ترى في شاعر سرق c البرقا

واظنّ ان لسان الدين كان منحرفا عنه ولذلك قال في كتابه خطرة الطيف . ورحلة الشتآء والصّيْف عند ما جرى ذكر قنتورية d وقاضيها خالد المذكور ما صورته لم يتخلف ولد عن والد، وركب قاضيها ابن ابى خالد،، وقد شهّرته النزعة الحجازيّه، ولبس من خُشن e الحجّى زيّه،، وارخى من البياض طيلسانا، وتشبّه بالمشارقة شكلا ولسانا،، والبَداوة تَسِمُه على الخرطوم، وطبعُ المآء والهوآء يقوده قودَ الجمَل المخطوم،. انتهى، ومن نظم ابى البقآء خالد البلوى المذكور قوله

اتى العيد واعتاد الاحبّةُ بعضُهم   ببعض وأحباب المتيّم قد بانوا
واضحى وقد ضحّوا بقربانهم وما   لديه سوى حمر المدامع قربانُ

وقال في رحلته انه قال هذين البيتين بديهةً بمصلى تونس في عيد النحر من سنة ٧٣٧، ومن نظمه ايضا قوله رحه

ومستنكرٍ شيبى وما ذهب الصبَى   ولا جفّ اينـاعُ الشبيبة من غصنى
فقالتْ فراقى للاحبّة مؤذن   بشيبى وان كنتُ ابنَ عشرين من سنّى

ومحاسنه رحه كثيرة وفي الرحلة منها جملة،

٢١٣ ومنهم برهان الدين ابو اسحق بن الحاج ابراهيم النميرى الغرناطى وهو ايضا مذكور في ترجمة ابن الخطيب بما يغنى عن تكرير ذكره هنا، وقال رحه في رحلته اخبرنى شيخنا يعنى الشيخ الامام الصالح ابا عبد الله محمد المعروف بخليل

---

a) Les man. portent يقضى. b) O. تعدلوا. c) S. يسبق. d) C'est ainsi qu'on lit dans l'*Ihâtah*, par Ibn-al-Khatîb (man. de M. de Gayangos). C'est Cantória ou Canteria, sur l'Almanzora. Les man. d'al-Makk. portent فنتورنة. e) Telle est la leçon du man. L.; G. حسن. S. ; خش. O. ; حشن.

التّوزرىّ امام المالكيّة بالحرم الشريف رضه قال اعتكفتُ بجامع عمرو بن العاصى كفّا لشرّتى عن الناس خصوصا أذىّ الغيبة نحو ٥٠ ليلة اردتُّ ان ادعو لطايفة من اصحابى بمطالب مختلفة كلّ بحسب ظنّى فيه يومئذ فادركتْنى حَيرة فى التمييز والتخصيص فالهمت ان قلت بديهة

شهدنا بتقصير ألبابنا فحسْن اختيارك اولى بنا
وانت البصيرُ بأعدآئنا وانت البصير باحبابنا

قال ثم اردفتها بدعآء وهو اللهمّ يا مَن لا يعلم خيره الّا هو انت اعلم بأعدآئنا واوادينا فافعلْ بكلّ منهم ما يناسب حسن اختيارك لنا حسبما علمته منّى وكفى بك عليما وكفى بك قديرا وكفى بك نصيرا وكفى بك بصيرا وكفى بك لطيفا وكفى بك خبيرا وصلى الله على سيّدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم كثيرا كثيرا كثيرا، وقال ابن الحاجّ المذكور فى الرحلة المذكورة اذا التقى الرجل بعَدوّه وهو على خوف منه فليقرأْ هذه الحروف كهيعّص حم عسّق وليعقد بكلّ حرف منها اصبعا يبدأُ بابهام يده اليمنى ويختم بابهام اليسرى فاذا قرب من عدوّه فليقرأْ فى نفسه سورة الفيل فاذا وصل الى قوله تَرْميهِمْ a فليكررها وكلما كررها فليفتح اصبعا من اصابعه المعقودة تجاهُ العدوّ فليكررها عشر مرّات ويفتح جميع اصابعه فاذا فعل ذلك امِنَ من شرّه ان شآء الله تعٓ وهو مجرب انتهى، ومن بديع نظم ابى اسحق ابن الحاجّ النُّمَيْرى المذكور قوله

يا رُبَّ كاس لم يسغْ شَمولها فاعجبْ لها جسما بغير مِزاجِ
لمّا راينا السحر من اشكالها جملا نسبناه الىْ الزجاجِ

وله فيما اظنّ له شفة اضاعوا النشر فيها بلثم حين سدّتْ ثغر بدرى
فما اشهى لقلبى ما اضاعوا *ليومِ كريهةٍ وسِداد ثغرهِ b

وهو تضمين حسن،

٢٤٤ ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق امام النحاة اثير الدين ابو حيان محمد ابن يوسف بن على بن يوسف بن حيان النفزى الاثرى الغرناطىّ، قال ابن مرزوق الخطيب فى حقه هو شيخ النحاة بالديار المصريّة، وشيخ المحدّثين بالمدرسة

a) Voyez Sour. 105, vs. 4. b) Voyez ce vers dans les Annales d'Abou'l-fidā, II, 138.

المنصوريّة ،، انتهت اليه رئاسة التبريز فى علم العربيّة واللغة والحديث سمعت عليه وقرأت وانشدنى الكثير واذا انشدنى شيئًا ولم اقيّده استعاده منّى فلم احفظه فانشدنى وكنت اظنّه لنفسه ارتجالا الى ان اخبرنى احدُ اصحابنا عنه انه اخبره انّهما لابى الحسن التجانى انشدهما له ببيته بالمدرسة الصالحيّة

انّ الذى يروى ولكنّه   يحفظ ما يروى ولا يكتبُ
كصخرة تنبع امواجُها   تسقى الاراضى وهى لا تشربُ

قال ورويت عنه تواليف ابن ابى الاحوص منها التبيان· فى احكام القرآن، والمُغْرِب المفهم· فى شرح مسلم، ولم اقف عليه والوسامة· فى احكام القَسامة، والمشرع السلسَل· فى الحديث المسلسَل، وغير ذلك وحدّثنى بسُنن ابى داود عن ابن خطيب المِزّة عن ابى حفص بن طبرزد عن ابى البدر الكروخى ومفلح الرومى عن ابى بكر بن ثابت الخطيب عن ابى عمر الهاشمى عن اللؤلؤى عن ابى داود وبسُنن النسآءى عن جماعة عن ابن باقا عن ابى زرعة عن ابن حميد الدوسى عن ابى نصْر الكسّار عن ابن السِنّى عن النسآءى وبالموطّأ عن ابى جعفر ابن الطباع بسنده وشكوت اليه يوما ما يلقاه الغريب من اذاة a العداة فانشدنى لنفسه

عداتى لهم فضل علىّ ومنّة   فلا اذهَبَ الرحمن عنّى الاعاديا
همُ بحثوا عن زلتى فاجتنبتُها   وهم نافسونى فاكتسبت المعاليا

وانشدنى ايضا من مداعباته وله فى ذلك النظم الكثير مع طهارته وفضله

علّقتُه سَبَجِىّ اللون قادحُه   ما ابيضّ منه سوى ثغر حكى الدررَا
قد صاغه منْ سواد العين خالقه   فكلّ عين اليه تدمن النظرا

وانشدنى فى جاهل لبس صوفا وزها فيه

ايا كاسيا من جيّد الصوف نفسَه   ويا عاريا من كلّ فضل ومن كَيِسِ
اتزهى بصوف وهو بالامس مصبح   على نَعْجة واليوم امسى على تَيْسِ

انتهى ما اختصرته من كلام الخطيب ابن المرزوق، وانشد الرحالة ابن جابر الوادى آشى لابى حيّان قوله

وقصّر آمالى مآلى الى الردَى   وانّى وان طال المدَى سوف اهلكُ

a) Les man. portent اذابة.

. فصنّت a بمآء الوجه نفس b ابيّة   وجادت يمينى بالذى كنتُ املكُ

ووقفت على اعيان العصر، واعوان النصْر، للصفدى فوجدت فيه ترجمة ابى حيّان واسعة فرايت ان اذكرها بطولها لما فيها من الفوآئد، وهى الشيخ الامام العالم العلامة الفريد الكامل حجّة العرب، مالك ازمّة الادب، اثير الدين ابو حيّان الاندلسىّ الجيّانىّ بالجيم واليآء اخر الحروف مشدّدة وبعد الالف نون كان امير المؤمنين فى النحو، والشمس السافرة شتآء فى يوم الصحو، والمتصرف فى هذا العلم فاليه الاثبات والمحو، لو عاصر ايمّةَ البصرة لبصّرهم، واهلَ الكوفة لكفّ عنهم أتباعَهم السّواد وحذّرهم، نزل منه كتاب سيبويه فى وطنه بعد ان كان طريدا، واصبح به التسهيل بعد تعقيده مفيدا، وجعل سرحةَ شرحه وجنةً راقت النواظر توريدا، ملأ الزمان تصانيف، وامال عنق الايّام بالتواليف، تخرج به أيمة فى هذا الفن، وروّق لهم فى عصره منه سُلافة الدّن، فلو رآه يونس بن حبيب، لكان بغيضا غير مجيب، او عيسى ابن عمر، لاصبح من تقصيره وهو محذّر، او الخليلُ لكان بعينه قذّاه، او سيبويه لَمّا تردّى من مسألته الزنبوريّة برداه، او الكسآءىّ لاعراه حلّة جاهه عند الرشيد وانآسه، او الفرّا لَفَرّ منه ولم يقتسم ولد المامون * تقديم مداسه c، او اليزيدى لما ظهر نقصُه d من مكامنه، او الاخفشُ لا خفى جملة من محاسنه، او ابو عبيدة لما تركه ينصبّ لشِعْبِ الشُّعوبيّه، او ابو عمرو لشغله بتحقيق اسمه دون التعلّق بعربيّه، او السُّكّرِى لما راق كلامه فى المعانى ولا حلا، او المازنىّ لما زانه قوله * إنّ مصابكم رجلا e، او قطرب لمّا دبّ فى العربيّة ولا درج، او ثعلبْ لاستكن بمكره فى وكره ولما خرج، او المبرّد لاصبحت قواه مقترّه f، او الزجّاج لأمست قوازيره مكسّره، او ابن الوزان لعدم نقده، او الثمانينى g لما تجاوز حدّه، او ابن باب لعلم ان قياسه ما اطّرد، او ابن دريد ما بلغ ريقه ولا آزدرد، او ابن قُتيبة لاضاع h رَحْله، او ابن السراج لمشاه اذا راى وحْلَه، او ابن الخشاب لاضرم فيه نارا، ولم اجد معه نورا، او ابن الخباز لما سَجِر له تنّورا، او ابن القواس لما أُغرِق فى نَزْعه i، او ابن يعيش

---

a) G. O. فصنت ; S. تضيبت. b) G. O. S. نفسا. c) Voyez Ibn-Khallikān, n°. 808 (éd. Wustenfeld, p. ۴۰). d) L. نقضه. e) Voyez Ibn-Khallikān, n°. 117. f) G. S. مقترّه, L. مقترّ. g) Les man. portent ou (G. L.) الثمانيف ou (S) التمانينى. J'ai corrigé d'après Ibn-Khallikān, n°. 505. h) L. لاضاح. i) G. L. نزعه.

لأُوقعه فى نزعه،، او ابن خَرُوف لما وجد له مرعى، او ابن أيّاز لما وجد لأوزاره وقعا،، او ابن الطراوة لم يكن نحوه طريّا، او ابن الدباج لكان من حُلّته الرائقة عريّا،، وعلى الجملة فكان امام النحاة فى عصره شرقا وغربا، وفريد هذا الفنّ الفذّ بُعدا وقربا،، وفيه قلت

سلطان علم النحو استاذنا   ألشيخ اثير الدين حبر الانامْ
فلا تقل زيد وعمرو فما   فى النحو معْه لسواه كلامْ

خدم هذا العلم مُدّة تقارب الثمانين، وسلك من غرآئبه وغوامضه طَرَقا متشعّبة[a] الافانين،، ولم يزل على حاله الى ان دخل فى خبرِ كان، وتبدّلت حركاته بالاسكان،، وتوفى رحمه تع بمنزله خارج باب البحر بالقاهرة فى يوم السبت بعد العصر الثامن والعشرين من صفر سنة ٧٤٥ ودفن من الغد بمقبرة الصوفيّة خارج باب النصر وصُلى عليه بالجامع الاموى بدمشق صلاة الغايب فى شهر ربيع الاخر ومولده بمدينة مَطَخْشارَش فى اخريات شوال سنة ٦٥٤، وقلت انا ارثيه رحمه تع .

مات اثير الدين شيخ الورى   فاستعمر البارق واه
ورق من حزنٍ[b] نسيم الصبَى   واعتلّ فى الاسحار لما سرَى
وصادحات الايك فى نوحها   رثْته فى السجع على حرفِ را
يا عين جُودِى بالدموع التى   يروى بها ما ضمّه من ثرى
واَجرِى دمًا فالخطبُ فى شانه   قد اقتضى اكثر مما جرَى
مات امام كان فى فنّه   يرى اماما والورى مِن ورَا
امسى منادًى للبلا مفردا   فضمّه القبر على ما ترى
يا أسَفى كان هدًى ظاهرا   فعاد فى تربته مُضْمَرا
وكان جمع الفضل فى عصره   صحّ فلمّا ان قضى كُسّرا
وعرّف الفضل به برهة   والآن لما ان قضى، نكّرا
وكان ممنوعا من الصرف لا   يطرق مَن وافاه خطبٌ عَرَا
لا افعل التفضيل[c] ما بينه   وبين مَن اعرفه فى الورى
لا بدّل عن نعته بالتقى   ففعله كان له مَصْدرا

a) L. متشبّعة.   b) G. L. حسن.   c) G. L. S. التفصيل.

لم يدّغمْ فى اللحد الّا وقد فكّ من الصبر وثيقَ العُرَى
بكى لـه زيـد وعمرو فمـن امثلة الـنـحـو ومـمّـن قـرا
ما اعقد التسهيل من بعده فكم لـه مـن عـسـرة يـسّـرا
وجسّر النـاسَ عـلـى خوضه اذ كان فى النحو قد استبحَرا
من بعده قـد حـال تمييزه وحـظّـه قـد رجـع القهقرَى
شارك من قد ساد فى فنّه وكم لـه فـنّ بـه استاثـرا
دأبُ بنى الآداب ان يغسلوا بدمعهم فـيـه بقايا الكَرَى
والنحو قد سار الردَى نحوه والصرف للتصريف قد غُيّرا
واللغة الفصحَى غدت بعده يَلْغَى الذى فى ضبطها قرّرا
تفسيره البحر المحيط الذى يهـدى الـى وُرّاده الجوهَرَا
فـوائـدُ مـن فـضـلـه جمّةٌ عليه فيها نعقد الخنْصرا
وكان ثَـبْـتـا نقله حُـجّـةً مثـل ضيـاء الصبح ان أسفرا
ورحله فـى سُـنّـة المصطفى اصدق مَن يسمع ان اخبرا
له الاسانيد التى قد علَت فٱستَعْلت عنها سوامى الذرى
ساوى بها الاحفادُ أجْـدادَهم فٱعجبْ لماض فاته مَن طرا
وشـاعرا فـى نـظـمـه مُغلَقا كم حَرّر اللفظ وكم حَبّـرا
لها a معان كلّما خطّـهـا تستر مـا يـرقـم فـى تستـرا
افديه من ماضٍ لامرِ الردَى مستقـبـلا مـن ربّـه بالقِرَى
ما بات فـى ابيض اكفانـه الّا واضحى سندُسا اخضرا
تُصافِح الـحـورُ لـه راحـةً كم تعبتْ فى كلّ مـا سَطّرا
ان مات فـالذكـر له خالدٌ يحيى به من قبل ان يُنشرا
جاد ثرى وافـاه غـيـثٌ اذا مـسّـاه بـالـسـقـى لـه بَكّرا
وخـصّـه مـن ربّـه رحـمـة تُـوردِه فـى حشره الكوثـرا

وكان قد قرأ القرآات على الخطيب ابى محمد عبد الحق بن على بن عبد الله نحوا من عشرين ختمة افرادًا وجمعًا ثم على الخطيب الحافظ ابى جعفر احمد

a) Lisez له.

الغرناطيّ المعروف بالطبّاع بغرناطة ثم قرأ السبعة الى آخر سورة الحجر a على الخطيب الحافظ ابى على الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن ابى الاحوص بمالقة ثم انه قدم الاسكندرية وقرأ القرآت على عبد النصير بن على بن يحيى المربوبطى b ثم قدم مصر فقرأ بها القرآت على ابى الطاهر اسمعيل بن هبة الله المليحى وسمع الكثير، على الجمّ الغفير، بجزيرة الاندلس وبلاد افريقيّة والاسكندريّة وديار مصر والحجاز وحصّل الاجازات من الشام والعراق وغير ذلك واجتهد فى طلب التحصيل والتقييد والكتابة ولم ار فى اشياخى اكثر اشتغالا منه لانّى لم اره قط الّا يسمع او يشتغل او يكتب ولم اره على غير ذلك وله اقبال على الطلبة الاذكياء وعنده تعظيم لهم ونظم ونثر وله الموشحات البديعة وهو ثبت فيما ينقله محرّر لما يقوله عارف باللغة ضابط لالفاظها وأمّا النحو والتصريف فهو امام الناس كلهم فيهما لم يذكر معه فى اقطار الارض غيره فى حياته وله اليد الطولى فى التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم وحوادثهم خصوصا المغاربة وتقييد اسمآئهم على ما يتلفظون به من امالة وترقيق وتفخيم لانهم يجاورون بلاد الافرنج واسمآؤهم قريبة من لغاتهم وألقابهم كذلك وقيّده وحرّره وسأله شيخنا الذهبى اسئلة فيما يتعلق بذلك واجابه عنها وله التصانيف التى سارت وطارت وانتشرت وما انتثرت وقرئت ودُريت ونُسخت وما فُسخت أخملت كتب الاقدمين، وألهت المقيمين بمصر والقادمين، وقرأ الناسُ عليه وصاروا ائمة واشياخا فى حياته وهو الذى جسّر الناس على مصنّفات ابن مالك رحمه تعَ ورغبهم فيها وفى قرآنها وشرح لهم غامضها وخاض بهم لُججها وفتح لهم مقفلها وكان يقول عن مقدمة ابن الحاجب هذه نحو الفقهآء وكان التزم ان لا يُقرئ احدا الّا ان كان فى كتاب سيبويه او فى التسهيل لابن مالك او فى تصانيفه ولما قدم من البلاد لازم الشيخ بهآء الدين رحمه كثيرا واخذ عنه كتب الادب وكان شيخنا حسن العمّة مليح الوجه ظاهر اللون مشربا حمرةً منوّر الشيبة كبير اللحية مسترسل الشعر فيها لم تكن كثّةً عبارته فصيحة بلغة الاندلس يعقد حرف القاف قريبا من الكاف على انه لا ينطق بها فى القرآن الّا فصيحة وسمعته يقول ما فى هذه البلاد مَن يعقد حرف القاف وكانت له خصوصيّة بالامير سيف الدين ارغون كافل الممالك ينبسط معه

a) S. الحجّ. b) Lisez المربوطى.

ويبيت عنده فى قلعة الجبل ولما توفّيت ابنته نصار طلع الى السلطان الملك الناصر محمد وسأل منه ان يدفنها فى بيته داخل القاهرة فى البرقيّة فأذن له فى ذلك .
وكان أوّلا يرى رأى الظاهريّة ثم انه تمذهب للشافعىّ رضه بحث على الشيخ علم الدين العراقى المحرّر للرافعى ومختصر المنهاج للنووى وحفظ المنهاج الا يسيرا وقرأ اصول الفقه على استاذه ابى جعفر ابن الزبير بحث عليه من الاشارة للباجى ومن المستصفى للغزالى وعلى الخطيب ابى الحسن ابن فضيلة وعلى الشيخ علم الدين العراقى وعلى الشيخ شمس الدين الاصبهانى وعلى الشيخ علآء الدين الباجى وقرأ اشيآء من اصول الدين على شيخه ابن الزبير وقرأ عليه شيئا من المنطق وقرأ شيئا من المنطق على بدر الدين محمد بن سلطان البغدادى وقرأ عليه شيئا من الارشاد للعميدى فى الخلاف ولكنّه برع فى النحو وانتهت اليه الرئاسة والمشيخة فيه وكان خاليا من الفلسفة والاعتزال والتجسيم وكان أوّلا يعتقد فى الشيخ تقىّ الدين ابن تيميّة وامتدحه بقصيدة ثم انه انحرف عنه لمّا وقف على كتاب العرش له، قال الفاضل كمال الدين الادفوى وجرى على مذهب كثير من النحويّين فى تعصّبه للامام على ابن ابى طالب رضه التعصّب المتين قال حكى لى انه قال لقاضى القضاة بدر الدين ابن جماعة انّ عليّا رضه عهد اليه النبىّ صلعم ان لا يحبّك الّا مؤمن ولا يبغضك الّا منافق اتراه ما صدق فى هذا فقال صدق قال فقلت له فالذين سلوا السيوف a فى وجهه يبغضونه او يحبّونه او غير ذلك قال وكان سىّء الظنّ بالناس كافةً فاذا نقل له عن احد خير لا يتكيف به وينثنى عنه حتى ممّن هو عنده مجروح فيقع فى ذمّ مَن هو بألسنة العالم ممدوح وبسبب ذلك وقع فى نفس جمع كبير منه الم كثير انتهى، قلتُ انا لم اسمع منه فى حقّ احد من الاحيآء والاموات الّا خيرا وما كنت انقمُ عليه شيئا الا ما كان يبلغنى عنه من الحطّ على الشيخ تقىّ الدين ابن دقيق العيد على اننى انا ما سمعت فى حقّه شيئا نعم سمعتُه كان لا يثق بهؤلآء الذين يدعون الصلاح حتى قلت له يوما يا سيّدى فكيف تعمل فى الشيخ ابى مَدْيَن فقال هو رجل مسلم ديّن والّا ما كان يطير فى الهوى ولا يصلّى الصلوات فى مكّة كما يدعى فيه هؤلآء الاغمار وكان فيه رحّه تع خشوع يبكى اذا سمع

a) G. S. السيف.

القرآن ويجرى دمعه عند سماع الاشعار الغزليّة، وقال كمال الدين المذكور قال لى
اذا قرأت اشعار العشق اميل اليها وكذلك اشعار الشجاعة تستميلنى وغيرهما الّا
اشعار الكرم ما تؤثر فىّ انتهى، قلتُ كان يفتخر بالبخل كما يفتخر غيره بالكرم
وكان يقول لى اوصيك احفظْ دراهمك ويقال عنك بخيل ولا تحتجْ الى السفل،
وانشدنى من لفظه لنفسه

رجاؤك فلسا قد غدا فى حبائلى   قنيصا رجآء للنتاج من العُقْمِ
أأتعب فى تحصيله وأُضيعه   اذا كنت معتاضا عن a البرْء بالسُّقْمِ

قلت والذى اراه فيه انه طال عمرُه وتغرب وورد البلاد ولا شىء معه وتعب حتى حصّل
المناصبُ تعبا كثيرا وكان قد جرب الناس وحصّل اشطر الدهر ومرّت به حوادث
فاستعمل الحَزْمَ وسمعته غير مرة يقول يكفى الفقير فى مصر ۴ افلس يشترى له باينه
بفلسين ويفلس زبيبا وبفلسٍ b كوز مآء ويشترى ثانى يوم ليمُوناه ياكل به الخبز وكان
يعيب على مشترى الكتب ويقول الله يرزقك عقلا تعيش به انا أىّ كتاب اردته استعرته
من خزائن الاوقاف واذا اردت من احد ان يُعيرنى دراهم ما اجد ذلك، وانشدنى
له اجازة

ان الدراهم والنسآء كلاهما   لا تامنن عليهما انسانا
ينزعن ذا اللبّ المتين عن التقى   فترى اسآءة فعله احسانا

وانشدنى له من ابيات

اتى بشفيع ليس يمكن ردُّه   دراهم بيض للجروح مراهمُ
تصيّر صعبَ الامر اهون ما يُرى   وتقضى لُبانات الفتى وهو نائمُ

ومن حزمه قوله عَداتى لهم فضل البيتين وقد مدحه كثير من الشعرآ والكبار الفضلآء
فمنهم القاضى محيى الدين ابن عبد الظاهر بقوله

قد قلتُ لمّا ان سمعت مباحثا   فى الذات قرّرها اجَل مفيدِ
هذا ابو حيّان قلت صدقتم   وبررتمُ هذا هو التوحيدى

وكان قد جآء يوما الى بيت الشيخ صدر الدين ابن الوكيل فلم يجده فكتب
بالجصّ على مِصْراع الباب فلمّا رأى ابن الوكيل ذلك قال

قالوا ابو حيّان غير مُدافَع   ملك النحاة فقلت بالاجماعِ

a) Les man. portent من. b) S. ajoute بفلس.

اسم الملوك على النقود واننى   شاهدتُّ كنيته على المصراعِ

ومدحه شرف الدين ابن الوحيد بقصيدة مطوّلة اوّلها

اليك ابا حيّان اعملتُ أَنيُقى   وملتُ الى حيث الركائب تلتقى
دعانى اليك الفضل فانقدتُّ طائعا   ولبّيتُ احدوها بلفظى المصدِّقِ

ومدحه نجم الدين اسحق بن المى(?) a التركىّ وساءله تكملة شرح التسهيل بقصيدة وارسلها اليه من دمشق واوّلها

تبدّى فقلنا وجهُه فَلَقُ الصُّبحِ   وكمله باليمن فيه وبالنُّجْحِ
وسهّلتُ تسهيلَ الفوائد محسنا   فكنْ شارحا صدرى بتكملة الشرحِ

ومدحه مجير الدين عمر بن الملطى بقصيدة اوّلها

يا شيخ اهل الادب الباهِرِ   من ناظم يلفى ومن ناثرِ

ومدحه نجم الدين يحيى الاسكندرىّ بقصيدة اوّلها

ضيف السّم بنا من ابرع الناس   لا ناقضٌ عَهْدَ ايامى ولا ناسى
عار من الكبر والادناس ذا تَرَفٍ   لكنّه من سرابيل العُلى كاسِى

ومدحه نجم الدين الطوفى بقصيدتَيْن اوّل الاولى

اتراه بعد هجران يصلْ   ويُرى فى ثوب وَصْلٍ مبتذلْ
قمر جآر على أَحْلامنا   اذ تولّاها بقدّ معتدلْ

واوّل الثانية   اعذروه فكريم مَن عذَرْ   قمرتْه ذاتُ وجه كالقمرْ

ومدحه بهآء الدين محمد بن شهاب الدين الخيمى بقصيدة اوّلها

فضضتّ عن العذب النمير ختامَها   وفتحت عن زهر الرياض كمامَها

ومدحه جماعة آخرون يطول ذكرهم وكتبت انا اليه من الرحبة سنة ٧٢٩

لو كنت املك من دهرى جناحَيْن   لطرت لكنّه فيكم جنا حَيْنى
يا سادة نلت فى مصر بهم شرفا   ارفى به شرفا تنأى عن العَيْن
وان جرى لَسَما كيوان ذكرٍ عُلى   احلنى فضلهم فوق السمـ   ـين
وليس غير اثير الدين اثّله   فشاده ما شاده لى حقّا بلا مَيْن
ولو قلت ان *البآء رتبتها d   من قبل صدّقك الاقوامُ فى ذَيْن

a) S. المسى. b) G. L. S. فساد. c) G. L. S. ساد. d) Je dois avouer que le sens de ces mots ne m'est pas clair.

احيى علوما اماتَ الدهرُ اكثرَها   مذ جلّدت خلدت ما بين دَفّتينِ
يا واحد العصر ما قولى بمتّهم   ولا احاشى أمرأً بين الفريقين
هذى العلوم بدتْ من سيبويه كما   قالوا وفيك انتهت يا ثانى اثنين
فدمْ لها وبودّى لو اكون فدًا   لما ينالك فى الايام من شين
يا سيبوبه الورى فى الدهر لا عجبْ   اذا الخليل غدا يفديك بالعَيْنِ

يقبّل الارض وينهى ما هو عليه من الاشواق التى برحت بألمها، واجرت الدموع دمًا وهذا الطرس الاحمر يشهد بدمها،، واربت بسحّها على السحآئب وابن دَوَام هذه من ديِمها، وفرقت الاوصال على السقم لوجود عدمِها،،

فيا شوق ما ابقى ويا لى من النوى   ويا دمعُ ما اجرى ويا قلبُ ما أقْسَى a)

ويذكر ولاءهُ الذى يسجع b) به فى الارض الحمآئم، ويسير تحت لوآئه مَسِير الرياح بين الغمآئم،، وثنآوه الذى يتضوّع كالزهر بين الكمآئم، ويتنسّم تنسّم هامات الربَى اذا لبست من الربيع مُلوّنات العمآئم،، ويشهد الله على ما قد قلته والله نعم الشهيد فكتب هو الجواب عن ذلك ولكنه عدم منى وانشدته يوما لنفسه

قلت للكاتب الذى ما اراه   قطّ الّا ونقّط الدمعُ شكلَهْ
ان تخطّ الدموعُ فى الخدّ شيئًا   ما يسمّى فقال خطّ ابنُ مُقْلَهْ

وانشدنى من لفظه لنفسه

سبق الدمعُ بالمسير المطايا   اذ نوى مَن احبُّ عنّىَ نقلَهْ
واجاد الخطوط فى صفحة الخـــدِّ ولِمْ لا يجيد وهو ابن مُقْلَهْ

وانشدنى فى مليح نُوتِىّ

كلفتُ بنُوتِىٍّ كأنّ قوامَه   اذا ينثنى خوط من البان ناعمُ
مجاذفه فى كلّ قلب مجاذب c)   وهَزّاته للعاشقين هَزآئمُ

وانشدته انا لنفسى

إنّ نُوتِىّ مركب نحن فيه   هام فيه صَبّ الفؤاد جريحُه
اقلع القلبُ عن سُلُوّىَ لمّا   ان بدا ثغره وقد طاب ريحُهْ

وانشدته لنفسى ايضا   نوتيُّنا حسنُه بديع   وفيه بدرُ السماء مُغْرى

a) G. S. اصبى.   b) S. تشجع.   c) G. O. محاذب; S. محادث.

ما حكّ بَرًّا الا وقلنا يا ليت انّا نحكّ بَرًّا

فاعجباه رحّه * وتهزّهز اليهما a وانشدنى هو لنفسه فى مليح أَحْدَب

تعشّقته احدبا يحاكى نجيبا حنين النعامْ
اذا كدتّ اسقط من فوقه تعلّقت من ظهره بالسنامْ

وانشدته لنفسى وأَحْدب رحتُ به مغرما اذ لم تشاهد مثله عينى
لا غرو ان هام فؤادى به وخصره ما بين دفّتيْن

وانشدنى من لفظه لنفسه فى أَعْمى

ما ضرّ حسنُ الذى اهواه * انّ سنى b كريمتيْه بلا شيْن قد احتجبا
قد كانتا زهرتَيْ c روض وقد ذوتا لكنّ حسنهما الفتّان قد ذهبا
كالسيف قد زال عنه صَقْله فغدا أنكى وآلم فى قلب الذى ضُربا

وانشدته لنفسى فى ذلك

وربُّ اعمى وجهه روضةٌ تنزّهى d فيها كثير الديونْ
وخدّه e وردٌ غنينا به عن نرجس ما فتحته العيونْ

وانشدته ايضا لنفسى فى ذلك

فيا حسن اعمى لم يخف حدّ طرفه محبٌّ غدا سكران فيه وما صَحا
اذا طار حدّ f بات يرعى خدودَه غدا آمنا من مقلتيه الجوارحا

وكتب اليه استدعاء وهو المسؤل من احسان سيّدنا الامام العالم العلامة لسان العرب، ترجمان الادب،، جامع الفضائل، عمدة وسائل السائل،، حجّة المقلّدين، زين المقلّدين،، قطب المموّلين g، افضل الآخرين، وارث علوم الاوّلين،، صاحب اليد الطولى فى كلّ مكان ضيّق، والتصانيف التى تاخذ بمجامع القلب فكلّ ذى لبّ اليها شيّق،، والمباحث التى اثارت الادلّة الراجحة من مكامن اماكنها، وفنصت اوابدها الجامحة من مواطى مواطنها،، كشّاف معضلات الاوائل، سباق غايات قَصُرَ عن شأوها سَحْبانُ وأيل،، فارع هضبات البلاغة فى اجتلاء اجتلابها، وهى فى مرقى h مرقدها، سالبُ تيجان الفصاحة فى اقتضاء اقتضابها، من فوق فرقدها،، حتى ابرز كلامَه جَنان

a) Les man. portent ou (L.) وهزه لهما ou (G. O. S.) وزهزه لهما. b) O. من سنى. c) L. زهوتى. d) O. ترهى. e) O. فى خدّه. f) G. O. S. خدّ. g) S. المامولين. Voyez le Glossaire de M. Wright, *Ibn-Djobair*, p. 34. h) S. ajoute فى.

فصلّ جَنان من بعده عن الدخول اليها حيان[a]، واتى ببراهين وجوه حورها لم يطمثهنّ انسٌ قبلَه ولا جان،، وابدع خمآئل نظم ونثر لا تصل الى افنان فنونها يَدُ جان، اثير الدين ابى حيّان،، مجمد لا زال ميت العلم يحييه وهل عاجب لذلك من ابى حيان، حتى ينال بَنو العلم مرامهم[b] ويحلّهم دار المنى بأمان،، اجازة كاتب هذه الاحرف ما رواه فسّح الله فى مُدّته من المسانيد والمصنّفات والسنن والمجاميع الحديثيّه، والتصانيف الادبيّه،، نظما ونثرا الى غير ذلك من اصناف العلوم على اختلاف اوضاعها، وتباين اجناسها وانواعها،، مما تلقاه ببلاد الاندلس وافريقيّه، والاسكندريّة والديار المصريّه، والبلاد الحجازيّه، وغيرها من البُلدان بقرآءة او سماع او مناولة او اجازة خاصّة وعامّة كيفما تأدّى ذلك اليه واجازة ما له ادام الله افادتَه من التصانيف فى تفسير القرآن العظيم والعلوم الحديثيّة والادبيّة وغيرها وما له من نظم ونثر اجازة خاصّة وأن يثبت بخطّه تصانيفَه الى حين هذا التاريخ وأن يجيزه اجازة عامّة لما يتجدّد له من بعد ذلك على رأيِ مَن يراه ويجوِّزه منعما متفضلا ان شآء الله تعَ،

فكتب الجوابَ رحَه تعَ اعزّك الله ظننت بالانسان جميلا، فغاليت وابديت من الاحسان جزيلا،، وما باليت وصغْت[c] مَن هو القتام يظنّه الناسُ سَما، والسّراب يحسبه الظمآنُ ما،، يا ابن الكرام وانتَ ابصَرُ مَن يَشِيم، أمَع الروض النضير يُرعى الهَشيم،، اما اغنتك خصآئلك وفواصلُك، ومعارفك وعوارفُك،، عن نغبة من دَأْما، وتربة من بُهْما،، لقد تبلجت المهارق من نور صفحاتك، وتارجت الاكوان من اريج نفحاتك،، ولَأَنت اعرف مَن يقصد للدرايه، وانقد من يعتمد عليه فى الروايه،، لكنّك اردت ان تكسو من مطارفك، وتتفضل من تالدك وطارفك،، وتجلو الخامل فى منَصّة النّباهه، وتنقذه من لَكَن الفكاهه[d]،، فتشيّد له ذكرا، وتعلى له قدرا،، ولم يمكنه الّا اسعافُك فيما طلبت، واجابتك فيما اليه ندبت،، فانّ المالك لا يعصَى، والمتفضّل المحسن لا يقصَى،، وقد اجزتُ لك ايّدك الله جميعَ ما رويته عن اشياخى بجزيرة الاندلس وبلاد افريقيّة وديار مصر والحجاز وغير ذلك بقرآءة او سماع ومناولة واجازه، بمشافهة وكتابة ووجازه[e]،، وجميع ما اجيز لى ان ارويه بالشام والعراق وغير ذلك وجميع ما صنفته واختصرته وجمعته وانشأته نثرا ونظما وجميع ما سألتَ فى هذا الاستدعآء فمن

---

a) S. جيان. b) L. مرادهم. c) G. وصفت; S. وصف. d) G. O. S. الفهاهه (? الفهامه).
e) Les man. portent ووجاده.

مروياتي الكتاب العزيز قرأته بقرآآت السبعة على جماعة من اعلاهم الشيخ المسند المعمر فخر الدين ابو الطاهر اسمعيل بن هبة الله بن على بن هبة الله المصرى بن المليحى آخر مَن رَوَى القرآن بالتلاوة عن ابى الجود والكتب الستّة والموطّأ ومسند عبد *بن حميد^a ومسند الدارِمىّ ومسند الشافعىّ ومسند الطّيالسى والمعاجم الكبير للطبرانى والمعاجم الصغير له وسُنَن الدارقُطْنى وغير ذلك واما الأَجْزآء فكثيرة جدّا ومن كتب النحو والآداب فاروى بالقرآءة كتاب سيبويه والايضاح والتكملة والمفصّل وجُمل الزجاجىّ وغير ذلك والاشعار الستّة والحماسة وديوان حبيب والمتنبّى والمَعَرّى، وامّا شيوخى الذين رويتُ عنهم بالسماع والقرآءة فمنهم^b كثير واذكر الآن منهم جماعة فمنهم القاضى ابو على الحَسَن بن عبد العزيز بن ابى الاحوص القوشى والمقرئ ابو جعفر احمد بن سعد بن احمد بن بشير الانصارى واسحق بن عبد الرحيم بن محمد ابن عبد الملك بن درباس وابو بكر بن عبّاس بن يحيى بن غريب القوّاس البغدادى وصفى الدين الحسين بن ابى المنصور بن ظافر الخزرجىّ وابو الحسين محمد بن يحيىَ بن عبد الرحمن بن ربيع الاشعرى ووجيه الدين محمد بن عبد الرحمن بن احمد الازدى بن الدهان وقطب الدين محمد بن احمد بن على بن محمد بن القسطلانىّ ورضى الدين محمد بن على بن يوسف الانصارى الشاطبى اللغوى ونجيب الدين محمد بن احمد بن محمد بن المويّد الهمدانى ومكى بن محمد بن ابى القاسم بن حامد الأصبهانى الصفار ومحمد بن عمر بن محمد بن على السعدى الضرير ابن الفارض وزين الدين ابو بكر محمد بن اسمعيل بن عبد الله بن الانماطى ومحمد بن ابراهيم بن يزحم^c بن حازم المازنى ومحمد بن الحسين بن الحسن بن ابراهيم الدارى بن الخليل ومحمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف الانصارى ابن الخيمى ومحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر العنسى عرف بابن النبّى وعبد الله بن محمد بن هٰرون بن عبد العزيز الطّائىّ القرطبىّ وعبد الله بن نصر الله بن احمد بن رسلان بن فتيان بن كامل الخزمى^d وعبد الله بن احمد بن اسمعيل بن ابرٰهيم بن غارس التميمى وعبد الرحيم بن يوسف بن يحيى بن يوسف بن خطيب المِزّة وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلى المصرى السكرى وعبد العزيز بن

a) Ces mots ne se trouvent que dans le man. L. b) S. فهم. c) G. نرحم; S. برحم. d) S. الحرمى. Je crois qu'il faut lire الخزيمى.

عبد المنعم بن على بن نصر بن الصَّيْقَل الحرّانى وعبد العزيز بن عبد القادر بن اسمعيل الغيالى [a] الصالحى الكَتّانى [b] وعبد المعطى بن عبد الكريم بن ابى المكارم ابن منخبى الخزرجى وعلى بن صالح بن ابى على بن يحيى بن اسمٰعيل الحسَنى البهنسى المجاور وعازى [c] بن ابى الفضل بن عبد الوهاب الحلاوى والفضل بن على ابن نصر بن عبد الله بن الحسين بن رواحة الخزرجى ويوسف بن اسحٰق بن ابى بكر الطبرى المكى واليُسر بن عبد الله بن محمد بن خلف بن اليسْر [d] القشيرى ومونَسة بنت الملك العادل ابى بكر ابن ايّوب بن شادى وشاميّة بنت الحافظ ابى على الحسَن بن محمد بن محمد التيميّة وزينب بنت عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن على البغدادى، وممن كتبت عنه من مشاهير الادبآء ابو الحكم مالك ابن عبد الرحمن بن على بن الغرج [e] المالقى ابو الموحل وابو الحسن بن حازم بن محمد بن حازم الانصارى القرطاجنى وابو عبد الله محمد بن ابى بكر بن يحيى ابن عبد الله الهُذَلى التُّطيلى وابو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن زِنُّون [f] المالقى وابو عبد الله محمد بن عمر بن جُبَير الجِلْيانى العكّى المالقى وابو الحسَيْن يحيى بن عبد العظيم بن يحيى الانصارى الجزار وابو عمرو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن تولو القرشى وابو حفص عمر [g] بن محمد بن ابى على الحسين [h] المصرى الورّاق وابو الربيع سليمان بن على بن عبد الله بن ياسين [i] الكوفى [j] التلمسانى وابو العبّاس احمد بن ابى الفتح نصر الله بن باتكين القاهرى وابو عبد الله محمد بن سعيد بن حمّاد بن محسن الصنهاجى البوصيرى وابو العبّاس احمد ابن عبد الملك بن عبد المنعم الغرازى [k]، وممن اخذت عنه من النحاة ابو الحسن على بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخشنى الأُبّذى [l] وابو الحسن على بن محمد بن على بن يوسف الكتامى بن الصّايغ [m] وابو جعفر احمد بن ابرٰهيم بن الزبير ابن محمد بن الزبير الثقفى وابو جعفر احمد بن يوسف بن على بن يوسف الفهرى اللَّبْلى وابو عبد الله محمد بن ابرٰهيم بن محمد بن نصر الحلبى بن النحاس،

a) L. الفيابى ; S. العبالى. Je crois devoir lire الغيانى. b) S. الكنانى. c) S. وغازى.
d) S. اليسرى. e) S. الفرح. f) S. ذى النون. Voyez la note a, p. ٣٩٠. g) S. عمرو.
h) G. S. الحسن. i) S. باسير. j) G. الكومى ; S. الكرمى. k) G. العزازى. l) L. الابذى. m) G. الصائع ; S. الصابغ.

وممن لقيته من الظاهريّة ابو العبّاس احمد بن على بن خالص الانصارى الاشبيلى الزاهد وابو الفضل محمد بن محمد بن سَعْدون الفهرى الشنتمرى، وجملة الذين سمعت منهم نحو من ٤٥٠ شخص وامّا الذين أجازونى فعالم كثير جدّا من اهل غرناطة ومالقة وسبتة وديار افريقية وديار مصر والحجاز والعراق والشام، وامّا ما صنفته فمن ذلك البحر المحيط فى تفسير القرآن العظيم، اتْحاف الاريب. بما فى القرآن من الغريب، كتاب الاسفار. الملخص من كتاب الصفار، شرحا لكتاب سيبويه كتاب التجريد الاحكام سيبويه، كتاب التذييل والتكميل. فى شرح التسهيل، كتاب التنخيل. الملخّص من شرح التسهيل، كتاب التذكرة، كتاب المبدع فى التصريف، كتاب الموفور، كتاب التقريب، كتاب التدريب، كتاب غاية الاحسان، كتاب النكت الحسان، كتاب الشذا a فى مسئلة كذا، كتاب الفصل فى احكام الفصل، كتاب اللمحة، كتاب الشذرة، كتاب الارتضا. فى الفرق بين الضاد والظا، كتاب عقد اللآلى، كتاب نكت الامالى، كتاب النافع. فى قرآة نافع، الانير فى قرآة ابن كثير، المورد الغَمْر. فى قرآة ابى عمرو، الروض الباسم. فى قرآة عاصم، المزن الهامر. فى قرآة ابن عامر، الرمزة. فى قرآة حمزة، تقريب النائى. فى قرآة الكسائى، غاية المطلوب. فى قرآة يعقوب، قصيدة النير الجلى. فى قرآة زيد بن على، الوهاج. فى اختصار المنهاج، الانور b الاجلى. فى اختصار المحلّى، الحُلَل الحالية. فى اسانيد القرآن العالية، كتاب الاعلام. باركان الاسلام، نثر الزهر. ونظم الزُهَر، قطر الحبى. فى جواب اسئلة الذهبى، فهرسة مسموعاتى نوافث السِّحْر فى دمباث c الشِعْر، تحفة النَّدُس. فى نحاة الاندلس، الابيات الوافية. فى علم القافية، جزأ فى الحديث، مشيخة ابن ابى المنصور، كتاب الادراك. للسان الاتراك، زهو الملك. فى نحو الترك، نفحة المسك فى سيرة الترك، كتاب الافعال فى لسان الترك، منطق الخُرْس. فى لسان الفرس، ومما لم يكمل تصنيفه كتاب مَسْلك الرشد. فى تجريد مسائل نهاية ابن رشد، كتاب منهج السالك. فى الكلام على الفيّة ابن مالك، نهاية الاغراب. فى علمى التصريف والاعراب، رجز مجانى الهَصْر فى اداب وتواريخ لاهل العَصْر، خلاصة التبيان. فى علمى البديع والبيان، رجز نور الغبش. فى لسان الحبش، المخبور.

a) G. S. الشنرى. b) S. المنور. c) S. دمابث. Je crois qu'il faut lire: دمايّث.

فى لسان اليحمور، قاله وكتبه ابو حيّان محمد بن يوسف بن على بن يوسف ابن حيّان، وانشدنى الشيخ اثير الدين من لفظه لنفسه فى صفات الحروف

لنا هاء ولمستطيل اغنّ * كلّما اشتدّ صارت النفس رَخْوَه
اهمس القول وهو يجهر سبّى * واذا ما انخفضت اظهر علوه
فتح الوصل ثم اطبق هجرا * بصفير والقلب قلقل شجوه
لان دهرا ثم اغتدى ذا انحراف * وفشى السرّ مذ تكرّرت نحوه

وانشدنى ايضا لنفسه يقول لى العذول ولم اطعه * تسلّ فقد بدا للحبّ لحيه
تخيّل انّها شانت حبيبى * وعندى انها زين وحليه

وانشدنى لنفسه ايضا

شوقى لذاك المحيّا الزاهر الزاهى * شوق شديد وجسمى الواهن الواهى
اسهرتَ طرفى ودلّهت الفؤاد هوى * فالطرف والقلب منّى الساهر الساهى
نهبتَ قلبى وتنهى ان ابوح بما * يلقاه واشوقه للناهب الناهى
بهرت كل مليح بالبهآء فما * فى النيّرين شبيه الباهر الباهى
٥ لهجت بالحبّ لما ان لهوت به * عن كلّ شىء فويح اللاهج اللاهى

وانشدنى من نفسه لنفسه

راض حبيبى عارض قد بدا * يا حسنَه من عارض رائض
وظنّ قوم ان قلبى سلا * والاصل لا يعتدّ بالعارض

وانشدنى من لفظه لنفسه

تعشقته شيخا كأنّ مشيبه * على وَجْنتَيه ياسمين على ورد
اخا العقل يدرى ما يراد من الهوى * امنتُ عليه من رقيب ومن ضدّ
وقالوا الورى قسْمان فى شرعة الهوى * لسُود اللحَى ناس وناس الى المُرْد
الا انّنى لو كنتُ اصبو لأمْرد * صبَوْت الى هيفآء مايسة القدّ
٥ وسُود اللحَى ابصرت فيهم مشاركا * فاحببت ان ابقى بابيضهم وحدى

وانشدنى من لفظه لنفسه

الا * يا لها ᵇ لحظا بقلبى عوابثا * اظنّ بها هاروت اصبح نافثا

a) Cet hémistiche me semble altéré; mais je ne sais comment le corriger. b) G. L. O. مالها.

اذا رام ذو وجد سلوّا منعنه   وكنّ على دَين التصابى بواعثا
وقيّدن من اضحى عن الحبّ مطلقا   وأسرعْنَ للبلوى a بمن كان رايثا
بروحى رشا من آل خاقان راحل   وان كان ما بين الجوانح لابثا
غدا واحدا فى الحسن للفضل b ثانيا   وللبدر والشمس المنيرة c ثالثا

وانشدنى لنفسه ومن خطه نقلت

أسحْر لتلك العين فى القلب ام وَخْزُ   ولينٌ لذاك الجسْم فى اللمس ام خَزُّ
وأُمْلود ذاك القدّ أم اسمر غدا   له ابدا فى قلب عاشقه هَزُّ
فتاة كساها الحسن أفخر حلّة   فصار عليها من محاسنها طرزُ
واهدى اليها الغصن لينَ قوامه   فماسَ كأنّ الغصنَ خامَره العزُّ
يضوع اديم الارض من نشر طيّبها   ويخضر d من آثار تربتها e الجرزُ
وتختالُ فى بُرد الشباب اذا مضت   فينْهصها قدٌّ ويقعدها عجزُ
اصابت فواد الصبّ منها بنظرة   فلا رقية تجدى المصابَ ولا حرزُ

وانشدنى اجازة فى مليح ابرص ومن خطّه نقلت

وقالوا الذى صرت طوع f جماله   ونفسُك لاقت فى هواه نزاعها
به وضح تَأباه نفسُ اولى النهى   وافظع g دآء ما ينافى طباعَها
فقلت لهم لا عيبَ فيه يشينه   ولا علة فيه يروم دفاعَها
ولكنها شمسُ الضحى حين قابلت   محاسنَه الفت عليه شعاعها

وانشدنى من لفظه لنفسه فى فحّام

وعلقته مسودّ عين ووفرة   وثوبٍ يعانى صبغة h الفحم من قصد
كأنّ خطوط الفحم فى وجناته   لطاخةُ مسكٍ فى جنىً من الوردِ

وانشدنى اجازة ومن خطّه نقلت

سأل البدرُ هل تبدّى اخوه   قلت يا بدرَ لن يطيق i طلوعا
كيف يبدو وانت يا بدر بادٍ   أَيبدران طلعان

وانشدنى من لفظه لنفسه موشحة عارض بها شمس الدين محمد بن التلمسانى

عاذلى فى الأهيف الانسى   لو رآه الآن قد عذرا

a) O. بالبلوى. b) S. فى الفضل. c) O. المنيرين. d) O. وتخضر. e) G. O. S. آثارها. f) Lisez: مطيع ou اطوع. g) O. وافظع. h) G. L. صنعة; O. صنغة. i) G. تطيق. تربه.

رشأٌ قد زانه الحورُ   غصن من فوقه قمر
قمر من سحبته   ثغر فى فيه ام درر
حال a بين الدُرّ واللعس   خمرةٌ مَن ذاقها سكرا
رَجّة بالردف ام كسَلُ   ريقة بالثغر ام عسلُ
وردة بالخدّ ام خجلُ   كُحُل بالعين ام كحَلُ
يا لها من اعين نُعُس   جلبت * للناظر السَّهَرا b
مذ نأى عن مقلتى سِنى   ما اذيقا لذّة الوسَنِ
طالما القاه من شجنى   عاجبا ضدّان فى بدنِ
بفؤادى جذوة القبسِ   وبعينى الماء منفجرا
قد اتانى الله بالفرج   قمر قد حلّ فى المُهَجِ
اذ دنا منّى ابو الفرجِ c   كيف لا يخشى من الوهجِ
غيره لو صابه نفَسى   ظنّه من حرّه شررا
نصب العينين لى شركا   فانثنى والقلب قد ملكا
قمر اضحى له فلكا   قال لى يوما وقد ضحكا
اتجى من ارض اندلُسى   نحو مصر تعشق القمرا

وامّا موشحة ابن التلمسانى فهى

قمر يجلو دُجَى الغلس   بَهَر الابصارَ مُذ ظهرا
آمن من شبهة الكلَف   ذبتُ من عينيه d بالكلف
لم يزل يسعى الى تلفى   بركاب الدلّ والصَّلَف
آه لولا اعيُن الحرسِ   نلتُ منه الوصل مقتدرا
يا اميرا جار مذ وليا   كيف لا ترثى لِمَن بُليا
فبثغر منك قد جُليا   قد حلا طعما وقد حليا
وبما e اوتيت من كيس   جُدْ فما ابقيت مصطبرا
بدرُ تمّ * فى الجمال f سَنِى   ولهذا القبوه g سبى
قد سبانى لذّة الوسَنِ   باهر حسَنِ

a) O. جال.   b) G. O. لناظرى سهرا; S. فى ناظرى سهرا.   c) L. الضرج.   d) O. حسنه; G. R. S. جبينه.   e) G. وربما; R. ربما.   f) L. بالجمال.   g) L. O. لقبوه.

هو خشفى وهو مفترسى   فأرو عن اعجوبتى خبرا
لك خدّ يا ابا الفرج   زين بالتوريد والصّرر
وحديث عاطر الارج   كم سبا قلبا بلا سرج
لو رآك الغصن لم يَمِس   او رآك البدرُ لا ستترا
يا مُذيبا مهجتى كمدا   فقت*فى الحسن*a* البدور مدى
يا كحيلا كحله اعتمدا   عجبا أن تبرئ الرمدا
وبسُقم الناظرين كسى   جفنك السحار وانكسرا

وانشدنى من لفظه لنفسه ايضا

ان كان ليل داجْ   وخاننا الاصباحْ   فنورها الوقّاجْ   يغنى عن المصباحْ .
سُلافة تَ وا   ... الارجْ   ... شهْبْ .   وسرسها عند ...
وحبّذا الوردْ .   منها وان اسكرْ

قلبى بها قد هاجَ   فما نراتى صاحْ   عن ذلك المنهاجْ   وعن هوى يا صاحْ
وبى رشا اهيَفْ   قد لجّ فى بعدى   بدر فلا يخسفْ   منه سنى الخدّ
بلحظه المرْهَفْ   يسطو على الأُسْد

كسطوة الحجاجْ   فى الناس والسفّاحْ   فما ترى من ناجْ   من لحظه السفّاحْ
عَلّل *b* بالمسكْ   قلب رُشا احورْ   منعّم المسكْ   ذو *c* مبسم أعطرْ
ريّاه كالمسكْ   ورد *c* كوثرْ

غصن على رجراجْ   طاعت له الارواحْ *d*   فحبّذا الآراجْ   ان هبّت الارواحْ
مهلا ابا القاسمْ   على ابى حيّانْ   ما ان له عاصمْ   من لحظك الفتّانْ
وهجرك الدائمْ   قد طال بالهيمانْ

فدمعه امواجْ   وسرّه قد باحْ   لكنّه ما عاجْ   ولا اطاع اللاحْ
يا ربّ ذى بُهتانْ   يَعْذل فى الراحِ   وفى هوى غزلانْ *e*   دافـ ـت بالراحِ
وقلت لا سلوانْ   عن ذاك يا لاحى

سبع الوجوه والتاجْ   هى منية الافراحْ   فاختر لى يا زجّاجْ   قمصال *f* وزوج اقداحْ

a) S. بالحسن. *b*) S. عللت. *c*) G. L. O. ذى. *d*) O. en marge لعله الارباح. *e*) L. عزلان.
f) M. Dozy m'apprend que ce mot désigne *une bouteille*, et que, chez Pedro d'Alcala, il répond aux mots espagnols *agua manil*, *ampolla para bever*, *barril* et *vaso de barro*.

وانشدني من لفظه لنفسه القصيدة الدالية التي نظمها في مدح النحو والخليل وسيبويه ثم خرج منها الى مديح صاحب غرناطة وغيره من اشياخه واوّلها

هو العلم لا كالعلم شيء تراودهْ   لقد فاز باغيه وأنجح قاصدُهْ

وهي قصيدة جيّدة تزيد على مائة بيت، وحكى لي ان الشيخ اثير الدين رحه ضعف فتوجّه اليه جماعة يعودونه وفيهم شمس الدين ابن دانيال فانشدهم الشيخ رحه تع القصيدة المذكورة فلما فرغت قال ابن دانيال يا جماعة اخبركم انّ الشيخ قد عوفي وما بقيْ عليه بأس لانّه لم يبق عنده فضلة قوموا باسم الله، وانشدني من لفظه لنفسه رحه قصيدته السينيّة التي اوّلها

أُهاجك ربع حايل الرسم دارسُهْ   كوحي كتاب اضعف الخطّ a دارسُهْ

انتهى نصّ الصفديّ وما ذكره رحه في موضع ولادة ابي حيّان غير مخالف لما ذكره في الوافي انه وُلد بغرناطة الّا أنّ قوله بمدينة مطخشارش فيه نظر لانّه يقتضي انّها مدينة وليس كذلك وانّما هي موضع بغرناطة ولذا قال الرُّعَيْنيّ ان مولد ابي حيّان بمطخشارش من غرناطة ونحوه لابن جماعة انتهى وهو صريح في المراد وصاحبُ البيت ادرَى على انّه يمكن ان يرد كلام الصفدي لذاك والله اعلم، وذكر في الوافي انه تولى تدريس التفسير بالقبّة المنصوريّة والاقرآء بالجامع الاقمر، قال الصفديّ وقال لم ار بعد ابن دقيق العيد افصح من قرآءتك وكان ذلك حين قرأت عليه المقامات الحريريّة بمصر جماعة انتهى، وما وقع في كلام كثير من اهل المغرب ان ابا حيّان توفي سنة ٧٤٣ غير ظاهر لأنّ اهل المشرق اعرف بذلك اذ توفي عندهم وقد تقدّم انه توفي سنة ٧٤٥ فعلى كلام اهل المشرق في هذا المعوّل والله تع اعلم، وكانت نُضار بنت ابي حيّان حاجت وسمعت بقرآءة العلم البرزالي علي بعض الشيوخ وحدّثت بشيء من مروياتها وحضرت على الدمياطي وسمعت على جماعة وهي بضم النون وتخفيف الضاد واجازها من الغرب ابو جعفر ابن الزبير وحفظت مقدّمة في النحو ولما توفيت عمل والدُها فيها كتابا سمّاه النُّضار في المسلاة عن نُضار وكان والدُها يثني عليها كثيرا وكانت تكتب وتقرأ، قال الصفدي قال لي والدُها انها خرّجت جزأ لنفسها وانها تعرب جيّدا واظنّه قال لي انّها تنظم الشعرْ وكان يقول دائما لبيت

a) S. الحفظ.

اخاها حيّان كان مثلها وتوفيت رحمها الله تعـ فى جمادى الآخرة سنة ٧٣٠ a فى حياة والدها فوجد عليها وجدا عظيما b ولم يثبت وانقطع عند قبرها بالبرقية ولازمه سنة ومولدها فى جمادى الآخرة سنة ٧٠٢ قال الصفدى وكنت بالرحبة لما توفيت فكتبت لوالدها بقصيدة اوّلها

بكينا باللُّجَين على نُضارٍ   فسيلُ الدمع فى الخدّين جارِى

فيا لله جارية تولّت   فنبكيها بأدْمُعنا الجوارى

انتهى، وقال الفقيه المحدّث ابو عبد الله محمد بن سعيد الرُّعَيْنى الاندلسى فى برنامجه عند ذكره شيخه ابا حيّان * زيادة على ما قدمناه مما ملخصه ان ابا حيان c قال سمعت بغرناطة ومالقة وبلش والمرية وبجاية وتونس والاسكندريّة ومصر والقاهرة ودمياط والمحلة وطُهْرمُس والجيزة ومنية بنى خصيب ودِشْنَا وقِنا وقوص وبلبيس وبعَيْذاب من بلاد السودان وبينبع ومكة شرفها الله وجدّة وايلة ثم فصّل من لقيه فى كل بلد الى ان قال d فهذه نبذة من شيوخى وجملة من سمعت منه خمسمائة والمجيزون اكثر من الف وعدّ من القرآآت التى اخذ ١٩ كتابا وقال فى حقّ ابن المليحى انه اعلى e شيوخى فى القرآآت وانّ آخر مَن روى عنه السبع ابو الجُود غياث بن فارس المنذرى اللخمى واجازته منه سنة ٦٠٤ قال وقرأت البخارى على جماعة اقدمهم اسنادا فيه ابو العزّ الحرّانى قرأته عليه بلفظى الا بعض كتاب التفسير من قوله تعـ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ f الى قوله سبحانه وَلَوْ لَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ g فى سورة النور فسمعته بقرآءة غيرى قال اخبرنا به ابو المعانى احمد بن يحيى ابن عبيد h الله الخازن البيع سماعا عليه سنة ٦٠٠ ببغداد اخبرنا ابو الوقت بسنده وكمل له رحّه جامع الترمذى بين قرآءة وسماع على ابن الزبير بغرناطة وسمعه على محمد بن ترجم اخبرنا ابن البنا i اخبرنا الكروخى بسنده وقرأ السنن لابى داود بغرناطة على ابى زيد ابن عبد الرحمن الربعى عرف بالتونسى اخبرنا به سَهْل بن مالك وقرأه بالقاهرة على ابى الفضل عبد الرحيم بن خطيب المزة عن ابى حفص

---

a) S. ٧٣٥. *b*) S. شديدا. *c*) Ces mots ne se trouvent que dans le man. S. *d*) G. S. ajoutent: وبمكة ابا اليمن عبد الصمد بن عبد الوهّاب بن الحسن بن عبد الله بن عساكر الى ان قال. *e*) G. L. على. *f*) Voyez Sour. 2, vs. 222. *g*) Voyez Sour. 24, vs. 21. *h*) S. عبيد. *i*) G. النبا.

ابن طبرزذ عن ابى بدر الكروخى ومفلح الرومى عن ابى بكر ابن ثابت الخطيب اخبرنا ابو عمر الهاشمى اخبرنا اللؤلؤى اخبرنا ابو داود وقرأ الموطأ على ابى حفص a ابن الطباع عن ابى القاسم ابن بقى عن ابن عبد الحق عن ابن الطلاع بسنده وهذا اعلى سَنَد يوجد عن يونس بن مغيث فى عصره وسمع ابو حيان الأجزآء الخلعيّات والغيلانيّات والقطيعيّات والنهروانيات المحامليّات والثقفيات وسُداسيّات الرازى بعُلو قرأها على صفىّ الدين عبد الوهّاب بن الفرات عن ابى الطاهر b اسمعيل بن ياسين الجيلى وهو آخر مَن حدّث عنه عن ابى عبد الله الرازى سماعا وقرأ جزء الانصارى على ابى بكر ابن الانماطى بسماعه حضورا فى الرابعة على ابى اليُمْن زيد بن الحسن الكندى اخبرنا ابو بكر محمد بن عبد الباقى البزار سنة ٥٣٢ c اخبرنا ابراهيم بن عمر بن احمد البَرْمَكى قرأة عليه فى رجب سنة ٤٤٥ اخبرنا عبد الله بن ابراهيم بن ماس اخبرنا ابو مُسْلم الكَشّى البَصْرى اخبرنا محمد بن عبد الله الانصارى وقرأ جميع كتاب سيبويه على البهآء ابن النحاس المشهور بالنحو فى مصر والشام بقرآته على علم الدين ابى محمد القاسم بن احمد بن الموَفق بقرآءته على التاج ابى اليُمن الكندى اخبرنا ابو محمد عبد الله بن على بن احمد البغدادى مؤلف كتاب المبهج اخبرنا ابو الكرم المبارك بن فاخر بن محمد بن يعقوب عُرف بابن الدباس اخبرنا ابو القاسم عبد الواحد بن على بن عمر بن برهان الاسدى اخبرنا القاسم على بن عُبَيْد الله الرقيقى اخبرنا على بن عيسى بن عبد الله الرّمّانى اخبرنا ابو بكر بن السراج اخبرنا ابو العبّاس المبرّد اخبرنا ابو عمر الجرمى وابو عثمان المازنى قالا اخبرنا ابو الحَسَن الاخفش اخبرنا سيبويه، قال الشيخ ابو حيّان ولا اعلم راويا له بمصر والشام والعراق واليمن والمشرق غيرى وروينه عن الاساتيذ ابوى على بن الصائغ d وابن ابى الاحوص وابى جعفر اللبْلى عن ابى على الشلوبين وسنده مشهور بالمغرب ووقع لابى حيّان تساعيّات كثيرة واغرب ما وقع له ٣ احاديث بينه وبين رسول الله صلعم فيها ثمانية اخبره المحدث نجيب محمد بن احمد بن محمد بن المؤيّد الهمدانى بقرآءته عليه والجليلة السلطانيّة مونسة بنت الملك العادل ابى بكر ابن ايوب بن شادى قرآءة عليها وهو يسمع قالا اخبرنا ابو الفخر اسعد بن سعيد بن رُوح فى كتابه اخبرتنا

a) S. جعفر. b) S. الظاهر. c) S. ٥٣٣. d) S. الصايغ.

فاطمة بنت عبد الله بن احمد الجُوزْدانيّة اخبرنا ابو بكر محمد بن عبد الله بن رْيدة [a] الضبّى الاصبهانى اخبرنا الحافظ ابو القاسم سليمان بن احمد بن ايوب بن مطر اللخمى الطبرانى اخبرنا عبيد الله بن رماحس القيسى برمادة الرملة سنة ٢٧٤ اخبرنا ابو عمر زياد بن طارق وقد اتت عليه ١٢٠ سنة قال سمعت ابا جَرْوَل زُهَيْر بن صَرْد الجُشَمى يقول لما اسرّنا رسول الله صلّعم يوم هوازن انيتُه فقلت

امنُنْ علينا رسولَ الله فى كرمِ   فانّك المرء نرجوه وننتظرُ
امنُنْ علىٰ بيضة قد عاقها قدَر   مشتّت شملها فى دهرها غيَرُ
ابقت لنا الدهرَ هتّافا علىٰ حزن   على قلوبهمِ الغمّآء والغمَرُ
ان لم تداركهمُ نعمآء تنشرها [b]   يا ارجح الناس حِلمًا حين يختبرُ
امنُنْ على نسوة قد كنتَ ترضعها [c]   * اذ فُوك تملوه من مخضها الدررُ [d]
اذ انت طفل صغير كنتَ تَرضبها [e]   وان يُربّبك ما تاتى وما تذرُ
لا تجعلنّا كمن شالت نعامتُهُ   واستبقِ منّا فانّا معشر زهرُ
انّا لنشكر للنعمآء اذ كفرت   وعندنا بعدَ هذا اليوم مدّخرُ
فألبس العَفْوَ مَن قد كنت ترضعه   من امّهاتك انّ العفو مشتهرُ
يا خيرَ من مرحَتْ كُمْتُ الجيادِ به   عند الهياج اذا ما استوقد الشررُ
انّا نؤمّل عفوا منك تُلْبِسه   هٰذى البريّة اذ تعفو وتنتصرُ
فآعفُ عفى الله عمّا انت راهبُه   يوم القيامة اذ يُهدَى لك الظفرُ

فلمّا سمع صلّعم هذا الشعر قال ما كان لى ولبنى عبد المطّلب فهو لكم وقالت قريش ما كان لنا فهو لله ولرسوله وقالت الانصار ما كان لنا فهو لله ولرسوله ' قال ابو القاسم الطبرانى لا يروى عن زُهير الّا بهذا الاسناد وتفرّد به عبيد الله بن رماحس وبالاسناد الى الطبْرانى حدثنا جعفر بن حميد بن عبد الكريم بن فروخ بن دَيْزَج ابن بلال بن سعد بن بلال بن سعد الانصارى الدمشقى قال حدثنى جَدّى لامّى عمر بن ابان بن مفضل بن ابان المدَنى قال ارانى انس بن مالك الوضوء اخذ ركوة فوضعها عن يساره وصبّ على يده اليمنى فغسلها ثلاثا ثم ادار الركوة عن [f] يده

a) S. زبدة. b) L. ننشرها. c) On se rappellera que la nourrice du Prophète, Halīma, étai: de la tribu des Banou-Hawāzin. Voyez al-Nawawī, p. ٨٣٥. d) Cet hémistiche ne se trouve que dans le man. S. e) Cet hémistiche ne se trouve que dans le man. S., qui porte ترضبها. f) G. S. على.

اليمنى وصبّ على يساره فغسلها ثلاثا وثلاثا ومسح براسه ثلاثا واخذ مآء جديدا لصماخَيْه فمسح صِماخيه فقلت له قد مسَحْت اذنَيك فقال يا غلام هل رايت وفهمت او اعيد عليك فقلت قد كفانى وقد فهمتُ قال فكذا · رايت رسول الله صلعم يتوضأ، قال الطبرانى لم يرو عمر بن ابان عن انس حديثا غير هذا، وبالاسناد الى الطبرانى حدثنا محمد بن احمد بن يزيد القصّاص البصرى اخبرنا دينار بن عبد الله مولى انس بن مالك حدّثنى انس بن مالك قال قال رسول الله صلعم طوبى لمن رآنى وآمن بى ومن رأى مَن رآنى وآمن بى ومن رأى من رآنى، ثم قال الرُّعَيْنى وتصانيف ابى حيّان تزيد على ٥٠ ما بين طويل وقصير، ثم قال الرُّعَيْنى وخرج ابو حيّان من الاندلس مفتتح سنة ٦٧٩ واستوطن القاهرة بعد حجّه وانشد لشيخه ابى الحَسَن الزجّاج a

رضيت كفافى رُتبة ومعيشة … فلستُ اسامى موسرا ووجيها
ومَن جرّ اثوابَ الزمان طويلة . … فلا بُدّ يوما ان سيعثر فيها

وانشد باسناد لموسى بن ابى تليد

حالى مع الدهر فى تقلّبه · … كطاير ضمّ رجليه شركُ b
فهمّه فى خلاص مهجته … يروم تخليصها فتشتبكُ

ثم اورد الرعَيْنى جملة من نظم الامام ابى حيّان منها قوله

أُريدُ من الدنيا ثلاثا وانّها … لغايةُ مطلوب لمن هو طالبُ
تلاوةُ قرآنٍ ونفس عفيفة … واكثار اعمال عليها اواظبُ

وقوله
ارحتُ روحى من الايناس بالناس … لمّا غنيت عن الاكياس باليأس
وصرتُ فى البيت وحدى لا ارى احدا … بناتُ فكرى وكتبى هنّ جُلّاسى

وقوله
وزهّدنى فى جمعِىَ المالَ أنّه … اذا ما انتهى عند الفتى فارَق العمرا
فلا روحَه يوما اراح من العَنَى … ولم يكتسبْ جهدا ولم يدّخر اجرا

وقوله
يظنّ الغمر ان الكتب تجدى … اخا ذهن لادراك العلومِ
وما يدرى الجهول بأنّ فيها … غوامض حيّرت عقلَ الفهيمِ
اذا رمتَ العلوم بغير شيخ … ضللتَ عن الصراط المستقيمِ
وتلتبس الامور عليك حتى … تصير اضلّ من تُوما الحكيمِ

a) G. الدجاج ; S. الدباج. b) L. S. رجله.

وله لغز فى قيراط زاعما انه لا يفكّ

وما اسمُ خماسى اذا ما فككتَه يصير لنا فعلين امرا وماضيا
بعكسٍ وَهُو كلٌّ وجزءٌ وجمعُه بابدال عين حار فيه التناهيا
ومعْ كونه فردا وجمعًا فاوّل وآخره اضحى لشخص مُعاديا .
وفى عكسه صوت فتبنيه صيغة وتبنى بمعناه وما انت بانيا
فكم فيه من معنى خفى وانما عنيتُ بذكرى للذى ليس خافيا

ثم قال الرُّعَيْنى وهو شيخ فاضل ما رايت مثله كثير الضحك والانبساط بعيد عن الانقباض جيّد الكلام، حسن اللقآء جميل المؤانسة فصيح الكلام،، طلق اللسان ذو لمّة وافره، وهمّة فاخره،، له وجه مستدير، وقامته معتدلة التقدير، ليس بالطويل ولا بالقصير،، انتهى ما لخصته من كلام الرعينى، ولمّا قدم الاستاذ ابو حيان الى مصر اوصى اهله بقوله ينبغى للعاقل ان يعامل كلّ احد فى الظاهر معاملة الصديق وفى الباطن معاملة العدوّ فى التحفّظ منه والتحرّز وليكن فى التحرّز من صديقه اشدّ من التحرّز من عدوّه وان يعتقد أن احسان شخص الى اخر وتودّده a انما هو لغرض قام له فيه يتعلّق به يبعثه على ذلك لا لذات ذلك الشخص وينبغى ان يترك الانسان الكلامَ فى ستة اشيآء فى ذات الله تعَ وما يتعلّق بصفاته وما يتعلّق بأحوال انبيآئه صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وفى التعرّض لما جرى بين الصحابة رضّهم اجمعين وفى التعرّض لائمة المذاهب رحّهم ورضّهم وفى الطعن على صالحى الامّة نفع الله بهم وعلى ارباب المناصب والرتب من اهل زمانه وأن لا يقصد اذى احد من خلق الله سبحانه وتعالى الّا على حسب الدفع عن نفسه وأن يعذر الناس فى مباحثهم وادراكاتهم فان ذلك على حسب عقولهم وأن يضبط نفسَه عن المِرآء والاستزرآء والاستخفاف بابنآء زمانه وأن لا يبحث الا مع من اجتمعتْ فيه شرآئط الديانة والفهم والمزاولة لما يبحث وأن لا يغضب على من لم يفهم مرادَه ومن لم يدرك ما يدركه وأن يلتمس مخرجا لمن ظاهرُ كلامه الفساد وان لا يقدم b على تخطئة احدٍ ببادئ الرأى وان يترك الخوض فى علوم الاوآئل وأن يجعل اشتغالَه بعلوم الشريعة وأن لا ينكر على الفقرآء وليسلم لهم احوالهم وينبغى للعاقل أن يُلْزِم نفسه التواضع

a) S. ajoute اليه. *b*) L. يقدر.

لعبيد الله تعّ وأن يجعل نصبَ عينيه أنّه عاجز مفتقر وان لا يتكبّر على احد وان يُقلّ من الضحك والمُزاح والخوض فيما لا يعنيه وان يتظاهر لكلّ بما [a] يوافقه فيما لا معصية لله تعّ فيه ولا خرم مروّة وان ياخذ نفسَه باجتناب ما هو قبيح عند الجمهور وان لا يظهر الشكوى لاحد من خلق الله تعّ ولا يعرض بذكر اهله ولا يُجْرِى ذكر حرمه بحضرة جليسه وان لا يطلع احدا على عمل خير يعمله لوجه الله تعّ وأن ياخذ نفسه بحُسن المعاملة ،من حُسن اللفظ وجميل التغاضى وان لا يركن الى احد الّا الى الله تعّ وأن يكثر من مطالعة التواريخ فانها تلقح عقلا جديدا والله تعّ اعلم، انتهت وصيّة ابى حيّان الجامعة النافعة وقد نقلتها من خط الشيخ العلامة ابى الطيّب ابن علوان التونسى المالكى الشهير بالمصرى وهو ممّن اخذ عن تلامذة ابى حيّان رحّه، قلت وبها فى هذه الوصيّة من نهيه عن الطعن فى صالحى الامّة نفع الله بهم وامره بالتسليم لاحوالهم وعَدَم الانكار عليهم تعلم انّ ما نقله الصفدى عنه فيما تقدّم من قوله ان الشيخ ابا مدين الخ كلامٌ فيه نظر لانّ ابا حيّان رضّه لا ينكر كرامات الاولياء كيف وقد ذكر رحّه منها كثيرا، فمن ذلك ما حكى عنه تلميذه الرُّعَيْنى عنه بسنده الى الفقيه المقرى الصالح ابى تمام غالب بن حسن بن احمد بن سيّد بونه الخزاعى حدّث انه زار قبر ابى الحسن ابن جالوت ولم يكن زاره قبل فاشتبه عليه فتركه فسمع النداء من قبر معيّن يا غالب اتمشى وما زرتنى فزار ذلك القبر وقعد عنده ثم جاء ابن ابى الحسن المذكور فسأله عن القبر فقال هو الذى قعدتَّ عنده وغالبُ هذا وابن جالوت هما من اصحاب الشيخ ابى احمد جعفر بن سيّد بونه الخزاعى وهو من اصحاب الشيخ ابى مدين انتهى فكيف ينكر ابو حيّان كرامات الصالحين وهو يوصى علىّ ينهى عن الطعن فيهم ويحكى كراماتهم نعم قول الصفدىّ قبل ذلك الكلام انه كان ينكر على فقراء الوقت كلام صحيح فى الجملة لكثرة الدعاوى الباطلة ممّن ليس من اهل الصلاح وامّا انكار الكرامات مطلقا فمقام ابى حيّان يجلّ عن انكارها والله اعلم، وقد اورد ابن جماعة له من قطعة قولَه فى اهل عصره

ومن يكُ يدّعى منهم صلاحا فزنديق تغلغل فى الضلالِ

a) S. لما.

واوّل هذه القطعة

حلبتَ الدهر اشطره زمانا … واغنانى العيان عن السوّال
فما ابصرتُ من خلّ وفىّ … ولا الفيت مشكور الخلال
ذئاب فى ثياب قد تبدّت … لرأيها باشكال الرجال
ومن يك يدّعى منهم صلاحا … فزنديق تغلغل فى الضلال
ترى الجهّال تتبعه وترضى … مشاركة بأهل او بمال
فينهب مالهم ويصيب منهم … نساءهم بمقبوح الفعال
وتاخذ حاله زورا فيرمى … عمامته ويهرب فى الرمال
ويأجرون التيوس وراء رجس … تقرمط فى العقيدة والمقال

اى اعتقدوا رأىَ القرامطة ومذهبهم مشهور فلا نطيل بذكره ٭ فظهر بما ذكر انّ ابا حيّان انما انكر على اهل الدعاوى لا على غيرهم والله اعلم وقد اورد قاضى القضاة ابن جماعة للشيخ ابى حيّان من النظم غير ما قدّمنا ذكره وهو قوله

اما انّه لولا ثلاث احبّها … تمنّيتُ انى لا اعدّ من الأحْيَا
فمنها رجاءى ان افوز بتوبة … تكفر لى ذنبا وتنجح لى سَعْيا
ومنهنّ صونى النفسَ عن كلّ جاهل … لئيم فلا امشى الى بابه مشيا
ومنهنّ اخذى بالحديث اذ الورَى … نسوا سُنّة المختار وابتغوا الرأيا
اتترك نصّا للرسول وتقتدى … بشخص لقد بدّلت بالرُّشد الغيّا

وقوله
سال فى الخدّ للحبيب عذارُ … وهو لا شك سائل مرحومُ
وسألتُ ٱلتثامه فتجنّى … فانا اليوم سائل محرومُ

وقوله
امُدّعيا علمًا ولستَ بقارئٍ … كتابا على شيخ به يسهل الحزنْ
اتزعم ان الذهن يوضح مشكلا … بلا موضح كلا لقد كذب الذهنْ
وانّ الذى تبغيه دون معلّم … كموقد مصباح وليس له دُهنْ

وقوله عداتى البيتين[a] قال واخذ هذا المعنى من قول الطغرائىّ[b]

من خصّ بالودّ الصّحاب فاننى … احببوا بخالص ودّى الاعداء
جعلوا التنافس فى المعالى دَيْدَنى … حتى وطئتُ باخمصى الجَوْزاء

a) S. به. b) L. الطغراوى.

ونعوا الىّ مثالبى فحذّرتها ونفيتُ عن اخلاقى الاقذآء
ولربّما انتفع الفتى بعدوّه كالسُّمّ احيانا يكون دوآء

ومن نظم ابى حيان

يا مُنصىَ الطرفَ فى ميدان لذّته وناضىَ السّطرف بين الراح والرّود
ستشربُ الروحُ a راحَ الموت كارهةً ويذهب الجسمُ بين الترب والدّود

وله رحّه قصيدة سمّاها بالمورد العذب فى معارضة قصيدة كعب وقصيدة فى مدح الامام الشافعىّ مطلعها غذيت بعلم النحو اذ درّ لى ثديا

وله رحّه من قصيدة فى امّ ولده حيّان

جننتُ بها سَوداء لون وناظر ويا طالما كان الجنون بسوداء
وجدتُّ بها بردَ النعيم وان يكن فوادىَ منها فى جحيم ولأواء
وشاهدتُّ معنى الحسن فيها مجسّدا فأعجبْ لمعنى صار جوهر اشياء
آطاعنة من قدّها أُصبْتُ b وما اغنى الفتى لبسُ حصداء c
٥ لقد طعنت والقلبَ ساهٍ فما درى أبِالقدّ منها ام بصعدة سمرآء

ثم غيّر البيت الاوّل وانشد

جننت بها سوداء شعر وناظر وسمراء لون تزدرى d كلّ بيضاء

وقال يهنى قال ابن جماعة خاطبنى به ارتجالا عند ولادة ابنى عمر بعد بيتين

حبيتَ e بريحانتى روضة وبعدهما جاء نجل اغرّ
وسمّيته اسم امام اذا رآه ابو مرّة فرّ
ولا عجب منك عبد العزيز اذا كان نجلك يسمى عُمَر
تفرّعتما من امام الهُدى وبدر الدجى ورئيس البشرْ
٥ فلا زال بوضح سُبْل الهدى ولا زلتما تقفوان الاثرْ

وقال لقد زادنى بالناس علما تجاربى ومَن جرّبَ الايام مثلى تعلّما
وانى وتطلابى من الناس راحةً لكالمبتغى وَسْط الجحيم تنعّما
سازهد حتى ارى لىَ صاحبا وانجد حتى لا الاقىَ متهما

قال ابن جماعة وقال فى املاك على بن قاضى القضاة شمس الدين السّروجى الحنفى

a) G. S. الراح. b) G. اصيبت ; S. اصيب. Lisez اصابت. c) L. حصباء. d) G. L. بزدرى. e) S. حبيت.

وكان جميل الصورة على اختى شقيقتى فاطمة

هنيئًا بتأليف غريب نظامُه – لقد حاز فى اوصافه نظم عارفِ
غدت شمسُ حسن بنتُ بدر سيادة – تزفّ لبدرٍ نجلِ شمس المعارفِ
سميّان للزهرى البتول وللرضى – علىّ ونجلا الاكرمين الغطارفِ
فدام علىّ عالىَ المجد سيّدا – ولا زال فى ظلّ من العيش وارفِ

وقال يخاطب شيخه ابن النحاس وقد اغبّ زيارته

أُعَيْنَ حياتى والذى ببقآئه – بقآئى لقد اصبحتُ نحوك شيّقا
افمتَ بقلبى غير أنّ لمقلتى – برؤيتك الحظّ الذى يذهب الشقا
وما كان ظنّى أنّك الدهر تاركى – ولو أنّنى اصبحت بين الورى لَقى
لَطائفُ معنى فى العيان ولم تكن – لتُدْرك الّا بالتزاوُر واللّقا

وقال يخاطب قاضى القضاة شمس الدين السروجى الحنفى وقد اعيد الى منصب القضآء وكان يتطلع اليه رجل يدعى نجم الدين

ذَوو العلم فى الدنيا نجوم زواهر – وانّك فيها الشمس حقّا بلا لَبْس
اذا لحتَ اخفى نورُكم كلّ نيّر – الم تر أنّ النجم يخفى مع الشمسِ

وقال لو أُوخِره [a] عمّن احبّ كتابى – لَقِلّى فيه او لَتَركُ هواه
غير انّى اذا كتبت كتابا – غلب الدمعُ مقلتى فمحاه

وقال تذكرى للبلى فى قعْر مظلمة – اصارنى زاهدا فى المال والرتبِ
انى اسرّ بحال سوف اسلبها – عمّا قريب وابقى رِمّة التربِ

وقال اتيت وما ادعى واقبلت سامعا – فوآئدَ مولى سيّد ما جد نَدْبِ
وأحضر جمعا انت فيه جماله – اشَنّفُ سمعى منك باللُّولُوٌ الرطبِ

وقال لنا غرام شديد فى هوى السُّود – نختارهنّ على بيض الطُّلى الغيدِ
لون به اشرقت أبصارنا وحكى – فى اللون والعَرف نفحَ المسك والعُودِ
لا شىء احسن من آس تركبه – فى [b] آبنوس ولا اشفى لمبرودِ
لا تهوَ بيضآء لون الجصّ واسم الى – سودآء حسنآء لون الاعين السُّودِ
فى جيدها غيد فى قدّها ميَد – فى خدّها صَيَد من سادة صِيدِ

a) G. S. أوحز ; L. أخّر ; S. porte لم au lieu de لو. b) L. مع ; G. على.

من آل حام حمّت قلبى بنا رجوى   من هجرها وابتلت عينى بتسهيد

وقال فى عكسه

اذا مال الفتى للسّود يوما   فلا رأىٌ لديه ولا رشادُ
اتهوى خنفساء كأنّ زفتا   كسا جلدا لها وهو السوادُ
وما السوداء الا قدرُ قُرْنٍ a   وكانونٌ وفحم او مدادُ
وما البيضاء الا الشمس لاحت   تُنير العينُ منها والفؤآدُ
سبيكة فضّة حُششت بورد   يلذّ السهد مَعْها والرُّقادُ
وبين البيض والسودان فرق   لذا عقل به اتّضح المرادُ
وجوه المومنين لها ابيضاض   ووجه الكافرين به اسودادُ

وقال رحمه تع

اعاذل ذرنى وانفرادى عن الورى   فلست ارى فيهم صديقا مصافيا
نداماى كتب استفيد علومها   احبّاى تغنى عن لقآئى b الاعاديا
وانسها القرآن فهو الذى به   نجاتى اذا فكرت او كنت تاليا
لقد جلتُ فى غرب c البلاد وشرقها d   انقّبُ عمّن كان لله داعيا
فلم ار الا طالبا لرياسة   وجمّاع اموال وشيخا مرآئيا
قبضت يدى عنهم وآثرت عزلة   عن الناس واستغنيتُ بالله كافيا

قال العزّ ابن جماعة وخاطب والدى وقد أبلّ من ضعف أُشيع فيه موته مهنّئا e له

ادام الالهُ لك العافيهْ   وصيّر دُورَ العدَى عافيهْ
اذا لاح من بدركم نوره   فكلّ النجوم به خافيهْ
تخذتُّ كلام الاله الدوا   فآياته كانت الشافيه
تشوّق f ناس لمنصبكم   ورتبتهم للعلى نافيه
فأيْن العلوم وأين الحلومْ   وخلقٌ موارده صافيه
هُمْ عَصْبة لا تنال العُلى   ولو أنّها قد سعت حافيه
اذا كان خرق تداركته   وليست g لما مزّقتْ رافيه
فان عنّ خطب ثبتّ h له   وآرآؤهم عنده هافيه

a) L. مزن. b) L. لقآء. c) S. شرق. d) S. وغربها. e) G. محضبا. f) G. تنشوف.
g) S. وليس. h) S. تيتم (*sic*).

سجاياك لين ورفق بنا   واخلاقهم كلّها جافيه
تصلّى على سبعة منهمْ   وثامنهم نفسُه طافيه
يقيمون فى تُربهم هُمّدا   وتسفى على قبرهم سافيه
فلا زلتَ فى صحّة دائما   تجرّ ذيول السّنَى ضافيه a
ويوردك الله عين الحياةْ   فتحيَى بها مائة وافيه
فان زاد عشرا فذاك المُنى   وعشرون ايضا هى الكافيه
وهذى القوافى اتت كملا   فلم تبق لى بعدها قافيه،

وقال رحمه
خلق الانسان فى كبد   بوجود الأهل والوَلَد
كلُّ عضوٍ فيه نافعه   غير عضو ضرّ للأبَد
منتج ذلّا وفقد غنًى   وفراخا جنّة العَدَد
من يَمُتْ منهم يذقه اسًى   او يعش القاهُ فى نكَد
عاش فى امن فتى عزَبٌ   مستريح الفكر والجسَد،

وقال رحمه
b حن c غيرى بعارض فترجّى   اهله ان يُفيق عمّا قريب
وفوادى بعارضين مصاب   فهو داء اعيى دواء الطبيب،

وقال
سعت حيّة من شعره نحو صُدغه   وما انفصلت من خدّه ان ذا عجبْ
واعجبُ من ذا أنّ سلسال ريقه   بَرود ولكن شبّ فى قلبىَ اللهبْ،

وقال
طالعْ تواريخ مَن فى الدهر قد وجدوا   تجدْ خطوبا تُسلّى عنك ما تجدُ
تجد اكابرهم قد جرّعوا غصصا   من الرزايا بها كم فُتّتت كبدُ
عزل ونهبٌ وضرب بالسياط وحبسٌ   ثم قتل وتشريد لمن ولدوا
وان وُقيتَ بحمد الله شرّتهم   فلتحمد الله فالعُقبى لمن حَمدوا

وقال رحمه يمدح البخارى وكتابه الصحيح
اسامع اخبارَ الرسول لك البشرى   لقد سُدتَ فى الدنيا وقد فُزت فى الاخرى
تشنّف آذانا بعقد جواهر   تودّ الغوانى لو تقلّده النحرا
جواهركم حلت نفوسا نفيسة   تحلت بها صدرا وجلت بها قدرا
هل الدين الا ما روته اكابر   لنا نقلوا الاخبار عن طيّب خُبْرا

a) S. صافيه. b) Ces vers ne se trouvent que dans le man. S. c) Le man. porte جن.

واَدّوا احاديث الرسول مصُونة … عن الزيف والتصحيف فاستوجبوا الشكرا
وان البخاريّ الامام لجامعٌ … بجامعه منها اليواقيت والدرّا
على مفرق الاسلام تاج مرصّع … أضاء به شمسا ونار به بَدْرا
وبحرُ علوم يلفظ الدرّ لا الحصَى … فانفسْ بها درّا وأعظم به بحرا
تصانيفه نَوْر ونُورٌ لناظر … فقد اشرقت زُهْرا وقد أُنْيعت زهرا
نحا سنة المختار ينظم شتّها … يلخّصها جمعا ويخلصها تبْرا
وكم بذل النفس المصونة جاهدا … فجاز لها بحرا وجاب لها بَرّا
فطورا عراقيّا وطورا يمانيّا … وطورا حجازيا وطورا اتى مصرا
الى ان حوى منها الصحيحَ صحيحُه … فوافى كتابا قد غدا الاية الكُبْرا
كتاب له من شرع احمد شرعةٌ … مطهرّة تعلو السماكين والنسرا ،

قلت وتتصل روايتى عن الامام ابى حيّان من طرق عديدة منها عن عمّى ولىّ الله العارف به شيخ الاسلام مفتى الانام، الخطيب الامام،، ملحق الاحفاد، بالاجداد،، سيّدى سعيد بن احمد المقّرىّ التلمسانى عن شيخه العالم ابى عبد الله التّنَسى عن والده حافظ عَصْره سيّدى محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التّنسىّ ثم التلمسانى الاموى عن عالم الدنيا ابى عبد الله بن مرزوق عن جدّه الرّئيس الخطيب سيّدى ابى عبد الله محمد بن مرزوق عن الاثير ابى حيّان بكلّ مروياته، فمنها انّ ابا حيان قال حدّثنا ابن ابى الاحوص عن قاضى الجماعة ابى القاسم احمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن احمد بن محمد بن احمد بن مخلد بن عبد الرحمن بن احمد بن بقى بن مخلد بن يزيد القرطبى عن ابيه عن ابيه عن ابيه عن ابيه عن ابيه عن ابيه عن ابيه عن ابيه عن ابيه الامام بقى بن مخلد عن ابى بكر المقدمى عن عمر بن علىّ وعبد الله بن يزيد عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الرحمن بن رافع عن عبد الله بن عمرو أن النبىّ صلّعم مرّ بمجلسين احدهما يدعون الله ويدعون a اليه والآخر يتعلّمون العلم ويعلّمونه فقال كل المجلسين خير واحدُهما افضل من الآخر امّا هٰؤلآء فيتعلّمون ويعلمون الجاهل فهم افضل وامّا هٰؤلآء فيدعون الله ويرغبون اليه ان شآء اعطاهم وان شآء منعهم وانا بُعِثت معلّما ثم

a) Je crois qu'il faut lire ويرغبون.

جلس معهم، قال ابو حيّان قلت لا اعرف حديثا اجتمع فيه رواية الابناء عن الآباء بعَدَد ما اجتمع فى هذا الا ما اخبرنا به ابو الحسن محمد بن محمد بن الحسن ابن سامة بقرآءتى عليه انبأ ابو المعالى الابْرَقوىّ اخبرنا ابو بكر ابن عبد الله بن محمد بن سابور القلانسى اخبرنا ابو المبارك عبد العزيز بن محمد بن منصور الشيرازى اخبرنا رزق الله بن عبد الوهاب التميمىّ سمعت ابى ابا الفرج عبد الوهاب يقول سمعت ابى ابا الحسن عبد العزيز يقول سمعت ابى ابا بكر الحارث يقول سمعت ابى الاسد a يقول سمعت ابى الليث يقول سمعت ابى سُليمان يقول سمعت ابى الاسود سمعت ابى سفيان يقول سمعت ابى يزيد سمعت ابى اكيمة يقول سمعت ابى الهشيم يقول سمعت ابى عبد الله يقول سمعت رسول الله صلّعم يقول ما اجتمع قومٌ على ذكر الا حفتْهم الملآئكة وعمّتهم الرحمة انتهى، قلت قال الحافظ ابن حجر فى فوآئد b تمام حديث فيه من عَدَد الآباء اكثر من هذا انتهى ورايت بخطّ بعض الحفّاظ على قول ابى اكيمة ما صورته صوابُه اكينة انتهى فليحرر، ومنها أنّ ابا حيّان قال اخبرنا الاستاذ ابو جعفر الزبير صاحب الصلة اخبرنا القاضى ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن احمد الازدى اخبرنا عبد الله بن محمد بن حسن بن عطية ح c، قال ابو حيّان وانبأنا الاصولى ابو الحسين بن القاضى ابى عامر بن ربيع الاشعرى عن ابى الحسن احمد بن على الغافقى قال اخبرنا عياض ح، وكتب لنا الخطيب ابو الحجاج يوسف بن ابى ركانة عن القاضى ابى القاسم احمد بن عبد الودود بن سمحون عن عبد الله بن عطية قال هو وعياض d اخبرنا القاضى ابو بكر ابن العربى اخبرنا ابو محمد هبة الله الاكفانى اخبرنا الحافظ عبد العزيز الكنانى الدمشقى اخبرنا ابو عصمة e نوح بن الفرغانىّ قال سمعت ابا المظفر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن قَتّ f الخزرجى *وابا g بكر محمد بن عيسى البخارى قالا سمعنا ابا ذَرّ عمّار بن محمد بن مخلد التميمى يقول سمعت ابا المظفر محمد بن احمد ابن حامد بن الفضل البخارى يقول لما عزل ابو العباس الوليد بن ابرٰهيم بن بزيد الهمدانى عن قضآء الرىّ ورد بخارى سنة ٣١٨ لتجديد مودّة كانت بينه وبين ابى

a) G. L. اسد. b) S. فوآئده فى. c) Telle est la leçon de tous les manuscrits. d) L. وعطية. e) L. عطية; S. ajoute بن. f) L. قث; S. قيب (*sic*). g) S. واخبرنا ابو.

الفضل البَلْعَمى فنزل فى جوارنا a فحملنى معلّمى ابو ابرٰهيم اسحق بن ابرٰهيم الخُتْلىّ اليه فقال له اسألك ان تحدّث هذا الصبىّ ما سمعتَه من مشايخك فقال ما لى سماع فقال وكيف وانت فقيه فما هذا قال لانى لمّا بلغت مبلغ الرجال تاقت نفسى الى طلب الحديث ورواية الاخبار وسماعها فقصدت محمد بن اسمٰعيل البخارى ببخارى صاحب التاريخ والمنظور اليه فى علم الحديث واعلمتُه مرادى وسألته الاقبال على ذلك فقال لى يا بنىّ لا تدخلْ فى امرٍ الا بعد معرفة حدوده والوقوف على مقاديره فقلت عرِّفْنى رحمك الله حدود ما قصدتُّك له ومقاديرَ ما سألتك عنه فقال لى اعلمْ انّ الرجل لا يصير محدِّثا كاملا فى حديثه الّا بعد ان يكتب اربعًا مع اربع كاربع مثل اربع فى اربع عند اربع باربع على اربع عن اربع لاربع وكلّ هذه الرباعيّات لا تتم الّا باربع مع اربع فاذا تمّت له كلّها هان عليه اربع وابتلى باربع فاذا صبر على ذلك اكرمه الله تعٰ فى الدنيا باربع واثابه فى الآخرة باربع، قلتُ له فَسِّر b رحمك الله ما ذكرت من احوال هذه الرباعيّات من قلب صاف بشرح كاف وبيان شاف طلبا للاجر الوافى فقال نعم الاربع التى تحتاج الى كتبها هى اخبارُ رسول الله صلعم وشرآئعه والصحابة رضهم ومقاديرهم والتابعين واحوالهم وساير العلمآء وتواريخهم مع أسمآء رجالهم وكُناهم وامكنتهم وازمانهم كالتحميد مع الخطب والدعآء مع التوسّل والبسملة مع السورة والتكبير مع الصلوات مثل المسندات والمرسَلات والموقوفات والمقطوعات فى صغره وفى ادراكه وفى شبابه وفى كهُولته عند فراغه وعند شغله وعند فقره وعند غناه بالجبال والبحار والبلدان والبرارى على الاحجار والأخزاف والجلود والأكتاف c الى الوقت الذى يمكنه نقلها الى الاوراق عمن هو فوقه وعمّن هو مثله وعمّن هو دونه وعن كتاب ابيه يتيقن انه بخطّ ابيه دون غيره لوجه الله تعٰ طلبا لمرضاته والعمل بما وافق كتاب الله عزّ وجلّ منها ونشرها بين طالبيها ومحبّيها والتاليف فى احيآء ذكره بعده ثم لا تتمّ له هذه الاشيآء الا باربع هى من كسب العبد اعنى معرفة الكتابة واللغة والصرف والنحو مع اربع هى من اعطآء الله تعٰ اعنى القدرة والصحّة والحرص والحفظ فاذا صحّت له هذه الاشيآء كلّها هان عليه اربع الاهل والولد والمال والوطن وابتلى باربع بشماتة الاعدآء وملامة الاصدقآء

a) L. جوارِه. b) G. et S. ajoutent لى. c) G. الاكناف.

وطعن الجهلآء وحسد العلمآء فاذا صبر على هذه المحَن اكرمه الله جلّ وعلا فى الدنيا باربع بعزّ القناعة وبهيبة النفس وبلـذّة العلم وبحياة الابد واثـابـه فـى الآخرة باربع بالشفاعة لمن اراد من اخوانه وبظلّ العرش حيث لا ظـلّ الّا ظلّـه وبسقى من اراد من حوض نبيّه صلّعم وبجوار النبيّين فـى اعلى عليّين فى الجنّة فقد اعلمتك يا بُنىّ بمجملات جميع مـا سمعت مـن مشايخى متفرّقـا فى هـذا البـاب فاقبـل الآن الى ما قصدتنى لـه اودَع فهالنى قـولـه فسكت متفكرا واطرقت متادّبا فلمّا رأى ذلك منّى قال وان لـم تطق حملَ هـذه المشاقّ كلّها فعليك بالفقه يمكنك تعلّمه وانت فى بيتك قارّ ساكن لا تحتاج الـى بُعْد الاسفار ووطـأ الديار وركوب البحار وهو ذا ثمرة الحديث وليس ثواب الفقيه دون ثواب المحدّث فى الآخرة ولا عزّه باقلّ مـن عـزّ المحدّث فلما سمعت ذلـك نُقِص عزمى فـى طلب الحديث واقبلت على دراسة الفقه وتعلّمه الى ان صرت فيه متقدما ووقفت منه على معرفة مـا امكننى من علمه بتوفيق الله تعٓ ومنّته فلذلك لم يكن عندى ما امليه لهذا الصبىّ يا ابا ابرٰهيم فقال له ابو ابرٰهيم انّ هذا الحديث الواحد الذى لا يوجد عند غيرك خير للصبىّ من الف حديث يجده عند غيرك انتهى، * وجاء ابو حيّان الى ابن تيمية والمجلس غاص فقال يمدحه ارتجالا a

لـمـا اتينا تـقـىّ الدين لاح لـنـا ... داعٍ الى الـلـه فردٌ مـا لـه وزرُ
على محيّاه من سيما الأُلىٰ b صحبوا ... خيرَ البـريّـة نـورٌ دونـه القَمَرُ
حـبـرٌ تسربـل مـنـه دهـره حـبَـرا ... بحرٌ تقاذف مـن امواجه الدررُ
قـام ابـن تيميّة فى نـصـر شرعتنا ... مقام سيّد تيم اذ عصتْ مُضَرُ
٥ فـاظـهـر الـحـقّ اذ آثاره درسـت ... واخمد الشرّ اذ طارت له الشررُ
كنّا نحدّث عن حبر يجىٓ فها ... انت الامامُ الذى قد كان ينتظرُ،

ثم انحرف ابو حيّان فيما بعد عن ابن تيميّة ومات وهو على انحرافه ولذلك أسْباب منها انّه قال لـه يوما كذا قـال سيبويه فـقـال يكذب سيبويه فانحرف عنه رحمه، وحضر الشيخ ابو حيّان مع ابن بنت الاعز فى الروضة فكتب الى ابى حيّان ووجهه مع بعض غلمانه

a) Ces mots ne se trouvent que dans le man. S. b) G. S. الاولى.

حبّيتُ اثير الدين شيخ الأُدبا اقصى حَقّا له كما قد وجبا
حبيت فتى بطاق آسٍ نصر كالقدّ بذا ملّيت منه طربا

قال فانشدته

اهدى لنا غصنا من ناضر الآس اقصى القصلة حليف الجود والباس
لما رأى سقمى اهداه مع رشا حلو التثنى فكان الشافى الآسى

ولما انشد الشيخ ابو حيّان قولَ نور الدين القَصْرىّ فى روضة مصر

ذاتُ وجهين فيهما قَسَم الحسنِ فاضحت بها القُلوبُ تهيمُ
ذا يلى مصر فهو مصر وهذا يتولى وسيم فهو وسيمُ
قد اعادت عصر التصابى صباها وابادت فيها الغموم الغيومُ

زاد فيها بيتا وهو

فيلجّ a البحارَ يسبح نونٌ ويُفجّ b القفارَ يسفح ريمُ

قال ابو حيّان وكنتُ ماشيا بين القصرين مع ابن النحاس فعبر علينا صبىّ يُدعَى بجمال وكان مصارعا فقال البهآء لينظم كلٌّ منا فيه ثم قال

مصارع تصرع الآسادَ شمرتُه c تيهًا فكلّ مليح دونه هَمَجُ
لما غدا راجحا فى الحسن قلت لهم عن حسنه حدّثوا عنه ولا حَرَجُ .

فنظمت انا

سبانى جمال من مليح مُصارع عليه دليل للملاحة واضحُ
لئن عزّ منه المثل فالكل دونه وان خفّ منه الخصر فالردف راجحُ

وسمع العَزازى نظمنا فقال وانشدنيه

هل حَكَم ينصفنى فى هوَى مصارع يَصرع اسدَ الشَرَى
مذ فرّ عنّى الصبر فى حبّه حكى عليه مدمعى ما جرى
اباح قتلى فى الهوى عامدا وقال كم لى عاشق فى الورى
رميته فى اسْر حبّى ومن أجفان عينيه اخذتُ الكَرَى

وقال لسان الدين فى الاحاطة كان اثير الدين ابو حيّان نسيجَ وَحْده فى ثقوب الذهن وصحّة الادراك والاضطلاع بعلم العربيّة والتفسير وطريق الرواية امامَ النحاة فى

a) G. S. فيلجّ. b) G. S. ويفجّ. c) G. ثمرته. S. سمرته.

زمانه غير مدافع نشا فى بلده غرناطة مشارا اليه فى التبريز بميدان الادراك وتغبير السوابق فى مضمار التحصيل ونالته بنوة لحق بسببها بالمشرق واستقرّ بمصر فنال بها ما شآء من عزّ وشهرة وتأثّل وافر وحظوة واضحى لمن حلّ بساحته من المغاربة ملجأً وعده وكان شديد البسط مَهيبا جهوريّا مع الدعابة والغزل وطرح التسمّت شاعرا مكثرا مليح الحديث لا يمل وان اطال. واسنّ جدّا فانتفع به قال لى بعض اصحابنا دخلت عليه وهو يتوضّأ وقد استقرّ على احدى رجليه لغسل الاخرى كما تفعل البُرَك والاوَزّ فقال لى لو كنت اليوم جارَ شليرِ a ما تركنى لهذا العمل فى هذا السنّ ثم قال بعد كلام حدثنا عنه الجملة الكثيرة من اصحابنا كالحاج ابى يزيد خالد بن عيسى والمقرى الخطيب ابى جعفر الشَّقُورى والشريف ابى عبد الله ابن راجح وشيخنا الخطيب ابى عبد الله بن مرزوق قال اخبرنا شيخنا ابو حيّان فى الجملة سنة ٧٣٥ بالمدرسة الصالحيّة بين القصرين بمنزله اخبرنا الاستاذ ابو جعفر ابن الزبير سماعا من لفظه وكتبه من خطّه بغرناطة عن الكاتب ابى اسحق ابن عامر الهمدانى الطُّوْسى بفتح الطآء اخبرنا ابو عبد الله بن محمد العَنْسىّ b القرطبى وهو آخر مَن حدّث عنه اخبرنا ابو على الحسن بن محمد الحافظ الجيّانى اخبرنا حكم بن محمد اخبرنا ابو بكر ابن المهندس اخبرنا عبد الله بن محمد اخبرنا طالوت بن عبّاد بن نصال بن جعفر سمعت ابا امامة الباهلى يقول سمعت رسول الله صلّعم يقول اكفلوا لى بستّ أكفلُ لكم بالجنّة اذا حدّث احدكم فلا يكذبْ واذا ائتمن فلا يخن واذا وعد فلا يخلف غضّوا ابصاركم وكفّوا ايديكم واحفظوا فروجَكم ثم قال ابن الخطيب انّ ابا حيّان حملتْه حدّة الشبيبة على التعرّض للاستاذ ابى جعفر الطبّاع وقد وقعت بينه وبين استاذه ابن الزبير الوحشة فنال منه وتصدّى للتأليف فى الردّ عليه وتكذيب روايته فرفع امره للسلطان فامتعض له ونفذ الامر بتنكيله فاختفى ثم جاز البحر مختفيا ولحق بالمشرق يلْتفت خلفه، ثم قال وشعره كثير يتصف بالاجادة وضدّها فمن مطولاته قوله

لا تعذلاه فما ذو الحبّ معذول	ألعقلُ مختبل والقلب متبولُ
هزّت له اسمرا من خوط قامتها	فما انثنى الصبّ الا وهو مقتولُ

a) S. شكير. b) G. L. القنسى.

جميلة فضّل الحسّن البديعَ لها فكم لها جَمل منه وتفصيلَ
فالنحرُ مرمرةٌ والنشر عنبرة والثغر جوهرة والريق معسولُ
والطرف ذو غُنُجٍ والعرف ذو أَرَجٍ والخصر مختطف والمَتْن مجدولُ
هيفآء ينطق a فى الخصر الوشاح لها وذَمآء تخرسُ فى الساق الخلاخيلُ
من اللواتى غذاهنّ النعيم فما يشقين آبآؤها الصيدَ البهاليلُ

الى أن قال

نورٌ بخدّك ام وقّد نارِ وضنى بجفنك b ام فتور عَقارِ
وشذًا بريقك ام تأرّجُ مسكة وسنًى بثغرك ام شعاع درارى
جُمعتْ معانى الحسن فيك فقد غدت قيدَ القلوب وفتنة الابصارِ
متصاوِن خَفَرًا اذا ناطقته اغضى حيآءً فى سكونٍ وقارِ
فى وجهه زهرات روض تجتلى من نرجس مع وردة وبهارِ
خاف اقتطاف الورد من وجناتها فادار من آس سياج عذارِ
وتسلّلتْ نمْل العذار بخدّه ليرِدْن شهدة ريقه المعطارِ
وبخدّه نار حـ ـا وردها فوقفن بين الورد والاصدارِ
كم ذا أداري c فى هواه محبّتى ولقد وشى بى فيه فرطُ أَوارى

وقال ابن رَشيد حدّثنا ابو حيّان قال حدّثنا التاجر ابو عبد الله البَرْجُونى بمدينة عَيْذاب من بلاد السُّودان وبَرْجُونة قرية من قرى دار السّلام قال كنت بجامع لَوْلَمَ من بلاد الهند ومعنا رجل مغربىّ اسمُه يونس فقال لى اذكر لنا شيئًا فقلت له قال علىّ رضه اذا وُضع الاحسان فى الكريم اثمر خيرا واذا وُضع فى اللّئيم اثمر شرًّا كالغيث يقع فى الأصداف فيثمر الدرّ ويقع فى الأفاعى فيثمر السمّ فما راعنا الا ويونس المغربىّ قد انشد لنفسه

صنآئعُ المعروف ان أُودعت عند كريم زكت النعمَى
وان تكن عند لئيم غدت مكفورة موجبةً اثما
كالغيث فى الأصداف دُرٌّ وفى فم الأفاعى يُثمر السمّا ،

قال ابو حيّان فلما سمعت هذه الابيات نظمتُ معناها فى بيتين وهما

a) G. L. ينسن. b) S. بجسمك. c) G. S. اوارى.

اذا وُضع الاحسان فى الخبّ لم يفد   سِوَى كفره والحُرّ يجزى به شكرا
كغيث سقى افعَى فجاءت بسمها   وصاحَبَ أصدافا فاثمرت الدرّا

قال ابو حيّان وانشدنا الامير بدر الدين ابو المحاسن يوسف بن سيف الدولة ابى المعالى بن زمّاخ a الهمدانى لنفسه بالقاهرة

فلا تعجبْ لحسْن المدح منّى   صفاتك اظهرتْ حكم البوادى
وقد تُبْدِى لك المرآة شخصا   ويسمعك الصدَى ما قد تنادى

وبعد كتبى ما نقله ابن رشيد *عن ابى حيّان رايتُ لبعضهم ان ابا حيّان هذا الذى ذكره ابن رشيد b ليس هو ابا حيّان النحوىّ الاندلسى وانما هو شخص آخر وفيه عندى نظر لا يخفى والذى اعتقده ولا ارتاب فيه انه ابَو حيّان النحوىّ، وقال ابن رشيد انشدنى ابو حيّان لنفسه

اذا غاب عن عينى اقول سلوته   وإن لاح حال اللون فاضطرب القلبُ
يهيّجنى عيناه والمبسم الذى   به المسك منظوم به اللؤلؤ الرطبُ

وقال الشريف ابن راجح رايت ان ما وضعه الشيخ ابو حيان فى تقديم لسان الاتراك تصبيع   وقلت

نفائس الاعمار   انا وامثالى على غير شىّ
شيوخ سُوء ليس ترضى بما   يرضى به من المخازِىَ صبِى

ومن نظم ابى حيان قوله

انّ علما تعبتُ فيه زمانى   باذلا فيه طارفى وتلادى
لجدير بأن يكون عزيزا   ومصونا الاعلى الاجواد

وقوله رحمه   وما لك والاتعابَ نفسا شريفةً   وتكليفها فى الدهر ما ليس يعذبُ
ارحْها فعن قرب تلاقى حمامَها   فتنعمُ فى دار البقا او تعذّبُ

واستشكل هذان البيتان بأنّ ظاهرهما خلاف الشرع واجيب بأنّ مرادَه امر الرزق لا امْر التكليف وافاد غير واحد ان سبب رحلة الشيخ ابى حيّان عن الاندلس انّه نشا شرّ بينه وبين شيخه احمد بن على بن الطبّاع فالف ابو حيّان كتابا سمّاه الالماع ·

a) Les man. portent ou رماخ ou رماح , ce qui n'est pas exact. En Egypte plusieurs emirs se nommaient زمّاخ ; voyez, par exemple, de Sacy, *Chrest. ar.*, I, 129.   b) Ces mots ne se trouvent que dans le man. S.

فى افساد اجازة ابن الطبّاع » فرفع ابن الطبّاع امرّه للامير محمد بن نصر المدعو بالفقيه وكان ابو حيّان كثير الاعتراض عليه ايّامَ قرآءته عليه فنشا شرّ عن ذلك وذكر ابو حيان انه لم يقم بفاس الّا ثلاثة ايام وادرك فيها ابا القاسم المزياتى(؟) وخرج ابو حيان من الاندلس سنة ٦٧٩ ، وكان جماعة من اعلام الاندلس رحلوا منها فلما وصلوا الى العدوة اقاموا بها ولم يذهبوا الى البلاد المشرقيّة ،

٢١٥ منهم الشيخ النحوى الناظم الناثر ابو الحسن حازم بن محمد القرطاجنى وهو القائل يمدح امير المؤمنين المستنصر بالله صاحب تونس

أمِن بارق اورى بِجُنْح الدجَى سقطا   تذكّر مَن حلّ الاجارع فالسقطا
وبان ولكن لم يبن عنك ذكره   وشطّ ولكن طيفه عنك ما شطّا
حبيب لَوَ أنّ البدر جاراهُ فى مَدَى   من الحسْن لاستدنى مدى البدر واستبطا
اذا انتجعتْ مرعًى خصيبا ركابُه   غدا لحظُ عينى يشتكى الجدب والقحطا
لقد اسرعت عينى المطىّ بشادن   تسرّع فى قتل النفوس وما أبْطا
ظننتُ الفلا دار ابن ذى يَزَنٍ بها   وخلتُ المحاريب الهوادج والغُبْطا
فكم دُمْية للحسن فيها وصورة   تروق وتمثال من الحسن قد خطّا
حمآئل لاحت كالخمآئل بهجةً   سقيط الحيا فيهنّ لا يسْأم السقطا
توسّده نحره[a] لان الا وانس والمهى   به الوشى والديباج لا السدر والارطى
ولم يسب قلبى غير ابهرها سَنى   واطولها جيدا واخفقها قُرطا
ايا ربّة الاحداج يرى[b] فنقلمى[c]   وما بكِ جهلٌ انّ سهمك ما اخطا
قفى تستبينى ما بعينيك من ضَنى   كجسمى وعنوان الهوى فيه مختطّا
فلم أرَ اعدَى منكِ لحظا وناظرا   لقلبى ولا اعدَى عليه ولا أسْطا
سقى الله عيشا قد سقانا من الهوى   كؤوسا بمعسول اللمَى خلطت خَلْطا
وكم جنة قد ردتُّ فى ظلّ كافر   فلم اجز ما اولاه كفرا ولا غمطا
وكم ليلة قاسيتها نابغيّة   الى ان بدت شيبا ذوآئبها شمطا
وبتّ اظنّ الشهبَ مثلى لها هوًى   واغبطها فى طول الفتها غبْطا
على انّها مثلى عزيزة مطلب   ومَن ذا الذى ما شآء من دهره يُعْطى

a) S. موشد. b) L. بحر. Ce vers est sans doute corrompu. c) G. S. فتعلمى.

كأنّ الثريّا كاعب ازمعت نوى   وامت باقصى الغرب منزلةً تتخطّى
كأنّ نجوم الهقعة الزهر هودج   لها عن ذرى الحرف المناخة قد حطّا
كأنّ رشآء الدلو رشوة خاطب   لها جعل الاشراط فى مهرها شرطا
كأنّ السهى قد دقّ من فرط شوقه   اليها كما قد دقّق الكاتب النقطا
كأنّ سهيلا اذ تنآءت وانجدت   غدا يائسا a منها فاتهم وانحطّا
كأنّ خفوق القلب قلبُ متيّم   تعدى عليه الدهرُ فى البين واشتطّا
كأنّ كُلى النسْرين قد ريع اذ رأى   هلال الدجى يهوى له مخلبا سَلْطا
كأنّ الذى ضمّ القوادمَ منهما   هوًى واقع b للارض او قصّ او قطّا
كأنّ اخاه رام فوتا امامَه   فلم يعدُ ان مدّ الجناح وان مطّا
كأنّ بياض الصبح مِعْصَم غادة   جنت يَدُها أزهار زهر الدجى لقطا
كأن ضيآء الشمس وجه امامنا   اذا ازداد بِشرًا فى الوغى واذا اعطى
محمد الهادى الذى انطق الورى   ثنآء بما أسْدى اليهم وما انطى
امام غدا شمس المعالى وبدرها   وقد اصبحت زهر النجوم له رَهْطا
جميل المحيّا مجمل طيب ذكره   يُعاطى سُرورا كالحميّا ويستعطى
اذا ما الزمان الجعْد ابدى تجهّما   وانّ الحيآء الطّلْق والخلق السبْطا
كلا ابوى حفص نماه الى العُلى   فأصْبح عن مرقاته النجمُ منحطّا
بسيماه تدرى انّ كعبا جدوده   وان هو لم يذكر رزاحا ولا قُرْطا
اذا قبض الروعُ الوجوهَ فوجهه   يزيد لكون النصْر نصلا له بسْطا
به تترك الإبطال صَرْعَى لدى الوغَى   كأن قد سقوا من خمر بابل أسْفنْطا
تراه اذا يعطى الرغآئب باسما   له جذل يربى على جذل المعْطا
وكم عنق قد قلدت بنواله   فريدا وقد كانت قلادتها لطّا
متى ما يُقَسْ جود الكرام بجُوده   فبالبحر قاسيت الوقيعة والوقطا
يشقّ له عن كلّ غيب حجابُه   فتحسبُه دون المحجّب ما لطّا
تطيع الليالى امرَه فى عُصاته   وتردى اعاديه اساودها نشطا
وتمطى c عليهم سيفه وسنانه   فتبرى الكلَى طعنا وتفرى الطُّلى قطا

a) S. مايئا. b) G. S. واقعا. c) G. S. وتمضى.

فكيف ترجت عزة منه فرقة … غدا عزها ذلا ورفعتها هَبْطا
وكم بالنهَى والحلم غطّى عليهمِ … الى ان جنوا ذنبا على العلم قد غطّا
فأمطاهمْ دَهْمُ الحديد وطالما … انالهمْ دهم الجياد وما أمّطا
ورام لهم هَديا ولكنّهم ابَوْا … بغيّهمِ الّا الضلالة والخبْطا
وكان لهم يبغى المثوبة والرضَى … ولكن ابوا الا العقوبة والسُّخْطا
ولو قوبلت بالشكر منه مآرب … لما اعتاض منها أَفْيل الاثل والخمطا
هو الناصرُ المنصور والملك الذى … اعاد شباب الدهر من بعد ما أشمطّا
اصاخت له الايام سمعا وطاعة … واحكمَت الدنيا له عهدَها رَبْطا
فلا بُدّ من ان يملك الارض كلّها … وان تملأ الدنيا ايالتُه قسْطا
ويغزو وفى آفاق اندلس العدَى … بجيش تخطّ الارضَ ذَيْله[a] خطّا
وكلّ جواد خقّ سنبكه فما … يمسّ الثرى الا مخالسة قُرْطا
يؤمّ بها الاعدآء ملك امامه … من الرعب جيش يسْرع السير ان ابطا
وبرمى[b] جبال الفتح من شط سبتة … بها فتوافى سُبّقا ذلك الشطّا
بحيث التقى بالخضر موسى وطارق … وموسى به رَحْلا لغزو العِدَى حطّا
وسعيك ينسى ذكر سَعْيهما به … ويوسع سعى المشركين به حَبْطا
ويوقعْ فى الاعدآء اعظَم وقعة … بها تملأ الأسماعَ طير الملا لَغْطا
تجاوبُ سحم الطيرِ فيه وشبهها … كما واطن[c] الزنجُ النبيطَ او القبطا
وتنكر فيها الجوّ والارضَ اعْيُن … ترى الجوّ نارا والصّعيد دما غبطا
فتخضب منهم من اشابت بخوفها … نصول ترى منها بفود الدجى وَخْطا
ويحسم ادوآء العدَى كلّ صارم … حسامٍ اذا لاقى الطلى حدّه قطّا
وكلّ كمىّ كلّما خطّ صفحة … بسيف غدا بالرمح ينقط ما خطّا
شجاع اذا النقّ الرماحان مثل ما … تقلقل فى اسنان مَشْط يدٌ مشطا
اذا ما رجت منه اعاديه غرّة … رأت دون ما ترجوا القتادة والخرطا
فيجدع آناف العِداة بسيفه … وينشقها بالرمح ريح الردَى بسطا
يبيد الاعادى سطوة ومكيدة … فيحكى الاسُود الغُلْب والاذؤب المُعْطا

a) S. اذيالة. b) L. ويرى. c) Je crois qu'il faut lire أواطا.

سرى فى طلاب المعلوات فلم يزل　　يمدّ يدا مبسوطة ونَدى بَسْطا
ولو نازعت يمناه جذبا شمالَه　　لبوسا من المأذى لانعقّ وانعطّا
بصول بخطّىّ فكلّ a مُرِشّة　　به اثر يغزوه للحيّة الرّقْطا
فتى تبصر الآكام فُرْعا كواسيا　　بهنّ وقد ابصرن عارية مَرْطا
اذا نُسِبت للحظ او لردينه b　　نسبن الى العليا رُدَينة والخطّا
كُماةُ حماة ما يزال الى الوَغى　　حنين بهم ما حنّ نضو وما أطّا
عليهم نسيج السابغات كأنّها　　جلود عن الحيات قد كشطت كشطا
اذا لمع للشمس لاحت عليهم　　رأيتَ صلالا ألبسَت حللا رقطا
ترجرج كالزاروق لينا ومثله　　ترى نقطة من بعد ما طرحت خطّا
جيوش اذا غطّى البلادَ عبابُها　　وامواجُها غطت بقوس العدَى غطّا
فكم قد حكت فى حصْر حصن ومعقل　　وشاحا على خصر فآسفنه ضغطا
وخيل كأمثال النعام تخالها　　لافراط لوك اللّجْم تبغى لها سَرطا
تخيلها فتخا اذا ارتفعت وان　　سبحن بمآء خلتها خفّة c بطّا
فينعقّ منها مِرْطُ كلّ عجاجة　　موادع d لا يشأمن مَرّا ولا مرطا
وكم خالطت سمر الرماح واوردت　　مياها غدت حمر الدمآء لها خلطا
يحمونها ليل السرى فاذا دعوا　　نزال امتطوا منهنّ اشرف ما يمطى
فكم جنبوها خلف مُعتادة السرى　　عوارف لم تسمع لها اذن نحطا
وقد سمعت اعناقهنّ ازمّة　　بطول السرى حتى تظنّ بها غلطا
اذا اوقدت نارا بقذف الحصا حكت　　قسيّا وبحرّ الدجى طامست نقطا
امامَ الهدَى اعليتَ للدين معلما　　وسَمْتَ العدَى من بعد رفعتهم حُطّا
وألحقتهم عقمَ المنى عنْ حبالها　　فما وجدت عقما ولا نتجت سَقْطا
وصيّرتهم فى عقلة سارح العدى　　وسرّحتم الآمال من عقلها نشطا
ومن كان يشكوا سطوة الدهر قد غدا　　بعَدْلك لا يُعدَى عليه ولا يُسْطا
ففى كل حال تُؤثر القسط جاريا　　على سنن التقوى وتجتنب القسطا

a) G. L. لكل. b) Je dois avouer que je n'ai pu réussir à comprendre le sens de ce vers. Faut-il lire لِرُدَينة? c) L. جفة. d) Les man. portent موارغ ou موازع.

فبوركت سبطا جدّه عمرَ الرضى … وبوركا من جدّ غدوت له سبّطا
تلوت الامام العَدْل يحيى فلم تزل … تزيد امور الخلق من بعده ضبطا .
فزدتم وضوحا بعده واستقامة … وتوطئة نهج السبيل الذى وطّا
وما كان ابقى غاية غير انه … حُبيت بما لم يُحبَ خلق ولم يُعطا
اذا دُررُ الاملاك فى الفخر نُظّمت … على نسق عقدا فدولتك الوُسْطَى

وله فيه

نور جلا خَيْط الظلام بخيطه … فى كل افق من صباح دجاكمُ .
راقت محاسن مجدكم فبهرن ما … كسيّته من حبر المديح وريْطه

وله رحمه عدة تواليف وُولد سنة ٩٠٨ وتوفى ليلة السبت ٢٤ رمضان سنة ٩٨٤ بتونس ، وممن اخذ عنه الحافظ ابن رشيد الفهرى وذكره فى رحلته واثنى عليه كما اثنى عليه العَبْدَرىّ فى رحلته فقال حازم وما ادراك ما حازم وقد عرفت به فى ازهار الرياض بما يغنى عن الاعادة وكان هو والحافظ ابو عبد الله ابن الأبّار فرسَىْ رِهان غير انّ ابن الابار كان اكثر منه رواية وهو الامام الحافظ الكاتب الناظم الناثر المؤلف الرواية ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابى بكر بن عبد الله بن ابى بكر القضاعى الاندلسى البلنسى كتب ببلنسية عن السيد ابى عبد الله بن السيد ابى حفص ابن امير المؤمنين عبد المؤمن بن على ثم عن ابنه السيد ابى زيد ثم كتب عن الامير ابن مردنيش ولما نازل الطاغية بلنسية بعثه الامير زيّان بن مردنيش مع وفد اهل بلنسية بالبيعة للسلطان ابى زكريا يحيى بن عبد الواحد بن ابى حفص وفى ضمن ذلك استصراخه لدفع عادية العَدُوّ فانشد السلطان قصيدته السينية التى مطلعها

ادركْ بخيلك خيل الله اندلسا … انّ السبيل الى منجاتها درسَا

وقد ذكرناها فى غير هذا الموضع ثم لمّا كان من امر بلنسية ما كان رجع باهله الى تونس غبطة باقبال السلطان عليه فنزل منه بخير مكان ورشحه لكتب علامته فى صدور مكاتباته فكتبها مدّة ثم اراد السلطان صرفها لابى العبّاس الغسّانى لكونه يُحْسن كتابتها بالخط المشرقى وكان آثر عند السلطان من المغربى فسخط ابن الأبّار أنَفة من ايثار غيره عليه وافتات على السلطان فى وضعها فى كتاب أُمر بانشائه لقصور الترسيل يومئذ فى الحضرة عليه وأن يبقى موضع العلامة منه لكتابتها فجاهر بالرّدّ ووضعها استبدادا وأنَفة وعوتب على ذلك فاستشاط غضبا ورمى بالقلم وانشد متمثلا

اطلبِ العزّ فى لظى وذَرِ الذ … لّ ولو كان فى جنان الخلودِ

فنمى ذلك الى السلطان فامر بلزومه بيته ثم استعتب السلطان بتأليف رفعه اليه عدّ فيه مَن عوتب من الكُتّاب واعتبه وسمّاه اعتابَ الكتّاب واستشفع فيه بابنه المستنصر فغفر السلطان له وأقال عَثْرته واعاده الى الكتابة ولما توفى السلطان رفعه امير المؤمنين المستنصر الى حضور مجلسه ثم حصلت له امور معه كان اخرها انه تقبّض عليه وبعث الى داره فرفعت اليه كتبه والغى اثناءها فيما زعموا رقعة بابيات اوّلها

طغى بتونس خلفٌ سمّوه ظلما خليفةً

فاستشاط السلطان لها وامر بامتحانه ثم بقتله فقتل قعصًا بالرماح وسط المحرم سنة ٦٥٨ ثم احرق شلوه وسيقت مجلدات كتبه واوراقُ سَماعه ودواوينه فاحرقت معه وكان مولده ببلنسية سنة ٥٩٥، وقال فى حقّه ابن سعيد فى المُغْرب ما ملخّصه حامل رأية الاحسان، المشار اليه فى هذا الاوان،، ومن شعره قوله يصف الياسمين

حديقةُ ياسمين لا تهيم بغيرها الحَدَقُ
اذا جفن الغمام بكى تبسّم ثغرها اليقَقُ
فأطْراف الاهلّة سا ل فى اثنآئها الشفقُ

وكتب الى الوزير ابى عبد الله ابن ابى الحُسَين بن سعيد يستدعى منه منثورا

لك الخير آتحفنى بخيرى روضة لأنفاسه عند الهجوم هبوبُ
أليس اديب الروض يجعل ليله نهارا فيذكو تحته ويطيبُ
ويطوى مع الاصباح منشور نشره كما بان عن ربع المحبّ حبيبُ
اهيم به عن نسبة ادبيّة ولا غرو ان يهوى الاديبَ اديبُ

وقوله فى الخسوف

نظرتُ الى البدر عند الخسوفْ وقد شين منظره الأزْيَنْ
كما سفرت صفحة للحبيبْ يحجبها برقع ادْكَنْ

وقوله فى المعنى

الم تر للمخسوف وكيف أبْدَى ببدر التمّ لمّاع الضيآء
فمرآة جلاها القين حتى انارت ثم ردّت فى غشآء

وقوله والثريّا بجانب البدر تحكى راحة أومأت لتلطم خدّا

وقوله من عاذرى من بابلى طرفه ولعمره ما حلّ يوما بابلا

L. خلو.

اعتدّه خوطا لعيشى ناعما فيعود خطّيا لقتلى ذابلا

وهو حافظ متقن له فى الحديث والادب تصانيف وله كتاب فى متخيّر الاشعار سمّاه قطع الرياض وتكملة الصلة لابن بشكوال وهداية المعترف فى المؤتلف والمختلف وكتابُ التاريخ وبسببه قتله صاحبُ افريقية وأُحرقت كتبه على ما بلغنا رحمه وله تحفة القادم فى شعرآء الاندلس. والحلّة السّيرا· فى اشعار الامرآ، ومن شعره قوله

امرى عجيب فى الأُمورْ بين التوارى والظهورْ
مستعمل عند المغيبْ ومهمل عند الحضورْ

وسبب هذا انّ ملك تونس كان اذا اشكل عليه شىء او ورد عليه لُغْز او مُعَمًّى او مرجّم a بعث له اليه فيحله واذا حضر عنده لا يكلّمه b ولا يلتفت اليه ووُجِد فى تعاليقه ما يشين دولة صاحب تونس فامر بضربه فضرب حتى مات واحرقت كتبه رحمه وكان اعدآؤه يلقبونه بالفار وحصلت بينه وبين ابى الحسن على بن شلبون المعافرى البلنسى مهاجات فقال فيه

لا تعجبوا المضرّة نالت جميــــعَ الناس صادرة عن الأبّارِ
أوليس فار خلقة وخليقة والفارُ مجبول على الأضرارِ

فاجابه ابن الأبّار

قُلْ لابن شلبون مقال تنزّه غيرى يجاريك الهجآء فجارِ
انّا اقتسمنا خُطّتَيْنا بيننا فحملتُ بَرّةَ واحتملتَ فَجارِ

وهذا مضمّن من شعر النابغة الذبيانى انتهى ما لخّصناه من كلام ابن سعيد فى حقّه، ومن شعر ابن الابّار ايضا

لو عنّ لى عون من المقدار لهجرتُ للدار الكريمة دارى
وحللتُ اطيبَ طيبة من طيبة جارا لمن اوصى بحفظ الجار
حيث استبان الحق للابصار لما استشار حفائظَ الانصار
يا زائرين القبر قبر محمّد بشرى لكم بالسبق فى الزوّار
اوضعتم لنجاتكم فوضعتمْ ما أدّكم c من فادح الأوزار
فوزوا بسبقكمْ وفوهوا بالذى حملتم شوقا الى المختار

a) Les man. portent مترجّم. b) G. L. يكمله. c) G. L. وادكم.

ادّوا السلام سلمتمْ وبرّه   ارجو الاجارة من ورود النارِ

اللهم اجرنا منها يا رحيم يا رحمن يا كريم ولنختم ترجمته بقوله

رجوت الله فى اللأْوآء لمّا   بلوت الناسَ من ساهٍ ولاهى

فمن يكُ سائلا عنّى فانّى   غنيت بالافْتقار الى الاهى

جردتُ ترجمته فى a ازهار الرياض فى اخبار عياض فليراجع ذلك فيه مَن شآء رجع الى ما كنّا فيه من ذكر المرتحلين من الاندلس الى المشرق

٢١٦ ومنهم الحافظ ابو المكارم جمال الدين ابن مسدى وهو ابو بكر محمد ويقال ابو المكارم ابن ابى احمد يوسف بن موسى بن يوسف بن موسى بن مُسَدّى المهلّبى الازدى الاندلسى شيخ السنّة وحامل رايَاتها، وفريد الفنون ومحكم آياتها،، عرف الاحاديث وميّز بين شهرتها وغرابتها، وكان المتلقى لرأية السنّة بيمين غرابتها،، طلع بمغربه شمسا قبل بزوغه بافق المَشرق، وملأ جزيرته الخضرآء من بحر علمه المتدفّق، وافعمها بنوره المُشرق،، وطاف البلاد الاسلاميّه، المغربيّة والمشرقيّه،، فعقدت على كماله الخناصر، وجعله ارباب الدراية لمقلة الدين الباصر،، ولقى اعيان الشيوخ فى القطرَيْن، واخذ عنهم ما تقرّبه العَيْن، ويدفع به عن القلب الرّيْن،، مع فصاحة لسان، وطلاقة بيان وبنان،، وخلال حِسان، وبلاغة سحبته على سحبان، وظهر ازهار بان،، وفوضت اليه خطابة الحرم الشريف بمكة فكان كما يقال

هذا السّوار لمثل هذا المِعْصَمِ

فكم وشى بها من مطارف للبلاغة وكم غنم، حتى يظنّ الرآى عُودَ منبره من وعظه مايسا، ولئن مال من سجع الحمام رطبا فقد مال من سجع هذا الامام يابسا،، وترجم على من لقى من الاعيان بسحر البيان، وفصّل احوالهم باحسَن تبيان،، وعدّتهم ٤ آلاف شيخ وناهيك بهذه مزيّة تقادُ لها الفضآئل فى أرسان، وارَى تحقيق قول القائل جمع الله العالَم فى انسانٍ،، وله موضوعات مفيدة من حديث وفقه ونظم ونثر وله مسنَد غريب جمع فيه مذاهب العلمآء المتقدّمين والمتقدّمين b وهو اشهر من نار على علم وكان يكتب بالقلمَيْن المغربى والمشرقىّ وكلاهما فى غاية الجودة ومثل هذا يُعَدّ نادرا توفى شهيدا مطعوما من اناس كانوا يحسدونه فختم الله له

a) Lisez عن. b) S. والمتأخرين.

بالشهاده، وبوئ بها دار السعاده،، توفى سنة ٦٦٣ بمكّة ومولده سنة ٥٩٨ رحمه ورضه ونفعنا بامثاله،

٢١٧ ومنهم *a* الكاتب ابو القاسم خلف بن عبد العزيز بن محمد بن خلف الغافقى القَبْتُورى بفتح القاف وسكون البآء الموحّدة وفتح التـآء ثالثة الحروف وسكون الواو بعدها رآء الاشبيلى المولد والمنشا وُلد بشوال سنة ٦١٥ وقرأ على الاستاذ الدباج كتاب سيبويه والسبع وله باع مديد فى الترسّل مع التقوى والخير وله اجازة من الرضى ابن برهان والنجيب ابن الصَيْقَل وكتب لامير سبتة وحدّث بتونس عن الغرافى وجاور زمانا وتوفى بالمدينة سنة ٧٠٤ *b* وحجّ مرّتين وجاور زمانا، قال ابو حيّان قدم القاهرة مرّتين وحجّ فى الاولى وانشدنى من لفظه لنفسه

أسيلى الدمعَ يا عينى ولكن دمًا ويقلّ ذلك لى أسيلى
فكم فى التُّرب من طرف كحيل لتربٍ لى ومن خَدّ أسيلى

وقال ما ذا جنيت على نفسى بما كتبتْ كفّى فيا ويح نفسى من اذى كفّى
ولو يشآء الذى اجرى علىّ بذا قضآؤه الكفّ عنه كنتُ ذا كفّ

وقال وا حسْرتا لامور ليس يبلغها مالى وهُنّ مُنَى نفسى وآمالى
اصبحتُ كالآل لا جَدْوَى لدىّ وما ألوْت جهْدا ولكن جدّى الآلى

وقال العلّامة فتح الدين ابن سيّد الناس انه انشده لنفسه بالحرم الشريف النبوىّ سنة ٧٠٣

رجوتك يا رحمٰن انّك خيرُ مَن رجاه لغفران الجرآئم مرتجٍ
فرحمتك العُظْمى التى ليس بابها وحاشاك فى وجه المُسِىء بمرتجٍ

وقد انشد له ابو حيّان كثيرا من نظمه رحمه تعـ،

٢١٨ ومنهم ابو العباس احمد بن محمد بن مفرج بن ابى الخليل الاموى الاشبيلى النَّباتى المعروف بابن الرومية كان عارفا بالعشب والنبات صنف كتابا حسنا كثير الفائدة فى الحشآئش ورتب فيه اسمآءها على حُروف المعاجم ورحل الى البلاد ودخل حلب وسمع الحديث بالاندلس وغيرها، وقال البِرزالىّ فى حقّه انه كان يعرف الحشآئش معرفة جيّدة وسمع الحديث بدمشق من ابن الحَرَسْتانى وابن ملاعب وابن العطار وغيرهم، وقال بعضهم اجتمعتُ به وتفاوضت معه فى ذكر الحشآئش فقلت له قضب

a) Plus loin, après le n°. 243, al-Makkarī donne encore une fois cette biographie. *b*) G. ٦٠٤; L. ٧٤٠.

الذريرة قد ذكر فى كتب الطبّ وذكروا انه يستعمل منه شىء كثير وهذا يدلّ على انه كان موجودا كثيرا وامّا الآن فلا يوجد ولا يخبر عنه مخبر فقال هو موجود وانما لا يعلمون اين يطلبونه فقلت له واين هو فقال بالأهواز منه شىء كثير انتهى، وجاز البحر بعد سنة ٥٨٠ للقآء ابن عُبَيد الله بسبتة فلم يتهيّأ له ذلك وحجّ رحمه فى رحلته الاولى ولقى كثيرا وروى عن عدد من رجال ونسآء ضمنهم التذكرة له وله مختصر كتاب الكامل لاحمد بن عَدى فى رجال الحديث وله كتاب المعلم بما زاده البخارىّ على كتاب مُسْلم ويعرف بالنباتى لمعرفته بالنبات ومولده فى نحو سنة ٥٦١ وتوفى رحمه باشبيلية منسلخ ربيع النبوى سنة ٦٣٧، وقد رثاه اناس من تلامذته وألّف بعضهم فى التعريف به وسمع من ابن زرقون وابن الجدّ وابن عُفَير وغير واحد كابى ذرّ الحبشى وسمع ببغداد من جماعة وحدّث بمصر الاحاديث من حفظه ويقال له الحزمى بفتح الحآء نسبة الى مذهب ابن حزم لانه كان ظاهرىّ المذهب وكان زاهدا صالحا، وحكى بعضهم عنه انه كان جالسا فى دكانه باشبيليّة يبيع الحشآئش وينسخ فاجتاز به الامير ابو عبد الله ابن هود سلطان الاندلس فسلّم عليه فردّ عليه السلام واشتغل بنسخه ولم يرفع اليه راسه فبقى واقفا منتظرا ان يرفع اليه راسه ساعة طويلة فلمّا لم يحفل به ساق فرسه ومضى وله كتابان حسنان فى علم الحديث احدُهما يقال له الحافل · فى تكملة الكامل · لابن عَدى وهو كتاب كبير، قال ابن الأبّار سمعت شيخنا ابا الخطاب ابن واجب يثنى عليه ويستحسنه والثانى اختصر فيه الكامل لابى احمد ابن عَدى كما سبق فى مجلّدين، وسمع بدمشق والموصل وغيرهما جماعة من اصحاب الحافظ ابى الوقت السِّجْزى وابى الفتح ابن البَطِّى وابى عبد الله الغزاوى وغيرهم من الائمّة وله فهرسة حافلة افرد فيها روايته بالاندلس من روايته بالمشرق وكان متعصّبا لابن حزم بعد ان تفقّه فى المذهب المالكى على ابن زرقون ابى الحسين وطالت صحبتُه له وكان بصيرا بالحديث ورجاله كثير العناية به واختصر كتاب الدارَقُطْنى فى غريب حديث مالك وغيره اضبط منه وفاق اهل زمانه فى معرفة النبات وقعد فى دكان لبيعه، قال ابن الأبّار وهنالك رأيته ولقيته غير مرّة ولم آخذ عنه ولم استجزه وسمع منه جلّ اصحابنا ومولده فى شهر المحرّم سنة ٥٦٧ وتوفى باشبيلية ليلة الاثنين مستهل ربيع الاخر سنة ٦٣٧، وقال ابن زرقون منسلخ شهر ربيع الاوّل وحكى ذلك عن ولده ابى النور محمد بن احمد انتهى،

٢١٩ ومنهم ابو العباس احمد بن عبد السلام الغافقى الاشبيلى الشهير بالمسيلى رحل حاجّا وقفل الى بلده وحدّث عنه ابو بكر ابن خير بوفاة القاضى ابن ابى حبيب وروى عن ابى محمد ابن ابى السعادات المَرْوَرُّوذى الخراسانى وانه انشده بثغر الاسكندريّة عند وداعه ايّاه، قال انشدنى ابو تراب جندل عند الوداع لبعضهم

السمّ من ألسُن الافاعى اعذبُ من قبلة الوداعِ
ودعتُهم والدموعُ تجرى لمّا دعا للوداع داعى

٢٢٠ ومنهم ابو العباس ويقال ابو جعفر احمد بن معد بن عيسى بن وكيل التجيبى الزاهد ويعرف بابن الاقليشى صاحب كتاب النجم. من كلام سيّد العرب والعجم. صلّعم عارض به شهاب القضاعى واصْل ابيه من اقليش وضبطها بعضهم بضم الهمزة وسكن دانية وبها ولد ونشأ سمع اباه ابا بكر وابا العباس ابن عيسى وتلمذ له ورحل الى بلنسيّة فاخذ العربيّة والآداب عن ابى محمد البطليوسى وسمع الحديث من صهره ابى الحسن طارق بن يعيش والحافظ ابى بكر ابن العربى وابوى الوليد ابن خيرة وابن الدباغ ولقى بالمرية ابا القاسم ابن ورد وابا محمد عبد الحق بن عطيّة وولىّ الله سيّدى ابا العبّاس ابن العريف ورحل الى المشرق سنة ٥٤٣ وجاور بمكة سنين وسمع بها من ابى الفتح الكروخى جامع الترمذى برباط امّ الخليفة العبّاسى سنة ٥٤٧ ثم كرّ راجعا الى المغرب فقبض فى طريقه وحدّث بالاندلس والمشرق وكان عالما عاملا متصوّفا شاعرا مجودا مع التقدّم فى الصلاح والزهد والعزوف عن الدنيا واهلها والاقبال على العلم والعبادة وله تصانيف منها كتاب الغرر من كلام سيّد البشر وكتاب ضياء الاولياء وهو أسفار عدّة وحمل الناس عنه معشراته فى الزهد وكتبها الناس وكان يضع يده على وجهه اذا قرأ القارئ فيبكى حتى يعجب الناس من بكائه وكان الناس يدخلون عليه بيته والكتب عن يمينه وشماله وقد وصف غير واحد امامتَه وعلمه وورعه وزهدَه وروى عنه ابو الحسين ابن كوثر وابن بببش[a] وغيرهما، ومن شعره قوله

اسير الخطايا عند بابك واقفُ له عن طريق الحقّ قلب مخالفُ
قديما عصى عمدا وجهلا وغرّة ولم ينهه قلب من الله خائفُ
تزيد سنوه وهو يزداد ضلّة فها[b] هو فى ليل الضلالة عاكفُ

a) G. بيبش; S. بشير. b) O. فما.

تطلع صبح الشيب والقلب مظلم ... فما طاف منه من سنى الحق طائفُ
ثلاثون عاما قد تولّت كأنّها ... حلوم تقضّتْ او بروق خواطفُ
وجآء المشيب المنذر المرء انّه ... اذا رحلت عنه الشبيبة تالفُ
فيا احمد الخوان قد ادبر الصّبى ... ونادااك من سنّ الكهولة هاتفُ
فهل أرّق الطرفَ الزمانُ الذى مضى ... وابكاه ذنب قد تقدم سالف
فجدْ بالدموع الحمر حزنا وحسْرة ... فدمعك ينبى ان قلبك آسفُ

وقد وافق فى اوّل هذه القطعة قول ابى الوليد ابن الفرضى او اخذه نقلا وتوفى فى صدره عن المشرق بمدينة قوصْ من صعيد مصر فى عشر الخمسين وخمسمائة ودفن عند الجميزة التى فى المقبرة التالية لسوق العرب، وقال ابن عبّاد انه توفى سنة ٥٠ او ٥١ رحمه بعدها وقد نيف على الستين رحمه،

٣٢١ ومنهم ابو العباس احمد بن عمر المعافرى المرسى واصله من طلبيرة ويعرف بابن افرند روى عن ابى الحسين الصّدفىّ وغيره كالقاضى الحافظ ابى بكر ابن العربىّ وابى محمد الرشاطى وابى اسحق ابن حبيش وغيرهم وله رحلة حجّ فيها ولقى ابا الفتح ابن الرندانقانى بلد بين سَرَخْس ومَرْو ومن اصحاب ابى حامد الغزالى وانشد عنه ممّا قاله فى وداع اخوانه بالبيت المقدس

لئن كان لى من بعد عَود اليكمُ ... قضيت لبانات الفؤاد لديكمُ
وان تكن الاخرى ولم تك اوبة ... وحان حمامى فالسلام عليكمُ

وقد روى هذين البيتين ابو عمر ابن عبّاد وابنه محمد عن ابن افرند هذا وكان صالحا زاهدا متصوّفا،

٣٢٢ ومنهم ابو جعفر احمد بن عبد الملك بن عميرة (b) بن يحيى الضبى من اهل لورقة رحل حاجّا وكان منقبضا زاهدا صوّاما قوّاما وأقرأ القرآن واسمع الحديث وممّن حدّث عنه الحافظان ابو سليمان وابو محمد ابن حَوط الله ولقيه ابو سليمان بلورقة سنة ٥٧٥ وتوفى رحمه سنة ٥٧٧ وقد قارب المائة،

٣٢٣ ومنهم ابو عمر ابن عات وهو احمد بن هارون بن احمد بن جعفر بن عات النفرى من اهل شاطبة سمع اباه وابا الحسن ابن هذيل وابا عبد الله بن سعادة وابن حبيش

a) Les man. portent مر b) S. حميرة.

وغير واحد وطايفة كثيرة ورحل الى المشرق فأدّى الفريضة وسمع ابا الطاهر السلفى وابا الطاهر ابن عوف وغيرهما ممّن يطول ذكره واجاز له ابو الفرج ابن الجوزى وغيره ممّن اخذ عنه وسمع منه وقد ضمّن ذكر اشياخه وجملة صالحة من مروياته عنهم برنامجَيْه اللّذين سمّى احدَهما بالنزهة فى التعريف بشيوخ الوجهة وهو كتاب حافل جامع والآخر بريحانة التنفس وراحة الانفس فى ذكر شيوخ الاندلس، قال ابن عبد الملك المرّاكشى فى الصلة حدّثنا عنه شيخنا ابو محمد حسن بن على بن القطان وكان من اكابر المحدّثين وجملة الحفاظ المسندين للحديث والآداب بلا مدافعة يسرد الاسانيد والمتون ظاهرا فلا يخلّ بحفظ شىء منها متوسّط الطبقة فى حفظ فروع الفقه ومعرفة المسآئل اذ لم يعن بذلك عنايته بغيره فكان اهل شاطبة يفاخرون بابوى عمر بن عبد البرّ وابن عات وكان على سنن السلف الصالح فى الانقباض ونزارة الكلام ومتانة الدين واكل الخشف ولزوم التقشف والتقلل من الدنيا والزهد فيها والمثابرة على كثير من افعال البرّ كالاذان والامامة وبذل المعروف والتوسّع بالصدقات على الضعفآء المساكين وحكى انه حضر فى جماعة من طلبة العلم لسماع السيَر على بعض شيوخهم فغاب الكتاب او القارئ بكتابه فقال ابو عمر انا اقرأ لكم فقرأ لهم من حفظه، وقال ابو عمر عامر بن نذير لازمتُه مُدّة ٩ اشهر فلم ار احفظ منه وحضرت اسماع الموطّأ وصحيح البخارىّ منه فكان يقرأ من كلّ واحد من الكتابين نحو ١٠ اوراق عرضا بلفظه كلّ يوم عقب صلاة الصبح لا يتوقف فى شىء من ذلك انتهى، وقال بعض المؤرخين انه كان آخر الحفاظ للحديث يسرد المتون والاسانيد ظاهرا لا يخل بحفظ شىء منها موصوفا بالدراية والرواية غالبا عليه الورع والزهد على منهاج السلف يلبس الخشن وياكل الخشف وربّما اذن فى المساجد وله تآليف دالّة على سعة حفظه مع حظ من النظم والنثر وشهد وقيعة العُقاب التى افضت الى خراب الاندلس بالدائرة على المسلمين فيها وكانت السبب الاقوى فى تحيّف الروم بلادها حتى استولت عليها ففقد حينئذ ولم يوجد حيّا ولا ميتا وذلك يوم الاثنين منتصف صفر سنة ٦٠٩ ومولده سنة ٥٤٣، قال ابن الأبّار وهو ممّن اجاز له المذكور فيما رواه او الفه رحمهما،

---

٢٣٤ ومنهم ابو العباس احمد بن تميم بن هشام بن احمد بن حنون البهرانى من ساكنى اشبيلية واصله من لبلة روى عن ابيه وابن الجدّ وابن زرقون وابن جهور

وغيرهم من اعلام الاندلس ثم رحل الى المشرق فسمع ببغداد من ابى حفص عمر بن طبرزد وبخراسان من المؤيّد الطوسى وبهراة من ابى روح عبد المعزّ وبمرو من عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعانى ومن جماعة غير هؤلآء وسمع ايضا بدمشق من ابى الفضل الخَرَسْتانىّ وسواه وبها توفى قبل ٦٢٠ فيما نقل ابن الأبّار عن ابن نقطة، وقال غيره انه مات سنة ٦٢٥،

٢٢٥ ومنهم ابو جعفر احمد بن ابراهيم بن محمد بن احمد المخزومى من اهل قرطبة ويعرف ابوه بكَوْزان روى عن ابيه وغيره من مشيخة بلده ورحل حاجا فلقى بالاسكندرية ابا الحسن ابن المقدسى وسمع منه وانشد من لفظه بعض اصحاب ابن الابّار، قال انشدنى شرف الدين ابو الحسن على بن المفضل المقدسى قال انشدتنى بقية بنت غيث بن على الأَرْمَنَازىّ لنفسها

لا خيرَ فىْ الخمر على أنّها مذكورة فى صفة الجَنّه
لانها ان خامرت عاقلا خامره فى عقله جِنّه
يخاف أن تقذفه من عُلى فلا تقى مهجته الجُنّه،

٢٢٦ ومنهم ابو جعفر احمد بن محمد بن احمد بن عياش الكنانى المرسى سمع من ابن بشكوال موطأ مالك رواية يحيى بن يحيى والقَعْنَبىّ وابن بكير بقرآءة ابن محمد ابن حوط الله ورحل الى المشرق سنة ٥٧٩ فحجّ سنة ٥٨٠ واقام بالحجاز والشام مدّة ولقى ابا الطاهر الخشوعىّ بدمشق فسمع منه مقامات الحريرى واخذها الناس عنه، ومما افاد وزاد فى قول الحريرى اذا ما حويتَ جَنَى نخلة [a] الابيات قوله

ولا تأسفنّ على خارج اذا ما لمحت سَنَى الداخل
ولا تكثر الصمتَ فى معشر وان زدت عيّا على باقل

سمع من ابى القاسم ابن عساكر السننَ للبيهقى ومن ابى حفص الميانشى جامع الترمذى وقفل الى الاندلس فى سنة ٩٧ وحدث بيسير وكان يحسن عبارة الرؤيا وكفّ بصره سنة ٦٢٨ او نحوها وتوفى على اثر ذلك ومولده سنة ٥٥٣ رحمه،

٢٢٧ ومنهم ابو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن حصن بن احمد بن حزم الغافقى ويقال فيه ابرٰهيم بن حصن بن عبد الله بن حِصْن اندلسىّ. سكن دمشق وولى الحسْبة

a) Voyez la seconde édition des *Makāmāt*, p. ١٨٧.

بها يكنى ابا اسحٰق سمع ببغداد من ابى بكر ابن مالك القَطيعى وطبقته وبدمشق من عبد الوهاب الكلابى ويوسف بن القاسم الميانجى وبمصر من ابى طاهر الذُّهْلى وابى احمد الغِطْريفى وله ايضا سماع بالرملة وطرابلس والدينور وغيرها من البلدان وحدّث بيسير روى عنه ابو نصر عبد الوهاب بن عبد الله الجبّان من شيوخ عبد العزيز بن احمد الكنانى وكان مالكيا وقيل انه يذهب الى الاعتزال وكان صارما فى الحسبة ووليها سنة ٣٩٥ فى ايام الحاكم العَبيدى وتوفى بدمشق فى ذى الحجّة سنة ٤٠٤ قيل ثانى عيد الاضحا وقيل غير ذلك ذكره ابن عساكر رحّه، قلت ما سمعت بمالكىّ معتزلىّ غير هذا ولعلّه كان مالكيا بالمغرب فلما دخل فى خدمة الشيعة حصل منه ما حصل من نسبته لمذهب الاعتزال فالله اعلم،

٤٢٨ ومنهم ابو امية ابراهيم بن منبه بن عمر بن احمد الغافقى من اهل المرية ونزل مرسية سمع ببلده من ابن شفيع واخذ عنه القرآآت ومن الحافظ ابن سكّرة وابن زغبية a وعبد القادر بن الحنّاط وبقرطبة من ابن عتاب وابن طريف وابى بحر الاسدى وابن مغيث وغيرهم ورحل حاجا فسمع بمكة من ابى على ابن العرجآء احاديث جعفر ابن نسطور وغيرها فى شعبان سنة ٤٩٩ وسمع ايضا من ابى الفتح سلطان بن ابرٰهيم المقدسىّ وقفل الى بلده وانتقل بعد الحادثة عليه الى مرسية وولى القضآء والخطبة هنالك وحدّث واخذ عنه وكان فقيها مشاورا وقيل ان ابن حبيش سمع منه الاحاديث النسطوريّة واسمع صحيح البخارى آخر الحجّة سنة ٥٥٥ وكان يحدّث به عن سلطان بن ابراهيم عن كريمة المروزيّة وحكى رحّه عن ابى ذرّ الهروى انه قال عند موته عليكم بكريمة فانّها تحمل كتاب البخارى من طريق ابى الهيثم رحّه،

٤٢٩ ومنهم ابو القاسم ابن فورتش وهو اسمعيل بن يحيى بن عبد الرحمن السرقسطى واخوه القاضى محمد بن يحيى وكانا جميعا زاهدين لهما رحلة سمعا فيها من ابى ذرّ الهروى بمكة وعادا الى بلدهما وولى محمد منهما القضآء وقد لقيهما القاضى الحافظ ابو على ابن سُكّرة ولم يسمع منهما ويرويان عن ابى عمر الطلمنكى وابى الحزم ابن ابى درهم وتوفى ابو القاسم فى نحو ٥٠٠،

٤٣٠ ومنهم ابو الطاهر اسمعيل بن احمد بن عمر القرشى العلوى الاشبيلى رحل حاجا

a) G. S. زغيبة.

ودخل العراق والموصل وقيّد الكثير ورواه وسمع من ابى حفص الميانشى بمكة سنة ٥٧٠ وحدّث بالموطّأ عن ابى الحسَن علىّ بن هابيل الانصارى عن ابى الوليد الباجى وحدث ايضا عن غيره بما دلّ على انه كان يخلط ولا يضبط وكذلك قال ابو الصبر كان له فى الموطأ اسناد عال جدّا فتصفحته فوجدته ينقص منه رجل واحد فاستربت فى الرواية عنه بعد تحسين الظنّ به ولم يتنبّه ابو الصّبر لانّ ابن هابيل وغيره من شيوخه مجهولون وابو الصبر ممن روى عن المذكور وهو ابو الصبر السبتى والله اعلم بحقيقة * حال الرجل a

٢٣١ ومنهم b ابو الروح عيسى بن عبد الله بن محمد بن موسى بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن خليل النفزى الحميرى التاكرنى، قال فى تاريخ اربل كان شابا متادّبا فاضلا قدم مصر وله شعر حسن وقال الحافظ عبد العظيم المنذرى انشدنا المذكور لنفسه

يا قلبُ ما لك لا تفيق من الهوى   او ما يقرّ بك الزمانَ قرارُ

الكُلّ ذى وجه جميل جنّة c   ولكُلّ عهد سالف تذكارُ

وله يا ربّ اضحية سوداء حالكة   لم ترع فى البيد الّا الشمس والقمرا

تخال باطنها فى اللون ظاهرها   فهى الغداة كزنجى اذا كفرا

وُلد سنة ٥٩٠ بتاكُرُنّا من بلاد الاندلس وهى من نظر قرطبة وتوفى بأُرْزن d من ديار بكر سنة ٦٣٩ عائدا من آمد رحمه، ومن بديع شعره

ان اودع الطرس ما وشاه خاطره   أبْدا لعينيك ازهارا وأشجارا

وان e تهدّد فيه او يعد كرما   بثّ البريّة آجالا وأعمارا

وتاكُرُنّا بضم الكاف والراء وتخفيفها وشدّ النون وورد المذكور اربل سنة ٦٢٧ وله ابيات اجاز فيها قول شرف الدين ابن الفارض فى غلام اسمه بركات، قال الاسدى الدمشقى ومن خطّه نقلت كنت حاضرَ هذه الوقعة بالقاهرة بالجامع الازهر اذ قال ابن الفارض

بركات يحكى البدر عند تمامه   حاشاه بل شمسُ الضحى تحكيه

فقال ابو الروح وانشدنى

a) S. حاله. b) Plus loin après le n°. 253, al-Makkarī donne encore une fois cette biographie. c) Seconde réd. صبوة. d) Voyez *Lobb-al-lob.*, in voce الارزنى. e) Seconde réd. فان.

هذا الكمال فقلْ لمن قد عابه   حسدا وآية كلّ شيء فيه
لم تَـذْوِ احدى زهرتيه وانّما   كملت بذاك ملاحة[a] التشبيه
وكأنّه * قد رام يغلق[b] جفنه   ليصيب بالسهم الذى يرميه[c]

وقال ابن المستوفى فى تاريخ اربل انشدنى ابو الروح لنفسه

اوصيت قلبىَ ان يغرّ[d] عن الصبا   ظنّا بانّى قد دعوت سميعا
فاجابنى لا تخش عنّى بعد ما   افلت من شرك الغرام وقوعا
حتى اذا نادى الحبيب رأيته   آوى اليه مُلَبّيا ومطيعا
كذُبالة اخمدتّها فاذا دنا   منها الضرام تعلقته سريعا

قال وانشدنى

وزائرٍ زارنى والليل معتكر   والطيب يفضحه والحلىَ يشهره
امسكت قلبىَ عنه وهو مضطرب   والشوق يبعثه والصون يزجره
فبتّ اصدى الى من لا يحلينى   والورد صاف ولا شىء يكدّره
تراه عينى وكفّى لا تلامسه   حتى كأنّىَ فى المرآة انظره

قال وانشدنى الامام ابو عمرو ابن غياث الشريشى لنفسه

صبوتُ وهل عار على الحرّ ان صبا   وقيّد ثغر الاربعين الى الصّبا
وقالوا مشيب قلت واعجبا لكم   اينكر صبح قد تخلّل غيهبا
وليس مشيبا ما ترون وانّما   كُميت الصبا لما جرى عاد اشهبا

وتوفّى ابو عمرو[e] سنة ٦٢٠ عن ٩٠ سنة[f] قال ابن المستوفى وانشدنى[f] ابو عمرو ايضا لنفسه

اودعْ فؤادى حرقا[g] اودعِ   تفسك توذى انت فىّ اضلعى
امسكْ سهام اللحظ او فارمها   انت بما ترمى مصاب مَعى
موقعها القلب وانت الذى   مسكنه فى ذلك الموضع

قال وانشدنى مُطْرِف الغرناطى

انا صبّ كما تشاء وتهوى   شاعر ماجد كريم جوادَ

a) Seconde réd. محاسن. b) Seconde réd. رام يُغلّق; L. O. يعلق. c) Le passage suivant ne se trouve pas dans la seconde rédaction. d) L. يغرّ; S. يقرّ. e) Les man. portent عمران. f) G. L. ajoutent: المذكور قال انشدنى. g) O. porte الحب فيك au lieu de حرقا.

سنة سَنّها قديما جميل ... واتى المحْدِثون مثلى فزادوا

قال وانشدنى ايضا المطرف

وفى فروع الايك وُرْقٌ اذا ... بلّ الندى اعطافها تسجعُ
نفخ نسيم الصبا ... شاقك منها عُرَّدٌ سُرَّعُ
ـا ريطتها منبرٌ ... وهى خطيب فوقها مِصْقعُ
ان شبّها فى طرف لوعة ... جرى لها فى طرف مدمعُ

اخذه من قول عبد الوهّاب بن على المالقى الخطيب

كأن فؤادى وطرفى معا ... هما طرفا غصن اخضرِ
اذا اشتعل النار فى جانبٍ ... جرى الماء فى الجانب الآخرِ

٢٣٢ ومن [a] المرتحلين من الاندلس الى المشرق الامام النحوى اللغوى نور الدين ابو الحسن على بن احمد بن محمد بن حمدون الحميرى الاندلسى المالكى شرف الدين الصابونىّ انشدنا المذكور لنفسه سنة ٦٤٧.

فؤاد بايدى النائبات مصابُ ... وجفن لفيض الدمع فيه مصابُ
تناءت ديار قد ألفتُ وجيرةٌ ... فهل لى الى عَهْد الوصال ايابُ
وفارقتُ اوطانى ولم ابلغ المنى ... ودون مرادى أبْحرٌ وهضابُ
مضى زمنى والشيب حلّ بمفرقى ... وابعدُ شىء أن يرد
اذا مرّ عمر المرء ليس براجع ... وان حلّ شيب لم يفده خضابُ
فحلّ حمام الشيب فى فرق لمّتى ... وقد طار عنها للشباب غُرابُ
وكم عظة لى فى الزمان واهله ... وبين فؤادى والقبول حجابُ
فدع شهوات النفس عنك بمعزل ... فعقبُ الليالى مقتضاه عذابُ
وسَلِّ فؤادا عن رباب وزينة ... فما القصدُ منها زينب وربابُ
وانوى متابا ثم انقض نيّتى ... فربع صلاحى بالفساد خرابُ
اقرّ بتقصيرى واطمع فى الرضى ... وما القصدُ الا مرجع ومتابُ
ويعتبنى فى العاجزة خلّ وصاحب ... وهل نافع فى الجامدات عتابُ
وطهّر اثوابى وقلبى مدنّس ... وازعم صدقا والمقال كذابُ

a) Plus loin, après le nº. 243, al-Makkarî donne encore une fois cette biographie. b) L. الفجر

وفارقت من غروب البلاد مواطنا … فسقى رُبى غرب البلاد سحابُ
فبالقلب من نار التشوّق حرقة … وبالعين من فيض الدموع عُبابُ
وما بلغ المملوك قصدا ولا مُنى a … ولا حطّ عن وجه المراد نقابُ
واخشى سهام الموت تفجأ غفلة … وما سار بى نحو الرسول ركابُ
وقلبى معمور بحبّ محمّد … فما لِىَ فى غير الحجاز طلابُ
يحنّ الى اوطانه كلُّ مسلم … فقدس منها منزل وجنابُ
فأسعدُ أيّامى اذا قيل هذه … منازل من وادى الحمى وقبابُ
فجسمى فى مصر وروحى بطيبة … فللروح عن جسمى هناك مَنابُ
على مثل هذا العاجز والعمر منقض … تشقّ قلوب لا تشق ثيابُ
وارجو ثوابا بامتداحى محمّدا … وما كلّ مثنٍ فى الزمان يثابُ
به اخمدت من قبل نيران فارس … وحقّق من ظبى الفلاة خطابُ
وكم قد سقى من كفّه الجيش فارتووا … وكم قد شفى منه العيونَ رُضابُ
أجيبَ لما يختار فى حضرة العُلى … وما كلّ خلق حيث قال يُجابُ
فلم تلهه دنياه عن خوف ربّه … ولا شغلته عن رضاه كعابُ
محمّد المختار اعلى الورى ندا … واكرم مبعوث اتاه كتابُ
اتحسب ان تحصى بعدّ صفاته … وهيهات ما يحصى علاه حسابَ
أع رسول الله ذخيرة … وقد ذلّ جبّار وخيف عقابُ
وقد نصب الميزان والله حاكم … وذلّت لاحكام الاله رقابُ
فكلّ ثناء واجبٌ لصفاته … فما مدحُ مخلوق سواه صوابُ
اليك رسولَ الله انهى مدائحى … وان رجا ى ر ود
اذا قيل من يعنى بمدحك كلّه … فانت اذا عنه
فليتك تحلو والحياة مريرة … ترضى والانام غضابَ
فانت أجلّ العالمين مكانة … كرم مدفون

ولهٗ يرثى العزّ بن عبد السلام

أمدُ الحياة كما علمت قصيرُ … وعليك نقاد بها وبصيرَ

a) L. سنى.

عجبا لمغترّ بدار فنآئه   وله الى دار البقآء مصيرُ

فسليمها للنائبات معرّض   وعزيزها بيد الردى مقهورُ

ايظنّ أنّ العمر ممدود له   والعمر a فيه على الردى مقصورُ

وهى طويلة ولم يحضرنى سوى ما ذكرته ٠

ومنهم عبد البر بن فرسان بن ابرهيم بن عبد الرحمن الغسانى الوادى اشى ابو ٣٣٣
محمد وله اخبار كثيرة فى الحماسة وعلوّ الهمّة ومن نظمه لمّا تعمّم مخدومه ابن غانية بعمامة بيضاء ولبس غفارة حمرآء على جبّة خضرآء

فديتك بالنفس التى قد ملكتها   بما انت مُوليها من الكرم الغضّ

تردّيتَ للحسن الحقيقىّ ببهجة   فصار لها الكلّى فى ذاك كالبعض

ولمّا تلألا نور غرّتك التى   تقسم فى طول البلاد وفى عرض

تلفّفتها خضرآء احسن ناظر   نبتْ عنك جلالا وذاك من العرض

واسدلت حمرآء الملابس فوقها   بمفرق تاج المجد والشرف المحض

فأصبحت بدرا طالعا فى غمامة   على شفق دان الى خضرة الارض

وقال رحمه

أجُبْنا ورمحى ناصرى وحسامى   وعجزى b وعزمى قائدى وامامى

ولى منك بطّاش اليدين غضنفر   يحارب عن اشباله ويحامى

وقال رحمه لما اسنّ يستاذن مخدومه فى الحجّ والزيارة

امنن بتسريح علىّ وفعله   سببُ الزيارة للحطيم ويثرب

ولئن تقول كاشح ان الهوى   درست معالمه وانكر مذهبى

فمقالتى ما إن ملكت وانّما   عمرى ابى حمل النجاد ومنكبى

وعجزتُ عن ان استثير كمينها   واشقّ بالصمصام صدر الموكب

وقال رحمه تع ولا خفآء ببراعته

ندى مُخْضلا ذاك الجناح المفمنما   وسقيا وان لم تشك يا ساجعا ظما

اعِدْهنّ الحانا على سمع معرب   يطارح مرتاحا على * القضب معجماه

وطِرْ غيرَ مقصوص الجناح مرفّها   مسوّغ اشتات الحبوب منعّما

a) Seconde rédaction: والمرء. b) G. L. S. وعجزا. c) S. نوما بوكرك.

مُخَلَّى وأفراخا بوكرك نوّما   الا ليت افراخى معى كنّ *نوّما

وقال رحمه   كفى حزنا ان الرماح صقيلة   وأنّ الشّبى رهن الصدا بدمائه

وان بيانيف الجوانب فرزنت   ولم يعد رُخّ الدست بيت بنائه

وكان رحمه من جلّة الادبآء وفحول الشعرآء وبرعة الكُتّاب كتب عن ابن غانية الامير ابى زكريا يحيى بن اسحق بن محمد بن على المَسُوفى الميرقى الثائر على منصور بنى عبد المؤمن ثم على من بعده من ذريته الى ايام الرشيد منهم وكان منقطعا اليه وممّن صحبه فى حركاته وكان آية فى بُعد الهمة والذهاب بنفسه والغنآء فى مواقف الحرب والجنسيّة علة الضم اذ ابن غانية كان غاية فى ذلك ايضا ووجّهه الميرقى المذكور عشية يوم *من ايام حروبه الى المازق *a* وقد طال العراك وكاد الناس ينفصلون عن الحرب *b* ودمر ارباب الحفيظة وانهى اليهم العزم من اميرهم فى الجملة فانهزم عدوّهم شرّ هزيمة ولم يعد ابو محمد الّا فى اخر الليل بالاسلاب والغنيمة فقال له الامير وما حملك على ما صنعت فقال الذى عملتُ هو شانى واذا اردت من يصرف الناس عن الحرب ويذهب ريحهم فانظر غيرى وتشاجر *c* ولد صغير مع ترب له من اولاد اميره ابى زكريآ فنال منه ولد الامير وقال وما قدرُ ابيك فلما بلغ ذاك اباه خرج مغضبا لحينه ولقى ولد الأمير المخاطِب لولده فقال حفظك الله لست اشك فى أننى خديم ابيك ولكنى احبّ ان اعرفك بنفسى ومقدارى ومقدار ابيك اعلم ان اباك وجّهنى رسولا الى دار الخلافة ببغداد بكتاب عن نفسه فلما بلغت بغداد نزلت فى دار اكتريت لى بسبعة دراهم فى الشهر واجرى علىّ ٧ دراهم فى اليوم وطولع بكتابى وقيل مَن الميرقى الذى وجّهه فقال بعض الحاضرين هو رجل مغربىّ ثاير على استاذه فاقمت شهرا ثم استدعيت فلما دخلت دار الخلافة وتكلمت مع من بها من الفضلآء وارباب المعارف والآداب اعتذروا لى وقالوا للخليفة هذا رجل جُهِل مقداره فأُعدتُّ الى محلّ اكترى لى بسبعين درهما واجرى علىّ مثلها فى اليوم ثم استدعيت *d* فودّعت الخليفة واقتضيت ما تيسّر من حوآئجه وصدر لى شىء له حظ من صلته وانصرفت الى ابيك فالمعاملة الاولى كانت على قدر ابيك عند مَن يعرف

---

a) Ce mot est probablement altéré; S. المارق. Peut-être faut-il lire المازق. *b*) S. ajoute: الى ان يباكروها من الغد فلما بلغ الصدر اشتد على الناس. *c*) S. ajoute له. *d*) S. ajoute: فلما دخلت دار الخلافة وتكلمت مع من بها.

الاقدار والثانية كانت على قدرى وترجمته رحمه متسعة ،

٢٣٤ ومنهم عبد المنعم بن عمر الغسانى الوادى اشى المؤلف الرحالة المتجول ببلاد المشرق سايحا صاحب المؤلفات الكثيرة التى منها جامع أنماط السائل فى العروض والخطب والرسائل ، ومن نظمه قوله رحمه

الا انما الدنيا بحار تلاطمت فما اكثر الغرقى على الجنبات
واكثر من لاقيت يغرق الفه وقل فتى ينجى من الغمرات

توفى رحمه سنة ٦٠٣ ،

٢٣٥ ومنهم ابو العباس احمد بن مسعود بن محمد القرطبى الخزرجى كان اماما فى التفسير والفقه والحساب والفرائض والنحو واللغة والعروض والطب وله تآليف حسان وشعر رايق فمنه قوله رحمه

وفى الوجنات ما فى الروض لكن لرونق زهرها معنى عجيب
واعجب ما التعجب عنه انى ارى البستان يحمله قضيب

وتوفى رحمه سنة ٦٠١ ،

٢٣٦ ومنهم ابو العباس القرطبى صاحب المفهم فى شرح مسلم وهو احمد بن عمر بن ابراهيم بن عمر الانصارى المالكى الفقيه المحدث المدرس الشاهد بالاسكندرية ولد بقرطبة سنة ٥٧٨ وسمع الكثير هنالك ثم انتقل الى المشرق واشتهر وطار صيته واخذ الناس عنه وانتفعوا بكتبه وقدم مصر وحدث بها واختصر الصحيحين وكان بارعا فى الفقه والعربية عارفا بالحديث وممن اخذ عنه القرطبى صاحب التذكرة ومن تصانيفه رحمه المفهم فى شرح مسلم وهو من اجل الكتب ويكفيه شرفا اعتماد الامام النووى رحمه عليه فى كثير من المواضع وفيه اشيآء حسنة مفيدة ومنها اختصاره للصحيحين كما مر وله غير ذلك وتوفى رحمه بالاسكندرية رابع ذى القعدة سنة ٦٥٦ وكان يعرف فى بلاده بابن المزين وله كتاب كشف القناع عن الوجد والسماع اجاد فيه واحسن وكان يشتغل اولا بالمعقول وله اقتدار على توجيه المعانى بالاحتمال ، قال الشيخ شرف الدين الدمياطى اخذت عنه واجاز لى مصنفاته رحمه وحدث بالاسكندرية وغيرها وصنف غير ما ذكرناه وكان اماما عالما جامعا لمعرفة الحديث والفقه والعربية وغيرها ،

٢٣٧ ومنهم العارف الكبير ، الولى الصالح الشهير ، ابو احمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بونه الخزاعى الاندلسى اخذ الاعلام المنقطعين المقربين اولى الهداية

كان رضى الله عنه ونفعنا به كثير الاتباع بعيد الصيت فذّا شهيرا، قال الحافظ ابن الزبير هو احد الاعلام المشاهير فضلا وصلاحا قرأ ببلنسية وتفقه وحفظ نصف المدوّنة واقرأها وكان يؤثر التفسير والحديث والفقه على غيرها اخذ عن ابوى الحسن ابن النعمة وابن هذيل وحجّ ولقى فى رحلته من الاندلس جلّة اكبرهم الولىّ الكبير سيّدى ابو مدين شعيب افاض الله علينا من انواره وانتفع به ورجع عنه بعجائب فشهر بالعبادة وتبرك الناس به فظهرت عليه بركته توفى رحه فى شوال سنة ٦٢٤ وعاش نيّفا وثمانين سنة وله ترجمة فى الاحاطة ملخصها ما ذكرناه،

٢٣٨ ومنهم محمد بن عبد الرحمن بن يعقوب الخزرجى الانصارى الشاطبى الفقيه القاضى الصدر المتفنّن المحصّل المجيد له علم محكم وعقد صحيح مبرم رحل الى المشرق وحجّ وكانت رحلته بعد تحصيله فزاد فضلا الى فضل، ونبلا الى نبل،، كان متثبتا فى فقهه لا يستحضر من النقل الكثير ولكنّه يستحضر ما يحتاج اليه وكان له علم بالعربيّة واصول الفقه ومشاركة فى اصول الدّين له شرح على الجزوليّة وكان ابوه قاضيا وبيتهم بيت قضاء وعلم وسودد متوارث ومجد مكسوب ومنسوب ثم ولى قضاء بجاية فكان فى قضائه على سنن الفضلاء وطريق الاولياء العقلاء،، بالحقّ مع الصدق معارضا للولاة وكان يرى ان لا يقدّم الشهود الا عند الحاجة وامّا ان حصل من تحصّل به الكفاية فلا يقدّم *a* غيره ويرى أنّ الكثرة مفسدة وقد طلب منه الملك ان يقدّم رجلا من اهل بجاية فقال له مشافهة ان شئتم قدمتموه واخرتمونى، وكان اذا جرى الامر فى مجرى الشهادة وما قاله القاضى ابن العربى ابو بكر وغيره من انها قبول قول الغير على الغير بغير دليل يرى ان هذا من الامر العظيم الذى لا يليق ان يمكن منه الّا الآحاد الذين تبيّن فضلهم فى الوجود وكان يرى ان جنايات الشاهد انما هى فى صحيفة مَن يقدمه من باب قوله عليه الصلاة والسلام مَن سَنّ سُنّة حسنة ومن سن سنة سيّئة وقد سُئل مَن اولياء الله فقال شهود القاضى لانهم لا يأتون كبيرة ولا يواظبون على صغيرة وان كانت الشهادة على هذه الصفة فلا شىء اجلّ منها وان كانت خطّة لا صفة ولا شىء احسن منها، ولما كان واقعة ابن مزين *b* بطنجة عرض عليه اهلها ان يتقدّم وان يبايعوه فقال والله لا افسد دينى ولما توفى

---

a) S. ajoute رجلا. *b*) Lisez المزين.

عجز القاضى الذى تولى بعده عن سلوك مَنْحاه واقتفآء سَنَنه الذى اقتفاه قال هذا كلّه بمعناه وبعضه بحروفه الغبرينى فى عنوان الدراية فى علمآء بجاية ،

٢٣٩ ومنهم محمد بن يحيى الاندلسى اللبسى بلام فموحّدة فسين قاضى القضاة اخذ عن الحافظ ابن حجر ونوه به عند الاشرف حتّى ولّاه قضآء المالكية بحماة وسار سيرة السلف الصالح ثم حنق على نائبها فى بعض الامور وسافر الى حلب مظهرا ارادة السماع على حافظها البرهان ووصفه ابن حجر فى بعض مجاميعه بقوله الشيخ الامام العالم العلامة فى الفنون قاضى الجماعة وقال انه انسان حسن امام فى علوم منها الفقه والنحو واصول الدين يستحضر علوما كأنها بين عينيه ووصفه ايضا بعلامة دهره، وخلاصة عصره،، وعين زمانه، وانسان اوانه،، جامع العلوم، وفريد كل منثور ومنظوم،، قاضى القضاة لا زالت رايات الاسلام به منصوره، واعلام الايمان به منشوره،، ووجوه الاحكام الشرعيّة بحسن نظره مجبوره،، ولد سنة ٨٠٩ وتوفى ببرصا من بلاد الروم اواخر شعبان سنة ٨٤٠ قاله السخاوى فى الضوء اللامع،

٢٤٠ ومنهم الوزير الشهير ابو عبد الله ابن الحكيم الرندى ذو الوزارتين رحل الى مصر والحجاز والشام واخذ الحديث عن جماعة وقد ترجمناه فى باب مشيخة لسان الدين عند تعرّضنا لذكر ابنه الشيخ ابى بكر ابن الحكيم، ولا باس ان نزيد هنا ما ليس هنالك فنقول ان من مشايخه برندة الشيخ الاستاذ النحوى ابا الحسن على ابن يوسف العبدوى السفاح اخذ عنه العربيّة وقرأ عليه القرآن بالروايات السبع واخذ عن الخطيب بها ابى القاسم ابن الايسر واخذ رحمه عن جملة من اعلام الاندلس واخذ فى رحلته عن الجلة الذين تضيق عن امثالهم العصور فمن شيوخه الحافظ ابو اليمن ابن عساكر لقيه بالحرم الشريف وانتفع به واكثر من الرواية عنه والشيخ ابو العزّ عبد العزيز بن عبد المنعم الحرّانى المعروف بابن هبة الله والشيخ الشرف ابو العباس احمد بن عبد الله بن عمر بن مُعْطى بن الامام الجزائرى جزائر المغرب نزيل بغداد والشيخ ابو الصفآء خليل بن ابى بكر[a] الحنبلى لقيه بالقاهرة والشيخ رضى الدين ابو بكر القسنطينى والشيخ شرف الدين الحافظ ابو محمد عبد المؤمن ابن خلف الدمياطى امام الديار المصريّة فى الحديث وحافظها ومؤرّخها والشهاب

a) S. ajoute المرادى.

ابن الخيمى قرأ عليه قصيدته البائيّة الفريدة التى اوّلها

يا مَطلبا ليس لى فى غيره أربُ   اليك آل المتقصّى وانتهى الطلبُ

وفيها البيت المشهور الذى وقع فيه النزاع

يا بارقا بأعالى الرَّقمتَيْن بدا   لقد حكيتَ ولكن فاتك الشنبُ

والشيخ جمال الدين ابو صادق محمد بن يحيى القرشى ومن تخريجه الاربعون المرويّة باسانيد المصريّه، وسمع الحلبيات من ابن العماد الحرّانى والشيخ ابى الفضل عبد الرحيم خطيب الجيزة ومولده سنة ٥٩٨ وزينب بنت الامام ابى محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادى وتكنى امّ الفضل وسمعت من ابيها ومن اشياخ ذى الوزارتين ابن الحكيم المذكور الملك الاوحد يعقوب بن الملك الناصر صلاح الدين داود بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل ابى بكر ابن ايوب والشيخ عبد الرحمن ابن سليمان بن طرخان واخوه محمد بن سليمان فى طائفة كبيرة من مشايخ مصر والشام والعراق وغيرها من البلاد يطول تعدادهم واخذ ببجاية عن خطيبها ابى عبد الله ابن رحيمة الكنانى وبتونس عن قاضيها ابى العباس ابن الغمّاز a البلنسى واخذ العربيّة عن قدوة النحاة ابى الحسين عبيد b الله بن احمد بن عبيد الله بن ابى الرّبيع القرشىّ، ومن شعر ذى الوزارتين ابن الحكيم المذكور قوله

هل الى ردّ عشيّات الوصالْ   سبب ام ذاك من ضرب المحالْ
حالة يسرى بها الوهمُ الى   انها تثبت برأً باعتلالْ
ولـيال ما تبقى بعدها   غير اشواقى الى تلك الليالْ
اذ مجال الوصل فيها مسرحى   ونعيمى آمر فيها ووالْ
ولحالات التراضى جَوْلة   مرحت بين قبول واقتبالْ
فبوادى الخيف خوفى مسعد   وباكناف منى اسنى موال
لست انسى الانس فيها ابدا   لا ولا بالعذل فى ذاك ابالْ
وغزال قد بدا لى وجهُه   فرايتُ البدر فى حالc الكمال
ما امال التيه من اعطافه   لم يكن الّا على خصل اعتدالْ
خصّ بالحسن فما انت ترى   بعدَه للناس حظّا فى الجمال

a) L. الغمار ; S. المغماز. b) G. S. عبييد. c) O. كلّ.

مَن تسلّى عن هواه فأنا   بسواه عن هواه غير سال
فلئن اتعبنى حبّى له   فلكم نلتُ به انعمَ حال
ان لآلى جيدِه من قبلى   ووشاحاه
خلّف النوم لىَ السّهدَ به   وترامى الشخصَ لا طيف الخيالْ
فنداوى بلماه ظمأى   مرجِك الصهبآء بالمآء الزّلال
او اشادات بنآء الملك   الأوحد الاسمى الهمام المتعال
مَلك ان قلتَ فيه ملكا   لم تكن الا محقّا فى المقال.
ايّد الاسلام بالعدل فما   ان ترى رسما لاصحاب الضلال
ذو اياد شملت كلّ الورى   ومعال يا لها غير معالْ
همّة هامت بأحوال التّقى   وصفات بالجلالات عوال
وقف النفس على اجهادها   بين صوم وصلاة وسؤالْ

وهى طويلة ومنها

ايّها المولى الذى نعماكمُ [a]   اعجزت عن شكرها كنه مقالْ
ها انا انشدكم مهنّيا   من بديع النظم بالسحر الحلالْ
فانا العبد الذى حبّكم   لم يزل والله فى قلبى وبالْ
اورقت روضة آمالى بكم   مذ تولّاها الرباب المتوالْ [b]

ومنها ايضا

يا امير المسلمين هذه   خدمة تنبئ عن صادق حال
هى بنت ساعة او ليلة   سهّلت بالحبّ فى ذاك الجلال
ما عليها ان أجادت مدحها   من بعيد الفهم يلغيها وقال
فهى فى تادية [c] الشكر لكم   ابدا بين احتفآء واحتفال

وكتب رحمه يخاطب اهله من مدينة تونس

حتّ حسبى بالله يا ريحَ نجدى   وتحمّلْ عظيمَ شوقى ووجدى
ما تناسيتهم وهل فى مغيبى   قد نسونى على تطاول بُعدى

a) O. نعماؤه ; S. نعماؤكم. b) S. ajoute:
وافتنيت الجاه من حرمتكم   فهى ما ان حسن من كنز مال
c) G. L. S. نادية ; O. زادية.

بى شوق اليهم لىس يعزى   لجميل ولا لسكان نجد
نسيم الصبا اذا جئت قوما   ملئت ارضهم بشيح ورند
فتلطّف   ور عليهم   وحققا لهم على فآد
قل لهم قد غدوت من وجدهم فى   حال شوق لكلّ رند وزند
وان استنسروا حديثى فانّى   باعتناء الاله بلغت قصدى
فله الحمد اذ حبانى بلطف   عنده قلّ كلّ شكر وحمد

وافتتح مخاطبته لاخيه الاكبر ابى اسحق ابراهيم بقصيدة اوّلها

ذكر اللوى شوقا الى اقماره   فقضى اسى او كاد من تذكاره
وعلا زفير حريق نار ضلوعه   فرمى على وجناته   إره
لو كنت تبصر خطّه فى خدّه   لقرأت سرّ الوجد من أسطاره
يا عاذليه اقصروا فلشدّ[a] ما   افضى عتابكم الى اضراره
ان لم تعينوه على برحائه   لا تنكروا بالله خلع عذاره
ما كان اكتمه لاسرار الهوى   لو انّ جند الصبر من أنصاره
ما ذنبه والبين قطّع قلبه   اسفا واذكى النار فى اعشاره
بخل اللوى بساكنيه وطيفهم   وحديثه ونسيمه ومزاره
يا برق خذ دمعى وعرّج باللوى   فاسفحه فى باناته وعراره
واذا لقيت بها الذى باخائه   القى خطوب الدهر او بجواره
فاقر السلام عليه قدر محبّتى   فيه وترفيعى الى مقداره
والهمّ يساير اخوتى   من لم اكن لجوارهم بالكاره
ما منهم الّا اخ او   أبدا ارى دابى على كباره
فاثبت لذاك الحىّ انّ اخاهم   فى حفظ عهدهم على استبصاره

وقال رحمه فى غرض كلّفه سلطانه القول فيه

ألا واصل مواصلة العقار   ودع عنك التخلّق بالوقار
وقم واخلع عذارك فى غزال   يحقّ لمثله خلع العذار
قضيب مائس من فوق دعص[b]   تعمّم بالدجى فوق النهار

a) L. فلشد. b) O. S. غصن.

وخطّ بخدّه السفّ ولامٌ   فصار معرّفا بين الدرارى
رمانى قاسم والسين صاد   بأشفار تنوب عن الشِفار
وقد قسمت محاسن وجْنتيه   على ضدّين من ماء ونارِ
فذاك الماء من دَمْعى عليه   وتلك النار من فرط استعارى
عجبتُ له اقام بربع قلبى   على ما شبّ فيه من الأُوار
ألفت الحبّ حتى صار طبعا   فما أحتاج فيه الى ادّكار
فما لى عن مذاهبه ذهابٌ   وهذا فيه أشعارى شعارى

وقال العلامة ابن رشيد فى ملأ العيبة لما قدمنا المدينة سنة ٦٨٤ كان معى رفيقى الوزير ابو عبد الله ابن ابى القاسم بن الحكيم وكان أرْمدَ فلما دخلنا ذا الحُلَيفة او نحوها نزلنا عن الأكوار، وقوى الشوق لقرب المزار، فنزل وبادر الى المشى على قدمَيْه احتسابا لتلك الآثار، واعظاما لمن حلّ تلك الديار، فاحسّ بالشفاء فانشد لنفسه فى وصف الحال قوله

ولما رأينا من ربوع حبيبنا   بيثرب أعلاما اثرنَ لنا الحبّا
وبالترب منها اذ كحلنا جفوننا   شفينا فلا بأسا نخاف ولا كربا
وحين تبدّى للعيون جمالُها   ومن بعدها عنّا اديلت لنا قربا
نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة   لمن حلّ فيها ان نلمّ به ركبا
نسحّ سجال الدمع فى عرصاته   ونلثم من حبّ لواطئه التربا
وإنّ بقاءى دونه لخسارة   ولو انّ كفّى تملأ الشرق والغربا
فيا عجبا ممّن يحبّ بزعمه   يقيم مع الدعوى ويستعمل الكتبا
وزلات مثلى لا تعدّدَ كثرة   وبَعدى عن المختار اعظمها ذنبا

انتهى، وخطّ الوزير الحكيم فى غاية الحسن وقد رأيته مرارا وملكت بعض كتبه ونثره رحمه اعلى من شعره كما نبّه عليه لسان الدين ابن الخطيب فى الاحاطة، ومن نثره فى رسالة طويلة كتبها عن سلطانه ما صورته وقد تقرّر عند الخاصّ والعامّ من اهل الاسلام، واشتهر فى آفاق الاقطار اشتهار الصباح فى سواد الظلام،، أنّا لم نزلْ نبذل جهدنا فى ان تكون كلمة الله العُليا، ونسمح فى ذلك بالنفوس والاموال رجاء ثواب الله لا لعرض الدنيا،، وانا ما قصّرنا عن الاستنفار والاستنصار، ولا اقصرنا عن الاعتقاد بكلّ من املنا معاملته من الاستظهار، ولا اكتفينا بمطولات الرسائل وبنات

الارسال حتى اقتحمنا بنفسنا لجج البحار،، فسمحنا بالطارف من اموالنا والتلاد، واعطينا رجآء نصرة الاسلام موفورَ الاموال والبلاد، واشترينا بما انعم الله به علينا ما فرض الله على كافة اهل الاسلام من الجهاد،، فلم يكن بين تلبية المدعو وزهده، ولا بين قبوله وردّه،، الّا كما يحسو الطاير مآء الثماد، ويابى الله ان يكل نصرة الاسلام بهذه الجزيرة الى سواه، ولا يجعل فيها سببا الّا لمن اخلص لوجهه الكريم علانيته ونجواه،، ولما اسلم الاسلام بهذه الجزيرة الغربيّة الى مناويه، وبقى المسلمون يتوقعون حادثا ساءت ظنونهم لمباديه،، القينا الى الثقة بالله يد الاستسلام، وشمّرنا عن ساعد الجدّ فى جهاد عبدة الاصنام، واخذنا بمقتضى قوله تعَ وَأَنْفِقُوا فِى سَبِيلِ ٱللّٰهِ[a] اخذ الاعتزام،، فأمّدنا الله فى ذلك بتوالى البشآئر، ونصرنا بالطاف اغنى فيها خلوص الضمآئر عن قَود العساكر،، ونفلنا على ايدى قوادنا ورجالنا من السبايا والغنآئم ما غدا ذكره فى الآفاق كالمثل الساير، وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللّٰهِ لَا تُحْصُوهَا[b] وكيف يحصيها المحصى ويحصرها الحاصر،، وحين ابدت لنا العناية الربّانيّة وجوه الفتح سافرة المحيّا، وانتشقنا نسآئم النصر الممنوح عَبَقة الريّا،، استخرنا الله تعَ فى الغزو بنفسنا ونعم المستخار، وكتبنا بما قد علمتم الى ما قرب من اعمالنا بالحضّ على الجهاد والاستنفار،، وحين وافى من خفّ للجهاد من الاجناد والمطوعين، وغدوا بحكم رغبتهم فى الثواب على طاعة الله مجتمعين،، خرجنا بهم ونصرُ الله اهدى دليل وعناية الله بهذه الفئة المفردة من المسلمين تقضى بتقريب البعيد من آمالنا وتكثير القليل، ونحن نسأل الله تعَ أن يحملنا على جادة الرضى والقبول، وأن يرشدنا الى طريق يفضى الى بلوغ الأُمنية والمأمول،، وهذه رسالة طويلة سُقنا بعضها كالعنوان لسايرها، ونال ابن الحكيم رحَه من الرئاسة والتحكم فى الدولة ما صار كالمثل الساير، وخدمته العلمآء الاكابر الأخآئر،، كابن خميس وغيره، وافاض عليهم سجال خيره،، ثم ردّت الايام منه ما وهبت، وانقضت ايامه كأن لم تكن وذهبتْ،، وقتل يوم خلع سلطانه ومثّل به سنة ٧٠٨ رحَه وانتهب من امواله وكتبه وتحفه ما لا يعلم قدره الا الله تعَ اثابه الله تعَ بهذه الشهادة بجاه نبيّنا محمد صلعم وشرف وكرّم، ومجّد وعظم،،

ومن المرتحلين من الاندلس الى المشرق الحافظ نجيب الدين ابو محمد عبد

a) Voyez Sour. 2, vs. 191. *b*) Voyez Sour. 14, vs. 37.

٣٤١ العزيز بن الامير القايد ابى على الحسن بن عبد العزيز بن هلال اللخمى الاندلسى ولد سنة ٥٧٧ تقريبا ورحل فسمع بمكة من زاهر بن رستم وببغداد من ابى احمد بن سكينة وابن طبرزد وطائفة وبواسط من ابى الفتح بن المندائى وباصبهان من عين الشمس الثقفيّة وجماعة وبخراسان من المؤيّد الطوسى وابى روح واصحاب الفراوى وهذه الطبقة وخطّه مليح مغربىّ فى غاية الدقّة وكان كثير الاسفار ديّنا متصوّفا كبير القدر، قال الضياء فى حقّه رفيقنا وصديقنا توفى بالبصرة عاشر رمضان سنة ٦١٧ ودفن الى جانب قبر سهْل التسترى رضه وما رأينا من اهل الغرب مثله، وقال ابن نقطة كان ثقة فاضلا صاحب حديث وسُنّة كريم الاخلاق، وقال مفضل القرشى كان كثير المروّة غزير الانسانيّة، وقال ابن الحاجب كان كيّس الاخلاق محبوب الصورة ليّن الكلام كريم النفس حلو الشمائل محسنا الى اهل العلم بماله وجاهه وقيل انه اوصى بكتبه للشرف المرسى رحمه،

٣٤٢ ومنهم محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد ابو بكر بن العربى الاشبيلى حفيد القاضى الحافظ الكبير ابى بكر ابن العربى قرأ لنافع على قاسم بن محمد الزقاق صاحب شُرَيح وحجّ فسمع من السلفى وغيره ثم رحل بعد نيف وعشرين سنة الى الشام والعراق واخذ عن عبد الوهاب بن سكينة وطبقته ورجع فاخذوا عنه بقرطبة واشبيليّة ثم سافر سنة ٦١٣ وتصوّف وتعبّد وتوفى بالاسكندرية سنة ٦١٧ قاله الذهبى فى تاريخه الكبير،

٣٤٣ ومن المرتحلين من الاندلس يحيى بن عبد العزيز المعروف بابن الجزار ابو زكريا القرطبى سمع من العُتبى وعبد الله بن خالد ونظرآئهما من رجال الاندلس ورحل فسمع بمصر من المزنى والربيع بن سليمان المؤذن ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ويونس بن عبد الاعلى ومحمد بن عبد الله بن ميمون وعبد الغنى بن ابى عقيل وغيرهم وسمع بمكة من علىّ بن عبد العزيز وكانت رحلته ورحلة سعيد بن عثمان الاعنافى وسعيد بن حميد وابن ابى تمام واحدة وسمع الناس من يحيى المذكور مختصر المزنى ورسالة الشافعى وغير ذلك من علم محمد بن عبد الله بن عبد الحكم وكان يميل فى فقهه الى مذهب الشافعى وكان مشاورا مع عبيد الله ابن يحيى وأضرابه وحدّث عنه من اهل الاندلس محمد بن قاسم وابن بشر وابن عبادة وغير واحد ولم يسمع منه ابنه محمد لصغره وتوفى سنة ٢٩٥ رحمه،

١٤٤ ومنهم الشيخ الامام العامل العالم الكامل الزاهد الورع العلامة جمال الدين ابو بكر محمد بن احمد بن محمد بن عبد الله البكرى الشريشى المالكى كان من اكابر الصالحين المتورّعين ومولده سنة ٦٠١ بشريش وتوفي برباط الملك الناصر بسفح قاسيون سنة ٦٨٥ فى ٢٤ رجب ودفن قبالة الرباط وله المصنفات المفيدة تولى مشيخة الصخرة بحرم القدس الشريف وقدم دمشق وتولى مشيخة الرباط الناصرى فلما توفى قاضى القضاة جمال الدين المالكى ولّوه مشيخة المالكيّة بدمشق وعرضوا عليه القضآء فلم يقبل وبقى فى المشيخة الى ان توفى رحمه ونفعنا به وبامثاله امين٬

١٤٥ ومن الراحلين من الاندلس الفقيه الصالح ابو بكر ابن محمد بن على بن ياسر الجيانى المحدّث الشهير ذكره ابن السمعانى وغيره سافر الكثير وورد العراق وطاف فى بلاد خراسان وسكن بلخ واكثر من الحديث وحصّل الاصول ونسخ بخطّه ما لا يدخل تحت حصر٬ قال ابن السمعانى وله انس ومعرفة بالحديث لقيته بسمرقند وكان قدمها سنة ٥٤٩ مع جماعة من اهل الحجاز لدَين له عليهم وسمعتُ منه جزأ اخرجه من حديث يزيد بن هارون مماه وقع له عاليا وجزأ صغيرا من حديث ابى بكر ابن ابى الدنيا واحاديث ابى بكر الشافعى فى ١١ جزأ المعروف بالغيلانيات بروايته عن ابن الحصين عن ابن غيلان عنه وكان مولده بجيّان سنة ٤٩٣ ولم اسمع منه شيـًا ثم قدم علينا بخارى فى اوآئل سنة ٥١ وسمعت من لفظه جميع كتاب الزهد لهناد بن السرى الكوفى بروايته عن ابى القاسم سهل بن ابرٰهيم المسجدى عن الحاكم ابى عبد الرحمن محمد بن احمد الشاذياخىّ عن الحاكم ابى الفضل محمد بن الحسَيْن الحدّادى عن حباد بن احمد السُّلَمى عن مصنّفه واخبرنا الجيّانى بسمرقند اخبرنا ابو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الكاتب ببغداد اخبرنا ابو طالب محمد بن محمد بن ابرٰهيم بن غيلان البزار اخبرنا ابو بكر محمد بن عبد الله الشافعى اخبرنا محمد بن مَسْلمة اخبرنا يزيد بن هارون اخبرنا حماد بن سَلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن ابى ليلى عن صُهَيب عن النبى صلّعم قال اذا دخل اهلُ الجنّة الجنةَ واهل النار النارَ ناداهم منادٍ يا اهل الجنة انّ لكم عند الله موعدًا لم تروه قالوا وما هو الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويُدخلنا الجنة ويُنجنا من

a) S. بما.

النار قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم شيـًا احبّ اليهم من النظر اليه ثم تلا هذه الآية لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ٱلْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ a ، وقال ابن السمعانى ايضا واخبرنا الجيّانى المذكور بسمرقند اخبرنا هبة الله بن محمد بن عبد الواحد ببغداد اخبرنا ابو طالب ابن غيلان اخبرنا ابو بكر الشافعىّ اخبرنا ابو بكر عبد الله ابن محمد بن ابى الدنيا القرشىّ اخبرنا محمدُ بن حسّان اخبرنا مبارك بن سعيد قال اردت سفرا فقال لى الاعمش سل ربّك أن يرزقك صحابة صالحين فانّ مجاهدا حدّثنى قال خرجت من واسط فسألت ربّى ان يرزقنى صحابة ولم اشترط فى دعآئى فاستويت انا وهم فى السفينة فاذا هم صحاب طنابير ، وقال ابن السمعانىّ ايضا اخبرنا ابو بكر الجيّانى المغربى بسمرقند سمعت الامام ابا طالب ابرٰهيم بن هبة الله ببلخ يقول قرأت على ابى يعلى محمد بن احمد العَبْدى b بالبصرة قال قرأت على شيخنا ابى الحسين ابن يحيى فى كتاب العين باسناده الى الخليل بن احمد انه انشد قول الشاعر

إنّ فى بيتنا ثلاث حبالَى فوددنا انْ قد وضعن جميعا
زوجتى ثم هِرّتى ثم شاتى فاذا ما وضعن كنّ ربيعا
زوجتى للخبيص والهرّ للفا رِ وشاتى اذا c اشتهينا d مجيعا

قال ابو يعلى قال شيخنا ابن يحيى وذكر عن الخليل بن احمد فى العين أنّ المجيع اكل التمر باللبن انتهى ،

---

٢٣٦ ومنهم ابو الخطاب العلاء بن عبد الوهاب بن احمد بن عبد الرحمن بن سعيد ابن حزم الاندلسى المرىّ ، ذكره الحُمَيْدى فى تاريخه واثنى عليه وقال كان من اهل العلم والادب والذكآء والهمّة العالية * فى طلب العلم e كتب بالاندلس فاكثر ورحل الى المشرق فاحتفل فى العلم f والرواية والجمع وذكره الحافظ الخطيب ابو بكر * احمد بن على g بن ثابت البغدادى وقال هو من بيت جلالة وعلم ورئاسة واخرج عنه فى غير موضع من مصنفاته وقدم بغداد ودمشق وحدّث فيهما ثم عاد الى المغرب فتوفى ببلده المرية * سنة ٤٥٤ h وحدّث عن ابى القاسم ابرٰهيم بن محمد

---

a) Voyez Sour. 10, vs. 27. b) L. العيدى. c) Lisez إن. d) L. O. S. اشتهين. e) J'ai ajouté ces mots d'après le man. d'al-Homaidī (man. d'Oxford). f) Al-Homaidī: الجمع. g) Ces mots manquent dans les man. d'al-Makkarī. h) Al-Homaidī: بعد الخمسين واربعمائة.

ابن زكريّا الزهرى ويعرف بابن الاقْليلى الاندلسى النحوىّ وغيره وكان صدوقا ثقة رحه،

٣٤٧ ومنهم ابو زكرياء يحيى بن قاسم بن هلال القرطبى الفقيه المالكى احد الائمّة الزهاد كان يصوم حتى يخضر a توفى سنة ٢٧٢ وقيل سنة ٢٧٨ ورحل الى المشرق وسمع من عبد الله بن نافع صاحبْ مالك بن انس ومن سحنون بن سعيد وغيرهما وكان فاضلا فقيها عابدا عالما بالمسائل وروى عنه احمد بن خالد وكان يفضله ويصفه بالفضل والعلم وهو صاحب الشجرة، قال عبّاس بن اصبغ كانت فى داره شجرة تسجد لسجوده اذا سجد قاله ابن الفرضى رحه ورضه ونفعنا *

٣٤٨ ومنهم ابو بكر يحيى بن مجاهد بن عوانة الفزارى الالبيرى الزاهد سكن قرطبة، قال ابن الفرضى كان منقطع القرين فى العبادة بعيد الاسم فى الزهد حجّ وعنى بعلم القرآن والقرآآت والتفسير وسمع بمصر من الاسيوطىّ وابن الورد وابن شعبان وغيرهم وكان له حظ من الفقه والرواية الّا انّ العبادة غلبت عليه وكان العمل املك به ولا اعلمه حدّث توفى رحه سنة ٣٦٦ b ودفن فى مقبرة الربض وصلّى عليه القاضى محمد بن اسحق بن السليم ثم صلّى عليه حيان مرّة ثانية رحه وافاض علينا من أنوار عنايته امين،

٣٤٩ ومنهم ابو بكر محمد بن احمد بن ابرهيم الصدفى الاشبيلى الاديب البارع له نظم حسَن وموشحات رايقة قرأ على الاستاذ الشلوبين وغيره ومدح الملوك ورحل من الاندلس فقدم ديار مصر ومدح بها بعض مَن كان يُوصَف بالكرم فوصله بنزر يسير فكرّ راجعا الى المغرب فتوفى ببَرْقة رحه وكان من النجبآء فى النحو وغيره، ومن نظمه من قصيدة

مـا بى موارد أمسِ بـل مصادره ... اللحظ اوّله واللحد آخرهُ

ارسلتُ طرفىَ مرتادا فطلّ دمى ... روض من الحسن مطلول ازاهره

رعيتُ فى خِصْبه لحظى فأعقبنى ... جدبا بجسمىَ ما يرويه هامره

وبى وان لم اكن بالذكر اشهره ... فالوصف فيه لفقد المثل شاهرهُ

وهى طويلة واثنى عليه اثير الدين ابو حيّان واورد جملة من محاسن كلامه وبدآئع نظامه رحم الله الجميع،

a) Les man. portent يخضر. b) S. ٣٦٠.

٢٥٠ ومنهم ابو يحيى زكرياء بن خطاب الكلبى التطيلى رحل سنة ٢٩٣ فسمع بمكة كتابَ النسَب للزبير بن بكار من الجرجانى الذى حدّث به عن على بن عبد العزيز ابن الجُمَحى عن الزبير وروى موطأ مالك بن انس رواية ابى مُصْعَب احمد بن عبد الملك الزهرى عن ابرٰهيم بن سعيد الحَذّآء وسمع بها من ابرٰهيم بن عيسى الشيبانى والقزاز فى آخرين وقدم الاندلس فكان الناس يرحلون اليه الى تُطيلة للسماع منه واستقدمه المستنصر الحكم وهو ولى عهد فسمع منه اكثر مروياته وسمع منه جماعة من اهل قرطبة وكان ثقة مأمونا ولى قضآء بلدة تطيلة احدى مدآئن الاندلس بعد عمر بن يوسف بن الامام،

٢٥١ ومنهم سعد الخير بن محمد بن سعد ابو الحسن الانصارى البلنسى المحدّث رحل الى ان دخل الصين ولذا كان يُكتَب البَلنسى الصينى وركب البحار وقاسَى المشاقّ وتفقّه ببغداد على ابى حامد الغزالى وسمع بها ابا عبد الله النعالى وطرادا وغيرهما وباصبهان ابا سعد المطرز وسكنها وتزوّج بهـا ووُلدت له فاطمة بها ثم سكن بغداد وروى عنه ابن عساكر وابن السمعانى وابو موسى المدينى وابو اليمن الكندى وابو الفرج ابن الجوزى وابنته فاطمة بنت سعد الخير فى آخرين وتأدّب على ابى زكريّآء التبريزى وتوفى فى المحرّم سنة ٥٤١ رحمه ببغداد وصلّى عليه الغزنوى والشيخ الواعظ بجامع القصر وكان وصيّه وحضر جنازته قاضى القضاة الزينبى والاعيان ودفن الى جانب عبد الله بن الامام احمد بن حَنْبل رضهم اجمعين بوصيّة منه،

٢٥٢ ومنهم ابو عثمان سعيد بن نصر بن عمر بن خلفون الاستجى سمع بقرطبة من قاسم ابن اصبغ وابن ابى دليم وغيرهما ورحل فسمع بمكة من ابن الاعرابى وببغداد من ابى على الصفار وجماعة وبها مات،

٢٥٣ ومنهم ابو عثمان سعيد الاعناقى ويقال العناقى القرطبىّ كان ورعا زاهدا عالما بالحديث بصيرا بعلله سمع من محمد بن وضاح وصاحبه ومن يحيى بن ابراهيم بن مزين ومحمد بن عبد السلام الخشنى وغيرهم ورحل فلقى جماعة من اصحاب الحديث منهم نصر بن مرزوق كتب عنه مسند اسد بن موسى وغير ذلك من كتبه ويونس بن عبد الاعلى ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم والحارث بن مسكين فى آخرين حدّث عنه احمد بن خالد وابن ايمن ومحمد بن قاسم وابن ابى زيد

فى عدد كثير ومولده سنة ٣٣٣ وتوفى سنة ٤٠٣ بصفر والأَعْناقى نسبة الى موضع يقال له اعناق وعناق،

٢٥٤ ومنهم ابو المطرف عبد الرحمن بن خلف التجيبى الاقليشى روى عن ابى عثمان سعيد بن سالم المَجْريطىّ وابى ميمونة دراس بن اسمعيل فقيه فاس ورحل حاجا سنة ٣٤٩ فسمع بمكة من ابى بكر الآجُرّىّ وابى حفص الجُمَحى وبمصر من ابى اسحق ابن شعبان وروى عنه كتاب الزاهى جمعه وقد قرئ عليه وحمل عنه ومولده سنة ٣٠٣ رحمه،

٢٥٥ ومنهم ابو الاصبغ عبد العزيز بن على المعروف بابن الطّحّان الاشبيلى المقرئ وُلد باشبيلية سنة ٤٩٨ ورحل فدخل مصر والشام وحلب وتوفى بحلب بعد سنة ٥٥٩ وله كتابُ نظام الادآء فى الوقف والابتدا، ومقدِمة فى مخارج الحروف ومقدّمة فى اصول القرآآت وكتاب الدعآء وكان من القُرّآء المجوّدين الموصوفين بالاتقان ومعرفة وجوه القرآآت وسمع الحديث على شُريح بن محمد بن احمد بن شريح الرُّعينى خطيب اشبيلية وابى بكر يحيى بن سعادة القرطبى وله شعر حسن منه قوله

دَعِ الدنيا لعاشقها   سيُصْبِح من رشآئقها
وعاد النفس مُصطبرا   ونَكِّبْ عن خلآئقها
هلاكُ المرء أن يضحى   مُجِدًّا فى علآئقها
وذو التقوى يذلّلها   فيسلم من بوآئقها

واخذ القرآآت ببلده عن ابى العبّاس ابن عيشون وشريح بن محمد وروى عنهما وعن ابى عبد الله بن عبد الرزّاق الكلبى وروى مصنّف النسآئى عن ابى مروان ابن مسرّة وتصدّى للاقرآء ثم انتقل الى فاس وحجّ ودخل العراق وقرأ بواسط القرآآت واقرأها ايضا ودخل الشام واشتهر ذكره، وجلّ قدره،، وروى عنه ابو محمد عبد الحقّ الاشبيلى الحافظ وعلى بن يونس، قال بعضهم سمعت غير واحد يقول ليس بالغرب اعلم بالقرآآت من ابن الطّحّان قرأ عليه الاثير ابو الحسن محمد بن ابى العُلى وابو طالب ابن عبد السميع وغيرهما رحم الله الجميع،

٢٥٦ ومنهم ابو الاصبغ عبد العزيز بن خلف المعافرى قدم مصر سنة ٥٠٢ وولد سنة ٤٤٨ وحدّث بالموطّأ عن سليمان بن ابى القاسم اخبرنا ابو عمر بن عبد البرّ اخبرنا سعيد

ابن نصر عن قاسم بن اصبغ عن محمد بن وضاح عن يحيى بن يحيى عن مالك ابن انس امام دار الهجرة رضه٬

٢٥٧ ومنهم ابو محمد عبد العزيز بن عبد الله بن ثعلبة السعدى الشاطبى قدم مصر ودمشق طالبَ علمٍ وسمع ابا الحسن بن ابى الحديد وابا منصور العُكْبَرى وغيرهما وصنّف غريب الحديث لابى عبيد القاسم بن سلام على حروف المعاجم وسمعه عليه ابو محمد الأكْفانىّ وتوفى بارض حوران من اعمال دمشق فى رمضان سنة ٤٦٥ رحمه ورضه٬

٢٥٨ ومنهم الحكيم الطبيب ابو الفضل محمد عبد المنعم الغسانى الجِلْيانى وهو عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن احمد [a] بن خضر بن مالك بن حسّان ولد بقرية جليانة من اعمال غرناطة سابع المحرّم سنة ٥٣١ وقدم الى القاهرة وسار الى دمشق فسكنها مُدّة ثم سافر الى بغداد فدخلها سنة ٦٠١ ونزل بالمدرسة النظامية وكتب الناس عنه كثيرا من نظمه وكان اديبا فاضلا له شعر مليح المعانى اكثرهُ فى الحكم والالاهيّات وآداب النفوس والرياضات وكان طبيبا حاذقا وله رياضات ومعرفة بعلم الباطن وله كلام مليح على طريق القوم وكان مليح السمت حسَن الاخلاق لطيفا حاضر الجواب ومات بدمشق سنة ٦٠٢ وكان يقال له حكيم الزمان واراد القاضى الفاضل أن يغضّ منه فقال له بحضرة السلطان صلاح الدين يوسف بن ايّوب كم بين جليانة وغرناطة فقال مثل ما بين بَيْسان وبيت المقدس٬ ومن شعره قوله

خبرتُ بنى عَصْرى على البسط والقبض   وكاشفتهم كشف الطبائع بالنبض
فانتج لى فيهم قياسى تخلّيا   عن الكلّ اذ هم آفة الوقت والعَرض
الازم كسْر البيت خلوا وان يكن   خروج ففردا مُلصق الطرف بالارض
ارى الشخص من بعد فاغضى تغافلا   كمشدوه بال فى مهمّته يمضى
ويحسبنى فى غفلة وفراستى   على الغور من لَمْحى بما قد نوى تقضى
اجانبهم سلمًا ليسلم جانبى   وليس لحقْد فى النفوس ولا بغض
تخلّيت عن قومى ولو كان ممكنى   تخلّيت عن بعضى ليسلم لى بعضى

وقال

قالوا نراك عن الاكابر تعرض   وسواك زوّار لهم متعرّض

a) S. محمد.

قلت الزيارة للزمان اضاعة ... واذا مضى زمن فما يتعوّض
ان كان لى يوما اليهم حاجة ... فبقدر ما ضمن القضآء نُقيّض

وقال

حلولْ مغازك قبل ان يتحوّلا ... فالحال آخرها كحالك اوّلا
ان المنى من المنيّة لفظة ... لتدلّ فى اصل البناء على البلا

وسمّاه بعضهم عبد المنعم، وذكره العماد فى الخريدة وقال هو صاحبُ البديع البعيد والتوشيح والترشيح والترصيع والتصريع .والتجنيس والتطبيق، والتوفيق والتلفيق،، والتقريب والتقرير والتعريف والتعريب وهو مقيم بدمشق وقد اتى العسكر المنصور الناصرى سنة ٥٨٩ بظاهر ثغر عكّا وكتب الى السلطان صلاح الدين وقد جرح فرسه

ايا ملكا اثنى العداةَ حسامُهُ ... ومنتجعا اقنى العفاةَ ابتسامه
لقاؤك يوما فى الزمان سعادة ... فكيف بثاوٍ فى حماك حمامُهُ
وعبدُك شاكٍ دينه وهو شاكر ... نداك الذى يغنى الغُمومَ غَمامُه
ولى فرس اصماه سهم فردّه ... اثافىَّ ربع بالثلاث قيامُه
تعمر فيه بالجراحة ساجُه ... وعُطّل منه سَرْجُه ولجامُه
اتينا لما عوّدتنا من مكارم ... يلوذ بها الراجى فيشفى غرامُه
فرحماك غوث لا يغيب a نصيره ... ونعماك غيث لا يغبّ اسجامُه

وله رحمه الله غير هذا وترجمته واسعة،

٢٥٩ ومنهم الاستاذ ابو القاسم عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد القدوس القرطبى مؤلف المفتاح فى القرآآت ومقرئ اهل قرطبة رحل وقرأ القرآآت على ابى على الاهوازى وبحرّان على ابى القاسم الزّيدى وبمصر على ابى العبّاس ابن نفيس وبمكّة على ابى العبّاس الكازرينى وسمع بدمشق من ابى الحسن ابن السمسار وكان عجبا فى تحرير القرآآت ومعرفة فنونها وكانت الرحلة اليه فى وقته ولد سنة ٤٠٣ ومات فى ذى القعدة سنة ٤٦١ قرأ عليه ابو القاسم خلف بن النحاس وجماعة رحمه،

٢٦٠ ومنهم عبيد الله وقيل عبد الله بغير تصغير ابن المظفر بن عبد الله بن محمد ابو الحكم الباهلى الاندلسى وُلد بالمرية سنة ٤٨٩ وحجّ سنة ٥١٦ وحجّ ايضا سنة ٥١٨ ودخل دمشق وقرأ بصعيد مصر وبالاسكندرية ثم مضى الى العراق واقام ببغداد يعلّم

a) G. O. S. يغيث.

الصبيان وخدم السلطان مَحْمود بن ملك شاه سنة ٥١٢ وانشا له فى معسكره مارستانا يُنقَل على ٤٠ جملا وكان طبيبَه ثم عاد الى دمشق ومات بها سنة ٥٤٩ ودُفن بباب الفراديس وكان ذا معرفة بالادب والطبّ والهندسة وله ديوان شعر سمّاه نهج الوضاعة لاولى a الخلاعة ذكر فيه جملة شعرآء كانوا بمدينة دمشق كطالب الصّورى ونصر الهيتى وغيرهما كعرقلة وفيه نزهات ادبيّة ومفاكهات غريبة ممزوج جدُّها بسخفها وهزلها بظرفها ورثى فيه انواعا من الدوابّ وانواعا من الاثاث وخلقا من المغَنّين والاطراف وشرح هذا الديوان ابنه الحكيم الفاضل ابو المجد محمد بن ابى الحكم الملقّب بافضل الدولة وكان كثير الهزل والمداعبة دائم اللهو والمطايبة وكان اذا اتاه الغلام وما به شىء فيجسّ نبضَه ثم يقول له تصلح لك الهريسة وكان اعور فقال فيه عرقلة

لـنـا طبيـب شـاعـر اعـور   اراحنا من طبّه اللهُ
ما عاد فى صبحة يوم فتى   الا وفى باقيه رثـاه

وله ايضا يرثيه

يا عينُ سَحّى بدمع ساكب ودم   على الحكيم الذى يكنى ابا الحكمِ
قـد كان لا رحـم الرحمن شيبته   ولا سـقـى قـبـرَه من صـيّـب الدّيَمِ
شيخا b يرى الصلوات الخمس نافلة   ويستـحـلُّ دم الحَجّـاج فـى الحرَمِ

ومن كنايات c ابى الحكم المستحسنة قوله

الم ترنى اكابد فيك وجدى   واحمل منك ما لا يستطاعُ
اذا ما أنجم الجوّ استقلّت   ومـال الدّلـو وارتفع الـذراعُ

ومن شعره قوله

محاسن العالم قد جمعت   فـى حسْنه المستكمل البـارعِ
ولـيـس لـلـه e بمستنكـر   ان يجمع العالم فـى الجامعِ ،

٣٦١ ومنهم ابو الربيع سليمان بن ابراهيم بن صافى d الغرناطى القيسانى وقيسانة من عمل غرناطة الفقيه المالكى وُلد سنة ٥٦٤ وقدِم الى القاهرة وناب فى الحسبة وله شعر حسن توفى بالقاهرة سنة ٦٣٤ e رحمه ،

٣٦٢ ومنهم طالوت بن عبد الجبار المعافرى الاندلسى دخل مصر وحجّ ولقى امامنا مالك ابن انس رضه وعاد الى قرطبة وكان ممن خرج على الحكم بن هشام بن عبد الرحمن من اهل ربض شقندة يريد خلعه واقامة اخيه المنذر وزحفوا الى قَصْره بقرطبة

a) L. لاهل.   b) Lisez شيخ.   c) O. sur la marge: لعلّه خطى على الله.   d) Lisez الصافى.
e) S. ٦٢٤.

فحاربهم وقتلهم وفرّ من بقى منهم فاستتر الفقيه طالوت عاما عند يهودىّ ثم ترامى على صديقه ابى البسّام الكاتب ليأخذ له امانا من الحكم فوشى به الى الحكم واحضره اليه فعنّفه ووبّخه فقال له كيف يحلّ لى ان اخرج اليك وقد سمعت مالك ابن انس يقول سلطانٌ جائر مُدّةً خيرٌ من فتنةِ ساعة فقال آلله لقد سمعت هذا من مالك فقال طالوت اللهمّ انى قد سمعته فقال انصرفْ الى منزلك وانت آمن ثم سأله اين استتر فقال عند يهودى مدّة عام ثم انى قصدت هذا الوزير فغدر بى فغضب الحكم على ابى البسّام وعزله عن وزارته وكتب عهدا أن لا يخدمه ابدا فرُئى ابو البسّام بعد ذلك فى فاقة وذلّ فقيل استجيبت فيه دعوة الفقيه طالوت رحمه،

٦٩٣ ومنهم ابو الحسن على بن محمد بن على بن محمد ضياء الدين ونظامه ابن خَروف الاديب القيسى القرطبى القيذافىّ الشاعر قدم الى مصر ثم سار الى حلب ومات بها مترّديا فى جُبّ حنطة سنة ٦٠٢ وقيل فى التى بعدها وقيل سنة ٦٠٥ وله شرح كتاب سيبويه وحمله الى صاحب المغرب فاعطاه الف دينار وله شرح جمل الزجاجى وكتب فى الفرآئض وردّ على ابى زيد السُّهَيْلى وغير ذلك ومدح الافضل بن السلطان صلاح الدين ومدح الظاهر بن الناصر ايضا وشعره جيّد فمنه قوله فى كاس

انا جسم للحميّا والحُمَيّا لِىَ روحُ بين اهل الطرف اغدو كلّ يوم واروحُ

وقال فى صبىّ حُبِس

أقاضى المسلمين حكمت حكما غدا وجهُ الزمان به عَبُوسا
حبستَ على الدراهم ذا جمال ولم تسجنه اذ سَلَبَ النفوسا

وقال ما اعجب النيل ما أحلى شمآئله فى ضفّتيه من الاشجار ادواحُ

وقال من جنّة الخلد فيّاض على نزع تهبّ فيه [a] هبوب الريح ارواحَ
ليست زيادته مآء كما زعموا وانّما هى ارزاق وأرباحُ

والقيذافى بقاف ثم يآء آخر الحروف بعدها ذال معجمة ثم الف وفآء وله رسالة كتب بها الى بهآء الدين ابن شدّاد بحلب يطلب منه فَرْوة

بهآء الدين والدنيا ونور المجد والحسَب
طلبتُ مخافة الانوآ ء من حسناك جلدَ ابى

a) G. O. S. فيها.

وفضلك عالم آتى　　خروف بارع الادب
حلبتُ الدهر اشطره　　وفى حلب صفا حلبى

ذو الحسب الباهر، والنسب الزاهر،، يسحب ذيول سير السَّرا، ويحبّ النجاة من اجلّ القُرّا،، ويمن على الخروف النبيه بجلد ابيه قانى الصباغ، قريب عهد بالدباغ،، ما ضلّ طالب قرظه ولا ضاع، بل ذاع ثناء صانعه وضاع،، اذا طهر اهابُه، يخافه البرد ويهابه،، اثيث خمائل الصوف، يهزأ بكلّ هوجاء عصوف،، ما فى اللّباس له ضريب، اذا نزل الجليد والضريب،، ولا فى الثياب له نظير، اذا عرى من ورقه الغصن النضير،، والمولى يبعثه فرجى النوع، ارجى الضوع،، يكون تارة لِحافا وتارة بردا،، وهو فى الحالين يحيى حرا ويميت بردا،، لا كطيلسان ابن حرب، ولا كجلد عمرو الممزق بالضرب،، ان عزاه السواد الى حام فحام، او نماه البياض الى سام فسام،، كانه من جلد جمل الحرباء الذى يرعى القمر والنجم، لا من جلد السخلة الجرباء التى ترعى الشجر والنجم،، لا زال مُهْديه سعيدا، ينجز للاخيار وعدا وللاشرار وعيدا،، بالمنة والطول، والقوّة والحول،،

٣٦٤ ومنهم مالك بن مالك من اهل جيّان رحل حاجا فأدّى الفريضة وسكن حلب ولقى عبد الكريم بن عمران وانشد له قوله

يا ربّ خذ بيدى مما دُفعت ^a^ له　　فلستُ منه على ورد ولا صدَرِ
الامر ما انت رائيه وقد　　وقد عتبتُ ولا عتب على القدَرِ
من يكشف السّوء الّا اذ بارئُنا　　ومن يزيل ^b^ بصفو حالة الكدَرِ،

٣٦٥ ومنهم ابو على ابن خميس وهو منصور بن خميس بن محمد بن ابراهيم اللخمى من اهل المرية سمع من ابى عبد الله البُونى وابن صالح واخذ عنهما القرآت وروى ايضا عن الحافظ القاضى ابى بكر ابن العربى وابوى القاسم ابن رَضِى وابن وَرْد وابى محمد الرشاطى وابى الحجاج القضاعى وابى محمد عبد الحق بن عطية وابى ^c^ عمرو الخضر بن عبد الرحمن وابى القاسم عبد الرحمن بن محمد الخزرجى وغيرهم ورحل حاجا فنزل الاسكندريّة وسمع منه ابو عبد الله ابن عطيّة الدانى سنة ٥٩٩ وحدّث عنه بالاجازة ابو العبّاس العزفى وغيره،

a) O. رفعت. b) O. يذيل. c) S. ابن.

٣٦٦ ومنهم منصور بن لب a بن عيسى الانصارى من اهل المرية يكنى ابا على اخذ القرآآت ببلده عن ابن خميس المذكور قبله ورحل بعده فنزل الاسكندريّة واجازه ابو الطاهر السلفى فى صغره وقد اخذ عنه فيما ذكر بعضهم ومولده سنة ٥٧١ رحمه،

٣٦٧ ومنهم مفرج بن حماد بن الحسين بن مفرج المعافرى من اهل قرطبة وهو جدّ ابن مفرج صاحب كتاب الاحتفال فى علم الرجال صحب المذكور محمد بن وضاح فى رحلته الثانية وشاركه فى كثير من رجاله وصدر عن المشرق معه فاجتهد فى العبادة وانتبذ عن الناس ثم كرّ راجعا الى مكّة عند موت ابن وضاح فنزلها واستوطنها الى ان مات فقبره هنالك، وقال فى حقّه ابو عمر عفيف انه كان من الصّالحين رحل فحجّ وجاور بمكة نحو ٢٠ سنة الى ان مات بها رحمه،

٣٦٨ ومنهم مُحِبّ b بن حسين من اهل الثغر الشرقى كانت له رحلة حجّ فيها وسمع بالقيروان من ابى عبد الله ابن سفيان الكتاب الهادى فى القرآآت من تاليفه وكان رجلا صالحا حدّث عنه ابو عبد الله محمد بن عبد الملك التجيبى من شيوخ ابى مروان ابن الصَّيْقل،

٣٦٩ ومنهم مساعد بن احمد بن مساعد الاصبحى من اهل اوريولة يكنى ابا عبد الرحمن ويعرف بابن زعوفة روى عن ابن ابى تليد وابن جَحْدَر والحافظين ابى على الصدفى وابى بكر ابن العربى وكتب اليه ابو بكر ابن غالب بن عطيّة ورحل حاجا فى سنة ٤٩٤ فأدّى الفريضة سنة ٥ بعدها ولقى بمكة ابا عبد الله الطبرى فسمع منه صحيح مسلم مشتركا فى السماع مع ابى محمد ابن ابى جعفر الفقيه ولقى ابا محمد بن العرجآء وابا بكر ابن الوليد الطرطوشى واصحاب الامام ابى حامد الغزالى وابا عبد الله المازرى وجماعة سِوَاهم ساوى بلقآئهم مشيختَه وانصرف الى بلده فسمع منه الناس واخذوا عنه لعُلوّ روايته وكان من اهل المعرفة والصلاح والورع وممّن حدّث عنه من الجلّة ابو القاسم ابن بشكوال وابو الحجاج الثغرى الغرناطى وابو محمد عبد المنعم بن الفرس وغيرهم واغفله ابن بشكوال فلم يذكره فى الصلة مع كونه روى عنه، وقال تلميذه ابو الحجاج الثغرى الغرناطى اخبرنى ابو سليمان ابن حوط الله وغيره عنه، وقال اخبرنى الحاجّ ابو عبد الرحمن ابن مساعد رضه انه لقى بالمشرق

a) L. لبن. b) G. محمد.

امرأة تعرف بصباح عند باب الصفا وكان يقرأ عليها بعض التفاسير فجآء بيت شعر شاهد فسألت هل له صاحب فسألوا الشيخ ابا محمد ابن العرجآء فقال الشيخ لا اذكر له صاحبا فانشدت

طلعت شمس من احبّك ليلا   واستضاءت فما لها من مغيب
ان شمس النهار تغرب بالليـــل وشمس القلوب دون غروب

وُلد فى صفر سنة ٤٩٨ وتوفى باوريولة سنة ٥٤٥ قاله ابن سفيان،

٢٧٠ ومنهم ابو حبيب نصر بن القاسم، قال ابن الابّار اظنّه من اهل غرناطة له رحلة حجّ فيها وسمع من ابى طاهر السلفىّ وحدّث عنه عن ابن فتح بمسند الجوهرى انتهى،

٢٧١ ومنهم النعمان بن النعمان المعافرى من اهل ميورقة منسوب الى جَدّه رحل حاجا فأدّى الفريضة وجاور بمكّة ثم قفل الى بلده واعتزل الناس وكان يشار اليه باجابة الدعوة وتوفى سنة ٩١٩ رحمه،

٢٧٢ ومنهم نعم الخلف بن عبد الله بن ابى ثور الحضرمى من اهل طرطوشة او ناحيتها رحل الى المشرق وادّى الفريضة ولقى بمكّة ابا عبد الله الاصبهانى فسمع منه سنة ٤٢٢ حدّث عنه ابنه القاسم بن نعم الخلف بيسير،

٢٧٣ ومنهم ثابت بالنون بن المفرج بن يوسف الخثعمى اصْله من بلنسية وسكن مصر يكنى ابا الزهر، قال السلفىّ قدم مصر بعد خروجى منها وتفقه على مذهب الشافعىّ وتأدّب وقال الشعر الفائق وكتب الىّ بشىء ممّا شعره ومات فى رجب سنة ٥٤٥ بمصر،

٢٧٤ ومنهم ضمام بن عبد الله الاندلسى رحل الى المشرق ودخل بغداد وهو ممّن روى a عن عبد السلام بن مُسْلِم الاندلسىّ وممّن روى عن ضمام ابو الفرج احمد بن القاسم الخشابْ البغدادى من شيوخ الدارقُطْنى، قال ابن الابّار هكذا وقع فى نسخة عتيقة من تاليف الدارقُطنى فى الرواة عن مالك فى باب مَسْلمة منه ضمام بالضاد المعجمة وهكذا ثبت فى رواية ابى زكرياء ابن مالك بن عائذ عن الدارقُطْنى، وقال فيه غيره همّام بن عبد الله بالهآء وتشديد الميم وفى حرف الهآء اثبته ابو الوليد ابن الفرضى من تاريخه والاوّل عندى اصحّ والله اعلم انتهى،

٢٧٥ ومنهم ضرغام بن عروة بن حجاج بن ابى قريعة واسمه زيد مولى عبد الرحمن بن

a) Les man portent بيروى.

معاوية والداخل معه الى الاندلس من اهل لبْلة له رحلة الى المشرق وكان فقيها ذكره الرازى،

٤٧٦ ومنهم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن ابى عامر المعافرى من اهل قرطبة واصله من الجزيرة الخضرآء وهو والد المنصور بن ابى عامر ويكنى ابا حفص سمع الحديث وكتبه عن محمد بن عمر بن لبابة واحمد بن خالد ومحمد بن فطيس وغيرهم ورحل الى المشرق فأدّى الفريضة وكان من اهل الخير والدين والصلاح والزهد والقعود عن السلطان اثنى عليه الراوية ابو محمد الباجى وقال كان لى خير صديق انتفع به وينتفع بى واقابل معه كتبه وكتبى ومات منصرفه من حجّه ودُفن بمدينة طرابلس المغرب وقيل بموضع يقال له رَقّادة وكان رجلا عالما صالحا، وقال بعضهم انه توفى آخر خلافة عبد الرحمن الناصر،

٤٧٧ ومنهم ابو محمد عبد الله بن حمود الزبيدى الاشبيلى ابن عمّ ابى بكر محمد ابن حسن الزبيدى اللغوى كان من مشاهير اصحاب ابى على البغدادى ورحل الى المشرق فلم يعُد الى الاندلس ولازم السيرافى ببغداد الى ان توفى فلازم بعده صاحبه ابا على الفارسى ببغداد والعراق وحيث ما جال واتبعه الى فارس، وحكى ابو الفتوح الجرجانى أنّ ابا على البغدادى غلّس لصلاة الصبح فى المسجد فقام اليه ابو محمد الزبيدى من مِذْود كان لدابته خارج الدار قد بات فيه او دلج اليه ليكون اوّل وارد عليه فارتاع منه وقال ويحك مَن تكون قال انا عبد الله الاندلسى فقال له الى كم تتبعنى والله ان على وجه الارض انحى منك وكان من كبار النحاة واهل المعرفة التامّة والشعر وجمع شرحا لكتاب سيبويه وقال انه توفى ببغداد سنة ٣٧٢،

٤٧٨ ومنهم عبد الله بن رشيق القرطبى رحل من الاندلس فاوطن القيروان واختصّ بابى عمران الفاسى وتفقه به وكان اديبا شاعرا عفيفا خيرا وفى شيخه ابى عمران اكثر شعره ورحل حاجا فادّى الفريضة وتوفى فى انصرافه بمصر سنة ٤١٩ وانشد له ابن رشيق فى الانموذج قوله

خبرو اعمالك الرضى بالمقادر والقضا بينما المرء ناضر قيل قد مات وانقضى

وقوله سأقطع حبلى من حبالك جاهدا واهجرُ هجرا لا يجرّ لنا عَرضا

وقد يعرض الانسان عمّن يودّه ويلقى ببشر من يسرّ له البغضا

وقال فى الانموذج واراد الحجّ فناله ورجع فمات بمصر بعد اشتهاره فيها بالعلم والجلالة

وقد بلغ عمره نحو الاربعين سنةً رحه، وهو مخالف لما قدمناه من انه أدّى الفريضة
وقد ذكر ابن الآبار العبارتَيْن والله اعلم،

٢٧٩ ومنهم ابو بكر اليابرى ويكنى ايضا ابا محمد وهو عبد الله بن طلحة بن محمد ابن عبد الله اصله من يابرة ونزل هو اشبيليّة وروى عن ابى الوليد الباجى وعن جماعة بغرب الاندلس منهم ابو بكر ابن ايوب وابو الحزم ابن عليم وابو عبد الله ابن مزاحم والبطليوسيون وغيرهم وكان ذا معرفة بالنحو والاصول والفقه وحفظ التفسير والقيام عليه وحلّق به مدّة باشبيلية وغيرها وهو كان الغالب عليه مع القصص فيسرد منه جملا على العامّة وكان متكلّما وله ردّ على ابى محمد ابن حزم وكان احدَ الائمّة بجامع العديس ورحل الى المشرق فروى عن ابى بكر محمد بن زيدون بن على كتابه المؤلّف فى الحديث المعروف بالزيدونىّ والف كتابا فى شرح صدر رسالة ابن[a] زيدون وبيّن ما فيها من العقائد وله مجموعة فى الاصول والفقه منها كتاب سمّاه المُدْخِل الى كتاب آخر سمّاه سيف الاسلام . على مذهب مالك الامام . الّفه للامير على بن تميم بن المعزّ الصنهاجى صاحب المهديّة وذكر فى فصل الحجّ انّه رحل الى المهديّة سنة ٥١٤ واستوطن مصر مُدّة ثم رحل الى مكّة وبها توفى رحه، روى عنه ابو المظفر الشيبانى وابو محمد العثمانى وابو الحجاج ابن يوسف بن محمد القيروانى وابو عمرو عثمان بن فرج العبدوى وابو محمد ابن صدقة المنكبىّ وابو عبد الله ابن يعيش البلنسى وغيرهم وكان سماع ابى الحجاج منه موطّأ مالك سنة ٥١٩ رحم الله الجميع،

٢٨٠ ومنهم ابو محمد عبد الله بن محمد بن مرزوق اليحصبى الاندلسىّ رحل حاجا فسمع منه بالاسكندريّة ابو الطاهر السلفى كتاب طبقات الأُمم لابى القاسم صاعد بن احمد الطليطلى وحدّث به عنه عن ابن بزّال عن صاعد،

٢٨١ ومنهم ابو محمد عبد الله بن محمد الصريحى المرسى ويعرف بابن مطحنة روى عن ابى بكر ابن الفرضى النحوى وتأدّب به ورحل الى المشرق ولقى ابا محمد العثمانى وغيره وحجّ وقعد لتعليم الآداب وممّن اخذ عنه ابو عبد الله محمد بن عبد السلام وابو عبد الله الكناسى وغيرهما وانشد رحه قال انشدنى ابو محمد عبد

a) Les man. ajoutent ابى.

الله بن البيّاسى بالاسكندريّة لنفسه

يمدّ الدهر من اجَلى وعمرى ... كما انّى امدّ من المداد
لنا خطّان مختلفان جدّا ... كما اختلف الموالى والمعادى
فاكتبُ بالسواد على بياض ... ويكتب بالبياض على السواد

وهذا نظير قول الاخر

ولى خطّ وللايام خطّ ... وبينهما مخالفة المداد
فاكتبه سوادا فى بياض ... وتكتبه بياضا فى سواد

وبعضهم ينسب الابيات الثلاثة السابقة للسلفى الحافظ فالله تعـ اعلم،

٢٨٢ ومنهم ابو محمد عبد الله بن عيسى الشلبى سمع من الصدفىّ وغيره وكان من اهل الحفظ للحديث ورجاله والعلم بالاصول والفروع ومسآئل الخلاف وعلم العربيّة والهيأة مع الخير والدين والزهد وامتحن بالامرآء فى قضآء بلده بعد ان تقلده نحو ٩ اعوام لاقامته الحق واظهاره العدل حتى ادّى ذلك الى اعتقاله بقصر اشبيلية ثم سرح فرحل حاجا الى المشرق ودخل المهديّة فلقى بها المازرى واقام فى صحبته نحو ٣ سنين ثم انتقل الى مصر وحجّ سنة ٥٢٧ واقام بمكّة مجاورا وحجّ ثانية سنة ٥٢٨ ولقى بمكة ابا بكر عتيق بن عبد الرحمن الاوربولى فى هذه السنة فحمل عنه ودخل العراق وخراسان واقام بها اعواما وطار ذكره فى هذه البلاد وعظم شأنه فى العلم والدين وكان من بيت شرف وجاه فى بلده عريض مع سعة الحال والمال وتوفى بهراة سنة ٥٥١ وقيل أنّ وفاته سنة ٥٤٨، وذكره العماد فى الخريدة والسمعانى فى الذيل وانشد له

تلوّنت الايام لى بصروفها ... فكنت على لون من الصبر واحد
فان اقبلتْ ادبرتُ عنها وان نأت ... فأهْونْ بمفقود لاكرم فاقد

وولد سنة ٤٨٤ بشلب رحمه،

٢٨٣ ومنهم ابو محمد عبد الله بن موسى الازدى المرسى ويعرف بابن برطلة سمع من صهره القاضى الشهيد ابى على الصدفى ورحل حاجا سنة ٥١٠ فأدّى الفريضة وسمع من الطرطوشى والانماطى والسلفى وغيرهم وانصرف الى مرسية بلده وكان حسَن السمت خاشعا مخبتا خيرا متواضعا نبيها نزها سالم الباطن وحكى عن شيخه ابى عبد الله الرازى عن ابيه انه اخبره ان قاضى البَرلّس وكان رجلا صالحا خرج ذات ليلة الى النيل فتوضأ واسبغ وضوءه ثم قام فقرن قدمَيه وصلّى ما شآء الله ان يصلّى

فسمع قائلا يقول

لو لا اناس لهم سردٌ يصومونا   واخرون لهم وِرْد يقومونا
لزلزلت ارضكم من تحتكم سحرا   لانّكم قومُ سُوءٍ لا تبالونا

قال فتجوّزت فى صلاتى وادرْت طرفى فما رأيت شخصًا ولا سمعت حِسًّا فعلمت ان ذلك زاجر من الله تعٰ وقال ابن بَرْطلة رحمه انشدنى ابو عامر قال دخلت بعض مراسى الثغر فوجدت فى حجر منقوش هذه الابيات

نزلت ولى املٌ عودة   ولكنّنى لستُ ادرى متى
ودافعنى قدَمٌ لم اطق   دفاعا لمكروهه ان اتى
ومن امره فى يدَى غيره   سيغلب ان لان او ان عتا
فيا نازلا بعدنا هٰهنا   نحيّيك ان كنت نعمَ الفتى

فسألت عن مُنشدها فقيل لى هو ابو بكر ابن ابى درهم الوَشْقىّ وكان قد حجّ واراد العودة فقال هذه الابيات ورواها بعضهم رحلتُ مكانَ نزلت وهو اصْوَب وأبْدل قولَه يا نازلا بيا ساكنا والخطب سهل فيه وبعض يقول انّ الابيات وجدت بجامع مصر والله اعلم،

٢٨٤ ومنهم ابو محمد عبد الله بن محمد بن خلف بن سعادة الدانى[a] الاصبحى لازم ابن سعد الخير واحتذى اوّل امره مثال خطّه فقاربه وسمع منه ثم رحل الى المشرق فسمع بالاسكندريّة من ابى الطاهر ابن عوف والسلفىّ وغير واحد قال التجيبى كان معنا بالاسكندريّة بالعادلية منها وبقرآءته سمعنا صحيح البخارى على السلفىّ سنة ٥٧٣ قال وانشدنا لشيخه الاستاذ ابى الحسن على بن ابرٰهيم بن سعد الخير البلنسى

يا لاحظا تِمثالَ نعل نبيه   فبّلْ مثال النعل لا متكبّرا
وألثمْ به فلطالما عكفتْ به   قدمُ النبىّ مروّحا ومبكّرا
اولا ترى انّ المحبّ مقبّل   طَلَلًا وان لم يَلْف فيه مخبّرا

وقد سبق ابن سعادة ابو عبد الله وهو غير هذا والله اعلم،

٢٨٥ ومنهم ابو محمد عبد الله بن يوسف القضاعى المرى سمع من ابى جعفر ابن غزلون صاحب الباجى وغير واحد ورحل الى المشرق فسمع بالاسكندريّة من السلفىّ

a) L. الدالى.

والرازى وتجوّل هنالك واخذ عنه ابو الحسن ابن المفضّل المقدسى وغير واحد، وقال ابن المفضّل انشدنى المذكور قال انشدنى ابو محمد ابن صارة a

*وكوكب ابصر b العفريتَ مسترقا   للسمع فانقضّ يُدنى خلعه لَهَبَهْ
كفارس حلّ اعصارٌ عمامتَه   فجرّها كلّها من خلفها عذَبَهْ،

٢٨٩ ومنهم شهاب الدين احمد بن عبد الله c بن مهاجر الوادى اشى الحنفى سكن طرابلس الشام ثم انتقل الى حلب واقام بها وصار من العُدُول المبرزين d فى العدالة بحلب يعرف النحو والعروض ويشتغل فيهما وله انتمآء الى قاضى القضاة الناصر بن العديم، قال الصفدى رايته بحلب ايام مقامى بها سنة ٧٣٣ فرايته حسن التودّد انشدنى لنفسه من لفظه

ما لاح فى درع يصول بسيفه   والوجهُ منه يضىء تحت المِغْفَرِ
الا حسبت البحر مدّ بجَدْوَلٍ   والشمس تحت سحائب من عنبرِ

قال الصفدى جمع هذا المقطوع بين قول ابن عبّاد

ولما اقتحمتَ الوَغى دارعا   وقنّعتَ وجهك بالمغفرِ
حسبْنا محيّاك شمس الضحى   عليها سحاب من العنبرِ

وبين قول ابى بكر الرّصافى

لو كنتَ شاهدَه وقد غشى الوغى   يختال فى درع الحديد المُسْبَلِ
لرأيتَ منه والقضيبُ بكفّه   بحرا يريق دَمَ الكُماة بجَدْوَلِ

وقال يمدح الشيخ كمال الدين محمد بن الزملكانى وقد توجّه الى حلب قاضى القضاه

بمنَ يرنّم فوق الايك طايرَه   ...طا   عمّت الدنيا بشائرُه
وسُودد e اصبح الاقبال ممتثلا   فى ...ه ما اخوه العزّ آمرُه
ومنها من مخبر عنّىَ الشهبآء ان كما   لَ الدين قد شيّدت فيه مقاصره
وان تقليدَه الزاهى وخلعته   آلّتى تُطَرِّز عطفيها مآثره
بالنفس افديك من تقليد مجتهد   سِواه يَوجد فى الدنيا مناظره
انشدت حين ادار البشر كاسَ طلًا   حكتْ اوآئلَه صفوا اواخرُه
٥ وقد بدت فى بياض الطرس اسطره   سودا لتُبْدِىَ ما اهدت محابرُه

a) G. صيارة.   b) L. وكوكبا بصر.   c) Al-Çafadî (man. d'Oxford) ajoute بن عبد الله.
d) O. المبرز.   e) S. ومورد.

ساقٍ تكوّن من صبح ومن غَسَقٍ   فابيضّ خدّاه واسودّت غدائرُه
وخلعة قلت ان لاحت لتزرينا   بالروض a تطفوا على نهر ازاهرُه
وقد رآها عدوٌّ كان يصمم لى   من قبل سُوءًا فخانته ضمائرُه
ورام صبرا فاعيَتْه مطالبُه   وغُيِّض الدمعُ فانهلّت بوادرُه
بعودة الدولة الغرّاء ثالثة   امنت منك ونام الليل ساهرُه

وقال ايضا   تسعّر فى الوغى نيران حربٍ   بايديهم مهنّدة ذكورُ
ومن عجب لظًى قد سعّرتها   جداول قد افلّتها بدورُ

وقال ملغزا فى قالب لِبْن   ما آكلٌ فى b فمَيْن   يغوط من مخرجَيْن
مُغرًى بقبض وبسط   وما له من يدَيْن c
ويقطع الارض سعيا   من غير ما قدمَيْن

وخمّس لامية العجم مدحا فى رسول الله صلّعم قال الصفدىّ ولما كنت فى حلب كتب الىّ ابياتا انتهى '

٢٨٧ ومنهم ابو جعفر احمد بن صابر القيسى ' قال ابو حيان كان المذكور رفيقا للاستاذ ابى جعفر ابن الزبير شيخنا وكان كاتبا مترسّلا d شاعرا حسن الخطّ على مذهب اهل الظاهر وكان كاتب ابى سعيد فرج بن السلطان الغالب بالله بن الاحمر ملك الاندلس وسببُ خروجه من الاندلس انه كان يرفع يديه فى الصلاة على ما صحّ فى الحديث فبلغ ذلك السلطان ابا عبد الله فتوعّده بقطع يديه فصحّ من ذلك وقال انّ اقليما تُمات فيه سُنّة رسول الله صلّعم حتى يتوعّد بقطع اليد من يقيمها بالجدير ان يُرحَل منه فخرج وقدم ديار مصر وسمع بها الحديث وكان فاضلا نبيلا ' ومن شعره

اتنكر ان يبيض راسى لحادث   من الدهر لا يقوى له الجبَل الراسى
وكان شعارا فى الهوى قد لبسته   فراسىَ أُمَوىٌّ وقلبىَ عباسى

انتهى ' قلت لو قال شيبى لكان الغاية وانشد له بعضُهم

فلا تعجبا ممّن عوى خلف ذى عُلًى   لَكُلّ علِيٍّ فى الانام مُعاوِيَهْ

a) Al-Çafadī بالزرض. b) O. من. c) Al-Çafadī donne ces vers de cette manière:
فمين وسط   وما له من مخرجين   مغرى بقبض   لغوط من يدين
d) Al-Çafadī, à qui notre auteur a emprunte ce passage, ajoute ساعدا.

قلت لا يخفى ما فيه من عدم سلوك الادب مع الصحابة رضّهم ورحم الله بعض الاندلسيين حيث قال فى رجز كبير

ومن يكن يقدح فى معاوِيَه　　فذاك كلب من كلاب عاوِيَهْ

وانشد * ابو حيان a للمذكور

ارى الدهر ساد به الازدلو　　نَ كالسَّيْل يطفوا عليه الغُثا
ومات الكرام وفات المديح　　فلم يبق للقول الّا الرِّثا

وانشد له ايضا

لو لا ثلاث عنّ والله من　　اكبر آمالىَ فى الدُّنيا
حجٌّ لبيت الله ارجوا به　　ان يقبل النيّة والسعيا
والعلمُ تحصيلا ونشرا اذا　　رويتُ اوسعتُ الورى ريّا
واهلُ ودٍّ اسأل الله أن　　يمتع بالبُقْيا لِىَ اللقيا
b ما كنت اخشى الموت أنّى اتى　　بل لم اكن التذّ بالمحيّا

وقال ابو حيان فى هذه المادة

اما انه لولا ثلاث احبّها　　تمنّيت انى لا اعدّ من الاحيا
فمنها رجائى ان افوز بتوبة　　تكفّر لى ذنبا وتنجح لى سعيا
ومنهنّ صونى النفس عن كلّ جاهل　　لئيم فلا امشى الى بابه مشيا
ومنهنّ اخذى بالحديث اذ الورى　　نسوا سُنّة المختار واتّبعوا الرأيا
a اتترك نصّا للرسول وتقتدى　　بشخص لقد بدلتَ بالرشد الغيّا

٢٨٨ ومنهم الاستاذ ابو القاسم ابن الامام القاضى ابى الوليد الباجى سكن سرقسطة وغيرها وروى عن ابيه معظم علمه وخلفه بعد وفاته فى حلقته وغلب عليه علم الاصول والنظر وله تواليف تدلّ على حذقه منها العقيدة. فى المذاهب السّديدة. ورسالة الاستعداد. للخلاص من المعاد. وكان غاية فى الورع توفى بجِدّة منصرفه من الحجّ سنة ٤٩٣ c رحمه،

٢٨٩ ومنهم الامام الفاضل الاديب ابو اسحق ابرهيم بن محمد الساحلى الغرناطى، قال العز ابن جماعة قدم علينا من المغرب سنة ٧٢٤ ثم رجع الى الغرب فى هذه السنة وبلغنا انه توفى بمراكش سنة نيف واربعين وسبعمائة، وانشد والدى قصيدة من نظمه

a) Al-Çafadi اثير الدين. b) G. L. O. الريّا. c) S. ٤٩٢.

امتدحه بها وانا اسمع ومن خطّه نقلت وهى

قفا موردا عينا جرت بعدكم دما . اناصى أسفار طوين على ظما
غدون اهلّات تناقل أنجما ورحن حنيّات تفوّق اسهما
يجشّمها الحادى الأمرّين حسّراه ويوطئها الحادى الأحرّين هيّما
على منسميها للشقآئق منبت وفى فمويها للشقآئق مرتمى

الى ان قال

وتسعا لآمال جهام سحابها تزجّى رُكاما ما استهلّ ولا همى
تجاذبها نفس تجيش نفيسة ومن لم يجد الّا صعيدا تيمّما
فهل ذمم يرعاه ليل طويته طوانى سرّا بين جنبيه منهما
اقبّل منه للبروق مباسما وارشف من بهمآء ظلمآئه لمى
الى ان تجلّى من كنانة بدرُها فعرّس رُكنى فى حماه وخيّما
ثمال اليتامى حيث ليس مصلّل وكهف الايامى ايّما عزّ مرتمى

ومنها

فيا كفّه هل انت ام غيث ديمة اسالت عُبابا فى ثرى الجود عيلما
ويا سعيه يهنيك احرثنى به على معطفى علياه براً مسهّما
قضى بمنى اوطار نفس كريمة وروّى صداها حين حلّ بزمزما
وناداه داعى الحق حىّ على الهدى فاسرج طوعا فى رضاه وألجما
فلله ما أهدى وارشد واهتدى ولله ما اعطى واوفى وأنعما

ومنها

امتّ بآداب وعلم كليهما اقاما لديك الدعى فرضا وألزما

وهى طويلة؛

٣٩. ومن الراحلين من الاندلس الوليد بن هشام من ولد المغيرة بن عبد الرحمن الداخل فيما حكى بعض المؤرخين خرج من الاندلس على طريقة الفقر والتجرد ووصل برقة بركوة لا يملك سواها فعُرف بابى ركوة واظهر الزهد والعبادة واشتغل بتعليم الصبيان وتلقينهم القرآن وتغيير المنكر حتى خدع البربر بقوله وفعله وزعم ان مسلمة ابن عبد الملك بشر بخلافته بما كان عنده من علم الحدثان وكان يقال عن مسلمة انه اخذ علم الحدثان عن خالد بن يزيد بن معاوية واخرج لهم ارجوزة اسندها الى مسلمة، ومنها فى وصفه

وابنَ هشام قائم فى برقه به ينال عبد شمس حقه

a) O. حسرة. b) Les man. portent الاخرين.

يكون فى بربرها قيامه   وقرة العرب لها اكرامه

، واتّفق ان قرة انحرفوا عن الحاكم فمالوا اليه وحصروا معه مدينة برقة حتى فتحوها وخطبوا له فيها بالخلافة وكان قيامه فى رجب سنة ٣٩٧ فهزم عسكر باديس الصنهاجى صاحب افريقية وعسكر الحاكم بمصر واحيى امره وخاطبه بطانة الحاكم لكثرة خوفهم من سفك الحاكم الدماء ورغبوه فى الوصول الى وسيم وهو مكان بالجيزة قبالة القاهرة فلما وصل اليها قام بمحاربته الفضل بن صالح القيام المشهور الى ان هزم ابا ركوة ثم جآء به الى القاهرة فأمر الحاكم ان يطاف به على جمل ثم قتل صَبْرًا ١٣ ر سنة ٣٩٩ ولمّا حصل فى يد الحاكم كتب اليه

فررت ولم يغنِ الفرار ومَن يكن   مع الله لم يعجزه فى الارض هاربُ
ووالله ما كان الفرار لحاجة   سوَى فزعى الموت الذى انا شاربُ
وقد قادنى جرمى اليك برمّتى   كما اجترّ ميثاقى رَحَى الحرب سالبُ
واجمع كلّ الناس انك قاتلى   رب ظــن ربه فيه كاذب
وما هو الا الانتقام وبنهنى   واخذك منه واجبا وهو واجبُ

ولأبى ركوة المذكور أشْعار كثيرة منها قوله

بالسيف يقرب كلّ امر ينزح   فاطلبْ به ان كنت ممن يفلحُ

وله   على المرء ان يسعى لما فيه نفعه   وليس عليه ان يساعده الدهرُ

وقوله   ان لم أجِلْها فى ديار العدَى   تملأ وَعْرَ الارض والسهلا
فلا سمعت الحمدَ من قاصد   يوما ولا قلت له اهلا .

وله غير ذلك مما يطول وخبره مشهور،

٢٩١ ومنهم ابو زكريا الطليطلى يحيى بن سلمان قدم الى الاسكندرية ثم رحل الى الشام واستوطن حلب وله ديوان شعر اكثر فيه من المديح والهجآء قال بعض من طالعه ما رايته مدح احدا الا وهجاه وله مصنفات فى الادب ومن نظمه قوله

ارض سقت غيطانَها أعطانُها   وزهت على كُثْبانها قُضْبانُها
ومنها   فتكتْ بألباب الكماة فسيفها   من طرفها وسنانها وَسْنانُها
لم يبق شخص بالبسيطة سالما   الا سبى انسانَها انسانُها
ومنها   وتصاحبت وتجاوبت اطيارها   وتداولت وتناولت الحانُها
وتنسّمت وتبسّمت ايامها   وتهلّلت وتكلّلت ازمانُها

بمديرها ومنيرها وضميرها   ومُعيرها حسنا جلاه عيانُها ٬

٢٩٢ ومنهم ابو بكر يحيى بن عبد الله بن محمد القرطبى المعروف بالمغيلى سمع من محمد بن عبد الملك بن ايمن وقاسم بن اصبغ وغيرهما ورحل فسمع من ابى سعيد ابن الاعرابى وكان بصيرا بالعربيّة والشعر مؤلفا جيّد النظر حسن الاستنباط حدّث وتوفى فجآءة فى شهر ربيع الاول سنة ٣٩٢ قاله ابن الفرضى ٬

٢٩٣ ومنهم الامام المحدّث ابو عبد الله محمد بن على بن محمد بن يحيى بن سلمة الانصارى الغرناطى قدم المشرق وتوفى بمصر سنة ٧٠٣ عن نحو ٥٠ سنة بالبيمارستان المنصورى ٬ قال قاضى القضاة عبد العزيز بن جماعة الكنانى فى كتابه نزهة الألبّاء انشدنا المذكور لنفسه بالقاهرة بعد قدومه من مكّة والمدينة وقد رام ان يعود اليهما فلم يتيسّر له

لئن بَعُدتْ عنّى ديار الذى اهوى   فقلبى على طول التباعد لا يقوى
فحدّثْ رعاك الله عن عرب رامة   فانّى لهم عبد على السرّ والنجوى
فان متُّ شوقا فى الهوى وصبابة   فيا شرفى ان متّ فى حبّ من اهوى
فيا ايّها العذال كفّوا ملامَكم   فما عندكم بعض الذى بى منَ الشكوى
٥ ويا جيرة الحىّ الذى وَلَهى بهم   اما ترحموا صبّا يحنّ الى حُزْوى
ويا اهل ذيّاك الحمى وحياتكم   يمين وفىّ صادق القول والدعوى
ملكتم قِيادى فارحموا وترفّقوا   فانتم مُرادى لا سعاد ولا علوى
فما لى سوَاكم سادتى لا عَدِمْتكم   فجودوا بوَصْل انتم الغاية القصوَى ٬

٢٩٤ ومنهم الفاضل الاديب ابو عبد الله محمد بن على بن يحيى بن على الغرناطى ٬ قال ابن جماعة فى الكتاب المسمّى قريبا انشدنى المذكور لنفسه على قبر سيّدنا حمزة رضه

يا سيّد الشهدآء بعد محمد   ورضيع ذى المجد المرفع احمد
يا ابن الاعزّة من خلاصة هاشم   سرح a المعالى والكرام المجّد
يا ايّها البَطَلُ الشجاعُ المحْتمى   دينَ الاله بباسه المستأسد
يا نبعة الشرف الاصيل المعتلى   يا ذروة الحسَب الاثيل b الأتْلَد
٥ يا نجدة الملهوف فى قُحَم الوغى   عند التهاب جحيمها المتوقد

a) G. L. O. سرج   b) Les man. portent الاثيال.

يا غيث ذى الامل البعيد مرامه ... يا غَوْث مونور الزمان الانكد
يا من لعظم مصابه خصّ الاسَى ... قلب الرسول وعمّ كلّ موحّد
يا حمزة الخير المؤمّل نفعه ... يوم الهِيَاج وعند فقد المنجد
وافاكَ يا اسد الاله وسيفه ... وفد الموالى من حماك بمعهد
جئناك يا عَمّ الرسول وصنْوَه ... قصد الزيارة فاحتفلْ بالقُصَّد
واسْأل الهك فى اغتفارِ ذنوبنا ... شيمَ المزور قيامه بالعوّد
لذنا بجانبك الكريم توسّلا ... وكذا العَبيدُ ملاذهم بالسيّد
فاشفعْ لضيفك فالكريم مشفّع ... عند الكريم ومن يشفّع يقصَد
يا ابن الكرام المكرمين نزيلهم ... اهل المكارم والعُلى والسّوددِ
نزل الضيوف جناب ساحتك التى ... منها يؤمّل كلّ عطف مسْعَد
فاجعلْ ابا يعلى قِرانا عطفه ... وأرْغبْ لربّك فى هدانا واقصُد
فعسى يمن على الجميع بتوبة ... يهدى بها نهج الطريق الارشد
فقد اعتمدنا منك خير وسيلة ... نرجو بها حسن التجاوز فى غد
لِمْ لا تؤمّ وانت عمّ محمّد ... ولدينه قد صُلتَ صَولة أيّد
وصحبته ونصرته وعضدته ... وذببت عنه باللسان وباليَد
وبذلت نفسك فى رضاه بجُنّة a ... فقبلت فى ذات الاله الاوحد
فجزاك عنّا الله خير جزآئه ... وسقى ثراك حيا الغمام المرعد
وعلى رسول الله منه سلامُه ... وعليك متّصل الرضى المتجدّد

وُلد ببعض اعمال غرناطة قبل ٦٩٠ وتوفى بالمدينة الشريفة طابةَ على ساكنها الصلاة والسلام سنة ٧١٥ ودفن بالبقيع رحمه الله انتهى ،

٢٩٥ ومنهم الشيخ نور الدين ابو الحسن المايرقى من اقارب بعض ملوك المغرب وكان من الفضلآء العلمآء الادبآء وله مشاركة جيّدة فى العلوم ونظم حسن ومنه قوله

القضب راقصة والطير صادحة ... والنشر مرتفع والمآء منحدرُ
وقد تجلّتْ من اللذات اوجهها ... لكنها بظلال b الدّوح تستتر
فكلّ وادٍ به موسى يفجّره c ... وكلّ روض على حافاته الخضرُ

a) L. تحية. b) Les man. portent بطلال. c) L. يعاجزه.

وقوله وذى هَيَف راق العيونَ انثناؤه   بقدّ كريّان من البان مُورِقِ
كتبتُ اليه هل تجود بزَوْرة   فوقّع لا خوف الرقيبِ المصدّقِ
فايقنت مِنْ لا بالعناق تفاؤلا   كما اعتنقت لا ثم لم تتفرّقِ

وهذا احسن من قول ذى القرنين ابن حمران

انى لاحسُد لا فى احرف الصحف   اذا رايت اعتناق اللام للألف
وما اظنّهما طال ا تماعُهما   الا لما لقيا من لَوْعة الاسف

واحسن من هذا قولُ القيسرانى

استشعر الياسَ منه لا ثم يطمعنى   اشارة فى اعتناق اللام للألف

وكانت وفاة ابى الحسَن المذكور فى ربيع الاوّل سنة ٦٥٥ ودفن بقاسيون رحمه والابيات التى اوّلها القضب راقصة الخ نسبها له اليونينى وغير واحد والصواب انها ليست له وانّما هى لنور الدين ابن سعيد صاحب المغرب وقد تقدّم ذكره ولعلّ السهو سرى من تشارك الاسم واللقب والقطر ومثل هذا كثير ما وقع والله اعلم،

٣٩٦ ومَن الراحلين من اهل الاندلس الى المشرق ابنُ عَتَبة الاشبيلى وكان فارق اشبيلية حين تولّاها ابن هود واضطرمت بفتنته الاندلس نارا ولمّا قدم مصر هاربا من تلك الاهوال، تغيّرت عليه البلاد وتعدّلت به الاحوال،، فلما سُئل عن حاله، بَعد بُعده عن ارضه وترحاله،، بادر وانشد

اصبحتُ فى مصر مستضاما   ارقص فى دولة القرودِ
وا العمر فى اخ   مع النصارى مع اليهودِ
بالجدّ رزق الانام a فيهم   لا بذوات ولا جدودِ
لا تبصر الدهر من براعى   معنى قصيد ولا قصودِ
b اودّ من لومهم رجوعا   للغرب فى دولة ابن هودِ

وتذكرت بقوله ارقص فى دولة القرود ما وقع لابى القاسم ابن القطان وهو ممّا يستطرف ويُستظرف وذلك انه لما ولى الوزارة الزينبى دخل عليه ابو القاسم المذكور والمجلسُ حافل بالرؤساء والاعيان فوقف بين يديه ودعا له واظهر الفرح والسرور ورقص فقال الوزير لبعض من يقضى اليه بسرّه قبح الله هذا الشيخ فانه يشير برقصه الى قول الشاعر وارقص للقرد فى دولته،

a) L. فى. b) G. L. O. الامام.

٣٩٧ ومن المرتحلين من الاندلس الى المشرق الحافظ نجيب الدين ابو محمد عبد العزيز بن الامير القائد ابى على الحسن بن عبد العزيز بن هلال اللخمى الاندلسىّ ولد سنة ٥٧٧ تقريبا ورحل فسمع بمكة من زاهر بن رستم وببغداد من ابى احمد ابن سكينة بن طبرزد وطائفة وبواسط من ابى الفتح بن الميدانى وباصفهان من عين شمس الثقفية وجماعة وبخراسان من المويّد الطوسى وابى روح واصحاب الفراوى وهذه الطبقة وخطّه مليح مغربىّ فى غاية الدقّة وكان كثير الأسفار دينا متصوّفا كبير القدر، قال الضياء فى حقّه رفيقنا وصديقنا توفى بالبصرة عاشر رمضان سنة ٦١٧ ودُفن الى جانب قبر سهل التسترى رضه وما رأينا من اهل المغرب مثله، وقال مفضّل القرشى كان كثير المروة عزيز الانسانيّة وقال ابن الجانب كان كيّس الاخلاق محبوب الصورة لين الكلام كريم النفس حلو الشمائل محسنا الى اهل العلم بماله وجاهه وقيل انه اوصى بكتبه للشرف المرسىّ رحه،

٣٩٨ ومنهم محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد ابو بكر ابن العربى الاشبيلى حفيد القاضى الحافظ الكبير ابى بكر ابن العربى قرأ لنافع على قاسم بن محمد الزقاق صاحب شريح وحجّ فسمع من السلفى وغيره ثم رحل بعد نيف وعشرين سنة الى الشام والعراق واخذ عن عبد الوهاب بن سكينة وطبقته ورجع فاخذوا عنه بقرطبة واشبيلية ثم سافر سنة ٦١٣ وتصوف وتعبّد وتوفى بالاسكندريّة سنة ٦١٧ قاله الذهبى فى تاريخه الكبير،

٣٩٩ ومن المرتحلين ابو عبد الله ابن جابر محمد بن جابر الضرير a ولا ترجمة فى الاحاطة ذكرناها مع زيادة عليها عند تعرّضنا لاولاد لسان الدين ابن الخطيب رحه ورحل الى المشرق ودخل مصر والشام واستوطن حلب وهو صاحب البديعيّة المعروفة ببديعية العميان وسكن حلب وله أمداح نبويّة كثيرة وتواليف منها شرح الفيّة ابن مالك وغير ذلك وله b ديوان شعر وامداح نبويّة فى غاية الاجادة، ومن نظمه رحه مورّيا باسماء الكتب

عرائس مَدحى كم اتين لغيره — فلما رأته قلن هذا من الأكفا .
نوادر آدابى ذخيرة ماجد — شمائل كم فيهنّ من نكتٍ تُلفى

a) S. porte ceci : ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق ابو عبد الله محمد بن احمد بن على الهوارى من اهل المرية ويعرف بشمس الدين الضرير. b) S. ajoute نظم.

مطالعها هنّ المشارق للعُلى ‏ ‏ ‏ قلآئد قد راقت جواهرها رصْفا
رسالة مدحى فيك واضحة ولى ‏ ‏ ‏ مسالك تهذيب لتنبيه من أغفى
فيا منتهى سُؤْلى ومحصول غايتى ‏ ‏ ‏ لانت أمرؤ من حاصل المجد مستصفَى

وقد اشتملت هذه الابيات الخمسة على التورية بعشرين كتابا وهى العرآئس للثعالبى والنوادر للقالى وغيره والذخيرة لابن بسّام وغيره والشمآئل للترمذى والنكت لعبد الحق الصقلى وغيره والمطالع لابن قرقول وغيره والمشارق للقاضى عياض وغيره والقلآئد لابن خاقان وغيره ورصف المبانى· فى حروف المعانى· للاستاذ ابن عبد النور وهو كتاب لم يصنَّف فى فنّه مثله والرسالة لابن ابى زيد وغيره والواضحة لابن حبيب والمسالك للبكرى وغيره والجواهر لابن شاش وغيره والتهذيب فى اختصار المدوّنة وغيره والتنبيه لابى اسحق وغيره ومنتهى السؤل لابن الحاجب والمحصول للامام الرازى والغاية للنووى وغيره والحاصل مختصر المحصول والمستصفى للغزالى؛ وما احسن قول الحكيم موفّق الدين

لله ايّامُنا والشمل منتظم ‏ ‏ ‏ نظما به خاطر التفريق ما شعرا
والهفّ نفسى على عيش ظفرت به ‏ ‏ ‏ قطعت مجموعَه المختار مختصرا

وهذه ٣ كتب مشهورة المختار والمجموع والمختصر واحسن منه قول الاخر

عن حالتى يا نور عينى لا تسلْ ‏ ‏ ‏ تركُ الجواب جوابُ تلك المسئله
حالى اذا حدثت لا لُمعًا ولا ‏ ‏ ‏ جُملا لايضاحى بها مِن تكمله
عندى جوًى يذر الفصيح مبلّدا ‏ ‏ ‏ فاترُك مفصّله ودونك مجمله.
والقلب ليس من الصحاح فيرتجى ‏ ‏ ‏ اصْلاحه والعين سحب مثقله

وقد اوردنا فى ترجمة ابى عبد الله ابن جزى الكاتب الاندلسى جملة مستكثرة فى التورية باسمآء الكتب فلتراجعْ ثَمّه؛ رجع الى الشمس ابن جابر فنقول ومن نظمه رحمه تنميمه a) للابيات المشهورة

لم يبقَ فىّ اصطبارُ ‏ ‏ ‏ مذ خلفونى وساروا ‏ ‏ ‏ وللحبيب اشاروا
جار الكرام فجاروا ‏ ‏ ‏ لله ذاك الأُوارُ ‏ ‏ ‏ بانوا فما الدارُ دارُ
يا بدر اهلُك جاروا ‏ ‏ ‏ وعلّموك التجرّى

a) Les man. portent ou تنميمه ou تثمينه ou تتمينه ou ىمىمه.

كانوا من الودّ اهلى   ما عاملونى بعدلِ   اصموا فؤادى بنَبْلِ
يا بين بيّنت ثُكْلى   يا روح قلبىَ قل لى   أهُمْ دعوك لقتلى
وحرموا لك وصلى   وحللوا a لك هجرى
حسبى وما ذا عنادُ   هم المُنى والمرادُ   وانْ عن الحقّ حادوا
او جاملونى وجادوا   يا به الكلّ سادوا   والكلّ عندى سِدادُ
فليفعلوا ما ارادوا   فانّهم اهل بدرى

وتذكرت بهذا قول ابى البركات ايمن بن محمد السَّعْدىّ

للعاشقين انكسارُ   وذلّة وافتقارُ   وللملاح افتخارُ
وعزّة واقتدارُ   واهل بدرى اشاروا   وودعونى وساروا   يا بدر الخ
كتبتُ * والوصل يملى b   جدّ الهوى بعد هزلِ   وحار ذهنى وعقلى
ما بين بدرى c واهلى   يا بدر فاحكم بعَدل   اذا اتوك بعذل
وحرموا لك وصلى   وحللوا لك هجرى
لو لا هواك المرادُ   ما كنتُ ممن يصادُ   ولا شجانى البعادُ
يا بدر اهلك جادوا   غلطت جاروا وزادوا   لكنّهم بك سادوا
ما ارادوا   فانّهم اهل بدرى

انتهى، رجع الى ابن جابر فنقول توفى رحمه فى البيرة فى جمادى الاخرة سنة ٧٨٠ رحمه، ومن نظمه قوله

يا اهل طيبة فى مغناكُمُ قمرٌ   يهدى الى كلّ محمود من الطرقِ
كالغيث فى كرم والليث فى حرم   والبدر فى افق والزهر فى خلق
وله ولما وقفنا كى نودّع من نأى   ولم يبق الّا ان تحثّ الركائبُ
بكينا وحقّ للمحبّ اذا بكى   عشيّةَ سارت عن حماه الحبائبُ
وقال امّا معانى المعانى فهى قد جمعتْ   فى ذاته فبدت نارا على علمِ
كالبدر فى شِيَم والبحر فى دِيَم   والزهر فى نعم والدهر فى نقَمِ
وقال ضحكتْ فقلت كأن جيدك قد غدا   يهدى لثغرك من جواهر عقده
وكأنْ ورد الخدّ منك بمائه   قد شاب عذبَ لماك حالة ورده

a) G. S. وذللوا.   b) G. O. R. S. والوجد على.   c) G. O. R. S. بدر.

وقال	منعتْنا قِرى الجمال وقالت	ليس فى غير زادنا مِن مجال
فأقمْنا على الرحال وقلنا	ما لنا حاجة بحَطّ الرحال

وقال	عذّب قلبى رشا ناعم	اسهر جفنى طرفه الناعسْ
يحرس باللحظ جنى خدّه	يا ليته لو غفل الحارسْ

وله	وافيت ربعهمُ وقد بَعُد المدا	ونأى الفريق من الديار وساروا
ما كدت اعرف بعد طول تأمّل	دارا بها طاف السرورَ ودارا

وله	ولستُ ارى الرجال سوى أُناس	همومهمُ موافاة الرجالِ
اطالوا فى الندى اِهلاكَ مالٍ	فعاشوا فى الانام ذو كمالِ

وقال	ايّها المهتمّون نفسى فداكم	انجدونى عن الوصول لنجد
وقفوا بى على منازل ليلَى	فوجودى هناك يذهب وجدى

ما كتبه على كتاب نسيم ᵃبن وصورته لما وقفت على الفصول الموسومة نسيم الصبا، المرسومة فى صفحات الحسن فاذا ابصرها اللبيب صبا،، انتعش بها الخاطر انتعاش النبت بالغمام، وهملت ᵇ سحائب بيانها فاثمرت حدائق الكلام،، واخرجت ارض القرائح ما فيها من النبات، وسمعت الآذان صخمة الأذهان بهذه الابيات،،

هذى فصول الربيع فى الزمن	كم حسن اسندت الى حسن
رقت وراقت فمن شمائلها	بمثل صَرف الشمول تتحفنى
كم ملح قد حوت وكم لمح	يعاجبنى لفظها ويعاجزنى
كم فيه من نفث ومن نكت	اشهدنى حسنُها فادهشنى
جمع عدمنا له النظير فلا	يصرف عن خاطر ᶜ ولا اذنِ ᵈ
يا خير اهل العُلى وبحرهمُ	انّ بديع الكلام لم ترنى
يدرك فى مطلع الفضائل لا	يكون مثل له ولم يكنِ
هذى الفصول التى اتيت بها	قد افحمت كلّ ناطق لسِنِ
كم فنِّ معنى بها يذكرنى	شجوى لشدو الحمام فى فننِ
فمن نسيب مع النسيم جرى	لطفا فازرى بالجوهر الثمنِ
وحسن سجع كالزهر فى افق	والزّهر فى ناعم من الغصن

) G. L. O. الذى. ᵇ) L. وهمَت. ᶜ) S. خاطرى ᵈ) S. اذنى.

له معانٍ اعيتْ مداركها ... كلّ مُعانٍ بنيلهنّ غَنِى
لا زال راقٍ لسلمجد راقمها ... ذا سنن حاز احسَن السَّنن

فصول هى للحسن اصول، وشمول لها على كلّ القلوب شمول،، ليس لقُدامةَ على التقدم اليها حصول، ولا لسحبان لان يسحبَ ذيلها وصول،، ولا انتهى قسّ الابادى، الى هذه[a] الايادى،، ولا ظفر بديع الزمان، بهذه البدآئع الحسان،، لقد قصّر فيها حبيب عن ابنه، وحار بين لطافة فضله وفضل ذهنه،، نزهت فى طرف خمآئلها، ونبهت بلطف شمآئلها،، تالله انها لسحر حلال، وخلال ما مثلها خلال،، كلام كلّه كمال، ومجال لا يُرى فيه الا جمال،، راقم بردهاء وناظمُ عقدها،، فى كلّ فصل، جآء بكمال فصل،، وفى كلّ معنى عمر بالبراعة مغنى اعرب، فاغرب،، واوجز، فاعجز،، واطال فاطاب، واجاد حين اجاب،، فما انفسُ فرآئده، وانفع فوآئده،، وافصح مقاله، وافسح مجاله،، واطوع للنظم طباعه، واطول فى النثر باعُه،، ازاهر نبتت[b] فى كتاب، وجواهر تكوّنت من الفاظ عِذاب،، ومواهب لا تدرك بيد اكتساب، فسبحان من يرزق من يشآء بغير حساب،، فصول احلى فى الافواه من الشهد، واشهى الى النواظر من النوم بعد السهد،، سكب ادبها فى قالب النكت الحسان، وذهب بمحامد عبد الحميد ومحاسن حسّان،، فما احقّها ان تسمّى فصول الربيع، واصول البديع،، لا زال حسنها يملأ الاوراق بما راق، ويزين الآفاق بما فاق،، ولا برحت حدآئق براعته نزهة للاحداق، وحقآئق بلاغته فى جيد الاجادة بمنزلة الاطواق،، بمنّ الله وكرمه انتهى، وحيث جرى ذكر كتاب نسيم الصبا فلا بأس ان نذكر تقاريظ[c] العلمآء له فمن ذلك قول القاضى شرف الدين ابن ريّان وقفت على هذا الكتاب الذى ابدع فيه مؤلّفه، ونظم فيه الجواهر النفيسة مصنّفُه،، واينعت حدآئق ادبه فدنا ثمرها لمن يقطفه، وعرفت مقدار ما فيه من الانشآء واين[d] من يعرفه،، فوجدته الطف من اسمه، واحسن من الدرر فى نظمه، واطيب من الورد عند شمّه،، هبّت على رياض فصوله نسيم صباها، ففاقت الازهار فى رُباها،، وتشوقت قلوب الادبآء الى استنشاق شذاها، وطيب رياها،، وفاضت عليه انوار البدر فاغنى سناها، عن الشمس وضحاها،، وتحلت نحور البلغآء من كلامه بالدرّ اليتيم، ومن معانيه بالعقد النظيم، وترنّحت افنان فنون الفصاحة لمّا هبّ

a) L. لهذه. b) S. تنبت. c) L. تقاريض. d) G. L. وابن.

عليها ذلك النسيم،، كلّ فصْل له فى الفصل اسلوبٌ على بابه، وطريق انفرد به منشيه محاسن لا توجد الا فى كتابه،، صدر هذا الكتاب عن علم سابق، وفكر ثاقب وذهن رائق،، ونَفَس صادق، ورويّة ملأت تصانيفها المغارب والمشارق،، وقريحة اذا ذُقتَ جناها، وشممت سناها،، تذكرت ما بين العذيب وبارق، فالله تع يبقى مصنّفه قبلة لاهل الادب، ويديمه ويبلغه من سعادة الدنيا والآخرة ما يرومه بمنه وكرمه انتهى، وقرظ عليه بعضهم بقوله وقف المملوك سليمان بن داود المصرى على فصوص الحكم من هذه الفصول، ووجد من نسيم الصّبا اشارات القبول،، ونزّه طرفه فى رياض هذا الكتاب، وخاطب فكره العقيم فى وصفه فعجز عن ردّ الجواب

ما ذا اقول وكلّ وصف دونه   ابن الحضيض من السماك الأعزل

يا لها كلمات نقصت قدر الافاضل، وفضحت فصحاء الاوائل، وسحبت ذيل الفصاحة على سحبان وائل،، وزادت فى البلاغة على فريدa، وغيرت حال القدماء فما عبد الرحيم الفاضل ولا عبد الحميد،، وذلت لها تشبيهات ابن المعتز طوعا، وملكت زمام البيان فما تركت للبديع منه نوعا،،

قطف الرجال القول حين نباته   وقطفت انت القول لما نوّرا

وخطاب اعجز الخطباء وصفُه، وجواب الغى البلغاء رصفُه،، وغرائب تعرفت بمبديها، وشوارد تالفت بمهْديها،، وجنان بلاغة لم يطمث ابكارها انسٌ قبلك ولا جان، ولم يقطف ازهارها عين ناظر ولا يدُ جان،، معانٍ تطرب السمع لها حكم واحكام، والفاظ هى الارواح للارواح اجسام،، فلمّا القى فهمه عروة المتماسك، وضاقت عليه فى وصفه المسالك،، وعجز عن وصف بلوغ بلاغته، عطف على حسن كتابته،، فرأى خطّا يسبى الطرف، ويستغرقb الظرف،، نسج قلمه الكريم من وشى البلاغة ديباجا، واتخذ من محاسن الحسان طريقا ومنهاجا،، فالفى الفات كاعتدال القدود، ونونات كأهلّة السعود،، وسينات كالطرر، ونقط كالدرر،، جعل للاقلام حجّة قاطعة على السيوف، وحلى الاسماع بحلية زايدة على الشنوف،، فعطف ساعة يطيب فى مدحه وشكره، وآونة يميل من طربه بألفاظه وشكره،، فلله درّ الفاظك ودُرَر فضلك، واحسن بوابلك الهاطل بالبيان وطَلّك،،

لسانك غوّاص ولفظك جوهرٌ   وصدرك بحر بالفضائل زاخرُ

a) S. حريد. b) L. ويستغرق.

والله المسئول ان يرفع قدر مقالك، ومقام قدرك، ويوضح منهاج الادب بنور بدرك،، بمنه وكرمه انه على كلّ شيء قدير، وكتب قاضى القضاة تاج الدين السُّبْكى رحمه في تقريظ الكتاب المذكور ما نصّه الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم حدقتُ نحو الحدآئق، وفوّقتُ سهمى تلقآء الغرض الشائق، وطرقت للى ما يصبى اخا الحجى اسهل الطرآئق،، فما علل صداى كنسيم الصّبا، ولا كمثله سهما صائبا صابه a من لا صبا، ولا نظرت نظيره حديقة تنبت فضة وذهبا

وتجيء من مُلح الكلا	م بطارف او تالدَهْ
كَلِمٌ نوابغ نحو آ	فاق المطالع صاعدَهْ
لو رامها قسّ لما	الفى اباه ساعدَهْ
ابدى نتآئج عيّه	فى ذى المعانى الشاردَهْ

فعين الله عليها كلمات عليها منه رقيب، ومحاسن تسلى عندها بالحسن حبيب، *وفوآئد حسان يذكرنا حسّان البعيد حسن القريب b،، كتبه عبد الوهاب السُّبْكى انتهى، وكتب ناصر الدين صاحب دواوين الانشآء ما صورته وقفت على هذا الكتاب الذى اشبه الدرّ فى انتظامه، والثغر فى ابتسامه،، وقطر الندى فى انسجامه، وزهر الروض فى البكر اذا غنت على غصونه مطربات حمامه،، فوجدت بين اسمه ومسمّاه مناسبة اقتضاها طبع مؤلفه السليم، واتصالا قريبا كاتّصال الصديق الحميم،، فتحققت أنّ مؤلّفه ابقاه الله تعٓ وحرسه ابدع فى تاليفه، واصاب فى تمييزه بهذا الاسم وتعريفه،، فهو فى اللطافة كالمآء فى اروآئه، وكالهوآء المعتدل فى ملائمة الارواح بجوهر صفآئه، وكالسلك اذا انتقى جوهره وجيد فى انتقآئه،، قد اينعت ثمرات فضآئله فاصبحت دانية القطوف، وتجلّت عرآئس بلاغته فظهر بدرُها بلا كسوف، وانجابت ظلمات الهموم بسماع موصول مقاطعه التى هى فى الحقيقة لاذن الجَوْزآء شنوف،، فاكرمْ به من كتاب ما الروض بابهى من وسيمه، ولا الريحان باعطر من شميمه، ولا المدامة بأرقّ من هبوب نسيمه، ولا الدرّ باسنى زهرا بل زهوا من رسومه،، اذا تدبّره الاديب اغنته تلك الافانين عن نغمات القوانين، واذا تأمّله الاريب نزه طرفه فى رياض البساتين،، قد سوّر على كلّ نوع من البديع باب، لا يدخله الا مَن خصّ بالبلاغة باللُّباب،، والله تعٓ يوتيه الحكمة وفَصْل الخطاب، ويمتع بفضآئله التى شهدها اهل العلم وذووا

a) G. S. صبابة. b) Ces mots ne se trouvent que dans le man. S. Lisez يذكرها au lieu de يذكرنا.

الالباب،، بمنّه وكرمه، وكتب محمد بن يعقوب الشافعىّ وكتب الصّفدى شارح لامية العجم بما نصّه وقفت على هذا المصنّف الموسوم بنسيم الصبا، والتاليف الذى لو مرّ بالمجنون لما ألف ليلاه ولا مال اليها ولا صبا،، والانشآء الذى ان شآء قآئله جعل الكلام غيره فى هبات الهوى هبا، والنثر الذى اغار قائله على سبآئك الذهب الابريز وسبا،، والكلام الذى نبا عنه الجاحظ جاحدا وما له ذكر ولا نبا،، فسبحن جواهر حروفه لمنْ اوجده فى هذا العصر، وعلمت ان الفاظه ترمى قلوب حسّاده بشرر كالقصر،، وتحققت انّ قعقعة طروسه اصوات اعلامه التى تخفق له بالنصر،، وتيقّنتُ ان سطورَه غصون لا تصل اليها كف جناية بتَجَنّى ولا هَصْر،،

وقلت لاهل النظم والنثر قابلوا تـرآئبهـا مصقولة كالسجنجلِ
وميلوا بـاعطاف التعجّب انّها نسيم الصبا جآءت بريّا القرنفلِ

ولما ملت بعد ما ثملت، وغزلته[a] بعد ما هزلت،، جردت من نفسى شخصا اخاطبه واجاريه، فى اوصاف محـاسنها التى اناهبه منها وأُناهيه،، فقال لى هـذا الفنّ الفذّ، والنثر الذى قهر اقران هذه الصناعة وبَذّ، والادب الـذى سدّ الطرق على اوابده فما فاته شىء ولا شَذّ،، وهذا الانشآء الذى ما له عديـل فى هذا العديد ولا ضريب، وهذا الكلام الذى فاق فى الآفاق فما لحبيب بن اوس حُسنُ حسن بن حبيب،، فعين الله على هذه الكلم الساحره، والفوآئد التى ايقظت جفن الادب بعد ما كان بالساهره،، ومتع الله الزمان واهله بهذا النوع الغضّ، والنقد النضّ، والبز البضّ،، والبديع الذى رمّ ما تشعّث من رَبْع هذا الفنّ ورض، واقتنصت المعانى ابكاره واقتض،، وارسل جارح بلاغته على الجوارح فصادها وانقص وانقض، وانبط[b] مآء الفصاحة لما تحدّر وارفض، واستمال القلب الفظّ لما فك ختم ذهوله وفض،، انه على كلّ شىء قدير، وبالاجابة جدير،، بمنّه وكرمه وكتبه خليل الصفدى انتهى،

ومنهم الاديب ابو جعفر الالبرى رفيق ابن جـابر السابق ذكره وهـو البصير وابن ٣٠٠
جابر الاعمى، وله نظم بديع منه قوله

أبدَتْ لـىَ الصُّدغ على خـدّها فـاطلع الليل لنـا صبحَه
فخدّهـا مـعْ قـدّهـا قـائـل هذا شقيق عارض رُمحَه

a) G. S. وعزلت. b) Les man. portent وانبط.

وقوله وقد دخل حمص

حمصُ لمَن اضحى بها جنّة يدنو لديها a الآمل القاصى
حلّ بها العاصى ألا فاعجبوا مـن جنّة حـلّ بها العاصى

وقوله انّ بين الحبيب عندى موت وبه قـد حييت منذ زمـانِ
ليت شعرى متى تشاهده العيــــنُ ونقصى من اللقآء الأمانى

قال وفيه استخدام لان البين يطلق على البعد والقرب انتهى، ومن نظمه ايضا رحمه

وموَرّد الوجنات دبّ عذاره فكأنه خـطّ علـىٰ قرطـاس
لما رأيت عذاره مستعجلا قد رام يخفى الورد منه بآس
ناديته قف كى اودّع وردَه ما فى وقوفك ساعة مـن باس

وهذا المعنى قد تبارى فيه الشعرآء فتسابقوا فى مضماره فمنهم مـن جلى وبرز، وحاز خصل السبق واحرز،، ومنهم من كان مصلّيا، ومنهم من غدا لجيد الاحسان محليا، ومنهم مَن عاد قبل الغاية موليا،، رجع ومن تاليفه رحمه شرحه بديعيّة رفيقه ابن جابر المذكور، وقال فى خطبته ولما كانت القصيدة المنظومة فى علم البديع المسمّاة بالحلة السيرا٠ فى مدح خير الورى، التى انشاها صاحبنا الامام العلامة شمس الدين ابو عبد الله ابن جـابر الاندلسى نادرة فـى فنّها، فريدة فـى حسنها،، تجنى ثمر البلاغة من غصنها، وتنهل سواكبُ الاجادة من مُزْنها،، لم ينسج على منوالها، ولا سمحت قريحة بمثالها،، رأيـت ان اضع لها شرحـا يجلو عـرآئس معانيهـا لمُعانيها، ويبدى غرآئب ما فيها لمُوافيها،، لا أمِلّ الناظر فيه بالتطويل، ولا اعوقه بكثرة الاختصار عـن مدارك التحصيل،، فخير الامـور اوسطها، والغرض مـا يقرب المقاصد ويضبطها،، فاعرب b من الفاظها كلّ خفى، واسكت من لغاتها عن كلّ جلى،، والله اسأل ان يبلغنا بما قصدناه، ويوردنا احسن الموارد فيما اردناه،، انتهى وسمى الشرح المذكور طراز الحلة٠ وشفآء الغلة، وممّا اورده رحمه فـى ذلك الشرح من نظم نفسه قوله

طـيـبـة مـا اطيـبـهـا مـنـزلا سقـى ثـراهـا الـمـطـرُ الصيّبُ
طـابـت بـمـن حـلّ بـأرجـآئها فـالترب مـنـهـا عـنـبـر طـيّـبُ
يـا طِيب عيشى عند ذكرى لها والعيش فى ذاك الحمى اطيبُ

a) L. البيها. b) R. فاعرف.

وقال رحمه فى هذا الشرح بعد كلام ما نصّه واذا اردت ان تنظر الى تفاوت درجات الكلام فى هذا المقام فانظر الى اسحق الموصلى كيف جآء الى قصر مجيد، ومحلّ سرور جديد،، فخاطبه بما يخاطب به الطلول الباليه، والمنازل الدارسة الخاليه،، فقال يا دار غيّرك البلا ومحاك فاحزن فى موضع السّرور، واجرى كلامه على عكس الامور،، وانظر الى قول القطامى

انا محيّوك فاسلمْ ايّها الطللُ وان بليت وان طالت بك الطِيَلُ

فانظر كيف جآء الى طلل بال، ورسم خال،، فاحسن حين حيّاه، ودعا له بالسلامة كالمبتهج برؤية محيّاه، فلم يذكر دروس الطلل وبلاه،، حتى انس السامع باوفى التحيّة وازكى السلامة والذى فتح هذا الباب، واطنب فيه غاية الاطناب،، صاحب اللوا، ومقدم الشعرا،، حيث قال

الا عِمْ صباحا ايّها الطلل البالى وهل يعمَنْ من كان فى العصر الخالى
وهل يعمنْ الا سعيد مخلّد قليل الهموم ما يبيت بأوجال

قيل وهذا البيت الاخير يحسن أن يكون من اوصاف الجنّة لان السعادة والخلود وقلة الهموم والاوجال لا توجَدُ الا فى الجنّة انتهى، وقال رحمه عند رحيله من غرناطة واعلام نجد تلوح، وحمائمه تشدو على الايك وتنوح،،

ولما وقفنا للوداع وقد بدت قباب بنجد قد علت ذلك الوادى
نظرت فالفيت a السبيكة فضّة لحسن بياض الزهر فى ذلك النادى
فلمّا كستها الشمسُ عاد لُجَيْنُها لها ذهبا فاعجبْ لاكسيرها البادى

والسبيكة موضع خارج غرناطة، وقال رحمه

هذه عشرة تقضّت وعندى من أليم البعاد شوق شديد
واذا ما رأيت اطفاء شوقى بالتلاقى فذاك رأى سديدُ

وقال رحمه وقد اهدى طاقيّة

خذها اليك هديّة ممن يعزّ على اناسك اخترتُها لك عندما
اضحت هديّة كلّ ناسكْ ارسلتُها طاقيّة لتنوب عن تقبيل راسكْ

وله من رسالة وافى كتابُك فوجدناه ازهى من الازهار، وابهى من حسن الحباب على

a) L. فالفينا ; R. فالقيت.

الأنهار، يشرق اشراق نجوم السما، ويسمو الى الاسماع سمو حَباب الما، وقال رحمه في العروض على مذهب الخليل

خلِ الانام ولا تخالط منهم احدا ولو اصغى اليك ضمائره
ان الموفق من يكون كأنه متقارب فهو الوحيد بدائره

وقال على مذهب الاخفش

ان الخلاص من الانام لراحة لكنّه ما نال ذلك سالكُ
اضحى بدائرة له متقارب يرجو الخلاص فعاقه متداركُ

وله

دائرة الحبّ قد تناهت فما لها في الهوى مزيدُ
فبحر شوقي بها طويل وبحر دمعي بها مديدُ
وانّ وجدي بها بسيط فليفعل الحسن ما يريدُ

وهذا المعنى استعمله الشعرآء كثيرا، ومنهم الشيخ شهاب الدين ابن صاروا البعلي، قال ابو جعفر المترجم به انشدنا شهاب الدين المذكور لنفسه بحماه

وبي عروضي سريع الجفا يغار غصن البان من عطفه
الورد من وجنته وافر لكنّه يمنع من قطفه

قال وانشدنا ايضا لنفسه

وبي عروضي سريع الجفا وجدي به مثل جفاه طويلْ
قلت له قطعتَ قلبي اسا فقال لي التقطيع دأب الخليلْ

وانشد رحمه لرفيقه ابن جابر الضرير السابق الترجمة في ذلك

ان صد عني فانّي لا أعاتبه فما التنافر في الغزلان تنقيص
شوقي مديد وحبّي كامل ابدا لاجل ذلك قلبي فيه موقوصُ

وانشد له ايضا في ذلك

عالم بالعروض يخبن قلبي في مديد الهوى بلحظٍ سريعِ
عنده وافر من الردف يبدو وخفيف من خصره المقطوعِ

وله

صدوده لي مديد وأمرُ حبّي طويلُ وفيه أسْباب حسن
وتلك فهي الاصُولُ فخصره لي خفيف وردفه لي ثقيلُ

وله

سبب خفيف خصرها وورآءهُ من ردفها سببٌ ثقيل ظاهرُ

لم يُجْمَع النوعان فى تركيبها　　الّا كأنّ[a] الحسن فيها وافرُ

وقد ذكر ابو جعفر رحمه لرفيقه ابن جابر السّابق الذكر مقطوعات كثيرة منها قوله

يا ايّها الحادى اسْقنى كاس السرى　　نحو الحبيب ومُهجتى للسّاقى

حتّى العراق على النوى واحملْ الى　　اهل الحجاز رسائل العُشّاقِ

يا حسن ألحان الحداة اذا جرت　　نغماتها بمسامع المشتاقِ

واورد له ايضا　يا حسن ليلتنا التى قد زارنى　　فيها فأنجز ما مضى من وعده

قومتُ شمس جماله فوجدتها　　فى عقرب الصدغ الذى فى خدّه

رجع الى ابى جعفر رحمه ومن فوآئده انه لما ذكر فذلكة الحسّاب فقال عن التى يصنعها اهل الحساب آخر جملهم المتقدّمة فيقولون فذلك كذا وكذا انتهى، ولما انشد رحمه قول بعضهم

غزال قد غزا قلبى　　بألحاظ وأحداقِ　　له الثلثان من قلبى

وثلثا ثلثه الباقى　　وثلثا ثلثِ ما يبقى　　وباقى الثلث للساقى

وتبقى اسهم　　تقسم　　ن عشاق

قال ما نصّه هذا الشاعر قسّم قلبه الى ٨١ سهما فجعل لمحبوبه منها الثلثين ٥٤ وبقى الثلث ٢٧ فزاده ثلثيه ١٨ فصار له ٧٢ يبقى ثلثُ الثلث وهو ٩ زاده منها ثلثى ثلثها وهو اثنان وبقى من الثلث واحد اعطاه للسافى فبقى من التسعة ستة قسمها بين العشاق فاجتمع لمحبوبه ٧٤ وللساقى سهم واحد وللعُشّاق ستة والجملة ٨١ انتهى،

وانشد رحمه فى علم الحساب لرفيقه ابن جابر السابق الذكر

قسم القلب فى الغرام بلحظ　　يضرب القلب حين يرسل سهمَهْ

هذه فى هواه يا قوم حالى　　ضاع قلبى ما بين ضرب وقسمهْ

وانشد له فى الهندسة

محيط باشكال الملاحة وجهُه　　كأنّ به اقليدسا يتحدّث

فعارضه خطّ استوآء وخاله　　به نقطة والشكل شكل مثلّث

وانشد له فى خطّ الرمل

فوق خدّيه للعذار طريق　　قد بدا تحته بياض وحمرهْ

---

a) S. لأنّ.

قيل ما ذا فقلت اشكال حسن   تقتضى ان ابيع قلبى بنظرة

وانشد له فى علم الخطّ

قد حقق الحسن نونُ حاجبه   وخطّ فى الصدغ واو ريحانِ
ومدّ من حسنٍ قدّه ألفا   اوقف عينى وقوف حيرانِ

وانشد له ايضا

الف ابن مقلة فى الكتاب كقدّه   والنون مثل الصدغ فى التحسين
والعين مثل العين لكن هذه   شكلتْ بحسن وقاحة ومُجون
وعلى الجبين لشعره سين بدت   حار ابن مقلة عند تلك السين
قل للذى قد خطّ تحت الصدغ من   خيلانه نقطا لجُلْب فنونِ
يا للرجال ويا لها من فتنةٍ   فى وضع ذاك النقط تحت النونِ

واورد له فى ذكر الأقلام السبعة وغيرها

تعليق ردفك بالخصر الخفيف له   ثلث الجمال وقد وفته أجفان
خدّ عليه رقاع الروض قد جعلت   وفى حواشيه للصُّدْغَيْن ريحان
خطّ الشباب بطومار العذار به   سطرا فغصّاحه للناس فتّان
محقّقٌ نسخ صبرى عن هواه ومن   توقيع مَدْمَعِىَ المنثور برهان
يا حسن ما قلم الاشعار خطّ على   ذاك الجبين فلا يسْلوه انسان
اقسمت بالمصحف الشامى واحرفه   ما مرّ بالبال يوما عنك سَلْوان
ولا غُبار على حبّى فعندك لى   حساب شوق له فى القلب ديوان

وانشد له   يا صاحب المال لم تستمعْ   لقوله ما عندكم ينفدُ
فاعملْ به خيرا فوالله ما   يبقى ولا انت به مخلَدُ

وله   ان شئت ان تجد العدوّ وقد غدا   لك صاحبا يولى الجميل ويحسنُ
فاعملْ كما قال الخبير لخلقه   فى قوله ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ[a]

وله   اذا شئت رزقا بلا حسبة   فلُذْ   وانبع سبيلَهْ
وتصديق ذلك فى قوله   ومن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ[b].

واورد له قوله   عملٌ ان لم يوافق نيّةً   فهو غَرْسٌ لا يرى منه ثَمرْ

a) Voyez Sour. 23, vs. 98.   b) Voyez Sour. 65, vs. 2.

انّما الأعمالُ بالنيّات قد نصّه عن سيّد الخلق عُمَرْ

وقوله الخير فى اشيآء عن خير الورى وردت فابدت كلّ نهج بيّنِ
دعْ ما يريبك واعملنْ بنيّة وازهدْ ولا تغضب وخلقك حسّنِ

وقوله حيآء المرء يزجره فيخشى فخفْ من لا يكون له حيآءُ
فقد قال الرسول بان مما به نطق الكرامُ الانبيآءُ
اذا ما انت لم تستحى فاصنعْ كما تختار وافعلْ ما تشآءُ

وقوله قال الرسول الحيآءُ خير فاصحبْ مِنَ الناس ذا حيآهْ
وعن قليل الحيآء فابعدْ فخيره ليس ذا رجآهْ

وقوله من سلم المسلمون كلّهمْ وأمنعوا من لسانه ويَدِهْ
فذلك المسلم الحقيق بذا جآء حديث لا شكّ فى سَنَدِهْ

ولابن جابر ممّا كتب به الى الصلاح الصفدىّ

ان البراعة لفظ انت معناه وكلّ شىء بديع انت مغناه
انشاد نظمك a اشهى عند سامعه من نظم غيرك لو اسحق غناه

وهى طويلة فاجاب الصفدىّ بقوله

يا فاضلا كرمت فينا سجاياه وخصّنا بلآلى فى هداياه
خصّصتنى بقريض شقّ جوهره لمّا تألّق منه نورُ معناهُ
من كلّ بيت مبانيه مشيّدة كم من خبايا معان فى زواياهُ

وهى طويلة ، رجع الى نظم ابى جعفر فمن ذلك قوله

تريك قدّا على ردف تجاذبه كخوطة فى كثيب الرمل قد نبتتْ
ريّا القرنفل فى ريح الصبا سحرا يضوع منها اذا نحوى قد التفتتْ

عقد بهما ألفاظ قول امرئ القيس b

اذا التفتت نحوى تضوّع ريحها نسيمَ الصبا جآءت بريّا القرنفلِ

واورد له قوله

ولو لا نجآء العيس حول ديارها غداةَ مِنًى لم يبق فى الركب محرمُ
ففوق ذرى المتّين برد مهلّل وتحت ردآء الخزّ وجه منعّمُ

a) S. لغظك. b) Voyez la note de M. Arnold dans son éd. des 7 *Mo'allakāt*, Amro'l-kais, vs. 29.

عقد فى الاول قول قيس بن الحطيم

دِيارُ التى كنّا ونحن على منى　　تحوط بِنا لولا نجآءَ الركآئب

وعقد فى الثانى قول ابن اخى ربيعة

أَماطت رِدآءَ الخزّ عن حرّ وجهها　　وأَرْخت على المتّين بردا مهلّلا

واورد له قوله

ان أَدّعى لكَ مَرْوان الجلال فقلْ　　لا يجهل المرءُ بين الناس رتبتَهْ

ان الجلالة حقّا للمقول له　　هذا الذى تعرف البطحآءُ وَطْأَتَهْ

وقوله　من مُنصفى يا قوم من ظبية　　تسرف فى هجرى وتابى الوصالْ

وكلّما اسْأل عن عُذرها　　تقول لى ما كلُّ عُذر يقالْ

وقوله　همَ حسدوا الرسول فلم يجيبوا　　وكم حسدوا فصار لهم فرارُ

وهاجر عندما هجروا فاضحى　　لخيمة أُمّ مَعْبدٍ الفخارُ

وقوله　بحسبكَ أَن تبيت على رجآءٍ　　ولو حَطّتْكَ للياس الخطوبُ

ومهمى اكربتكَ صروف دهرٍ　　فقلْ ما قاله الرجُل الاريبُ

عسى الكربُ الذى امسيتُ فيه　　يكون ورآءه فرج قريبُ

وقوله　خليلى هذا قبرُ اشرف مرسَل　　قفا نَبكِ من ذكرى　　ومنزلِ

رويدَكُما نبكى الذنوب التى خلت　　بِسقْطِ اللّوَى بين الدخول فحومَلِ

منازل كانت للتصابى فأَقفرت　　لما نسجتها من جنوب [a] وشمألِ [b]

قال ثم جرى على هذا النمط، واستخرج الدررَ النفيسة من ذلك السفط،، وقال قبله انه اخذ أعجاز هذه القصيدة من اولها الى آخرها على التوالى وصنع لها صدورا وصرفها الى مدح النبى صلّعم فجآء فى ذلك بما لم يسبق اليه، ولم يقع احد فى تلك المعانى على ما وقع عليه،، انتهى، وقوله

كم ليال خلت بكم كاللآلى　　نظمتها لنا يدُ الأزمانِ

ايّها النازحون عن رأى عينى　　وهم فى جوانحى وجنانى

وقوله　ما الذّ الوصال بعد التنائى　　وامرّ الفراق بعد التدانى

وقوله　قد وكلْناكمُ لربّ كريم　　غيرِ وانٍ عن عبده فى أوان

a) Les man. portent هبوب.　b) Voyez la Mo'allaka d'Amru'l-kais, v. 1 et suiv.

ما رحلنا عن اختيار ولكنْ رحّلتنا تلوّنات الزمانِ

وقوله تشتكى الصفر من يديه وترضى السمر عن راختيه عند الحروب

احمر السيف اخضر السيب حيث الارض غبرآء من سواد الخطوب

وقوله مما التزم اوّله الدال

دفاع لمكروه امان لخائف سحاب لمستجد هلاك لمستعدى

دروب على الحسنى عفوٌ لمن جنى مثيبٌ لمن اثنى مجيب لذى قصدى

دع الغيث ان اعطى دع الليث ان سطا دع الروض اذ يُهدَى دع البُدّ اذ يَهدِى

وقوله غزال ما توسّد ظلّ بان بهاجرة ولا عرف الظلالا

تبسّم لؤلؤا واهتزّ غصنا واعرض شادنا وبدا هلالا

وقوله رفع الخصر فوق منصوب ردف ولجَزْم القلوب فرعيه جرّا

مال غصنا وما رشا فاح مسكا تاهَ دَرّا ارخى دجى لاح بدرا

وقوله حين زار قبر قسّ بن ساعدة بجبل سمعان

هذى منازل ذى العُلى قسّ بن ساعدة الايادى

كم عاش فى الدنيا وكم اسدى * الينا من أيادِه

قد زانها بحُلى البلاغة مفصحا فى كلّ ناد، فرّ منه فى كلّ بطن الثرى متفردا بين العباد،، قال ابو جعفر زرنا قبره فراينا موضعا ترتاح اليه النفس، ويلوح عليه الانس،، وعند قبره عين مآء يقال انه ليس بجبل سمعان عين تجرى غيرها هنالك واورد له قوله

كرام فخام من ذؤابة هاشم يقولون للاضياف اهلا ومرحبا

فيعل فى فقر المقلّين جودهم كفعل عليّ يوم حارب مَرْحبا

رجع الى ابى جعفر رحه فنقول انه كان بمدينة النبى صلعم سنة ٧٥٥ ولما ذكر الروضة قال قيل لا تكون الروضة الا بما سقتها ازال جنبها ولا يقال فى موضع الشجر روضة انتهى، وقال

لقوامه الالف التى جاءت بحُسن ما أُلفْ

عانقتُه فكأننى لام معانقةَ الالفْ

وقال رحه معتذرا عمّن لم يسلّم

a) Dans le man. G. il y a ici un blanc. S. لآمله الايادى. b) Voyez Caussin, *Essai*, III, 197 et suiv.

لا تعتبنّ على ترك السلام فقد ، جآءتك احرفه كتبا بلا قلَمِ

فالسين من طُرّتي واللام مع الف ، من عارضَيَّ وهذا الميم ميمُ فَمي

وقال رحمه ، لا يعظمّك ذنبٌ ، قد كان منك عظيمُ ، فالله قد قال قولا

وهو الجواد الكريمُ ، نَبِّئْ عبادِيَ انّي ، انا الغفور الرحيمُ

وقال ، اذا ظلمَ المرءُ فاصبرْ له ، فبالقرب يقطع منه الوتينْ

فقد قال ربّك وهو القوى ، وأُملِي لهم انّ كيدى متينْ

ومن نثره لما ذكر قصيدة كعب بن زهير رضه ما نصّه وهذه القصيدة لها الشرف الراسخ، والحكم الذى لم يوجد له ناسخ،، انشدها كعب فى مسجد المصطفى صلّعم بحضرته وحضرة اصحابه، وتوسّل بها فوصل الى العفو عن عقابه،، فسدّ صلّعم خلّته، وخلع عليه حُلّته،، وكفّ عنه كفّ من اراده، وابلغه فى نفسه واهله مرادَه،، وذلك بعد اهدار دمه، وما سبق من هَذَر كلمه،، فمحت حسناتها تلك الذنوب، وسترت محاسنها وجهَ تلك العيوب،، ولو لا منع المدح والغزل، وقطع من اخذ الجوآئز على الشعرِ الامَل،، فهى حجّة الشعرآء فيما سلكوه، وملاك امرهم فيما ملكوه،، حدثنى بعض شيوخنا بالاسكندريّة باسناده ان بعض العلمآء كان لا يستفتح مجلسه الا بقصيدة كعب فقيل له فى ذلك فقال رايت رسول الله صلّعم فقلت يا رسول الله قصيدة كعب انشدها بين يديك فقال نعم وانا احبّها واحبّ من احبّها قال فعاهدت الله انى لا اخلو من قرآتها كلّ يوم، قلت ولم تزل الشعرآء من ذلك الوقت الى الآن ينسجون على منوالها، ويقتدون باقوالها،، تبركا بمن أُنشدتْ بين يديه، ونسب مدحها اليه،، ولمّا صنع القاضى محيى الدين ابن عبد الظاهر قصيدة فى مدح النبى صلّعم على وزنِ بَانت سُعاد قال

لقد قال كعب فى النبىّ قصيدة ، وقلنا عسى فى مدحه نتشاركُ

فان شملتْنا بالجوآئز رحمة ، كرحمة كعب فهو كعب مباركُ

انتهى، وقال رحمه

لقد [illegible] العذار بوجنتيه ، كما كرّ الظلام على النهار

فغابت شمسُ وجنته وجآءت ، على مَهَلٍ عشيّات العذار

فقلت لناظرى لمّا رآها ، وقد خلط السوادَ بالاحمرارِ

تمتع من شميم عرار نَجْدٍ ، فما بعد العشيّة من عرارِ

وقال قالوا عشقتَ وقد اضرّ بك الهوى فاجبتهم يا ليتنى لم اعشق
قالوا سبقت الى محبّة حسنه فاجبتهم ما فاز من لم يسبِق

ولما انشد رحمه قول ابن الخشاب فى المستضىء بالله

ورد الورى سلسال جودك فارتووا ووقفت دون الورد وقفة حائم
ظمآن اطلب خِفةً مِن زَحْمَةٍ والورد لا يزداد غير تزاحمِ

قال ما نصّه فانظر حُسْن هذين البيتين كيف جريا كالمآء فى سلاسته، ووقعا من القلوب كالشهد فى حلاوته،، مع انّ ناظمهما ما خرج عن وصف المآء كلامُه، ولا تعدّى ذلك المعنى نظامُه،، حتى قيل ان فيهما ١٠ مواضع من مراعاة النظير، فهما فى الحسن ما لهما من نظير،، لكنه ما سلم مليحٌ من عيب، ولا خلا من وقوع ريب،، فمع هذه لمحاسن الوافيه، ما سلما من عيب القافيه،، انتهى، ولنختم ترجمته بقوله عند شرح بيت رفيقه

خير الليالى ليالى الخير فى اضم والقوم قد بلغوا أَقصَى مرادهمِ

ما نصه يقول أنّ خير الليالى التى تنشرح لها الصدور، ويحمد فيها الوُرود والصدور،، ليالى الخير فى اضَم، حيث النزيل لم يُضَم، والقوم قد وردوا موارد الكرم، وبلغوا اقصى مرادهم فى ذلك الحرم،،

---

٣٠١ ومن الراحلين a) الولىّ الصالح ابو مروان عبد الملك بن ابراهيم بن بشر القيسى وهو ابن اخت ابن صاحب الصلاة البجانسى نسبة الى بجانس قرية من قرى وادى آش وكان رحمه اواسط المائة السابعة وقد ذكره الفقيه ابو العبّاس احمد بن ابراهيم ابن يحيى الأزدى القَشْتالى فى تاليفه الذى سمّاه تحفة المُغْرب ببلاد المغرب، وقال فيه راضوا نفوسهم لتنقاد للمولى سِرّا وعَلَنا، وزهدوا فى الدنيا فلم يقولوا معنا ولنا، وانتدبوا لقول الله تع وَٱلَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهم سُبُلَنَا b)،، وقال صاحبُ التاليف المذكور سألت الشيخ ابا مروان يوما فى مسيرى معه من وادى آش الى بلده بجانس سنة ٦٤٩ فقلت له يا سيّدى انت لم تكن قرأت ولا لازمت المشايخ قبل سفرك للمشرق ولا سافرت مع عالم تقتدى ببركته فى هذا الطريق فقال لى اقام الله لى من باطنى شيخا قلت له كيف قال كنت اذا عرض لى أمرٌ نظرت فى خاطرى فيخطر

a) Les man. portent الداخلين. b) Voyez Sour. 29, vs. 69.

لى خاطران فى ذلك احدهما محمود والآخر مذموم فكنت اجتنب المذموم وارتكب المحمود فاذا وصلت الى اقرب بلد سألت عمن فيه من المشايخ او العلمآء فاسأله عن ذلك فكان يذكر لى المحمود محمودا والمذموم مذموما فاحمد الله ان وفقنى ومع تتابعى ذلك واتصاله دون مخالفة لم اعتهد على ما يقع بخاطرى من الامور الشرعيّة الى الآن حتى اسال عنه من حضر من العلمآء انتهى، ومن كلام صاحب التاليف المذكور قوله فى حقّ الصوفيّة نفعنا الله بهم حموا طريق الحق فحاماهم، ونوّر بصائرهم فاصمّهم عن الباطل واعماهم، واهانوا فى رضاه نفوسهم ورفضوا نعماهم، فأعلى قدرهم عنده وعند الناس واسماهم،، انتهى، وما احسن قوله فى التاليف المذكور يا هذا من حافظ حفوظ عليه، ومن طلب الخير بصدق وصل اليه، ومن اخلص العبوديّة لربّه قام الاحرار خدمة بين يديه،، انتهى،

٣٠٢ ومنهم الطبيب الماهر الشهير ضياء الدين ابو محمد عبد الله بن احمد بن البيطار المالقى نزيل القاهرة وهو الذى عناه ابن سعيد فى كتابه المُغْرب بقوله وقد جمع ابو محمد المالقى الساكن الآن بقاهرة مصر كتابا فى هذا الشان حشر اليه ما سمع به فقدر عليه من تصانيف الادوية المفردة ككتاب الغافقى وكتاب الزهراوى وكتاب الشريف الادريسى الصقلىّ وغيرها وضبطه على حروف المعاجم وهو النهاية فى مقصده انتهى، وقد ذكرت كلام ابن سعيد هذا بجملته فى غير هذا الموضع فليراجع، وكان ابن البيطار اوحد اهل زمانه فى معرفة النبات سافر الى بلاد الاغارقة واقصى بلاد الرّوم والمغرب واجتمع بجماعة كثيرة من الذين يعانون هذا الفنّ وعاين منابته وتحققها وعاد بعد اسفاره وخدم الكامل ابن العادل وكان يعتمد عليه فى الادوية والحشائش وجعله فى الديار المصريّة رئيسا على ساير العشّابين واصحاب البَسْطات ومن بعده خدم والده الصّالح وكان حظيا عنده الى ان توفى بشعبان سنة ٦٤٦ التى توفى بها ابن الحاجب وله من المصنفات كتاب الجامع فى الادوية المفردة وكتاب المغنى ايضا فى الادوية وكتاب الابانة والاعلام بما فى المنهاج من الخلل والاوهام وكتاب الافعال العجيبة والخواصّ الغريبة وشرح كتاب ديسقوريدوس، قال الذهبى انتهت اليه معرفة تحقيق النبات وصفاته واماكنه ومنافعه وتوفى بدمشق انتهى،

٣٠٣ ومنهم الشيخ ابو الحسن على بن محمد بن محمد بن على القرشى البسطى

الشهير بالقَلَصادى بفتحات كما قال السخاوى الصالح الرحلة المؤلف الفرضى آخر مَن له التآليف الكثيرة من ائمّة الاندلس واكثر تصانيفه فى الحساب والفرآئض كشرحَيْه العجيبين على تلخيص ابن البنّآء والحوفى وكفاه فخرا ان الامام السنوسى صاحب العقآئد اخذ عنه جملة من الفرآئض والحساب واجازه جميع مرويّاته واصله من بسطة ثم انتقل الى غرناطة فاستوطنها واخذ بها عن جماعة كابن فتوح والسرقسطى وغيرهما ثم ارتحل الى المشرق ومرّ بتلمسان واخذ بها عن الامام عالم الدنيا ابن مرزوق والقاضى ابى الفضل قاسم العقبانى وابى العباس ابن زاغ وغيرهم ثم ارتحل فلقى بتونس تلامذة ابن عرفة كابن عقاب والقلشانى وطولو a وغيرهم ثم حجّ ولقى اعلاما وعاد فاستوطن غرناطة الى ان حلّ بوطنه ما حل فتحيّل فى خلاصه من الشرك وارتحل ومرّ بتلمسان فنزل بها على الكفيف ابن مرزوق ابن شيخه ثم جدّت به الرحلة الى ان وافته منيته بباجة افريقية منتصف ذى الحجّة سنة ٨٩١ وكان كثير المواظبة على الدروس والكتابة والتاليف ومن تواليفه اشرف المسالك· الى مذهب مالك، وشرح مختصر خليل، وشرح الرسالة، وشرح التلقين، وهداية الانام b· فى شرح مختصر قوآئد الاسلام، وهو شرح مفيد وشرح رجز القرطبى وتنبيه الانسان· الى علم الميزان، والمدخل الضرورى وشرح إيساغوجى فى المنطق وله شرح الانوار السنيّة لابن جزى وشرح رجز الشراز فى الفرآئض الذى اوله

بحمد خير الوارثين أبتدى   وبالسراج النبوى أهتدى

وشرح حِكم ابن عطآء الله ورَجز ابى عمرو ابن منظور فى أسمآء النبى صلّعم وشرح البردة ورجز ابن برّى ورجز شيخه ابى اسحق ابن فتوح فى النجوم الذى اوله

سبحان رافع السمآء سَقْفا   ناصبها دلالة لا تخفى

وشرح رجز ابى مقرعة وله النصيحة فى السياسة العامّة والخاصّة وهداية النظار· فى تحفة الاحكام والاسرار، وكشف الجلباب· عن علم الحساب، وكشف الاسرار· عن علم الغبار، والتبصرة وقانون الحساب فى قدر التلخيص وشرحه وشرحان على التلخيص كبير وصغير وشرح ابن الياسمين فى الجبر والمقابلة ومختصره وكليات الفرآئض وشرحها وشرحان للتلمسانيّة كبير وصغير وشرح فرآئض صالح بن شريف وابن الشاط وفرآئض

a) Telle est la leçon du man. G. Je ne sais si ce mot est correct; L. طواو ; S. حلولو.
b) S. الامام.

مختصر خليل والتلقين وابن الحاجب وله كتاب الغنية فى الفرآئض وغنية النجاة a وشرحاها الكبير والصغير وتقريب المواريث ومنتهى العقول البواحث وشرح مختصر العقبانى ولم يتم ومدخل الطالبين ومختصر مفيد فى النحو وشرح رجز ابن مالك والجرومية والجمل الزجاجى وملحة الحريرى والخزرجية ومختصر فى العروض وغير ذلك واخذ بمصر عن الحافظ ابن حجر والزين طاهر النويرى وابى القاسم النويرى والعلامة جلال المحلّى والتقى الشُّمُنّى وابى الفتح المراغى وغيرهم حسبما ذكر ذلك فى رحلته الشهيرة وهى حاوية لشيوخه بالمغرب والمشرق وجملة من احوالهم رحم الله الجميع،

٢٤٤ ومنهم ابو عبد الله الراعى وهو شمس الدين محمد بن اسمعيل الاندلسى الغرناطى ولد بها سنة ٧٨٣ تقريبا ونشأ بها واخذ الفقه والاصول والعربيّة عن جماعة منهم ابو جعفر احمد بن ادريس بن سعيد الاندلسى وسمع على ابى بكر عبد الله بن محمد ابن محمد المعافرى ابن الدبّ ويعرف بابن ابى عامر والخطيب ابى عبد الله محمد ابن على بن الحفار ومحمد بن عبد الملك بن على القيسى المنثورى صاحب الفهرسة الكبيرة الشهيرة وممّا اخذ عنه الجروميّة باخذه لها عن الخطيب ابى جعفر احمد بن محمد بن سالم الجذامى عن القاضى ابى عبد الله محمد بن ابراهيم الحضرمى عن مؤلفها ابى عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجى عرف بابن آجرّوم وجميع خلاصة الباحثين فى حصْر حال الوارثين للقاضى ابى بكر عبد الله بن يحيى بن زكريآء الانصارى باخذه لها عن مؤلفها واجازه ابو الحسن على بن عبد الله بن الحسن الجذامى والقاضى ابو الفضل قاسم بن سعيد العقبانى والعلامة ابو الفضل محمد بن ابرٰهيم بن عبد الرحمن بن الامام وعالم الدنيا ابو عبد الله محمد ابن مرزوق التلمسانى وغيرهم من المغاربة ومن اشياخه من اهل المشرق الكمال ابن خير السكندرىّ والزين ابو بكر المراغى والزين محمد الطبرى وابو اسحق ابرٰهيم بن العفيف النابلسى فى آخرين ودخل القاهرة سنة ٨٢٥ فحج فاستوطنها وسمع بها من الشهاب المتبولى وابن الجزرى والحافظ ابن حجر وطائفة وامّ بالمؤيّديّة وقتا وتصدّى للاشتغال فانتفع به الناس طبقة بعد اخرى لا سيّما العربيّة بل هى كانت فنّه الذى اشتهر به وبجودة الارشاد لها وشرح * كلا من b الالفية والجرومية والقواعد وغيرها

a) Faudrait-il préférer la leçon du man. S., qui porte النحاة ? b) S. كلام.

- ممّا حمله عنه الفضلآء وله نظم وسَط، قالَ السخاوى كتبت عنه منه الكثير وممّا لم اسمعه منه ما اودعه فى مقدمة كتاب صنفه فى نصرة مذهبه واثبته دفعا لشىء اليه فقال

عليك بتقوى الله ما شئت واتبع   ائمّة دين الحق تهدى وتسعَدُ
الكهم الشافعىّ واحمدْ   ونعمانهم كلٌّ الى الخير يرشد
فتابعْ لمن احببت منهم ولا تملّ   لذى الجهل والتعصيب ان شئت تحمدُ
فكلٌّ سوآء فى وجيبة ٱلاقتدا   متابعهم جنّات عدن تخلّدُ
وحبّهم دين يزين وبُغْضُهم   خروج عن الاسلام والحق يبعدُ
فلعنة ربّ العرش والخلق كلهم   على من قلاهم والتعصّب يقصدُ

وكان حادّ اللسان[a] والخلق شديد النفْرة من الشيخ يحيى العجيسى اضرّ بآخره ومات بسكنه بالصالحيّة يوم الثلاثا ٢٧[b] ذى الحجة سنة ٨٥٣ بعد ان انشد قبيل موته بشهر فى حال صحته الشيخَ جمال الدين ابنْ الامانة من نظمه

أفكّرُ فى موتى وبعد فضيحتى   فيحزن قلبى من عظيم خطيئتى
وتبكى دما عينى وحقّ لها البكا   على سُوء افعالى وقلّة حيلتى
وقد ذات اكبادى عنآء وحسرةً   على بُعد اوطانى وفقد احبّتى
فما لىَ الّا الله ارجوه دائما   ولا سيّما عند اقتراب منيّتى
فنسأل ربّى فى وفاتىَ مؤمنا   بجاه رسول الله خير البريّتِ

قالَ السخاوى ومما كتبته عنه

حَوّل[c] المعلم باكيا ودموعه   الفيته قد صاغها من كوثرِ
نثر الدموع على الخدود فخلتها   دُرًّا تناثر فى عقيق احمر

وقوله   عليك بنعمة ربّ العُلى   وراعِ الملوك لرعى الذمَمْ
وذو العلم فارع له حقّه   والّا تفارقْ وتلق الندمْ
فهذا مقالىَ فلتسمعوا   نصيحة حَبْر من اهل الحكَمْ
اذا كنتَ فى نعمة فارْعِها   فان المعاصى تزيل النعمْ

وقوله   للغرب فضل شايع لا يجهل   ولاهله شرف ودين يكملُ

a) G. الناس; L. الباس. b) G. ٢٢. c) Je crois qu'il faut lire حزن.

ظهرت به اعلام حق حُقّقتْ ما قاله خير الانام المرسلُ

من أنّ اهله للقيامة لن يزا لوا ظاهرين على الهدى لن يخذلوا

وممّن حدّث عن الراعى، الحافظ ابن فهْد والبرهان البقاعى، ومن تاليفه شرح القواعد وكتفه انتصار الفقير السالك لمذهب الامام الكبير مالك، فى كراريس ۴ حسن فى موضوعه وله النوازل النحويّة فى ١٠ كراريس واكثر وفيها فوآئد حسنة وأبحاث رايقة تكلّم معه فى بعضها ابو عبد الله ابن العبّاس التلمسانى وذكر بعضهم انه اختصر شرح شيخه ابن مرزوق على مختصر الشيخ خليل من باب القضآء الى آخر الكتاب انتهى، وجرت له فى صغره حكاية دلت على نبله وهى انه دخل رجل على الطلبة وهم بجامع غرناطة فسألهم عمّن كان ورآء امام فحدث للامام عذر ذهب لاجله مثل الرُّعاف مثلا فصلّوا بعض الصلاة لانفسهم ثم اقتدوا بامام منهم ,قدّموه فيما بقى فهل تصحّ صلاتهم ام لا فلم يكن عند احد من الحاضرين فيها علم فقال هو انّ الصلاة باطلة لانّ النحاة يقولون الاتباع بعد القطع لا يجوز وقد حكى ذلك فى شرحه للجروميّة الذى سمّاه بعنوان الافادة فى باب النعت ان قال ما نصّه كنت جالسا بمسجد قيساريّة غرناطة انتظر سيّدنا وشيخنا ابا الحسن على بن سمعة رحه مع جماعة من كبار طلبته ,وكنت اذذاك اصغرهم سنّا واقلّهم علما فدخل سائل سأل عن مسئلة فقهيّة نصّها انّ اماما صلّى بجماعة جزأً من صلاة ثم غلب عليه الحدث فخرج ولم يستخلف لهم فقام كلّ واحد من الجماعة وصلّى وحده جزأً من الصّلاة ثم من بعد ذلك استخلفوا مَن اتمّ بهم الصلاة فهل تصحّ تلك الصلاة ام لا فلم يكن فيها عند الحاضرين من جواب فقلت انا اجاوب فيها بجواب نحوىّ فقالوا هات الجواب فقلت هذا اتباع بعد القطع وهو ممتنع عند النحويّين فصلاة هٰؤلآء باطلة فاستظرفها منّى من حضر لصغر سنّى ثم طلبنا النصّ فيها فلم نلقه فى ذلك التاريخ ولو لقينا لكان الجواب حسنا انتهى، ومن ألغازه قوله

حاجيتكم نحاتنا المصريّه اولى الذكا والعلم والطعْميّه

ما كلمات اربع نحويّه جمعن فى حرفين للاحاجيّه

يعنى فعل الامر للواحد من واوىّ يائىّ اذا اضمر فانك تقول فيه ايا زيد على حرف واحد وهو الهمزة المقطوعة فاذا قلت قل ا ونقلت حركته على لغة النقل الى الساكن صار هكذا قُلِ فذهب فعل الامر وفاعلُهْ فهى كلمات اربع فعلا امرٍ وفاعلاهما

جمعن فى حرفين القاف واللام فافهمْ، واحسن من هذا قوله ملغزا فى ذلك ايضا

فى أىّ لفظ يا نحاة الملّة   حركة قامت مقام الجملهْ

وبالجملة فمحاسنه كثيرة رحمه الله ورضه، ومن فوائده قوله حكى لى بعض علمآء المالكيّة قال كنا نقرأ المدوّنة على الشيخ سراج الدين البلقينى الشافعىّ فوقعت مسئلة خلافيّة بين مالك والشافعىّ فقال الشيخ فى مسئلة مذهبنا كذا فى مسئلة لم يقل فيها الشافعىّ بما قال وانّما نسبها البلقينى لنفسه ثم فطن وخاف ان ينتقد عليه المالكيّة ويقولون له انت شافعىّ وهذا ليس مذهب الشافعىّ فقال، فان قلتم يا مالكيّة لسنا بمالكيّة وانما انتم شافعية a قلنا كذلك انتم قاسميّة وقد اجتمعنا الكل فى مالك قال وهذا كلام حلو حسَن فى غاية الانصاف من الشيخ قال ولما قرأ عليه كتاب الشفا مدحه واثنى عليه الى الغاية وكان يحضره جماعة من المالكيّة فقال القاضى جلال الدين ابنه ما لكم يا مالكيّة لا تكونون b مثل القاضى عياض فقال له ابوه الشيخ سراج الدين المذكور وما لك لا تقول للشافعيّة ما لكم يا شافعيّة ما لكم لا تكونون c مثل القاضى عياض، ومن فوائد الراعى فى باب العَلَم من شرحه على الالفيّة فى الكلب ١٠ خصال محمودة ينبغى ان تكون فى كلّ فقير لا يزال جايعا وهو من ادب الصالحين ولا يكون له موضع يعرف به وذلك من علامة المتوكلين ولا ينام من الليل الا القليل وذلك من صفات المحبّين واذا مات لا يكون له ميراث وذلك من اخلاق الزاهدين ولا يهجر صاحبه وان جفاه وطرده وذلك من شِيَم المريدين ويرضى من الدنيا بادنى يسير وذلك من اشارة القانعين واذا غلب عن مكانه تركه وانصرف الى غيره وذلك من علامة المتواضعين واذا ضرب وطرد ثم دعى اجاب وذلك من اخلاق الخاشعين واذا حضر شىء من الاكل وقف ينظر من بعد وذلك من اخلاق المساكين واذا رحل لا يرحل معه بشىء وذلك علامة المتجردين انتهى بمعناه وقد نسبه للحسن البصرى رحمه ورضه، ومن تصانيفه رحمه كتاب الفتح المنير فى بعض ما يحتاج اليه الفقير فى غاية الافادة ملكته بالمغرب ولم اره بهذه البلاد المشرقيّة وحفظت منه فوائد ممتعة،

ومن الراحلين الى d المشرق من e الاندلس بعد اخذ جميع بلاد الاندلس اعادها ٣٠٥

a) S. بشافعيّة. b) G. L. تكونوا. c) Même remarque. d) G. S. من. e) G. S. الى.

الله قاضى الجماعة بغرناطة ابو عبد الله ابن على بن محمد بن الازرق قال السخاوى انه لازم الاستاذ ابراهيم بن احمد بن فتوح مفتى غرناطة فى النحو والاصلين والمنطق بحيث كان جلّ انتفاعه به وحضر مجالس ابى عبد الله محمد بن محمد السرقسطى العالم الزاهد مفتيها ايضا فى الفقه ومجالس الخطيب ابى الفرج عبد الله ابن احمد البقنى(?) a) والشهاب قاضى الجماعة بغرناطة ابا العباس احمد بن ابى يحيى بن الشريف التلمسانى انتهى، وله رحمه تواليف منها بدآئع السلك، فى طبآئع الملك، كتاب حسن مفيد فى موضوعه لخص فيه كلام ابن خلدون فى مقدمة تاريخه وغيره مع زوآئد كثيرة ومنها روضة الاعلام بمنزلة العربيّة من علوم الاسلام. مجلد ضخم فيه فوآئد وحكايات لم يؤلف فى فنّه مثله وقفت عليه بتلمسان وحفظت منه ما انشده لبعض اهل عصره ممّا يكتب فى سيف

ان عمّت الافقَ من نقْع الوغى سحبٌ — فشم بها بارقا من لمع ايماض

وان نوت حركات النصْر ارض عدى — فليس للفتح الا فعلِيَ الماضى

ومن انشآئه فى التاليف المذكور ما صورته قلت ولقد كان شيخنا العلامة ابو اسحق ابرٰهيم بن احمد بن فتوح قدس الله روحه لصاحب البحث مجالا رحبا، ونوسع المراجع له قبولا ورُحْبا،، بل يطالب بذلك ويقتضيه، ويختار طريق التعليم به ويرتضيه،، توقيفا على ما خلص له تحقيقه، ووضح به فى معيار الاختيار تدقيقه،، والا فقد كان ما يلقيه غاية ما يتحصّل، ويتمهّد به مختار ما يحفظ ويتأصّل،، انتهى، وهو يدلّ على ملكته فى الانشآء ويحقق ما يحصّله الّا انّ ذلك اذا طال حتى وقع الملَل والضّجَر او كاد فينبغى الامساك عن البحث لئلّا يفضى الحال الى ما ينهى عنه، قال ومخالفة التلميذ الشيخ فى بعض المسآئل اذا كان لها وجه وعليها دليل قائم يقبله غير الشيخ من العلمآء ليس من سُوء ادب التلميذ مع الشيخ ولكن مع ملازمة التوقير الدائم، والاجلال الملائم،، فقد خالف ابن عباس عُمَر وعليّا وزيد بن ثابت رضهم وكان قد اخذ عنهم وخالف كثير من التابعين بعض الصحابة وانّما اخذوا العلم عنهم وخالف مالك كثيرا من اشياخه وخالف الشافعىّ وابن القاسم واشهب مالكا فى كثير من المسآئل وكان مالك اكبر اساتيذ الشافعىّ وقال لا احد

a) S. النفتى.

امنّ عليّ من مالك وكاد كلّ مَن اخذ العلم ان يخالفه بعض تلامذته فى عدّة مسآئل ولم يزل ذلك دأب التلاميذ مع الاساتيذ الى زماننا هذا وقد شاهدْنا ذلك فى اشياخنا مع اشياخهم رحمهم، قال ولا ينبغى للشيخ ان يتبرّم من هذه المخالفة اذا كانت على الوجه الذى وصفناه والله اعلم انتهى، ولما انشد ابن الازرق المذكور فى كتابه روضة الاعلام قول القآئل فى مدح ابن عصفور

نقل النحو الينا الدُّوَلى عن امير المؤمنين البَطَلِ
بدأ النحوَ عليٌّ وكذا ختم النحوَ ابن عصفور علي

قال بعده ما نصّه على ان صاحبنا الكاتب الاديب الابرع ابا عبد الله محمد بن الازرق الوادى آشى رحمه قد قال فيما يدافع ابن عصفور عمّا اقتضاه هذا المدح له بتفضيل الاستاذ المحقق ابى الحسن بن الضائع عليه ولقد ابدع فى ذلك ما شآء لما تضمّن من التورية

بضائعك ابن الضائع النّدْبِ a قد اتت بحظ من التحقيق والعلم موفورِ
نظرت عقابا كاسرا أوما ترى مطارك قد اعيى جناحَ ابن عصفورِ

انتهى، وقد نقل عن ابن الازرق صاحب المعيار فى جامعه واثنى عليه غير واحد ومن اعظم تاليفه شرحه الحافل على مختصر خليل المسمّى بشفآء الغليل b فى شرح مختصر خليل، وقد توارد معه الشيخ ابن غازى على هذه التسمية وكان مولانا العمّ الامام شيخ الاسلام سيدى سعيد بن احمد المقّرى رضه قال لى حين سالته عن هذا التوارد لعلّ تسمية ابن الازرق شفآء العليل بالعين المهملة، قلت يبعد ذلك ان جماعة من تلامذته الاكابر كالوادى آشى وغيره كتبوه بخطوطهم بالغين المعجمة فبان انه من توارُد الخواطر وان كلا منهما لم يقف على تسمية الآخر والله تع اعلم، وقد رايت جملة من هذا الشرح بتلمسان وذلك نحو ٣ مجلدات ولا ادرى هل اكمله ام لا لانّ تقديره بحسب ما رايت يكون ٢٠ مجلدا اذ المجلد الاوّل ما اتم مسآئل الصلاة ورايت الخطبة وحدها فى اكثر من كراسة ابان فيها من علوم ولم ار فى شروح خليل مع كثرتها مثله، ودخل تلمسان لما استولى العدوّ على بلاد الاندلس ثم ارتحل الى المشرق فدخل مصر واستنهض عزآئم السلطان فايتّباى لاسترجاع الاندلس

a) L. الشهم. b) S. العليل.

فكان كمن يطلب بيض الأنوق او الابيض العقوق ثم حج ورجع الى مصر فجدد الكلام فى غرضه فدفعوه عن مصر بقضاء القضاة فى بيت المقدس فتولاه بنزاهة وصيانة وطهارة ولم تطل مدته هنالك حتى توفى به بعد سنة ٨٩٥ حسبما ذكره صاحب الانس الجليل. فى تاريخ القدس والخليل، فليراجع فانه طال عهدى به، ومن بارع نظمه رحه قوله فى المجبنات

وربّ محبوبة تبدّت كأنها الشمس فى حلاها
فأعجبْ لحال الانام من قد احبّها منهمْ قلاها

ومنه قوله رحه

عذيرى من هذا الدخان الذى جاور دارى واضح فى البين
قد قلتمْ انّ بها زخرفا ولا يلى الزخرف الا الدخان

وقوله

تأمّلت من حسن الربيع نضارةً وقد غرّدت فوق الغصون البلابل
حكت فى غصون الدوح قُسّا فصاحة لتُعلم ان النبت فى الروض باقلُ

وقوله

وقائلة صف للربيع محاسنا فقلت وعندى للكلام بدارُ
هما ببطاح الارض صوبٌ من الحيا فللنبت فى وَجْه الزمان عذارُ

وقوله

تعجبته من يانع الورد فى سنى وَجْنة نبتُها بارض
ولمْ لا يرى وردُها يانعا وقد سال من فَوْقها العارضُ

وقوله رحه عند وفاة والدته

تقول لى ودموع العين واكفة ما اقطع البين والترحال يا ولدى
فقلت اين السُّرى قالت لرحمة مَن قد عزّ فى الملك لم يُولَد ولم يَلِد

قال تلميذه الحافظ ابن داود مما الفيته بخط قاضى الجماعة ابى عبد الله ابن الازرق عن علىّ رضه مَن اراد ان يطوّل الله عمرَه ويظفر بعدوّه ويصان من فتن الدنيا ويوسّع عليه باب رزقه فليقل هذا التسبيح اذا اصبح ثلاثا واذا امسى ثلاثا سبحان الله ملأ الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضى وعدد النعم وزِنَة العرش والحمد لله ملأ الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضى وعدد النعم وزِنة العرش ولا اله الّا الله ملأ الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضى وعدد النعم وزنة العرش والله اكبر ملأ الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضى وعدد النعم وزنة العرش ولا حول ولا قوة الا بالله العلىّ العظيم مثل ذلك وصلى الله على سيّدنا محمد وآله مثل ذلك، قال وبخطه ايضا النبل المرزق وما يراد

يا باسط يا جواد يا على فى عرشك بحق حقك على جميع خلقك ابسط a رزقك وسخر لى خلقك، وبخطه ايضا بسم الله الرحمن الرحيم الدافع المانع الحافظ الحىّ القيوم القوى القادر الولى الناصر الغالب الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الارض ولا فى السمآء وهو السميع العليم، وبخطه ايضا يا فتاح يا عليم يا نور يا هادى يا حق يا مبين افتح لى فتحا تنوّر به قلبى وتشرح بـه صدرى واهدنى الى طريق ترضاه وبيّن لى امرى وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا انتهى، وقال رحه موريا

من تكن صنعته الانشآء لا ... ينكر الرزق لاقصى العُمُرِ
ولو آستعلى على السبع الدرا ... رى بما فى فمه من دُرَرِ
فانا الكاتب لكن لو يبا ... عُ لِىَ العتْق لكنت المشترِى

هكذا رايت نسبتها اليه، ولنختم ترجمته بل والباب جميعا بقوله رحه عند نزول طاغية النصارى بمرج غرناطة اعادها الله للاسلام بجاه النبى عم

مشوق بخيمات الاحبّة مُولع ... تذكّره نجد وتغريه لَعْلَعُ
مواضعكم يا لائمين على الهوى ... فلم يبق للسّلوان فى القلب موضعُ
ومن لى بقلب تلتظى فيه زفرة ... ومن لى بجفنى تنهمى فيه ادمعُ
رويدك فارقبْ للّطائف موقعا ... وخلّ الذى من شرّه يتوقّعُ
5 وصبرا فانّ الصبر خير غنيمة ... ويا فوز مَن قد كان للصبر يرجعُ
وبتْ واثقا باللطف من خير راحم ... فالطافه من لمحة العين اسرعُ
وان جآء خطبٌ فانتظر فرجا له ... فسوف تراه فى غدٍ عنك يُرفعُ
وكُنْ راجعا لله فى كلّ حالة ... فليس لنا الّا الى الله مرجعُ

a) R. ajoute لى.

تم الجزء الثانى من المجلد الاول
بحمد الله تعالى وحسن عونه
والله ولى التوفيق

Pag. ٩٣٥, l. 3 lis. البَنّآء (النبّآء).

〃 — l. 21 lis. وهدايةً (وهذاية).

〃 ٩٣٧, l. 7 lis. فَكُلٌّ (فكُلٌّ).

〃 — l. 15 lis. ذَابّ (ذات).

〃 — l. 19 lis. حَوِل (حَوَل).

〃 ٩٣٨, l. 10 lis. قَدِّموه (قدومه).

〃 — l. 3 inf. lis. إِيا زيد (ايا زيد); Impér. de وأى. F.

Pag. ٩٣٩, l. 2 lis. الملّة (الملّة).

〃 — l. 18 lis. شارة (اشارة). F.

〃 ٩٤٠, l. 5 lis. ابى (اب).

〃 ٩٤٢, l. 15 lis. تعاجّبتُ (تعاجّبته). F.

〃 ٩٤٣, l. 7 lis. الانشآء (الانشآة). F.

〃 — l. 14 lis. بِجَفْنِي (باجفنى). F.

Pag. ٩٢٢, l. 8 lis. قَسّ (قس).

" — l. 10 lis. يسلى (تسلى). F.

" — l. 18 lis. وأُجِيدَ (وجيد).

" — l. 2 inf. lis. من البلاغة (بالبلاغة). F.

" ٩٢٣, l. 4 lis. كلامَ (الكلام). F.

" — l. 18 lis. واقتصب (واقتضت).

" — l. 19. Biffez le mot وانقص.

" ٩٢٤, l. 15 lis. يُجْتَنَى (تاجنى). F.

" ٩٢٥, l. 7 lis. حيّاه (خيّاه).

" ٩٢٦, l. 1 lis. خباب (حُباب). F.

" — l. 12 lis. بحماه (بحماه).

" ٩٢٧, l. 1 lis. لأنّ (كأنّ). F.

" ٩٢٨, l. 3 lis. نونَ (نونُ). F.

" — l. 9 lis. لتجلب فنونِ (لتجلب فنون). F.

" — l. 19 lis. أَلَمْ (لم); cf. Sour. 16, vs. 98. F.

" — l. 20 lis. مُخلَدُ (مخلّد); أَخْلَدَ c. ب p. = لَزِمَه. F.

" ٩٢٩, l. 15 lis. بلآلِ (بلآلى).

" — l. 19 lis. يجاذبه (تجاذبه).

" — l. dern. lis. المتنبّى (المتبين). F.

" ٩٣٠, l. 4 lis. المتنبّى. F.

" — l. 7 lis. وتابى (وتابى).

" — l. 11 lis. حَتَّنْك.

" — l. 16 lis. تبكى (نبكى). F.

٩٣١, l. 7 lis. يَهْدِى (يُهدى). F.

Pag. ٩٣١, l. 7 lis. البُدّ (البَدّ). F.

" — l. 7 lis. تَهْدِى (يَهْدِى); voyez le proverbe: اهدى من اليد الى الفم Freytag, *Arab. prov.*, II, p. 896, l. 1.

" — l. 11 lis. رَتّا (وما); cf. Dieterici, *Motanabbi et Saifoddaula*, p. 68 infr.; Abou'l-Maḥâsin, II, p. ٤٣٤, l. 6 et 12. F.

" — l. 11 lis. دُرًّا (دَرًّا).

" — l. 12 lis. قُسّ (قَسّ).

" — l. 15, 16.

قَدْ زانَها بحُلَى البلا
غَة مُفْصِحًا فى كُلّ ناد
فَرَمَتْه فى كُلّ الثَّرَى
مُتَفَرِّدًا بَيْنَ العِبَاد

sont les derniers hémistiches du poème qui précède. F. Biffez le mot بطلى, l. 15. F.

" — l. 21 lis. بماء يسقيها او الى جنبها (بما سقتها زال جنبه). F.

" ٩٣٢, l. 3 lis. يُفْتِنْك (يعظنّك). F.

" — l. 4 lis. انا (اتا).

" — l. 12 lis. قُطِعَ (وقطع). F.

" — l. 21 lis. تتشارك (تتشارك).

" ٩٣٤, l. 4 lis. اعتمد (اعتهد).

" — l. 9 lis. حُوفظ (حفوظ).

" — l. 21 lis. ولده (والده) i. e. ايّوب بن الكامل; cf. Weil, *Gesch. der Chalifen*, III, Register p. 94, col. 2, l. 2-4. F.

Pag. ٩١٠, l. 5 lis. الارْدلون (الازدلون).

〃 — l. 11 lis. بالمَحْيا (بالمحيّا). F.

〃 ٩١١, l. 2 lis. أَنَاصِىٌّ (اناصى). F.

〃 — l. 2 lis. ظَمَا (ظما). F.

〃 — l. 10 lis. رَكْبِى (رُكْبنى). F.

〃 — l. 11 lis. مظلّل (مصلّل).

〃 — l. 11 lis. أَيْنَما (ايّما). F.

〃 — l. 13 lis. أَجْرِ تَنَى (احرثنى).

〃 — l. 13 lis. بُرْدًا (برًا). F.

〃 — l. 22 lis. وتعبير (وتغيير). F.

〃 ٩١٢, l. 1 lis. بها (لها). F.

〃 — l. 1 lis. مَيْتًا فى (ميثاقى). F.

〃 ٩١٣, l. 3 inf. lis. دينٌ (دينَ). أَحْتَمَى signifie *se fortifier*, *se défendre*; cf. Amari, *Bibliotheca arab. sic.*, p. ٣١٢, l. 7, ٣٣٥, l. 9 et suiv.; Ibn-Hichām, éd. Wüstenfeld, p. ٥٩, l. 12. F.

〃 ٩١٤, l. 6 lis. شِيَمُ (شيمّ) propr. « les qualités de celui qui est visité par d'autres sont le soin qu'il prend de leurs intérêts », c'est-à-dire: « il fait preuve de ses bonnes qualités par le soin » etc. F.

〃 — l. 8 lis. مشفَّع. F.

〃 — l. 10 lis. مَسْعد. F.

〃 — l. 16 lis. بِحُبِّه (بِجُنَّه). F.

〃 — l. 16 lis. تَعْتَلْت (تغبلت).

Pag. ٩١٥, l. 15 lis. تعذّلت (تعدلت).

〃 ٩١٧, l. 14 lis. وا لَهْف (والهفّ). F.

〃 — l. 22 lis. تَشْمِيتُهُ (تتميمه). F.

〃 ٩١٨, l. 5 lis. يا من به (يا به).

〃 — l. 10 lis. والوجد (والوصل). F.

〃 — l. dern. lis. وكأنّ (وكأنْ).

〃 ٩١٩, l. 8 lis. ذَوِى (ذو).

〃 — l. 9 lis. على (عن). F.

〃 — l. 14 lis. صخبة (صخمة). F.

〃 — l. 16 lis. صرْف (صَرْف). F.

〃 — l. 21 lis. بَدْرُك (بدرك).

〃 ٩٢٠, l. 1 lis. عَنى ou عُنى (غنى). F.

〃 — l. 4 lis. قُسّ الايادى (قَسّ الايادى).

〃 — l. 6 lis. ظَرْف (طرف).

〃 — l. 10 lis. انفَس (انفُس). F.

〃 ٩٢١, l. 1. Avant محاسن ajoutez الى ه

〃 — l. 3 lis. ورويّة (ورويّة).

〃 — l. 4 lis. شمْت (شممت).

〃 — l. 7 lis. أَمارات (امارات).

〃 — l. 20 lis. نَسَجَ (نسج). F.

〃 — l. 21 lis. فالقى (غالفى).

〃 — l. 22 lis. ونُقَطًا (ونقطا). F.

〃 — l. 2 inf. lis. وسُكْره (وشكره).

〃 ٩٢٢, l. 6 lis. صبابةُ (صباب). F.

〃 — l. 7 lis. كَلْمُ نَوابِغِ (كَلْم نوابغ). F.

Pag. ۸۸۱, l. 20 lis. مَلَكْتُ (ملكت).

〃 — l. 22 lis. لبراعته (ببراعته). F.

〃 ۸۸۲, l. 10 lis: وذَمَّ ? (ودمر).

〃 — l. 10. Après الحرب ajoutez les mots que porte le man. S.: التى ان يباكروها من الغد فلما بلغ الصدر اشتدّ على الناس. F.

〃 — l. 2 inf. lis. خَطَرٌ (حظ). F.

〃 — Biffez la note *a*. La leçon المأزق est correcte. Ce mot signifie *champ de bataille*; cf. Amari, *Bibl. arabo-sic.*, p. ۵۵۸, l. avant-dern.

〃 ۸۸۳, l. 12 lis. منه (عنه).

〃 — l. dern. lis. احد (اخذ).

〃 ۸۸۴, l. 16 lis. تَتَحَصَّلُ (نحصّل). F.

〃 ۸۸۵, l. 11 lis. محبور (مجبور).

〃 ۸۸۷, l. 5 lis. مَزْجَكَ (مَزْجك). F.

〃 — l. 6 lis. ثناءَ (بناءَ). F.

〃 ۸۸۸, l. 2 lis. مَلَثْتَ (مُلثت). F.

〃 — l. 5 lis. استفسروا (استنسروا); M. Fleischer propose: استنشروا.

〃 — l. 16 lis. وعَرارة.

〃 — l. 21 lis. فَابْتَثْتُ (فانبتْ). F.

l. 21 lis. بارة (استبصارة). F.

۸۸۹, l. 16 lis. نلمّ (نلمّ). F. حَذَرًا = أنْ (ان).

۸۹۰, l. 13 lis. عَبِقَة (عَبَقَة). F.

۸۹۳. Biffez la note *c*.

Pag. ۸۹۴, l. 4 lis. يَخْتَصِرُ (يختصر). F.

〃 ۸۹۸, l. 4 lis. لَفْظَة (نفظة). F.

〃 — l. 15 lis. انسجامه (اسجامه).

〃 ۸۹۹, l. 14 lis. الحُجّاج (الحجّاج). F.

〃 — Biffez les notes *b* et *d*.

〃 ۹۰۰, l. 4 جائرٌ مُدَّة mieux que جائر مُدّة; cf. Baiḍâwî, I, p. 6, l. avant-dern. F.

〃 — l. 15 lis. للمُحَيَّا (للمُحيّ).

〃 — l. 15 lis. الطُرف (الطرف).

〃 — l. 20 lis. تُرَع (نزع). Sur تُرْعة (*canal*), cf. Abou'l-Mahâsin, I, p. ۵۹, l. 2 et suiv.; Seetzen, *Reisen*, III, p. 348, 391 et 396. F.

〃 — l. 20 lis. فيها (فيه). F.

〃 ۹۰۱, l. 3 lis. سَيْرَه السُّرَى (سير السُّرا).

〃 — l. 3 lis. ويسحب (ويحبّ). F.

〃 — l. 4 lis. القِرا (القُرّا). F.

〃 — l. 4 lis. ظهر (ظهر).

〃 ۹۰۷, l. 7 lis. أملُ (املُ). F.

〃 — l. 20 lis. تمثالَ (تمثالَ). F.

〃 — l. 22 lis. يُلْفَ (بَلْف).

〃 ۹۰۸, l. 3 lis. يُدْنى (يُدْنى). F.

〃 ۹۰۹, l. 2 lis. لتُزْرينا (تتزرينا). F.

〃 — l. 3 inf. lis. فَرَاسى أُمِّيٌّ (فراسى أُمّى). F.

〃 — l. dern. lis. لكُلّ (لَكُلّ). F.

Pag. ٨٦٤, l. 11 lis. قَرْطًا « à de grands intervalles de temps » (قُرْطًا). F.

″ — l. 13 lis. حِبَالَ (جبال).

″ — l. 17 lis. وشُهُبُها (وشبهها). F.

″ — l. 17 lis. راطِن (واطن). F.

″ — l. 18 lis. عَبْطًا (عبطا).

″ — l. 19 lis. بِغُودْ (بغود).

″ ٨٦٥, l. 3 lis. بتخطّى (بتخطّى).

″ — l. 3 lis. تَغْزوه (يغزوه). F.

″ — l. 4 lis. فَنّى (ثنى).

″ — l. 5 lis. للتخطّ (للتحطّ).

″ — l. 5 lis. لِرُدَيْنَة (لردينه).

″ — l. 6 كماةٌ mieux que كماةً. F.

″ — l. 7 lis. الحيّات (الحياة).

″ — l. 9 lis. كالزُّاووق (كالزاروق). F.

″ — l. 12 lis. اللُّجم (اللّجْم). F.

″ — l. 14 lis. موازِعُ ou موازِعَ (موادع). F.

″ — l. 18 lis. عُلْطًا (غلط).

″ — l. 21 lis. وسُمْتَ (وسمت). F.

″ ٨٦٦, l. 2 inf. lis. ووضعها (ووضعيها). F.

″ — l. 2 inf. lis. وأنْفَةٌ (وأنفة). F.

″ ٨٦٧, l. 5 lis. وأَلْقَى (وألغى). F.

″ — l. 6 lis. سَمْوه * خَلْفَ ضُغى بتونس. ضَلْمًا خليعَ distique (Modjtathth).

″ — l. 12 lis. كأطراف (كأطراف).

″ — l. 14 lis. انْهُجُوع (الهجوم). F.

″ — l. 19 et 20 lis. الخسوف et للحبيب. F.

Pag. ٨٦٧, l. 3 inf. lis. كمرآةٍ (كمرآة).

″ ٨٦٨, l. 9 lis. بِهِ (له). F.

″ — l. 12 lis. مهاجاة (مهاجات). F.

″ — l. 13 lis. لِمصرةً (المصرة).

″ — l. 14 lis. فارًا (فار). F.

″ — l. 14 lis. الاضرار (الأضرار). F.

″ ٨٦٩, l. 10 بيمينٍ وغابتها ? بيمين (غرابتها). F.

″ — l. 14 lis. تُقرّ به (تقرّبه).

″ — l. 15 وضيب ? (وظهر). F.

″ — Biffez la note *a*.

″ ٨٧٠, l. 13 lis. قضاءه (فضاوه). F.

″ — l. 17 lis. مُرْتَجِي de مُرْتَجِي (أرْتَجِي). F.

″ — l. 18 lis. بِمُرْتَجٍ de (أرْتَجَ). F.

″ ٨٧٣, l. 4 lis. الاخْوان (الخوان). F.

″ ٨٧٧, l. 12 lis. أَوْمَا (او ما).

″ ٨٧٨, l. 10 lis. وزائر (وزائر).

″ — l. 15 lis. ثَغْرَ (ثغر).

″ — l. 16 lis. وا عَجَبًا (واعاجبا).

″ — l. 19 lis. فى (sans techdîd).

″ ٨٧٩, l. 1 lis. المُحْدَثون (المحدثون). F.

″ — l. 4 lis. غُرِدٌ شرعُ (عرِد سرع).

″ ٨٨٠, l. 21 lis. تَعْنى.

″ ٨٨١, l. 9 lis. بَهْجَةٌ (ببهجة).

″ — l. 11 lis. منظر (ناظر). F.

″ — l. 11 lis. اجْلَالًا (جلالا).

″ — l. 15 lis. وعَجْزًا (وعاجزى). F.

Pag. ٨٥١, l. 15 lis. لِتَرْكِ (لَتَرْكُ). F.
〃 — l. 18 lis. رِمَّةٌ (رُمَّةٌ).
〃 — l. 19 lis. ماجد (ما جد).
〃 ٨٥٢, l. 1 lis. بنارِ جَوًى (بنا رجوى).
〃 — l. 5 lis. قَدْرِ (قدرِ).
〃 — l. 7 lis. حُشِيَتْ (حُشْشت).
〃 — l. 21 lis. تَشَوَّق (تشوّق). F.
〃 — l. 22 lis. الحلومُ (الحلومْ).
〃 ٨٥٣, l. 5 lis. الحياة (الحياةْ).
〃 — l. 11 lis. يَعِشْ (يعشْ). F.
〃 — l. 13 lis. جُنَّ (حن). F.
〃 — l. 14 lis. أَعْيَى (اعنى).
〃 — l. 18 lis. غُصَصًا (غَصَصُ).
〃 ٨٥٤, l. 4 lis. المُحَصَى.
〃 — l. 5 lis. أَيْنَعَتْ (أُنيعت). F.
〃 — l. 8 lis. يَمَانِيًا (sans techdid). F.
〃 — l. 10 lis. مطهّرة.
〃 — l. 12 lis. الأحفاد (الاحفاد).
〃 — l. 3 inf. lis. ويعلّمونه (ويعلّمونه).
〃 ٨٥٥, l. 11 lis. فوآئده ما من (فوآئد نمام). F.
〃 — l. 13. Ajoutez ابن après جعفر.
〃 — l. 14 lis. خ (ح). F.
〃 ٨٥٧, l. 6 lis. أَوْ دَعْ (اودع).
〃 ٨٥٨, l. 2 lis. آس (آس).
〃 — l. 2 lis. مَلْثُتْ (ملّيت). F.
〃 — l. 7 lis. قَسِمَ الحُسْنُ (قسَم الحسنِ). F.

Pag. ٨٥٨, l. 11 lis. فيلجّ البحارِ (فيلجّ البحارَ). F.
〃 — l. 11 lis. ويفجّ القفارِ (ويُفجّ القفارَ). F.
〃 — l. dern. lis. وطُرُق (وطريق). F.
〃 ٨٥٩, l. 2 lis. نُبُوَّة (بنوة).
〃 — l. 4 lis. ملجأً وعُدَّةً (ملجأً وعده). F.
〃 — l. 17 lis. اكفلْ (اكفلْ).
〃 ٨٦٠, l. 5 lis. الصيدُ (الصيدَ). F.
〃 — l. 15 lis. أُوارِى. F.
〃 — l. 20 lis. يونس (ويونس).
〃 ٨٦١, l. 15 lis. شَيْءٌ (شيّ). F.
〃 — l. 16 lis. سَوْءٌ (سُوء). F.
〃 — l. 16 lis. صُبْحى المَخَازِى (المخازِى صبى). F.
〃 ٨٦١, l. 19 lis. الّا على (الاعلى).
〃 ٨٦٢, l. 10 lis. مَدَى (مَدَى).
〃 — l. 10 lis. الحُسْنِ (الحسنِ).
〃 — l. 11 lis. الجَذْب (الجذب). F.
〃 — l. 16 lis. غِزْلانُ الأَوانِس (نحو لان الا وانس). F.
〃 — l. 3 inf. lis. شَيْبًا (شيبا). F.
〃 — l. 3 inf. lis. نابغيّة. F.
〃 ٨٦٣, l. 7 lis. كلى (كُلى). F.
〃 — l. dern. lis. وتمضى. F.
〃 ٨٦٤, l. 3 lis. دُعْمَ.
〃 — l. 10 lis. فى (وفى).

وجدت او قرأت بخطّ او فى كتاب فلان بخطه » Wijádah is a newly coined word and derived from the verb wajad, to find. It means that A. B. has got hold of a book containing hadythes in the handwriting of a Shaykh, but the contents of the book have not been verbally or by ijázah communicated to him. In this case A. B. must not say *akhbaraná*, I have been informed, but he must say I have found, or I have read in the handwriting of C. D., or in a book written in the handwriting of C. D.»

Pag. ٨٣٥, l. 4 lis. الطَّيالسى (الطيالسى); cf. *Lobb-al-lobáb* s. v.

٨٣٦, l. dern. lis. اللُّبْلى (اللبلى).

٨٣٧, l. 7 lis. لاحكام (الاحكام).

— l. 21 lis. الخُرْس (الخرس). F.

٨٣٨, l. 3 lis. لنا (انا). F.

— l. 3 lis. والمستطيل (ولمستطيل). F.

— l. 6 lis. النّسر (السّر).

— l. 16 lis. راضٍ (راص). F.

٨٣٩, l. 1 lis. دين (دَين).

— l. 10 lis. طيبها (طيّها).

— l. 10 lis. من آثارِها تُرْبَة (من آثار تربتها). F.

Pag. ٨٣٩, l. 14 lis. امسيت ou اصبحت au lieu de صرت et biffez la note *f*. F.

» ٨٤٠, l. 5 lis. كَحَلْ (كحل).

» — l. 2 inf. lis. لَقّبوه (القبوه). F.

» ٨٤١, l. 4 lis. يَمَسّ (يمس). F.

» — l. 4 lis. لَاسْتَتَرا (لا ستترا).

» — l. 12 lis. تَرَانى (نراتى).

» — l. 16 lis. رَشا (رُشا).

» ٨٤٣, l. 9 lis. أهاجَك (أُهاجك). F.

» ٨٤٥, l. 10 lis. مَحَصها (مخصها).

» — l. 11 lis. يُربيك (يُربّيك). F.

» ٨٤٦, l. 10 lis. مُوسِرا (موسّرا).

» — l. 21 lis. حَمْدا (جهدا). F.

» ٨٤٧, l. 2 lis. أَسمُ (اسم).

» ٨٤٨, l. 18 lis. وغالبُ (وغالبُ).

» ٨٤٩, l. 4 lis. لِرَائيها (لرأيها). F.

» — l. 13 lis. تَمَنَّيتُ.

» — l. 16 lis. وأتّبعوا (وابتغوا).

» ٨٥٠, l. 1 lis. فحذرتها (فحذّرتها).

» — l. 4 lis. الطرف (الطرَف).

» — l. 11 lis. بمعنى (لمعنى). F.

» — l. 16 lis. بنتَين (بيتين).

» — Biffez note *b*.

» ٨٥١, l. 3 lis. لبدرِ (لبدرٍ).

» — l. 9 lis. لقى (لقى).

» — l. 15 lis. لم أُوخَر (لو أُوخر). F.

» — l. 15 lis. لقلى (لَقلى). F.

Pag. ٨٢٧, l. 16 lis. مُغْلَقا (مَغلَقا). F.

» ٨٢٩, l. 14 lis. حكى لى (حكى له).

» ٨٣٠, l. 1 lis. دَمْعُهُ (دمْعُه).

» — l. 11 lis. لَيُمُونا (ليموْنا). F.

» — l. 15 lis. فيَرى (فتَرى). F.

» ٨٣١, l. 8 lis. وسهّلتَ (وسهّلتُ).

» — l. 13 lis. والادناس (والادناسُ). F.

» — l. 17 lis. أعْذُرهُ (أعذرُه).

» — l. 23 lis. لَسَمَا (لَسما). F.

» — l. 23 lis. ذكرُ (ذكرٍ). F.

» — note *d*. Le sens du vers est: Il (Athîr-al-dîn) est un grand savant (حَبْر); mais si tu disais que la place de la lettre ب était avant (la lettre ح, de sorte qu'il faudrait dire: il est un بحر), tout le monde serait de ton avis.» F.

» ٨٣٣, l. 14 lis. نقلا.

» — l. 15 lis. الجدّ (الحدّ).

» — l. 15 lis. ابنِ (ابنُ).

» — l. 18 lis. يُجيدُ (بحيد).

» ٨٣٣, l. 2 lis. وزهْزَه لهما (وتهزهزْ اليهما); زَهْزه *applaudir* (de زه *bravo*). F.

» — l. 3 lis. البُغام (النعام). F.

» — l. 8 lis. حسنَ (حسنُ). F.

» — l. 8 lis. أنّ (انّ). F.

» — l. 9 lis. ما ذهبا (قد ذهبا). F.

Pag. ٨٣٣, l. 12 lis. روضةٌ (روضةً).

» — l. 3 inf. lis. نقصُر (نقصّ). F.

» — l. dern. lis. مِنْ كلامه جنان (كلامَه جَنان). F.

» ٨٣٤, l. 1 lis. فكلّ جنان (فصلّ جنان). F.

» — l. 1 lis. جَبان (حيان).

» — l. 5 lis. فَسَح (فسّح). F.

» — l. 14 lis. وَصَفْتَ (وضعت) «tu as loué.» F.

» — l. 20 lis. الفهامة (الفكاهة) i. e. «in sermone impeditum esse.» Voyez l'édition des Séances de Harîrî (Boulak) p. ١١٣: ضربوا به المثل فى العىّ والفهامة. F.

» — l. 3 inf. lis. واجازة (واجازه). F.

» — l. 2 inf. lis. ووِجادة (ووجازه). C'est un terme technique du حديث; cf. Sprenger, *Notes on Alfred von Kremer's edition of Wakidy's Campaigns*, First not., p. 1 et 2: «In the last riwâyat I used the word «wijâdatan.» This is a technical term, which is explained by Tyby as follows: الوجادة من وجد يجد مولّد وهو أنْ يقف على كتاب بخطّ شيخ فيه احاديث ليس له رواية ما فيها فله ان يقول

٨١٧, l. 7 lis. أألف (أُأُلْفُ).

٨١٨, l. 5 lis. جارٌ (جارٌ).

— l. 6 lis. احصارُ (أحصارُ). F.

— l. 9 lis. اسفارُ (أسفارُ). F.

— l. 17 lis. رسما (رشما).

— l. 17 lis. وثنى (وشنى).

— l. 18 lis. قَصَدًا (فصدًا); cf. Sour. 72, vs. 9. F.

— l. 3 inf. lis. ثوبَ (ثوبُ). F.

٨١٩, l. 4 lis. فيَتْعَبُ (فينعب). F.

— l. 15 lis. حَلْقَةُ اشغال ou اشتغال (حلقةٌ اشتغالُ). F.

— l. 15 lis. الحلبة (الطلب).

— l. 19 lis. وحيازتَهُ (وجنازته); جاز c. acc. mortui signifie „componere mortuum.“

٨٢٠, l. 4 lis. أُسيغه (أسيغه). F.

— l. 6 lis. أَكْفَان (اكناف). F.

— l. 15 lis. فأَنْزِلُ (فانزلُ). F.

— l. 16 lis. والرِّبابَ (والرباب); cf. Wüstenfeld, *Register zu d. genealog. Tabellen*, p. 376.

— l. 18 lis. أبرُّ (أَبَرُّ). F.

٨٢١, l. 22 lis. بالغوآئد (نالقوآئد).

— l. 23 lis. يتجاوزه (بتجاوزه).

٨٢٢, l. 4 et 5 lis. خالدًا (خالد).

— l. 12 lis. زِبّه (زبّه).

Pag. ٨٢٣, l. 2 lis. أَنَّى (أنّى).

„ — l. 7 lis. وأُودّآتنا (واوادينا).

„ — l. 15 lis. تجاهٌ (تجاهُ). F.

„ — l. 18 lis. يُسَبِّح (يسبِّح).

„ ٨٢٤, l. 13 lis. النساى.

„ — l. 14 lis. احمد الطّباع (ابن الطباع); voyez p. ٨٢٨, l. 1.

„ — l. 18. „D'après les règles de la syntaxe, il faudrait lire قادحة, qui est le بدل de اللون i. e. قادحٌ سَبَجِىُّ اللون; mais je ne connais pas de قادح qui signifie *noir*. Doit-on lire فاحمة ou فاحمة ou فاتمة? Je n'oserais rien changer.“ F.

„ ٨٢٥, l. 15 lis. لَأَخْفَى (لا خفى).

„ — l. 19 lis. مقتّره (مقدّره).

„ — l. dern. lis. سَجَرَ (سَجر).

„ — l. dern. lis. أغرَقَ.

„ — l. dern. lis. نَزْعه (تَزعه). F.

„ ٨٢٦, l. 7 lis. طُرُقًا.

„ — l. 22 lis. عِرْق. F.

„ — l. 2 inf. lis. التفصيل. F.

„ — l. dern. lis: بُدَّ لى (بدّل). F.

„ ٨٢٧, l. 1 lis. وثيقُ (وثيقَ). F.

„ — l. 8 lis. غَبِيرًا (غُبَيرا). F.

„ — l. 11 lis. فوآئدُ (فوآئدُ).

„ — l. 14 lis. فأَسْتَقَلت (فاستغلت).

Pag. ٧٩١, l. 9 lis. او زارها (اوزارها). F.
″ ٧٩٧, l. 4 lis. المشيّدات (المسيّدات).
″ — l. 4 lis. خِلْقَى (خلَفى).
″ — l. 15 lis. لَأَخْصَبَ (لا خصب).
″ — l. 2 inf. lis. مرضتّ (مرصت).
″ ٧٩٨, l. 4 lis. ألحانا (الحانا).
″ — l. 5 lis. اذكى (ازكى).
″ — l. 19 lis. مُطالبيه (مطاليبه).
″ — l. 20 lis. للعامرى (للمعامرىّ).
″ ٧٩٩, l. 4 lis. قلتُ (فلت). F.
″ — l. 4 lis. حُبٌّ (حبّ).
″ — l. 11 lis. وٱستَعْدَوْا (واستعدّوا) F.
″ — l. 13 lis. بالحُدَيْثَة (بالحطثات); cf. Abou'l-fidā, *Annal. musl.*, I, adn. hist., p. 78 et suiv., nº 149. F.
″ — l. 3 inf. lis. تنشدَه (تنشدْه).
″ — Biffez la note *b*. F.
″ ٨٠٠, l. 6 lis. شَانَ اسمَه (شانه اسمَه). F.
″ — l. 6 lis. اثمَه (انمُه). F.
″ — l. 19 lis. وتفصل (وتفصل). F.
″ — l. 21. Après هم ajoutez (avant ثيب) من.
″ ٨٠١, l. 4 lis. لتَجَنْوا (لحنّوا). F.
″ — l. 7 lis. بجمع (بحمع).
″ — l. 3 inf. lis. بما انشده (ما انشده).
″ — Biffez la note *c*.
″ ٨٠٢, l. 18 lis. رمتَ (رمتُ). F.

Pag. ٨٠٣, l. 2 lis. أَوَمَا (او ما).
″ — l. 4 lis. لَأَحَقُّ (لاحق).
″ ٨٠٩, l. 1 lis. ابن سُكّرة (ابى سُكّرة).
″ — l. 19 lis. وحدث (وحدت).
″ — l. 21 lis. بِبُسْتَانه (يشتأنه). F.
″ ٨٠٧, l. 12 lis. مشهودة (مشهورة).
″ ٨٠٨, l. 8 lis. عَلِىٌّ (علىّ).
″ ٨٠٩, l. 2 inf. lis. لسانُه (لسانّه).
″ ٨١١, l. 3. Au lieu de وخرجه (bis) il faut lire avec les manuscrits: وخرطه. F.
″ — l. 10 lis. ابى شامة (ابن شامة).
″ — l. 18 lis. فُتْكى (فَتْكى).
″ — l. 20 lis. وأرضَ (وارِض).
″ — l. 21 lis. جَوّه (جُوّه).
″ ٨١٢, l. 4 lis. يَرِد (يردّ). F.
″ — l. 6 lis. ويُغيث (ويَغيث). F.
″ — l. 16 lis. زاهدا (راهدا).
″ ٨١٣, l. 6 lis. والنساى (والنسآئى).
″ ٨١٤, l. 1 lis. وثنّى بمصر (وبنى بمصر).
″ — l. 11 lis. تيمرلنك (ترمرلنك).
″ — l. 14 lis. فغَرِق (فغُرِق).
″ — l. 16 lis. المبتدأ (المبتدآء).
″ — l. 19 lis. تنجوا (تنجون).
″ ٨١٥, l. 10 ابرازَ mieux que ابرازُ. F.
″ — l. 14 lis. رُوِينا (روّينا). F.
″ ٨١٩, l. dern. lis. أَخَلّت (أُحِلّت). F.

Pag. ٧٨٠, l. 14 lis. او كاره (اوكاره).

— l. 3 inf. lis. وافق) وفاق العَرَض (الفرض). F.

— l. 2 inf. lis. كاملاّتى (كُملاتى). F.

٧٨١, l. 14 et 15 ويرحم — امينٌ hémistiche (Basit); cf. Baiḍāwī, I, p. ١٠, l. 9. F.

— l. 21 lis. وبعتمدها (ويعلمه). F.

— l. 22 lis. الولا «contracter une alliance» (الوِّلا). F.

— l. 23 lis. الولا «durer, être continuel» (الولا). F.

٧٨٣, l. 1 lis. فضلكم (فضلهم). F.

— l. 1 lis. فأقدّم (فتعدم). F.

— l. 4 lis. المصبح ? (المطيع). F.

— l. 6 lis. ممّن (فمن).

— l. 3 inf. lis. فى) من غير مُريبت (غير مدبت). F.

٧٨٠, l. 5 lis. مِنْ (مَن); cf. Ewald, *Gramm. ling. ar.*, II, p. 64. F.

— l. 8 lis. شرًا (شرًّا). F.

٧٨٤, l. 1 lis. المبيّضة (المبيضة).

— l. 8 lis. الفَرَج (الفرْج).

— l. 12 lis. حُكْمُه (حكمه).

— l. 15 lis. تقدر (بقدر). F.

— l. 16 lis. يغنى (بغنى).

— l. 17 lis. ايقاء ? (ايقاذا); cf. Sour. 4, vs. 71. F.

Pag. ٧٨٤, l. 22 lis. بمن ? (بما). F.

» ٧٨٦, l. 1 lis. اللهُ — احمدَ — احمدُ) (اللهَ). F.

» — l. 5 lis. الاملِ — الحيَلِ — الحيَلُ) (الاملُ). F.

» — l. 16 lis. راية sans hamza.

» ٧٨٧, l. 11 lis. المُربى (المُزنى) «excellent, supérieur.» F.

» — l. 19 lis. ترابَ (تراب). F.

» ٧٨٨, l. 6 lis. أُريدُ ? (زائد). F.

» — l. 10 lis. لُجَج (لحج).

» — l. 19 lis. عند (عنده).

» ٧٨٩, l. 20. Ajoutez كان avant مايلا.

» ٧٩٠, l. 1 lis. غُيُرَ (غيرَ). F.

» — l. 2 lis. رَشًا (رَشا).

» — l. 15 lis. عَنَ أرض (عَنِ أرض). F.

» — l. 16 lis. القَرِيّ (القرىّ); cf. *Arab. prov.*, I, p. 277 et suiv. F.

» — l. 17 lis. بَهِيّ (بُهِيّ). F.

» ٧٩١, l. 21 lis. نُعْماها (نعمها).

» ٧٩٢, l. 2 lis. سِرْبنا (سر بما).

» — l. 5 lis. وَهْنا (وهْن).

» — l. 3 inf. lis. عاسقا (عاشق). F.

» — l. 2 inf. lis. لايناس (لاثناس).

» ٧٩٣, l. 7 lis. الحجازِ (الحجازْ).

» ٧٩٥, l. 1 lis. الزمانِ (الزمانْ).

» — l. 15 lis. قِرى (قرى).

Pag. ٧٩٥, l. 22 lis. اشوق (السوق).

— l. 2 inf. lis. يزل (يرل).

—. Biffez la note *d*; جازم a la même signification que موجب. F.

٧٩٦, l. 15 lis. وبقية (بقية).

— l. 2 inf. lis. سنا (سناء). F.

٧٩٧, l. 1 lis. وكنا (مونك). F.

— l. 11 lis. فاختفت (sans techdîd).

— l. 15 lis. تبيانه (ou ملك) من سمته (من تبيانه). F.

٧٩٨, l. 2 inf. lis. ارجى (ارجى).

— l. 2 inf. lis. الاضطراب (الاضراب).

٧٩٩, l. 8 lis. أوجب (واوجب). F.

— l. 14 lis. المجابرة (المجاورة) ″consolation.″ F.

— l. 16 lis. لاماته (صاداته). F.

٨٠٠, l. 1 lis. صوب (صوب).

— l. 1 lis. يتم (ويتم).

— l. 18. Ajoutez جلدة après ويغبنه. F.

٨٠١, l. 10 lis. المحاسني (المحاسبي).

— l. 20 lis. معذل.

— l. 21 lis. معذل (معذل). F.

٨٠٢, l. 7 lis. لا يحشى (يكشف).

— l. 10 lis. الظما (الظما). F.

— l. 3 inf. lis. لبي ضمن (في ضمن). F.

— l. dern. lis. مشرف (مشرف). F.

٨٠٣, l. 1 lis. تتذرف (تتذرف).

٧٧٣, l. 4 lis. البلاغة (البلاغة).

″ — l. 10 lis. حلا (جلا).

″ — l. 14 lis. القلوب (القلوب).

″ ٧٧٤, l. 8 lis. جسته (حبسته). F.

″ — l. 21 lis. تعاجيز (تعاجير).

″ ٧٧٥, l. 8 lis. نقدت (نفدت).

″ ٧٧٦, l. 17 lis. الرزية (التربة).

″ — l. 18 lis. تعزى (يعزى).

″ — l. 21 lis. فتلت (قبلت). F. (قتله عامه علما تما = علما. F.)

″ ٧٧٧, l. 6 lis. لدمع (للدمع). F.

″ — l. 19 lis. النجاريين (النجارين). F.

″ — l. 3 inf. lis. له (لها). F.

″ ٧٧٨, l. 3 lis. وما التانيث ــ للهلال vers de Motanabbî (Wâfir); cf. Reiske, *Proben d. Arab. Dichtkunst*, p. 88; Dieterici, *Mutanabbî und Seifuddaula*, p. 41. F.

″ — l. 7 lis. طبعي ? (طلعي). F.

″ — l. 10 lis. لاغنى (لا غنى).

″ — l. 18 lis. ضل (ضل).

″ — l. 22 lis. فيك (فيلا).

″ ٧٧٩, l. 15 lis. وجلده (وجلدة).

″ ٧٨٠, l. 7 lis. ملا (ملا). F.

″ — l. 10 lis. ويشتد (وتشتد). F.

″ — l. 10 lis. يحط (يخط). F.

″ — l. 13 et 14 lis. بدّ أفرادها (بدا افرادها).

Pag. ٧٥١, l. 15 lis. ذاذ (زاد).

— l. 19 lis. منعوج (مناعج).

— l. 20 lis. كَلَّكا (كَلَّكا). F.

٧٥٢, l. 8 lis. وجلْ (وجلّ).

— l. 11 lis. آكتنام (اكتنام).

— l. 16 et 18 لسوى (لَسوّى).

— l. 2 inf. lis. آمالُنا (أما ننا).

٧٥٣, l. 4 lis. نَلَّا (كُلَّا). F.

— l. 8 lis. عَرْف (عُرف).

— l. 10 lis. ورْق (ورَق).

— l. 14 lis. أحْيَى ? (حبى). F.

— l. 2 inf. lis. عقْد (عَقْد).

— note *d*. La leçon بِغَتّ est correcte. F.

٧٥٤, l. 12 lis. طَة (ضة). F.

— l. 12 lis. مُذْهِب ? (مَنْهِب). F.

— l. 16 lis. المُفْحِم (المفهم). F.

— l. 2 inf. lis. وبرَق (وبرُق). F.

٧٥٥, l. 7 lis. عَنْ (عَنّ).

— l. 11 lis. مبتدأ (مبتدَأ). F.

— l. 15 lis. على اعلى (على اعلى).

٧٥٦, l. 2 lis. الصدرِ (الصدرُ).

٧٥٧, l. 9 lis. غَرًّا (غُرًّا).

— l. 10 lis. المسدَّد (المسدّد). F.

— l. 16. Peut-être faut-il lire فَأَنحجمتْ, au lieu de فانعجمتْ. F.

— l. 17 lis. مُقَصِّر (مقصِّر). F.

Pag. ٧٥٧, note *d*. Biffez les mots: « Voyez — l. 3. » F.

″ ٧٥٨, l. 5 lis. الذاكى (النزاكى).

″ — l. 7 lis. وافى (وِافى).

″ — l. 11 lis. والـلة (prem. objet de ارجو). F.

″ — l. 21 lis. لَوْ أنّه (ألَوَ أنّد).

″ ٧٥٩, l. 2 lis. وَآزيّنَتْ (وأُزيِنَتْ); cf. Sour. 10, vs. 25. F.

″ — l. 14 lis. وفصل (وِفصل).

″ ٧٦٠, l. 1 lis. الامالد (الا مالد).

″ — l. 2 lis. ذَفَرْت (ضفرت).

″ — l. 3 lis. واسِعُ (واسعَ).

″ ٧٦٢, l. 5 lis. بالْيُمْن (باليَمْن).

″ — l. 21 lis. جميعُهم (جميعَهم). F.

Cf. *Alfiyya*, éd. Dieterici, p. ٣٤٨ v. ٥٣٢.

″ — l. 22 lis. المقْعَدُ (المَقْعَدُ).

″ ٧٦٣, l. 12 lis. عَرِفه.

″ — l. 12 lis. يَضِعْ (يَضَعْ). F.

″ — l. 14 lis. الاوحديّه (الاحديّه). F.

″ ٧٦٤, l. 2 lis. النجلّ (النخل). F.

″ — l. 20 lis. قَيْس (قيْس).

″ — note *n*. Il n'est pas nécessaire de changer la leçon; cf. Freytag, *Arab. prov.*, II, p. 905, l. dern. F.

″ ٧٦٥, l. 11 lis. الثّوانى (i. e. « les secondes »; cf. Bocthor s. v. *Seconde*). F.

Pag. ٧٣٧, l. 2 lis. المسدّد sc. a Deo (المسدّد). F.
" — l. 6 lis. خُدوما (خُدوما).
" — l. 16 lis. مسدّد (مسدّد); cf. Dhahabî, *Liber classium* etc., éd. Wüstenfeld, Cl. VIII, nº 8; Hâdjî Khalfa, V, p. 542, nº 12033. F.
" ٧٣٨, l. 4 lis. خادمٌ نعلٍ (خادم نعل).
" — l. 16 lis. دينُ (دَيْن). F.
" ٧٣٩, l. 6 lis. أن (أَن).
" — l. 6 lis. كلّا (كُلّا).
" — l. 8 et 9 lis. معاجزيّين (معاجِزِينَ). F.
" — l. 11 lis. شيخٍ (شيخٍ). F.
" — l. 18 lis. رتدّتم (رتدّتم). F.
" — l. 23 lis. لا (١).
" ٧٤٠, l. 4 lis. فغضّ (فغضّ).
" — l. 7 lis. غلقتْ (علقت). F.
" — l. 15 lis. بَيْنٍ (بَيْنٍ). F.
" ٧٤١, l. 6 lis. تبيّنت (نبيّنت). F.
" — l. 15 lis. متحمّل (متجمّل).
" — l. dern. lis. سنينى (سَنينى).
" ٧٤٢, l. 5 lis. فتأدّب (فتأدّب).
" — l. 10 lis. حنانك أنّ — وانّى (حنانك ان — وانّى). F.
" — l. 11 et 12 lis. أنّى (انّى).
" — l. 12 lis. تتصوّب.
" — l. 15 lis. هدّ صدّه (مدّ صدره). F.

Pag. ٧٤٢, l. 19 lis. وفخروا وفخرٌ عظيمٌ (عظيما). F.
" ٧٤٣, l. 10 lis. أجنحةٌ (أجْنُحةٌ).
" — l. 12 lis. أبحاثه (ابحاثه).
" ٧٤٤, l. 2 inf. lis. العقيدة (القصيدة).
" ٧٤٥, l. 13 lis. وانّله (وانله). F.
" — l. 19 lis. العمد (العمادى).
" — l. 20 lis. وعمّ (وعمّ).
" ٧٤٦, l. 20 lis. ذاكية (زاكية).
" — l. 21 lis. مَعْ (مَعَ).
" — l. 22 lis. فلاحظوا (فلا حظوا).
" ٧٤٧, l. 2 lis. طِراف (طراف). F.
" — l. 9 lis. عماد (عماد).
" — l. 12 lis. انشّتانه (الطناله). F.
" — l. 20 lis. وجدٌّ (وجدّ). F.
" ٧٤٨, l. 5 lis. المنْكَر (منكرٍ). F.
" — l. 6 lis. آلِ (الى).
" — l. 7 lis. بلقين (ببلقينى). F.
" — l. 11 lis. كلّ (كلّ). F.
" ٧٤٩, l. 5 lis. مفترى — ممترى (ممترى — مفترى).
" — l. 22 lis. فسمّعه (فسمعه). F.
" — l. 23 lis. آلآه — لآلآه (لآلآوه — الآوه). F.
" ٧٥٠, l. 10 lis. المزرى (المذرى).
" ٧٥١, l. 5 lis. المالكى (sans techdîd).
" — l. 12 lis. خصّص (خُصَص). F.

Pag. ٧٢٨, l. 2 lis. وقنَتْ ? (وقنت). F.

— l. 5 lis. أضالعٌ (اضالع).

— l. 6 lis. لُبّى (لَبّى).

— l. 9 lis. وقل أريتنى. Biffez la note *b*. F.

— l. 12 lis. ورأى (ورآني). F.

— l. 13 lis. أحنفٌ (أحْنَفُ).

— l. 16 lis. طُغتكين.

٧٢٩, l. 4 lis. جلفان (جَلْفان). F.

— l. 4 lis. مَدْلَوَيْه (مدلويه). Cf. Sacy, *Anthol. gramm.*, p. 153 et suiv. F.

— l. 19 lis. لزَهْوِها (لزهوها). F.

— l. dern. lis. مقابل (مقابل). F.

٧٣٠, l. 7 lis. نزغات (نزعات).

— l. 8 lis. عُذَّل (عُدولًا). F.

— l. 13 lis. تَوَلَّعَ.

— l. 17 جلَّقٌ.

— Biffez la note *d*. F.

٧٣١, l. 2 lis. أرقٌ (أرقٌ).

— l. 14 lis. مُحاجَنَة (بحاجته). F.

— l. 14 lis. مُنْعِمُ الشُّؤبوب مدرارُ. F.

— l. 15 lis. الغوادى (فوادى). F.

— l. 6 inf. lis. غُثاءات وأكدارُ. F.

— l. dern. lis. المشدّ (المشدّ). Cf. Quatremère, *Hist. des Sult. Mamlouks*, I, 1, p. 111, l. 16 et suiv. F.

٧٣٢, l. 3 lis. عَبْرًا (عُبرًا). F.

Pag. ٧٣٢, l. 4 lis. مُتْرَعة (مَتْرعة).

〃 — l. 15 lis. وحَصْباؤه (وحَصْباؤه). F.

〃 — l. 16 lis. ويَعْذِر (ويعْذر).

〃 — l. 18 lis. اشتقت (اشتقّت). F.

〃 — l. 18 lis. فانظُرْ مَعْناه (فانظر معناها). F.

〃 ٧٣٣, l. 2 lis. تبدَّلْ (نُبَدِّلْ). F.

〃 — l. 6 lis. تبسَّم.

〃 — l. 13 lis. شِمْ تلك البُرُوقَ (شمّ تلك البروق). F.

〃 — l. 14 lis. قلائِه.

〃 — l. 18 lis. ريقته (ريقته).

〃 — l. 19 lis. مَنّى (مَنّى).

〃 — l. 21 lis. حَنَنْيا ? (حنينا). F.

〃 — l. 23 lis. صفرآء حمرآء.

〃 ٧٣٤, l. 2 lis. فكَنُوا (فكُنُوا).

〃 — l. 4 lis. فارسٌ.

〃 — l. 4 lis. مكنى (مكنى).

〃 — l. 7 lis. وينتفى ? (وينثنى). F.

〃 — l. 8 lis. تخرج (تخرج).

〃 — l. 13 lis. غاسق (عاسق).

〃 — l. 14 وخَلّها mieux que وخُلّها. F.

〃 — l. 2 inf. lis. يمْلى (يُمْلى). F.

〃 — l. dern. lis. محاضراتٌ (محاضرات).

〃 l. dern. lis. لفظها (لفظها).

〃 ٧٣٩, l. 4 lis. شامه (شامه).

〃 — l. 15 lis. الشرق (الشوق).

Pag. ۷۲۰, l. 8 lis. الدَّوام (الدُّوام).
″ — l. 13 lis. تَلْق.
″ — l. 18 lis. امْرٌ (أَمَرَ). F.
″ — l. 22 lis. عَرْف (عُرْف).
″ ۷۲۱, l. 2 lis. تكسو (تكسر) et عَمْدًا (عُمْدًا).
″ — l. 10 lis. بالنّبيرينّى (بالنبّر يبين).
″ — l. 11 lis. تُنْشِدُ (تنشدّ).
″ — l. 13 lis. يا سَفْحَ (بانسفح). F.
″ ۷۲۲, l. 2 lis. بسالمُزَيْرِيب (بالمزاربيى). Cf. Seetzen, *Reisen*, I, 301 l. 21 (Mezerib). F.
″ — l. 3 lis. نُعَنّى (لعنّى).
″ — l. 9 lis. برق (برُق).
″ — l. 10 lis. الامانىّ (الامانىَ).
″ — l. 15 lis. أضلاله (اضلاله).
″ — l. dern. lis. قرينه ? (فريقه). F.
″ ۷۲۳, l. 1 lis. تتعبق (فيعبق). F.
″ — l. 2 lis. مواتسّا (مؤّايسا).
″ — l. 2 lis. مترفّق (مترفق).
″ — l. 4 lis. يَكدّ (بكدّ).
″ — l. 15 lis. وقدّست (بقربه). F.
″ ۷۲۴, l. 7 lis. ادهمًا التصابى (التصابىَ ادهمَ).
″ — l. dern. lis. مَعالما.
″ ۷۲۵, l. 1 lis. الحلّى (الحلىّ) c'est-à dire صفىّ الدين الحلّى. F.

Pag. ۷۲۵, l. 3 lis. يبْلِ سربالُ (يبْلَ سربالَ). F:
″ — l. 17 lis. شُهْب (شَهْب).
″ ۷۲۶, l. 1 lis. تَرْجَمَةَ للشيخ. F.
″ — l. 12 lis. انعلّق.
″ — l. 13 lis. اتنشّق.
″ — l. 17 lis. الاعتاب (اعتاب). F.
″ — l. 19 lis. وماءً (وماء); cf. Sour. 67, vs. 30. F.
″ — l. 19 lis. يتدفّق.
″ ۷۲۷, l. 3 lis. جَنْبِك (حبّيك); cf. Fleischer, *Ali's hundert Sprüche*, p. 121 s. v. جنب et Sour. 39, vs. 57. F.
″ — l. 7 lis. منقصمٌ (منقصمَ).
″ — l. 9 lis. القُرى (القرى); cf. *Marācid*, III, p. ۳۴۹, l. 5 et 6; Reinaud, *Géogr. d'Abou'l-féda*, trad. franç., t. II, p. 118, l. 10. F.
″ — l. 14 lis. وعىّ (وعَىّ).
″ — l. 15 lis. ففد ? (وقد). F.
″ — l. 18 lis. شعْرى (شعَرى).
″ — l. 19 lis. تَسَلّ (نُسلّ). F.
″ — l. 2 inf. lis. تناجينا (بلاجينا) ″ notre conversation intime ″? F.
″ — l. dern. lis. لاجين sans techdid (de لجأ). F.
″ — l. dern. lis. جينا (جئنا). F.
″ ۷۲۸, l. 2 lis. اسامْتنى (اسأتنى).

Pag. ٧٠٠, l. 7 lis. مِهاد.

— l. 17 lis. تَجنيه. F.

— l. 17 lis. عرسته (اغرسته).

— l. 18 lis. يَتَمَسْكَنُ.

— l. 21 lis. واسْتَمْلِ (واستمِلْ).

— l. 22 lis. على السكوت. F.

٧٠١, l. 2 lis. ويشمت (يشمت).

— l. 5 lis. يَرُدّ عَنْك (يرن عليك). F.

— l. 7 lis. فكرة (فكره).

— l. 11 lis. دفعك (رفعك).

— l. 16 lis. واستحقّت (واستحقّت). F.

— l. 17 lis. الهوانَ (للهوان). F.

— l. 21 lis. واْنخفضْ أقْتَرَ. F.

٧٠٢, l. 2 lis. ذمّوه.

— l. 9 lis. الطاهرة (الظاهرة).

٧٠٤, l. 12 lis. الركابَ (الركابُ). F.

— l. 12 lis. نشزت (نشرت). F. Cf. Weil, *Geschichte d. Chalifen*, III, 114 et suiv.

— l. 18 lis. ذكْرا.

— l. 19 lis. نُكْرا أُغْمِرْ به (اعمر بسه بكرا). F.

— l. 2 inf. lis. بنى منصور (بنصور منى).

٧٠٦, l. 22 lis. أَعْجُبُه (اعجبه).

٧٠٧, l. 15 lis. اكتاف (اكناف).

l. 3 inf. lis. شدَ (شدّ).

Pag. ٧٠٨, l. 8 lis. يَجيز (يخبر). F.

″ — l. 9 lis. فيه (فيما). F.

″ ٧٠٩, l. 1 lis. فجّات (فجّة).

″ — l. 9 lis. قاصد (قاصدًا). F.

″ — l. 13 lis. تحصّلت (تحصّنت). F.

″ — l. 19 lis. رأيِى (راى). Biffez la note *n*. F.

″ ٧١٠, l. 2 lis. أقلَت. F.

″ — l. dern. lis. قِرى (قوى). F.

″ — l. dern. lis. الأقنَى (الأعْنَى). F. Biffez la note *d*.

″ ٧١٢, l. 6 lis. عَدَآءَ وتَيْمٌ. F.

″ — l. 7 lis. لومةُ.

″ — l. 18 ثغارَ. F.

″ ٧١٤, l. 14 lis. تحدّيه. F. Cf. Sacy, *Anthol. gr.*, p. 39, not. 11; Baiçāwī, I, l. 1.

″ — l. 15 lis. أُصَدّقهُ رَشَأُ. F.

″ — l. 15 lis. ادلّة (اذلّة). F.

″ — l. 16 lis. نبوّة (بنوّة).

″ ٧١٥, l. 13 lis. خُلّتى (خَلّتى).

″ ٧١٩, l. 4 lis. الحجازِ. F.

″ — l. 10 lis. الخُون (الخُونْ). F.

″ — l. 12 lis. تذكّر (نذكّر).

″ — l. 22 lis. والفَلْسَفَهْ (والعلْسفه).

″ ٧١٩, l. 11 lis. وصَرْفَ (وصرّف).

″ — l. 19 lis. الاركان؟ (الاردان). F.

Pag. ٩٨٣, l. 7 lis. تَصِحّ (تَصِح).

" — l. 7 lis. القَطْن (القَطْر). F.

" — l. 18 lis. مُنَعَّمًا (مُنعَّم). F.

" ٩٨٤, l. 11 lis. لِمَحَلَّك.

" — l. 11 lis. لِوَجْهِك. F.

" — l. 12 lis. يحمل (تحمل).

" — l. 19 lis. يكون (يكنّ).

" ٩٨٦, l. 9 lis. المَوْقِف (المَوْقَف).

" — l. 17 lis. الطاعوة (الطاعوة).

" — l. 23 lis. العَشَارْ (العَتَار).

" ٩٨٧, l. 3 مغبَّرة mieux que مغبَّرة. F.

" — l. 10 lis. خَصرِه (خَصره). F.

" — l. 16 lis. نَسْجِه (نُسْجِه). F.

" ٩٨٩, l. 14 lis. الاخشيد (الأخشيد).

" — l. 16 lis. سُرُج (سُرِج).

" — l. 17 lis. خُشُّبَ.

" — l. dern. lis. حِظَار (خطار).

" ٩٩١, l. 4 lis. خَرِج (خرِج). F.

" — l. 20 مغبَّرًا mieux que مغبَّرًا. F.

" — l. dern. lis. الأمحالْ (لأمحالْ). F.

٩٩٢, l. 3 lis. شُشُب (شَشَب). F.

" — l. 9 lis. ادنَنَفت (ادْنُنفت). F.

" — l. 9 lis. بالبصر (للبصر). F.

" — l. dern. lis. وتفصيله (وتفسيره). F.

" ٩٩٣, l. 17 lis. الغَلاءَ (الغلاءَ).

" ٩٩٤, l. 14 lis. في الضَّبّ وكتابة الخراج

(في كتابة الضبّ والخراج). F.

Pag. ٩٩٤, l. 22 lis. وبالغوا في (وبالغوافي).

" — Biffez la note *a*. البطارخ signifie « *boutargue* »; cf. Freytag *Lex.* I, p. 171, col. 2. (s. v. بُورِيّ); Seetzen, *Reisen*, III, p. 234, l. 11; Fleischer, *Diss. de glossis Habichtianis*, p. 70. F.

" ٩٩٥, l. 2 lis. جَذْبِها (جَذبها).

" — l. 23 lis. ويحرِّض (ويحرّض).

" ٩٩٦, l. 17 lis. رَقَّتْ (رَقت). F.

" — l. 22 lis. لِعُذْر (لغدر).

" ٩٩٧, l. 1 lis. أَعْش (افش).

" — l. 11 lis. تذخر (تدخر).

" — l. 16 lis. الأخذان (الاخذان).

" ٩٩٨, l. 4 lis. وثانيةٌ (وثانيّ).

" — l. 4 lis. وثالثةٌ (وثالثه).

" — l. 12 lis. وأصْغِ (واصغْ). F.

" ٩٩٩, l. 1 lis. مثلَهُ من جَرَب (مثله من جرب). F.

" — l. 7. Biffez le mot بيس. F.

" — l. 9 lis. فُواه (فواه).

" — l. 14 lis. يعلّلك? ou يَمْلَقك? (يملكك). F.

" — l. 16 lis. بالجملة (بالحملة).

" ١٠٠٠, l. 3 lis. وأَصْغِ (وأصْغِ). F.

" — l. 4 lis. وجْهٌ (وجه). F.

" — l. 4 lis. يُضيف (يضيف).

" — l. 6 lis. رفاهية sans techdîd. F.

Pag. ٩٦٦, l. 4 lis. تَغَبَّرَ (تغيير). F.

— l. 4 lis. كَفَّ (كَفَّ). F.

— l. 4 lis. معانٍ (معانٌ).

— l. 4 lis. خَرْس (خُرْس). F.

— l. 19 lis. أنصراح (الصّراح). F.

٩٦٧, l. 4 lis. أَقْوَنُ (أَقْوَنَ).

— l. 10 lis. يَنْفَذُ (ينفذ).

— Biffez la note *d*. F.

٩٦٨, l. dern. lis. يعذر. F.

٩٦٩, l. 6 lis. الاثمد. F.

— l. 13 lis. اشتياقًا. F.

— l. 16 lis. وما له (ومالة).

— l. 20 lis. فثوابَ (sc. أُخَلَّدُ). F.

— l. 22 lis. ارْبَدُّ (ازبد).

٩٧٠, l. 13 lis. تَثْرى. F.

— l. 14 lis. تَعَرَّض (يعرّض). F.

— l. 18 lis. ولو (و').

— l. 22 lis. حَفَّت (حُفت).

— Biffez la note *a*. F.

— Note *b*. l. 5 se rapporte aux miracles de Mahomet; cf. Nawawi, p. ٤٢, l. 12 ss.; Pocock, *Spec. hist. Ar.* ed. White, p. 192—194. F.

— Biffez la note *d*. F.

٩٧١, l. 7 lis. يُحَقِّق.

— l. 21 lis. لنازحٍ (النازح).

— l. dern. lis. يَبْطَح (ينطح).

Pag. ٩٧١, l. dern. lis. البكرُ (البكرَ).

″ ٩٧٢, l. 7 lis. عَلَاءَ (عُلَاء).

″ — l. 8 lis. الغَمْرِ (الغُمْر).

″ — l. 8 lis. إثْرِ (أَثْرِ). F.

″ — l. 10 lis. وما لي وشايح (ومال وما لي وسايح). F.

″ — l. 14 lis. جماح (جَماح).

″ — l. 16 lis. ناسماتُ (باسمات).

″ ٩٧٣, l. 3 lis. صالح (صايح). F.

″ ٩٧٤, l. 22 lis. عارضت (عارصت).

″ ٩٧٥, l. 1 lis. يزلّ (يذل).

″ — l. 12 lis. خشكلانا.

″ — l. 14 lis. واختلاف.

″ — l. 19 lis. يَتْرُك (يُتْرَك). F.

″ — l. 22 lis. ناطلعْه (فأطلعه).

″ ٩٧٦, l. 6 lis. فَرْدًا (فرعا) *par impar* i. e. جميعًا. F.

″ ٩٧٨, l. 5 lis. جُزِيتَ. F.

″ — l. 5 lis. يُجْزى (يجزى). F.

″ — l. 8 lis. بينها (بينه). F.

″ — l. 18 lis. من (عن). F.

″ ٩٧٩, l. 4 lis. أَغْلَتْ.

″ — l. 6 lis. أَقْلَتْ et أَغْلَتْ (اغلتْ et أغلت).

″ — l. 13 lis. أَتْبعت.

″ ٩٨٠, l. 7 lis. طالب (طلب).

″ — l. 16 lis. اغفله (اغلقه).

Pag. ٩٥٠, l. 3 lis. وما لى (ومالى).

" — l. 3 lis. تَعَكُّبُ (نَعَكُّبُ).

" — l. 13 lis. حيلة ? (حالة).

" — l. 17 lis. وأُطْنِبُ (واطنب). F.

" — l. 19 lis. فُرِّغَتْ.

" — l. 19 lis. سبائكُ (سنابكُ).

" — l. 19 lis. خلَالَ. F.

" ٩٥١, l. 2 lis. نَتَخَلْ (نتحل). F.

" — l. 6 lis. يُصْغِى.

" ٩٥٢, l. 5 lis. مجاريها ? (بحاريها). F.

" — l. 21 lis. نُعْلَّ (نعلّ).

" ٩٥٣, l. 3 lis. ما للخمر (ماء الخمر). F.

" — l. 4 lis. جمدت (خمدت).

l. 16 lis. سطى ; cf. Sour. 70, vs. 15. F.

" ٩٥٤, l. 14 حبيسا (خبيئا). F.

" — l. 15 lis. تَتَثَنَّيْنَا.

" — l. 15 lis. نتخشى (يتخشى).

" — l. 4 inf. lis. أُزَّة.

" — l. 3 inf. lis. سَمَرٌ النَّحِيِّ بها (سمر النحىّ). F.

" — l. 3 inf. lis. الا كرمونَ (الاكرمونْ). F.

" ٩٥٥, l. 15 lis. سوَى (سُوى). F.

" — l. 19 lis. وَتَصَفَّقَ (وصفّق). *Il ordonna.* F.

" — l. 3 inf. lis. مداف (مداق).

" ٩٥٦, l. 4 lis. المداف (المداق). F.

Pag. ٩٥٦, l. 17 lis. يبتهج (ينتهج). F.

" ٩٥٧, l. 3 lis. تَغَرْ. F.

" — l. 10 lis. حماة.

" ٩٥٨, l. 6 lis. طُغْتكين (طغركين).

" — l. 14 lis. نبـأة (نبأة) ; Sour. 38, vs. 88. F.

" — l. 3 inf. lis. بذلك (بدلك).

" ٩٥٩, l. 4 inf. lis. ذُلّها. F.

" ٩٦٠, l. 3 lis. الفصولَ.

" — l. 17 lis. الشفيف (الشقيق). F.

" — l. 19 lis. غِرٌّ.

" ٩٦١, l. 12 lis. حول (خول).

" ٩٦٢, l. 19 lis. متهتّكون. F.

" ٩٦٣, l. 1 lis. ة au lieu de ه.

" — l. 9 et 10 lis. يُباح (يناح). F.

" — l. 10 lis. والنُّواح (والنّواح).

" — l. 16 lis. تكلٌّ (نكلّ). F.

" ٩٦٤, l. 13 lis. حِلْف = ذو , صاحب (حَلْف). F.

" — l. 16 lis. الانشام.

" — l. 17 lis. مدرَّعا (مُدْرِعا). F.

" — l. 18 lis. حلْف (خَلْف). F.

" ٩٦٥, l. 10 lis. النّزاح (النراح). F.

" — l. 16 lis. نُصْحى (نَصْحى). F.

" — l. 20 lis. صرّح (صرح).

" — l. 23 lis. باجفنى (بجفنى).

" — l. dern. lis. نَشْوانُ (نشوانَ).

Pag. ٩٤٢, l. 5 lis. جمادِيَىْ (جمادَىْ). F.
" — l. 8 lis. بَلَآ (بلآء). F.
" — l. 16 lis. وخفْف. F.
l. 16 lis. ونحب (ونجيبَ).
" ٩٤٣, l. 1 lis. سَبِّر (سبَر). F.
" — l. 1 lis. دُلَـع; cf. Ibn-Khallikān, n° ٥٤٩, p. ٤٥, l. 11 et 12.
" — l. 5 lis. تلظّى (تاظّ).
" — l. 6 lis. فارَعَ (فارِع). F.
" — l. 7 lis. وكائِنْ (كَأَيِّنْ); cf. *Baiçāwī*, Sour. 3, vs. 140. F.
" — l. 8 lis. ساءهم (ساءه). F.
" — l. 11 lis. راكعًا فى (راكعات). F.
" — l. 12 lis. تُبْد (نبدى). F.
" ٩٤٤, l. 7 lis. أُحَلَّأُ (اخلاء). F.
" — l. 8 lis. صَحْرٍ ou صُحْرٍ (صَحْر); voyez Freytag, *Arabum provv.*, II, p. 594, prov. 13. F.
" — l. 8 lis. مُعيبُ (مغيبُ).
l. 14 lis. بِرَأَب (بِرَأي). F.
" — l. 14 lis. مُجَبّبا et جنيب (محبّبا et حبيب). F.
" — l. 3 inf. lis. وَلّى (اولى).
" ٩٤٥, l. 16 lis. تاحيا.
" — l. 3 inf. lis. وتَحَجُّبُ (وتجنُّبُ). F.
" — l. 2 inf. lis. أَعْتَبُ (أُعْتَبُ).
" ٩٤٦, l. 4 lis. الموتَ (الموتُ).
" — l. 8. Biffez فى. F.

Pag. ٩٤٦, l. 8 lis. يَحْطبُ.
" — l. 9 lis. يخَيِّب (يحبّب). F.
" — l. 11 lis. وهَنْكَ (وقَبْ). F.
" — l. 15 lis. وينْصَبْ (وينْصَبُ). F.
" — l. 16 lis. هَمًّا.
" — l. 17 lis. أُصْغى. F.
" — l. 3 inf. lis. أُلْعِى (اكفى). F.
" — l. 3 inf. lis. أَوَدَّ.
" — l. dern. lis. آنَجَز (أَنجز).
" ٩٤٧, l. 2 lis. صنتَ.
" — l. 6 lis. وبَعْط. F.
" — l. 9 lis. دافعتَ. F.
" — l. 9 lis. بوعدتّ. F.
" — l. 10 lis. النوادبُ (النوآئب). F.
" — l. 12 lis. مجاوبُ (تجاوبُ) F.
" — l. 15 lis. أرتجى (اشتكى). F.
" — l. 3 inf. lis. واثارنى (واثار لى).
" ٩٤٨, l. 9 lis. مُنّى (منى). F.
" — l. 13 lis. قَمرٌ (ثمرٌ).
" — l. 16 lis. ما تَنْعَبُ (لم تَنْعَبْ). F.
" — l. 17 تُنْهَبُ mieux que يُنْهَبُ. F.
" — l. 18 lis. ظَلْت.
" — l. 3 inf. lis. زَفْرة (زفرة).
" ٩٤٩, l. 9 lis. حَذِرَتْ (حذّرت).
" — l. 9 lis. يَرْضُبُ (ترضب). F.
" — l. 17 lis. حسبت (احسبت).
" ٩٥٠, l. 2 lis. تَحَمَّلَهُ نَقّى تَطَلّع. F.

Pag. ٩٢٩, l. 17 lis. خَشيبت. F.

" — l. 2 inf. lis. أردتُ.

" ٩٣٠, l. 3 lis. حظًا. F.

" — l. 5 lis. الشَّنطة ? F.

" — l. 6 lis. آدَمَ. F.

" — l. 6 lis. له (ب). F.

" — l. 14 lis. عُرف) عرفوا الغنيُّ — (نُغنيُّ) F.

" — l. 18 lis. أعْمَلَ. F.

" — l. 20 lis. يُريد (نُريد).

" ٩٣١, l. 3 lis. مهرا ينتج وهو اشهب (مُهرة تنتج وهي شَهْباء). F. — Sur le nom de la reine normande تُودَ, cf. Graff, *Althochdeutscher Sprachschatz*, V, 129; Förstemann, *Wörterbuch d. altdeutschen Eigennamen* s. v. *Tuda*; Kunik, *d. Berufung d. Schwed. Rodsen durch die Finnen und Slawen*, II, 291.

" — l. 7 lis. رُوِّدَا (رود). F.

" — l. 11 lis. انْجَبَّرَ. F.

" ٩٣٢, l. 5 lis. وتغيبر (وتغيِّر)? F.

" — l. 6 lis. وغاث.

" — l. 8 lis. ضلّة (ضُلّة). F.

" — l. 8 lis. موكّل (موكّل).

" — l. 17 lis. حبال (جبال).

" ٩٣٣, l. 9 lis. رقّي (رقى). F.

" — l. 9 lis. واحتسبت عنّتي.

" — l. 13 lis. بدلت (بدلت).

Pag. ٩٣٤, l. 9 lis. بقرته (ببقره). F.

" — l. 3 inf. lis. نثار (نثار).

" ٩٣٥, l. 1 lis. حيّ (حيّ). F.

" ٩٣٦, l. 4 قبّن ? (فيدّ) F.

" — l. 10 lis. رداءة. F.

" — l. 12 lis. الصفراء.

" — l. 20 lis. مُحْمَرَّة (حمراء). F.

" — l. dern. lis. يَبْعُدُ (بعد).

" — l. dern. lis. أنْ (اذ). F.

" ٩٣٧, l. 5 lis. انعصبيّة.

" — l. 8 lis. الصوابَ (الصوان).

" — l. 3 inf. نذّة (نذة). F.

" ٩٣٨, l. 7 lis. عَرْف.

" — l. 8 lis. نُهْدي (نَهْدي). F.

" — l. 11 lis. بَذَر (بدر). F.

" — l. 12 lis. بداء (بداء).

" — l. 14 lis. ضنّوا (ضنّوا). F.

" — l. 17 lis. مُنغَّصا (مُنغّص). F.

" — l. 19 lis. بَضَالة (بطالة). F.

" ٩٣٩, l. 4 lis. راباتهم (sans ء, de روى).

" — l. 14 lis. تلالا (sans Hamza). F.

" — l. 18 lis. دلا (sans techdîd). F.

" — l. 3 inf. lis. تَنْقُضُ (تَنْقُض). F.

" ٩٤٠, l. 7 lis. الشَّرَقة (الطّرقة). F.

" — l. 8 lis. للتمتّع.

" — l. 12 lis. المتعَدّدا (المتعدّد). F.

" ٩٤١, l. 11 lis. وريّ (وري). F.

Pag. ٩٠٨. l. 1 lis. خَبَّت (خُبِّي). F.

— l. 2 inf. lis. والعبادة (والعبارة).

٩٠٩, l. 6. Peut-être faut-il lire أبسراد au lieu de ابراد. F.

٩١١, l. 8 lis. مِنْ (مَنْ). F.

— l. 11 lis. سَنبيت؟ (ثنيت). F.

— l. 18 lis. بالرّوح (بالريح); cf. Sour. 56, vs. 88. F.

٩١٢, l. 15 lis. خبّعا. F.

— l. 4 inf. lis. الثقات.

٩١٣, l. 15 lis. ونثر (او نثر).

— l. 20 lis. يغْمضه.

٩١٤, l. 12 lis. مَهْيَع (بيع). F.

— l. 14 lis. متأسّيا (متآسيا). F.

٩١٥, l. 19 lis. ومالى (وما لى).

٩١٦. Biffez la note b. أغْلَق signifie *achever* (un travail). F.

٩١٨, l. 15 lis. سعيد (سعد).

— l. 20 lis. ابن الورد.

٩١٩, l. 6 lis. العافية (العافية). F.

٩٢٠, l. 5 inf. lis. حُفَظَة (حافظا). F.

٩٢٣, l. 18 lis. تغبّر. F.

— l. 20 lis. مُرتَهَن. F.

— l. dern. lis. اذا (اذ).

٩٢٤, l. 4 lis. وزجْل؟ (ورحل). F.

— l. 6 lis. أخْلَف. F.

— l. 7 lis. الرّدَى. F.

— l. 12 lis. ونُدل (وبدّل). F.

" ٩٢٤, l. 12 lis. والليل (والسيل). F.

" — l. 13 lis. واصاب؟ (وأضآء). F.

" — l. 14 lis. تهآئمه (نمآئمه); cf. *Maràcid*, II, p. ٣٤٥, l. dern. F.

" — l. 17 lis. جوهرًا ذَهَبَ. F.

" — l. 19 lis. الّا ضَرّ (الاضر).

" — l. 20 lis. مُنْتَقَع (منفع).

" ٩٢٥, l. 2 lis. جَذيمة. F.

" — l. 5 lis. وتَغَذّت. F.

" — l. 8 lis. ثُلْث.

" — l. 21 lis. صُنْقَت (صنعت).

" ٩٢٦, l. 12 lis. انيه (البه).

" — l. dern. lis. لتَحلّيه (اليه). F.

" ٩٢٧, l. 10 lis. قَدَ أوْمضا (فد أومضا). F.

" — l. 11 lis. رَشا. F.

" — l. 2 inf. lis. قَصَرت.

" — l. dern. lis. وُطُفًا.

" ٩٢٨, l. 1 lis. ومُزاح. F.

" — l. 9 lis. صدور.

" — l. 10 lis. وسَنَى.

" — l. 19 lis. بَرِيئًا (بَرى؟). F.

" — l. 19 lis. عارٍ عَنْ (عارِ من). F.

" ٩٢٩, l. 8 lis. ولقلبها.

" — l. 9 lis. نَغَلّ؟ (تعلل). F.

" — l. 14 lis. عَصَنْكَ. F.

" — l. 15 lis. لطافة وللشمال (ولا شمال لطافة). F.

Pag. ٥٧٩, l. 1 lis. تنظرَ. F.

〃 — l. 16 lis. مُنْصِفٌ مَحِيدًا.

〃 ٥٨٠, l. 9 lis. وكان ٩٤٠ (وكان ٩٤٠).

〃 ٥٨١, l. 12 lis. وخَلِّ لى. F.

〃 — l. 12 lis. بِحُرْمَة (لحرمة). F.

〃 — l. 2 inf. lis. ثقات.

〃 ٥٨٢, l. 16 lis. فالبَوْح. F.

〃 — l. 19 lis. فهو قَهْرٌ (فهو قهر). F.

〃 ٥٨٣, l. 18. Après فيستقسمهم ajoutez على.

〃 — l. dern. lis. نَشْرُهُ. F.

〃 ٥٨٤, l. 4 lis. مثلُ. F.

〃 — l. 16 lis. حَسْبَهُما. F.

〃 ٥٨٥, l. 11 lis. يخرجُ. F.

〃 — l. 15 lis. أَوْدَعُهُمْ. F.

〃 — l. 16 lis. نتقوّت. F.

l. 4 inf. lis. المُؤْنَة.

〃 — l. 3 inf. lis. واخذوا حَلْيًا (حلْيًا).

〃 ٥٨٧, l. 2 lis. مرارا.

〃 — l. 10 lis. متكبِّر. F.

〃 — l. 2 inf. lis. بحاصل (بحامل).

〃 ٥٨٨, l. 17 lis. زَهْرآء.

〃 ٥٨٩, l. 5 lis. أَبْن. F.

〃 — l. 3 inf. lis. اجُرّوم. F.

〃 ٥٩٠, l. 18 lis. ويُلَقَّب. F.

〃 ٥٩١, l. 3 inf. lis. ما (au lieu de مَن avant اختّه). F.

Pag. ٥٩١, l. 8 inf. lis. عن الامور. F.

〃 — l. dern. lis. يأخذها

〃 ٥٩٤, l. 4 lis. القَسّ.

〃 ٥٩٥, l. 9 lis. سفر ادريس (السفر). Voyez *Journ. asiatique* 1853, Févr.—Mars, p. 244, note 2. Hādji Khalfa, éd. Flügel, III, 599, nº 7170.—

〃 — l. 18 lis. قَصَرَ. F.

〃 — l. 18. Biffez le mot فى avant السمرة ✿

〃 ٥٩٦, l. 10 lis. والمزيّة.

〃 — l. 15 lis. الذكر. F.

〃 ٥٩٧, l. 17 lis. نَظَرْتُما.

〃 — l. 4 inf. lis. شياخته. F.

〃 — l. 3 inf. lis. فيعطيه.

〃 ٥٩٨, l. 3 lis. وَجَدَ.

〃 — l. 5 lis. بالكُلّ (بالاكل). F.

〃 — l. dern. lis. توالبع.

〃 ٥٩٩, l. 11 lis. ونشرها. F.

〃 ٦٠١, l. 17 lis. الجفون له.

〃 — l. 18 lis. المخيّر.

〃 ٦٠٣. Biffez la note *d*. F.

〃 ٦٠٤, l. 12 lis. فما نَهَا. F.

〃 — l. 17 lis. الأَنْتَبِيْس (الاننيس); cf. Sour. 4, vs. 12. F.

〃 ٦٠٦, l. 10 lis. وقيل.

〃 ٦٠٧, l. 8 inf. lis. ادب الكاتب (ادب الكتاب); cf. Hādji Khalfa, I, p. 222.

Pag. ٥٤٢, l. 2 lis. مَصْرِى (مصرى). F.

— l. 3 lis. وفيه (وفيها). F.

— l. dern. lis. خَبَرَ.

٥٤٣, l. 1 lis. يَرْضَى ou تَرْضَى. F.

— l. 7 lis. نعمه — الانسكاب. F.

— l. 2 inf. lis. البَرّة (بالبر). F.

٥٤٤, l. 3 lis. تغمدها.

— l. 18 lis. وسبر (وصبر).

٥٤٦, l. 7 lis. ا

— l. 3 inf. lis. التنائى هواكم. F.

٥٤٧, l. 14 lis. الوهم (الوهيم). F.

٥٤٨, l. 5 lis. ويُضْحى. F.

— l. 6 lis. أَنْ يُعَدّ. F.

— l. 13 lis. قاصى (اقصى).

— l. 16 lis. ومَساجَرِيات. F.

— l. 2 inf. lis. مقبلين.

٥٤٩, l. 10 lis. والهون. F.

— l. 18 lis. خَرِف. F.

— l. dern. lis. الموسيقا.

٥٥٠, l. 3 lis. الاحقّ.

٥٥١, l. 13 lis. مقدّمته.

— l. 13 lis. الاصولِيّين; cf. de Sacy, *Gramm. ar.*, I, 379, l. 655. F.

— l. 4 inf. lis. غَرّا.

٥٥٣, l. 5 inf. lis. والسلام.

٥٥٤, l. 13 lis. تَغَلْغلنى.

٥٥٥, l. 9 lis. وجّه. F.

Pag. ٥٥٥, l. 10 lis. من العُبّاد (العابد).

″ ٥٥٨, l. 21 lis. فى المغرب (لمغرّب). F.

″ ٥٥٩, l. 9 lis. أزرى. F.

″ — l. 9 lis. بابة (باجة). F.

″ — l. 10 lis. مَقْلِيَة (sans techdîd). F.

″ ٥٦٠, l. 11 lis. دَرَج (خارج). F.

″ — l. 15 lis. الحكاية (الحلة). F.

″ — l. dern. lis. العذرى (العدوى).

″ ٥٦١, l. 6 lis. لآلاء.

″ — l. 8 lis. لبلة.

″ ٥٦٢, l. 8 lis. الدّرداء.

″ ٥٦٣, l. 9 lis. ويقال ? (ويقول). F.

″ ٥٦٤, l. 12 lis. سنان (سنتين); voyez *Marâcid*, II, p. ٤٥٥, l. 2. F.

″ — l. 4 inf. lis. والنَّسائى.

″ ٥٦٧, l. 8 lis. ورابعة.

″ ٥٦٨, l. 5 inf. lis. ليتّصلا. F.

″ — l. 2 inf. lis. والتفصيل.

″ ٥٧٠, l. 3 lis. يكون ou فيكون (لَيكون). F.

″ — l. 7 lis. لاهوتيّة.

″ — l. 3 inf. المتاركة (المنازلة). F.

″ ٥٧١, l. 2 lis. تَسْبِى. F.

″ — l. 3 lis. عَطِر. F.

″ ٥٧٢, l. 17 lis. الثقات.

″ ٥٧٥, l. 7 lis. اعملة (اعلمة).

″ ٥٧٧, l. 3 inf. lis. التكفير (التفكير).

″ ٥٧٨, l. 1 lis. البقر.

Pag. ٥١٨, l. 12 lis. قُرْبَةٌ. F.

″ ٥١٩, l. 9 lis. لِلْوَاوِ; cf. de Sacy, *Chrest. ar.* (2e éd.), III, p. 77.

″ — l. 19 lis. العقيق.

″ ٥٢٠, l. 7 lis. الرماد (الرمان). F.

″ — l. 11 lis. مرسية sans techdîd.

″ ٥٢١, l. 3 lis. ونقلته. F.

″ — l. 8 lis. استعفى.

″ — l. 15 lis. أَظْرَف ou ظُرَف (طرف). F.

″ — l. 21 أَذْكُرْ. F.

″ — l. dern. lis ونلطم.

″ ٥٢٢, l. 6. Après ومن ajoutez خاف.

″ — l. 10. Peut-être بت au lieu de رب. F.

″ ٥٢٣, l. 10 lis. موصول.

″ — l. 16 lis. أبخس. F.

″ ٥٢٤, l. 7. Biffez من. F.

″ — l. 13 lis. عليم (عليه). F.

″ ٥٢٥, l. 4 lis. شهدت. F.

″ — l. 4 lis. مُرْبَدا sans techdîd.

″ — l. 5 lis. تعتدى.

″ ٥٢٦, l. 2 lis. للغة. F.

″ — l. 8 lis. دحْيَة ودَحْية *Kām.* F.

″ — l. 10 lis. نوع ? (نرع). F.

″ — l. 12. Biffez له après وقربوا.

″ ٥٢٧, l. 11 lis. اودعه. F.

″ — l. 2 inf. lis. الزهر (الدهر). F.

Pag. ٥٢٧, note *b*. Le sujet du verbe فيحجن est sans doute un mot comme « tes vers »; مرابع se rapporte à اللوى et الاجارع. F.

″ ٥٢٨, l. 1 lis. كالخدود. F.

″ — l. 4. Après فسيح ajoutez فى.

″ — 16 lis. امنن.

″ ٥٣٠, l. 6 lis. الورد.

″ — l. 19 lis. الغيتنى.

″ — l. dern. lis. فتى (فنا). F.

″ — note *g*. Der Buchstabe ر wird oft für « etwas Gekrümmtes » gesetzt; cf. p. ٣٥٤, l. 3. F.

″ ٥٣١, l. 2 lis. تخدوا.

″ — l. 5 lis. مجتها محاسن. F.

″ — l. 8 lis. الملآى. F.

″ — l. 13 lis. مرأى.

″ ٥٣٤, l. 8 lis. مُنَغَّص. F.

″ ٥٣٥, l. 14 lis. مصرعا. F.

″ ٥٣٦, l. 5 lis. عين اليقين. F.

″ — l. 2 inf. lis. ذكره. F.

″ ٥٣٧, l. 20 lis. برسم الشبح. F.

″ — l. 20 lis. يسمطها. F.

″ ٥٣٩, l. 4 lis. ذوى; cf. Sour. 11, 44. 5. F.

″ — l. 9 lis. ضمنها. F.

″ ٥٤٠, l. 7 lis. يحدو ركائبه. F.

″ — l. 19 lis. يسكر. F.

Pag. ۴۸۳, l. 16 lis. بالأنيعم تستدرى (ما لا ينعم بستدرى); voyez *Marācid*, I, ۹۹, l. 14.

۴۸۴, l. 14 lis. بوضع.

— l. 16 lis. كان (وكان).

— l. 20 lis. مَنْصَّرة.

۴۸۵, l. 4 lis. وحَثَثْ.

l. 15 lis. وينفرج منفرج. F.

— l. 15 lis. قوم (دلم).

۴۸۷, l. 8 lis. احدكم.

— l. 10 lis. سَوّ (شَوّ).

— l. 15 lis. ورادى. F.

— l. 3 inf. lis. حُكما. F.

۴۸۸, l. 5 lis. مبتوتة. F.

— l. 11 lis. مقدّرا لقولك (مقرّرا بقولك). F.

— l. 12 lis. مُضْلِع.

۴۸۹, l. 9 lis. وارتبكوا (وارتكبوا).

۴۹۰, l. 4 lis. الأصيل.

— l. 8 lis. بالسبعة. F.

۴۹۲, l. 20. Après حديث il faut ajouter: مسدّد فعرأت عليه يوما فيه حديث. F.

۴۹۴, l. 13 lis. تعتقد.

— l. 3 inf. lis. جعفر.

۴۹۵, l. 5 lis. التوجيه (التوجّه). F.

— l. 5 lis. مذهب (هذهب).

۴۹۹, l. 15 lis. علي مدمانى. F.

Pag. ۴۹۹, l. 18 lis. حصرت.

" ۴۹۸, l. 11 lis. كلّها.

" — l. 16 lis. عُرْجا. F.

" ۵۰۰, l. 11 lis. نعمةً.

" — l. 16 lis. وضاعة. F.

" ۵۰۱, l. 5 lis. نعشه.

" ۵۰۳, l. 10 lis. الخلف.

" — l. 20 lis. يُخْص.

" ۵۰۴, l. 7 lis. اخذا.

" ۵۰۹, l. dern. lis. افترقْنا.

" ۵۰۷, l. 3 inf. lis. مصايقه.

" ۵۰۹, l. 10. Au lieu de المجد, M. F. propose الجدّ ou التجهّد ou النجد.

" — l. 2 inf. lis. وخْده.

" ۵۱۰, l. 2 lis. وبذآءاته. F.

" ۵۱۳, l. 8 lis. واعف.

" — l. 21 lis. وخدك. F.

" — l. dern. lis. سُخْط (سخطة). F.

" ۵۱۴, l. 1 lis. وغاصب.

" — l. 3 lis. برغمك (أبنُ عمّك). F.

" — l. 9 lis. للحلّف. F.

" — l. 18 lis. ودُنُوّ.

" ۵۱۹, l. 8 lis. سَبَقْتَ لحظ. F.

" — l. 11 lis. بُعانيها (نعانيها).

" ۵۱۷, l. 12 lis. وأنّمح.

" — l. 18 lis. مرسلا. F.

" — l. 19 lis. اغطش. F.

LIVRE V, PUBLIÉ PAR M. KREHL.

Les corrections qui m'ont été fournies par M. Fleischer, sont indiquées par la lettre F.

Pag. ۴۶۳, l. 3 lis. وَجَنَة.
″ — l. 9 lis. ثقفاً.
″ — l. 2 inf. بيزالّ.
″ ۴۶۵, l. 13 lis. نَعَمْ. F.
″ — l. 15 lis. حُفّاظ.
″ — l. 2 inf. lis. واتعلّم.
″ ۴۶۶, l. 3 inf. lis. سرّاع. F.
″ ۴۶۷, dern. l. lis. بيّنة au lieu de ثنية et وحُجّة au lieu de وصحّة. F.
″ ۴۶۸, l. 4 lis. أحمّد. F.
″ — l. 5 lis. مُبْرَمَة au lieu de مبرنة. F.
″ — l. 6 lis. والحزامة.
″ — l. 13 lis. خَبْث au lieu de جنب. F.
″ — l. 17 lis. ذرفت. F.
″ ۴۶۹, l. 8 lis. سكرانَ.
″ — l. 13 lis. جلدًا نسى au lieu de أن تجلد. F.
″ ۴۷۰, l. 18 lis. سَمَة au lieu de سمر. F.
″ — l. 20 lis. بقرطبة.
″ ۴۷۱, l. 20 lis. الضارى.
″ — l. 2 inf. lis. أَشْعِمونا.

Pag. ۴۷۳, l. 1 lis. وامر لهما.
″ ۴۷۴, l. 15 lis. شارة. F.
″ ۴۷۵, l. 14 lis. قَطِن. F.
″ — dern. l. lis. بقصيدتيه. F.
″ ۴۷۷, l. 14 lis. لَبِس. F.
″ ۴۷۹, l. 1 lis. بمُغيلة بمقربة ; voyez *Marâcid*, III, p. ۱۲۸, not. 4.
″ — l. 2 lis. فلنُعَزِّزه ; cf. Sour. 5, vs. 15; 7, vs. 156; 48, vs. 9. F.
″ ۴۸۰, l. 8 lis. أمرتُ. Dans le premier hémistiche il faut lire إذ au lieu de إذا. F.
″ — l. 17 lis. العُزّى. F.
″ ۴۸۱, l. 10 lis. يقطع au lieu de يفع. F.
″ ۴۸۲, l. 2 lis. الامد au lieu de الابد. Makrîzî خطط (édition de Boulak) I, p. ۱۱۹, l. 11 porte الغرض. F.
″ ۴۸۳, l. 11 lis. يجرى فى فلك (لسى فى فلك يسرى). F.
″ — l. 12 lis. قمّة (قنّة). F.
″ — l. 16 lis. وسافت. F.

Pag. ٣٤٢, note *g*. R. يحفظ عليه.

〃 — note *h*. R. متبينا.

〃 — l. 23. Après السنّة R. ajoute والقرآن ۞

〃 ٣٤٣, l. 1 R. سنة ثلاث وعشرين.

〃 — note *f*. R. offre la même leçon que les man. S. et L. d'al-Makkarī.

— note *h*. R. لها يا ربيب.

〃 ٣٤٩, l. 9 R. وصاحب الناصر.

〃 — l. 15 R. يأجوس ضلال et قوائم سيفه تلك الديار خيفه ،

〃 — l. 17 R. مشتملة بفنائه.

〃 — l. 19 R. وشعر.

〃 — l. 23 R. يشدو.

〃 ٣٤٧, note *b*. R. الى.

〃 — note *c*. R. استامر.

〃 — notes *d* et *e*. R. وضاجر عن اصحابه.

〃 — l. 8. Le mot بقوله manque dans R.

〃 — l. 11 R. يغتزل.

〃 — l. 12 R. بمثلى, mais on lit sur la marge بقلبى صح.

〃 ٣٩١, l. 18. Voyez p. ٣٨٩, l. 10.

〃 ٣٩٣, note *h*. Il manque aussi dans R.

〃 ٣٧٤, l. 15. R. ajoute جعفر après على.

〃 — l. 17. Après القوم R. ajoute فيها.

Pag. ٣٧٤, l. 18 R. porte وتخلقوها عادة اميرة, et تشاحح deux fois au lieu de تشاحّ.

〃 — l. 19 R. يناقد.

〃 — l. 21 R. ونابغ.

〃 — notes *d* et *e*. R. الديانة et والامانة.

〃 — note *f*. R. وببعض.

〃 — l. 6 R. بمناه واشتمل.

〃 — l. 8 R. اليه والتكبير وانثالوا.

〃 — note *i*. Il manque aussi dans R.

〃 — l. 12 R. واصحابه.

〃 — note *l*. R. والنفس.

〃 — l. 15 R. الموت بيع.

〃 — notes *m* et *n*. Les mots الله et قد manquent aussi dans R.

〃 — l. 21 R. رانى.

〃 ٣٧٩, l. 1 R. وخفاه.

〃 — note *a*. R. معلمها.

〃 — note *d*. R. رفعى.

〃 — l. 8 R. ولا.

〃 — l. 13. Après الوزير R. ajoute ابو بكر محمد ۞

〃 — l. 16 R. اطاف.

〃 — l. 18 R. شانكسر محمد بن.

〃 — l. 21 R. porte مقيّدا / مفندا صح } (*sic*).

قومه بنعم الله عز وجل عندهم وانا اذكركم نعم الله عليكم وتلافيه ؛

Pag. ٢٣٨, note *g*. Dans R. tout se lit comme chez al-Makkarî.

" — l. 11 R. مع ضيق.

" — l. 12 R. بالرخا, et c'est ainsi qu'on doit lire.

" — l. 13 R. يا معاشر.

" — note *m*. Ce qui suit se trouve dans R. sur la marge.

" — l. 19 R. ونم يكمل et بباشره.

" ٢٣٩, note *b*. Ces mots se trouvent dans R.

" — notes *c* et *d*. Tout ce passage, à partir des mots نافذة ثاقبة jusqu'à لديكم الفتوحات, se trouve dans R. sur la marge.

" — l. 3 lis. avec R. بالمنصب مسنحجلا.

" — l. 5 R. جده et اخوانا بنعمته.

" — l. 6 R. وبلم امسر السمجمنمين تسعتكم (*sic*).

" — note *g*. Après البركات on lit dans R. les mots وتوانرت عليكم اسبب الفتوحات, mais le copiste les a biffés.

" — note *h*. R. عايه عابهم (*sic*).

— note *j*. R. بينه وبينكم. Les mots وتغتبط جماعة s'y trouvent sur la marge.

Pag. ٢٣٩, note *k*. Les mots بادية et خافية se trouvent dans R.

" — note *l*. R. offre la même leçon que les man. d'al-Makkarî.

" — l. 14 R. وسلوه.

" — l. 15. Le mot انى manque dans R.

" — note *p*. Ce passage se trouve sur la marge du man. R.

" ٢٤٠, note *b*. Même remarque. Seulement les mots فاعتصموا ..... منكم الآية y manquent.

" — note *f*. Même remarque.

" — note *g*. Ces mots se trouvent dans R.

" — l. 9 R. نبيكم صلعم وعلى جميع النبيين والمرسلين اقول قولى هذا والحمد لله رب العالمين وانشد يقول مقال النجح

" ٢٤١, l. 11 R. نـاش et الزلازل.

" — l. 13 R. بخير.

" — l. 14 R. داره.

" — note *j*. R. معمر مومل صحح (*sic*).

" — l. 17. Ce vers se trouve dans R. sur la marge.

" ٢٤٢, note *d*. R. وسكون, comme al-Makkarî.

" — note *e*. R. وجد, comme al-Makk.

" — l. 17 R. ناهيك sans و.

Pag. ٤٢٩, l. 13 lis. قَضَى.

〃 ٤٣٣, note *d*. Au lieu de وتَبَّتْ lisez وبَثَّتْ ۞

〃 ٤٣٤, l. 17 lis. الكتائبَ قادَ et من لَأَمِّهِم. Fl.

〃 ٤٣٥, l. 2. Fleischer propose de lire أَسْعَى بِحَمْدٍ ۞

〃 — l. 11 lis. نَمَّقْتُها et وتَنَقَّتُها.

〃 ٤٣٩, l. 16 lis. مَلَكًا.

〃 — l. 23 lis. البَأْسُ بالناس.

〃 ٤٤٠, l. 2 lis. النَّوْ.

〃 ٤٤٤, l. 14 lis. شاةُ القتال = شاةُ نِزَال.

〃 ٤٤٩, l. 2 lis. والجُلَّنارَ دماءُ ..... والياسمينَ حبابَ ۞

〃 — l. 8 lis. مصفَّرة بالزهر.

Pag. ٤٤٧, l. 1 lis. نَضِرة.

〃 ٤٤٩, l. 5 lis. احمِّ.

〃 ٤٥٢, l. 13 lis. من رِدْف. Fl.

〃 ٤٥٤, l. 3 lis. رآه الظفر. Fl.

〃 — l. 16 lis. مَشْيَ.

〃 ٤٥٥, l. 21 lis. عَبَقَ et وخاجلةٌ. Fl.

〃 ٤٥٦, l. 15 lis. مرّ بحوضه. Fl.

〃 ٤٥٧, l. 3 lis. من عَلَّتى. Fl.

〃 — l. 21. Fleischer propose de lire وبَلْدةُ لذّتى ۞

〃 ٤٥٨, l. 2 lis. نعمان.

〃 ٤٦٠, l. 3 lis. غَدَا.

〃 — l. 6 lis. ان يقربا. Fl.

〃 — l. 8 lis. فقال. Fl. — Biffez la note *c*.

〃 ٤٦٢, l. 1 lis. يُستبدّ.

Comme nous n'avons reçu le man. R. du *Maṭmaḥ* qu'au moment où le troisième livre était déjà imprimé, je donne ici les principales variantes qu'il m'a fournies pour ce livre.

Pag. ٢٣٧, l. 23. Le mot فقال manque dans R., et les mots يسحه .... البغدادى s'y trouvent sur la marge.

〃 ٢٣٨, l. 3 et note *b*. R. والفتوا على. Les mots معشر الملا se trouvent dans R. après بافتدتكم.

Pag. ٢٣٨, l. 6. Après بانبيائه R. ajoute والمرسلين ۞

〃 — notes *d*, *e* et *f*. R. بايام الله حل وعلا وفيه ... . حسنة ; mais les mots بايام ..... عندكم se trouvent sur la marge. Le texte porte : ان يذكر

Pag. ۳۸۹, l. 8 lis. للمنصور مَفاخِره بَذّ بها. Fl.

" ۳۹۰, l. 15 lis. avec *al-Mat.* L. فحبّبك غَضّ فى ❀

" ۳۹۳, l. 5. La leçon des man., فى غالب انْطّقّ, est bonne.

" ۳۹۵, l. 1 lis. لبيّنكم.

" ۳۹۶, l. 6 lis. الامرُ أَعمَى. Fl.

" — l. 14 lis. avec G. L. S. مُديل.

" ۳۹۸, l. 17. Ajoutez الذى après العدد.

" ۳۹۹, l. 4 lis. ابى.

" — l. 6 lis. avec G. L. ونغّنه. Fl.

" ۴۰۰, l. 10 lis. واجتمع عند. Fl.

" — l. 21 lis ..... اذا عَنّ سامجف يُغنى. Fl.

" ۴۰۲, l. 7 lis. بمصاحف. Fl.

" ۴۰۳, l. 9 lis. avec la plupart des man. للمسبّيات.

" ۴۰۴, l. 17 lis. الأذّر.

" ۴۰۵, l. 1. Doit-on lire مصحفوظ اذكارها? Fl.

— l. 4 lis. [illegible] ارتد au lieu de ارتج. Fl.

" — l. 7. Peut-être فصيلا فى. Fl.

" — l. 14 lis. الى خلاف. Fl.

" ۴۰۸, l. 13. Doit-on lire لحظ au lieu de غظ? Fl.

" ۴۰۹, l. 7. lis. نوضح.

" ۴۱۰, note *j*. Lis. بين صلّة لكل شاعر et. Fl.

Pag: ۴۱۲, l. 9 lis. فالْقوا.

" ۴۱۳, l. 5 lis. مَنَع منه تلاحُق. Fl.

" ۴۱۵, l. 4 lis. avec G. P. La. O. عَنّ.

" — l. 14 lis. الغُبَر. Fl.

" ۴۱۶, l. 2 lis. وضَيْم. Fl.

" ۴۱۷, l. 1 lis. ثقة.

" — l. 5 lis. الشوق.

" ۴۱۸, l. 15 lis. والليل أذا. Fl.

" ۴۲۰, l. 23 lis. فارْتج.

" ۴۲۱, l. 8 lis. كَفْو.

" ۴۲۲, l. 6 lis. avec les man. السواقى.

" ۴۲۳, l. 7 lis. أسفى.

" ۴۲۴, l. 9. Fleischer pense que la leçon الاراغة est bonne (دَعْوة = اراغة?).

" — l. 17. Peut-être doit-on lire حالم au lieu de حاكم. Fl.

" ۴۲۵, l. 7. Peut-être ولا يُبْخس. Fl.

" — l. 9 lis. مفصّص.

" — l. 13 lis. فى هدى.

" — l. 14 lis. بحرًا.

" ۴۲۶, l. 6 lis. منه au lieu de فيه.

" — l. 16 lis. وتكاد et تمطر.

" ۴۲۷, l. 4 lis. والأشراد.

" ۴۲۸, l. 6 lis. زُهْر النجوم.

" — l. 15 lis. ولم تخفّ. Fl.

" ۴۲۹, l. 5 lis. سَوام الحُمْر. Fl.

" — l. 9 lis. لحقّ لنا. Fl.

Pag. ٣٥٥, l. 17 lis. تَخْتصّ.
" ٣٥٧, l. 7 lis. ووصل.
" — l. 20 lis. عرفانى وأُضْرِبْ.
" — l. 22 lis. أمَالى. Fl.
" ٣٥٨, l. 9 lis. وقال.
" — l. 21 lis. يكمّل.
" ٣٥٩, l. 23 lis. فكمّل.
" ٣٦٠, l. 7 lis. مقاصير.
" — l. 23 lis. جمل الناس.
" ٣٦١, l. 22 lis. يَشْرَع.
" ٣٦٣, l. 7 lis. فالواجبُ. Fl.
" — l. 8 lis. خَتْمَه et كتْمَه. Fl.
" — l. 20 lis. الذفرى.
" — note *a*. Au lieu de سنين lisez أعوام.
" ٣٦٤, l. 21 lis. فتخيّلْه.
" ٣٦٥, l. 3 lis. يَستقى لها الماء. Fl.
" — l. 5 lis. أجرى فى جميعها الماء. Fl.
" — l. 7 lis. فصّل. Fl.
" — l. 21 lis. المشترط اجتهادًا او تقليدًا. Fl.
" — l. 22. Peut-être doit-on lire والظاهر, c'est-à-dire وظاهر قرطبة. Fl.
" — l. 24 lis. avec P. S. O. تخريجا.
" ٣٦٦, l. 2 lis. avec G. L. التفصيل.
" — l. 7. Fleischer propose de lire سنح لنا بُغْضُ المجهود ومَودّةُ التقليد ۞
" ٣٦٩, l. 15 lis. مُوتَسبين.

Pag. ٣٦٩, l. 25 lis. تَزيد.
" ٣٧١, l. 17. La leçon des man. منها est bonne.
" ٣٧٢, l. 12 lis. المُنْتَحلَة = الفاسدة. Fl.
" ٣٧٣, l. 14 lis. avec G. L. S. O. حين ابْتَدَأها ۞
" ٣٧٧, l. 1 lis. avec les man. يَنْقَض (de انْقَضَى).
" — l. 18 lis. avec G. S. La. O. ماثلة.
" ٣٧٨, l. 6 lis. avec La. O. التمكّن.
" — l. 21 lis. قال.
" — l. 22 lis. بالتمثّل. Fl.
" ٣٧٩, l. 15 lis. فأساء التدبير. Fl.
" ٣٨١, l. 9 lis. avec P. من الأَنْباء.
" — l. 19 lisez عليه.
" ٣٨٢, l. 10 lis. وجاءت et (avec G. L. S.) نَقاوة بنا. Fl.
" ٣٨٤, l. 6. Peut-être والقَضْبُ يلتفّ. Fl.
" ٣٨٥, l. 11 lis. avec G. L. P. S. وقَعَد (scil. عن الحرب).
" — l. 22 lis. وأُشْعِر.
" — l. 24 lis. أعْتَقَ au lieu de واعتق.
" ٣٨٩, l. 3 lis. avec *al-Mat*. L. ويجرعه.
" — l. 7 lis. لبثّه راق (de رَقى).
— l. 20 lis. دمى عنى. Fl.
٣٨٧, l. 3 lis. أَلْقى الحبيبَ. Fl.
٣٨٨, l. 1 lis. avec S. وأُديلت.

Pag. ٣٣٢, l. 18 lis. avec G. L. S. المؤيّدة.
〃 ٣٣٣, l. 2 lis. اختبار.
〃 — l. 8 lis. أشتات.
〃 — l. 15 lis. avec L. خَبُوس = خَبيس. Fl.
〃 — l. 22. Doit-on lire واستكملوا اسبابهم ? Fl.
〃 ٣٣٤, l. 10 lis. الاختبار.
〃 — l. 13. Peut-être لا يُحْقَر. Fl.
〃 — l. 18 lis. شَيْمًا. Fl.
〃 — l. 23 lis. الغُضْوى. R.
〃 ٣٣٦, l. 22 lis. avec G. L. P. وزيادة.
〃 ٣٣٧, l. 6. Biffez la note *a*, et voyez le *Koran*, sour. 22, vs. 5.
〃 — l. 8 lis. شاءت au lieu de بشاءت. Fl.
〃 — l. 20 lis. التيجان.
〃 ٣٣٨, l. 4 lis. أبقت.
〃 — l. 6 lis. avec S. La. O. وزيادة.
〃 — l. 12 lis. واستوسقت.
〃 ٣٣٩, l. 2, 3 lis. واطَّرَدَ حُكْمه وأنْتَتِج نتيجة. Fl.
〃 — l. 4 lis. والعَنف, c'est-à-dire والغناء. Fl.
〃 — l. 9 lis. عَمَّ مُمِتّ. Fl.
〃 — l. 10 lis. للمضاجع مُقِتّ. Fl.
〃 — l. 15. Peut-être doit-on lire avec S. اجنة. Fl.
〃 — l. 16. Peut-être واحسانه تَــلك انتنبعه. Fl.

Pag. ٣٣٩, l. 20 lis. بحت. Fl.
〃 — l. 23 lis. القيون أحمت.
〃 ٣٤٠, l. 13 lis. avec G. L. S. المُعْيِى.
〃 ٣٤١, l. 12 lis. الظمّ.
〃 — l. 18 lis. من رخام.
〃 ٣٤٣, l. 14 lis. على رزايا. Fl.
〃 — l. 18 lis. تعصّبت.
〃 ٣٤٤, l. 24 lis. يَزيد.
〃 ٣٤٥, l. 13 lis. وتنفح.
〃 — l. 19 lis. منه au lieu de فيه.
〃 ٣٤٦, l. 9 lis. ولمّا جليه. Fl.
〃 ٣٤٧, l. 14 lis. خَلْفَه الزجاجُ. Fl.
〃 ٣٤٨, l. 10 lis. وخَلْف صَحيفَتِي. Fl.
〃 ٣٤٩, l. 3 lis. avec La. et O. زَهْوًا.
〃 — l. 11 lis. قَصَبُ.
〃 — l. 19 lis. زيّن.
〃 ٣٥٠, l. 4 lis. ومن ايناعه. Fl.
〃 ٣٥١, l. 2 lis. avec G. L. P. S. المَشوف. Fl.
〃 — l. 15 lis. لطيب بواكره. Fl.
〃 — l. 17 lis. وسَاجِيَة تَتَحَضَّرمسك. Fl.
〃 ٣٥٢, l. 7 lis. للتفرّج.
〃 ٣٥٣, l. 10 lis. ما سلف من أعتابك. Fl.
〃 — l. 17, 18 lis. يُخَفَض et يُبْنَى. Fl.
〃 ٣٥٤, l. 9 lis. جَنّا بهم. Fl.
〃 — l. 13 lis. قصاب, plur. de قَصَبٌ, قَصَبَةٌ ☆
〃 — l. 19 lis. avec le *Dîwân* يَرِدْنى.

Pag. ٢٧٥, l. 2 lis. آلْ au lieu de أَلْ.

″ — l. 10. Biffez le " après قُرطبة.

″ — l. 11. Le mot مجرّن doit être placé avant اسمها dans la phrase précédente. Fl.

″ ٢٧٦, l. 3 lis. اتيتُ et تَخلَّص.

″ ٢٧٩, l. 17 lis. avec les man. d'al-Makk. ختامُ ☼

″ ٢٨٠, l. 4 lis. واضح.

″ ٢٨١, l. 15 lis. فَأَبْحَثْن. Fl.

″ ٢٨٤, l. 9 lis. وتُقى.

″ ٢٨٥, l. 10 lis. نقص.

″ — l. 21 lis. يجارى على.

″ ٢٨٦, l. 2 lis. التخشى اكول et نوُوم.

″ ٢٨٧, l. 17 et la note *c*. Lis. وسُنْلِمَ.

″ ٢٨٨, l. 17 lis. أَخَذَ.

″ ٢٩٠, l. 21 lis. بكل.

″ ٢٩١, l. 12 lis. فيغلب. Fl.

″ ٢٩٥, l. 1 lis. بعد au lieu de وبعد.

″ ٢٩٦, l. 1 lis. لتَستدلّ.

″ ٢٩٨, l. 4 lis. بها.

″ — l. 19 lis. يَجِبُ.

″ ٣٠٠, l. 18 lis. تمحصت.

″ — l. 20 lis. مَتجر.

″ — l. 21 lis. عوالِ et معالِ.

″ ٣٠٤, l. 20 lis. avec G. et L. نَمَت.

″ — l. 23 et la note *i*. Lis. اجتناء. Fl.

Pag. ٣٠٥, l. 23 lis. يُرى فيه ماء. Fl.

″ ٣٠٦, l. 1 lis. avec O. ماجفوّ. Fl.

″ — l. 5 lis. بُدّل.

″ — l. 7 lis. رايتُه.

″ ٣٠٧, l. 12. La leçon اكتساب est bonne.

″ — l. 24 lis. ضاف.

″ ٣٠٩, l. 17 lis. تضحك.

″ ٣١٠, l. 22 lis. avec L. رَدّى الى الجواب.

″ ٣١١, l. 10 lis. أَعْدَمَ.

″ — l. 14 lis. وَرَدَ.

″ — l. 18. Biffez la note *e*, et voyez les *Séances de Harîrî*, 2ème édit., p. ١٥٨.

″ ٣١٢, l. 2 lis. قاسم.

″ — l. 6 lis. ويَبْخَل.

″ ٣١٣, note *j*. Prononcez les mots على النبى *'an-nabî*.

″ ٣١٤, l. 14 lis. اشبيلية au lieu de واشبيلية.

″ ٣٢١, l. 16 lis. تَخذْنا.

″ ٣٢٥, l. 3 lis. تدلّان.

″ ٣٢٦, l. 7 lis. منها, c'est-à-dire من مصر.

″ ٣٢٧, l. 11 lis. لينتبه.

″ — l. 19 lis. يا دارًا امسى, et prononcez *dā-râ-namsā*.

″ ٣٢٨, l. 6 lis. انسجامها.

″ ٣٢٩, l. 2 lis. قبابُها.

l. 11. Peut-être ويمنى. Fl.

٣٣٢, l. 2 lis. avec G. L. S. وينبى.

Pag. ٢٣٣, l. 16 lis. خلصت.

″ ٢٣٤, l. 17 lis. ورتّب.

″ — l. 21 lis. فارتجّ.

″ ٢٣٨, l. 5. Biffez le و après le mot تعّ.

″ — l. 12 lis. بالرّخا.

″ — l. 17 lis. باسكم.

″ ٢٣٩, l. 1 lis. تأخذ.

″ — l. 16. Le ' doit être placé après حلا.

″ ٢٤٠, l. 4 lis. التخلّل, plur. de خلال. Fl.

″ — l. 15 lis. رسُل.

″ ٢٤١, l. 3 lis. تتثبّت. Fl.

″ — l. 20 lis. فانه ليدبغ. Fl.

″ ٢٤٣, l. 15. Selon Fleischer, on doit biffer في après فسا.

″ ٢٤٦, l. 15 lis. خَوْفه = خَيْفه.

″ — l. 16 lis. avec L. et O. وينقد. Fl.

″ — l. 17 lis. وكرمه ينتشر على الأمّل. Fl.

″ — l. 19 lis. يَنْقد et يَعْقد. Fl.

″ ٢٤٧, l. 3 lis. الأذن.

″ — l. 20. Doit-on lire خير الخشب? Fl.

″ ٢٥٢, l. 20 lisez avec La. حقّا.

″ — l. 22 et note *f*. Ce mot dérive-t-il de *pluvial*, ou de *palio*? Doit-on écrire بليوال, ou avec O. بليون?

″ ٢٥٣, l. 21 lis. يغْرَج, et voyez Freytag, *Arab. Proverbia*, t. II, p. 220, nº 66. Fl.

Pag. ٢٥٤, l. 18 lis. نصرفه.

″ ٢٥٥, l. 22 lis. أمدُ المَدَى ونهايةُ. Fl.

″ ٢٥٦, l. 6 lis. ما عُرِيَتْ منه جُسومُ.

″ — l. 8 lis. منتصب.

″ ٢٥٨, l. 5. La leçon des man. est bonne; ملأ الدنيا ..... من.

″ — l. 19 lis. فاستوسق.

″ ٢٦٠, l. 18 lis. بعذرة البكرِ إنْ كُنْتَ ترجّي بَوَارق الاعذار. Fl.

″ ٢٦١, l. 1. Au lieu de معتفيها lisez معتفه, et voyez p. ٣٨٩, l. 13; mais je pense que la meilleure leçon est celle du *Matn*. P. البيدا بعسفه.

″ ٢٦٤, l. 8 lis. بتمنيح. Fl.

″ — l. 10. Ajoutez لا avant le mot ينساق.

″ ٢٦٨, l. 10 lis. ارجعْ.

″ — l. 17 lis. اتمّ.

″ ٢٧٠, l. 18 lis. avec le *Bayān al-M.* على النجد ٥

″ — l. 22 lis. الادلّاء.

″ ٢٧١, l. 12 lis. تغْنَ; voyez le *Korān*, sour. 10, vs. 25.

″ ٢٧٢, l. 20 lis. وتأمّل بقوله. Fl.

″ ٢٧٤, l. 19. Peut-être يتأمّد, « aliquid sibi أمدًا terminum statuit. » Fl.

″ — l. 21. La leçon des man. est bonne: نابغ signifie ici *novus homo*.

Pag. ۲۰۹, l. 11 lis. وبه تَعلَمُ.

〃 ۲۰۸, l. 1 lis. لذّة الاقامة. Fl.

〃 — l. 3 lis. حتى يعْمِلَ (scil. الله), et biffez ما. Fl.

〃 — l. 15 lis. عياب. Fl.

〃 — l. 22 lis. وتناجوس.

〃 — l. 23 lis. avec G. L. La. et P. والنَّبْر.

〃 ۲۰۹, l. 2 lis. الفَلّات, plur. de فَلّة. Fl.

〃 — l. 4 lis. avec L. قَيْد = بَنْد. Fl.

〃 — l. 6 lis. والخُوَن, plur. de خُونة.

〃 — l. 7 et 8 lis. حِذْق سُوَر الفَتْح ' وأَخْذُ دلآة ذلك المَتْح ". Fl.

〃 — l. 12 lis. الذخيرة.

〃 — l. 24 lis. الناشية.

〃 ۲۱۰, l. 11 lis. كَرِيثٌ باخيه. Fl.

〃 ۲۱۲, l. 15 lis. المُسَوَّدة.

〃 ۲۱۳, l. 4. Après بالاندلس ajoutez les mots ما فَعَل.

〃 ۲۱۴, l. 5 lis. أمراسه.

〃 ۲۱۹, l. 9 lis. لما سمع.

〃 — l. 15 lis. لم تَتْرُكْ = لم تَدَعْ.

〃 — l. 16 lis. أغْنى.

〃 — l. 18 lis. جَدَّ منّى. Fl.

〃 — l. 23 lis. لَقُلْتُ ضاعة.

〃 ۲۱۷, l. 10 lis. بظلم.

〃 ۲۲۰, l. 5 lis. وفيه غَضَبٌ. Fl.

〃 — l. 11 lis. فأُمِّنَتْ.

Pag. ۲۲۱, l. 23 lis. وأبْكَى العدوّ. Fl.

〃 ۲۲۴, l. 14 lis. تُسَدَّدُ.

〃 — l. 21 lis. avec G. S. L. et P. الشّمّين plur. de شَأْم. Fl.

〃 ۲۲۹, l. 23 lis. تَخْفَى.

〃 ۲۲۷, l. 19 lis. مراكبه.

〃 — l. 21 lis. لما يعلم.

〃 ۲۳۰, l. 2. La leçon des man., عالى, est bonne.

〃 — l. 3. Doit-on lire شقة من خِنْج ? خِنْج = Pers. خِنْك, c'est-à-dire *étoffe de soie blanche*. Fl.

〃 — l. 8 lis. شَدّ.

〃 — l. 11. La leçon du texte, الهبات, est bonne.

〃 — l. 22. On doit lire بمراكب. Comparez p. ۲۳۱, l. 4.

〃 ۲۳۱, l. 22 lis. عَمَلُه. Fl.

〃 ۲۳۲, l. 3 lis. avec G. L. et P. سعده, et العامَ ۞

〃 — l. 17 lis. بَعَثْتُ.

〃 ۲۳۳, l. 5 lis. تَحَرَّكْ لسانك, ou bien, avec S., طَيَّرْتُ راسك.

〃 — l. 7 lis. avec les man. مشارك.

〃 — l. 10. Après فى سؤاله ajoutez le mot فَشْوَ, ou bien corrigez فى سؤاله en بسراية. Fl.

Pag. ١٦٨, l. 22 lisez فيجدّد.

" ١٧١, l. 4. Doit-on lire لمّا نصل ?

" ١٧٢, l. 2 lis. فاداخها.

" ١٧٣, l. 4 lis. avec la plupart des man. وطَمّن نفوسَ ✿

" ١٧٤, l. 5 lis. وقلوب تقفى.

" — l. 18 lis. avec la plupart des man. وياخذه ✿

" — l. 25 lis. حثّوا.

" ١٧٩, l. 19 lis. لمكانه.

" ١٨٠, l. 15 lis. فيخفّفوا.

" ١٨٣, l. 13 lisez آخَر, et comparez la phrase انت فى وادٍ ونحن فى وادٍ.

" ١٨٥, l. 10 lis. مَنْ عدا avec G. S. L et P.

" ١٨٦, l. 13 lis. avec G. S. P. et La. حمّدين. Voyez p ٣٩٩, l. 19.

" ١٨٨, l. 12 lis. مشهورة.

" ١٩٠, l. 22. Doit-on lire على تدريق ?

" ١٩١, l. 19 lisez avec La. بمحمد.

" ١٩٣, l. 1 lis. وعرّض.

" ١٩٤, l. 10 lisez d'après le man. S. يتذ كّرون تَحَسّر ابن نصير وشارق،

" ١٩٥, l. 1 lis. وتنغّش et وترعى.

" — l. 7 lis. فعوّذت.

" — l. 10 lis. وتحرّس.

" — l. 14 lis. avec G. P. L. La. التخطّب.

" ١٩٦, l. 11 lis. والشَّبع قد نكص العيقرى. Fl.

Pag. ١٩٧, l. 1 lis. أَصْحَبَ.

" — l. 8 lis. حلاه الغرّ.

" — l. 19 lis. لَأَوْلَى.

" ١٩٨, l. 4. Il paraît que le mot على après عادت doit être biffé.

" — l. 14 lis. أَنَّا.

" ١٩٩, l. 10 lisez avec L. et La. لا تَأْسَ من رَوْحِ الإلهِ ✿

" — l. 22 lis. بطَرِيقٍ أَدْرَجَ = بَدْرَجٍ. Fl.

" ٢٠٠, l. 7 سَلاعا est l'impératif de سَأَلَ, et عَنِّى = عَنى ; l. 8 سَلاعا est la ville de *Salā* dans le مغرب الاقصى. Lisez: انى رُباعا يومًا ولم يَسْلِ. Fl.

" — l. 20 يَعْدُو نَصْحَه ? Fl.

" ٢٠١, l. 1 lis. ولم ينطق.

" — l. 13 et 14 lis. المُطْلِع على أَعْجازِ القرآن, et بالتنبيهات.

" — l. 24 lisez avec S. et La. تَغَلَّبَ.

" ٢٠٣, l. 14 lis. ما أَتَّئِدُ (VIII. de آدَ, يَئُودُ). Fl.

" ٢٠٤, l. 6 lis. تلك المَكارمُ لا قَعْبانِ et voyez Abou'l-fidā, *Hist. Anteislam.*, éd. Fleischer, p. 120, l. 3.

" — l. 10 lis. وأَبانَتْ.

" — l. 15 lis. بُخَلِّلت.

" ٢٠٥, l. 24 lis. أُلْهِمَ.

" ٢٠٦, l. 5 lis. يهمّنون.

Pag. ١٣٣, l. 6 lis. من غير تدبّر.
" — l. 25 lis. ويَختصّ.
" ١٣٤, l. 1 lis. واكثرُ ما.
" — l. 7 lis. الجَهْبَذة.
" — l. 11. Doit-on lire الثناء au lieu de البناء?
" ١٣٥, l. 19. Au lieu de وانكاره lisez وانكارها ou وانكارهم.
" ١٣٦, l. 5. Au lieu de جوار Fleischer propose de lire جواز.
" ١٣٧, l. 4 lis. النحو.
" — l. 5 lis. والمخاطبات.
" — l. 9 lis. ويتوقّع.
" — l. 11 lis. avec S. et O. ويستخف, et corrigez عادةً en عادة:
" — l. 24. Placez منهم après المعظّمون.
" ١٣٨, l. 1 lis. الا العالم.
" — l. 4 lis. بتعلّمها.
" ١٣٩, l. 5. Il paraît que les mots ليصدق التثليث فى القسمة doivent être placés dans quelque autre endroit.
" ١٤٠, l. 5 lisez تُنْتِج.
" ١٤١, l. 19 lis. وامّ.
" — l. 20 lisez استَغْلَقت.
" ١٤٢, l. 3 lis. وآلة.
" ١٤٣, l. 2 lis. فكمّلوا.
" ١٤٧, l. 10 lis. avec le man. G. et Ibn-Kh. وتعنّع.

Pag. ١٤٧, l. 18 et p. ١٤٨, l. 3 lis. المسوّدة.
" ١٥٢, l. 14. Au lieu de فلم تجد on doit lire فلن تجد.
" — l. 23 lisez تَتَخلّص.
" ١٥٣, l. 16 lisez وسلّكه.
" ١٥٧, l. 6 lisez بالاندلس.
" ١٥٨, l. 19 lis. الغَناء.
" ١٥٩, l. 1 lis. فأنّسوا.
" ١٦١, l. 2 et note *b*. La leçon des man. est bonne; تَتَخَبَّتْ = تَتَخَبّأْتُ.
" ١٦٢, l. 2 lisez كَمَلت ou كَمُلت.
" — l. 7 lis. الغنائم.
" — l. 23. Doit-on lire فخَفْ au lieu de فخُذْ?
" ١٦٣, l. 4. Au lieu de فغدر lis. فعذّر.
" — l. 18 lisez بالجبال.
" ١٦٥, l. 24 lisez تعظّمها.
" ١٦٦, l. 4 lis. فتعشّر au lieu de فقصر.
" — l. 17. On doit lire probablement مُضْحِيًا, "en plein champ", signification qui dérive du nom ضاحِيَة.
" — l. 21 lisez وعَرَضوا.
" ١٦٧, l. 23 lis. بالغَرْب.
" ١٦٨, l. 3 lis. لكبيرهم.
" — l. 13 lisez avec P. صَرْمها (صَرامة = صَرْم). Les deux mots صرم et حزم se trouvent fort souvent ensemble.

Pag. ١٠٩, l. 22 lisez وسالًا.

" ١١٠, l. 6 lisez والطَلّ, avec la plupart des man., et corrigez وقت en رَقْتُ.

" ١١٠, note *c*. M. Calderon s'est trompé. Le mot *azerola* dérive de اَلزُّعْرور, et l'azérole n'a rien de commun avec le ازرة de notre auteur.

" ١١٣, l. 18 lisez عن ارتياد.

" ١١٤, l. 8. Au lieu de اوقاتها on doit lire, selon Fleischer, اوصافها.

" — note *c*. La. O. بنعا.

" ١١٥, l. 4 lisez المُؤثِر نُما.

" ١١٩, l. 15. Doit-on lire فيكم au lieu de عنكم?

" ١١٧, l. 15. Biffez la note *e*; ياسر est ici le participe du verbe يسر, *jouer aux dés.*

" — l. 16 lisez:

بِنَسِيبِ
وانكسارِ مثلَ رِضاعِ
ومَنْ كمِثْلِك يَدْرِي

" ١١٨, l. 5 lis. ما لا يُعلم الّا بالسماع ولا يبلغ اليه الا بالعيان ،

" — l. 8. On peut lire aussi صوتَ.

" ١١٩, l. 3 lis. أمّ au lieu de ما.

" ١٢٠, l. 5 lisez avec les man. تُسَكِّنك.

" — l. 10 lis. شى شارته.

· ١٢١, l. 8 lis. ثمّة ou ثَمَّهْ avec le هاء السكوت ۞

١٢٣, l. 22 lis. اختَصَّت.

" ١٢٩, l. 6 lis. اختَصّت.

" — l. 13. La leçon des manuscrits, الخصارة, est bonne. C'est une forme plus récente pour الخُضْرة, et les deux mots خضر et نضر se trouvent fort souvent ensemble; voyez al-Hariri, p. ٤٠٧, éd. de Sacy; Ibn-Batouta: صحراء خَضِرة نَضِرة &c. Fl.

" — l. 22 lis. مُفْرَجا.

" ١٢٨, l. 10. Au lieu de السُّرُج Fleischer propose de lire السَّرْح.

" — l. 12. Le منها des man. est correct.

" ١٢٩, l. 9 lisez انتثار.

" — l. 10 lis. avec S. La. et O. استثار, et corrigez فى en من.

" ١٣٠, l. 20. Au lieu de والقبّة lisez والقمّة, c'est-à-dire الجماعة.

" — l. avant-dern. وما ادراك est une façon de parler elliptique, empruntée au *Korān*. وما أدراك ما دخولهم ايها, ou كيف دخلوها. Voyez Dieterici, *Motenabbī und Saifaddaulah*, p. 147 et 148, dans la note. Fl.

" ١٣١, l. 2 lis. يستعين بهم, c'est-à-dire بعُبّاد الصليب ۞

" — l. 8 lis. avec G. P. et S. وتربية.

" — l. 21 lis. المُجْتَمَع.

Pag. ۸۷, l. 8 lisez طرائف.

" ۸۸, l. 11. Le انقطرة des man. est aussi bon. Abou-'l-fidā écrit انكطرة et انكلطرة (voyez l'édit. de Reinaud et de Slane, p. ۱۸۷, l. 12, et p. ۲۱۹, l. 12). Chez Bar Hebraeus le roi d'Angleterre s'appelle ܐܢܓܠܛܪܐ, chez Abou-'l-fidā (*loc. laud.*) الانكتار.

" ۹۰, l. 4. Au lieu de بطبع Fleischer propose de lire مُطيعة.

" — l. 5 L. La. متفحجرة.

" ۹۱, l. 5 lisez دَلْكى.

" — l. 8 lisez خامد.

" ۹۲, l. 7 lis. avec G. P. et O. الكائنات.

" ۹۳, l. 2 lis. باخذ البحر.

" — l. 21 et note *e*. جرجير (Γρηγόριος) est correct. Voyez Amari, *Biblioteca Arabo-Sicula*, p. ۱, l. 6, et le *Bayān al-moghrib*, t. I, p. ۴۱, 18.

" ۹۷, l. 2 lisez تمحّصت, et comparez p. ۱۱۴, l. 25.

" ۹۸, l. 16 lisez تثليث.

" ۱۰۰, l. 14 La leçon تجوّن est bonne; cette 5e forme dérive de جون *baie, golfe*.

" — note *e*. Au lieu de كالافنان lisez, avec Fleischer et Rœdiger, كالأقحوان.

" ۱۰۱, l. 4. Le mot بزابجلة est altéré. Il faut le corriger en تُوليطلة, "Toledo", ou, selon Ibn-Sa'id, "tu ledo" (انت فارح).

Pag. ۱۰۲, l. 24. Au lieu de اصلها on doit lire probablement جُلّها.

" ۱۰۳, note *d*. L. رباح.

" ۱۰۴, l. 4 lisez avec La. et O. مثال.

" — l. 21 lisez مسافة.

" ۱۰۵, l. 15. Au lieu de باليمنيين lisez بالتأمين, ou bien بآمين.

" — l. 19 lisez أَسَرَّ.

" — l. 23 et 24. Les mots ذلك ما كنا نبغي sont tirés du *Korān*, sour. 18, vs. 63.

" ۱۰۵ note *c*. L. خضرة.

" ۱۰۷, l. 12 lisez سار.

" — l. 15 et 16. Voyez le *Korān*, sour. 41, vs. 31.

" — l. 22 et 23. Voyez le *Korān*, sour. 7, vs. 154.

" — l. 24 lis. تَرَ عاجبا, et voyez Freytag, *Proverb. Arab.*, t. II, p. 92, n⁰ 52.

" ۱۰۸, l. 6 lisez بلنسية.

" — l. 12 et 13. Voyez le *Korān*, sour. 38, vs. 34.

" ۱۰۹, l. 3 lis. قطعتُه et ذهبتُ.

" — l. 12 lis. avec les man. d'al-Makk. خَشْبة.

" — l. 16 et note *h*. La leçon des man. (نبرّم) est bonne.

Pag. ٩٢, l. 14 L. يملوا او يميلوا O. يملوا أى ميل ❀

″ ٩٣, l. 17 lisez رددتُ.

″ — note *a*. L. هالعة.

″ ٩٦, l. 14 يدبّج est correct. Au lieu de ومسامه (man. S.) ou متايه, Fleischer et Rœdiger lisent وممشّا به.

″ ٩٧, l. 2 lis. برحائها avec L. La. et O., au lieu de برجائها.

″ — note *d*. Dans le deuxième vers on doit lire, selon Fleischer et Rœdiger, انت دون الجلاس دانٍ وان كنت.

″ ٩٨, l. 20. Au lieu de على, G. et L. portent فى.

″ ٧٠, l. 24 lisez وخلّى.

″ ٧١, l. 2 G. L. سقياه.

″ — l. 4 L. عواك.

″ — l. 5 L. تترا. — La leçon تترى est bonne; voyez le Korān, sour. 23, vs. 46. Fl.

″ — l. 15 G. L. اخليبيا.

″ — l. 18. Au lieu de اينار (ou ايناس, note *e*) lisez ابثار.

″ — l. 18 lis. وادناه.

″ — l. 19 نزع ne se trouve que dans La.; O. porte نزع, S. نزع, L. نزع, G. تنزع.

″ — note *b*. L. وادنيه et وادنايه.

Pag. ٧٢, l. 7 lisez الحلى.

″ ٧٣, l. 10 lis. ريعان.

″ — l. 22. La mesure exige لسان دينٍ.

″ ٧٤, l. 1 lisez غوصا.

″ — l. 11 lisez يحجّل.

″ — l. 23 lis. انّ.

″ ٧٥, note *e*. L. والهدو.

″ ٧٦, l. 12 lisez وحلّوا.

″ ٧٧, l. 1 lis. ولم أُخْلِ.

″ — l. 10 lis. avec G. et L. المنصف.

″ ٧٨, l. 3 lis. avec le man. G. المرتقين.

″ — l. 10 lis. متأمّلة.

″ — l. 12 L. ذوو الشوكة.

″ — l. 13 lis. وثالثيا.

″ — l. 22 lis. الودّ.

″ — note *a*. L. المرتقين.

″ ٨٠, l. 3 lisez ظ

″ — l. 6 lis. ابثّك et فارقت.

″ — l. 16. Au lieu de يرجو G. et L. portent حال.

″ — l. 17 G. et L. وأسال من مبلغ.

″ ٨٢, l. 1 lisez. حرمة.

″ ٨٤, l. 5 et 6. Mettez un ، après كل كل اوان et الاحيان.

″ ٨٤ l. dern. lis. ومن جوف هذا البرّ.

″ ٨٥, l. 2 نيران = ″ medi*terraneo* ″, ou peut-être ″ mare *Tyrrhenum* ″.

Pag. ۴۴, l. 2. Au lieu de ملاء G. et L. portent ولاء.

″ — l. 9. Au lieu de أطيبُ on peut lire aussi اطَيبُ.

″ — l. 17 La. تكرره.

″ — l. 21 lis. تتخْفى. De même p. ۵۹, l. 23 أتخْفَى ; p. ۱۱۹, l. 2 يَخْفَى ; p. ۱۳۰, l. 15 يَخْفَى.

″ ۴۹, l. 6. La règle grammaticale de l'arabe ancien exige تلتقيان, mais chez les écrivains modernes قتلا et يقتلان sont souvent du genre commun. Voyez, par exemple p. ۳۱, l. 6 (اسعدا au lieu de اسعدتا), et p. ۱۲۷, l. 4, avec les notes *b* et *e*.

″ — l. 11 lisez تحسب; comparez p. ۶۹, l. 8, حجبت اليه الناس.

″ — l. 25 lisez عين.

″ ۴۷, l. 3 L. S. La. O. التحيا.

″ — note *a*. La leçon des man. O. et P. est bonne. Comparez la phrase امتدّ به الكلامُ, p. ۹۵, l. 17.

″ ۴۸, l. 4 بأداة الحصر *avec la particule restrictive*, c'est-à-dire, avec un mot tel que انّما , فقطْ , الّا , ليس. Le sens est: *lui seul* est un tel homme. Fl.

″ ۴۹, l. 7 L. وادمع. — Lisez وأَدْمَعُ «أحجارها ، تسلط فجارها». Le mot ادمع est le superlatif; voyez al-Baiçawî, notes sur Sour. 21, vs. 18, 105, vs. 1. Fl.

Pag. ۴۹, l. 9 lisez ويتقنّع.

″ — note *b*. L. الابهام.

″ ۵۰, note *a*. L. تتعفوم لديه.

″ ۵۱, l. 16 lisez وقالى.

″ — note *a*. L. والشحر.

″ ۵۲, l. 5 lisez سنانٌ.

″ — l. 25. Au lieu de نبال lisez نُبالُ. — Au lieu de مجاريها, G. et L. portent مجاريها.

″ ۵۴, l. 6 lisez يَتَخَلَّلُ, et voyez Freytag, *Arabum Proverbia*, t. II, p. 663, n° 266.

″ ۵۵, l. 11 L. La. O. يمنع; L. La. طرايق.

″ — l. 12 lisez وقلنا.

″ ۵۶, note *b*. L. الاعزازى.

″ ۵۷, l. 8 lisez والأسى.

″ — l. 11 lisez حَرَضًا.

″ — l. 16 lis. تهمد. Au lieu de الصرير on doit lire probablement الصَّرْيَد.

″ — l. 19 lisez ومغرّد.

″ ۵۹, note *d*. L. ووارن.

″ — note *e*. L. حبست.

″ ۶۰, l. 4 lisez يومَ et غدًا.

″ ۶۲, l. 11. Le mot والتخمين paraît être altéré. Fleischer pense à والتحنين.

: ۱۷, l. 22, et p. ٥٩, l. 5 صرّهم.

۱۸, l. 4 lisez avec P. ادال.

— l. 5 lis. حارث au lieu de حادث.

Les mots تغيّر لى فيمن تغبّر حارثْ sont la dernière moitié d'un vers (mètre الطويل).

۱۹, l. 22 L. غرالى.

۲۰, l. 11 lisez عوثيت.

— l. 12 L. ربان را ×.

۲۱, l. 17 lis. جمع au lieu de اجمع.

۲۳, l. 11 lis. وثرته au lieu de وثرفه.

۲۴, l. 19. Le ى des manuscrits est correct.

— note a. L. متبد.

″ ۲۰, l. 3 lisez جبلت, et voyez le Koran, sour. 11, vs. 11. Fl.

— l. 11 lisez بقرا au lieu de نمرا.

— l. 21 lisez يتغابقه.

۲۸, l. 22 lisez حلد.

″ — note b. L. وانه نحى.

۲۸, l. 16 lisez من حنجه.

۲۹, l. 11 G. L. تخوس.

″ ۳۰, note a. L. تمد كلد انتشد.

۳۱, note b. L. لاوزر.

۳۲, l. 7 lisez تعقر.

— l. 9 lis. avec La. et O. بيرا et متعلب.

— note b. L. خجلا.

۳۳, l. 21 L. La. ..لد.

Pag. ۳۳, l. 24. Au lieu de مسندى lisez منتدى ou (avec La.) ينتدى.

″ ۳۴, l. 17 et 18 lis. حديقة ou حديقتا, &c., au lieu de حديقة, &c. P. ۳٥, l. 1 et 2. Même remarque.

″ ۳۴, l. 19 lis. بمبعد.

″ — l. 25 L. فموسد نمويد ومخلد نمخلد ۞

″ ۳٥, l. 22. Je ne sais comment corriger le mot المدبا. Rœdiger et Fleischer proposent de lire الأمْعَا, plur. de مَعًى.

″ — note a. L. ينفثج.

۳٦, l. 12 lisez تربيا.

— note b. L. خصيم.

″ ۳۸, l. 11 et p. ۴۲, l. 4, lis. اسراحا et والاشراح.

— note a. L. انفربت تلقاه حزوا.

۴۰, l. 2 lis. دمشق. De la même manière p. ۹, l. 8 دمشق; p. ۱۹, l. 3, صنعا; et p. ۲۳۹, l. 5 احم.

″ — l. 3 lisez والادواح.

— l. 25. Le mot ازوار paraît être altéré. Fleischer propose de lire أوزار, Rœdiger أدوار ou peut-être أزرار.

″ ۴۲, l. 6 L. نسيم فى رياضها.

″ — note a. L. الندى البليل.

″ ۴۳, l. 10 lisez المقول.

ADDITIONS ET CORRECTIONS.

LIVRES I, II, III et IV, PUBLIÉS PAR M. WRIGHT.

Les corrections suivantes m'ont été indiquées, pour la plupart, par mon ami Fleischer. Je donne aussi les principales variantes du man. L., que je n'ai reçu qu'au moment où l'Introduction et le I[er] Livre étaient déjà imprimés.

Pag. ٢, l. 18 lis. المختار.

〃 ٣, l. 13 L. ولبنية. — Peut-être faut-il lire ولينة; voyez al-Baiḍâwî, note sur Sour. 59, vs. 5, et *Gulistan*, p. ٥, éd. Semelet: كذلك تنشا لينة هو عرقها (*noble palmier*).' Fl.

〃 ٤, l. 13 G. L. للجمع.

〃 — l. 20 L. ابواب الفعل.

〃 ٥, l. 16 L. S. O. در الصدف.

〃 — l. 17 mettez un ' après الصدار.

〃 — l. 21 L. كلما ارق.

〃 ٦, note *b*. L. العباس.

〃 ٧, l. 5 lisez خطامه.

〃 — l. 9 G. L. S. O. تمحو.

〃 — note *b*. L. وذروا.

Pag. ٩, l. 9 G. L. S. او ردّ.

〃 ١٠, l. 14. Doit-on lire تغضف, au lieu de تقطف?

〃 — l. 19 G. L. حبى.

〃 ١١, l. 1 L. مميلة, G. فميلة, O. فميّله.

〃 — l. 15 lis. احبّاءى, et الى au lieu de على.

〃 — note *e*. L. مُنْحِيّ.

〃 ١٢, l. 10 lis. ان العيش.

〃 — l. 15 L. تضحك.

〃 — l. 17 lis. امانٍ, plur. du mot أُمْنِيَّة.

〃 — note *b*. L. كغص.

〃 ١٤, l. 1 lis. يستفزّ au lieu de يستقرّ.

〃 — l. 24 lis. ساحتَيْك.

〃 ١٧, l. 21 lis. خلّوا.

والله يُبْقيك البقاء الجميل، ويبلّغك غاية التأميل،، والعَفْوَ المطلوب، والله عند منكسرة القلوب،، والمسؤُول ان يحرسكم بعين عنايته التى لا تنام، بجاهِ مَنْ ترقّى الى اعلا مقام،، ولله دَرُّ القائل

قَدِيَّةُ العبدِ على قدره   والفضلُ ان يَقْبلها السيّدُ
فالعين مَعْ تعظيم مقدارها   تَقْبل ما يُهْدِى لها المِرْوَدُ

فكتب اليه الشاهينى قصيدة مطلعها a

يا سيّدا شعرى لـه   ما ان يفاوى او يقاومْ

منها وهو مَحَلُّ ذِكْرِ ما اهداه اليه

قد جاء ما شرّفتنى   الابيات،،

. . . . وقد اطلنا الكلام، حسبما اقتضاه المَقام،، فلنرجع الى الغرض من ذكر بقية خبر المقرى فنقول وكانت اقامته بدمشق دون الاربعين يوما ثم رحل منها فى خامس شوال سنة ١٠٣٧ الى مصر وعاد الى دمشق مرة ثانية فى اواخر شعبان سنة ١٠٤٠ وحصل له من الاكرام ما حصل فى قدمته الاولى وحين فارقها انشد قوله

إنْ شامَ قلبى عنكِ برقَ تسلّوٍ   يا شام كنتُ لمن يخون وبعدْ
كم راحلٍ عنها تَغيرُ ضلوعه   وعلى الفرار بغيرها لا يصدرُ
متصاعدَ الزفرات مكلوم الحشا   والدمع من اجفانه يتحدر،

ودخل مصر واستقر بها مدّة يسيرة ثم تزوج زوجته الوفائية واراد العود الى دمشق للتوطُّن بها فعاجَلَه الحِمام، قبل نيل المرام،، وكانت وفاته فى جمادى الاخرة سنة ١٠٤١ ودُفن بمقبرة المجاورين وقال الاديب ابراهيم الاكرمى فى تاريخ وفاته

قد خُتِمَ الفضلُ به   فارِخوه خَتَموا.

والمقرى بفتح الميم وتشديد القاف وآخره را مهملة وقيل بفتح الميم وسكون القاف لغتان اشهرهما الاولى نسبة الى مقرة من قرى تلمسان والبيت نسبة ابيه.

1) Tome I, p. ١٣٩.

الطلبة فلم يتخلّف منهم احد وكان يومُ خَتْمِه حافلا جدًّا اجتمع فيه الالوف من الناس وعلت الاصوات بالبكاء فنُقلَتْ حلقةُ الدرس الى وسط الصحن الى الباب الذى يوضع فيه العَلَمُ النبوى فى الجمعات من رجب وشعبان ورمضان وأُتِىَ له بكرسى الوعظ فصعد عليه وتكلّم بكلام فى العقائد والحديث لم يُسْمَعْ نظيره ابدًا وتكلّم على ترجمة البخارى وانشد له بيتين وافاد ان ليس للبخارى غيرهما وهما

اِغْتَنِمْ فى الفراغ فَضْلَ ركوعٍ　　فعسى ان يكون موتُك بَغْتَهْ
كم صحيحٍ قد مات قبل سقيمٍ　　ذهبت نفسه النفيسة فلته،

...... وكانت الجلسة من طلوع الشمس الى قرب الظهر ثم خَتَمَ الدرسَ بابيات قالها حين ودّع المصطفى صلّعم وهى قوله a

يا شفيع العُصاة انت رجاءى　　الابيات

ونزل عن الكرسى فازدحم الناس على تقبيل يده وكان ذلك نهار الاربعاء سابع عشرى رمضان سنة ١٠٣٧ ولم يتّفق لغيره من العلماء الواردين الى دمشق ما اتّفق له من الحظوة واقبال الناس وكان بعد ما راى من اهلها ما راى كثّر الاهتمام بمدحها وقد عقد فى كتابه عرف الطيب فصلا يتعلّق بها وباهلها b واورد فى مدحها اشعارا ومن محاسن شعره فى حقّها قوله c

محاسن الشام جلّتْ　　عن آنْ تُسامَ d بحَدّ　　الابيات

وقوله e　　قال لى ما تقول فى الشام حِبرٌ　　البيتين

وقوله　　قُلْ لِمَنْ رام النوى عن وطنٍ　　قولةً ليس بها من حَرَج
فَرِّجِ الهَمَّ بسكنى جِلّقٍ　　إنّ فى جِلّقَ بابَ الفَرَجِ،

وجرى بينه وبين ادبائها وعلمائها مطارحات شتّى فمن ذلك ما كتبه الى الشاهينى مع خاتم ومُسبّحة ارسلهما له f

يا نجل شاهين الذى　　الابيات

سيّدى لا يخفاك اننى g بعثتُ بها رتيبه، ولو امكننى لاهديتُ من الجواهر ما ينوف على قدر القيمه،، فهما اعنى الخاتم والمسبّحة تذكيرٌ ليد العَلِيّ بخالص الوداد، وفى المثل لا كُلْفَه. بين مَنْ تَثْبُتُ بينهم الأُلْفَه. حتى فى الورق والمداد،،

---

a) Tome I, p. ١٣٧. *b*) Tome I, p. ٧١٩ et suiv. *c*) Tome I, p. ٤٠. *d*) A. تقاس. *e*) Tome I, p. ٤١. *f*) Tome I, p. ٧٣٨. *g*) B. انى.

.... قال المقرى وكتب الىَّ الفقيهُ الكاتب ابو الحسن على الخَزْرَجى الفاسى الشهير بالشاحى[a] بما كتبه ابو جعفر احمد بن خاتمة المَرِىُّ المغربى الى بعض اشياخه

أَشَمْسَ الغَرْبِ حَقًّا ما سمعنا	بأنّك قد سَئِمْتَ من الاقامَهْ
وأنّك قد عزمتَ على طلوع	الى شرق سَمَوْتَ بهِ علامه
لقد زلزلتَ منّا كلَّ قلب	بِحَقّ الله لا تُقِمِ القيمه ،

ثم وردَ الى مصر بعد اداء الحج فى رجب سنة ١٠٢٨ وتزوَّج بها من السادة الوَفائيّة وسكنها وقد سُئِلَ عن حظّه بها فقال قد دَخَلَها قَبْلَنا ابنُ الحاجب وانشد فيها قوله

يا اهل مصر[b] وجدتُّ أَيْدِيَكم	فى بَذْلِها بالسخاء مُنْقَبِضَهْ
لمّا عدمتُ القِرَى بارضكُمُ	اكلتُ كُتْبى كأنّنى أَرَضَهْ ،

وانشد هو لنفسه[c]

تركتُ رسومَ عِزّى فى بلادى	الابيات ،

ثم زار بيت المقدس فى شهر ربيع الاول سنة ١٠٢٩ ورجع الى القاهرة وكرّر منها الذهاب الى مكة فدخلها بتاريخ سنة ٣٧ خمس مرات واملى بها دروسا عديدة ووفد على طَيْبة سبع مرات واملى الحديث النبوى بمَرْأَى منه صلّعم وسَمْعٍ ثم رجع الى مصر فى صفر سنة ٣٧ ودخل القدس فى رجب من تلك السنة واقام ٢٥ يوما ثم ورد منها الى دمشق فدخلها فى اوائل شعبان وانزله المغاربة فى مكان لا يليق به فارسل اليه احمد بن شاهين مفتاح المدرسة[d] الجَقْمَقية وكتب مع المفتاح هذه الابيات وهى[e] قوله[f]

كَنَفُ المَقّرِىّ شيخى مَقّرِى	الابيات ،

فاجابه المقّرى بقوله

أَىُّ نَظْمٍ فى حسنه حارَ فِكْرِى	الابيات

ولمّا دخل اليها اعجبتْه فنقل اسبابه اليها واستوطنها مُدّةَ اقامته واملى صحيح البخارى بالجامع تحت قُبّة النسر بعد صلاة الصبح ولمّا كثر الناس بعد ايام خرج الى صحن الجامع تُجاهَ القُبّة المعروفة بالباعونية وحضره غالبُ اعيانِ علماء دمشق وأمّا

a) B. الشامى. b) A. ajoute قد. c) Tome I, p. ٥٠٠. d) A. B. مدرسة. e) A. omet وهى. f) Tome I, p. ٧٣٩.

ابن الخطيب ، وفتح المتعال الذى صنّفه فى اوصاف نَعْلِيa النبى صلّعم واضاءة الدُّجْنه ، فى عقائد اهل السُّنّه ، وازهار الكمامة وازهار الرياض ، فى اخبار القاضى عياض ، وقَطْف المهتصَر ، فى اخبار المختصر ، واتحاف المُغْرَى ، فى تكميل شرح الصُّغْرَى ، وعَرْف النَّشق ، فى اخبار دمشق ، والغَثّ والسمين ، والرَّثّ والثمين ، وروض الآس ، العاطر الانفاس ، فى ذكر من لقيتُه من اعلام مراكش وفاس ، والدُّرّ الثمين ، فى اسماء الهادى الامين ، وحاشية شرح ام البراهين ، وكتاب البداءة والنشاءة كلّه ادب ونظم وله رسالة فى الوقفb المخمّس الخالى الوَسَط وغيرُ ذلك ،

ولد بتلمسان ونشأ بها وحفظ القران وقرأ وحصّل بها على عمّه الشيخ الجليل العالم ابى عثمن سعيد بن احمد المقرى مُفْتِى تلمسان ٦٠ سنة ومن جملة ما قرأ عليه صحيح البخارى سبع مرّات وروى عنه الكتب الستّة بسنده عن ابى عبد الله التَّنَسى عن والده حافظ عصره محمد بن عبد الله التنسى عن البَحْر ابى عبد الله بن مرزوق عن ابى حيّان عن ابى جعفر بن الزبير عن ابى الربيع عن القاضى عياض باسانيده المذكورة فى كتاب الشفاء والاحاديث المُسْنَدة فى الشفاء جميعُها ٦٠ حديثا افردها بعضهم فى جزء فمن اراد روايةc الكتب الستّة من طريقه فلياخذها من كتاب الشفاء او من الجزء المذكور ، وكان يُخْبِر عن بلده تلمسان انها بلدة عظيمة من احاسن بلاد المغرب وانها فى يد العثمانيين سلاطين مملكتنا وهى الحدّd المضروب بين سلطاننا وسلطان المغرب ، ورحل الى فاس مرّتَيْن مرّة سنة ٩ بعد الالف ومرّة سنة ١٣ وكان يخبر انها دار الخلافة للمغرب وكان بها الملك الاعظم مولاى احمد المنصور المشهور بالفضل والادب المقدّم ذكره وان الفتوى صارت اليه فى زمنه ، ومن بعده لمّا اختلّتْ احوال المملكة بسبب اولاده الى حديث يطول ذكره ارتحل تارك المَنْصِب والوطن فى اواخر شهر رمضان سنة ٢٩e بعد الالف قاصدًا حجّ بيت الله الحرام وانشد صاحبَ مراكش متمثّلا قول على بن عبد العزيز الحَضْرَمى

مَحَبّتى تَقْتَضى مُقامى وحالتى تقتضى الرحيلا

فاجابه صاحب مراكش بقوله

لا أَوْحَشَ اللهُ منك قومًا تَعَوَّدوا صُنْعَك الجميلا ،

a) B. نعل. b) A. الوثق. c) A. من اراد رواة. d) A. حد. e) Il y a là une erreur; c'est ٢٧ qu'il faut lire.

APPENDICE.

Texte extrait par M. Wright du «خلاصة الاثر فى اعيان القرن الحادى عشر» par
محمد الأمين بن فضل الدين بن مُحِبّ الله بن محمد مُحِبّ الدين بن ابى
بكر تقى الدين بن داوود المُحِبّى المعروف بأمين جَلَبى.

A. manuscrit de M. Renouard, de Swanscombe.

B. manuscrit de la Bibliothèque Impériale à Paris.

ترجمة المقرى.

الشيخ احمد بن محمد بن احمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن ابى العيس ابن محمد ابو العباس المقرى التلمسانى المولد المالكى المذهب نزيل فاس ثم القاهرة حافظ المغرب جاحِظُ البيان ومن لم يُرَ نظيره فى جودة القريحة وصفاء الذِّهْن وقوّة البديهة وكان آية باهرة فى علم الكلام والتفسير والحديث ومُعْجِزا باهرا فى الادب والمحاضرات. ولَه المُؤَلَّفات الشائعة منها عَرْفُ الطِّيب، فى اخبار

par notre aperçu, c'est l'Espagne arabe entière, historique, littéraire, artistique, scientifique, depuis le VIII[e] siècle jusqu'au XV[e]; c'est un immense tableau d'hommes, de villes, de monuments, d'événements, de voyages, de combats, de scènes en tout genre; c'est aussi un labyrinthe dont nous avons cherché à trouver le fil, pour y guider le lecteur.

L'esquisse que nous avons tracée n'embrasse pas moins de 1800 pages de texte arabe. On comprend que dans une réduction aussi considérable, nous ayons dû négliger un grand nombre de faits; mais plus nous avons voulu réduire les proportions de ce vaste ensemble, plus nous avons été obligé de l'étudier profondément, et de pénétrer en quelque sorte dans sa substance. Ne pouvant en donner qu'une miniature, nous avons dû faire nos efforts pour que le portrait, du moins, fût ressemblant.

Maintenant chacun, selon son goût, son aptitude, ses études, l'artiste, le poète, le littérateur, l'historien, le savant, pourra choisir dans cette mine précieuse le filon qui lui conviendra; l'endroit des fouilles est indiqué. La Bibliothèque d'al-Makkarī, nous n'en doutons pas, servira de point de départ à des travaux sérieux sur l'Espagne arabe.

GUSTAVE DUGAT.

Dans les clauses de la reddition du fort, au nombre de 67, on voit comment les chrétiens traitèrent les musulmans, le respect qu'ils professèrent pendant un certain temps pour la religion des vaincus. Enfin en 1608, les Arabes de Grenade furent chassés; ils partirent par milliers: les uns se dirigeant sur Fez, Tlemcen, Oran, Tunis, Tétouān, Sala, la Metidja d'Alger, les autres sur Constantinople, Alexandrie, Damas[1].

Dans le cours de ces récits, al-Makkarī a intercalé quelques notices d'écrivains, des pièces de vers des grands poètes, Ibn-al-Abbār et Çāliḥ ibn-Charīf. Ces poésies, sur les malheurs de l'Espagne arabe, méritent d'être remarquées. Quand le découragement était dans tous les cœurs, le ressort de la résistance brisé, ce fut chez les poètes que se réfugia le courage, que se concentra la défense de l'honneur arabe. Quelques-uns ne se bornèrent pas à exciter au combat avec la plume; ils assistèrent aux dernières batailles. Le poète fut à ce moment le véritable honnête homme de la race arabe défaillante. Mais était-ce par les chants de ses poètes que l'islamisme pouvait être relevé en Espagne? La conquête avait été réalisée par la foi, au temps brûlant de l'initiation; depuis, cette foi s'était attiédie, consumée sur elle-même, rien ne l'avait remplacée; et le culte de la Patrie qui, pour les nations modernes, est devenue presque une religion, ne pouvait pas se fonder chez ce peuple aux instincts nomades, à la croyance immobile. Ils devaient donc périr sous les attaques incessantes d'un peuple doublement exalté par la foi religieuse et l'espoir de reconquérir sa nationalité.

L'ouvrage d'al-Makkarī, comme on peut à présent s'en faire une idée

1) Voyez *Condition sociale des Morisques d'Espagne* par D Florencio Janer, traduit par M. J. G. Magnabal, Paris, 1859.

Mais Yousof en partant avait laissé une armée en Espagne pour continuer la guerre contre les chrétiens, et pour s'emparer de tout le pays soumis aux rois arabes. Son plan réussit, il parvint à renverser les rois At-tawāïf et se rendit maître de tout le pays qu'ils occupaient. A la mort de Yousof, en 1106, son fils Ali lui succéda et suivit les traces de son père. Les Almoravides ne gardèrent pas longtemps leurs possessions d'Espagne; les Almohades les en chassèrent. Sous Ya'koub al-Mançour se livra, en 1195, la bataille d'Al-ark (Alarcos) qui fut encore plus funeste aux chrétiens que celle de Zallākah. On ramassa dans cette journée soixante mille cuirasses qui appartenaient aux chrétiens. Mais ceux-ci prirent leur revanche à la bataille d'al-'Ikāb (Las navas de Tolosa), en 1212, dans laquelle combattirent six cent mille musulmans. Al-Makkarī consacre quelques lignes aux souverains Almohades. Enfin les Benou-Marīn succèdent aux Almohades dans le Maroc et protégent les rois de Grenade, derniers représentants de l'empire arabe en Espagne. Notre auteur cite une série de lettres écrites, soit par les sultans des Benou-Marīn à ceux d'Egypte pour demander du secours contre les chrétiens, soit par les rois de Grenade aux sultans du Maghreb. Après ces lettres, al-Makkarī reprend l'énumération des désastres survenus en Espagne; les batailles perdues par les musulmans furent celles de Baterna en 1064, de Katanda en 1120, d'Inadja en 1236. Les villes prises par les Espagnols: Saragosse en 1118; Tudèle et Tarsouna en 1130; Loxa en 1486; Mérida en 1229; Maïorque en 1230; Cordoue, Murcie et Valence (cette dernière reprise pour la seconde fois) en 1238; Minorque en 1241; Séville en 1248; Dhakwān en 1485; Velez en 1487 et Grenade en 1492.

Al-Makkarī nous raconte la lutte des derniers rois des Benou-'l-Ahmar, Abou-'l-Haçan, Az-Zaghal et Abou-Abd-allah (Boabdil) contre les chrétiens. On lit un chapitre intéressant sur la capitulation d'al-Hamra (Alhambra) en 1492.

éclaireurs du roi musulman lui annoncent l'approche d'Alphonse. Le combat s'engage entre l'armée d'Alphonse et celle d'al-Mo'tamid qui prévient Yousof de l'état des choses. Yousof répond qu'il va faire bientôt sa jonction, alors que son intention était, selon toute apparence, de laisser décimer les troupes d'al-Mo'tamid. Celui-ci reçoit dans la bataille de nombreuses blessures; il a trois chevaux tués sous lui. Au milieu de la mêlée, sabrant à droite et à gauche, couvert de sang, il se rappelle un de ses enfants en bas âge, du nom d'Abou-Hāchim, qu'il a laissé malade à Séville:

> Le sabre m'a brisé, ô Abou-Hāchim; mais que Dieu bénisse ma fermeté dans les horreurs de la guerre.
> Je me suis rappelé ton petit corps sous la poussière du combat; cependant mon amour pour toi ne m'a pas fait plier vers la fuite [1].

Les troupes d'Alphonse avaient l'avantage, al-Mo'tamid faiblissait, quand Yousof arriva et changea la face des affaires. Il avait amené à la suite de son armée des chameaux qui jetèrent le désordre dans la cavalerie chrétienne. Il fit mettre pied à terre à mille cavaliers et les fit avancer, armés de lances, pour pointer les chevaux. L'armée d'Alphonse est mise en déroute, lui-même fuit, blessé au genou; il mourut du chagrin de sa défaite, laissant pour héritière une fille qui se fortifia dans Tolède.

Yousof vint au devant d'al-Mo'tamid pour le féliciter; il resta trois jours campé en dehors de Séville, observant le pays; il refusa hypocritement de prendre part au partage du butin, montrant ainsi qu'il n'avait pour but que la récompense éternelle et la guerre sainte. Il partit pour son pays. Al-Mo'tamid l'accompagna jusqu'à la mer. On fit à Séville de grandes réjouissances pour célébrer cette victoire qui eut lieu le 20 de radjab 479 (1086).

---

1) Voyez p. ٦٨٣.

reb avaient grandi le nom en Espagne. Les collègues d'al-Mo'tamid firent à ce dernier des représentations; ils lui dirent que deux sabres ne se réunissent pas dans un seul fourreau. Al-Mo'tamid leur répondit: „paître des chameaux vaut mieux que de garder des porcs." Ce qui signifiait qu'il aimait mieux, s'il était prisonnier, conduire les chameaux de Yousof au désert, que de garder les porcs d'Alphonse en Castille. Après ces délibérations, des envoyés arrivèrent auprès de Yousof qui les accueillit avec de grands égards et se disposa à passer la mer.

Alphonse de son côté fit ses préparatifs; il écrivit à Yousof une lettre de menaces et d'injures. Yousof se contenta de lui renvoyer sa lettre au dos de laquelle il fit mettre ces mots: „Ce qui arrivera, tu le verras bientôt." Al-Mo'tamid qui payait un tribut tous les ans à Alphonse, avait refusé de s'exécuter cette année-là; d'autant plus que le roi chrétien avait multiplié ses demandes et parmi ses dernières exigences, il voulait que sa femme accouchât dans la mosquée de Cordoue. Al-Mo'tamid avait tué l'envoyé chrétien et refusé de souscrire aux injonctions d'Alphonse. Celui-ci se prépara à attaquer Séville et Cordoue à la fois; il vint se placer sur le bord du fleuve de Séville, en face du château d'al-Mo'tamid et de là il lui écrivit de lui envoyer un éventail à cause de la chaleur et des mouches. Al-Mo'tamid lui répondit: „Bientôt tu recevras des éventails de peau *lamtounienne;"* faisant allusion à l'arrivée de Yousof, originaire de la tribu de Lamtounah. L'armée de Yousof arrive et se dirige du côté de Badajoz; le roi al-Motewakkil lui fait une belle réception et la pourvoit de vivres. Al-Mo'tamid surveillait la marche un peu ambiguë de Yousof. Alphonse envoie dire au roi de Séville que le vendredi et le dimanche étant les jours de fête des musulmans et des chrétiens, il fallait que le samedi fût le jour de la bataille; son intention était en réalité d'attaquer le vendredi. Croyant trouver al-Mo'tamid sans défense, il commence l'attaque ce jour-là. Les

D'après Masoudi, ce fut en 941 que des places fortes voisines des Francs et de la ville d'Ariouna furent prises sur les musulmans. En 947, il restait entre leurs mains quelques places telles que Tortose, Fraga et Lérida. La ville de Barbastro tomba aux mains des Chrétiens en 1064, puis fut reprise par les musulmans en 1065. Enfin elle resta aux Chrétiens. Al-Makkarī consacre à ces événements d'assez longs développements[1]. La première grande ville dont les Francs s'emparèrent fut Tolède en 1085; al-Kādir billah des Benou-Dhī-an-noun la défendit pendant un siége de sept ans, fait par Alphonse[2]. A cette occasion, le poète Ibn-al-Ghassāl fit ces vers:

> O gens d'Espagne, pressez vos montures; le séjour ici n'est qu'un leurre.
> Le collier de la péninsule se dégrène de ses côtés, le milieu même du fil est rompu.
> Nous sommes au milieu d'ennemis qui nous harcèlent; comment vivre dans un sac rempli de couleuvres!

Al-Makkarī parle encore ici de l'origine de la ville, de ses monuments, son palais (al-Kaçr) bâti par al-Mamoun des Benou-Dhī-an-noun, et des embellissements qui eurent lieu sous cette dynastie.

La prise de Tolède donna naissance, un an après, à la fameuse bataille de Zallākah. Comme al-Makkarī développe longuement ce fait d'armes, nous en reproduirons quelques incidents. A cette époque de l'histoire des Arabes en Espagne, les Chrétiens ont fait assez de progrès contre les rois musulmans, pour inspirer à ceux-ci des craintes sérieuses. Le roi de Séville, al-Mo'tamid, se concerte avec le roi de Badajoz, al-Motewakkil, et le roi de Grenade, Ibn-Habous, pour demander du secours au chef de la dynastie des Almoravides, Yousof ibn-Techoufīn, dont les succès au Magh-

1) Voyez p. ٧٤٩ et suiv.

2) Voyez p. ٦٧٤ et ٧٤٨.

avaient pas d'autres, il suffirait pour prouver leur haut mérite littéraire; l'auteur, Ibn-Khalaf, mourut en 1196[1]. On trouvera également dans ce VII[e] livre, où il y a un peu de tout, des discussions grammaticales et des détails biographiques sur Sībawaih[2]; des renseignements sur la musique, les compositeurs[3]. Enfin des notices très intéressantes sur un certain nombre de princes merwanides[4].

VIII[e] LIVRE[5]

REPRISE DE L'ESPAGNE — EXPULSION DES ARABES.

On voit dans ce livre, comme disent les écrivains arabes, le tapis de l'Espagne musulmane se ployer peu à peu sous la main d'abord de l'indomptable Pélage, ensuite sous celles des rois Chrétiens qui héritèrent de son amour de la patrie et de sa haine contre l'étranger.

Les historiens arabes ne sont pas d'accord sur l'époque où commença la lutte de Pélage contre les musulmans. Les uns disent que se trouvant en otage à Cordoue, sous l'Emir al-Horr, sixième année de la conquête, il se sauva, réunit les Chrétiens et se maintint indépendant en Galice; les autres prétendent que ce fut du temps de l'Emir 'Anbasah qu'il apparut. A la mort de Pélage, 750 d'après al-Makkarī, son fils Fafila lui succéda et garda le pouvoir pendant deux ans; puis arriva Alphonse, fils de Pedro, aïeul des Alphonse qui ont étendu leur pouvoir jusqu'à aujourd'hui.

1) Voyez p. ٤١٠. 2) Voyez p. ٤٧٥, ٤٧٧. 3) Voyez p. ٥١٩. 4) Voyez de ٣٨١ à ٤٠٣.

5) De la page ٦٧١ à ٨٣٥. Parmi les auteurs cités par al-Makkarī on remarque: ar-Rāzī, al-Mas'oudī, Ibn-Badroun, Ibn-Khallikān, Ibn-'Alkamah, Ibn-al-Athīr, Ibn-Khaldoun, al-Makrīzī, Ibn-Bassām, Ibn-Ḥaiyān, Ibn-al-Yasa', Abou-Zakariā al-Djo'aidī, Ibn-Ḥobaich, al-Makhzoumī, Ibn-Sa'īd, Ibn-al-Abbār, Ibn-'Acim, al-Wādī-āchī, et les ouvrages: Manāhidj al-fikr, Ar-rauḍ al-mi'ṭār &c

4° Anècdotes.

Al-Makkarī mêle aux matières que nous venons de faire connaître des anecdotes sur les qualités intellectuelles et morales des Arabes d'Espagne. Il cite quelques exemples de mémoires prodigieuses, entre autres celle d'Abou-'l-Motewakkil al-Haithem, qui récita, toute une nuit, des vers terminés par la lettre Kāf. Pour l'amour de la science, il parle d'al-Mozhaffar, roi de Badajoz; d'Ibn-Abān, auteur du XI^e siècle, qui a fait un ouvrage en cent volumes sur le ciel et la terre. Pour la pénétration d'esprit, l'invention, il désigne Ibn-Firnās, médecin, qui le premier inventa l'art de faire du verre avec la pierre, mit en pratique le livre de Khalīl sur la métrique, perfectionna l'instrument appelé *al-minkālah*, pour mesurer le temps, il tenta de s'élever dans les airs avec un appareil semblable à la structure de l'oiseau; il se soutint quelque temps au-dessus de la terre; mais il retomba aux éclats de rire de la foule stupide. Cet essai d'aérostation eut lieu sous le règne d'Abd-ar-rahmān II. Al-Makkarī fournit ensuite une liste de savants, mathématiciens, médecins, grammairiens [1]. Puis il nous entretient de la douceur, de la grâce, de la politesse naturelle aux Arabes d'Espagne, de leur talent d'improvisation, de la précocité des enfants, de la fierté, du refus des places, de l'éloignement des cours, de la force, de la bravoure, de l'éloquence, de la générosité. Toutes ces appréciations morales sont appuyées par des faits, des anecdotes attrayantes.

Pour ne rien oublier d'important, nous indiquerons les matières qui n'ont pas pu trouver place dans ces quatre divisions. Al-Makkarī fait connaître quelques anecdotes sur les juifs et les chrétiens [2]; parle d'un livre célèbre intitulé: *Chodhour ad-dhahab* (paillettes d'or) et dit que si les Arabes n'en

Voyez p. ٥٥٢.   2) Voyez p. ٥٣٠.

Dans ce VII[e] livre, il y a quelques poètes satiriques[1]. En général les écrivains qui se sont voués à ce genre de poésie ont rendu de véritables services, en signalant les abus, en flagellant les hommes sans moralité.

3° Femmes poètes.

La poésie, l'amour des lettres ne furent pas en Espagne l'attribut exclusif des hommes; les femmes aussi se firent remarquer par leur talent poétique. Al-Makkarī donne des notices sur 25 à 30 femmes, poètes et littérateurs, qui appartiennent pour la plupart aux XI[e] et XII[e] siècles[2]. Voici les plus célèbres: Omm-al-Kirām, fille d'al-Mo'tacim, roi d'Almérie, renommée pour sa beauté, ses vers et ses amours avec al-Simār; Ḥafçah, belle, riche, noble, poète pleine d'esprit; elle eut pour amants le Cīd Abou-Sa'īd, fils d'Abd-al-Moumen, et le poète Abou-Dja'far ibn-Sa'īd de Grenade. Dans cette notice sur Ḥafçah, al-Makkarī intercale de longs détails sur ce dernier poète et sur Ibn-al-Cīd[3]. Itimād, femme d'al-Mo'tamid, connue sous le nom d'ar-Romaikiyah, poète, femme d'esprit; on trouve dans cette biographie des renseignements sur les Benou-Abbād[4]. Al-Bothainah, poète, fille d'al-Mo'tamid; 'Aichah, très lettrée; Miriem, renommée pour sa poésie; Wallādah, fille du Khalife al-Mostakfī billah, unique de son temps, musicienne, poète; elle eut entre autres amants le vizir Ibn-Zeidoun; elle avait un salon à Cordoue où se réunissaient les littérateurs de l'époque; elle mourut en 1087 ou 1091. Nazhoun de Grenade, aux vers gracieux et hardis. Par ces quelques détails sommaires sur l'état de culture intellectuelle de la femme, on comprendra jusqu'à quel point de civilisation les Arabes étaient parvenus en Espagne aux XI[e] et XII[e] siècles.

---

1) Voyez p. ٣٣٩.

2) Voyez p. ٥٣٩ et suiv.

3) Voyez p. ٥۴٣ et suiv. J'ai donné quelques détails sur ce poète et sur Ḥafçah dans la *Revue d'Orient*, juillet-août 1855.

4) Voyez p. ٥٩٩ et suiv.

bīla, Ibn-'Aïchah, Ibn-Kuzmān, Ibn-Wahboun, Ibn-al-Abbār, Ibn-al-labbānah, Ibn-Chohaid, Ibn-al-Ḥaddād, Çāliḥ ibn-Charīf, Ibn-al-Sīd, Abou-Dja'far ibn-Sa'īd, &c.

La matière poétique des Arabes d'Espagne embrasse la nature, l'amour et des pensées morales, philosophiques. Ils ont décrit la mer, des flottes, les voiles; le ciel, les étoiles et particulièrement les pléiades, le soleil, un effet de lune sur un fleuve; parmi les fleurs, le narcisse, la rose, le lis, la fleur de lin, le nénuphar, la violette; parmi les fruits, l'orange, la grenade, la pomme, la cerise, le raisin; parmi les animaux, un chien de chasse, un cheval, un coq, un vol d'oiseaux; puis les saisons, le printemps, l'hiver, un jour de nuage. Ils feront des vers sur un *Kalam*, un encrier d'ébène incrusté de pierreries, un arc, des palais, des bains, des jardins, un *noria*, un bassin de marbre, un lion de cuivre qui lance l'eau. Enfin sur tout sujet que nous appellerions sujet de genre.

Sur l'amour, ils ont des poésies innombrables: rapprochement ou éloignement de deux amoureux, nuits d'amour, entremetteuses, jeunes garçons, Idhār (léger duvet de la joue), chanteuses; un garçon qui mord une rose et qui la rejette après, un autre mordu à la joue par un chien, le danger de regarder les femmes, l'amour du vieillard &c.

Leurs réflexions morales, philosophiques portent sur l'éternité de la vie future, la briéveté d'un jour, la rapidité de l'existence, l'amitié, la mort, le monde, la science, la richesse, l'éloquence, la fatalité, le paradis et l'enfer Enfin c'est la gamme parcourue par tous les poètes, sauf quelques sentiments particuliers au musulman.

On ne trouve pas chez les arabes de longs poèmes, le poète semble manquer de souffle. Ce qui distingue cette poésie par dessus tout, c'est l'esprit, le trait, le mot. On comprend alors qu'il faille un cadre restreint pour faire ressortir une pensée fine, délicate.

Al-Mo'tamid trouva mes réponses de son goût; il ordonna qu'on me délivrât un beau présent, et me retint à son service [1].

Les scènes où figurent seulement des poètes, comme Ibn-Sārah, Ibn-Khafādjah, Ibn-al-Kobtornah, Sahl ibn-Mālik, Ibn-'Aichah, Ibn-'Obādah, Ibn-al-Kābila, Abou-Dja'far ibn-Sa'īd, et Ibn-Sīd, surnommé le voleur, roulent sur une belle journée de printemps, un orage, un coucher de soleil, un rayon de lune sur un fleuve; puis c'est une situation intime à décrire, l'éloignement d'un amant de sa maîtresse, un rendez-vous d'amour. Ces scènes, prises dans la *Dhakhīrah* d'Ibn-Bassām, et surtout dans le *Badāyi' al-Badāïh* d'Ibn-Zhāfir, ont cela d'intéressant qu'elles nous initient complétement aux mœurs des lettrés; et les poètes décrivant des objets d'art, statuettes d'ambre, d'or, d'argent, de pierres précieuses, nous donnent une idée de la civilisation où le peuple arabe était arrivé en Espagne Quelquefois ces scènes reposent sur un jeu de mots qui est intraduisible; l'esprit des vers ne pourrait être rendu que par le mot arabe lui-même.

2° Poètes.

Al-Makkarī donne des notices entières sur de nombreux poètes; le plus souvent ce ne sont que des lambeaux de biographies; généralement il se borne à faire de longues citations de vers, sans le moindre détail particulier sur la vie des littérateurs. Les poètes qu'on rencontre dans ce livre appartiennent pour la plupart aux XI^e^, XII^e^ et XIII^e^ siècles. Voici les noms de quelques-uns: Ibn-Zeidoun, Ibn-Hānī, Ibn-Khafādjah, Ibn-Sārah, Ibn-Kā-

1) Voyez cette anecdote t. II, p. ٣١٩. On trouvera d'assez longs détails sur les Benou-Abbād, à la page ٥١٣ et suiv. du t. II.

Il le congédia avec de riches présents, des vêtements, et lui désigna une demeure convenable. Ensuite il se tourna vers le jaloux qui, honteux, aurait voulu pouvoir plonger dans la terre.

Al-Mo'tamid, roi de Séville, a la plus grande part dans ces scènes littéraires où apparaissent des poètes tels qu'Ibn-'Ammār, Ibn-Zeidoun, Ibn-Wahboun, Ibn-Djākh, Ibn-Ḥamdīs. Ce dernier raconte l'anecdote suivante. Me trouvant à Séville, je me présentai devant al-Mo'tamid qui ne fit aucune attention à moi. Découragé, je me disposais à quitter Séville. Une nuit j'étais à faire mes préparatifs de départ, lorsqu'un envoyé d'al-Mo'tamid arriva avec une lanterne et une monture. — „Réponds au Sultan," me dit-il. — Je montai à cheval sur le champ et me rendis chez lui. Al-Mo'tamid me fit asseoir, et me dit: „Ouvre la croisée près de toi." — Je l'ouvris et j'aperçus dans le lointain le fourneau d'un verrier; le feu brillait dans la nuit de ses deux portes qui se fermaient et s'ouvraient tour à tour. Puis une des portes du fourneau resta fermée et l'autre ouverte. Au moment où je les examinais, al-Mo'tamid me dit: „Réponds à cet hémistiche:

Vois-les briller dans l'obscurité....

MOI.

Il semble que c'est un lion qui s'avance lentement dans les ténèbres.

LUI.

Il ouvre un œil, puis ferme l'autre,

MOI.

comme fait celui qui a mal aux paupières.

LUI.

Le destin lui a ravi la lumière d'un œil;

MOI.

Quelqu'un peut-il échapper à ses arrêts?

avait commencé à Kindah et fini à Kindah, voulant désigner Imroul-Ḳais, al-Motenabbī et ar-Ramādī. Ce poète mourut en 1022. Se trouvant un jour dans le *Medjlès* d'al-Mançour, celui-ci voulut savoir si le poète était content de la manière dont il le traitait:

— Comment te trouves-tu avec moi?

— Au-dessus de ma valeur, et au-dessous de la tienne, répondit le poète.

Al-Mançour fut irrité de la réponse. Ar-Ramādī sortit, se repentant d'avoir tenu ce langage, et se disant en lui-même: «J'ai fait une faute, et par Dieu! celui qui parle aux rois avec sincérité ne réussira jamais. Quel mal cela m'aurait-il fait de lui dire qu'à sa cour je me trouvais comme au ciel, et que je me faisais une ceinture de la constellation Orion?»

Après qu'ar-Ramādī fut sorti, un des assistants, qui jalousait le poète, dit à al-Mançour: «C'est là un homme sans mérite.» Et il ne cessa de le dénigrer. — «Que signifie ce discours? dit al-Mançour; je n'aime pas qu'on parle sans être interrogé et qu'on manque aux convenances. Je connais ta jalousie contre les lettrés; mais les hommes, comme dit un poète, n'envient que celui qui a atteint quelque supériorité.» Puis ayant fait revenir ar-Ramādī: — «Répète-moi, lui dit-il, la réponse que tu m'as faite.» — Le poète se mit à trembler dans la crainte d'un châtiment. — «Eh bien! dit al-Mançour, tu vois que le contraire de ce que tu penses arrive; en te faisant répéter tes paroles, je te donne la récompense la plus grande.» — Ar-Ramādī, voyant son affabilité, se remit de son émotion et reproduisit sa réponse.

— No'mān, fils d'al-Mondhir, dit al-Mançour, remplit un jour de perles la bouche du poète Nābighah, pour des vers qu'il avait trouvés beaux. En t'invitant à recommencer ta réponse, je n'ai pas fait un acte inférieur au sien.

Sa'īd rapporte qu'il était l'ami de son père et fréquentait son *Medjlès*. Il avait de grandes connaissances dans la littérature ancienne et moderne. Il fut kadi à Baëza et à Lorca; il mourut à Séville en 1231.

Ce qui reste du VII^e livre vient compléter cette esquisse générale du mouvement intellectuel des Arabes en Espagne. Quoiqu'al-Makkarī n'ait pas eu l'intention de faire un classement, de suivre un ordre quelconque, l'esprit de méthode lui étant tout à fait étranger, nous essayerons de présenter une sorte de classification des matières dont il nous reste à parler. On remarque quatre grands courants dans les flots de citations faites par notre auteur: 1° des scènes littéraires de deux sortes: les unes où figurent quelques rois protecteurs des lettres, les autres où des poètes, des littérateurs sont seulement en présence; 2° des notices et des pièces de vers des principaux poètes; 3° des biographies de femmes poètes, avec des citations de leurs vers; 4° des anecdotes dans lesquelles on montre les Arabes d'Espagne sous divers aspects moraux et intellectuels. Il va sans dire qu'à tout moment ces quatre grandes divisions s'enchevêtrent dans le livre d'al-Makkarī.

1° Scènes littéraires.

Parmi les rois mis en scène, on remarque Al-Mançour, célèbre hādjib de Hichām II, al-Mo'tamid, roi de Séville, et son fils ar-Rachīd, al-Mo'tacim, roi d'Alméric [1], al-Mozhaffar, roi de Badajoz, al-Mamoun, roi de Tolède, an-Nācir et Ya'koub al-Mançour des Almohades.

Yousof ibn-Hāroun al-Kindī, connu sous le nom d'ar-Ramādī, un des poètes de la cour d'al-Mançour, est l'objet d'une longue notice [2]. Ses contemporains disaient, en faisant allusion à son nom d'al-Kindī, que la poésie

1) Sur l'histoire littéraire sous les Benou-Çomādih, on peut lire un intéressant chapitre dans les *Recherches* de M. Dozy, t. I, p. 90 et suiv. 1re édit.

2) Voyez p. ٣٣٣ et suiv.

— Que penses-tu, lui dis-je, des savants, des écrivains, des secrétaires[1], des poètes de l'Espagne?

— J'ai dit: Dieu est grand!... répondit-il, sans achever sa phrase.

Je ne compris pas son intention, et j'accueillis froidement sa réponse. Ibn-Zohr s'apercevant que je regardais cet homme d'un air dédaigneux, me dit:

— As-tu lu les vers d'al-Motenabbī?

— Oui, répondis-je, et je les ai tous retenus.

— Dans ce cas, ton intelligence est en défaut.

Et il me récita ce vers d'al-Motenabbī:

> J'ai dit: Dieu est grand! autour de leurs demeures, alors qu'apparurent ces soleils dans un pays où l'Orient manquait[2]....

Je m'excusai auprès du Khorasanien.

— Par Dieu! lui dis-je, tu as *grandi* à mes yeux de la valeur dont j'ai diminué aux tiens, alors que je n'ai pas compris ton intention. Louange à Dieu qui a fait lever de l'Occident ces soleils, et qui les a placés à la tête du pays!

C'est par cette anecdote qu'ach-Chekundī finit son épître qui est, comme on vient de le voir, pleine de verve, écrite dans un style simple, mais d'un goût littéraire savoureux, et pétillante d'esprit. Cet élégant écrivain, ce dilettante en littérature, se nommait Abou-'l-Walīd Ismāīl ibn-Mohammed; il tirait son origine de Chekunda, village aux environs de Cordoue[3]. Ibn-

1) Les secrétaires كتّاب formaient un genre de littérateurs en Espagne, attachés aux Sultans, il traitaient la correspondance diplomatique, en style recherché, et l'on comprend qu'ils fussent classé parmi les lettres.

2) Les Arabes ont l'habitude de s'écrier *Allah Akbar*, Dieu est grand! pour exprimer leur admiration, leur étonnement à la vue d'un miracle, d'un fait étonnant. Le Khorasanien dans le vers qu'il cite, fait allusion aux grands poètes de l'Espagne, soleils de l'Occident.

3) Voyez t. II, p. ١٢٩, une note citée par M. Dozy sur l'origine du mot Chekundī.

yades [1]. L'importance des forces militaires, sous al-Mançour, était de deux cent mille cavaliers, et de six cent mille fantassins. Je ne parlerai pas des autres merveilles de Cordoue, de sa mosquée, de son pont &c.

Il passe ensuite aux autres villes remarquables de l'Espagne: Jaën renommée pour son commerce de soie, ses danseuses, ses poètes, ses savants; Grenade, Damas de l'Occident, illustrée par ses poètes, ses savants, embellie par ses châteaux forts; Malaga fameuse pour ses vins, ses figues, ses raisins. On disait à un homme de plaisir qui était près de mourir: «Demande la miséricorde à ton Dieu.» — Il s'écria, en élevant la main: «O mon Dieu, je ne désire de tout ce que contient le Paradis, que du vin de Malaga et des raisins secs de Séville.» Almérie dont les habitants se distinguent par leur beauté, leur politesse et leur générosité, patrie du Kāïd Ibn-Meimoun, qui vainquit les Chrétiens sur mer et détruisit leurs navires; c'est de cette ville que les Chrétiens partaient pour commercer avec tous les pays; Murcie aux jardins délicieux, dont les habitans sont bons et paisibles et qui a donné naissance à des savants et à des poètes célèbres; Valence aux jardins et au lac fameux, dont les habitants sont hospitaliers, et enfin l'île de Maiorque au sol d'une admirable fertilité.

J'ai négligé, poursuit ach-Chekundī en s'adressant à son adversaire, de te désigner tous les savants et poètes de l'Espagne. Que Dieu orne ton esprit d'équité et te fasse convenir que tu étais dans l'erreur. Je n'ai mentionné que des hommes éclatants comme la lumière, je n'ajouterai à cette liste aucun autre nom. Seulement je terminerai en te racontant une scène qui se passa dans le salon (*Medjlès*) du fakīh Abou-Bekr ibn-Zohr.

J'étais un jour en sa présence, quand un étranger des hommes distingués du Khorāsān entra; ibn-Zohr le traitait avec beaucoup d'égards.

1) Voyez p. ۱۳۳.

à l'intérieur et à l'extérieur. La civilisation y a atteint un si haut degré que le peuple dit: „Si l'on demandait du lait d'oiseau, on le trouverait à Séville.“ Et son grand fleuve, ses jardins, ses vignes, ses oliviers!

> Séville est une fiancée
> qui a pour époux Abbād,
> l'Axarafe pour couronne
> et son fleuve pour collier.

On disait à un Arabe qui avait visité l'Egypte et la Syrie: „As-tu vu une ville aussi belle? — ,Non, répondit-il, l'Axarafe est une forêt sans lion, le Guadalquivir un nil sans crocodile.“ On trouve dans cette ville toutes les espèces d'instruments de musique [1]. Le Maroc n'a que ceux qu'on y apporte d'Espagne. Il en a bien quelques-uns, mais grossiers, tels que le *doff* (tambour de basque), le *dabdabah* du Soudan (tympanum) et le *ẖamākī* des Berbères. En fait de vaisseaux, de voitures &c. on y voit ce qu'il y a de plus beau: les bâtisses y sont solides, les fruits y sont en grande abondance et d'une qualité supérieure. Leurs savants, poètes y sont nombreux et habiles dans tous les genres, sérieux ou frivoles.

Cordoue, capitale dans l'ancien temps, est la patrie de la science. Sous les Omaiyades ont brillé dans la jurisprudence Yaẖyā fils de Yaẖyā et Ibn-Ḫabīb Les savants y étaient très honorés par les rois; au point qu'al-Ḫakam al-Mostancir qui détestait le vin, fut sur le point de faire couper la vigne; mais les savants l'en empêchèrent. On exigeait en ce temps, pour prévenir la corruption, que les juges fussent riches. Les jurisconsultes célèbres s'opposaient au choix du Sultan, lorsqu'il désignait un homme pauvre pour occuper un emploi juridique. Ach-Chekundī nous fait connaître plusieurs anecdotes très piquantes sur les mœurs administratives au temps des Omai-

1, On trouve une longue liste des noms de ces instruments de musique, t. II, p. ۱۴۳, ۱۴۴.

force d'Ibn-Baḳī, auteur de ces vers:

> Lorsque la Nuit traînait le pan de son manteau,
> Recouverts de son ombre, alcôve au long rideau,
> Tour à tour nous goûtions la coupe du délire,
> Musc pénétrant au fond de l'âme qui l'aspire.
> Ses cheveux sur mon col flottaient comme un baudrier,
> En longs anneaux soyeux, et comme le guerrier
> Serre son yatagan, j'étreignais mon amie.
> A mon corps suspendue et s'étant endormie,
> Je détachai ses bras d'un léger mouvement
> Et l'éloignai d'un cœur qui l'attirait pourtant,
> De peur que son sommeil sur ce lit qui palpite
> Ne fût troublé....

J'ai lâché la bride à la poésie, dit ach-Chekundī, et je pense que ces citations suffiront amplement pour te prouver l'infériorité du Maroc vis-à-vis de l'Espagne. Maintenant me parleras-tu de votre poète, de cet Abou-'l-Abbās al-Djerāwī, dont il vaudrait mieux mettre la gloire en oubli? Car il suffit pour prouver que c'est le poète le plus insupportable, de citer ce vers, à la louange d'un Khalife:

> Si les rois du temps sont des serpents, toi parmi eux, tu seras toujours le serpent le plus long!

Si de la poésie, nous passons à la bravoure, qui peux-tu opposer à nos guerriers du temps d'al-Mançour et des rois Aṭ-ṭawāïf? Il suffira de mentionner le Ḳāïd Ibn-Ḳādis, si renommé pour son intrépidité même chez nos ennemis, qu'un chrétien faisant boire un jour son cheval qui refusait d'avancer dans l'eau, lui disait: «As-tu vu Ibn-Ḳādis dans l'eau?» Sur la noblesse, la générosité, le bon naturel, il y a mille traits à raconter.

Te parlerai-je du pays de l'Espagne, de ses beautés? Ecoute ce qui ferait mourir un jaloux:

Séville a un climat tempéré, de beaux monuments, des embellissements

passion pour les lettres? Parmi les rois poètes avez-vous eu al-Mo'tamid, roi de Séville, qui a fait de si beaux vers? Et parmi les vizirs comptez-vous Ibn-Ammār qui s'est rendu célèbre avec sa kacīda dont la rime se termine par la lettre *rā*, et Ibn-Zeidoun qui a fait dans le genre *nasīb* la kacīda la plus exquise, quoiqu'un peu longue?

Parmi les poètes avez-vous des hommes tels que Ibn-Wahboun et Ibn-Darrādj, de qui at-Tha'ālibī disait qu'il était pour l'Espagne ce qu'al-Motenabbī est pour l'Orient? Et même ne l'a-t-il pas surpassé dans le genre *madīḥ*, et dans la peinture de l'exil et de ses douleurs et dans ses métaphores? Rencontre-t-on chez vous un poète qui ait écrit sur la chasteté, en si beau langage qu'Ibn-Faradj, et trouve-t-on des métaphores à comparer à celles d'Abou-Dja'far al-Lemāī? Mentionne quelqu'un des vôtres qui ait décrit les rendez-vous d'amour, comme Ibn-Chohaid; les difficultés vaincues par l'amant pour aller voir sa maîtresse, comme Ibn-Safar, un des derniers poètes; le remerciement comme Ibn-al-labbānah, Ibn-Waççāḥ et Ibn-az-Zaḳḳāḳ; les garçons comme ar-Roçāfī et Ibn-Kharouf; le signe des joues comme an-Nachchār, et le baiser comme Ibn-Selām de Malaga?

Pouvez-vous citer un poète tel qu'Ibn-Khafādjah, qui ait peint comme lui les jardins, les eaux, la nature? Et dans la satire al-Makhzoumī, et dans la satire et la louange Al-Yakkī et Ibn-Modjbar? A-t-on vu chez vous un poète aveugle, at-Ṭotīlī (de Tudèle), faire des vers sur la perte de sa vue et sur ses cheveux noirs? Et le célèbre Ibn-Hānī dont la parole est répandue en Orient et en Occident, qui a fait sur les étoiles une pièce de vers incomparable; et pour le *Zohd* (détachement des biens de ce monde) Abou-Wahb al-'Abbāsī a-t-il un rival? Est-il né dans votre pays des femmes telles que Wallāda la Merwanide et Zeinab, fille de Ziyād?

Enfin pour clore toutes ces citations, et pour que dans la finale tu trouves une senteur de musc, je te demanderai si vous avez un poète de la

Ach-Chekundī parle des Benou-Abbād, de la protection qu'ils accordaient aux lettres. Il tourne en ridicule le sultan Yousof ibn-Téchoufīn qui ne comprit pas le poème qu'al-Mo'tamid lui adressa, et dit que sans les Benou-Abbād, les Berbères n'auraient pas triomphé en Espagne.

Puis s'adressant de nouveau à son antagoniste, il lui dit: Apprends-moi si en jurisprudence (fikh), vous avez des hommes tels qu'Ibn-Ḥabīb, Abou-'l-Walīd al-Bādjī, Ibn-al-'Arabī, et Ibn-Rochd le grand, et Ibn-Rochd le petit; et des savants comme Ibn-Ḥazm qui, étant vizir, conserva son mépris de la richesse, et mit la science au premier rang; et dans la philologie des grammairiens tels qu'Ibn-Sīdah, Ibn-as-Sīd, Ibn-aṭ-Ṭarāwah et Abou-Ali ach-Chalaubīnī; et dans les compositions musicales et la philosophie un Ibn-Bādjah; et dans l'astronomie, la géométrie, la philosophie, un savant comme al-Moktadir Ibn-Houd, roi de Sarragosse; et dans la médecine un Ibn-Tofail, et les Benou-Zohr, Abou-'l-ala, son fils Abd-al-melik et son petit-fils Abou-Bekr, trois sur le même fil; et dans l'histoire un Ibn-Ḥaiyān, auteur d'*al-Matin* et du *Moktabis;* enfin parmi les princes de la littérature, comptez-vous un Ibn-Abd-rabbihi, auteur de l'*Ikd?*

Peux-tu citer quelqu'un de ton pays qui ait perpétué les mérites des savants, ait réuni avec tant de soins les beautés de leurs œuvres, comme Ibn-Bassām, auteur de la *Dhakhīrah?* Je t'accorde même que vous en ayez eu un comme lui; mais à quoi vous aurait-il servi d'avoir un biographe? On ne peut faire une bourse dans une maison vide. Avez-vous eu, dans la haute littérature, un écrivain comme al-Fatḥ ibn-Khākān, celui dont la louange élève et le blâme abaisse; c'est ce que le *Kalāyid* a fait voir, et Ibn-abī-'l-Khiçāl et Sahl ibn-Mālik, notre contemporain? Dans le genre *adab* (littérature mêlée d'histoire et d'anecdotes) avez-vous eu un roi qui ait composé cent volumes comme al-Mozhaffar Ibn-al-Aftas, roi de Badajoz, que ni la guerre, ni les soucis du pouvoir ne détournèrent jamais de sa

(*risālah*) sur la supériorité de son pays. La discussion se prolonge et se perd en paroles inutiles. En laissant toute liberté à votre esprit, j'espère que vous produirez quelque œuvre qui ira à la postérité.

Ils s'exécutèrent. Voici un aperçu de la lettre d'ach-Chekundī.

Il commence par réfuter l'opinion de son contradicteur au sujet de l'origine de la royauté. Si maintenant, dit-il, la domination de tout le pays du Maghreb vous est acquise par le Khalifat des Benou-Abd-al-moumen, il y a eu chez nous ce khalifat des Coraichites dont tant de poètes orientaux et occidentaux ont chanté les gloires, et sous lequel parurent des savants, des poètes, des hommes illustres dont les noms sont plus durables sur les papiers du temps que les colliers au cou des colombes.

Parmi nos rois fameux, il suffit de citer al-Mançour dont les expéditions dans le pays des chrétiens allèrent jusqu'à la mer verte (océan), et qui ne laissa entre leurs mains aucun prisonnier musulman. Tu connais les louanges dont il a été l'objet de la part des poètes. Tu as entendu parler des clients amirites, Modjāhid, Mondhir et Khairān, des rois des Benou-Abbād, Benou-Çomādiḥ, Benou-'l-Aftas, Benou-Dhī-an-noun et des Benou-Houd. Tous ont été immortalisés par les éloges des poètes, qui dans ce temps-là ne voulaient louer les princes qu'à raison de cent dinars la kacīda. Les littérateurs étaient tellement jaloux de leur gloire que Modjāhid l'Amirite, roi de Dénia, ayant proposé au grammairien Abou-Ghālib de mettre sous son nom un livre qu'il avait composé, moyennant mille dinars, une monture et des vêtements, Abou-Ghālib refusa: « J'ai fait ce livre, dit-il, pour être utile aux autres, et perpétuer ma renommée, et j'y mettrais le nom d'un autre, je lui en laisserais la gloire, non, non, je n'y consentirai jamais. » Ces paroles étant parvenues au roi, il admira sa fierté et son ambition, et doubla le don qu'il lui avait proposé[1].

1) Voyez *Recherches* de M. Dozy, t. I, p. 141, 1re édition.

Les deux listes d'ouvrages donnés par Ibn-Hazm et Ibn-Sa'īd sont un témoignage de la fécondité, du talent littéraire et scientifique des Arabes d'Espagne. Malheureusement beaucoup de ces livres sont perdus pour la science. Que d'efforts humains dans le néant!

A ces deux documents, bien précieux pour l'histoire littéraire, il faut ajouter une épître non moins curieuse, celle d'ach-Chekundī [1]; al-Makkarī nous fait connaître à quelle occasion elle fut écrite, en empruntant ce renseignement à Ibn-Sa'īd; c'est cet historien qui va parler:

Mon père me raconta que se trouvant, un jour, dans le salon (*Medjlès*) du maître de Ceuta, Abou-Yahyā, gendre de Nācir des Benou-Abd-al-moumen, il s'éleva une discussion entre Abou-'l-Walīd ach-Chekundī et Ibn-al-Moallim de Tanger, sur la supériorité des deux pays, l'Espagne et le Maroc [2].

— Sans l'Espagne, dit ach-Chekundī, il ne serait pas question du Maroc, et il n'aurait aucun mérite. Si n'était le respect que je dois à cette assemblée, je dirais ce que tu sais....

— Veux-tu dire, observa l'émir Abou-Yahyā, que les gens de notre pays sont Berbères, et que ceux du vôtre sont Arabes?

— Dieu m'en garde!

— Par Dieu! dit l'émir, tu n'as pas eu d'autre intention. On put voir en effet sur la figure d'ach-Chekundī que telle avait été sa pensée.

— Est-ce bien ce que tu as voulu dire? demanda Ibn-al-Moallim; mais la royauté, la supériorité ne viennent que du Maroc!

— Mon opinion, dit l'émir, est que chacun de vous fasse une lettre

1) Voyez p. ١٣٩.

2) Pour la rapidité et l'intelligence du récit, j'ai mis le mot Maroc, au lieu de *Barr al-'adwah* (terre de passage) qui comprend le Maghreb al-ausat, et le Maghreb al-akça (voyez Géographie d'Abou-'l-feda, texte de MM. Reinaud et de Slane; Description du pays du Maghreb, trad. de M. Solvet, p. 4 et 5).

Ibn-Hazm répondit par une lettre devenue célèbre[1] et qui est une sorte de petite encyclopédie littéraire des Arabes d'Espagne. Pour prouver que l'Espagne est au-dessus de l'Ifrikia, il ne lui dira pas qu'il n'a vu sur Kairawān, sa ville natale, d'autres livres que le *Moghrib* et ceux de Mohammed ibn-Yousof al-Warrāk, dédiés à al-Mostansir, sur les routes, les rois, les guerres d'Ifrikia, sur Téhort, Oran, Tenès, Sedjelmāsa, Nakour &c. Al-Warrāk était cependant Espagnol d'origine, son père était de Wādī-'l-hidjāra. Il ne lui dispute pas ceux qui ont quitté l'Espagne pour s'établir en Ifrikia, comme le poète Ibn-Hānī; non, il ne cherche que la justice. Il fait remarquer que les historiens qui ont écrit sur Bagdad, par exemple, comme Ahmed ibn-abī-Tāhir, ne parlaient pas de leur pays à l'exclusion des autres. Il ne connaît sur Baçra que quatre livres, dont un par Omar ibn-Chabbah, et un autre par un descendant d'ar-Rabī' fils de Ziyād, et sur Koufa que le livre d'Omar ibn-Chabbah. Quant au Khorasān, Tabaristān, Djordjān, Kermān, Sedjistān, le Sind, ar-Rai, l'Arménie, l'Azerbīdjān &c., il n'a vu aucune composition qui fasse connaître leurs rois, leurs savants, leurs poètes &c. Après avoir fait un grand éloge des Espagnols, il passe en revue leurs principales compositions en jurisprudence, Korān, hadīth, histoire[2], poésie, langue, sciences, philosophie, et indique les ouvrages qui contiennent les biographies des savants, kadis, poètes &c.

A la suite de cette épître, al-Makkarī nous donne l'appendice[3] que l'auteur du *Moghrib*, Ibn-Sa'īd, a composé pour compléter les renseignements bibliographiques fournis par Ibn-Hazm. Ce complément roule sur des ouvrages qui ont pour objet le Korān, les hadīth, la jurisprudence, l'histoire, l'*adab*, la grammaire, la géographie, la musique, les sciences, la philosophie.

1) Voyez p. ١٠٩.

2) M. Dozy a parlé des ouvrages historiques cités par Ibn-Hazm, dans son Introduction au *Bayān al moghrib*, p. 20, 21.

3) Voyez p. ١٢١.

une certaine influence sur les hommes. Il attribue à la planète *Az-zahra* (Vénus) la faculté de donner une bonne direction dans le choix des vêtements, des mets, d'inspirer la propreté, l'amour, le plaisir, les chants; à la planète *Othārid* (Mercure) de faire naître l'amour de l'ordre, de la science, de la sagesse, de la philosophie, de la justice. On trouve en Espagne de très grands agriculteurs, Ibn-Bassāl entre autres, auteur d'un traité agronomique. Les habitants sont braves, courageux, supportant la fatigue avec patience. On peut les comparer aux Chinois pour leur aptitude aux arts pratiques, et aux Turcs pour leur habileté dans la guerre; c'est le peuple qui ressemble en général le plus aux Grecs. Ils ont acquis une grande renommée par leur invention des chants appelés *Mowachchahāt* et dans lesquels ils ont surpassé les orientaux. C'est un chant d'épicurien, de viveur, de buveur qui dit avec Horace: *carpe diem*. Leur grand poète Ibn-Khafādjah a devancé tous les autres dans l'art de peindre la nature, l'amour. C'est leur poète paysagiste [1].

Après des généralités dont nous ne venons de donner qu'une indication légère, al-Makkarī cite la lettre d'un littérateur de Kairawān, Ibn-ar-Rabīb at-Tamīmī, à un cousin d'Ibn-Hazm, dans laquelle il accuse les Arabes d'Espagne d'avoir montré une grande négligence en oubliant de recueillir dans des livres les mérites de leurs savants, poètes, littérateurs, kadis, secrétaires, vizirs, khalifes, de leurs grands hommes en un mot. Dans cette lettre qui est très bien écrite, en prose rimée, mais non ampoulée comme celle qu'on rencontre fréquemment chez les écrivains qui ont adopté ce genre de style, il reproche au poète Ibn-Abd-rabbihi de n'avoir pas consacré dans son livre, intitulé *al-'Ikd*, un chapitre aux savants de son pays. Il termine son épître en demandant une réponse.

1) A propos de l'écriture des Arabes d'Espagne, al-Makkarī dit qu'elle était primitivement orientale, et qu'elle devint ensuite maghrebine.

Ziryāb était savant en astronomie, en géographie; c'était un fin littérateur, poète naturel, conteur aimable, homme du monde, arbitre de la mode: il donnait le ton pour les habillements, en fit adopter de mieux appropriés aux saisons, amena des révolutions dans l'usage de certains meubles domestiques, inventa de nouveaux mets, et fit préférer l'usage des vases en verre fin, à ceux d'or et d'argent &c.

Il avait huit fils: Abd-ar-raḫmān, 'Obaid-allah, Dja'far, Moḫammed, Ḳāsim, Aḫmed, Ḥasan, Yaḫyā, et deux filles Alīyah et Ḥamdounah. Ils étaient tous chanteurs. Le plus distingué fut 'Obaid-allah, puis Abd-ar-raḫmān; Ḳāsim était très habile dans le chant; Aḫmed était poète comme son père. Le vizir Hāchim, fils d'Abd-al-'azīz, épousa Ḥamdounah.

Les premiers chanteurs qui arrivèrent en Espagne sous al-Ḥakam, fils de Hichām, furent 'Aloun et Zarḳoun; mais Ziryāb les surpassa.

La cinquième série de ces voyageurs ne compte guère que deux médecins qui firent le voyage d'Espagne.

Al-Makḳarī dit en terminant ce livre qu'il aurait pu l'allonger beaucoup, parce que les Arabes qui se rendirent en Espagne sont en grand nombre.

VII^E LIVRE [1]

ESQUISSES D'HISTOIRE LITTÉRAIRE — QUALITÉS MORALES ET INTELLECTUELLES DES ARABES D'ESPAGNE.

Notre auteur commence ce livre par quelques considérations générales sur les habitants de l'Espagne. Il dit, d'après Ptolémée, que les astres ont

1) De la page ١٠٤ à ٩٧٠. Les auteurs cités dans cette partie de l'ouvrage sont: al-Ḥidjārī, Ibn-Bassām, Ibn-Ghālib, Ibn-Sa'īd, Ibn-Zhāfir, al-Malāḫī, al-Fatḫ, Ibn-al-Abbār (*Tekmilah*) &c.

traitement à deux cents dinars par mois. Chacun de ses fils, Abd-ar-rahmān, Dja'far, 'Obaid-allah, Yahyā, reçut par mois vingt dinars. De plus Ziryāb recevait deux fois par an un cadeau de deux mille dinars, cinq cents dinars à la Saint-Jean et la même somme au premier de l'an, sans compter tous les dons en nature, blé, orge &c. Il marchait dans les rues avec une escorte de cent esclaves. On voit de quelle faveur cet artiste jouissait à la cour des Omaiyades. Abd-ar-rahmān l'aimait beaucoup; il le mettait au-dessus de tous les autres chanteurs. Ziryāb, admis dans son intimité, lui racontait la vie des rois, des khalifes, des anecdotes littéraires; il avait ses entrées particulières dans son palais.

Al-Makkarī raconte, avec une naïveté dont il donne souvent des preuves, que chaque nuit Ziryāb recevait la visite de quelques génies qui lui apprenaient des airs. Au milieu de la nuit, il se réveillait subitement, appelait ses deux esclaves, Ghazlān et Honaidah; elles prenaient leur luth et faisaient de la musique. Puis il écrivait des vers et se recouchait. On trouve dans cette notice quelques renseignements sur la manière dont il donnait ses leçons de musique.

Pendant son séjour en Espagne, Ziryāb inventa une cinquième corde pour le luth qui anciennement n'en avait que quatre, correspondant aux quatre tempéraments de l'homme. La première corde, appelée *Az-zīr*, teinte en jaune, correspond à la bile; la deuxième après, appelée *mathnā* (double), teinte en rouge, tient, dans le luth, la place du sang dans le corps; la troisième, appelée *mithlath* (triple), qui est blanche, correspond à la pituite; la quatrième appelée *Al-bamm*, la plus élevée des cordes du luth, répond à l'atrabile. Il manquait un élément dans le luth pour représenter l'âme qui est liée au sang. Ziryāb introduisit donc une cinquième corde, teinte en rouge, au milieu du luth, qui acquit alors le sens le plus délicat, l'expression la plus parfaite.

Ar-rachīd remarqua qu'il était le même que celui d'Isḥāḳ; il le lui dit.

— Si tu désires, dit Ziryāb, que je chante à la manière de mon maître, je me servirai de son luth; mais si tu veux que je chante à la mienne, je dois me servir du mien.

Alors il lui fit une description technique de son instrument; il lui expliqua que les cordes étaient faites d'une soie qui n'avait pas éte filée avec de l'eau chaude, et que deux des cordes, la grave (*bamm*) et la triple (*mithlath*), provenaient des boyaux d'un lionceau. Ar-rachīd fut émerveillé de cette description. Ziryāb accorda son luth et chanta une pièce de vers en l'honneur d'ar-rachīd qui en fut très content. Mais il était contrarié que maître Isḥāḳ ne lui eût pas fait connaître plus tôt cet artiste distingué. — «Garde-le près de toi, dit-il à Isḥāḳ, je verrai ce que je ferai.»

Isḥāḳ fut pris du mal d'envie, et s'étant retiré en particulier avec son élève: «Tu sais, lui dit-il, que la jalousie est le plus ancien des maux de l'homme; la concurrence dans un art engendre l'inimitié; si tu restes ici, mon rang s'abaisse. Choisis entre ces deux partis: quitte Bagdad, la terre est large, que je n'entende plus parler de toi; fais le serment de partir, je te comblerai de richesses; ou bien si tu restes malgré moi, prends garde à ma vengeance.»

Ziryāb fit ses préparatifs de départ, Isḥāḳ l'y aida, et, comme dit l'auteur arabe, mit des plumes à ses ailes. Il quitta l'Orient, se dirigeant vers le Maghreb et s'adressa au Khalife d'Espagne, al-Ḥakam, pour entrer à son service; celui-ci l'appela avec empressement auprès de lui; mais en se rendant en Espagne, il apprit sa mort à Algéziras. Il se disposait à s'en retourner au Maghreb, lorsqu'Abd-ar-raḥmān II, héritier d'al-Ḥakam, lui écrivit de venir et lui exprima sa joie de l'avoir à sa cour. Ziryāb se dirigea vers Cordoue; le Khalife envoya à sa rencontre un de ses grands eunuques pour le recevoir; il lui fit donner une belle maison et fixa son

— Ces deux vers ne sont pas de lui; je les ai entendus réciter en Egypte à un poète de Bagdad; ils sont chez moi écrits de sa main sur le dos d'un livre.

— Montre-les moi, lui dit al-Mançour.

Ibn-al-'arīf sortit, monta à cheval et se transporta avec rapidité chez Ibn-Bord, bon littérateur, improvisateur renommé. Il lui raconte l'affaire. Ibn-Bord lui fit sur-le-champ une pièce de vers dans laquelle il intercala les deux vers de Çā'id. Ibn-al-'arīf courut rapidement chez lui, copia les vers sur le dos d'un livre en imitant l'écriture égyptienne et en se servant d'encre blonde. Il revint avec le livre et le montra à al-Mançour. Le lendemain, le ministre mit Çā'id à une rude épreuve, mais grâce à son habileté, celui-ci s'en tira avec honneur.

Une des biographies les plus remarquables de ce VI[e] livre est celle d'Abou-'l-Ḥasan Alī ibn-Nāfi', affranchi d'al-Mahdī l'abbasside, surnommé Ziryāb [1] (oiseau noir au chant mélodieux) à cause de sa figure basanée et de son talent de chanteur. Quand il arriva à Bagdad, il suivit les leçons d'Ishāk de Mossoul, chanteur d'Hāroun ar-rachīd. Ses dispositions naturelles et ses études sous ce maître célèbre lui firent faire de rapides progrès. Voici quelle fut la cause de son départ de l'Orient.

Hāroun ar-rachīd demandait toujours à Ishāk qu'il lui presentât un chanteur étranger, habile. Ishāk lui parla du talent de son élève. Ar-rachīd, ayant fait venir Ziryāb, l'interrogea sur son art, en présence d'Ishāk.

— Je puis, dit Ziryāb, ce que les autres ne peuvent pas. Si tu le permets, je te ferai entendre ce qu'aucune oreille n'a entendu avant toi.

On apporta le luth de son maître Ishāk, mais il le refusa, dit qu'il en avait fait un lui-même et qu'il désirait s'en servir. On alla le chercher.

1) Voyez n° 54.

l'accueillit avec empressement, espérant qu'il effacerait les traces d'al-Ḳālī. Çā'id était versé dans la langue arabe, l'*adab*, les histoires, les curiosités littéraires; il avait la réplique, improvisait facilement; mais il n'était pas toujours écrivain sérieux et cherchait à en imposer par son aplomb. Aussi fut-il souvent confondu par des hommes plus savants que lui. Al-Mançour lui montrant un jour le livre *An-nawādir* d'al-Ḳālī, lui demanda de faire un ouvrage qui pût éclipser celui-là. Il composa le livre intitulé *al-foçouç* (les châtons de bague); mais les littérateurs n'y trouvèrent aucun mot exact, ni histoire véridique. Al-Mançour ordonna de jeter le livre à la rivière, et un poète fit ce vers:

> Le livre des pierres précieuses a plongé dans la rivière, c'est le sort de tout objet lourd.

Çā'id répondit:

> Mon livre est retourné à sa source, c'est au fond des mers qu'on trouve les perles.

Al-Maḳḳarī mêle à cette notice quelques renseignements sur le vizir célèbre al-Moçḥafī, et de piquantes particularités sur la vie intime d'al-Mançour, sa fréquentation des hommes de lettres. On remarque quelques scènes charmantes qui font bien apprécier les mœurs littéraires de cette époque. Al-Mançour avait reçu une rose, qui était venue avant son temps et qui était à peine ouverte. Çā'id qui se trouvait en présence du prince, improvisa ce distique:

> On t'a apporté une rose, Abou-'Amir, dont le parfum rappelle le musc.
> Elle ressemble à une vierge qu'un curieux regarde et qui cache sa tête avec sa manche.

Al-Mançour fut charmé de cette improvisation; mais Ibn-al-'arīf, un des littérateurs du temps, qui était présent, poussé par sa jalousie contre Çā'id, dit à al-Mançour:

rêt. On y remarque un prédicateur d'Egypte, Abd-ar-rahmān ibn-Dāoud [1], jurisconsulte distingué, qui prêchait dans les mosquées de Valence, Cordoue et Murcie. Il vivait en 1211.

La quatrième série qui s'étend à 16 grammairiens, littérateurs, musiciens, renferme des notices très curieuses: de ce nombre celle d'Abou-'Alī al-Kālī [2], littérateur, né en 893, mort à Cordoue en 966. Il alla à Bagdad en 915, et resta quelque temps à Mossoul pour y apprendre les hadīth. Elève d'Ibn-Doraid al-Azdī qui lui enseigna l'*adab* (littérature), c'était l'homme de son temps qui avait le plus de connaissances sur la langue arabe, la poésie, la grammaire. Il entra à Cordoue, en 941, sous Abd-ar-rahmān an-Nācir, auquel il dédia ainsi qu'à son fils al-Hakam quelques-uns de ses livres, entre autres *al-amālī;* mais l'ouvrage qui fit sa réputation est celui qui est intitulé: *an-nawādir.* Al-Hakam qui était un prince lettré disait d'al-Kālī: c'est le plus habile dans notre langue que j'aie vu. Ce prince honorait les lettres à un tel point qu'il envoya mille dinars à Abou-'l-Faradj al-Ispahānī pour un exemplaire du *Kitāb al-aghānī* qu'il lui avait adressé. Dans cette biographie, al-Makkarī, outre ce qu'il nous dit sur ce prince, fait une digression au sujet d'Ibn-al-Koutīyah, l'historien et le littérateur. Parmi les élèves qu'al-Kālī forma en Espagne, nous devons mentionner le célèbre Abou-Bekr Mohammed az-Zobaidī, auteur d'un abrégé du *Kitāb-al-'ain*, professeur d'al-Moaiyad Hichām. C'est lui qui a fait ce distique [3]:

> La pauvreté dans notre pays est un exil, la richesse à l'étranger est une patrie.
> La terre entière est commune et les hommes sont tous voisins et frères.

Une notice intéressante est celle d'Abou-'l-alā Çā'id [4], de Bagdad, originaire de Mossoul, littérateur. Entré en Espagne sous al-Mançour, qui

1) Voyez n° 39. 2) Voyez n° 43. 3) Voyez p. ٥١. 4) Voyez n° 44.

Marocains de ce temps avec le Soudān. Notre voyageur fut très bien traité à la cour du Sultan, il entra même dans son intimité.

— Comment trouves-tu ce pays? lui dit-il un jour. Est-il inférieur au tien?

— Mon maître, répondit as-Sarakhsī, votre pays est admirable, parfait, il n'a qu'un seul défaut.

— Lequel?

— C'est de faire oublier la patrie.

Le Sultan sourit et fut émerveillé de sa réponse.

Al-Makkarī, selon son habitude de sortir de son sujet, donne, d'après Ibn-Sa'īd, des détails sur quelques princes des Benou-Abd-al-moumen, et revient ensuite à As-Sarakhsī. C'était un homme savant, lettré, d'une âme noble, aspirant aux grandes choses, sans envie des biens terrestres et de la fortune d'autrui. Il a fait plusieurs ouvrages d'histoire et de géographie.

As-Sanhourī [1], célèbre jurisconsulte, traditionnaire, auteur d'un *riḥlah* au Maghreb, eut des démêlés à son retour en Egypte avec Ibn-Diḥyah qui dirigeait l'école de ḥadīth au Caire sous al-Melik al-Kāmil. Il confondit son adversaire qui prétendait avoir suivi les leçons des cheikhs anciens de l'Espagne. Cette notice renferme beaucoup de renseignements relatifs à Ibn-Diḥyah.

Un fait assez remarquable, c'est que parmi ces jurisconsultes se trouvait une femme noire [2], très intelligente, savante dans la science des traditions prophétiques. Elle rapportait directement de l'imām Mālik, et connaissait dix mille ḥadīth. Elle devint la mère des enfants de Ḥabīb fils d'al-Walīd le Merwanide.

La troisième série, hommes de religion, ne présente pas un grand inté-

1) Voyez n° 57. 2) Voyez n° 60.

que tous détruits; trente mille hommes périrent des deux partis. Abd-al-melik fut blessé grièvement; le sang coulait de sa blessure, et sa main étreignait la poignée de son sabre ruisselant. Abd-ar-rahmān vint à sa rencontre, le serra sur sa poitrine. „Ta fille sera l'épouse de Hichām, mon fils et mon héritier, lui dit-il; quant à toi, je t'élève au Vizirat.„ Abd-al-melik avec cette nature si brave, ce caractère de fer, avait des moments de grande mélancolie, lorsqu'il pensait à son pays. On a de lui quelques vers où il peint la tristesse de son âme[1].

Comme exemple de probité, rare chez les musulmans, surtout dans les circonstances où il est mentionné, il est bon de signaler les noms de deux des quatre nobles arabes qui assistèrent au partage de l'immense butin fait lors de l'invasion, et qui ne détournèrent rien. Ce furent Iyāç ibn-Okbah al-Fihrī et Abd-al-djabbār ibn-abī-Salama[2].

La seconde série de ces voyageurs d'Orient contient 19 jurisconsultes et traditionnaires parmi lesquels Ibn-Hammouyah as-Sarakhsī[3], né en 1176, auteur d'un *rihlah* (voyage) dans le Maghreb. En 1196 il fit un voyage à Jérusalem pour visiter les lieux saints. Puis il se rendit au Maroc sous Abou-Yousof Ya'koub al-Mançour. Dans son rihlah, il raconte que des gens du Soudān apportèrent au Sultan en cadeau un éléphant; il leur fit des présents, mais n'accepta pas le leur. „Nous ne voulons pas être compagnons de l'éléphant,„ leur dit-il[4]. As-Sarakhsī consacre à Ya'koub al-Mançour quelques pages de son voyage; il fait connaître des fragments d'une lettre au roi du Soudān pour lui reprocher les retards qu'éprouvaient les négociants marocains dans leur marche, étant sans cesse harcelés par des pillards. Dans cette notice on trouve des renseignements sur les relations commerciales des

1) Voyez p. ٣١. 2) Voyez nos 9 et 11. 3) Voyez n° 45.
4) Allusion au verset 1, sour. 105, du Korān.

Espagne, et qui lui rappelait sa lointaine patrie[1].

Parmi les autres guerriers qui pénétrèrent en Espagne, un surtout est digne d'être remarqué par son courage indomptable, sa fermeté et sa haine des Abbassides. C'est Abd-al-melik ibn-Omar, de la famille des Omaiyades[2]. Arrivé en Espagne au moment où son cousin Abd-ar-raḥmān venait de la subjuguer, il fut nommé gouverneur de Séville. Comme on faisait encore la *Khoṭbah* (prière) au nom d'Abou-Dja'far al-Mançour l'abbasside, il supplia son cousin Abd-ar-raḥmān de supprimer ce nom et de le remplacer par le sien. Par un motif tout politique, Abd-ar-raḥmān refusa. Abd-al-melik ne cessa d'insister; enfin un jour il lui dit: «Si tu ne supprimes pas la Khoṭbah en leur nom, je me tue.» Vaincu pas ses instances, l'émir la supprima; il l'avait conservée pendant 10 mois, après son arrivée en Espagne. On fit depuis la Khoṭbah au nom d'Abd-ar-raḥmān.

Lorsque les habitants de l'occident de l'Espagne marchèrent contre le nouvel émir, dont ils refusaient de reconnaître le pouvoir, il leur opposa Abd-al-melik, qui, ayant réuni une forte armée, donna un commandement à son fils Omaiyah. Celui-ci s'avança contre l'ennemi; mais ayant rencontré une certaine résistance, il craignit le déshonneur de la défaite et s'enfuit vers son père. «Si tu as fui la mort, lui dit Abd-al-melik, tu as couru vers elle.» Et il ordonna de lui trancher la tête. Ayant réuni les gens de sa maison et ses proches, il leur dit: «Nous avons été chassés de l'Orient vers ces contrées lointaines; on nous envie une bouchée de pain qui soutient le souffle de la vie; brisez les fourreaux de vos sabres; la mort ou la victoire!» Les fourreaux étant brisés, ils s'élancèrent contre les ennemis et les mirent en fuite. Dans cette journée les Yamanites furent pres-

1) Voyez le texte de cette pièce p ۱۳۷, et une autre pièce p. ۱۲۵.
2) Voyez n° 25.

rent du vin. «J'ai besoin de fortifier mon esprit, dit-il, et non de l'affaiblir.» Il faisait ainsi connaître sa force de caractère et son obéissance aux prescriptions du Korān. On lui présenta une jeune fille d'une grande beauté. «Si je l'acceptais, dit-il, je nuirais à mon grand dessein; pas de distraction, avant qu'il ne soit accompli.»

Abou-Othmān et Ibn-Khālid lui firent un grand accueil. Abd-ar-raḥmān s'arrêta au village de Torroch où habitait Abou-Othmān; là vinrent le rejoindre des hommes importants de son parti. Il s'avança de village en village jusqu'à Séville, grossissant peu à peu son armée; quelques mois après il entrait à Cordoue. Il faut lire dans l'ouvrage d'al-Makkarī le récit de la prise de cette ville; on verra avec quelle adresse le fils de Mo'āwiya s'en empara, avec quelle habileté il parvint à écarter tout compétiteur au trône. Il eut à réprimer les révoltes de Saragosse, d'Algéziras. Il avait médité une expédition en Syrie; mais la révolte de la première de ces villes l'empêcha d'y donner suite. Il était né en 731, il mourut en 787; il avait donc 25 ans lorsqu'il s'empara du pouvoir en Espagne.

Al-Makkarī nous fait connaître ses habitudes, trace son portrait. C'était un homme d'une intelligence pénétrante, prudent, décidé, brave, ferme, actif, ne se reposant pas sur les autres de l'exécution des affaires. Il avait adopté les vêtements blancs, contrairement à l'usage des Abbassides qui s'habillaient de noir. Il était très généreux, visitait les malades, assistait aux enterrements, et faisait la prière avec le peuple. Il avait l'habitude de se mêler à la populace; mais un jour un homme ayant pris la bride de son cheval, lui demanda justice contre un Kadi; il la lui fit rendre. Depuis ce jour, sur le conseil de son entourage, il ne se mêla plus à la foule. Son fils Hichām assista aux enterrements à sa place. Il commandait en personne à ses troupes; il avait cent cavaliers de garde particulière. Il était poète; on connaît les vers qu'il fit sur un palmier transplanté en

chiffre de ses partisans dans ce pays s'élevait à 4 ou 500 dont les chefs étaient Abou-Othmān et Abd-allah ibn-Khālid. Badr était porteur d'une lettre d'Abd-ar-raḥmān dans laquelle ce dernier faisait valoir ses droits à l'héritage des Omaiyades en Espagne. Les partisans des Omaiyades réveillent l'ancienne inimitié des Yamanites contre les Moçar. Abd-ar-raḥmān s'étant fait ainsi habilement le noyau d'un parti, le chef Abou-Othmān acheta un navire, donna 500 dinars à Badr qui s'embarqua avec onze hommes parmi lesquels se trouvait Tammām ibn-'Alkamah.

Abd-ar-raḥmān, plein d'anxiété, attendait sur la plage l'arrivée de Badr. Il faisait la prière du maghreb (coucher du soleil), lorsqu'il vit le vaisseau s'avancer dans les flots et jeter l'ancre devant lui. Badr s'élance à la nage, et lui annonce la possibilité de réaliser son dessein. Tammām court à lui pour le féliciter.

— Quel est ton nom? lui demande Abd-ar-raḥmān.

— Tammām (celui qui accomplit).

— Et ton Konyah (surnom)?

— Abou-Ghālib (père du victorieux).

— Dieu est grand! dit Abd-ar-raḥmān; notre affaire est *accomplie*, nous *vaincrons* avec l'aide de Dieu.

Abd-ar-raḥmān veut s'embarquer sans perdre de temps; mais les Berbères lui barrent le passage. Alors on leur distribue, à chacun, selon son rang, les présents que Tammām avait apportés; ils étaient satisfaits. Au moment où Abd-ar-raḥmān s'installait dans le navire, un Berbère qui n'avait rien reçu s'accroche à une corde qui tenait à l'embarcation qu'il essaie de retenir. A l'instant un des hommes de l'équipage coupe d'un coup de sabre la main du Berbère, et le vaisseau, poussé par les vents, fait voile vers la plage d'Elbīra où il aborde en 755. Lorsqu'Abd-ar-raḥmān mit le pied sur le sol de l'Espagne, ses partisans vinrent au-devant de lui et lui offri-

Puis Yousof, fils d'Abd-ar-raḥmān, qui descendait du fameux Oḳba, devint gouverneur à l'âge de 57 ans; mais Abou-'l-Khaṭṭār souleva les Yamanites contre les Moḍar. Une bataille eut lieu, celle de Cheḳunda. Abou-'l-Khaṭṭār fut fait prisonnier et mis à mort. Dans cette journée, où les Yamanites furent défaits, les deux partis se prirent aux mains et aux cheveux, après avoir épuisé les armes. Aç-Çomail était entré en Espagne avec Baldj; il fut tué en prison par les ordres d'Abd-ar-raḥmān Ier.

Al-Maḳḳarī raconte, d'après Ibn-Ḥaiyān, comment l'héritier des Omaiyades, Abd-ar-raḥmān [1], s'enfuit de Damas avec son frère, lors de l'avènement des Abbassides. Il fut poursuivi à outrance par des assassins à la solde du parti victorieux. Arrivé sur le bord de l'Euphrate, il s'élance à la nage; son frère, âgé seulement de 13 ans, n'avait pas eu la force de le suivre de près; les assassins s'en emparèrent et le tuèrent sans pitié aux yeux de son frère, arrivé sain et sauf sur l'autre bord de la rivière. Ayant échappé aux recherches des sbires, il s'enfuit à pied dans la direction de l'Ifrikia où l'avaient précédé un certain nombre d'Omaiyades. Il arriva dans ce pays, accompagné de Badr et de Sālim, ses deux clients, qui lui avaient apporté de l'argent et des bijoux. Il resta caché à Barḳa pendant cinq ans. On ne lit pas sans émotion cette fuite du descendant des Omaiyades à travers mille périls. Les malheurs le formèrent jeune; les souffrances de la jeunesse, en lui fortifiant le caractère, le cœur et l'intelligence, l'avaient trempé pour les grandes entreprises.

Il commence à Barḳa par établir des relations avec les Benou-Rostam, rois de Téhert, dans le Maghreb du milieu; il part avec des caravanes, passe d'une tribu berbère à l'autre, et enfin se fixe chez les Zenāta. C'est de là qu'il prépare la traversée de son affranchi Badr pour l'Espagne. Le

1 Voyez n 17.

La première série comprend 23 notices dont plusieurs du plus gradn intérêt pour l'histoire. Moghīth[1], étant enfant, fut capturé par les musulmans, puis élevé par le Khalife Abd-al-melik avec son fils al-Walīd. Il entra en Espagne avec Țārik, et prit Cordoue en 711. Lorsque le prince goth et ses femmes furent amenés en sa présence, il vit parmi ces dernières une jeune fille éclatante comme une étoile; c'était une des filles du roi; par une attitude habilement jouée, elle enflamma le guerrier musulman qui en devint épris au premier regard. Il se retira avec elle et au milieu des embrassements, l'héroique fille tenta de l'empoisonner[2]. Moghīth s'en aperçut. « Si l'âme de cette jeune fille, dit-il, eût été dans le sein de son père, je n'aurais pas pris Cordoue d'une seule nuit. » Il s'empara du prince et voulut le garder; Țārik désirait le conduire à Damas au Khalife. « Laisse-moi le prince, lui disait Moghīth, et je te laisse l'Espagne. » Mais Țārik suscita contre lui la jalousie de Mousā qui fit tuer le prince. A son retour à Damas Moghīth desservit Mousā auprès du Khalife Soleiman. Ce guerrier était spirituel, bon poète et très versé dans sa langue. On ne sait à quelle époque il naquit, ni quand il mourut.

La notice consacrée à Baldj ibn-Bichr contient d'utiles renseignements sur les guerres civiles qui éclatèrent en Espagne après l'arrivée des Arabes syriens. Baldj, qui mourut en 741, fut remplacé dans le gouvernement de l'Espagne par Abou-'l-Khattār, grand guerrier, poète remarquable. Le nouveau gouverneur fut plein d'équité au commencement, mais des dissensions s'étant produites par suite de la rivalité des Yamanites et des Moçar, il se rangea dans le parti des Yamanites. Le guerrier aç-Çomail, partisan des Moçar, renversa Abou-'l-Khattār et mit un autre gouverneur à sa place.

1) Voyez no 13.
2) Le texte porte وقد اعدّت له خرقةً مسمومةً ليتمسّح بها ذكره عند وقاعها.
3) Voyez no 16.

naires, Kadis, Muftis; 30 philosophes, soufis, ascètes, saints; 53 poètes, littérateurs, grammairiens, et 12 médecins, mathématiciens &c. Les villes où naquirent ces savants et d'où ils partirent pour leurs voyages, peuvent être, suivant le plus ou moins grand nombre de notabilités qu'elles fournirent, rangées dans l'ordre suivant: Cordoue, Séville, Grenade, Murcie, Saragosse, Valence, Chātiba, Tortose, Dénia, Almeria, Jaën, Béja, Tolède, Maïorque, Xerès &c. Les siècles qui produisirent le plus de ces hommes distingués sont le 11^e^, le 12^e^, le 8^e^, et le 9^e^ siècle, rangés suivant l'ordre d'importance du chiffre fourni par chaque siècle. Ces données peuvent servir de jalons, jusqu'à un certain point, pour reconnaître les époques littéraires.

VI^e^ LIVRE[1]

ARABES D'ORIENT QUI FIRENT LE VOYAGE D'ESPAGNE.

Ce livre comprend 72 notices, inscrites pêle-mêle, relatives à un certain nombre d'Arabes distingués qui firent le voyage d'Espagne, soit comme chefs ou faisant partie des armées d'invasion, soit comme simples voyageurs. Les uns s'établirent en Espagne, les autres revinrent en Orient après avoir satisfait leur désir de curiosité ou d'étude. Nous pouvons en faire cinq séries: 1° guerriers, princes et fonctionnaires; 2° jurisconsultes et traditionnaires; 3° lecteurs du Korān, prédicateurs, hommes pieux; 4° poètes, lettrés, musiciens; 5° médecins.

1) De la page ٢ à ١٠٣ du second volume. La plupart des auteurs auxquels al-Makkarī a fait des emprunts pour ce livre sont: Ibn-Haiyān, Ibn-Zeidoun, Ibn-al-Abbār, Ibn-Khallikān, Ibn-Bassām, al-Fath, Lisān-ad dīn, Ibn-Sa'īd, al-Homaidī, Ibn-al-Faraçī, Ibn-Bachkowāl, Ibn-Habīb, al-Hidjārī &c.

La cinquième catégorie, consacrée aux représentants de la science pure, est la moins nombreuse de toutes. Les vrais savants, les savants pratiques, sont très rares dans tous les pays, à toutes les époques. Al-Maḳḳarī donne la biographie de 12 de ces voyageurs.

Moḥammed ibn-'Abdoun[1], médecin d'al-Ḥakam al-Mostancir billah et de son fils al-Moaiyad, le plus célèbre médecin de Cordoue, partit pour l'Orient en 958 et revint en Espagne en 970. Il dirigea l'hôpital du Caire. Il est auteur d'un traité estimé sur le brisement de la pierre dans la vessie.

Abou-Merwān Abd-al-melik ibn-Zohr[2], père du fameux Ibn-Zohr (Avenzoar), médecin, appartenant à une grande famille qui a compté des célébrités de plus d'un genre, fit ses études médicales à Bagdad, au Caire, Ḳairawān. Dans cette notice, al-Maḳḳarī profite de l'occasion pour donner quelques renseignements sur les autres Ibn-Zohr.

Ibn-ar-Roumia[3], naturaliste, né en 1165 ou 1171, mort en 1239, étudia les ḥadīth en Orient. Il a fait un dictionnaire des plantes. On le surnomma *an-nabātī*, le botaniste.

Abou-'l-Ḥakam[4], né à Almeria, mort en 1154, médecin, littérateur, poète, musicien, géomètre, auteur d'un dīwān de tous les poètes de Damas, entra au service du sultan Maḥmoud, fils de Melikchāh. Il était borgne, très original, plein de saillies.

Abd-al-mon'im[5], né en 1136, aux environs de Grenade, mort à Damas en 1205, médecin, acquit une grande renommée, non-seulement dans sa spécialité, mais comme poète; il est cité dans la *Kharīdah*.

En résumé, sur ces 303 voyageurs, on compte 154 jurisconsultes et traditionnaires; 54 commentateurs, lecteurs du Ḳorān, prédicateurs, fonction-

1) Voyez nos 99 et 162. 2) Voyez no 163. 3) Voyez no 218.
4) Voyez nos 75 et 200. 5) Voyez no 258.

son enseignement grammatical, il ne faisait lire à ses élèves que dans le livre de Sībawaih, le *tashīl* d'Ibn-Mālik et dans ses propres ouvrages.

Il pleurait en entendant réciter le Ḳorān et des poésies amoureuses. Il n'aimait pas les vers qui exaltent la générosité, se glorifiant même d'être avare. «Je te recommande, disait-il à un de ses amis, de garder ton argent, lors même qu'on t'appellerait avare. N'aie jamais besoin d'un inférieur.» Il disait qu'au Caire, le pauvre pouvait se suffire avec quatre *fols* (obole): deux pour acheter du pain, un pour des raisins secs, un pour un vase d'eau, et tous les deux jours un limon pour manger le pain. Il ne voulait pas qu'on achetât de livres, les bibliothèques de *waḳf* suffisant. «Quel que soit le livre que je désire emprunter, je le trouve là, disait-il, et je ne rencontre personne qui me prête un dirhem.» Il y a dans cette notice la liste de ses ouvrages qui s'élèvent à 500; il en laissa un grand nombre d'inachevés. Parmi les renseignements utiles que fournit al-Maḳḳarī, on remarque ceux qui concernent la science du ḥadīth. Il expose comment al-Bokhārī lui-même l'entendait [1]; quelles conditions il requérait de celui qui se vouait à cette étude.

Abou-Ḥaiyān avait eu dans sa vie beaucoup de traverses, il avait acquis une fermeté à toute épreuve; il était d'un accueil affable, d'un commerce agréable, homme d'esprit, original, il aimait à rire, à plaisanter; seulement parfois son esprit tournait à la misanthropie, sa carrière n'avait pas été heureuse. Il mit en vers cette pensée du Khalife Ali:

> Lorsqu'on place un bienfait chez un homme vil, on n'en retire qu'ingratitude; le noble répond par des remerciements.
>
> De même que la pluie tombant sur une vipère fait sortir son venin, ainsi en arrosant des conques, elle produit des perles.

1) Voyez t. I, p. ٨٥٩.

l'élève de les enseigner à son tour. On sait que les lettrés musulmans ne se croyaient aptes à l'enseignement que lorsqu'ils s'étaient fait délivrer des diplômes de licence par leurs maîtres les plus célèbres. Notre auteur prend soin de montrer que lui-même a été recherché comme professeur et qu'il a eu le droit d'enseigner l'interprétation des livres renommés de son époque. Ces échantillons d'une poésie assez moderne n'ont d'autre intérêt pour nous, que de faire connaître les rapports qui existaient entre les savants de ce temps.

Enfin al-Makkarī revient à Ibn-Djobair et nous fait apprécier son talent littéraire; il avait le style coulant, le vers original. Ses voyages pendant lesquels il avait beaucoup souffert l'avaient rendu brave, plein de décision, de respect pour les droits des autres, d'un accueil sympathique aux étrangers, et philosophe pratique. Il avait vu la vie de près, fréquenté et jugé ses semblables et il disait:

> Les hommes sont des vases dont le fonds est imbibé d'aloès, la bouche seulement est recouverte d'un peu de miel.
>
> Celui qui y goûte se laisse prendre, mais quand il les a sondés, il sait ce qui recèle l'intérieur.

Abou-Haiyān[1] né aux environs de Grenade en 1256, mort en 1314, célèbre grammairien, professeur de *Naḥou* au Caire, et de *ḥadīth* à l'école *al-mançourīyah*, poète distingué, est l'objet d'une longue notice dont les détails sont pour la plupart empruntés à aç-Çafadī. Al-Makkarī fait connaître les grammairiens et les littérateurs qui lui donnèrent des leçons; il eut 450 maîtres de *naḥou;* 1000 cheikhs (professeurs) lui délivrèrent des diplômes de licence. Il fit un peu de logique, mais ne s'occupa ni de philosophie (filsafet), ni des croyances motazélites[2] et matérialistes[3]. Dans

1) Voyez nº 214.
2) Voyez *Essai sur les écoles philosophiques chez les Arabes*, par M. A. Schmölders, p. 106.
3) Voyez même ouvrage, p. 121.

de leurs poésies. Le *Moshib* fut continué par le *Moghrib*, depuis l'année 1135 jusqu'à 1243. Abd-al-melik ibn-Sa'īd fit travailler à cet ouvrage son fils Mohammed, puis son fils Mousā le continua, et enfin il fut achevé par Abou-'l-Hasan ibn-Sa'īd, celui dont al-Makkarī donne la biographie. Notre auteur cite un grand nombre d'anecdotes dans lesquelles il met en scène Ibn-Sa'īd et al-'Adil, sultan d'Egypte. Ibn-Sa'īd parle lui-même de ses voyages, des désagréments qu'il a éprouvés au Caire, cite des détails sur la vie intime et les usages dans cette ville. On trouve dans cette biographie une description de Fostāt[1].

Ibn-Djobair[2], né à Valence en 1145, mort à Alexandrie en 1217, fameux voyageur, savant en jurisprudence et dans les traditions prophétiques, versé en littérature, était un poète distingué. Al-Makkarī cite un grand nombre de ses poésies. Parlant de son voyage (*rihlah*) dans lequel Ibn-Djobaïr a décrit Damas, notre auteur trouve là l'occasion de citer une quantité de pièces de vers sur cette ville, sa seconde patrie. Ces vers sont la plupart des poètes al-Badr ibn-Habīb, ach-Charīchī, Abou-Tammām, al-Bohtorī, al-Kīrātī, Mohibb-ad-dīn al-Hamawī, Omar ibn-al-Fāriḍ, Ibn-Nobātah &c. A partir de la page ٧٣٣, al-Makkarī intercale des poèmes tant de lui-même que de ses contemporains. Il s'excuse de citer ses propres poésies; mais il n'est pas étonnant que se trouvant sur son terrain, à Damas, il se laisse aller aux citations personnelles. Parmi ces vers, un grand nombre lui furent adressés par des savants, et ce sont ses réponses qu'il donne. Nous y trouvons aussi une foule d'*Idjāzats*[3] (diplôme de licence pour le professorat) délivrés par lui à des savants orientaux. Dans ces diplômes, le professeur énumère les livres qu'il a enseignés et permet à

1) Voyez p. ٦٨٩. 2) Voyez no 177.
3) Voyez sur ces diplômes de licence un article de M. Belin, *Journ. asiat.*, mai—juin 1855 p. 548.

en homme d'esprit. Habile dans la satire, il exerça son talent contre le fameux chanteur Ziryāb, favori du Khalife Abd-ar-raḥmān II; ce fut la cause de son exil. Il partit pour l'Irāk et y arriva peu après la mort du grand poète Abou-Nowās dont les gens du pays exaltaient le mérite poétique, n'établissant jamais de parallèle entre lui et aucun autre poète. Se trouvant un jour dans une assemblée littéraire, il entendit la plupart des assistants exprimer leur dédain pour les poètes de l'Espagne. La conversation changea de sujet et se porta sur Abou-Nowās qui venait de mourir. Al-Ghazāl n'avait rien répondu aux critiques dirigées contre les poètes de l'Espagne; mais il prit la parole au sujet d'Abou-Nowās:

— Qui de vous, dit-il à l'assemblée, a retenu ces vers d'Abou-Nowās:

Lorsque j'ai vu le vin....

Et il récita une pièce dans le genre d'Abou-Nowās. Les assistants applaudirent. Lorsque leur enthousiasme fut à son comble, il leur dit: „Modérez vos transports, ces vers sont de ma composition.“ Ils se récrièrent. Mais alors il leur récita son poème qui commence par ces mots:

J'ai acquis mes péchés dans la boisson, et j'y ai dissipé ma vertu et ma pudeur.

Lorsqu'il eut terminé sa récitation, l'assemblée eut honte et se dispersa.

Ibn-Sa'īd[1] (Abou-'l-Ḥasan Alī), fameux historien et poète, né à Grenade en 1218, mort à Tunis en 1286, est l'auteur du *al-Kitāb al-moghrib fī akhbār al-maghrib.* Al-Makkarī nous fait connaître l'origine de ce livre. L'historien al-Ḥidjārī s'était rendu, vers 1135, auprès d'Abd-al-melik ibn-Sa'īd, aïeul de l'historien, et avait composé pour lui son ouvrage intitulé *al-Moshib*, qui contient, depuis la conquête de l'Espagne jusqu'à l'année 1135, la biographie des hommes remarquables avec des anecdotes et des citations

1) Voyez no 166.

ce monde, leur piété et leur sainteté; ils pourraient presque tous être rangés dans la classe des stoïciens.

La quatrième catégorie s'applique à 53 poètes, littérateurs ou grammairiens. De ce nombre est Abou-Abd-allah ibn-Mālik [1], célèbre grammairien, né à Jaën en 1203, mort à Damas en 1273, auteur du *Tashīl* et de l'*Alfiyah*. Al-Makkarī donne la liste de ses autres ouvrages et cite des anecdotes où il est question généralement de grammaire. Il dit à quelle occasion Ibn-Mālik composa l'*Alfiyah*. Ibn-Khallikān, pour l'honorer, l'accompagnait jusqu'à sa maison en lui disant adieu. Il avait une mémoire des plus sûres. On le voyait toujours occupé à quelque chose: prier, réciter, composer ou lire. Au point qu'un jour se trouvant avec des amis en partie de plaisir aux environs de Damas, il s'écarta d'eux et on le trouva plongé dans la lecture. Il apprit, le jour de sa mort, 80 vers par cœur.

Yahyā ibn-al-Hakam [2], surnommé à cause de sa beauté *al-Ghazāl* (la gazelle), grand poète, né à Jaën, mort vers 864, vécut sous cinq Khalifes, depuis Abd-ar-rahmān Ier jusqu'à Mohammed. Il fut envoyé en ambassade au pays des Normands; il avait alors cinquante ans et ses cheveux commençaient à grisonner, mais il était d'une santé très robuste. La femme du roi lui ayant demandé son âge, il répondit en plaisantant: « Vingt ans. — Comment, dit la reine, avec ces cheveux gris! — Ne me donnez pas un démenti là-dessus; ne voit-on pas la pouliche grise mettre bas? » Abd-ar-rahmān le chargea d'une mission auprès d'un roi chrétien qui, charmé de son esprit, voulut le retenir à sa cour. Mais il refusa, s'excusa même de ne pas lui faire compagnie, ne buvant pas de vin. La reine le questionna par un interprète sur certains usages des musulmans, entre autres sur la cause de la circoncision. Al-Ghazāl se tira de cette question délicate

1) Voyez no 244. 2) Voyez no 165.

son maître, il fut l'imam des fakirs, des détachés du monde, et plus de 400 d'entre eux le suivirent dans ses voyages, après s'être divisé les postes pour le servir. Il devint célèbre en suivant l'enseignement d'Ibn-Sab'īn.

Abou-Bekr al-Khazradjī[1] de Malaga, mort en 1253, était *Zāhid*, détaché du monde, ne recevait rien de personne, ne mangeait que de ce qu'il avait gagné par lui-même. Son père était charpentier. Il s'occupa de grammaire, du Korān et suivit la doctrine de Mālik. Il ne donnait jamais sa main à baiser. Malgré son détachement des biens de ce monde, il amassa beaucoup de richesses.

Al-Walīd ibn-Hichām[2], de la famille d'al-Moghīra, fils d'Abd-ar-raḥmān Ier, était soufi. Il partit pour l'Orient comme un fakir. Nommé Khalife à Barka, en 1006, à la place d'al-Ḥākim, il fut pris, promené au Caire sur un chameau et après cette exposition exécuté, en 1008.

Moḥyī-ad-dīn Ibn al-'Arabī[3], né en 1164, mort en 1258, s'occupa des sciences naturelles, du Korān, des ḥadīth, et fréquenta les soufis. Il était poète; le sujet de ses vers est généralement religieux, extatique[4]. On demandait à un de ses contemporains ce qu'il pensait de lui: « c'est un océan de vérités », répondit-il. Il avait ses apologistes et ses détracteurs. On l'appelait *Zendīk*, qui cache l'impiété sous le manteau de la foi.

Abou-Omar ibn-'At[5], né en 1147, tué à la bataille d'al-Ikāb en 1212, très zélé pour la religion, savant complet; il expliquait le *Çaḥīḥ* d'al-Bokhārī et le *Mowatta* avec une grande facilité. Il revêtait l'habit grossier et mangeait de mauvaises dattes.

Al-Makkarī cite d'autres hommes remarquables par leur détachement de

1) Voyez n° 125. 2) Voyez n° 290. 3) Voyez n° 113.
4) Son dīwān a été publié au Caire, en 1854, par le cheikh Chehāb-ad-dīn, un des bons littérateurs modernes de l'Egypte. 5) Voyez n° 223.

Abou-Bekr ibn-al-'Arabī [1], né en 1075, mort en 1148, fameux Kadi al-Djamā'a de Séville, poète, jurisconsulte, grammairien, visita l'Irāk, Bagdad, et se mit en rapport avec les savants du pays. Al-Makkarī donne la liste de ses ouvrages, ses remarques grammaticales, ses vers, ses traits d'esprit. Il acquit un grand renom en Orient.

Il faut citer encore Moḥammed ibn-Bachīr [2], célèbre Kadi al-Kodat à Cordoue, natif de Bādjah, mort en 813; le vizir Ibn-al-Ḥakīm [3], et Mohammed ibn-al-azrak [4], Kadi al-Kodat de Grenade, qui partit pour l'Orient après la prise de l'Espagne entière.

La troisième catégorie comprend 30 voyageurs, philosophes, soufis, saints, ascètes. Quelques-unes de ces biographies sont bien précieuses pour l'histoire du soufisme. Mentionnons Ibn-Sab'īn [5] de Murcie, né en 1217, philosophe soufi qui attirait la foule autour de lui par sa science, la beauté de ses traits, sa générosité, sa patience dans le malheur; il était d'une grande famille, et remontait, dit-on, aux Coraichites. A quinze ans, il composa le livre intitulé: *Beda al-'ārif*, et d'autres ouvrages dont al-Makkarī nous a conservé les titres, avec des fragments de ses lettres et quelques vers. Profond en philosophie, il devançait son époque. Il se suicida en s'ouvrant les veines; c'est un des rares exemples de suicide chez les Arabes. Cette notice est assez longue et d'un grand intérêt.

Abou-'l-Ḥasan Alī ach-Chochtorī [6], mort en 1269, désirait s'instruire, lorsqu'il rencontra Ibn-Sab'īn qui lui dit: «Si tu cherches le paradis, va trouver Ibn Madīn; mais si tu veux le seigneur du paradis, viens à moi.» Il devint l'élève d'Ibn-Sab'īn qui était plus jeune que lui, et à la mort de

1) Voyez nº 7. 2) Voyez nº 92. 3) Voyez nº 240. 4) Voyez nº 305.
5) Voyez nº 119. M. Michel Amari a consacré à ce philosophe un article dans le *Journ. Asiat.* de mars 1853.
6) Voyez nº 114.

suivit ses cours et devint son élève. Il fit partie de la conjuration qui avait pour but de renverser al-Ḥakam, fils de Hichām, et de mettre à sa place son frère al-Mondhir. Obligé de fuir, après la dispersion des conjurés, il se cacha un an chez un juif de Cordoue. Cette situation lui devenant intolérable, il se jeta dans les bras de son ami Abou-'l-Bassām, secrétaire du Khalife, pour qu'il lui demandât l'amān. Mais cet ami le dénonça au Khalife qui, l'ayant fait venir devant lui, lui adressa de violents reproches sur sa conduite.

— Me serait-il permis de me révolter contre toi, lui dit Ṭālout, moi qui ai entendu de la bouche de mon maître, l'Imam Mālik, ces paroles: « de longues années de tyrannie valent mieux qu'une heure de révolution? » [1]

— Comment! tu as entendu ces paroles de Mālik lui-même?

— Par Dieu! sans doute.

— Retire-toi dans ta maison, je te donne l'amān.

Il lui demanda ensuite où il s'était réfugié. « Chez un juif pendant un an, répondit Ṭālout, puis je me suis adressé à Abou-'l-Bassām qui m'a trahi ». — Al-Ḥakam destitua ce secrétaire.

La seconde catégorie de ces voyageurs comprend 54 personnages, fonctionnaires ou savants ayant fait du Ḳorān l'objet d'une étude particulière, mais versés également dans d'autres connaissances, soit en poésie, soit dans les traditions prophétiques.

Mondhir ibn-Sa'īd [2], Kadi al-Djamā'a de Cordoue, protecteur du bien des orphelins, était familier avec al-Ḥakam al-Mostancir billah. Il s'occupa de l'étude du Ḳorān et de jurisprudence; il était remarquable comme poète. En Orient il apprit les ḥadīth, et fit le pèlerinage en 920.

1) Au siècle dernier on disait une heure de liberté vaut mieux qu'un siècle d'esclavage.
2) Voyez n° 6

dont tu n'as rien dit [1]. Du reste, je n'ai jamais désiré autre chose que de m'élever par la valeur scientifique dans ce monde et dans l'autre.

Al-Makkarī saisit cette occasion pour abandonner son sujet, les voyageurs d'Espagne, et nous donne la biographie d'Ibn-Hazm. Nous ne nous en plaindrons pas, puisqu'il nous fait connaître d'intéressantes particularités sur un des plus grands savants de l'Espagne. Au dire de l'historien Çā'id, il était également versé en jurisprudence, controverse, traditions prophétiques, philosophie, histoire, poésie, grammaire. Il fit 400 volumes dont al-Makkarī mentionne la liste. Son père était un des vizirs d'al-Mançour. Il naquit à Cordoue en 994 et mourut dans l'exil en 1064.

Abou-'l-Walīd ibn-al-Faraḍī [2], né à Cordoue en 962, tué, en 1013, par les Berbères à la prise de cette ville, joignait à ses connaissances en jurisprudence un talent distingué de poète. Il fit une histoire des savants de l'Espagne qu'Ibn-Bachkowāl a continuée dans son *Cilah* (supplément). Le but de son voyage en Orient était d'apprendre les traditions prophétiques.

Abou-'l-Khaiṭāb ibn-Diḥyah [3], né à Valence en 1153, mort en 1235, poète distingué, partit pour l'Orient dans le but d'écouter les ḥadīth des maîtres célèbres. Il fut en grand honneur à la cour des Aiyoubites, sous al-Kāmil ibn-al-'Adil, qui, d'après al-Makrīzī, fonda pour lui une école où il enseigna les traditions prophétiques.

Al-Ḥomaidī [4], né avant 1029, mort en 1087, s'occupa beaucoup des ḥadīth. Il était également versé en littérature et en histoire. Il fit à Bagdad son *Djadhwat almoktabis* qui contient des biographies de littérateurs et de savants espagnols. Al-Makkarī a mis à contribution son ouvrage.

Ṭālout [5], de Cordoue, jurisconsulte, rencontra en Orient l'Imam Mālik,

1) C'est-à-dire, pendant le bouleversement qui renversa les Omaiyades.

2) Voyez n° 72. 3) Voyez n° 55. 4) Voyez n° 63. 5) Voyez n° 262.

bre desquels se trouvait Yaḥyā. Il aimait une jeune fille, et il avait cédé à sa passion pendant le mois de ramaçān (mois de jeûne). Plein de repentir, il demanda aux jurisconsultes ce qu'il devait faire pour racheter sa faute. — «Il faut, dit Yaḥyā, que tu te prives de femmes pendant deux mois consécutifs.» — Les jurisconsultes se turent en entendant cette décision; mais l'un d'entre eux, en sortant du palais, dit à Yaḥyā: «Pourquoi n'as-tu pas décidé le cas suivant l'opinion de Mālik, en lui laissant le choix entre l'affranchissement d'un esclave, la nourriture de soixante pauvres, ou le jeûne?[1] — Si nous lui avions ouvert cette porte, répondit Yaḥyā, il lui eût été facile de voir une femme chaque jour, et de mettre en liberté un homme; mais je lui ai imposé la plus lourde des épreuves pour qu'il n'y revienne pas.» Yaḥyā mourut en 848.

Abou-'l-Walīd al-Bādjī[2], né en 1012, mort en 1081, jurisconsulte de la doctrine de Mālik, célèbre en jurisprudence comme en poésie, commenta le *Mowaṭṭa*. Il resta treize ans en Orient. A son retour en Espagne il trouva les rois At-ṭawāïf divisés; il essaya de leur faire conclure la paix, mais il échoua. Lorsqu'il fut en présence du savant Ibn-Ḥazm, il lui dit:

— Je suis plus grand que toi, d'avoir, quand j'étais pauvre, ambitionné la science; tu l'as poursuivie dans une situation aisée; tes veilles se sont passées au reflet d'une lampe d'or: moi j'ai veillé avec la lampe vulgaire (ḳandīl) en passant la nuit dans la rue.

— Ce langage tourne contre toi, répondit Ibn-Ḥazm; tu as cherché la science dans l'état dont tu parles, espérant qu'il deviendrait comme le mien. Moi, je l'ai cherchée dans un temps désastreux que tu n'as pas connu et

1) Il semble que Yaḥyā a appliqué à l'émir Abd-ar-raḥmān une des peines prononcées par le Ḳorān, sour. 58, vs. 5.

2) Voyez le nº 45.

diverses classes d'hommes de lettres, et nous nous arrêterons un moment devant quelques-unes des figures les plus remarquables de cette galerie.

Les 304 voyageurs peuvent être classés en cinq catégories: 1° Jurisconsultes, traditionnaires; 2° Lecteurs, commentateurs du Korān, Kadis, Muftis, fonctionnaires; 3° Philosophes, Soufis, ascètes, hommes de bien, pieux, saints; 4° Poètes, grammairiens, littérateurs purs; 5° Médecins, naturalistes, géomètres, mathématiciens. Cette classification n'est pas absolument rigoureuse: chez les Arabes on ne trouve pas des spécialités tout à fait tranchées; ils sont généralement presque tous poètes ou grammairiens.

La première catégorie comprend 154 savants qui s'occupaient de recherches sur les traditions prophétiques; ce chiffre indique assez la direction des esprits à cette époque. Les Arabes d'Espagne, éloignés du foyer de la foi musulmane, n'avaient pas sur les traditions de Mahomet des données sûres; ils étaient désireux d'aller s'instruire en Orient, auprès d'hommes ayant des renseignements bien transmis, sur les faits et gestes de Mahomet. D'un autre côté le Korān recevait en Espagne une application plus large que dans les autres pays; on avait donc intérêt à connaître le sens des paroles du livre saint, à étendre les préceptes qu'il contient.

Lors de leur entrée en Espagne, la doctrine que les Arabes suivaient était celle d'al-Auzā'ī. Le premier qui introduisit en Espagne la doctrine de Mālik, fut Chabtoun Abou-Abd-allah, connu sous le nom de Ziyād, qui mourut en 808, 814 ou 819. Il eut pour élève le célèbre Yaḥyā fils de Yaḥyā [1], qui suivit en Egypte les leçons de Mālik lui-même et répandit en Espagne son *Mowaṭṭa*. Al-Makkarī, qui aime toujours à mêler dans les matières les plus arides quelque anecdote piquante, raconte que l'émir Abd-ar-raḥmān II réunit un jour dans son palais des jurisconsultes au nom-

1) Voyez le n° 2.

critique de tout le mouvement littéraire, il nous en fait connaître une partie fort intéressante.

Les principales villes de l'Orient qui attiraient ces voyageurs étaient Alexandrie, le Caire, Damiette, Bagdad, Damas, Alep, Jérusalem, Ḥama, Mossoul, la Mekke, Médine, Baçra, Koufa, Sanā', Samarcande, Balakh, Ispahān, Nīsābour, Bokhārā &c.; en Ifrikia, Tunis et Kairowān; ils allèrent même au Soudan, dans l'Inde et jusqu'en Chine[1]. Dans ces pays, ils fréquentaient les sommités intellectuelles; les professeurs renommés sont cités et sauvés ainsi de l'oubli. Al-Makkarī signale les Universités de l'Orient les plus célèbres au moment de ces voyages, et pour l'histoire de ces établissements, il faut nécessairement recourir à son livre. Ces voyageurs rapportaient en Espagne de nouvelles méthodes, les ouvrages les plus recommandables en jurisprudence, grammaire, histoire, poésie &c. Le désir de s'instruire fut le premier mobile de leur départ; les uns allaient fréquenter les écoles où l'on enseignait les *Ḥadīth* (traditions prophétiques) à Alep, Damas, Bagdad &c ; les autres partaient pour faire le pèlerinage et profitaient de leur séjour à la Mekke pour y étudier le Korān dont la lecture était une branche de l'enseignement public en Espagne. Plusieurs allaient en Orient dans un but littéraire, pour entendre à Damas les *Séances* de Hariri, par exemple, et d'autres livres de pure littérature. Quelques-uns avaient un but commercial; ce fut le petit nombre.

Il serait inutile de donner ici le nom de tous ceux qui ont trouvé place dans cette liste de voyageurs. On les trouvera facilement dans l'Index où ils sont désignés par un astérisque. Si nous ne pouvons les faire tous connaître, nous indiquerons du moins, en divisant le travail d'al-Makkarī, les

---

détails à ce dernier article. Voyez aussi nos 15 et 260. Toutes les biographies étant numérotées dans le texte, je me bornerai, lorsque j'aurai à en citer quelques-unes, à indiquer le n° au lieu de la page.

1) Voyez t. I, p. ٨٩٥ .

dans les pays les plus lointains. Il n'est pas besoin d'expliquer combien ces voyages, entrepris pour la culture de l'esprit, contribuèrent à accélérer les progrès des sciences musulmanes. Les grandes institutions littéraires fondées par les Khalifes Omaiyades et Abbassides étaient le foyer intellectuel du monde oriental. Les écoles ou académies de Bagdad, Damas, Caire, Nīsābour &c., fréquentées par des étudiants venus de toutes les contrées, formaient des cadres d'élèves qui allaient répandre la lumière en Asie, en Afrique et même en Europe; elles représentaient le vrai centre de cette civilisation arabe dont l'importance n'est pas encore assez appréciée de ceux qui étudient le développement de l'esprit humain.

Dès que les Arabes se furent installés en Espagne d'une manière stable, les émirs Omaiyades fondèrent aussi une académie à Cordoue, où l'on enseignait, à la manière orientale, les sciences théologiques, le droit, la philosophie, la rhétorique et la philologie. Cette école aurait pu suffire aux besoins intellectuels des Arabes d'Espagne; mais comme les traditions littéraires leur manquaient, ils entreprenaient des voyages parfois très pénibles et même dangereux pour visiter les écoles de l'Orient dont les professeurs pouvaient encore l'emporter sur les célébrités maghrebines.

Al-MaKKarī nous donne 304 biographies de ces savants voyageurs; mais il ne les classe dans aucun ordre alphabétique, chronologique ou logique. Nous sommes porté à croire que cette partie de son livre n'est qu'une simple reproduction de tout ce qu'il a trouvé sur cette matière dans ses notes, et qu'au fur et à mesure qu'il rencontrait dans ses lectures un de ces voyageurs, il l'inscrivait [1]. Quoique ce travail ne soit pas une histoire

1) On remarque dans cette liste de 304 voyageurs quelques répétitions; ainsi il a donné deux fois la biographie d'un même individu, voyez p. ٥٤٠, n° 99 et p. ٦٣٢, n° 162; il est vrai qu'il a ajouté quelque

Dans les lieux de divertissements qu'al-Makkarī vient de décrire, se réunissaient les poètes, les Khalifes, les vizirs; ils y passaient des journées délicieuses; combien de poésies sont écloses dans ces villas féériques; des assemblées littéraires s'y tenaient, on y improvisait des vers sur un spectacle inattendu de la nature: un coucher de soleil, un effet de lune, un orage, un arbre chargé de fruits; les dialogues rimés se croisaient. Les poètes Ibn-al-Cīd, Ibn-'Ammār, Ibn-Wahboun, Ibn-'Abdoun sont souvent désignés comme de spirituels compagnons dans ces parties de plaisir. Quel heureux temps, sous le beau ciel d'Espagne, pour cette sensitive humaine qu'on appelle le poète!

Ve LIVRE [1]

ARABES-ESPAGNOLS QUI FIRENT LE VOYAGE DE L'ORIENT.

Pour l'histoire des études littéraires des Arabes en Espagne, cette partie de l'ouvrage d'al-Makkarī est de la plus grande valeur. On sait qu'au moyen âge les savants avaient la bonne habitude de voyager, soit pour connaître les pays étrangers et s'y livrer à des recherches scientifiques, soit pour suivre les cours des maîtres célèbres dont la renommée était répandue

1) De la page ٤٩٣ à ٦٢٣. Al-Makkarī a puisé les renseignements qu'il donne sur ces voyageurs chez les auteurs suivants: Ibn-Khākān (al-Maimah, al-Kalāyid), Ibn-Waççāḥ, Ibn-abī-'l-Faiyāḍ, Ibn-Açbagh, al-Sobkī, Ibn-Khallikān, Ibn-Ma'kūlā, Ibn-al-Nadjdjār, Ibn-Diḥya, Ibn-Bachkowāl (al-çilah), Imād (al-Kharīdah), Ibn-Sa'īd (al-Moghrib), Ibn-Khātimah (Maziyat al-mariya), al-Ghabrīni ('onwān al-dirāyah), Mohammed ibn-Mosdī (Al-Mo'adjdjam al-Badī'), Ibn-al-Khatīb (al-Ihâtah), al-Dhahabī, al-Çafadī (al-wāfī A'yān al-açr), Ibn-'Asām, Abou'l-Makārim, Ibn-Ḥabīb (Dorrat al-aslak), Ibn 'Olwān al-tonsī, Ibn-al-Naḥḥās, Abou-Ḥaiyān, Iyāḍ, Ibn-Ḥaiyān (al-moktabis), Ibn-al-adim (Tarīkh Ḥalab), al-Hidjārī, Ibn-Ḥaukal, Ibn-Bassām (al-Dhakhīrah), Ibn-al-Abbār, al-Ḥomaidī, Abou-Chāmah, Ibn-Ḥazm, Ibn-Marzouk, al-Birzālī, Ibn-al-Sam'ānī &c., &c. Pour ce Ve livre, M. Krehl m'a adressé des notes qui m'ont été fort utiles.

Makkarī cite une foule d'anecdotes sur al-Mançour. Ce palais, et ceux d'Al-sarour et d'al-Zobair étaient les lieux de plaisance les plus célèbres de l'Espagne.

Parmi ceux de Cordoue, on mentionne le château d'Abou-Yahyā, fils de Ya'koub, fils d'Abd-al-Moumen, qui était en dehors de la ville; *al-Moçhafiyah* appartenant au hādjib al-Moçhafī; le château persan, témoin des amours d'Ibn-Zeidoun et de Wallādah; *al-Mardj an-naçīr* (le pré fleuri); le *wādī at-tallh* où se réunissaient le roi al-Mo'tamid et la gracieuse al-Romaikīyah; *Al-sodd* où le poète Abou-Chihāb fit des vers sur une journée passée dans ce lieu charmant; *Falhç al-sorādik*, rendez-vous des hommes de plaisir, espèce d'Asnières ou de Pré catelan; *Al-haïr* près de la porte des Juifs &c. Lorsque dans ces lieux de divertissements il s'est passé quelque aventure, quelque scène littéraire, al-Makkarī ne manque pas d'en parler. Parmi les poètes de Cordoue, il cite Ibn-al-Khaiyāt et 'Obādah fils de Mā as-samā. Plusieurs poètes ont excellé dans la description des palais des rois, les bassins sculptés, les jets d'eau, lions, oiseaux et autres objets ouvragés; ils nous ont conservé au moins dans leurs vers la peinture de ces curiosités de l'art musulman. Parmi ces poètes, on compte Ibn-Hamdīs, Ibn-as-Sakkat, Ibn-Açha et surtout Ibn-Khafādjah, le chantre des plaisirs de la jeunesse, celui qui exprime si bien les regrets que laissent les premières amours. Al-Makkarī donne sa pièce qui commence par ces mots:

La boisson du désir, si tu savais, produit l'ivresse .....

Notre auteur prend, à cet endroit, l'occasion de parler de la destruction qui frappe les monuments, des traces des habitations aimées qui ont disparu, des souvenirs que les ruines éveillent, et à ce sujet il cite une pièce de vers d'al-Bohtorī. C'est là un des champs de la poésie arabe; il faut remarquer que ce sujet a été souvent traité par les poètes anté-islamiques, et que les autres n'ont fait que suivre cette tradition.

qu'il aimait éperdument désira qu'on lui bâtît une ville. On la construisit au pied de la montagne al-'Arous, au nord de Cordoue. Le Khalife l'embellit et y fixa la résidence de sa cour et de sa favorite dont il fit tracer le portrait sur la porte. Rien n'était beau comme cette splendide villa, entre vallons et rivières, au moment de la floraison des amandiers. On occupa 10,000 hommes à bâtir al-Zahrā, et 1500 bêtes de somme à transporter les matériaux. Les hommes étaient payés par jour les uns un dirhem[1] et demi, les autres deux ou trois. On taillait 6000 pierres par jour. Le marbre était apporté de Carthage et d'autres endroits. Chaque quartier était payé dix dinars. Ceux qui surveillèrent le transport de ces matériaux et les travaux de construction étaient Abd-allah ibn-Younos, très habile architecte, Ḥasan ibn-Moḥammed, et Alī ibn-Dja'far d'Alexandrie. Aḥmed le Grec apporta de Constantinople la grande piscine sculptée, dorée, d'une forme étonnante, et la petite piscine sur laquelle étaient tracées des figures humaines. La longueur du bâtiment de l'est à l'ouest était de 2,700 coudées, et sa superficie de 790,000. Al-Maḳḳarī rapporte que le Kadi Mondhir ibn-Sa'īd prononça dans la mosquée un discours, dans lequel il faisait des représentations au Khalife sur ses prodigalités en constructions. L'influence de la favorite al-Zahrā sur le Sultan fit créer des merveilles.

Un autre palais aux environs de Cordoue, *al-Medinet al-Zāhirah* (la ville brillante), fut bâti par al-Mançour qui s'y installa en 980. Il fut détruit dans la révolution du XI^e^ siècle. Un des palais d'al-Mançour était celui qu'on appelait *al-'Amirīyah*, une merveille. Les poètes s'y réunissaient avec lui et ne manquaient pas de faire des vers sur ce ravissant séjour. Al-

1) Le dirhem peut être évalué, en Afrique, à 12 sous, d'après M. de Slane. Voyez *Hist. des Berbères*, t. I, p. 222 de la traduction.

boutiques. La Révolution du XI[e] siècle modifia ces chiffres; des villages furent détruits. Sous Abd-ar-rahmān I[er], Cordoue avait 490 mosquées, et 1600 sous Al-Mançour; 700 bains, ou 300 seulement suivant une autre version. Le pourtour de la ville était de 30,000 dhirā' (coudées). On y trouvait le *Maçhaf* (exemplaire du Koran) du Khalife Othmān, un des quatre qui avaient été envoyés à la Mekke, Baçra, Koufa et Damas.

La mosquée, une des merveilles de l'Espagne arabe, fut commencée par Abd-ar-rahmān I[er] et continuée par son fils Hichām; huit de ses successeurs l'augmentèrent; al-Hakam al-Mostancir la termina. Abd-ar-rahmān bâtit le château (al-Kaçr) et la *Roçāfah* [1], qui rappelle la *Roçāfah* de Damas que son aïeul Hichām avait fait construire. Al-Mançour fit des appropriations et des agrandissements à la mosquée en 987; elles eurent lieu à cause du grand nombre d'hommes qui vinrent des tribus berbères, des côtes marocaines et de l'Ifrikia. La mosquée a 360 croisées, le nombre des jours de l'année. On trouve dans le livre d'al-Makkarī l'énumération des matériaux, le nombre des portes, les divisions, la description de l'enceinte (*Makçourah*), de la niche (*Mihrāb*), de la chaire (*Minbar*), de la tour (*çauma'ah*) qui fut détruite et remplacée par an-Nācir. Al-Makkarī parle de cette tour comme d'une chose extraordinaire.

A trois milles de Cordoue se trouvait *Medinet-al-zahrā* (la ville d'Al-Zahrā), bâtie en 936 par An-nācir. Voici à quelle occasion: une maîtresse [2] du Khalife était morte, laissant de grandes richesses. Il ordonna qu'elles fussent employées à délivrer des musulmans captifs chez les chrétiens; on n'en trouva point; et cet argent restant sans emploi, sa favorite al-Zahrā

1) Voyez l'introduction au *Bayān al-Moghrib*, par M. Dozy, p. 67. La Roçāfah était un faubourg de Cordoue.

2) سُرِّيَّة, répond à maîtresse, mais les Arabes ne l'ont guère employé dans le sens que nous attachons à ce mot.

prisonné par al-Mançour qui avait été à son service, il fit ces vers sur son ennemi:

> J'avais planté une branche, croyant qu'elle deviendrait un arbre à l'ombre protectrice; et je me reposais sur lui en vue des calamités.
> Je l'honorai pendant ma vie, et il me fit subir d'indignes procédés; s'il avait été de noble race, il aurait été généreux [1].

Les habitants de Cordoue étaient très irascibles, prêts à la révolte, supportant avec peine le frein du gouvernement. On demandait au Cīd Abou-Yahyā ibn-abī-Ya'koub, fils d'Abd-al-Moumen, comment il avait trouvé les Cordouans. «Comme le chameau, répondit-il: si vous allégez sa charge, il crie, si vous l'augmentez, il crie encore. On ne sait comment le contenter.» Le goût des livres était très répandu dans cette ville. Le riche, quoique sans instruction, se faisait un point d'honneur d'avoir une bibliothèque; à peu près comme de notre temps on voit le bourgeois enrichi se faire une bibliothèque de livres richement reliés et qu'il n'ouvre jamais. Dans une discussion qui eut lieu, en présence de Ya'koub al-Mançour des Benou-Abd-al-Moumen, entre Ibn-Rochd (Averroès) et Ibn-Zohr (Avenzoar), le premier dit au second: «Je ne sais ce que tu dis, mais il est un fait, c'est que s'il meurt un savant à Séville et qu'on veuille vendre ses livres, on les porte à Cordoue, et s'il meurt un musicien à Cordoue et qu'on veuille vendre ses instruments de musique on les envoie à Séville.» La jurisprudence était en grand honneur à Cordoue.

Du temps d'al-Mançour, il y avait aux environs de Cordoue 3000 villages dans chacun desquels se trouvaient une chaire (minbar) et un jurisconsulte (fakih). On comptait dans la ville 100,000 maisons et plus; 80,455

1) Ce qu'al-Makkarī rapporte ici aurait été bien mieux à sa place dans le IIIe livre, mais il y aurait beaucoup à faire, si l'on voulait indiquer tous les classements vicieux de cet auteur, je me suis astreint à le montrer tel qu'il est.

célèbres des Benou-Houd, il cite al-Moktadir-billah et son fils Yousof, savant mathématicien, et parmi les Benou-al-Aftas, al-Mozhaffar et al-Motéwakkil. Les Almoravides sont renversés en Espagne par une nouvelle dynastie africaine, les Almohades, dont al-Makkarī retrace l'histoire en Espagne. La fin de ce livre est consacrée à une courte notice sur les Benou-al-ahmar, rois de Grenade.

IVe LIVRE [1]

DESCRIPTION DE CORDOUE, SON HISTOIRE, SES MONUMENTS ETC.

Al-Makkarī indique la position géographique de Cordoue qui était le siége du Khalifat. Il décrit la rivière qui y passe et le pont bâti par al-Samh fils de Mālik en 719, et embelli par les Omaiyades. Cordoue, prise par les Arabes au temps du Khalife d'Orient al-Walīd fils d'Abd-al-Melik, brille depuis la conquête jusqu'en 1013. Dans cette année elle fut pillée par les Berbères, alliés à Solaimān al-mosta'īn l'Omaiyade. Les Chrétiens s'en emparèrent en 1236. Al-Makkarī cite une longue lettre de Lisān-ad-dīn au Sultan des Benou-Marīn sur une attaque contre Cordoue. Dans cet historique rapide, on trouve de nombreux détails sur plusieurs vizirs célèbres: al-Mançour, al-Moçhafī, Abou'-l-Moghīrah ibn-Hazm, Ibn-Chohaid, Ibn-Sirādj, Ibn-Edrīs. Al-Moçhafī, dont al-Mançour avait pris la place auprès du Sultan Hichām, fut mis par son rival dans une prison d'Etat où il mourut. C'était un poète remarquable; on a de lui un grand nombre de poésies sur la patience, la douleur, l'amour, le vin etc. Lorsqu'il fut em-

1) De la page ٣٩٧ à ٤٩٣. Al-Makkarī a emprunté la plupart des renseignements qu'il cite à al-Bekrī, Ibn-al-Faraçī, Ibn-Sa'īd, Ibn-Haukal, Ibn-Bachkowāl, al-Fāth (Maimah).

tions militaires s'élève à plus de cinquante, et aucun de ses drapeaux ne fut souillé par une défaite. Il mourut en 1002 [1] dans une expédition contre les Francs. Al-Makkarī raconte une foule d'anecdotes sur al-Mançour, sur ses expéditions militaires, ses relations avec les lettrés, ses actes de générosité. Il était poète: on a de lui ces vers énergiques: [2]

> J'ai lancé mon âme dans les horreurs des plus grands dangers, je me suis exposé: l'homme libre, généreux, s'expose.
> Je n'avais d'autres compagnons qu'un cœur intrépide, une brune lance de *Khat*, et un sabre tranchant.
> J'ai surpassé les plus élevés, et j'ai continué à éclipser les hommes, jusqu'à ce que je n'en aie plus trouvé dont j'eusse à égaler la gloire.

Ses deux fils, Abd-al-Melik al-Mozhaffar et Abd-ar-rahmān, suivent les traces de leur père; mais sous le dernier de ces deux frères, une révolution du peuple de Cordoue, qui éclata en 1009, mit fin à cette sorte de dynastie vizirale. C'est alors que les rois at-Tawāïf apparaissent. Les Benou-'Abbād sont à Séville, les Benou-al-Aftas à Badajoz, les Benou-Dhī-an-noun à Tolède, les Benou-abī-'Amir à Valence, les Benou-Houd à Saragosse et Modjāhid al-'Amirī à Dénia et aux îles.

Les Benou-Hammoud, Berbères de Fez, s'emparent de Cordoue en 1016; puis les Omaiyades occupent le trône pendant quelques années et disparaissent en 1030. Cordoue devient une république. A l'époque où al-Mo'tamid des Benou-Abbād est le roi le plus puissant, les Chrétiens font des progrès dans la reprise de leur pays. Les Almoravides appelés en Espagne subjuguent les rois de la Péninsule. Al-Mo'tamid est fait prisonnier en 1091 et envoyé sur les côtes marocaines où il meurt. Al-Makkarī donne quelques détails sur les Benou-Razīn et les Benou-al-Fihrī. Parmi les rois

1) Al-Makkarī dit dans un autre endroit qu'il fut inhumé à Medinaceli.
2) Voyez t. I, p. ٣٩٠.

mis en réserve. An-Nācir, suivant sa déclaration, n'eut que quatorze jours de bonheur.

Al-Hakam (961—976) dirige des expéditions contre la Galice et Saragosse. Sous son règne les vaisseaux des Normands apparaissent encore; la paix est renouvelée entre les comtes de Barcelone et le Khalife; Ordoño IV (le Mauvais), chassé du trône de Léon, vient implorer le secours du monarque musulman; on trouve dans cet article des détails assez intéressants sur sa visite et sa réception. Ce Khalife était ami des sciences. Pour juger de la quantité extraordinaire de livres que Cordoue possédait alors, il suffit de dire que la Bibliothèque publique avait un catalogue en 44 volumes contenant seulement les titres des livres.

Hichām II (976—1009) monte sur le trône à l'âge de 9 ans, après l'assassinat du frère d'al-Hakam qui convoitait le pouvoir. Le vizir Ibn-Abī-'Amir qui prit le nom d'al-Mançour, *le Victorieux*, règne de fait à la place du jeune Khalife. Al-Makkarī fait l'abrégé de la biographie d'al-Mançour, d'après Ibn-Sa'īd. Né au village de Torroch, il vint à Cordoue s'initier aux lettres, et, pour subvenir à ses besoins, fit le métier de copiste à la porte du palais du Khalife. La mère du Sultan eut besoin de ses services et appréciant son intelligence le fit nommer Kadi dans quelque ville. Sa réputation grandit, il passa à Séville. Il parvint ensuite à s'emparer de l'esprit de la mère du Sultan et entra au service du Hādjib al-Moçhafī [1]. A l'avénement de Hichām, les Chrétiens se soulevèrent; al-Moçhafī envoya contre eux Ibn-abi-'Amir qui revint victorieux de cette campagne; il aida à soumettre les esclavons; puis prêta son aide à Ghālib, maître de Medinaceli, contre al-Moçhafī lui-même, et épousa sa fille Asmā. Il renversa al-Moçhafī et s'empara de la charge *hidjābah*. Le nombre de ses expédi-

1) Dans le livre suivant on trouvera d'autres détails sur ce célèbre hādjib.

Il apaise les troubles qui s'étaient produits sous son prédécesseur, fait plusieurs expéditions contre la Galice, et livre plusieurs batailles, entre autres celle de Khandak au roi Radmir (Ramire II) en 939. Il s'empara de Ceuta et de Fez. Pour Hādjib il avait Mousā ibn-Mohammed, et pour vizirs Ibn-Djahwar et le fameux Ibn-Chohaid sur qui al-Makkarī donne d'assez longs détails. La cour de Constantinople envoya des ambassadeurs qui furent reçus avec de grands égards. Al-Makkarī produit à cette occasion de curieux renseignements sur l'étiquette de la cour du Khalife, lors de ces réceptions [1]. Entouré des personnages éminents de son empire, des jurisconsultes célèbres, le sultan reçut les ambassadeurs. Ibn-Abd-al-Barr, jurisconsulte qui devait faire le discours de réception, s'évanouit en séance; Abou-Ali al-Kālī, de Bagdad, veut le remplacer, mais il balbutie et reste court. Le sultan était dans le plus grand embarras, lorsque le poète Mondhir ibn-Sa'īd s'avance de son propre mouvement et fait le discours le plus éloquent [2]. Le sultan le récompensa par la place de Kadi al-Djamā'ah à Cordoue. Ce poète, dont le mérite était un peu effacé par les jaloux et qui était irrité qu'on ne l'eût pas désigné pour faire le discours, disait: «Si j'avais été un étranger parmi eux, ils n'auraient pas manqué de me rechercher.» Al-Makkarī donne d'autres détails sur ce poète qui était, selon son expression, le miracle du temps. Dans cette notice sur an-Nācir on trouve une foule d'anecdotes sur ses relations intimes avec les vizirs, les jurisconsultes, les lettrés. On peut y recueillir plus d'un trait piquant sur les mœurs littéraires de cette époque. Ce Khalife laissa dans le Trésor public cinquante millions de dinars. La répartition des revenus, qui s'élevaient à cinq millions 480 mille dinars, se faisait un tiers à l'armée, un tiers employé en constructions, le dernier tiers était

1) Voyez t. I, p. ٣٣٤, ٣٣٩.

2) Que de services les poètes ont rendus en Espagne!

la guerre contre la Galice, puis contre les Francs, et détruit beaucoup de chrétiens. Il fait un accueil fastueux au chanteur Ziryāb [1] qui arriva auprès de lui en 821. Son ḥādjib Abd-al-Karīm fait une expédition contre l'Alava et la Castille, détruit le pays et s'empare des forts. Une attaque contre Pampelune réussit. Les Normands entrent à Séville; mais ils sont repoussés et laissent quelques navires aux mains des musulmans. De nouvelles attaques sont dirigées contre la Galice et Barcelone. Le sultan de Constantinople Toufelis (Théophile) envoie à l'émir de riches présents. Abd-er-raḥmān charge le poète al-Ghazāl [2] d'aller le remercier. Cet émir était poète, savant en jurisprudence, en philosophie, grand protecteur des lettrés et des artistes. On connaît son amour intense pour sa favorite Ṭaroub, ses folies pour vaincre un moment d'éloignement qu'elle lui avait montré: il fit murer avec des dinars une porte de sa chambre; la favorite renversa le mur d'argent et se jeta dans les bras de l'émir [3]. Son règne fut heureux, les richesses abondèrent dans le Trésor public. Il fit de grands travaux, amena l'eau des montagnes vers les jardins, bâtit des mosquées, ajouta à celle de Cordoue deux portiques. Il laissa 150 garçons et 50 filles. Son cachet portait ces mots: «Content du décret de Dieu.» D'après Ibn-Sa'īd, l'impôt rendait un million de dinars; avant lui, il ne s'élevait qu'à 600,000.

Sous ses successeurs, Moḥammed (852—886), al-Mondhir (886—888) et Abdallah (888—912), l'Empire commence à décliner.

Abd-er-raḥmān III (912—961), appelé an-Nācir, le Victorieux, le premier qui prit le titre de Khalife en Espagne, rouvre la série des règnes brillants.

1) On lira plus loin une notice sur cet artiste remarquable.

2) Dans le VIe livre ce poète ambassadeur est l'objet d'une biographie.

3) Cette anecdote est trop connue pour que j'entre ici dans des développements. M. Adelphe Nouville a fort bien rendu cette scène, l'imagination aidant. (Voyez *Histoires de l'Espagne arabe*, p. 86 et suiv., Paris, 1851).

més[1]. Suivons notre auteur à travers la série des Souverains, en faisant halte un moment devant les plus célèbres.

Abd-er-raḫmān[2] (755—788), fils de Mo'āwīa, dernier rejeton des Omaiyades de Damas, fondateur de l'émirat de Cordoue, arriva en Espagne alors qu'Abou-Dja'far al-Mançour l'abbasside régnait à Bagdad. Al-Makkarī trace un parallèle rapide entre ce Khalife et Abd-er-raḫmān: d'un côté cruauté, audace, de l'autre clémence, justice, charité, protection du faible. Sous son règne, en 763, al-Alā ibn-Moghīth est envoyé d'Ifrikia pour soulever l'Espagne en faveur des Abbassides; mais Abd-er-raḫmān le bat et envoie à Kairowān et à la Mekke quelques têtes de ses ennemis avec le drapeau noir pris sur les Abbassides. Il chercha à faire la paix et une alliance de famille[3] avec Charlemagne; mais il n'obtint que la paix. L'importance de l'Empire arabe en Espagne fut immense sous son règne qui dura trente-trois ans.

Hichām (788—796) fit plusieurs expéditions en Galice; al-Makkarī mentionne une anecdote dans laquelle il est question de sa générosité.

Al-Ḫakam (796—822) fut en butte à un complot qui mit son trône en péril; il le déjoua et dispersa les conjurés. Il comprima les révoltes de Tolède et d'autres villes, et mit le siège devant Tortose. Sous son règne eut lieu le premier emploi des Mamelouks au nombre de 3000 cavaliers et 2000 fantassins. Il acquit une certaine réputation comme poète. Sa cruauté, dit Ibn-Ḫazm, causa souvent des rébellions de la part des jurisconsultes, des gens de bien.

Abd-er-raḫmān II (822—852) entreprend au commencement de son règne

1) Entre autres Ibn-Ḫazm, Ibn-Khaldoun, Ibn-Ḫaiyān, Ibn-Sa'īd.

2) Dans le livre V on trouvera d'autres détails sur cet émir.

3) Voyez vol. I, p. ٢١٣. Ce fait est contestable. Conf. *Invasions des Sarrasins en France*, par M Reinaud, p. 98.

Tārik̦ qu'il injurie pour avoir dépassé ses instructions; il lui fait remettre le butin conquis. Cependant il se réconcilie avec lui et ils envahissent la France ensemble. Mais un envoyé du Sultan al-Walīd, Moghīth le roumi, vient ordonner impérieusement à Mousā de sortir de l'Espagne et d'aller rendre compte de sa conduite au Sultan. Mousā tarde d'obtempérer à cet ordre. Un autre envoyé arrive. Mousā et Tārik̦ partent ensemble pour l'Orient. Pendant le voyage, al-Walīd meurt; Mousā est reçu par Solimān qui le fait mettre à la torture, à la suite de discussions au sujet du butin fait en Espagne. Mousā, disgracié, retourne dans son pays, le Hidjāz, et meurt pauvre, abandonné; c'est l'histoire de Colomb. On n'entendit plus parler de Tārik̦ une fois qu'il fut en Orient.

Al-Makkarī dans les fragments d'historiens qu'il a cités parle des Arabes qui suivirent en Espagne les conquérants, indique leur origine et les villes où ils se fixèrent. Il fait connaître les noms des souverains depuis la conquête jusqu'à la fin des Omaiyades; d'après le Matmah il donne des détails sur Abou'l-Hazm ibn-Djahwar, et le Kadi Abou-'l-Motarrif ibn-Amīrah, littérateur distingué du 13e siècle de notre ère. Enfin il cite une adresse du Sultan de Grenade Ghānī billah, écrite par Lisān-ad-dīn, au Sultan Al-Mançour, fils du Sultan An-nācir Mohammed, fils de Kalaoun.

IIIE LIVRE[1]

HISTOIRE SOMMAIRE DES KHALIFES ET DES ROIS.

C'est un précis historique de l'Espagne, depuis la fondation de l'émirat de Cordoue. Al-Makkarī emprunte son récit à quelques historiens renom-

1) De la page ٢١١ à ٢٩٩.

il vit Mahomet qui l'excitait à avancer. Ṭārik, sorte d'inspiré, d'illuminé, avait de l'éloquence, et faisait des vers qui méritaient d'être écrits. Il s'est peint dans son poème sur la Conquête. On le voit dans son avidité de la vie future faire avec Dieu le marché de son entreprise. On reconnaît là le Berbère. Voici les trois premiers vers[1]:

Nous avons monté des navires, enduits de poix, pour le passage de la mer, dans l'espoir que Dieu nous a acheté
Ames, biens, familles, en échange d'un paradis, où lorsqu'on forme un souhait, il est accompli.
Et nous ne regardons pas par quelle fissure nos âmes s'écoulent, si grand est le prix que nous en recevons!

Ṭārik aborda en Espagne en 710, fit quelques incursions dans le pays et livra à Roderic, roi des Goths, la bataille connue en Europe sous le nom de Xerès, dans laquelle suivant quelques historiens le roi fut tué par Ṭārik, ou suivant d'autres il disparut dans la mêlée. Al-Makkarī, qui a donné trois ou quatre versions de la conquête, raconte la prise de Malaga, de Tolède, et parle du tabernacle qui renfermait les figures des cavaliers arabes, de la table de Salomon[2] et du butin pris à Tolède, de l'histoire de l'Espagne sous les Grecs, et fournit des détails sur le roi goth Witiza et sur Sara la Gothe que Ṭārik envoya à Mousā. Celui-ci apprenant les succès de son lieutenant, réunit une grande armée et passe en Espagne; il s'empare de Séville où il laisse son fils Abd-al-'azīz comme gouverneur. A cette occasion, al-Makkarī donne les noms des gouverneurs de l'Espagne qui étaient nommés tantôt par les Émirs de l'Ifrikia, tantôt par les Khalifes de Damas[3]. Mousā marche sur Tolède, arrive en Galice et rencontre

1) Voyez t. I, p. ١٢٨. Al-Makkarī ne cite que ces trois vers. Le poète al-Ghazāl, dont il sera question plus loin, a composé un long poème sur la conquête.

2) Cette table qui avait été faite par les chrétiens et qui servait à porter les Evangiles fut trouvée sur le grand autel de l'église principale de Tolède; elle était en émeraude verte, aux bords garnis de perles, de corail, de rubis; conf. *Histoire des Berbères*, trad. de M. de Slane, t. I, p. 349.

3) Voyez t. I, p. ١٤٥.

sur la religion, la philosophie, les sciences, l'intolérance du peuple à l'égard des philosophes, la doctrine malékite, la poésie, l'usage de porter le turban dans l'ouest de l'Espagne et son abandon dans l'est. On y voit que les Juifs ne mettaient pas le turban; que le savant seul pouvait laisser pendre ses cheveux. Il donne quelques détails bibliographiques sur l'ouvrage d'Ibn-Sa'īd [1], et quelques autres notions physiques sur l'Espagne où il compte 80 grandes villes, et 300 moyennes. Une pièce de vers lui sert de finale.

II[e] LIVRE [2]

CONQUÊTE DE L'ESPAGNE PAR LES ARABES.

Al-Makkarī raconte dans ce livre, d'après divers écrivains [3], la conquête de l'Espagne par Ṭārik ibn-Ziyād et Mousā ibn-Noçair. Les historiens arabes ne sont pas d'accord sur l'origine de Ṭārik: les uns disent qu'il était l'affranchi de Mousā, gouverneur de l'Ifrikia, et qu'il commandait son avant-garde, lorsqu'il pénétra en Afrique; les autres qu'il était d'origine persane; d'autres le font berbère. Nous pencherions pour cette dernière opinion. Il passa la mer avec douze mille Berbères à l'exception de douze qui étaient Arabes. Ce qui explique cette conquête c'est la rapacité berbère, et la facilité de prendre la proie; le gouverneur de Ceuta au nom des Goths, Julien, conduisait, comme on sait, les Arabes. Ṭārik eut pendant la traversée de Ceuta à Gibraltar [4], disent les auteurs arabes, un rêve dans lequel

1) Voyez t. I, p. ١٣٨ et suiv.

2) De la page ١٤٩ à ٢١٠.

3) Parmi les auteurs cités se trouvent: al-Hidjārī, Ibn-Haiyān, Ibn-Sa'īd, Ibn-Bachkowāl, ar-Rāzī, al-Fatḥ (le Matmaḥ), Ibn-Khaldoun etc.

4) Ce ne fut qu'en arrivant sur le sol espagnol que le lieu où abordèrent les vaisseaux de Ṭārik reçut le nom de *Djabal Ṭārik*, dont les Européens ont fait Gibraltar.

ont leur description, et à propos de la dernière, il cite ces vers du poète Ibn-al-labbāna:

> C'est un pays auquel la colombe a prêté son collier, et que le paon a revêtu de sa robe de plume.
> On dirait que les fleuves versent du vin, et que le seuil des maisons offre des coupes[1].

Cette citation en amène d'autres du poète Ibn-Khafādjah sur l'Espagne. Ici est intercalée une épître d'Abou-Bahr Çafwān ibn-Edrīs à Abderrahmān, fils du Sultan Yousof; il y est question de quelques villes. Après les poètes viennent les voyageurs; il cite Ibn-Batoutah sur Grenade, Damas de l'Occident, puis revient à Séville après en avoir parlé plus haut et place là une lettre sur l'Espagne du Sultan de Lisān-ad-dīn. Il émaille son récit de quelques anecdotes, une entre autres sur le poète satirique, Abou-Bekr al-Makhzoumī, et Nazhoun, femme poète. Puis vient une courte biographie d'Abd-al-wahhāb, littérateur, artiste distingué, joueur de luth, compositeur, dans laquelle il est question du climat de l'Espagne. Il déroule aux yeux du lecteur ce qu'il y a de curieux dans ce pays: animaux, parfums, fruits, fleurs, marbres, verreries, armes, monuments remarquables, comme la *Pila* de Tolède dont il fait la description; les mines d'or de Santiago en Galice. Il parle une troisième fois de Séville dont il fait connaître la vie d'étude, de plaisir, la position géographique, et son admirable fleuve, le Guadalquivir.

Les diverses charges du Gouvernement, le Vizirat, le hidjāba, la Secrétairerie, le Kadia, le Chorta (sûreté générale de police), l'Ihtisāb (vérification des denrées, poids et mesures), les Veilleurs de nuit, sont l'objet de quelques appréciations. On trouve une foule de renseignements intéressants

1) Voyez t. I, p. ١٠٤.

Aden par l'hospitalité de ses plages. Puis il parle de l'étendue de l'Espagne, de ses antiquités, de l'origine de la nation indigène. Il fait de cette contrée un éloge pompeux; le paradis terrestre, dit-il, se trouve dans les pays situés, en droite ligne, à partir de l'Espagne jusqu'à Constantinople. Il passe en revue les divers peuples qui ont envahi l'Espagne, les Romains, les Goths à l'origine desquels il consacre quelques lignes. Les productions du sol, les lieux où se trouvent les mines d'or, d'argent, les revenus de l'Espagne sous les Omaiyades [1], sont de sa part l'objet d'indications sommaires.

Après la description du sol, de ses produits, vient celle des principales villes qui ont chacune une courte notice. Lorsqu'il parle d'une ville, il n'oublie pas de citer des vers de quelque poète; il dit de Grenade qu'on ne trouve pas sa pareille, ni en Egypte, ni en Syrie, ni dans l'Irāk: il parle de l'origine de Saragosse, des produits et des mines d'or de Malaga, de Séville, son fondateur, ses divers établissements, son industrie. A l'occasion de Tolède, capitale des Benou-Dhi-an-noun, il donne quelques détails sur les rois at-tawāif, énumère les trésors que Țārik y trouva en s'en emparant. Almeria avec ses mines de fer, ses carrières de marbre, ses tissus de dībādj, ses bains, ses fondouks, a sa description, ainsi que Murcie qu'il compare au Caire.

Des principales villes, il passe à leurs dépendances, aux villes secondaires, à celles qui bordent la mer; Carthagène où se trouvaient des peintures, des portraits d'hommes, des figures d'animaux; Minorque et Maïorque

1) Al-Makkarī dit dans cet endroit que les revenus de l'Espagne étaient de 300,000 dinars, plus loin il donne un autre chiffre. La valeur du dinar d'or en Afrique pouvait s'évaluer, d'après M. de Slane, à 10 francs (voyez *Hist. des Berbères*, trad. t. I, p. 222). Mon intention n'étant que de donner un aperçu rapide de ce livre, je ne m'arrêterai pas à discuter les faits, les chiffres ou les dates.

pièces de vers, il en cite quelques-unes. Il part pour la Mekke, et continuant son système de description poétique de tous les lieux importants qu'il visite, il nous fait connaître des vers sur la Maison Sainte, la Mekke. Son délicieux séjour à Damas lui rappelle des poésies sur cette contrée. Lorsqu'il revient en Egypte, il envoie un souvenir poétique à la Syrie qu'il a quittée. A la fin de sa préface il donne la division suivante de son ouvrage sur l'Espagne: I^er^ Livre: Description physique de l'Espagne; II^e^ Conquête de l'Espagne par les Arabes, Gouverneurs; III^e^ Histoire des Khalifes et des rois; IV^e^ Description de Cordoue, son histoire, ses monuments; V^e^ Arabes espagnols qui firent le voyage de l'Orient; VI^e^ Arabes d'Orient qui firent le voyage de l'Espagne; VII^e^ Esquisses d'histoire littéraire, qualités intellectuelles et morales des Arabes d'Espagne; VIII^e^ Reprise de l'Espagne, expulsion des Arabes.

I^er^ LIVRE [1]

DESCRIPTION PHYSIQUE DE L'ESPAGNE.

Dans ce récit qu'il emprunte à plusieurs auteurs, géographes, historiens [2], al-Makkarī commence par une courte dissertation sur le mot *andalous*. Il dit que l'Espagne semble rappeler la Syrie par son air, sa température; l'Yémen par son climat tempéré; l'Inde par ses parfums; l'Ahwāz par la quantité de ses revenus; la Chine par ses pierreries et ses métaux,

1) De la page ٨١ à ١٤٠ du Ier volume.

2) Voici les noms des écrivains auxquels al-Makkarī a emprunté ses citations: al-Bekrī, Ibn-al-Yasa', Ibn-Sa'īd, ar-Rāzī, al-Baihakī, Ibn-Haiyān (al-moktabis), ar-Rakīk, Ibn-Khaldoun, Ibn-Baitouiah, Ibn Bachkowāl, ach-Chekondī, Lisān-ad-dīn (Ihātah), Ibn-Khalaf, Ibn-Ghālib, Ibn-Haukal etc.

APERÇU GÉNÉRAL DE L'OUVRAGE

PRÉFACE D'AL-MAKKARI [1]

Al-Makkarī fait dans cette préface, moitié vers, moitié prose rimée, son autobiographie. Il raconte son voyage au Maroc et décrit la beauté de cette contrée, les charmes de son séjour. Quand il est forcé de le quitter, il exprime en vers la douleur de se séparer de ce qu'on aime, il rappelle les jours heureux qu'il y a passés et cite les poètes qui célèbrent l'amour du sol natal. Toutes les fois qu'il séjourne dans un pays qui n'est pas le sien, ce sont des vers qu'il fait ou qu'il cite sur le bonheur qu'on goûte au foyer de la famille. Ses sentiments se traduisent en poésies plaintives, où n'est pas oubliée la classique comparaison arabe de la colombe éloignée de son ramier. Puis il se résigne et versifie sur la patience. S'il s'embarque pour l'Orient, il ne manque pas de décrire les dangers des voyages sur mer. «Trois choses, dit-il, ne présentent aucune sécurité: la mer, le Sultan et le destin». Arrivé en Egypte, il passe en revue les poètes qui ont chanté le sol des Pharaons. Le Nil a été le sujet d'un grand nombre de

1) De la page ١ à ٨٠ du 1er volume.

qui arrange tout pour le mieux »[1]. Il raconte souvent le même fait d'après plusieurs sources, ce qui occasionne bien des répétitions; mais on y gagne toujours quelque détail nouveau. Dans son livre il fait une application constante de ce dicton arabe: الشى بالشى يُذْكَر « une chose en amène une autre ». Il perd constamment de vue son objet principal, s'amuse en chemin à citer des vers, fait de nombreux ricochets. Ce n'est pas toujours un mal, quoique l'attention soit souvent distraite, parce qu'il nous donne, sur divers points d'histoire et de littérature, quelques notions intéressantes qui nous seraient restées inconnues, sans son amour excessif de la digression.

La part personnelle qu'al-Makkarī a prise dans ce livre est peu importante; sauf sa Préface, on ne trouve de lui dans le courant de son ouvrage que quelques phrases pour lier les récits, et quelques pièces de vers, dans le 5e livre particulièrement[2]. Tout le reste consiste en fragments d'auteurs, morceaux souvent précieux, les ouvrages originaux étant perdus, ou du moins ne se trouvant pas dans les Bibliothèques de l'Europe.

1) Voyez t. II, p. ١٠٢.

2) Voyez t. I, p. v٣٣٩ et suiv.

qu'en Orient les livres qui roulent sur l'Espagne sont très rares. Mais il finit par se rendre à ses instances et promit qu'à son retour au Caire il s'occuperait de réaliser ce projet. Ce ne fut qu'en 1627, en revenant de Damas au Caire, qu'il se serait occupé de son livre; mais il nous dit lui-même [1] qu'il termina son ouvrage en 1628, et que l'année suivante, 1629, il y fit de grandes augmentations et y mit la dernière main. Il n'aurait donc employé qu'un an ou deux pour faire cet immense travail; ce qui paraît impossible. On est donc conduit à supposer qu'il profita de son long séjour à Fez pour y entreprendre des études historiques et littéraires et qu'au fur et à mesure de ses lectures, il fit ses premiers extraits d'auteurs, peut-être sans avoir encore de plan arrêté pour un ouvrage. Quand il partit pour l'Orient, il emporta probablement avec lui ses cahiers de notes et compléta au Caire ses recherches. En voyant le décousu de son livre, on s'aperçoit qu'il l'a fait, comme on dit vulgairement, à bâtons rompus, et il a dû quelquefois citer de mémoire.

Le défaut commun à beaucoup d'auteurs arabes, c'est le manque de méthode dans le classement des matières; ce défaut est encore plus apparent chez al-Makkarī. Il a fait son livre avec un sans façon sans exemple. Ainsi, pour en citer un trait, il dit à propos de la biographie d'un vizir: „j'ai déjà donné la biographie de ce personnage dans tel endroit; mais il n'y a pas de mal à ce que j'ajoute ici, ce qui manque là-bas„ [2]. Puis à l'occasion d'un Arabe d'Orient qui avait fait le voyage d'Espagne et qu'il cite dans le 1er livre, il dit: „il aurait été mieux de le classer dans le 6e livre (spécial aux Arabes d'Orient) et l'affaire était facile; mais Dieu est celui

1) Ce détail se trouve à la dernière page de la 2e partie de l'ouvrage d'al-Makkarī, man. Sc.

2) Voyez t. I, p. ۸۸۵.

avec sa littérature d'érudit. Dans ses vers, il montre qu'il connaît bien sa langue; mais comme il avait beaucoup lu, c'est plutôt de la poésie de souvenir qu'il nous offre, qu'une véritable inspiration; il manque d'originalité. Les métaphores banales qui ont cours dans les Dīwāns des poètes: *le soupir de la colombe, le souffle du matin, l'haleine de musc, d'ambre, les dents de perle* etc., se retrouvent souvent sous sa plume. Al-Makkarī était au fond un traditionnaire, un lecteur du Korān, et ne fût resté probablement qu'un simple jurisconsulte, s'il n'eût eu le goût littéraire développé, comme il le paraît par le choix des morceaux qui composent son livre sur l'Espagne. Il a sauvé de l'oubli une foule de biographies de littérateurs purs, de pièces de vers véritablement remarquables. On voit qu'il aime la littérature pour elle-même; ce qui le séduit surtout, c'est le côté pittoresque des récits; aussi ne manque-t-il jamais de mettre en saillie un trait, un mot, une fine pensée; il semble toujours être à la recherche de ce qu'il y a de plus piquant. Il n'est pas artiste, mais il aime les artistes, les gens d'esprit, ce qui prouve qu'il n'en était pas dépourvu lui-même.

Al-Makkarī composa un certain nombre d'ouvrages sur des sujets religieux et littéraires [1]. Ces travaux n'auraient pas suffi à rendre son nom célèbre, sans sa précieuse compilation sur l'histoire et la littérature des Arabes d'Espagne. Son biographe ne nous donne aucun renseignement sur ce livre; mais dans sa préface [2] l'auteur nous fait part d'un entretien littéraire qu'il eut à Damas avec son ami Ibn-Chāhīn, qui l'engageait à composer un livre sur Lisān ad-dīn et les savants et littérateurs de son temps; al-Makkarī s'excusa en disant qu'il avait laissé ses livres au Maghreb et

1) Voyez dans le texte de sa biographie la liste de ses ouvrages.

2) Voyez t. I, p ٣٨.

Chauwāl 1037 (1627) pour le Caire. Il y revint à la fin de cha'bān en 1040 (1630) et y fut accueilli avec les mêmes honneurs qu'il avait reçus la première fois. A son retour au Caire, il répudia sa femme. Il se disposait à faire un troisième voyage à Damas pour s'y fixer, quand la mort le surprit dans le mois de Djomādā 2 en 1041 (1631).

Ainsi qu'on vient de le voir, ses contemporains faisaient grand cas de sa personne, de sa science et de son talent poétique. Comme homme il paraît avoir été d'un caractère estimable, inoffensif; il était sensé, modéré, pieux, et suivait la doctrine de Mālik; sa foi religieuse était assez solide; mais il n'était pas fanatique. Ses tendances littéraires, sa fréquentation des ouvrages des purs lettrés qui chantent le monde terrestre, au courant de leurs sensations et sans se préoccuper des dogmes religieux, peuvent expliquer cette tolérance qu'il montre, dans son livre sur l'Espagne, à l'égard des poètes libres. Il a bien quelquefois peur de compromettre son orthodoxie, de passer pour un *Kāfir*, un hérétique, et pour se faire pardonner, auprès des dévots, des gens chatouilleux, ses citations mondaines, épicuriennes, irréligieuses, il se hâte de dire: „L'impie n'est pas celui qui dit une impiété, mais celui qui la fait, et Dieu est miséricordieux pour les pécheurs qui ne sont pas impies.” Il espère aussi que toutes les louanges qu'il a citées sur Mahomet feront passer les vers un peu scabreux. Les éloges que ses admirateurs lui ont prodigués pour sa science sont assez mérités, au point de vue de la connaissance qu'il avait des hadīth et du Ḳorān. Quant à son mérite littéraire, nous sommes bien loin de partager l'enivrement des lettrés de Damas. Les temps modernes qui sont pour les Arabes l'époque de la décadence, presque de la nullité littéraire, commencent déjà au XV[e] siècle, et au XVII[e], temps où vivait al-Maḳḳarī, le goût des Arabes étant très altéré, on comprend l'admiration qu'il excita à Damas

un cours sur le Çaḥîḥ d'al-Bokhârî; le nombre des auditeurs augmentant, il s'installa dans la cour de la mosquée, en face de la Kobba connue sous le nom d'al-Bâ'ounîyah. La plupart des notables et des savants de Damas assistèrent à ses leçons, et tous les étudiants y accoururent. Le mercredi, 17 de Ramaçân 1037 (1627) fut le jour de clôture de son cours. Des milliers de personnes se rendirent à cette leçon d'adieu, l'assemblée était très émue. Le cercle des auditeurs s'étant formé au milieu de la cour vers la porte où l'on place le drapeau du Prophète, les vendredis de radjab, cha'bân et ramaçân, on apporta le *Korsî* (siége) de prédication : al-Makkarî y monta au milieu du silence de la foule, et prononça sur les articles de la foi et les traditions prophétiques un sermon dont on n'entendit jamais le pareil à Damas. Il mêla à ce discours quelques récits sur la vie d'al-Bokhârî, et récita les deux vers suivants de ce célèbre traditionnaire, deux vers rares, car ce sont les deux seuls qu'on connaisse de lui :

> Hâtez-vous de finir vos prières et vos génuflexions, car votre mort peut être subite.
>
> Combien d'hommes valides sont morts avant les malades, et dont l'âme précieuse s'est enfuie rapidement.

Cette mémorable séance dura depuis le lever du soleil jusqu'à près de midi. Lorsqu'il descendit de sa chaire, la foule se précipita pour lui baiser la main. Aucun savant étranger n'avait reçu à Damas une semblable ovation. Aussi al-Makkarî en conserva-t-il toute sa vie le souvenir, et dans son livre sur l'Espagne, il ne cesse, lorsque l'occasion se présente, de parler avec de grands éloges de cette ville et de ses habitants [1].

Après être resté environ quarante jours à Damas, il en partit le 5 de

1) Voyez t. I, p. ٧١٩ et suiv.

rinage de la Mekke. Après avoir accompli, dans le mois de radjab 1028 (1618), ce devoir que la religion impose à tout musulman de remplir au moins une fois dans sa vie, il se rendit au Caire où il se maria. Il semble n'avoir pas eu beaucoup à se louer de cette ville qu'il habita quelques années; il se plaint même dans ses vers du manque de générosité de ses habitants et il dit que lorsque l'hospitalité lui fait défaut, il dévore ses livres. Le souvenir de sa patrie absente lui revient souvent à l'esprit et la douleur qu'il éprouve se reflète dans ses poésies [1]. L'amour des voyages ne le laissa pas longtemps fixé au Caire; il partit pour visiter Jérusalem au mois de rabī' 1er 1029 (1619), et revint au Caire où il resta sept à huit ans. Il retourna à la Mekke en 1627 et fit ce voyage jusqu'à cinq fois. Il y donna de nombreuses leçons sur les traditions prophétiques, et visita sept fois Médine. Puis il revint au Caire au mois de Çafar de la même année, repartit pour Jérusalem au mois de radjab et y resta vingt-cinq jours. Ce fut de là qu'il partit pour Damas où il arriva au commencement de Cha'bān. Ses compatriotes du Maghreb résidant à Damas, l'ayant fait descendre dans une maison qui ne convenait pas à son rang, un des lettrés et des notables, Aḥmed ibn-Chāhīn, qui professait à l'école de Djaḳmaḳ, lui envoya la clef de cet établissement, en l'accompagnant d'une pièce de vers, où au milieu d'une foule d'allitérations et de jeux de mots, il faisait d'al-Makkarī l'éloge le plus pompeux; al-Makkarī lui répondit en vers de la même facture. Lorsqu'il entra dans les appartements de l'École, il en fut émerveillé; il y fit transporter ses effets et y habita. Pendant son séjour à Damas il eut de nombreux colloques poétiques avec des savants et en particulier avec Ibn-Chāhīn qui lui avait fait un si gracieux accueil. Il prit l'habitude de faire, après la prière du matin, dans la mosquée, sous le dôme de l'Aigle,

1) Voyez t. I, p.

à l'époque où vivait al-Makkarī, la littérature proprement dite n'a pas de représentants sérieux. Ce n'était pas tant le mérite des professeurs qui attirait la jeunesse à Fez, que les facilités d'étude qu'ón y trouvait: les livres y abondaient. Al-Makkarī fit deux fois le voyage de Fez: une fois en 1600 et une autre en 1604. Il se lia avec quelques hommes instruits et y fit ces immenses lectures d'historiens et de littérateurs de l'Espagne arabe dont plus tard il devait tirer un parti si utile. Pendant son séjour au Maghreb al-akçā, il résida la plus grande partie du temps à Fez; mais il voulut aussi connaître quelques autres villes de l'Empire. En 1601, comme il le dit lui-même [1], il visita la ville de Maroc où il examina les ruines de la Makçourah (enceinte) de la mosquée, dont Ya'koub al-Mançour de la dynastie des Almohades avait fait son palais. Il visita aussi, dans la même année, la ville d'Aghmāt et les tombeaux d'Al-mo'tamid, roi de Séville, et de sa femme Ar-romaikīyah [2]. A la suite de troubles qui eurent lieu dans l'Empire, al-Makkarī quitta Fez se dirigeant vers un port d'embarquement. En prenant congé du gouverneur de Maroc, il lui récita ce vers d'Ibn-Abd-al-'aziz al-Haçramī:

> Mes sentiments d'affection pour vous me retenaient dans votre pays; mais ma situation me fait un devoir de partir.

Le Gouverneur lui répondit:

> Que Dieu ne prive pas de ta présence ceux qui sont habitués à ton commerce agréable.

Al-Makkarī qui avait su, pendant son séjour au Maroc, se concilier l'estime de plusieurs personnes honorables en reçut à son départ des lettres qui exprimaient leurs regrets. Il quitta le Maroc en 1617 pour faire le pèle-

1) Voyez t. II, p. ١٥٨.
2) Voyez t. II, p. ٥٦٠.

NOTICE SUR AL-MAKKARI

Vers la fin du XVI[e] siècle naquit à Tlemcen Aḥmed fils de Moḥammed al-Makkarī, qui tirait son origine d'un village aux environs de cette ville, Makkara, berceau de sa famille[1]. Il passa son enfance et une partie de sa jeunesse dans sa ville natale qui était alors une des grandes villes du Maghreb, sous la domination des Turcs, et formait la limite entre l'Empire du Maroc et les possessions des Ottomans. Al-Makkarī apprit le Korān par cœur, et s'instruisit sous la direction de son oncle, le noble et savant cheikh, Abou-Othmān Sa'īd, Mufti à Tlemcen, avec lequel il lut jusqu'à sept fois le Çaḥīḥ d'al-Bokhārī.

La ville de Fez, alors siége du Khalifat dans le Maghreb, sous le règne de Maulaï Aḥmed al-mançour, était un centre littéraire où les Maghrebins allaient compléter leur instruction, surtout sous le rapport théologique; car

1) Nous avons puisé les détails de cette notice dans la biographie qu'Amīn-Djalabī a consacrée à al-Makkarī dans son livre des hommes remarquables du 11e siècle de l'Hégire et qui est intitulé: «خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادى عشر». On trouvera plus loin, en forme d'appendice à l'introduction, le texte de cette pièce. Aux renseignements que nous donne ce biographe, nous en avons ajouté d'autres recueillis dans le livre même d'al-Makkarī.

après nous perfectionneront notre ouvrage: c'est une loi fatale imposée à l'homme, d'améliorer incessamment son œuvre.

Cette bibliothèque arabe-espagnole, mosaïque d'hommes et de choses, étant très utile à consulter, un Index était indispensable. Chacun de nous a fait l'index du volume qu'il a publié; mais nous ne devions pas ajouter un index à chaque volume; il fallait réunir les quatre en un seul. Cette opération offrait de grandes difficultés; celui d'entre nous qui s'en est chargé, a tâché de remédier, autant que possible, à l'inconvénient qui résultait de la division de cet index entre quatre mains; mais il craint, malgré le temps qu'un tel travail lui a coûté, qu'il ne se trouve encore quelques articles mal classés: ainsi l'un des quatre collaborateurs a pu mettre un nom sous les *Abou*, un autre le même nom sous les *Ibn*, celui-ci sous le nom ethnique, celui-là sous le nom propre. Cependant le lecteur trouvera toujours ce qu'il cherche, pourvu que, dans tel ou tel cas particulier, il consulte deux ou trois articles.

On pourrait nous demander pourquoi nous ne publions pas une traduction de ce livre; nous répondrions que l'ouvrage tel qu'il a été conçu, composé, ordonné, se refuse à une traduction complète: les répétitions fréquentes, le défaut de classement des matières empêcheraient un Européen de suivre cet auteur du commencement à la fin, sans en modifier étrangement le plan. Mais il était nécessaire, à défaut de traduction, de faire connaître dans cette introduction, d'une manière sommaire mais suffisante, et la personne de l'auteur, et le contenu de son livre; c'est un besoin du lecteur auquel nous avons dû répondre par la *Notice sur al-Makkarî* et l'*Aperçu général* qui font l'objet des deux chapitres suivants.

Quand al-Makkarī cite deux fois les mêmes vers, nous ne les imprimons qu'une fois, et la seconde fois, nous ne mettons que le premier hémistiche suivi de الابيات, et nous renvoyons alors par une note à la page où ces vers se trouvent. Pour des passages en prose répétés, nous citons les premiers mots en ajoutant الخ, si la citation est absolument identique. Nous avons mis les voyelles nécessaires à la compréhension du sens; nous aurions voulu pouvoir les multiplier, mais en songeant aux dépenses énormes que notre libraire, M. Brill, s'est imposé pour cette publication, nous avons craint de les augmenter. Nous pouvons dire que nous avons étudié, discuté, éclairé notre texte. Sans doute, si nous nous étions bornés à collationner les manuscrits entre eux, à indiquer au lecteur les variantes sans les examiner, notre tâche eût été plus facile; mais nous n'avons pas cru devoir nous arrêter là. Ainsi nous avons signalé les endroits obscurs, difficiles; lorsque nous n'avons pas compris un passage, nous l'avons déclaré franchement; nous avons émis une opinion sur tel ou tel point embarrassant, au risque de nous tromper. Personne ne nous y forçait, le silence était bien plus habile et mieux dans les intérêts de notre réputation. Bien que nous nous soyons aidés pour la collation des manuscrits d'al-Makkarī et pour les autres ouvrages dont il s'est servi et qui existaient dans nos centres littéraires respectifs, chacun de nous a établi son texte comme il l'entendait, et n'est responsable que de son travail.

Malgré toutes les peines que nous avons prises afin de présenter un bon texte, nous ne nous dissimulons pas qu'on pourra y trouver plus d'une imperfection. Lorsque pour une édition *princeps* d'un auteur aussi difficile qu'al-Makkarī, on opère sur des manuscrits la plupart inédits, incorrects, on est inévitablement exposé à des méprises et à rencontrer des difficultés que, faute de bons matériaux, on ne peut parvenir à surmonter. Mais à chaque époque sa tâche, suivant les moyens dont elle dispose. Ceux qui viendront

servir des suivants: Dīwān d'Ibn-Hamdīs, man. de St. Petersbourg (unique en Europe), d'après une copie faite par M. Amari; d'Ibn-Khafādjah, man. de la Bibl. Imp. de Paris n° 1518 sup. ar. (quelques pièces de vers cités par notre auteur ne se trouvent pas dans ce manuscrit qui est soigné, bien écrit); d'al-Bohtorī, man. de Paris n° 1483; d'Ibn-Hānī, man. d'Oxford, man. de Paris (A.) n° 1506 sup. ar., man. de M. Schefer (B); d'Abou-Tammām, des deux man. de Leyde 899 (A) et 403 (B), et enfin pour celui d'Omar ibn-al-Fāriḍ, d'un man. de Gotha. Nous renouvelons ici l'expression de notre gratitude à MM. Rœdiger, Reinaud, Juynboll, Schefer, Bowles, Lee, Mehren, Gosche, Cherbonneau, de Gayangos, Amari, Soliman al-Harāïrī, soit pour les utiles indications qu'ils nous ont fournies, soit pour les manuscrits qu'ils nous ont prêtés ou procurés, ou pour les collations qu'ils ont bien voulu nous envoyer. Nous devons à M. Fleischer des remercîments plus directs: il a consacré à l'étude de notre texte un temps précieux, dérobé à ses propres travaux, mais qui, du reste, ne sera pas perdu pour la science.

Telles sont les sources où nous avons puisé pour établir et contrôler ce texte qui offre des difficultés réelles. Les manuscrits d'al-Makkarī fourmillent tous de fautes très graves. Notre auteur avait lui-même pour faire sa compilation des manuscrits incorrects, comme nous l'avons déjà dit, et ne se faisait point scrupule de copier des vers qui ne présentent aucun sens raisonnable; il mutile quelquefois les vers des poètes, joint ensemble le premier hémistiche d'un vers et le second d'un autre. Là où il copie d'autres ouvrages, et c'est presque toujours le cas, nous avons répété dans les notes ses fausses leçons, et présenté dans le texte les phrases non corrompues de l'auteur copié ou plutôt maltraité. Nous avons donné les variantes vraiment utiles, et lorsque les fautes de copistes étaient évidentes, quelquefois nous ne les avons pas fait figurer en note.

جمعتُ اخبارا كثيرة فارب حجم الجزءُ الاول مجموعها فجمعت شمل الطارف بالتليد، والقديم بالجديد »

Le manuscrit dont al-Makkarī s'est servi n'appartient pas à la même édition que celui de Copenhague. Ce dernier est déjà, ainsi qu'il résulte de la préface, une deuxième édition considérablement augmentée, comme dit Ibn-Ẓhāfir; mais notre auteur a employé une rédaction encore plus récente, probablement une troisième édition qui se distingue de la seconde, non par des anecdotes nouvelles, car al-Makkarī ne cite rien qui ne se trouve dans le manuscrit de Copenhague, mais par une diction plus verbeuse. Le manuscrit contient 231 feuillets, en caractères *neskh*, sans date; il est en général correct. Il existe à Londres un autre exemplaire que M. Wright a trouvé dans la collection de M. Bowles; nous n'avons pu en faire usage, n'en ayant connu l'existence que vers la fin de notre travail.

Ibn-Khaldoun, le chapitre sur l'Espagne dans son Histoire Universelle, man. de Paris 742, (P) et man. de Leyde 1350, t. IV (L).

Parmi les autres manuscrits que nous avons consultés, sont les suivants: de Paris: اخبار مجموعة الخ, n° 706; خريدة القصر، وجريدة العصر d'Imād ad-dīn (n° 1375, 1376, 1411, 1183 sup. ar.); — de Leyde: man. d'Ibn-Ḥaukal; طوق الحمامة d'Ibn-Ḥazm, n° 927; درر الاسلاك d'Ibn-Ḥabīb, n° 125; الحلل الموشية; جمهرة الاسلام; le commentaire d'ach-Charīchī n° 522 (41, 44); — d'Oxford: جذوة المقتبس d'al-Ḥomaidī, biographie de savants, littérateurs de l'Espagne (Uri 783, Hunt. 464)[1]; l'histoire des Kadis de Cordoue d'al-Khochanī; مناهج الفكر (Hunt. 629); « مطالع البدور، في منازل السرور » etc.; le Dictionnaire biographique des grammairiens de Soyoutī (man. de M. Lee). Enfin il nous restait un dernier contrôle à faire, c'était de consulter les Dīwāns des poètes, cités par al-Makkarī Nous avons pu nous

1) Voyez ce que dit M. Dozy sur cet ouvrage dans son Introduction au *Bayān al-Moghrib* p. 70.

lequel se trouvent de longs extraits d'un ouvrage d'Ibn-Haiyān [1], se compose de quatre volumes, mais elle n'existe pas en entier dans les bibliothèques de l'Europe. Du temps d'al-Makkarī, elle était même très rare en Orient, comme il nous l'apprend lui-même. La Bibliothèque d'Oxford a le deuxième volume, et celle de Gotha une partie du troisième, que M. de Gayangos possède aussi [2].

بدائع البدائه. Cet ouvrage qui a pour auteur Alī ibn-Zhāfir et pour titre: «Merveilles d'improvisations», est un recueil d'anecdotes, de scènes littéraires, de traits d'esprit, choisis dans les divers pays musulmans. Nous avons eu, pour contrôler les citations de notre auteur, un manuscrit de Copenhague dont M. Dozy a obtenu la communication. Avant cet envoi, M. Mehren, conservateur des manuscrits de la Bibliothèque de Copenhague, avait eu l'obligeance d'adresser à M. Wright des collations de cet ouvrage. Le manuscrit commence par ces mots: اللهم اسبل علينا ستر الجميل، واسبغ علينا عطاءك الجزيل. Il a dû avoir trois éditions. Le manuscrit de Copenhague contient la seconde édition du livre. Dans sa préface, l'auteur raconte que dans sa jeunesse il avait composé un ouvrage sur le même sujet et sous le même titre, à la demande d'Abou-Alī Abd-ar-rahīm al-Baisānī. Celui-ci en fut très content. L'auteur avait oublié ce livre, lorsqu'il se trouva auprès d'al-Melik al-achraf, dans l'année 1206 [3], époque à laquelle il n'était pas encore au service de ce prince. فجرى بمجلسه ذكر هذا الجزء وحسن من خدمته موقعه، وحلّ لديه موقعه، فرسم لي نقله وقد كنت زمن الفترة

1) Voyez *Scriptorum Arabum loci de Abbadidis*, par M. Dozy, t. I, p. 189 et suiv.

2) A la fin du man. de M. de Gayangos on lit ceci. كمل القسم الثالث من كتاب الذخيرة — يتلوه فى القسم الرابع ان شاء الله تعالى ذكر الكتاب والوزراء واعيان الادباء الشعراء الوافدين على جزيرة الاندلس والطارئين عليها من اول المائة الخامسة من الهجرة الى وقتنا الذى هو سنة اثنتين وخمسمائة ۞

3) Voyez dans le texte, t. II, p. ۱۴۸, l'aventure qui lui arriva avec ce sultan Ayoubite, la même année

„مطمح الانفس ومسرح التأنس فى ملح اهل الاندلس". Tel est le titre d'un autre ouvrage[1] d'al-Fatḫ, dans lequel il donne, en un style moins relevé, quoique rimé, la biographie d'autres savants, fakihs, kadis etc. Al-Makkarī a fait de longues et fréquentes citations de cet ouvrage. Nous avons pu nous servir d'une copie exécutée sur le man. de St. Petersbourg (P) par M. Dozy et collationnée par lui sur le man. de Londres (L). M. Wright et M. Krehl ont, en outre, fait usage du man. R. (de Leipzig). Le man. de Londres, mauvais en lui-même, a été copié sur un manuscrit meilleur que celui qui a servi de base aux exemplaires de St. Petersbourg et de Leipzig. Les variantes de celui de Londres méritent très souvent la préférence, on y retrouve les traces de la véritable leçon. Al-Makkarī semble avoir eu en main un manuscrit du Maṭmaḫ appartenant à la même famille que P. et R. et présentant une fort mauvaise rédaction; la bonne se trouve dans celui de Londres que notre auteur n'a pas connu. D'après Ibn-Khallikān le Maṭmaḫ aurait eu trois éditions manuscrites: une petite, une moyenne et une grande; mais d'après Ibn-al-Khaṭīb et Ibn-Khātimah, écrivains de l'Espagne, il n'y en aurait eu que deux, une petite et une grande. Al-Makkarī qui fait connaître ce détail dans la seconde partie de son ouvrage[2], pense que l'opinion de ces écrivains, compatriotes d'al-Fatḫ, est préférable à celle d'Ibn-Khallikān, auteur de l'Orient, parce que, dit-il, le maître de la maison sait mieux qu'un autre ce qu'il y a dedans; mais notre auteur a oublié qu'Ibn-Sa'īd, dans son appendice à l'épître d'Ibn-Hazm, dit que le Maṭmaḫ a eu trois éditions[3].

„الذخيرة فى محاسن اهل الجزيرة". La *Dhakhīrah* d'Ibn-Bassām, dictionnaire biographique des hommes remarquables de l'Espagne arabe, et dans

1) Voyez même ouvrage, t. I, p. 16 et suiv.

2) Voyez le 5e livre de la 2e partie dans les manuscrits.

3) Voyez t. II, p. ١٣٣.

Pour fournir un bon texte, même le manuscrit autographe de l'auteur, supposé que nous l'eussions eu à notre disposition, ne nous eût pas suffi. Al-Makkarī lui-même, quand il faisait sa compilation, travaillait souvent sur des manuscrits incorrects, et il nous fallait pouvoir contrôler les passages des auteurs qu'il avait cités; c'est ce que nous avons fait dans un grand nombre de cas, à l'aide de plusieurs ouvrages manuscrits dont voici les principaux:

قلائد العقيان، ومحاسن الاعيان. Cet ouvrage[1] qui contient la biographie d'un certain nombre de Vizirs, Fakihs, Kadis et écrivains de l'Espagne arabe, est d'un littérateur célèbre du 12e siècle de notre ère, al-Fatḥ ibn Khākān. Il y a en Europe un assez grand nombre de manuscrits de cet ouvrage; voici ceux que nous avons consultés: A. Leyde n° 306 (cat. Dozy, DCCCLXXXII); B. Leyde n° 35 (cat. Dozy, DCCCLXXXIII); quoique très peu lisible, il offre souvent le meilleur texte; C. Paris, n° 731 ancien fonds, écriture orientale, a des lacunes, ressemble à D; il a quelques notes marginales; D. Paris n°. 1415, ancien fonds; écriture soignée, orientale; il est médiocre, mais plus complet que C. et K.; K. Paris, n° 677 sup. ar., écriture africaine, il reproduit plus exactement les citations d'al-Makkarī; il a des lacunes; c'est un faible manuscrit; L. Paris, africain, appartenant à M. Soliman al-Harāirī, ressemble à peu près à K.; F. Londres, man. du Brit. Mus., addit. ms. 9579; H. Oxford, Bibl. Bodl. 706; I. Oxford, Bibl. Radclif., Sale 53, ou K. 2—24, G. Gotha; Ga., de M. de Gayangos. Les manuscrits de Londres et d'Oxford sont assez insignifiants, à peu près comme ceux de Paris. L'ouvrage d'al-Fatḥ, écrit en prose rimée d'une rare élégance, est un des livres les plus remarquables de ce genre de style dans la haute littérature arabe.

1) Voyez les détails que donne M. Dozy sur ce livre dans *Scriptorum Arabum loci de Abbadidis*, t. I. p. 33 et suiv.

de Gotha, cependant il donne parfois de bonnes leçons.

En France nous avons trois manuscrits complets: celui de la Bibliothèque Impériale de Paris (P) en 4 volumes. Le n° 704, ancien fonds, contient les livres 1, 2, 3, 4 et 5 de la 1re partie; l'écriture est orientale, assez ferme, mais un peu courante; il a quelques voyelles; le n° 705, ancien fonds, contient les livres 6, 7 et 8 de la 1re partie; le n° 758, ancien fonds, renferme les livres 1, 2, 3, 4 de la 2e partie, et le n° 759, ancien fonds, les livres 5, 6, 7 et 8 de la 2e partie. En général le manuscrit est peu soigné; mais il a servi à donner quelques bonnes variantes; il est moins bon que celui de Gotha que cependant il corrige quelquefois; mais il est meilleur que La., O. et S. — Le second manuscrit complet appartient à M. Schefer (Sc.) qui l'a mis à ma disposition avec empressement. Il est d'une écriture orientale très lisible, serrée, moins régulière et plus rapide que celle du manuscrit L. avec lequel il a quelque rapport. Il est assez bon, il a été terminé en 1765 par Ibn Eccheikh-Hasan de Damas, qui recommande à la fin du livre de ne pas se hâter de le corriger, car l'homme est enclin à l'erreur. Il fut déposé, à titre de Wakf, à Damas, par Mohammed Pacha, gouverneur de Syrie, en 1776. Enfin il se trouve à Constantine (Algérie) un exemplaire complet (Ch.) d'après lequel M. Cherbonneau a eu l'obligeance de recueillir pour nous de nombreuses collations. Cet exemplaire, qui fait partie de la collection de Si-Hamouda, est parfaitement conservé; l'écriture est africaine et d'une grande finesse; il a été copié à Alger par un nommé Radjab ibn 'Ahmed Kourçou en 1656. Ce manuscrit nous a offert de bonnes variantes; mais il n'est pas supérieur aux autres.

En résumé les manuscrits complets du livre d'al-Makkarī dont nous nous sommes servis sont au nombre de sept; ils sont en général tous médiocres: L. G. et Sc. sont peut-être les meilleurs.

dans une foule de passages il présente les mêmes fautes, les mêmes lacunes.

En Angleterre, nous avons trouvé des volumes dépareillés et deux manuscrits complets: La. du British Museum (Rich. n° 7334, CCCXXXV du cat. Cureton), qui a été écrit au Caire en 1750, et le man. de la Bibliothèque Bodléienne à Oxford (O) (collection Bruce). Ils paraissent contenir une autre édition que L. G. P. et S. Il semble qu'al-Makkarī ou un autre (mais nous pensons que c'est l'auteur lui-même) ait collationné et corrigé plusieurs des passages qu'il cite sur des manuscrits plus corrects. Malheureusement La. et O. sont de mauvais exemplaires en eux-mêmes. Malgré leurs défauts, ils nous ont été extrêmement utiles et nous ont mis à même de corriger beaucoup de fautes qui se trouvent dans les autres manuscrits. Lb., n° 9593 du British Museum (CCCXXXVI du cat. Cureton) est un volume dépareillé qui ne contient que le V^e livre de la 1^{re} partie et qui n'a pu servir qu'à M. Krehl. Lc., n° 9592 de la même Bibliothèque (n° CCCXXXVII du cat. Cureton), est aussi un volume dépareillé qui contient le VI^e et une grande partie du VII livre; M. Dozy en a fait usage. Ld., n°. 9594, CCCXXXVIII du cat Cureton, en caractères africains, volume dépareillé qui renferme une grande partie du VII^e et le VIII^e livre en entier, et dont j'ai eu des collations. Le. n° 9591, 9595, est un abrégé; nous ne l'avons pas consulté. Le manuscrit S. est celui qui a appartenu à M. J. Shakespear et qui est maintenant entre les mains de M. Bowles d'Addiscombe; cet honorable professeur l'a mis à la disposition de M. Wright. D'après ce que m'écrivait M. Shakespear en 1856, il avait été acquis par lui, vers 1816, avec une petite collection d'autres manuscrits, des exécuteurs testamentaires du Dr. Carlysle. Cet exemplaire, qui a été copié en 1707, était complet en trois volumes; mais M. Bowles n'en possède plus que le premier, qui contient les six premiers livres et une très petite partie du VII^e Il s'en faut qu'il vaille celui

Le manuscrit de la Bibliothèque de l'Université de Leipsig (R) faisait partie d'une collection achetée à Damas par le Gouvernement saxon; il contient des extraits du VII^e livre de la 1re partie, relatifs aux femmes poètes [1]. Ce manuscrit est très mauvais; il a cependant servi à M. Krehl pour la collation de quelques pièces de vers.

En Hollande, la Bibliothèque de Leyde possède le manuscrit désigné par la lettre L. Il avait appartenu à Saint-Martin et a été acheté à Paris, à la vente des manuscrits de M. le marquis de la Ferté Senectère. C'est par M. Reinaud que nous avons appris qu'il existait et qu'on allait le vendre. M. Juynboll et les Curateurs de l'Université se sont prêtés avec une grande obligeance à l'acquisition de cet exemplaire pour la Bibliothèque de Leyde, il est complet et contient les deux parties; l'écriture est belle, mais petite et très serrée. Le copiste qui devait être un homme instruit a écrit les lignes suivantes à la fin du manuscrit: «Ahmed, fils de Moḥammed, fils d'Abd-Allah, originaire de Hama, puis ayant résidé à Damas, a fait cette copie, alors que des pensées pénibles, des soucis sans nombre l'assiégeaient. Que celui qui y trouve des fautes, les corrige après un examen attentif, et sans précipitation; car l'homme est sujet à l'erreur, à la confusion, et exposé aux déceptions de ses conjectures. Je n'ai pas cessé un seul instant dans le cours de ce travail, de le contrôler pour en assurer la rectitude; cet exemplaire est unique, rare, à cause de la beauté de l'écriture; il n'y en a pas à Damas un second qui soit convenable et utile. Cette précieuse copie, exécutée pour Moḥammed Effendi le lecteur, en 1719, est la seconde que j'aie faite, et je l'ai écrite du commencement jusqu'à la fin.» Le manuscrit a dû être copié sur un exemplaire semblable à celui de Gotha;

1) Voyez Fleischer dans le *Zeitschrift der Deutschen morg. Ges.*, t. VIII, p. 577, n° 134.

blié que la première partie qui est tout à fait indépendante de la seconde et offre un tout complet, homogène.

Pour accomplir une tâche aussi ardue, il fallait que les collaborateurs fussent établis dans divers centres littéraires et eussent la facilité de consulter un grand nombre d'ouvrages arabes enfouis dans les bibliothèques de l'Europe, à Paris, Londres, Oxford, Leyde, Gotha, Berlin, Copenhague, St. Petersbourg &c., et d'abord les manuscrits eux-mêmes du livre d'al-Makkarī, puis ceux des auteurs qu'il a cités et mis à contribution: parlons des premiers.

En Allemagne nous avons eu à notre disposition le manuscrit de la bibliothèque de Gotha que nous avons désigné par la lettre G dans notre publication. C'est un des meilleurs manuscrits; il a, dès le commencement, servi de base à notre travail, et de nouveaux manuscrits, découverts plus tard, nous ont aidés à le contrôler. L'écriture en est ferme et soignée; il a été écrit en 1653, vingt-deux ans après la mort d'al-Makkarī.

Le manuscrit de la Bibliothèque de Berlin (B) [1] qui faisait partie de la collection de M. J. Wetzstein, achetée par le Gouvernement prussien, ne contient que les cinq premiers livres de la 1re partie de l'ouvrage; il est inférieur à celui de Gotha. L'écriture est africaine; il a quelques voyelles. M. Krehl a pu seul en faire usage.

phiques intéressants sur Ibn-Bādjah, Ibn-Khākān, auteur du *Kalāyid* et du *Maṭmaḥ*, de ce dernier ouvrage on donne des extraits sur quelques littérateurs; on cite quelques-unes des Mowachchahāt de Lisān ad-dīn —; le 6e comprend ses compositions littéraires; il y est surtout fait mention de l'Iḥāṭah dont on extrait quelques biographies, le 7e a trait à quelques-uns de ses élèves, à leurs vers; il y a des Mowachchahāt en grand nombre; enfin dans le 8e on parle de ses fils littérateurs, savants ou fonctionnaires, al-Makkarī termine ce livre par une masse de pièces de vers indigestes sur Mahomet. En résumé cette seconde partie, qui roule sur une époque de décadence dans la littérature arabe, peut néanmoins être utile à consulter, en particulier pour l'histoire de Grenade, et en général pour l'histoire littéraire des Arabes d'Espagne.

1) Voyez Wetzstein, dans le *Zeitschrift der Deutschen morgenland. Gesellschaft*, t. V, p. 278, n° 3.

tion abrégée. Il a traduit la partie historique des récits et négligé presque en entier celle qui est consacrée à la littérature. Remarquable, du reste, par de nombreuses et savantes recherches, l'ouvrage de M. de Gayangos était donc insuffisant pour faire apprécier complétement le véritable caractère du livre d'al-Makkarī. Aussi était-ce un besoin des études actuelles de publier le texte de cette bibliothèque arabe-espagnole.

En 1852, sur la proposition de M. Reinhart Dozy, professeur d'histoire à Leyde, une association littéraire, composée de l'orientaliste hollandais, de M. le Dr. Krehl, Secrétaire de la Bibliothèque de Dresde, de M. W. Wright, professeur d'arabe à Dublin, et de moi, fut conclue pour la publication du texte arabe de l'ouvrage d'al-Makkarī. Ce livre dont le titre, bizarre, comme tous ceux, d'ailleurs, des ouvrages arabes: *Senteur de parfum du rameau frais de l'Espagne, et Biographie du vizir Lisān ad-dīn Ibn-al-Khaṭīb*[1], se compose de deux parties: la première, qui forme les deux tiers de l'ouvrage, contient une longue série de fragments d'auteurs arabes sur l'histoire politique et littéraire des Arabes d'Espagne depuis leur conquête de la péninsule jusqu'à leur expulsion; la seconde partie est plus spécialement consacrée à la biographie de Lisān ad-dīn, homme d'État et littérateur célèbre qui vivait à Grenade au XIVe siècle[2]. Nous n'avons pu-

1) Le titre primitif du livre était: «عَرف الطيب فى التعريف بالوزير ابن الخطيب». Ce ne fut que lorsque l'auteur eut ajouté les récits sur l'Espagne qu'il adopta le titre suivant: «كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب».

2) Cette seconde partie de l'ouvrage d'al-Makkarī est divisée en 8 livres: le 1er est consacré aux prédécesseurs d'Ibn-al-Khaṭīb, le 2e à sa naissance en 713 (1313), ses emplois, son éducation, ses connaissances dans le Korān, les ḥadīth, la médecine, la grammaire etc., on y trouve quelques biographies d'écrivains puisées dans un de ses ouvrages sur les littérateurs de Grenade, l'Iḥāṭah; on y raconte sa mort violente en 776 (1374); on cite des vers qu'il fit en prison. le 3e contient des renseignements sur ses professeurs, ses poésies, le 4e des allocutions, des citations de l'Iḥāṭah sur des écrivains qui furent en rapport avec lui; le 5e sa prose élégante, rimée, ses vers; il renferme de plus quelques détails biogra-

ouvrages qui ont été faits pour éclairer cette époque, ne datent que du moment où les études arabes s'étant fortifiées, prirent un caractère scientifique. Avant de songer à écrire l'histoire des Arabes d'Espagne, il fallait donc diriger ses efforts vers la publication des écrivains arabes, dont l'étude pouvait mieux que toute autre, nous mettre en état d'arriver le plus près possible de la vérité historique.

Parmi les ouvrages originaux sur cette période, il en est un d'une importance depuis longtemps reconnue: c'est celui d'al-Makkarī, qui contient une sorte de bibliothèque historique et littéraire des Arabes d'Espagne. Dès 1816, John Shakespear fit connaître ce livre par la traduction d'un choix de passages qui lui parurent les plus intéressants, et qui furent insérés dans l'Introduction [1] au recueil des antiquités arabes d'Espagne que M. James Cavanah Murphy avait publié en 1815 [2]. D'autres orientalistes mirent à profit cet ouvrage, soit pour des choix de poésies [3], soit pour des extraits en prose [4], soit pour des recherches historiques [5]. Enfin M. de Gayangos en publia une traduction à Londres en 1840 [6]. Ce savant espagnol a suivi un autre plan que celui de l'auteur arabe; son intention n'était pas de donner une traduction complète, et il appelle lui-même son travail une traduc-

1) Cette introduction a pour titre: *History of the Mahometan empire in Spain, containing a general history of the Arabs, their institutions, conquests, litterature, arts, sciences and manners, to the expulsion of the Moors*, in 4°. 1816. La première partie de ce livre comprenant des notices historiques, une description de Cordoue, Grenade et Séville, est due à M. J. Shakespear qui a fait une esquisse des quatre premiers livres de l'ouvrage d'al-Makkarī.

2) *Arabian antiquities of Spain* by James Cavanah Murphy, architect, published by Cadell and Davies, London, 1815.

3) Voyez *l'Anthologie arabe* de M. G. de Lagrange, 1828.

4) Voyez la *Chrestomathia Arabica gramm. hist.* de M. Freytag, Bonn, 1834, p. ١٣٩-١٤٩.

5) Voyez *Invasions des Sarrasins en France etc.*, par M. Reinaud, 1836; Lembke, *Geschichte Spaniens*, les *Recherches sur l'histoire politique et littéraire de l'Espagne pendant le moyen âge*, l'Introduction au *Bayān al-moghrib*, les *Scriptorum Arabum loci de Abbadidis*, de M. R. Dozy.

6) *The History of the Mohammedan dynasties in Spain, translated by* Pascual de Gayangos, 2 v. in 4°.

INTRODUCTION.

Lorsqu'il s'agit de constituer l'histoire d'un peuple qui a joué son rôle en plein Moyen-âge, comme les Arabes d'Espagne, on se trouve en présence de deux sortes de matériaux: les Chroniques chrétiennes et les manuscrits d'auteurs arabes. Les premières, écrites avec plus ou moins de partialité, ne peuvent être consultées qu'avec précaution; et les seconds ne sont pas, même encore aujourd'hui, d'un accès facile. On sait quelle quantité de manuscrits furent détruits dans les révolutions de la Péninsule, les sacs de villes, les autodafé, les bouleversements survenus lors de l'expulsion des Arabes de l'Espagne. Les manuscrits disséminés dans les bibliothèques, les mosquées de l'Orient et du Maghreb sont souvent hors de notre portée; et pour tirer un parti utile de ceux que possèdent les bibliothèques de l'Europe, il eût fallu que l'enseignement de la langue arabe fût fondé sur des bases solides. Or, ce n'est guère que dans la première moitié de notre siècle, et après de longs labeurs, qu'un petit nombre d'orientalistes se sont trouvés en état de publier des textes Les quelques

ANALECTES

SUR

L'HISTOIRE ET LA LITTÉRATURE

DES

ARABES D'ESPAGNE,

PAR

AL-MAKKARI.

PUBLIÉS PAR

MM. R. DOZY, G. DUGAT, L. KREHL ET W. WRIGHT.

TOME PREMIER.

Introduction par M. GUSTAVE DUGAT,
Livre I, II, III et IV publiés par M. WILLIAM WRIGHT,
et Livre V publié par M. LUDOLF KREHL.

LEYDE,
E. J. BRILL,
IMPRIMEUR DE L'UNIVERSITÉ.
1855—1860.